القديسة
تريز الطفل يسوع
معلمة الكنيسة

الأعمال الكاملة



بيروت ١٩٩٧

تراث الكرمل ٢٠

القديسة
تريز الطفل يسوع
معلمة الكنيسة

الأعمال الكاملة



بيروت ١٩٩٧

تراث الكرمل ٢٠

القديسة
تريز الطفل يسوع
معلمة الكنيسة

الأعمال الكاملة

لا مانع من طبعه
بولس باسيم
النائب الرسولي للّاتين في لبنان
جعيتا في ١٦ تموز ١٩٩٧
عيد سيدة الكرمل

توزيع الآباء الكرمليين في لبنان
دير سيدة الكرمل
الحازمية ص.ب. ٢٨٥
ت: ٤٥٣٠٩٣/٤
فاكس ٤٥٧٤٣٣

القدّيسة

تريز الطفل يسوع

معلّمة الكنيسة

الأعمال الكاملة

نقلها عن الفرنسيّة

ألبير ابونا ، بيار ريشا

د. دعد قناب عائدة

قدّم لها

الأب جان سليمان الكرملي

تراث الكرمل ٣٠

بيروت ١٩٩٧

أسهم في ترجمة الاعمال الكاملة

١ - **الاب البير أبونا**: مخطوطات أ، ب، ج.

٢ - **بيار ريشا**: المسرحيات.

٣ - **دعد قنّاب عائدة**: القصائد، الرسائل، الصلوات، المحاورات الاخيرة.

٤ - **الاب جان سليمان الكرملي**: وضع المقدمة العامة.

٥ - وضعت الدكتورة **دعد قناب عائدة** بعض المقدّمات والملاحظات.

٦ - راجع نصوص المخطوطات والمسرحيات ودقق فيها **الخوري حليم ريشا**.

٧ - أشرف على جمعها ومراجعتها والتدقيق فيها، ووضع بعض المقدمات والملاحظات وعناوين المقاطع في المخطوطات، **الاب شاهين ريشا الكرملي**.

توطئة

في كلِّ الارض ذاع منطقها (**مزمور** ١٨/ ٥).

كلمة صاحب المزامير تعبِّر أصدق تعبير عمَّا آلت إليه شخصية تريز ليزيو.

فتاة لم تتجاوز الخامسة والعشرين، ولم تحلم بأن تكون كاتبة، تحوّلت دفاتر ذكرياتها مجلّدات حملت الى الملايين من الناس على مدى قرنٍ من الزمان فرحاً ويقظة روحية، ونظرة جديدة الى الله، الوانها الثقة والاتكال والحبّ الجسور.

في مائة عام، حقَّقت بعد وفاتها، ما حلمت به في زوايا ديرها، وغصَّ به نَفَثُها المصدور، وهو ان تجوبَ الارض من اقصاها الى اقصاها، تزرع في كل مكان صليب حبيبها وتعلن اسمه لكلِّ انسان. وفعلاً، فقد صارت نُتَفُ كتاباتها، وصرخاتُ شِعرها، وبسماتُ مسرحياتها، وشهقاتُ نزاعها، مجلّداً ضخماً تُرجم الى أكثر من اربعين لغةً مع توقّع المزيد.

ولم تنتظر اللغة العربية الذكرى المئوية لولادتها في ١٩٧٣، لتتلقَّى هذا الكنز الروحي الثمين. بل ترجم قصَّةَ حياتها الخوري يوسف عوّاد باكراً، في سنة ١٩٢٦، تحت عنوان **تاريخ نفس**. ثم تتالت الترجمات تعتمد على النصوص الاصلية التي نُشرت تباعاً في ليزيو منذ ١٩٥٦.

وها نحن في الذكرى المئوية الاولى لوفاتها، نُقدم على نشر مُجمل النصوص التي خطّتها ريشة تريز دي ليزيو، آملين ان تلبّي رغبات أصدقائها وقد باتوا كثيرين.

فمع الشكر للذين ساهموا في هذه الترجمة: الاب البير ابونا العراقي، والسيد بيار ريشا، ومن راجع النصوص ونقَّحها، خاصةً الخوري حليم ريشا، لا بدَّ من

التنويه بما قامت به الدكتورة السيدة دعد قنّاب عائدة، وهي الأرثوذكسية المنشأ والروح؛ فقد نقلت الى العربية القسم الاكبر من هذه الأعمال مع مقدِّماتها وملاحظاتها، وبذلت جهداً شخصياً كثيفاً في المحافظة على طلاوة الأسلوب وبساطة التعابير والحس الأنثوي، فأسهمت في جعل هذه الترجمة أمينة بقدر ما يمكن أن تكون الترجمات أمينةً، وباباً ييسِّر للقارئ الولوج في عالم القديسة تريز الطفل يسوع، الروحي والانساني، بخفّةٍ وانسيابٍ عفويَّين.

أما الاب جان سليمان، المستشار العام في الرهبانية الكرملية، الذي شارك في إعداد ملف دعوى الملفنة في روما، فقد توّجَ هذه المجموعة الروحية الرائعة بمقدمة لاهوتية عامة أبرز فيها القيمة اللاهوتية لكتابات قديستنا، وأوضح المحاور التعليمية العميقة التي استندت اليها دعوى الملفنة: من مفهومها للثالوث الأقدس المرتبط بالكلمة الإلهي المتجسّد، ومفهوم الكنيسة وأسرارها، الى إعلان تريز للطريق الصغير الجديد المستقيم المؤدّي الى القداسة وتأكيد حبّ تريز الخاص للعذراء القديسة أمّ الله. فأثبت الاب جان سليمان أنَّ هذه الفتاة هي، في آنٍ معاً، صبيةٌ بنت عصرها، وامرأةٌ ناضجة كل النضوج، تنفتح قداستها على كل فئات المؤمنين، وتطلُّ على الكنيسة أماً ومعلمة.

فنرفع الى الله الدعاء بأن تتحقَّق صلاةُ العديدين فتتمّ لتريز احدى رغباتها السُميا، أي في أن تقف بإلهام الروح القدس، معلّمةً للكنيسة جمعاء.

الاب شاهين ريشا
الرئيس الإقليمي للآباء الكرمليين
في لبنان ومصر

مسلسل مفصّل
لأحداث حياة تريز الطفل يسوع

١٨٧٣ – ٢ كانون الثاني/يناير: ميلاد ماري – فرانسواز – تريز مرتان في بلدة ألَنسون من مقاطعة النورماندي.

٤ كانون الثاني/ يناير: عمادها، وعرابتها هي اختها الكبرى ماري.

١٨٧٧ – ٢٨ آب/اغسطس: وفاة السيدة مرتان. پولين اصبحت أُمًّا ثانية لتريز.

١٥ تشرين الثاني/نوفمبر: انتقال العائلة من ألَنسون الى ليزيو (البويسّونيه).

١٨٧٩ – (او ١٨٨٠): الرؤية النبوية عن محنة أبيها.

في نهاية السنة: اعترافها الاول.

١٨٨٠ – ١٣ ايار/ مايو: المناولة الاولى لأختها سيلين.

١٨٨٢ – ٢ تشرين الاول/اكتوبر: دخول پولين الكرمل.

١٨٨٣ – اذار/مارس: مرض تريز الخطير.

٦ نيسان/ابريل: اتّشاح پولين بالثوب الرهباني.

١٣ ايار/مايو: (العنصرة) ابتسامة العذراء وشفاء تريز.

١٨٨٤ – ٨ ايار/مايو: مناولتها الاولى. الاخت انييس ليسوع تبرز نذورها في الكرمل.

١٤ حزيران/ يونيو: تريز تُمنَح سر التثبيت.

١٨٨٥ – ٢١ ايار/مايو: التناول الثاني الاحتفالي.

١٨٨٦ – ٧ تشرين الاول/اكتوبر: دخول ليوني عند الراهبات الكلاريسّات في ألَنسون.

١٥ تشرين الاول/اكتوبر: دخول ماري كرمل ليزيو.

١ كانون الاول/ديسمبر : عودة ليوني الى العائلة.

٢٥ كانون الأول/ديسمبر : بعد قداس منتصف الليل، تحظى بنعمة الاهتداء.

١٨٨٧ – ١٩ آذار/مارس: اتّشاح ماري بالثوب الرهباني.

١ ايار/مايو: السيد مرتان يصاب بنوبة من الشلل.

٢٩ ايار/مايو: تنال تريز من والدها السماح بدخول الكرمل.

١٦ تموز/نوفمبر: دخول ليوني دير الزيارة في كان.

٤ تشرين الثاني/نوفمبر: بداية سفر تريز مع والدها وسيلين الى باريس وروما...

٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر: مقابلة البابا لاون الثالث عشر وعرض تريز مطلبها عليه.

١٨٨٨ – ٩ نيسان/ابريل: دخول تريز دير الكرمل في ليزيو.

٢٢ ايار/مايو: اعتراف عام عند الأب ألمير بيشون.

١٨٨٩ – ١٠ كانون الثاني/يناير: اتشاح تريز بالثوب الرهباني.

١٨٩٠ – خلال هذه السنة تطّلع تريز على نصوص العبد المتألم في **اشعيا**، وعلى كتابات القديس **يوحنا الصليب**.

٨ ايلول/سبتمبر: إبراز النذور الرهبانية.

٢٤ ايلول/سبتمبر: الاتشاح بالطرحة الرهبانية.

١٨٩٣ – ٢ شباط/فبراير: تَنظم تريز مقطوعتها الشعرية الاولى.

٢٠ شباط/فبراير: انتخاب الام انييس ليسوع رئيسةً لكرمل ليزيو. تريز تشارك في التثقيف الروحي للمبتدئات.

١٨٩٤ – ٢٩ تموز/يوليو: وفاة السيد لويس مرتان.

١٤ ايلول/سبتمبر: دخول أختها سيلين دير الكرمل في ليزيو.

في نهاية كانون الاول/ديسمبر، تتلقّى تريز من الام انييس الأمر بتدوين ذكرياتها.

١٨٩٥ – ٩ حزيران/يونيو: تتلقّى تريز الايحاء بتقديم ذاتها للحبّ الرحيم.

١٥ آب/أغسطس: دخول ماري غيران، ابنة خال تريز كرمل ليزيو.

١٧ تشرين الاول/اكتوبر: تريز تصبح الاخت الروحية للاكليركي بلّيير.

١٨٩٦ – ٢٠ كانون الثاني/يناير: تسلّم تريز **المخطوط** (أ) الى الام انييس.

٢١ اذار/مارس: اعادة انتخاب الام ماري دي غونزاغ رئيسة لدير الكرمل، فتثبّت تريز في مهمّتها كمساعدة في تنشِئَة المبتدِئات.

٢/٣ نيسان/ابريل: عشية الجمعة العظيمة، النزف الاول.

٣ نيسان/ابريل: النزف الثاني.

٥ نيسان/ابريل (القيامة) او بعده بقليل: دخول تريز ليل الايمان حتى موتها.

٣٠ ايار/مايو: تعطيها الام ماري دي غونزاغ أخاها الروحي الثاني وهو الاب رولّان.

٨ ايلول/سبتمبر: كتابة **المخطوط (ب)** الى اختها ماري لقلب يسوع.

١٨٩٧ – في مطلع نيسان/ابريل: مرضها العضال.

٦ نيسان/ابريل: بدء **المحاورات الأخيرة**.

٣ حزيران/يونيو: تأمرها الام الرئيسة بإكمال كتابة حياتها أي **المخطوط (ج)**.

٨ تموز/يوليو: تُنقل الى غرفة المرضى.

٣٠ تموز/يوليو: تُمنح مسحة المرضى.

١٩ آب/اغسطس: التناول الاخير.

٣٠ ايلول/سبتمبر الخميس – في الساعة ٧،٢٠ مساءً تلفظ تريز أنفاسها الأخيرة بعد نزاع دام يومين.

٤ تشرين الاول/اكتوبر: دُفنت في مقبرة ليزيو.

١٨٩٨ – ٣٠ ايلول/سبتمبر: الطبعة الاولى **لقصة نفس**.

١٨٩٩ – ١٩٠٢ – بدء الشفاءات الاولى والزيارات الى ضريح تريز.

١٩٠٢ – اعادة انتخاب الام انييس ليسوع رئيسة.

١٩٢٣ – ٢٩ نيسان/ابريل: البابا بيوس الحادي عشر يعلن تريز طوباوية.

١٩٢٥ – ١٧ ايار/مايو: البابا بيوس الحادي عشر يعلن تريز قديسة.

١٩٢٧ – ١٤ كانون الاول/ديسمبر: يعلنها البابا بيوس الحادي عشر شفيعة للرسالات والمرسَلين.

١٩٢٩ – ٣٠ ايلول/سبتمبر: وضع الحجر الاساس لبازيليك ليزيو الكبرى.

١٩٤٤ – ٣ ايار/مايو: البابا بيوس الثاني عشر يعلن تريز شفيعة ثانية لفرنسا.

١٩٥٤ – ١١ تموز/يوليو: التكريس الاحتفالي لبازيليك ليزيو الكبرى.

١٩٥٦ – ظهور الطبعة الاولى لمخطوطات تريز المصوّرة.

١٩٧٣ – الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد تريز. وبهذه المناسبة ظهرت كتب عديدة عنها.

١٩٩٧ – الذكرى المئوية الاولى لوفاة القديسة تريز الطفل يسوع، ومطالبة مجامع اسقفية عديدة بإعلان تريز معلمة الكنيسة جمعاء.

١٩٩٧ – ١٧ حزيران / يونيو: موافقة مجمع الكرادلة في روما برئاسة البابا يوحنا بولس الثاني على إعلان تريز الطفل يسوع معلّمةً للكنيسة جمعاء.

١٩٩٧ – ٢٤ آب / اغسطس البابا يوحنا بولس الثاني يصرح في باريس بعزمه على إعلان القديسة تريز الطفل يسوع والوجه الاقدس معلِّمة للكنيسة جمعاء في ١٩ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٩٧، الواقع فيه اليوم العالمي للرسالات.

مقدّمة عامّة

يشكّل تعريب أعمال القديسة تريز الطفل يسوع والوجه الاقدس حدثاً روحيّاً فذّاً وعملاً ثقافياً رائعاً ورائداً. ذلك ان هذه الاعمال تحكي مسرى حياة فريدة، بل وتسردُ عظائم الربّ وإنعاماته في مَسَار الراهبة الكرمليَّة، السريع المستقيم، الى أعلى قمم القداسة. لذا جاءت هذه الاعمال تحمل بشرى سعيدة، وتجسّد ما قاله البابا بيوس الحادي عشر في مؤلّفتها، عندما وصفها بأنَّها «**كلمة من عند الله**» لقرننا هذا الذي امسى في الغروب، وللاجيال العتيدة. بهذه «الكلمة» أحيا الروح وجَدَّد ايمانَ الكثيرين بالله الثالوث، وبكلمته المتجسّد، وبكلامه الحيّ الذي نقله الى العالمين بشتى الوسائل، وبكنيسته وأسرارِها، وبالانسان عينه وزَمَنِه وقِيَمِه. لذا جاءت مؤلَّفات شفيعة الارساليات في العالم كتابَاتٍ قديسة، في طيَّاتها لَاهوتٌ ملفانة، وفي الجَنَبَات رسالةُ امرأة عبقرية.

أولاً: كتابات قديسة

حرَّرت القديسة تريز معظمَ رسائلها وخاصة مخطوطات سيرتها الذاتية واشعارَها واعمالَها المسرحيَّة وحتى صلواتِها انصياعاً لرغبةٍ أو أمرٍ من رئيساتها، أو نزولاً عند تمنّيات هذه أو تلك من الراهبات أخواتها. وقد كتبت بوجه الاجمال في ظروف غير ملائمة للخَلق الفكري، كضيق الوقت، واستحالةِ الحُريَّة في اختيار الموضوع، والمطالعةِ المحدودة، وحتى المناخ عامة والوسائل البَدائية للتأقلم مع تقلّباته، في دير صغيرٍ فقير. ورغم الصعاب والحدود، فقد جاءت كتابات الكرمليَّة الحكيمة موحّدةً، رُغم تنوّعها، على قاعدةِ ديناميَّةِ حياتها اللاهوتيّة.

إنَّها كتاباتُ مؤمنة تفتَّحت عيناها على الله فور تفتُّحها على نور الحياة. وشبَّت على حُبّه ورجاء سمائه فعاشت في حضوره. لذا تقفَّت آثارَه في الطبيعة، وعَبدته

مُشرقاً في الآخرين، وسمعت صوتَه في الاحداث، وبانت لها إرادتُه في علامات الازمنة.

في هذه الكتابات تشاطر تريز قارئها حياتَها والنعمَ الَّتي أسبغها الله عليها، وتُشرِكُهُ في تقدمة ذاتها ذبيحة «للحبّ الالهي الرحيم»، كما في جلجلة ايمانها، فينعمُ بالصدق تضُّمه كلماتها وتشابيهها وافكارها الجريئة، وبالصداقة تزيِّن تعليمَها ودعوتها الى السير في دَرْبِها. ويغمره الحُبُّ المتدفّق من قلبها الذكيّ على الثالوث والقديسين والكنيسة بأسرها والمعذّبين على أنواعهم والبشر على اختلافهم. ويَغْمرُ بالرجاء في الحزن والفرح، في العافية والمرض، وأمام الموت الذي غدَا معها «دخولاً الى الحياة الابديَّة». فينظر معها بدوره بمنظار المخلِّص الى الآب مشيداً بمراحمه، والى الروح منفتحاً على تقديسه، والى الكنيسة مع العذراء مريم والقديسين وسائر المؤمنين، مُجدِّداً حُبَّه لها وانتماءه إليها والى الانسانية كبستانِ كلمةِ الله المتجسِّد، ومستعدّاً للمساهمة في عمله الخلاصي.

واذا تساءل القارئ: من أين لراهبة فتيَّة مجهولة هذه الحكمة وذلك الحدْس وتلك المشورَة وذلك السِّحر؟، أسرعت بإجابته: «يسوع تنازل وشرح لي» (**مخطوط** أ، ٢ ش) واضعاً أمامها كتاب الطبيعة، وفاتحاً كتابه المقدَّس حيث وجَدت «غذاءً قوياً ونقياً» (**مخطوط** أ،٨٣ ش)، وداعياً إيَّاها الى استلهام قديسي الكرمل كتريزا ليسوع الآفيليَّة ويوحنا الصليب وغيرهم.

لقد علَّمها الربّ مباشرةً وبواسطة قديسيه، وأَقامها معلِّمةً في ديرها وفي الرهبانية الكرملية وفي كلِّ الكنيسة، فغدا علمُهُ قداستَها، وصارت قداسَتُها عِلْمَ حُبٍّ لا يُسبَرُ إلَّا بالروح عُمقُ أغواره.

ثانيا: لاهوت مَلفانة

أَقرّ قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، في مجمعٍ للكرادلة ترأسَّه يوم السابع عشر من حزيران ١٩٩٧، إضفاءَ لقب «ملفانة الكنيسة» على القديسة تريز الطفل يسوع والوجه الاقدس. وقد جاء هذا الإقرار تتويجاً لمطلبٍ شعبي ولاهوتيٍّ قديم،

تحوَّل في العقد الاخير التماساً جارفاً تبنَّاه كرادلة كثيرون ومجامعُ أسقفيّة عديدة واساقفةٌ ولاهوتيون وجماعاتٌ مكرَّسة ومسيحيَّة غفيرة.

ان الملفنة في الكنيسة قوامها قداسةٌ خارقة وتعليمٌ سامٍ فريدٍ بأبعاده النبويَّة وبمُلاءَمته لشعب الله في سعيه نحو الربّ. أمَّا ملفنة تريز، الشابَّة التي لم تعرف الجامعات، ولم تؤلّف الموسوعات، بل أحبَّت الله حتى اقصى درجات الحُبّ، وتأمَّلت كلامَه «ليل نهار»، فعلامةٌ من علامات الازمنة، يحاور الروح عبرها عقلانيي عصرنا ومُلحديه، ويخاطب المؤمنين والساعين إليه، ويَكشفُ مرَّة أخرى للصاغين الى ابنه والمستلهمين روحَه عن أسراره ومكنوناته. فلكَ، أيها القارئ العزيز، أهمّ المحاور في لاهوت الكرملية الليكسوڤيّة.

أ - الى الثالوث الاقدس بالكلمة الالهي المتجسد

في القصيدة «**العيش بالحب**» (**قصيدة** ١٧)، تختصر تريز بمقطع صغير لاهوتها الثالوثي إذ تقول:

«آه! يا يسوع الهي، تعرف كم اني أُحِبُّك
«روح الحُبّ (الروح القدس) بناره يكويني
فبحُبّي إيّاك أجذبُ الله أباك!»

بهذه الكلمات البسيطة أرادت تريز أن تعبِّر عن وِصالها الثالوثي. فهي تُحبُّ حتى الجنون، كما يحلو لها ان تردّد، يسوعَ كلمةَ الله المتجسِّد والمخلّص. هذا الحُبُّ النابع من الروح، روحِ الآب وروح يسوع، يُمكِّنها من علاقة حُبٍّ بالآب. وبتعبير أبسط، تختبر الكرملية المتأملة، الثالوثَ الأقدس بالمسيح يسوع الذي يتردَّد اسمه اكثر من ١٦٠٠ مرة في كتاباتها. فاسم يسوع في كتاباتها قد يدلّ على الله المثلث الاقانيم، كما يدلّ على الاقنوم الثاني. مَن «يسوع معه يملك كلَّ شيء (**قصيدة** ١٨ ب)، ويلجُ في سرِّ الله، وسرِّ الانسان، وسرِّ الكنيسة والقديسين، وسرِّ الخطيئة والخلاص، وسرِّ الموت والقيامة.

اما الآب فتعترف القديسة الكاتبة بأنَّه وَهَبَها رحمته اللامتناهية، تشاهد وتعبد من خلالها كمالاته الاخرى التي تبدو لها مشعَّةً بالحُبّ (**مخطوط** أ ،٨٣ ش).

الآب هو الخالق الكلّيّ القدرة (**مخطوط** أ، ٧٧ ي) ومُبدع الكون (**مخطوط** ب، ١ ي) ومصدر كلّ حيّ (**قصيدة** ٣٢) لانه رحمة ومحبّة.

وفرادة تريز اللاهوتيّة هي جسَارة تطلُّعِها وارتمائِها في أحضان الآب، فتردّد شاكرةً ساجدة:

«وبما أنَّك أحببتني الى حدّ أنك أعطيتني ابنك الوحيد ليكون مُخلِّصي وختَني، فإن كنوز استحقاقاته اللامتناهية هي لي، أُقرِّبُها لك باغتباط، ضارعةً إليك ألَّا ترمقني إلَّا من خلال وجه يسوع وقلبه المضطرم بالحُبّ» (**صلاة** ٦).

ذلك أنَّ الابن هو «كلمةُ الآب»، به برأ كُلَّ شيء ويُخلِّص الكُلَّ.

كلمة الآب هو المخلّص، إذ بتجسّده وآلامه وموته وقيامته أتمَّ عمل الخلاص. فسرُّ ولادته طِفلاً وسرُّ صلبه وقيامته سرٌّ واحد. لذا تكرِّمُ الكرمليّةُ الخارقةُ القداسة «الوجهَ الاقدس» في حين تعبد الطفل في المذود. وفي مسرحيَّتها «**الملائكة حول المذود**» تضع على ألسنة الملائكة، من ملاك الطفولة الإلهية الى ملاك الوجه الاقدس، الى ملاك القيامة مع ملاك الافخارستيا والدينونة العظمى، أفكارها اللاهوتيّة المختلفة المتكاملة فتؤلّف ملحمةً خلاصيةً رائعةً يختمها نشيد الملائكة متّحدين: «ما اعظمَ سعادةَ الخليقة الوضيعة! والساروفيم يودّون، على انشغافهم بالعزة الالهية، لو يَنزعوا، يا يسوع، طبيعتَهم الملائكية ليُصبحوا ابناء (البشر)...» (**مسرح** ٢)، أو بتجسّدهم ينعمون بخلاص المسيح ويُعطَوْن نعمة مشاركته في تحقيقه.

ولا يسعنا في هذه المقدِّمة أن نوسِّعَ لاهوت تريز الكريستولوجي. لذا نكتفي بالاشارة الى أنّ الراهبة الملهَمة تبنيه، في اختبارها الفريد، بكلامِ العهد الجديد ومفاهيمه؛ وكأني بلاهوتها «إنجيل الانجيل» و«إنجيل الرسائل». فهي لا تَكفُّ عن إعلان أولويةِ المسيح في الخلق كما في مطلع انجيل **يوحنا** وفي نشيد **كولسي**. إنه الخالق وإن بدا طفلاً ضعيفاً (**قصيدة** ١٣) إذ تقول:

«بيدك الصغيرة، التي بها كنت تداعب مريم،
كُنت تَسند العالم وتمدّه بالحياة» (**قصيدة** ٢٤، ٦).

العهد القديم يملأُه حضورُ يسوع الذي يظهر فيه قرينَ شعبِ الله (**مخطوط** أ ، ٤٧ ي) وهو بارئ الطبيعة القدير المحبّ (**مخطوط** أ ، ٢١ س – ٢٢ ي ، ٥٧ ش – ٥٨ ي ؛ **رسالة** ١٣٥ وغيرها) . وبالتالي فإن في يسوع تكتشف اللاهوتية الملفانة كُلَّ محاسن طَبعه مردِّدةً أشعار يوحنا الصليب ، أبيها الروحي ومرشِدها (**قصيدة** ١٨) ، أو بالأحرى ، معبّرةً عن إيحاءات الروح القدس ، « رُوح الحُبّ » و « سيِّد الافكار الحسنة » .

في الواقع ، يبدو أن تريز لا تأتي على ذكر الروح القدس إلّا قليلاً وبطَرِيقَة عابرة . غير انَّ معلِّمة الحياة المكرَّسة والروحيَّة واثقة من أنَّ كُلَّ ما تؤمن به عن الثالوث وتختبره في اتحادها بالابن يأتيها من الروح القدس . وهي كثيراً ما تلجأ الى الرموز للتعبير عن عمله الدائم في النفوس . فهي تردِّد مع بولس الرسول أنه بدون روح المحبَّة هذا لا نستطيع أن نُعطيَ لقب « أبّا لابينا الذي في السماوات » (**مخطوط** ج ، ١٩ ش) .

الروح هو النار المُطهِّرة والشعلة المتوقدة والماء الحيّ . وعليه فهي ترجو أخاها الروحي الاب بلّيير ان يُصلّي يومياً من أجلها قائلاً :

> « أيُّها الآب الرحوم ، باسم يسُوعنا الوديع ، والعذراء مريم والقديسين ، أسألُك ان تُضرمَ أختي بنار روحك ، روحِ الحُبّ ، وإن تهبها النعمة بأن تجعلك تُحَبُّ كثيراً » (**رسالة** ٢٢٠).

وتستعيد تريز لاهوت القديس اغسطينوس فتعبد الروح منبثقاً من الآب في وِصاله بالابن ، ومن الإبن في اتّحاده بالآب ، وتؤمن به ناراً تُضرم المحبَّة في قلب الكنيسة وقلبِ كلِّ مؤمن ، وشعلةَ حُبٍّ أبدية لامتناهية تغمر الارض والسماء والازمنة وكلَّ مكان .

ولاختصار كلِّ ما ورد ، نستذكر كلاماً آخر لها توجز فيه لاهوتَها الثالوثي :

« أيُّها الكمة الالهيُّ ، انت هو النسر المعبود الّذي أحبُّه والذي يجتذبُني . انت الذي هبط الى المنفى وشاء ان يتألّم ويموتَ لكي يجتذب النفوس الى قلب نار الثالوث الطوباوي الازلية » (**مخطوط** ب ، ٥ ش).

ب – الكنيسة وأسرارها

اختبرت القديسة الكرملية الكنيسةَ في كلِّ مراحل حياتها ومارست أسرارها ! أما سرُّها العميق فقد اخترقت حُجُبَه بطريقة فريدة جدّاً عندما بلغت رغبتُها في حُبِّ المسيح وخدمتِه ذروةً لا مثيل لها ، وتفجَّرت عندها دعواتٍ عديدةً مختلفة . فهي تودّ لو تكون كاهناً ومرسلاً وواعظاً ومحارباً ، وأن تجوبَ الارض عرضاً وطولاً مبشِّرةً بالانجيل ، وان تُستشهدَ وتُذاقَ كلَّ انواع العذابات الخ ... لكنَّها ما لبثت ان تبيَّنت دعوتها بتأمّلها في الفصلين الثاني عشر والثالث عشر من الرسالة الاولى الى **الكورنثيين** ، ففهمت ان الكنيسة هي جسد المسيح السري ، وأن الروح القدس هو قلبُها المفعم بالحُب يوزِّع على كلِّ عُضو موهبةً لِبناء هذا الجسم الالهي الانساني ، وينمِّي المواهبَ كُلَّها (**مخطوط** ب) .

فالكنيسة اذاً هي جسدُ المسيح القائم بقوَّة الروح لانَّها ابنةُ الآب . وكما تجسَّد الكلمة ابن الآب بقوة الروح ، هكذا تتجسَّد الكنيسة في شعب الله الذي تلده بالروح في الاسرار المقدَّسة .

بالعماد يزرع الروح الحياة الالهيَّة « بِذاراً عميقاً من الفضائل الالهيَّة » (**مخطوط** أ ، ٥٢ ش) فتنبت معه الحياةُ الابدية (**مسرح** ٢، ٦ ش) وتتألّق معه النفسُ بالبهاء والبرارة (**رسالة** ١٨٢) وتدفع دينامية الحُبّ بالمعمَّد الى تقدمة ذاته « ذبيحةً » ، والى ممارسة كهنوت المؤمنين (**صلاة** ٦) ، تغذِّيه الافخارستيا .

ذلك ان سرَّ حبِّ يسوع السامي هذا ، هو سرُّ بذل المسيح ذاتَه (**مخطوط** ج ، ١١ ش) ليتَّحدَ اتحاداً وثيقاً بمن يتناوله فيصبح غذاءه أي حياته . وقد خبرت الطفلة مرتان هذه الحالة عند مناولتها الأولى حيث شعرت بأن ذاتها ذابت في كيان المسيح كقطرة ماء في الاقيانوس (**مخوط** أ ، ٣٥ ي)؛ وعاشت الافخارستيا فيما بعد نزولَ الربِّ في قلبها للاقامة فيه هيكلاً ثالوثياً (**مخطوط** أ ، ٤٨ش ؛ و٧٩ ش – ٨٠ ي).

ويُكمِّل سرُّ التثبيت هذا التبادل الالهي البشري ويوطّده لأنه سرُّ « زيارة الروح القدس » ، و« سرُّ الحبّ » ، و« سرُّ نزول الروح » الذي حصّن تريز في تقلّبات الحياة وتحت وطأة الالم ، وعندما اخترقت روحَها تجربةُ الايمان الكبرى .

امّا الكهنوت، وقد رغبت فيه، فسرٌّ سامٍ انشغفت بعظمته وسموٌّ كرامته منذ طفولتها، وكرّست فيما بعد حياتَها صلاةً ومشاركةً في آلام المسيح من اجل تقديس الموسومين بعلامته. وهو بالنسبة اليها سرُّ الحُبّ اكثر منه سرَّ التراتبية الكنسيّة والسلطة النابعة منه. انه سرُّ مواصلةِ تجسُّدِ المسيح ومتابعةِ خلاصه. لذا تحوّلت حياة تريز كهنوتاً تجلّى في كونها غدت رسولةَ الرسل، و«أمَّ النفوس»، وفي تقدمتها ذاتَها «ذبيحةَ الحبِّ الرحوم»، وفي مشاركتها المسيح آلامَه وموتَه عبر مرضِها ونزاعِها الاليم. فبرهنت بحياتها على تعليمِها أنَّ الكهنوتَ أولاً وآخراً حُبٌّ، هو حُبُّ يسوع المسيح، وبه ومعه وفيه حبُّ الثالوث الطوباوي، ومحبَّةُ البشر. إنه حُبُّ يسوع لأبيه وللبشر، وحُبُّ الكنيسة لعروسها ولشعبها، وحبُّ العذراء مريم لابن الله وابنها ولأبناء الكنيسة (**مخطوط** ب وسائر النصوص الموازية له). لذا رغبت من كانت كرمليةً بتكريسها، وقرينةَ المسيح بقداستها، وأُمّا للنفوس بدعوتها، في ان تشاطرَ عريسها كهنوتَه.

وتُنيرُ علاقة الحُبِّ هذه سرَّ الزواج إذ تشاطر تريز القارئَ مراتٍ عديدةً ما تعيشه وما تَكِنه من القِران الإلهي، ومن علاقة الكنيسة برأسها المسيح وخَتَنها السماوي. فهي مثل بولس الرسول، تقرُّ به سرّاً عظيماً لانه مُطعَّمٌ على سرّ علاقة المسيح بالكنيسة.

وأخيراً تعتبر الكرملية التي استُشهدت على سرير مرضها وألمها، سرَّ مسحة المرضى سرَّ النعمة الالهية. ورغبت في قبوله على أنَّه سرُّ النعمة المُقوِّية (**رسالة** ٢٦٣).

ج – العذراء مريم امّ الله.

علاقة تريز بمريم علاقة قديمة حميمة عاشتها القديسة الكرملية بالايمان. فهي أمُّ يسوع وأمُّ الله، حملت في احشائها الخالق والمخلّص، وهي أمُّ الكنيسة والنفوس، أرادها ابنُها مثالًا للنفس الّتي تسعى اليه في ليل الإيمان (**قصيدة** ٥٤، ١٥).

وتتأمّل الكرملية في مريم فقرَها الروحي، وإيمانَها المجرَّد، ورجاءَها المجرَّب، وحُبَّها السامي، وأمومتَها الشاملة الّتي تبلغ أوجَها على أقدام الصليب حيث تظهر

مريم على قمّة الجلجلة واقفةً قرب الصليب ككاهنٍ امام المذبح (**قصيدة** ٥٤، ٢٣). هكذا تشارك مريم كأمٍّ في ذبيحة ابنها يسوع إذ تقبل مثل ابراهيم الخليل وعلى مثال الآب ان يُضحّى بابنها. إنها العذراء الّتي أصبحت باتّحادها بيسوع أمّاً للنفوس (**قصيدة** ٢٤، ٢٢).

مريم هي الاكبر في ملكوت السماوات لانها كانت الاصغر. تحبُّها تريز كما تحبُّ يسوع ولأنها تحبُّ يسوع. وعندما تُقدِّم ذاتها «ضحيَّةً ذبيحةً» للحبِّ الرحوم الثالوثي، ترفعها على يدي العذراء والقديسين والكنيسة، فتُرسي بذلك قواعدَ لاهوتيةً ثابتةً للاهوت العذراء مريم: أمّ الكنيسة والاولى بين رسلها ومؤمنها، وبين معمّديها ومكرّسيها، أي أمُّ الكنيسة وابنتها. (انظر خاصةً **قصيدة** ٥٤).

د – طريق تريز الصغير

وُصِف طريق الاتحاد بالله الّذي شقّته تريز الطفل يسوع لها ولغيرها بأنّه «الصغير». وباختصار إنه طريق تسليم الذات الى الله في الفرح والالم، والتواضع الّذي يعني وعيَ الذات المحدودة، وقبولَ واقعها الضعيف المتبدِّل الزائل، والايمانَ بحبِّ الله الرحوم الكلّي القدرة. وبتعبير بسيط، اقامت تريز الثقة المُحبَّة جسراً بين الانسان الضعيف الراغب في القداسة وبين الله الرحوم الذي هو نفسُه قداسته: «يا يسوع! أنا اصغرُ من ان أقومَ بامورٍ عظيمة ... وجنوني انا هو أملي أن يقبلني حُبُّك كضحيَّة ... وأملي أنك، يا سرِّي المعبود، ستأتي يوماً وتأخذ عصفورك الصغير، وتصعد به الى نار الحُبِّ، فتغوص به مدى الابد في اللجّة المحرقة، لجّةِ ذلك الحُبِّ الذي قدَّم العصفورُ له ذاتَه ضحيَّة ... (**مخطوط** ب، ٥ ش).

هـ – الانسان بنظر تريز الكريستولوجي

لاهوت الانسان في تريز هو صدى للاهوت المسيح والثالوث وانعكاس له. فهي لم تبني فكراً إنسانياً منهجيّاً، بل نستطيع أن نستخلص من سردِ مسارها وعرضِ افكارها علماً في الانسان كعلمِها في الله مؤسَّساً على الحُبّ.

ترمز تريز الى الانسان بالزهرة؛ فالإنسانية «حديقة يسوع» (**مخطوط** أ، ٢ش)

وتريز «الزُهيرة»، ويسوع ذاته في اسرار حياته البشريَّة هو «الزهرة» (**رسالة ١٠٣**). والتعليم الاوَّل هو حُريَّة الله في خلقه ومجانيته. لذا جاءت النفوس متنوّعةً في كياناتها، موحَّدةً في كونها مخلوقةً ومحبوبة (**مخطوط** أ، ٣ ش). وفي هذا العرض تعليق على اولى صفحات سفر التكوين وشرحٌ لها. فتُبرز تريز كيف أن «الزهرةَ الإلهية» تنحدر الى اصغر الازهار واحقرها حبّاً بها. ومن خلال رمز الزهيرة تعبِّر عن الواقع البشري الجسدي الانساني الذي ينيره الواقع البشري والجسدي المسيحاني.

وتتوقّف تريز عند القلب، وتختبر أنه مهيَّأٌ ليكونَ حشا الله، فهو يتّسع بحبّه الله (**مخطوط** ج ٢٢ي). ذلك أن قلب الانسان هو على صورة قلب يسوع وبالتالي قلب الله المتجسّد. لذا فإن رغباتِ هذا القلب لامتناهيةٌ كرغبات الله (**مخطوط** ب).

وتعبِّر ايضاً عن الواقع عينه بالاوتار، إذ الحياةُ نشيدُ حبٍّ الله يُعزَفُ على وتر القِران الالهي والحبِّ الوالدي.

و – الدعوة الشاملة الى القداسة

الحبُّ الفائق في الكرملية المتصوِّفة غداً «علماً». و«علمُ الحبِّ» هذا أوحى اليها سبيلَ الولوج في اعماق الله، والاتحادَ الحميم به، وعملَ ارادته. وهو الذي ألهمها الطريق لبلوغ هذه القمّة في مسارها الروحي الذي تعتبره ملائماً للكثيرين، لا بل للجميع. ولما كانت الدعوة الى القداسة رغبةً إلهية، فإنَّ السبلَ اليها ممكنةٌ وإن كانت متعدِّدة. فتعلِّم تريز الطريقَ الى تحقيقها، وتعتبره الأثبتَ لانه مرتكزٌ على تسليم الذات، وعلى الثقة والتواضع والتجرُّد، اي إنه يترك للآب القدير فسيح المجال ليتمِّم ارادته. ويكتمل هذا الطريق بالتشبُّه بابن الله وبالانصياع لروحه.

ولما كانت تريز قد نظرت الى الله بمنظار الرحمة، والى الخلائق بعيني المحبّة، ولما كانت قد اختبرت ليس فقط الايمان المظلم بل وحتى انهيارَ الايمان والشعورَ العميق بالعدم وبغياب الله، ولما كانت قد جلست الى مائدة الملحدين والخطأة والمجدِّفين، فقد غدا اختبارها شاملاً، واصبح تعليمُها جامعاً؛ وبهذا تقاسمت

والعذراء حزنَها امام صليب يسوع (**قصيدة** ٥٤، ٢٧)، وأخذت على كتفيها صليب المسيح نفسه ، وشربت من كاسه المرَّة ، وحمَلت على منكبيها آلام الكنيسة ورغباتِ البشريَّة . فخبرتها جامعة ، ونداؤُها الذي يردِّد نداءَ الربِّ الى الكمال ، هو نداء شامل الى ممارسة المحبَّة يكلِّلها الرجاء ويتوِّجُها الإيمان . فالدعوة الشاملة الى القداسة اساسُها المحبَّة التي تجعل قلبَ الانسان قادراً على استيعابها . بالمحبّة يتمّ الوِصال الثالوثي ؛ وبالمحبّة يتمّ الوصالُ بالثالوث ؛ وبالمحبة تغمرُ القداسةُ الكنيسة ، جسدَ المسيح السري ، وشعبَ الله المختار .

ثالثاً – عبقرية امرأة قديسة

تريز امرأة قديسة عبقرية . القداسة توجَّت انوثتها ، والعبقريَّة كلَّلت قداستها ، فجاء لاهوتُها منيراً ، وغدا مثالُها حيّاً مُشوِّقاً. لذا تعتبرها الكنيسة « ملفانة » .

أ – اختبار امرأة

المرأة التي دعوتُها « ان تكون علامةَ عطفِ الله على البشر » (يوحنا بولس الثاني) وإغناؤُهم « بعبقريَّة أنوثتها » التي بلغت في شخصية الراهبة الكرملية ذروة نضوجها .

ذلك أن تريز الحميمة مع العذراء مريم ، والمشغوفة بالقديسات كمريم المجدلية وسيسيليا واغنيس وتريزا الآفيلية وجانّ دارك وغيرهنّ... تعي دورَها ومكانتَها كامرأة في تاريخ الخلاص وفي الكنيسة . وقد اعطتنا تراثها الروحيَّ باسلوب أنثوي ، رقيق ، واقعيّ وحيّ . وأظهرت علاقتُها بالأخوين المُرسلَين كيف يكون التكامل بين الرجل والمرأة في سبيل الانجيل ، على اساس حُبِّ المسيح الواحد ، وعلى المساواةِ في تاريخ الخلاص ، وعلى التمايز في الدعوة . فهي تشاطرهما افكارَها في عدل الله ورحمته ، وفي الطريق القصير المؤدِّي الى الملكوت ، وفي الامانة للمسيح وللقريب ... فتريز أكيدة من أنّ النساء « يُحبِبْنَ الله بعددٍ أكبر من الرجال ؛ وإبَّان آلام المسيح ، أظهرنَ شجاعةً أكبر من شجاعة الرسل ، اذ تحدّينَ إهانات العسكر وتجاسرن على مسح وجه المسيح المعبود » (**مخطوط** أ ٦٦ ش) .

وتريز امرأة شابّة، عرفت أن الحُبَّ وحده يُعطي الحياة معناها؛ وهو الذي يردم الهوّة بين الله والبشر. ويكتسب البشر بهذا الحبّ اندفاعاً وقوّةً يحملانهم على الالتزام الانجيلي في كلّ الظروف، ويفتحان اعينهم على جمال الله.

وتريز امرأة حُرَّة؛ لذا قدّمت ذاتها ذبيحةً لمجد الله، وتضرُّعاً من اجل الآخرين. فحريَّةُ قلبها المشغوف بيسوع وحده جعلته منفتحاً على كلِّ الناس وعلى الطبيعة وكلِّ الخليقة.

وتريز امرأة مُكرَّسَة يُضيء مثلُها، وتعاليمُها في الطاعة والفقر والعفة وفي الحياة الجماعيّة وفي تقديس الزمن وكلِّ عمل وفي الأمانة على القوانين، الطريقَ امام المحصَّنات مثيلاتها وسائر المكرَّسات والمكرَّسين.

كامرأة مكرَّسة عاشت «كرسولةِ الرسل» بصلاتها وتقدمة ذاتها.

وكراهبةٍ عَمِلت دوماً ارادة الله الَّتي وجدتها في رئيساتها وأخواتها والمراسم المختلفة... لذا غدت حياتُها وتفكيرُها تعليماً مقدَّساً.

وتريز امرأة مربِّية ترجمت عملياً غناها الروحي وكمالَ انوثتها، فخلقت جوّاً عائلياً حميماً قوامه الثقة والحقيقة الشفَّافة، وربَّت المبتدئات باحترام وحنان وصدق.

ب – تعليم قديسة

تريز امرأة رغبت دوماً في أن تكون قديسةً (**مخطوط** ج، ٢ ش) تحكي اللهَ وأسراره عن اختبار، وتعلِّم طريقَ الاتّحاد به. فصلاتها «اندفاعُ القلب، ونظرةٌ نحو السماء، وصرخةُ شكر وحُبٌّ في قلب المحنة كما في غمرة الفرح: ان الصلاة لفائقة الطبيعة إذ توسِّع القلب وتوحِّد بالمسيح» (**مخطوط** ج، ٢٥ي – ش).

وفي الصلاة التأمّليّة اكتشفت وجهَ الله الرحوم؛ وبنور رحمته نظرت الى كلِّ اسراره.

ج – عبقريَّة ملفاته

عبقريَّة تريز تكمن في اكتشافها أن الله حُبّ، فأَحبَّت واستقرّت في قلب الله؛ واذ تأكلها الغيرة على الربّ الذي تحبّ فتريد ان تقوم بكلّ الاعمال من اجله،

تكتشف أنّ الحبَّ هو مصدر كلِّ عمل، فتلج في قلب الكنيسة تسكنه وتستقرّ فيه. لذا جاءت تعاليمها شاملة، كاملة فريدة.

الكهل يجد فيها حكمةً، والشاب يغرف منها نوراً وهدى.

والمرأة تفرح بما تجد من غنى وفرادة في دعوتِها كزوجةٍ وأمّ، وكأختٍ وابنة.

والرَّجُل يلمس أنَّ القوّة هي في الحبّ، والمجد هو في التضحية.

الارثوذكسي يُسَرُّ بالتعمّق في سرِّ المسيح كلمة الله المتجسّد، الخالق والمخلِّص، المؤدِّي الى الآب المُحبّ للبشر، والى الروح مؤلِّههم.

والانجيلي يفرح بالنور الذي تُلقيه تريز على استحقاقات المؤمنين التي لا قيمة لها إلَّا باستحقاقات المسيح. فهي التي أرادت أن تشخص امام الله ويداها فارغتان (**صلاة**).

ولجميع ديانات الكتاب، تعطى تريز مثالاً على سماع كلمة الله واستبطانها...

وللمسلمين، تؤكّد تعاليَ الله وقُرْبَهُ.

وللملحدين والضائعين التائهين تبرز تحدّي القلق والسيطرة عليه واستعادة الرجاء.

لقد خلقت تريز لاهوتاً أُنثوياً أغنت به التراث الكاثوليكيّ العريق الذي عرف الكثيرات من القديسات الملهمات مثل كيارا الاسيزيَّة (Claire) وكاترينا السيانية (Catherine de Sienne) وتريزا ليسوع الآفيلية. ففتحت بذلك امام مؤمناتِ اليوم طريقاً معبَّداً للكلام مع الله وفي الله.

وبرهنت على أن القداسة هي الحُبُّ، والحُبُّ هو المعرفة اللاهوتيّة الاسمى والاشمل. وأظهرت أن المرأة في الكنيسة هي، بحياتها، مثل الكنيسة، «أمٌّ ومُعلِّمة».

الاب جان سليمان الكرملي
مستشار الرهبانية الكرملية العام

روما في ٦ آب ١٩٩٧
عيد تجلّي الرب

ترجمة الاعمال الكاملة

تدخل هذه الترجمة الكاملة لكتابات القديسة تريز الطفل يسوع في إطار سلسلة **تراث الكرمل**، التي باشرتها الرهبانية الكرملية في لبنان منذ سنة ١٩٨٦. وتتخذ هذه الاعمال مكانها في هذا التراث لأن تريز هي ابنة الكرمل «الصغيرة» نسبةً الى عمرها وطفولتها وبساطتها وروحانيتها، بالمقارنة مع كبار معلّمي الكرمل امثال تريزا الأفيلية «الكبيرة»، ويوحنا الصليب. فكان لا بدّ لنا من جمع هذه كتاباتها، ووضعها في متناول أحبّاء تريز دي ليزيو، إغناءً للثقافة الروحية واستكمالاً لموهبة الكرمل في الكنيسة.

الاعمال الكاملة

تقسم كتابات تريز الى ستة اقسام وهي: المخطوطات الثلاثة، والمسرحيات، والقصائد، والرسائل، والصلوات، والمحاورات الاخيرة.

وهناك قسم آخر جمعته الطبعة المئوية سمّي **كتابات مختلفة**، يضمّ نصوصاً كتبتها تريز قبل دخولها الدير أو نقلتها عن كتب طالعتها. ومع أنّ هذه النصوص تشير الى بعض المعطيات التاريخية عن طفولتها أو حياة أهلها أو معارفها أو مرضها، لكننا لا نستطيع وضعها في مستوى الاعمال المجموعة في هذا الكتاب. ويستطيع القارئ أن يعود اليها في الطبعة الفرنسية.

ميزات هذه الترجمة

١ - إن تعدّد المترجمين حتّمَ تعدُّداً واختلافاً في اساليب الترجمة. وقد سعينا الى توحيد المصطلحات والعبارات، حرصاً منّا على توحيد الترجمة. وقد أبقينا في معظم الاحيان على كلمة التصغير والصيغ المناسبة لها، بغية ابراز اهميّة هذا الموضوع في كتاباتها وروحانيتها.

٢ – بساطة الاسلوب. بساطة تريز واضحة في شخصيتها وكتاباتها وفي اسلوبها الكتابي، فقد بذلنا جهدنا للحفاظ على هذه الميزة في الترجمة العربية.

٣ – إن ما نجد في كتابات تريز من صيغ خاصة أو خطوط، لم يكن بالامكان المحافظة عليها كلّها، لئلا يثقل النص بالعلامات والاشارات، فأخذنا بما لا بدّ منه.

٤ – هناك عبارة تملأ كتابات تريز وهي Le Bon Dieu. فقد آثرنا ترجمتها بكلمة اسم الجلالة الله بدون أية صفة نظراً الى الصعوبة البالغة في ترجمة المفهوم التريزي لصلاح الله.

٥ – إن ما أضفنا من كلمات في سائر الكتابات قد وضعناها وسط [مركّنين] إشعاراً بأنها من وضع الناشر أو المترجم.

٦ – قَصَرْنا الملاحظات على ما هو ضروري، مع العلم بأن ظروف الكتابة تستدعي شروحات ومراجع جمّة، لو أُدرجت لازدادت ضخامة الكتاب.

٧ – اعتمدنا الخط الاسود للآيات الكتابية، ووضعنا مراجعها في وسط النص.

٨ – لقد أضفنا إلى المخطوطات عناوين المقاطع تسهيلاً للقراءة والمراجعة.

٩ – لقد اكتفينا بذكر اهم الاحداث في حياتها، نظراً الى كثرة ما نُشِر بالعربية من كتب وابحاث تتناول حياتها وروحانيتها وتأثيرها. فنحيل القارئ في نهاية هذه المقدمة الى اهم المصادر التي سيجد فيها، بغية الاستزادة، معيناً لا ينضب، وهي طبعة الذكرى المئوية الكاملة بالفرنسية تسعة مجلدات. وقد اختُصرت الاعمال الكاملة بالفرنسية:

Thérèse de Lisieux - Oeuvres complètes, Cerf - DD 13. Paris 1992, 1600 pp.

ونلحظ كذلك كتاب غي غوشيه – **قصة حياة تريز مرتان**، المطبوع في سلسلة «بحوث في تراث الكرمل» في بيروت ١٩٩٢.

المخطوطات

مقدمة المخطوطات

المخطوطات هي أكثر كتابات تريز الطفل يسوع شهرةً، منذ أن نشرت الام انييس ليسوع قصة نفس في سنة ١٨٩٨. وندين بتدوين هذه المخطوطات الى شقيقات تريز وهنَّ ماري وپولين وليوني. فيوم أبدت ماري أمنيةً بأن تُحفظ ذكريات العائلة، تلقَّفت الرئيسة الام انييس الحدس وأمرت الاخت تريز بتدوين ذكرياتها؛ وتمنَّت ليوني من بعيد سماع اخبار اختها «الملاك الصغير». وهكذا أخذت تريز تدوِّن ما سمَّته: **الترنّم بمراحم الربّ**. ثم كتبت الى اختها ماري **رسالة** توضح فيها بعض الافكار عن طريقها الروحي وهي **المخطوط** ب. اما المخطوط الثالث، فالباعث كان عليه خوف الام أنييس من رحيل اختها دون ان تترك شيئاً من افكارها في الحياة الرهبانية. فاقترحت على الرئيسة الام ماري دي غونزاغ بأن تطلب من تريز اكمال روايتها؛ فكان لنا **المخطوط** ج، وقد حال المرض والتعب دون أن تنهي كتابته.

مسيرة المخطوطات

يؤكّد المؤرّخون على أنّ تريز نفسها طلبت من اختها الام انييس ان تنشر دفاترها، وأوكلت اليها مهمّة الاصلاح والتنقيح كما تراه مناسباً. فقامت الام أنييس بواجبها، ونقحت كما لو أنّها تصحّح لأختها الصغيرة تريز فروض الاملاء. وسارت بتصليحاتها وفق ثلاثة مقتضيات:

١- طلب الام ماري دي غونزاغ ان تُوجَّه اليها جميع المخطوطات. فكان لا بدّ من إبدال كلّ ما لا يوافق هذا الطلب، كي تأتي النصوص متناسقة.

٢- تصحيح الاخطاء الإملائية والانشائية، وأخطاء العروض في الشعر والمسرحيات.

٣- إغفال بعض المعلومات التي تتعلّق بالعائلة، وقد لا تفيد القارئ من الناحية الروحية او تشهّر بأشخاص ما زالوا أحياء.

أضف إلى ذلك ضرورات دعوى التطويب وما يعني ذلك من تحقيقات طويلة ودقيقة قد تخلق حَرَجاً أو تسبّب تأخيراً.

ويوم قامت الام أنييس بهذا العمل، لم تكن تظنُّ يوماً ان عملها يناقض الحقيقة التاريخية، وأن انتشار الكتابات في العالم سيستدعي بعد حوالي الخمسين سنة، تدقيقاً مفصَّلاً، يعيد كلَّ

شيء الى مكانه. وبالفعل فإن عمل الاب فرنسوا دي سانت ماري، وكمب Combes، أدّى إلى نشر المخطوطات الاصلية بالتصوير ثم بالطبع، فأحدث ثورة في عالم الدراسات التاريخية الروحية، وأهدى الى القرّاء كتابات تريز كما سَطّرها قلمها. وكان لطبعة ١٩٥٦ الفضل في نفض غبار ما يقارب ستين سنة، عن وجه تريز الحقيقي، كتابة ورسماً.

مضمون المخطوطات

أ - مخطوط أ : ١٨٩٥.

هو المخطوط الاول الموجّه الى الرئيسة الام انييس ليسوع، دوّنت فيه تريز ذكريات حياتها منذ طفولتها حتى دخول سيلين وتقدمة ذاتها للحبّ الرحيم. فقراءة هذا المخطوط شيّقة سهلة، ككل قصة حقيقية. وفي هذا المخطوط نكتشف ملامح تريز الاساسية الانسانية والروحية.

ب - مخطوط ب:

هو رسالة الى الاخت ماري للقلب الاقدس، ومقدمة أضيفت فيما بعد، تشرح فيه تريز طريقَها الروحي وأزمةَ دعوة الكرملية، ثم اكتشافَ المعنى العميق لدعوتها. وفي هذا المخطوط تقول: «**دعوتي هي الحبّ، ففي قلب الكنيسة أمي سأكون الحبّ**».

ج - مخطوط ج.

هو المخطوط الموجّه الى الام ماري دي غونزاغ، كتبته في شهر حزيران سنة ١٨٩٧ وهي مريضة منهوكة، وقد ثقل عليها المرض. كتبت القسم الاول منه بالريشة والقسمَ الاخير بقلم الرصاص. إن هذا المخطوط تحفة روحية وتاريخية، نجد فيه خبرة تريز الراهبة في الدير، وشرحاً لطريقتها في عيش بعض الفضائل الرهبانية والقيم الروحية. وفيه نستقي خبرةً ونصيد لؤلؤة. الخبرة هي وصف المحنة الروحية القاسية، وأزمة الايمان التي دامت سنة ونصف، وصلت من خلالها الى قمة المشاركة في خلاص الخطأة والحبّ الفادي. واللؤلؤة هي رواية اكتشافها الطريق الصغير الجديد الى القداسة، والمصعد الروحي.

خاتمة

إن المخطوطات تظهر بوضوح نفس تريز الطفل يسوع، وتبقى مرجعاً هاماً لدراسة مفاهيم الحياة الروحية وتطوّرها؛ وبدونها تبقى سائر الكتابات على جانب كبير من الغموض؛ والعكس صحيح. إلا أنّ الدرب الذي رسمته في سماء القداسة لا يزال جديداً ومستقيماً يشعّ ويهدي كثيرين، وخاصة الصغار والضعفاء.

مخطوط «أ»

مُهدى إلى الأُم المحترمة
أنيـيس لـيسوع

(٢ ي)+ ي.م.ي.ت[١] كانون الثاني/ يناير ١٨٩٥

يسوع +

قصة زهرة صغيرة بيضاء ربيعية
كتبتْها بيدها وأَهدتْها الى الأم المحترمة أَنييس ليسوع

١ - مراحم الرب

اليكِ، يا امي الحبيبة، اليكِ، يا من صارت أمّي مرَّتين[٢]، أُفضي بقصة نفسي هذه... فيوم سألتني ذلك، بدا لي أنه سيتشتَّتُ قلبي إذ يُشغله بذاته. لكنّ يسوع، من يومها، قد جعلني أشعرُ بأنني، بمجرَّد طاعتي لك، سأكونُ موضعَ رضاه. على كل حال، لن أفعلَ سوى أمرٍ واحد: سأبدأ بإنشاد ما عليّ ان أُرددَهُ مدى الابدية، وهو «مراحمُ الرب!!! ...»

٢ - سرّ دعوتها

فقبل أن آخذ الريشة، جثوتُ امام تمثال[٣] مريم، (ذاك الذي طالما أَعربَ لنا عن انعطافاتِ ملكة السماء الوالدية نحو عائلتنا)؛ وتوسلتُ اليها ان تُرشدَ يدي، لئلا أخطَّ سطراً واحداً لا ترتضيه هي. ثم فتحتُ الانجيل المقدس، فوقعَ نظري على هذه الكلمات: **ثم صعد يسوع الجبل، ودعا الذين أرادهم، فأقبلوا اليه (مرقس ٣/ ١٣)**.

هذا هو حقاً سرّ دعوتي، وسرّ حياتي كلِّها، وبالأخص سرُّ الانعامات التي أغدقَها يسوع على نفسي... فهو لا يدعو من هم أهل، وانما من يطيبُ له [ان يدعوَهم] او، حسب قول القديس بولس: **إني أَرحم من أرحم، وأرأفُ بمن أرأف. فليس ذلك عمل من يُريد، ولا من يسعى، بل عمل الله الذي يرحم (روما ٩/ ١٥ - ١٦)**.

---

(١) تشير هذه الحروف إلى أسماء يسوع، مريم، يوسف وتريز الأفيلية (م).

(٢) تريز تدعو اختها پولين أمّاً في المرّة الأولى عند وفاة أمها، وفي المرّة الثانية يوم صارت الاخت انييس ليسوع رئيسة الدير. (ش. ر.).

(٣) هو تمثال «عذراء الابتسامة» الذي كان في منزل آل مرتان يخصّونه بالإكرام، وقد وُضِعَ عند مدخل غرفة تريز في كانون الثاني/يناير ١٨٩٥.

٣ ــ اختيار اللّه

وقد بحثت طويلاً عن سبب هذا الإيثار عند اللّه، ولماذا لا تتلقّى جميعُ النفوس مقداراً متساوياً من النعم؟ وكان الذهول يتولّاني عندما أرى اللّه يُغدقُ نعماً خارقة على القديسين الذين كانوا قد أغاظوه [٢ ش]، أمثال القديس بولس والقديس اوغسطينس، وكأنه يضطّرُهم الى قبول نعمه. ولدى قراءَتي حياةَ القديسين الذين غمرهم بلطفه، من المهد الى اللحد، مُزيلاً من دربهم كلَّ عائق من شأنه ان يمنَعهم من الارتفاع اليه، ومتداركاً هذه النفوس بانعامات كبيرة، حتى لم تعد تستطيع ان تلوِّثَ نصاعةَ ثوب عمادها النقي كنت أَسأَلُ نفسي، لماذ تُرى، يموتُ المتوّحشون المساكين أفواجاً، قبل أن يسمعوا مَن يفوهُ باسم اللّه؟ ... فتنازلَ يسوع وشرحَ لي هذا السر. لقد وضعَ امام عينّي كتابَ الطبيعة، وفهمتُ أنَّ جميع الازهار التي خلقها جميلةٌ، وأنَّ سناءَ الوردة ونُصوعَ الزنبق لا يُزيلان أريجَ البنفسجة الصغيرة، ولا يسلبانِ الاقحوانَ بساطتَه الفتَّانة ... وفهمتُ انه لو رامتْ جميع الزهيرات ان تكونَ وروداً، لفقدتْ الطبيعةُ حلَّتها الربيعية، ولما كانت الحقول موشّاةً بالزهور ...

٤ ــ التكامل في بستان يسوع

كذلك الأمر في عالم النفوس، الذي هو بستانُ يسوع. لقد طاب لهُ ان يخلُقَ القديسين العظام، الذين يمكنُ تشبيهُهم بالزنابق والورود. ولكنه خلق ايضاً قديسينَ أصاغرَ، عليهم ان يكتفوا بأن يكونوا أقاحيَ او بنفسجات، معدَّةً لِتَقُرَّ بها أنظارُ اللّه، حينما يُخفِضُها حتى موطيءِ قدميه. فالكمال يقوم على العمل بمشيئته، وعلى ان نكونَ ما يريدنا أنْ نكون ...

٥ ــ تواضع اللّه

وفهمتُ ايضاً أنَّ محبَّة الربّ تتجلّى في أبسط نفس لا تقاومُ نعمته بشيء، كما في أسماهنَّ درجةً على السواء. وفي الحقيقة، إن من خصائص الحبِّ ان يتَّضِع. فلو كانت جميع النفوس على غرار نفوس الملافنة القديسين الذين أناروا الكنيسة [٣ي] بصفاءِ تعاليمهم، لما انحدر اللّه بكفاية، على ما يبدو، بمجيئه الى قلبها؛ ولكنه خلق الطفل الذي لا يُدرك شيئاً، ولا يمكنه سوى إطلاق صرخاتٍ ضعيفة؛ وخلق المتوحِّش المسكين، الذي لا دليلَ له سوى الشريعة الطبيعية، وهو بذلك يرتضي بأن يتنازلَ الى حيث قلوبُهم؛

تلك هي زهوره، زهور الحقول التي تفتنُه ببساطتها... فبهذا التنازل العميق يُظهرُ اللّه عظمتَه اللامتناهية؛ وكما تُنيرُ الشمسُ على السواء الأرزَ وكلَّ زهرة صغيرة وكأنها الوحيدة على الارض، كذلك يهتمُّ الرب بكلِّ نفسٍ بصورة خاصة، وكأنها لا شبيهَ لها. وكما أنِ الفصولَ في الطبيعة قد رُتّبتْ ترتيباً يمكّنُ أَوضعَ أُقحوانةٍ من التفتّح في اليوم المعيّن، فكذلك كلُّ شيءٍ يؤولُ الى خير كلِّ نفس.

٦ – طريقة الكتابة

ولا بدّ أنكِ، يا امّي الحبيبة، تسألين باستغراب عما أَرمي اليه بكلامي هذا. إنني، الى الآن، لم أقلْ شيئاً يشابهُ قصة حياتي. لكنك سألتني ان أكتبَ، دون تكلّف، ما يخطرُ على بالي. لذا لن أكتبَ حياتي انا، الخاصة، وانما خواطري حول النعم التي تفضَّلَ اللّه ومنحني إياها. وانا، اليوم، في مرحلةٍ من حياتي تمكّنني من إلقاء نظرة على الماضي. فلقد نضجتْ نفسي في بوتقة المِحَن الخارجية والداخلية. والآن، كالزهرة التي قدَّتْها العاصفة، أرفعُ رأسي فأرى آيات المزمور الثاني والعشرين تتحققُ فيَّ: **الرب راعيَّ فلا يُعوزُني شيء. في مراعٍ خصيبةٍ يقيلُني ومياهَ الراحة يوردُني، يقودُ نفسي دون ان يُتعبَها... لكنّي لو سلكتُ في وادي [٣ ش] ظلال الموت، لا أخاف سوءاً، لانك معي، يا ربّ» (مزمور ٢٢/١ – ٤)**. لقد كان لي الرب دوماً شفوقاً وممتلئاً عذوبة... طويلَ الأناة، وغزير المراحم... ولذلك، يا اماه، انا سعيدة بأن أُشيدَ بمراحم الرب امامكِ، فلكِ وحدكِ سأدوّنُ قصة الزهرة الصغيرة، التي قطفَها يسوع. ولذا سأتكلَّم بكلِّ تسليم، غير مكترثة للإنشاء وللأحاديث الاعتراضية الكثيرة، التي سأُساقُ اليها. فالأم بقلبها، تدركُ أمر ولدها، حتى ولو كان لا يعرفُ سوى التمتمة. وإنّي لعلى يقينٍ أنك ستفهمينَني وتدركينني، انتِ التي هذَّبَتْ قلبي وقدَّمَتْه ليسوع...

٧ – التواضع إقرار بالواقع

ويبدو لي أنه لو تسنَّى لزهرة صغيرة ان تتكلَّمَ، لأعربتْ ببساطة عما صنعَ إليها اللّه، دون ان تحاولَ إخفاءَ إحساناته، ولما قالتْ، بتواضع مزيَّف، إنها قبيحةُ المنظر لا عطرَ لها، وإنَّ الشمس قد سلبتْها تألُّقها، وإنَّ العواصفَ قد كسرتْ ساقَها، بينما تقرُّ في داخلها بأنها على عكس ذلك.

٨ — نظرة الى عائلتها

ويسرّ الزهرةَ التي ستروي قصّتها، ان يُتاحَ لها إعلانُ ما حباها يسوع من الألطاف المجانية، وتعترفَ بأنه لا شيء لديها باستطاعته أن يستميلَ أنظاره الالهية، وأن رحمته، وحدها، قد أنجزتْ كلَّ ما في نفسها من الخير.. فهو الذي خلقها في أرض مقدّسة كما لو أنها مشبعة «بعطرٍ بتولي». وهو الذي خلق قبلها ثماني زنابق ناصعةَ البياض، وبمحبّته لها، شاء أن يقيَ زهرته الصغيرة لفحةَ العالم السامة. فما إن شرعَ كمُّها يتفتّحُ، حتى نقلها هذا المخلّص الالهي فزرعها في جبل الكرمل، حيث سبقتْها الزنبقتان، اللتان أحاطتاها بعنايةٍ هادئة، في ربيع حياتها، وحيث كانتا تنشران [٤ي] عرفهما الزكي... ومرت سنوات سبع منذ ان تأصّلتْ جذور الزهرة الصغيرة في خميلة عريس العذارى، وها هي ذي الآن ثلاثُ زنابقَ تتمايلُ أكمامُها المعطّرة بالقرب منها. وهناك على مسافةٍ ليست بعيدة تتفتّحُ زنبقةٌ اخرى تحت أنظار يسوع. اما الساقان المباركتان، اللتان أنبتتا هذه الأزهار، فهما الآن مجتمعتان الى الابد في الموطن السماوي... وهناك قد التقتا الزنابقَ الأربع التي لم تشاهد الارضُ تفتُّحها... آه! حبّذا لو يتنازلُ يسوع، فلا يترك طويلا، على الشاطىء الغريب، هذه الازهار التي ما زالتْ في أرض المنفى؛ ألا فليكتملْ قريباً في السماء فرعُ الزنابق هذا[٤]!

٩ — قصة شيّقة وذكريات

لقد لخّصتُ، يا أمّاه، بكلماتٍ وجيزة، ما صنعَه بي اللّه، اما الآن فسأقصُّ عليك تفاصيلَ حياتي، وانا طفلة، وأعلمُ ان قلبك الوالدي سيستعذبُ ما يتبرَّمُ به غيرُكِ من الأخبار.... ثم ان الذكريات، التي سأستعيدُها، هي ايضاً ذكرياتُكِ، بما أني عشتُ سحابةَ طفولتي بالقرب منك، وانا سعيدة بالانتساب الى والدَينْ لا نظيرَ لهما، شمَلانا بعنايةٍ واحدة وحنانٍ واحد. ليتهما يتنازلان الآن فيباركانِ صغرى اولادهما، ويساعدانها على الإشادة بالمراحم الالهية!...

---

(٤) تشير تريز بهذه الصورة الرمزية الى أسرتها كلّها. فعند كتابة هذه الصفحات كان في الكرمل ثلاث زنبقات هي ماري وپولين وتريز. اما التي كانت تتفتّح على مسافةٍ غير بعيدة فهي ليوني في دير الزيارة في مدينة كان. والساقان المباركتان هما والداها المجتمعان الى الابد مع اخوتها الاربعة الصغار (م).

الفصل الأول

ألنسون (١٨٧٣-١٨٧٧)

١ - المرحلة الاولى

إنني أُميّزُ في قصّة نفسي، حتى تاريخ دخولي الكرمل، ثلاثَ مراحل مختلفة، وليست الأولى أقلّها حفلاً بالذكريات، بالرغم من قِصَر مدّتها؛ فهي تمتدُّ من يوم تفتّح إدراكي، حتى رحيلِ أمنا الغالية الى الوطن السماوي.

٢ - ذكريات حيّة

[٤ ش] فلقد منّ اللّه عليّ بتفتّح إدراكي باكراً جدّاً، وطبعَ في حافظتي ذكريات طفولتي بعمق، بحيثُ يُخيَّل إليَّ أني ارى الحوادث، التي أقصُّها، وكأنها جرتْ بالأمس القريب. لا ريبَ في أن يسوع قد أراد، بفرط محبّته، أن أتعرَّفَ الأمَّ التي أعطاني، وهي لا مثيلَ لها، والتي سارعتْ يدُه الالهية الى تتويجها في السماء!...

٣ - حبّها لوالديها

لقد ارتضى اللّه بأن يحوطَني بالحبّ طوال حياتي. فذكرياتي الاولى مطبوعةٌ بالبسمات، وبأرقِّ العواطف... واذا كان قد وضع بجانبي الكثيرَ من الحب، فقد أودع في قلبي الصغير أيضاً حبّاً كثيراً، فخلَقَهُ محِبّاً ورقيقاً؛ ولذلك كنتُ أحبُّ بابا وماما حبّاً جمّاً، وأعربُ لهما عن عاطفتي بألف نوع ونوع، لاني كنتُ كثيرة البَوْح، الى أبعد الحدود. غير أن الوسائل التي كنتُ استخدمها لذلك، كانت غريبةً إحياناً، كما يبرهن عن ذلك هذا المقطع من رسالة ماما تقول فيها: «الطفلة عفريتة لا نظير لها! فإنها تأتيني لتلاطفَني، متمنّيةً لي الموتَ قائلةً: «آه، كم أودُّ لو تموتينَ، يا أميمتي المسكينة!...» واذا وُبِّختْ على ذلك، قالت: «انما أطلبُ ذلك لكي تذهبي الى السماء. وانت تقولينَ إنه لا بدَّ من الموت للذهاب الى السماء!». وإنها تتمنّى الموت لأبيها ايضاً، عند تعاظُم حبِّها له» (١).

---

(١) رسالة السيدة مرتان الى پولين في ١٨٧٥/١٢/٥.

٤ – شهادة الوالدة

[٥ ي] واليكِ ما كانت ماما تقولُه عني، في ٢٥ حزيران / يونيو ١٨٧٤، وانا لم أكد أبلغ شهري الثامن عشر: «لقد وضعَ ابوكِ أرجوحةً، مما سبّب لسيلين فرحاً لا يوصف. ولكن ليتك رأيتِ الصغيرةَ تتأرجحُ؛ إنه لأمرٌ مضحكٌ، فهي تجلسُ مثل فتاة كبيرة، ولا خطرَ في أن يُفلِتَ الحبلُ من يدها، وهي تصرخُ حينما لا تهتزُّ الأرجوحة بقوّة. نربطها من الأمام بحبلٍ آخر، لكنّي، بالرغم من ذلكَ، لستُ مطمئنَّةً إليها، عندما أراها معلّقة فوق».

٥ – حدثٌ فريد

«لقد جرى لي مع الصغيرة حَدَثٌ مضحك في الفترة الاخيرة. لقد تعوَّدتُ الذهاب الى قداس الساعة الخامسة والنصف. ففي الايام الاولى، لم أكن أجسرُ على تركها لوحدها، ولكنّي، لمّا لاحظتُ أنها لا تستيقظُ أبداً في غيابي، قرّرتُ في النهاية ان أتركَها: أُضجعُها في فراشي، وأقرّبُ المهدَ من السرير بحيثُ يستحيلُ سقوطها عنه. ونسيتُ يوماً ان أضعَ المهد كالعادة؛ ولما عدتُ، لاحظتُ أن الصغيرة لم تكن في فراشي، وفي الوقت نفسه، سمعت صراخاً، فنظرتُ، فرأيتُها جالسةً على كرسيّ كان إزاء موضع الرأس من سريري، ورأسُها ملقىً على الوسادة. لقد كان هناك نومُها رديئاً، لانها كانت منزعجة. ولم استطعْ أن اعرفَ كيف سقطتْ جالسةً على هذا الكرسي، بما أنها كانت نائمة. فشكرتُ اللّه على عدم حدوث اي مكروه لها؛ فالأمر من تدبير العناية الألهية حقاً. كان من المتوقع ان تتدحرجَ فوق الارض، إلا أن ملاكها الصالح سهرَ عليها، وكذلك حفظتْها الأنفسُ المطهرية، التي أقدّم لها كلّ يوم صلاةً لاجل الصغيرة. هذا ما أرتأيه... اما انتِ، فخذي الامر كما تشائين...»

٦ – تعلقها بأمّها

وأضافتْ ماما، في نهاية الرسالة، قولها: «وها هي الطفلة الصغيرة تمرِّرُ يدها الصغيرة على وجهي وتقبّلني. إن هذه الصغيرة المسكينة لا تُريدُ فراقي أبداً. فهي دوماً معي، وتحبّ كثيراً الذهاب الى البستان؛ [٥ ش] ولكنّها تأبى البقاء فيه إذا لم اكنْ هناك، وتبكي حتى يُعيدونَها إليّ...»(٢).

---

(٢) رسالة السيدة مرتان الى ماري وپولين في ١٨٧٤/٦/٢٥.

وهاكِ مقطعاً من رسالة اخرى:

«لقد سألتني تريز الصغيرة ذات يوم إذا كانت ستذهبُ الى السماء. فأجبتُها: «نعم، إذا كنت عاقلة». فأجابتني: «أجل، ولكنّي، إذا لم أكنْ لطيفة، فسأذهبُ الى الجحيم... غير اني أدري ما سأصنع: سأطيرُ معك الى السماء حيث ستكونين؛ فكيف يتسنّى للّه تعالى ان ينتزعَني منك، وانت تطوِّقينَني بذراعيكِ بكل قوة؟». ورأيتُ في عينيها أنها كانتْ على يقين من أن اللّه لا يستطيعُ اليها سبيلاً، ما دامتْ بين ذراعي أمها...»[٣].

٧ - سريعة التأثر

«إن ماري تحبُّ أختها الصغيرة كثيراً، وتراها لطيفةً جدّاً. فكان من الصعب عليها (ألا تحبها)، ولا سيما أن هذه الصغيرة المسكينة تخشى كثيراً ان تسبِّبَ لها أيَّ ازعاج. أردتُ، البارحة، ان أُقدمَ لها وردةً، لعلمي ان الامر سيُسعدُها جدّاً. إلا أنها أخذتْ تتوسّل اليّ ألا أقطفَ الوردة، لأنَّ ماري كانت قد منَعتْها من ذلك. وقد احمرّتْ وجنتاها من الانفعال. وبالرغم من ذلك فقد أعطيتها وردتين. فلم تَعدْ تجسرُ على الظهور في البيت. وعبثاً حاولتُ إقناعَها بأن الورود تعودُ اليّ، فكانت تقول: «كلا، إنها لماري...». إنها طفلة سريعة التأثر جدّاً. فما إن يَصدرُ عنها أقلُّ سلوك مؤسف، حتى تُصرّ بأن يعلم به الجميع؛ والبارحة، مزّقت دون قصد، طرفاً صغيراً من ورق الجدران، فكانت في حالةٍ يرثى لها؛ وكان لا بدَّ من إطلاع والدها سريعاً على الامر. ولما عاد ابوها، بعد اربع ساعات، وكان الجميع قد نسَوا هذا الامر، أسرعتْ هي الى ماري، وقالت لها: «أخبري بابا، بسرعة، بأني مزّقتُ الورق». ووقفت هناك كالمجرم الذي ينتظرُ الحكمَ عليه. غير أنها تعلمُ بفكرها الصغير انها ستنالُ العفوَ بسهولة اكبر، اذا ما أقرّت بذنبها»[٤].

٨ - شديدة الانتباه

[٤ ش] كنت أُحبُّ كثيراً عرّابتي العزيزة[٥]. وكنت شديدةَ الانتباه الى كلِّ ما يجري او يُقالُ حولي، دون أن يَظهر ذلك عليّ. ويبدو لي أني كنتُ أرى الامور كما

---

(٣) رسالة السيدة مرتان الى پولين في ١٨٧٦/١٠/٢٩.
(٤) رسالة السيدة مرتان الى پولين في ١٨٧٦/٥/٢١.
(٥) العَرّابة المذكورة هي اختها الكبرى ماري (م).

أراها الآن. كنتُ أُصغي بانتباه الى ما كانت تعلّمه ماري لسيلين، لكي أعمل مثلها. [٦ي] وبعد خروجها من [مدرسة] دير الزيارة، كنت عاقلةً أُنفِّذُ كلَّ ما تُريد، لكي أحظى بالبقاء في حجرتها في اثناء إلقائها الدروس على سيلين. ولذلك، كنت مغمورة بالهدايا التي تملأني حبوراً، بالرغم من قلّة قيمتها.

٩ - پولين المثال الاعلى

كنتُ فخورةً جدّاً بأختيَّ الكُبريَين. إلّا أن التي كانت مثالاً لطفولتي هي پولين. فعندما بدأتُ الكلام، كانت أمي تسألُني: «في مَ تفكرين؟» كان جوابي هو نفسه: «في پولين....». ومرّة اخرى، كنت أمرّر إصبعي الصغير على ألواح الزجاج، وأقول: «إني اكتب: پولين....». وغالباً ما كنتُ أسمعُ أن پولين ستصبحُ راهبةً بالتأكيد! فكنت أفكر، دون ان أعرفَ عن ذلك شيئاً: «انا ايضاً سأصبحُ راهبة». تلك واحدة من ذكرياتي الاولى، ومنذئذ، لم أغيِّر قصدي قط!... وكنتِ، أنت، يا امّي العزيزة، التي اختارها يسوع لتخطُبَني له؛ لم تكوني إذ ذاك بالقرب منّي، غير أن ارتباطاً كان قد تكوَّنَ بين نفسينا... لقد كنتِ مَثَلي الأعلى، وكنت أودُّ التشبّهَ بكِ، ومثَلُك هو الذي جذَبني الى عريس العذارى منذ الثانية من عمري... آه! ما اكثرَ وأطيبَ الخواطر التي أتمنّى أن أُودَعكِ إياها! ولكن، عليّ أن أواصلَ قصّة الزهرة الصغيرة، قصَّتَها الكاملة والعامة، إذ إني، لو اردتُ التحدُّث بالتفصيل، عن صِلاتها بپولين، لترتّب عليّ التخلّي عن كلِّ ما سواه!...

١٠ - محبّة ليوني

وكان لعزيزتي الصغيرة ليُوني مكانٌ واسع في قلبي. فكانت تحبُّني كثيراً، وهي التي كانت تحرُسُني مساءً في البيت بينما تخرج العائلة كلّها الى النزهة.. وأخالُني أسمعُ الى الآن ألحانها العذبة التي كانت تناغيني بها، قصدَ ان تنوّمنَي... لقد كانت تسعى، في كلِّ شيءِ الى وسيلةٍ لإرضائي. لذا، كان يشقّ عليّ كثيراً ان أسبِّبَ لها أيَّ حزن.

[٦ ش] إني أذكرُ جيّداً مناولتها الاولى(٦)، لا سيّما عندما حملتني على ذراعها لتُدخلَني معها الى دار الكاهن. وكان الامرُ يبدو لي رائعاً أن اكونَ محمولةً على يد أختٍ كبرى متوشِّحة بالأبيض، مثلي... وفي المساء، أخذوني باكراً الى الفراش، لأني كنت

(٦) جرى هذا الاحتفال في ١٨٧٥/٥/٢٣ وكانت تريز في عمر سنتين ونصف (م).

أصغرَ من أن أمكثَ حتى العشاء الكبير. ولكني، ما زلتُ أرى بابا آتياً في آخر الطعام، يحملُ الى ملكته الصغيرة قطعاً من كعكة العيد...

١١ - حنان الام

في اليوم التالي، او بعد ايام قليلة، ذهبنا مع ماما عند رفيقة ليوني الصغيرة (٧). وأظن انه كان اليوم الذي فيه أخذتْنا هذه الأميمة الحنون وراء جدار، لكي تسقينا خمراً بعد العشاء (الذي قدمتْهُ لنا السيدة داغورو المسكينة)، لأنها أبتْ ان تُحزنَ تلك المرأة اللطيفة، وفي الوقت نفسه، لم تشأ ان يُعوِزَنا شيء! ... آه، ما أَرَقَّ قلبَ الأم! وما أبرعَهُ في التعبير عن حنانه بألف نوعٍ من الاهتمامات اللطيفة التي لا تخطرُ على بال أحد! ...

١٢ - محبّة سيلين

والآن، بقي عليَّ ان أُحدِّثكِ عن عزيزتي سيلين، رفيقة طفولتي الصغيرة. إلّا أن ذكرياتي عنها هي من الكثرة بحيث لا أدري أيُّها أختار. سأسردُ بضعة مقاطع من الرسائل التي كانت والدتي تكتبها لك، الى دير الزيارة، ولكني لن أنسخَ كلَّ شيء، كيلا يطولَ بنا الكلام. ففي ١٠ تموز / يوليو سنة ١٨٧٣ (٨)، (وهي سنة ولادتي)، هاكِ ما كانت تقول لكِ: «لقد أخذت المرضعةُ (٩) تريز الصغيرة يوم الخميس، وكانت تضحكُ باستمرار. وسيلين الصغيرةَ هي التي نالت إعجابها بنوع خاص، فكانت تضحكُ معها مقهقهة. وكانت تبدو وكأنها بدأت تريد أن تلعب، فذلك سيحصلُ قريباً؛ انها تقفُ على ساقيها الصغيرتين، منتصبةً مثل ولدٍ صغير. وأظن انها ستمشي في سنٍّ مبكرة، وأنَّ طبعَها سيكونُ حسناً. تبدو حادةَ الذكاء وعلى وجهها سَيماءُ المختارين...»

١٣ - أقل سذاجة

[٧ ي] ولقد أظهرتُ عاطفتي لصغيرتي الغالية سيلين، خصوصاً بعد عودتي من عند المرضعة. وكان الوفاق تامّاً فيما بيننا. إلاّ أنّي كنتُ اكثرَ منها حيوية واقلَّ سذاجة. ومع اني أصغر منها بثلاث سنين ونصف، إلّا انه كان يبدو لي وكأننا في العمر نفسه.

---

(٧) هي أرمَنْدين داغورو Armandine DAGOREAU.

(٨) في ٧/١ وليس في ٧/١٠ كما كتبت تريز (م).

(٩) هي روز تييه Rose TAILLÉ من قرية سيماليّه Sémallé وقد بقيت تريز عندها من ١٨٧٣/٣/١٦ حتى ١٨٧٤/٤/٢ (م).

١٤ - كنت شريرة

هوذا مقطع من رسالة ماما يُظهر لكِ كم كانت سيلين وديعةً وكم كنتُ شريرةً: «إن صغيرتي سيلين تميلُ كلّ الميل الى الفضيلة، وهذا أعمقُ شعور في كيانها، إذ ان نفسَها بريئةٌ وتشمئزُّ من الشرّ. اما العفريتة الصغيرة، فلا احدَ يعرف ما سيكونُ من أمرِها. إنها صغيرة جدّاً وطائشة. وتفوق سيلين ذكاء، إلا انها اقلّ منها وداعة، وهي ذاتُ عنادٍ يكاد لا يُقهر. فمتى قالتْ «لا»، لا يقوى شيء على ثَنْيها عن عزمها. ولَئن أُحجِرَ عليها نهاراً كاملاً في القبو، لفضَّلت النوم فيه على أن تقول: «نعم»...

١٥ - قلب من ذهب

«ومع ذلك، فقلبها من ذهب! وهي بالغةُ اللطف وصريحة. تدهشُكِ رؤيتها، وهي تركضُ ورائي لكي تعترفَ بذنبها وتقول: «ماما، لقد دفعتُ سيلين مرّةً فقط، وضربتُها مرة، ولكنّي لن أعودَ الى ذلك بعد اليوم». (ذلك هو شأنها في كل ما تقومُ به). لقد ذهبنا مساء الخميس للنزهة بالقرب من المحطة، فأصرَّتْ على الدخول الى ردهة الانتظار لتذهبَ وتأتي بپولين. وكانت تركضُ امامنا بفرحٍ يبعث على البهجة. ولكنها حينما لاحظتْ أنَّ عليها العودة دون الصعود الى القطار بغيةَ إحضار پولين، ظّلت تبكي طوال الطريق»[١٠].

١٦ - ذكريات مع پولين

هذا الجزء الأخير من الرسالة يذكّرني بالسعادة التي كانت تغمرُني لدى رؤيتك عائدةً من دير الزيارة. فكنتِ انتِ، يا امي، تحمليِنَني على ذراعك، وكانت ماري تحملُ سيلين. عندها كنت أُغدقُ عليكِ ألوفَ الملاطفات، وكنت أنحني [٧ ش] الى الوراء لكي اتأمّل ضفيرتَك الكبيرة... ثم كنتِ تناولينني لوحةً من الشوكولا قد احتفظتِ بها مدة ثلاثة اشهر... هل تدركينَ ما أطيب تلك الذخيرة لديّ؟... واذكر كذلك السفر الذي قمتُ به الى مدينة لومان[١١]، وكانت المرة الاولى التي فيها أستقلُّ القطار. يا لفرحي، اذ رأيْتني مسافرةً وحدي مع ماما!... ولكنّي لا أدري لماذ أَخذتُ أبكي، فلم تستطعْ هذه

---

(١٠) رسالة من السيدة مرتان الى پولين في ١٨٧٦/٥/١٤.

(١١) Le Mans.

الأميمة المسكينة ان تقدِّمَ لخالتي[١٢] في لومان سوى مخلوقٍ صغير بَشِع، قد احمرّتْ عيناه بالدموع التي ذرفها طوال الطريق...

١٧ - ذكرى سلة السكر

ولم تعلَقْ بفكري أيّةُ ذكرى للمتحدِّث، سوى تلك اللحظة التي فيها أعطتْني خالتي فأرةً صغيرةً بيضاء وسلَّةً صغيرةً من الورق اللماع، ملآى بالسكّرات يتربَّعُ فوقها خاتمان من السكر ايضاً، على مقياس إصبعي تماماً. فهتفتُ على الفور: «يا لسعادتي، سيكون لسيلين خاتَمُها!» لكن، يا لأسفي، فعندما أمسكتُ بسلتي ومددتُ اليد الاخرى لأمي، وانطلقنا، نظرت الى سلتي، وبعد لحظات، فاذا بالسكَّرات جميعها تقريباً قد تناثرتْ على الطريق، مثل حصوات پوسي[١٣] الصغير. وأمعنتُ النظر، فاذا بأحد الخاتمين النفيسين، كان قد لقي مصيرَ السكرات المشؤومَ عينَه... فلم يبقَ لي ما أُعطيه لسيلين... فانفجرَ ألمي وطلبتُ أَن اعود أدراجي، لكن أمّي لم تبدُ مكترثةً لأمري. فطفح الكيل لديّ وانهمرَتْ دموعي ثم أعقبتْها صراخاتي... وما كنت لأفهمَ كيف انها لا تشاطرني حزني، وهذا ما كان يزيدُ من حدّة ألمي...

١٨ - عفريتة صغيرة

والآن أعود الى الرسائل التي تحدّثكِ فيها ماما عن سِيلين وعنّي. إنها خير وسيلة في متناولي، لكي أزيدَك معرفة بطبعي. فهاكِ مقطعاً تبرز فيه نقائصي بأجلى مظاهرها: «ها هي [٨ ي] سيلين تتسلّى بلعبة المكعبَات مع الصغيرة، إنهما تتعاركان احياناً، لكن سيلين ترضَخُ بسهولة لتزيد لؤلؤةً في إكليلها. وانا مضطرة الى إصلاح هذه الطفلة الصغيرة المسكينة التي تندفعُ الى سورات غضبٍ رهيبة. وحينما لا تسيرُ الامور وفقَ هواها، تتمرَّغُ على الارض كاليائسة، ظانةً أن كلَّ شيء قد ضاعَ منها. وأحياناً يتخطى الامر طاقتها، حتى انها تكاد تختنقُ من الغيظ. إنها طفلةٌ شديدة العصبية، لكنها لطيفةٌ وذكيّة جدّاً، وتتذكّرُ كلَّ شيء»[١٤]. وهكذا، يا أمّاه، كم كان ينقصني لأكونَ بُنيّةً خالية من العيوب! ولا يمكن حتى القول عنّي، إني كنت «عاقلةً في اثناء نومي»، لانّي كنت اكثر حركةً ليلاً

(١٢) تمت زيارة السيدة مرتان الى شقيقتها الاخت ماري دوزيتيه Dosithée في ١٨٧٥/٣/٢٩.

(١٣) پوسي صبيّ صغير في عائلة فقيرة، ذهب الاب بأولاده الى الغابة ليتركهم فيها. ولكن العفريت الصغير پوسي نثر على الطريق حصوات صغيرة بيضاء اهتدى بها الى طريق البيت (م).

(١٤) رسالة السيدة مرتان الى پولين في ١٨٧٥/١٢/٥.

مني في النهار، فكنت أقذفُ بجميع الأغطية؛ وفي نومي، كنت أصطدمُ مراتٍ بخشب سريري الصغير. واذ ذاك يوقظني الألم، فأقول: «ماما، انا مجنونة!» وكانت هذه الام المسكينة تُضطَرُّ الى النهوض، وتلاحظُ فعلاً التورُّمات في جبيني، فكانت تغطِّيني جيّداً، ثم تعود الى النوم ثانية. ولكنّي بعد برهة قصيرة كنت أعود الى جنوني من جديد؛ حتى اضطروا الى ربطي في سريري، فكانت سيلين الصغيرة تأتي كلّ مساءٍ وتعقدُ الرُبُطَ العديدة المعدّة لمنع العفريتة الصغيرة من الجنون ومن إيقاظ والدتها. وقد نجحت هذه الوسيلة نجاحاً تاماً، فصرتُ، بعدها، عاقلةً في نومي...

١٩ - غرور كبير

هناك نقيصة اخرى كانت لدي، (في يقظتي)، لم تُشرْ اليها ماما في رسائلها، وهي غروري الكبير، ولن أوردَ لكِ سوى مثَلين على ذلك، تفادياً للاسهاب في حديثي قالت لي ماما ذات يوم: «يا صغيرتي تريز، إذا اردتِ تقبيلَ الارض، أعطيك فلساً». وكان الفلس بالنسبة الي يُضاهي ثروةً، وللحصول عليه، لم أكن بحاجةٍ الى أن أخفضَ شموخي، لأن قصر قامتي لم يكن يتركُ مسافةً كبيرة بيني وبين الارض، لكن عزّة نفسي قد انتفضتْ [٨ ش] امام فكرة تقبيل الارض، فانتصبتُ كالعصا وقلتُ لِماما: «لا، لا، يا أميمتي، انا افضّل عدمَ الحصول على الفلس!...»

٢٠ - ظرافة باكرة

ومرة اخرى، كان علينا ان نقوم بزيارة السيدة مونيه في غرونيي(١٥). فأوعزتْ ماما الى ماري بأن تُلبسني فستاني الازرق السماوي الجميل المطرَّز، وألا تدع ذراعيَّ عاريتين، لئلا تسوّدهما الشمس. فتركتْها تُلبسني دون اكتراث، شأن الاولاد في مثل سنّي. ولكنّي كنتُ أفكر في داخلي في أني قد أبدو اكثر ظرافةً لو أنَّ ذراعيَّ الصغيرتين عاريتان.

٢١ - تحول سريع

وبالنظر الى ما فُطرتُ عليه من الطباع، ولو اني تربيّت على أبوَين عاريين من الفضيلة، او لو دلَّلتني لويز(١٦)، كما فعلت بسيلين، لكنت أصبحتُ شريرة حقاً ولربما هلكتُ ايضاً... غير أن يسوع كان ساهراً على خطّيبته الصغيرة، وشاء ان يؤولَ كلُّ شيء

(١٥) Mme Monnet à Grogny.

(١٦) Louise MARAIS خادمة اسرة مرتان في ألنسون (م).

الى خيرها؛ حتى نقائصها، التي يقمعها باكراً، اصبحت لها وسيلةً للنموّ في الكمال... وبسبب غروري وحبّي للخير، فحالما بدأتُ التفكير برصانة، (وهذا أمر فعلتُه منذ صِغَر سني)، كان يكفي ان يقالَ لي إن ذلك الامر ليس صالحاً، فلا أحتاجُ الى أن يُكرَّر تحذيري منه... ويسرّني أن ارى في رسائل ماما أني كلّما نموتُ في العمر، أزددتُ في توفير التعزية لها. وبما انه لم يكن بجانبي الّا الأمثلة الصالحة، فكنت أريدُ تلقائياً الاقتداء بها. واليكِ ما كتبتْه سنة ١٨٧٦: «حتى تريز نفسها تريد احياناً ان تشارك في القيام بممارسات».

٢٢ - تريز وسيلين

«انها طفلة رائعة وناعمة كالظل[١٧] ونَشِطة جداً، لكن قلبها حسّاس جدّاً. بينها وبين سيلين محبّة شديدة، وتكتفي الواحدة بالاخرى لتبديد سأمها، فكلّ يوم، بعد طعام الغداء، تذهب سيلين فتمسك ديكها الصغير، ثمّ تمسك بسهولة الدجاجة لتريز. انا شخصياً لا أفلحُ في الأمر، ولكنها نشيطة جداً لدرجةٍ أنها تُمسكها من اول قفزة، ثم تأتي الاثنتان مع طيريهما وتجلسان [٩ ي] بقرب النار، وتلهوان معاً مدة طويلة. (هي روز الصغيرة التي أهدت اليّ الدجاجة والديك، وقد أعطيتُ الديك لسيلين). ومنذ أيام، نامت سيلين معي، بينما نامت تريز في الطابق الثاني وفي سرير سيلين. وكانت قد توسلتْ الى لويز لكي تُنزلها الى الأسفل لتُلبسَها ثيابها. ولما صعدتْ لويز لتأتيَ بها، وجدتْ السرير خالياً. فكانت تريز قد سمعت صوتَ سيلين، فنزلت معها. فقالت لها لويز: «ألا تريدين النزول الى الأسفل لترتدي ثيابك»! فأجابتها: «كلا، كلا يا لويزتي المسكينة، فنحن مثل الدجاجتين الصغيرتين، لا تستطيعُ الانفصال الواحدة عن الاخرى!» وعند هذا القول، كانتا تتعانقان وتضمّ إحداهما الأخرى بشدّة... وفي المساء، ذهبت لويز وسيلين وليوني الى النادي الكاثوليكي، وتركن تريز المسكينة، التي كانت تدرك انها اصغر جدّاً من أن تذهب الى هناك، فكانت تقول: «حبّذا لو وضعوني في سرير سيلين!»... إلا أنهنّ لم يُردنَ. فلم تقل شيئاً، بل مكثت وحدها مع مصباحها الصغير، وبعد ربع ساعة، كانت تغطّ في نومٍ عميق...»[١٨].

---

(١٧) والمقصود «ناعمة كالعنبر».

(١٨) رسالة السيدة مرتان الى پولين في ١٨٧٦/١١/٨ (م).

٢٣ – دموع غزيرة

وفي يوم آخر كتبتْ ماما ايضاً: «إن سيلين وتريز لا تفترقان، ولا يمكن رؤية طفلَين يتحابّان بأفضلَ منهما. وحينما تأتي ماري لتأخذَ سيلين وتدرِّسها، تذرفُ تريز المسكينة الدموع الغزيرة. فما عساها تفعل وقد ذهبتْ صديقتها الصغيرة! ... فتُشفقُ ماري عليها، وتأخذها معها ايضاً، فتجلس هذه الصغيرة المسكينة على الكرسي طوالَ ساعتين او ثلاث، فتُعطى احياناً حبّاتٍ لتخْرِزَها او قطعةَ قماش لتُخيطَها، ولا تتجاسرُ على ان تُبدي حِراكاً، بل غالباً ما تكتفي باطلاق تنهّداتٍ عميقة. وعندما يفلتُ الخيط من إبرتها، تحاولُ إدخاله فيها من جديد، وما أغربَ منظرها وهي لا تُفلحُ في هذا الامر ولا تتجرّأ على إزعاج ماري. وسرعانَ ما تنحدر دمعتان كبيرتان على خدِّيها... أما ماري [٩ ش] فتعزِّيها سريعاً وتُدخلُ الخيطَ في الإبرة. واذا بالملاك الصغير تبتسمُ من خلال دموعها...»[١٩].

٢٤ – لا بقاء من دون سيلين

وأذكرُ أني، في الواقع، لم أكن أقوى على البقاء من دون سيلين. وكان أحبّ إليّ أن أتركَ المائدة قبل الإنتهاء من تناول حلواي، من ألّا أتْبعَها، حالما تنهض عن المائدة. فكنتُ أدورُ في كرسيَّ الكبير وأطلب ان يُنزلوني ثم نمضي ونلعبُ معاً. وكنا نذهب احياناً مع «المديرة»[٢٠] الصغيرة، وكان ذلك يسرّني بسبب البستان وجميع اللعب الجميلة التي كانت تُرينا اياها. ولكنني كنت أذهب بالأحرى لإرضاء سيلين، مع أني افضّل البقاءَ في بستاننا الصغير لتقشير الجدران، لأننا كنا نجمعُ كل القشّات اللامعة العالقة بها، ثم نذهب ونبيعُها بابا الذي كان يشتريها منا بكلِّ جدِّية.

٢٥ – خبز مبارك

ويوم الأحد، لما كنتُ أصْغَرَ من أن أذهبَ الى الاحتفالات الدينية، كانت ماما تتولّى حراستي في البيت. فكنتُ عاقلةً جداً، ولا أمشي الا على أطراف قدميَّ في اثناء القداس. وما إن أسمع الباب يفتح، حتى يغمرَني فرحٌ لا مثيلَ له. فكنت أهرعُ للقاء اختي الصغيرة الجميلة، التي كانت إذ ذاك مزدانةً مثل معبد[٢١].. فأقول لها: «آه، يا صغيرتي سيلين،

(١٩) رسالة السيدة مرتان الى پولين في ١٨٧٧/٣/٤ (م).

(٢٠) Gennie BICHARD ابنة مدير المنطقة، (Préfet) ومن هنا دعابة تريز نحو جارتها بلقب «المديرة»، وكان مركز الادارة مقابل بيت آل مرتان (ش. ر.).

(٢١) عبارة كان يردّدها السيد مرتان (م).

أعطيني سريعاً من الخبز المبارك». وأحياناً لم يكن لديها منه لذهابها متأخّرة: فما العمل عندها؟ وكان يستحيلُ عليّ ان أستغني عنه، اذ كنت اعتبر ذلك قداسي!.. وسرعانَ ما وجدنا الوسيلة، فقلتُ لها: «ليس لك خبزٌ مبارك، فاصنعيهِ أنتِ». وما إن قلتُ ذلك حتى تحقَّق الأمر: فصعدتْ سيلين كرسياً وفتحتْ الخزانة، وأخذتْ خبزاً واقتطعتْ منه لقمةً وبكل جدية تَلتْ عليها مرةً السلام الملائكي، ثم قدّمتها لي. وبعد أن رسمتُ بها إشارةَ الصليب على وجهي، تناولتُ الخبز بخشوع كبير، فوجدتُ فيه مذاقَ [١٠ ي] الخبز المبارك تماماً!... وغالباً ما كنا نقوم سويةً بإرشاداتٍ روحية. وهاكِ مثلاً على ذلك، أستقيهِ من رسائل ماما: «إن صغيرتيْنا العزيزتين سيلين وتريز هما ملاكا بركة... إنهما ملاكان صغيران. فتريز هي مصدرُ فرحٍ وسعادة وفخرٍ لماري، فلا يُتَصوَّر كم هي فخورة بها! لها سرعةُ خاطرٍ نادرةٌ بالنسبة لسنِّها، وبذلك تُظهِر تفوّقَها على سيلين، التي لها ضِعفُ عمرها. وكانت سيلين تقول منذ ايام: «كيف يستطيعُ اللّه ان يكون في برشانةٍ صغيرة كهذه؟» فقالت لها الصغيرة: «لا عجبَ في ذلك، ما دام اللّه قادراً على كل شيء». «وما معنى: قادرٌ على كلِّ شيء؟» - «ذلكَ يعني أنه يصنعُ كل ما يشاء...»[٢٢].

٢٦ - اختار الكل

وذات يوم، وقد ظنّتْ ليوني أنها أكبَرُ من أن تلهوَ باللُّعبة، أقبلتْ الى كلتينا، ومعها سلَّةٌ مملوءةٌ فساطينَ وقطع قماش جميلة، لصُنع فساطين أخرى، وقد أضجَعتْ لعبتَها فوقها، وقالت لنا: «دونكما، يا أختيَّ الصغيرتين، واختارا، فاني أعطيكما كلَّ هذا». فمدَّتْ سيلين يدها وأخذتْ كبّة بَريم[٢٣] أعجبتْها. اما أنا، وبعد لحظةِ تفكير، مددتُ يدي بدوري وقلتُ: «إني أختار الكلّ.»، وأخذتُ السلة دون ايِّ تكليف، والحاضرون وجدوا في ما جرى أمراً عادلاً جداً، وسيلين ذاتها لم تفكِّر في التشكّي من ذلك. (على كل حال، ما كانت اللعَب لتعوزها، لأن عرّابها[٢٤] كان يُغدقُ عليها الهدايا، وكانت لويز تنتهزُ كلّ فرصة لتقدِّم لها ما تشاء).

٢٧ - ملخَّص حياتي

ان هذه الحادثة الصغيرة، من عهد طفولتي، تحوي ملخّص حياتي برمتّها. فحينما

(٢٢) رسالة السيدة مرتان الى پولين في ١٨٧٧/٥/١٠ (م).

(٢٣) البَريم هو الحبل المبروم او المفتول (ش. ر.).

(٢٤) Vital ROMET وهو صديق للسيّد مرتان.

تجلّى لي الكمال، لاحقاً، تبيَّنْتُ أني، لكي أصيرَ قديسة، لا بدَّ لي من أن أتألم كثيراً، وأن أسعى دوماً وراء الأكمل، وان أنسى ذاتي. وأدركتُ أن في القداسة مراتب عديدة، وأن كلَّ نفس [١٠ ش] هي حرة في أن تلبّي مبادراتِ ربّنا، وأن تعمل القليل او الكثير في سبيله؛ وبكلمة، عليها ان تختار بين التضحيات التي يطلبها. عندئذ هتفتُ، كما في عهد طفولتي: «يا الهي، إني أختار كل شيء. لا أريد ان أكون نصف قديسة، ولا أخافُ التألم لأجلكَ، ولستُ اخشى الا أمراً واحداً، وهو ان أحتفظ بارادتي. فخُذْها، لأني أختارُ كلَّ ما تريده أنت!...»

٢٨ - حلم الشيطانين

والآن عليّ ان أتوقّف، فلم يحن الوقتُ بعد لكي أكلّمكِ على شبابي، بل لن العفريتة الصغيرة في سنّها الرابعة. أذكرُ حُلماً حلمتهُ في نحوِ هذه السن، وقد انطبعَ في ذاكرتي انطباعاً لا يُمحى: في احدى الليالي حلمتُ بأني خارجةٌ للتنزّه وحدي في البستان. ولما بلغتُ أسفلَ الدرج الذي ينبغي ارتقاؤه للوصول اليه، توقّفتُ وقد تولّاني الرعب. وكان قدّامي، بالقرب من العريش، برميلُ كلس، وفوقَ هذا البرميل ظهرَ شيطانان صغيران وقبيحان يرقُصانِ بخفةٍ مدهشة، بالرغم من ان أرجلهما مكبَّلة بمكاوٍ حديدية. وبغتة رشقاني بنظراتٍ يتطايرُ منها الشرر، لكنهما، في الوقت ذاته، كانا يبدوانِ مذعورَيْن أكثرَ مني، فارتميا في قعرِ البرميل، وذهبا واختبأا في غرفة الغسيل المحاذية. فلما رأيتُ جبانتهما الى هذا الحد، أردتُ ان أتبيَّن ما سيفعلانه. فدنوتُ من النافذة. واذا بالشيطانين البائسين هناك يركضان على الطاولات، ولا يدريانِ كيف يهربانِ من نظري؛ ومن حين الى آخر، كانا يقتربانِ من النافذة، ويرقُبانِ بقائي بقلقٍ عظيم. وعندما يُشاهدانني لابثةً في مكاني، يعودانِ الى الركضِ يائسَيْن. لا ريبَ في ان هذا الحُلم لا يحوي شيئاً خارقاً. ولكني أظن ان اللّه قد سمحَ بان أتذكَّره، لكي يُثبتَ لي أن النفسَ في حالة النعمة، لا تخافُ الشياطين، لأنهم جُبناء، يهربونَ من مواجهةِ نظْرة طفل...

٢٩ - ستكون صالحة

[١١ ي] هوذا أيضاً مقطع آخر آخذه من رسائل ماما، وكانت هذه الأميمة المسكينة قد بدأتْ تستشعرُ نهايةَ منفاها: «انا لستُ قلقة على الصغيرتين، فكلتاهما على خير ما يرام؛ انهما بطبعهما مختارتَين، وستكونانِ حتماً صالحتين، وباستطاعتكما تماماً، انتِ وماري ان تربّيانهما. فسيلين لن تقترفَ ابداً أقلَّ هفوةٍ إرادية، والصغيرة ستكون ايضاً

صالحة . فهي لن تكذب ابداً ولو ربحتْ ذهبَ العالم كله ، ولها من النباهة ما لم ألاحظه قطّ في أيِّ ملكٍ»[٢٥].

٣٠ – الممارسات

«منذ ايام، ذهبتْ الى العطّار برفقة سيلين ولويز. وكانت تتحدّثُ عن ممارساتها وتناقش سيلين باحتدام. فقالتْ السيدة للويز: «ماذا تقصد، اذاً، بكلامها، فانها، حينما تلعب في البستان، لا يُسمعُ سوى الحديث عن الممارسات؟ وأطلّت السيدة غوشرين من نافذتها، تحاول أن تفهم ماذا تعني تلك المناقشة عن الممارسات . . .» . ان هذه الصغيرة المسكينة مصدرُ سعادتنا ، وستكون صالحة ، فاننا من الآن نرى النبتة : فهي لا تتكلّم الا على الله، ولا تتخلّى عن تلاوة صلواتها، مهما كلّفَ الامر. أودّ لو تَرَيْنَ كيف تَسردُ الأقاصيصَ الصغيرة. فإني لم أرَ في حياتي مثلَ هذه اللطافة وهي وجدها التعبيرَ الملائم والنبرةَ المطلوبة، لا سيما حين تقول:

« أيها الطفلُ ذا الجمّة[٢٦] الشقراء
أين هو الله، في اعتقادك؟ . . .»

وحينما تصل الى العبارة التالية: «انه في العلى، في السماء الزرقاء»[٢٧]، ترفعُ نظرها الى فوق، بتعبير ملائكي. ولا يُمَلّ من طلبِ إعادتها، لما في ذلك من جمال، ففي نظرتها شيء من الألَق السماوي يخلبُ الألباب . . .»[٢٨].

٣١ – تأثير الطبيعة

ما كان أسعدني، يا أمّاه، في تلك السن! كنتُ بدأتُ اتذوّقُ الحياة، وكانت الفضيلةُ تستهويني، وكنتُ، بحسب ظني، على ما انا عليه اليوم من الاستعدادات، ضابطةً زمام أعمالي [١١ ش] ضبطاً مُحكماً. آه، ما أسرعَ ما انقضتْ سنواتُ طفولتي المُشمسة! ولكن، ما أعذبَ الطابع الذي خلّفتهُ تلك السنوات في نفسي! فإني أذكر، بسعادةٍ، تلك

(٢٥) رسالة السيدة مرتان الى پولين في ١٨٧٧/٣/٢٢ (م).
(٢٦) الجمّة هو ما غطّى الرأس من الشعر (عن قاموس الرافد).
(٢٧) قد حاولنا نظم عبارات هذه الاغنية شعراً (ش.ر.).
(٢٨) رسالة السيدة مرتان الى پولين في ١٨٧٧/٣/٤ (م).

الايام التي كان والدُنا يأخذنا فيها الى «الجناح»[٢٩]، وقد انطبعتْ في قلبي أصغرُ تفاصيلها ... ولنزُهات الأحد ذكرٌ خاص لديّ، ففيها كانت أمنا ترافقنا دائماً. وما زلتُ أحسّ الى اليوم بتلك الانطباعات الشعرية العميقة التي كانتْ تبعثها في نفسي رؤيةُ حقول القمح الموشّاة بأزهار البنفسج وبالزهور البريّة. ومنذ ذلك الحين بدأتُ أحبّ الآفاق البعيدة، فالفسحات والأشجار الضخمة التي تلامسُ أغصانُها الأرض كانت تتركُ في قلبي انطباعاً شبيهاً بالانطباع الذي ما زلتُ أشعر به اليوم إزاء رؤية الطبيعة ...

٣٢ - لا تفوه بكلمة

وفي نزهاتنا الطويلة هذه، غالباً ما كنا نلتقي فقراء، وتريز الصغيرة كانت هي المكلَّفة دوماً بأن تحملَ الصدقَة اليهم، الأمر الذي كان يغمرُها سعادة. وغالباً ايضاً ما كان بابا يستطيل الطريق على ملكته الصغيرة، فيعود بها الى المنزل قبل الآخرين، (وكان الأمر يسوءُها كثيراً). فلكي تخفّف من روعها كانت سيلين تملأُ سلّتها الصغيرة الجميلة بأزهار الأقحوان وتُهديها اليها، لدى عودتها. ولكن، للأسف، كانت الجَدّة المسكينة ترى أن لدى حفيدتها كثيراً من الازهار، فتأخذُ منها حصةً لا بأسَ بها لتمثال العذراء الخاص بها؛ ولم يكن هذا الأمر يطيبُ لتريز الصغيرة، لكنها ما كانت تفوهُ بكلمة، لأنها قد اتَّخذتْ عادةً حسنة ألا تتشكّى ابداً، حتى لو أُخذَ منها ما هو لها. وحينما يُشتكى عليها ظلماً، كانت تفضّل السكوتَ وعدمَ الاعتذار. ولم يكن لها في ذلك أيُّ فضل، بل كانت تفعلُه بدافع طبيعي ... وانه لمؤسفٌ حقاً أن يكون هذا الاستعداد الحسَن قد تلاشى! ...

٣٣ - طَبعي المرح

[١٢ ي] نعم، في الحقيقة، كل ما على الارض كان يبتسمُ لي! فكنتُ أجد الزهور عند كل خطوة من خطواتي، وقد ساهمَ طبعي المَرِح ايضاً في جعلِ حياتي هانئة. غير أن مرحلةً جديدةً من حياتي كانت تنتظرُ نفسي، وكان عليّ أن أعبُرَ ببوتقة المِحنة وأن أتألّم منذ طفولتي لكي يتسنّى لي أن أقدّم ذاتي باكراً ليسوع. فكما ان أزهار الربيع تُولد براعمُها تحت الثلج، ثم تتفتح تحت أشعة الشمس الأولى، هكذا كان على الزهرة الصغيرة التي أدوّن ذكرياتِها أن تعبرَ شتاءَ المحنة ...

---

(٢٩) وهو ملكٌ كان يخصّ السيد مرتان قبل زواجه.

الفصل الثاني

في البويسُّونيه (١٨٧٧-١٨٨١)

١ - ذكرى الأم

ان تفاصيل مرض أمّنا الحبيبة كلِّها ما تزال ماثلةً امام قلبي. وما زلتُ أذكر خاصة الأسابيع الأخيرة التي قضتْها على الأرض. كنّا انا وسيلين مثل صغيرتَين مسكينتين منفيَّتَين. وكانت السيدة لوريش[1] تُوافينا كل صباح وتأخذُنا لنقضيَ النهار في منزلها. وذات يوم، لم يتسنَّ لنا ان نصلّي قبل الخروج، وفي الطريق، همستْ سيلين في أذني وقالت: «أينبغي ان نقولَ بأننا لم نتلُ صلاتنا؟» فأجبتُها: «نعم، نعم». عندها، قالت ذلك بخجل للسيدة «لوريش» فأجابتنا: «إذاً، يا بنتيَّ الصغيرتَين، عليكما بها.» ثم أدخلتنا غرفةً كبيرة، وانصرفَت.. فنظرتْ اليَّ سيلين وقلنا: «آه! انها ليست مثل ماما.. فإنها كانت تساعدُنا دوماً على تلاوة صلاتنا...». وفي أثناء لعبنا مع الأولاد، كان ذكرُ أمِّنا الحبيبةُ يلاحقُنا دوماً. واذ حصلتْ سيلين يوماً على مشمشة طيبة، انحنَتْ وهمسَتْ في أذني: «لن نأكلها، بل سأقدّمها لماما». غير أن تلك الأميمة المسكينة قد بلغ منها المرضُ مبلغاً لم تعُدْ تتمكّن معه من أكلِ ثمار الأرض. فلن ترتويَ بعدَ اليوم إلا من مجد اللّه في السماء، فتشرب مع يسوع، الخمرةَ السرّية التي تكلّم عليها في عشائه الأخير، اذ قال بأن يقاسمَنا اياها في ملكوت أبيه.

٢ - المسحة الاخيرة

وقد تركتْ رتبةُ المسحة الأخيرة الخشوعية آثاراً عميقة في نفسي. وما زلت أرى الموضعَ الذي كنتُ فيه بجانب سيلين؛ وكنا، نحن الخمس، [**١٢ ش**] مصطفَّات بحسب عمرنا، وكان والدنا المسكين ايضاً هناك يشهقُ بالبكاء...

٣ - أراقب وأصغي

ويوم رحيل ماما او في اليوم التالي[2]، أخذني أبي بين ذراعيه وقال لي: «تعالَيْ

(١) زوجة أدولف لوريش LERICHE ابن اخت السيد مرتان، كان في سنة ١٨٧٠ اشترى من خاله حانوت الساعاتي (ش. ر.).

(٢) في ١٨٧٧/٨/٢٨ وكان لها من العمر خمس واربعون سنة (م).

وقبّلي أَمَيمَتك المسكينة لآخر مرة». فما كان مني الا أن أدنيتُ شفتيّ من جبين أمي الحبيبة، دون قول أيِّ شيء. ولا أذكر أني بكيتُ كثيراً. فما كنتُ أُفضي لأحد بالمشاعر العميقة التي كنتُ أحسّ بها... كنتُ أراقبُ وأصغي بصمت... ولم يكن لأحدٍ الوقت للاهتمام بي، ولذلك كنت أرى أموراً كثيرة كانوا يودّون إخفاءَها عني. واتّفق لي مرة ان كنت قبالةَ غطاء النعش... فوقفتُ أتأمله طويلا، ولم يسبقْ لي قطّ أن رأيت مثله، ومع ذلك كنتُ أفهم. ولكوني قصيرةَ القامة جدّاً، وبالرغم من قلة ارتفاع نعش ماما، كنتُ مضطرةً الى رفع رأسي لأراهُ من أعلاه، وكان يبدو لي كبيراً جدّاً... وحزيناً جدّاً!... وبعد ذلك بخمس عشرة سنة[٣]، وجدتُني امام تابوتٍ آخر هو تابوت الأم جنفياف[٤]، وكان بمثل قياس تابوت ماما، وتخيّلتُ نفسي في ايام طفولتي!... وتهافتتْ عليَّ ذكرياتي كلُّها... وكانت الصغيرة تريز عينها، تراقب ذلك؛ إلا أنها كانت قد كبُرت، فبانَ لها التابوت صغيراً. ولم تعدْ بحاجة الى رفع رأسها لتراه؛ فهي ما عادتْ ترفعهُ إلا لتتأمل السماء التي كانت تبدو لها مسرورةً جدّاً، ولأنَّ جميع محن تريز كانت قد انتهت، ومضى شتاء نفسها الى غير رجعة...

٤ – پولين ستكون أمّي

ويوم باركتْ الكنيسة جثمان أمّنا السماوية الصغيرة، شاء اللّه أن يهبَ لي أمّاً اخرى على الأرض، وأراد ان أختارها بحرّية. يومها، كنا نحن الخمس معاً، نتبادلُ النظرات الكئيبة، وكانت لويز ايضاً هناك، ولما رأتنا سيلين وأنا، قالت: «ايتها الصغيرتان المسكينتان، لقد أصبحتُما بلا أم!...» عندها، ارتمتْ سيلين بين ذراعَي ماري، وقالت: «إذاً، انتِ ستكونينَ ماما». وكنت انا معتادةً [١٣ ي] ان أحذوَ حذوَها، ومع ذلك توجّهتُ اليكِ، يا أمّاه، وكأن حجابَ المستقبل كانَ قد انحسر، وألقيتُ بنفسي بين ذراعيك، وصرختُ: «أمّا أنا، فپولين ستكون لي ماما!».

٥ – مرحلة ثانية

وكما ذكرتُ آنفاً، كان عليّ، منذ ذلك الوقت، أن أدخل المرحلة الثانية من حياتي، وهي اكثر مراحلها الثلاث ألَماً، لا سيما منذ ان دخلتْ ديرَ الكرمل تلك التي اخترتُها لي

---

(٣) والاصحّ اربع عشرة سنة (م).

(٤) الام جنفياف للقديسة تريزا إحدى مؤسسات كرمل ليزيو، وكان لها من العمر اثنان وثمانون عاماً (م).

ماما ثانية. وتمتدّ هذه المرحلة من سن الرابعة والنصف حتى الرابعة عشرة من عمري[٥]، أي الى الحين الذي استعدتُ فيه طبعَ طفولتي، مع دخولي في جدِّيّة الحياة.

٦ - خجولة حسّاسة

عليّ أن أقول لك، يا اماه، ان مزاجي المرح قد تبدَّل تماماً، منذ وفاة ماما، فصرتُ خجولةً وديعة وحساسة حتى الافراط، انا التي كانت متوقِّدة وبوّاحة. نظرة واحدة كانت كافية لأجهشَ بالبكاء. فكان أدعى الى سروري الاّ يهتمّ بي أحد: فلم أكن أطيقُ مجالسةَ الغرباء، ولا تعودُ اليّ بشاشتي إلّا ضمن جوّ العائلة الحميم... ومع ذلك كنت مشمولةً بأرقّ الحنان. فكان قلبُ أبينا الحنون قد أضاف الى الحبّ الذي يملكه، حبّاً أموميّاً حقاً... فأنت، يا أميّ، وماري، ألم تكونا لي، أحنّ الأمهات وأشدَّهنَّ تجرّداً؟... آه، فلو لَم يغمر اللّه زهرته الصغيرة بأشعّته الطيّبة، لما تيسَّرَ لها أبداً ان تألفَ مناخَ الأرض، فقد كانت ما تزال أضعفَ من أن تتحمّل الامطار والعواصف، وكانت تفتقر الى الدفء، والى ندى بليل ونسمات ربيعية. ولم تعوزها [**١٣ ش**] كلّ هذه الافضال، فقد كان يسوع يوفّرها لها، حتى وسط ثلج المحنة!.

٧ - في بيت خالها

لم أشعر بأي أسى لدى مغادرتي ألنسون. فمن طبع الأطفال ان يأنسوا الى التنقل، لذا فقد أتيت الى ليزيو[٦] بكل ارتياح. ولا ازال أذكر السفر ووصولنا في المساء الى بيت زوجة خالي، وما زلت أرى جانّ وماري وهما تنتظراننا على مدخل الدار... كنت سعيدةً جدّاً بأن يكون لي بنات خال صغيرات بمثل هذا اللطف. فكنت أحبّهنّ كثيراً، وأحبّ زوجة خالي وخاصة خالي. على أنه كان يخيفني، ولم أكن مرتاحةً في بيته، كما في البويسُّونيه، حيث كانت حياتي سعيدة حقاً...

٨ - تَعَلُّمها القراءة

فكنتِ تُقبلين عليّ منذ الصباح، وتسألينني اذا كنت اعطيتُ قلبي للّه، ثم كنتِ

---

(٥) في ميلاد ١٨٨٦.

(٦) في ١٨٧٧/٩/١٦ وقّع السيّد مرتان على عقد ايجار منزل البويسّونيه ليكون قريباً من خال البنات السيد إيزيدور، وقد سُمّي معاون وصيّ على بنات شقيقته القاصرات، فانتقلت العائلة الى ذلك البيت في ١٨٧٧/١١/١٥ (عن **قصة حياة** ص ٥٢) (ش. ر.).

تُلبسينني ثيابي وانت تكلّمينني عنه. وبعد ذلك كنت أتلو صلاتي بجانبك. ثم يأتي وقت درس القراءة، والكلمة الأولى التي تمكنت من قراءتها وحدي هي «السماوات». فتجنّدتْ عرّابتي العزيزة لإعطائي دروس الكتابة؛ أما أنت، يا أماه، فقد أخذتِ على عاتقك كل الدروس الأخرى. ولم يكن لديّ سهولةٌ كبيرة للتعلّم، على أن ذاكرتي كانت قوية. وكنت افضّل التعليم المسيحي والتاريخ المقدس، فأدرسهما بفرح. اما كتاب القواعد، فغالباً ما أسالَ دموعي... تذكّري درسَ المذكّر والمؤنَّث!

٩ ـ المكافأة

وما إن ينتهي درسي حتى أصعدَ الى الشرفة حاملةً الى بابا وِسامي ودرجتي. وما كان أسعدني يومَ أستطيعُ ان أقول له: «حصلتُ على خمس درجات دون استثناء، وپولين هي الأولى التي قالت ذلك!...» فإني حينما كنت أسألكِ هل حصلتُ على خمس درجات دون استثناء، فتجيبينني: نعم، كان الأمر في نظري ينقص درجة. وكنتِ تمنحينني ايضاً نقاط علاوة؛ ولما كنت أجمع عدداً منها، كنتُ أحصل على مكافأة وعلى يوم عطلة. وأذكر أن تلك الايام [١٤ ي] كانت تبدو لي أطول من غيرها، الامر الذي كان يسرّك، لانه يُظهر أني لم أكن أميل الى البطالة. وبعد ظهر كل يوم كنت أقوم بنزهة مع بابا، فنزور القربان سوّيةً، كل يوم في كنيسة جديدة، وهكذا دخلتُ للمرة الأولى الى معبد دير الكرمل، فأراني أبي شَعْرِيَّة الخورس، وقال لي ان الراهبات وراءه. ولم يكن ليخطرَ ببالي أني سأكون بينهنَّ بعد تسع سنوات!...

١٠ ـ ألعاب الطفولة

وبعد النزهة (التي كان بابا خلالها يشتري لي دوماً هديَّةً صغيرة بقيمة فلس او فلسين)، كنت أعود الى البيت، فأعكفُ على فروضي، وأقضي باقي الوقت في القفز في الحديقة حول بابا، إذ اني ما كنت أعرفُ اللعب بالدمية. وكان جلّ فرحي في اعداد شراباتٍ من بزور الاشجار وقشورها التي ألتقطها على الأرض، وكنت أحملها الى والدي في كأس صغيرة جميلة، وكان هذا الوالد الصغير المسكين يتركُ عمله ويبتسمُ لي متظاهراً بشربها. وقبل إعادة الكأس إليّ، كان يسألني خِلسةً، هل ينبغي ان يرميَ محتواها، وكنت احياناً أقول: «نعم»؛ إلا اني، في أغلب الاحيان، كنت أستعيد شرابي النفيس، بغية تقديمه مراتٍ عديدة... وكنت أهوى العناية بالأزهار في الحديقة التي أعطانيها والدي، وألهو بإقامة مذابحَ صغيرة في التجويف الكائن وسطَ الجدار. ولما كنت أنتهي من

إعدادها، كنت أُسرعُ الى بابا وأجذبُه واقول له بأن يُغمض عينيه جيّداً، وبألا يفتحهما الا متى اقول له. وكان يُنجزُ كلَّ ما أقوله له، ويدَعُني أقودُه امام حديقتي الصغيرة، واذ ذاك أصرخ: «بابا، إفتحْ عينيك.» فيفتحهما [١٤ ش] ويقفُ مذهولاً، إرضاءً لي، مبدياً إعجابَه بما كنتُ أعتبره تحفةً فنية. ولو اردتُ أن آتي على ذكر ألوف الأحداث الصغيرة من هذا الطراز، والتي ما زالت تزدحمُ في ذاكرتي، لطالَ بي الكلام... آه، كيف لي ان أُعدِّد كل الالطاف التي كان بابا يغمرُ بها ملكته الصغيرة؟ فثمَّة أمور يشعر بها القلب، ويعجزُ الكلام وحتى الفكر عن التعبير عنها...

١١ – تأمل باكر

لقد كانت جميلةً في عينيَّ تلك الايامُ التي كان فيها مليكي العزيز يأخذني معه الى صيد السمك! كنتُ أحبّ الحقولَ والأزهار والطيور كثيراً، وأحيانا كنت أحاول الاصطيادَ بصنّارتي الصغيرة، غير أنني كنت أفضّل الجلوس وحدي على العشب الزاهر، فاستغرقُ في بحرٍ من الافكار؛ ودون ان أدري ماهية التأمل، كانت نفسي تغوصُ في صلاةٍ حقيقية. كنت أصغي الى الاصوات البعيدة... وكان أنينُ الريح، وحتى الموسيقى العسكرية الآتية اليَّ بنغماتٍ بعيدة، تبعثُ في قلبي كآبةً رقيقة... فتبدو لي الأرض مكان منفى، وأحلم بالسماء... وكانت فترةُ ما بعد الظهر تمرّ سريعاً، فلا نلبث ان نعود الى البويشُونيه. غير أني، قبل العودة، كنت أتناول الطعام الذي أحمله في سلّتي الصغيرة. ولكن الشطيرة الجميلة بالمربىَّ، التي كنتِ قد أَعددِتها لي، كان قد تغيّر منظرها: فبدلاً من لونها الزاهي، ما عدتُ ارى فيها سوى لونٍ وردي باهتٍ وغائر... وكانت الأرض عندها تبدو لي أشدَّ كآبة، فكنتُ أفهم ان الفرح لن يكون صافياً بلا غيوم الا في السماء فقط... وعلى ذكر الغيوم، يخطر ببالي انه ذات يوم اكفهرَّ وجهُ السماء الزرقاء الجميلة في القرية، وسرعانَ ما شرعتْ العاصفة تزمجر، والبروق تجوبُ الغيوم الداكنة، وقد رأيتُ الصاعقة تنقضّ على مسافة قريبة. ولم يخفْني ذلك ابداً، بل طار قلبي من الفرح، فقد بدا لي ان اللّه قريبٌ [١٥ي] مني كل القرب!... اما بابا، فلم يكن بمثل فرح ملكته الصغيرة، ليس لأن العاصفة أفزعته، بل لأن العشب والأقاحي الطويلة (وكانت أطول مني قامة) كانت تلتمع باللآلىء، وكان علينا أن نجتاز مروجاً عدة قبل بلوغ الطريق. فخاف والدي الصغير من أن تبلّل حباتُ الماس ابنته الصغيرة، فأخذها وحملها على ظهره، رغم حمله المثقل بمجموع الصنانير.

١٢ – قصة الفقير

وفي التنزهات التي كنتُ أقوم بها مع بابا، كان يطيبُ له أن أحملَ الصَدَقة الى الفقراء الذين كنا نلتقيهم. وقد رأينا ذات يوم واحداً منهم يجرّ نفسه بعناءٍ على عكّازين. فدنوت منه لأعطيه فلساً، ولكنه اذ اعتبر فقره أقلَّ من أن ينالَ به الصدقة، نظر اليّ بابتسامةٍ كئيبة، وأبى أن يأخذ ما كنت أقدّمُه له. ولا استطيع التعبير عما حصل في داخلي؛ كنت أودّ ان أعزّيه وأُهوّنَ عليه، لكن، عوضَ ذلك، ظننتُ اني سبَّبت له ألماً. ولا شك ان المريض المسكين قد أدرك افكاري، لأني رأيتُه يستديرُ ويبتسمُ لي. وفي ذلك الوقت كان بابا قد اشترى لي قطعةً من الحَلوى، وكنت شديدة الرغبة في إعطائه اياها، ولكنّي لم أجسر على ذلك. على أنني كنتُ أريد أن أعطيه شيئاً لا يستطيعُ رفضه، لأني كنت اشعر بعطفٍ كبير نحوه. واذ ذاك تذكرتُ قولاً سمعته أن المرء ينال يوم تناوله الأول كلَّ ما يطلبه. ففرَّجتْ هذه الفكرة عني. ومع كوني لم أتجاوز السادسة من عمري، فقد قلتُ في نفسي: «سأصلّي لاجل «فقيري» يوم تناولي الأول»! وأنجزتُ وعدي بعد خمس سنين. وارجو ان يكون اللّه قد استجاب لتلك الصلاة التي كان قد ألهمني بأن أرفعها اليه، لاجل احد أعضائه المتألمين...

١٣ – سريعة الغضب

[١٥ ش] كنت أحبّ اللّه حبّاً جمّاً، وغالباً ما كنتُ أعطيه قلبي مستعملةً العبارة الوجيزة التي كانت ماما قد علَّمتني اياها [٧]. ولكني في احد الايام، او بالأحرى في مساءِ يوم من شهر ايار الجميل، ارتكبتُ هفوةً جديرة بالذكر، أتاحت لي فرصةً كبرى لأتواضع. واعتقد أني ندمتُ عليها ندامةً كاملة. – كنت يومئذ أصغرَ من أن استطيعَ الذهاب الى الشهر المريمي، فكنت أمكثُ في البيت مع فيكتوار، [٨] وكنت أتمّم معها عباداتي، أمام مذبحي المريمي الصغير الذي رتَّبتُه على طريقتي، فكلّ شيء فيه كان صغيراً جداً: الشمعدانان والمزهريتان، وعُودَا كبريت بمثابة شمعتين كانا يكفيان لإنارته تماماً. واحياناً كانت فيكتوار تفاجئني بفضلَتَي شمعتين، ولكن ذلك كانَ نادراً. وذات مساء، كان كلُّ شيء مُعَدّاً لنقومَ بالصلاة، فقلت لها: «يا فيكتوار، هلاّ بدأتِ بصلاة «أذكري»،

(٧) العبارة هي: يا إلهي! أهب لك قلبي فخذه إن شئتَ، لئلا تمتلكه إحدى المخلوقات، بل انت وحدك يا يسوع (عن كتاب قصة عائلة ص ١٨٩ .Histoire d'une famille p. 189) (ش.ر.).

(٨) Victoire PASQUIER ، خادمة اسرة مرتان.

فها انا أوقد الشموع». فتظاهرتْ بالمباشرة بها، لكنَّها لم تقلْ شيئاً، ونظرتْ اليّ ضاحكة. وأنا، لدى رؤيتي عودَيَّ النادرين يحترقان سريعاً، توسّلتُ اليها ان تقيمَ الصلاة، ولكنها واصلتْ صمتها. فنهضتُ عندئذٍ وأخذتُ أقول لها بصوتٍ عالٍ إنها شريرة، وخرجتُ عن وداعتي المألوفة، وأخذتُ أضربُ الأرضَ برجليّ بكلِ قواي... ولم تكن فيكتوار المسكينة راغبةً في الضحك بعد ذلك، بل نظرتْ اليّ بذهول وأرتْني فضلاتِ شمعات جلبتها لي... وبعد أن ذرفتُ دموعَ الغضب، ذرفتُ دموعَ ندامةٍ صادقة، وانا عازمةٌ عزماً ثابتاً على الا أعودَ إلى ذلك ابداً!...

١٤ - انتقام سريع

ومرة اخرى جرى لي حادثٌ آخر مع فيكتوار، ولكن هذا لم أندم عليه، لانني كنت محافظةً على هدوئي التام. - كنت أبغي مَحْبَرةً كانت موضوعة فوق مدخنة المطبخ، واذ كنتُ أقصرَ من أن أصلَ اليها، طلبتُ بلطفٍ كبير من فيكتوار [١٦ ي] ان تناولني اياها. ولكنها أبتْ وقالت لي بأنْ أصعدَ فوق كرسي. فأخذتُ كرسيّاً دون أن أفوه بكلمة، ولكنّي كنتُ أفكر في أنها لم تكن لطيفة، واردتُ ان أجعلَها تشعرُ بذلك، فبحثت في رأسي الصغير عما كان يُغيظني أكثر، فوجدتُ انها غالباً ما كانت تسمّيني، وهي منزعجةٌ منّي: «يا صغيرةً مُزعجة»[٩]، الأمر الذي كان يُذلُّني كثيراً. فقبل ان أقفز عن كرسيّ، التفتُّ نحوها بجلالٍ وقلت لها: «يا فيكتوار، انتِ مزعجة!» ثم هربتُ تاركةً لها ان تتأمل الكلمةَ العميقة التي وجّهتُها اليها... والنتيجة جاءت على الفور، فسرعانَ ما سمعتُها تصرخ: «آنسة ماري، لقد قالت لي تريز بأني مزعجة». فاقبلتْ ماري واضطرتني الى طلب العفو منها. ولكني فعلت ذلك بدون ندامة، وفي ظنّي أن فيكتوار، اذ لم تشأ أن تمدّ ذراعها الطويلة لتؤدِّيَ لي خدمةً صغيرة، فهي، اذاً، تستحق لقب «المزعجة»...

١٥ - محبة متبادلة

ومع ذلك، فقد كانت تحبّني كثيراً، وانا ايضاً كنت أُبادلُها الحبّ. وقد أنقذتْني يوماً من خطرٍ جسيم تعرّضتُ له بغلطتي: كانت فيكتوار تكوي الثياب، وبجانبها سطلٌ فيه ماء، وكنت أنظر اليها وانا اتأرجحُ فوق كرسي، (حسب عادتي). فانزلَقتْ الكرسي بغتةً وسقطتُ، ليس على الأرض، بل في قعر السطل!!... ولامستْ رجلايَ رأسي،

(٩) Petite mioche.

وملأتُ السطل كما يملأ الصوصُ الصغير بيضته! ... وكانت فيكتوار المسكينة تنظرُ اليّ في غاية الانذهال، وهي لم ترَ ابداً مثل هذا الامر. وكان بوديّ ان أخرجَ في أسرع ما يكون من سطلي، ولكن الأمر استحالَ عليّ، اذ كان سجني من الضيق بحيث لا يتسنّى لي القيام بأية حركة. وبشيء من العناء أنقذتني من خطري الجسيم، ولكنها لم تُنقذ فسطاني وباقي ثيابي بحيث اضطرت الى تبديلها لي، لأني كنتِ مبلَّلةً جداً! ...

١٦ ـ أحداث الاربعاء

ومرة اخرى سقطتُ في المدخنة. ولحسن حظّي، لم تكن النارُ موقدة. [١٦ش] فما كان من فيكتوار سوى أنها أَنهضتني ونفضتْ عني الرماد الذي كان يغطّيني. وقد جرت هذه الاحداث كلّها يوم الأربعاء، بينما كنتِ انتِ في درس الترنيم مع ماري. وكان يوم أربعاء ايضاً، حينما اقبل الأب دوسلييه[١٠] لزيارتنا. ولما قالت له فيكتوار بأن ليس في البيت سوى تريز الصغيرة، دخل الى المطبخ ليراني ونظر الى فروضي. وكنتُ فخورةً جدّاً بأن استقبلَ معرّفي، اذ كنت قد اعترفتُ منذ وقتٍ قصير للمرة الأولى. وما اطيب هذه الذكرى على قلبي! ...

امّي المحبوبة! ما اعظم ما كان اعتناءُك بإعدادي، اذ قلتِ لي إني سأَعترف بخطاياي ليس لانسان بل للّه! واقتنعتُ بذلك كل الاقتناع، لذا قمتُ باعترافي بروح ايمانٍ عظيم، بل سألتكِ اذا كان يجب ان اقولَ للأب دوسلييه بأني أحبّه من كلّ قلبي، بما أني كنت اكلّم اللّه بشخصه...

١٧ ـ الاعتراف الاول

وبعد ان لُقِّنتُ جيّداً ما كان عليّ ان أقوله وأفعله، تقدّمتُ من منبر الاعتراف وجثوتُ على ركبتيّ. ولمّا فتح الاب دوسلييه شعريّة المنبر، لم يرَ احداً، لاني كنت من الصغر بحيث ظل رأسي دون المتكأ الذي يسند المعترفُ اليه يديه. عندها، قال لي بأن أظل واقفة. فأطعت في الحال، ووقفتُ والتفتّ اليه تماماً لكي أراه بوضوح. وقمتُ باعترافي مثل فتاةٍ كبيرة، ونلت بركته بخشوع كلّي، لأنكِ قلتِ لي بأن دموعَ يسوع الطفل ستطهّر نفسي في تلك اللحظة. وأذكر ان الارشاد الأول الذي وُجِّه اليّ دعاني خاصة الى التعبّد للعذراء القديسة. فوعدتُ نفسي بأن أُضاعف انعطافي نحوها. ولدى خروجي من منبر

---

(١٠) Mr. Ducellier هو نائب خوري في كتدرائية القديس بطرس في ليزيو (م).

الاعتراف، كنت جدّ مسرورة وخفيفة، حتى اني لم أشعر قط من قبلُ بمثل هذا الفرح في نفسي [١٧ ي]. ومنذئذ، عدتُ الى الاعتراف في جميع الاعياد الكبيرة، وكان لي ذلك بمثابة عيد حقيقي، كل مرة كنت أقوم به.

١٨ - الاعياد

الاعياد!... آه، كم من ذكريات تثير فيَّ هذه الكلمة.. كنت أحبّ الاعياد حبّاً جمّاً!... وكنتِ تعرفين كيف تُتقنينَ شرحك لي، يا امي الحبيبة، جميعَ الاسرار التي ينطوي عليها كلّ من هذه الاعياد. لقد كانت لي حقّاً اياماً سماوية. كنتُ احبّ خاصةً التطوافَ بالقربان المقدس. وما أعظم فرحي بنثر الزهور تحت قدميّ الرب!... لكني كنتُ أرميها الى اعلى ما كنت استطيع قبل أن أَدعَها تسقطُ على الارض. وما كان اشدَّ سعادتي عندما كنت أرى ورودي المنثورة تلامس الشعاع المقدس!...

١٩ - الآحاد

الاعياد!.. آه، ولئن كانت الكبيرة منها نادرة، فان كل اسبوع كان يوافينا بواحد منها عزيز جداً على قلبي: وهو يوم الاحد! يا له من نهار، نهار الاحد!... انه عيد اللّه وعيد الراحة. قبل كل شيء، كنت أظل في الفراش وقتاً اطول من الايام الاخرى، وكانت ماما پولين تدلّل ابنتها الصغيرة، فتجلب لها الشوكولا الى فراشها، وبعد ذلك، كانت تُلبسها مثل ملكة صغيرة... وكانت عرابتي تأتي وتجعّد شعرَ فليونتها التي لم تكن دوماً لطيفةً، حينما كانوا يسرّحون لها شعرها. ولكنها، بعد ذلك، كانت مسرورة جدّاً بأن تذهبَ وتُمسكَ بيد مليكها، الذي كان يقبّلها في ذلك اليوم بحنان يفوق حنانَ الايام الاخرى. ثم كانت العائلة تذهب الى القداس. وعلى طول الطريق، وحتى خلال القداس، كانت «ملكة بابا» الصغيرة تمسك بيده، ومكانها بجانبه. وحينما كنا نضطر الى النزول لسماع الوعظ، كان ينبغي ايضاً ايجاد كرسيَّين متجاورَين، ولم يكنْ الأمر عسيراً جداً، فالجميع كانوا يستلطفون رؤيةَ هذا الشيخ الجميل مع هذه الابنة الصغيرة، حتى ان الناس كانوا يتكلّفون لاعطاء امكنتهم لهما. اما خالي، الجالس على مقاعد الوكلاء[١١]، فكان يفرح كثيراً اذ يرانا مقبلَين، وكان يدعوني [١٧ ش] شعاعَ شمسه الصغير...

(١١) همَ علمانيّون في مجلس ادارة الرعيّة مكلّفون إدارة أملاك الرعية ومقتنَياتها (ش. ر.).

٢٠ - المواعظ

اما انا فلم اكن أهتمّ بنظرات الناس، بل أصغي بانتباهٍ الى المواعظ، التي لم أكن أفهمُ منها شيئاً كثيراً. وأول عظةٍ فهمتُها وأثَّرت فيّ تأثيراً عميقاً كانت عظةً عن آلام الرب، ألقاها الأب دوسلييه. ومنذئذ فهمتُ المواعظ الاخرى كلَّها. وحينما كان الواعظ يتكلّم على القديسة تريز (الكبيرة)، انعطف بابا اليّ، وقال لي همساً: «اسمعي جيداً، يا ملكتي الصغيرة، فالكلام على شفيعتك القديسة.» فكنت أصغي بانتباه، ولكنني كنت أنظر الى بابا اكثر منه الى الواعظ، اذ كان مُحيَّاه الجميل يعلّمني اموراً كثيرة! ... وكثيراً ما كانت عيناه تغرورقان بالدموع، فيحاول عبثاً حبسَها. وكان يبدو انه لم يعد متعلقاً بهذه الارض، بل كانت نفسه تحبّ الغوص في الحقائق الازلية ... إلا أن رحلته لم تكن بعد وشيكة الختام، وكان عليه ان يقضيَ سنين طويلة قبل ان تنفتحَ امام عينيه المدهوشتين ابوابُ السماء الجميلة، فيمسح الرب دموع عبده الصالح الامين! ...

٢١ - نزهات الاحد

واعود الى قضائي نهار الاحد. إن هذا النهار البهيج الذي كان يمرّ سريعاً، كان يتّسم ايضاً بمسحة من الكآبة. وأذكر ان سعادتي كانت دائماً صافيةً حتى صلاة فرض المساء. وفي اثناء هذه الصلاة، كنت افكر في ان نهار الراحة أوشك أن ينتهي ... وأنّ عليّ في الغد إن استأنفَ الحياة والعمل وتعلّم الدروس. وكان قلبي يحسّ بغربة هذه الارض ... كنت أتلهّف الى الراحة الابدية في السماء، ذلك الأحد الذي لا غروبَ له في الوطن! ... وحتى النزهات التي كنا نقوم بها قبل العودة الى البويسونيه كانت تتركُ في نفسي شعوراً بالحزن. ولم تكن العائلة اذ ذاك مكتملة، لأن بابا كان يتركُ ماري أو پولين [١٨ ي] عند خالي، إرضاءً له، مساء كل احد. مع العلم اني كنت في غاية الفرح حينما كنتُ امكث هناك أنا ايضاً. وكان ذلك احبَّ اليّ من أن اكون مدعوّةً وحدي، إذ كانوا عندها يُعيرونني انتباهاً اقل. وكنت أُسرُّ كثيراً بالاصغاء الى كلِّ ما يقوله خالي، على أني لم أكن ارغب في ان يطرح عليّ أسئلة، وكنت أخافُ كثيراً حينما يضعني على احدى ركبتيه مُنشداً بصوته المرعب أغنية «اللحية الزرقاء»[١٢] ...

(١٢) اسطورة رجل قتل زوجاته السبع بالتوالي وعلّق جثثهنّ في غرفة مظلمة وعهد بمفتاحها الى زوجته الثامنة اختباراً لأمانتها. وحينما خانت الامانة وفتحت الغرفة اراد «اللحية الزرقاء» قتلها، لكنها نجت من الموت بفضل اخويها اللذين اقبلا في اللحظة الاخيرة وقضيا على «اللحية الزرقاء» (م).

٢٢ - اسمي في السماء

وكنت عندها أترقّب بسرور مجيءَ بابا لكي يأخذنا. وفي طريق العودة كنت اتأمّل النجوم المتلألئة الهادئة، وكان المشهد يخلب لبّي ... وكانت هناك، على الأخص، مجموعةٌ من الجواهر الذهبية، وكنت ألاحظ كونها تأخذ الشكل الكبير لحرف التاء اللاتيني (وكان شكلها يشبه تقريباً: T ...)، وكنت أدلّ بابا عليه وأقول له إن اسمي مكتوبٌ في السماء. ثم، كمن لا يريد أن يرى شيئاً من الدنيا الحقيرة، كنت أطلب منه ان يقودَني، فلا أنظر الى موطىء قدميَّ، بل أرفع رأسي الصغير في الهواء لأتأمل دون كلل في القبة الزرقاء المرصعة بالنجوم ...

٢٣ - سهرات الشتاء

وماذا عساني اقول عن سهرات الشتاء، ولا سيما سهرات الاحد؟ فكم كان يطيب لي، بعد الفراغ من لعبة الدامة، ان أجلس مع پولين على ركبتَي بابا ! ... وكان يُنشد بصوته العذب أنغاماً تملأُ النفس بالأفكار العميقة ... او يُهدهدنا برفقٍ ويسرد مقطوعات شعريةً مُشبعَةً بالحقائق الازلية ... وبعد ذلك، كنا نصعد لتلاوة الصلاة معاً، والملكة الصغيرة وحدها بجانب ملكها. حسبُها ان تنظر اليه لتعرف كيف يصلّي القديسون ... واخيراً، كنا نأتي جميعاً، حسب تسلسل أعمارنا، ونتمنى لبابا ليلةً سعيدة، ونتلقّى منه قبلة. وكانت الملكة تصل طبعاً في الاخير، فيأخذها [١٨ ش] الملك من مرفقيها ليقبّلها، وهي تصيح بصوت عال: «مساء الخير يا بابا، ليلة سعيدة، نمْ هانئاً». وكانت هذه الحفلة تتكرّر كل مساء. وبعد ذلك، تحملني أميمتي بين ذراعيها وتأخذني الى سرير سيلين. فأقول لها عندئذ: «پولين، هل كنتُ لطيفةً في هذا اليوم، وهل سيرفرف الملائكة الصغار من حولي؟» فيأتي الجواب دوما: «نعم». ولو لم يكن الجواب كذلك، لأمضيتُ الليلةَ كلها ابكي. وبعد ان تقبّلني مع عرابتي العزيزة، كانت پولين تنزل ثانية، وتظل تريز الصغيرة المسكينة وحدها في الظلام. ومهما تخيَّلَت الملائكة الصغار مرفرفين حولها، فسرعانَ ما كان الفزعُ يستحوذ عليها وتُخيفُها الظلمات، لانها لم تكن ترى من سريرها النجوم المتلألئة برفق ...

٢٤ - تربية پولين

اني اعتبر نعمةً حقيقية أنكِ عوَّدتِني، يا امي الحبيبة، التغلّبَ على مخاوفي. فكنتِ احياناً ترسلينني وحدي في المساء لآتيَ بشيء من غرفة بعيدة. ولولا هذا التوجيه السديد، لصرتُ شديدةَ الخوف. اما الآن، فمن الصعب ان يُفزعَني شيء حقّاً ... وأسأل نفسي

احياناً كيف تسنَّى لكِ ان تربِّيني بهذا القدر من الحبّ والرقّة دون أن تُفسدي تربيتي. لانكِ، بصدقٍ، لم تكوني تتغاضَينَ عن أصغر هفوةٍ مني، ولم تؤنّبيني قط دون سبب، ولكنّك لم تتراجعي بتاتاً عن قرار كنتِ قد اتّخذته. وكنتُ اعرف ذلك تماماً، حتى إني لم أكن استطيع أو أشاء انْ أخطوَ خطوةً كنتِ قد منعتني عنها. وحتى والدي نفسه كان مضطراً الى الخضوع لإرادتك. فبدون موافقة پولين، لم أكن أذهب الى النزهة. ولمّا كان بابا يقول لي بأن أذهب معه، كنت أجيب: «پولين لا تريد.» [١٩ ي] واذ ذاك يأتي ويطلبُ السماح لي. واحياناً كانت پولين تقول «نعم» لإرضائه؛ الا ان تريز الصغيرة كانت تلاحظ جيّداً على وجهها ان ذلك لم يكن صادراً عن طيبة خاطر، فتأخذ بالبكاء ولا تقبل ايَّ تعزية، حتى تقول پولين «نعم» وتقبّلها عن طيبة خاطر.

٢٥ – امراض تريز

وحينما كانت تريز الصغيرة تُصاب بمرض، وهذا ما كان يحصل لها كل شتاء(١٣)، يتعذّر وصف الحنان الوالدي الذي كانت تُحاط به. فكانت پولين تُضجعها في سريرها (وهذا إنعام لا يُضاهَى!) وكانت تُعطيها كلّ ما كانت ترغبُ فيه. وذات يوم أخذت پولين من تحت الوسادة سكيناً صغيراً جميلاً خاصّاً بها وأعطته لابنتها الصغيرة، الامر الذي سبّب للأخيرة دهشةً لا توصف، فصرخت على أثره:

– آه، يا پولين، فانتِ، اذاً، تُحبّينني كثيراً حتى انكِ تحرمين نفسك من سكينك الصغير الجميل، الذي تزيّنه نجمة من اللؤلؤ؟... وبما انك تحبّينني الى هذا الحدّ، فهل تضحّين بساعتك لتمنعيني من الموت؟...»

فأجابت: «اني لأعطي ساعتي، ليس لمنعك من الموت فحسب، بل انا على استعداد للتضحية بها على الفور لأراك متعافيةً في اقرب وقت».

ولدى سماعي كلمات پولين هذه، صارت دهشتي وشكري من القوة بحيث إني عجزتُ عن التعبير عنهما... وفي الصيف، كان يصيبني احياناً ألمٌ في قلبي، فكانت پولين تعتني بي بحنان. ولكي ترفّه عني، وهذا كان خيرَ علاج لي، كانت تأخذني للنزهة في العربة حول البستان، ثم تنزلني وتضع مكاني غرسةً جميلة من الاقحوان، ثم تطوف بها باحتراسٍ كبير حتى تصل الى حديقتي الصغيرة حيث تحتلّ الغَرسةُ مكانها باحتفالٍ كبير...

(١٣) كانت تصاب بالزكام الذي يتطوّر غالباً الى التهاب القصبات، لكن الامر زال عنها تماماً (م).

٢٦ - مجد المختارين

وپولين، هي التي كانت تتلقّى كل أسراري الحميمة، وتبدّد شكوكي جميعها... وذات مرة، كنت استغرب من أن اللّه [١٩ ش] لا يعطي جميع المختارين في السماء مجداً متساوياً، وكنت أخافُ الا يكونوا جميعُهم سعداء. فطلبتْ اليّ پولين اذ ذاك أن اذهب وآتي بقدحِ بابا الكبير وان أضعه بجانب قدحي الصغير، وأن أملأهما ماء. ثم سألتني: أيهما أكثر امتلاءً بالماء؟. فقلتُ لها إن الاثنين مُترعان على السواء، ولا سبيلَ الى صبِّ نقطة اخرى فيهما اكثر مما يمكنهما احتواؤه. عندها أفهمتني امّي العزيزة ان اللّه في السماء يُعطي مختاريه ما يمكنهم حمله من المجد. وهكذا فلن يكونَ للأخير فيهم ما يحسُدُ عليه الأول بشيءٍ. بمثل هذه التعليقات، يا اماه، كنتِ تضعين في متناولي أسمى الاسرار، وبذلك كنتِ تعرفين كيف تمنحين نفسي الغذاء الضروري لها...

٢٧ - توزيع الجوائز

وما كان أشد فرحي كل سنة وانا أترقَّب موعد توزيع الجوائز!... فهناكَ، كما الحال دائماً، كانت العدالةُ مرعيةً، فلا انال الا المكافآت المستحقَّة. فأقِفُ وحدي، وسط هذا الحفل النبيل، وأسمع إصدارَ الحكم عليّ يتلوه «ملك فرنسا ونڤاريا»(١٤). وكان قلبي يخفقُ بشدة عندما اتلقّى الجوائز والتاج... وكان ذلك في نظري صورةً للدينونة!... وما إن ينتهي توزيع الجوائز، حتى تنزع الملكة الصغيرة ثوبها الابيض، ثم يسرعون في إلباسها لباس التنكّر لكي تشاركَ في العرض المسرحي الكبير.

آه! ما أبهج تلك الاعياد العائلية. وما كان أبعدَنـي يومها، وانا انظر الى ملكي الحبيب، عن ان أستشفَّ ما سيحلّ به من المحن الشداد!...

٢٨ - رؤيا خارقة

على ان اللّه أراني ذات يوم، في رؤيا خارقة(١٥) حقاً، صورةً حيّة للمحنة التي ارتضى أن يهيِّئها لنا سلفاً، وقد اصبحت كأسها مترعة.

كان بابا في سفر منذ ايام عديدة ولم تكن عودته منتظَرة [٢٠ ي] قبل انقضاء يومين آخرين. وكانت الساعة تقارب الثانية او الثالثة بعد الظهر، والشمس تنشر نورها الساطع،

---

(١٤) اي ملك فرنسا واسبانيا وهو اللقب الذي كانت تطلقه تريز على والدها المحبوب (م).
(١٥) هذه الرؤيا حدثت في وَضَحِ النهار في الصيف، والارجح في سنة ١٨٨٠ (م).

والطبيعة كلّها في عيد. وكنت انا وحدي عند نافذة مطلة على البستان الكبير، أنظر امامي، وخاطري مسرحٌ للأفكار الباسمة. فرأيتُ امام بيت الغسيل المواجه لي تماماً، رجلاً يرتدي ثياباً شبيهة كل الشبه بثياب بابا. وقامته مثل قامته، ومشيتُه كمشيته، ولكنه كان مقوّس الظهر أشدّ منه بكثير... ورأسه مغطّى[١٦] بما يشبه فوطةً ذات لون باهت، لم يسمح لي بأن أرى وجهه. وكانت على رأسه قبّعة تشبه قبّعات بابا. ورأيتُه يتقدّم بخطىً متّزنة بجانب حديقتي الصغيرة... فتملّكني حالاً خوفٌ يفوق الطبيعة، وفكّرتُ لحظة في انه بابا بلا شكّ، وقد عاد، وأنه يتخفّى لكي يفاجئني. فصرختُ عالياً بصوتٍ يرتجف تأثيراً: «بابا، بابا». وكأنما ذلك الشخص السرّي لم يسمعْني، فواصلَ سيره المتّزن لا يلوي على شيء. وتبعته بنظري، فرأيتُه يتوجّه نحو غابة صغيرة كانت تشطر الممرَّ الكبير شطرين. وكنت أتوقّع أن أراه يظهرُ ثانيةً من وراء الاشجار الكبيرة، ولكن الرؤيا النبوية كانت قد تلاشتْ!... كلّ ذلك لم يدُمْ سوى لحظة، ولكنّه انطبعَ بعمقٍ في قلبي، حتى إن ذكراه اليوم، بعد مضي خمس عشرة سنة، ما تزال عالقةً في ذهني، كما لو أنّ الرؤيا ما تزال امام عينيَّ...

٢٩ – سرّ الرؤيا

وكانت ماري بصحبتك، يا امّي، في غرفة متّصلة بتلك التي كنتُ فيها. وإذ سمعَتْني أنادي بابا، شعرتْ بنوعٍ من الهلع، وأحسَّتْ، كما قالت لي بعدئذ، بأن شيئاً خارقاً لا بدَّ يجري. فأسرعتْ اليّ من دون أن تدعَني ألاحظ انفعالها تسألني عما دهاني لأنادي بابا، وهو في آلنسون [٢٠ ش] فرويتُ لها ما رأيتُهُ لتوّي. ولكي تهدِّىءَ من روعي، قالت لي ماري إن فيكتوار بلا شك، هي التي أرادت ان تخيفَني، فغطتْ رأسها بمئزرها. وحينما سُئلتْ فيكتوار عن الأمر، أكّدت انها لم تغادر مطبخها، مع العلم أني كنتُ على يقين من أني رأيت رجلاً، وأنَّ شكله كان شكلَ بابا. فذهبنا ثلاثتنا الى خلف غابة الأشجار. وإذ لم نعثرْ على ايّ أثرٍ يُشير الى مرور أي شخصٍ هناك، قلتِ لي بأن لا أعود افكّر في ذلك...

٣٠ – محنة الوالد

ولم يكنْ باستطاعتي ألا أفكر فيه. فغالباً ما أعادت اليَّ مخيَّلتي ذلك المشهد

---

(١٦) تؤكد الاخت ماري لقلب يسوع أن أباها في بداية مرضه «كان يُرى احياناً كثيرة رأسه مغطّى» (م).

الغامض الذي رأيتُه... ولطالما حاولتُ نزعَ الحجاب الذي كان يُخفي معناه عني، لأني كنت مقتنعة، في أعماق قلبي، بأن لهذه الرؤيا معنىً سينكشفُ لي يوماً ما... ولقد طال انتظار ذلك اليوم، إذ ان الله، بعد ١٤ سنة، قد شقّ هو بنفسه هذا الحجاب السري؛ وذات يوم، كنت في إجازة مع الأخت ماري للقلب الاقدس نتجاذب، كالمعتاد، أطرافَ الحديث عن أمور الحياة الأخرى وعن ذكريات طفولتنا. فعندما ذكّرتُها بالرؤيا التي شاهدتُها بين السادسة والسابعة من عمري، وفجأة، لدى سرد تفاصيل ذلك المشهد الغريب، أدركنا معناه للحال... فالذي رأيته كان فعلاً بابا، وهو يتقدم مقوَّس الظهر من الهَرَم... أجل، كان هو نفسه يحملُ على وجهه الجليل وعلى رأسه المبيضّ علامةَ محنته المجيدة(١٧)... فكما حُجب وجهُ يسوع المعبود في أثناء آلامه، هكذا كان ينبغي ان يُحجبَ وجهُ خادمه الأمين في أيام آلامه، لكي يتسنّى له أن يُشعّ في الوطن السماوي بالقرب من سيّده، الكلمة الازلي!... فمِن غمرِ هذا المجد الذي لا يوصف، وهو يملك في السماء، قد نال لنا والدنا الحبيب نعمةَ إدراك الرؤيا [٢١ ي] التي حظيت بها ملكته الصغيرة في عمرٍ لا يطاوله الوهم! ومن وسط المجد نال لنا هذه التعزية العذبة بأن نفهم أن الله قد سبق وأظهر لنا محنتَنا الكبرى، قبل حصولها بعشر سنين، كما يُظهِرُ أبٌ لأولاده المستقبلَ المجيد الذي يُعدُّه لهم، ويسرُّه أن يرى مسبقاً الكنوز الفائقة التي ستكون من نصيبهم.

آه! لماذا منحني الله ذلك النور لي انا؟ ولماذا أظهر لطفلةٍ صغيرة أمراً لم يكن باستطاعتها ان تدركه، ولو انها فهمته لأماتها من الألم؟ لماذا؟... ان هذا لسرٌّ من تلك الاسرار التي سنفهمها، دون شك، في السماء، وتكون موضوع إعجابنا مدى الأبدية!...

٣١ – حبُّها لأبيها

فيا لجودة الله!... وكم أنه يناسب المحنَ مع القوى التي يهبُها لنا لاحتمالها، فإني، كما قلت، لم أكن أبداً لأقوى على ان أحتمل حتى فكرة الآلام المريرة التي كان المستقبل يخبّئها لي. ولم أكن أستطيع التفكير، دون رعدة، في ان بابا يمكن ان يموت... ففي أحد الايام، صعد الى أعلى سلّم، واذ كنت واقفة تحتها بالضبط، صرخ

(١٧) تلك المحنة كانت الشلل الدماغي الذي اوهى قوى السيد مرتان العقلية. وقد اضطره الى الاقامة في مستشفى للأمراض العقلية، مما سبَّب له ولبناته آلاماً مذلّة كثيرة (م).

بي وقال: «ابتعدي، يا صغيرتي، فإني، إذا سقطت، سأسحقُك.» ولدى سماعي ذلك، شعرتُ بثورةٍ داخلية، وعوض أن أبتعد عن السلم، التصقتُ بها وانا أفكر: «لو سقط بابا، فإني، على الاقل، لن أتألم لرؤيته يموت، بما أني سأموت معه!».

لا أستطيع التعبير عن مقدار حبّي لبابا، فكل ما فيه كان يُثير إعجابي. وعندما كان يشرح لي أفكاره (كما لو كنت فتاةً بالغة)، كنتُ اقول له بسذاجة: إنه من المؤكد لو تحدث بهذا الكلام [٢١ ش] الى زعماءِ الحكومة، لأخذوه وأقاموه ملكاً، فتحظى فرنسا بالسعادة كما لم تعهدْهُ في حياتها... ولكني كنت مسرورةً في داخلي، (وكنت ألوم نفسي على ذلك التفكير الاناني) بأن لا يكون ثمّة سواي من يعرف بابا جيّداً. فلو انه أصبح ملك فرنسا ونڤاريا، لعاشَ تعيساً، لأن ذلك هو مصير كلّ الملوك، وخاصة لأنه لن يكون، من بعدُ، ملكي أنا وحدي!...

٣٢ – تأثير البحر

كنت بين السادسة والسابعة من عمري، حينما أخذنا بابا الى تروفيل[١٨]. ولن أنسى ابداً تأثير البحر العظيم فيّ! فلم أكن استطيع ان أحوّلَ عنه نظري. فهيبتهُ وصخبُ امواجه، كلُّ ذلك كان يحدّث نفسيَ عن عظمة اللّه وقدرته. وأذكر أننا التقينا، في نزهتنا على الشاطىء، بسيّدٍ وسيّدة، نظرا اليّ وانا أركض حول بابا بفرح، ثم اقتربا وسألاه اذا كنت ابنته، وأضافا أنني ابنةٌ صغيرة لطيفة جداً. فأجابهما بابا أنني ابنته. ولكنّي لاحظت انه يوميء اليهما أن لا يمتدحاني... وكانت هذه المرة الأولى التي فيها سمعتُهم يقولون إنني لطيفة، وهذا ما أفعمني سروراً، لأني لم أكن اعتقد ذلك. اذ كنتِ، يا امي الحبيبة، تحرصين كل الحرص على ألا تدعي بقربي شيئاً من شأنه أن يشوّه براءتي، وعلى ألا تدعيني خاصة أسمعُ ايّة كلمةٍ يمكنها تسريبُ الغرور الى قلبي. وبما اني لم أكن انتبه إلا الى أقوالك واقوال ماري، وانتما لم توجّها اليَّ أَيَّ مديح، فلم أعلّق أية أهميّة على أقوال السيدة. [٢٢ ي] وفي المساء، في الوقت الذي كانت الشمس تبدو وكأنها تستحم في اتساع الأمواج، تاركة وراءَها ثَلْماً مشرقاً، ذهبت وجلست وحدي على صخرة مع پولين... وعندها تذكّرتُ قصة «درب الذهب» المؤثِّرة[١٩]... وتأملت طويلاً هذا الثلم

(١٨) Trouville في ١٨٧٨/٨/٨، وكان عمر تريز خمس سنوات وثمانية أشهر (م).

(١٩) قصة «درب الذهب» واردة في مجموعة قصص للسيدة بيلّوك Louise S. W. Belloc، وهي حلم رمزيّ لفتاة صغيرة تقود سفينتها في ثلم الذهب التي تتركه وراءها شمس المغيب (م).

المشرق، صورةَ النعمة التي تنير طريقاً ينبغي ان يسلكَها الزورقُ الصغير ذو الشراع الابيض الجميل... وبالقرب من پولين، عقدتُ العزم على ألا أُبعدَ نفسي ابداً عن نظر يسوع، لكي تُبحِرَ بسلامٍ نحو الوطن السماوي!...

٣٣ - خلاصة الطفولة

كانت حياتي تمّر هادئة وسعيدة، والمودّة التي كانت تلفُّني في البويسونيه كانت تساعدني على النمو. لكنّي، بلا شك، قد كبرتُ واصبحتُ أهلاً لكي ابدأ النضال، وأشرع في معرفة العالم وما يغمره من شقاء...

الفصل الثالث

سنوات أليمة (١٨٨١ - ١٨٨٣)

١ - في المدرسة الداخلية

كنت في الثامنة والنصف من عمري عندما غادرتْ ليوني المدرسة الداخلية، فحللتُ محلَّها في (مدرسة) الدير[(١)]. وطالما سمعتُ ان الوقت الذي يُمضيه المرءُ في المدرسة الداخلية هو خير الاوقات وأحلاها في الحياة. ولكن الامر لم يكن لي كذلك. فالسنوات الخمس التي قضيتُها فيها كانت أكثر سني حياتي كآبة. ولو لم تكن أختي العزيزة سيلين بصحبتي، لما استطعتُ البقاء هناك شهراً واحداً دون ان أُصابَ بالمرض... لان الزهرة الصغيرة المسكينة كانت قد اعتادت على غرز جذورها الهشّة في تربة مختارة، مهيّأة لها على الخصوص. لذا فقد شقَّ عليها ان ترى نفسها بين ازهار مختلفة الانواع، ذات جذور لا تتّسم غالباً بالرقّة، وأن تضطرّ الى أن تجد النسغَ الضروري لحياتها في أرض عامة.

٢ - حَسَد رفيقة

لقد أَجَدْتِ تعليمي، يا امّي الحبيبة، بحيث إني، لدى مجيئي الى المدرسة الداخلية، كنتُ المتقدمةَ على جميع الاولاد أترابي، فوُضعتُ [**٢٢ ش**] في صفٍّ تلميذاتٍ كلُّهنّ اكبر مني سناً. وبينهنّ فتاة عمرها بين ١٣ و١٤ سنة، كانت قليلة

(١) هي مدرسة داخليّة تديرها راهبات القديس مبارك. تأسست منذ مطلع القرن السادس عشر بالقرب من دير سيدة المرج في ليزيو (م).

الذكاء، وهي مع ذلك، تعرفُ كيف تسيطر على الطالبات، وحتى على المعلّمات. فلما رأتني دائماً الاولى في صفّي تقريباً، رغم صغر سنّي، وحبيبةَ جميع الراهبات، لا بد انها شعرت، من جرّاء ذلك، بحسدٍ يُغفَر لتلميذة داخلية، وجعلتني أدفع ثمن نجاحاتي الصغيرة، بألف شكل وشكل.

٣ - الاجتهاد والمكافآت

واذ كان من طبعي الخجل والرقةُ، فلم اكن أُحسِنُ الدفاعَ عن نفسي، بل كنت اكتفي بالبكاء، من دون ان اقول شيئاً. ولم اكن اشتكي ممّا أُعاني، حتى لكِ انتِ. ولم اكن على درجة كافية من الفضيلة تمكّنني من الترفع عن خسائس الحياة هذه، فكان قلبي الصغير يتألم أشدَّ الألم... على أني كنت، لحسن حظّي، أعود مساء كلِّ يوم الى المنزل الأبوي، فينشرح فؤادي، وأقفز على ركبتي ملكي، وأُطلعه على العلامات التي حُزتُها، فتُنسيني قبلتُه جميعَ أشجاني... وكم كان فرحي عظيماً حينما بشرّته بنتيجة مسابقتي الاولى (وكانت مسابقة في التاريخ المقدس). علامة واحدة كانت تنقصني لأحوزَ الدرجةَ القصوى، إذ إني لم اعرف اسم والد موسى. كنتُ الاولى، اذاً، وحصلتُ على وسام فضيٍّ جميل. وكافأني بابا بإعطائي قطعةً صغيرة جميلةً من أربعة فلوس، أودعتُها علبة معَّدةً لتَلقى كلَّ خميس، تقريباً، قطعةً جديدةً من الفئة نفسها (ومن هذه العلبة كنتُ آخذ في بعض الاعياد الكبرى، حينما كنت أريد أن أتصدَّق بمساهمة لصينية الكنيسة، سواء لأجل انتشار الايمان أم لمشاريع اخرى مماثلة). وكانت پولين في غاية الابتهاج بنجاح تلميذتها الصغيرة، فأهدت اليها [**٢٣ ي**] دولاباً جميلاً لكي تشجِّعها على مواصلة اجتهادها. اجل، لقد كانت الصغيرة المسكينة تحتاج حقّاً الى هذه الافراح العائلية، التي لولاها لأصبحت الحياة في المدرسة الداخلية قاسيةً جداً عليها.

٤ - ملل من الالعاب

كانت عطلتنا بعد ظهر كل خميس. لكنها لم تكن تشابه عُطَلَ پولين، لأني لم أكن أقضيها مع بابا على الشرفة... بل كان ينبغي عليّ ان ألعبَ، ليس مع سيلين التي كنتُ أُسرُّ بأن اكون بصحبتها وحدي، بل مع بنات خالي الصغيرات ومع بنات عائلة مودلوند[٢] الصغيرات. وكان الامر يشقّ عليّ حقاً، لأني لم أكن أُحسن اللعب مثل سائر الاولاد،

---

(٢) السيدة مودلوند Maudelonde (١٨٤٣ - ١٩٢٦) كانت اخت السيدة غيران ولها ولدان وثلاث بنات.

ولذلك لم أكن رفيقةً مستحبّة. إلا أني كنت أبذل جهدي لأقتدي بالأخريات دون ان أفلح. فكان المللُ يستحوذ عليّ كثيراً، لا سيما حينما كان علينا ان نقضي بعد الظهر كلّه في الرقص على المربَّعات. امرٌ وحيدٌ كان يسرّني وهو الذهاب الى حديقة النجمة [٣]؛ هناك كنت الاولى في كلّ شيء، فأقطف الازهار بكثرة، وأعرف كيف أختار أفضلها، مما كان يثير غيرة رفيقاتي الصغيرات...

٥ - ألعاب خاصة

أمر آخر أيضاً كان يسرّني، هو حينما كنت أبقى وحدي، صدفةً، مع الصغيرة ماري، فلا تجرّها سيلين مودلوند الى الالعاب الاعتيادية. اذ ذاك كانت تَترُكُ لي حريّةَ الاختيار، وكنت أختار لعبةً جديدة تماماً. واذا بماري وتريز تصبحان ناسكتَين ليس لهما سوى كوخٍ حقير وحقلِ قمحٍ صغير وبعض خُضارٍ. كانت حياتهما تنقضي في تأمُّلٍ لا ينقطع، اي إنّ احدى الناسكتين تحِلّ محلَ الاخرى في التأمّل، حينما تضطر هذه الأخيرة الى الاهتمام بالحياة العمليّة. كلُّ شيءٍ يتمّ باتفاق تام، وفي صمت وبتصرّفات رهبانية لدرجة أن كلَّ شيء كان كاملاً. وعندما كانت تأتي إمرأة خالي لتأخذنا الى النزهة، كنا نُواصل لعبتنا حتى في الشارع. فتتلو الناسكتان [**٢٣ش**] السُبحة سويَّة، مستخدمتين أصابعهما لكي لا تُظهرا تعبّدهما للجمهور الفضولي. ولقد اتفق يوماً أن صغرى الناسكتين عَرَتْها غفلة: فقد أصابت قطعةَ حلوى لعصرونيتها، وقبل ان تأكلها، رسمت اشارة صليب كبيرة، مما أضحك غرباءَ هذا الدهر...

٦ - صناديق التاجر

انا وماري كنا دوماً على رأي واحد، وكانت لنا ذات الاذواق، حتى تجاوز اتحاد ارادتينا مرة حدَّ المعقول. ففي ذات مساء، كنا عائدتين من مدرسة الدير، فقلت لماري: «قُوديني، فأنا سأُغمض عينيّ». فأجابتني: «وأنا أيضاً أريد أن أُغمضهما». وما ان قلنا ذلك حتى أَنجزناه وراحت كلٌّ منا تفعل ما ارادت دون نقاش... كنا نسير على رصيف، ولا خوفَ علينا من الغربات. وبعد مسيرة هانئة لبضع دقائق، فيها استمرأنا لذَّة السير بدون رؤية، سقطت الطائشتان الصغيرتان سويةً على صناديقَ موضوعةٍ عند مدخل مخزن، او بالاحرى، قلبتا الصناديق. فخرج التاجر غاضباً ليرتِّب بضاعته. اما المتعاميتان فقد نهضتا

---

(٣) حديقة بشكل نجمة غير بعيدة عن البويسونيّة (م).

لوحدهما وأخذتا في السير بخطىً سريعة، وأحداقهُما مفتوحةٌ جيّداً، وهما تسمعان توبيخات جانّ الصوابية، التي لم تكن أقلَّ غيظاً من التاجر! ... ولمعاقبتنا قرّرت ان تفصلَنا. ومنذ ذلك اليوم أخذت تسير ماري وسيلين سوية، بينما أنا أسير مع جانّ. وقد وضع هذا الاجراء حدّاً لاتحاد إرادتينا المفرط. ولم يلحق الأمر أيَّ ضرر بالكبيرتين اللتين، على العكس، لم تكونا قط على اتفاقٍ في الرأي بل كانتا تتشاجران طيلة الطريق. وهكذا ساد السلام التام.

٧ ـ علاقتها بسيلين

لم أقل الى الآن شيئاً عن علاقاتي الحميمة بسيلين. آه! [٢٤ ي] لو كان عليّ ان أقصّ كلَّ شيء، لما بلغت النهاية في حديثي! ...

وفي ليزيو تبدّلت الادوار: فقد اصبحت سيلين عفريتة صغيرة داهية، ولم تعد تريز سوى ابنة صغيرة وديعة، ولكنها بَؤوحٌ حتى الإفراط .. ولم يكن ذلك ليمنع سيلين وتريز من ان يتحابّا اكثر فاكثر. وكانت احياناً تدور بينهما نقاشاتٌ صغيرة، ولكنَّ الامر لم يكن خطراً، اذ كانتا في الحقيقة دوماً على رأي واحد. واستطيع القول إن اختي الصغيرة الحبيبة لم تسبِّب لي ايَّ كَدَر قط، بل كانت لي بمثابة شعاع الشمس، تُبهجني وتعزّيني دوماً... ومن ذا الذي يستطيع ان يصف بأية شجاعة كانت تدافع عني في مدرسة الدير حينما كنت أُتهَّم بأمرٍ ما؟ ... وقد كانت تعتني بصحّتي عنايةً فائقة، حتى إن ذلك كان يُزعجني احياناً. وما لم يكن ليزعجني قط هو رؤيتي إياها تصفُّ فرقةَ لُعَبنا الصغيرة كلَّها وتُلقي عليها الدروس كمعلّمة حاذقة. وكان يهمّها أن تكون بناتُها عاقلات، في حين أن بناتي يُطرَدن من الدرس بسبب سوء سلوكهنَّ... وكانت تُطلعني على كل الاشياء الجديدة التي تتعلّمها في صفّها، وهذا ما كان يروقني كثيراً، وكنتُ اعتبرها منبعَ علم. وقد تلقيتُ لقبَ «ابنة سيلين الصغيرة». ولهذا، فحينما كانت تغتاظ مني، كانت اكبر علامة لعدم رضاها بأن تقول لي: «انتِ، لستِ بعدُ ابنتي الصغيرة، انتهى الامر، وسأذكر ذلك دوماً! ...» فلم يكن بوسعي سوى البكاء مثل المجدلية، والتضرّع اليها لكي تعود فتعتبرني مثل ابنتها الصغيرة. وسرعان ما كانت تقبّلني وتعدني بألاّ تعودَ وتتذكّر شيئاً مما جرى! ... ولكي تعزّيني، كانت تتناول احدى لُعَبها [٢٤ ش] وتقول لها: «يا عزيزتي، قبّلي خالتك». وذات مرة كانت اللعبةُ مسارعةً الى تقبيلي بحنان حتى إنها أدخلت ذراعيها الصغيرتين في أنفي ... ولم تفعل سيلين ذلك تعمّداً، بل ظلّت تنظر اليّ مذهولة،

واللعبة متعلقة بأنفي! والخالة لم تتأخر طويلاً عن ردّ ملاطفات ابنة اختها المُفرطة في الحنان، وشرعت تضحكُ من كلّ قلبها لهذه الحادثة الفريدة.

٨ - تبادل الهدايا

والأدعى الى الفكاهة هو منظرنا حينما كنّا نذهب سوية الى السوق لشراء هدايانا لرأس السنة. فكنا نتخفّى الواحدة عن الاخرى. وكان في حوزة كلٍّ منا عشرة فلوس لننفقها، وعلينا ان نشتريَ على الاقل خمسة او ستة اشياء مختلفة، وكل منا كانت تحاول شراء أجمل الاشياء. وفي غمرة الفرح من مشترياتنا، كنا ننتظر بفارغ الصبر اليوم الاول من السنة، لكي يتسنّى لنا ان نتبادل هدايانا الرائعة. والتي كانت تستيقظ منا قبل الاخرى، تسارع الى تقديم التهاني للأخرى بالسنة الجديدة، ثم نتبادل الهدايا، وكلٌّ منا كانت تقف مدهوشةً امام الكنوز التي حازتْها بقيمة عشرة فلوس!...

٩ - افراحنا مشتركة

وكانت هذه الهدايا الصغيرة تُبهجنا تقريباً بقدر ما تبهجنا هدايا خالنا الجميلة، ولم يكن ذلك سوى بداية أفراحنا. ففي ذلك اليوم كنا نسرع الى لبس ثيابنا، وكلّ منا تتحفَّزُ لكي تقفز على عنق بابا. فما إن يخرج من غرفته حتى ترتفعَ صيحاتُ الفرح وترنّ في البيت كلّه. وكان هذا الوالد الصغير المسكين يبدو سعيداً لرؤيتنا على هذا السرور... أما الهدايا التي كانت ماري وپولين تقدِّمانها لبنتيهما الصغيرتين فلم تكن ذات قيمة كبيرة، ولكنها كانت تسبِّب لهما فرحاً كبيراً ايضاً... وذلك، لأننا لم نكن باردتين في هذا العمر، بل كانت نفسنا بكل طراوتها تتفتَّحُ مثل زهرة منتعشة بتلقِّي ندى الصباح... وكانت أكمامُنا تتمايل على ذات النسمات، وما كان يفرح او يحزن الواحدة [٢٥ ي] كان يُفرح أو يُحزن الاخرى. اجل، لقد كانت أفراحنا مشتركة، وهذا ما شعرت به بعمقٍ يوم تناول سيلين الحبيبة (٤) للمرّة الاولى. لم اكن أتردّد بعد الى الدير، إذ لم يكن لي من العمر سوى سبع سنين. ولكني حفظت في قلبي الذكرى العذبة جداً للإعداد الذي به هيأتِ سيلين، يا امي الحبيبة. فكنتِ كلَّ مساء تُجلسينها على ركبتيك وتحدّثينها عن العمل الجليل الذي كانت مُقدمةً عليه. وانا ايضاً كنتُ أصغي بشوقٍ حار الى هذا الاستعداد. ولكن غالباً ما كنت تُوعِزين اليَّ بالانصراف، لصغرَ سني. فكان قلبي يمتلىءُ حزناً، معتقدةً أن أربع سنوات ليست بالشيء الكثير استعداداً لاستقبال الله...

(٤) نهار الخميس في ١٣/٥/١٨٨٠؛ نلاحظ عودة تريز الى الوراء في سرد ذكرياتها (م).

١٠ – تناول سيلين

وفي ذات مساء، سمعتُكِ تقولين إنه، انطلاقاً من التناول الأول، يجب الابتداء بحياة جديدة. وقرّرتُ على الفور ألا انتظر ذلك اليوم، بل أن أبدأ حياةً جديدةً في الوقت نفسه مع سيلين... ولم أشعر قطّ بمثل ما شعرتُ به من المحبّة نحوها طيلة رياضتها التي دامت ثلاثة ايام. ولأول مرة في حياتي كنتُ بعيدةً عنها، ولم أرقُد في فراشها... وفي اليوم الاول نسيتُ أنها لن تعود، فاحتفظتُ لها بكمشةٍ من الكرز كان بابا قد اشتراها لي لآكلها معها. واذ لم أَرَها تأتي، حزنتُ حزناً بالغاً. فعزّاني بابا وقال لي إنه سيأخذني في الغد الى الدير لكي أرى اختي سيلين فأعطيها كمشةً اخرى من الكرز... اما يوم تناول سيلين الاول فقد ترك فيَّ انطباعاً شبيهاً بما أحدثه تناولي الاول: فعندما استيقظتُ صباحاً في السرير الكبير، شعرتُ بأني مغمورةٌ بالفرح. ولم اكن أتعب [٢٥ ش] من تكرار هذه الكلمات: «انه اليوم... لقد جاء اليوم العظيم...» وكأني انا التي كنت مُقدِمةً على تناولي الاول. وأظنّ اني تلقّيت في ذلك اليوم نعماً كبيرة، وإني أعتبره من اجمل ايام حياتي...

١١ – پولين تدخل الكرمل

لقد عدتُ قليلاً الى الوراء، لأستعيد هذه الذكرى العذبة الطيبة. وعليَّ الآن ان أتحدّث عن المحنة الأليمة التي جاءت تحطِّم قلب تريز الصغيرة، عندما انتزع يسوع منها أمَّها العزيزة پولين، وقد كانت تريز تكنّ لها محبّة رقيقة جداً!...

كنتُ قد صارحتُ پولين يوماً بأني راغبة في ان اكون ناسكة، وأن أذهبَ معها الى برّية بعيدة. فأجابتني ان رغبتي هي رغبتُها، وانها ستنتظرني ريثما اصبح كبيرة، للذهاب. لا شك ان قولها هذا لم يكن جدّياً، ولكن تريز الصغيرة اعتبرته كذلك. لذا كم كان حزنها شديداً لسماعها يوماً عزيزتها پولين تكلِّم ماري على دخولها الوشيك الى الكرمل... لم أكن اعرف ما هو الكرمل، انما فهمتُ أن پولين ستغادرُني لتدخل الدير، وأدركتُ أنها لن تنتظرني، وأني سأفقد امي الثانية!... آه! كيف يسعنُي أن أصف غصّة قلبي؟ وفي لحظة، تكشَّفتْ لي الحياة على حقيقتها. فحتى ذلك الحين، لم تظهر لي بهذه الكآبة. ولكنها الآن تبدّت لي بكلِّ واقعيتها، فرأيتُ أنها ليست سوى ألم وفراق متواصل. وذرفتُ دموعاً في غاية المرارة، لأني لم اكن أفهم بعدُ فرح التضحية. كنت ضعيفةً، ضعيفة الى درجة أني أحسبُ نعمة عظيمة كوني استطعتُ احتمال محنة كانت

تبدو فوق طاقتي! ... فلو اني أُطلعتُ برفقٍ على مغادرة عزيزتي پولين، لما كنت ربما تألمتُ بهذا المقدار. [٢٦ ي] ولكنني عرفت به فجأة فكان وكأن سيفاً طعنَ فؤادي ...

١٢ - دعوتها الى الكرمل

سأذكر دوماً، يا امي العزيزة، بأي قدرٍ من الحنان عزّيتني ... ثم شرحتِ لي حياةَ الكرمل التي بدتْ لي جميلةً جدّاً. وحينما استرجعتُ في فكري كلَّ ما قلتِه لي، شعرت بأن الكرمل هو البرية التي كان يُريد اللّه ان أذهب اليها ايضاً واختفي فيها .. شعرتُ بذلك بقوة حتى لم يبق لقلبي فيه أيُّ ارتياب: لم يكن ذلك حلمَ صبيّة تنجرفُ بسرعة، بل كان يقيناً بدعوة إلهية. فكنتُ أريد الذهاب الى الكرمل ليس لأجل پولين، بل لأجل يسوع وحده ... وفكرتُ في أمورٍ عديدة تعجزُ الكلمات عن الافصاح عنها، ولكنها خلّفتْ في نفسي سلاماً عظيماً.

١٣ - اول بوحٍ بدعوتها

وفي الغد، أَودعتُ پولين سرّي، فرأتْ في أشواقي تعبيراً عن ارادة السماء، وقالتْ لي بأني سأذهب معها قريباً لمقابلة الأم رئيسة الكرمل، وأنَّ عليَّ أن اقول لها ما يجعلني اللّه أشعر به ... واخترنا يومَ أحد لهذه الزيارة الرسمية، واستولى عليّ ارتباك كبير إذ علمتُ أن ماري غيران ستظلّ معي لأني كنتُ لا أزال صغيرة، لمشاهدة الكرمليات. ومع ذلك، فقد كان عليّ ان أجد وسيلةً لأن أبقى وحدي. وهذا ما عنَّ لخاطري: قلتُ لماري: بما أننا حظينا بمُقابلة الام الرئيسة، فينبغي لنا ان نتصرّف بلطف وتهذيب كبيرين، ولذلك علينا ان نكاشفَها بأسرارنا، بحيث تخرجُ الواحدة وتبقى الاخرى وحدها بالمناوبة. فصدّقت ماري كلامي، ورغم نفورها من كشف أسرارٍ لم تكن لديها، التقينا الأم ماري دي غونزاغ وحدنا، الواحدة تلو الاخرى [٢٦ش]. ولما سمعت الأم ماري دي غونزاغ مكاشفاتي الكبيرة، أيقنتْ بدعوتي، ولكنها قالت لي إنهن لا يقبلنَ طالباتٍ في التاسعة من عمرهنّ، وإن عليّ أن انتظر حتى أبلغَ سنَّ السادسة عشرة ... فأذعنتُ للامر، بالرغم من شوقي الشديد الى الدخول في اقرب وقت ممكن، والى الاحتفال بتناولي الاول يوم اتشاح پولين بالثوب الرهباني ... وفي ذلك اليوم تلقّيتُ المديح للمرة الثانية. فحينما جاءت الاخت تريز للقديس اوغسطين لرؤيتي، لم تكن تكفّ عن القول إني لطيفة. إلا أني لم أكن أبغي المجيءَ الى الكرمل لتلقّي المَدائح. لذا فإني، بعد المقابلة، لم أكفَّ عن الترديد للّه بأني كنت أريد أن اصبح كرملية لأجله وحده.

١٤ – الانتظار

وقد حاولتُ أن أفيد كثيراً من عزيزتي پولين خلال الاسابيع القليلة التي أَمضتْها أيضاً في العالم. فكنّا، انا وسيلين، نشتري لها كلَّ يوم قطعةً من الحلوى وسكاكر، ونحن نظنّ أنها، عن قريب، لن تتناول منها بعد الآن. كنا دوماً معها، لا نترك لها دقيقة من الراحة. واخيراً وافى اليوم الثاني من تشرين الاول / أكتوبر[٥]، يوم الدموع والبركات، يوم قطفَ فيه يسوع أولى زهراته، تلك التي أُعدَّتْ لتصيرَ أماً للواتي سيأتينَ ويلتحقنَ بها بعد سنين قليلة.

١٥ – ألم ودموع

ما زلت أرى الموضع الذي تلقّيتُ فيه القبلةَ الاخيرةَ من پولين. ثم ذهبتْ امرأة خالنا بنا جميعاً لسماع القداس. بينما ذهب بابا الى جبل الكرمل ليقدِّم ذبيحته الاولى... كانت العائلة كلّها تذرفُ الدموع. حتى إن الناس كانوا ينظرون الينا باستغراب ونحن داخلاتٌ الى الكنيسة. لكنني لم أعبأ بالأمر، ولم يحُلْ ذلك دون بكائي. واعتقدُ أنه لو انهار كلُّ شيء من حولي لما انتبهتُ الى ذلك قط، فكنتُ أنظر الى السماء الزرقاء الجميلة، وكنت أعجبُ كيف تستطيعُ الشمس أن تتلألأ [**٢٧ي**] بهذا السطوع، في حين ان نفسي غارقة في الكآبة!... قد ترين، يا امي العزيزة، أني مغاليةٌ في وصف ما شعرتُ به من الالم؟... فأنا اعرف جيداً انه ما كان ينبغي أن يكون الألم كبيراً الى هذا الحد، اذ كنتُ ارجو أن ألاقيك في الكرمل. إلا انّ نفسي كانت ايضاً بعيدةً عن النضج، وكان عليّ أن أجتاز بوتقاتٍ كثيرة قبل البلوغ الى الغاية المنشودة...

١٦ – آلام المقابلات

وكان الثاني من تشرين الاول / اكتوبر اليوم المعيّن للعودة الى مدرسة الدير، فترتّب عليّ الذهاب اليها رغم حزني العميق... وبعد الظهر أقبلتْ امرأة خالي لتذهبَ بنا الى الكرمل، ورأيت عزيزتي پولين من وراء الشعرية... آه! كم تألّمتُ في مُتحدَّث الكرمل هذا! وما دمتُ اكتب قصّةَ نفسي، عليّ أن أبوحَ بكلِّ شيء لأمي الغالية، وأقرّ بأن الآلام التي سبقتْ دخولها لم تكن شيئاً إزاء تلك التي أعقبتْها... فكنا نذهب مع العائلة، كل خميس، الى الكرمل. وانا المعتادة على التحدّث الى پولين من القلب الى القلب، أكاد

---

(٥) في ١٨٨٢/١٠/٢.

لا أحصل على دقيقتين او ثلاثة في نهاية المقابلة. وغنيٌ عن القول إني كنت اقضي هذا الوقتَ في البكاء، ثم أنصرف وقلبي يتمزّق حزناً... ولم أكن افهم انك، مراعاةً لامرأة خالي، كنتِ تفضّلين توجيهَ الكلام الى جانّ والى ماري بدل الكلام الى بناتك الصغيرات... لم اكن افهم ذلك، وكنتُ اقول في قرارة نفسي: «لقد فقدتُ پولين!!!». ومن المدهش كم ان عقلي اتّسع خلال الألم. اجل، لقد اتّسع الى حدّ أني لم ألبثْ أن أصابني المرض.

١٧ - ثقة بالعذراء

لا شك ان المرضَ الذي أصابني كان مصدرُه الشيطان. بالتأكيد، لقد غضبَ لدخولك الكرمل، فأراد ان ينتقمَ مني للضرر الذي كانت عائلتنا ستُلحقه به في المستقبل. وقد فاته [٢٧ ش] أن ملكة السماء الوديعة كانت تسهرُ على زهرتِها الصغيرة الضعيفة، وأنها كانت تبتسمُ لها من علوّ عرشها وتتهيّأ لتهدئة العاصفة في الوقت الذي كانت فيه زهرتها ستتحطّم تحطيماً لا جبرَ له.

١٨ - مرض شديد

في أواخر السنة، اصابني صداعٌ متواصل، ولكنني كنتُ أكاد لا أتألّم منه... وكنتُ استطيعُ متابعة دروسي، ولم يقلقْ احد عليّ. وقد دامتْ هذه الحالة حتى عيد القيامة سنة ١٨٨٣[٦]. وحينما ذهب بابا الى باريس بصحبة ماري وليوني، أخذتني امرأة خالي الى بيتها مع سيلين. وذاتَ مساء، وقد أخذني خالي معه، حدّثني عن ماما، وعن الذكريات الماضية، بعاطفة حنان أثّرتْ فيَ كثيراً، وأَسالتْ دموعي. وإذ ذاك قال لي إنني ذات شعور مرهف جدّاً، وإنه يلزَمني الكثير من التسلية، عزمَ مع زوجته على أن يُرَفِّهَ عنّا خلال عطلة عيد الفصح. وكان علينا في ذلك المساء أن نذهبَ الى النادي الكاثوليكي. إلا أن امرأة خالي رأتني متعبةً جداً، فأخذتني الى النوم. وعند نزعها ثيابي، غَشيتْني رعشةٌ غريبة، فظنّتْ امرأة خالي أن البردَ ينتابُني فلفَّتني بلُحُفٍ وبزجاجات دافئة. ولكن لم يُفلحْ شيء في التخفيف من رجَفَاني الذي دامَ طوال الليل تقريباً. ولدى عودة خالي من النادي الكاثوليكي مع بناته وسيلين، فوجىء مفاجأةً كبرى اذ وجدني على هذه الحال، التي اعتبرها حالة خطرةً جداً. الا انه لم يُفصِحْ عن ذلك، لئلا يُفزعَ امرأة خالي. وفي اليوم

---

(٦) في ٢٥ اذار/ مارس ١٨٨٣ وكان عمرها عشر سنوات (ش.ر.).

التالي، راجعَ الطبيب نوتا[٧] الذي حكمَ، مثل خالي، أن مرضي خطيرٌ جدّاً، وأنه لم تُصَبْ به قطّ طفلةٌ في مثل هذا العمر. فذُهل الجميع، واضطرتْ امرأة خالي الى إبقائي عندها، واعتنت بي عناية أمٍّ حقّة. وحينما عاد ابي مع اختيَّ الكبيرتين من باريس، استقبلتهم ايميه[٨] بوجهٍ يقطر كآبة، حتى ظنّت ماري [٢٨ ي] أنني قد مُتّ... إلا ان هذا المرض لم يكن للموت، بل كان بالاحرى، مثل مرض لعازر، لتمجيد اللّه... ولقد تمجّد اللّه فعلاً بالتسليم العجيب الذي أبداه ابي الصغير المسكين وكان قد اعتقد أن «ابنته الصغيرة ستصابُ بالجنون او انها سوف تموت»، وقد تمجّد ايضاً بتسليم ماري!... آه! لكم عانتْ بسببي... وكم انا مدينةٌ لها بالشكر على العناية التي بذلتْها لي بكلّ تجرّد... فكان قلبها يُملي عليها ما احتاج اليه، وقلبُ الأم أمهرُ بكثير من قلب طبيب، فهو يعرفُ كيف يكتشف ما يناسب مرضَ ولدها...

١٩ – يوم الاتشاح

اضطرّت ماري المسكينة هذه الى ان تأتيَ وتسكنَ في بيت خالي، اذ كان يستحيلُ نقلي آنذاك الى البويسّونيه. إلا أن موعد اتشاح پولين بالثوب الرهباني كان يقترب. وكانوا يتحاشَون التكلم عليه امامي، مخافة أن يُحزنوني لكوني لا استطيعُ الذهاب. أما انا فغالباً ما كنت أتحدّثُ عن ذلك، وأقول بأني سأكون في حالةٍ حسنةٍ تتيحُ لي الذهاب لمشاهدة عزيزتي پولين. – وفي الواقع، لم يشأ اللّه ان يحرِمني هذه التعزية، او انه، بالاحرى، اراد ان يعزّي خطّيبته الحبيبة التي تألمت كثيراً لمرض ابنتها الصغيرة... ولاحظتُ أن يسوع لا يريد ان يمتحنَ أولاده في يوم خطوبتهم، وأن هذا العيد ينبغي ان يكونَ بلا غيوم، واستباقاً لطعم أفراح الفردوس. ألم يسبَق له أن أظهرَ ذلك خمس مرات؟[٩]... فاستطعتُ، إذاً، ان أعانقَ امي الحبيبة وان أجلس على ركبتيها، وان أغمرها بملاطفاتي... لقد تمكنت من تأمّلها فاتنةً في حلّة خطوبتها الناصعة البياض... آه! لقد كان يوماً جميلاً وسط محنتي القاتمة، الا أنه انقضى سريعاً... فسرعانَ ما اضطررتُ الى ركوب العربة التي أقلّتني بعيداً عن پولين... بعيداً جدّاً عن كرملي

---

(٧) Notta وقد عاين ايضاً السيد مرتان في مرضه الاخير، بين ١٨٨٧ و١٨٨٩. ويبدو انه لم يكتشف سبب مرض تريز الأخير (م).

(٨) Aimée ROGER وهي طاهية لدى اسرة غيران (م).

(٩) إشارة الى اتشاح الاخوات مرتان بالثوب الرهباني (م).

الحبيب. ولما وصلتُ الى البويسُّونيه، [٢٨ ش] أضجعوني في سريري رغماً عني، لاني كنت اؤكّد أني قد شُفيتُ تماماً، وأني لست بحاجة الى العناية. على أنني، ويا للأسف، لم اكن إلا في بداية محنتي! ... ففي اليوم التالي، عاوَدَني المرض كسابق عهده، وأصبح من الخطورة، بحيثُ فُقد الامل من شفائي بعُرف الناس... ولا أدري كيف أصفُ داءً غريباً الى هذا الحد. وانا الآن على يقين أنه كان من عمل الشيطان[١٠]. إلا اني، بعد شفائي بمدة طويلة، ظننتُ أنْ قد تمارضتُ عمداً، وكان هذا الظنُّ استشهاداً حقيقياً لنفسي...

٢٠ - تبديد الشكوك

وقد بُحتُ بالامر لمأري التي طمأنتني، قدر مستطاعها، بلطفها المعتاد. وأفضيتُ به في الاعتراف، وهناك ايضاً حاول معرّفي ان يهدِّىء روعي، وقال لي إنه ليس من المستطاع أن يتظاهرَ المرءُ بالمرض الى الحدِّ الذي كنتُ فيه. واللّه تعالى الذي كان يُريد، بلا شك، ان يطهرّني وخصوصاً ان يُذلّني، تركني في هذا الاستشهاد الباطني الى حين دخولي الكرمل حيث بدّد ابونا الروحي[١١] جميعَ شكوكي، وكأنه انتزعها بيده. ومنذ ذلك الحين أنا أَنعمُ بهدوء تام.

٢١ - عوارض غريبة

وليس من الغريب أن أخشى كوني تظاهرتُ بالمرض، دون أن اكون مريضةً حقاً، لاني كنتُ أقول وأعملُ اموراً لا أفكّرُ فيها، وكنت أبدو في هذيانٍ يكادُ يكون مستمرّاً، وأتفوّهُ بألفاظٍ لا معنى لها. ومع ذلك أنا في يقين بأني لم أفقد وعيي لحظة واحدة... وغالباً ما كنتُ في إغماءٍ ظاهر، لا أقومُ بأية حركة ولو ضئيلة. وكنتُ، في حالتي هذه، سهلةَ الانقياد الى ما يُرادُ مني، حتى الى القتل. ومع ذلك كنتُ اسمع كلَّ ما يقال حولي، وما زلتُ أذكر كلَّ شيء... وقد جرى لي مرة، أن مكثتُ مدةً طويلة لا استطيعُ فيها فتحَ عينيّ، ثم أفتحُهما لحظةً حينما أكون وحدي...

---

(١٠) حسب رأي عائلة غيران والدكتور غيرال كان داء تريز عُصاباً Nevrose تبع ستة اشهر من القلق: عاشت في الانطباع بأن أمّها الثانية ستتركها فانتابتها حالة من التراجع نحو الطفولة طلباً للدلال مثل طفل (م).

(١١) هو الاب ألمير بيشون Almire PICHON اليسوعي (م).

٢٢ - خوف شديد

أظن ان الشيطان كان قد تلقّى سلطةً خارجيَّةً عليّ، ولكنه [٢٩ ي] لم يكن بوسعه الدنوُّ من نفسي ولا من فكري، إلا لكي يُثيرَ فيّ مخاوف شديدة جدّاً من بعض الاشياء، مثلاً من الأدوية البسيطة جدّاً التي كانوا يحاولون عبثاً أن يجعلوني أتقبّلها. ولكن، إذا كان اللّه قد سمح للشيطان بالدنوِّ مني، فإنه كان يُرسلُ اليّ ايضاً ملائكةً منظورين... فكانت ماري دوماً بجانب سريري تبذل لي العناية والتعزية بحنانِ أم، دون أن تُبديَ أقلَّ علامة تذمّر، بالرغم مما جشّمتُها من الأتعاب، إذ كنتُ لا أصبر ابداً الى أوان الذهاب لتناول الطعام مع بابا؛ فما كنتُ اكفّ عن مناداتها، طوال الوقت، الذي كانت تفارقني فيه، حتى إن فيكتوار التي كانت تحرسني، كانت تضطر احياناً إلى الذهاب واستدعاء عزيزتي «ماما»، كما كنتُ أدعوها. وكان بامكان ماري ان تخرج فقط للذهاب الى القداس او لزيارة پولين؛ عندها لم اكن اقول شيئاً...

٢٣ - رفض الزيارات

بهذا النحو من اللطف عاملني خالي وامرأته ايضاً. فكانت إمرأة خالي الصغيرة العزيزة تأتي كلّ يوم لرؤيتي، حاملةً اليَّ كثيراً من الهدايا الصغيرة. وقد جاء لزيارتي أيضاً اشخاص آخرون من أصدقاء العائلة. إلا اني كنتُ أناشدُ ماري أن تقول لهم اني لا أرغب في تلقّي الزيارات. إذ كنتُ أنزعجُ «عندما أرى اناساً جالسين حول سريري مثل صفّ البصل ينظرون اليَّ نظرتهم الى حيوان غريب». فالزيارة الوحيدة التي كنتُ أحبُّها هي زيارة خالي وزوجته.

٢٤ - محبة الاقرباء

ومنذ حلَّ بي هذا المرض، لا يسعُني أن أصفَ مقدار ازدياد حبِّي لهما. وقد فهمْتُ اكثر من ايِّ وقت آخر انهما لم يكونا نسيبيْن عاديَّين فحسب. آه! إن ابي الصغير المسكين كان على حقٍّ إذ كان يردّد علينا غالباً هذه الكلمات التي كتبتها الآن! وقد اختبرَ بعدئذ أنه لم يكن على ضلال في ذلك. ولا بدّ انه الآن يحمي ويبارك جميع الذين شملوه بعنايتهم، بكل تفانٍ. اما انا فما زلتُ أعيش في المنفى ولا أدري كيف أُظهرُ عرفاني بالجميل. وليست لي وسيلة للتفريج عن قلبي سوى أن اصلّي لاجل الاقارب الذين أحبّهم، الذين كانوا وما زالوا طيّبين جداً نحوي.

٢٥ - عناية ليوني

لقد كانت ليوني ايضاً لطيفةً جدّاً معي، تحاول أن ترِّفهَ عني قدرَ مستطاعها. اما انا فكنتُ أسبِّبُ لها احياناً بعض الكَدَر، لانها كانت تلاحظ انها لا تستطيعُ ان تحلّ محلَّ ماري بالقرب مني...

٢٦ - مكافأة الاخوات

اما حبيبتي سيلين، فأيَّ شيء لم تفعلْ في سبيل عزيزتها تريز؟... فعوض أن تذهب للتنزّه يوم الاحد، كانت تأتي وتحبس نفسها ساعاتٍ طويلة مع ابنة صغيرة مسكينة تبدو مثل غبيَّة. فما كان أحوجَها حقّاً [٢٩ ش] الى المحبّة لكي لا تتهرّبَ مني... آه! يا أخواتي الصغيرات الحبيبات، ما اكثر ما عانيتُنّ بسببي... فلم يسبِّبْ أحد لكنَّ هذا القدر من الألم مثلي، ولم يتلقَّ احد منكنَّ هذا القدر من الحبِّ مثلي... ولحسن حظّي اني سيسعُني الانتقامُ منكنّ في السماء! فان عريسي غنيٌّ جدّاً، وسأستقي من خزائن حبّه لكي أؤدّي لكنّ مائة ضعف عن كلِّ ما احتملتنَّ من الالآم بسببي...

٢٧ - أمل حياتي

وكانت تعزيتي الكبرى في مرضي ان أتلقَّى رسالةً من پولين... فكنتُ اقرأها وأُعيدُ قِراءَتها الى أن أحفظَها عن ظهر القلب... وقد أرسلتِ اليّ مرة، يا أميّ الحبيبة، ساعةً رمليةً وإحدى لعباتي وهي بثياب الكرملية. يتعذّر علي التعبير عن فرحتي... إلا ان خالي قد استاءَ لهذا الامر وقال إنه عوض دفعي الى التفكير في الكرمل، كان الأولى بهم ان يُبعدوا عني هذا التفكير. ولكنّي على العكس كنت أشعرُ بأن أملي في أن أصبح يوماً كرملية هو الذي كان يشدُّني الى الحياة... وكانت فرحتي بان اشتغل لپولين. فكنت أصنعُ لها أشغالاً صغيرة من الورق المقوّى. اما شغلي الاكبر فكان على ضَفرِ أكاليل من الاقحوان والبنفسج للعذراء مريم، إذ كنا في شهر ايار / مايو الجميل، والطبيعة بأسرها قد لبستْ أبهى حُلَلِها من الازهار، وهي تتدفّق بهجة؛ وحدها، الزهرة الصغيرة، كانت تعاني السقم، وقد بدتْ ذاويةً بلا أمل. ومع ذلك فقد كان لها شمسٌ مشرقة، وهذه الشمس كانت تمثال العذراء العجائبي الذي كان قد خاطب ماما مرّتين [١٢]. ولكم وجَّهت الزهرةُ الصغيرة كمَّها نحو ذلك الكوكب المبارك...

---

(١٢) لم يحدث ذلك سوى مرّة واحدة بشهادة الام انييس. «فبعد موت اختنا الصغيرة هيلين كانت

٢٨ ـ صلوات العائلة

وفي احد الأيام رأيتُ بابا يدخل غرفة ماري حيث كنتُ راقدة، فأعطاها عدَّة نقود ذهبية، ووجهه ينضح كآبة، وأوعزَ اليها أنْ تكتبَ الى باريس وتُوصي بإقامة قداديس في كنيسة سيدة الانتصارات، لكي تشفي ابنته الصغيرة المسكينة. آه، لكم تأثّرتُ اذ رأيت ايمانَ ملكي الحبيب وحبّه [٣٠ ي]! وكم تمنّيتُ لو تسنّى لي أن اقول له إني تعافيتُ. ولكنّي كنت قد سبَّبت له الكثير من الافراح الزائفة، ولم تكن رغائبي تقوى على إجتراح معجزة، وكان لا بد من معجزة لشفائي... اجل، كان لا بد من اعجوبةٍ. وتلك الاعجوبة أجرتْها سيدة الانتصارات. ففي يوم الاحد[١٣] (خلال تساعية القداديس)، خرجتْ ماري الى الحديقة تاركةً اياي برفقة ليوني وهي تقرأ بالقرب من النافذة. وبعد بضع دقائق، أخذتُ أنادي بصوت خافت: «ماما... ماما». واذ كانت ليوني معتادةً أن تسمع منّي دوماً هذا النداء، فهي لم تكترثْ لي. ودام الامر طويلاً. عندها ناديتُ بصوت أعلى، فعادتْ ماري، ورأيتها تدخلُ بكلِ وضوح، ولكني لا استطيع القول إني عرفتها؛ وتابعتُ مستمرَّة في ندائي بصوت أعلى: «ماما...». وكنت اتألم كثيراً من هذا العراك القسري الذي لا تفسيرَ له، وربما كانت ماري تتألمُ له أكثر مني. وبعد جهودٍ بذلَتْها بلا جدوى لكي تبيِّنَ لي أنها بالقرب مني، جثَتْ على ركبتيها بجانب سريري مع ليوني وسيلين، ثم التفتت الى العذراء القديسة، وضرعَتْ اليها بحرارةِ أمٍ تستمدُّ حياةَ ولدها. فنالت ماري ما كانتْ تبتغيه...

٢٩ ـ ابتسامة العذراء

وحينما لم تجدْ تريز الصغيرة المسكينة عوناً لها على الارض، التفتتْ هي ايضاً الى امِّها السماوية. والتمستْ منها من كلِّ قلبِها ان ترأفَ اخيراً بها... وبغتةً ظهرتْ لي العذراء القديسة جميلة، جميلة حتى إني لم اكن قد رأيتُ قطّ مثل هذا الجمال، وكان وجهها يتدفّق عذوبةً وحناناً لا يوصف. الا ان ما خرق أعماق نفسي كانت ابتسامةُ العذراء

والدتنا قلقة بشأن كذبة صغيرة اقترفتها الطفلة. وبينما كانت تصلّي عند تمثال العذراء القديسة، وهي تأسف لكونها لم تأخذها الى الاعتراف وتخشى ان تكون في المطهر – حسب اعتقادها – عندها سمعت هذه الكلمات: انها هنا، بجانبي» (م).

(١٣) كان يوم عيد العنصرة في ١٨٨٣/٥/١٣ وقد مضى على مرض تريز تسعة واربعون يوماً (م).

القديسة الخلابة. فتلاشتْ، عندها، جميع غمومي، وسالتْ دمعتان كبيرتان من مقلتيّ وتدحرجتا بصمتٍ على خديّ. لقد كانتا دمعتَي فرح لا تشوبُهُ شائبة...

ففكّرتُ: آه! إن العذراء قد ابتسمت لي، فكم انا سعيدة!... اجل! [٣٠ ش] لكنّي لن أبوحَ لأحد بذلك أبداً، مخافة أن أفقد سعادتي. ومن دون أيّ جهد، خفضتُ نظري، فرأيتُ ماري وهي ترنو اليَّ بحبّ. وكانت تبدو متأثّرة وكأنها تدركُ النعمةَ التي منحَتْها لي العذراءُ القديسة... آه! اني مدينةٌ لها ولصلواتها المؤثّرة بنعمة ابتسامة ملكة السماء. وحينما رأتني أحدّقُ في العذراء القديسة، قالت في نفسها: «لقد شُفيتْ تريز!». اجل، إن الزهرةَ الصغيرة ستولد لحياة جديدة، والشعاعُ النيّر الذي كان قد بعثَ فيها الدفءَ لن يُوقفَ إنعاماته من بعد. إنه لا يعمل فجأة، لكنه بلطفٍ وعذوبة أقامَ زهرته وأمدَّها بالقوّة بحيث انها بعد خمس سنين أخذتْ تتفتحُ على جبل الكرمل الخصيب.

٣٠ - كشف سر الاعجوبة

كانت ماري، كما ذكرتُ، قد أدركت أن العذراء القديسة منحتْني نعمةً خفية. فلما خلَتْ بي وسألتني عما كنت قد رأيته، لم أتمكن من مقاومة أسئلتها الرقيقة والملحّة كثيراً. وإذ دُهشتُ أن سرّي قد افتضحَ دون ان أكشفَه بنفسي، أفضيتُ به الى عزيزتي ماري بكل تفاصيله. لكن، للأسف، فإن سعادتي، كما كنتُ قد توقّعت، ما لبثْ أن تلاشَتْ وتحوّلت الى مرارة. وطيلة أربع سنوات، تحوّلت ذكرى هذه النعمة الفائقة الوصف، التي نلتُها، الى غمٍّ حقيقي لنفسي. ولم أستعدْ سعادتي الا عند قدمي سيدة الانتصارات، واذ ذاك أعيدَ اليَّ السلام بملئه التام... وسوف أتحدَّثُ، فيما بعد، عن هذه النعمة الثانية التي تلقَّيتها من العذراء القديسة.

٣١ - بداية الوساوس

اما الآن، فعليّ ان أقولَ لك، يا أمي الحبيبة، كيف تحوّلَ فرحي الى كآبة. فبعد ان سمعتْ ماري قصّةَ نعمتي البسيطة والصادقة، استأذنتْني في نقلها الى الكرمل. فلم يسعني ان أرفض... وفي زيارتي الاولى لهذا الكرمل العزيز، غمرَني الفرحُ لرؤية حبيبتي پولين بثوب العذراء القديسة [٣١ ي]. فما أعذب هذا الوقت لكلتينا!... وقد كانت لدينا أمورٌ كثيرة جدّاً نتحادث بها، حتى إني لم استطِع ان أقول شيئاً، لأن قلبي كان طافحاً... وكانت الام الطيّبة ماري دي غونزاغ هناك، هي ايضاً، تغمرني بشتى آيات المودّة. كما

اني رأيتُ أخواتٍ أخريات، وأمامهنَّ طُرحتْ عليّ اسئلة حول النعمة التي تلقّيتُها. فسألتني [ماري] هل كانت العذراء القديسة تحمل يسوع الطفل، او هل كان ثمّة نورٌ كثير، الخ... إن هذه الاسئلة أقلقتني وعذّبتني، ولم يكن بوسعي سوى أن اقول: «لقد بدَتْ لي العذراء القديسة رائعةَ الجمال... وقد رأيتُها تبتسمُ لي». فوجهها وحده هو الذي أثّرَ فيّ. واذ لاحظتُ ان الكرمليات يتصوّرنَ الامر على خلاف ما ذكرتُ (وكانت عذابات نفسي بشأن مرضي قد بدأت)، خُيّل إليّ اني كذبتُ... فبلا شك، لو أنني حفظت سرّي، اذا لكنتُ احتفظتُ بسعادتي. غير ان العذراء القديسة، قد سمحتْ بهذا العذاب لفائدة نفسي. اذ، لولا ذلك، لتسرّبَ الغرور الى قلبي. اما وقد أصبحَ الاذلال نصيبي، فما كنت أستطيعُ النظر الى ذاتي بدون ان أشعرَ بنفور عميق... آه! ان ما قاسيته من آلام، لن استطيع التعبير عنه الا في السماء!

الفصل الرابع: في المدرسة الداخلية
(١٨٨٣-١٨٨٦)

١ - اسمها الكرملي

وفي معرض كلامي على زيارتي للكرمليات، أتذكّر الزيارةَ الأولى التي قمتُ بها، بعد دخول پولين بفترة وجيزة. وقد نسيتُ أن أتكلم عليها فيما سبق. فهناك حدثٌ بسيط يجب ألا أتغاضى عنه. في صبيحة اليوم الذي كان عليَّ أن أذهب فيه إلى المتحدِّث، وبينما كنت أفكر، وأنا وحدي في سريري - لأني هناك كنتُ أقوم بأعمق تأمّلاتي، وعلى عكس عروس **نشيد الأناشيد**، كنتُ أجدُ هناك حبيبي على الدوام - فكّرت في ما سيكون اسمي في الكرمل. وكنتُ أعلم أن هناك راهبةً تدعى تريز ليسوع. لكن اسمي تريز الجميل، لا يمكن أن يُنزعَ مني. وفجأة فكّرتُ [**٣١ش**] في الطفل يسوع الذي كنتُ أحبّه كثيراً، وقلت لنفسي: «آه، ما أسعدني لو دُعيتُ تريز الطفل يسوع!» ولم أقل شيئاً في المتحدَّث عن الحلم الذي حلمتُه، وأنا في اليقظَةَ. غير أن الأم الطيبة ماري دي غونزاغ، لدى سؤالها الأخوات عن الاسم الذي يجب أن يُعطى لي، خطرَ ببالها أن تسمّيني بالاسم الذي حلمتُ به... فكان سروري عظيماً جداً، وبدا لي أن تواردَ الأفكار السعيد هذا إنما هو لطفٌ من ألطاف حبيبي الطفل يسوع.

٢ - طرائف الطفولة

ولقد نسيتُ أيضاً بعض تفاصيل صغيرة عن طفولتي، قبل دخولكِ الكرمل. فلم أكلّمكِ على حبّي للصور وللمطالعة ... مع أني، يا أمي الحبيبة، مَدينةٌ للصور الجميلة، التي كنتِ تُرينني إياها بمثابة مكافأة، بألذ الأفراح وأشدّ التأثيرات التي دفعتْني إلى ممارسة الفضيلة ... فكنتُ أنسى نفسي وأنا أنظرُ إليها الساعاتِ الطويلة. فإن زهرة السجين الإلهي الصغيرة [١] مثلًا، كانت توحي إليّ بأشياء كثيرة لدرجة أني كنتُ أبقى غارقةً فيها. وإذ كنتُ أرى اسم پولين مكتوباً تحت الزهرة الصغيرة، كنت أودّ لو كُتبَ اسمُ تريز أيضاً هناك، وكنت أقدّم ذاتي ليسوع لأكون زهرته الصغيرة ... إن كنت لا أحسن اللعب، فقد كنت أحبّ المطالعة كثيراً، حتى لأستطيع أن أقضي حياتي فيها. وكان لي، لحسن حظي، ملائكة على الأرض لإرشادي، فيختارون لي كتباً تسلّيني، وفي الوقت ذاته، تغذّي قلبي وعقلي. وكان عليَّ ألا أقضي في المطالعة إلا وقتاً محدوداً، الأمر الذي كان لي موضوعَ تضحياتٍ كبيرة، إذ يترتّب عليّ غالباً أن أقطع مطالعتي وسطَ أكثر المقاطع تشويقاً ... ولقد دام ميلي هذا إلى المطالعة حتى دخولي الكرمل. ويستحيل عليَّ أن أذكر عدد الكتب التي مرت بين يدي. إلا أن اللّه لم يسمح قط بأن أقرأ كتاباً واحداً من شأنه أن يُلحقَ الأذى بي. صحيح أني، لدى مطالعتي بعض قصص الفروسية، لم أكن أشعرُ دوماً لأول وهلة بواقع الحياة، إلا أن اللّه سرعان ما كان يجعلُني [**٣٢ ي**] أشعر بأن المجد الحقيقي هو ذاك الذي سيبقى للأبد، وليس من الضروري، لبلوغه، أن يقوم المرء بأعمال باهرة، بل عليه أن يختفي، وأن يمارسَ الفضيلة بحيث لا تعلمُ شماله ما تفعل يمينه (**متى** ٦/٣).

٣ - رغبة في القداسة

وهكذا، عند مطالعتي قصص الأعمال الوطنية التي قامت بها بطلاتٌ فرنسيات، لا سيما أعمال المكرّمة جان دارك[٢]، كنت أشتاقُ كثيراً إلى الاقتداء بهنَّ. فيخيّل إليَّ أني أشعرُ في داخلي بالحَرارة نفسها التي كانت تنعشهنَّ، وبالإلهام السماوي عينه. وإذ ذاك تلقّيتُ نعمةً اعتبرتُها دوماً من أعظم النعم في حياتي، لأني في ذلك العمر لم أكن أتلقّى أنواراً مثلما أنا مغمورة بها الآن. ففكرتُ في أني وُلدتُ للمجد. وأخذت أبحث عن

---

(١) صورة اهدتها اليها سيلين في ١٨٨٤/٥/٨ (م).

(٢) لم تُعلَن جانّ دارك مكرّمة إلا منذ ١٨٩٤/١/٢٧ (م).

وسيلة للبلوغ إليه. فألهمني اللّه المشاعرَ التي ذكرتُها قبل قليل. وأفهمَني أيضاً أن مجدي الخاص لن يتجلّى لأنظار المائتين، بل قوامه أن أصبحَ قديسةً كبيرة!!! ... وقد تبدو هذه الرغبة جريئة، إذا ما نظرنا إلى ما أنا عليه من الضعف والنقص، اني ما زلتُ عليه بعد سبع سنين أمضيتُها في الحياة الرهبانية. إلا أنّي أشعر دوماً بالثقة الجريئة نفسها في أن أصبح قديسة كبيرة، لأني لا أعتمد على استحقاقاتي، إذ ليس لي منها شيء، بل أضعُ رجائي بذاك الذي هو الفضيلة والقداسة بالذات. فهو وحده، برضاه عما أبذله من الجهود الطفيفة، سيرفعُني إليه. وإذ يغمرني باستحقاقاته اللامتناهية يصيّرني قديسة. ولم أكن أتصوّرُ حينذاك أن بلوغَ القداسة يتطلّب التألم كثيراً. ولكن اللّه ما عتَّم أن كشفَ لي ذلك إذ أرسل إليّ المحن التي رويتها سابقاً...

٤ ـ زيارة ألنسون

وعليّ الآن أن أتابعَ سردَ قصتي، من حيث توقفتُ عنده. ـ فبعد شفائي بثلاثة أشهر، ذهب بنا بابا في رحلة إلى ألنسون(٣). وكانت هذه المرة الأولى التي أعودُ فيها الى النسون [**٣٢ ش**]، وكان فرحي عظيماً حينما شاهدتُ الأمكنة التي انقضتْ فيها طفولتي، ولا سيما إذ تسنّى لي أن أصلّي على قبر ماما (٤) وأن أطلب إليها أن تحفظني دوماً ...

٥ ـ دخول العالم

لقد أنعم اللّه عليّ بأن لا أتعرّف العالمَ إلا بمقدار ما يكفي لكي أَحتقرَه وأبتعدَ عنه. ويسعُني القول إن دخولي الأول إلى العالم حدث خلال اقامتي في ألنسون. كلّ ما حولي كان فرحاً وسعادة، وكنتُ موضوعَ حفاوة ودلال وإعجاب؛ وبكلمة، لم تكن حياتي طيلة خمسة عشر يوماً إلا مزروعة بالأزهار. وأقرّ بأنه كان لتلك الحياة سحرُها لديّ. ولقد أصابت الحكمة بقولها: **إن سحرَ أباطيل العالم... يُغوي حتى العقل البعيد عن الشر** (**حكمة** ٤/١٢). ففي سن العاشرة يفتتنُ القلب بسهولة. لذا فإني أعتبر نعمةً كبيرة أني لم أبقَ في ألنسون. فأصدقاؤنا هناك كانوا يميلون إلى العالم بإفراط، وكانو يُجيدون التوفيق بين أفراح الأرض وخدمة اللّه، ولم يكونوا يفكّرون في الموت كفاية.

---

(٣) في آب / أغسطس ١٨٨٣.

(٤) نقل رُفات السيّدة مرتان الى ليزيو بعد وفاة زوجها (م).

ومع ذلك فإن الموت قد خطفَ عدداً كبيراً من الأشخاص الذين عرفتهم، من شبابٍ وأغنياء وسعداء!! ويطيبُ لي أن أعودَ بالفكر إلى الأماكن الساحرة التي عاشوا فيها، وأن أسألَ أين هم الآن، وماذا بقي لهم من القصور والحدائق التي رأيتُهم ينعمون فيها بمباهجِ الحياة؟... وأرى أن **كلّ شيء باطل وكآبة للروح تحت الشمس** (**جامعة** ٢/ ١١). وأن الخير الأوحد هو في أن يحبَّ الإنسان اللّه من كل قلبه وأن يكون ههنا فقيراً بالروح...

٦ - الاختيار الحرّ

لعلّ يسوع أراد أن يُطلعني على العالم، قبل الزيارة الأولى التي كان مزمعاً أن يقوم بها إليّ، لكي يتسنَّى لي أن أختارَ، بمزيد من الحرية، الطريقَ التي كان عليَّ أن أعِدَه بانتهاجها. لقد ظلّ زمان تناولي الأول منطبعاً في قلبي كذكرى لا تكدّرها الغيوم. ويخيّل إليّ أنه لم يكن بوسعي أن أتهيأ له بأفضل مما كنتُ عليه. وبارحتني آلامُ نفسي طيلةَ سنة تقريباً. وكان يسوعُ يريد أن يذيقَني أكملَ فرح ممكن في وادي الدموع هذا...

٧ - إعداد القلب

[**٣٣ ي**] تذكرين، يا أمي الحبيبة، الكتيّب الرائع الذي وضعته لي قبل تناولي الأول بثلاثة أشهر؟... فهو الذي ساعدني على إعداد قلبي بطريقةٍ متواصلة وسريعة. حتى لو كنتُ أُهيئُه منذ عهدٍ بعيد، إلا أنه كان من الضروري اعطاؤه اندفاعاً جديداً وفرشُه بأزهار جديدة، لكي يتسنَّى ليسوع أن يستطيبَ الاستراحةَ فيه... فكنت أقومُ كل يوم بممارسات عديدة كانت بمثابة أزهار. وكنت أقومُ أيضاً بعدد أوفر من أفعال الشوق التي دوّنتِها في كتيّبي لكل يوم. وكانت أفعال المحبّة هذه تشكّل براعمَ الأزهار...

٨ - تحضير للمناولة

وكنتِ، كلّ أسبوع، تكتبينَ إليّ رسالة صغيرة جميلة تملأُ نفسي بأفكار عميقة، وتساعدُني على ممارسة الفضيلة. وكانت تلك تعزيةً لابنتكِ الصغيرة المسكينة التي تقوم بتضحيةٍ كبيرة إذ ترضى بألّا يتمَّ إعدادُها كل مساء على ركبتيك، كما جرى الأمر لعزيزتها سيلين... فماري هي التي حلّتْ معي محلَّ پولين. فكنتُ أجلس على ركبتيها حيث أصغي بنهَم إلى ما تقوله لي. ويبدو لي أن قلبها الكبير والسخي كل السخاء كان يخترقني. وعلى غرارِ المحاربين الشهيرين الذين يعلّمون أولادهم مهنةَ السلاح، كانت تكلّمني على جهاد

الحياة وعلى السعفة التي تُعطى للظافرين ... وكانت ماري تحدّثني أيضاً عن الكنوز الخالدة التي يسهل جمعُها كل يوم، وعن شقاء من يجتازُ بها دون أن يكلّفَ نفسه عناءً فيمدّ يده لأخذها. ثم كانت تدلّني على الوسيلة التي بها أصبح قديسة، بالأمانة لأصغر الأمور. وقد أعطتني الورقة الصغيرة حول التخلّي، وكنت أتلذذ بالتأمل فيها ...

٩ - تأمّلها

للّه درّ عرّابتي العزيزة ما كان أَفصحَها! ولكم وددتُ ألّا أكون وحدي في سماع تعاليمها العميقة. وكنتُ أشعرُ بتأثّر كبير حتى انّي كنت أظنُّ في سُذاجتي أن أكبر الخطأة من شأنهم أن يتأثروا بها مثلي، وبتخلّيهم عن كنوزهم الفانية لن يعوزهم سوى اكتساب [٣٣ ش] كنوز السماء ... في ذلك الوقت، لم يكن أحد قد علّمني طريقة القيام بالتأمل، مع اني كنت شديدة الرغبة فيه. إلا أن ماري التي لمستْ فيَّ تقوى وافية، لم تأذنْ لي إلا بتلاوة صلواتي. وذات يوم، سألتني إحدى معلماتي في الدير عما كنتُ أفعله أيام العطلة، حينما أكون وحدي. فأجبتُها أني كنت أذهب وراءَ سريري، في فسحةٍ خالية، كان يسهل عليَّ حجبُها بالستار، وهناك «كنت أفكّر» - فقالت لي: «وفي مَ تفكرين»؟ - «إني أفكر في اللّه، وفي الحياة ... وفي الأبدية، والخلاصة اني أفكّر! ... فضحكت مني تلك الراهبة الطيّبة، كثيراً. وكان يطيبُ لها، فيما بعد، أن تذكّرني بالزمان الذي فيه كنت أفكّر وتسألني اذا كنتُ ما زلتُ أفكّر ... والآن، أفهم أني كنت أقوم بالتأمل من دون علمٍ مني، وأنَّ اللّه كان قد بدأ يعلّمني في الخفية.

١٠ - انتظار يسوع

لقد مرتْ سراعاً أشهرُ الاستعداد الثلاثة، ترتَّب عليّ بعدها الدخولُ مباشرةً في الرياضة[٥]، والتحوُّل إلى طالبةٍ داخلية فعلياً، فأنامُ في الدير. لا استطيع التعبيرَ عن الذكرى الحلوة التي خلَّفتْها فيَّ تلك الرياضة. وإذا كنتُ، في الحقيقة، قد تألمتُ كثيرا في المدرسة الداخلية، فقد عُوِّضتُ عن ذلك، بسخاءٍ، سعادةً لا توصف غمرتْني بها تلك الأيام التي قضيتُها في انتظار يسوع ... ولا أظن أنه يمكن تذوّقُ هذا الفرح خارج الجماعات الرهبانية. فكان عددُ الفتيات ضئيلاً، ومن السهل الاهتمام بكل واحدة منهنَّ على حدة، فكانت معلِّماتنا، في تلك الفترة، يُعنَيْنَ بنا عنايةً والدية حقّة.

(٥) دامت من ٤ الى ١٨٨٤/٥/٨.

١١ - ابنة مدلّلة

وكن ينشغلنَ بي أكثر منه بسائر الفتيات. ففي كلِّ مساء، كانت المعلّمة الأولى تأتي إليّ حاملةً مصباحها الصغير وتقبّلني في سريري، وتُظهرُ لي عطفاً كبيراً. وقلتُ لها [٣٤ ي]، ذات مساء، وأنا متأثرة بلطفها: إني سأستودعها سراً. وأخرجتُ بتحفّظٍ كتيّبي النفيس الذي كان تحت وسادتي، وأريتُها أياه، وعيناي تتهلّلان فرحاً... وفي الصباح كان يسرّني أن أرى جميع الطالبات ينهضنَ حسب التوقيت [٣٤ ي]، وأن أعمل مثلهنّ، إلا أني لم أكن معتادةً على القيام بهندامي لوحدي، ولم تكنْ ماري هناك لتجعّد شعري. ولهذا اضطررتُ أن أذهبَ بخجلٍ وأقدّم مشطي للمعلّمة المشرفة على غرفة اللبس. فأخذتْ هذه تضحكُ لرؤيتها ابنةً عمرها ١١ سنة لا تعرفُ أن تتدبَّر أمرها. ومع ذلك قامتْ بتمشيطي، ولكن ليس برقّة ماري؛ ورغم ذلك، لم أتجاسر على الصراخ، كما كان يحدث كلّ يوم بين يديّ عرابتي الرقيقتين. قد اختبرتُ خلال رياضتي أني كنت ابنةً مدلّلة ومحاطةً بعناية يندر أن يُحاط بها أحدٌ على وجه الأرض، لا سيّما بين البنات اللواتي فقدنَ أمهاتهن... وكانت ماري وليوني تأتيانِ كل يوم لمشاهدتي مع بابا الذي كان يغمرني بشتّى الألطاف. ولذا لم أتألم من الوحشة لكوني بعيدةً عن العائلة، ولم يحدُث لي ما يعكّر صفاءَ رياضتي الجميل.

١٢ - تقوى ظاهرة

كنت أُصغي بعظيم الانتباه إلى الإرشادات التي يلقيها علينا الأب دومان[٦]، وأكتب ملخّصها. أما خواطري، فلم أرد أن أدوِّنَ منها واحدة، لاعتقادي بأني سأتذكّرها جيّداً. وهذا ما حصل بالفعل. وسعادتي الكبرى كانت في ذهابي بصحبة الراهبات إلى صلوات الفرض كلِّها. وكنت أتميَّزُ بين رفيقاتي بصليبٍ كبير أَعطتْني أياه ليوني، وكنت أدسّه تحت نطاقي على غرار المرسلين. وهذا الصليب كان يُبهجُ الراهبات اللواتي كن يعتقدن أني، بذلك، أريد أن أحذوَ حذوَ أختي الكرملية... آه، إن أفكاري كانت تتجّه إليها، وكنت أعرف أن عزيزتي پولين هي في رياضة مثلي[٧]، لكي يهب لها يسوع ذاته، بل

(٦) DOMIN كان مرشد الراهبات البندكتيّات وعرف تريز في مدرستهنّ. وقد تكون ارشاداته سبباً في مرض الوساوس المخيف الذي اعتراها (م).

(٧) كانت پولين تستعد لنذرها في اليوم نفسه (م).

لكي تهبَ ذاتها ليسوع . لهذا ، كانت هذه العزلة التي أَمضيتُها في الانتظار، عزيزةً عليّ بنوع مزدوج . . .

١٣ - زيارة سيلين

أذكر أنهم أَخذوني ذات صباح إلى غرفة التمريض في الدير، لأني كنت أسعلُ كثيراً (فمنذ مرضي الأخير، كانت المعلمات يهتممنَ بي كثيراً. فلأَقلِّ صداع، أو إذا رأينني شاحبة الوجه [**٣٤ ش**] أكثر من المعتاد، كنَّ يُرسلنني لأستنشقَ الهواء أو أستريحَ في غرفة التمريض) . فرأيت عزيزتي سيلين داخلة، ولقد سُمحَ لها بأن تأتي لزيارتي، بالرغم من الرياضة، لكي تهدي إليّ صورةً أبهجتني كثيراً. لقد كانت صورة زهرة السجين الإلهي الصغيرة. آه، لكم سرّني أن أتلقّى هذا التذكار من يد سيلين! .. وما أكثر أفكار الحبّ التي خطرتْ لي بفضلها!...

١٤ - اتحاد تريز وپولين

وعشية اليوم الكبير تلقّيتُ الحلَّة للمرة الثانية، وقد ترك اعترافي العام في نفسي سلاماً عظيماً ولم يسمح اللّه بأن تُكدِّره أيةُ غيمة. وبعد الظهر استغفرتُ العائلة كلَّها التي جاءتْ لرؤيتي، إلا أني لم أستطع التحدّث إلا بدموعي، وذلك لشدّة تأثري . . . ولم تكن پولين هناك، ولكني كنت أحس أنها بقربي بالقلب، ولقد أرسلتْ إليّ صورةً جميلة مع ماري، ولم أكن أملّ من الإعجاب بها ومن حمل الجميع على الإعجاب بها! . . . وكنت قد كتبتُ إلى الأب بيشون الطيّب، ألتمسُ صلواته وأقول له أيضاً إني قريباً سأصبحُ كرملية، وعندها، سيكون هو مرشدي (وهذا ما حدث فعلًا بعد أربع سنوات، إذ إني كشفتُ له عن نفسي في الكرمل . . .). لقد أعطتني ماري رسالةً منه، وكنت سعيدةً حقاً! .. فجميعُ أسباب السعادة وافتني سويةً. وما سبّب لي المزيد من الابتهاج في رسالته، هذه الجملة: «غداً سأرتقي المذبح المقدّس لأجلكِ ولأجل أختك پولين!» وهكذا أصبحت پولين وتريز متّحدتَين أكثر فأكثر في ٨ أيار/ مايو، إذ يبدو أن يسوعَ كان يخلط بينهما، بفيضِ نعمه . . .

١٥ - اجمل الايام

أخيراً أقبلَ أجملُ الأيام! فما أروعَ تلك الذكريات التي خلَّفتها في نفسي أصغرُ التفاصيل في ذلك النهار السماوي! من النهوض البهيج عند الفجر إلى القبلات الرصينة

والرقيقة من معلماتي [٣٥ ي] ورفيقاتي الكبيرات... والغرفة الكبيرة الحافلة بالثياب الناصعة كالثلج وقد أخذتْ كلُّ بنت ترتدي منها بدورها... وخاصة الدخول إلى الكنيسة، وترنيمة النشيد في الصباح: «**يا مذبحاً مقدَّساً تحفّ به الملائكة!**»

١٦ - تفاصيل لا توصف

ولكنّي لا أريد التطرّق إلى التفاصيل. فهناك أمورٌ تفقدُ شذاها حالما تتعرّضُ للهواء. وهناك خواطر للنفس لا يمكن التعبير عنها بلغة الأرض من دون أن تفقدَ معناها السماوي العميق. إنها مثل تلك **الحصاة البيضاء التي ستُعطى للغالب، منقوش عليها اسم لا يعرفه إلا الذي يأخذه** (**رؤيا** ٢/١٧). آه، ما كان أطيبَها قبلة يسوع الأولى لنفسي!...

١٧ - قبلة الحبّ

لقد كانت قبلةَ الحب، وكنتُ أشعرُ بأني محبوبة، وكنت أقول أيضاً: «إني أحبُّك، وأهبُ لك نفسي مدى الدوام». لم يكن هناك مطالبُ ولا جهود ولا تضحيات. فمنذ أمد طويل تبادلَ يسوع وتريز الصغيرة المسكينة النظرات وتفاهما... وفي ذلك اليوم، لم يكن هناك نظرةٌ بل اندماج، فلم يعودا اثنين بعد، بل ضاعتْ تريز ضياعَ قطرة ماء في قلب المحيط، وبقي يسوعُ وحده، فكان السيّد والملك. ألم تطلبْ إليه تريز أن ينزعَ منها حرّيتها، لأن حرّيتها كانت تخيفها؟ وبما انها كانت تشعر بشدة ضعفها ووهنها فقد أرادت ان تتّحد بالقوة الإلهية إلى الأبد!... وكان فرحُها أعظمَ وأعمقَ من أن تستطيعَ حبسه، فسرعانَ ما فاضت منها دموعٌ لذيذة، أمام دهشة رفيقاتها، اللواتي تساءَلنَ، فيما بعد: «لماذا بكتْ إذاً؟ أما كان هناك ما يُزعجُها؟... - لا. إنما كان ذلك، بالأحرى، لأنها لم تَرَ والدتها بقربها، أو أختها الكرملية التي تحبُّها كثيراً». إن هؤلاء الرفيقات لم يفهمنَ أنَّ فرحَ السماء كلَّه إذا ما انصبَّ في قلب، فلا قِبلَ لذاك القلب المنفي على احتوائه دون أن يذرفَ الدموع... كلا، لم يكن غياب والدتي هو الذي يؤلمني يوم تناولي الأول؛ ألم تكنْ السماء [٣٥ ش] في نفسي؟ ألم تكنْ والدتي قد اتخذتْ لها مكاناً فيها منذ زمن طويل؟ فإذ كنتُ تلقَّيت زيارة يسوع، أتلقى، أيضاً، زيارة أمي الحبيبة التي كانت تباركني وتبتهجُ بسعادتي... كما أني لم أبكِ غيابَ پولين. ولا شك أني كنت فرحتُ لو رأيتُها بجانبي، إلا أني قد ارتضيتُ تلك التضحية منذ وقتٍ طويل. ففي هذا اليوم، كان الفرحُ وحده يملأ قلبي، وكنتُ متّحدة بها وهي تهبُ ذاتها نهائياً لذاك الذي كان يمنحُني ذاته بحبٍّ فائق!...

١٨ – تكريس للعذراء

وبعد الظهر، كان دوري بأن أتلوَ فعل التكريس للعذراء القديسة. وكان من الصواب أنْ أتكلّمَ نيابةً عن رفيقاتي إلى أمي السماوية، أنا التي حُرِمَتْ أمَّها الأرضية منذ حداثتها.. فأفرغتُ عصارةَ قلبي لأكلّمَها وأكرّسَ لها ذاتي، كطفلةٍ ترتمي بين ذراعي أمّها وتطلب إليها أن تسهرَ عليها. ويخيّلُ إليّ أن العذراء القديسة نظرتْ، بلا شك، إلى زهرتها الصغيرة وابتسمتْ لها. ألم تكن هي التي شفَتْها بابتسامةٍ ظاهرة؟ ألم تكن قد وضعت في كأس زهرتها الصغيرة إبنَها يسوع، زهرةَ الحقول وزنبقة الأودية (**نشيد ٢/١**)؟..

١٩ – لقاء پولين في الكرمل

وفي مساء ذلك اليوم الجميل، عدتُ إلى حضن عائلتي الأرضية. وقد عانقتُ في الصباح بعد القداس بابا وجميعَ أقاربي الأعزاء؛ ولكن عند المساء، كان الاجتماع الحقيقي، فأمسك بابا بيد ملكته الصغيرة وقصدَ دير الكرمل... فرأيتُ عندها أختي پولين وقد أصبحتْ عروسَ يسوع. رأيتُها بوشاحها الأبيض مثل وشاحي وبإكليلها من الورود... آه، لقد كان فرحي دون مرارة، وكنتُ أرجو الانضمامَ إليها عمّا قريب، وانتظارَ السماء معها!

٢٠ – يوم الفرح

لم أكن عديمة الإحساس في الاحتفال العائلي الذي أقيمَ مساء تناولي الأول، بل سررتُ سروراً عظيماً بالساعة الجميلة التي قدَّمَها لي مليكي. إلا أنّ فرحي كان هادئاً ولم يعكرْ شيٌ سلامَ نفسي الداخلي. وأخذتْني ماري معها في الليلة التي تلتْ ذلك النهار الجميل، لأن أكثر الأيام اشراقاً تعقُبُها ظلمات. أما يوم التناول الأول، الوحيد [**٣٦ ي**] والأبدي في السماء، فوحده لن يعروهُ غروب!...

٢١ – توق الى المناولة

وكان اليوم التالي لتناولي الأول يوماً جميلًا أيضاً، ولكنه اتَّسمَ بشيء من الكآبة. فالثيابُ الجميلة التي اشترتْها لي ماري، وجميعُ الهدايا التي تلقَّيتُها لم تكن لتملأَ قلبي؛ وما كان ليرضيني غيرُ يسوع وحده. وكنت أتوق إلى اللحظة التي سيُتاحُ لي فيها أن أتناوله مرة ثانية. وبعد شهر تقريباً من تناولي الأول ذهبت لأعترف بمناسبة عيد الصعود،

وتجاسرت فالتمستُ السماح لي بالتناول المقدس. وخلافاً لكل توقّع، فقد سمح لي الخوري بذلك، وأُسعِدتُ بذهابي وركوعي عند المائدة المقدسة بين بابا وماري. ما أطيب الذكرى التي حفظتُها من زيارة يسوع الثانية هذه! فقد سالتْ دموعي بعذوبة لا توصف. وكنت أردّد في قلبي بلا انقطاع كلمات القديس بولس: **لستُ أنا الحي، بل المسيح يحيا فيَّ** (**غل** ٢/٢٠) ... ومنذ ذلك التناول، ازداد شوقي أكثر فأكثر إلى تناول الله، وحصلتُ على السماح لي بذلك في جميع الأعياد الكبيرة. وفي عشية كلٍّ منها، كانت ماري تأخذني على ركبتيها وتهيّئني، كما فعلتْ لتناولي الأول. وأذكرُ أنها حدَّثتني مرةً عن الألم، وقالت لي إني قد لا أسير في هذا الدرب، بل سيحملُني الله دوماً مثل طفل صغير...

٢٢ - شوق الى الألم

وفي اليوم التالي لتناولي، تذكّرتُ كلمات ماري، وشعرتُ بأن شوقاً عظيماً إلى الألم يُولدُ في قلبي؛ وفي الوقت ذاته أيقنتُ في أعماق كياني أن يسوع كان يعدّ لي عدداً كبيراً من الصلبان، فشعرت بأنني مغمورةٌ بتعزيات عظيمة، حتى أني أعتبرها كواحدة من أكبر النعم في حياتي. فأصبح الألم هاجسي الحلو، وكنت مفتونةً بمحاسنه، دون أن أعرفها حقَّ المعرفة. فإلى ذلك الحين كنت أتألّم ... أتألّم من دون أن أُحبَّ الألم. ومنذ ذلك اليوم، شعرتُ [**٣٦ ش**] بحبٍّ حقيقيٍ له. وشعرت أيضاً بالشوق إلى أن لا أحبَّ إلا الله وحده، وألّا أجدَ فرحاً إلا فيه. وغالباً ما كنتُ أكرّر في تناولاتي أقوال الاقتداء بالمسيح هذه: «يا يسوع، أيتها العذوبة الفائقة، حوِّلْ لي إلى مرارة كلَّ تعزيات الأرض». وكانت هذه الصلاة تتدفّق من شفتيَّ بدون جهد ولا قسر. فيبدو لي أني كنتُ أكرّرُها لا ارادياً، بل مثل طفلٍ يُعيدُ الأقوال التي يلقّنه إياها صديقٌ حميم. وسأقولُ لكِ فيما بعد، يا أمي الحبيبة، كيف سُرَّ يسوع بأن يحقّق رغبتي، وكيف أصبح، هو وحده، عذوبتي الفائقة على الدوام. ولو حدَّثتُكِ عن ذلك الآن، لاضطررتُ إلى استباق زمن حياتي كفتاة شابة، فهناك أيضاً تفاصيلُ كثيرة ينبغي أن أُطلعكِ عليها حول حياة طفولتي.

٢٣ - زيارة الروح القدس

وبعد تناولي الأول بمدة وجيزة، دخلتُ الرياضة من جديد لقبول سر التثبيت. فتهيّأتُ بعنايةٍ كبرى لقبول زيارة الروح القدس، ولم أكن أفهمُ كيف لا نعير اهتماماً كبيراً تلقّي سرّ

المحبّة هذا. وكانت الرياضة السابقة للتثبيت تدومُ عادة يوماً واحداً. إلا أنه تعذّر على المونسنيور المجيء في اليوم المعيَّن، فتعزَّيت بقضائي يومين في الخلوة. ولتسليتنا، اقتادتْنا معلِّمتُنا إلى جبل كاسّان[٨]. وهناك قطفتُ ملءَ يديّ من الاقحوان الكبير لعيد الجسد. آه! ما كان أسعدَني! فاني مثل الرسل كنت أنتظرُ بسعادة زيارةَ الروح القدس... وامتلأتُ سروراً لكوني سأُضْحي بعد زمن يسير مسيحيةً كاملة، وخاصة أن جبيني سيُطبعُ إلى الأبد بصليبٍ سرّي يرسمه الأسقف حينما يمنحُ السر... وأخيراً جاء الوقتُ السعيد: لم أشعر بالريح العاصفة لدى حلول الروح القدس، بل بهذا النسيم اللطيف الذي سمع إيليا النبي حفيفَه على جبل حوريب... في ذلك اليوم تلقَّيتُ قوَّةً للتألم، لأن بعده بقليل، كان استشهاد [٣٧ ي] نفسي على وشكِ الابتداء. أما عرابتي فقد كانت عزيزتي الصغيرة ليوني، وقد بلغ منها التأثر حدّاً لم تستطع معه أن تمنعَ سيلَ دموعها طوال الاحتفال. وقد قبلتْ معي القربان المقدس، لأني حظيتُ، أيضاً، بسعادة الاتحاد بيسوع في ذلك اليوم الجميل.

٢٤ – مرح وهوايات

ولما انقضتْ هذه الأعياد الهانئة التي لا تُنسى، رجعتُ إلى حياتي العادية، أي وجب عليَّ ان أعود إلى حياتي كطالبةٍ داخلية، وقد كانت صعبة عليّ جدّاً. ففي ايام مناولتي الاولى، كنتُ أحبُّ الحياة مع بناتٍ من عمري، مفعماتٍ بإرادة صالحة، وقد صمّمنَ مثلي على ممارسة الفضيلة بجدّية. أما الآن فكان عليّ أن أخالطَ طالباتٍ من نوعٍ آخر، طائشاتٍ ينفرنَ من التقيّد بالنظام وهذا ما كان يجعلني تعيسةً جدّاً. كنتُ مرِحَةَ المزاج، ولكني لا أُجيدُ الألعاب الملائمة لعمري. فكنتُ غالباً، وقتَ الفُرَص، أتكّئُ على شجرة وأتأملُ المشهدَ، منصرفةً إلى أفكارٍ جدّية! وقد اخترعتُ لَعبةً أعجبتْني كثيراً، وهي أن أدفنَ العصافيرَ الصغيرة المسكينة، التي كنا نعثرُ عليها ميتةً تحت الأشجار. وكثيرٌ من الطالبات أَردنَ مساعدتي حتى أنّ مقبرتَنا أضحتْ جميلةً جداً، مزروعةً بالأشجار والأزهار المتناسبة مع حجم صغارنا المكتسين بالريش. وكنت أهوى ايضاً رواية قصص أخترعُها، حسبما تخطرُ على بالي، فتُحيطُ بي رفيقاتي بحماسة، وتنضمُّ أحياناً تلميذاتٌ كبيراتٌ إلى حلقة المستمعات. وكانت القصة ذاتُها تدومُ عدّة أيام، إذ كان يسرُّني أن أجعلَها

(٨) وهو تلة تقع وراء بستان الراهبات اللواتي أطلقن عليها اسم جبل كاسّان تيمُّناً بجبل كاسّينو في ايطاليا حيث أسّس القديس مبارك رهبانيته (م).

مشوّقةً أكثر فأكثر بمقدار ما ألاحظُ الانطباعات التي تخلّفُها، وتبدو ظاهرةً على وجوه رفيقاتي. ولكن سرعانَ ما حظَّرتْ المعلمةُ عليّ مواصلة مهنتي الخطابية، وفضّلتْ أن ترانا نلعبُ ونركضُ بدلًا من أن نخطب...

٢٥ - كنت الاولى

كنت أحفظُ بسهولة معاني الأشياء التي أتعلّمُها. أما حفظُها حرفياً فكان يشقُّ عليّ. لذلك كنت، في التعليم المسيحي، خلال السنة السابقة لتناولي الأول، استأذن [**٣٧ ش**] كل يوم تقريباً، لمذاكرة الدرس في أثناء الفرص. وقد كُلِّلتْ جهودي بالنجاح، فكنتُ دوماً الأولى. وإذا حدثَ أني فقدتُ مرتبتي بسبب كلمة واحدة نسيتُها، كان حزني يُترجمُ إلى دموع مريرة، فلا يدري الأب دومان كيف يهدِّئُها... كان راضياً عنّي كلّ الرضى (لا حينما كنت أبكي) ويدعوني مِلفانتَهُ الصغيرة لأني أُدعَى تريز. وذات مرة، لم تُفلحْ الطالبة التي تليني في إلقاء سؤال من التعليم المسيحي على رفيقتها. وعبثاً سأل الخوري جميعَ الطالبات، فأقبل إليّ وقال إنه سيرى هل أستحقُّ مرتبتي الأولى. وفي تواضعي العميق، لم أكن أتوقّعُ غير ذلك. فانتصبتُ واثقة وقلتُ ما طُلِبَ مني دون أيّة غلطة أمام تعجُّب الجميع...

٢٦ - تناقض الآراء

وبعد تناولي الأول استمرّت حماستي للتعليم المسيحي إلى حين خروجي من المدرسة الداخلية. وكنتُ ناجحةً تماماً في دروسي، والأولى فيها دائماً، تقريباً. وكان نجاحي الأكبر في مادتَيْ التاريخ والإنشاء. وكانت جميع معلماتي يعتبرنني طالبةً حادة الذكاء. إلا أن الأمرَ لم يكنْ كذلك في بيت خالي، حيث كانوا يعتبرونني جاهلةً صغيرة، لطيفةً وحلوةً وذات حكم صائب، ولكن عاجزة وخرقاء... إني لا أعجبُ من الرأي الذي كان لخالي وامرأة خالي فيّ؛ ولا شك في أنهما ما زالا عند هذا الرأي. فكنتُ لا أتكلم إلا نادراً جدّاً لفرطِ خجلي. وعند الكتابة لم يكن ما يغري في خطّي الشبيبة بخربشة الهرّ وإملائي الذي لم يكن بعيداً عن النطق الطبيعي... أما في الأعمال الأخرى الصغيرة، كالخياطة والتطريز وغيرهما، فكنت أنجحُ نجاحاً حسناً، حسب رغبة معلّماتي. إلا أن الطريقة الخرقاء والمُلْبِكة التي بها كنتُ أُمسكُ بشغلي كانت تبرّرُ رأيهم فيَّ. واعتبر ذلك نعمةً، لأن الله كان يريد قلبي [**٣٨ ي**] له وحده، فاستجابَ صلاتي من الآن: «وحوَّل لي تعزيات الأرض إلى مرارة». وقد كنت بأمسّ الحاجة إلى ذلك، ولا سيّما أني كنت

ميّالةً إلى التأثر بالمديح. فغالباً ما كانوا يمتدحون ذكاءَ الآخرين أمامي، أما ذكائي فلا. فاستخلصتُ من ذلك أني غير ذكيّة، ورضيتُ عن أن أراني محرومةً منه.

٢٧ - صدق واخلاص

إن قلبي الحساس والمحبّ كان سهلَ الانقياد، لو وجدَ قلباً قادراً على فهمه... فكنتُ أحاولُ أن أصادقَ بناتٍ صغيرات من عمري، لا سيما اثنتين منهنّ. فكنت أحبّهما وهما تحبّانني أيضاً بقدر استطاعتهما. ولكن، وأسفاه، ما أضيقَ قلبَ الخلائق وما أكثر تقلّبه!!!... فسرعانَ ما تحقّقتُ من أن محبّتي لم تكن متبادَلة. فقد اضطرتْ إحدى صديقتيَّ إلى العودة إلى أسرتها، ثم رجعتْ بعد بضعة أشهر. وفي غيابها فكّرت فيها وحافظتُ بحرصٍ على خاتمٍ صغير كانت قد أهدتْني إياه. وكان فرحي عظيماً برؤيتي رفيقتي من جديد. ولكنّي، للأسف، لم أحظَ منها إلا بنظرةٍ باردة... لم تلقَ محبّتي مُبادَلَة، وشعرت بذلك، فلم أستجدِ محبةً يرفضونَها عليّ. ولكنّ اللّه أَولاني قلباً أميناً، فإنْ أحبَّ بصدق، كانت محبّته دائمة. لذلك تابعتُ الصلاة لأجل رفيقتي، ومازلتُ أحبّها... وحينما رأيتُ سيلين تحبُّ إحدى معلّماتنا، أردتُ أن أحذوَ حذوها. إلا أني أخفقتُ في ذلك، لأني لم أعرفْ كيف أكتسبُ مودَّة الخلائق. ويا حبّذا ذلكَ الجهلُ، فقد جنَّبني شروراً كبيرة!...

٢٨ - حبّ الخلائق

وكم أشكرُ يسوع على أنه لم يُتِحْ لي أن أجدَ «في صداقات الأرض سوى المرارة». ومع قلبٍ مثل قلبي لكنتُ وقعتُ في الفخ وقُصَّ جناحيّ. فهل كان بوسعي، والحالة هذه، أن أطيرَ وأستريح (**مزمور ٥٤/٧**)؟. وكيف يتسنّى لقلبٍ منهمكٍ بحبِّ الخلائق أن يتّحدَ باللّه اتحاداً وثيقاً؟... أشعرُ بأن ذلك مستحيل؛ ودون أن أشربَ من الكأس المسمومة [**٣٨ ش**] المترعَة بحبِّ الخلائق المضطرم، أشعرُ بأني لستُ على ضلال. فقد رأيت نفوساً كثيرة غرَّها هذا البصيص الزائف، تطيرُ مثل فراشات مسكينة وتُحرقُ أجنحتَها، ثم تعودُ إلى النور الحقيقي والعذب، نور المحبة الذي منَحَها أجنحةً جديدة أكثر اشراقاً وخفةً، لكي تستطيعَ أن تطيرَ إلى يسوع، تلك النار الإلهية التي تُحرقُ ولا تُبيد (**خروج ٣/٢**). آه! إني أشعرُ بأن يسوع عرفَني أضعفَ من أن يعرِّضَني للتجربة، إذ لا ريبَ في اني كنتُ سأحترقُ بكلّيتي بالنور الخدّاع لو تلألأ

أمام عينيَّ ... فلم يحصل ذلك، ولم ألقَ سوى المرارة حيثُ الأنفس الأقوى تلاقي الفرح، وتتخلّى عنه بأمانتها. فلا فضلَ لي في عدم استسلامي إلى حبّ الخلائق، إذ إن رحمة اللّه العظيمة قد صانتْني منها!... وأُقِرُّ بأني لولاه، لسقطتُ تماماً حيثُ سقطت القديسة المجدلية. والكلام البعيد المرمى، الذي أَلقاهُ الرب إلى سمعان [الفريسي]، رنَّ في نفسي رنيناً عذباً... وأعرف أن **الذي يُغفَرُ له القليل، فإنه يُحِبُّ قليلاً** (**لوقا** ٧/٤٠-٤٧). بيد أني أعلم أيضاً أن يسوع قد غفرَ لي أكثر مما غفرَ للقديسة المجدلية؛ لقد غفر لي مُسبقاً فحفظَني من السقوط. آه! لكم أودّ الاعراب عما أشعرُ به في نفسي!...

٢٩ - الآب المحترس

وهوذا مثل يترجمُ فكري ببعض الوضوح. لنفترض أن ابنَ طبيبٍ ماهر عثرَ في طريقه بحجر أوقعَهُ، فانكسر أحدُ أطرافه في هذه السقطة. فسرعانَ ما يُهرَعُ إليه أبوه، ويُنهضُه بعطف، ويضمِّدُ جراحَه، مستخدماً لذلك كلَّ وسائل مهارته. اما ابنه الذي شُفيَ سريعاً فيُعربُ له عن شكره. لا ريب في أن هذا الولد مصيبٌ في حبِّ أبيه.

ولكني سأفترض أيضاً افتراضاً آخر: لما علمَ الأبُ أنَّ في طريق ابنه حجراً، اسرع الى امام ابنه ورفع الحجر من حيث لا يراه أحد. فمن المؤكّد أن هذا الابن، [**٣٩ي**] موضوعَ حنانه السبّاق، وهو لم **يعلم** بالمصيبة التي أَنقذَهُ منها أبوه، لن يُعربَ له عن شكره، وسيحبُّه أقلَّ مما لو كان شفاه... أما إذا علمَ بالخطر الذي نجا منه، أفلا يحبُّ أباهُ أكثر؟ في الحقيقة، أنا هي تلك الابنة موضوعُ حبِّ الأب المحترس، هذا الأب الذي لم يرسلْ كلمته ليفتديَ الأبرار بل الخاطئين. هو يريدُ أن أحبه لأنه غفرَ لي، ليس فقط كثيراً، بل كلَّ شيء. ولم ينتظر أن أحبّه كثيراً مثل المجدلية القديسة، بل أراد أن **أعرف** كيف أحبَّني حبّاً لا يُوصف، لكي أحبّه الآن حتى الجنون!... ولقد سمعتُ من يقول: إنه ما وُجدتْ نفسٌ طاهرة تحبُّ اللّه فوق ما تحبُّه نفسٌ تائبة. آه! ما أشدّ رغبتي في تكذيبِ هذا القول!...

٣٠ - مرض الوسواس

ألاحظ أني قد ابتعدت كثيراً عن موضوعي، لذلك أُسرعُ في العودة إليه. - ان السنة التي تلت تناولي الأول عبرت كلها تقريباً بدون أن تتعرّضَ نفسي لمحنٍ داخلية. لكن

خلال رياضتي لتناولي الثاني[٩]، رأيتُني عرضةً لداء الوسواس الوبيل... ولا يَفهم هذا الاستشهادَ حقَّ فهمه، إلا من اجتازه. ويتعذر عليَّ أن أصفَ ما عانيتُ منه طيلةَ سنة ونصف السنة... فقد تحولتْ جميع أفكاري وأعمالي، حتى أبسطُها، إلى موضوع قلق لي؛ وما كنتُ أشعر بالراحة الا متى أفضيتُ بها إلى ماري. وهذا أمر كان يكلّفني الكثير، إذ كنتُ أرى ذاتي مضطرةً إلى أن أبوحَ لها بالأفكار الغريبة التي كانت تُساورُني عنها بالذات. وما إن ألقي العبءَ عن كاهلي، حتى أذوقَ لحظةً من السلام. إلا أن هذا السلام كان يعبرُ كوميض البرق، فيعاودُ استشهادي من جديد. فما كان أعظم صبرَ عزيزتي ماري حتى تُصغي إليّ [**٣٩ ش**] دوماً دون أن تُبدي أيَّ ضجر!... وما إن أعودُ من مدرسة الدير، حتى تبدأ بتجعيد شعري للغد (فشعر الملكة الصغيرة كان مُجَعَّداً كل يوم، إرضاءً لبابا، وهذا ما كان يُثيرُ دهشةَ رفيقاتها وخصوصاً معلّماتها اللواتي لم يرين بناتٍ يدلّلهنّ ذووهنّ بهذا الشكل). وخلال العملية كنتُ لا أكفّ عن البكاء وأنا أروي وساوسي. وفي نهاية السنة، أنهتْ سيلين دروسها وعادتْ إلى البيت. أما تريز المسكينة، فاضطرتْ إلى العودة إلى المدرسة وحدها. ولكنها سرعانَ ما أصابها المرض، لأن اللذة الوحيدة التي كانت تُبقيها في المدرسة الداخلية كانت في ألا تنفصل عن سيلين؛ فبدونها لم تستطع «ابنتها الصغيرة» البقاء في المدرسة قط...

٣١ - في منزل باپينو

فخرجتُ إذاً من مدرسة الدير وأنا في الثالثة عشرة من عمري، وأكملتُ تربيتي أتلقّى عدَّة دروس في الأسبوع على يد السيدة پاپينو[١٠]. لقد كانت سيدةً فاضلة، ذات ثقافة عالية، لكنَّ تصرّفاتها تصرفاتُ عانس. فكانت تعيش بصحبة والدتها. وكان يطيبُ للمرء أن يشاهد هذه العائلة المكوّنة من ثلاثة أفراد (لأن القطّة كانت جزءاً من العائلة، وكان عليَّ أن أحتملَ قرقرتها على دفاتري وأن أُعجَبَ بشكلها). كنتُ محظيةً بأن أعيشَ في إلفة العائلة. وبسبب بُعد البويسّونيه، وهذا ما لا تتحمّله قدما معلّمتي العاجزتين، طلبتْ أن آتي وأتلقَّى الدروس في بيتها. ولدى وصولي إليه، ما كنت أجد عادةً سوى السيدة العجوز كوشان التي كانت ترمقُني بعينيها الكبيرتين الصافيتين، ثم تنادي بصوت هادئ مفخَّم: «يا سيدة پاپينو، ان الآ...نسة تر...يز قد حضرتْ!» وكانت ابنتها تجيبها على

(٩) من ٢٧ الى ٣٠ ايار/مايو ١٨٨٥.
(١٠) PAPINEAU سيدة بعمر ٥١ سنة. ويبدو ان تسلسل الدروس كان مَرِناً (م).

الفور بصوت طفولي: «أنا آتية، يا ماما». وسرعانَ ما كان الدرسُ يبتدئ. وقد أفادتني تلك الدروس، (بالاضافة إلى التربية التي كنت أتلقّاها فيها) معرفةً بالناس... مَنْ يمكنه تصديقُ ذلك!... ففي تلك الغرفة المفروشة على الطراز القديم، والمليئة بالكتب والدفاتر، غالباً ما شهدتُ [٤٠ ي] زيارات متنوعةً من كهنة وسيّدات وشابات، إلخ... وكانت السيدة كوشان تلتزمُ الحديث اليهم قدرَ المستطاع، لكي تتيح لابنتها أن تلقيَ عليَّ الدرس. على أني في مثل تلك الأيام، لم أكن أتعلّم شيئاً كثيراً. إذ كان نظري في الكتاب، لكنّي كنت أسمعُ كلَّ ما يقال، وحتى ما كان الأولى بي أن لا أسمعَه، لأن الغرور ينساب إلى القلب سريعاً!... فكانت إحدى السيّدات تقول إن شَعري جميل؛ وتسأل الأخرى، وهي خارجة، ظنّاً منها أنه لم يسمعْها أحد: مَنْ هي تلك الفتاةُ الرائعة الجمال؟ وكانت هذه الكلمات المثيرة للزهو، لا سيّما وأنها لم تكن تُقال أمامي، تخلّفُ في نفسي شعوراً باللذة يبيّنُ لي بوضوح مقدارَ امتلائي بالأنانية. آه، كم أُشفقُ على النفوس التي تسير نحو الهلاك!... فما أسهلَ الضلال في سبل العالم الزاهية! أمّا النفسُ المترفِّعة بعض الشيء، فلا غروَ أنها تجدُ حلاوة الدنيا ممزوجةً بمرارة، وأن الفراغ السحيق التي تخلقه الرغبات لا يمكن أن تملأهُ تقاريظُ لحظةٍ عابرة... وماذا كان حلَّ بي لو لم يرتفعْ قلبي إلى الله منذ يقظته، ولو أن العالم ابتسمَ لي منذ دخولي الحياة؟ فبأيِّ شكرٍ، يا أمّي الحبيبة، أشيد بمراحم الرب!... ألم يحقِّقْ فيَّ ما جاء في سفر الحكمة، **خطفني من العالم لكي لا يُفسِدَ عقلي بمكره، ولا يُطغي نفسي بمظاهره الخلابة؟ (حكمة ٤/١١)**... وكانتْ العذراء القديسة أيضاً تسهرُ على زهرتها الصغيرة وتأبى أن يتكدّر صفاؤها باحتكاكها بأمور الأرض، فاجتذبتْها إلى جَبلِها[١١] قبل أن تتفتّح... وريثما يحينُ هذا الوقت السعيد، كانت تريز الصغيرة تنمو في حبِّ أمها السماوية. ولكي تبرهنَ لها عن حبها، قامتْ بعملٍ كلَّفها كثيراً. سأرويه في كلمات بالرغم من طوله...

٣٢ – خيبات امل

[٤٠ ش] بعد دخولي مدرسةَ الدير بوقت قصير، قُبلتُ في رابطة الملائكة القديسين. وكنت أحبُّ كثيراً ممارسات العبادة التي تفرضها هذه الرابطة عليّ، ولي ميلٌ خاص إلى الصلاة إلى أرواح السماء الطوباويين، لا سيما إلى ذلك الذي وهبَهُ الله لي

(١١) اي جبل الكرمل وعليه تأسّست الرهبانية الكرملية باسم رهبانية سيّدة جبل الكرمل (ش.ر.).

ليكونَ رفيقي في هذا المنفى[١٢]. وبعد تناولي الأوّل بوقتٍ قصير، حَلَّت شريطةُ «الراغبة» في الانضمام إلى «بنات مريم» محلَّ «شريطة الملائكة القديسين». ولكنّني تركتُ مدرسة الدير قبل أن أُقبَلَ في رابطة العذراء القديسة. ولأني خرجتُ قبل أن أنهيَ دروسي، فما كان يحقُّ لي أن أنضمّ إليها بصفة طالبة قديمة. وأُقِرُّ بأنَّ هذا الامتياز لم أكن لأرغبَ فيه كثيراً. ولكنّي فكرتُ في أن جميع أخواتي كنَّ من «بنات مريم»، فخفت أن أكون أقلَّ منهنَّ بنوّةً لأمّي السماوية، فذهبتُ بكل تواضع، بالرغم مما كلّفني هذا الأمر، وطلبتُ الإذن بأن أُقبَلَ في رابطة العذراء القديسة في الدير. ولم تشأْ المعلّمة الأولى أن ترفضَ طلبي. ولكنها اشترطتْ عليّ العودة إلى الدير مرتّين في الأسبوع، بعد الظهر، لكي أُظهِرَ جدارتي بالانضمام. ان هذا الاذن شقَّ علي كثيراً عوضاً عن أن يسرَّني. إذ لم يكن لي، شأن سائر الطالبات القديمات، معلِّمةٌ صديقة أستطيعُ أن أُمضيَ معها ساعات عديدة، لذلك كنتُ أكتفي بالذهاب والسلام على المعلّمة، ثم ألوذُ بالصمت إلى نهاية درس الشغل اليدوي. ولم يكن أحدٌ يحفَلُ بي. فأصعدُ إلى مُتحَّت المعبد، وأمكثُ أمام القربان المقدس حتى يأتي بابا ويأخذُني. تلك كانت تعزيتي الوحيدة. ألم يكن يسوع صديقي الأوحد؟ ... ولم أكن أُجيدُ الكلام إلا معه. أما الأحاديث الى المخلوقات، حتى التقوّية منها، فكانت تُتعبُ نفسي... كنت أشعرُ بأن الحديثَ الى الله [٤١ي] خيرٌ من الحديث عن الله، لِمَا قد يخالطُ الأحاديث الروحية نفسها من الأنانية!... لقد كنتُ آتي إلى الدير فعلاً من أجل العذراء القديسة فقط... وأحياناً كنت أشعرُ بأني وحيدةٌ وفي عزلة تامة. وكما في عهد حياتي الداخلية، حيث كنت أتنزهُ حزينةً ومريضة في الفناء الكبير، كنت أردّد هذه الكلمات التي كانت تُنعشُ دوماً في قلبي السلامَ والقوة: «الحياة مركبُكِ وليستْ منزلَكِ»[١٣]. ورغم حداثتي، كانتْ هذه الكلمات تُعيدُ إليَّ الشجاعة. والآن أيضاً، بالرغم من السنوات التي تأتي على انطباعات كثيرة من التقوى الطفولية، ما زالت صورة المركب تفتُنُ نفسي وتساعدُها على احتمال المنفى... ألم تقل **الحكمة** أيضاً: **إن الحياة هي كالسفينة التي تمخرُ المياه الهائجة والتي، بعد مرورها، لا تجدُ أثراً لمرورها السريع ولا خطّ حيزومها في الأمواج (حكمة ٥/ ١٠)**... حينما أفكرُ في هذه الأمور، تغوصُ نفسي في اللانهاية، ويخيَّلُ إليّ أني أُلامسُ الشاطئ الأبدي... وكأني

---

(١٢) اي الملاك الحارس (م).

(١٣) بيت شعر مُستَلّ من قصيدة للشاعر الفرنسي لامرتين. عنوانها تفكير Réflexion (م).

أَظفرُ بعناق يسوع ... وكأني أرى أمي السماوية مقبلةً لملاقاتي، مع بابا ... وماما ... والملائكة الأربعة الصغار ... فيخيَّلُ إليَّ أني أتمتّعُ إلى الأبد بالحياة العائلية الحقيقية الدائمة ...

٣٣ - فراقات كثيرة

وقبل أن أرى العائلة مجتمعةً في منزل السماء الأبوي، كان عليَّ أن أجتازَ فراقاتٍ كثيرة. ففي السنة التي قُبلتُ فيها في عدادِ بنات العذراء القديسة، انتُزِعتْ مني عزيزتي ماري،[١٤] سندُ نفسي الوحيد ... لأنها هي التي كانت تقودُني وتعزّيني وتساعدُني على ممارسة الفضيلة. لقد كانت مرجعي الوحيد. لا غروَ أنَّ پولين كان لها المحلّ الأفضل في قلبي، ولكنّ پولين كانت بعيدةً، بعيدةً جدّاً عنّي! ... وقد احتملتُ عذاب الاستشهاد لكي اعتادَ العيش من دونها، ولكي أرى بيني وبينها جدراناً لا يمكن اجتيازها [٤١ ش]؛ ولكنني أخيراً سلّمتُ بالواقع الأليم: لقد فقدتُ پولين نهائياً، وكأنها قد ماتت. لقد كانت تحبّني دوماً وتصلّي لأجلي، ولكن، في نظري، كانت عزيزتي پولين قد أصبحت قديسةً لا يسعُها بعد أن تفهمَ شؤون الأرض. وكان من شأن مصائب عزيزتها المسكينة تريز، لو اطلعتْ عليها، أن تثيرَ فيها الدهشةَ وتمنعَها من أن تحبَّها إلى هذا الحد. وحتى لو أردت أن أبوحَ لها بأفكاري، كما كنتُ أفعلُ في البويسُّونيه، فاني لن أستطيعَ إلى ذلك سبيلاً، لأن زيارات المتحدَّث كانت لماري وحدها، ولم يُسمَحْ لي ولسيلين بالمجيء إليه إلا في الزيارة، أي ما يكفي من الوقت لانقباض قلبينا ...

٣٤ - محبّتها لماري

لم يكن لي في الواقع سوى ماري، وكنتُ لا أستطيعُ الاستغناء عنها. فلا أفضي بوساوسي إلا إليها، وكنت من الطاعة بحيث إن معرِّفي لم يَدرِ قطّ بمرضي الوبيل. فكنت أقرُّ له فقط بعدد الخطايا التي كانت ماري تسمحُ لي بالإقرار بها، لا أكثر. ولذلك، كان يمكن اعتباري أبعدَ خلقِ العالم عن الوسواس، في حين أني كنتُ في الدرجة الأخيرة منه ... فكانت ماري إذا عارفةً بكلّ ما يدور في نفسي، مطلعةً أيضاً على أشواقي إلى الكرمل، وكنتُ أحبُّها إلى درجة لا يمكنني معها أن أعيش من دونها. وكانت امرأة خالي تدعونا كل سنة إلى زيارتها في تروفيل، الواحدة تلو الأخرى. ولكم كنت أودُّ الذهاب

(١٤) في ١٥/١٠/١٨٨٦.

إلى هناك، ولكن مع ماري. وحين لا تكون ماري هناك، كان الضجرُ يعتريني كثيراً.

٣٥ - نزهات تروفيل

ولكني، في إحدى المرات، سررتُ في تروفيل، وكان ذلك في السنة التي سافر فيها بابا إلى القسطنطينية [١٥]. وفي سبيل تسليتنا قليلًا (ذلك لأننا كنا في حزن شديد على ابتعاد بابا)، أرسلتْنا ماري، أي سيلين وأنا، لقضاء خمسةَ عشر يوماً على شاطئ البحر. لقد تسلّيتُ كثيراً لأني كنتُ بصحبة سيلين. وقد وفَّرتْ لنا امرأة خالي كلّ المباهج الممكنة: من نزهات على ظهر الحمير، إلى صيد سمك، الخ ... وكنت لا أزال طفلة [٤٢ ي] رغم عمري البالغ اثنتي عشرة سنة ونصف. وأذكرُ فرحي حينما وضعتُ أشرطةً على رأسي بلون السماء جميلة، كانت امرأة خالي قد أعطتني إياها لشعري. كما أذكرُ أيضاً أني اعترفتُ في تروفيل بهذه اللذة الطفولية التي بَدتْ لي أنها خطيئة ...

٣٦ - استعطاف مخيِّب

وذات مساء، قمتُ بخبرةٍ أدهشتني كثيراً. كانت ماري غيران تتألمُ بصورةٍ متواصلة تقريباً، وغالباً ما تتباكى. فتدلّلها امرأة خالي وتلقّبها بأعذبِ الألقاب، ومع ذلك كانت ابنة خالي المسكينة تستمرُّ قائلة، والدموعُ في عينيها، إنها تشعرُ بصداع في رأسها. وأنا، التي كادَ الصداعُ يُلازمها كل يوم من دون أن تتشكّى منه، أردتُ ذات مساء أن أقتديَ بها. فجلستُ على كرسي في زاوية من البهو، وقمتُ بواجب التباكي. وسرعانَ ما بادرتْ إليَّ جانّ وامرأة خالي وسألتاني عن سبب ذلك. فأجبتُ مثل ماري: «أشعرُ بألم في رأسي». ويظهر أن الشكوى لم تلائمني، إذ إني لم أنجَحْ قطّ في إقناعهما بأن الصداع هو الذي يُبكيني. وعوضَ الملاطفة، خاطبتاني كما يخاطَبُ الكبار، وأنحَتْ جانّ عليّ باللائمة على قلّة ثقتي بامرأة خالي، ظانةً أن لدي بعضَ القلق في ضميري ... وانتهى الأمر أخيراً بإخفاقي. فعزمتُ على ألا أقتدي بالآخرين فيما بعد، وفهمتُ معنى حكاية الحمار والكلب الصغير[١٦]. فكنتُ أنا حمارَ الحكاية الذي رأى ما يحظى به الكلب الصغير من ملاطفات، فألقى بحافره على الطاولة لينال حصتَه من القبلات. ولكن للأسف، إذا كنت لم أُطرَدْ ضرباً بالعصا، نظيرَ الحيوان المسكين، فقد نلتُ حقيقةً نصيبي من هذه

(١٥) قام السيد مرتان بهذا السفر في آب/أغسطس ١٨٨٥ (م).

(١٦) من امثال لافونتين La Fontaine الكتاب الرابع المثل الخامس (م).

التمثيلية؛ وهذا الجزاء أبرأني، مدى الحياة، من الرغبة في لفتِ الأنظار إليّ؛ فإن مجرّدَ الجهد الذي بذلتُه في سبيل ذلك قد كلَّفني ثمناً باهظاً!...

٣٧ - معاودة المرض

وفي السنة التالية، وهي سنة رحيل عرابتي العزيزة، دعتني امرأة خالي أيضاً، ولكن لوحدي هذه المرة. فوجدتُ نفسي غريبة [٤٢ ش] لدرجة أني، بعد يومين أو ثلاثة أيام، انتابني المرض، واضطروا إلى إعادتي إلى ليزيو[١٧]. ولم يكنْ مرضي، الذي تخوّفوا من كونه خطيراً، سوى الحنين إلى البويسُّونيه. فما إن وطئتْها قدماي، حتى عادت إليَّ الصحة... فمِنْ هذه الطفلة عينها كان اللّه سينزعُ سندَها الوحيد الذي يربطُها بالحياة!...

٣٨ - غرائب غرفتها

وما إن علمتُ بعزم ماري، حتى قرّرت ألا أتذوّق بعد اليوم لذةً على هذه الأرض... ومنذ خروجي من المدرسة الداخلية، سكنتُ في غرفة پولين القديمة التي كانت تستعملُها للرسم، ورتَّبتُها بحسب ذوقي. لقد كانت مثلَ سوقٍ حقيقية، وعبارةً عن مجموعة من التقويات والأشياء الغريبة، وحديقةً ومِطْيَرَة[١٨]. وكان يرتفعُ في صدرها على الجدار صليبٌ كبير من الخشب الأسود، بدون مصلوب، وبعضُ رسومٍ كانت تعجبني؛ وعلى جدار آخر، سلة مقفلة مليئة بحرائر وشرائط وردية اللون مع أعشابٍ عطرية وأزهار. وعلى الجدار الأخير كانت صورة پولين في سنّها العاشرة تتربَّعُ وحدها. وتحت هذه الصورة، كانت هناك طاولة وُضِعَ فوقها قفصٌ كبير يحتوي على عدد كبير من الطيور التي كانت زقزقتُها الرخيمة تصمّ آذان الزائرين، لا أذنيِ صاحبتِها الصغيرة، التي كانت تحبُّها كثيراً... وكان ثمة أيضاً خزانة صغيرة بيضاء تملأُها كتبي الدراسية ودفاتري، وما إليها... وكان يعلو هذه الخزانة تمثالٌ للعذراء القديسة تحيط به مزهرياتٌ مزينة دوماً بالأزهار الطبيعية، وشمعدانات. وحول هذا التمثال كميّة من التماثيل الصغيرة للقديسين والقديسات، وسلالٌ صغيرةٌ مصنوعةٌ من الصَّدف، وعلبٌ من الورق المقوّى، وغير ذلك... وأخيراً كانت حديقتي معلَّقةً أمام النافذة، أعتني فيها بأحواض الزهور (من أندر

---

(١٧) جرت في شهر تموز/يوليو ١٨٨٦ (م).

(١٨) المطْيَرَة قفص كبير تُرَبّى فيه الطيور (ش.ر.).

ما استطعتُ ايجادَه). وكان لي أيضاً حوضٌ داخل «متحفي» أضعُ فيه نبتتي المفضّلة . . .
أما طاولتي [٤٣ ي] فكانت أمام النافذة مغطّاةً بوشاحٍ أخضر، وعلى هذا الغطاء وضعتُ، وسط المنضدة، ساعةً رملية، وتمثالاً صغيراً للقديس يوسف، وقاعدةً للساعة، وسلالاً من الورود، ومحبرة، الخ . . . وكان فيها بضعةُ كراسٍ عرجاء وسريرُ لعبة پولين الساحر، الذي كان خاتمة كل أثاثي. لقد كانت هذه الغرفة المتواضعة، في الحقيقة، عالماً لي، ويتسنَّى لي، مثل السيد دي ميستر[١٩] أن أؤلِّفَ كتابا بعنوان نزهة حول غرفتي. ففي هذه الغرفة كنتُ أحبُّ أن أُمضيَ ساعاتٍ بكاملها وحدي في الدرس والتأمل، ازاء المنظر الرائع الممتدّ أمام بصري . . .

٣٩ – رحيل ماري

ولمّا علمتُ بمغادرة ماري، فقدتْ غرفتي كلَّ سحرها لي، إذ إنني ما كنت أفارقُ لحظةً واحدة تلك الأخت الحبيبة التي كانت مزمعة أن تطيرَ عن قريب . . . ولكم هناك من أفعال صبرٍ جعلتُها تمارسُها! فكلَّ مرة كنتُ أجتازُ أمام بابِ غرفتها، كنتُ أطرقُه إلى أن تفتحَ لي، فأُقبّلُها من كل قلبي، فكنتُ أريدُ أن أجمعَ مؤونةً من القبلات، للوقت الذي سأحرَمُ فيه منها. وقبل دخولها الكرمل بشهر، أخذَنا بابا إلى ألنسون. ولكن ما أبعدَ الشبه بين هذه السفرة وسابقتِها. كلّ شيء فيها كان لي حزناً ومرارة. وأنا عاجزةٌ عن وصف الدموع التي ذرفتُها على قبرِ أمي، لأني نسيتُ أن أجلبَ معي باقةً من البنفسج جمعتُها لأجلها. فكلّ شيء كان لي مصدراً للغم. وكان الأمر بخلاف ما أنا عليه الآن، إذ قد منَّ الله عليَّ بأن لا يَفُلَّ عزمي أيُّ شيءٍ زائل.

٤٠ – شوق الى النضج

وحينما أتذكّر الزمن الماضي، تطفحُ نفسي بالشكر للّه، إذ أرى الأفضال التي تلقيتُها من السماء. فقد طرأ عليّ تغييرٌ كبير بحيث أصبحت لا أُعرَف . . . والحقيقة أني كنت أرغبُ في الحصول على نعمة تجعلُني أسيطرُ سيطرةً مطلقة على أعمالي، وأن أكونَ سيّدة لها وليس أمةً [٤٣ ش] . فكلماتُ **الاقتداء بالمسيح** هذه كانت تؤثر فيَّ أبلغَ التأثير. ولكن كان عليّ، نوعاً ما، أن ابتاعَ بأشواقي هذه النعمة التي لا تُثمَّن. فما كنتُ بعدُ إلا طفلةً، يبدو أن لا ارادةَ لها سوى إرادة الآخرين؛ وهذا ما كان يحدو بأناس من ألنسون إلى

(١٩) Xavier de MAISTRE (١٧٦٣–١٨٥٢) هو الكاتب الروائي الفرنسي الشهير (م).

القول إني ضعيفةُ الشكيمة... فخلال هذا السفر، قامت ليوني بخبرتها لدى الراهبات الكلاريسات[٢٠]. فحزنتُ لدخولها الغريب المفاجئ، لأني كنت أحبُّها كثيراً ولم أستطع أن أقبّلها قبل مغادرتها.

٤١ - ترهبّ ليوني

ولن أنسى أبداً طيبةَ ذلك الوالد الصغير وارتباكَه، حينما جاءَ يُخبرُنا أن ليوني قد ارتدتْ ثوبَ الكلاريسات... وكان مثلنا يجدُ الأمر غريباً، ولكنه لم يُرِدْ أن يقول شيئاً، إذ كان يلاحظُ مدى استياء ماري. ثم أخذَنا إلى الدير، وهناك شعرتُ بانقباض قلب كما لم أشعر بمثله من قبل أمام منظر دير. لقد أحدثَ فيّ تأثيراً معاكساً للكرمل، حيث كان كلُّ شيء يشرحُ نفسي... كما أن منظر الراهبات لم يَرُقْني هو أيضاً، ولم تُراوِدْني الرغبة في البقاء معهنّ. أما ليوني المسكينة فكانت جدّ لطيفة بزيّها الجديد. وقالت لنا بأن نحدّق جيداً إلى عينيها، لأننا لن نراهما بعد اليوم (لأن الكلاريسات لا يظهرنَ إلا وأنظارهنَّ مخفوضة). إلا أن اللّه قد اكتفى بتضحية شهرين، وعادتْ ليوني، وأَرَتْنا عينيها الزرقاوين المبلَّلتين غالباً بالدموع... وعند مغادرتنا ألنسون، ظننتُ أنها ستبقى مع الكلاريسات، لذلك كان الغمُّ يملأُ قلبي، حينما ابتعدت عن شارع الهلال[٢١] الكئيب. ولم نعُد الآن سوى ثلاث. وعن قريب كان على ماري العزيزة أن تغادرَنا أيضاً... وكان الخامس عشر من تشرين الأول / اكتوبر يومَ الفراق. فلم يبقَ من أسرة البويسُّونيه الفَرِحَة والكبيرة سوى البنتين الأخيرتين... فقد طارت الحماماتُ من العش العائلي. والباقيات كان بودّهنّ الطيران في إثرها، إلا أن أجنحتهنَّ [٤٤ ي] كانت لا تزال أضعفَ من أن تتمكّن من التحليق مثلها.

٤٢ - دعوة تريز

إن اللّه الذي أراد أن يدعوَ إليه أصغرهنّ وأضعفهنّ، أسرعَ في تنمية جناحَيها. واذ كان يُسَرُّ بأن يُظهر جودَه وقدرته بآستخدام أقلِّ الادوات جدارةً، فقد شاءَ أن يدعوني قبل سيلين

---

(٢٠) في ١٨٨٦/١٠/٧. تشير الام انييس الى ان «ليوني ذهبت تعرض خدماتها على الام الرئيسة التي شجعتها والحت عليها بأن تدخل على الفور، ووشحتها بثياب الطالبية التي تشبه في الرهبانية المذكورة ثياب المبتدئات.»

(٢١) La Demi-lune.

التي كانت، ولا شك، تستحقُ هذا الفضلَ أكثر مني. ولكن يسوع كان يدري كم أنا ضعيفة، ولذلك، فقد خبأني، أنا الأولى، في نخروب الصخر (**نشيد٢/١**).

٤٣ – صلاتها الى اخوتها الصغار

حينما دخلت ماري الكرمل، كنتُ لا أزال أُعاني من الوسواس. وإذ تعذّر عليّ بعد الآن أن أكاشفَها بحالتي، التفتّ نحو السماء، وابتهلتُ إلى الملائكة الأربعة الصغار الذين سبقوني إلى هناك؛ وفي اعتقادي أن تلكَ النفوس البريئة التي لم تعرف القلق والخوف قط، لا بد أنها ستُشفقُ على أختها الصغيرة المعذّبة على الأرض. كنتُ أخاطبُهم ببساطة الأطفال، مبيِّنةً لهم أني بصفتي الأخيرة في العائلة، قد حظيتُ دوماً بأكبرَ قدرٍ من الحب، وأنّي اكثرُ من نالت من لطف أخواتها، وأنهم لو كانوا باقين على الأرض، لبرهنوا لي، أيضاً ولا شك، عن عظيم مودَّتهم... ولا يخيَّلُ إليَّ أن مغادرتهم إلى السماء كانت سبباً لنسياني، بل، على العكس، فلكونهم على حالةٍ تمكّنهم من الاغتراف من الكنوز الإلهية، عليهم أن يستمدّوا لي منها السلام، فيُظهروا لي بذلك أن أهل السماء مازالوا يعرفون كيف يُحبُّون!... ولم يُبطئ الجواب كثيراً، فسرعان ما وافاني السلام وغمرَ نفسي بأمواجه العذبة، وفهمتُ أنّي محبوبةٌ في السماء كما هي حالتي في الأرض... ومنذ ذلك الحين، نما تكريمي لأخويَّ وأختيَّ. وأنا أحبّ التحدّث إليهم غالباً، والكلامَ على كآبة المنفى... وعلى شوقي إلى اللحاق بهم قريباً في الوطن [السماوي]...

الفصل الخامس

نعمة الميلاد ١٨٨٦

١ – قليلة الهمّة

إذا كانت السماء تغمرُني بالنعم، فليس ذلك عن استحقاقٍ منّي، وكان ما يزال فيّ نقائص كثيرة. لقد كنت، في الحقيقة، شديدةَ الرغبة في ممارسة [**٤٤ ش**] الفضيلة، غير أني كنتُ أمارسُها بطريقة غريبة. وهاكِ مثلاً على ذلك: لكوني الأخيرةَ بين اخواتي، لم أتعوّد خدمة نفسي. فسيلين كانت ترتِّبُ الغرفة التي كنّا ننامُ فيها سوية، وما كنتُ أقوم بأيَّة خدمةٍ منزلية. ولكن بعد دخول ماري الكرمِل، كنتُ أحياناً، إرضاءً للّه، أحاولُ ترتيبَ السرير، أو أذهب، في غياب سيلين، وأُدخلُ مساءً أحواضَ زهورها. وكما قلت، كنت

أقوم بهذه الأمور لأجل اللّه وحده. ولذلك، ما كان ينبغي أن أنتظر شكرَ الخلائق. ولكن، للأسف، كان الأمر على خلاف ذلك. فإذا بَدَا على سيلين، أنها غيرُ سعيدة ومستغربةٌ خدماتي الصغيرة، لا أكون راضية، وقد برهنتُ لها عن ذلك بدموعي...

٢ - سرعة التأثر

لقد كنت حقّاً لا أُطاق بسبب سرعة تأثري. فكان يحصلُ لي أن أسبِّب، بدون ارادتي، تكديراً طفيفاً لشخصٍ أحبّه، وعوض التغلّبِ على الأمر وعدمِ الاستسلام إلى البكاء، كنتُ أبكي مثل مجدلية، الأمر الذي كان يزيد من خطأي عوضَ التخفيف منه. وحينما أبدأ بأن أتعزّى عن الأمر ذاته، كنتُ أبكي على أني بكيتُ... ولم تكن تُجدِي معي كلُ النصائح نفعاً، وما كنت أستطيعُ سبيلًا إلى إصلاح تلك النقيصة الذميمة، ولا أدري كيف كنتُ أُعلِّل النفسَ بفكرة دخول الكرمل الجميلة، طالما أني ما زلتُ في أقمطة الطفولة[1]... وكان لا بدّ أن يُجريَ اللّه معجزةً صغيرة ليجعلَني أُكبُرُ في لحظة واحدة. ولقد أجرى هذه المعجزة يومَ الميلاد[2] الذي لن أنساه. ففي تلك الليلة المشرقة التي تضيءِ نعيم الثالوث الأقدس، حوَّلَ يسوعُ الطفلُ الصغيرُ الوديعَ ابنُ الساعة، ليلَ نفسي إلى سيولٍ من نور... في تلك الليلة التي فيها جعل ذاته ضعيفاً ومتألماً حبّاً بي، جعلني قويّةً وشجاعةً وقلَّدني سلاحه. ومنذ تلك الليلة المباركة، لم أُغلَب في أيةِ معركة؛ بل، بالعكس، كنت أتقدَّمُ من نصرٍ إلى نصر، وبدأتُ هكذا عدوَ جبّار! ... [٤٥ ي] لقد نضبَ معينُ دموعي، فما عادتْ تجري إلا نادراً وبجهدٍ جهيد. وهذا ما أثبتَ الكلمةَ التي قيلتْ لي سابقاً: «إنك تبكين في طفولتك إلى حدٍ لن يكونَ لك معه دموعٌ تسكبينها فيما بعد!»...

٣ - نعمة الميلاد

الخامس والعشرون من كانون الأول/ ديسمبر ١٨٨٦ هو اليوم الذي تلقّيتُ فيه نعمةَ الخروجِ من الطفولة، وبكلمة، نعمةَ اهتدائي التام. كنّا عائدين من قداس نصف الليل، حيث أسعدتُ بتناول الإله القوّي القدير. ولدى وصولنا إلى البويسُّونيه، كنت سعيدةً

---

(١) عبارة من القديس يوحنا الصليب في كتابه **الليل المظلم** ١٢/١.

(٢) في ذات الليلة ١٨٨٦/١٢/٢٤ حدث إرتداد پول كلوديل، واحتفل شارل دي فوكو للمرّة الأولى بعيد ميلاد مسيحي (م).

بالتوجّه إلى المدخنة لآخذ حذائي. هذه العادة القديمة كانت مدعاةَ فرحٍ عظيم لنا، في عهد طفولتنا، وقد أرادت سيلين أن تستمرَّ في معاملتي كطفلة، لأني كنتُ الصغرى في العائلة ... وكان بابا يُسَرُّ كثيراً عندما يرى سعادتي، ويسمعُ صيحاتِ فرحي عند إخراج كل مفاجئة من الأحذية المسحورة. وكانت بهجةُ ملكي الحبيب تزيد كثيراً من سعادتي. إلا أن يسوع، وقد أراد أن يبيِّن لي واجبَ التخلي عن نقائص الطفولة، حرمني أيضاً من أفراحها البريئة. فسمحَ بأن يشعُرَ بابا، الذي أتعبه قداس نصف الليل، بشيءٍ من التكدُّر حينما رأى حذائي في المدخنة، وقال هذه الكلمات التي مزقَّتْ فؤادي: «وأخيراً، من حسن الحظ أنها السنة الأخيرة! ...» فصعدتُ عندها الدرجَ بقصدِ نزع قبّعتي. وسيلين العالمة بعمق تأثّري، رأت دموعاً تتلألأ في عينيّ فأحسّت هي أيضاً بالدموع تتحرك في عينيها، لأنها كانت تحبُّني كثيراً وتفهم كآبتي؛ فقالت لي: «يا تريز، لا تنزلي، فقد يؤلمُك جدّاً أن تنظري فوراً الى حذائِك». إلّا أن تريز قد تبدَّلَتْ، وكان يسوع قد غيّرَ قلبها. فحبستُ دموعي، ونزلتُ الدرجَ مسرعةً، وضبطتُ خفقاتِ قلبي، وأخذتُ حذائي ووضعتُه أمام بابا، وأخرجتُ منه بفرحٍ ما فيه من الأغراض، وأنا أبدو سعيدةً مثل ملكة. وكان بابا يضحكُ، وقد عاد إليه فرحُه، وبدت سيلين وكأنها في حُلم ... لحسن الحظ، لقد كان ذلك حقيقةً حلوة. فقد استعادتْ تريز الصغيرة قوّة شكيمتها التي كانت قد فقدتْها وهي في سن الرابعة والنصف، ولسوف تحتفظُ بها على الدوام!

٤ ـ مرحلة ثالثة

[**٤٥ ش**] في ليلة النور تلك، بدأتْ المرحلةُ الثالثة من حياتي، وهي أجملُ مراحلها وأغزرُها نعماً سماوية .... ففي لحظةٍ واحدة، أنجزَ يسوع العملَ الذي لم أستطع إنجازَه طوال عشر سنين، وقد اكتفى لذلك بإرادتي الصالحة، التي لم أُعدَمْها قط. فتسنَّى لي أن أقولَ له، مثل رسله: **يا معلّم، لقد تعبتُ طوالَ الليل ولم أُصِب شيئاً** (**لوقا** ٥،٤ - ١٠). وكان يسوع أرحمَ عليَّ منه على تلاميذه، فأمسك بنفسه الشبكة وألقاها ثم أعادَها ملأى بالسمك ... وجعل مني صيادَةَ النفوس، وشعرتُ برغبة قوية في العمل على هداية الخطأة، تلك الرغبة التي لم أشعر بها بهذه الشدة من قبلُ. وبكلمة، لقد شعرتُ بالمحبة تنفذُ إلى أعماق قلبي، وبالحاجة إلى نسيان ذاتي لكي أرضيَ الآخرين. ومنذ ذلك الحين أصبحت سعيدة! ... وفي يوم أحد[٣]، كنتُ أنظر إلى

(٣) في تموز ١٨٨٧، والصورة تمثل المسيح على الصليب للفنان مولير Muller (م).

صورة تمثّل سيّدنا يسوع المسيح مصلوباً، فتأثّرت بالدم السائل من إحدى يديه الإلهيتين، وانتابني غمٌّ شديدٌ حينما فكّرت في أن هذا الدم كان يسقطُ على الأرض، دون أن يسارع أحد لالتقاطه. فعزمتُ على أن أقفَ بالروح عند أقدام الصليب لكي أتلقّى ذلك الندى الإلهي الجاري منه. وفهمتُ أنه عليّ، بعد ذلك، أن أرشّه على النفوس... وكانت صرخةُ يسوع على الصليب ترنُّ باستمرار في قلبي: **أنا عطشان!** (**يوحنا** ١٩/٢٨). كانت هذه الأقوال تُلهِبُ فيَّ حرارةً شديدةً لا عهدَ لي بها... كنتُ أريد أن أسقيَ حبيبي، وكنت أشعرُ، أنا ذاتي، بأني أذوب عطشاً إلى النفوس... ولم تكن، يومَها، نفوسُ الكهنة هي التي تجذُبني، إنما نفوسُ كبار الخاطئين. كنت أتحرّق شوقاً إلى انتزاعهم من النيران الأبدية...

٥ - ابني الاول: پرانزيني

ولكي يُثيرَ غيرتي، فقد بيّنَ لي اللّهُ تعالى رضاه عن أشواقي. سمعتُ الناس يتحدّثون عن مجرمٍ كبيرٍ، حُكم عليه بالإعدام لارتكابه جرائمَ فظيعة(٤). وكان كلُّ شيءٍ يدعو إلى الاعتقاد أنه سيموتُ من غير ندامة. فأردتُ، مهما كان الثمن، أن أمنعَه من السقوط في جهنّم. ولبلوغ ذلك، استخدمتُ جميع الوسائل الممكنة، وشعرتُ بأني لا أقوى على شيءٍ من ذاتي، فقدّمت [٤٦ ي] للّه جميعَ استحقاقات ربّنا غير المتناهية، وكنوزَ الكنيسة المقدسة؛ وأخيراً التمست من سيلين أن تُوصيَ بإقامة قداس لأجل نواياي؛ ولم أتجرّأْ على التوصية بها بنفسي، مخافةَ أن أُضطرَّ إلى الاقرار بأنها لأجل پرانزيني المجرم الكبير. ولم أُردْ أن أفضيَ بالأمر حتى الى سيلين، ولكن أسئلتَها كانت من الرقّة والالحاح حتى إني أَودعتُها سرّي. وبدل أن تسخر مني، طلبتْ إليّ أن تساعدني في هداية خاطئي، فقبلتُ شاكرة. لأني وددتُ لو أنَّ جميعَ الخلائق تتّحد معي لالتماس الصفح عن المذنب. وكنتُ في صميم قلبي أشعر باليقين أن رغائبَنا ستُستجاب؛ ولكنّي، تشجيعاً لنفسي على مواصلةِ الصلاة لأجل الخطأة، قلتُ للّه إني واثقةٌ من أنه سيغفرُ لپرانزيني البائس المسكين، وإني لأصدّق ذلك حتى ولو لم يعترف، ولم يُعطِ أيَّة اشارةٍ للندامة. فثقتي برحمة يسوع اللامتناهية

(٤) هو هنري برانزيني وله من العمر ٣١ سنة ذبح امرأتين وفتاة طلباً للسرقة في ١٨٨٧/٣/١٧ في باريس. بعد القبض عليه في مرسيليا حُكِمَ عليه بالاعدام رغم إنكاره لما فعل، ونُفِّذ فيه حكم الاعدام بالمقصلة في ١٨٨٧/٨/٣١ (م).

كانت عظيمةً جدّاً. ولكنّي، مع ذلك، كنت أطلبُ فقط علامة لندامته، وذلك لمجرّد تعزيتي الشخصية... فاستُجيبتْ صلاتي بحرفيّتها.

٦ - علامة الغفران

وبالرغم من أن بابا كان قد حظَّر علينا قراءةَ أية جريدة، فإني لم أكن أعتقد أني أُخالفُ أمرهُ بقراءَتي المقاطعَ التي تتحدّث عن پرانزيني. وغداة تنفيذ حكم الاعدام فيه، وجدتُ في متناول يدي جريدةَ لاكروا[٥] ففتحتُها بلهفة. وماذا رأيت؟ لقد خانت دموعي انفعالي، واضطررتُ إلى الاختباء... لقد صعد پرانزيني إلى المقصلة دون أن يعترف. وبينما كان يتهيّأ لمدِّ رأسه في الثقب المشؤوم، إذا به، فجأة، يلتفت، وكأنَّ وحياً مفاجئاً حلَّ عليه، ويُمسك بمصلوب كان الكاهن يقدِّمه له، ويقبّلُ جراحَه المقدسة ثلاث مرات!... ثم انطلقت نفسُه لتتلقّى الحكم الرحيم من ذاك الذي أعلن أنه **سيكون الفرحُ في السماء بخاطئٍ واحد يتوب أكثر منه بتسعة وتسعين بارّاً لا يحتاجون إلى التوبة!** (**لوقا** ١٥/٧).

٧ - العطش الى النفوس

لقد حصلتُ على العلامة المطلوبة، وكانت هذه العلامة صورةً أمينة [**٤٦ ش**] للنِّعم التي منَّ بها يسوع عليَّ ليجتذبَني إلى الصلاة من أجل الخطأة. اما كان العطشُ إلى النفوس قد دخل قلبي أمام جراح يسوع، ودمه الإلهي الجاري؟ فكنت أريد أن أسقيَها هذا الدم الطاهر الذي ينقّيها حتماً من أدرانها. وإذا بَشفتَيْ ولدي الأول تدنوان وتلتصقان بالجراح المقدسة!!... فيا له من جواب تفوق عذوبتُه الوصف! فمنذ تلك النعمة الفريدة، أخذ شوقي إلى خلاص النفوس ينمو يوماً بعد يوم. وكان يخيَّلُ إليَّ أنّي أسمعُ يسوع يخاطبني، كما خاطب السامرية: **أعطيني لأشرب** (**يوحنا** ٤/٧). لقد كان ذلك، بالفعل، تبادلَ حبٍّ حقيقياً: أعطي النفوس دمَ يسوع، وأقدّم ليسوع هذه النفوس التي أَنعشَها نداهُ الإلهي. وبذلك كان يبدو لي أني أروي ظمأه. ولكنّي كلّما سقيته، كلّما زادَ عطش نفسي الصغيرة المسكينة. ذاك كان ذلك العطش المذيب الذي كان يُعطيني إياه يسوع كألذّ شرابٍ من حبّه...

---

(٥) La croix وهي جريدة مشهورة ما تزال تصدر حتى اليوم، وكانت تصل الى ليزيو كلّ صباح منذ نيسان / ابريل ١٨٨٦ (م).

٨ – رغبة قصوى في المعرفة

وفي وقت قصير عرف اللّه كيف يُخرجُني من الحلقة الضيقة التي كنتُ أعيشُ فيها، ولا أعرفُ كيف أَخرجُ منها. وما أعظمَ شكري له عندما أرى الطريق الذي ساعدني على قطعه!. ولكن ينبغي لي ألا أنسى أني إذا كنتُ قد خطوتُ الخطوةَ الكبرى، فما زالت هناك أمورٌ كثيرة عليَّ أن أتخلى عنها. وبعد أن تخلّص فكري من وساوسه ومن تأثّره المفرط أخذ يتنامى. لقد أحببت دوماً ما هو رفيع وجميل، ولكنَّ رغبةً قصوى في المعرفة استحوذت عليَّ، في هذا الحين، فلم اكتفِ بالدروس والفروض التي كانت تعطيني إياها معلمتي، بل انصببت لوحدي على دراسات خاصة في التاريخ والعلوم. فالدراسات الأخرى لم تكن تستهويني، وإنما هاتان المادتان قد استقطبتا كلَّ اهتمامي. ولهذا، فقد حصَّلتُ في أشهر قلائل، معلوماتٍ لم أحصِّلها في سنيّ دراستي كلّها. آه! كل ذلك لم يكن إلا باطلاً وكآبة الروح!... وكان فصل **الاقتداء بالمسيح**، الذي يتطرّق إلى العلوم، يخطر ببالي غالباً. على أني، مع ذلك، كنتُ أجدُ الوسيلة للاستمرار، قائلةً في نفسي إني طالما أنا في عمر الدراسة، فلا ضيرَ [٤٧ ي] في ذلك. ولا أظن أني قد أغظتُ اللّه (مع اقراري بأني أمضيتُ في ذلك وقتاً بلا فائدة)، لأني لم أَقضِ في ذلك سوى ساعاتٍ معدوداتٍ ما كنتُ أريد تجاوزَها، لكي أقمعَ رغبتي الشديدة في المعرفة... لقد كنتُ في أخطر مرحلة من عمر الفتيات، إلا أن اللّه قد صنع لي ما يذكرهُ حزقيال في نبوءاته: **مرَّ بي يسوع ورأى أنّي قد بلغت الزمنَ لكي أُحَبّ، فدخل معي في عهدٍ وصرتُ خاصته... لقد بسط عليَّ رداءه وغسلني بالطيوب النادرة وألبسني فساتينَ موشّاة، وأهداني عقوداً وحليً لا تثمَّن.. وغذاني بالسميذ والعسل والزيت بوفرة... فصرتُ جميلةً في عينيه وجعلَ منّي ملكة قديرة** (**حزقيال** ١٦/٨–١٣).

٩ – كتاب الاقتداء بالمسيح

أجل، لقد صنع إليَّ يسوع كلَّ ذلك، وباستطاعتي أن آخذَ كلّ كلمة مما كتبتُ آنفاً، وأبيّن أنها قد تحققتْ لصالحي. على أن النعم التي ذكرتُها أعلاه هي برهانٌ كافٍ على ذلك. سأكتفي بالكلام على الغذاء الذي دفَقَه عليّ بوفرة. منذ أمدٍ بعيد كنت اقتات بلُباب الحنطة [٦] الذي اجده في كتاب **الاقتداء بالمسيح**، وهو الكتاب الوحيد الذي أفادني،

(٦) تستعمل تريز عبارة حزقيال بمعنى **الطحين الخالص** السمين المعروف في الترجمات العربية؛ فترجمنا عبارة تريز بلباب الحنطة (ش.ر.).

لأني لم أكن بعدُ قد اكتشفتُ الكنوز المكنونة في **الانجيل**. كنت أعرف عن ظَهر قلب جميعَ فصول اقتدائي العزيز تقريباً، فهذا الكتيّب لم يكن يفارقني أبداً، أحمله صيفاً في جيبي، وشتاءً في كمّي، حتى أصبحَ ذلك تقليداً لديّ. وفي منزل امرأة خالي، كان الحاضرون يتندَّرون به كثيراً، فيفتحونه صدفة ويستظهرونني الفصلَ الذي يقع تحت نظرهم.

١٠ ـ محاضرات ارمنجون

في الرابعة عشرة من عمري، وأنا على ما أنا عليه من رغبة في العلم، رأى اللّه ضرورة أن يُضيفَ إلى لُباب الحنطة عسلاً وزيتاً بوفرة. وجعلني أجد هذا العسل وهذا الزيت في **محاضرات** الأب أَرمنجون حول نهاية العالم الراهن، وأسرار الحياة العتيدة(٧)، وكانت كرمليّاتي العزيزات قد أقرضنَ هذا الكتاب لبابا؛ وعلى خلاف عادتي [**٤٧ ش**] (إذ إنني ما كنتُ أقرأ كتب بابا) طلبتُ قراءته.

وقد كانت لي هذه القراءة من أكبر نعم حياتي. وكنتُ أقوم بها عند نافذة غرفة درسي، وقد طبعت فيّ انطباعاً هو من العمق والعذوبة بحيث يتعذَّرُ عليَّ الافصاحُ عنه..

١١ ـ أريد أن أحبّ

كانت جميع الحقائق الكبرى للديانة، وأسرارُ الأبدية تغمرُ نفسي سعادةً ليستْ من هذه الأرض. لقد شعرتُ مسبقاً بما يدَّخرهُ اللّهُ للذين يحبُّونه (ليس بالعين البشرية بل بعين القلب). وإذ كنتُ أرى أن المكافآت الأبدية لا تتناسبُ مطلقاً مع التضحيات الخفيفة في هذه الحياة، فقد اردت أن أحِبَّ، وأن أحبَّ يسوع بهيام، وأن أُعطيَه ألفَ علامة حبّ، طالما الأمرُ في مستطاعي... فاستنسختُ مقاطعَ عديدةً تتناول المحبّة الكاملة والحفاوة التي سيستقبلُ اللّه بها مختاريه، حينما يصبحُ، هو ذاته، مكافأتَهم العظمى والأبدية. وكنت أردِّدُ بلا انقطاع كلماتِ الحبّ التي كانت قد أضرمتْ قلبي...

١٢ ـ سيلين نجيّة

لقد أصبحت سيلين نجيّة أفكاري. فمنذ عيد الميلاد، أصبحنا متفاهمتين، وقد زالَ فارق العمر بيننا، بما أنني أصبحت طويلة القامة ولا سيما في النعمة. قبل هذا العهد كنتُ

---

(٧) محاضرات ألقيت في كاتدرائية شامبري وطبعت سنة ١٨٨١ بالعنوان التي تذكره تريز (م).

أتشكّى غالباً من أنّني لستُ مطّلعة على أسرار سيلين، فكانتْ تقول لي إنني مازلتُ صغيرة، وإنه عليَّ أن أكبر بقدر كرسي لكي تستطيعَ ان تثقَ بي... فكنتُ أحبُّ الصعود فوقَ هذا الكرسي النفيس حينما أقف بجانبها، وأقولُ لها بأن تكلّمني بثقة. إلا أنّ وسيلتي كانت بدون جدوى، فما زالت هناك مسافةٌ تفصلنا!..

١٣ – شقيقتان بالروح

وكان يسوع يريد أن يجعلَنا نتقدّمُ سويةً، ولهذا فقد أوثقَ قلبينا بروابطَ أقوى من روابط الدم، فصيَّرنا شقيقتين بالروح، وتحقّقتْ فينا كلماتُ **نشيد** القديس يوحنا الصليب (حيث تهتفُ العروسُ وهي تخاطبُ العريس): «في اقتفاءِ آثاركَ، تجتازُ الفتياتُ الطريقَ بخفّة، وتَلامُسُ الشَرَر [٤٨ ي] والخمرةُ المعطّرة تُثيران فيهنّ أشواقاً يفوحُ منها عطرٌ الهي»[٨]. أجل، لقد كنا نقتفي آثارَ يسوع بخفة، وشراراتُ المحبة التي ينثرها بسخاء في نفوسنا، والخمرة اللذيذة القوّية التي يسقينا إياها كانت تُزيلُ من أمام عيوننا الأمورَ الزائلة، فتتفجَّرُ من شفاهنا أشواقُ الحبِّ التي يُلهمُنا إياها.

فما أعذب الأحاديثَ التي كنا نتبادلُها كل مساء على الشرفة! كنا نحدِّقُ في البعيد، فنتأملُ القمرَ اللجينيَ وهو يتعالى بخفة من وراء الأشجار الباسقة... والانعكاساتُ الفضّية التي كان يرسلُها على الطبيعة الغافية... والنجومَ اللامعات تتلألأ في الزرقة العميقة... وهبوبَ نسيم المساء العليل يطوفُ بالغيوم الثلجية. كلُّ شيء كان يسمو بنفسَينا نحو السماء، نحو السماء الجميلة التي لم نكن نرى منها بعد سوى الوجه الآخر الصافي...

١٤ – تألق واحتجاب

ولا أدري إذا كنتُ على خطأ، ولكن يخيَّلُ إليّ أن تناجيَ نفسينا كان شبيهاً بما جرى للقديسة مونيكا مع ابنها[٩]، حينما ظلّا منخطفَين في ميناء أوستيا أمام منظر عظائم الخالق!.. يبدو لي أننا كنا نتلقّى نعماً سامية مثل تلك التي مُنحت لكبار القديسين. فان اللّه، كما يقول، يهب ذاته أحياناً وسط تألقٍ وهَّاج، وأحياناً «بعذوبة، وهو محتجبٌ تحت الظلال والرموز». بهذه الطريقة كان يتنازلُ ويُظهر ذاته لنفسينا.

---

(٨) **النشيد الروحي** ٢٥.

(٩) مونيكا هي والدة القديس اغسطينوس، والحادثة المذكورة هي اللقاء الاخير بين الام وولدها قبل ان توافيها المنيّة (ش.ر.).

وما كان أشفَّ وأخفَّ الحجابَ الذي كان يُخفي يسوعَ عن أنظارنا... ولم يكن الارتيابُ ممكناً، ولم يعُد الايمان والرجاء ضروريّين، فالحبُّ كان يجعلنا نحظى على الأرض بذاك الذي كنا نبحثُ عنه. **وإذ وجَدْناه لوحده، فقد أهدى إلينا قبلته، لئلا يحتقرنا أحدٌ في المستقبل (نشيد ٨/ ١).**

١٥ - توافر النعم

وان نعماً كبيرة مثل هذه ما كانت لتبقى بدون ثمر، لذلك جاءت ثمارُها وفيرة. فأصبحتْ لنا ممارسةُ الفضيلة عذبةً وطبيعية. في بادئ الأمر كان وجهي يخُونني ويُشيرُ إلى صراعي، ولكنَّ هذا الانطباع تلاشى شيئاً فشيئاً، وأصبح التخلّي أمراً يسيراً عليَّ حتى من اللحظة الأولى. ألم يقلْ يسوع: [٤٨ ش] **من كان له شيء، يُزاد حتى يفيض؟ (متى ١٣/ ١٢)**. فلأجل نعمة أتلقَّاها بأمانة، كان يمنحُني غمراً آخر منها ... كان يهبُ لي ذاته في التناول المقدس بتواتر اكبر مما كنتُ أتوقّعه. وكنت قد اتَّخذتُ قاعدةً لسلوكي أن أقومَ بالتناولات التي يسمحُ لي معرِّفي بها، دون إغفال أيٍّ منها، وإنما أترك له الحرية في تحديد عددها، دون أن ألتمسَ منه المزيد. لم يكن لي في ذلك العهد الجرأةُ التي امتلكُها الآن، والا لكنتُ تصرّفتُ بطريقةٍ أخرى. فأنا متأكدة أن النفسَ عليها أن تُخبرَ معرِّفَها بالشعور الذي يجذبُها إلى تناول إلهها. إذ إنه لا ينزلُ كل يوم من السماء لكي يبقى في الحُقّ الذهبي، وإنما لكي يجدَ سماءً أخرى هي إليه أحبُّ من الأولى بكثير: إنها سماءُ نفوسنا المخلوقة على صورته، والهيكلُ الحي للثالوث المسجود له...

١٦ - تناول متواتر

ويسوع الذي كان يرى شوقَه واستقامةَ قلبي سمح بأن يأذنَ لي معرفي، خلال شهر أيار، بأن أقومَ بالتناول المقدس أربع مرات في الأسبوع. وبعد انقضاء هذا الشهر الجميل، أضاف إليها مرّة أخرى، أي كلما صادف عيدٌ في الأسبوع. ولقد سالتْ دموعٌ عذبة من عيني لدى خروجي من كرسي الاعتراف. فكان يخيَّلُ إليَّ أنّ يسوع نفسه هو الذي يُريد أن يمنحَني ذاته. فإني لم أكن أمضي في الاعتراف سوى وقت قصير جدّاً، ولم أقل قط كلمةً عن مشاعري الداخلية. فالطريق الذي كنتُ سائرة فيه كان مسقيماً ونيِّراً إلى حد اني لم أكن بحاجة إلى دليل آخر غير يسوع... وكنت أشبِّهُ المرشدين بمرايا صقيلة

تعكس يسوع في النفوس. وكنت أقولُ إن اللّه لم يستخدمْ معي وسيطاً بل كان يعمل فيّ مباشرةً . . .

١٧ – نضج قبل الاوان

فعندما يتعهّدُ بستانيٌّ ثمرةً ما يُريد إنضاجَها قبل الأوان، فإنه لا يفعلُ ذلك ليبقيها معلَّقةً على الشجرة، بل ليقدِّمَها على مائدةٍ حافلة بأصناف الأطعمة. ولغايةٍ مُشابهة [**٤٩ ي**] كان يسوع يُغدق نِعَمَه على زهرته الصغيرة ... وهو الذي كان قد هتفَ، في حياته البشريّة، متهلّلًا من الفرح: **أحمَدُك يا أبتِ... لأنك حجبتَ هذا عن الحكماء والأذكياء وكشفَتَهُ للأطفال، (لوقا ١٠/ ٢١)**. كان يُريد أن يفجّرَ فيَّ رحمته. ولأني كنتُ صغيرة وضعيفة، فقد تنازلَ إليّ وعلّمني خفيةً أسرارَ حبِّه. آه! لو أن علماءَ قضَوْا حياتهم في الدرس أتَوا وطرحُوا عليَّ أسئلة، لا ريب في أن الدهشة كانت ستأخذ منهم مأخذَها إذ يرونَ ابنةً في الرابعة عشرة من سنِّها تُدركُ أسرار الكمال التي عجز علمُهم كلُّه عن كشفها لهم، إذ لا بدَّ من أن يكونَ المرءُ فقيراً بالروح لكي يمتلك تلك الأسرار.

١٨ – في طريق الدعوة

وكما يقول القديس يوحنا الصليب في **نشيده** :

«لم يكنْ لي نورٌ ولا دليل
«سوى الذي في قلبي يستعر.
«كان ذاك دليلي،
«آمنَ مِن نورِ الظهيرة،
«الى حيث كان بانتظاري
«من كان يعرفني حقّاً.» (١٠)

وذلك المكان كان ديرَ الكرمل. ولكن قبل الجلوس في ظلِّ مَنْ تشتهيهِ نفسي كان عليَّ أن أجتازَ مِحَناً كثيرة. على أن النداء الإلهي كان من الالحاح بحيث إني لو اضطررتُ إلى اجتياز ألسنةِ النيران لفعلتُ، لأكونَ أمينةً ليسوع... ولم أجد من يشجعني في دعوتي إلا نفساً واحدة هي نفسُ أمّي الحبيبة... فقد وجد قلبي في قلبها صدىً أميناً.

---

(١٠) **الليل المظلم** ٤و٥.

ولولاها لما وصلتُ أبداً إلى الشاطئ المبارك، الذي كان قد استقبلها منذ خمس سنوات، على ثراه الرطيب بالندى السماوي ... أجل، لقد كنتُ بعيدةً عنكِ منذ خمس سنواتٍ، يا أمّي الحبيبة، وكنتُ أحسبُ أني قد فقدتُك. ولكن في ساعة المحنة، دلّتني يدُكِ على الطريق الذي ينبغي أن أسلكَه... كنتُ بحاجة إلى هذا الدعم، لأن زياراتي في متحدَّثات الكرمل كانت قد أصبحتْ عبئاً متنامياً علي. إذ ما كنت أستطيعُ الاعراب عن رغبتي في دخول الكرمل دون أن أشعرَ بأني مرفوضة. فماري كانت تراني أيضاً صغيرةَ السن، وتستنفد طاقتها لتُعيقَ دخولي. وحتى أنتِ، يا أماه، امتحاناً لي، كنتِ تحاولينَ أحياناً الحدَّ [٤٩ ش] من رغبتي الشديدة. وأخيراً، لو لم تكنْ لديّ الدعوةُ فعلاً، لتوّقفتُ منذ البداية، لأني صادفتُ عوائقَ منذ شرعتُ الإجابة الى نداء يسوع.

١٩ - السعادة مع سيلين

لم أُرِدْ أن أُفضيَ إلى سيلين برغبتي في دخول الكرمل، في هذه السن المبكرة، وهذا ما زادني ألماً، إذ كان يشقُّ عليّ أن أخفيَ عليها شيئاً... إلا أن هذا الألم لم يدُمْ طويلاً، إذ سرعانَ ما اطَّلعتْ أختي الصغيرة الحبيبة على عزمي. وبدلاً من أن تحاولَ صرفي عنه، فقد قبلت بشجاعةٍ مدهشة التضحيةَ التي كان اللّه يطلبُها منها. ولإدراك جسامة التضحية، ينبغي معرفة إلى أي حدٍّ كنا متَّحدتَيْن... كنا وكأنَّ نفساً واحدةً تُحيينا. ومنذ أشهر قليلة، كنا ننعمُ سويةً بأعذب عيشةٍ تحلمُ بها الفتيات. فكلُّ شيء حولنا يناسبُ ذوقَينا، وقد مُنحنا أكبرَ قسطٍ من الحرية. وبكلمة كانت حياتُنا على الأرض نموذجاً للسعادة... وما كدنا نتذوّق هذا النموذج للسعادة، حتى ترتَّب علينا أن نتخلَّى عنه بحرّيتنا. فعزيزتي سيلين لم تثُرْ لحظةً واحدة. وكان بوسعها أن تتشكّى، إذ لم تكن هي التي كان يسوع يدعوها أولًا... وبما أنها كانت مدعوةً مثلي، فكان من حقّها أن تنطلقَ قبلي!... ولكن كما كانت الأمور تجري في عهد الشهداء، حيث كان الباقون في السجن يُعطونَ بفرحٍ قبلة السلام لإخوتهم المنطلقين قبلهم إلى ميدان الجهاد، وكانوا يتعزَّونَ بفكرة تخصيصهم بجهاداتٍ أكبر، كذلك تركتْ سيلين عزيزتها تريز تمضي، وظلَّتْ وحدها للجهاد المجيد والدامي الذي كان يسوع يهيّئُها له بصفتها موضوعَ حبّه المفضَّل!...

٢٠ - إعلام أبيها بدعوتها

لقد أصبحتْ سيلين إذاً نجيَّة جهاداتي وآلامي، وصارتْ تشاركُني فيها، كما لو تعلَّقَ الأمر بدعوتها الخاصة. فلم يبقَ لي أيُّ تخوّفٍ من معارضتها. ولكنّي ما كنتُ أدري أيّة

وسيلة اتَّخذُ لإطلاع بابا على ذلك ... وكيف أكلِّمه على التخلّي عن ملكته، وهو الذي سبق وضحَّى ببناته الثلاث الكبريات؟... آه! ما أشدَّ ما عانيتُ من صراع داخلي [٥٠ي] قبل أن أشعر بالشجاعة على الكلام! ... وكان لا بدَّ لي من أن أقرّرَ، فقد بلغتُ الرابعةَ عشرةَ والنصف من عمري، ولم يبقَ بيني وبين ليلة الميلاد الجميلة سوى ستة أشهر، وكنت عازمةً على دخول الدير في الساعة التي فيها، قَبل سنة، قد نلتُ نعمتي. فاخترتُ موعداً لمكاشفتي الكبرى يومَ عيد العنصرة. وأخذتُ أبتهلُ طوال النهار الى الرسل القديسين لكي يصلّوا لأجلي ويُلهموني الكلمات التي كان ينبغي أن أقولَها... أفما كان عليهم أن يساعدوا الابنةَ الخجولة التي أعدَّها اللّه لتكونَ رسولةَ الرسل بالصلاة والتضحية؟... ولم أجد الفرصةَ السانحة لأتكلّم إلى والدي الصغير العزيز الا بعد الظهر، عند عودتنا من صلاة المساء. كان قد ذهب وجلس على حافة البئر، وضمّ يديه وأخذ يتأملُ عجائبَ الطبيعة. وكانت الشمس قد خمدتْ حرارتها وأخذت تذهّبُ رؤوسَ الأشجار الباسقة، حيث كانت العصافير الصغيرة تُنشدُ بفرح صلاتها المسائية، وقد ارتسمتْ على وجه بابا الجميل ملامحُ سماوية، وكنت أشعرُ بأن قلبه يفيضُ سلاماً. فاقتربت وجلستُ بجانبه بدون أن أنبسَ ببنت شفة، وعيناي مبتلّتان بالدموع. فنظر إليَّ بحنان، وأسندَ رأسي إلى قلبه وقال لي: «ما بكِ يا ملكتي الصغيرةُ! بوحي لي بسرِّكِ...» ثم نهضَ، وكأنه يحاولُ إخفاء تأثره، وأخذ يمشي بهدوء، ضامّاً رأسي دوماً إلى قلبه. ومن خلال دموعي، أطلعتُه على رغبتي في دخول الكرمل. فانحدرتْ دموعُه وامتزجتْ بدموعي، لكنه لم يقُلْ كلمةً ليصرفَني عن دعوتي، واكتفى بلفتِ نظري إلى أني ما زلتُ حديثةَ السنّ لاتخاذِ قرارٍ خطير كهذا. ولكني دافعتُ عن قضيّتي دفاعاً حسناً حتى اقتنعَ بابا بفضل طبعه المستقيم والبسيط، أن رغبتي كانت رغبةَ اللّه ذاته؛ وبعمق ايمانه هتفَ بأن اللّه يوليهِ شرفاً عظيماً إذ يطلبُ منه بناتِه هكذا. وتابعنا نزهتنا طويلاً. امّا قلبي، وقد انشرح بما ابدى والدي الفريد من عطف لدى تلقّيه اسراري، [٥٠ ش] فطفق ينسكبُ في قلبه بهدوء. وكان بابا يبدو وكأنه ينعمُ بهذا الفرح الهادئ الذي تُوليه التضحيةُ المنجَزة. وأخذ يكلِّمني مثل قديس. وكم أتمنى أن أتذكَّر أقواله لأُدوِّنَها ههنا. ولكنّي لم أحفظْ منها سوى ذكرى هي أزكى من أن أستطيعَ الافصاح عنها.

٢١ – مثل الزهيرة

ما أذكره تماماً هو ذلك العمل الرمزي الذي قام به ملكي الحبيب، دون علمٍ منه. دنا

من جدارٍ منخفض، وأراني زهيراتٍ بيضاء كأنها زنابقُ مصغّرة، ثم تناول إحداها ودفعها إليّ، وشرحَ لي بأية عناية أَنْبتها اللّه وحفظها إلى هذا اليوم. وحينما سمعته يتكلّم، خُيِّلَ إليَّ أني أسمعُ قصةَ حياتي، لشديد الشبه بين ما صنعهُ يسوع للزهرة الصغيرة وللتريز الصغيرة ... وتلقّيتُ هذه الزهيرة بمثابة ذخيرة، ولاحظتُ أن بابا لـمّا قطفها، اقتلع معها جميع جذورها دون فصلها، وكأنها معدَّةٌ لتعيشَ أيضاً في تربة أخرى أكثر خصوبةً من حيث أمضتْ إصباحاتها الأولى ... هذا العمل نفسه هو ما صنعه بابا إليَّ، قبل لحظات، لمّا أَذِنَ لي بصعود جبل الكرمل، وبمغادرة الوادي الجميل الذي شهدَ خطواتي الأولى في الحياة.

وضعتُ زهيرتي البيضاء في كتابي **الاقتداء بالمسيح** في الفصل الذي عنوانُه: «في واجب محبّة يسوع فوقَ كلّ شيء»، وما زالتْ في ذات المكان؛ إلا أن ساقَها قد انكسرتْ بالقرب من جذورها. وكأني باللّه يقولُ لي بذلك أنه سيكسرُ قريباً روابطَ زهرته الصغيرة ولن يدعَها تذبلُ على الأرض!

٢٢ - رفض خالها

وبعد أن حصلتُ على موافقة بابا، ظننتُ أنّ باستطاعتي الطيران من دون خوف إلى الكرمل. إلا أن محناً كثيرة وأليمة كان عليها أن تمتحنَ دعوتي. لذلك كنتُ أرتجفُ حينما أَطلعتُ خالي على القرار الذي اتَّخذتُه. فغمرني بمختلف عواطف الحنان الممكنة، ولكنه لم يأذنْ لي بالمغادرة، بل منَعني [٥١ ي] من التحدّث إليه عن دعوتي، قبل بلوغي السابعة عشرة من عمري. وقال إن إدخالَ فتاةٍ في ربيعها الخامس عشر ديرَ الكرمل لأمرٌ مُنافٍ للفطنة البشرية. فان حياةَ الكرملية كانت، في نظر العالم، حياةَ فيلسوف، والإفساح في المجال لصبيّةٍ عديمةِ الخبرة للانضمام الى تلك [الحياة]، هو تعريضُ الدين لضررٍ كبير ... وإن الأمر سيصبحُ حديثَ الجميع، إلخ ... الخ ... وقال أيضاً إنه لن يرجعَ عن عزمه فيسمحَ لي بالمغادرة إلا بمعجزة. فرأيتُ أن كلَّ المحاولات لإقناعه لا تُجدي نفعاً، فانصرفتُ وقلبي غائص في بحرٍ من المرارة. وكانت الصلاة عزائي الوحيد. فتوسّلتُ إلى يسوع أن يجترح المعجزة المطلوبة، ما دامتْ هي الثمن الوحيد الذي يمكِّنني من تلبية دعوته.

٢٣ - الطبيعة مرآة نفسها

ومرّ زمانٌ غيرُ يسير قبل ان أجسرَ على التحدَّث الى خالي من جديد. وكان الذهابُ

اليه يُكلِّفني عناءً كبيراً. وهو من جهته كان يبدو غيرَ مُبالٍ بأمر دعوتي. ولكنّي علمتُ فيما بعد أن حزني الشديد قد أثّر فيه تأثيراً لصالحي. وقبل ان يبعثَ اللّهُ تعالى في نفسي شعاعَ أملٍ، شاءَ ان يُرسلَ اليّ إستشهاداً أليماً دام ثلاثة ايام. آه، إني لم أفهمْ ابداً، مثلما فهمتُ خلال هذه المحنة، ألَمَ العذراءِ القديسة والقديس يوسف، وهما يبحثانِ عن الطفل يسوع... كنتُ في صحراءَ كئيبة، او بالاحرى كانت نفسي شبيهة بزورقٍ سريع العطب بلا قبطان تتقاذفُه الامواج الهائجة... أعرفُ ان يسوع كان هناك نائماً في قاربي، ولكن الليل كان حالكاً الى حد يتعذّر عليّ معه ان أراه. ولا شيءَ يُضيءُ لي، ولا برقَ يأتي ويمزِّق الغيوم الدكناء... لا ريب في أن وميضَ البرق وميضٌ قاتم، ولكن لو هبَّت العاصفة قوية لأتيحَ لي إن أَرى يسوع لِلَحْظة... انه الليل، ليلُ النفس الدامس... وشعرتُ بأني وحيدة، مثل يسوع في بستان النزاع، لا عزاءَ لي، لا من الارض ولا من السماء، وكأن اللّه قد خذلَني!! وكأن الطبيعةَ ذاتها تشارِكُني حزني المرير... فطيلةَ هذه الايام الثلاثة، لم تُرسل الشمسُ شعاعاً [٥١ ش] من أشعّتها، وانهمرَ المطر سيولاً على الارض. لقد لاحظتُ ان الطبيعة كانت دائماً صورةً لنفسي في جميع ظروف حياتي الدقيقة. ففي ايام الدموع، كانت السماءُ تبكي معي؛ وفي ايام الفرح، كانت الشمس تغمرُ الكون بأشّعتها البَهِجَة، والسماءُ الصافية لا تُكدِّرُ بهاءَها أيَّةُ غيمة.

٢٤ - موافقة خالها

واخيراً، في اليوم الرابع، وكان يوم سبت [١١]، وهو يوم مكرَّس لملكة السماء الوديعة، ذهبتُ لمقابلة خالي. وما أشدَّ ما كانت دهشتي اذ رأيتُه ينظر اليَّ، ثم يُدخِلُني الى مكتبه من دون أن أُعرِبَ له عن رغبتي في ذلك!... وشرعَ يوجِّهُ اليّ عتاباً رقيقاً على أني كنتُ أبدو خائفةً منه، ثم قال لي إني لا احتاج الى التماس معجزة، وإنه صلَّى فقط الى اللّه لكي يمنحَهُ مجرَّدَ ميل في قلبه، وإن طلبَهُ قد استجيب... آه، لم تراوِدْني تجربةُ التماس معجزة، ففي نظري لقد تحقّقت المعجزة، وتبدَّلَ خالي. وبدون ان يُشيرَ الى الفطنة البشرية قال لي إني زهرةٌ صغيرة يُريدُ اللّه ان يقطفَها، وإنه لن يعارضَ ذلك بعد الآن!...

٢٥ - هدوء العاصفة

لقد كان هذا الجوابُ النهائي يليقُ به حقاً. فإن هذا المسيحي الذي ينتمي الى جيلٍ

(١١) في ١٨٨٧/١٠/٢٢.

سابق قد سمحَ للمرة الثالثة بأنْ تغادرَهُ احدى البنات اللواتي تبنّاهنّ قلبُه، وتذهبَ وتدفَن ذاتها بعيداً عن العالم. وكانتْ امرأة خالي، ايضاً، رائعةً بحنانها وفطنتها. فلا أذكر طيلةَ محنتي أنها قالتْ لي كلمةً واحدة من شأنها أنْ تزيدَني ألماً، وكنت أرى مقدارَ شفقتها على صغيرتها تريز المسكينة. لذلك لما حصلْتُ على موافقة خالي العزيز، منحَتْني رضاها هي ايضاً، ولكن ليس قبل ان تبيِّنَ لي، بشتى الاشكال، ما سيسبّبه لها ذهابي من الحزن! ... واحسرتاه! لَم يكن أهلُنا الأحباء يتوقّعون آنذاك [**٥٢ ي**]، انَّ عليهم تجديد ذاتَ التضحية أيضاً مرتّين أخريين... ولكنَ اللّه، إذ يمدُّ يدَه للطلب دوماً، لمْ يقدِّمْها فارغة، وقد استطاع أَحبُّ أصدقائه ان يغترفوا منها بفيض ما يحتاجون اليه من القوة والشجاعة... إلا ان قلبي يذهبُ بي بعيداً جدّاً عن موضوعي، فسأعود اذاً اليه على شيء من الأسف: – فبعد جواب خالي، تفهمين، يا أمّي، [**٥١ ي: تابع**] بأي فرحٍ عدتُ الى البويسُّونيه، في ظلّ سماء رائعة انقشعتْ غيومها تماماً... وفي نفسي أيضاً كان قد اضمحلَّ الظلام. اذ حالما استيقظَ يسوع من نومه، أعاد اليّ الفرح، فهدأ ضجيج الأمواج. وبدلاً من ريح المحنة، نفخ شراعي نسيمٌ عليلٌ، فحسبتني بالغةً قريباً الى الشاطئ المبارك الذي كنتُ اراه قريباً جدّاً مني. اجل، إنه كان قريباً جدّاً من زورقي، ولكن اكثر من عاصفة اخرى كان لا بد من أن تهبَّ وتحجبَ عنه رؤية فناره المنير، وتجعله يخشى أن يكونَ قد ابتعدَ عن الشاطئ الذي اليه يشتاقُ بلهفة ابتعاداً لا رجعةَ فيه...

٢٦ – معارضة رئيس الكرمل

بعد ايام قليلة من حصولي على رضى خالي، ذهبتُ لمواجهتك، يا أمّي الحبيبة، وأعربتُ لكِ عن فرحي بزوال جميع محني. ولكن يا لَدهشتي، ويا لَحزني، اذ سمعتُكِ تقولين لي إن الأب [**٥٢ ي**] الرئيس[١٢] لا يوافقُ على دخولي قبل بلوغي الحادية والعشرين من عمري... ولم تكنْ قد خطرتْ ببال أحد هذه المعارضة التي تفوق جميع المعارضات شدّةً. غير أني لم أقطع الأمل، بل ذهبتُ بصحبة بابا وسيلين الى «أبونا»، لأحاولَ التأثير فيه وأُظهرَ له حقيقةَ دعوتي الكرملية. فاستقبلَنا استقبالاً بارداً جدّاً. وقد حاولَ والدي الصغير المنقطع النظير ان يدعمَ طلبي بإلحاحاته، فلم يستطعْ شيءٌ ان يغيِّر

(١٢) هو الاب جان باتيست ديلاترويت DELATROÈTTE. خوري رعية مار يعقوب، والكرمليات يدعونه «ابونا».

موقف [الرئيس]. بل قال لي انه ليس في المنزل ايُّ خطر عليّ، وإنه بوسعي أن أعيشَ حياةً كرمليةً وانا في البيت، وإنه لن يضيعَ كلُّ شيء، اذا لم أَجلدْ نفسي، الخ!.. الخ. وأضافَ، اخيراً، أنه ليس سوى مفوّض للمطران، فاذا أراد هذا الأخير أن يسمح لي بالدخول الى الكرمل، فلن يكونَ له أيُّ اعتراض... وخرجتُ من الخورنية والدموعُ تبلّل وجهي. ولحسن حظّي كانتْ شمسيّتي تحجبُ وجهي، لان المطر كان ينهمر بغزارة، فلم يدرِ بابا كيف يعزّيني... ووعدَني بأن يأخذَني الى بايو حين أبديَ رغبةً في ذلك. لأني كنتُ مصمِّمةً على بلوغ اهدافي؛ وقلت إني مستعدّة للذهاب حتى الى الأب الأقدس، اذا ما رفضَ المطران ان يسمحَ لي بدخول الكرمل في الخامسة عشرة من عمري...

٢٧ – رغبة جموح

وجرتْ أحداث كثيرة قبل سفري الى بايو. ففي الخارج لم يطرأ تغييرٌ على حياتي: كنت أثابرُ على الدرس وعلى تلقّي دروس الرسم مع سيلين. وكانت معلّمتي الماهرة تجدُ لديَّ استعداداتٍ كثيرةً لفنّها. وكنت أَنمو خاصةً في محبّة اللّه، وأشعرُ في قلبي باندفاعاتٍ لم اختبرْها من قبل، وقد حصلتْ لي احياناً نشواتُ حبٍّ حقيقي... وفي ذات مساء، اذ لم أجدْ كلاماً أُعربُ به ليسوع عن فرط حبّي له وشدّة رغبتي في أن أراه محبوباً وممجَّداً، فكرتُ، بشيء من الالم، في انه لن يتمكّن من تقبُّل أيَّ فعل حبٍّ في الجحيم. عندها قلتُ لله إني أقبل لاجل مرضاته، بأن أُزَجَّ في الجحيم، لكي يكونَ محبوباً مدى الابد في مكان التجديف هذا... وكنت أعلَمُ أن هذا الامر لا يمكنُ أن يمجّدَه، بما أنه لا يرغبُ الا في سعادتنا. ولكن حينما [٥٢ ش] يُحبّ المرءُ، يشعر بحاجةٍ الى الإعراب عن حبّه بألف ضربٍ من الجنون. واذا كنتُ أتكلمُ هكذا، فلا يعني الأمر أن السماء لم تكن تُثيرُ رغبتي، بل لأن سمائي أنا ليست الا الحبّ، وكنتُ أشعرُ مثل القديس بولس بأنه ما من شيءٍ يستطيعُ أن يفصلَني، عن موضوع حبّي الالهي الذي سَحرَ لبّي!...

٢٨ – معرفة بالاطفال

وقبل ان أتركَ العالم، منَّ اللّه عليّ بتعزية، اذ أتاح لي أن أُشاهِدَ نفوسَ أطفال عن كثَب. ولما كنتُ الصغرى في العائلة، لم أحظَ قط بهذه السعادة. وها هي الظروف القاسية قد وفَّرتْها لي: فقد ماتتْ امرأةٌ فقيرة، في زهرة شبابها، وهي نسيبة لخادمتنا، تاركةً

وراءها ثلاثةَ أطفال صغار. وطيلة مرضها، أَخذنا الى بيتنا ابنتَيْها الصغيرتين اللتين لم تبلغْ كبراهُما السادسة من عمرها. وصرتُ أهتمُّ بهما النهارَ كلّه. وكان يسرُّني كثيراً أن أرى بأيّة براءةٍ كانتا تصدّقانِ كلَّ ما اقوله لهما. ولا غروَ ان العماد المقدس يزرعُ في النفوس بذاراً عميقاً من الفضائل اللاهوتية، بما أنها تَظهرُ منذ الطفولة؛ وإن رجاءَ الخيرات العتيدة هو دافع كافٍ الى تقبُّل التضحيات. فعندما كنتُ أريد ان أرى ابنتيَّ الصغيرتين متسالمتين فيما بينهما، فبدل أن أَعِدَ المتنازِلَة لأختها باللعب والحلوى، كنت أحدّثهُما عن المكافآت الخالدة التي سيمنحُها الطفل يسوع في السماء للأطفال العاقلين. فكانت الكبرى، التي بدأ عقلها يتفتّح، تنظرُ اليّ بعينين تتلألآن فرحاً، وتطرح عليَّ كثيراً من الاسئلة عن الطفل يسوع وعن سمائه الجميلة، وتعدني بحماسة بأن تتنازل دوماً لاختها. وتقول إنها لن تنسى مدى الحياة ما قالته لها الآنسة الكبيرة، فهكذا كانتا تدعواني.. ولدى مشاهدتي عن كثب هذه النفوس البريئة، أدركتُ مدى الخطر الكامن في عدم تهذيبها منذ يقظتها، وهي تُشبهُ الشمعَ الليّن الذي يمكنُ ان يُطبَعَ فيه ختمُ الفضائل، وكذلك ختمُ الشر ايضاً... وفهمتُ ما قاله يسوع في الانجيل: **مَنْ شكَّكَ أحدَ هؤلاء الاطفال الصغار، فأَولى به ان... يُلقَى في لجَّة البحر** (**متى** ١٨/٦). [**٥٣ ش**] آه! ما أكثر النفوس التي بوسعها ان تبلغَ القداسة لو أُحسِنَ توجيهُها!...

٢٩ - تربية النفوس

أعلم ان اللّه لا يحتاجُ الى أحد من اجل تحقيق عمله، ولكنه كما يسمحُ للبستانيِّ الماهر بأن يداريَ الغرسات النادرة واللطيفة، ويهبُ له من اجل ذلك العلمَ الضروري، ويستبقي لذاته مهمةَ إخصابها، كذلك يُريدُ يسوع ان نُعاونَه في تهذيبه الالهي للنفوس.

وماذا يحدثُ لو أنَّ بستانياً أخرقَ لم يُتقِنْ تطعيم شجيراته؟ واذا لم يعرف التمييز بين طبيعة كلٍّ منها، كأن يستنبتَ مَثلاً وروداً على شجرة الدّراق؟... اذاً لقَضى على الشجرة التي كانتْ صالحةً وقادرةً على إعطاء الثمار.

هكذا يجدر بنا ان نتعرّف، منذ الطفولة، ما يطلبُه اللّه من النفوس وندعَمَ عمل نعمته، دون أن نستبِقَها أبداً أو نؤخِّرَ نموَّها.

وكما تتعلّمُ صغارُ العصافير التغريدَ بالإصغاء الى أَبَوَيْها، كذلك يتلقَّنُ الاطفال عِلمَ الفضائل، أي انشودة الحبّ الإلهي السميا، بالقرب من النفوس المكلَّفة بتنشئتهم للحياة.

٣٠ – عصفور يتعلّم التغريد

أذكرُ انه كان لي بين طيوري نُغَرٌ[١٣] يغرِّدُ تغريداً يسحرُ الالباب، وكان لي ايضاً زُقَيقي[١٤] أُعنَى به عنايةً والدية وقد تبنّيتُه قبل ان يَنعَمَ بسعادة حرّيّته. فلم يكن لهذا السجين الصغير المسكين أبوان يعلِّمانه التغريد، بل كان يسمعُ، من الصباح حتى المساء، رفيقَه النُغَر وتغريدَه البديع. فأرادَ ان يقلّدَه... هذه المهمّة كانت صعبة على العصفور، وكان من العسير على صوته الناعم ان يتكيَّفَ مع الصوت الصادح عند أستاذه في الموسيقى. وما أطيبَ رؤية الجهود التي كان الصغير يبذُلُها. وقد تكلّلتْ اخيراً جهودُه بالنجاح، لأن تغريدَه، مع احتفاظه بأكبر قسطٍ من العذوبة، جاءَ مطابقاً تماماً لتغريد النُغَر.

[٥٣ ش] فيا امي الحبيبة، انتِ التي علَّمتْني ان أغرِّد... وصوتُكِ هو الذي سحرني منذ الطفولة. والآن اتعزَّى إذ أسمعُهم يقولونَ اني أشبهُكِ!!! أعلم كم أني ما زلتُ بعيدةً عن ذلك، ولكنّي أرجو، رُغمَ ضعفي، أن أُردّدَ الى الابد الانشودةَ عينَها معك!...

٣١ – تغلّب على الخجل

وقبل دخولي الكرمل، تحصّلتْ لي أيضاً خبراتٌ عديدة في الحياة وتعاساتِ العالم، إلا أن إيرادَ هذه التفاصيل قد يذهب بي بعيداً جداً؛ لذا أعودُ الى الحديث عن دعوتي. كان ٣١ تشرين الاول/اكتوبر اليوم المعيّن لسفري الى بايو. فذهبتُ وحدي مع بابا، والرجاءُ يملأ قلبي، ولكنّي كنتُ ايضاً مضطربةً لفكرة حضوري الى الدار الاسقفية. وللمرة الاولى في حياتي، كان يترتَّبُ عليَّ أن أقومَ بزيارة لا تصحَبُني فيها أخواتي، وكانت تلك الزيارة لمطران! وانا التي لم أكن لأتحدّث الا جواباً عن اسئلة تُوَجَّهُ اليّ، كان عليَّ الآن ان أَشرحَ بنفسي الغايةَ من زيارتي، وان أَعرضَ الدوافعَ التي تحدو بي الى التماسي دخولَ الكرمل، وبكلمة كان عليّ ان أبرهنَ عن متانة دعوتي. آه! كم كلّفني القيام بهذا السفر! كان من الضروري أن يمنحني اللّه نعمةً خاصة لأستطيعَ التغلّبَ على خجلي الكبير. صحيحٌ جدّاً «أن ليس شيءٌ مستحيلاً ابداً امام الحبّ، فهو يحسب كلَّ شيء ممكناً وجائزاً»[١٥]. فان محبة يسوع وحدها كانت قادرة على ان تجعلَني أتخطّى هذه الصعوبات والتي تَلَتْها، لانه طابَ له ان يجعلَني أَبتاعُ دعوتي بمِحَنٍ كثيرة...

---

(١٣) بلبل.

(١٤) زقيقي طائر صغير يشبه الحسّون.

(١٥) **الاقتداء بالمسيح** ٣:٥،٤.

اما اليوم وانا أنعمُ بعزلةِ الكرمل (أرتاح في ظلٍّ من تشوّقت اليه أيَّ اشتياق)، فأرى إني قد اشتريتُ سعادَتي بثمنٍ بَخِسٍ جداً، واني لعلى استعداد لأن اتحَّملَ آلاماً أشدَّ لكي أَحصلَ عليها، لو لم أكنْ قد حزتُها بعد.

٣٢ – زيارة بايو

كان المطرُ يهطلُ غزيراً عند وصولنا الى بايو. ولم يشأ بابا ان يرى ملكته الصغيرة تدخلُ الى الدار الاسقفية وثيابُها الجميلة مبلّلة، فأَصعدَها الى حافلة وأَوصلَها الى الكاتدرائية. وهناك بدأتْ مصائبي. فقد كان سيادةُ المطران مع جميع كهنته يشاركون في مأتم مهيب. وكانت الكنيسة تغصُّ بسيّداتٍ تلبس الحداد، فاتجهت الانظار كلّها اليّ [٥٤ ي] بثوبي الفاتح اللون وبقبّعتي البيضاء. وكنتُ أودُّ الخروجَ من الكنيسة، فلم يكن مجالٌ لذلك بسببِ المطر؛ ولاجل اتضاعي، سمحَ اللّه بان يُصعدني بابا، ببساطته الوقورة، الى مكانٍ بارز في الكاتدرائية. فلم أُردْ ان أُسبِّبَ له ايَّ كدر، بل امتثلتُ لرغبته بطيبةِ خاطر، وأمّنتُ هذه التسلية لسكان بايو الذين ودِدْتُ لو أني لم أتعرّفْ بهم قط... واخيراً تسنّى لي أن أتنفّسَ الصعداء في معبدٍ وراء المذبح الكبير، ومكثتُ هناك مدةً طويلة وانا أصلّي بحرارة، ريثما يتوقّف المطر فيسمح لنا بالخروج. ولدى عودتنا من هناك، أَراني بابا جمالَ هذا البناء الذي كان يبدو أكبر بكثير وهو خال. إلا أنَّ فكرةً واحدة كانت تشغُلني، فلم يكن يسعُني أن أَستعذِبَ شيئاً. واتجهنا رأساً الى الأب ريفروني[١٦] الذي كان على علم بمجيئنا، لأنه هو الذي عيَّنَ لنا يوم السفر. ولكنّه كان غائباً. فاضطررنا الى التجوال في الشوارع التي بدتْ لي كئيبةً جدّاً. واخيراً عُدنا الى قرب الدار الاسقفية، فادخلَني بابا الى فندقٍ جميل، فلم أشرّفْ كثيراً الطباخ الماهر. وكان والدي المسكين يعاملُني بحنانٍ يفوقُ المعقول، ويقول لي بألا اهتّم، وإن سيادته سيلبّي طلبي من دون شكّ. وبعد أن نلنا قسطاً من الراحة، عدنا الى الاب ريفروني، ووصل اليه في الوقت ذاته رجلٌ آخر. إلا انّ النائبَ العام طلب اليه بلطفٍ أن ينتظر، وأدخلَنا قبله الى مكتبه، (وقد اعترى المللُ هذا الرجل المسكين، لان الزيارة كانت طويلة). لقد بدا الأب ريفروني في غاية اللطف، ولكنّي أظن أنّ هدف سفرنا قد أدهَشَهُ كثيراً. وبعد أن نظر اليّ مبتسماً وطرحَ عليّ بعض الاسئلة، قال لنا: «سأقدّمكما لسيادته، فهل تلّطفتُما وتبعتُماني». وحينما رأى دموعاً

(١٦) RÉVÉRONY هو النائب العام للمطران هوغونان منذ سنة ١٨٧٩ وقد توفي سنة ١٨٩١ (م).

تتلألأ في عينيّ، أضاف قائلاً: «آه، اني أرى حبّاتِ ماس... إياك أن تُظهريها لسيادته!...»

٣٣ - مقابلة المطران

فاجتزنا معه عدّةَ قاعاتٍ فسيحةٍ جداً، مزيّنةٍ [٥٤ ش] برسوم الاساقفة. وحينما رأيتُ نفسي في هذه القاعات الكبيرة، حسبتُني نملةً صغيرة مسكينة، وكنتُ أسأل نفسي ما عساني أتجاسرُ وأقولُ لسيادته، وكان هو يتمشّى في الرواق مع اثنين من الكهنة. ورأيت الاب ريفروني يهمسُ في أذنه بضعَ كلمات. ثم عاد به، وكنا ننتظرهُ في مكتبه. وكان ثمّةَ ثلاثُ أرائكَ ضخمةٍ موضوعةٍ قرب مدفأةٍ تشتعلُ فيها نار مضطرمة. وما ان رأى بابا سيادته يدخل، حتى جثا على ركبتيه بالقرب منّي ليتلقّى بركته. ثم دعا سيادتُه بابا الى الجلوس على احدى الارائك، وجلسَ هو إزاءه. وأرادَ الأب ريفروني ان يُجلسَني على الأريكة في الوسط، فرفضتُ تأدّباً، ولكنّه الحَّ وقال لي بأن أُظهرَ هل انا قادرة على ان أُطيع. فجلستُ حالاً، دون أن أُبديَ أيةَ ملاحظة. ورأيتهُ، والخجلُ قد صبغ وجهي، يتّخذُ له كرسيّاً صغيراً، في حين أني كنتُ غارقةً في أريكةٍ يستريحُ فيها اربعةٌ مثلي (يستريحون فيها اكثر مني، لأني لم أكن مرتاحة فيها!...). كنت آمل ان يتكلّم بابا، ولكنه قال لي بأن أُوضحَ لسيادته الغاية من زيارتنا. ففعلتُ بكلِّ ما أُتيحَ لي من الفصاحة، ولكنّ سيادته المعتاد على الفصاحة، لم يَبدُ متأثراً كثيراً بدوافعي. وكلمةٌ من السيّد الرئيس كانت أجدى لي من جميعها، ولكن، للأسف، لم احظَ بهذه الكلمة، ولم تكن معارضته لتدافع ابداً عنّي...

٣٤ - حوار المطران

- سألني سيادتُه هل كنتُ أشتاقُ الى دخول الكرمل منذ زمنٍ طويل؟

- «إي، نعم، صاحبَ السيادة، منذ زمن طويل جداً...»

- فأجابَ الاب ريفروني ضاحكاً: «على أية حال، لا يمكنُكِ أن تقولي بأن لك هذه الرغبة منذ خمس عشرة سنة».

- فأَجبتُه وانا مبتسمة ايضاً: «إن هذا لصحيح. ولكن لا ينبغي حذفُ سنوات كثيرة، لاني رغبتُ في الترهّب منذ يقظة عقلي، ورغبت في الكرمل حالما تعرّفتُ به حقّ المعرفة. اذ رأيتُ في هذه الرهبانية أن جميعَ أمانيّ نفسي باستطاعتها أن تتحقّق» [٥٥ ي]. ولا

أدري، يا أمي، هل كانتْ هذه اقوالي بحذافيرها؛ وأظن ان تعبيري كان أسوأَ من ذلك، ولكن هذا هو المعنى، في الواقع.

٣٥ - رفض المطران

[٥٤ ش تابع] وحاول سيادته ان يُقنعَني بالبقاء بالقرب من بابا بضعَ سنين اخرى، ظانّاً انه يُسرُّه بذلك. فلم تكن دهشته قليلة ولم يرتح لموقف بابا، حينما رآهُ يدافعُ عن قضيتي، ويتشفَّعُ بي لأحصلَ على الإذن بالانطلاق في الخامسة عشرة من عمري. ولكن كلُّ شيء ذهب أدراج الرياح، وقال سيادته إن التشاورَ مع رئيس الكرمل أمرٌ لا يُستغنَى عنه قبل اتخاذ القرار. ولم يكن باستطاعتي سماعُ شيء أدعى من هذا الى الالم، لاني كنتُ عالمة بمعارضة «ابونا» الصريحة. ولهذا فإني لم أكترثْ لتوصية الاب ريفروني، ولم اكتفِ باظهار الماسات لسيادته فقط، بل وهبت له منها!... ورأيتُ انه كان متأثراً. فأَمسَكَ برقبتي وأسندَ رأسي الى كتفه وأخذ يلاطفُني كثيراً، الامر الذي لم يعمله لغيري قط [٥٥ ي]، على ما يظهر. وقال لي إن كلّ شيءَ لم يَضِعْ بعد، وانه يكون مسروراً جداً لو أَقومُ بسفرٍ الى روما لتوطيد دعوتي، وإنّ عليّ ان ابتهجَ بدلاً من استسلامي الى البكاء. وأضاف قائلاً إنه سيذهبُ، في الاسبوع التالي، الى ليزيو، وسيكلِّمُ الأب خوري رعية القديس يعقوب عنّي، وإني سأتلقّى، دون شك، جوابَه في ايطاليا. فأدركتُ انّ مزيداً من الإلحاح لن يجديَ نفعاً، ولم يبقَ لي شيء أُضيفه، لاني قد استنفدتُ طاقاتِ فصاحتي كلَّها.

٣٦ - تشييع الزائرين

ثم رافقَنا سيادتُه حتى الحديقة، وقد سرَّه بابا كثيراً عندما روى له كيف عقدتُ شعري لأُظهرَ اكبر سنّاً مما انا عليه في الحقيقة (ولم يذهبْ الأمرُ سدىً، لأنَّ سيادتَه لم يكن يتكلَّمُ على ابنته الصغيرة من دون ان يَروي قصّة الشعر...) وشاء الاب ريفروني أن يرافقَنا حتى آخر حديقة المطرانية، وقال لبابا إنه لم يشهَدْ قطّ مثل هذا الامر: «والدٌ يُلحُّ في إعطاء ابنته للّه تعالى إلحاحَ هذه الابنة في تقديم ذاتها».

٣٧ - بساطة الاب

وطلب منه بابا توضيحاتٍ عديدةً حول الحجّ، من بينها ايّ زيٍّ يجبُ ارتداؤه للظهور امام الأب الاقدس. وما زلتُ أراهُ يستديرُ امام الاب ريفروني ويقول له: «هل انا على ما

يرام بهذا الشكل؟ ...» وكان قد قال ايضاً لسيادته إنه إذا لم يأذَنْ لي بدُخول الكرمل، فإني سأَلتمسُ هذه النعمة من الحبر الأعظم. لقد كان ملكي الحبيب بسيطاً في كلامه وفي تصرّفاته، ولكنّه كان جميلاً جداً... فقد فُطِرَ على نبلٍ طبيعي لا بد من انه أعجبَ سيادته كثيراً وهو المعتادُ على ان يرى ذاتهُ محاطاً بشخصياتٍ يعرفون جميع أصول المراسم في قاعات الاستقبال؛ ولكنه لم يكنْ معتاداً على ان يتلقَّى زيارةَ ملك فرنسا ونقاريا شخصيّاً مع ملكته الصغيرة!...

٣٨ - خيبة امل الوالد

وحينما صرتُ في الشارع، اخذتْ دموعي تسيلُ من جديد لا بسبب حزني الذي تفاقم، بل لاني رأيتُ والدي الصغير الحبيب يتجشَّمُ عناءَ سفرٍ بغير جدوى... فهو الذي كان يعلّلُ نفسه بفرحةِ العيد لإرسال برقية الى الكرمل معلناً جواب سيادته السعيد. وقد اضطرَّ الآن الى العودة [٥٥ ش] من دون جواب... آه، ما كان أعظمَ ألمي! كان يخيَّلُ إليّ أن مستقبلي قد تحطَّمَ للأبد. فكلما اقتربتُ من الهدف، رأيتُ شؤوني تزدادُ تعقيدا. فكانت نفسي غائصةً في المرارة، ولكن في السلام ايضاً، لاني لم أكنْ أتوخَّى الا مشيئة الله.

٣٩ - التعزية في الكرمل

فما إن وصلتُ الى ليزيو، حتى ذهبتُ أبحثُ عن التعزية في الكرمل، فوجدتُها بالقرب منكِ، يا امّي الحبيبة. آه! لا، لن انسى أبداً كلَّ ما عانيتِهِ بسببي. آه، ولولا خشيتي من انتهاكِ الكلمات المقدسة باستعمالي إياها، لتسنَّى لي أن اقولَ الكلمات التي وجَّهها يسوع الى رسله، عشية آلامه: **انتم يا من ثبتوا معي في كل مِحَني (لوقا ٢٢/ ٢٨)**... إن أخواتي الحبيبات قدَّمنَ لي ايضاً تعزياتٍ عذبة كثيرة...

الفصل السادس
السفر الى روما ١٨٨٧

١ ـ تأثير السفر

بعد السفر الى بايو بثلاثة ايام، كان عليّ ان أقومَ بسفر آخر أطول بكثير، وهو السفر الى المدينة الخالدة [١]... آه! يا له من سفر! فهو،لوحده، علّمني اكثر من سنين طويلة من الدراسة، وبيّن لي بطلانَ كلَّ زائل، وأنَّ **كلَّ شيء تحت الشمس كآبة للروح (جامعة ٢، ١١)**... ومع ذلك، فقد شاهدتُ أشياء جميلة جداً، وتأملتُ روائع الفن والدين، ووطئتُ خاصةً الارضَ التي داسها الرسل القديسون، والارضَ التي روتْها دماءُ الشهداء، فعظمتْ نفسي لدى لقائها بالامور المقدسة...

٢ ـ زهد بالألقاب

انا سعيدة لاني ذهبتُ الى روما. ولكنّي أتفهَّم ابناء الدنيا الذين اعتقدوا ان بابا قد اقتادني الى هذا السفر لكي يحوِّلَ افكاري عن الحياة الرهبانية. وبالفعل لقد كان هناك ما من شأنه أن يزعزعَ دعوةً واهية.

فلم يسبق لنا، أنا وسيلين، أن عشنا بين وجهاء الناس، ووجدنا ذاتنا في وسط طبقة النبلاء [٢] التي كانت تشكّل الغالبية الساحقة من الحجّاج. آه! في الحقيقة ان جميع هذه الالقاب والتسميات الفخمة[٣] كانت أعجزَ من أن تبهرنا؛ بل بدت لنا كالدخان... من بعيد كانت هذه الامور قد ذرَّت الرماد في عينيّ، ولكنّي من قريب رأيتُ «أن ليس كلُّ ما يلمعُ ذهباً»، وفهمتُ هذه الكلمة [٥٦ ي] من **الاقتداء بالمسيح**: «لا تسعَ وراء هذا الظل الذي يسمونه اسماً رفيعاً، ولا ترغب في العلاقات الكثيرة، ولا في الصداقة الخاصة مع اي «انسان».

---

(١) من ١١/٧ الى ٢/١٢/١٨٨٧ نظّمت ابرشية كوتانس Coutances الحج الى روما بمناسبة اليوبيل الكهنوتي الذهبي للبابا لاون الثالث عشر. وشاركت فيه ايضاً ابرشية بايو. وكان الاب ريفيروني يمثل المطران هوغونان.

(٢) كان عدد الحجاج يربو على ١٩٥ حاجاً منهم ٧٣ اكليركيّاً.

(٣) تشير الى الحرف دي De الذي يدلّ على اصل العائلة النبيلة (م).

٣ - العظمة الحقيقية

ادركتُ ان العظمة الحقيقية تكمُنُ في النفس وليس في الاسم، لأنه كما يقول أشعيا: ان الربّ سيعطي مختاريه اسماً آخر. (**اشعيا** ٦٥، ١٥) ويقول القديس يوحنا ايضاً: **ان الغالب سيعطى حصاةً بيضاء، منقوشاً عليها اسمٌ جديد، لا يعرفه الا الذي يأخذه.** (**رؤيا** ٢، ١٧).

وهناك، في السماء اذاً، سنعلمُ ما هي ألقاب شرفنا. فعندئذ ينال كلٌّ واحد من اللّه ما يستحقّ من الثناء. ومن ارادَ ان يكونَ الأفقر واكثر المنسيين على الارض حبّاً بيسوع، فذاك هو الذي سيكونُ الأولَ والأشرف والأغنى!...

٤ - الكهنة بشر ضعاف

اما الخبرة الثانية التي اختبرتُها فتتعلّق بالكهنة، وبما انه لم يسبق لي ان عشتُ حياة إلفة معهم، فلم اكن استطيعُ أن أفهم الغاية الرئيسة من عملية إصلاح الكرمل. فالصلاة لاجل الخطأة كانت تسحرُني. اما الصلاة لأنفس الكهنة التي كنتُ اعتقدُها أصفى من البلّور، فكانت تُدهشُني!...

آه! لقد فهمتُ دعوتي في ايطاليا. ولم يكن مبالغةً مني البحثُ في مكان بعيد، من اجل اكتساب معرفةٍ جزيلة الفائدة كهذه...

لقد عشتُ طوال شهر مع كثير من الكهنة القديسين، ورأيتُ أنهم، اذا كانت رتبتُهم السامية تسمو بهم فوق الملائكة، فهم، مع ذلك، لم ينفكّوا بشراً ضعافاً وسريعي العطب. فاذا كان الكهنة القديسون، الذين يدعوهم يسوع في الانجيل «ملحَ الارض»، يُظهرون في سلوكهم انهم بحاجة ماسّة الى الصلوات، فماذا نقول عن الفاترين؟ ألم يقلْ يسوع ايضاً: **فاذا فسد الملحُ، فأي شيء يملّحه؟**. (**متى** ٥، ١٣).

٥ - رسولة الرسل

يا أماه! ما أجمل الدعوة التي تهدف الى حفظ الملح المعَدّ للنفوس! هذه الدعوة هي دعوة الكرمل، لأن الغايةَ الوحيدة لصلواتنا وتضحياتنا هي ان نكونَ رسولات الرسل، نصلّي لأجلهم بينما هم يبّشرون النفوس بأقوالهم ولا سيما بمَثَلهم... [**٥٦ ش**] ولكن عليَّ ان أتوقفَ عند هذا الحدّ، فلو واصلتُ كلامي على هذا الموضوع، لما انتهيتُ منه قط!

٦ – طريقتها في الكتابة

سأروي لكِ، يا امي الحبيبة، سفري مع بعض التفاصيل. وأرجو المعذرة إن أعطيتُك المزيدَ منها، فانا لا افكر قبل الكتابة، وأقومُ بها على فتراتٍ مختلفة، بسبب ضيق الوقت لديّ، ولهذا فقد تبدو لكِ روايتي مُمِلَّة ... وان ما يعزّيني هو أني، في السماء، سأحدِّثكِ عن النِّعم التي نلتُها، وسأفعلُ ذلك، حينئذٍ، بعبارات حلوة وجذَّابة ... ولن يأتيَ شيء ليقطعَ مبادلاتنا الحميمة، وبنظرة واحدة ستفهمين كلَّ شيء ... ولكن وا أسفاه! ما دمتُ مضطرةً الى استعمال لغة الارض الحزينة، فسأحاولُ ان أفعلَ ذلك ببساطة الطفل الصغير الذي يدركُ مدى حبِّ امّه! ...

٧ – انطلاق الحج

انطلقَ الحجيجُ من باريس في السابع من شهر تشرين الثاني / نوفمبر. الا ان بابا أَخَذَنا الى تلك المدينة، قبل ذلك بايام، لكي يُطلعَنا على معالمها.

٨ – زيارة باريس

وذات صباح [٤]، وفي الساعة الثالثة، عبرت مدينة ليزيو وهي ما تزال نائمة. وقد سَرَتْ في نفسي آنذاك انطباعات شتَّى، فشعرتُ بأني ذاهبة نحو المجهول، وأن اموراً خطيرة تنتظرُني هناك ... كان بابا فَرِحاً، وحينما انطلق القطار، اخذ يردِّدُ هذه اللازمة القديمة: «سيري، سيري، يا عرَبتي، فنحن على الطريق الطويل». وصلنا الى باريس صباحاً، وشرعنا حالاً بزيارتها. وقد أجهدَ ابي الصغير المسكين نفسه كثيراً لإرضائنا، وفي وقت قصير، شاهدنا جميع روائع العاصمة.

٩ – سيدة الإنتصارات

اما أنا، فلم تسحرني منها سوى واحدة، وهذه الرائعة كانت: «سيدة الانتصارات». آه! لن استطيعَ التعبيرَ عما شعرتُ به عند قدميها ... فالنِعَم التي منحتْني إياها أثَّرت فيَّ أعمقَ التأثير حتى إن دموعي وحدها ترجمت سعادتي، كما حدثَ يوم تناولي الاول.. لقد جعلتني العذراء القديسة أشعرُ بأنها **حقّاً هي التي كانت قد ابتسمتْ لي وشفَتْني. ففهمتُ** أنها تسهرُ عليَّ، وأني ابنتها، ولهذا فلم يعد باستطاعتي ان أُسميَّها [٥٧ ي] بغير لقب «ماما»، لان هذا اللقب كان يبدو لي أَرقَّ من لقب «الأم» ... وبأية حرارة

(٤) في يوم الجمعة الواقع فيه ٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٧.

تضرّعتُ إليها أن تحفظني دوماً، وتحققَ حلمي سريعاً، فتستُرني في ظلّ وشاحها البتولي! ....آه، تلك كانت احدى رغباتي الاولى في طفولتي... ومع تقدّمي في السن، أدركتُ أنه في الكرمل سيُتاح لي العثورُ حقّاً على وشاح العذراء القديسة، ونحو هذا الجبل الخصب كانت تتّجه أشواقي كلّها...

١٠ - حماية العذراء ومار يوسف

وتضرّعتُ ايضاً الى سيدة الانتصارات أن تُبعدَ عني كلَّ ما من شأنه ان يلوّثَ طهارتي. وما كنتُ أجهلُ أني، في سفرٍ كهذا الى ايطاليا، قد ألقى اموراً كثيرة يمكنُها أن تُثيرَ اضطرابي؛ لأني، لكوني لم اعرف الشر، كنت خائفةً من أن اكتشفَه؛ ولاني لم اختبرْ أن «كلَّ شيءٍ طاهرٌ للأطهار»، وأن النفسَ البسيطة المستقيمة لا ترى وجوداً للشر في شيء، فالشر، فعلاً، لا وجود له الا في القلوب الدنسة وليس في الاشياء العديمة الاحساس. وطلبت ايضاً من القديس يوسف أن يسهرَ عليّ. فمنذ طفولتي قد خصَّصتُ له عبادة لم تكن تتميَّز عن محبّتي للعذراء القديسة. وكنت كل يوم أتلو هذه الصلاة: «ايها القديس يوسف، يا أبا العذارى وحاميهُنَّ...». ولهذا فاني بدأتُ سفري البعيد بدون خوف. فكنتُ في حِرزٍ حريز، حتى بدا لي الخوفُ أمراً مستحيلاً.

١١ - مزاج متألق

وبعد ان كرّسنا ذواتنا للقلب الأقدس في بازيليك مونتمارتر[٥]، غادرنا باريس صباحَ الاثنين الموافق السابع [من تشرين الثاني / نوفمبر]. وسرعانَ ما جرى تعارفٌ بيننا وبين المشاركين في الحج. وانا الخَفِرة التي لا أكادُ أتجاسرُ على الكلام، عادةً، رأيتُني تخلّصتُ تماماً من هذه النقيصة المزعجة. وما كان أشدَّ دهشتي اذ كنتُ اتكلَّمُ بحرّية مع جميع السيدات النبيلات والكهنة، وحتى مع مطران كوتانس[٦] نفسه. وكان يخيَّلُ إليَّ اني عائشة دوماً مع هؤلاء الناس. وأظن اننا كنا [**٥٧ ش**] موضوع مودَّةِ الجميع. وكان بابا يبدو فخوراً بابنتيه. واذا كان هو فخوراً بنا، فنحن ايضاً كنا فخورتين به، فلم يكن في الحجّ كلّه سيدٌ أبهى وأنبل من ملكي العزيز. وكان يحبُّ ان يرى نفسه محاطاً بي وبسيلين؛ وحينما لا نكون في العربة أو ابتعدُ عنه، كان يناديني لكي أمدَّ له ذراعي، كما

(٥) Montmartre

(٦) Coutances

في ليزيو... اما الأب ريفروني فكان يراقبُ جميعَ أعمالنا مراقبةً دقيقة. وغالباً ما كنتُ ألمحُه من بعيد ينظرُ الينا. وعلى مائدة الطعام، حينما كان موضعي لا يواجهُه مباشرة، كان يجدُ الوسيلة فينحني ليراني ويسمعَ ما أقوله. لا ريب في انه كان يريد ان يتعرَّف بي ليعلمَ هل انا قادرة حقاً على أن أكونَ كرملية. وأعتقد انه راضٍ عن فحصه هذا، لانه في نهاية السفر أظهرَ استعداداً حسناً تجاهي. ولكنه في روما، لم يُظهرْ تعاطفاً مع قضيّتي، كما سأبيِّنه فيما بعد.

١٢ – روائع سويسرا

وقبل الوصول الى تلك المدينة الخالدة، هدفِ حجِّنا، أُتيحَ لنا ان نتأملَ روائعَ كثيرة، كانت أولها سويسرا بجبالها التي تضيعُ قممها في السحب، وبشلالاتها الرائعة المتدفّقة بألف شكل وشكل، ووديانها السحيقة المليئة بالخنشار العملاق والخلنج الوردي اللون. آه! يا امّي الحبيبة، ما أعظم الخير الذي أسدتْه الى نفسي روائعُ الطبيعة تلك المنثورة بوفرة هنا وهناك. وكم أهابتْ بي الى الارتقاء نحو ذاك الذي حسُنَ لديه ان يُودعَ مثل هذه التحف على أرض المنفى، التي لن تدومَ سوى يوم واحد... لم يكن لي ما يكفي من العيون لكي أنظرَ. كنت أقف بجانب الباب وانفاسي تكاد تنقطع. ولكم تمنّيتُ لو أكون على جانبَيْ العربة في آن واحد، اذ كنتُ أشاهد، عند التفاتي الى الوراء، مناظرَ أخرى خلاّبة تختلفُ عن تلك التي تمتدُّ امام بصري.

١٣ – مناظر شعرية

وكنا احياناً نرتفعُ الى قمة جبل، ونرى عند أقدامنا [٥٨ ي] وهاداً لا يستطيعُ النظر ان يسبرَ أغوارها، وكأني بها فاغرة فاها لابتلاعنا... او نجتازُ قريةً صغيرة خلاّبة ببيوتها الريفية الرائعة، وقُبة جرسها، تتهادى فوقها بدلالٍ سحبٌ ناصعةُ البياض. وبعدها نمرُّ ببحيرةٍ واسعة تُرسلُ اليها اشعةُ شمس الأصيل خيوطَها الذهبية، والأمواجُ الهادئة الصافية، التي تستمدُّ زرقتها من السماء، فتمتزجُ بألوان المغيب الحمراء، كانت تقدِّمُ لأنظارنا المذهولة اجملَ منظر شعري خلاّب يمكنُ مشاهدته... وفي عمق الأفق الفسيح، كنا نلمحُ الجبال التي كانت تعاريجُها غير الجلية تكاد تغيبُ عن عيوننا، لو لم تأتِ قممُها المكلّلة بالثلوج، المتوهّجة بأشعة الشمس، لتُضفيَ سحراً جديداً على البحيرة التي كانت تأخذُ بمجامع قلوبنا...

١٤ - افكار عميقة

لدى مشاهدتي تلك الجمالات كلِّها كانت تتولّدُ في نفسي أفكارٌ عميقة جداً، وخُيِّلَ اليّ أني افهمُ منذ الآن عظمة اللّه وآيات السماء... وتجلّت لي الحياة الرهبانية على حقيقتها وما تتطلّبه من أعمال الخضوع ومن التضحيات الصغيرة، التي تعاشُ في الخفاء، وفهمتُ ما أسهلَ أن ينطويَ الانسانِ على نفسه، وينسى غايةَ دعْوته السامية، وكنت أقولُ في نفسي: «فيما بعد، عند ساعةِ المحنة، حينما سأكونُ سجينةً في الكرمل، فلا أستطيعُ ان أتأمل سوى زاويةٍ صغيرة من السماء المرصَّعة بالنجوم، سأتذكَّرُ ما أشاهده اليوم، وستبعثُ تلك الفكرة الشجاعة في نفسي، وسأنسى بسهولةٍ مصالحي الصغيرة الوضيعة، لدى مشاهدتي عظمة اللّه وقدرته، الذي اياه وحده أريدُ ان أُحب. ولن أسقطَ في تعاسة التعلّق بالهشيم، طالما ان «قلبي قد استشفّ ما يعدُّه يسوع للذين يحبّونه!...».

١٥ - كاتدرائية ميلانو

وبعد ان تملَّتْ عيناي من قدرة اللّه، تسنَّى لي ان أُعجبَ ايضاً بالقدرة التي أَولاها خلائقَه. والمدينة الاولى التي زرناها في ايطاليا كانت ميلانو. وتفحَّصنا بدقة ما في كاتدرائيتها من دقائق الفن، تلك الكاتدرائية المشيّدة كلها بالرخام الابيض، وبتماثيلها العديدة الكافيةِ لأن تشكِّلَ شعباً يكادُ لا يُحصى. [٥٨ ش] وكنا انا وسيلين اكثر الحُجَّاج جرأةً والسبّاقتين دوماً في متابعة المطران عن كثب، لكي نرى كلَّ ما يتعلّقُ بذخائر القديسين، ونسمعَ الشروح جيّداً. وهكذا فبينما كان يقيمُ الذبيحة الالهية على ضريح القديس شارل، كنا نحن مع بابا وراء المذبح، وقد أسندنا رؤوسنا الى الضريح الزجاجي الحاوي جثمان القديس، وهو موشَّح بحلله الحبرية. وكذا كان شأننا في كل مكان... إلا حينما كان علينا الصعود الى حيثُ لا تسمحُ للمطران كرامتهُ بالصعود، اذ ذاك كنا نعرفُ كيف ننفصلُ عن سيادته... فقد تركنا السيدات الخجولات يحجُبْنَ وجوههنّ بأيديهنّ، بعدما تسلّقنَ الابراج الصغيرة الاولى التي تتوِّجُ الكاتدرائية، وتبعنا اكثر الحجّاج جرأةً، وبلَغنا الى قمة آخر قبةِ جرسٍ من الرخام، حيث تمتَّعنا برؤية مدينة ميلانو تحت اقدامنا، وقد بدا سكانُها العديدون مثل وكرٍ صغير للنمل...

١٦ - زيارة المدافن

وبعد ان انحدرنا من منبرنا، بدأنا بسياحاتنا في العربة. وقد دامت هذه السياحات

شهراً كاملاً، وأشبعتْ تماماً رغبتي في التجوّل في العربة بدون تعب. وقد راقتْ لنا المدافن اكثر من الكاتدرائية نفسها. فكل تماثيلها الرخامية البيضاء، التي تبدو وكأن ازميلَ فنانٍ عبقري بعثَ فيها الحياة، قد نُثرتْ فوق حقلِ الأموات الفسيح على شيء من الاهمال، مما زادها رونقاً في نظري ... وقد تشعرُ برغبة في تعزية هؤلاء الاشخاص النماذج الذين يُحيطون بك. فما يرتسمُ على محيّاهم هو من الصدق، وسِمَاتُ الألم هي من الهدوء والاستسلام بحيثُ لا يسعُ المرء ألاّ يتعرّف من خلالها افكارَ الخلود التي كانت تملأُ بلا شك، قلوبَ الفنانين، الذين نحتوا هذه الروائع. فهنا طفلة تنثرُ الورود فوق ضريح والديها، وكأنَّ الرخامَ قد فقدَ ثقله، وكأنَّ أوراقَ الورود الرقيقة تنسابُ بين أصابع الطفلة، وكأن الريح أخذتْ تبعثرُها. وتبدو الريح [٥٩ ي] ايضاً تطيرُ بمنديل الأرامل الرقيق، وبالشرائط التي تُزيِّن شعورَ الصبايا. وكان إعجابُ بابا لا يقلُّ عن اعجابنا. كان يبدو مُتعباً في سويسرا، ولكنه الآن، وقد استعادَ بشاشته، أخذ ينعمُ بهذا المنظر الذي كنا نتأمّله. وكانت روحه الفنِّية تنكشفُ بتعابير الايمان والدهشة، التي كانت تتجلّى على وجهه الجميل.

١٧ سيّد متبرّم

وكان ثمّةَ سيدٌ (فرنسي) طاعنٌ في السن، لم يكن له، بلا شك، ما لنا من نَفَسٍ شعري، فكان ينظرُ الينا من طَرَفِ عينه، ويقولُ بتأفف وعلى وجهه بعضُ الأسف لعدم تمكّنه من مشاركتنا دهشتنا؛ «آه، ما اكثرَ حماسة الفرنسيين!» وأظن أنه كان من الافضل لهذا السيد المسكين لو ظلَّ قابعاً في بيته، لانه لم يبدُ لي انه استمتعَ بسفره. وغالباً ما كان يوجد بقربنا، وكانت التشكِّيات تخرجُ من فمه باستمرار. فقد كان غير راضٍ عن العربات وعن الفنادق، وعن الاشخاص، وعن المدن، واخيراً عن كلِّ شيء ... وكان بابا، بشهامته المألوفة، يحاولُ ان يسلّيهُ، ويقدّمُ له مقعده، الخ ... فكان راضياً دوماً وفي كل موضع، فطبعُه كان على النقيض من طبع جاره المتبرِّم ... آه! لكم رأينا من اشخاص مختلفين! ولكم هي شيّقة دراسة العالم، عندما نوشك ان نفارقه!...

١٨ – زيارة البندقية

في البندقية، تغيَّرَ المشهدُ تماماً. فعوض ضجيج المدن، لا يُسمَعُ هناك، وسط الصمت، سوى صرخات أصحاب الزوارق وهدير الموج الذي تلطمهُ المجاذيف. لا تخلو البندقية من السحر، إلا اني أجد هذه المدينة كئيبة، وقصر رؤساء المشايخ رائع،

ولكنه كئيبٌ ايضاً، بأقسامه الفسيحة يُبسَطُ فيها الذهب والخشب وأَنفَسُ الرخام مع لوحات اكبر الفنانين. ومنذ عهد بعيد، لم تَعُدْ قبابُه الرّنانة تسمع صوت الحكّام، وهم يُصدرون أحكامَ الموت والحياة في القاعات التي اجتزناها... وما عاد السجناء البائسون يئنُّون تحت وطأة الالم، وقد احتجزَهم رؤساء المشايخ في الزنزانات [٥٩ ش] وفي سراديب النسيان. فكنتُ إخالني، وانا أزور تلك السجون المرعبة، كأني في عهد الشهداء، وكم وددتُ لو أُتيحَ لي البقاءُ فيها لكي أَقتديَ بهم!... إلّا انه تحتّم علينا الخروج منها سريعاً والعبور فوق جسر التنهدات وقد أُطلق عليه هذا الاسم، لاجل تنهدات الارتياح، التي كان يُصعدها المحكومُ عليهم، حينما يَرون انهم قد نجوا من هول تلك الأنفاق، التي كانوا يفضّلون الموت عليها...

١٩ - زيارة بادوفا

وبعد البندقية، ذهبنا الى بادوفا، حيث كرَّمْنا لسانَ القديس انطونيوس، ثم الى بولونيا حيث شاهدنا القديسة كاترين التي ما زالت تحتفظُ بأثر قبلة الطفل يسوع. وهناك تفاصيلُ اخرى عديدةٌ حلوة بوسعي ان أُعطيها عن كلّ مدينة، وعن آلاف الظروف الدقيقة الخاصة بسفرنا الا ان الأمر يطولُ بي. ولهذا سأكتفي بذكرِ أَهمِّ هذه التفاصيل.

٢٠ - بولونيا وطلابها

لقد غادرتُ بولونيا بفرح، لان هذه المدينة أضحتْ، بالنسبة إليّ، لا تُطاق، بسبب الطلاب الذين يملأونها، وقد كانوا يشكّلون سياجاً حولنا، كلما خرجنا راجلين، ولا سيما بسبب الحادثة الصغيرة التي جرت لي مع واحد منهم(٧).

٢١ - زيارة لوريت

وكنت سعيدة بأن أتوجّهَ الى لوريت. لا استغربُ أن تكون العذراء القديسة قد اختارتْ هذا الموضع لتنقلَ اليه بيتَها المبارك (٨). ففيه يسودُ السلام والفرح والفقر. كلّ شيء هناك بسيط وعليه طابع القِدَم. وقد احتفظتْ النساء بزيّهنَّ الايطالي الظريف، ولم يتَّبعنَ موضة

---

(٧) روت سيلين قائلة: لدى النزول من القطار، اندفع نحوها احد الطلاب واخذها بين ذراعيه، وهو يغدق عليها المدائح. لكنّها تفلّتت منه بسرعة ورشقته بنظرة غاضبة.

(٨) لم تشك تريز لحظة واحدة في اسطورة نقل الملائكة لبيت مريم ويوسف الى لوريت كغالبية الكاثوليك في عصرها (م).

باريس، شأنَ نساء المدن الاخرى. وقصارى القول إن لوزيت قد استهوتْني! وماذ اقولُ عن البيت المقدس؟... آه! لقد كان انفعالي شديداً حينما رأيتُني تحتَ السقف عينِه الذي أوى العائلة المقدسة، وحينما تأملتُ تلكَ الجدران التي ألَقى عليها يسوع نظره الالهي، ووطئتُ الارضَ التي بلَّلها القديس يوسف بعرقه هناك حملتْ مريم يسوع بين ذراعيها، بعد ان حملتْهُ في حشاها البتولي!.. لقد رأيتُ الغرفةَ الصغيرة حيث انحدرَ الملاك بقرب العذراء القديسة... ووضعتُ سبحتي في صحن الطفل يسوع الخشبي الصغير... فما أروع هذه الذكريات!...

٢٢ – تناولها في البيت المقدس

[٦٠ ي] الا ان تعزيتنا الكبرى كانت أن نتناولَ يسوع نفسه في بيته، وان نكون هيكله الحي في ذات الموضع الذي شرَّفه بحضوره. وكانت عادةٌ جارية في ايطاليا تقضي بألاّ يُحتَفَظ بالقربان المقدس في كلّ كنيسة، الا على مذبح واحد، وهناك فقط يمكن للمرء أن يتناولَ القربان. وكان هذا المذبح في البازيليك نفسها، التي تضم البيت المقدس وهو محاط، مثل ماسة كريمة، بإطار من الرخام الأبيض. فلم يَرُقنا هذا الأمر. اذ كنا نودُّ أن نتناولَ داخل الماسة نفسها، وليس داخل الإطار. وفعل بابا بوداعته المألوفة مثل سائر الحجاج. اما انا وسيلين فذهبنا والتقينا بكاهن، كان يرافقُنا في كل موضع، وكان يتهيأُ لإقامة قداسِه في البيت المقدس (Santa Casa) وذلك بإنعام خاص. فطلب برشانتين صغيرتين وضعَهُما مع برشانته الكبيرة على صينيته؛ وانت تدركينَ يا اماه مدى غبطتنا في ان نتناولَ كلتانا القربان المقدس في هذا البيت المبارك!... لقد كانت سعادةً سماوية تعجز الكلمات عن التعبير عنها. فكيف تكونُ، اذاً، سعادتنا حينما سنتناولُ القربان في مسكن ملك السماوات الابدي؟... هناك لن نرى خاتمةً لافراحنا، ولن تكونَ ثمّة كآبةُ الرحيل، ولن تدعوَ الضرورة الى حكّ الجدران خلسة، لأخذ تذكار منها، تلك الجدران التي تقدّست بالحضور الالهي، أن بيته سيكونُ بيتَنا مدى الأبدية... فهو لا يشاءُ أن يُعطِينا بيته الأرضي، بل يكتفي بأن يُريَنَا اياه، لكي يحبِّبَ الينا الفقرَ والحياة الخفية. اما البيت الذي يُعدُّهُ لنا، فهو بلاطه المجيد حيث لن نراه مستتراً تحت ظواهر طفل، أو تحت أَعراض برشانةٍ بيضاء، وإنما كما هو، في سناءِ بهائه غير المتناهي!!!...

٢٣ – زيارة روما

والآن، بقي لي أن أتكلمَ على روما، هدف سفرنا. [٦٠ ش] فحيث كنتُ أظنُّ أني

سألقى العزاء، لقيتُ الصليب! ... كان الوقتُ ليلاً، لدى وصولنا، وبينما نحن نائمون، أيقظنا عمال المحطة الذين كانوا يصرُخون: روما، روما. ولم يكن ذلك حُلماً، فقد كنتُ في روما!...

انقضى نهارنا الأول خارجَ الأسوار، ولعله أطيبُ نهار قضيناه، لأن الآثار كلها قد احتفظتْ بطابعها القديم، بينما في داخل المدينة، يخيَّلُ الينا أننا في باريس، اذ نرى عظمةَ الفنادق والمخازن. إن تلك النزهة في ظاهر المدينة الرومانية قد تركتْ في نفسي ذكرى طيبةً جداً. لن أتحدّثَ عن الأمكنة التي قُمنا بزيارتها، فهناك كتبٌ كثيرة تصفها بإسهاب، بل سأكتفي بالكلام على الانطباعات الرئيسة التي شعرتُ بها.

٢٤ – زيارة الكوليزيه

من أعذب الانطباعات ذاك الذي هزَّ مشاعري امام ملعبِ الكوليزيه. لقد أُتيحَ لي اخيراً ان ارى هذا الميدان الذي فيه سفكَ عددٌ كبير من الشهداء دماءَهم لأجلِ يسوع. فهَمَمْتُ بتقبيلِ الأرض التي قدّسوها، ولكن واخيبتاه! فان قلبَ الميدان ليس الا كومةً من الانقاض، على الحجاج ان يكتفوا بالنظر اليها، لأن حاجزاً يحولُ دون دخولها. على كل حال، لا تراودُ التجربة احداً بالنَفاذ الى وسَط هذه الأنقاض... ولكن هل من المعقول ان نأتيَ الى روما دون النزول الى الكوليزيه؟... هذا الأمر كان يبدو لي مستحيلاً. فلم أعُدْ أصغي الى شروح الدليل، بل كانت تشغل بالي فكرةٌ واحدة: أن انزلَ الى الميدان... وحينما رأيتُ احدَ العمّال يمرُّ حاملاً معه سلماً، هممتُ بالتماسها منه، ولكنّي، لحسن الحظ، لم أضعْ فكرتي موضعَ التنفيذ، والا لاعتبرَني مختلَّةَ العقل... لقد ذُكرَ في الانجيل ان المجدلية قد لبثَتْ بالقرب من القبر، وهي تنحَني عدةَ مرات لتنظرَ الى الداخل، وما زالتْ كذلك، حتى رأتْ ملاكين. فانا ايضاً مثلها، بالرغم من علمي بأن رغباتي لن تتحقَّق، [٦١ ي] تابعتُ انحائي أنظرُ الى الانقاض، التي كنتُ أريدُ النزول اليها. وفي الأخير، لم أرَ ملاكين، بل ضالتي المنشودة. فهتفتُ هتافَ الفرح وقلتُ لسيلين: «تعالَيْ، بسرعة. فسنتمكَّنُ من العبور!...» وسرعانَ ما اجتزنا الحاجزَ الذي كانتْ تَصِلُهُ الخرائبُ في ذلك الموضع، وشرَعْنا نتسلَّقُ تلك الانقاض، التي كانت تتداعى تحت اقدامنا.

٢٥ – طلب الاستشهاد

كان بابا ينظرُ الينا متعجباً من جُرأتنا. وبعد وقتٍ وجيز شرَعَ ينادينا للعودة. الا ان الهاربتَين ما عادتا تسمعان شيئاً. وكما ان المحاربين يشعرون بازدياد شجاعتهم وسطَ

الخطر، هكذا كان يزدادُ فرحنا كلما ازدادَ جهدُنا في سبيل البلوغ الى موضوع أشواقنا. اما سيلين فكانت أكثرَ مني فطنةً، فقد أَصغت الى الدليل، فذكرت انه أشار الى بلاطة صغيرة مصلَّبة على انه المكان الذي فيه جاهدَ الشهداء. فأخذتْ تبحثُ عنها. وحينما وجدَتْها بعد قليل، جَثوْنا على تلكَ الأرض المُقدسة واتَّحدتْ نفسانا في صلاةٍ واحِدة. وشرعَ قلبي يخفقُ بشدة، عندما أَدنيتُ شفتيّ من التراب الذي أَكسَبَهُ دمُ المسيحيين الأولين لوناً ارجوانياً، والتمستُ أيضاً نعمة الاستشهاد لاجل يسوع، وشعرتُ في أعماق قلبي بأن صلاتي قد استجيبتْ! ... وجرى هذا الأمر كله في وقتٍ وجيز. وبعد ان التقطْنا بضعةَ أحجار، عدنا الى الجدران المتداعية، لنستأنفَ مهّمتَنا الخطرة. واذ رآنا بابا على تلك الغبطة، لم يستطع ان يوبّخنا. ولاحظتُ انه كان فخوراً بشجاعتنا ... لقد حمانا اللّهُ بشكل واضح، لان الحجاج لم يلاحظوا غيابنا، اذ كانوا قد ابتعدوا عنا، وهم منشغلون بلا ريب بالنظر الى الأقواس الرائعة، حيث أشار الدليل الى «الخيارات الصغيرة والجشعين القابعين فوقها [٩]». فلا هو ولا الآباء المحترمون اختبروا الفرح الذي كان يغمر قلبَينا ...

٢٦ – زيارة الدياميس

لقد تركتْ الدياميس [١٠] ايضاً فيّ انطباعاً عذباً جداً: انها حقاً كما [٦١ ش] تصوَّرْتُها عندما طالعت أوصافَها في سِيَر الشهداء. وبعد ان أَمضينا فيها قسماً من فترة بعد الظهر، خيِّل إليَّ أني لم أكنْ هناك سوى من بضع لحظات لشدّة ما كان يبدو لي الهواءُ فيها معطَّراً... وكان ينبغي ان نأخذ من الدياميس بعض الذكريات، ولهذا فقد تركتْ سيلين وتريز الجمعَ يبتعدُ قليلاً، وانسابتَا سويةً حتى قعرِ قبر القديسة سيسيليا القديم، وأَخذنا من التربة التي قدّستْها بحضورها.

٢٧ – صداقة سيسيليا

وقبل سفري الى روما، لم يكنْ لهذه القديسة من عبادة خاصة في قلبي. ولكنني لدى زيارتي بيتِها، الذي تحوَّلَ الى كنيسة، وموضعِ استشهادها، وحينما علمتُ انها أَعلَنَتْ

---

(٩) يدلّ الدليل على إفريز Corniches في اعلى الاسوار تظهر عليه تماثيل Cupidon إله الحبّ. اما تريز فقد قلبت الكلمات فصارت العبارة الى «الخيارات» Cornichons الصغيرة «والجشعين» Cupides القابعين فوقها (ش.ر.).

(١٠) هي دياميس القديس البابا كاليكست على طريق آبيا (م).

ملكة الترنيم، ليس لاجل رخامة صوتها، ولا لموهبتها الموسيقية، وانما تذكيراً بالانشاد البتولي الذي أسمعته عريسها السماوي الكامن في عمق قلبها، شعرتُ نحوها بأكثر من تعبّد: شعرتُ بحنان الصداقة الحقيقي... فأضحَت قديستي المفضَّلة، ونَجِيَّتي الحميمة... فكل ما فيها يسحرني، ولا سيما استسلامها وثقتها اللامحدودة، اللذان جعلاها قادرة على ان تعفّف نفوساً، لم تَتُقْ من قبلُ الى غير افراح الحياة الحاضرة...

ان القديسة سيسيليا تُشبهُ عروس **الاناشيد**. ففيها أرى «جوقةً في معسكر»!... ولم تكن حياتُها سوى نشيد عذب، حتى في وسط أعظم المحن. وهذا لا يُثيرُ دهشتي، ما دامَ، «ان الانجيل المقدس كان مستقرّاً فوق قلبها»، وعريسُ العذارى مقيماً في قلبها!...

٢٨ - القديسة أنييس

كانت زيارة كنيسة القديسة أَنييس عذبةً جدّاً على قلبي. لقد كانت صديقة الطفولة، وكنت ازورها في بيتها، وقد كلَّمتُها طويلاً على تلك التي تحملُ اسمها بجدارة، وبذلتُ جهدي لأحصلَ على احدى ذخائر هذه الشفيعة الملائكية لأمّي الحبيبة، لكي أَجلبَها لها [**٦٢ ي**]. الا أنه تعذَّرَ علينا الحصول على شيء آخر سوى حصاةٍ صغيرة حمراء، انفصلتْ عن فسيفساء نفيسة، يرقى أصلها الى عهد القديسة أنييس، ولا ريبَ في أن القديسة قد رمقتها غالباً بنظرها. أليس بالأمر العذب أن تُعطينا القديسة نفسُها ما كنّا نبحثُ عنه، وكان يُحظَّر علينا أخذه؟ لقد اعتبرتُ هذا دوماً كبادرة لطيفة وكبرهانٍ على المحبة التي بها تَنظرُ القديسة أنييس الوديعة الى أمّي الحبيبة وتحميها!...

٢٩ - محبة الأختين

مضتْ ستة ايام في زيارة أهم روائع روما. وفي اليوم السابع فقط شاهدتُ أكبرها قاطبة: «لاون الثالث عشر... كنت أَتوقُ الى ذلك اليوم وأَرهبُهُ معاً، لأن دعوتي كانت منوطةً به. فالجوابُ الذي كنتُ بانتظاره من سيادة المطران لم يصلْ بعد. وقد علمتُ، من رسالتك، يا امّي، أنه لم يعد على استعدادٍ حسَنٍ تجاهي. لذا كانت دقّةُ الخلاص الوحيدة لي هي سماحُ الأب الاقدس... ولكن للحصول على هذا السماح، كان عليَّ أن أطلبَهُ، وكان عليَّ ان أَتجاسَر فأتكلَّمَ مع البابا امام الجميع. ان هذه الفكرة كانت تملأني رهبة. اما ما عانيتُه من العذاب قبل المقابلة، فالله وحده يعلمه مع عزيزتي سيلين. فلن

انسى أبداً القسطَ الذي احتملته من محني كلها، وكأن دعوتي هي دعوتُها. (وقد لاحظَ كهنة الحج حبَّنا المتبادل: فذات مساء، كان الجمع كثيراً حتى إن الكراسي لم تكفِ للجميع. فأخذتني سيلين على ركبتَيْها، وكنا ننظرُ الواحدة الى الأخرى بلطفٍ كبير، مما جعل احد الكهنة يقول: «كم إنهما تتحابَّان! آه! لن تستطيعَ هاتان الأختان أبداً ان تنفصلَ إحداهما عن الأخرى!» أجل، كانت كلٌّ منا تحبُّ الاخرى، إلا أنَّ مودَّتَنا كانت من الصفاء والقوة بحيث لم تكنْ فكرةُ الفراق تُقلقُنا، لأننا كنا نشعرُ بأن ليس هناك شيء، حتى المحيط نفسه، يمكنُه ان يفرِّقَنا الواحدة عن الأخرى... وكانت سيلين تلاحظُ بهدوءٍ زورقي [٦٢ ش] الصغير يقتربُ من شاطىء الكرمل، وكانت راضيةً بالبقاء فوقَ بحر العالم الهائج بقدر ما يشاءُ اللّه ذلك، وهي على يقين من البلوغ، بدورها، الى الشاطىء الذي تتوخّاه أشواقنا...)

٣٠ - مقابلة البابا

وفي الأحد الواقع فيه ٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر، بعد أن لبسنا من الثياب ما تقتضيه التشريفاتُ الفاتيكانية (اي الأسود مع خمار مخرَّم على رأسنا). وتقلَّدنا مداليةً كبيرة للاون الثالث عشر، معلقةً بشريط أزرق وأبيض، دخلنا الفاتيكان ووصلنا الى معبد الحبر الأعظم. وفي الساعة الثامنة، بلغ تأثُّرنا ذروتَه لـمَّا رأيناه داخلاً ليقيمَ القداس الالهي... وبعد ان باركَ الحجّاجَ العديدين المجتمعين حوله، ارتقى درجات المذبح المقدس، وأرانا بتقواه، الجديرة بنائب يسوع، أنه حقاً «الأب الاقدس». وكان قلبي يخفقُ بشدة، وصلاتي حارةً جداً، بينما كان يسوع ينحدرُ بين يدي حبره. إلا ان قلبي كان مُفعماً بالثقة، لا سيما، وان انجيل ذلك النهار قد انطوى على هذه الكلمات الرائعة: **لا تخَفْ ايها القطيع الصغير، فقد شاءَ أبوكم ان يعطيَكم ملكوته (لوقا** ١٢، ٣٢). كلا، ما كنتُ أخاف، بل كنتُ أرجو ان ملكوتَ الكرمل سيكونُ قريباً في حوزتي. ولم أُفكر آنذاك في أقوال يسوع الأخرى هذه: **انا أُوليكم الملكوت، كما أولانيه ابي (لوقا** ٢٢، ٢٩)، اي إني أُعدُّ لكم الصلبان والمحن وهكذا تُصبحونَ أهلاً لامتلاكِ ذلك الملكوت الذي تشتاقونَ إليه. وبما انه كان من الضروري ان يتألَمَ المسيح، وبذلك يدخل الى مجده، فاذا رغبتم في الجلوس الى جانبه، فاشربوا الكأس التي شربَها هو نفسه! ... هذه الكأس، قد قدّمها لي الأبُ الاقدس، وامتزجتْ دموعي بالشراب المرّ الذي قُدِّمَ لي. وبعد قداس الشُكر، الذي تَلا قداس صاحب القداسة،

ابتدأتْ المقابلة. وكان لاون الثالث عشر جالساً على سُدَّةٍ كبيرة، بسيطَ اللباس [٦٢ي] يرتدي قنبازا أبيض وكَتُّونةً من اللون عينه، وعلى رأسه عرقيّة صغيرة. وكان يحفُّ به كرادلةٌ ورؤساء اساقفة واساقفة. إلا اني لم أُعاينْهم الا بصورةٍ عامة، لأن انتباهي كان مشغولاً بالأب الاقدس. فمررنا امامه باحتفال، وكان كلُّ حاجٍ يجثو بدوره ويُقبّل قَدمَ لاون الثالث عشر ثم يدَه ويتلقّى بركته. ثم يلمسُه اثنان من حرس الشرف يُشيرانِ اليه بذلك بالنهوض (اي يلمسانِ الحاج، فإني لا أحسن التعبير حتى لَيُظَنُّ أَني أقصدُ البابا).

وقبل الدخول الى القاعة الحبرية، صمَّمتُ على الكلام. إلا اني شعرت بشجاعتي تخونُني، حينما رأيتُ «المونسنيور ريفيروني ...» عن يمين الأب الأقدس. وفي اللحظة عينها تقريباً، قيلَ لنا من قِبلهِ إنه يُحَظَّرُ توجيهُ الكلام الى لاون الثالث عشر، نظراً الى طول مدَّة المقابلة ... فالتفتُّ الى عزيزتي سيلين لأَستطلعَ رأيها. فقالتْ لي: «تكلَّمي!» وبعد لحظةٍ كنتُ عند قدمي الأب الأقدس. وبعد ان قبّلت خُفَّه، قدَّمَ لي يده. ولكنّي، بدلاً من تقبيلها، ضممتُ يديّ ورفعتُ نحوَ وجهه عينيَّ المبتلّتين بالدموع وهتفتُ:

– «ايها الأب الأقدس، لديّ إنعام كبير اسألك اياه». فأَحنَى الحبرُ الاعظم رأسَه نحوي، حتى كاد وَجهي يلامسُ وجهه، ورأيتُ عينيه السوداوين العميقتين تحدِّقانِ إليّ، وكأنهما تريدانِ النفاذَ الى أعماقِ نفسي. فقلتُ له:

«ايها الأب الأقدس، إسمحْ لي، اكراماً ليوبيلك، ان أدخلَ الكرمل في سن الخامسة عشرة! ...»

لا شك في أن التأثُّر جعلَ صوتي يرتجف. ولهذا التفتَ الأبُ الأقدس الى الأب ريفيروني، الذي كان ينظرُ اليّ بتعجب وبعدم رضى، وقال له:

– «إني لا أفهم جيداً».

ولو شاءَ اللّه لكان من السهل على الأب ريفيروني ان ينالَ لي ما كنتُ أتمنّاه. ولكنه لم يُرِدْ ان يمنحَني التعزية بل الصليب. فاذا بالنائب العام يُجيب:

– «ايها الأب الأقدس، انها فتاةٌ ترغبُ في دخول الكرمل وهي في سنّ الخامسة عشرة، ولكنَّ الرؤساء يفحصون المسألة في هذا الوقت».

فقال الأب الأقدس وهو ينظر اليّ بعطف:

- «حسناً، يا بنيّتي، إعملي بما سيقوله لك الرؤساء.»

فأسندتُ عندئذ يديَّ [٦٣ ش] الى ركبتيه، وقمت بمحاولة أخيرة، وقلتُ بصوتِ توسُّل:

- «آه! أيها الأب الأقدس، اذا قلتَ انت نعم، فسيوافقُ الجميع على ذلك!...»

فنظرَ اليَّ متفحّصاً، وفاه بالكلمات التالية وهو يشدُّ على كلٍ من المقاطع:

- «هيَّا... هيَّا... ستدخلينَ ان شاءَ اللّه ذلك[١١]...»

(وكان لنبرته طابعُ النفاذ والاقناع حتى ليخيَّل إليَّ أني ما زلتُ أسمعُها). تشجَّعتُ بلطف الأب الأقدس، وَأردتُ التكلُّم أيضاً، إلا ان اثنين من حرس الشرف لمسَاني بلباقةٍ ليُشيرا اليّ بالنهوض. واذ رأيا أن الإيعاز لا يكفي، أمسَكاني بذراعيَّ وأنهضاني، والأب ريفيروني يعاونهما في ذلك، لأني بقيتُ ضامّةً يدَيَّ مسندةً اياهما على ركبتَي لاون الثالث عشر. فانتُزعتُ بقوة من عند قدميه... عند ذلك، وضعَ الأبُ الأقدس يدَه على شفتيَّ، ثم رفعَها لكي يباركَني. فاغرورقتْ عيناي بالدموع، وتسنَّى للأب ريفيروني ان يرى ماساتٍ كثيرة بقدر ما شاهدَ منها في «بايو»... وكاد حارسَا الشرف يحملاني حملاً الى الباب. وهناك أعطاني حارسٌ ثالث أيقونة لاون الثالث عشر. اما سيلين، التي كانت تتبعُني، فقد عاينتْ ما جرى، وكانت متأثرةً مثلي تقريباً، ولكنها تشجعتْ والتمستْ من الأب الأقدس بركةً للكرمل. فأجاب الاب ريفيروني بصوت منزعج: «لقد تباركَ الكرمل[١٢]».

فاردفَ الأب الأقدس وقال بوداعة:

- «آه! أجل، لقد نال البركة».

اما بابا فكان قد سبقنا في المثول عند قدمي لاون الثالث عشر (مع السادة الرجال). وقد كان الأب ريفيرني على جانب عظيم من اللطف نحوه، اذ قدَّمَهُ كوالدٍ لراهبتين كرمليَّتين. فعطفَ عليه الحبر الاعظم عطفاً خاصاً، ووضع يده على رأس ملكي العزيز، وكأنه يَسِمُهُ هكذا بختمٍ سرِّي، باسم ذلك الذي يمثّله حقيقة... اما الآن، وهو في

(١١) قابل هذه الرواية مع رسالتها ٣٦ المكتوبة في اليوم نفسه.

(١٢) كان الاب ريفيروني قد طلب الى البابا ان يبارك الجمعيات الرهبانية (م).

السماء، فليستْ يدُ الحبرِ هي التي تستقرُّ على جبين والد الكرمليات الاربع، هذا، [٦٤ ي] لتنبئَهُ باستشهاده ...، انّ يد عريسِ العذارى، ملكِ المجد، توشِّحُ بالبهاء رأسَ خادمه الأمين، ولن تبرحَ ابداً هذه اليد المعبودة مستقرَّة على ذلك الجبين الذي عَصبتْهُ باكليل المجد! ...

٣١ - صمت يسوع

لقد اغتمّ عزيزي بابا غمًّا شديداً، اذ رآني غارقةً في الدموع، لدى خروجي من المقابلة، فبذلَ غايةَ جهده ليعزّيَني، ولكن من دون جدوى ... كنت أشعرُ بسلام عظيم في أعماق قلبي، بما انني بذلتُ كلَّ ما في وسعي للإجابة على ما كان اللّه يطلبه مني. إلا انّ هذا السلام كان في الاعماق، وكانت المرارةُ تملأُ نفسي، لأن يسوع كان صامتاً. كان يبدو غائباً، ولا شيءَ يُشيرُ الى حضوره ... في ذلك النهار ايضاً، لم تجرؤْ الشمس على أن تتلألأ، وظلّلت سماء ايطاليا الزرقاء الجميلة ملبَّدةً بالغيوم الدكناء ومنهلَّةَ المدامع مثلي ... آه، لقد قُضيَ الأمر، ولم يعد لسفري أيُّ سحرٍ في عينيَّ، ما دامتْ الغاية لم تتحقّق. ولكن اما كان يجبُ ان أتعزى بالكلمات الأخيرة التي فاهَ بها الأب الأقدس؟ أَوَلَم تكن نبوءَةً حقيقية؟ فلقد تحقَّق ما ارادَه اللّه، رغمَ كل العوائق. انه لم يأذن للخلائق ان تصنعَ ما تشاء هي بل ما أراد هو.

٣٢ - اللعبة الصغيرة

ومنذ بعض الوقت، كنتُ قد قدَّمتُ ذاتي للطفل يسوع ليتّخذَني له لعبةً صغيرة، وسألتُه الاّ يستخدمني كلعبة ثمينة، ينظر اليها الاولاد دون ان يجرؤوا على لمسها، بل مثل كرةٍ صغيرة لا قيمةَ لها، يقذفُ بها الى الارض او يرفُسها برجله او يَثقُبُها او يُهملُها في زاوية، أو يضمُّها الى صدره، اذا ما طابَ له ذلك. وبكلمة كنت أُريد ان أُسلّي يسوع الصغير وأُفرّحه، وكنت أُريد ان اتركَ ذاتي ليحقِّقَ رغائبه الصبيانية ... ولقد استجابَ دعائي ...

ففي روما، ثقبَ يسوع لعبتَهُ الصغيرة، وأراد ان يرى ما في داخلها؛ واذ رأى ذلك سرَّهُ اكتشافه هذا، فرمى بكرتِهِ [٦٤ ش] الصغيرة الى الارض ونام ... وماذا صنعَ في أثناء رقاده الهانئ؟ وماذا حلَّ بالكرة المرمية؟ لقد حلمَ يسوع بأنه ما زال يلعبُ بلعبته، تارةً يتناولُها وطوراً يدحرجُها، وبعد ان يقذفَ بها الى البعيد يعودُ فيضمُّها الى صدره، ولا يأذن لها بأنْ تغادرَ يده الصغيرة البتة ...

٣٣ - تبدّل الاب ريفيروني

تدركين، يا امي الحبيبة، مدى كآبة الكرة الصغيرة حينما رأت ذاتها ملقاةً على الارض... ولكنني لم أنفكّ راجية على غير رجاء. وبعد مقابلة الأب الأقدس بايام قليلة، قصدَ بابا زيارةَ الأخ سيمون(١٣)، فوجدَ عنده الاب ريفيروني الذي أبدى تجاه أبي الكثير من اللطف. فعاتَبهُ ابي عتاباً ودّياً لعدم أَخذه بناصري في قصتي الصعبة، ثم روى للأخ سيمون قصة ملكته. فأصغى الشيخ الجليل الى هذه القصة باهتمامٍ كبير، وسجَّلَ بعض الملاحظات ثم قال بصوت متهدِّج: «لا نشاهدُ مثل هذا المشهد في ايطاليا!» وأظنُّ ان هذا اللقاء كان له تأثيرٌ حسن في نفس الأب ريفيروني. وفيما بعد لم يفتأْ يبرهنُ لي على انه مقتنع اخيراً بدعوتي.

٣٤ - زيارة نابولي وبومبيّي

وغداة هذا النهار المشهود، ترتَّب علينا الذهاب من الصباح الى نابولي وبومبيّي. وضجّ الفيزوفيو [البركان] حفاوةً بنا طوال النهار، ومع طلقاته المدفعية، بصق من فوهته عموداً كثيفاً من الدخان. ان الآثار التي خلَّفها على خرائب بومبيّي لرهيبةٌ حقاً وتنطقُ بقدرة اللّه: **الذي ينظر الارض فترتعد، ويمسُّ الجبال فتصيرُ دخاناً**.... (مزمور ١٠٣/ ٣٢).

كنتُ أودّ لو أتنزه وحدي وسطَ هذه الخرائب، وأُسرّح فكري في سرعة زوالِ الأمور البشرية، الا ان عدد المسافرين كان يُزيل قسماً كبيراً من سحر المدينة المدّمرة الكئيب... اما في نابولي، فكان الأمر على نقيض ذلك. فالعدد الكبير من العربات ذات الحصانين، زاد من روعة نزهتنا الى دير القديس مرتان القائم [٦٥ ي] على رابية مرتفعة تشرفُ على المدينة كلها. إلا أن حصانينا، لسوءِ الحظ، كانا يجمَحان في كل لحظة، وأكثر من مرة ظننتُني في ساعتي الاخيرة. ولقد بذلَ الحوذيّ جهدَهُ مراراً لإيقافها، وهو يكررُ الكلمة السحرية التي يستعملُها الحذاة الايطاليون: «أبيبو، أَبيبو...». فكان الحصانان المسكينان يُريدان قلبَ العربة. واخيراً، وصلنا الى فندقنا الرائع بفضل مساعدة ملائكتنا الحرّاس؛ فطيلة رحلتنا، لقد حللنا في فنادقَ أميرية. ولم يسبقْ لي قط ان عشتُ

(١٣) احد اخوة المدارس المسيحية، وهو شخصية مرموقة في الجالية الفرنسية في روما، يعرفه السيد مرتان. وهو الذي سيبلِّغ تريز بركة البابا لها في ٣١/ ٨/ ١٨٩٠ بمناسبة نذرها، ولدى لمرضها الاخير في ١٢/ ٧/ ١٨٩٧.

في مثل هذا الترف. وآن لي ان أقولَ إن الغنى لا يُولي السعادة. فاني أَجدُني أَسعدَ تحت سقف كوخ من قصب مع أمل دخول الكرمل، منّي في السكنى بين السجوف المذهَّبة ودرج الرخام الأبيض، وبُسُطِ الديباج مع المرارة في القلب ... آه! لقد شعرتُ جيداً بأن الفرح ليس في الامور التي تحيط بنا، بل هو في عمق اعماق النفس، ويمكننا الحصول عليه في سجنٍ كما في بلاط. والبرهان على ذلك هو أني في الكرمل وحتى وسط المحن الداخلية، أسعدُ مني لما كنت في العالم مخاطةً بكل طيّبات الحياة، ولا سيما بأطايب المنزل الوالدي!...

٣٥ - ذيوع امر دعوتها

كانت نفسي غارقةً في الحزن، ومع ذلك كنتُ في الخارج كالمعتاد، ظانةً ان الطلب الذي رفعتُه الى الأب الأقدس بقيَ خفياً عن الناس. ولكني سرعانَ ما تأكّدتُ ان الأمر على نقيض ذلك. فاذ بقيتُ وحدي في القاطرة مع سيلين (وقد نزل الحجاج الآخرون الى المطعم خلال دقائق التوقف القليلة) اذا بالمونسنيور ليجو نائب أبرشية كوتانس العام يفتح البوابة وينظرُ اليّ مبتسماً ويقول: «اذاً، كيف حالُ كرمليتنا الصغيرة؟» فأدركتُ اذ ذاك ان جميع السيّاح مطلّعون على سرّي. ولحسن حظي لم يأتِ أحدٌ على ذكره معي، ولكني لاحظتُ، من النظرات الودّية التي تُوَجَّهُ اليّ، أن طلبي لم يُحدثْ أثراً سيئاً، [٦٥ش] بل بالعكس ...

٣٦ - زيارة أسّيزي

في مدينة أَسيزي الصغيرة، سنحتْ لي الفرصةُ بالصعود الى عربة الأَب ريفيروني، وهو امتيازٌ لم تحظَ به أية سيّدة، طيلة الرحلة كلها. وهاكِ طريقة حصولي على هذا الامتياز. بعد أن زرتُ الاماكن التي عبقت بشذى فضائل القديس فرنسيس والقديسة كلارا، ختمنا هذه الزيارة بدير القديسة أنييس أخت القديسة كلارا، وتأملت مليّاً رأسَ القديسة. وكنتُ بين الأخيرات في مغادرة الموضع. ولكنّي لاحظتُ أني أَضعتُ حزامي. ففتّشتُ عنه بين الجمع، وَأَشفَق عليّ احدُ الكهنة وساعدَني. وبعد أن وجدَه لي، رأيتُه يبتعد، ومكثتُ انا وحدي أبحث، لأن الحزام الآن في حوزتي، ولكن من المستحيل ربطُه اذ تنقصُهُ البكلة ... اخيراً رأيتُ البكلة تلتمع في إحدى الزوايا، فالتقطتها وأحكمتُ شدَّها بالحزام في قليل من الوقت. إلا ان العمل السابق كان اطول بكثير، لذلك كانت دهشتي عظيمة حينما وجدُتني وحيدةً بالقرب من الكنيسة، وقد غابتْ العربات العديدة

كلُّها، ما خلا عربة الأب ريفيروني. فحرتُ في أمري. أأسعى في إثر السيارات التي توارَتْ عن العيان، واتعرّضُ لعدم اللحاق بالقاطرة، وأسبّبُ القلقَ لأبي العزيز، أم أَطلبُ مكاناً في عربة الأب ريفيروني؟ . . . فعوَّلتُ على الحلِّ الأخير. واذ ذاك تظاهرتُ بالرصانة وعدم الارتباك، مع ما انا عليه من عظيم الحيرة، وعرضتُ أمامه وضعي الحرِج، وجعلتهُ في حيرة، لأن عربته كانت غاصّةً بأنبل السادة في الحج، ولا مَجالَ لإيجاد مكانٍ خالٍ. الا ان رجلاً شهماً جداً نزل في الحال وأَركبَني مكانه، وجلسَ هو ببساطة بجانب الحوذي. فكنتُ أشبهُ بسنجابٍ عَلِقَ في الفَخ، وما كان أبعدني عن الارتياح وانا محاطةٌ بهذه الشخصيات البارزة، ولا سيما بأرهبهم الذي كنتُ أجلس قبالته . . . على انه كان [٦٦ ي] لطيفاً جدّاً معي، وهو يقطع حديثه مع هؤلاء السادة من حين الى آخر، ليحدِّثَني عن الكرمل. وقبل الوصول الى محطة القطار، شرع جميع الشخصيات البارزة يسحبُون محافظَ نقودهم الضخمة ليمنحُوا بعض المال للحوذي (الذي قد نال أجرته). وفعلتُ أنا ايضاً مثلهم وتناولت محفظتي الصغيرة جداً. إلا ان الأب ريفيروني لم يرد ان أُخرجَ منها قطعاً صغيرة جميلة، بل فضّل أن يدفع قطعة كبيرة عن كلينا.

٣٧ – رجاء بالله وحده

ومرة أخرى وجدتُني بجانبه في الحافلة، وكان أكثر لطفاً من قبل ووعدني بأن يبذل كلَّ ما في وسعه لكي أدخُلَ الكرمل . . . ان هذه اللقاءات، مع ما وضعتْهُ من البلسم على جراحي، لم تمنعْ من ان تكونَ العودة أَقلَّ لذةً من الذهاب بكثير، فلم يَعُدْ لديّ أملُ «الأب الأقدس». ولم أعد أحظى بأيّ عون على الارض التي بدتْ لي صحراءَ قاحلة لا ماءَ فيها. فكلّ رجائي كان باللّه تعالى وحده . . . وكنت قد اختبرتُ للتوّ ان اللجوءَ اليه خيرٌ من اللجوءِ الى قديسيه . . .

٣٨ – زيارة فلورنسا

لم يحُلْ حزنُ نفسي دون اهتمامي الكبير بالاماكن المقدسة التي كنا نزورها. ففي فلورنسا أُسعدتُ بمشاهدة القديسة المجدلية De Pazzi دي باتزي في وسط جوقة الكرمليات، اللواتي فتحنَ لنا الشعرية الكبيرة. واذ لم نعرف ان نستفيدَ من هذا الامتياز، فان اناساً كثيرين أرادوا ان يمرِّروا سبحاتهم على قبر القديسة، فلم يكن غيري من يستطيعُ ان يُدخِلَ يده من خلال الشعرية، التي كانت تفصلنا عنه، لذا أتاني الجميع بسبحاتهم، وكنتُ فخورةً جدّاً بمهمّتي هذه . . . كان لا بدَّ لي دوماً من ان أجدَ الوسيلة لألمسَ كلَّ

شيء. ففي كنيسة صليب اورشليم المقدس (في روما)، استطعنا ان نكرِّمَ قطعاً عديدة من الصليب الحقيقي، وشوكتَين ومسماراً من المسامير المقدسة في داخل مِذْخَرة من الذهب البديع، المصنوع بفنٍ دقيق؛ ولكن المذخرة كانت بغير زجاج.

لذا فقد وجدتُ وسيلة، لدى إكرامي الذخيرة النفيسة، لإدخال إصبعي الصغير [٦٦ش] في أحد ثقوب المذخرة، وتمكنتُ من لمس المسمار الذي تلطَّخَ بدم يسوع... لقد كنتُ حقّاً جريئةً جدّاً! ... ولحسنِ الحظ، فان اللّه الذي يرى أعماقَ القلوب يعلمُ أن نيّتي كانت صافية، وأني لم اكن أُريد أن أُغيظَه لأيِّ شيء في العالم؛ لقد كنتُ أتصرفُ نحوه تصرُّفَ طفلٍ يظنُّ ان كلَّ شيء مسموحٌ له، ويعتبرُ كنوزَ أبيه كنوزَه الخاصة.

٣٩ ـ شجاعة النساء

وما زلتُ لا استطيعُ ان أفهم لماذا تُرشَقُ النساء بالحُرم بسهولة في ايطاليا: ففي كل لحظة، كان يُقال لنا: «لا تَدخُلنَ ههنا... لا تدخلْنَ هناك... لئلا تتعرَّضنَ للحُرم...» آه! يا للنساء المسكينات، لكَم هنَّ محتقرات! ... مع انهن يُحْبِبنَ اللّه بعددٍ يفوقُ عدد الرجال؛ وأثناءَ آلام الرب أظهرتْ النساء شجاعةً تفوقُ شجاعة الرسل، بما أنهنَّ جابهنَ إهانات الجنود، وتجرَّأنَ على مَسْحِ وجه يسوع المعبود... لا ريبَ في ان اللّه يسمح لهذا السبب، بان يكون الاحتقار من نصيبِهنَّ على الأرض(١٤)، وقد اختارَهُ هو لنفسه. وفي السماء سيعرفُ كيف يُظهِرُ أن افكاره ليست أفكارَ البشر؛ عندها، ستكون الأخيرات أُوليَات... واكثر من مرة، خلال الرحلة، عيلَ صبري في انتظار السماء حتى أكونَ الأُولى...

٤٠ ـ في دير الكرمليين

وذات يوم كنا نزورُ ديراً للكرمليين(١٥). فلم أَكتفِ باقتفاءِ آثار الحجاج في الأروقة الخارجية، بل تقدّمتُ في أروقة الدير الداخلية... وفجأة، رأيتُ كرملياً شيخاً طيباً يُومىء اليّ بأن أَبتعدَ. ولكنّي عوضَ المغادرة، دنوتُ منه وأَشرتُ الى لوحات الرواق

---

(١٤) تُظهر تريز بجلاء تبنّيها لقضية المرأة، ويصبح وضع المرأة نوعاً من الامتياز وهو الشبه بيسوع.

(١٥) هو دير سيدة النصر Nostra Signora della Vittoria، وقد نُصبت عند مدخله لوحة تذكارية لمرور تريز مرتان في ذلك المكان (ش.ر.).

وأَفهمتُه بأنها جميلة. ولا بد من انه قد عرف من شَعري المتدلّي فوق ظهري ومن ملامحي الفتيّة أني صبيّة، فابتسمَ بلطفٍ وابتعدَ، وقد تحقَّقَ من ان التي امامه ليستْ عدوّة. ولو اني استطعتُ التحدثَ باللغة الايطالية لقلتُ له إني مزمعةٌ ان أكون كرملية؛ الا ان الأمر قد تعذَّرَ عليّ والذنبُ هو ذنبُ الذين بَنوْا برجَ بابل.

٤١ – جمالات الارض

– بعد ان مررنا بپيزا وجَنَوى، عُدنا الى فرنسا. وفي الطريق [٦٧ ي] كانت المناظرُ خلابة. وكنا أحياناً نسير بمحاذاة شاطىء البحر فكان القطارُ قريباً منه الى درجةٍ خيّلَ اليَّ ان الأمواج تصلُ الينا (جرى هذا المشهد على أثر عاصفة، وكان الوقت مساء، مما جعلَ المشهدَ ذا وَقعٍ أعمق)، واحياناً كنا نمرُّ بسهولٍ تُغطّيها أشجار البرتقال وقد نضجتْ ثمارها، واشجارُ الزيتون الخضراء ذات الاوراق الخفيفة، والنخيلِ الرائع الجمال... وعند حلول الظلام كنا نرى موانئَ البحر العديدة وهي تتلألأ بألوف الانوار البهية، بينما تتألقُ النجوم الاولى في السماء... آه! يا لها من شاعرية استحوذَتْ على نفسي لرؤية هذه الأمور التي كنتُ أشاهدُها للمرة الأولى والأخيرة من حياتي... فبدون ايِّ أسف، كنتُ أراها تتلاشى، لان قلبي كان يصبو الى عظائمَ اخرى. فلقد تأملَ كفاية في جمالات الأرض، فكان يتوقُ الى جمالات السماء، ولكي أَمنحَها للنفوس، كنت أُريدُ ان أُضحي سجينة. ولكن، قبل ان تنفتح امامي ابواب السجن المبارك الذي كنتُ اتلهَّفُ اليه، كان عليّ ايضاً ان أُكافحَ واتألم. لقد شعرتُ بذلك، لدى عودتي الى فرنسا. غير أن ثقتي كانت كبيرةً، حتى إني لم اكفَّ عن الأمل في ان يُسمَحَ لي بالدخول في الخامس والعشرين من كانون الأول... وما إن وصلنا الى ليزيو، حتى قُمنا بزيارتنا الأولى الى الكرمل. ويا لها من مقابلة!... كان لدينا جمٌّ من الأمور نقولُها بعضنا لبعض، على مدى شهر من الفراق، هذا الشهر الذي بدا لي أطولَ من غيره، والذي تعلمتُ خلاله أكثر منه في سنين عديدة...

٤٢ – انتظار الجواب

يا أمي الحبيبة، ما كان أَعذبَ عليَّ أن أراكِ من جديد، وان أفتحَ لك نفسي الصغيرة المسكينة الجريحة، انت التي كانت تفهمني جيّداً، والتي تكفيها كلمة او نظرة لكي تحزرَ كلَّ شيء. لقد استسلمتُ تماماً، وقد فعلت كلَّ ما يتعلّق بي، كلَّ شيء، حتى التحدُّثَ الى الاب الاقدس، ولذلك لم أكنْ أدري ما ينبغي عليَّ فعلُه بعدَ ذلك. فأَوعزتِ

اليَّ بأن أكتبَ الى صاحب السيادة، وأذكّرهُ بوعده. فآمتثلتُ للأمر حالاً، وعلى أحسن ما في استطاعتي، ولكن بعبارات رآها خالي اكثر بساطةً مما ينبغي [٦٧ ش]، فأعادَ كتابة رسالتي. ولمَّا هممتُ بإرسالها، تلقّيتُ رسالةً منكِ، تقولينَ لي فيها بالا أكتب، بل بأن انتظر بضعةَ أيام. فأطعتُ على الفور، لأني كنتُ على يقين من أن هذه خيرُ وسيلة لكي لا أغلط. وأخيراً، بعثتُ برسالتي قبل الميلاد بعشرة ايام. وكنت مقتنعةً بأن الجواب لن يطولَ انتظارُه. وكنتُ أذهبُ كل صباح، بعد القداس، الى مركز البريد مع بابا، ظانةً اني سأجدُ فيها الإذنَ لي بالانطلاق. ولكن كلّ صباح كان يأتيني بخيبةِ امل جديدة، ما كانتْ لتزعزعَ إيماني ... كنت أَطلبُ من يسوع أن يحطّمَ قيودي. فحطمَّها، ولكن، بطريقة تختلفُ كلّياً عما كنتُ أتوقَّع ... وَجاء عيد الميلاد الجميل، ويسوعُ لم يستيقظْ ... لقد تركَ على الأرض كُرَتَه الصغيرة، دون ان يُلقي عليها نظرةً واحدة ...

٤٣ – امتحان الإيمان

كان قلبي محطَّماً لدى ذهابي الى قداس منتصف الليل، وكنتُ آملُ ان أحضرَه وراء شعرّية الكرمل! ... لقد كانت هذه المحنة كبيرةً جدّاً لإيماني. الا ان ذاك الذي «ينامُ وقلبه مستيقظ» أَفهمَني ان الذين لهم ايمان قدْرَ حبةِ خردل، يمنُّ عليهم بالمعجزات وبقوّة نقل الجبال من موضعها، في سبيل توطيد هذا الايمان القليل. أما لاصدقائه الحميمين ولوالدته فلا يصنع العجائب الا بعد اختبار ايمانهم. الم يُترَكْ لعازر يموت، بالرغم من أن مرتا ومريم قد أَعلمتاهُ بمرضه؟ ... وفي عرس قانا، حينما سألتْه العذراءُ القديسة ان يُغيثَ مَنْ أَضافوه، ألم يُجبْها بأن ساعته لم تحِنْ بعدُ؟ ... ولكن، بعد الامتحان، أية مكافأة! فالماءُ يتحوّل خمراً ... ولعازر يُبعَث حيّاً! ... كذلك، يتصرَّف يسوع مع تريزته الصغيرة. فبعد ان امتحنَها طويلاً، حقَّقَ جميع رغبات قلبها ...

٤٤ – كلمات عزاء

فبعد ظهر ذلك العيد المشرق، الذي أَمضيتهُ في ذرف الدموع، ذهبتُ لزيارة الكرمليات. وما كان أشدَّ دهشتي اذ رأيتُ، عندما انفتحت [٦٨ ي] الشعرية، تمثالاً رائعاً للطفل يسوع يمسك بيده كرةً كُتبَ عليها اسمي. والكرمليات، عوضاً عن يسوع الذي كان أصغر من ان يتكلّم، أَنشدنَ لي نشيداً وضعتْه أمّي الحبيبة؛ وكلُّ كلمة فيه كانت تبعثُ في نفسي تعزيةً عذبة جداً. ولن أنسَى ابداً رقّةَ القلب الوالدية هذه التي غمرتْني دوماً بأعذبِ آيات الحنان ... وبعد ان شكرتهنَّ بسيلٍ من الدموع الهادئة، رويتُ

لهنّ المفاجأة التي أعدَّتْها لي حبيبتي سيلين لدى العودة من قداس نصف الليل. فقد وجدتُ في غرفتي، وسط حوضٍ فاتن، زورقاً صغيراً يحملُ الطفل يسوع وهو نائم وبجانبه كرة صغيرة، وعلى الشراع الابيض كانت سيلين قد كتبت الكلمات التالية: «أنام، ولكنّ قلبي سهران»؛ وعلى الزورق هذه الكلمة الوحيدة: «استسلام!»؛ آه! فاذا كان يسوع لا يحدِّثُ، بعدُ، خطِّيبته الصغيرة، واذا كانت عيناه الالهيتان ما تزالان مغمضتين، فإنه، على الأقلّ، كان يكشفُ عن ذاته لها، بواسطة نفوسٍ تفهمُ كلَّ ما في قلبه من الرقّة والحبّ...

٤٥ – تأخير الدخول

ففي اليوم الأول من سنة ١٨٨٨، وهبَ لي يسوع صليبه هدية، وهذه المرة كنت وحدي لأحملَه، فقد كان الصليب أشدَّ ألماً لانه لم يكن مفهوماً... لقد تلَّقيتُ رسالةً من بولين تُخبرني بها أن جواب سيادته قد وصل في ٢٨، عيد الاطفال القديسين الأبرياء[١٦]، وانها لم تطلعني عليه، لأنها قررتْ ألّا يكون دخولي الا بعد انقضاء الصوم الكبير. فلم استطِعْ حبسَ دموعي إزاء هذا التأخير الطويل. وقد ارتدت هذه المحنة طابعاً خاصاً بالنسبة إليّ. كنتُ ارى أن قيودي قد انقطعتْ من ناحية العالم، ولكن الفُلْكَ المقدس هو الذي كان يرفض استقبال الحمامة الصغيرة المسكينة... أودُّ الاقتناع بأني ظهرتُ بمظهر غير عاقل لعدم تقبُّلي بفرح أشهُرَ نَفْيي الثلاثة، ولكنّي اعتقد ايضاً ان هذه المحنة كانت كبيرةً جداً، دون ان تبدو كذلك، وأنها جعلتني أنمو في الاستسلام وفي الفضائل الأخرى.

٤٦ – شهورٌ غنية

[**٦٨ ش**] اما كيف انقضت هذه الاشهر الثلاثة الغنيّة جدّاً بالنعم لنفسي؟... لقد خطر ببالي، في بادئ الأمر، ألاّ أُحرجَ نفسي في حياةٍ منتظمة، حسب عادتي؛ ولكني سرعانَ ما أدركتُ قيمةَ الوقت الذي مُنحَ لي، وعزمتُ على عيش حياة رصينة ومتقشِّفة، اكثر من ذي قبل. وحينما اقول متقشّفة فهذا لا يعني أني كنتُ اقومُ بتقشفّات. كلا! فإني لم اعمل ايّاً منها قط. فأنا بعيدة كل البعد عن التشبّه بتلك النفوس البهيّة التي كانت تمارسُ منذ عهد طفولتها، كلَّ انواع الاماتات. فلم اكن أشعر بأيِّ ميلٍ اليها. ولا ريب في

(١٦) اي في ٢٨/ ١٢/ ١٨٨٧.

أن ذلك يعود الى جبانتي، اذ كان بوسعي، على غرار سيلين، أن أجد أسباباً كثيرةً لأعذِّب نفسي. ولكنّي عوضاً عن ذلك، أفسحت في المجال، دوماً، لكي يُدلِّلوني بنعومة، ويسمنِّوني مثل عصفور صغير، لا يحتاج الى التقشف ... فإماتاتي كانت تقتصر على قهر ارادتي المتحفِّزة دوماً الى فرض ذاتها، وعلى الإحجام عن جواب فظّ، وعلى أداء خدماتٍ صغيرة دون ابرازها، وعلى عدم إسناد ظهري عند الجلوس، الخ ... الخ ... فبممارسة هذه الأمور الصغيرة التافهة كنت اتهيّأ لأصبحَ خطّيبة يسوع. وانا عاجزة عن وصف ما تركهُ لي هذا الانتظار من الذكريات العذبة ... مضت الاشهر الثلاثة سريعاً، وأخيراً حان الوقت الذي تُقتُ اليه بحرارة.

الفصل السابع

في الكرمل (١٨٨٨ - ١٨٩٠)

١ - وداع البويسّونية

وقع الاختيار لدخولي الدير على يوم الاثنين التاسع من نيسان / ابريل، وهو اليوم الذي كان الكرمل يحتفل فيه بعيد البشارة الواقع فيه، وقد أُرجئ بسبب الصوم الكبير. وفي عشية ذلك اليوم، اجتمعتْ العائلة كلها حول المائدة التي أَجلسُ اليها للمرة الأخيرة. آه! ما أمرَّ هذه الاجتماعات الوديّة! ... ففي حين يتمنّى المرء ان يُصبحَ منسيّاً، اذا بالملاطفات والعبارات المتناهية في الرقة تنهالُ عليه، وتجعلُه يشعرُ بعمق تضحية الفراق ... كان ملكي العزيز يكاد لا يفوهُ بكلمة، إلا أن نظره كان يتركَّز عليَّ بحبٍّ كبير. وكانت امرأة خالي تبكي بين الفينة والفينة. اما خالي فكان يكيلُ لي آلاف المدائح الوديّة. وكانت جانّ وماري ايضاً في غاية اللطف معي، لا سيما ماري [٦٩ ي] التي انتحتْ بي جانباً واستغفرَتْني عن المتاعب التي ظنَّتْ أنها سبَّبْتها لي. اما عزيزتي الصغيرة ليوني التي عادتْ من دير الزيارة منذ بضعة اشهر[1]، فإنها كانت تُغدقُ عليَّ المزيدَ من القبلات والملاطفات. لم يبقَ سوى سيلين لم اتكلَّم عليها، ولكنك، يا امي الحبيبة، تتصوَّرين كيف انقضتْ الليلة الأخيرة التي أَمضيناها معاً ...

(١) دخلت ليوني دير الزيارة في كان Caen في ١٦/ ٧/ ١٨٨٧، وغادرته في ٦/ ١/ ١٨٨٨ لاسباب صحية.

٢ – قداس الدخول

ففي صباح اليوم الكبير، بعد انْ أَلقيتُ نظرة اخيرة على البويسُّونيه، ذاك العش الجميل لطفولتي، والذي لن أراهُ بعدَها، أَمسكتُ بذراع ملكي العزيز للارتقاء الى جبل الكرمل... وكما جرى الأمر في العشية، كانت العائلة كلُّها مجتمعة لحضور القداس وللتناول فيه. وحالما نزل يسوع في قلب أَقاربي الاحباء، لم اسمعْ حولي سوى الشهيق والزفرات. ولم يكن سواي حابساً دموعه. ولكن حينما جاؤوا واشاروا إلينا بالتوجّه الى باب الدير، شعرتُ بأن قلبي يخفقُ بشدّة حتى خُيِّلَ إليّ انه يستحيلُ عليّ التقدّم خطوة. ومع ذلك تقدَّمتُ، وانا اتساءلُ هلاّ أموت لشدّة خفقان قلبي... آه! يا لها من لحظة، لا يُدركُها إلا من اجتازَ بها!...

٣ – بركة الوداع

ولكنَّ انفعالي هذا لم يظهرْ عليَّ؛ فبعد أن عانقتُ جميعَ اعضاء عائلتي الحبيبة، جثوتُ امام والدي المنقطع النظير، طالبةً بركته. ولاعطائي هذه البركة، جثا هو أيضاً وباركَني باكياً... يا له من منظر يُثيرُ ابتسامة الملائكة، منظرِ هذا الشيخ وهو يقدّم للربّ ابنتَه التي ما زالت في ربيع العمر!... وبعد لحظاتٍ أُغلقتْ عليَّ ابوابُ الفُلكِ المقدس، وهناك تقبّلتُ معانقات اختيَّ الحبيبتين اللتَّين قامتا بالأمس لي مقام الأم، واللتين سأتَّخذُهما مثالاً لأعمالي... واخيراً، لقد تحقَّقتْ رغباتي، وكانت نفسي غارقةً في سلام عذبٍ وعميق الى حدٍّ يتعذَّرُ [٦٩ ش] عليّ التعبير عنه. ومنذ سبعة اعوام ونصف ظلَّ هذا السلام العميق من نصيبي، ولم يبارحْني حتى في إبّان أعظم المحن.

٤ – زيارة الدير

ومثل جميع طالبات الترهّب، ذهبنَ بي الى الخورس حالاً بعد دخولي. وكان الخورس مظلماً لأن القربان كان مصموداً. ولفت نظري، لأول وهلة، عينا أمّنا جنفياف القديسة [٢] اللتان تركَّزتا عليّ. ومكثتُ بعض الوقت راكعةً عند قدميها، وانا أَشكرُ اللّه على النعمة التي منَّ بها عليّ، بأن اتعرَّفَ الى قديسة، ثم تبعتُ الأم ماري

(٢) الام جنفياف للقديسة تريزا (١٨٠٥– ١٨٩١) أبرزت نذورها في كرمل پواتييه Poitiers. ثم أرسلت من هناك كمؤسسة ومعاونة لرئيسة كرمل ليزيو ١٨٣٨، وكانت قد بلغت الثانية والثمانين يوم دخلت تريز كرمل ليزيو.

دي غونزاغ، الى مختلف أماكن الجماعة: كلّ شيء كان يبدو لي رائعاً، وخلتُ نفسي أني نُقلتُ الى صحراء. وراقتني خاصة قلّايتنا الصغيرة. الا ان الفرحَ الذي كنتُ أشعرُ به كان هادئاً، ولم يكن بوسع أرقّ نسيم ان يحرِّكَ المياه الهادئة التي كان زورقي الصغير يتهادَى عليها، ولا غيمةَ تعكِّرُ صفاء سمائي الزرقاء. آه! لقد كوفئتُ مكافأة تامة على مِحَني جميعها... بأيِّ فرحٍ عميق كنتُ اردّدُ هذه الكلمات: «اني هنا الى الأبد، الى الابد!...»

٥ - في ذراعَيْ الالم

ولم تكن هذه السعادة عابرة، وما كانت لتضمحلَّ مع أوهام الايام الأولى. الاوهام! فلقد منَّ اللّه عليّ بأن أكون في مأمنٍ من ايِّ وهم لدى دخولي الكرمل. لقد وجدتُ الحياة الرهبانية كما تصورتُها تماماً، ولم تُدهشْني أيةُ تضحية فيها. ومع ذلك فإن خطواتي الاولى، كما تعلمينَ يا امي الحبيبة، لاقتْ أشواكاً اكثر من الورود!.. اجل، لقد بسط الألمُ ذراعيه امامي فارتميتُ فيه بحبٍ.. فالغايةُ من مجيئي الى الكرمل قد أعلنتُها عند قدمي يسوع - القربان، في الامتحان الذي سبق نذوري: «إني أتيتُ لأخلِّصَ النفوس ولا سيّما لأصلي لاجل الكهنة». ومن توخّى بلوغ الغاية ترتّبَ عليه اتخاذُ الوسائل. وقد أَفهمني يسوع انه انما يهب لي النفوس بالصليب، فازداد شغفي بالألم بمقدار ما كانت الآلام تزداد. وهذه كانت خطّتي طيلة خمس سنين. ولكن [٧٠ ي] لم يكن في مظهري ما يبيِّنُ آلامي، وقد زادَ من قساوتها أني انا وحدي كنتُ عالمةً بها. آه! يا لمفاجأتنا، في نهاية العالم، حينما نقرأُ قصة النفوس!... وما أكثر الذين سيتعجّبون حينما يروْنَ الطريق التي اليها وُجِّهتْ نفسي!... ان هذا الامر لصحيحٌ جداً.

٦ - عزاء الاب بيشون

فبعد دخولي الدير بشهرين، حينما اتى الأب بيشون لحضور نذور الاخت ماري للقلب الاقدس، دُهِش حينما رأى ما كان اللّه يُجريه في نفسي، وقال لي إنه حينما شاهدني عشيّة ذلك اليوم، وانا اصلي في الخورس، ظنَّ ان تقوايَ هي تقوى صبيانية وان طريقي سهلةٌ جداً. ان مقابلتي لهذا الاب اللطيف كانت لي تعزيةً كبيرةً جدّاً، ولكنّها تعزية تحجُبُها الدموع بسبب الصعوبة التي كنت أجدها في الكشف عن نفسي. ومع ذلك قمت باعترافٍ عام لم يسبق ان قمت به. وفي النهاية قال لي الأب هذه الكلمات، وهي

أعذبُ كلماتٍ طَرَقَت مسامعَ نفسي: «اني، أُعلن في حضرة اللّه والعذراء القديسة وجميع القديسين، أنك لم ترتكبي قطّ خطيئةً مميتةً واحدة» (٣). ثم أضاف قائلاً: «أُشكري اللّه على ما صنعه إليك. لانه، لو تخلى عنكِ، لصرتِ شيطاناً صغيراً بدل ان تكوني ملاكاً صغيراً». آه! لم يعسُر عليّ تصديقه. فكنتُ أشعرُ بما انا عليه من الضعف والنقص، ولكن قلبي كان طافحاً بعرفان الجميل. كنت أخاف خوفاً عظيماً من ان اكون قد لوّثتُ ثوبَ عمادي، حتى إن هذا التأكيد، الصادرِ عن فم مرشدٍ يجمع العلمَ الى الفضيلة كما كانت تتمنّاه أمّنا القديسة تريزا، كان يبدو لي صادراً عن فم يسوع نفسه... وأضاف هذا الأب الطيّب القلب وقال لي هذه الكلمات التي انطبعتْ بعذوبة في قلبي: «يا بنيّتي، ليكنِ ربنا رئيسَكِ على الدوام ومعلِّمَ ابتدائِكِ». بالحقيقة، لقد كان الربّ هكذا، وكان ايضاً «مرشدي».

٧ – قسوة الرئيسة

ولستُ أقصدُ بهذا القول، أن نفسي كانتْ مُغلقةً على رئيساتي. كلاّ ثم كلاّ! لقد حاولت دوماً ان تكون نفسي لهنّ كتاباً مفتوحاً [٧٠ ش]. إلا أن أمنا كانت في الغالب مريضةً، ولم يكن لها متّسعٌ من الوقت للاهتمام بي. أعرفُ أنها كانت تُحبّني كثيراً، وتقولُ عني كلَّ خير ممكن، ولكن اللّه سمحَ بأن تكون، على غير علم منها، قاسيةً عليَّ كثيراً. فلم أكن استطيعُ أن أُلاقيها دون ان أُقبّلَ الارض. وكذا كان الشأن في الارشادات النادرة التي كنتُ أتلقّاها منها... فيا لها من نعمة لا تقدَّرُ بثمن!... وكم كان اللّه يعملُ بصورة منظورة في تلك التي كانت تشغُلُ مكانه!... ماذا كان سيحلُّ بي لو أنّي، على ما كان اهل العالم يعتقدون، صرتُ لعبةَ الجماعة؟... ولعلّي، عوض عن أن أرى ربّنا في شخص رئيساتي، كنت لن أعتبرَ الا الاشخاص، فيتعلّق قلبي، الذي صنتُه باحتراس في العالم، بالخلائق بشرياً داخل الحصن... لحسن الحظ، اني نجوتُ من هذا الشقاء. لا ريب في أني كنت أحبُّ امّنا كثيراً، ولكنّها عاطفةٌ طاهرة كانت تسمو بي الى عريس نفسي...

---

(٣) في ٢٨/ ٥/ ١٨٨٨ أسدى الاب بيشون الى تريز مساعدة كبرى بشفائها من آخر آثار مرض الوسواس، الذي عانت منه الامرّين. لكنه سيعاودها في تشرين الاول/اكتوبر ١٨٨٩ وفي ١٨٩٣.

٨ - صعوبة الاسترشاد

كانت معلمة ابتدائنا [٤] قديسةً حقيقية والنموذجَ الكامل لكرمليات العهد الاول. لم أكنْ أُفارقُها طوال النهار، لانها كانت تعلّمني الشغل. كان لطفُها معي بغير حدود، إلا ان نفسي ما كانت لتنشرحَ... وكان الاسترشاد يتطلّبُ مني الكثيرَ من الجهود، لأني لم أتعوَّد التكلّم على نفسي، فلا استطيع التعبير عما يختلج فيها. واذا باحدى أمهاتنا العجوزات [٥] الطيبات تُدركُ يوماً ما يُخامرُني، فتقول لي في الفرصة وهي تضحكُ:

- «يبدو لي، يا بنيّتي، انه ليس لديكِ الشيء الكثير تُفضينَ به الى رئيساتك».

- «ولِمَ تقولين ذلك، يا أمي؟»

- «لأن نفسَكِ في غاية البساطة، وحينما تصيرينَ كاملة، تزدادينَ بساطة، لأنه كلّما اقتربنا من اللّه زادَنا بساطة».

لقد صَدَقت الأمُ الطيبة. إلا ان صعوبتي في الكشف عن نفسي، رغم انها صادرة عن بساطتي، كانت لي مصيبةً حقيقية. وانا أُقرُّ بذلك الآن، لأني بدون التخلي عن بساطتي [٧١ ي]، اعبّر عن افكاري بسهولة كبيرة.

٩ - مرشدي يسوع

قلتُ ان يسوعُ اصبح «مرشدي». غير أنني، لدى دخولي الكرمل، تعرَّفتُ ذاكَ الذي كان من شأنه ان يساعدَني. ولكنه ما إن قبلني بين عداد بناته، حتى ذهبَ الى المنفى [٦]... وهكذا لم أتعرَّفْه إلا لكي أُحرَمَ منه حالاً... فكلُّ ما يصلُني منه هو رسالة في السنة، مقابل ١٢ رسالة أَكتبُها اليه. فاتَّجهَ قلبي سريعاً الى مرشد المرشدين، وهو الذي علّمني العلمَ الخفي عن الحكماء والفهماء، والذي ارتضى أنْ يكشفَهُ للصغار...

١٠ - الوجه الأقدس

كان على الزهرة الصغيرة التي نُقلتْ فزُرعتْ في جبل الكرمل أن تتفتَّحَ في ظل الصليب؛ وأصبحتْ دموعُ يسوع ودمُه الندى الذي يُنعشُها؛ اما شمسها فوجهُهُ المعبود

(٤) هي الاخت ماري للملائكة (١٨٤٥- ١٩٢٤). أنيطت بها مهمّة معلمة المبتدئات في سنة ١٨٨٦. وقد أدلت عن تريز بشهادات رائعة (م).

(٥) هي الاخت فيروني وكانت آنذاك نائبة الرئيسة، وقد ساعدتها تريز في لحظاتها الأخيرة (م).

(٦) هو الاب بيشون وقد أرسل كواعظ الى كندا في ٣ تشرين الثاني/نوفمبر سنة ١٨٨٨.

الذي تُغطِّيه الدموع ... الى ذلك الحين، لم أَسبرْ غورَ الكنوز الكامنة في الوجه الأقدس. انما بواسطتك، يا امي الحبيبة، أُطلعتُ على معرفتها. وكما انك، من قبلُ، سبقتِنا جميعاً الى الكرمل، كذلك كنتِ الاولى في النفاذ الى اسرار المحبّة الكامنة في وجه عريسنا. واذ ذاك دعوتِني فأَدركتُ ... أجل، أدركتُ ما هو المجدُ الحقيقي، وذاك الذي مملكتهُ ليست من هذا العالم أراني ان الحكمة الحقيقية تتوقّفُ على ان يُريدَ الانسان ان يكونَ مجهولاً ومحسوباً كَلَا شيء. «وان يضعَ فرَحَهُ في احتقارِ ذاته... آه! مثلَ وجه يسوع، كنت أُريدُ ان يكون «وجهي مخفيّاً حقاً، وألا يعرفَني احدٌ على الارضَ». كنت متعطشةً الى الألم والى ان أكون منسيّة ...

ما أرحمَ الطريقَ الذي قادني اللّه فيه دوماً! انه لم يدفعني يوماً الى الرغبة في امرٍ ما دون ان يمنحَني اياه. لذلك بدَتْ لي كأسُه المرّة عذبة.

١١ – تقدُّمُ ابيها في الكمال

وبعد أعياد شهر أيار / مايو المُشرقة، وعيدَيْ النذور والتوشُّح بالثوب الرهباني [٧١ش] لعزيزتنا ماري، بكرِ العائلة، والتي كان للأخيرة الحظُّ السعيد بأن تضعَ الأكليل على هامتها في يوم عرسها، كان لا بدَّ من أن تأتيَ المحنة وتزورنا... كان بابا قد أُصيبَ بنوبةِ شلل في ساقَيْه(٧) منذ شهر ايار / مايو من السنة السابقة. وكان قلقُنا عليه شديداً آنذاك. الا ان الطبيعة القوية التي تحلَّى بها ملكي العزيز سرعانَ ما تغلبتْ على المرض، فتلاشَتْ مخاوفُنا. ولكنا لاحظنا غير مرة، خلال سفرنا الى روما، انه كان يتعبُ سريعاً، وانه لم يكنْ على بشاشته السابقة، كالمعتاد؛ وما كنتُ أُلاحظه، بنوع خاص، هو التقدمُ في الكمال الذي كان بابا يحقّقه. فإنه، على مثال القديس فرنسيس دي سال، توصَّلَ الى السيطرة على حدَّتِه الفطرية، حتى بدا وكأنه متمتِّعٌ بأودعِ طبعٍ في العالم... وكأنَّ شؤونَ الارض تكادُ لا تُلامسُهُ، حتى غدا من السهل عليه أن يتغلَّبَ على معاكسات هذه الحياة، وكان اللّه يغمرُهُ بتعزياته. وفي زياراته اليومية للقربان المقدس، غالباً ما كانتْ عيناهُ تغرورقان بالدموع ووجههُ يشعُّ بسعادةٍ سماوية... وحينما تركتْ ليوني دير الزيارة، لم يغتمَّ لذلك، ولم يتشكَّ من ان اللّه لم يستجبْ للصلوات التي رفعَها اليه لينالَ دعوة ابنته العزيزة، بل ذهبَ ليعودَ بها بشيء من الفرح...

---

(٧) في ١/ ٥/١٨٨٧ قبل السفر الى روما ببضعة اشهر.

١٢ - فرح ابيها بدعوتها

وهاكِ بأي إيمان قَبِل بابا فراق ملكته الصغيرة! فقد كان يُعلنُه لأصدقائه في ألنَسون بهذه العبارات: «أصدقائي الأحباء، لقد دخلتْ تريز ملكتي الصغيرة البارحة، ديرَ الكرمل. وللّه وحده ان يطلب مثل هذه التضحية... لا ترثوا لحالي، لأن قلبي يطفحُ فرحاً».

١٣ - الاتشاح بالثوب

لقد حانَ الأوانُ لينالَ خادمٌ أمين كهذا مكافأةَ أعماله. وكان من العدل أن يُشبهَ أجرُه ذلكَ الأجر الذي منحَهُ اللّه لملك السماء، ابنه الوحيد... لقد كان بابا قد اهدى لتوّه، الى الرب مذبحاً[٨]، فصار هو نفسه الضحيةَ المختارة ليُذبَحَ عليه مع الحمل الذي لا عيبَ فيه [**٧٢ ي**]. تعلمينَ، يا امي الحبيبة، ما أَلَمَّ بنا من المرائر في شهر حزيران / يونيو سنة ١٨٨٨ ولا سيما في ٢٤ منه. فإن هذه الذكريات منطبعة بعمق في قلوبنا، حتى انه ليس من الضروري كتابتها. كم تألَّمْنا، يا أمي!... ولم تكنْ هذه سوى بدايةِ محنتنا... وقد حان موعدُ اتشاحي بالثوب الرهباني. ووافق المجمعِ الرهباني على قبولي. ولكن هل يمكنُ التفكير في إقامة احتفالٍ بالمناسبة؟ لقد كانوا يفكرون في إعطائي الثوبِ المقدس دون إخراجي. إلا انهم قرروا التريّث. وعلى عكس انتظارنا، برئَ والدُنا العزيز من نوبته الثانية، فعيَّنَ سيادته اليوم العاشر من كانون الثاني / يناير موعداً للاحتفال. لقد طالَ الانتظار كثيراً، ولكن العيد كان جميلاً! ولم ينقصْهُ شيءٌ، أيُّ شيء، حتى الثلج... ولا أدري هل سبقَ لي وكلَّمتُك على حبّي الشديد للثلج. لقد فتَنَنِي بياضُه وانا بعد طفلة. وكان من أعظم دوافع سروري أن أتنزَّه تحت نُدَفِ الثلج. انما من أين أتاني هذا الميل الى الثلج؟... ربما يعودُ الى كوني زهرةَ شتاء صغيرة، وأول حلة رأتها عيناي كطفلة في جمال الطبيعة هي وشاحُها الابيض. وكانت أُمنيتي دوماً ان أرى الطبيعة متّشحةً بالبياض مثلي، يوم اتّشاحي بالثوب الرهباني. ففي عشية ذلك اليوم الجميل، كنتُ حزينة أُراقبُ السماء الرمادية، يهطلُ منها من حين الى آخر رذاذُ مطر. وكانت الحرارة لطيفةً لدرجة لم أتوقَّعْ فيها سقوطَ الثلج. وفي اليوم التالي، لم يتغيَّرْ وجهُ السماء. ومع ذلك كان العيدُ رائعاً، وأكثر الزهور جمالاً وبهاء كان ملكي الحبيب، فهو لم يسبِقْ له ان ظهرَ بمثل هذا البهاء والوقار... لقد أَدهشَ الجميع، وكان هذا اليوم يومَ انتصاره وعيدَه الأخير

(٨) هو المذبح الكبير في كنيسة القديس بطرس في ليزيو.

على هذه الأرض. فقد أَعطى جميع بناته للّه. لأن سيلين ايضاً باحَتْ له بدعوتها، فبكى من الفرح، وذهبَ معها ليشكرَ ذلك الذي «كان يُشرِّفُهُ بدعوة جميع بناته».

١٤ ـ تساقط الثلج

[٧٢ **ش**] في نهاية الحفلة، أنشدَ سيادته نشيدَ الشكر. فحاول احد الكهنة ان يُلفتَ انتباهه الى ان هذا النشيد لا يُتلى الا في إبرازِ النذور الاحتفالية، الا ان الإنشاد كان قد ابتدأ، وتواصَلَ نشيدُ الشكر حتى النهاية. أَلم يكُنْ من اللازم ان يكون هذا العيد كاملاً، اذ تلاقتْ فيه جميعُ الاعياد الأخرى؟... وبعد ان عانقتُ ملكي الحبيب آخر مرة، عدتُ الى داخل الحصن. واول ما وقع عليه نظري في الرواق كان «الطِفل يسوع الوردي» وهو يبتسمُ لي بين الازهار والأنوار. ثم وقَع نظري حالاً على نُدَف الثلج... فكانت ساحةُ الدير بيضاءَ مثلي تماماً. آه! ما أَلطفَ يسوع! لقد نَزلَ عند رغبات خطيبته الصغيرة وأَرسلَ اليها ثلجاً... فمَنْ من البشر، مهما كان قديراً، يستطيعُ ان يُنزلَ ثلجاً من السماء ليُسرَّ حبيبته؟... ربما طرح اهل العالم على ذواتهم هذا السؤال. ومن المؤكّد أن الثلج الذي سقط لدى اتّشاحي بالثوب الرهباني، ظهر لهم بمثابة أُعجوبة صغيرة أدهشتْ المدينة كلها. فقد وجدوا في ميلي الى حبِّ الثلج امراً مستغرباً... لكن، لا بأس، فهذا يُظهرُ بجلاء تنازلَ عريس العذارى **العجيب**... ذاك الذي يُحبُّ **الزنابق الناصعة** نصوعَ الثلج!... ودخل سيادته، بعد الاحتفال، وغمرني بلطفه الأبوي. وأظنُّه كان فخوراً بأن يرى أَني قد نجحت، وكان يصرِّحُ للكل بأني «ابنتُه الصغيرة»، وفي كل مرة عادَ الينا سيادته، منذ ذلك العيد، كان دوماً في غاية اللطف تجاهي. وأذكرُ خاصة زيارته[٩] بمناسبة اليوبيل المئوي لأبينا القديس يوحنا الصليب. فقد ضمَّ رأسي بين يديه، وأغدقَ عليَّ أُلوف الملاطفات، ولم يسبقْ لي ان حظَيتُ يوماً بمثل هذا الشرف قط. وفي الوقت نفسه جعلني اللّه أفكر في الملاطفات [**٧٣ ي**]، التي سيغمرني بها امام الملائكة والقديسين، والتي كان يُعطيني عنها صورةً ضئيلة في هذا العالم. ولهذا فإن التعزية التي شعرتُ بها كانت عظيمة جداً...

١٥ ـ آلام مليكي

وكما قلت قبل قليل، كان اليوم العاشر من كانون الثاني / يناير يوم النصر لملكي،

(٩) في ٢٤/ ١١/ ١٨٩١.

واني لأشبّهُه بدخول يسوع اورشليم يوم الشعانين. امّا مجده، الشبيه بمجد معلّمنا الالهي، فقد دام يوماً واحداً أَعقبتْه آلام قاسية. وهذه الآلام لم تُصِبْهُ هو وحده: فكما ان آلام يسوع طعنتْ قلبَ أمه الالهية بسيف، كذلك شعرتْ قلوبنا بآلام ذاك الذي كنا نكنُّ له أرقَّ الحبِّ على الارض... أَذكرُ أَني في شهر حزيران / يونيو ١٨٨٨، حين حلّتْ بنا المصائبُ الأولى، كنت أقول: «أنا اتألمُ كثيراً، ولكنّي أَشعرُ بمقدرتي على تحمل مصائبَ اكثر قساوة». وما كنتُ آنذاك أُفكّر في ما ينتظرني، ولم أكن أَدري ان ابانا العزيز، في ١٢ شباط/ فبراير، أي بعد شهر من اتّشاحي بالثوب الرهباني، سيشربُ كأساً من أشد الكؤوس مرارةً وهواناً...

١٦ - المحن المجيدة

آه! في ذلك اليوم لم أَقلْ إني استطيع التألم أكثر!!!... والكلمات تعجزُ عن الاعراب عن حسراتنا، ولهذا فلن أُحاولَ وصفَها. وسيطيبُ لنا يوماً ما في السماء التحدّثُ سويَّةً عن مِحَنِنا المجيدة. أولسْنَا من الآن سعيداتٍ لكوننا احتملناها؟... اجل، فان سنيَّ استشهاد بابا الثلاث تبدو لي أحبَّ الاعوام في حياتنا كلِّها وأوفرَها ثماراً، ولن استبدلَها بجميع انخطافات القديسين وايحاءاتهم، فقلبي يطفحُ شكراً حينما أفكرُ في هذا الكنز الذي لا يُثمَّن والذي قد يُثيرُ حسداً مقدساً لدى ملائكة العرش السماوي...

١٧ - الرغبة في التألم

لقد أُفعِمَتْ رغبتي في التألم؛ ومع ذلك فإن ميلي اليه ما كان ليقلّ، لذلك كانتْ نفسي تشاركُ قلبي آلامه [**٧٣ ش**]. فصارتْ اليبوسةُ خبزي اليومي، وكنتُ محرومةً من كل تعزية، ومع ذلك كنت أَسعدَ الخلائق، بما ان جميع رغباتي قد استُجيبتْ...

١٨ - نضج سيلين

يا أمي الحبيبة! ما كان أعذبَ محنتَنا الكبيرة، بحيثُ لم تنبعثْ من قلوبنا جميعها الا تنهُّدات الحبّ والشكران!... فلم نكنْ نسيرُ في سبل الكمال سيراً، بل كنا نَطيرُ اليه خمستُنا. والصغيرتان المسكينتان المنفيَّتان في كان(١٠)، فلم تعودا بعد من العالم مع كونهما في العالم. آه! يا للعظائم التي أَحدثَتْها المحنةُ في نفس عزيزتي سيلين! فجميع

(١٠) كانت ليوني وسيلين قد أقامتا في فندق محاذٍ لمصحّ المخلّص الصالح من ٢٩/٢ الى ١٤/ ٥/ ١٨٨٩.

الرسائل التي كتبتْها في تلك الفترة موسومةٌ بطابع الخضوع والحبّ... ومن يسعُهُ ان يصِفَ الأحاديث المتداولة فيما بيننا؟ ولم تكنْ شعريّات الكرامل لتفصلَنا عن بعضنا. بل كانتْ توحِّدُ نفسَينا بشكلٍ اقوى. فكانت لنا الافكارُ نفسها، والرغبات عينها، وذاتُ الحُبِّ ليسوع وللنفوس... فاذا تحادثت سيلين وتريز، لا تدخل أية كلمة على شؤون الارض في أحاديثهما، بل كانت كلها على السماء. وكما كان شأنُهما على الشُرفةِ سابقاً، فقد كانتا تحلمان بأمور الخلود، وبالتنعّم عن قريب بهذه السعادة التي لا نهايةَ لها، وكانتا تختاران ههنا «الالم والاحتقار» نصيباً أوحد.

١٩ - تأخير موعد نذورها

وهكذا انقضى زمانُ خطوبتي... وما كان أَطولَه لتريز الصغيرة المسكينة! ففي نهاية سنتي، قالت لي أمُّنا بألا أفكِّرَ في طلبِ إبراز النذور، وبان الرئيس سيرفضُ طلبي حتماً. فاضطررتُ الى التريّث ثمانية اشهر اخرى... لقد صَعُبَ عليَّ جداً في بادئ الامر، قبولُ هذه التضحية الكبيرة، ولكن سرعانَ ما أَشرقَ النور في نفسي. وكنت آنذاك أَتأملُ في كتاب الأب سوران **أُسُس الحياة الروحية**. وفي ذات يوم، وفي أثناء التأمل فهمتُ أن رغبتي الشديدة هذه في المجاهرة بالنذور كانت تمتزج بعزَّة نفسٍ كبيرة. فبما أني قد وهبت ذاتي ليسوع لاجل إرضائه وتعزيته، [٧٤ ي] فما كان عليَّ أن أضطرَّه الى تحقيق ارادتي بدلاً من ارادته. وفهمتُ ايضاً ان الخطيبة عليها ان تكونَ مزيّنةً ليوم عرسها، في حين اني لم أَفعلْ شيئاً لهذا الهدف... عندها قلت ليسوع: «يا الهي! اني لا أَطلبُ منك ان أبرزَ نذوري المقدسة، بل سأنتظرُ قدر ما تريد، انما لا أُريدُ ان يُؤَجَّلَ اتحادي بك بسبب ذنبي. ولهذا سأبذلُ جلّ اهتمامي لإعداد ثوبٍ جميل مرصَّع بالحجارة الكريمة. وحينما تجدُه مكتملَ الزينة الى هذا الحد، فأنا واثقة بأن جميع الخلائق لن تمنعَك من الانحدار اليّ وتحقيق اتّحادي بك للأبد، يا حبيبي!...»

٢٠ - نذر الفقر

منذ توشُّحي بالثوب الرهباني، كنتُ قد تلقَّيتُ أنواراً غزيرة بشأن الكمال الرهباني، لا سيما بشأن نذر الفقر. وخلال فترة طالبيتي، كنت أُسرُّ بحيازة أمور لطيفة لاستعمالي، وبأن أَجدَ في متناول يدي كلَّ ما هو ضروري لي. وكان مرشدي يحتملُ ذلك صابراً، اذ لا يُحبُّ ان يُوضِحَ للنفوس كلَّ شيء دفعةً واحدة. فهو، عادةً، يمنح نوره شيئاً فشيئاً. في بدء حياتي الروحية، بين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من عمري، كنت اتساءَلُ عما

سيمكنُني اكتسابُه فيما بعد، ظنًّا منّي أنه يستحيلُ عليّ فهمُ الكمال أحسن مما فهمتُه. ولكني سرعانَ ما تحقَّقتُ انه كلما تقدَّمَ المرءُ في هذا الطريق، كلّما ازدادَ شعوراً بأنه أكثر بعداً عن الهدف. ولهذا فأنا الآن مسلِّمة بأن أراني دوماً ناقصة، وفي ذلك أجدُ فرحي. أعود الى الدروس التي أعطانيها «مرشدي». فذات يوم، بعد صلاة المساء، بحثت عبثاً عن مصباحنا الصغير فوق الرفوف المخصّصة لهذا الغرض؛ وكان الوقتُ وقتَ الصمت القانوني، فيستحيل عليّ المطالبة بالمصباح... وعلمتُ أن احدى الاخوات أَخذتْ مصباحنا ظنّاً منها أنه مصباحُها، وكنتُ بأَمسِّ الحاجة اليه. وعوضاً عن الشعور بالحزن لحرماني منه، غمرتْني سعادةٌ كبيرة، وفهمتُ أن الفقر يتوقَّفُ علي ان يرى المرء نفسه محروماً ليس من الامور الحلوة فحسب، [٧٤ ش] بل من الامور التي لا غنًى عنها ايضاً. وهكذا غمرني نورٌ داخلي في وسط الظلمات الخارجية... وكنتُ، آنذاك، مولعةً ولعاً شديداً بأبشع الحاجات وأقلّها راحةً. وهكذا، فقد امتلأتُ سروراً، حينما أُخذِ مني ابريقُ قلايتنا الصغير اللطيف، واستُبدلَ بابريق ضخم مُثَلَّم الحوافي... وكنت، كذلك، أَبذلُ جهوداً كبيرة لأتحاشى الاعتذار. وكان الامر يبدو صعباً عليَّ خاصة مع معلّمتنا، التي ما كنتُ أُريدُ أن أكتُمَها شيئاً. هذا هو انتصاري الاول: انه ليس بالنصر الباهر، ولكنه كلَّفني كثيراً. وُجد اناء صغير كان قد وُضعَ وراء احدى النوافذ، واذا به محطَّم. وظنتْ معلمتنا أني انا تركتُهُ وأَهملتُه هناك، وأرتْني اياه، وأوعزَتْ اليّ بأن أكونَ اكثر انتباهاً في المستقبل. فقبَّلْتُ الارض دون ان أنبسَ ببنت شفة، ووعدتها بأن أُحسنَ الترتيب في المستقبل. إن هذه الممارسات الصغيرة كانت تكلّفني كثيراً، وذلك لقلة فضيلتي. وكنتُ بحاجة الى التفكير في ان، يوم الدين، سينكشفُ كلُّ شيء. لاني كنتُ ألاحظُ ما يلي: ان المرء حينما يقومُ بواجبه، دون ايّ اعتذار، فلا أحدَ يعلم بذلك، بل بالعكس تَظهرُ النقائصُ حالاً...

٢١ - حبّ الاماتة

كنتُ أَبذلُ جهدي خاصةً في ممارسة الفضائل الصغيرة، فلم يكن من السهل عليّ ان أُمارسَ الكبيرة منها. وهكذا كان يطيبُ لي ان أَطوي المعاطفَ التي نسيتها الاخوات، وان أؤدّي لهنّ كلّ الخدمات الصغيرة التي كنتُ استطيعُ تأديتها، وقد أُعطيتُ ايضاً حبّاً للإماتة، كان يزداد قوّةً لأنه لم يكن يُسمَح لي بأيِّ شيءٍ يفيه حقَّه. والإماتة الوحيدة التي كنت أقوم بها، في العالم، وكانت تتوقفُ على الا أُسندَ ظهري عند الجلوس، قد حُظِّرتْ

عليّ، بسبب ميل ظهري الى التقوّس. للأسف، ما كان من شأن رغبتي ان تدومَ طويلاً، لو سُمِحَ لي القيام بإماتات كبيرة... اما تلك التي سُمِحَ لي بها من دون ان ألتمسَها، فكانت تتوقّف على قهر حبّي لذاتي، الأمر الذي كان يُفيدُني اكثر من الاماتات الجسديّة...

٢٢ ـ ألمُ العيش معاً

[٧٥ ي] حالما اتَّشحتُ بالثوب الرهباني كُلِّفت بغرفة الطعام، فمنحتني اكثر من فرصة لكي أضعَ عزَّة نفسي موضعها، اي تحت الاقدام.. صحيح أني تعزَّيتُ كثيراً لكوني أقوم بالمهمة نفسها مثلك، يا امي الحبيبة، وأنه يتسنّى لي تأمُّل فضائلك عن كثب. الا ان هذا التقارب كان مدعاةً للألم. فلم أعُدْ أشعرُ، كما في السابق، بأني حرَّةٌ في الإفضاء بكلِّ شيء اليكِ. كان عليَّ ان اتقيَّدَ بالقانون، فلا يسعُني ان أكشف لك عن نفسي. في الواقع، كنت في الكرمل، وليس في البويسونيه تحت السقف الوالدي!...

٢٣ ـ ثوب العرس

الا ان العذراء القديسة كانت تساعدُني على إعداد ثوب نفسي. وما ان اكتملَ، حتى زالتْ العوائق كلُّها من ذاتها. فأرسلَ اليّ سيادتُه الإذنَ الذي التمستُه، ورضيتْ الجماعة بأن تقبلَني، وعُيِّنَ يومُ نذوري في الثامن من ايلول / سبتمبر...

كل ما كتبتُه بكلمات وجيزة يتطلّبُ صفحاتٍ كثيرةً من التفاصيل، ولكن هذه الصفحات لن تُقرأَ ابداً على الارض. وقريباً سأحدِّثكِ، يا امي الحبيبة، عن هذه الامور كلها في بيتنا الأبوي، في السماء الجميلة التي نحوها تصعدُ تنهُّداتُ قلوبنا!...

٢٤ ـ يتيمة على الارض

لقد أُعدَّ ثوب عرسي، وكان مزيناً بالجواهر القديمة، التي كان خطّيبي قد وهبها لي. إلا أن الامر لم يكنْ كافياً لأريحيَّته. بل كان يُريدُ منحي ماسةً جديدة لا حصرَ لتموّجاتها. فكانت محنةُ بابا مع كلّ ظروفها الاليمة بمثابة الجواهر القديمة. اما الجديدة فكانت محنة صغيرة جداً في ظاهرها، ولكنها سبَّبتْ لي ألماً عظيماً. فمنذ بعض الوقت، طرأَ شيء من التحسّن على صحة ابينا الصغير المسكين، وتسنّى لنا إخراجه احياناً في العربة، وجرى البحثُ حتى في امكانية تسفيره بالقطار ليأتيَ ويشاهدَنا. وبالطبع، فكّرتْ سيلين على الفور في ضرورة اختيار يوم اتشّاحي بالطرحة. وقالت: «لن اجعله [٧٥ ش]

يحضرُ الحفلة كلّها، لئلا أُتعبَه، بل سأذهبُ في الختام، وآتي به وأقودُه برفق الى جانب الشعرية، لكي تنالَ تريز بركتَه.» آه! اني ارى هنا قلبَ عزيزتي سيلين... في الحقيقة، ان الحبَّ لا يأخذُ المستحيل حجةً، لأنه يعتبرُ كلَّ شيء ممكناً ومسموحاً له به»... اما الفطنةُ البشرية، فعلى عكس ذلك، فهي ترتعد عند كل خطوة، وكأني بها لا تتجرّأُ على وضع القدم. واللّه الذي كان يُريدُ امتحاني، قد استخدمَ هذه الفطنة كأداةٍ طيّعة، ويوم عرسي كنتُ يتيمةً حقاً، لا أبَ لي على الارض. لكنني أستطيعُ ان أَنظرَ الى السماء بثقة وأقول بكل صدق: «ابانا الذي في السماوات».

الفصل الثامن

سنوات النذور (١٨٩٠-١٨٩٥)

١ - جفاف الرياضة

كان عليّ، يا أمي الحبيبة، قبل أن اكلّمك على هذه المحنة، أن أُحدِّثكِ عن الرياضة التي سبقت ابراز نذوري. انها كانت أبعد من أن تجلبَ لي تعزيات، بل كان نصيبي الجفاف التام والهجران. كان يسوع نائماً في زورقي الصغير كعادته. آه! إني أرى جيداً أن النفوس نادراً ما تدعُه ينام نوماً هادئاً فيها. فيسوع تعبٌ جداً من بذل الجهود والمبادرات لدرجة انه يسارع الى الافادة من الراحة التي أُقدِّمها له. ولا شك انه لن يستيقظَ قبل رياضتي الكبيرة في الأبدية. وهذه الحالة، عوضاً عن أن تحزنَني، فإنها تُفعمُني سروراً عميقاً...

٢ - بعيدة عن القداسة

في الحقيقة، انا بعيدة عن أن أكون قديسة، وما سبق برهانٌ على ذلك. فعوض الابتهاج بجفافي، كان عليّ أن أَعزوه الى قلة تقواي وأمانتي. كان عليّ أن أَغتمّ لكوني أنامُ (منذ سبع سنين) في أوقات التأمل والشكر (بعد التناول). ولكنني لا اغتمّ... بل افكّر في أن الأطفال الصغار يُرضون والديهم، نائمين كانوا أم مستيقظين على السواء، وأظن أن الأطباء [٧٦ ي] يخدّرون مرضاهم للقيام بالعمليات الجراحية. واخيراً أظنّ أن الرب يرى وهنَنا، **ويذكر اننا لسنا سوى تراب. (مزمور ١٠٢/ ١٤).**

٣ ـ يسوع يقوتني

فكانت رياضة نذوري، اذا، مثل كل الرياضات التي تلتْها، رياضةً شديدة الجفاف. الا أن اللّه كان يُطلعُني جلياً، دون أن أشعرَ بذلك، على الوسيلة لإرضائه ولممارسة أسمى الفضائل. وقد لاحظتُ، مراراً، أن يسوع لا يُريدُ أن يزوّدَني بالمؤن، فهو يقوتُني، في كل لحظة، بغذاءٍ جديد، وانا أجدُه فيَّ، دون أن أدريَ كيف حصل ذلك...؛ اعتقدُ، بكلّ بساطة أن يسوع نفسه، المختبئ في عمق قلبي الصغير المسكين، هو الذي يمنُّ عليّ بالعمل فيَّ، ويجعلُني أفكرُ في كلّ ما يُريد أن اقومَ به، في اللحظة الحاضرة.

٤ ـ بركة قداسة البابا

فقبل ابراز نذوري ببضعة ايام، أُسعدتُ بتلقّي بركة الحبر الأعظم، وكنتُ قد التسمتُها، بواسطة الأخ سيمون، لبابا ولي أنا، فكانت لي تعزيةً كبيرة تُمكِّنُني من أن أَردَّ لأبي العزيز الصغير تلك النعمة التي كان قد وفَّرها لي يوم قادني الى روما.

٥ ـ تجربة الشك في دعوتها

واخيراً وافى يومُ عرسي الجميل، وكان صافياً بلا غيوم. غير انه في العشية، ثارتْ في نفسي عاصفةٌ هوجاء، لم أرَ لها مثيلاً من قبل... الى الآن لم يكن قد خالجَني أيّ شكٍّ في دعوتي، فكان ينبغي أن أمرَّ بهذه المحنة. ففي المساء، لدى قيامي بدرب الصليب، بعد صلاة السَّحَر، بدتْ لي دعوتي وكأنها حلم ووهم. فكنت أرى حياةَ الكرمل جميلةً جداً، إلا أن الشيطان كان يُوسوسُ لي مؤكداً أنها لا تلائمُني، وأني أَخدعُ رئيساتي بتقدّمي في طريق لستُ مدعوةً إليه... وكانت ظلماتي كثيفةً جداً، حتى اني لم أكن أرى أو أُدركُ [٧٦ ش] سوى أمرٍ واحد: لا دعوةَ لديّ!... آه. كيف يسعني أن أصفَ كآبة نفسي؟ كان يخيَّلُ إليّ (وهذا أمرٌ غيرُ معقول يبيّن أن التجربة كانت من الشيطان)، أني اذا بُحتُ بمخاوفي لمعلمة الابتداء، فانها ستمنعُني من ابراز نذوري المقدسة. ومع ذلك، فقد كنتُ أُريدُ أن أعمل بمشيئة اللّه وأعودَ الى العالم، لا ان ابقي في الكرمل واعملَ بمشيئتي. وهكذا دعوتُ معلّمتي الى الخروج، وأَطلعتُها على حال نفسي والخزيُ يملأني... ولحسن الحظ، أنها رأتْ بوضوح اكثر مني، وطمأَنتني كلَّ الإطمئنان... مع العلم أن فعلَ التواضع الذي كنتُ قد قمت به هزمَ الشيطان، وقد كان يعتقد، ربما أني قد لا أَجسُرُ على الإقرار

بتجربتي. فما أن أَنهيتُ كلامي، حتى تلاشَتْ شكوكي. ولكني، حتى أَجعَلَ فعلَ تواضعي أكملَ، أردتُ أن أَبوحَ بتجربتي الغريبة لأُمنا التي اكتفتْ بالضحك مني.

٦ - نهر من السلام

وفي صباح الثامن من ايلول / سبتمبر، شعرت بأن نهراً من السلام يغمرني. وفي وسط هذا السلام «**الذي يفوقُ كلَّ إدراك**» (**فيلبي** ٤/٧)، أَبرزتُ نذوري المقدسة. وتمَّ اتحادي بيسوع، ليس وسط صواعق وبروق، أي النعم الخارقة العادة، بل وسطَ **نسيمٍ لطيف** كالذي سمعَه أبونا ايليا على الجبل. وما أكثرَ النعمِ التي طلبتُها في ذلك اليوم!... لقد أَحسستُ فعلاً بأني الملكة لذلك كنتُ أَنتهزُ لَقَبي هذا لتحريرِ الأسرى، وأحصلَ على أفضال الملك على أَتباعه الناكري الجميل؛ وأخيراً كنتُ أريدُ إنقاذَ جميع الأنفس المطهرية وهدايةَ الخطأة... لقد صلّيتُ كثيراً لأجل أمي وأخواتي الحبيبات... ولأجل العائلة كلها، وبالأخص لأجل والدي الصغير الذي تصهُرُهُ المحنة، والمُمْعِن في القداسة... لقد قدّمتُ ذاتي ليسوع، لكي يحقِّق فيَّ ارادته كاملةً دون أن تضعَ الخلائقُ عائقاً لذلك.

٧ - سلام وفرح

[**٧٧ ي**] انقضى ذلك اليوم الجميل، كما تنقضي أكثرُ الأيام حزناً، بما أن اكثر الأيام إشراقاً يَليها غد. ولكني وضعت دون أية كآبة إكليلي عند قدمَيْ العذراء القديسة، وكنتُ أشعرُ بأن الزمان لن يستطيعَ أن ينالَ من غبطتي... وما أجمل عيدَ ميلاد مريم هذا لأُصبحَ فيه عروساً ليسوع!... لقد كانت العذراء القديسة الصغيرة، ابنةُ اليوم الواحد، تقدِّم زهرتَها الصغيرة ليسوع الصغير... فكل ما في ذلك اليوم كان صغيراً، ما خلا السلامِ والنِّعم التي حصلتُ عليها، وما عدا الفرح الهادئ الذي شعرتُ به وأنا أتأملُ النجومَ تتلألأُ في الفضاء، وأُفكرُ في أنَّ السماء الجميلة سوف تنفتحُ قريباً لعينيَّ المسحورتين، فيتسنَّى لي الاتحاد بعريسي وسط حبورٍ ابدي...

وفي اليوم الرابع والعشرين جرت حفلةُ اتشاحي بالطرحة[١١]، وكان كلّه محجوباً بالدموع... ولم يكن بابا هناك ليباركَ ملكتَه... وكان الأب [المرشد] في كندا...

---

(١١) إن حفلة ابراز النذور في ٨/ ٩، وهي حفلة خاصة داخل الحصن قد اكتملت يوم ٨/٢٤ بلبس الطرحة السوداء وهي حفلة علنية.

وسيادةُ المطران الذي كان سيأتي ويتناولُ طعام العشاء عند خالي لم يحضرْ ايضاً لتوعُّكٍ في صحَّته. خلاصة القول، كان كلُّ شيء حزناً ومرارة... ومع ذلك فكان السلام، السلام بشكل دائم، حاضراً في قعر الكأس... في ذلك اليوم سمحَ يسوع بألا أستطيعَ حبسَ دموعي، ولم يفهَمْ احدٌ دموعي تلك. في الواقع لقد احتملتُ، في السابق، دون بكاء محناً أكبر من تلك، ولكني كنتُ يومها مسنودةً بنعمة قديرة. أما في الرابع والعشرين فعلى العكس، قد تركني يسوع مع قوايَ الخاصة، وقد أظهرتُ كم كانت ضئيلة.

٩ - زواج جانّ

وبعد لبسي الطرحة بثمانية أيام، تمَّ زفافُ جانّ[١٢]. يا أمي الحبيبة، كم علّمني مثلُها انواعَ الملاطفات التي ينبغي للزوجة أن تُغدقَها على زوجها. فكنتُ أُصغي بشوقٍ الى كلّ ما يمكنني تعلّمُه من ذلك، لأني ما كنتُ أشاءُ أن أعملَ ليسوع حبيبي اقلَّ مما تعمله جانّ لفرنسيس، وهو مخلوقٌ كامل ولا شك، ولكنه مجّرد مخلوق! [٧٧ ش] وقد وضعتُ، من باب التسلية، بطاقةَ دعوة لأقابلَها ببطاقتها. وهاكِ تصميمها:

١٠ - بطاقة دعوة

الى عرس الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس

ان اللّه القدير،
خالق السماء والارض،
سيد العالم المطلق،
والسيدة مريم العذراء المجيدة،
ملكة البلاط السماوي وأميرته،
يتواضعان لإعلامكم بزواج ابنهما
الجليل يسوع، ملك الملوك،
ورب الأرباب، من الآنسة
تريز مارتن، التي أصبحتْ

إن السيد لويس مرتان
مالك إمارات الالم
وسيّد الهوان
والسيدة مارتان
اميرة البلاط السماوي ووصيفته
يرغبان في إعلامكم بزواج ابنتهما تريز
من يسوع كلمة اللّه،
الأقنوم الثاني من الثالوث
المسجود له، الذي صار بفعل الروح القدس

(١٢) هي جانّ غيران، ابنة خال تريز، وقد عقد قرانها على الدكتور فرنسيس لانييل في ١/ ١٠/ ١٨٩٠. وسيُدعى الى فحص صحة تريز في شهورها الاخيرة (م).

الآن سيدةً وأميرةً على الممالك إنساناً وابناً لمريم
التي قدَّمها لها مَهراً عروسُها ملكة السماوات.
الالهي، أعني: طفولة يسوع
وآلامه؛ وألقابُ شرفها هي:
الطفل يسوع والوجه الأقدس.

واذ لم تتيسَّرْ لنا دعوتُكم الى بركة الاكليل التي مُنحت لهما على جبل الكرمل في ٨ ايلول/سبتمبر سنة ١٨٩٠، لأن اهل البلاط السماوي كانوا وحدهم مدعوين اليها، فانتم مدعوون الى المشاركة في العودة من العرس، نهار غد، أي يوم الابدية، الذي فيه سيأتي يسوع، ابنُ اللّه، على سحاب السماء، في سناء جلاله، ليدين الأحياء والاموات.

ولما كانت الساعة غيرَ محدَّدة بعد، فيرجى ان تكونوا على أهبة الاستعداد واليقظة.

١١ - الأم جنفياف

[٧٨ ي] والآن، يا امي الحبيبة، ماذا بقيَ لي أن اقولَه لك؟ آه! كنتُ اعتقد اني قد انتهيتُ، ولكنّي لم أَقلْ لكِ بعد شيئاً عن السعادة التي غمرتْني بمعرفة امنا القديسة جنفياف... انها لنعمةٌ لا تُثمَّن! واللّه الذي منحني الكثير من النعم الى الآن، شاءَ ان أَعيشَ مع قديسة لا يصعُبُ تقليدُها، ولكنها قديسة قدَّستْها فضائلُ خفيّة مألوفة... وقد حصلتُ منها اكثر من مرة على تعزياتٍ عظيمة، ولا سيما في يوم احد. اذ كنتُ ذاهبةً كالمعتاد لأقومَ بزيارة قصيرة لها، وجدتُ أُختين عند الأم جنفياف. فرمقتُها بابتسامة وهممتُ بالخروج، اذ لا يجوزُ وجودُ ثلاثة بالقرب من مريضة. غير انها نظرتْ اليّ نظرةَ إلهام وقالتْ لي: «انتظري، يا بنيّتي، فاني سأقولُ لك كلمةً واحدة. فكلّ مرة تأتيني، تلتمسينَ مني ان أُعطيكِ باقةً روحية. فاليوم أُعطيكِ هذه: أُخدمي اللّه بسلامٍ وفرح، وتذكَّري، يا ابنتي، أن الهنا هو إلهُ السلام». وبعد ان شكرتها ببساطة، خرجت متأثّرة حتى الدموع، وأنا مقتنعة بأنَّ اللّه قد كشفَ لها عن حالة نفسي. لاني كنتُ ذلك اليوم، في محنةٍ شديدة وشبهَ كئيبة، وفي ليلٍ لا أدري معه بعد اذا كان اللّه يحبُّني. اما الفرح والعزاء اللذين شعرتُ بهما، فانتِ أَدرى بهما، يا امّي الحبيبة!..

١٢ - قداسة الام جنفياف

وفي الاحد التالي، اردتُ ان أَعرفَ ايَّ وحيٍ هبطَ على الأم جنفياف، فأكدَّتْ لي

أنها لم تتلقَّ ايَّ وحي. فبلغتْ مني الدهشة اعظمَ مبلغ، اذ عاينتُ الى ايّ مدىً سامٍ كان يسوع يحيا فيها ويدفعُها الى العمل والقول. آه! هذه القداسة تبدو لي الاكثرَ حقيقةً والاكثرَ قداسة، وهي التي أرغبُ فيها، لانها ليس فيها ايّ وهم!

١٣ - موت قدّيسة

[٧٨ ش] ويوم إبراز نذوري، غمرني فيضُ عزاء، اذ علمتُ من فم أمنا جنفياف انها قد مرَّتْ هي ايضاً، قبل ابرازها النذور، بالمحنة نفسها التي أجتازُها الآن... أتذكرين، يا امي الحبيبة، التعزيات التي تلقّيناها بالقرب منها، في إبَّان مصائبنا الكبرى؟ والخلاصة أن الذكرى التي تركتْها الأم جنفياف في قلبي هي ذكرى عَطِرة... وفي يوم انطلاقها، شعرتُ بتأثر بالغ، فقد كانتْ تلك الوفاة الاولى التي أُشاهدُها؛ لقد كان المشهدُ رائعاً حقاً... كنت عند اقدام سرير القديسة المحتضرة، أُراقبُ بدقة أقلَّ حركاتها. وكان يبدو لي، خلال الساعتين اللتين أمضيتُهما هكذا، أنه كان ينبغي ان تشعرَ نفسي بملء الحرارة. الا ان الأمر جرى على خلاف ذلك. فقد استحوذَ عليَّ نوعٌ من الجمود. ولكن في ذات اللحظة التي فيها وُلدتْ امنا القديسة جنفياف في السماء، تغيّرت حالتي النفسية، وفي طرفةِ عين شعرتُ بان نفسي قد امتلأتْ فرحاً وحرارة يفوقان الوصف، وكأني بالأم جنفياف قد منحتْني نصيباً من السعادة التي حظيتْ بها. لأني على يقين من انها ذهبتْ تواً الى السماء... وقلت لها، يوماً، في حياتها: «يا أمي، إنك لن تذهبي الى المطهر!...» فأجابتْني بوداعة: «هذا ما أرجوه»... آه! لا ريبَ في أن اللّه لم يستطعْ ان يخيّبَ رجاءً مثل هذا مفعماً بالتواضع، وجميع الانعامات التي حصلنا عليها هي البرهان على ذلك... فأسرعتْ كلُّ اخت في طلب ذخيرةٍ لها. وانت تعرفين، يا امي الحبيبة، الذخيرةَ التي حظيتُ بها... لقد لاحظتُ، خلال نزاع الأم جنفياف، دمعةً تتلألأ في جفنها مثل ماسةٍ بهيةٍ. تلك الدمعة، الأخيرة مما سكبتْهُ من الدموع، لم تسقطْ، بل رأيتُها ما زالتْ تلمعُ ونحن في الخورس، دون ان يفكّر احد بالتقاطها؛ حينئذ أخذتُ قطعةَ قماش ناعم وتجرأتُ فدنَوتُ عند المساء دون ان يراني احد، وأخذتُ كذخيرةٍ آخرَ دمعةٍ ذرفتْها قديسة... ومنذئذ حملتها دوماً في المحفظة [٧٩ ي] الصغيرة التي تحتوي على صيغةِ نذوري.

١٤ - احلام شعرية

انني لا أُولي أيَّة أهميّة لأحلامي، ونادراً ما أحلمُ احلاماً رمزية. وأَسأل نفسي كيف

أُفكرُ طوال النهار في اللّه، ولا يملأُ فكري أثناءَ رقادي... فأحلمُ عادة بالغابات والأزهار والجداول والبحر. وفي كل مرة، تقريباً، ارى أطفالاً حسانَ المنظر، وأصطادُ فراشاتٍ وطيوراً لم أرَ مثلها في حياتي. وهكذا ترين، يا أمي، انه اذا كان لأحلامي مسحةٌ شعرية، فإنها بعيدةٌ كل البعد عن حالة التصوّف...

١٥ - أترك لكِ قلبي

وذات ليلة، بعد وفاة الأم جنفياف، حلمتُ حلماً أولاني المزيد من التعزية: حلمتُ أنها تُهَيِّئُ وصيتَها، وتقدّمُ لكل أختٍ شيئاً مما كان في حوزتها. وحينما جاء دوري، خيّل إليّ اني لن أَحظى بشيء، اذ لم يبقَ لها شيء تعطيه. إلا انها اعتدلتْ وقالتْ لي ثلاثَ مرات بنبرةٍ مؤثرة: «اما انتِ، فأترُكُ لكِ قلبي».

١٦ - الموت في كل مكان

وبعد شهر من وفاة أمنا القديسة، تفشّى داءُ الانفلونزا في الجماعة[١٣] وبقيتُ وحدي سليمةً مع أختين أخريين. ويتعذّرُ إطلاقاً وصفُ كلِّ ما رأيتُه، وعلى ايّ حال بدتْ لي الحياة، وكلُّ ما هو زائل...

وكان الاحتفال بيوم ميلادي التاسع عشر وفاة [راهبة] سرعانَ ما تلتها أخريان. وكنتُ في ذلك الوقت وحدي مسؤولة عن الموهِف[١٤] لان المسؤولة الاولى، كانت مريضةً جداً. فكان عليَّ ان أُهيِّئَ ما يلزم للدفن، وان أَفتحَ شعرية الخورص خلال القداس، الخ... وقد منحَني اللّه كثيراً من نِعَم القوة في ذلك الوقت. وانا اليوم أسأل نفسي كيف تسنَّى لي القيام بكلِّ ما عملتُه بدون فزع. لقد كان الموتُ يخيِّم في كل موضع. وكانت الاخوات الأشد مرضاً يَلقَيْن عنايةً من اللواتي كانت وطأةُ المرض أخفَّ عليهنّ. وحالما كانت احدى الاخواتِ تلفظُ أنفاسَها الأخيرة، كنا نضطرُّ الى تركها وحدها. وذات صباح، عند نهوضي من النوم، حدَّثتْني نفسي بأن الاخت مادلين قد توفيَّتْ. وكان الدهليز في ظلامٍ حالك ولا أحدَ يخرج من القلالي. وبعد تردّد قررتُ [٧٩ ي] اخيراً دخول غرفة الأُخت مادلين التي كان بابُها مفتوحاً. فوجدتُها لابسةً وراقدة على فراش

---

(١٣) بدأ في نهاية سنة ١٨٨٩ وتفشّى بين ١٢/١٨٩١ و ١/١٨٩٢، وقضى على ٧٠ الف شخص في فرنسا خلال شتاء ١٨٨٩- ١٨٩٠.
(١٤) السكرستيا.

القشّ ولم يخالجْني ايُّ خوف. وإذ رأيتُ ان ليس لديها شمعة، ذهبتُ وجلبتُ لها واحدةً مع إكليل من ورد.

١٧ – مسحة من الفرح والسلام

وفي مساء يوم وفاة الأم نائبةِ الرئيسة، كنتُ وحدي مع الأخت الممرِّضة. ويتعذَّرُ علينا ان نتصوَّر حالةَ جماعتنا الكئيبة في ذلك الوقت. الصحيحات وحدهنّ يستطعنَ تصوُّرَ تلك الحالة. إلا أني وسط هذا التخلّي، كنت أَشعرُ بأن اللّه يسهرُ علينا. فالمحتضرات كن ينتقلنَ بغير جهد الى حياة فُضلى، فترتسم حالاً بعد موتهنَّ إماراتُ الفرح والسلام على وجوههنّ، وكأنهنَّ في رقادٍ هادئ. وفي الحقيقة كان رقاداً هانئاً، اذ بعد ان تكونَ صورة هذا العالم قد زالتْ، سوف يستيقظنَ لكي ينعمنَ مدى الابد بالمباهج المعدَّة للمختارين...

١٨ – خدمة المذبح

وطيلة ايام محنةِ جماعتنا، حظيتُ بتعزيةٍ تفوقُ الوصف، وهي أن أَتناولَ القربان **كل يوم**... آه! ما أطيب ذلك! فقد غمَرني يسوع بألطافه طويلاً، أطولَ من عرائسه الأمينات، اذ أتاحَ بأن يُعطى هو لي دون ان تحظى الأخريات بسعادة اقتباله. وكنتُ سعيدةً جدّاً أيضاً بلمس الآنية المقدسة، وبتهيئةِ القماطات الصغيرة المعدَّة لاستقبال يسوع. وكنت أشعر بأنه عليَّ ان أكون على تقوى حارة، ولطالما تذكّرتُ تلك الكلمة الموجّهة الى شماس قديس: **كن قدّيساً، يا مَن تلمسُ آنيةَ الرب** (**أشعيا ٥٢، ١١**).

١٩ – التشتُّت والنعاس

لا استطيع القولَ بأني تلقَّيت غالباً تعزياتٍ في أثناء صلوات الشكر. بل ربما كان هو الوقت الذي فيه أَنالُ منها الأقلّ... وأنا أجدُ الامر طبيعياً، بما أني قدَّمتُ ذاتي ليسوع، ليس كشخصٍ يرغبُ في تلقّي زيارته لتعزيته الخاصة، بل على عكس ذلك، لمرضاة ذاك الذي يُعطيني ذاته. إني أتصوّرُ نفسي كأرض حرّة، وأسألُ العذراء القديسة ان تُزيلَ عنها الانقاض التي من شأنها ان تمنعَها من ان تكونَ حرّة، ثم أتوسَّلُ اليها أن تنصُبَ فيها خيمةً واسعة تليقُ بالسماء، وأن تزيِّنها بحلاها الخاصة، ثم أدعو جميع القديسين والملائكة ليأتوا ويُقيموا فيها حفلةً موسيقيَّةً رائعة. ويبدو لي أن يسوع، عند حلوله في قلبي، يُسَرُّ بما

يلاقيه من الحفاوة، وأنا ايضاً اكون مسرورةً جدّاً... بيد أن هذا كله لا يحول [٨٠ ي] دون أن يزورني التشتُّت والنعاس. ولكني عند انتهاء شكري، اذ ألاحظُ كيف أسأتُ القيام به، أعزمُ على ان أكون في حالة الشكر في بحر النهار... ترين، يا امّي العزيزة، اني أَبعدُ من ان أسيرَ في طريق الخوف، فأنا أعرفُ دوماً كيف أجدُ الوسيلة لأكونَ سعيدة وأَستفيدَ من مصائبي. ولا ريبَ في أن هذا الامر لا يُغيظُ يسوع، اذ يبدو وكأنه يشجِّعُني على سلوك هذا السبيل. وذات يوم، خلافاً لما اعتدتُ، كنتُ على شيء من الاضطراب عند دنوّي من المائدة المقدسة. وبدا لي ان اللّه ليس مسروراً مني، فكنتُ اقول لنفسي: «آه! اذا لم أنَلْ اليوم غيرَ نصف برشانة، فسأكونُ حزينة لاني سأعتقدُ ان يسوع يجيءُ الى قلبي مرغماً». وتقدّمتُ.... ويا لسعادتي، لاول مرة في حياتي، رأيتُ الكاهن وهو يأخذُ برشانتين منفصلتين تماماً ويناولني إياهما. وانك تُدركينَ مدى سروري ودموعَ الفرح التي سكبتُها حينما رأيتُ هذه الرحمة العظيمة!...

٢٠ - رياضة الاب ألكسي

وفي السنة التي تلتْ إبرازي النذور، اي قبل وفاة الأم جنفياف بشهرين، حبَاني اللّه نعماً جليلة في اثناء الرياضة. وإني عادة أُعاني من الرياضات التي تتخلَّلُها المواعظ أكثر من تلك التي أقومُ بها لوحدي. الا ان الأمر جرى تلك السنة خلاف المعتاد. فقد استعددتُ لها بتساعيةٍ حارّة جدّاً، بالرغم من شعوري الداخلي، اذ كان يخيّل اليّ ان الواعظ لن يستطيعَ فهمي، لكونه مهيَّأً خاصة لعمل الخير مع الخطأة الكبار، [٨٠ ش] وليس للنفوس الرهبانية. وشاء اللّه أن يبيِّن لي انه هو وحده مرشدُ نفسي، فاستخدمَ هذا الأب الذي لم يعرفْ أحدٌ سواي قدْرَه... فقد كنتُ عندها عرضةً لمحَنٍ داخلية كبيرة ومتنوّعة (حتى لقد كنت سألت نفسي احياناً اذا كان للسماء من وجود). وكنت أشعرُ باستعدادي لعدم البَوح بشيء من استعداداتي الداخلية، لجهلي التعبيرَ عنها. ولكنّي ما إن دخلتُ منبر الاعتراف حتى شعرتُ بانفراج كبير في نفسي. وبعد ان نطقتُ بكلمات قليلة، فهمَني الأب بصورة مدهشة، بل استشفَّ افكاري... فكانت نفسي مثلَ كتابٍ مفتوح وكان الأبُ يُجيدُ القراءة فيه اكثرَ منّي. فأطلقَ أشرعتها كلَّها فوق امواج الثقة والحبّ التي كانت تجتذبُني بقوة، والتي لم أَكنْ أجرؤُ على السير فيها. وقال لي إن أخطائي **لا تكدِّرُ اللّه**، وإنه بصفته قائماً مقام اللّه يقولُ لي بالنيابة عنه إنه راضٍ عني كلَّ الرضى...

٢١ ـ الله أحنّ من امّ

آه! كم كانت سعادتي عظيمةً حينما سمعتُ هذه الاقوال المعزّية! فاني ما سمعتُ قط أن الاخطاء قد لا تغمّ اللّه. ان هذا التأكيد قد غمرَني بالفرح، وجعلَني احتملُ منفى الحياة بصبر... كنت أَشعرُ في أعماق قلبي بأن ذلك كان صحيحاً، لأن اللّه أحنُّ من أمّ. وانت، يا امي الحبيبة، ألستِ دوماً مستعدَّةً لتغفري لي تصرّفاتي الخشنة البسيطة التي أقترفُها ضدك عن غير قصد؟... وكم مرةٍ خَبرتُ عذوبتها بنفسي! ولم يكنْ ليؤثر فيَّ أيُّ تأنيبٍ أكثر من احدى ملاطفاتك. فمن طبعي أن الخوف يُعيدُني الى الوراء. اما اذا أُخِذتُ بالحبّ، فإني لا اتقدَّمُ الى الامام فحسب، بل أطيرُ طيراناً...

٢٢ ـ انتخاب الام أنييس

آه! يا اماه! إني، منذ يوم انتخابك[١٥] المبارك، خاصةً، شرعتُ أطيرُ على طرقات الحبّ. فيومذاك اصبحت پولين يسوعي الحيّ وأصبحتِ للمرة الثانية: «ماما»! وإني سعيدة، [٨١ ي] منذ ثلاث سنوات، بأن أتأملَ العظائم التي يُجريها يسوع بواسطة امي الحبيبة... وأرى أن الألم وحده قادرٌ على إيلاد النفوس، وقد كَشفتْ لي أقوالُ يسوع السامية هذه عمقَها أكثر من اي وقت آخر: **الحقَّ الحقَّ اقول لكم: ان لم تقَعْ حبة الحنطة في الارض وتَمُتْ، تبقَ وحدها. واذا ماتت، أخرجتْ ثمراً كثيراً** (**يوحنا** ١٢، ٢٤-٢٥). فما أوفر الحصاد الذي جنَيْتِهِ! لقد زرعتِ بالدموع، ولكنك قريباً ستعاينينَ ثمار أعمالك، فتعودينَ طافحةً بالفرح، وانت تحملين الحِزَمُ في يديك... يا اماه، ان الزهرة البيضاء تختبئُ بين هذه الحِزَم المزهِرة، ولكنّها في السماء سيكونُ لها صوت لكي تُنشدَ العذوبة والفضائل التي تراكِ تمارسينَها كل يوم في الخفاءِ وفي صمتِ حياةِ المنفى...

٢٣ ـ اسرار خفية

اجل، لقد أدركتُ منذ سنتين ونيِّف أسراراً كثيرة كانت تخفى عليَّ حتى ذلك الحين. فقد أَبدى لي اللّه ذات الرحمة التي أَظهرها لسليمان الملك. ولم يشأْ ان تبقى واحدةٌ من

---

(١٥) في ٢٠/ ٢/ ١٨٩٣، وستكون رئاسة اختها مجالاً لتفتُّح اكيد. غير انها لن ترضى بأن تصبح مقيّدة بالطاعة العائلية، خاصة عندما تتصادم الرئيستان، واحياناً بعنف (م).

رغباتي بلا جواب، وليس رغباتي في الكمال فحسب، بل ايضاً تلك التي كنت أُدركُ بطلانها، دون ان أَختبرَها.

٢٤ - التشبّه بپولين

لقد اعتبرتُكِ دوماً، يا امي الحبيبة، مَثَلي الأعلى، ولذا رغبتُ في ان أُشابهَكِ في كلّ شيء. ولما رأيتُكِ ترسُمينَ رسوماً رائعة وتنظُمِينَ أشعاراً بديعة، قلتُ لنفسي: «آه! ما أَسعدني لو استطعتُ ان أرسمَ، وان أَعرف كيف أُعبِّرُ عن افكاري شعراً، وان أُحسنَ ايضاً الى النفوس!...» على اني لم أشأْ التماسَ هذه المواهب الطبيعية، فظلّتْ رغباتي مخفيةً في اعماق قلبي. ويسوع المختبئ هو ايضاً في هذا القلب الصغير المسكين، قد ارتضى بأن يُظهرَ له أنَّ **كلَّ شيءٍ تحت الشمس باطلٌ وكآبةٌ للروح**... (**جامعة** ٢، ١١). وامام دهشة الاخوات كُلِّفتُ بالرسم، وقد اتاحَ لي اللّه ان أَعرفَ كيف استفيدُ من الدروس التي لقَّنتْني إياها امّي الحبيبة... وشاءَ ايضاً [**٨١ ش**] ان أَنظِمَ الشعر مثلها وان أؤلِّفَ مسرحياتٍ نالتْ الاستحسان... وكما رأى سليمان، اذ **التفت الى اعمال يديه التي بذلَ فيها عناءً لا جدوى فيه، أنّ كل شيء باطلٌ وكآبةٌ للروح**، كذلك تبيَّنتُ بالخبرة ان السعادةَ لا تقومُ إلا على الاختفاءِ، وعلى جهل الاشياء المخلوقة. وأدركت انه بدون الحبّ ليستْ الاعمالُ كلّها سوى عدم، وحتى الباهرة منها، مثل إقامة الموتى او هداية الشعوب...

٢٥ - رغبات وسيعة

فالمواهب التي أغدَقَها اللّه عليّ (دون ان اسأَله إياها) تقودني اليه بدلَ ان تُسيءَ اليَّ او ان تحملَني على الغرور. وأرى أنه الوحيد الذي لا يتغيَّر، وهو وحده قادر على إتمام رغباتي الوسيعة...

وهناك ايضاً رغباتٌ اخرى، من نوع آخر، طابَ ليسوع أن يُلبِّيها. إنها رغبات اولاد، شبيهة برغبتي في الثلج يوم اتشاحي بالثوب الرهباني.

٢٦ - حُبّ الازهار

انت تعلمينَ، يا امّي الحبيبة، مقدارَ حبّي للأزهار. واذ سجنتُ نفسي بعمر الخامسة عشرة، تخلَّيتُ الى الابد عن سعادة الجَريْ بين الحقول المرصَّعة بكنوز الربيع. ومع ذلك، فانا لم أَملكْ يوماً هذا القدرَ من الازهار، الا منذ دخولي الكرمل... هناك عادةٌ بأن

يقدِّمَ الخُطَّابُ غالباً باقاتِ ورود لخطِّيباتهم؛ ويسوع، لم ينسَ ذلك، فقد أَرسلَ اليّ بوفرة باقاتِ التُرنُجان والأقاحي الكبيرة وشقائق النعمان ... وكلِّ الازهار التي أُفضلها وأُحبها. وكانت بينها ايضاً زهرةٌ تدعى «نقش القمح»، لم أَكنْ قد رأيتُها منذ إقامتنا في ليزيو، ولكم كنتُ مشتاقةً الى رؤيتها، زهرة صباي تلك، التي كنت أجمعُها من حقول ألنسون. وقد جاءت الى الكرمل، تبتسمُ لي وتُظهرُ لي ان اللّه، في اصغر الامور كما في اكبرها، يعوِّضُ مائة ضعف، منذ هذه الحياة، تلك النفوس التي تخلّتْ عن كلِّ شيءٍ حبّاً به.

٢٧ – رغبة في دخول سيلين

إلا ان أعمقَ رغباتي وأكبرَها، تلك التي كنتُ أظن أنها لن تتحقَّقَ ابداً، [**٨٢ ي**] كانتْ دخول عزيزتي سيلين ديرَ الكرمل عينه الذي نحنُ فيه ... وكان هذا الحلم يبدو لي بعيد الاحتمال (١٦): ان اعيش مع رفيقة طفولتي تحت السقف عينه، وان أُشاطرَها الافراح والاتراح. ولذا كنتُ قد قدّمتُ تضحيتي كاملةً، وأَودعتُ يسوع مستقبلَ أختي الحبيبة، وانا راضيةٌ بأن أَراها تسافرُ الى أقاصي الارض، اذا دعتْ الحاجة. والأمر الوحيد الذي ما كنتُ استطيع قبوله هو ألا تكون عروساً ليسوع. فاذ كنت أحبُّها مثل نفسي، وكان يتعذَّرُ عليّ ان أَراها تمنحُ قلبها لمخلوق. وكنت قد تألّمت كثيراً اذ علمتُ انها تتعرَّضُ في العالم لأخطارٍ كنت أَجهلُها. واستطيعُ القولَ إن عاطفتي نحو سيلين كانت منذ دخولي الكرمل، حبَّ أُمٍّ وحبَّ أختٍ على السواء... وذات يوم كان عليها ان تذهبَ الى حفلةٍ ساهرة (١٧). وقد غمَّني الأمر الى حدٍّ أنني توسّلتُ الى اللّه أن يمنعَها من الرقص، وحتى اني، – على خلاف عادتي –، ذرفتُ سيلاً من الدموع. وتنازلَ يسوع واستجاب لي. فلم يسمحْ بان تتمكّن خطّيبته الصغيرة من الرقص، تلك الامسية، مع أنها لم تكن ترتبكُ في الرقص برشاقة، حينما يكون ذلك ضرورياً. وبما انها قد دعيتْ، ولا تستطيعُ رفضَ الدعوة، فقد بدا فارسُها عاجزاً كلياً عن مراقصتها. واستحوذَ الخجلُ عليه، فاكتفى بالسير معها بكل بساطة ليُعيدَها الى مكانها، ثم توارى دون ان يَظهَر ثانية في تلك السهرة. ان هذه الحادثة، الفريدةَ من نوعها، جعلتني أنمو في الثقة والحبّ لذاك الذي ختمَ جبهتي بعلامته وطبعَها كذلك على جبين عزيزتي سيلين.

---

(١٦) بسبب ممانعة رئيس الكرمل المتوقَّعة.

(١٧) كان ذلك في ٢٠/ ٤/١٨٩٢ في حفلة زفاف هنري مودلوند نسيب السيد والسيّدة غيران (م).

٢٨ - موت بابا ودخول سيلين الى الدير

في ٢٩ تموز / يوليو من السنة الماضية، حل اللّه قيودَ عبده الذي لا مثيلَ له، داعياً إياه الى المكافأة الابدية، وحطّمَ في الوقت نفسه تلك القيود التي كانت تربطُ خطّيبته الحبيبة بالعالم، بعد ان أَكملتْ رسالتها الاولى. فقد كانتْ مكلّفة بتمثيلنا جميعاً بالقرب من والدنا المحبوب بكل رقّة، وقد قامتْ بهذه المهمّة مثلَ ملاك ... ولا يبقى الملائكة [٨٢ ش] على الارض، بعد ان يكونوا قد أكملوا ارادة اللّه، بل يعودون اليه حالاً، ولاجل ذلك لديهم أجنحة ... وهكذا نفضَ ملاكُنا جناحيه الأبيضين، وكان مستعدّاً للتحليق بعيداً ذاهباً الى يسوع، إلا ان يسوع قد جعلهُ يطيرُ قريباً جدّاً ... فاكتفى بقبول التضحية الكبيرة التي كانت أليمةً جدّاً لتريز الصغيرة ... فكانت اختها سيلين قد أَخفتْ عنها سرَّها مدّة سنتين[١٨] ... آه، لكم تألمتْ هي ايضاً! ... إلّا أن ملكي الحبيب، الذي لم يكن يحبّ المماطلة حين كان على الارض، أسرع، من اعالي السماء، فرتَّب الامور المعقّدة لدى ابنته سيلين، فانضمّت الينا في ١٤ ايلول / سبتمبر ...

٢٩ - استجابة سريعة

وذات يوم، وقد بدت الصعوبات مستعصية، قلتُ ليسوع، خلال صلاة الشكر: «انت تعلم، يا الهي، كم أتمنّى أن أعرفَ هل ذهبَ بابا توّاً الى السماء. وانا لا أَلتمسُ منك أن تخاطبَني، بل أَعطني علامةً. فاذا رضيتْ اختي ا.ي.[١٩] بدخول سيلين او لم تمانع في ذلك، فسيكون هذا جواباً على أنَّ بابا قد ذهبَ توّاً اليك». فان تلك الاخت، كما تعلمين يا امّي الحبيبة، كانت تجدُ عددَنا، نحن الثلاث، كثيراً، فتُعارضُ في قبول واحدة اخرى منّا في الدير. إلا ان اللّه الذي يُمسكُ بيده قلوبَ خلائقه، ويميلُ بها حيثُ يشاء، غيرَّ استعدادات الأخت. فكانت هي الشخصَ الاول الذي التقيتُه بعد صلاة الشكر. فدعتْني بكلِّ لطف وقالتْ لي أن أصعدَ عندكِ، وحدَّثتني عن سيلين وعيناها مغرورقتان بالدموع ...

---

(١٨) كان الاب پيشون يعتمد على سيلين من اجل تأسيس رسالة في كندا، وكان قد منعها من التحدّث عن هذا المشروع (م).

(١٩) هي الاخت أيمي - يسوع لقلب مريم (١٨٥١-١٩٣٠)، التي قالت: «لا نحتاج الى فنانين في الجماعة»؛ الا أنها كانت تقدِّر تريز بصدق (م).

آه! ما اكثر الدوافع التي تحدوني الى إداء الشكر ليسوع الذي عرفَ كيف يحقّقُ جميع رغباتي!...

٣٠ - كل الرغبات تحققت

والآن، لم يبقَ لي أيَّةُ رغبة سوى في أن أُحبّ يسوع حتى الجنون.. فقد تبخَّرتْ رغباتي الطفولية، ولا ريب في أني ما زلتُ أُحبّ تزيين مذبح الطفل يسوع بالورود؛ ولكنه، منذ ان أَعطاني الزهرة التي كنت أَتوقُ اليها، اي عزيزتي سيلين، فانا لا أَرغبُ في غيرها ابداً. فهي التي أقدمُها له [**٨٣ ي**] بمثابة أروع باقةٍ لديَّ...

٣١ - طريق الحبّ

وكذلك، فانا لا أَرغبُ، بعدُ، في الالم ولا في الموت، مع اني أُحبُّهما كليهما. انما الحبُّ وحده هو الذي يجتذبُني... طالما اشتقتُ اليهما. لقد حزتُ الألمَ، وظننتُ أني قد بلغتُ شاطئ السماء، واعتقدتُ ان الزهرة الصغيرة ستُقطَفُ وهي في ربيعها... اما الآن، فالاستسلامُ وحده يقودُني، ولا بُوصلةَ اخرى لي سواه!... ولا يسعُني، بعدُ، ان أَطلبَ شيئاً بحرارة، ما خلا ان تكمُلَ ارادةُ اللّه في نفسي على أكمل وجه، دون ان يتسنَّى للخلائق ان تضعَ عائقاً امام ذلك. وبوسعي ان أتغنَّى بكلمات **النشيد الروحي** لابينا القديس يوحنا الصليب واقول:

« في بيتِ خمرِ حبيبي الكَنين
« شربتُ، وحين خرجتُ
« أجوبُ ارجاءَ تلك الخميلة
« ما عدتُ أعرف بعدُ شيئاً،
« وضيَّعتُ القطيعَ الذي كنت أسوقه قبلاً»...

« تفرَّغت نفسي كلُّها
« وكلُّ ملكي لخدمته؛
« ما عدتُ ارعى قطيعاً،
« وليس لي بعد الآن، شغلُ
+ « فالحبُّ صار شغليَ الوحيد.» (**نشيد** ب ٢٧-٢٨)

+ او أن اقول ايضاً: «منذ ان اختبرتُ **الحبّ**، رأيتُه على القدرة في الافعال بحيثُ

يعرفُ كيف يستفيدُ من كلِّ شيء، من الخير ومن الشر اللذين يجدُهما فيّ، وكيف يحوِّلُ نفسي الى ذاته. يا امي الحبيبة، ما اعذبَ طريق الحبّ! ولا ريبَ في انه بوسع المرء ان يسقطَ، وان يقترفَ خيانات. الا ان الحبّ، الذي يعرفُ كيف يستفيدُ من كل شيء، سرعانَ ما يُحرِقُ كلَّ ما قد لا يُرضي يسوع، غيرَ تاركٍ في اعماق القلب سوى سلامٍ متواضع وعميق...

٣٢ - كتابات يوحنا الصليب

آه، ما أغزر الأنوار التي استقيتُها من كتابات ابينا القديس يوحنا الصليب، ففي السابعة عشرة والثامنة عشرة من عمري، لم يكنْ لي غذاءٌ روحيٌّ آخر. لكن، فيما بعد، تركتْني جميعُ الكتب في اليبوسة، وما زلتُ في هذه الحالة. فاذا ما فتحتُ كتاباً وضعَه احدُ المؤلفين الروحيين، (مهما كان جميلاً ومؤثّراً) انقبضَ قلبي منه للحال، فأقرأُ دون ان أَفهم، او اذا فهمتُ، فإن عقلي يتوقّفُ، دون أن يستطيعَ الى التأمل سبيلا... وفي هذا العجز، يأتي **الكتابُ المقدس والاقتداء بالمسيح** [**٨٣ ش**] لنجدتي. ففيهما أَجدُ غذاءً قويّاً ونقيّاً. أمّا الانجيل فهو الذي، فوق كل شيء، يغذّيني خلال تأمّلاتي. ففيه أَجدُ كلَّ ما هو ضروري لنفسي الصغيرة فاكتشفُ فيه دوماً انواراً جديدة، ومعانيَ خفيّة وسريّة...

٣٣ - أشعر بأنه فيّ

اني أُدركُ وأَعرفُ بالخبرة **ان ملكوت الله هو فينا** (**لوقا** ١٧، ٢١). فلا يحتاجُ يسوع الى كتب ولا الى معلّمين لكي يعلّمَ النفوس. فهو، ملفانُ الملافنة، يعلّم بدون ضوضاءِ الكلام. فإني لم أسمْعه قط يتكلّم، ولكنّي أشعر بأنه فيَّ، في كل لحظة، يقودُني ويُلهمني ما ينبغي لي ان أقول او أعمل. وأكتشفُ، وقت الحاجة، انواراً لم أكنْ قد اكتشفتها بعدُ؛ وغالباً لا تكون هذه الانوار اكثرَ غزارة وقتَ تأملاتي، بل وسط انشغالاتي طوال النهار...

٣٤ - رحمة الله

يا أمي الحبيبة! ألا يمكنني، بعد هذا الفيض من النعم، ان أُنشدَ مع صاحب **المزامير: ان الربَّ صالحٌ وان رحمته الى الابد** (**مزمور** ١١٧، ١) ؟ يخيَّل إليَّ أنه لو حظيتْ جميع الخلائق بالنعم نفسها التي حظيتُ بها، لما خافَ اللّه احدٌ من الناس،

بل لأحبَّه الجميع حتى الجنون، ولما رضيتْ نفسٌ ابداً بإغاظته، وذلك ليس بدافع الرهبة والخوف، بل بدافع الحبّ. ولكنّي أفهمُ ان جميع النفوس لا يمكنُها ان تتشابهَ، ويتحتَّمُ وجودُ عائلات متباينة منها، بغية تمجيد كلٍّ واحد من كمالات اللّه. أما انا، فقد منحَني رحمته اللامتناهية، ومن خلالها أُشاهدُ وأَعبدُ كمالات اللّه الأخرى!... واذا بجميعها تبدو لي مشعَّةً بالحبّ، حتى العدالةُ نفسها (وقد تكون هي اكثر من غيرها) تبدو لي متوشِّحة بالحبّ...

٣٥ ـ الله عادل

ما أَعذبَ الفرح حينما أُفكرُ في ان اللّه عادل، أي انه يُراعي ضعفَنا، وانه يعرفُ تمام المعرفةَ وهنَ طبيعتنا! فمِمَّ أخافُ اذاً؟ آه! لا ينبغي ان يكونَ اللّه، اللامتناهي عدلُه، والذي تنازلَ [٨٤ ي] وغفرَ بجودة لا تُقاسُ جميعَ خطايا الابن الشاطر، عادلاً ايضاً نحوي انا **التي معه في كل حين (لوقا ١٥، ٣١)؟**

٣٦ ـ تقدمة ذاتها للحبّ الرحيم

في التاسع من حزيران / يونيو من تلك السنة، في عيد الثالوث الاقدس، منَّ اللّهُ عليّ بأن أَفهمَ، اكثر من ايِّ وقت مضى، الى ايِّ مدى يرغبُ يسوع في ان يكون محبوباً.

كنت أفكرُ في النفوس التي تقدِّمُ نفسها ذبائحَ للعدل الالهي، بغيةَ إبعادِ العقاب عن الخطأة وجذبه الى ذاتها. فبدَتْ لي تلك التقدمة كبيرةً وسخيّةً، ولكنّي كنتُ أبعدَ من أن أَندفعَ الى القيام بها. وصرختُ من اعماق قلبي قائلة: «يا الهي، أَيكونُ عدلك وحده الذي يتقبَّلُ النفوس التي تُقدِّمُ نفسها ذبيحة؟... الا يحتاجُ حبُّك الرحيم ايضاً الى ذلك؟... فانه مجهول ومنبوذ في كل ناحية، والقلوب التي ترغبُ انت في إغداق هذا الحبّ عليها تميلُ الى الخلائق تلتمسُ السعادة من مودَّتِها التعيسة، عوضاً عن الارتماء بين ذراعيك وتقبُّل حبِّك اللامتناهي... يا الهي هل سيبقى حُبُّك المزدَرى داخلَ قلبك؟ يبدو لي انك لو وجدتَ نفوساً تقدِّمُ ذاتها ذبيحةً لحبّك، لالتهمتَها سريعاً. ويخيَّلُ اليّ أنك تكونُ سعيداً بألّا تحبسَ امواجَ الحنان اللامتناهي الكامنة فيك... واذا كان عدلك، الذي لا يشملُ الارض، يرغبُ في ان يُستَنفدَ، فما احرى بحُبك الرحيم أن يتوقَ الى اضرام النفوس، بما ان رحمتك ترتفع حتى السماوات!... فيا يسوعي! فلأَكُنْ انا تلك الضحية السعيدة. والتهِمْ ذبيحتَك بنارِ حبّك الالهي!...»

٣٧ - نفاذ الحبّ

يا امي الحبيبة، التي سمحت لي بان أُقدِّمَ ذاتي هكذا للّه، انتِ تعرفينَ أنهار النعم، بل محيطاتها، التي حلَّتْ وغمرت نفسي... آه! منذ ذلك اليوم السعيد[٢٠]، يُخيّلُ إليّ ان الحبَّ ينفذُ الى أعماقي ويكتنفُني، ويبدو لي أن هذا الحبَّ الرحيم يجدِّدُني في كلّ لحظة، ويطهّرُ نفسي ولا يدَعُ فيها ايَّ أثرٍ للخطيئة. ولهذا [٨٤ ش] لا يمكنُني أن أَخشى المطهر... وأعرفُ اني، من نفسي، لا أَستحقُّ حتى دخول موضع التكفير هذا، بما ان الأنفس القديسة وحدها تستطيع دخولَه. ولكنني أَعرفُ أيضاً ان نار الحبّ هي أَشدُّ تقديساً من نار المطهر، وأعلم ان يسوع لا يستطيعُ ان يُريدَ لنا آلاماً غير مجدية، وانه ما كان ليُلهمَني هذه الرغبات التي أشعر بها، لو لم يشأْ تلبيتَها.

آه! ما أعذبها، طريق الحبّ!... ولكم أُريدُ ان أجتهدَ لكي أَعملَ دائماً ارادةَ اللّه بأكبرِ قدرٍ من الاستسلام!...

٣٨ - خاتمة

هذا هو، يا امّي الحبيبة، كلُّ ما بوسعي أن أَقولَه لكِ عن حياة تريز الصغيرة، وانت نفسك، أدرى بما هي وبما أنجزَهُ يسوع لها. لذلك فسوف تُسامحينني لكوني أوجزتُ كثيراً قصّة حياتها الرهبانية...

كيف ستنتهي قصّة الزهرة الصغيرة البيضاء هذه؟ قد تُقطَف الزهرة الصغيرة وهي يافعة، او قد تُنقَل الى شواطئ اخرى[٢١]... اني أجهلُ ذلك. ولكن ما أَعلمُه علمَ اليقين هو أن رحمة اللّه سترافقُها دوماً، وأنها لن تفتأَ ابداً تباركُ الأم التي وهبتْها ليسوع. وستفرحُ مدى الأبد لكونها احدى زهرات إكليلها... وستُنشدُ مع هذه الأم الحبيبة، نشيد الحبّ، الدائم التجدّد مدى الابد...

(٢٠) هو اليوم الذي قدّمت فيه تريز نفسها ذبيحة للحبّ الرحيم.

(٢١) كانت هناك نية بنقل احدى الاخوات مرتان الى كرمل سايغون Saigon في الهند الصينية (م).

[ص ٨٥ ي]

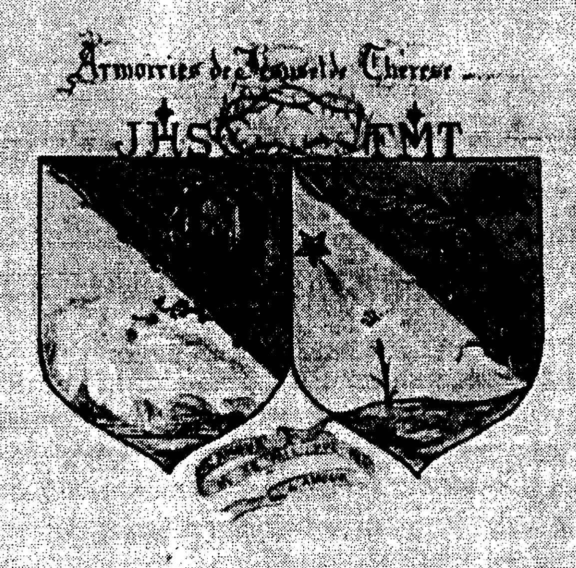
شرح الشعارين

ان الشعار (I.H.S.) (اي: يسوع مخلّص البشر)، هو الشعار الذي تنازلَ يسوع وقدَّمُه مَهراً لعروسه الصغيرة المسكينة. فان يتيمة بِريزينَا أَضحتْ تريز الطفل يسوع والوجه الاقدس، وهي أَلقاب نُبلها وثروتُها ورجاؤها. والكرمة التي تُقسم الشعار الى قسمين هي ايضاً صورةٌ لذلك الذي تنازل وقال لنا: **انا الكرمة وانتم الاغصان. أُريدُ ان تأتوا بثمر كثير** (**يوحنا** ١٥، ٥). والغصنان اللذان يلفُّ احدهما الوجهَ الاقدس والآخر الطفل يسوع هما صورة لتريز التي لا شوقَ لها على هذه الارض سوى ان تُقدِّمَ ذاتها كعنقود عنب صغير لكي تخفِّفَ من عطش الطفل يسوع ولكي تسلِّيهُ وتدعَه يعصُرُها بحسب أَمزجته، ولكي يُرويَ الظمأ الحارق الذي شعرَ به خلال آلامه. والقيثارة ايضاً تمثّل تريز التي تُريدُ ان تُنشدَ بلا انقطاع انغامَ الحب ليسوع.

اما الشعار (F.M.T.) فهو شعار ماري فرانسواز تريز، زهرة العذراء القديسة. لذا تبدو هذه الزهرة الصغيرة وهي تتلقّى الاشعّة المنعشة من نجمة الصبح العذبة. والأرض الخضراء تمثّل الأسرة المباركة التي فيها ترعرعتْ هذه الزهيرة. ونلاحظُ وراءَها جبلاً يمثّل الكرمل. ففي هذا الموضع اختارتْ تريز ان تضعَ في شعارها سهمَ الحبّ الملتهب، الذي سيستحقّ لها سعفةَ الاستشهاد، ريثما يتسنّى لها ان تبذُلَ دمَها حقّاً في سبيل من تحبّ: فقد كان بودّها ان تفعلَ ليسوع ما فَعله لها لكي تجيبَ عن كل الحبّ الذي أَظهرَه لها يسوع. ولكن تريز لا تنسى انها ليست سوى قصبة ضعيفة، فمثّلتها على شعارها.

والمثلّث المنير يمثل الثالوث المسجود له الذي لا يفتأُ يُغدقُ نعمَهُ التي لا تُثَمَّن على نفس تريز الصغيرة المسكينة. ولهذا فهي لن تنسى ابداً، مع عرفانها بالجميل، ذلك الشعار: «لا يُشترَى الحبُّ الا بالحب».

Je chanterai éternellement les Miséricordes du Seigneur !...



Jours de Grâces accordés par le Seigneur à sa petite épouse

Naissance 2 Janvier 1873 — Baptême 4 Janvier 1873 — Sourire de la Sainte Vierge Mai 1883 — Première Communion 8 Mai 1884 — Confirmation 14 Juin 1884 — Conversion 25 Décembre 1886 — Audience de Léon XIII 20 Novembre 1887 — Entrée au Carmel 9 Avril 1888 — Prise d'habit 10 Janvier 1889 — Notre grande richesse 12 Février 1889 — Examen canonique Bénédiction de Léon XIII Septembre 1890 — Profession 8 Septembre 1890 — Prise de voile 24 Septembre 1890 — Offrande de moi-même à l'Amour 9 Juin 1895.

مخطوط ب

رسالة

إلى

الاخت ماري للقلب الاقدس

الفصل التاسع

ي . م . ي . ت

[١ ي]

يسوع +

١ – ذكريات الرياضة

يا أختي الحبيبة ! تسألينني أن أترك لك ذكراً من رياضتي ، هذه الرياضة التي قد تكون الأخيرة . . . وبما أن أمنا تسمح بذلك ، فيسرُّني أن آتي وأتحدَّثَ إليك ، أنتِ شقيقتي مرَّتين ، أنت التي أعارتني صوتَها ، ووعدت باسمي بأني لا أريد أن أخدم سوى يسوع ، حين كان يتعذَّرُ عليَّ الكلام . . . يا عَرَّابتي العزيزة ، إن الطفلة التي سبق أن قدَّمتِها للربّ ، هي التي تخاطبك هذا المساء، وهي التي تحبّك كما تحبّ طفلةٌ صغيرةٌ أمَّها . . . ففي السماء فقط، سوف تذكرين مقدارَ عرفاني بالجميل الذي يفيض به قلبي . . . أختي الحبيبة ! تودّين ان تعلمي الأسرار التي استودعَها يسوع ابنَتكِ الصغيرة ، وأنا أعلم انه يستودعها إياك أيضاً ، لأنكِ أنتِ التي علَّمَتْني أن أتلقى التعاليم الإلهية . مع ذلك ، سأحاول أن أتمتم بضع كلمات ، رغم شعوري بأنه يتعذّر على الكلام البشري أن يردِّد أموراً يكاد القلب البشري لا يستشعرها . . .

٢ – علم الحبّ

لا تظني أني غارقة في التعزيات[١] . كلا ! بل إن تعزيتي هي الحرمان من التعزيات على هذه الأرض. فيسوع يعلّمني في الخفاء، دون أن يُظهر ذاته ، ودون ان يُسمِعَ صوتَه ، ولا يَفعل ذلك بواسطة الكتب ، لأني لا أفهم ما أقرأ . لكن ، أحياناً ، كلمةٌ مثل هذه ، استَلَلْتُها في نهاية التأمل – بعد أن قضيتُه في الصمت واليبوسة – تأتي وتعزّيني : « هوذا المعلم الذي أعطيك ، هو يعلِّمك كلَّ ما ينبغي لك فعلهُ. أريد أن أجعلك تقرأين كتابَ الحياة الحاوي علمَ الحبّ» . علم الحبّ ، أجل ! إن هذه الكلمة ترنُّ في مسامع نفسي رنيناً عذباً ، وأنا لست راغبةً إلا في هذا العلم . ففي سبيله بذلت كل مقتنياتي

(١) تريز تضع النقاط على الحروف من دون ان تكشف لأختها محنة الايمان التي تجتازها (م).

وأنا، على مثال عروس **نشيد الأناشيد** المقدسة، اعتبر وكأني لم أبذل شيئاً . . . واني أدرك جيّداً ان ليس سوى الحبّ يَستطيع ان يُكسبنا حظوةً في عيني الله ، وان هذا الحبّ هو الخير الوحيد الذي أطمح اليه . ويطيب ليسوع أن يكشف لي الطريق الأوحد المؤدّي إلى هذا الأتّون الإلهي. وهذا الطريق انما هو استسلام الطفل الصغير الذي يغفو بلا خوف بين ذراعَي أبيه . . . « **إن كان احدٌ صغيراً فليأتِ اليَّ** » (**امثال** ٩/٤)، يقول الروح القدس بفم سليمان . وروح الحبّ عينه يقول أيضاً : « **ان الرحمة تُمنَح للصغار** (**حكمة** ٦/٤) . وباسمه يكشف لنا أشعيا النبي ان الرب في اليوم الأخير **يرعى قطيعه كالراعي ، ويجمع الحملان الصغار ، ويضمُّها إلى حضنه** (**اشعيا** ٤٠/ ١١) . وكأني بهذه الوعود كلها لا تكفي ، فإن النبي المذكور الذي كان يغوص بنظره الملهم في الأغوار الأزلية ، يصرخ باسمِ الرب قائلاً : **كما تدلّل أمٌّ صغيرها ، كذلك أعزّيكم أنا ، وفي حضني أحملكم ، وعلى ركبتيَّ أدَلّلكم** (**اشعيا** ٦٦/١٣،١٢) . عرابتي الحبيبة ، بعد هذا الخطاب ، لا مجال الا للصمت والبكاء حبّاً [**١ ش**] وعرفاناً بالجميل . . . آه ! لو كانت جميع النفوس الضعيفة والناقصة تحسّ ما تشعر به أصغرُ جميع النفوس ، وهي نفس صغيرتك تريز ، لما يئست واحدةٌ من بلوغ قمة جبل الحبّ؛ لأن يسوع لا يطلب أعمالاً كبيرة ، بل الاستسلام والعرفان بالجميل فقط. فقد قال في **المزمور التاسع والأربعين** : **لستُ بحاجة إلى تيوس حظائرك ، فان لي جميع وحوش الغاب ، وألوف البهائم التي ترعى في الجبال . أنا أعرف كل طيور الجبال . . . ان جعتُ فلن أخبرك انت ، فالمسكونة كلها وكل ما عليها لي . ألعلّي آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس ؟ . . . اذبحْ للّه ذبائح الحمد والشكر** . (**مزمور** ٤٩، ٩- ١٤).

٣ ـ أعطيني لأشرب

ذلك هو كلّ ما يطلبه يسوع منا . انه لا يحتاج إلى أعمالنا ، بل إلى حبّنا فقط . فهذا الاله عينه الذي يُعلن أنه لا يحتاج إلى ان يُخبرنا انه جائع ، لم يخشَ من ان يستعطي بعض الماء من السامرية . لقد كان عطشان . . . وحينما قال : **أعطيني لأشرب**، (**يوحنا** ٤/٦- ١٥) ، فما كان يطلبه خالقُ المسكونة فانما كان حبَّ الخليقة المسكينة. لقد كان عطشان إلى الحبّ . آه ! اني أشعر ، أكثر من أيّ وقت ، بظمأ يسوع ، فهو لا يلقى سوى ناكري الجميل وغيرَ المبالين بين تلاميذ العالم ؛ وقلما

يجد، في صفوف تلاميذه، قلوباً تستسلم اليه من دون تحفّظ، وتفهم كلّ حنانِ حبّه اللامتناهي.

٤ – كشف اسرار الملك

أختي الحبيبة، ما أسعدَنا لكوننا نفهمُ أسرارَ عريسنا الحميمة! آه! لو أردتِ أن تكتبي كلّ ما تعرفينَه عنها، إذاً لقرأْنا صفحاتٍ رائعات. ولكنّي أعلم انكِ تفضّلين الاحتفاظَ في أعماقِ قلبك «بأسرار الملك»، وتقولينَ لي: **ما أشرفَ الاعلان عن أعمالِ العلي (طوبيا ١٢/٧)**. وأرى انك على صواب في الالتزام بالصمت، فأنا لا أكتبُ هذه الأسطر إلا لإرضائك، لأني أشعر بعجزي عن التعبير عن أسرار السماء بكلماتٍ أرضية، واني، بعد أن ملأتُ صفحاتٍ وصفحات، أجد نفسي أني لم أبدأ بعد... فهناك آفاقٌ عديدة متنوعة، ولمساتٌ عديدة ومختلفة اختلافاً لا حدّ له، سوف تتمكّن ريشةُ الرسَّام السماوي وحدها، بعد ليلِ هذه الحياة، من أن تزوّدني بالألوان القادرة على رسم ما فيها من روائع يكشفُها لعين نفسي.

٥ – بدون مبالغة

أختي الحبيبة، طلبتِ مني أن أدوّن لك حُلمي وتعليمي الصغير، كما تَدْعينه... لقد فعلتُ ذلك في الصَفحاتِ التالية، ولكن على درجة من الركاكة بحيثُ يبدو لي انه يستحيلُ عليكِ فهمهُ. وقد تجدينَ أني أبالغ في تعابيري... آه، سامحيني، فقد يعودُ ذلك إلى أُسلوبي غير الشيّق. لكني أُؤكدُ لك أن ليست هناك أيّة مبالغة في نفسي الصغيرة، وأنَّ كل شيء فيها هادئٌ وساكن.

(اني، حينما أكتب، أوجّه الكلامُ إلى يسوع، لأن ذلك يُيَسّر لي التعبير عن أفكاري... وهذا لا يمنع، بكل أسف، من أن يَكون التعبيرُ عنها سيئاً جداً!).

[٢ ي]

ي. م. ي. ت

(إلى أختي العزيزة ماري للقلب الأقدس)

٦ - وسط العاصفة

يا يسوع حبيبي ! من يستطيع أن يصفَ بأيٍّ قدر من الحنان والعذوبة تقود **نفسي الصغيرة!** ولكم يسرُّكَ أن ترسلَ شعاعَ نعمتك وسطَ أَحلكِ العواصف ! . . . يا يسوع ! كانت العاصفة تُزَمجِرُ بشدة في نفسي منذ عيد انتصارك البهي ، عيد الفصح المشرق ، حينما كنت ، في سبت من شهر أيار / مايو ، أتذكر الأحلامَ الخفيّة التي تحظى بها أحياناً بعض النفوس . كنتُ أقول في نفسي إنها كانت ، ولا بد ، تعزيةً عذبةً جداً . إلا أني لم أكن ألتمسها . وفي المساء ، بينما كنت أراقب السحب التي تغطي سماء نفسي ، كانت نفسي الصغيرة تقول أيضاً إن الأحلام الجميلة ليست لها . ثم نامت تحت ضغط العاصفة . . . واليوم التالي كان العاشر من أيار / مايو ، الواقع فيه الأحد الثاني من الشهر المريمي . وقد يكون الذكرى السنوية لليوم الذي فيه تنازلت العذراء القديسة وابتسمت لزهرتها الصغيرة .

٧ - حلم الكرمليات

عند أول انبلاج الفجر ، رأيتُني (في الحُلم) في شبه رواق . وكان ثمة عدة أشخاص آخرين ، ولكنهم بعيدون . وكانت أمنا وحدَها بالقرب منّي . وفجأة ، رأيتُ ثلاث كرمليات ملتحفات بوشاحهنَّ وطَرحاتَهنّ الفضفاضة ، ودون أن أرى كيف دخلنَ . وبدا لي أنَّهنَّ قد أَتينَ لأجل أمِّنا ، لكنّي أدركتُ بوضوح أنهنَّ مقبلاتٍ من السماء . فهتفتُ في أعماق قلبي : « ما أسعدني لو رأيت وجهَ واحدةٍ من أولئك الكرمليات » . عندها ، وكأن صلاتي بلغتْ مسامعهنّ، تقدمتْ مني كبرى أولئك القديسات ، فجثوتُ على ركبتيَّ . آه ، يا للسعادة ! لقد ازاحت الكرملية طرحتها أو بالأحرى رَفعتها قليلاً وجلَّلتني بها . وعرفتُ دون تردّد الأُمَّ الموقّرة حنة ليسوع ، مؤسِّسة الكرمل في فرنسا . وكان وجهها جميلاً يلتمع ببهاء غير مادي ، لا ينبعثُ منه أيُّ شعاع . ولكنِّي ، بالرغم من الطرحة التي

كانت تلفّنا كلينا، كنتُ أرى هذا الوجه السماوي يتلألأ نوراً لا توصَفُ عذوبته، وهو نورٌ لم يكن الوجهُ يتلقّاه، بل ينبعث منه.

٨ - وعد برحيل قريب

واني لعاجزةٌ عن وصف البهجة التي غمرت نفسي. فان هذه الأمور نحسُّ بها ولا يُمكننا التعبيرُ عنها . . . وقد مرّت شهور عديدة على ذلك الحلم الطيب، إلا ان الذكرى التي خلَّفها في نفسي لم تفقد شيئاً من نداوتها ومن سحرها السماوي . . . وما زلت أرى تلك النظرة وتلك الابتسامة المليئتين بالحبّ الصادرتين عن الأم المكرّمة، وأشعر حتى الآن بتلك الملاطفات التي غمرتْني بها . . . واذ رأيتُني محبُوبةً بمنتهى الحنان، تجرّأت على التفوُّه بهذه الكلمات: «يا أمي، أرجوك أن تقولي لي: هل سيُبقيني الله مدةً طويلة على الأرض؟ . . . أَم هل سيأتي قريباً ليأخذني؟ . . .» فابتسمت القديسة بحنان وهمست: «نعم عمّا قريب، عمّا قريب . . . إني أُعِدُكِ بذلك». فأضفتُ: «يا أمي، قولي لي أيضاً، أما يريد الله مني شيئاً آخر [**٢ ش**] سوى أعمالي الصغيرة الحقيرة، وأشواقي، وهل هو راضٍ عني؟» إذ ذاك تألّق وجهُ القديسة **بحنانٍ يفوق إلى حد بعيد** ما أظهرته لي لما خاطبتني للمرة الأولى. وكانت نظرتها وملاطفاتها أعذب جواب. ولكنّها قالت لي: «لا يطلب الله منك شيئاً آخر. فهو راضٍ تمام الرضى! . . .» وبعد ان لاطفتني ايضاً بحبٍّ يفوق حبَّ أحَنِّ الأمهات لولدها، رأيتُها تبتعد... وكان قلبي يتهلّل فرحاً، ولكن تذكّرتُ اخواتي، فأردت ان ألتمس لهنّ بعضَ النعم، ولكنّي، للأسف... قد استيقظتُ! . . .

٩ - حنة ليسوع

يا يسوع! لم تكن العاصفة تدوّي آنذاك، بل كانت السماء هادئة صافية... كنت **اؤمن**، بل **أحسّ**[١]، بأن ثمّة سماء، وان هذه السماء آهلة بنفوس تحبّني[٢]وتعدُّني ابنة لها... واستمرّ هذا الانطباع في قلبي، لا سيما وأن الأم المكرّمة حنة ليسوع لم تكن لتسترعيَ اهتمامي مطلقاً حتى ذلك الحين. فلم اطلب شفاعتها قط، ولم تكن تخطر

---

(١) أحسّ يعني الحصول على خبرة شخصيّة تختلف عن معرفة الإيمان السابقة. (م).

(٢) هذا الحلم يزيد لدى تريز التأكيد من وجود السماء التي كانت موضوع شك لديها في إبان محنتها (م).

بالي ، الا عندما كنت أسمع كلاماً عليها، وكان ذلك من النوادر. لذا عندما فهمتُ مدى حبِّها لي واهتمامها بي، ذاب قلبي حبّاً وشكراً، ليس للقديسة التي زارتني فحسب ، بل ايضاً لجميع الطوباويين سكان السماء . . .

١٠ - فاتحة نِعم

يا حبيبي ! ان هذه النعمة لم تكن الا فاتحة نِعَمٍ عُظمى كنتَ تودُّ أن تغمرني بها. فدعني أذكّرك بها اليوم ، يا حبّي الأوحد، اليوم، وهو الذكرى السادسة لاتّحادنا . . . آه ، سامحني ، يا يسوع اذا هذيتُ وانا أردّد رغباتي وآمالي التي تلامس اللانهاية ، إغفر لي واشفِ نفسي بمنحها ما ترجوه ! ! ! . . .

١١ - دعوات مختلفة

كان ينبغي أن أكتفي بكوني عروسَك ، يا يسوع ، وكرملية ، وأُماً للنفوس باتّحادي بك . . . ولكن لا ! . . . لا ريب في أن هذه الامتيازات الثلاثة هي فعلاً دعوتي: كرملية وعروس وأم. ولكنّي أشعر في باطني بدعواتٍ اخرى. إني أشعر في ذاتي بدعوةٍ الى أن اكون محارباً وكاهناً ورسولاً ومعلّماً وشهيداً. وأخيراً إني اشعر بالحاجة الى إتمام اكثر الاعمال بطوليّةً من اجلك يا يسوع، وبالرغبة فيها كلّها . . . اني ألمس في نفسي شجاعةَ محاربٍ صليبي وجندي بابوي[٣]، وأودُّ لو اني اموت في ساحة الوغى ، دفاعاً عن الكنيسة . . .

١٢ - دعوة كاهن

اني أشعر في نفسي بدعوةٍ إلى ان اكون كاهناً ، فبأي حبٍّ كنتُ لأحملكَ يا يسوع بين يديّ ، حالما تنحدر من السماء ، لدى ندائي . . . وبأي حبٍّ أهبك للنفوس! . . . لكن ، للأسف ، فإني مع رغبتي في أن اكون كاهناً ، انا في دهشة من تواضع القديس فرنسيس الأسيزي وأحسده عليه ، وأشعر بالدعوة الى الاقتداء به برفض كرامة الكهنوت السامية.

يا يسوع ، يا حبّي ، ويا حياتي . . . كيف لي بالتوفيق بين هذه المتناقضات؟ [**٣ي**] وكيف لي بتحقيق رغبات نفسي الصغيرة المسكينة؟ . . .

---

(٣) Zouave كانوا يدافعون عن البابا. وبعد سقوط روما في يد الجيش الايطالي عادوا الى بلادهم يدافعون عن وطنهم تحت راية القلب الاقدس وانهزموا في ٢/ ١٢/١٨٧٠ حين سقط منهم ٢٠٧ من اصل ٣٠٠ جندي (م).

١٣ - أشواق متعاظمة

آه ! إنني بالرغم من صغري أريد ان أُنير النفوس كالانبياء. فإن لي دعوة الرسول . . . واودّ لو أجوب الارض وأبشِّر باسمك وأنصب صليبك المجيد فوق الارض غير المؤمنة. ولكن ، يا حبيبي ، رسالة واحدة لا تكفيني. فإني أريد في الوقت نفسه أن اعلن انجيلك في اقطار العالم الخمسة ، وحتى في الجزر النائية جداً . . أودّ لو أكون مرسلةً ، ليس لبضع سنين فحسب ، بل حبذا لو كنتُ مرسَلةً منذ خلق العالم ، وحتى انقضاء الدهور . . . ولكنّي اتمنّى ، فوق ذلك كله ، يا مخلّصي الحبيب ، أن أسفكَ دمي في سبيلك حتى القطرة الاخيرة . . .

١٤ - استشهادات مختلفة

الاستشهاد ، إنه حلم صباي ، وقد كَبُرَ معي تحت أروقة الكرمل . . . وهنا ايضاً ، أشعر بأن حلمي ضربٌ من الجنون ، لأنه ليس بمقدوري الاكتفاء بالرغبة في نوع واحد من الاستشهاد . . . بل أنا بحاجة اليها جميعاً ، إرواءً لغليلي . . . يا عريسي المعبود ، مثلك أودّ لو أُجلَدُ وأصلَب . . . أودّ لو اموتُ عارية مثل القديس برثلماوس . . . ومثل القديس يوحنا ، اودّ لو أُغطَّس في الزيت المغلي ، وبودّي لو احتمل جميع العذابات التي أُنزلتْ بالشهداء . . . ومع القديسة أنييس والقديسة سيسيليا ، أودّ لو اقدِّمُ عنقي للسيف ، ومثل جان دارك ، اختي الحبيبة ، اودّ لو اتمتم اسمك يا يسوع وانا فوق المحرقة . . . واذ افكّر في العذابات التي ستكون من نصيب المسيحيين في عهد المسيح الدجّال ، أشعر بقلبي يتهلل وأودّ لو تكون تلك العذابات من نصيبي . . . يا يسوع ، يا يسوع ، اني لو اردتُ تدوينَ جميع رغباتي ، لوَجَبَ عليَّ أَن استعير كتابك ، كتاب الحياة حيث سُردتْ أعمالُ جميع القديسين ، وبودّي لو أني قمتُ بجميع هذه الاعمال لاجلك . . .

١٥ - العجز والصِغَر

يا يسوعي ! ترى بماذا ستجيب عن جنوني هذا كلّه؟ وهل ثمّة نفس أصغر وأعجزُ من نفسي ؟ . . . ولكنك ، بسبب ضعفي عينه قد رضيت ، يا رب ، بأن تحقّق رغباتي الصغيرة الطفولية ، وتريد اليوم ان تحقّق رغباتٍ أخرى اوسع من الكون . . .

١٦ - شوق الى المواهب العظمى

خلال التأمل ، كانت رغباتي تذيقني استشهاداً حقيقيا ، ففتحت رسائل القديس

بولس بحثاً عن جواب ، فوقع نظري على الفصلين الثاني عشر والثالث عشر من الرسالة الاولى الى **القورنثيين**. فقرأت في الفصل الاول أن الجميع لا يسعهم أن يكونوا رسلاً وانبياء ومعلّمين ، الخ ... وأن الكنيسة مكوَّنة من أعضاء مختلفة. وأن العين ليس بمقدورها ان تكون يداً في ذات الوقت .. لقد كان الجواب واضحاً ، غير أنه لم يشفِ غليلي ولم يولِني السلام ... وعلى مثال المجدلية التي أمعنت في انحنائها نحو القبر الخالي ، فوجدت اخيراً [**٣ش**] ما كانت تبحث عنه ، كذلك بانحنائي انا ايضاً الى اعماق عدمي ، ارتفعت الى علوٍّ اتاحَ لي بلوغَ مأربي. ودون ان تَثبُط عزيمتي ، واصلتُ قراءتي ، واذا بهذه الجملة تسرِّي عني: «**تشوّقوا الى المواهب العظمى**». ثم يشرح الرسول المواهب العظمى : **واني ادلُّكم على أفضل الطرق**». ثم يشرح الرسول كيف ان جميع المواهب ، حتى أكملها ، ليست شيئاً بدون الحبّ ، وان المحبّة هي الطريق الفضلى المؤدّية حتماً الى الله.

١٧ - دعوتي هي الحب

واخيراً ، وجدتُ راحتي ... فحينما تأملتُ جسد الكنيسة السري ، لم أجد نفسي في أيٍّ من الاعضاء التي يصفها القديس بولس ، او بالأحرى كنت اتمنى أن ارى نفسي فيها جميعاً ... لقد أعطتني المحبّة مفتاحَ دعوتي. ففهمتُ انه ما دام للكنيسة جسدٌ مركَّب من أعضاء مختلفة ، فلا ينقصها العضو الألزم والأشرف. وفهمتُ ان للكنيسة قلباً ، وان هذا القلب مضطرمٌ بالحبّ. ادركت أنَّ الحُبَّ وحده يدفع أعضاء الكنيسة الى العمل ، ولو خمد هذا الحبّ وانطفأ ، لتوقَّفَ الرسلُ عن التبشير بالانجيل ، ولأنكفأ الشهداءُ عن إراقةِ دمائهم ... وفهمتُ ان الحبَّ يحوي جميع الدعوات وأن الحبَّ هو كلّ شيء ، وأنه يَشمل جميع الأزمنة والأمكنة ...! وبكلمة ، أنه ازلي ...

فهتفت اذ ذاك ، وأنا أكادُ أطير من فرط الفرح: يا يسوع حبّي ،... لقد وجدتُ اخيراً **دعوتي**: دعوتي هي الحبّ.

اجل لقد وجدتُ مكاني في الكنيسة ، وهذا المكان ، يا الهي ، انت أعطيتَني اياه... **ففي** قلب الكنيسة ، أمّي ، سأكون الحبّ... وهكذا سأكون كلَّ شيء... وهكذا **يتحقّق** حلمي !!!...

ما بالي أتكلّم على نشوة الفرح! لا ، هذا التعبير ليس صحيحاً. انه بالاحرى السلام

الهادئ والصافي ، سلام البحّار الذي يُبصر المنارة التي تهديه الى الميناء... فيا منارة الحبّ المشرق ! انا اعرف سبيلَ الوصُول اليك ، لقد وجدتُ سرَّ حصولي على لهيبك...

١٨ - اختيار الحبّ

انا لست سوى طفلةٍ عاجزة وضعيفة. ومع ذلك ، فإن ضعفي ذاته هو الذي يوليني الجرأة لأقدّم ذاتي ذبيحةً لحبّك يا يسوع ! في السابق ، كانت القرابين الطاهرة والتي لا عيب فيها ، هي وحدها تُرضي الله القوي القدير. فكان يقتضي تقديمُ ذبائح كاملة لإرضاءِ العدل الالهي. الا ان شريعة الحبّ خلفت شريعةَ الخوف ، وقد اختارني الحبُّ محرقة ، انا الخليقة الضعيفة الناقصة... أليس هذا الاختيار جديراً بالحبّ؟... بلى. فلكي يرضى الحبّ كلّ الرضى ، عليه أن يتنازل حتى العدم ، وان يحوّل هذا العدم الى نار...

١٩ - صلاة جسورة

[٤ ي] يا يسوع ، أعرفُ ان الحبّ لا يُوفىَ الا بالحبّ. لذا فقد بحثتُ ووجدتُ الوسيلة التي تسرّي عن قلبي ، وهي أن اقابل حبّك بالحبّ. **استخدموا الاموال التي تجعل الناس ظالمين لاكتساب أصدقاء يقبلونكم في المظال الأبدية (لوقا ١٦/٩)**. تلك هي ، يا ربّ ، النصيحة التي تُسديها الى تلاميذك بعد أن قلت لهم: **ان أبناء الظلمة هم اكثر فطنة في شؤونهم من ابناء النور (لوقا ١٦/٨)**. وكابنة النور ، أدركتُ ان رغباتي **في ان اكون كل شيء** ، وان اعتنق كل الدعوات ، انما هي ثروةٌ قد تجعلني ظالمة؛ لذا فقد استعملتها لاكتساب الأصدقاء. واذ تذكرت صلاة أليشاع عندما تجرّأ والتمس من ايليا أبيه سهمَين من روحه ، تقدَّمتُ من الملائكة والقديسين وقلتُ لهم: «إنني اصغر الخلائق ، وأعرف شقائي وضعفي ، ولكنّي أعلم ايضاً كم تحبّ القلوب النبيلة السخية عملَ الخير. لذلك ، اناشدكم ، يا أهل السماء الطوباويين ، اناشدكم أن **تتبنوّني ابنةً لكم**. واليكم سيعود المجدُ الذي ستساعدوني على اكتسابه. ولكن تنازلوا واستجيبوا لصلاتي. انا اعلم أنها صلاةٌ جسورة ، ولكني أجرؤ والتمس منكم أن تنالوا لي: **سهمَين من حبّكم**.

٢٠ - انا ابنة الكنيسة

يا يسوع ، لا يسعني أن أتعمَّقَ في طلبي ، اذ اخشى ان أنوءَ بحِمل رغباتي

الجريئة . . . وعذري أني طفلة صغيرة ؛ فالاطفال لا يفكّرون في مؤدّى أقوالهم. ولكن حينما يتبوّأ اهلهم العرش ، ويحصلون على كنوز واسعة ، فانهم لا يتردّدون في تلبية رغبات تلك الكائنات الصغيرة التي يحبّونها حبَّهم لذاتهم. فانهم يأتون الحماقات في سبيل إرضائهم ، ويبلغون حدَّ الضعف في هذا الشأن . . . وهكذا ، **انا ابنةُ الكنيسة** ، والكنيسة ملكةٌ بما انها عروسك ، يا ملكَ الملوك الالهي . . . وقلبُ الطفل الصغير لا يهوى الثروات والمجد (حتى ولا مجد السماء) . . . فهو يدرك ان المجد يحقّ لاخوته الملائكة والقديسين . . . اما مجده هو فسيكون انعكاسَ المجد الذي سينبعث من جبين امه. ما يطلبه إنما هو الحبّ. انه لا يعرف سوى امر واحد هو أن يحبَّك يا يسوع . . . لقد حُظِّرت عليه الأعمال الباهرة ، فلا يستطيع التبشير بالانجيل ، ولا سفكَ دمه. ولكن ، ما همّه ، طالما أن اخوته يعملون بدلاً منه؟ اما هو الطفل الصغير فيقف قرب عرش الملك والملكة ، ويحبّ من اجل اخوته الذين يقاتلون . . . ولكن أنَّى له أن يبرهنَ عن حبّه ، والحبّ برهانه الاعمال؟ عندها ، ينثر الطفل الصغير الازهار ، ويعطر بروائحها عرشَ الملك ، وينشد نشيدَ الحبّ بصوته الرنّان . . .

٢١ – نثر الازهار

اجل ، يا حبيبي ، هكذا ستفنى حياتي . . . فلا وسيلةَ اخرى لي لأبرهن لك عن حبّي سوى نثر الازهار ، اي الاّ أدَعَ تضحيةً واحدةً صغيرة ولا نظرةً [٤ ش] او كلمة تفوتني ، بل استفيدُ من أصغر الاشياء ، وأقوم بها بحبّ . . . اريد ان اتألم حبّاً وان اتنعّم ايضاً حبّاً ، وهكذا سأنثر الازهارَ امام عرشك. ولن أفوز بواحدةٍ منها الا وأنثرها لك. وعند نثر ازهاري ، سأنشد (وهل بوسع المرء ان يبكي وهو يقوم بعمل سارٍّ كهذا؟). سأنشد حتى حينما يترتّب عليّ قطفُ ورودي من بين الاشواك ، وسيزداد نشيدي طرباً كلما كانت الاشواكُ أكثر طولاً ووخزاً . .

٢٢ – مشاركة الكنيسة

يا يسوع ، ما عسى ان تُفيدك أزهاري واناشيدي؟ . . . آه ! اني اعلم تماماً ، ان هذا الرذاذ المعطّر وتلك الوريقات الواهية الرخيصة ، وأناشيد الحبّ هذه ، المنبعثة من أصغر القلوب ، ستخلبُ لبّك. اجل ، هذه الامور التافهة ستسرّك وستثير ابتسامة الكنيسة المنتصرة. فانها ستلتقط ازهاري المنثورة حبّاً ، واذ تُمَرِّرها بين راحتيك الالهيتين ، يا يسوع ، فإن كنيسة السماء هذه ، رغبة منها في مشاطرة ابنتها الصغيرة لعبَها ، ستنثر هي

ايضاً هذه الازهار، وقد اكتسبت بِلَمستك الالهية قيمةً لا متناهية، على الكنيسة المعذبة لكي تخمد عنها اللهيب، وستنثرها على الكنيسة المجاهدة لكي تؤتيها النصر! ...

٢٣ – أصغر فعل حبّ

يا يسوعي! إني أحبّك وأحبّ الكنيسة امّي، وأذكر «أن أصغرفعل حبٍّ خالص أنفعُ لها من كل الأعمال الأخرى مجتمعة»(٤). ولكن، ترى هل الحبّ الخالص موجودٌ في قلبي حقاً؟... أليست رغباتي الواسعة حُلماً وجنونا؟ آه! اذا كان الامر هكذا، أَرِني انتَ يا يسوع، فأنت تعلم أني أبحثُ عن الحقيقة... واذا كانت رغباتي جريئةً، فبدِّدْها، لان هذه الرغائب هي لي أكبرُ الاستشهادات... على أني أشعر، يا يسوع، بأني إن اخطأتُ، يوماً، أرفعَ منازلِ الحب التي تُقتُ اليها، فسأكونُ قد تذوَّقْتُ من العذوبة في استشهادي وفي جنوني اكثر مما سأذوقه وسط أفراح الوطن السماوي؛ اللهمَّ الا اذا نزعتَ عني بأعجوبة ذكرى أمانيَّ الأرضية. فدعني، إذاً، أنعمُ في منفايَ بنعيم الحبّ... دعني أتذوَّقُ مرارات استشهادي العذبة...

يا يسوع، يا يسوع، اذا كان الشوق الى حبّك عذباً الى هذا الحدّ، فما عساهُ يكون امتلاكُ هذا الحبّ والتنعمُّ به؟...

٢٤ – أحدّقُ الى شمس الحبّ

أنّى لنفسٍ ناقصة مثل نفسي أن تتوقَ الى امتلاك ملء الحبّ؟... يا يسوع! يا صديقي الأولَ والاوحد، انت يا من أحبّك وحدك، قل لي ما هذا السر؟... لماذا لا تحتفظُ بهذه التطلّعات الواسعة للنفوس الكبيرة، للنسور التي تحلِّقُ في الاجواء العالية؟... فما انا سوى عصفورٍ صغيرٍ ضعيفٍ يكسوهُ قليل من الزَغَب(٥). لستُ نسراً، وليس لي منه الا عيناه وقلبه، لاني رغم صغري البالغ الحد، أجرؤ على أن أحدِّق الى الشمس الالهية، شمس الحبّ، وقلبي يحسّ في أعماقه [٥ ي] بتطلعات النسر كلها... يودّ العصفور الصغير لو يطير الى هذه الشمس الساطعة التي تسحرُ عينيه. يود لو يقتدي بالنسور إخوته الذين يراهم يَرتفعون الى مصدر الثالوث الاقدس الالهي. ولكنه، للأسف، لا يقوى الا على تحريك جناحيه الصغيرين، اما الطيران فليس بواردٍ في مقدوره

(٤) يوحنا الصليب. **النشيد الروحي** ٢٩.
(٥) الزَغَب هو اول ما ينبت في جسم الطير (م).

الضعيف. فماذا ترى سيحلّ به؟؟ أيموتُ لَوعةً وهو يرى مدى عجزه؟... آه! كلا! فالعصفور الصغير لن يترك مجالاً حتى للغمّ، بل باستسلام جريءَ يريد أن يظلّ مُحدِّقاً الى شمسه الالهية. فلا يمكن لشيء ان يمنعه، لا الريح ولا المطر. واذا ما حجبتْ السحبُ الدكناءُ كوكبَ الحبّ عن نظره، فالعصفورُ الصغير لن يغيّر موضعه، لانه يعلم أن شمسَه مشرقةٌ دوماً وراءَ السحب، وأن اشراقها لن يُكسَفَ لحظةً واحدة. صحيح أن العاصفة تنقضّ احياناً على قلب العصفور الصغير، فيُخَيَّلُ اليه انه لا يؤمن بوجود شيء آخر غير السحب التي تكتنفه. وعندها، تحلُّ لحظة الفرح الكامل للكائن الصغير المسكين. فما أسعده بأن يظلّ هناك رغم كلّ شيء، وأن يحدِّقَ الى النور اللامنظور الذي يحتجب عن ايمانه!!!...

٢٥ – سهو الخليقة

يا يسوع، إني، حتى الآن، أفهم حبَّك للعصفور الصغير، بما انه لا يبتعد عنك... ولكني اعلم، وانت ايضاً تعلم، ان الخليقة الصغيرة الناقصة، بالرغم من بقائها في موضعها (أي تحت اشعة الشمس) فهي غالباً ما تسهو عن شغلها الوحيد، فتلتقط حبةً صغيرة عن اليمين وعن الشمال، وتجري وراء دودةٍ صغيرة... ثم، عندما تجد بركةَ ماء، تبلّل ريشها الصغير النابت، وترى زهرةً ترضيها فينشغلُ فكرُها الصغير بتلك الزهرة... واذ لا يسعُ العصفور الصغير المسكين ان يحلِّقَ مثل النسور، فهو يظلُّ مُنشغلاً بأمور الارض التافهة. الا أن هذا العصفور الصغير، بعد جميع هذه الإساءات، عوض ان يذهب ويختبئ في زاوية ليبكيَ شقاءه ويقضي ندماً، يلتفتُ نحو شمسه الحبيبة، ويبسط لأشعتها المنعشة جناحَيه الصغيرين المبلَّلين، وينوح نوح السنونو، وفي أنشودته العذبة يبوح بخياناته مفصِّلاً إياها، وهو يظنّ انه، باستسلامه الجريء، يكتسبُ المزيد من النفوذ، ويجتذبُ بصورة أكمل ذَاك الذي لم يأتِ ليدعوَ الصدّيقين بل الخطأة... واذا ظل الكوكب المعبود صامّاً أذنيه عن شكوى خليقته الصغيرة، وظلّ محتجباً...، بقيت الخليقة المسكينة مبلَّلةً راضيةً بقرصة البرد، مسرورةً ايضاً بهذا الالم الذي استحقَّتْه مع ذلك...

٢٦ – استسلام العصفور

يا يسوع! ما أسعد عصفورك الصغير بأن يكون مسكيناً وصغيرا. فماذا تراه يصبح لو

كان كبيراً؟ فإنه لن يتجاسرَ ابداً على الظهور في حضرتك وعلى الغفوة امامك. نعم، ان في ذلك، ايضاً، وهنٌ لدى العصفور الصغير، حينما يريد ان يحدِّق الى الشمس الالهية وتحولُ السحبُ دون رؤيته ايَّ شعاعٍ منها، فتغمض عيناه الصغيرتان بالرغم عنه، ويختفي رأسه الصغير تحت الجناح الصغير، ويستسلم الكائن الصغير المسكين الى النوم، وهو يعتقد انه ما زال يحدِّق الى كوكبهِ الحبيب. وعند يقظته لا يغتمّ، ويبقى قلبه الصغير في سلام، فيستأنف مهمةَ الحب، ويبتهل الى الملائكة والقديسين الذين يرتفعون كالنسور نحو النار الملتهبة، موضوعَ رغبته. [٥ ش] واذ تُشفق النسورُ على أخيها الصغير، تحميه وتدافع عنه وتهزمُ الصقورَ التي تروم الانقضاض عليه. ان الطائر الصغير لا يخاف الصقور، صورة الشياطين، اذ ليس من شأنه ان يكون فريستها، بل فريسة النسر الذي يتأمله في قلب شمس الحبّ.

٢٧ - النسر المعبود

ايها الكلمة الالهي، انت هو النسرُ المعبود الذي أحبّه والذي يجتذبني. انت الذي هبط الى أرض المنفى وشاء ان يتألم ويموت لكي يجتذب النفوس الى حضن النار الازلية، مركز الثالوث الطوباوي. وانت الذي صعدَ الى النور الممتنع الذي سيكون مسكناً لكَ من الآن فصاعداً. انت الذي ما زال في وادي الدموع، مختفياً وراء أعراض برشانة بيضاء. ايها النسر الازلي، تريد أن تغذيني بجوهرك الالهي، أنا الكائنَ الصغير المسكين، الذي يغوص في العدم ان لم يهب له نظرُك الالهي الحياةَ في كل لحظة... يا يسوع! دعني، في فيض عرفاني بالجميل، أقول لك إن حبَّك يبلغ حدَّ الجنون. فكيف تريدني، امام هذا الجنون، ألا ينطلق قلبي اليك؟ وكيف أضع لثقتي بك حدوداً؟ آه! انا أعلم أن القديسين قاموا بأمور جنونية لاجلك، وحقّقوا العظائم، لانهم كانوا نسورا...

٢٨ - جنون العصفور الصغير

يا يسوع! انا أصغرُ من أن اقوم بأمور عظيمة... وجنوني انا هو أملي بأن يقبلني حبّك كضحية... ان جنوني يقوم على التوسل الى النسور اخوتي لكي ينالوا لي حظوة الطيران نحو شمس الحبّ بجناحَيْ النسر الالهي عينهما. فما شئتَ من الزمان، يا حبيبي، سيبقى عصفورك الصغير بدون جناحين وبدون قدرة، وسيبقى عيناه تُحدِّقانِ اليك. يريد ان تسحرَه بنظرك الالهي ويريد ان يصبحَ فريسة حبِّكَ... وأملي انك، يا

نسري المعبود ، ستأتي يوماً وتأخذ عصفورك الصغير؛ واذ تصعد به الى نار الحبّ ، ستغوص به مدى الابد في اللجّة المحرقة ، لجة ذلك الحبّ الذي قدَّمَ العصفورُ له ذاته ضحية .

٢٩ – رغبة في اطلاع الآخرين

يا يسوع ! مَن لي بأن أحدِّث جميعَ النفوس الصغيرة بتنازلك الفائق الوصف ... وانا اشعر بأنك لو وجدتَ ، على فرض المحال ، نفساً أَوهنَ وأَصغرَ من نفسي ، لطابَ لك أن تغمرَها بأفضال عظمى ايضاً ، اذا ما استسلمت بثقة تامة الى رحمتك اللامتناهية. ولكن لماذا التشوّق الى إطلاع الآخرين على أسرار حبّك ، يا يسوع؟ أَمَا انت وحدك الذي علَّمنيها؟ الا يمكنك كشفَها لآخرين؟ ... بلى ، انا اعرف ذلك ، وأناشدك ان تفعل. أتوسّل اليك ان تنعطف بنظرك الالهي الى عدد كبير من النفوس الصغيرة ... أبتهل اليك ان تصطفيَ جيشاً من الضحايا الصغيرة الجديرة بحبّك ! ...

الأخت الصغرى تريز الطفل يسوع والوجه الاقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة

مخطوط ج

مُهدى

إلى

الأم ماري دي غونزاغ

الفصل العاشر

محنة الايمان (١٨٩٦ - ١٨٩٧)

١ - الزهرة الصغيرة

امي الحبيبة ، لقد أَبديتِ لي رغبتك في أن أختمَ معك ترنّمي بمراحم الربّ ، وكنتُ قد بدأتُ هذا النشيد العذب مع ابنتك الحبيبة أنييس ليسوع ، وقد كانت الأمَّ التي أوكل الله إليها بأن تقودني في ايام طفولتي. فكان عليّ ان أشيد معها بالنعم التي مُنحَتْها زهيرةُ العذراء القديسة ، حينما كانت في ربيع حياتها. ولكن معك ينبغي لي أن أنشد سعادةَ هذه الزهرة الصغيرة الآن وقد أَخلتْ أَشعةُ الفجر الخجولة المَكانَ لقيظ الظهيرة المحرق. اجل ، معك ، ايتها الأم الحبيبة ، ونزولاً عند رغبتك ، سأحاول الإعراب عن مشاعر نفسي وعن عربون شكري لله تعالى ولكِ انتِ التي تمثّله أمامي بنوع منظور. ألـم أقدِّم له ذاتي كلَّها بين يديك الوالديتين؟ يا أمي ، هل تذكرينَ ذلك اليوم؟... اجل ، أشعر بأن قلبك لن يقدر على نسيانه... اما انا فعليَّ ان أنتظر السماء الجميلة ، لاني لا أجد ههنا كلماتٍ تستطيع الاعراب عمّا حصل في قلبي ، في ذلك اليوم المبارك.

٢ - أتحدّث ببساطة

أمي الحبيبة ، ثمة يومٌ آخر فيه انضمَّت نفسي انضماماً أوثق الى نفسك ، ان كان الأمر ممكناً ، وهو اليوم الذي حمّلك يسوع فيه عبءَ الرئاسة[١] من جديد. في ذلك اليوم ، يا أمي الحبيبة ، قد زَرعتِ بالدموع ، ولكنك في السماء ستُفعَمين فرحاً [١ ش] اذ ترين ذاتك محمّلة بالحِزَم النفيسة. يا أمي ، سامحي بساطتي الطفولية. فأشعر بأنك تسمحين لي بالتحدثّ اليك من دون أن أسألَ عما يُسمح لراهبة شابة بأن تقوله لرئيستها. وقد لا أقف دوماً عند الحدود المفروضة على المرؤوسين. ولكنّي ، يا اماه ، أجرؤ على

---

(١) صدى لصعوبة انتخاب الام ماري دي غونزاغ كرئيسة في ٢١/ ٣/ ١٨٩٦. وقد أظهرت تريز ولاء لا يشوبه كدر تجاه الرئيسة الجديدة (م).

القول: الذنبُ ذنبُك؛ فاني أتصرَّف معك تصرُّفَ ابنة، لانك لا تتصرفين معي كرئيسة، بل كأمّ...

٣ ـ التربية الحازمة

آه! يا أمّي الحبيبة، إني اشعر عميق الشعور بأن الله هو الذي يكلّمني دوماً بواسطتك. هناك اخوات كثيرات يعتقدن بأنكِ دلَّلتني كثيراً، وأني، منذ دخولي الفُلك المقدس، لم اتلقَّ منك الا الملاطفات والثناء. الا ان الأمر ليس كذلك. وسترين، يا اماه، في الكراس الحاوي ذكريات طفولتي[٢]، ما هو رأيي في التربية الوالدية الحازمة التي تلقَّيتُها منك. واني لأشكرك من صميم قلبي على انكِ لم تحابيني. ويسوع كان يعلم أن زهرته الصغيرة تحتاج الى ماءِ الهوان المنعش، فقد كانت أَضعفَ من أن تتأصّل من دون هذا العون. وقد أتاها هذا الفضل بواسطتك، يا اماه.

٤ ـ الشمس تُنميها

ومنذ سنة ونصف، اراد يسوع أن يغيّر طَريقته في إنماء زهرته الصغيرة. ولا بد أنه رآها رَيًّا بالكفاية، لأنَّها الآن، انما تنمو بأشعّة الشمس. فيسوع لا يُريد لها من بعد الا ابتسامته التي يمنحها إياها بواسطتك، يا امي الحبيبة. وهذه الشمس اللطيفة هي ابعد من ان تُذوي نضارة الزهرة الصغيرة، [٢ ي]. إنها تُنميها أَعجب إنماء، وتحفظ في أعماق كُمِّها قطرات الندى الغالية التي تلقَّتْها؛ تلك القطرات تُذكِّرها دوما بأنها صغيرة ومسكينة...

٥ ـ ندى الهوان

بوسع الخلائق كلّها ان تنحني اليها، وتعجب بها، وتكيل لها الثناء، ولا ادري لماذا. غير ان ذلك لن يستطيع ان يُضيف قطرةً واحدةً من الفرح الزائف الى الفرح الحقيقي الذي تتذوّقه في قلبها، اذ ترى ذاتها على ما هي عليه في نظر الله: إنها مجرّد عدم مسكينٍ، ليس الا!... قلتُ إني لا ادري لماذا، ولكن أليس لأنها قد حُفظتْ من انسكاب الثناء طوال الوقت الذي لم يكن فيه كمُّها الصغير قد امتلأ كفايةً من ندى الهوان؟ امّا الآن، فلم يعد هناك من خطر، بل بالعكس، فإن الزهرة الصغيرة تستعذب ذلك الندى الذي يملأها الى حد أنها تحترس من استبداله بماء التقاريظ التافِه جدّاً.

(٢) لم تكن الرئيسة الجديدة قد قرأت المخطوط الاول (م).

٦ - الحبّ والثقة

أمي الحبيبة ، لا أريد الكلام على ما تولينني من حبّ وثقة. ولا تظنّي أنهما لا يؤثّران في قلب ابنتك. بل اشعر جيّدا بأني لا اخشى الآن شيئا. وعلى العكس ، استطيع التمتُّعَ بهما ، ناسبةً الى الله ما حسُن لديه أن يودِعَ نفسي من خير. واذا سَرّه أن يُظهرني أحسنَ مما انا عليه ، فهذا أمر لا يعنيني ، فهو حرٌّ في التصرّف كما يشاء...

٧ - تنوع طرق القديسين

يا أمي ، ما أكثر اختلاف الطرق التي فيها يقود الرب النفوس. ففي سِيَر القديسين ، نرى عدداً كبيراً منهم لم يشاؤوا ان يتركوا شيئا عنهم [**٢ ش**] بعد موتهم ، حتى ولا أصغر تذكار او كتابة. وهناك غيرهم ، على العكس ، مثل امنا القديسة تريزا ، قد أغنوا الكنيسة بايحاءاتهم السامية ، غير خائفين من ان يكشفوا اسرار الملك ، لكي تزدادَ النفوسُ معرفةً به وحبّاً له. فأيٌّ من هذين النوعين من القديسين أفضلُ في عيني الله؟ يبدو لي ، يا امي ، ان كليهما مَرضيّان لديه على السواء ، بما أن الجميع قد اتّبعوا توجيه الروح القدس ، وقد قال الرب: **قولوا للصدّيق ان كل شيء حسن** (**اشعيا** ٣/١٠). اجل ، كلُّ شيء حسن ، عندما لانسعى إلا الى ارادة يسوع. لذا ، فانا ، الزهرةَ الصغيرةَ المسكينةَ ، أطيعُ يسوع بسعيي لإرضاءِ امّي الحبيبة.

٨ - المصعد

تعلمين ، يا أمّي ، أني قد رغبت دوما في أن أصير قديسة. ولكني ، للأسف ، وجدتُ دائماً ، عند مقابلة نفسي بالقديسين ، أن بينهم وبيني من الفرق ما يوجد بين جبل تناطحُ قِمَّتُه السماوات ، وبين حبةِ رملٍ ضائعة تطأها أقدامُ المارّة. وبدل ان تفترَ عزيمتي ، قلت في نفسي: ليس من شأن الله أن يُلهم رغبات يستحيل تحقيقها. فبوسعي اذاً ، رغم صغري ، أن أتوق الى القداسة. يستحيل عليّ أن أكبرَ: لذا عليّ أن أحتمل ذاتي كما انا مع كل نقائصي. ولكنّي أريد ان ابحث عن وسيلة للذهاب الى السماء ، بدربٍ صغيرٍ قصير مستقيم ، بدرب صغير[٣] جديد جديد. فنحن اليوم في عصر الاختراعات: لا حاجةَ بنا الآن الى ان نرقى درجات [**٣ ي**] سُلَّم. ففي دور الأغنياء ، يحلّ المصعدُ محلَّ السُلمَّ

(٣) هنا فقط تتكلّم تريز على الدرب القصير الجديد، وهي لم تذكر قط في كتاباتها عبارة «الطفولة الروحية» (م).

لمنفعة اكبر. فانا بدوري اودّ لو أجد مصعداً للارتفاع الى يسوع، لأني أصغر كثيراً من أن أرقى سُلَّمَ الكمال المضنية. وقد بحثتُ في الكتب المقدسة عن دليلٍ يرشدني الى هذا المصعد، موضوعِ رغبتي. فقرأتُ هذه الكلمات التي نطقتْ بها الحكمة الازلية: **من كان صَغيرا، فليُقبلْ اليّ** (**امثال** ٩، ٤). فأقبلتُ، وقد حَزِرْتُ أني وجدتُ ما كنت أبحث عنه. وأردت أن اعرفَ، يا الهي، كيف تعامل الصغيرَ الذي يلبّي نداءك، فواصلتُ بحثي، وهاك ما وجدت: **كما تدلّل الأم طفلها، كذلك انا أعزّيكم، وفي حضني أحملكم، وعلى ركبتيَّ أدلِّلكم** (**إشعيا** ٦٦/١٣و ١٢). آه! لم يحدث قطّ أن فَرَّحَ نفسي كلامٌ أحنّ وأرقّ! فالمصعد الذي ينبغي أن يرفعني الى السماء انما هما ذراعاك، يا يسوع! ولهذا فلست بحاجة الى أن أكبُرَ، بل على العكسِ من ذلك، عليَّ أن أظلَّ صغيرةً بل أن أَصْغُرَ اكثر فأكثر. يا الهي! لقد تجاوزتَ انتظاري، فأريد ان أتغنّى بمراحمك: **انت علّمتني منذ صبائي، والى الآن أخبرُ بمعجزاتك، وسأواصل إعلانها الى زمان المشيب** (**مزمور** ٢/٨٨). وماذا سيكونُ لي زمانُ المشيب هذا؟ يُخيَّلُ إليّ انه قد يكون الآن أوانه، لأن الفي سنة في عيني الرب لا تزيد على عشرين سنة... بل على يومٍ واحد...آه! لا تظنّي يا امّي الحبيبة، أن ابنتك تتمنّى أن تغادرك... لا تظني أنها تعتبر [**٣ ش**] نعمة موتها في فجر الحياة أعظمَ منها في مسائها. فجلّ ما تؤثره، وتتمنّاه دون غيره، هو أن تُرضيَ يسوع... والآن إذ يبدو أنه يقترب منها لكي يجتذبها الى مقرّ مجده، فإن ابنتك تطيرُ فرحاً. لقد أدركتْ منذ وقت طويل ان الله لا يحتاج الى أحد (ولها اقلّ من الآخرين)، ليفعلَ الخيرَ على الأرض.

٩ ـ فراق قصير

سامحيني، يا أماه، إن أحزنتُكِ... آه! لكم أودُّ ان أُفرِّحك... ولكن إذا لم تُستَجبْ صلواتك على الأرض، واذا فرّق يسوع بضعة أيام بين الابنة وأمها، أفَتظنّين أنَّ هذه الصلوات لن تستجابَ في السماء؟...

١٠ ـ قيادة الخراف

أعلم أن رغبتك هي في أن أقوم لديك بمهمّة[٤] محبَّبة وسهلةٍ جدا. ألا استطيع ان أتمَّ

(٤) تشير الى تسلّمها مسؤولية المبتدئات منذ ٢١/ ٣/ ١٨٩٦. ولكنّها رفضت لقب معلّمة المبتدئات (م).

هذه المهمّة من اعلى السماء؟... لقد قلتِ لآبنتك ما قاله يسوع يوماً لبطرس: **إرعَ خرافي** (**يوحنا** ٢١/١٥). وانا دُهشتُ وقلتُ لكِ: «انا صغيرة جداً لذلك»... وتوسّلتُ اليكِ ان تقومي انتِ بنفسكِ برعاية خرافك الصغيرة، وأن تمنّي عليّ بأن تحفظيني وترعيني معها. وانتِ، يا امي الحبيبة، تلبيةً منك لرغبتي المحقّة، أبقيتِ الحملان الصغيرة مع النعاج، ولكنك قد أمرتني بأن أقودها غالبا لترعى في الظلّ وأن ادلّها على أجود الأعشاب وأوفرِها غذاءً، وأن أريَها الأزهار الزاهية التي ليس عليهم لمسَها إلّا لسحقهِا تحت اقدامهم... لم تخافي، يا أمي الحبيبة، من أن أضلِّلَ خرافَك الصغيرة. ولَم تُرعبْك قلّةُ خبرتي [٤ ي] وحداثةُ سنّي. ولعلّك تذكرتِ بأن الربَّ يسرّ غالباً بإعطاء الحكمة للصغار، وأنه، ذات يوم، في نشوة الفرح، بارك أباه لأنه حجب أسراره عن الحكماء وكشفها للأطفال. تعلمين، يا أماه، أنَّ النفوسَ التي لا تقيس القدرة الالهية بافكارها المحدودة نادرةٌ جدّاً. وهي تريد ان تكون هناك استثناءاتٌ على الأرض. الله تعالى، وحده، لا يحقّ له فعلُ ذلك! إني اعرفُ، منذ زمن بعيد جداً، ان قياس الخبرة بعدد السنوات، يُمارَس لدى البشر، فقد كان الملكُ داود القديس في صباه، يُنشد للرب قائلا: **صغير انا وحقير** (**مزمور** ١١٨، ١١٤). ومع ذلك، لم يخشَ أن يقول في **المزمور** ١١٨، عينه: **لقد اصبحتُ أَفطنَ من الشيوخ: لأني التمستُ أوامرك... كلمتك مصباح يُنير خُطاي... بادرتُ لاتمام وصاياك فلا تضطربُ نفسي** (**مزمور** ١١٨/ ١٠٠و١٠٥و ٦٠).

١١ - تألّمت كثيراً

أمي الحبيبة، لم تخافي من أن تقولي لي يوما أن الله كان يُنير نفسي، حتى إنه منحني، أيضاً، خبرة السنين. يا أماه! انا الآن أصغرُ من أن ينالني العجُب بالنفس، وأصغرُ من أن أصوغَ جملاً منمَّقة لأُوهمك بأني على قدر كبير من التواضع. إني افضّل أن أقرّ بكل بساطة بأن القدير صنع العظائم في نفس ابنة امه الالهية، وأعظمُها أنه أراها صِغَرَها وعجزها. [٤ ش] تعلمين، جيّداً، يا أمي الحبيبة، أن الله تنازل فأَجازَ نفسي في مختلف المِحنَ. لقد تألمتُ كثيراً منذ وجودي على الأرض؛ ولكني اذا كنتُ في طفولتي قد تألمتُ بكآبة، فإني اليوم لا أتالم هكذا، بل أقتبلُها بالفرح والسلام: فانا حقّاً سعيدةٌ بأن أتألم. يا أماه! ينبغي أن تطّلعي على أسرار نفسي جميعها، لكي لا تبتسمي

لدى قراءتك هذه الأسطر. فهل هناك من نفس أقلّ مِحناً منّي ، حسبَ الظاهر؟ آه ، لو ظهرتْ للعيان تلك المحنةُ التي أُعاني منها منذ سنة ، لأثارتْ دهشةً عظيمة ! ...

١٢ _ النداء الاول

أمي الحبيبة ، انت تعرفينَ تلك المحنة(٥). ومع ذلك ، فسأحدِّثكِ عنها ايضا ، لأني اعتبرُها نعمةً عظيمة تلقَّيتُها في عهد رئاستك المباركة.

لقد منحني الله في العام الماضي تعزيةَ ممارسة الصوم الكبير بكلّ صرامته. ولم يسبقْ لي أن شعرتُ بمثل هذه القوة. وقد استمرّتْ تلك القوة حتى الفصح. إلا أن يسوع ، يوم الجمعة العظيمة ، أراد أن يُعطيَني أَملاً بأن أمضي عن قريب لأراه في السماء... آه ! ما أعذب هذه الذكرى على قلبي ! ... فبعد ان مكثتُ عند القبر حتى منتصف الليل ، عدتُ الى قلايتنا. وما كدتُ أسندُ رأسي الى الوسادة ، حتى شعرتُ بمثل موج جائش يصعد ساخنا جدّاً الى شفتي ، ولم أكن أدري ما الأمر. ولكني فكرتُ في أني ربما سأموتُ ، فغمر الفرحُ [٥ ي] نفسي ... ولكنّي ، اذ كان مصباحُنا مطفئاً ، قلت لنفسي إنه عليَّ أن أنتظر حتى الصباح لكي أتحقّق من سعادتي ، اذ بدا لي أن ما تقيّأتُه كان دماً. ولم أنتظر الصباح طويلا. فعند نهوضي ، فكّرتُ حالا في أني سأطلّع على أمرٍ مُفرح. وإذ دنوتُ من النافذة ، تحقّقتُ من أني لم أكن على خطأ في ظني ... آه ! لقد امتلأت نفسي تعزيةً كبيرة ، وكنت مقتنعةً في داخلي بأنِ يسوع ، في ذكرى موته ، كان يريد أن يُسمعَني نداءَه الأول. لقد كان بمثابة همسة عذبة آتية من بعيد ، تبشرّني بوصول العريس ...

١٣ _ الإشارة الثانية

حضرتُ صلاة الساعة الأولى بحرارة عظمى ، ثم اشتركت في اجتماع المسامحة(٦). وكنتُ على عجلٍ من أمري لبلوغ دوري فيتسنّى لي ، بالتماسي الغفران منكِ ، أن أُودعك ، يا أمي الحبيبة ، رجائي وسعادتي. لكنّي أضفتُ بأني لا

(٥) لقد كانت الأم دي غونزاغ مطّلعة اذاً على تجربة تريز ضد الايمان؛ لكن الام انييس لم تطّلع عليها الا في سنة ١٨٩٧.

(٦) إنه اجتماع يُعقد نهار الجمعة العظيمة تلقي فيه الرئيسة حديثاً عن المحبة الاخوية، ثم تتبادل الأخوات المغفرة مع تبادل المعانقة الاخوية (م).

أتألم أبداً (وكان الأمر صحيحاً) ؛ وتوسّلتُ اليكِ ، يا أمي ، ألاَّ تمنحيني شيئاً خاصا. وبالفعل ، لقد تعزّيتُ بأن أُمضي نهار الجمعة المقدسة وفق ما أرغب ، ولم اجد في السابق التقشفات المألوفة في الكرمل أعذبَ مما وجدتها يومها. فالأمل بالذهاب الى السماء كان يهزّني طربا. في مساءِ ذلك اليوم السعيد ، ذهبت للرقاد ، لكن يسوع اعطاني ، كالليلة السابقة ، الإشارةَ نفسَها ، بأن دخولي في الحياة الابدية لم يعد بعيداً ... وكنت يومئذ أنعمُ بايمانٍ حيٍّ وصافٍ الى حدّ أن فكرة السماء كانت كل سعادتي. ولم أكن استطيع [٥ ش] التصديق بأن ثمة كفَرةً لا ايمان لهم. بل كنت اعتقد انهم انما يتفوّهون بعكس ما يفكّرون ، حينما يُنكرون وجودَ السماء ، هذه السماء الجميلة حيثُ يُريد الله أن يكون هو ذاته ثوابَهم الابدي.

١٤ ـ ظلمات كثيفة

وفي الايام الفصحية السارة جعلني يسوع أشعر بأن هناك حقا نفوساً لا ايمانَ لها [٧]. فهي اذ تفرط في استغلال النعم ، تفقد هذا الكنزَ النفيسَ ، ينبوعِ الافراح الوحيدة الصافية والحقيقية. وأَذِنَ بأن تجتاحَ نفسي ظلماتٌ كثيفةٌ جدّاً ، وبألا تكون فكرة السماء العذبة الحلوة بالنسبة إليّ إلا موضوعَ جهادٍ وعذاب ... وما كانت هذه المحنة لتدومَ اياماً قلائل أو أسابيع ، بل كان عليها ألاّ تخمدَ إلا في الساعة التي عيّنها لها الله ... ولم تأتِ بعدُ تلك الساعة ... وبودّي ان اعبّر عما أشعر به ، ولكن للأسف اعتقد أن الأمر مستحيل. فلا يفهمُ ظلماتِ هذا النفق الحالك الا مَن عبرَ تحتَ قنطرته. لكن سأحاول شرحَه من خلال تشبيه.

١٥ ـ خبز الاوجاع

أفترضُ أني وُلدتُ في بلدٍ يكتنفُه ضبابٌ كثيف ، وأني لم أُعاينْ قطّ مشهدَ الطبيعة البسّام، تلك الطبيعة المشرقة المتجلية تحت الشمس المشعشعة. إنما وقد سمعتُهم منذ طفولتي يتحدّثون عن تلك الروائع، اعرف أن البلد الذي أسكنُه ليس وطني ، وأن هناك وطناً آخر عليّ أن أتطلّع اليه دون انقطاع. وليس ذلك حكاية لفّقها أحدُ سكان البلد الكئيب الذي أنا فيه ، لكنه حقيقة أكيدة ، لأن مَلِكَ وطن الشمس الساطعة جاءَ وعاشَ

(٧) مثلاً السيد توستان زوج مرغريت مودلوند. ولنذكر بأن لِيو تاكسيل، قد كشف عن نفسه قبل شهرين من ذلك (م).

ثلاثاً وثلاثين سنة [٦ ي] في بلد الظلمات هذا. ولكن الظلمات ، للأسف ، لم تُدرك ان هذا الملك الالهي كان نورَ العالم ... بيد أن ابنتكَ ، يا رب ، قد ادركَتْ نورك الالهي ، وهي تلتمسُ منك المغفرة لإخوتها، وترضى بأن تأكل خبزَ الاوجاع أطول ما شئتَ من الزمان ، ولا تريد أن تنهضَ عن هذه المائدة المترعة بالمرارة ، التي منها يأكل الخطأة المساكين، قبل اليوم الذي حدَّدتَه أنت ... ولكن، ألا يُعطى لها أن تقول باسمها وبأسم اخوتها: اللهم ارحمنا ، نحن الخطأة المساكين ! آه ، يا رب ! أطلق سبيلنا وبرّرنا ... واجعلْ الذين لم يستنيروا، بعدُ، بمصباح الايمان المضيء يسطعُ فيهم اخيراً... يا يسوع، واذا اقتضى ذلك أن تُطهِّر نفسٌ تحِبُّك تلك المائدةَ التي لوَّثوها ، فإني أرتضي بأن آكل عليها وحدي خُبزَ المحنة ، حتى اليوم الذي فيه يطيبُ لك أن تُدخلني الى ملكوتك المشرق. انما النعمة الوحيدة التي ألتمسها منك هي الا أغيظكَ ابداً !

١٦ – الضباب النافذ الى نفسي

أمي الحبيبة ، ما اكتبه إليك لاتسلسل فيه. فان قصتي الصغيرة التي كانت تُشبه قصة خرافية تحوَّلت بغتةً الى صلاة. ولا أدري ما الفائدة التي تجنينها من قراءة هذه الافكار الغامضة والمتعلثمة. واخيراً ، يا أماه ، انا لا أكتب أثراً أدبياً ، وانما أكتب إطاعةً لك . فاذا سبَّبتُ لك شيئاً من الضجر، فسترين ، على الأقل ، أن آبنتك برهَنتْ عن ارادة طيبة. فسأتابع اذاً، دون وهنٍ في عزيمتي ، سردَ تشبيهي من حيث كنت قد توقفت. كنتُ أقول إني أُعطيتُ منذ طفولتي يقيناً بأني سأمضي يوما بعيداً عن البلد الكئيب المظلم. فلم أكن أكتفي بتصديق ما يقال لأشخاص اكثر حصافةً مني ، بل كنتُ اشعر ايضاً في اعماق قلبي بتوق الى منطقة اكثر جمالاً. وكما أن عبقرية كريستوف كولومب جعلته يشعر بوجود عالم جديد ، في حين لم يخطر ذلك ببال أحد ، كذلك كنت أشعر بأن أرضاً اخرى ستكون لي يوماً مقرّاً ثابتاً. ولكن فجأةً، غدا الضباب الذي يكتنفني أشدَّ كثافةً، ونَفَذَ الى نفسي ولَفَّها بحيث لم يعد بإمكاني أن أرى فيها صورة وطني البالغة العذوبة . اجل ، فكل شيء قد توارى. وحينما كنتُ أريد أن أُريح قلبي الذي يُتعبه ما يكتنفه من ظلمات، بذكرى البلد المنوَّر الذي أصبو اليه ، كان عذابي يتضاعف. وكأني بالظلمات تستعيرُ صوتَ الخطأة فتقول لي ساخرةً مني: « إنك تحلمين بالنور ، وبوطن يتضوَّع بأطيب العطور. تحلمين بامتلاك خالق جميع هذه المعجزات امتلاكاً ابدياً، وتطمئنّين إلى انك

ستخرجين يوماً من الضباب الذي يكتنفك! تقدمّي! تقدمّي! وافرجي بالموت الذي سيمنحك، لا ما ترجينَه، بل ليلاً أكثرَ سواداً ايضاً: انه ليلُ العدم...».

[٧ ي] أمي الحبيبة! إن الصورة التي أردتُ تقديمها لك عن الظلمات التي تغشى نفسي تَبعد عن الحقيقة بقدر ما يبعُد مشروعُ التمثال عن النموذج الاصلي. ولكنني لا أريد أن اكتب زيادة، خشية أن أجدِّف... وانا خائفة من أن اكون قد قلت اكثر مما ينبغي...

١٧ – مائدة الخطأة

آه! فليسامحْني يسوع إن أحزنته بشيء. فهو يعرف جيّدا أني وإن كنتُ لا أتمتع بلذّة الايمان، الا أني أبذل جهدي لأقوم بأعمال الايمان. وأظن أني، منذ سنة قد قمتُ بأفعالِ ايمان اكثر مما قمتُ به طوال حياتي كلها. وفي كل فرصة صراعٍ جديدة، حينما يستفزُّني اعدائي، أتصرّف كالشجعان، علماً مني أن المبارزة ضربٌ من الجُبن، فأحوِّل ظهري لخصمي دون ان أتنازلَ وأنظر اليه مواجهة. لكني أركض نحو يسوعي وأقول له إني مستعدة لأسفكَ حتى آخر قطرة من دمي من اجل المجاهرة بوجود السماء، ولأقولَ له إني سعيدة بألاّ أستطيع أن أنعمَ بهذه السماء الجميلة على الارض من اجل ان يفتحها الى الأبد أمام الكفرة المساكين. فبالرغم من هذه المحنة التي تسلبني كلَّ هناء، أستطيعُ أن أهتف وأقول: **يا رب إنك تغمرني فرحا بكل ما تصنع (مزمور ٩١/٥)**. فهل من فرح أعظم من فرح التألم لأجل حبّك؟... فكلما كان الألم حميماً، خفَّ ظهوره على عيون الخلائق، وزاد في فرحك، يا الهي! ولكن لَوْ فرضنا محالاً انك لن تعرف ألمي، فسأكون أيضاً سعيدةً بأن أملكه، إن تمكنتُ بواسطته أن أمنعَ ارتكاب خطيئة واحدة ضد الايمان أو أعوّض عنها...

١٨ – جدار يناطح السماء

[٧ ش] أمي الحبيبة! قد أَبدو لكِ وكأني أبالغ في محنتي. وفي الواقع، فلو حكمتِ حسب المشاعر التي أعبّر عنها في القصائد القصيرة التي نظمتُها هذه السنة، لظهرتُ لكِ حتماً نفساً مفعَمةً بالتعزيات وقد شُقَّ حجابُ الايمان امامها... ومع ذلك... فليس ثمة حجاب امامي، بل جدارٌ يناطحُ السماء ويحجبُ عني أَديمَها المرصّع بالنجوم... وحينما أتغنى بسعادة السماء، ذلك الامتلاك الابدي لله، فلا أحسّ منه بأيّ فرح، لأني أتغنّى فقط بما أريدُ الايمانَ به. ومن الواضح احياناً أن شعاعاً ضئيلاً من الشمس

يأتي فينير ظلماتي ، فتتوقّف المحنةُ لحظة. إلا أن مجرد ذكرى هذا الشعاع ، بعدئذ ، تزيد ظلماتي كثافة ، بدل من أن يُسبِّبَ لي بعض الفرح.

١٩ – رغبة في الموت حبّاً

يا أماه ! لم يسبق لي أن شعرتُ ، بهذا المقدار ، كم أن الربَّ وديع ورحيم. فهو لم يرسل إليّ هذه المحنة الا حينما آستطعتُ احتمالها. ولو جاءتني من قبل لكانت زجّتْ بي في هاوية اليأس ، حسب ظنّي ... اما الآن فإنها تزيل عنّي كلَّ ما قد يوجَدُ من ارتياح طبيعي في شوقي الى السماء... أمي الحبيبة ، يبدو لي الآن أن لا شيءَ يمنعني من الطيران ، فلم يبقَ لي رغائبُ كبيرة سوى في أن أحبَّ حتى الموت حبّاً... (٩ حزيران / يونيو).

٢٠ – يدي ترتجف

[٨ ي] أمي الحبيبة ، انا مستغربةٌ جداً اذ ارى ما كتبتُه لكِ البارحة : يا لها من خربشة ! ... لقد كانت يدي ترتجف الى حدٍ استحالَ عليّ معه الاستمرار في الكتابة ، والآن انا آسفة حتى على أني حاولت الكتابة. واملي اليوم أن اكتب بصورة أوضح ، لأني لست بعد في الفراش ، بل على كرسي جميل صغير ناصع البياض.

٢١ – عرفان بالجميل

يا أمي ، اني أشعر تماماً بأن كل ما أقوله لكِ لا تناسقَ فيه. ولكنني أشعر أيضا بحاجة ، قبل ان اكلمّك على الماضي ، الى الإفضاء اليك بمشاعري الحَاضرة ، لأني أخشى أن أنساها فيما بعد. اريد اولاً ان اعبرّ لك عن تأثُّري الشديد بكل ما أبديته نحوي من الألطاف الوالدية. آه ، صدّقيني ، يا أمي الحبيبة ، إن قلب ابنتِكِ مفعَمٌ بالعرفان بالجميل ، ولن ينسى أبداً ما هو مَدينٌ لكِ به...

٢٢ – مريضة طيلة حياتي

يا أماه ، إن ما يؤثِّر فيَّ فوقَ كل شيء هو التساعية التي تقومين بها الى سيدة الانتصارات ، والقداديس التي تُوصين بإقامتها لنيل شفائي. أشعر بأن جميع هذه الكنوز الروحية تسبّب خيراً عظيماً لنفسي. وكنتُ أقول لك ، يا أمي ، في بداية التساعية ، إن على العذراء القديسة أن تشفيني أو أن تأخذني الى السماء ، لأني كنت أجد مبعث كآبة لكِ

وللجماعة الاهتمامَ براهبة شابة مريضة. أما الآن، فإني راضية بأن أكون مريضة طيلة حياتي، اذا كان الأمر يَرضي عنه الله، بل ارضى حتى بأن تكون حياتي طويلةً جدا. والنعمة الوحيدة [٨ ش] التي أتمنّاها هي أن يحطِّم الحبُّ حياتي. †

٢٣ - لا أكره الجهاد

آه! كلّا! لستُ خائفةً من حياةٍ طويلة ولا ارفض الجهاد، لأن **الربّ صخرتي حيث رُفِعْتُ، وهو الذي يعلّم يديّ القتال وبناني الحرب... هو مجنّي الذي اعتصمُ به** (مزمور ١٤٣/١-٢). ولذا لم ألتمس قط من الله أن أموت في ربيع العمر، مع أني، في الحقيقة، رغبت دوماً في أن تكون تلك إرادته. وغالباً ما يكتفي الرب بشوقنا الى العمل في سبيل مجده. وانتِ تعلمين، يا أمّي، أن رغباتي كبيرةٌ جداً. كما تعلمين أيضاً أن يسوع قد قدّم لي أكثر من كأسٍ مُرّة أبعدَها عن شفتيَّ قبل أن أشربها، ولكن ليس قبل أن يجعلني أتذوّق مرارتها.

٢٤ - لم آتِ لأعيش مع اخواتي

أمي الحبيبة، لقد أصابَ الملكُ داود القديس حينما تغنّى قائلاً: **ما أطيبَ وما ألذ أن يسكنَ الأخوةُ معاً في وحدة كاملة** (**مزمور** ١٣٢/١). أجل، غالباً ما شعرت بذلك، إلا أن هذه الوحدة لن تتمّ على الأرض الا وسط التضحيات. فأنا لم آتِ الى الكرمل لأعيشَ مع أخواتي، بل لألبّي نداء يسوع ليس إلا. آه! كان قلبي يحدِّثني أن العيش مع أخواتي سيكون لي سببَ ألم مستمرّ، حينما لا نريد أن نترك للطبيعة شيئاً. كيف يمكن الزعم أن الابتعاد عن الاهلَ هو أقربُ الى الكمال؟... وهل يُلام الاخوة يوماً على نزولهم الى المعركة في ميدان واحد او على الاسراع معاً لنيل سعفة الاستشهاد؟...[٩ ي] لا ريبَ في صوابِ حكمهم على أن هؤلاء الاخوة كان يشجّع بعضُهم بعضاً، وأن استشهاد الواحد منهم قد أصبحَ آستشهاداً لجميعهم. كذلك الشأنُ في الحياة الرهبانية التي يسمّيها اللاهوتيون استشهاداً فإن القلبَ اذ يعطي ذاته، لا يفقد حنانه الطبيعي، بل على العكس، فإن هذا الحنان ينمو ويصبحُ اكثر صفاءً واكثر ألوهيّة.

أمي الحبيبة، إني بهذا الحنان أحبّكِ وأحبُّ أخواتي، وأنا سعيدة بأن أجاهدَ مع أسرتي لمَجد ملك السموات. ولكني على آستعداد أيضاً للإسراع الى ساحة معركة

أخرى ، اذا أبدى لي القائد الالهي رغبته في ذلك. ولن أحتاجَ الى أمر صريح ، بل حسبي نظرة بسيطة أو إيماءة منه فقط.

٢٥ - قبول الافتراق

ومنذ دخولي الفُلك المبارك ، ما فتئتُ أفكر في أنه اذا لم يأخذني يسوع الى السماء بسرعة ، فسيكون مصيري مصيرَ حمامة نوح الصغيرة. فقد يفتح الرب يوماً نافذة الفلك ويوعز اليَّ بالطيران بعيداً ، بعيداً جداً ، الى شواطئ الكفَرَة ، حاملةً اليها غُصْنَ الزيتون الصغير. أمّاه ! إن هذه الفكرة قد رفعتْ نفسي وجعلتني أحلّق فوق كلِّ المخلوقات. لقد أدركتُ أن الكرملَ نفسه لا يخلو من فراقات ، وأن الاتحاد لن يكون كاملاً وأبدياً الا في السماء. فأردت عندها أن تسكنَ نفسي في السماوات ، والا تنظرَ الى شؤون الأرضِ إلا عن بعد. ورضيتُ ليس بالنفي الى شعبٍ غريب فحسب ، بل بما كان أشدَّ مرارة عليَّ من ذلك ، وهو أن أقبل النفي [٩ ش] لأخواتي أيضاً.

٢٦ - قبول كل شيء

ولن أنسى ابداً اليوم الثاني من آب / اغسطس سنة ١٨٩٦ ، وهو اليوم المصادف لانطلاقة المرسَلين [٨]. فقد دار بحثٌ جدّي حول إرسال الأم أنييس ليسوع. آه ! ما كنت اريد قط القيام بأيِّ حركة لمنعها من الذهاب ؛ ومع ذلك ، كنت اشعر بحزنٍ عميق في قلبي ؛ فكنت أجد أن نفسها الحسّاسة والرقيقة جدّاً ، لم تكن مصنوعةً لكي تعيشَ بين نفوس غير قادراتٍ على فهمها. وكانت آلاف الأفكار غيرها تتزاحمُ في ذهني ، ويسوع ظلّ صامتاً دون أن يأمر العاصفة ... وكنتُ أقول له : يا الهي ، إني أقبل كلَّ شيءٍ لأجل حبِّك. فإن أردتَ ، فأنا راضية بأن أتألّم حتى الموت حزناً. واكتفى يسوع بهذا القبول. ولكن ، بعد بضعة أشهر ، ورد الحديث عن ذهاب الأخت جنفياف والاخت ماري للثالوث. فألمّ بي نوعٌ آخر من الألم الحميم والعميق جدّا. فكنت أتخيَّل كلَّ انواع المحن والخيبات التي ستعانيان منها. وبكلمة ، لقد كانت سمائي مكفهرّةً بالغيوم ... عمقُ قلبي وحده ظلّ في هدوءٍ وسلام.

٢٧ - أشواق رسولية

أمي الحبيبة ، لقد عرفتْ فطنتُك كيف تكتشف إرادة الله. وبوحْيٍ منها حظَّرتِ على

---

(٨) يوافق انطلاق الاب رولان الى الصين من مرسيليا (م).

مبتدئاتك التفكير الآن في مغادرة مهد طفولتهنّ الرهبانية. على أنك كنتِ تُدركين تطلّعاتهنّ، بما أنك، أنتِ ذاتك، يا أمّي، كنتِ في شبابك قد التمستِ الذهابَ الى سايغون. وهكذا، فغالباً ما تجد أشواقُ الأمهات صدىً لها في نفوس [١٠ ي] بناتهنّ. يا أمّي الحبيبة، إن رغبتك الرسولية، كما تعلمينَ، تجد في نفسي صدىً أميناً لها. فدعيني أُسِرُّ اليك لماذا رغبتُ وما زلتُ أرغب، إن منَّت العذراء القديسة عليّ بالشفاء، في الذهاب الى أرض غريبة ومغادرة هذه الواحة العذبة حيث أحيا في منتهى السعادة تحت نظركِ الوالدي.

٢٨ - هنا انا محبوبة

لقد قلتِ، لي يا أمي، إنَّ العيش في اديار الكرمل، في الخارج، يقتضي دعوةً خاصةً جدّاً. وهناك نفوسٌ كثيرة تعتقد، عن غير حقّ، أنها مدعوةٌ الى هذه العيشة؛ وقد قلتِ لي أيضا إنني مدعوة اليها، وإن صحّتي هي الحائل الوحيد دون تلبيتها، وانا أعلم أن هذا العائق يزول سريعاً لو كان الله يدعوني الى البعيد؛ ولهذا فأنا أعيش من دون ايِّ قلق. ولو وجب عليّ يوماً أن أغادرَ كرملي العزيز، آه! لما غادرتُه بدون جراح. فلم يهبْ لي يسوع قلباً عديمَ الاحساس. وبما ان قلبي قادر على آحتمال الألم، فانا اشتهي أن يمنحَ يسوعَ كلَّ ما يستطيع ان يمنحه. هنا، يا أمي الحبيبة، أعيشُ ولا تُحرجني ابداً شؤون الارض البائسة. فليس لي إلا أن أقومَ بالمهمّة الخفيفة والسهلة التي أوكلتِها إليّ. هنا، تغمرني رعايتك الوالدية، ولا اشعر بالفقر، اذ لم ينقصْني شيءٌ قط. وهنا أنا محبوبة. فأنتِ تحبّينني، وكذلك جميعُ الأخوات؛ وهذه العاطفة حلوةٌ جدّا على قلبي. لهذا فأنا أحلم بديرٍ أكون فيه شخصاً غيرَ معروف، حيث يترتّب عليّ أن أعانيَ الفقرَ وغيابَ العاطفة، وغربة القلب. +

٢٩ - عارفة بعجزي

آه! إني إذا تركتُ كلّ ما هو عزيز عليّ، فليس بقصد ان اؤدّي خدمةً للكرمل الذي [١٠ ش] يرضى بقبولي. لا شكّ في أني سأعمل كلّ ما يتعلّق بي؛ ولكني عارفة بعجزي، وأعلم أني ولو بذلت غاية جهدي، لما توصّلتُ الى العمل المتقن، لأني، كما قلتُ قبل قليل، لا معرفةَ لي بشؤون هذه الأرض. إنما غايتي الوحيدة تتميمُ إرادة الله تعالى + والتضحية بذاتي لاجله بحسب الطريقة التي ترضيه.

٣٠ – الألم الخالص

وأشعر بأني لن يَخيبَ أملي أبداً. فاذا ما توقّع المرءُ ألماً خالصاً لا يخالطه شيء، أصبحَ له أقلُّ فرح مفاجأةً غيرَ متوقَّعة. وتعلمين يا أمي، أن الالم ذاته يُضحي أعظم الأفراح حينما يسعى اليه الانسان كأنفَس الكنوز.

٣١ – الكأس حتى الثمالة

آه! كلا، إني لا أتمنّى المغادرة بغية التنعّم بثمرة أعمالي. ولو كان ذلك قصدي، لما شعرتُ بهذا السلام الهادئ الذي يغمرني، ولتألّمتُ حتى لعدم آستطاعتي تحقيق دعوتي الى الرسالات البعيدة. إني منذ أَمدٍ بعيد لم أَعدْ مُلكاً لذاتي؛ لقد وهبتُ ذاتي بكلّيتها ليسوع. فهو، إذاً، حرٌّ يتصرّف بي كما يشاء. وقد أولاني الميلَ الى الغربة الكاملة، وأطلعني على جميع الآلام التي قد ألاقيها فيه، وسألني هل أنا راضيةٌ بشرب هذه الكأس حتى الثمالة. فأردتُ في الحال تناولَ هذه الكأس التي كان يسوع يقدّمها لي. أما هو، فقد استرجع الكأس وأفهمني أن مجرَّدَ قبولها يُرضيه.

٣٢ – نذر الطاعة

[١١ ي] يا أمي، ما اعظم الهمومَ التي ننجو منها بابراز نذر الطاعة! وما أَسعدَ الراهبات العادّيات! فبُوصَلتُهنّ الوحيدة إرادةُ الرؤساء: إنهنّ دوماً على يقين من كونهنّ في الطريق القويم، ولا خوفَ عليهنّ من الغلط، حتى لو بدا لهنّ أن الرؤساء على خطأ. ولكن حينما يتوقّف الانسان عن النظر الى البوصلة المعصومة، وعندما يحيد عن الطريق الذي جاهرَ باتّباعه، متذرّعاً بتتميم إرادة الله الذي قد لا ينير حسناً أولئك الذين ينوبون عنه، ففي الحال تضلُّ النفس في دروبٍ قاحلة، يُعوِزُها فيها ماءُ النعمة.

٣٣ – احتمال عبء الطاعة

أمي الحبيبة، أنت هي البوصلة التي أعطانيها يسوع لتقودَني الى الشاطئ الابدي بأمان. ويا ما أَعذب على قلبي أن أُحدِقَ اليكِ وأكمّلَ بعدئذ إرادة الرب! فمنذ أن سمحَ بأن أعانيَ تجاربَ ضدَّ الايمان، قد أنمى كثيراً في قلبي روحَ الايمان الذي جعلني أرى فيك، لا أُماً تحبّني وأحبّها فحسب، بل، خاصةً، مَن تجعلني أرى يسوعَ الحيَّ في نفسك، وهو يُبلِّغني إرادته بواسطتك. إني أعلم جيّدا، يا أمي، أنك تعاملينَني كنفسٍ ضعيفة، وكابنةٍ مدلّلة، لذا فلا يصعبُ عليَّ احتمالُ عبء الطاعة. ولكن يُخيَّلُ إليّ،

حسبما أشعر به في أعماق قلبي، بأني ما كنتُ لأبدّلَ سلوكي، ولا يشوبُ حبّي لك أيُّ انتقاص، لو [**١١ ش**] انك أردتِ أن تعامليني بجفاء. لأني كنت سأرى أيضا أن إرادة يسوع هي التي تحدوك الى التصرّف هكذا، من اجل خير نفسي الأعظم.

٣٤ - ماهية المحبة

أمي الحبيبة، لقد منّ الله عليّ في هذه السنة بأن أفهم ماهية المحبة. صحيحٌ أني كنتُ أفهمها سابقا، ولكن بصورة ناقصة، اذ لم أكن قد تعمّقتُ في كلمة يسوع هذه: **والوصية الثانية تشبه الاولى: أحببْ قريبَك حبَّكَ لنفسك** (متى ٢٢/٣٩). فقد كنت أسعى خاصة الى حُبِّ الله. ومن خلال حبّي له، أدركتُ أن حبّي يجب أن لا يُترجَم بالاقوال فحسبُ. **لانه ليس مَن يقول لي: يا ربّ، يا ربّ، يدخل ملكوت السموات، بل من يعمل بمشيئة الله (متى ٧/٢١)**. وقد اظهر يسوع إرادته هذه مرّات عديدة، وأحرى بي أن أقول في كل صفحة من انجيله تقريبا. إلا أنه، في العشاء الاخير، عندما علم أن قلب تلاميذه يضطرم بحبٍّ شديد له، هو الذي بذل نفسه لاجلهم في سر أفخارستيته الفائق الوصف، أراد هذا المخلّص الوديع أن يعطيهم وصيةً جديدة. فقال لهم بحنانٍ يفوق الوصف: **اعطيكم وصيةً جديدة: أن يحبّ بعضُكم بعضا، وليكن حبّ بعضكم لبعض كما انا أحببتكم (يوحنا ١٣/٣٤-٣٥). والعلامة التي بها يعرف الناس جيمعا أنكم تلاميذي هي ان يحبّ بعضكم بعضا.**

٣٥ - حبّ يسوع لتلاميذه

[**١٢ ي**] فكيف أحبَّ يسوع تلاميذَه ولماذا أحبَّهم؟ آه! لم تكن صفاتُهم الطبيعية هي التي كانت لتستهويَه، فقد كان بينه وبينهم بونٌ غيرُ متناهٍ. كان هو العلم والحكمة الازلية، وكانوا هم صيادين مساكين وجَهَلةً مُشبعين أفكاراً أرضية. ومع ذلك دعاهم أصدقاءَه وإخوته، واراد أن يراهم يملكون معه في ملكوت ابيه. ولكي يفتحَ أمامهم باب هذا الملكوت، اراد أن يموت على الصليب، لأنه قال: **ما من حبّ أعظم من حبّ من يبذل نفسه في سبيل أحبائه (يوحنا ١٥/١٣)**.

٣٦ - المحبّة الكاملة

أمي الحبيبة، عندما تأملتُ في كلمات يسوع هذه، فهمتُ كم كان حبّي لأخواتي ناقصاً. ورأيتُ أني لم أكن أُحبهنَّ كما يحبُّهنَّ الله تعالى. آه! لقد ادركتُ الآن أن المحبة

الكاملة تقوم على احتمال نقائص الآخرين وعدم استغراب ضعفهم، والاقتداء بأدنى أفعالِ فضيلةٍ نراهم يمارسونها. وبالأخص، فهمتُ أن المحبّة يجب ألا تبقى محبوسةً في أعماق القلب. فقد قال يسوع: **لا احد يُوقِدُ سراجاً ليضعه تحت المكيال، ولكن على المنارة، ليضيءَ لجميع الذين هم في البيت (متى ٥/١٥)**. يبدو لي أن هذا السراج يرمز الى المحبة التي يجب أن تُنير وتُبهجَ ليس أحبَّ الناس اليّ فحسب، لكن جميعَ الذين هم في البيت، دون آستثناء أحد.

٣٧ – الوصية الجديدة

فعندما أمر الربُّ شعبه بأن يحبَّ كلٌّ منهم قريبه [**١٢ ش**] مثلَ نفسه، لم يكن يسوع يومئذ قد جاء الى الأرض. وقد كان يعلم حقَّ العلم ايضاً مدى محبّة الانسان لذاته، فلم يكن بوسعه أن يطلبَ من خلائقه محبَّةً أعظم للقريب. ولكن لما أعطى يسوع رسلَه وصيةً جديدة، أي وصيتَهُ الخاصة به، كما يذكر لاحقاً، لم يُوصِهم بحبِّ القريب كحبِّهم لنفسهم فقط، بل أن يحبّوه كما يحبُّه هو، اي يسوع، وكما سيحبُّه الى منتهى الاجيال...

٣٨ – محبّة المسيح فيَّ

آه! يا رب، أعرف أنك لا تأمر بما هو مستحيل، فإنك أدرى مني بضعفي ونقصي. وتعلم جيداً أني لن أستطيعَ ابداً أن أحبَّ أخواتي مثلما تحبُّهنّ أنت، ما لم تحبهنَّ أنت نفسك فيّ، يا يسوعي. فإنك لم تُعطِ وصيةً جديدة إلا لأنك تريد أن تمنحني هذه النعمة. آه، ما أشدّ حبّي لهذه الوصية لكونها توليني الضمانة بأنَّ إرادتك هي أن تُحِبَّ فيّ جميعَ الذين تأمرني بأن أحبَّهم!...

٣٩ – عدم الادانة

أجل، إني أشعر بأني عندما أكون مُحِبّةً، يكون يسوعُ وحدَه الفاعل فيّ. وكلما آزداد اتِّحادي به، زادت محبّتي لجميع أخواتي. وحينما أريد إنماءَ هذا الحبّ فيّ، ولا سيما حينما يحاول الشيطان أن يضع نصب عينَيَّ نقائصَ هذه الاخت او تلك التي لا أستلطفها كثيراً، أبادر الى البحث عن فضائلها وميولها الحسنة، وأقول لنفسي إني إذا ما رأيتها تسقط مرةً، فقد تكون في المقابل قد حقّقت عدداً كبيراً من الانتصارات [**١٣ي**] التي تُخفيها تِواضعاً؛ وإن ما يبدو لي هفوةً قد يكون من حيث النية فعلَ فضيلة. ولا اجد

صعوبةً في إقناع نفسي بذلك، لأني قمت ذات يوم بخبرة صغيرة برهنت لي عن وجوب تجنّب الحكم على احد. وقد جرى الأمر في أثناء الفرصة، قرعت الاخت البوابة مرتّين، وكان يجب أن نفتح باب العمّال الكبير لادخال أشجار مخصّصةٍ بإقامة المغارة. ولم تكن الفرصة مَرِحةً بسبب غيابك عنها، يا أمي الحبيبة. ولهذا كنت أفكّر في أنني سأكون مسرورةً لو أُرسلتُ للقيام بدور المرافقة. واذا بالام نائبة الرئيسة توعز اليَّ بالقيام بهذه المهمة، أو بأن تقوم بها الاخت التي كانت بجانبي. فشرعت حالاً بنزع مريولي؛ إلا أنني فعلت ذلك بتباطؤ لأُفسِحَ في المجالَ لرفيقتي كي تنزع مريولها قبلي، لاعتقادي أني سأُفرِحَها إذا تركتُ لها دور المرافقة. وكانت الأخت نائبة الوكيلة تنظر اليّ وهي تضحَك اذ رأتني أنهض الأخيرة، ثم قالت لي: «كنتُ على صواب اذ فكّرتُ في أنك لن تعملي على إضافة هذه اللؤلؤة الى إكليلك. فما كان أبطأَك في النهوض...»

٤٠ - انخداع الناس

وبالتأكيد، فقد اعتقدت الجماعة كلّها اني فعلتُ ذلك بحسب طبعي، ولا يسعُني أن أُبيّنَ كم أفادَ نفسي أمرٌ طفيفٌ مثل هذا وجعلني متسامحةً تجاه أوهان الآخرين. وهذا الأمر يمنعني أيضاً من أن أعجَبَ بذاتي حينما يُثنى عليّ، لأني أقول في نفسي: بما انهم يتّخذون أفعال فضائلي الصغيرة عيوباً، فبوسعهم كذلك [**١٣ ش**] ان ينخدعوا حينما يعتبرون فضيلةً ما ليس بالحقيقة الا نقيصة. واقول اذ ذاك مع القديس بولس: **اما انا فلا يهمّني كثيراً أن تدينني محكمة بشرية، بل لا أدين نفسي... وانما ديّاني هو الربّ (١ قور ٤/٣-٤)**. فلكي أجعل هذا الحكم لصالحي، او بالاحرى لكي لا أُدانَ البتة، اريد ان تكون دوماً افكاري افكارَ محبّة، لأن يسوع قال: **لا تدينوا، فلا تُدانوا (لوقا ٦/٣٧)**.

٤١ - صعوبة الممارسة

يا اماه، حينما تقرئين ما كتبتُه الآن، قد تعتقدين أن ممارسة المحبّة ليست صعبةً عليّ. صحيح أني، منذ بضعة اشهر، لستُ بحاجة الى الصراع من اجل الفضيلة الجميلة. ولا اعني بهذا أنه لا يحصل لي أن أسقطَ في هفوات. آه! اني على درجةٍ من النقص أكبر من ان امتنع عن ذلك. ولكنني لا يكلّفني كثيراً النهوضُ عند سقوطي، لاني قد حزتُ النصرَ في جهاد ما. لذا فإن القوات السماوية تأتي الآن لنجدتي، اذ لا يمكنها ان تتحمّل رؤيتي مغلوبةً بعد ان كنت منتصرةً في الحرب المجيدة التي سأحاول وصفها.

٤٢ – طريقة المحبّة الفاعلة

هناك في جماعة الدير أختٌ موهوبة بإزعاجي في كل الامور. فكانت تصرّفاتها وأقوالها وطبعها تبدو لي مزعجةً جدّاً. ومع ذلك فهي راهبةٌ قديسة ولا بد أنها مرضية لدى الله ؛ واذ لم أشأ الاستسلام الى الكراهية الطبيعية التي كنت أشعر بها تجاهها ، قلت في نفسي ان المحبّة يجب الا تقوم على المشاعر ، وانما على الاعمال. عندها [١٤ ي] سعيتُ جهدي لكي اعمل لهذه الاخت ما كنت سأفعله لأحبِّ شخصٍ لديّ. فكلّ مرة كنتُ ألتقيها ، كنتُ اصلي الى الله من اجلها ، وأقدّم له جميعَ فضائلها واستحقاقاتها. وكنتُ أشعر بأن ذلك يرضي يسوع ؛ فليس من فنّان لا يحبّ تلَقّيَ الثناءَ على أعماله. ويسوع ، فنّان النفوس ، هو سعيد حينما لا نتوقف عند الظاهر ، بل ننفذُ الى المقدس الحميم الذي اختاره له مسكناً ، ونُعجَبُ بجماله. ولم اكن اكتفي بالاكثار من الصلاة لاجل تلك الاخت التي كانت تسبّبُ لي كلَّ هذا الصراع ، بل كنت احاول أن أؤدّيَ لها جميع الخدمات الممكنة. وعندما كانت تراودني تجاربُ الردِّ عليها بجوابٍ جاف ، كنت أكتفي بأن أبتسمَ لها أَعذب ابتسامة ، وأسعى الى تغيير مجرى الحديث. فقد قيل في كتاب **الاقتداء** : «أن ندَعَ كلَّ امرئ في ما يشعر خيرٌ من التوقّف على المنازعة».

٤٣ – التغلّب على النفور

وغالباً ، عندما كنت أتغيّب عن الفرصة ، (وأقصد خلال ساعات العمل) وتضعني علاقات الخدمة على درب هذه الاخت ، وعندما تصبحُ صراعاتي بالغةَ العنف ، كنتُ أهرب مثل جندي فار. وبما انها كانت تجهل تماماً ما كنت أشعرُ به نحوها ، فلم تشكّ يوماً في دوافع سلوكي هذا ، وظلّت متيّقنة من أن طبعها يُرضيني. وذات يوم ، في أثناء الفرصة ، وجّهتْ اليَّ ما يقارب هذه الكلمات ، وهي بغاية السرور: «هلّا قلتِ لي ، يا أختي تريز الطفل يسوع ، ما الذي يجتذبك اليّ الى هذا الحد؟ فكلّ مرة تنظرين اليّ ، أراك تبتسمين؟». آه ! إن الذي كان يجتذبني هو يسوع الكَامن في عمق نفسها ... يسوع الذي يحوّل الى عذوبة ما هو أشد مرارة. فأجبتُها اني كنت ابتسم لكوني مسرورةً برؤيتها (وطبعاً لم اكن أضيف ان الأمر كان من الوجهة الروحية).

٤٤ – مثال على الفرار

[١٤ ش] امي الحبيبة ، لقد قلتُ لك ان وسيلتي الاخيرة كي لا أُهزمَ في المعارك ، هي الفرار ، وقد كنتُ استعمل تلك الوسيلة في ايام الابتداء ، وقد نجحتُ فيها نجاحاً تامّاً.

وأريد يا أمي، أن أرويَ لك مثالاً لا بد من انه سيجعلك تبتسمين. خلال احدى إصاباتك بنزلة صدريّة، جئتُ ذات صباح على مهل لكي أُعيدَ اليك مفاتيحَ شعريّة المناولة، اذ كنتُ آنئذ واهفةً (٩). وفي الحقيقة، لم اكن منزعجةً من أن تُتاحَ لي هذه الفرصة لأراك. بل كنت سعيدةً جدّاً لكنّي كنتُ احذر من إظهار ذلك. وكان ثمّة أختٌ، تدفعها غيرةٌ مقدسة، ومع ذلك كانت تحبّني كثيراً؛ فحينما رأتني أدخل اليك، يا امي، ظنَّتْ أني سأوقظك. فأرادت ان تأخذ منّي المفاتيح. الا أني كنتُ أدهى من أن أُسلِّمها المفاتيحَ وان أَتنازل عن حقوقي. فقلت لها بكل تأدبٍ إني كنتُ أرغب مثلها تماماً في عدم إيقاظك، وإن إعادة المفاتيح أمرٌ يعود إليّ... وإني أدركُ الآن أنه كان من الأفضل والأكمل ان أتنازل لهذه الاخت التي، مع كونها شابةً، كانت أَقدمَ منّي. وما كنتُ لأدركَ الأمر آنذاك. لهذا فقد أصررتُ على الدخول في إثرها، بالرغم منها، وهي تدفع الباب لمنعي من المرور. وسرعان ما حلّت المصيبة التي كنا نخشاها: فالضجة التي أحدثناها جعلتكِ تفتحين عينيك... عندها، يا امي، وقعَ الذنبُ كلّه عليّ، وأخذت الاختُ المسكينة التي قاومتُها تروي حديثاً مفاده ان الأخت تريز الطفل يسوع هي التي أحدثت الضجة... يا الهي! كم هي مزعجة... الخ. [١٥ ي] وانا التي كانت تشعر بخلاف ذلك، كنت راغبةً جداً في الدفاع عن نفسي. ولكن لحسن الحظ، جاءتني فكرةٌ مشرقة، فقلت في نفسي: لا شكّ في إني إذا شرعتُ بتبرير ذاتي فلن استطيع المحافظة على سلام نفسي. ومن جهة اخرى، كنتُ اشعر بان فضيلتي أضعفُ من أن أتقبّلَ التهمة دون أن أنبسَ ببنت شفة. فكانت دفّة نجاتي الأخيرة الهرب. وما إن فكّرتُ في الأمر حتى أنجزتُه، فانسحبتُ بلا طبل وزمر، وتركتُ الاختَ تواصل حديثها الشبيهَ باللعنات التي استنزلتْها كاميل على روما (١٠). وكان قلبي يخفق بشدّة حتى تعذّر عليّ متابعة السير. فجلست على الدرج لكي أنعم بسلامٍ بثمار انتصاري. لم يكن في ذلك شيءٌ من الشجاعة، اليس كذلك يا امي الحبيبة؟ ولكنّي، مع ذلك، اعتقد انه من الأفضل الا نُعرِّض نفسنا للصراع اذا كان الفشل اكيداً؟

• ٤٥ – اعتبارات في المحبّة

للأسف، حينما أعود بالفكر الى زمن الابتداء، ارى كم كنتُ ناقصة... لقد كنتُ

---

(٩) أي خادمة الكنيسة (م).

(١٠) راجع مسرحية للشاعر الفرنسي كورنيل عنوانها هوراس (Horace) (م).

+ اتألّم لأبسط الأمور حتى إني أضحك منها الآن. آه! ما أطيب الربَّ الذي جعل نفسي تنمو وأولاها أجنحة!... فكلُّ شِباكِ الصيادين لن ترهبَني: **فانه باطلا تُنصَب الشبكة امام عيون الذين لهم أجنحةً** (**امثال** ١/١٧). ولاحقاً، سيبدو لي، بلا ريب، الزمانُ الذي انا فيه الآن محشوّاً بالنقائص. غير اني الآن لا استغرب ايَّ شيء، ولا يصعب عليّ ان أرى ذاتي بمثابة الضعف عينه. بل، على العكس، إني افتخر بهذا الضعف، وأتوقّع كلّ يوم أن أكتشف نقائصَ جديدةً في حياتي. واذ أتذكّر ان **المحبّة تستر جمّاً** [**١٥ ش**] **من الخطايا** (**١ بطرس** ٤/٨)، فاني استقي من هذا المَعين الخصب الذي فتحه يسوع امامي. وقد شرح الرب في الانجيل على ما تقوم وصيته الجديدة، فيقول القديس متى: **سمعتم انه قيل: أحببْ قريبك وأبغضْ عدوَّك. اما انا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وادعوا لمضطهديكم** (**متى** ٥/٤٣-٤٤). لا شك في أنه لا نجد الأعداء في الكرمل، ولكن هناك تعاطفات، فنشعر بانجذاب الى تلك الأخت، في حين ان تلك الاخرى تدفعكِ الى سلوك طريق طويلة تجنّباً للّقائها. وهكذا، دون ان تدري، تصبحين عرضة للاضطهاد. عندها يقول لي يسوع: عليكِ أن تحبّي تلك الاخت، وأن تصلي لاجلها، حتى وإن دفعني سلوكها الى الاعتقاد بأنها لا تحبّني: **فإن أحببتم من يحبّكم، فأيّ فضل لكم؟ لان الخاطئين أنفسهم يحبّون من يحبّهم** (**القديس لوقا** ٦/ ٣٢). والحبّ وحده لا يكفي، بل يجب تقديم البرهان عليه.

٤٦ - الإجابة الى طلب

بشكل طبيعي، يُسعدنا أن نقدّم هديةً لصديق، ونحبّ ان نفاجئ الآخرين. غير ان ذلك ليس هو المحبة، لان الخاطئين يفعلون ذلك ايضاً. وهاكِ ما يعلّمني يسوع ايضا: **من سألَكَ فأعطِهِ، ومن اغتصبَ مالك فلا تطالبه به** (**لوقا** ٦٢، ٣٠). فاذا أعطيتُ جميعَ اللواتي يسألنَني، فذلك أقل عذوبة من ان أعطيهن، بدافع من القلب. ولا يشقُّ العطاء اصلاً اذا جاء السؤال لطيفا. ولكن، اذا لم يستعمل السائل، لسوء الحظ، كلمات رقيقة، فإن النفس تثور حالا مالم تكن راسخةً في المحبة. وتجد ألف ذريعة لرفض [**١٦ ي**] ما يطلب منها، او انها تعطي السائلة طلبها تنازلاً، بعد ان تكون قد أقنعتها بخشونة سؤالها. او تقضي لها حاجة يسيرة قد تتطلّب من الوقت عشرين مرة أقلّ مما تصرفه في ابراز الحقوق الوهمية. فاذا كان من الصعب الإجابة الى أي سائل، فأصعبُ منه ايضاً أن يدعَ الآخر يأخذ مالَهُ دون المطالبة به. يا امي، قلت «إنه من

الصعب» ، كان ينبعي بالاحرى ان اقول ، «ذلك يبدو صعباً» **لان نير الرب طيب وخفيف (متى ١١، ٣٠)**، وعندما يرتضيه الانسان ، يشعر بعذوبته ويهتف مع صاحب المزامير: **أسرعتُ في طريق وصاياك حين شرحتَ قلبي (مزمور ١١٨/٣٢)**. والمحبّة وحدها تستطيع ان تشرحَ قلبي ، يا يسوع ، فمنذ ان التهمه هذا اللهيب العذب ، أُسرع بفرحٍ في طريق وصيتك الجديدة ... واريد ان اعدوَ فيه الى اليوم السعيد الذي فيه سأنضمُّ الى موكب العذارى ، فاستطيع ان أتبعك في الساحات اللامتناهية ، وانا أتغنى بنشيدك الجديد الذي يجب أن يكون نشيدَ الحبّ.

٤٧ - المطالبة بالضروري

كنت اقول: لا يريد يسوع أن أُطالب بما يخصّني. وكان ينبغي أن أجد هذا الأمر سهلاً وطبيعياً ، بما اني لا أملكُ شيئاً. لقد تخلّيتُ عن خيرات الارض بنذر الفقر. فلا يحقُّ لي اذاً أن أتذمَّر اذا ما أُخذَ مني شيءٌ يخصّني ، بل عليّ بالأحرى ان أفرحَ كلما قُيِّضَ لي أن أشعر بالفقر. في السابق كان يبدو لي اني غير متعلّقة بشيء. ولكنني منذ ان فهمت أقوالَ يسوع ، أراني مقصّرة [**١٦ ش**] جداً في بعض المجالات. مثلاً ، أعرف تماماً أن لا شيءَ يعود اليّ في عمل الرسم. ولكني ، اذا ما عكفتُ على العمل ، ورأيت الريشات والأصباغَ مبعثرة ، او لاحظتُ غيابَ مسطرةٍ او مبراة ، فيكاد ان يعيل صبري ، ويقتضي مني أن أمتلكَ زمام شجاعتي ، لكي لا أطالبَ بمرارة بالاشياء التي نقصتْ. ويترتبُ عليَّ احياناً طلبُ الامور الضرورية. ولكن حينما يُفعَلُ ذلك بتواضع ، فانه لا يخالفُ وصية يسوع ، بل بالعكس نتصرّف كالفقراء الذين يبسطون يدهم لكي يتلقّوا ما هو ضروري لهم. واذا زُجروا ، فلا يستغربون ، اذ ليس لهم على أحدٍ شيء. آه ! يا للسلام الذي يغمر النفس حينما تسمو فوق المشاعر الطبيعية ! ... فلا فرحَ يضاهي الفرح الذي يتمتّع به الفقير الحقيقي بالروح. واذا ما سأل بتجرّد شيئاً ضروريا ، ولم يُرفضْ له هذا الشيء فحسبُ ، بل حاولوا أخذَ ما لَهُ ايضا ، فانه بذلك يتبع مشورةَ يسوع الذي قال: **من اراد ان يحاكمك ليأخذ ثوبك ، فاتركْ له رداءَك ايضا (متى ٥/ ٤٠-٤٢)**.

٤٨ - التخلّي عن الحقوق

ان التخلّي عن الرداء هو ، على ما يبدو لي ، التخلّي عن آخر ما لنا من حقوق ، واعتبار الذات خادمةً وأمةً للآخرين. فعندما يُترك الرداء ، يصبح السيرُ والجريُ اسهلَ. لذا

أضاف يسوع: **ومن سخَّرك ان تسير معه ميلاً واحدا، فسِرْ معه ميلين ايضاً (متى ٥/ ٤١)**. وهكذا [**١٧ ي**] فلا يكفي ان أعطي كلَّ من يُطلب مني، بل عليَّ أن أستبق الرغائب، وأبدو في غاية الامتنان والفخر أن ألبّي خدمةً ما؛ واذا ما أخذَ أحدٌ شيئاً كان في تصرفي، فعليَّ الا أظهرَ آسفةً عليه، بل أن اكون، على العكس، سعيدةً لكوني تخلَّصتُ منه. أمي الحبيبة، إني أبعدُ من أن أمارسَ ما أفهمه، الا أن شوقي + وحده اليه يُوليني السلام.

٤٩ – محبة الأخوات

انا أشعر اليوم اكثر من الأيام الاخرى، بأني قد أسأتُ التعبير عن افكاري أيّما إساءة. فقد كتبتُ عن المحبّة نوعاً من خطابٍ قد أتعبتكِ، ولا شك، قراءته. فسامحيني، يا امي الحبيبة، وفكّري في أن الممرّضات يمارسنَ الآن تجاهي ما كتبتُه الآن إليكِ. فإنهن لا يخشَيْنَ من السير ألفَي خطوة حيث كان يكفي منها عشرون. لقد تمكَّنتُ هكذا من أن اشاهدَ ممارسة المحبّة. لا شك في ان نفسي ستكون معطَّرةً بها. اما فكري، فأقرُّ بانه على شيء من الشلل امام مثل هذا السخاء، وقلمي قد فقدَ شيئاً من خفّته. ولكي أتمكن من التعبير عن افكاري، عليَّ أن اكون مثل عصفور الدوري المستوحِد (**مزمور** ١٠١/ ٨)، ومن النادر أن احظى بذلك. فحينما ابدأ وأمسك بالقلم، اذا بأُخت طيّبه تمرّ بقربي والمذراة على كتفها. وتعتقد انها تسلّيني بالتحدُّث اليَّ عن التبن والبط والدجاج وعن زيارة الطبيب، ويدور الحديث عن كلّ ذلك. في الحقيقة إن هذا لا يدوم طويلا. الا أن هناك اكثر من اختٍ مُحِبّة واحدة. فاذا باخرى مجفِّفة الاعشاب تضع ورودا فوق ركبتيّ، معتقدة انها ستلهمُني بذلك أفكاراً شعرية. اما انا التي لا تبحث [**١٧ ش**] الآن عن الازهار، أفضّل أن تظلَّ الازهار متأرجحةً فوق سيقانها. واخيراً، بعد ان أتعبَ من فتح هذا الكرّاس الشهير وغَلقِه، افتح كتاباً (لا يريد ان يبقى مفتوحاً)، واقول بعزم إني أَنسخ افكاراً من **المزامير** ومن **الانجيل** لعيد أمنا. إن هذا لصحيح، لأني لا اقتصد في سرد الاستشهادات... اميّ الحبيبة، أظن أني سأمتّعك اذا رويتُ لك جميع قصصي في غابات الكرمل الصغيرة. ولا ادري إن تمكّنتُ من كتابة عشرة سطور دون أن يزعجني احد. ولم يكن من شأن ذلك ان يُضحكني، او ان يُسلّيني. ولكنّي، حباً بالله وباخواتي (المُحِبّات لي جدّاً)، أحاول أن أتظاهرَ بالسرور، ولا سيّما أن أكون كذلك حقاً...

٥٠ - تدخّل راهبة

انظري، ها هي مجفِّفة اخرى تبتعد بعد ان قالت لي بنبرة تنمُّ عن شفقة:

- اختي الصغيرة المسكينة، لا بدَّ من أن الكتابة هكذا طوال النهار تتعبُكِ.

فأَجبتها: «اطمئنّي، أبدو وكأني أكتب كثيرا، ولكنّي، بالفعل، أكاد لا أكتبُ شيئاً».

فقالت لي بنبرة المطمئن:

- «نعمَ الأمر!» ثم أضافت: «سيّان عندي، فانا جدّ مسرورة أن اعمل في تجفيف الاعشاب، فإن ذلك يوفّر لنا بعض التسلية». وبالحقيقة، إنها تسلية كبيرة لي (عدا عن زيارات الممرضات) بحيث اني لا أكذب بقولي اني لا أكاد اكتب شيئاً.

٥١ - المحبّة الروحية

ولحسن الحظ اني لا افقد شجاعتي بسهولة. ولكي أبيّن لك ذلك، يا امي، سأكملُ لك شرحَ ما جعلني يسوع أفهمه بشأن المحبة. فإني لم أحدِّثْكِ بعدُ الا عن الظاهر. اما الآن فأحبُّ أن أُوْدِعَكِ كيف أفهمُ [١٨ ي] المحبّة الروحية الخالصة. وانا متأكدة تماماً من اني لن أتأخر عن المزج بين الواحدة والاخرى، ولكن، يا امي، بما اني أوجّه الكلامَ اليكِ، فمن المؤكد انه لن يصعبَ عليك إدراكُ فكرتي وحلُّ عُقدة ابنتك.

٥٢ - الممارسة الحرفية والإقراض

ليست ممارسة أقوال الانجيل بحرفيّتها ممكنةً دائماً في الكرمل. فنضطرّ احياناً، بسبب المهام الخاصة، إلى رفض خدمة ما. ولكن، عندما تمدّ المحبة جذورها العميقة في النفس، فانها تظهر الى الخارج. وهناك طريقةٌ لطيفة جدّاً لرفض ما لا يسعُنا اعطاؤه، حتى إن الرفضَ عندها، كما العطاء، يُولي ذات القدر من الرضى. ولا غروَ ان الانسان يكون اقلَّ حرَجاً عندما يطلب خدمةً من أخت مستعدة دوما للتلبية. الا أن يسوع قد قال: **ومن استقرضَك فلا تُعرضْ عنه (متى ٥/٤٢)**. وهكذا، بحجّة الاضطرار الى الرفض، يجب ان لا نتجنَّب الاخوات اللواتي تعوَّدن طلبَ الخدمات بشكل دائم. كما انه لا يجوز اصطناعُ المعروف بغيةَ الظهور او على أمل ان تبادلني الاخت التي لبيَّتُها بدورها، مرة أخرى. لان الربّ قال ايضاً: **اذا أَقرضتُم مَن ترجون ان تستوفوا منه، فأيُّ فضل لكم؟ لان الخاطئين أنفسهم يُقرضون الخاطئين ليستوفوا منهم بالمثل. اما انتم، ... فأحسنوا وأقرضوا غير راجين شيئاً، فيكونَ أجركُم عظيما (لوقا ٦/ ٣٤-٣٥)**. اجل، عظيم هو الأجر،

حتى على الأرض ... وفي هذا الخط، الخطوة الاولى وحدها تكلّف. لا شك في ان الإقراض دون ترجّي شيء، يبدو صعباً على الطبيعة. وإننا نؤثر العطاء، لان الشيء الموهوب [١٨ ش] لا يعود مُلكَ صاحبه. فحينما تأتي أختٌ وتقول لكِ بلهجة المقتنع: «يا أختي، اني بحاجة الى مساعدتك لبضع ساعات. ولكن إطمئنّي، فقد استأذنتُ أمّنا، وسأردُّ لكِ الوقت الذي تعطينه لي، لأني اعلم كم انتِ مشغولة». وبالفعل، عندما يعرف المرء بالتأكيد ان الوقت الذي يقرضه لن يُردَّ، فانه ليفضِّل أن يقول: «إني أهبُه لك». وهذا من شأنه أن يُرضي الغرور، لأن العطاء فعلٌ أسخى من الإقراض، وهكذا نُشعِرُ الأخت بأننا لا نعتمد على خَدَماتها ... آه! ما أبعد الشقّة بين تعاليم يسوع ومشاعر الطبيعة. فبدون معونة نعمته، يستحيل ليس، فقط، وضعُها موضعَ التنفيذ، بل فهمُها ايضاً.

الفصل الحادي عشر
خواطر رهبانية

١ ـ أُواصل بالطاعة

يا أماه، لقد أنعمَ يسوعُ على ابنتك بأن جعلَها تسبرُ أغوارَ المحبة السرية. ولو كان بوسعها أن تعبِّرَ عما تفهم، لسمعتِ نغماتٍ سماوية. ولكن للأسف! لا أملك سوى تأتآتِ أطفال أُسمِعُكِ إياها ... ولولا اني أستند إلى أقوال يسوع ذاتها، لراودتني فكرةُ الاعتذار منك ورمي القلم ... ولكن لا! عليّ أن أواصل بالطاعة ما بدأتُه بالطاعة.

٢ ـ التخلي عن خيرات السماء

يا أمي المحبوبة، كنت أكتبُ البارحة ما يلي: بما ان خيرات الأرض ليستْ ملكاً لي فيجب ألّا أجدَ صعوبةً في عدم المطالبة بها، اذا ما أُخذَتْ مني أحياناً. اما خيرات السماء فأنا اقلّ تملّكاً لها. لقد أقرضني الله إياها وبوسعه أن يستردَّها [١٩ ي] منّي، ولا يحقّ لي أن أتشكّى. إلّا ان الخيرات التي تأتي من الله مباشرة، مثل وثبات العقل والقلب والأفكار العميقة، فكل ذلك يكوّن ثروةً يتعلّق بها المرء تعلّقَه بمالٍ خاصّ به، ولا يحق لأحد أن يمسّه. فمثلاً، اذا كشفتُ، بإذنٍ، لإحدى الأخوات نوراً تلقَّيتُه في أثناء التأمل، فكشفتْ هذه الأختُ بعد قليل لأخرى ما تلقّتْه، وكأنَّه ثمرةُ تفكيرها الشخصي، يبدو

لي أنها تأخذ ما ليس لها . او إذا همستُ في أثناء الفرصة لرفيقتي نكتةً ملؤها المرح ومناسبة ، وأعادتها هذه الرفيقة بصوتٍ عالٍ دون أن تعرّف بمصدرها ، فهذا أيضاً يبدو اختلاساً من المالكة التي لا تطالبُ به ، ولكنّها تتمنّى لو تفعل ذلك ، وستنتهزُ أوَّلَ فرصة لكي تُطلعَ الآخرين بلباقة على ان أفكارها قد اغتُصبت .

٣ ـ الحرّية الروحية

يا أمي ، ما كنتُ أستطيع التعبيرَ لك بهذا الوضوح عن مشاعر الطبيعة السيئة هذه ، لو لم أكن قد شعرتُ بها في قلبي . ولكم أفضّل أن أقنع نفسي بهذا الوهم العذب بأن مثل هذه المشاعر لم تخالجْ قلبَ غيري ، لو لم تأمريني بالاستماع إلى تجارب مبتدئاتك الصغيرات الحبيبات . لقد تعلّمتُ الكثير من قيامي بالمهمّة التي عَهدتِ بها اليّ ، ولاسيما أنني وجدتُ نفسي مضطرَّة إلى ممارسة ما كنتُ أُعلِّمُهُ للآخرين . ولذا بوسعي الآن ان أقول إن يسوع أَنعم عليّ بألّا أكون أكثر تعلّقاً بخيرات الروح والقلب منّي بخيرات الأرض . واذا ما اتفق لي أن فكّرت او قلتُ شيئاً [**١٩ ش**] أَعَجَبَ أخواتي ، رأيت من الطبيعي ان يستملِكْنَه كخيرٍ خاصّ بهنَّ . إن هذه الفكرة مصدرُها الروح القدس وليس أنا ؛ فان القديس بولس يقول اننا بدون روح المحبة هذا لا نستطيع أن نعطي لقب «بابا» لأبينا الذي في السموات . فهو، اذاً حرٌّ في ان يستخدمَني ليُوحيَ بفكرةٍ صالحة الى إحدى النفوس . واذا ما اعتقدتُ أن هذه الفكرة تخصُّني ، أصبحتُ مثل «الحمار الذي يحملُ ذخائر [1]» والذي اعتقدَ ان التكريم المؤدّى للقديسين كان موجَّهاً اليه .

٤ ـ مشاركة في الوليمة

لا أستهينُ بالأفكار العميقة التي تغذّي النفس وتوحّدها بالله . ولكنني قد أدركتُ ، منذ أمدٍ بعيد، انه لا ينبغي الاعتمادُ عليها والاعتقاد ان الكمال يتوقّفُ على تلقّي الكثير من الأنوار . فأروعُ الأفكار ليستْ شيئاً بدون الأعمال . وصحيحٌ ان نفوساً أخرى تستطيعُ أن تجنيَ منها فائدةً جليلة اذا ما اتّضعتْ وأدَّت الشكرَ لله تعالى على انه أتاح لها المشاركةَ في وليمةِ نفسٍ يُسَرُّ بأن يغمرها بنعمه . ولكن ، اذا أُعجبت هذه النفس بأفكارها الجميلة وصلَّت صلاة الفريسي ، يُصبحُ مَثَلُها مثَلَ شخصٍ يموتُ جوعاً أمام مائدةٍ حافلة بالمآكل ، بينما جميع مدعوِّيه يُصيبونَ منها طعاماً وافراً ، ويُلقُونَ أحياناً نظرةَ حسدٍ على ذلك

(١) من حكايات لافونتين، وكانت تريز قد كتبت عنها موضوعاً في سنة ١٨٨٧ (م).

الشخص صاحب هذه الخيرات الوفيرة . آه ! كم هو صحيح أنّ ما من أحد يعرفُ أعماق القلوب إلَّا الله وحده . . . وما أقصرَ أفكار الخلائق ! . . . فانها حينما ترى نفساً تفوقُ النفوسَ الأخرى أنواراً ، تستنتجُ من ذلك حالاً [**٢٠ ي**] ان محبّةَ يسوع لهذه النفوس أقلُّ من محبّته لتلك النفس ، وأنَّ تلك النفوس لا يمكن أن تكونَ مدعوةً إلى الكمال نفسه . ومنذ متى لا يحقُّ للربِّ أن يستخدمَ احدى خلائقه لكي يوزّعَ على النفوس التي يُحبُّها الغذاءَ الضروري لها ؟ ففي عهد فرعون ، كان الربُّ لا يزال يتمتَّع بهذا الحق . فانه يقول في الكتاب المقدس لهذا العاهل : **اني أَبقيتُكَ قصداً لكي تتفجّرَ فيك قوّتي ، ولكي يُعلَنَ باسمي في جميع الأرض (خروج ٩/١٦)**. وتتالت القرون منذ أن فاهَ العليُّ بهذه الأقوال ؛ ومنذ ذلك الحين ، لم يتغيّر سلوكه . فقد استخدمَ دوماً خلائقه كأدواتٍ لتحقيق عمله في النفوس .

٥ – صورة الفنان والريشة

ولو استطاعت اللوحةُ التي يرسمها الفنان أن تفكِّر وتتكلّم ، لما احتجَّت ، طبعاً ، على الريشة التي تلمسها وتلمسها بدون انقطاع ، ولما حَسَدت تلك الأداةَ على حظِّها ، فستعلم انها ليست مدينةً بالجمال الذي يوشِّحها للريشة بل للفنّان الذي يدير هذه الريشة . كما أن الريشة من جهتها لا تستطيعُ أن تفتخر بالتحفة الفنية التي أنجزتها ، فهي تعلم أن الفنانين لا يرتبكون ، بل يستخفّون بالصعاب بحيثُ يطيبُ لهم أحياناً ان يختاروا أضعف الأدوات وأردأها . . .

٦ – انا ريشة صغيرة

+ أمي الحبيبة ، أنا ريشة صغيرة اختارها يسوع ليرسم صورتَه في الأنفس التي عهِدتِ بها إليّ . والفنّان لا يكتفي بريشةٍ واحدة ، بل يلزمه على الأقل اثنتان منها : فبالأولى ، وهي الأجدى ، يفرشُ الألوان العامة [**٢٠ ش**] ويغشّي اللوحة بكاملها في وقت قصيرٍ جدّاً . أما الأخرى ، وهي الصغرى ، فيستخدمها لرسم التفاصيل .

فأنت ، يا أماه ، تمثّلين لي الريشَةَ النفيسة التي تمسك بها يدُ يسوع بحبّ حينما يُريد ان يُنجزَ عملاً عظيماً في نفوس بناتك . أما أنا ، فاني الريشة الصغرى التي يتنازل ويستخدمها بعدئذ للتفاصيل الدقيقة .

والمرة الأولى التي استخدمَ فيها يسوع ريشته الصغيرة كانت حوالي الثامن من

كانون الأول/ ديسمبر سنة ١٨٩٢. وسأذكر دوماً ذلك العهد وأعتبره زمن نعمة. وها أنا أُودعك يا أمي الحبيبة تلك الذكريات الحلوة:

٧ - رفيقة الابتداء

حينما أُسعدتُ بدخول الكرمل في سن الخامسة عشرة، التقيت في الابتداء رفيقةً (٢) كانت قد سبقتني اليه ببضعة أشهر. وكانت تكبرني بثماني سنوات. الا ان طبع الولدنة لديها كان يُنسي فارق السنين. وسرعانَ ما أُسعِدتِ، يا أمي، اذ رأيتِ طالبتيك الصغيرتين متفاهمتين كلّ التفاهم، وصارتا لا تفترقان. وفي سبيل تعزيز هذه المودّة الناشئة التي بدا لكِ انها فد تكون مثمرة، سمحتِ لنا بتبادل أحاديث روحية قصيرة من حين إلى آخر. وكانت رفيقتي الصغيرة الحبيبة تسحرني ببراءتها وطبعها المنفتح، ولكني، من جهة أخرى، كُنت أستغرب من ان مودّتها لكِ تختلفُ عن مودّتي، كما كان في سلوكها مع الأخوات أيضاً أُمور كثيرة كنتُ أودّ لو تغيّرُها . . . ومنذ ذلك العهد، أَفهمني الله [٢١ ي] ان هناك نفوساً لا تملُّ رحمتُه من انتظارها، وهو لا يُعطيها نورَه الا تدريجياً. لذلك كنتُ أُحاذر ان أستبقَ ساعته، وبتُّ أنتظرُ ريثما يطيبُ ليسوع أن يوصلَها اليّ.

٨ - رغبة في الاصلاح

وبينما أنا أُفكر يوما في الإذن الذي أعطيتِه لنا بالتحادث معاً، طبقاً لما ورد في رسومنا المقدسة، ولكي نزدادَ اضطراماً في حبِّ عريسنا، فكّرتُ، بحزنٍ، في أن محادثاتنا لم تكن تصيب الهدف المنشود. عندها جعلني الله أشعر بأن الوقت قد حان، وأنه ليس عليَّ، بعد، أن أخشى الكلام، أو أنه عليَّ أن أقطع المحادثات التي أضحت شبيهةً بمحادثات صديقاتٍ في العالم. وكان ذلك اليوم يوم سبت. وفي الغد، في أثناء صلاة الشكر، توسّلت إلى الله أن يضع على شفتيَّ كلماتٍ حلوة ومقنعة، أو بالأحرى أن يتكلّم، هو، بفمي. وقد استجابَ يسوع صلاتي، وأتاحَ بأن تحقِّق النتيجةُ كلياً ما كنتُ أرجوه، لأن **الذين يتأمّلون فيه يستنيرون** (**مزمور ٦/٣٣**) **ويشرق النور في الظلمة لمستقيمي القلوب** (**مزمور ١١١/ ٤**). فالآية الأولى موجّهة اليّ، والثانية الى رفيقتي، التي كانت حقاً مستقيمة القلب . . .

---

(٢) هي الاخت مرتا ليسوع، وقد دخلت دير الكرمل في ٢٣ كانون الاول/ديسمبر ١٨٨٧.

٩ – المصارحة الاخوية

فلما أزفت الساعة المقررة لمقابلتنا، وما إن نظرتْ أُخيّتي المسكينة إليّ حتى رأت حالاً أني لم أعدْ انا ذاتي. فجلستْ بجانبي وقد احمرَّت وجناتها خجلاً. فضممتُ رأسَها إلى قلبي، وقلتُ لها بصوت تخنقه العبرات [**٢١ ش**] ما كان رأيي فيها، وذكرتُ ذلك بعبارات ملؤها الحنان، وأظهرتُ لها من المودّة ما جعل دموعها تمتزجُ سريعاً بدموعي. فأقّرتْ بكثيرٍ من التواضع بحقيقة كلِّ ما كنتُ أقوله، ووعدتْني أنها ستبدأ حياةً جديدة، ملتمسةً منّي، حُظوةَ أن أنبّهها دوماً إلى أخطائها. وأخيراً لدى افتراقنا، كانت مودَّتنا قد أضحتْ روحيةً صرفة، ولم يعد فيها أيُّ شيءٍ بشري. وتمّت فينا آيةُ الكتاب هذه: **الأخ الذي يساعده أخوه أُمنع من مدينة محصّنة (امثال ١٨/١٩)**.

١٠ – تعلّق القلب

إن ما حقّقه يسوع بريشته الصغيرة كان سيُمحى قريباً لو لم يفعله بواسطتك، يا أماه، لتتميم عمله في النفس التي كان يُريدها له بكلّيتها. وقد بدتْ هذه المحنة شديدةَ المرارة على رفيقتي المسكينة، غير أن عزمك قد انتصر، وعندها، تمكّنتُ، محاولةً مني لمواساتها، ان اشرح لتلك التي أعطيتنيها أُختاً بين جميع الأخوات، على مَ يقوم الحبُّ الحقيقي. وبيّنْتُ لها أنها كانت تحبّ ذاتَها ولا تحبُّك أنت، وقلتُ لها كيف كنتُ أُحبُّكِ، والتضحياتِ التي فرضتُها على ذاتي في مطلع حياتي الرهبانية لكي لا أَتعلّقَ بكِ بصورةٍ مادية كتعلّق الكلب بصاحبه. فالحبّ يتغذّى بالتضحيات. وكلما حَرمت النفسُ ذاتها ارضاءَ الحواسِ الطبيعي، كلّما أصبح حنانها قويّاً ونزيهاً.

١١ – الحرمان والمكافأة

واذكر اني يوم كنت في الطالبية، كانت تراودُني أحياناً [**٢٢ ي**] تجارب عنيفة جداً للدخول عليكِ إرضاءً لنفسي، ولنيل بضع قطراتٍ من السرور، حتى اني كنت مضطرّةً إلى المرور بسرعة أمام المستودع وإلى التمسّك بدرابزين الدرج. وكانت تحضرني كومةٌ من الاذونات ألتمسها منك. وبكلمة يا أُماه، كنتُ أجد ألفَ حجّةٍ لإرضاء طبيعتي . . . وما أسعدَني الآن اني حرمتُ نفسي منذ بدء حياتي الرهبانية. وأنا اليوم أتمتّع بالمكافأة الموعودة للذين يناضلون بشجاعة. فبتّ لا أشعر اليوم بالضرورة إلى رفض تعزيات القلب كلِّها، لأن نفسي متوطِّنة في ذاك الذي كنتُ أريد أن أحبَّه وحده. وأرى

باغتباط أن القلب ينمو عندما يحبّ الله ، حتى ليَسعُه أن يغمرَ الذين هم أعزّاء عليه بحنانٍ أكثر بكثير مما لو كان قد تقوقع في حبٍّ أناني عقيم .

١٢ - الولوج في مَقدس النفوس

يا أُمي الحبيبة ، لقد ذكَّرتُكِ بالعمل الأول الذي تنازل يسوع وأنت وحقَّقتماه بواسطتي . ولم يكن ذلك سوى تمهيدٍ للأعمال التي كان سيُعهد بها إليَّ . وحينما أُتيحَ لي الولوجُ في مقدس النفوس، رأيتُ للحال أن المهمّة كانت تفوق طاقتي . عندها ارتميتُ بين ذراعي الله مثل طفل صغير ، وأَخفيتُ وجهي في شعره وقلتُ لهُ : يا ربّ ، إني أصغرُ من أن أَقوتَ بناتِكَ . فان شئت ان تمنحَهنَّ بواسطتي ما يلائمُ كلّاً منهنَّ ، فاملأ يدي الصغيرة ، وأنا من دون أن أترك ذراعيك أو أديرَ رأسي . [٢٢ ش] سأهبُ كنوزك للنفس التي تأتي لتطلب مني طعامها . فاذا وجَدتْهُ على ذوقها ، علمتُ أنها مدينةٌ لك وليس لي . أما اذا تشكّت من مرارة القوت الذي أُقدِّمه لها ، فذلك لن يَقلقَ سلامي ، بل سأحاول أن أُقنعها بأن هذا القوت صادر عنك ، وسأتحاشى أن آتيها بطعام آخر .

١٣ - مهمة قيادة النفوس

يا أُماه ، منذ أن أدركتُ أنه يتعذّر عليّ القيامُ بشيء من ذاتي ، لم تعدْ تبدو المهمَّةُ التي فرضتِها صعبةً عليَّ ، وشعرتُ بأن الأمر الضروري الأوحد هو ان أزداد اتحاداً بيسوع أكثر فأكثر ، وان الباقي سيُعطى لي زيادة ؛ وفي الواقع ، لم يخِب رجائي قط . فقد تنازل الله تعالى وملأ يدي الصغيرة كلّما دعت الضرورة لكي أغذّي نفوس اخواتي . واعترف لكِ ، يا أمي الحبيبة ، اني لو اعتمدتُ ، ولو قليلاً جدّاً ، على قواي الخاصة ، لبادرتُ الى إلقاءِ السلاح بين يديك دون إبطاء . . . من بعيدٍ يبدو للناظر حلواً الاحسانُ إلى النفوس ودفعُها إلى النموّ في حبِّ الله ، وتكييفُها أخيراً بموجب خططه وافكاره الشخصية . أما عن قريب ، فالأمرُ على نقيض ذلك ، اذ يختفي ما كان حلواً ، فيشعر المرء بأن الإحسان أمرٌ مستحيل بدون معونة الله ، كما يستحيل إشراقُ الشمس ليلاً . . . يشعر المرء بأنه يتحتّم عليه أن ينسى أذواقه ومفاهيمه الشخصية كلياً ، وأن يقود النفوس في الطريق الذي اختطَّه يسوع لها ، دون أن يحاولَ تسييرها [٣٢ ي] في طريقه الخاص به . ولكن ليس ذلك بعدُ بأصعبِ الأمور . إنّ أكثرَ ما يشقُّ عليّ هو ان ألاحظ الهفوات ، وحتى أصغر النواقص ، وأن أَشنَّ عليها حرباً ماحِقه . وأوشكتُ أن أقول : لسوءِ طالعي . (ولكن كلا ، لأن في ذلك جبانة) . لذا أقول اذاً : من حسن حظِّ اخواتي . فمنذ أن اتخذتُ لي مكاناً

بين ذراعي يسوع، أصبحتُ كالحارس يراقبُ العدو من أعلى برج في قلعةٍ حصينة. فلا يخفى شيءُ عن نظري. وغالباً ما يتولَّاني العَجَب لرؤيتي بكل وضوح. وأجدُ النبي يونان معذوراً لكونه هرب بدل أن يذهب ويُنذرَ بخراب نينوى. فأنا أُفضّل الفَ مرة تلقّي التوبيخ على ان أُوجِّهه إلى الآخرين. ولكني أشعر بأنه من الضروري جداً أن يكون لي هذا الأمر مصدرَ ألم، لأنه متى تصرّف المرء بحسب الطبيعة، ويستحيل على النفس التي نريد ان نكشف لها هفواتها ان تفهم اخطاءها. فهي لا ترى الا شيئاً واحداً وهو: ان الأخت المسؤولة عن توجيهي مستاءة، وهي تصبُّ غضبها على رأسي، مع اني مليئة بأحسن النوايا!.

١٤ ـ لن اهرب كالأجير

إني أعلم جيداً أن خرافك الصغيرة تعتبرني صارمة [٣]. فلو قرأتْ هذه السطور لقالت: يبدو وكأن ذلك لا يشقُّ عليّ البتة ان أسعى وراءها، وان أُخاطبها بنبرة قاسية، وأُريَها صوفَها الجميل متّسخاً، أو أن أحمل اليها بعض ما تعلّق في عوسج الطريق من جزازات صوفها. فللخراف الصغيرة ان تقول كلَّ ما تشاء. فهي في داخلها تشعر بأني أُحبُّها حبّاً حقيقياً، وأني لن اقتديَ البتة **بالأجير الذي اذا رأى الذئب مقبلاً، ترك القطيع [٣٢ ش] وهرب**. أنا مستعدة لأن أبذل نفسي عنها. إلا ان مودتي هي من الصفاء بحيث لا أرغب في ان تَعرف بها. وإني، بنعمة يسوع، لم أُحاول قط ان أجتذبَ قلوبَها إليّ. فقد فهمتُ ان رسالتي تقومُ على ان أَقودها إلى الله وأن أُفهِمَها انكِ أنتِ، يا أماه، على الأرض، يسوعُ المنظور الذي يجب عليها أن تحبّه وتحترمه.

١٥ ـ اساليب في التربية

لقد قلتُ لكِ، يا أمي الحبيبة، إني بتعليمي الآخرين تعلّمتُ أشياء كثيرة. رأيتُ أولاً ان جميعَ النفوس تتعرّض للجهاد نفسه تقريباً، غير أنها، من ناحيةٍ أخرى، على اختلاف كبير، بحيث لا يعسُر عليّ فهمُ الكلام الذي قاله الأب بيشون: « هناك فرق بين النفوس أكثر منه بين الوجوه ». ولذا فمن المستحيل التعامل مع جميعها بالطريقة نفسها. فمع بعض النفوس، أشعر بأنه عليّ أن أصير صغيرة، وان لا أخشى الاتضاع بإقراري بمعاركي

(٣) كانت تريز تجد تربية الام ماري دي غونزاغ قاسية (**مخطوط** أ ٧٠ش) وها هي توصف بالصفة عينها وتروي كم كان يكلّفها ان تطلق حرباً شعواء ضد أتفه النقائص (م).

وهزائمي . واذ ترى أخواتي الصغيرات انني ضعيفة مثلهنّ ، يعترفن لي بدورهنّ بالهفوات التي يلُمنَ ذواتهنّ عليها ، ويفرحنَ بأني أفهمهنّ بالخبرة . أما مع أخريات فوجدت ، على العكس ، ان الاحسان إليهن يتطلّب كثيراً من الحزم وعدم التراجع حول أمر صَدَر . فالتنازل عندها لن يكون تواضعاً بل ضعفاً . وقد أنعم الله عليّ بألّا أخشى الحرب ، وعليّ اتمامُ الواجب مهما كلّفني الأمر . وأكثر من مرّة سمعتُ هذه الكلمات : « إذا شئتِ الحصولَ على شيءٍ منّي ، عليكِ أن تأتيني باللين . [٢٤ ي] أما بالشدّة فلن تحصلي على شيء » . وأنا أعلم انه لا يمكن لأحد أن يحكم بالعدل في قضّيةٍ تخصّه . وان الولد الذي يُجري له الطبيب عمليةً جراحية موجعة لا بدَّ له من أن يصرخ صراخاً عالياً ويقول إن الدواءَ شرٌّ من الداء . ومع ذلك ، فإن تعافى بعد أيام قلائل ، يكون سعيداً جدّاً بأن يتمكن من اللَّعب والركض . كذلك هو شأن النفوس : سرعانَ ما تتبيَّن أن اليسيرَ من المرارة أُفضلُ من السُّكّر ، ولا تخشى الاقرارَ بذلك . ولا أتمالك أحياناً من الابتسام في داخلي ، حينما أعاين مدى التغيير الذي يتمّ بين ليلةٍ وضحاها . انه سحر . . .

١٦ – العلاج الحازم

أتت [أختٌ] تقول لي : « لقد أصبتِ البارحة بان كنتِ صارمة . هذا التصرُّف قد أثارني في بادئ الأمر ، ولكني ما عتمتُ ان تذكرّتُ كلَّ شيء ، ورأيتُ أنكِ كنتِ عادلة جداً . . . إسمعي : لدى مغادرتي ، كنت أُفكر في ان قد قُضي الأمر ، وكنت أقول في نفسي : « سأذهب إلى أُمِّنا وأقول لها إني لن أكون بعد اليوم مع أختي تريز الطفل يسوع » . ولكنّي شعرت بأن الشيطان هو الذي كان يُوسوسُ لي ذلك . ثم بدا لي أنكِ تصلّين لأجلي . فأَخلدتُ إلى السكينة ، وأَخذ النور يُشرقُ عليَّ . أما الآن فيجب أن ترشديني كلّياً ، ولهذا جئت اليك » . ويجري الحديث بسرعة ؛ أما أنا فأكون سعيدةً جدّاً بأن أستطيع مجاراة رغبة قلبي ، فلا أقدّم لها أيَّ طعام مرّ . أجل ، ولكن . . . ألاحظ بسرعة أنه لا ينبغي لي التقدّم أكثر من اللازم . فإن كلمةً واحدةً من شأنها أن تهدمَ البناء الجميل الذي شُيِّد بالدموع . فلو قلتُ ، لسوء الحظ ، كلمةً يبدو انها تخفِّف ما قد قلته بالأمس ، أرى ، اخيّتي [٢٤ ش] تحاول التشبُّثَ ثانيةً بالأغصان . . . عندها ، أرفع في داخلي صلاةً قصيرة ، واذا بالحقيقة تنتصر دوماً. آه ! إنَّ الصلاة والتضحية هما اللتان تشكِّلان قوَّتي كلَّها . انهما سلاحان لا يُقهران أعطانيهما يسوع ، وبوسعهما التأثير في النفوس أكثر من

الكلمات . ولقد اختبرت ذلك في أكثر الأحيان . على ان هناك وسيلةً أخرى بين جميع الوسائل تركت فيّ انطباعاً عذبا وعميقاً .

١٧ - خلاص النفوس بالصلاة

لقد جرى الأمر في أثناء الصوم الكبير ، ولم أكن أهتمّ ، آنذاك ، سوى بالمبتدئة الوحيدة (٤) الموجودة ههنا ، والتي كنتُ لها بمثابة « الملاك » . فجاءتْني ذات صباح ، وهي تطفح بُشراً ، وقالت لي : « آه ! لو تدرين ما حلمتُ به هذه الليلة . كنت بالقرب من أختي ، وكنتُ أُريد أن أجرِّدَها من أباطيل الدنيا التي كانت شديدة التعلّق بها . ولذلك ، شرعتُ أفسر لها هذا المقطع من العيش بالحبّ (٥) : « **أن أحبّك يا يسوع ، يا لها من خسارة مثمرة ! كلّ عطوري لك ، دون رجوع** » ! . . . وكنت أَشعرُ حقّاً بأن أقوالي تنفذُ إلى نفسها ، وكان الفرح يغمُرني . وعند نهوضي هذا الصباح ، فكرتُ في ان الله قد يريد أن أعطيه هذه النفس . فماذا لو أكتب اليها بعد الصوم لكي أقصَّ عليها حلمي وأقول لها إن يسوع يريدها بكلّيتها له ؟ » .

ودون أن أفكر طويلاً ، أجبتها أنها بامكانها أن تحاول ؛ ولكن ، قبل ذلك ، عليها ان تستأذن أمَّنا في الأمر . وإذ كان الصوم ما زال بعيداً عن نهايته ، فلقد دُهشْتِ ، يا أمي الحبيبة ، أيّما اندهاش من طَلَبٍ بدا لكِ سابقاً لأوانه . وبإلهامٍ إلهي أكيد أجبتِ انه على الكرمليات أن يخلِّصن النفوس [٢٥ ي] ليس بالرسائل ، بل بالصلاة .

ولما علمتُ بقرارِكِ هذا ، فهمتُ حالاً أنه قرار يسوع ، وقلتُ للأخت ماري للثالوث : « علينا أن نشمّر عن سواعدنا ، ولنصلّ كثيراً . وما أعظم فرحتنا اذا استجيبت صلاتنا في نهاية الصوم ! » . . . وفي نهاية الصوم كانت نفسٌ جديدة تكرِّس ذاتها ليسوع . إنها لمعجزة حقيقيّة من معجزات النعمة ، معجزة نالتها تقوى مبتدئة متواضعة !

١٨ - ماهية الصلاة

فما أعظمَ قدرةَ الصلاة ! وكأني بها ملكةٌ تحظى بحرية الدخول على الملك في كلِّ لحظة ، وتستطيعُ أن تنال كلَّ ما تسأل . ولا حاجةَ للمرء لكي يستجابَ بأن يقرأ في كتابٍ صيغةً رائعة وُضعت للمناسبة . فلو كان الأمر كذلك . . . لكنتُ أَدعى الناس إلى

(٤) هي الاخت ماري للثالوث. ولعل هذا الحادث جرى في صوم ١٨٩٥ (م).
(٥) **العيش بالحبّ** قصيدة هامّة نظمتها تريز في ٢٦ شباط / فبراير ١٨٩٥ .

الشفقة ! . . . فما عدا الفرض الإلهي الذي أصلّيه على غير استحقاق منّي ، لا شجاعةَ لي لأُلزم نفسي بالبحث في الكتب عن صلواتٍ جميلة ، فهذا يسبِّب لي وجعاً في الرأس . وما أكثر هذه الصلوات ! . . . فضلاً عن ان جميع هذه الصلوات تمتاز بالجمال بعضُها أكثر من بعض . . . فلا قِبَل لي بتلاوتها جميعها ، ولا أَدري أياً منها أَختار . لذا فأنا أتصرَّف كالأطفال الذين لا يعرفون القراءة ، وأقول بكلّ بساطة لله ما أُريد أن أقوله له ، دون اللجوء إلى جُمَلٍ بديعة ، وهو يفهمُني دوماً . . . إن الصلاة ، في نظري هي توق القلب ، ونظرةٌ بسيطة نرفعها إلى السماء . انها صرخة شكر وحبٌّ في قلب المحنة كما في وسط الفرح . وإنها أخيراً شيء [٢٥ ش] عظيم وفائقُ الطبيعة يشرح النفس ويوحِّدني بيسوع .

١٩ – تلاوة السبحة

ولكنني لا أودُّ ان تعتقدي ، يا أمي الحبيبة ، أني أتلو الصلوات المقامة جماعياً في الخورس أو في المناسك[٦] ، بدون ورع . بل على العكس ، فأنا أحبّ الصلوات المشتركة كثيراً ، لأن يسوع قد وعد بأن يكون وسط الذين يجتمعون باسمه . واني أشعر ، عندها ، بتقوى اخواتي تعوِّضُ عن تقواي . ولكنّي (اعترف بخجل) ان تلاوة السبحة وحدي تكلّفني عناء أكبر من وضع أداة للإماتة . . . أشعر بأني أتلوها بنوع سيِّءٍ جداً . فلطالما حاولتُ التأملَ في أسرار الوردية ، لكي أتوصل إلى تركيز فكري . ولقد أحزنني هذا النقص في العبادة مدةً طويلة وكان موضوعَ استغرابي ، لأني **أحبّ العذراء القديسة حبّاً جماً** بحيث كان ينبغي أن يكونَ من السهل عليّ ان أتلو لإكرامها صلواتٍ ترضاها . أما الآن فقد تضائل حزني ، لأني أعتبر ان ملكة السماء لكونها أمي ، فلا بد انها ترى إرادتي الصالحة وتكتفي بها .

٢٠ – الابانا والسلام

وأحياناً ، عندما يكون روحي في يبوسةٍ كبيرة حتى ليتعذّر عليّ أن استخلص منه فكرةً توحّدني بالله ، أتلو ببطءٍ كبير مرّة « أبانا » ثم السلام الملائكي . عندها تسحرني هذه الصلوات وتغذّي نفسي أكثر بكثير مما لو كنت تلوتُها مائة مرة بسرعة .

---

(٦) هي معابد صغيرة على اسم القدّيسين منتشرة في انحاء بستان الدير تقضي فيها الكرمليات فترات نسك وتعبّد على انفراد (م).

٢١ - استجابة العذراء

وتبيّن لي العذراءُ القديسة انها غير مغتاظة منّي ، [٢٦ ي] فانها لا تتخلّف أبداً عن حمايتي حالما أدعوها . واذا ما تعرَّضتُ لقلقٍ أو ارتباك ، فإني سرعان ما التفتُ اليها ، وهي دوماً ، مثل أحنّ الأمهات ، تتكفَّل بمصالحي . وكم من مرَّة ، في كلامي الى المبتدئات ، حدث لي أن استغثت بها فشعرت بأفضال حمايتها الوالدية ! . . .

٢٢ - لكل سؤال جواب

غالباً ما تقول لي المبتدئات : « ان في جعبتك جواباً عن كلِّ سؤال ، وكنت أظن اني سأُحرجك هذه المرة . . . فمن أين تستقينَ ما تقولينه ؟ » . ومنهنّ من وصلتْ بهنّ السذاجة إلى الاعتقاد اني أقرأُ في أنفسهنّ . لأنه اتفق لي أن سبق وكشفت لهنّ عن مكنونات أفكارهنّ . وذاتَ ليلة عزمتْ احدى رفيقاتي(٧) على انِ تكتمَني عناءً كان يعذّبُها كثيراً . وحينما لقيتُها صباحاً ، شرعتْ تكلّمُني بوجه باشّ . وأنا ، دون أن أُجيبَ عمّا كانت تقولُه لي ، قلتُ لها بنبرة المقتنع : « إنك كئيبة » . وأظنّ انني لو أسقطتُ القمَر عند رجليها لما كانت نظرت إليَّ بدهشة أعظم مما فعلت . وكان ذهولها من الشدّة بحيث إنه تولاني أنا أيضاً . فأصبحتُ ، لمدّةٍ ، فريسةَ هلع فائق الطبيعة . وكنتُ على يقينٍ ثابت بأني لا أملكُ موهبة القراءة في النفوس . وما كان يدعوني الى الدهشة هو أني أَصبت الهدف تماماً . فكنتُ أشعر شعوراً عميقاً بأن الله قريبٌ جداً ، وبأني قد قلتُ بغير وعي منّي ، مثلَ طفل ، كلماتٍ لم تكن صادرةً عني بل عنه .

٢٣ - بين الصراحة والثناء

أنت تُدركين ، يا أمي الحبيبة ، ان كل شيء مباحٌ للمبتدئات ، [٢٦ ش] ومن الضروري أن يستطعن الادلاءَ بكلِّ ما يدور في خلدهنّ بدون قيد ، خيراً كان أم شرّاً . وهذا أمر يسهل عليهنّ معي لاسيما أنهنَّ غير مُلزَماتٍ نحوي بالاحترام الواجب لمعلمة ابتداء . لا أستطيعُ أن أقول إن يسوع يسيرُ بي خارجياً في طريق الهوان ، بل يكتفي بإذلالي في أعماق نفسي . ففي نظر الخلائق ، ابدو ناجحةً في كل شيء وسائرةً في طريق الأمجاد ، بقدر ما يكون الأمر ممكناً في الرهبانية . واعلم أن عليَّ أن أسيرَ في هذا الطريق الذي يبدو لي خَطِراً جداً ، ليس لأجلي أنا ، بل لأجل الآخرين . فلو كنت في نظر

---

(٧) هي الاخت مرتا ليسوع (م).

الجماعة راهبة مليئة بالنقائص، عاجزة وعديمة الذكاء والحكم، لتعذّر عليك، يا أمي، ان تستعيني بي. لأجل ذلك أسدل الله ستراً على جميع عيوبي الداخلية والخارجية. وهذا السترُ يؤمّن لي أحياناً بعض المدائح من قبل المبتدئات. وأشعر بأنهن لا يفعلن ذلك مداهنة، بل تعبيراً عن مشاعرهنّ الساذجة. حقاً ان ذلك لا يسعُه أن ينفخَ فيّ روحَ الغرور. لأن تذكُّر ما انا عليه ماثلٌ دوماً في ذهني. ومع ذلك، فأنا أحنُّ كثيراً إلى سماع شيء غير الثناء. وأنت تعلمين، يا أمي، اني أفضِّلُ الخلَّ على السُّكَّر، ونفسي أيضاً تعافُ طعاماً شديدَ الحلاوة، بينما يسمحُ يسوع بأن تُقدَّمَ اليه «سَلَطَةٌ» [٢٧ ي] قليلةٌ طيّبةٌ فيها كثيرٌ من الخلِ والتوابل، لا ينقصها غير الزيت الذي يُضيف الى مذاقها مذاقاً آخر... وهذه «السَلَطة» القليلة الطيبة تقدّمها لي المبتدئات في وقت أبعدَ ما يكون عن توقيتي. فإن الله يرفعُ الحجاب الذي يغطّي نقائصي. وعندما تراني أخواتي الصغيرات الحبيبات على ما أنا عليه، فانهنَّ لا يجدْنَني، من بعدها، حسب ذوقهنّ تماماً. وببساطةٍ تُدهشُنني، يُفضين إليّ بكل ما يعانينَه بسببي، وما يسوؤُهنَّ فيَّ. وبكلمة، فإنهنّ لا يزدَدن حَرَجاً الا اذا كان الأمر يتعلّق بغيري، وهنّ يعرفنَ انهنّ يُفْعِمْنَني سروراً بتصرّفهنَّ على هذا المنوال.

٢٤ ـ مأدبة الهوان

آه! حقاً، إنه لأكثر من فرح، انها مأدبة لذيذة تغمرُ نفسي بهجة. ولا يمكنني أن أفسّر كيف ان ما تمجّه الطبيعة إلى هذا الحد من شأنه أن يسبّب مثل هذه السعادة. ولو لم أختبرْه أنا بنفسي لما استطعتُ تصديقه... واذ كنتُ ذات يوم راغبةً في الهوان بشكل خاص حدث ان قامت مبتدئة بارضاءِ رغبتي هذه إلى حدّ أني فكرتُ حالاً في شمعي وهو يلعنُ داود[٨]، وكنت أقول في نفسي: نعم، ان الرب هو الذي يأمرُها بأن تقول كلَّ هذه الأشياء... وكانت نفسي تتذّوقُ بلذةٍ هذا الطعامَ المرَّ الذي قُدِّم لها بوفرة زائدة. على هذا النحو، يتنازل الله تعالى ويهتمّ بي. فهو لا يسعُه أن يُقدّم لي دوماً الخبز المغذّي، خبز الهوان الخارجي، ولكنّه يأذن لي، من وقتٍ لآخر، بأن أتغذّى «بالفتات المتساقط عن مائدة البنين». آه، ما أعظمَ رحمتَه! فلن أستطيعَ [٢٧ ش] أن أتغنّى بها الا في السماء.

---

(٨) راجع ٢ **ملوك** ١٦/١٠.

٢٥ – في الصفح والإعذار

أمي الحبيبة، بما أني أحاول الشروعَ بالتغنّي معك على الأرض بهذه الرحمة اللامتناهية، فعليَّ أن أبوحَ لكِ أيضاً بفائدة كبيرة جنيتُها من المهمّة التي عَهدتِ بها اليَّ. فيما مضى، كنت حينما ألاحظ أُختاً تقومُ بأمر لا يُرضيني ويبدو لي غير قانوني، كنت أقول في نفسي: آه! ليتني أستطيعُ أن أقول لها ما يجول في فكري، وأن أبيّن لها أنها على خطأ، اذاً، لجنيت من ذلك فائدةً كبيرة! ولكني، منذ أن مارستُ الوظيفة قليلاً، اؤكّد لك، يا أمي، أن شعوري تغيَّرَ كليّاً. فحينما أرى الآن أختاً تقوم بعمل يبدو لي ناقصاً، أتنفّسُ الصعداء وأقول لنفسي: يا لَسعدي! ليست مبتدئة، فلست، اذاً، مضطرّةً لأن أؤنّبها. وسرعانَ ما أحاول أن أعذرَ الأختَ وأن أَنسبَ اليها نياتٍ حسنةً تحملها بلا شك. آه! يا أمي، إن ضروب العناية التي تبذلينها في سبيلي، منذ أن انتابني المرض، قد علّمتني الكثير عن المحبة. فانك لا تستغْلِينَ أيَّ دواء. واذا لم ينجحْ الدواء، فانك تجرّبين آخر، دون ملل. وحينَما كنت أذهب إلى الفرصة، ما كان أشدَّ اهتمامَكِ بأن أكون في موضع لا أتعرَّض فيه لمجرى هواء. ولو أردتُ أن أقول كلَّ شيء، لما انتهيتُ من الكلام.

لدى تفكيري في هذه الأمور كلّها، قلتُ في نفسي انه عليَّ أن أكون كثيرة الرأفة تجاه الأوهان الروحية في اخواتي، نظيركِ أنتِ، يا أمي الحبيبة، اذ تعتنين بي بكثير من الحبّ.

٢٦ – أُعطيتُ الخيرات كلّها

لقد لاحظت (وهذا أمر طبيعي) أن أكثرَ الراهبات قداسة يحظَيْنَ [٢٨ ي] بأكثر قدر من المحبة. فالجميع يسعى إلى التحدّث اليهنّ، وتُقَدَّم لهنّ خدمات دون أن يطلبنها، وهذه النفوس القادرة على تحمّل التقصيرات والخشونات يجدنَ ذواتهنّ محاطات بمودّة الجميع. فنستطيع أن نطبّقَ عليهنّ قولَ أبينا القديس يوحنا الصليب: «أُعطيتُ الخيراتِ كلَّها، يومَ لم أبحثْ عنها بغرور»(٩).

٢٧ – النفوس الناقصة

أما النفوس الناقصة، على العكس، فلا يسعى اليها أحد. لا شكّ في ان الجميع يعاملونها في حدود اللياقة الرهبانية، ولكنهم يتجنّبون صحبتَها مخافةَ أن يُسمعوها كلاماً

(٩) عبارة مكتوبة في رسم الجبل راجع كتاب **الاعمال الصغرى** ص ٣٢١.

مكدِّراً. - واذ أقولُ « النفوسَ الناقصة »، لا أقصدُ النقائصَ الروحية فحسب، بما إن أعظمَ النفوس قداسةً لن تبلغَ الكمال الا في السماء؛ لكنني أَقصدُ النقص في التقدير وفي التربية وسرعةَ التأثر لدى بعض الطباع، وكل الأمور التي لا تجعل الحياة حلوة. اعلم ان هذه العلل الأخلاقية لا أملَ في شفائها؛ ولكنّي أعلم أيضاً ان أمي لن تتوقَّف عن العناية بي، وتحاول التخفيفَ عني، حتى لو بقيتُ مريضة حياتي كلّها. وهاكِ النتيجة التي أَستخلِصُها من ذلك: عليَّ ان أسعى في الفرصةِ وفي أَوقات الفسحة إلى صحبة أقل الاخوات تحبُّباً اليّ، وان أقومَ حيالَ هذه النفوس الجريحة بخدمة السامري الصالح. فغالباً ما تكفي كلمة أو ابتسامة لطيفة لأن تنعش نفساً كئيبة. إلا اني لا أرمي أبداً إلى هذا الهدف من ممارسة المحبة، لأني أعرفُ ان الإخفاقَ سيعتريني سريعاً: فربَّ كلمة قلتُها بنية صالحة تُؤَوَّلُ تأويلاً معاكساً. لذلك، فلكي لا أُضيعَ وقتي، أُريدُ أن أكونَ لطيفةً مع الجميع [٢٨ ش] (ولاسيما مع اقل الأخوات لطفاً)، وذلك بغيةَ إرضاء يسوع والتجاوب مع المشورة التي يُعطيها في الانجيل بهذه العبارات تقريباً: **اذا صنعتَ وليمةً، فلا تدعُ أصدقاءَك ولا ... أَقرباءَك ... لئلا يدعُوك هم أيضاً، فتكون قد نلت جزائك ... بل ادعُ الفقراءَ والزَمنى والكسحان ... فطوبى لك لأنهم ليس بوسعهم أن يكافِئوك ...، لأن أباك الذي يرى في الخفْيَة يجازيك. (لوقا ١٤/١٢-١٤؛ متى ٦/٤).**

٢٨ - وليمة المحبة اللطيفة المرحة

فأيَّ وليمة تستطيعُ كرملية أن تقدِّمَها لأخواتها الا وليمةً روحية قوامُها المحبة اللطيفة والمرِحة؟ فأنا لستُ أعرفُ سواها، وأُريد أن أَقتديَ بالقديس بولس الذي كان يفرحُ مع الذين يجدُهم فرحين. صحيحٌ انه كان يبكي أيضاً مع الحزانى، وينبغي أن تظهرَ الدموع أحياناً في المأدبة التي أُريد أن أُقدّمَها، ولكني سأُحاولُ دوماً أن تَنقلبَ هذه الدموع في النهاية إلى فرح، بما **ان الرب يحبّ الذين يعطون متهلّلين. (٢ كور ٩/٧).**

٢٩ - الأخت سان بيير

أَذكرُ فعلَ محبَّةٍ أَلهمَني الله القيامَ به، أيام كنت مبتدئة. لقد كان أمراً طفيفاً، الا ان أبانا الذي يرى في الخفية، والذي ينظر إلى النية أكثر منه إلى عظمة العمل، قد كافأني عليه، دون أن ينتظرَ الحياة الأُخرى. جرى ذلك يوم كانت الأخت سان بيير لم تزل قادرةً على الذهاب إلى الخورس وإلى المائدة. وكانت في أثناء تأمل المساء تجلسُ أمامي. وقبل السادسة بعشر دقائق، كان على احدى الأخوات أن تتكلَّف قيادتَها إلى المائدة، فقد كان

عددَ المريضات لدى الممرّضات أكثر من أن يستطعن المجيءِ لمرافقتها. وكان يشقُّ عليّ كثيراً أن أتطوَّعَ لاداءِ هذه الخدمة الصغيرة، لأني كنتُ أَعلمُ انه من الصعب إِرضاءَ الأُخت سان بيير المسكينة، التي كانت تتألّم لدرجةٍ أنها لا تحبّ تغيير الأخت التي تقودُها. ومع ذلك لم أشأ أن تفوتَني هذه الفرصة الجميلة لممارسة المحبة، ذاكرةً ان يسوع قد قال: **كلما صنعتم شيئاً من ذلك لأحد من اخواتي هؤلاء الصغار، فلي قد صنعتموه (متى ٢٥/٤٠)**. فتقدّمت، اذا، بتواضع لأقودها؛ ولكني، لم أستطع إقناعها بقبول خدماتي الا بعد عناء! وأخيراً بدأتُ بالعمل، ولديّ من الارادة الصالحة ما مكّنني من النجاح تماماً. وكلّ مساء، عندما كنت أرى أُختي سان بيير تحرِّكُ ساعتها الرملية، كنت أفهم من ذلك أنه يعني: «لنمض». ولا يُصَدّقُ أحد كم كان هذا الأمر يكلّفني ويزعجني في البداية. مع اني كنتُ أَقومُ به حالاً، فتبدأُ الرتبة بحذافيرها؛ اذ يجب تحريكُ المقعد وحملُه بطريقةٍ خاصة، مع تجنّب الإسراع. ثم يَأتي المشوار. فكان ينبغي أن أَتبعَ العليلة المسكينة ساندةً إياها بواسطة حزامها. فكنت أفعل ذلك بكلٍّ ما يمكنني من رفق؛ ولكن، اذا ما زلّتْ بها القدم لسوء الحظ، كانتْ تتصوَّرُ في الحال أنّي لا أُحسنُ الامساك بها، وانها على وشك السقوط، وتقول: «آه، يا الهي، أنت تسرعين كثيراً، «سأتكسَّر!» - واذا حاولتُ السير بمزيدٍ من التؤدة، كانت تقول: «إتبعيني من فضلك! أنا لا أحسُّ بيدكِ، لقد تركتِني، سوف أقع!. آه! لقد سبقَ وقلتُ إنكِ أصغرُ من أن تتولَّي قيادتي». وأخيراً، كنا نصل إلى المائدة بدون حادث. وهناك تفاجئنا صعوباتٌ أخرى: فكان عليَّ أن أُجلِسَ الأُخت سان بيير وان أتَصرَّفَ بلباقة [**٢٩ ش**] لئلَّا أَجرحَها؛ ثم كان ينبغي أن أَرفعَ كمَّيها (بطريقة خاصة)، وعندها فقط يُتاح لي أن أَنصرف. وبيدَيها الضعيفتين المتشنّجتين كانت تُعدُّ خبزَها في طاستها، كما تستطيع. وسرعانَ ما لاحظتُ ذلك، فأخذتُ كلّ مساء ألازمها حتى أقدِّم لها هذه الخدمة الصغيرة أيضاً. وبما انها لم تطلبْ مني ذلك، فقد تأثرتْ كثيراً لبادرتي هذه؛ إني بهذه الوسيلة التي أسعى إليها عمداً، قد اكتسبتُ ثقتَها التامة، ولاسيما (وقد علمتُ الأمر بعدئذ) اني بعد أن أَقطعَ لها خبزَها، كنتُ أبتسمُ لها أجمل ابتساماتي قبل أن أُغادرها.

✝ ٣٠ - اشعة الحقيقة

أمي الحبيبة، قد يُدهشكِ، ربما، أني أكتبُ لك عن فعل المحبة الصغير هذا الذي

حدث منذ زمن طويل جدّاً . آه ! واذا فعلتُ ذلك فلأني أَشعرُ بأن عليَّ ، بسببه ، أن أَتغنَّى بمراحم الرب . لقد تنازلَ وأبقى لدي هذه الذكرى مثل عطر يحملُني على ممارسة المحبة . واني أذكر أحياناً بعضَ تفاصيل هي لنفسي بمثابةِ نسيم ربيعي . وهوذا واحد منها يحضُرُ ذاكرتي : ذات مساء في أيام الشتاء ، بينما كنتُ أقومُ كالمعتاد بخدمتي الصغيرة ، وكان البردُ قارساً والليل حالكاً . . . اذا بي أسمع بغتة من البعيد ، نغمةً رخيمة صادرة عن آلة موسيقية ، فتصوَّرتُ قاعةً تتلألأ فيها الأنوار ، وهي مزدانةٌ بفُرُشٍ مذهّبة ، وفتياتٍ متألقاتٍ بأفخر الثياب يتبادلْنَ المدائح والمجاملات الدنيوية . ثم انتقلَ نظري إلى المريضة المسكينة التي كانت تتوكأُ عليّ . وعوض النغمة الرخيمة ، كنتُ أسمع من حين إلى آخر أنَّاتها الحزينة ، وعوض الموشَّياتِ الذهبية [٣٠ ي] كنتُ أرى قرميدات حصننا القشف الذي لا يُضيئُه سوى نور ضئيل . . . ولا أَستطيعُ التعبير عما جرى في نفسي . ما أَعرفُهُ هو ان الرب أَنارَها بأَشعَةِ الحقيقة التي فاقت بهاءَ الأعياد الأرضيةِ القاتمة إلى حد اني ما كنتُ أُصدقُ سَعادتي . . . آه ! اني في سبيل التنعم الفَ سنة بالأَعياد العالمية ، ما كنت لأعطي الدقائقَ العشر التي كنتُ أصرفُها في القيام بخدمة المحبة المتواضعة هذه . . . فاذا كنا ، ونحنُ في الألم وسطَ الجهاد ، ننعمُ لحظةً بسعادة تفوقُ كلَّ مباهج الأرض لدى تفكيرنا في أن الله أخرجنا من العالم ، فماذا يكون شأنُنا في السماء عندما نشاهد ، وسطَ بهجةٍ وراحةٍ أبديتين ، تلك النعمةَ الفائقة التي منَّ بها الله علينا اذ اختارنا لنقيمَ في بيته، رواقِ السموات الحقيقي ؟ . . .

٣١ – خَصلة غريبة في التأمل

الا اني لم أُمارس المحبة دوماً بمثل هذه النشوة من الفرح، ولكن يسوعَ أرادَ، في بدءِ حياتي الرهبانية ، ان يجعلني أشعر كم هو عذب أن نراه في نفس عرائسه. لذا فإني حينما كنتُ أَقودُ الأخت سان بيير ، كنتُ أَفعلُ ذلك بقدرٍ من الحُب لا أستطيعُ أكثر منه لو كنت أقود يسوعَ نفسه . بيد ان ممارسة المحبة لم تكن لي دوماً بمثل هذه العذوبة ، كما قلت لكِ قبل ، يا أمي الحبيبة . ولكي أُبرهِنَ لك عن ذلك ، سأَروي لك بعضَ النزاعات الصغيرة التي لا بد انها ستثير ابتسامتك. كنتُ أجلسُ لمدة طويلة ، في أثناءَ تأَمل المساء، أمام أُختٍ كانت لها عادة غريبة[١٠] ، مع كثير من الأنوار ، حسب ظنّي ، اذ نادراً ما كانتْ تستخدمُ

---

(١٠) هي الاخت ماري ليسوع.

كتاباً . واليك كيف [٣٠ ش] كنتُ أُلاحظُ الأمر : فما إن تأتي هذه الأخت ، حتى تبدأ بإحداث ضجةٍ صغيرة غريبة تشبهُ الضجة الناتجة عن احتكاكِ صدَفَتَينْ الواحدة بالأخرى . وكنتُ الوحيدة في ملاحظة ذلك ، لحدّة سمعي المرهَف للغاية (ربما أكثر من اللازم ، أحياناً) . ويتعذّر عليّ ، يا أُمي ، أن أصِفَ لكِ كم أن تلك الضجّة كانت تُتعبُني : وكان بودّي أن أُديرَ رأسي وأَنظرَ إلى المذنبة التي ، من المؤكد ، لم تكن تلاحظ خَصلتها ، وكانت تلكَ الوسيلةَ الوحيدة لتوعيتها . ولكني كنتُ أَشعرُ في عمق قلبي بأنه من الأفضل أن أَحتملَ ذلك حبّاً بالله ، ولكي لا أُسبِّبَ أيَّ تكدير للأخت . لذا ، كنتُ أَبقى هادئةً وأُحاولُ أن أتّحِدَ بالله وان أَنسى الضجة الصغيرة، ولكنِ بغير جدوى . فكنتُ أَشعرُ بالعرق يتصبَّب مني ، وكنت مضطرَّةً إلى القيام بتأمل الألم. وفي غمرة الألم ، كنتُ أَبحثُ عن وسيلة تجعلُني أَتألمُ ليس بانزعاج ، بل بفرحٍ وسلام ، أقله في أعماق نفسي . عندها حاولتُ أن أُحبَّ تلك الضجّة الصغيرة المزعجة جدّاً . وعوض أن أُحاول الا أَسمعُها (وهذا أمر مستحيل) كنت أركِّز انتباهي على الإصغاء اليها ، كما لو كانت حفلةً موسيقية رائعة ، وكان تأملي كلّه، الذي لم يكن تأمل السكينة، ينقضي في تقديم تلك الحفلة ليسوع .

٣٢ – ماء الغسيل

ومرة أخرى كنت في بيت الغسيل أمام أخت(١١) كانت تقذفُ وجهي بالماء القذر كلّما رفعتْ المناديل على دفّتها . وأول حركة بدرتْ مني أني تراجعت إلى الوراء [٣١ي] وأنا أَمسحُ وجهي لأُظهرَ للأخت التي كانت تقذفُني انها لو عَدَلَتْ عن عملها هذا لأَسدَتْ اليَّ معروفاً . ولكنّي سرعانَ ما فكّرتُ في انِّي على جانب كبير من السخافة بأن أرفض تلك الكنوز التي كانتْ تُقدَّمُ لي بسخاء كبير ؛ فتحاشيتُ ان أُظهر انزعاجي . وبذلتُ قُصارى جهدي لكي أَرغبَ في تلقِّي الكثير من الماء الوسخ ، حتى إني ، في الأخير ، أخذتُ أَتذوَّقُ حقاً هذا النوعَ الجديد من الرشّ ، ووعدتُ نفسي بالعودة مرةً أخرى إلى ذلك الموضع السعيد حيث يتلقّى المرء هذه الكنوز الوفيرة .

٣٣ – التضحيات الصغيرة

ترين ، يا أمي الحبيبة ، اني نفسٌ في منتهى الصغر لا يسعُها ان تقدِّم لله سوى أمور

---

(١١) هي الاخت ماري للقديس يوسف.

طفيفة جداً. على انه يحدثُ لي غالباً ان أدعَ هذه التضحيات الصغيرة، التي تُولي النفسَ سلاماً كبيراً، تفوتني. وهذا لا يثبِّطُ عزيمتي، بل أَحتملُ ان يكونَ لي سلامٌ أقل، وأسعى لأكون أكثر يقظةً في المرة القادمة.

٣٤ – الرغبة في أخٍ كاهن

آه! ان الرب هو من اللطف نحوي بحيثُ يتعذَّرُ عليَّ أن أَخافَ منه. فقد منحني دوماً ما اشتهيتُ، أو هو بالأحرى قد جعلَني أَشتهي ما كان يريد ان يُعطينَني. وهكذا قبل أن تبدأ محنتي ضد الايمان بوقتٍ قليل، كنت أقول في نفسي: حقاً، ليس لي محنٌ خارجية كبيرة؛ ولكي يكون لي محنٌ داخلية، ينبغي أن يغيّر الله طريقي. ولا أعتقد انه يفعل ذلك. ومع هذا فلا يسعُني أن أَحيا دوماً هكذا في الراحة... فأية وسيلة سيتَّخذُ يسوع لكي يمتحنني؟ ولم يتأخر الجواب طويلاً، وقد بيَّنَ لي أن الذي أُحبّه لا تُعوزه الوسائل. ودون أن يغيّر طريقي، أرسل اليَّ محنةً من شأنها أن تمزُجَ بجميعَ أفراحي مرارةً خلاصية. إن يسوع يجعلُني أُحسّ بالمحن وأشتاقُ اليها، ليس حينما يريد ان يُنزلها بي فحسب، [٣١ ش] لأني منذ زمن طويل، كانت لدي رغبةٌ تبدو لي مستحيلة، وهي أن يكون لي أخ كاهن. وغالباً ما فكّرت في انه لو لم يَطِر أخواي الصغيران إلى السماء، لكنت أسعِدْتُ بأن أراهما يصعدان إلى المذبح. ولكن، بما أن الله قد اختارهما ليجعلَ منهما ملائكة صغاراً، فلم يعد بوسعي، بعد، أن آمل في ان أرى تحقيقَ حلمي. وهوذا يسوع لم يكتفِ بأن يمنَّ عليّ بالنعمة التي كنت أَشتاقُ اليها، بل ربطَني بوثاقِ النفس باثنين من رسله أصبحا أخوَين لي...

٣٥ – الاخ المُرسَل

وأُريد، يا أمي الحبيبة، أَن أقصَّ عليك بالتفصيل كيف حققَ يسوع رغبتي، بل تخطّاها، إذ إني لم أَكن أشتاقُ سوى إلى أخٍ واحد كاهن يفكّر فيّ كل يوم على المذبح المقدس.

فكانت أمنا القديسة تريزا هي التي أَرسلت لي أَخي الصغير الأول(١٢)، وذلك بمثابة باقة العيد سنة ١٨٩٥. فبينما كنت منصّبةً على شغلي في بيتِ الغسيل، أَخذتني الأم

---

(١٢) هو الاب موريس بارتيلمي بليير (١٨٧٤–١٩٠٧) Maurice Barthélémy Bellière

أنييس ليسوع وانتحتْ بي ناحيةً وقرأتْ عليّ رسالةً تلقَّتْها قبلَ قليل . وكانتْ رسالة من اكليريكي شاب ، يقول فيها إنه بإلهام من القديسة تريزا ، جاءَ يطلبُ أُختاً تتطوَّعُ بنوعٍ خاص لأمر خلاص نفسه ، وتساعدُه بصلواتها وتضحياتها حينما يُصبحُ مرسلاً ، لكي يستطيعَ أن يخلّص نفوساً كثيرة . وكان يَعِدُ بأن يذكُرَ تلك التي ستصبحُ أختاً له حينما يتسنَّى له تقديم الذبيحة المقدسة . وأخبرتني الأم أنييس ليسوع أنها تريد أن أكون أنا التي ستصبح أختَ ذلك المرسل في المستقبل .

٣٦ ـ المراسلة الروحية

[٣٢ ي] يتعذر عليَّ أن أصفَ لك سعادتي يا أمَّاه . فان رغبتي التي تحققت بصورة غير متوقعة بعثتْ في قلبي فرحاً أسمّيه فرح الطفولة ، اذ ينبغي لي العودة إلى أيام طفولتي لأجدَ ذكرى تلك الأفراح المشرقة ، لدرجة ان النفس ، بصغرها ، تعجز عن كتمانها . فمنذ سنين عديدة لم أذق مثل هذا النوع من السعادة . وكنت أشعر بأن نفسي قد تجدَّدت من هذه الناحية ، وكأن أوتاراً موسيقية منسيَّة إلى الآن ، قد لامستها الأنامل للمرّة الأولى . لقد أدركتُ ما كنتُ أفرضُ على ذاتي من الالتزامات ، فشرعتُ في العمل ، أحاول مضاعفة تقواي . وعليَّ الاقرار بأني لم أَحظَ في بادئ الأمر بتعزياتٍ تحفز غيرتي . فبعد أن كتبتُ رسالة رائعة حمَّلتُها مشاعر قلبي النبيلة ، لأشكرَ فيها الأم أنييس ليسوع ، لم تردني أية علامة من أخي الصغير حتى شهر تموز / يوليو التالي ، ما خلا بطاقة أرسلها في شهر تشرين الثاني / نوفمبر يطلعني فيها على دخوله الجيش . وكان الله خصَّكِ أنت ، يا أمي الحبيبة ، بأن تكملي هذا العمل الذي ابتدأ . لا شكَّ في اننا بالصلاة والتضحية يمكننا مساعدة المرسلين ، ولكن أحياناً ، حينما يحلو ليسوع بأن يوحِّد نفسين لأجل مجده ، فيسمح من حين إلى آخر بأن تتمكنا من تبادل أفكارهما ، وحثّ أحدهما الآخر على محبة أكبر لله . لكن ذلك يتطلّب موافقةً صريحة من السلطة ، والا ، فإن المراسلة هذه ، كما يبدو لي ، من شأنها أن تضرّ أكثر مما تفيد ، ان لم يكن للمرسل ، فعلى الأقل للكرملية التي يحدُوها أُسلوبُ حياتها [٣٢ ش] باستمرار إلى الانطواء على ذاتها . واذ ذاك ، فإن هذه المراسلة التي قد التمستها وان كانت متباعدة ، من شأنها أن تشغل بالها عوض أن توحِّدها بالله . واذ تتصوّرُ أنها تأتي المعجزات ، فهي لا تفعل شيئاً سوى أنها ، بحجة الغيرة ، تُصيبُ أُهُوَّةً جوفاء ؛ أما أنا ، فشأني في هذا الأمر كما في سائر الأمور . أَشعرُ بأن رسائلي ، لكي تأتي خيراً ، يجب أن تُكتَبُ بأمر الطاعة ، وان أشعر باشمئزاز لا بلذة في كتابتها . وهكذا حينما أوجِّه الكلام إلى احدى

المبتدئات ، أحاول أن أفعل ذلك وأنا أعيش الإماتة ، فأتحاشى أن أوجِّه اليها أَسئلة من شأنها أن تُرضي فُضولي . واذا ما شرعتْ بالتحدُّث عن شيء يُعجبني ، ثم انتقلتْ إلى آخر يزعجني دون أن تنتهي من الأول ، احترس من تذكيرها بالموضوع الذي تركَتْه جانباً ، اذ يبدو لي أنه لا يمكن للمرء أن يحقِّقَ أيَّ خير حينما يسعى إلى مصلحته . +

٣٧ - تسلية للشيخوخة

يا أُمي الحبيبة ، ألاحظ اني لن أُصلحَ ذاتي أبداً . فها أنا أبتعد مرة أخرى عن موضوعي بكل أحاديثي . فاعذريني ، أرجوك ، واسمحي لي بأن أعاود من جديد في الفرصة القادمة ، لأنه لا يسعني التصرّف بشكل آخر ! . . . انك تتصرّفين مثل الله الذي لا يملُّ من سماعي ، حينما أعرض أمامه شدائدي وأفراحي بكل بساطة ، وكأنه لا علمَ له بها . . . وأنتِ أيضاً ، يا أماه ، تعرفين منذ عهد بعيد ما أُفكر فيه ، كما تعرفين كلّ الأحداث الهامة في حياتي . فلا يسعُني أن أُطلعكِ على أيِّ شيءٍ جديد . فأنا لا أتمالك عن الضحك حينما أفكر في اني أكتبُ اليك بكلِ دقة أموراً كثيرة [**٣٣ ي**] تعرفينها مثلي تماماً . ولكني ، في نهاية الأمر ، يا أمي الحبيبة ، أنا أُطيعك ، وإذا كنتِ الآن لا تستطيعين قراءَة هذه الصفحات ، فلعلَّها تُسلّيك في أيام الشيخوخة ، وتساهم بعدئذ في إذكاءِ النار فيك . وهكذا فلن أكون قد أضعْتُ وقتي سدىً . . . ولكني يطيب لي الكلام مثل طفلة . ولا تظني يا أُمي ، اني أبحث عن الفائدة المرجوة من عملي الضعيف . وبما اني أقوم به بأمر الطاعة ، فهذا يكفيني ، ولن أشعرَ بأيِّ كَدَرٍ لو أحرقتِه أمام عينيَّ قبل أن تقرئيه .

٣٨ - أخ مرسَل

لقد حان الأوان لكي أستأنف قصة أخويَّ اللذين يشغُلان الآن مكانةً كبيرةً في حياتي . ففي نهاية شهر أيار/ مايو من السنة الماضية ، أذكر انك استدعيتِني ذات يوم قبل موعد المائدة . وكان قلبي يخفق بشدة حينما دخلت عليك ، يا أمي الحبيبة ؛ وكنت أتساءل عما هو لديك لتقوليه لي ، لأنها كانت المرَّة الأولى التي استدعيتني فيها هكذا . وبعد أن أَومأتِ اليّ بالجلوس ، هاك الاقتراحَ الذي قدّمتِه لي : -« هل تريدين أن تتكفّلي بالامور الروحية لمرسَل[١٣] سيُرسَم كاهناً وينطلق قريباً [إلى الرسالة]؟ » . ثم إنك يا أمي ، قرأتِ عليَّ رسالة

(١٣) هو الاب أدولف رولان (١٨٧٠-١٩٣٤). اقام قداساً في كرمل ليزيو في ١٨٩٦/٧/٣ ثم سافر الى الصين. وقد منعت الام الرئيسة على تريز التحدّث عن هذا «التبنّي» الى الام انييس حتى ايار/مايو ١٨٩٧ (م).

ذلك الأب الشاب لكي أعرف بالتمام ما كان يطلب . وكان شعوري الأول شعورَ الفرح ، ولكنه سرعان ما أخلى المكان للخوف . فشرحتُ لك ، موقفي يا أمي الحبيبة ، بما اني سبق لي وقدّمتُ استحقاقاتي الحقيرة لأجل واحد سيكون مرسلاً . وأنا أعتقد انه لا يمكنني أن أقدّمها أيضاً على نية مرسَلٍ آخر ، وأن هناك أخوات كثيرات أفضل مني بامكانهنّ تلبية رغبته . الا انِ اعتراضاتي كلّها ظلّت بغير جدوى ، [**٣٣ ش**] حيث قلتِ لي أن بالامكان اتخاذَ عدّة اخوة . فسألتكِ عندها اذا كان بوسع الطاعة أن تضاعفَ استحقاقاتي . فأجبتني : أجل ! وقلتِ لي أشياءَ كثيرةً أظهرت لي أنه كان عليّ أن أقبل أخاً جديداً دون أيِّ قلق . في أعماق نفسي كنت أفكّر مثلك ، يا أمي ، وبما ان « غيرة الكرملية يجب أن تُشعِل العالم كلّه» ارجو بنعمة الله أن أكون مفيدة لأكثر من مرسَلَين . ولن يسعَني أن أنسى الصلاة لأجل الجميع ، دون أن أستثني الكهنة العاديين الذين لا تقلّ مهمّتهم صعوبةً عن مهمّة الرسل الذين يبّشرون غير المؤمنين . أريد أن أكون ابنةً للكنيسة[١٤] ، كما كانت أمنا القديسة تريزا ، وان أصلّي على نيات البابا أبينا الأقدس ، وأنا أعرف أن نياته تشمَل العالم كله : ذلك هو الهدف العام لحياتي . ولكن ذلك ما كان ليمنعنيَ من أن أصلّي وأتّحد بصورة خاصة بأعمال ملاكيّ الصغيرين الحبيبين لو أصبحا كاهنين . وهاكِ الآن ، كيف أتّحدّتُ روحياً بالرسولين اللذين أعطانيهما يسوع كأخوَين : فكل ما يخصّني يخصّ كلاًّ منهما . واعلم ان الله هو على درجة من الصلاح بحيث لا يقبل التجزئة ، وهو غنيٌّ إلى حدٍّ أنه يعطي بلا حدّ كل ما أطلبه منه . . . ولكن لا تظنّي ، يا أمي ، اني أضيع في تعدادٍ طويل .

٣٩ – اجذبني اليك

ومنذ أن حصلتُ على أخوَين وعلى أخيّاتي المبتدئات ، شعرتُ بأني لو أردتُ أن أطلبَ وبالتفصيل لكلِّ نفس ما تحتاج اليه ، لما كفَتْ النهارات لذلك ، ولخشيتُ أن أنسى شيئاً مهمّاً . ولكنّ النفوس البسيطة لا تحتاج إلى وسائل معقّدة . وبما أني من عداد هذه النفوس ، فذات صباح ، في أثناء قيامي بصلاة الشكر ، أعطاني يسوع وسيلةً بسيطة للقيام بمهمّتي . [**٣٤ ي**] لقد جعلني أدرك كلمة **نشيد الأناشيد** هذه : **اجذبني اليك ، فنجري على عرف طيوبك** (**نشيد** ١/٣). يا يسوع ، لم يعد، اذاً، من الضروري أن أقول : « حين تجذبني ، أجذب النفوس التي أحبّ » . بل تكفي هذه الكلمة البسيطة : « اجذبني » . إني أفهم ، يا ربّ ، أن النفس ، اذا ما فتنتْ بنشوة طيوبك الأخّاذة ، لن

(١٤) هذه العبارة قالتها القديسة تريزا الأفيلية وهي على فراش الموت (م).

يسعَها أن تجريَ وحدها، بل تجرّ وراءَها جميع النفوس التي تحبّ. وهذا الأمر يتحقّق دونما اكراه أو جهد؛ انها نتيجة طبيعية لانجذابها اليك. وكما ان السيل، في اندفاعه بقوة ليصبَّ في المحيط، يجرف وراءَه، كلَّ ما يلقاه في مجراه، كذلك، يا يسوعي، فالنفس التي تغوصُ في محيط حبّك اللامحدود تجذبُ معها جميع ما تملكهُ من الكنوز . . . وأنت تعلم، يا ربّ، أني لا أمتلك كنوزاً أخرى سوى النفوس التي طابَ لك أن تضمَّها إلى نفسي. تلك الكنوز، انت من ائتمنني عليها. لذلك أجرؤ على استعادة الكلمات التي وجَّهتَها إلى الآب السماوي في آخر أمسية رأتك على أرضنا مسافراً وقابلاً للموت. يا يسوع حبيبي، لستُ أدري متى سينتهي منفاي. فأكثر من مساء سيلقاني أيضاً وأنا أتغنّى في المنفى بمراحمك، ولكن، سيوافيني أخيراً أنا أيضاً المساءُ الأخير. وبودّي أن أقول لك إذ ذاك يا إلهي: **لقد مجَّدتُكَ في الأرض، فأتممتُ العمل الذي وكلتَه اليّ . . . أظهرتُ اسمك للناس الذين وهبتهم لي . . . كانوا لك فوهبتهم لي . . . وعرفوا الآن ان جميع ما وهبتَه لي هو منك، لأن الكلام الذي بلَّغتنيه بلَّغتُهم اياه، فقبلوه وعرفوا حقاً انك انت ارسلتني. فأنا أدعو لمن وهبتهم لي لأنهم لك . . . [٣٤ ش] لستُ باقياً في العالم، وأما هم فانهم في العالم باقون، وأنا عائد اليك. أيها الآب القدوس، احفظ باسمك الذين وهبتهم لي . . . والآن أنا ذاهب اليك. أقول هذا وأنا في العالم، ليكونَ الفرح الذي منك كاملاً فيهم. لا أسألك ان تُخرجَهُم من العالم، بل ان تحفظهم من الشرير. هم ليسوا من العالم، كما اني لست من العالم . . . ولا أدعو لهم وحدهم، بل أيضاً للذين سيؤمنون بك لدى سماعهم ما يقولونه . . . يا أبتِ، أتمنى أن يكون معي، حيث أكون، هؤلاء الذين وهبتهم لي ويعرف العالم انك أحببتهم كما أحببتني أنا . . .»** (**يوحنا** ١٧/٤-٢٤).

٤٠ – جسارة الصلاة

أجل، يا ربّ، هذا ما أتمنى أن أردّده بعدك، قبل أن أطير إلى ذراعيك. أوَ تكون تلك جسارة؟ فانك منذ أمدٍ بعيد قد سمحتَ لي بأن أكون جريئةً معك. لقد قلتَ لي، كما قال والد الابن الشاطر لابنه الأكبر: **كلّ ما هو لي فهو لك** (**لوقا** ١٥/٣١). إن أقوالك، يا يسوع، هي، اذاً موجَّهةٌ اليّ. وبوسعي أن أستخدمها لأستنزلَ إنعامات الآب السماوي على النفوس المنضمَّة اليَّ. ولكني، يا رب، عندما أقول اني أرغب في **أن يكون معي، حيث أكون، هؤلاء الذين وهبتَهم لي** فإني لا أدّعي بانهم لا يتمكّنون

من بلوغ مجدٍ أسمى بكثير من المجد الذي يطيب لك أن تهبه لي ، انما ألتمسُ فقط ان نكون يوماً كلُّنا مجتمعين في سمائك الجميلة . أنت تعلم يا الهي أني لم أرغب قط سوى في أن أحبّك ، ولا أطمح إلى مجدٍ آخر . [**٣٥ ي**] فإن حبَّك قد وقاني منذ طفولتي ، ونما معي ، وقد أصبح الآن لجّةً لا أستطيعُ أن أَسبرَ غورَها . ان الحبَّ يجذب الحبَّ ، ولذلك ، يتوثّب اليك يا يسوع ، وبوِّده لو يملأ اللجَّة التي تجتذبه ؛ ولكن للأسف ، فانه لا يساوي حتى قطرةَ ندى ضائعة في المحيط ! . . . ولكي أحبَّك كما تحبّني ، عليّ ان أستعيرَ حبَّك نفسه ، وعندها فقط أبلغ الراحة . يا يسوعي ، قد أكون متوهِّمة ، ولكن يبدو لي أنك لا تستطيع أن تغمرَ نفساً بحبٍّ أكثر مما غمرتَ به نفسي . ولذلك ألتمس منك بجرأةٍ **أن تحبَّ الذين وهبتَهم لي ، كما أَحببتني أنا** (**يوحنا** ٢٣/١٧) . وإذا ما اكتشفتُ يوماً في السماء أنك أحببتهم أكثر مني ، فسأفرح بذلك . وأقرّ ، منذ الآن ، بأن تلك النفوس تستحقّ حبَّك فوق ما تستحقّه نفسي بكثير . إلا اني ، في هذه الحياة ، لا أستطيعُ أن أتصوَّر قدراً من الحبّ أعظم مما ارتضيتَ بأن تغمر بهِ نفسي مجاناً دون أيِّ استحقاق منّي .

٤١ – ذهول وتواضع

وأخيراً ، أمي الحبيبة ، أعود اليكِ . وأنا مذهولة جداً لما انتهيتُ من كتابته ، لأني لم أكن أنوي كتابته . ولكن بما انه قد كُتب ، فينبغي أن يبقى ؛ وقبل العودة إلى قصة أخويَّ ، أريد أن أقول لكِ ، يا أمي ، إني لا أُطبّق عليهما ، بل على أخيّاتي ، الكلماتِ الأولى التي سردتُها من الانجيل : **فالكلام الذي بلّغتنيه بلّغتُهم اياه** (**يوحنا** ٨/١٧) ، الخ . . . لأني لا أعتبر نفسي قادرةً على تعليم المرسلين ؛ ولحسن الحظ ، لم أبلغ بعد هذا الحدَّ من الكبرياء ! كما أني ما كنت لأستطيع [**٣٥ ش**] أن أُعطي بعض النصائح لأخواتي ، لولا أنكِ ، يا أمي ، أنتِ التي تُمثِّلُ الله بقربي ، أوليتِني نعمةً للقيام بذلك .

٤٢ – صلاة لأجل المرسلين

واني ، بالعكس ، كنتُ أُفكر في ابنَيكِ أخويَّ الروحيَّين ، حينما كتبتُ أقوال يسوع هذه وتلك التي تليها : **لا أسألكَ أن تُخرجهم من العالم . . . وأدعو أيضاً للذين سيؤمنون بك لدى سماعهم ما يقولون** (**يوحنا** ١٥/١٧ و ٢٠) . فكيف يمكنني الا أصلّي لأجل النفوس التي سيخلِّصانها بالألم والوعظ في رسالاتهما البعيدة ؟

٤٣ - ثقة الصلاة

يا أمي، أرى من الضروري ان أُعطيك أيضاً بعضَ الشروح عن مقطع **نشيد الاناشيد: اجذبني فنجري اليك (نشيد ١/٣)**. اذ يبدو لي أن ما أردتُ قولهُ لم يُفهم كفاية. لقد قال يسوع: **ما من أحد يستطيع المجيءَ اليَّ، اذا لم يجتذبّه ابي الذي ارسلني** (يوحنا ٦/ ٤٤). ثم علَّمَنا، بالأمثال الرائعة، وغالبًا، حتى دون اللجوء الى هذه الوسيلة المألوفة لدى الشعب، أنه يكفي ان يقرعَ المرءُ الباب لكي يُفتَحَ له، وان يطلب لكي يجد، **وان يبسطَ** يده بتواضع لكي يتلقَّى ما يلتمسُه... وقال ايضًا ان كل ما نسأل أباه باسمه يمنحنا اياه. فلا ريب من ان الروح القدس، قد أملى، من اجل ذلك، هذه الصلاة النبوية قبل ولادة يسوع: **اجذبني فنجري**.

٤٤ - عطور الحبّ

فماذا يعني اذًا طلبُ الانسان أن يُجذَب سوى رغبته في الاتحاد بالموضوع الذي يأسر قلبه، اتحادًا وثيقًا؟ فلو كان للنار وللحديد عقل، وقال الحديد للنار: إجذبيني، ألا يبرهنُ بذلك عن رغبته في أن يتماهى بالنار الى درجة انها تدخلُهُ [**٣٦ ي**] وتنتشرُ فيه بجوهرها المحرق، وتبدو وكأنها واحد معه؟ يا امي الحبيبة، تلك هي صَلاتي: إني اسألُ يسوع ان يجذبَني الى لهب حبّه، وان يضمَّني اليه ضمًا محكمًا، بحيث يحيا هو ويعمل فيَّ. وأنا أشعر بأني كلما اضطرم قلبي بنار الحبّ، وكرّرت القول: اجذبني، ازدادت النفوس التي تدنو مني، (وانا قراضة الحديد الصغيرة التافهة اذا ابتعدتُ عن النار الالهية)، وجرتْ بسرعة أثر أريج طيوب حبيبها؛ لان النفس المضطرمة بالحبّ لا يسعُها ان تبقى خاملة. ولا شكَّ في انها، على مثال القديسة المجدلية، ستجلس عند قدمي يسوع، وتصغي الى حديثه العذب اللَّهاب؛ واذ تبدو وكأنها لا تعطي شيئًا، فهي في الواقع تعطي اكثر من مرتا المهتمة بأمور كثيرة، والتي تودُّ لو تقتدي بها أُختها. ويسوع لا يشجب أَشغال مرتا، فان تلك الاشغال قد خضعت لها امّه الالهية باتضاعٍ طيلة حياتها، اذ كان عليها أن تهيِّءَ مائدة العائلة المقدسة. ان ما يرمي يسوع الى إصلاحه فهو فقط ارتباك[١٥] مضيفته المتحمّسة.

٤٥ - مخل القديسين

لقد أدرك جميع القديسين هذا الأمر. وبصورة خاصة الذين ملأوا الدنيا بنور التعليم

---

(١٥) بعد هذه الكلمة جاء النص مكتوباً بقلم الرصاص.

الانجيلي. ألم يستقِ القديسون جميعهم، امثال بولس وأغوسطينوس ويوحنا الصليب وتوما الاكويني وفرنسيس وعبد الاحد وكثيرون آخرون من اصدقاء الله الشهيرين، من التأمل بهذا العلم الالهي الذي يُذهل أكبر العباقرة؟ لقد قال احد العلماء: أعطوني مخلاً ونقطة ارتكاز، وانا أرفَعُ العالم. وما لم يتمكن أرخميدس من الحصول عليه، لأن طلبه لم يكن مُوجَّهًا الى الله، ولم يكن قائمًا سوى على الصعيد المادي، قد حصل عليه القديسون [٣٦ ش] كاملاً. فإن القدير قد اعطاهم ذاته وحدها نقطة ارتكاز. واعطاهم مخلاً هو التأمل الذي يُضرِمُ بنار الحّب، وبذلك رفعوا العالم. وهكذا يرفعهُ القديسون الذين ما زالوا في معترك الحياة، وسيرفعهُ قديسو المستقبل ايضًا حتى انقضاء الدهر.

٤٦ – عطور حياة يسوع

يا امي الحبيبة، أريد الآن ان أقول لك ما أفهمه بأريج طيوب الحبيب. فبما انّ يسوع قد صعد الى السماء، فلا استطيع ان أتبعه الا بالآثار التي خلَّفها. ولكن ما اشدّ سطوع هذه الآثار وما أجمل عطرَها! فحسبي أن أُلقيَ نظرة على الانجيل المقدس، فأتنشّق حالًا عطورَ حياة يسوع، وأتبيَّن في ايّ اتجاه أَجري... فانا لا اسعى الى المنزلة الاولى، بل الى الاخيرة. وعوض ان أتقدم مع الفريسي، أُكرِّر بملء الثقة صلاةَ العشار المتواضعة، ولكنني أحذو حذوَ المجدلية وأقتدي بجرأتها العجيبة، او بالاحرى، بجرأتها العاشقة، التي تسحر قلب يسوع وتسحر قلبي. اجل، اني لشاعرة بأني، ولو كان ضميري مثقلًا بجميع الخطايا التي يمكن ارتكابها، لمضيتُ، والقلب منسحقٌ ندامةً، فارتميتُ بين ذراعي يسوع، لانني أَعلم مدى حبِّه للابن الشاطر العائد اليه؛. فليس لأن الله قد سبق برحمته وصان نفسي من الخطيئة المميتة أسمو اليه [٣٧ ي] بالثقة والحبّ[١٦]...

[انتهى]

(١٦) توقفتو هنا عن الكتابة بسبب اشتداد المرض عليها (م).

المسرحيات

مقدمة المسرحيات

إن هذه النصوص التي تُنشر بالعربية للمرّة الاولى، لم تسترعِ انتباه القرّاء والدارسين إلّا في الربع الاخير من هذا القرن. فقد اعتُبرت محاولات بدائية، لا تُغني المسرح بشيء، بينما اعتبرها بعض النقاد استكمالاً لرسالة تريز الانسانية، ولوحةً رائعة عن قلب تريز ونفحتها الروحية.

١ - المسرح في الكرمل

قبل تريزا الآفيلية، عرفت بعض الاديار الرهبانية فن المسرح المسيحي تستخدمه كأسلوب تربوي تعليمي. إلّا أن المُصلحة الاسبانية، وقد خبرت في شخصها ما قد يحمل التوحّد في سعيه الى الكمال من تشنّجٍ أو سويداء، طبعت في بناتها روح الواقعية والذوق السليم، وعلّمتهنّ التماس التوازن بين ما تقتضيه حياة الخلوة من عمل وصمت وصلاة مستمرة، والحاجة الى فترات استرخاء وتسلية وفرحٍ اخوي: فأدخلت الى أديار كرملياتها المحصَّنات كثيراً من أساليب الضحك والتسليات البريئة تشرح بها قلوب راهباتها.

ووصل هذا التقليد الى تريز دي ليزيو، يرافق حياة الجماعة ويُحيي اعيادها ومناسباتها الفرحة: كأعياد الرئيسة يوم عيد الراعي الصالح، أو عيد المبتدئات أو عيد الاخوات المساعدات... وفي جميع هذه الاعياد، يوكل الى إحدى الأخوات إلقاء كلمة، أو إنشاد ترنيمة او قصيدة، وربما تأليف مسرحية تقوم فيها المبتدئات بمعظم الادوار. وقد حفظ كرمل ليزيو ست مسرحيّات كتبتها الام انييس ومسرحية كتبتها الاخت ماري لقلب يسوع.

٢ - تريز والمسرح

عرفت تريز المسرح قبل دخولها الدير: في البيت، وفي المدرسة، وفي أندية كاثوليكية مختلفة. أما تجربتها الاولى في الكرمل فقد كانت المشاركة في مسرحية **القديسة انييس** للكاتبة الاخت انييس يسوع في ٢١ حزيران/يونيو ١٨٨٨. فمثّلت تريز دور انييس «بقميص ناصع وشعرها الاشقر الطويل». وفي السنة اللاحقة، مثّلت دور العذراء في مسرحية أخرى هي **الحلم الاول للطفل ليسوع**. فتساءلت الجماعة: «هل يمكن أن تكون

العذراء القديسة أكثر جمالاً وبهاءً؟». وبقيت تلك الليلة، مدةً طويلة، حيَّةً في ذاكرة الجماعة. ولما انتخبت الام انييس رئيسة في ٢٠ شباط/فبراير ١٨٩٣، عهدت بمهمة التأليف الى الاخت تريز الطفل يسوع.

٣ - تألق موهبتها

بدأت تريز مهمَّتها بجدٍّ وحماسة. فمثال أختها أمامها، وقد كانت تحلم بأن تتشبَّه بها. فألَّفت ثماني مسرحيات استقت موضوعاتها من مطالعاتها ومن تاريخ شعبها وايمانه، وواقع جماعتها، وحياة كرملها.

وكون تريز مسؤولة عن المبتدئات، دفعها الى جعل مسرحيّاتها الترفيهية واسطةً للتعليم والتشجيع وإصلاح بعض المفاهيم في الحياة الروحية أو في الجماعة الرهبانية. بل نستطيع القول إن المسرحيّات أعطت تريز مركزاً مرموقاً في الجماعة وكرّستها مسلّيةً للجماعة، وباعِثة البسمة على شفاهها.

وأكثر من ذلك، فالمسرحيات تساهم في معرفة شخصية تريز معرفة أعمق. ففي كلٍّ من أبطالها وضعت شيئاً من ذاتها. وتحت ستار لعبة التمثيل، تعلن تريز أقوى رغباتها، وحبّها للاستشهاد في سبيل العريس. ألم تقل لحظة كانت تمثّل دور جان دارك فوق المحرقة وشبَّ حريق كاد يودي بحياتها، إنها كانت مستعدّةً للموت؟ كما تؤكّد في **انتصار التواضع**، على أنّ طريقها الروحي الصغير صحيح، سليم، وينال موافقة القديسين العظام. وإن تريز، مهما علا شأنها أمام الناس، تفضِّل دائماً «ان تظلَّ في الخفاء، وان تنحني».

موضوعات المسرحيات

١ - رسالة جانّ دارك

في ٢١ كانون الثاني/يناير ١٨٩٤

موضوع المسرحية أن الصبية الراعية جان دارك، سمعت أصواتاً ورأت رؤىً لملاك ميخائيل وقدّيسات أخريات، تدعوها الى قبول المهمة التي أراد الله ان يوكلها اليها، فتحمل السيف وتخوض غمار الحرب لإنقاذ فرنسا من الاحتلال الانكليزي، وترسيخ العرش المتهاوي، وردِّه الى صاحبه الاصيل. ويتخلل المسرحية أناشيد وابتكارات جعلت هذا العمل المسرحي الاول يلقى نجاحاً في جماعة ليزيو.

٢ - الملائكة حول المذود

في ٢٥ كانون الاول/ديسمبر ١٨٩٤

هذه المسرحية احتفال جماعي بعيد ميلاد الربّ، تظهر فيها الكاتبة اندهاش الملائكة من سرِّ تجسّد ابن الله، وتكشف مشروع الخلاص الالهي الذي يسمو على كلِّ إدراك. والمسرحية هي حوار بين خمسة ملائكة تدل اسماؤهم على وظيفتهم. وفي نهاية الحوار يتكلّم الطفل يسوع ليعلن رحمته للخطأة فيسكت ملاك الدينونة «لأن إلهاً قد صار طفلاً لا يمكن إلا ان يكون حبّاً ورحمة».

٣ - جانّ دارك تتمّم رسالتها.

في ٢١ كانون الثاني/يناير ١٨٩٥

تستعيد المسرحية بعض الاحداث من حياة جانّ دارك كما حفظتها لنا الوثائق التاريخية. وقد أطّلعت تريز، قبل كتابة المسرحية، على دعوى المحاكمة واحترمت قدر الامكان المعطيات التاريخية، فأظهرت جانّ تواجه السيوف، كما تواجه القضاة بكل جرأة وبراءة. وإذا أبدت ضعفًا امام حكم الموت، فالسماء حاضرة لتمنحها الشجاعة والانتصار بالاستشهاد. ونصر جانّ هو انتصار الكنيسة عبر القرون، وهو رجاء تريز. وبهذه المسرحيّة وصلت تريز الى أوج مجدها في الجماعة.

٤ - يسوع في بيت عنيا

١٨٩٥/٧/٢٩

هذه المسرحية القصيرة هي حوار بين يسوع ومرتا ومريم في بيت لعازر. والمعروف ان التقليد الروحي يتناول موضوع الانجيل لإظهار الفرق بين دور مرتا ربّةِ المنزل التي تهتمّ بأمور كثيرة، ودور مريم المنصرفة الى سماع كلام المعلم والتأمل فيه. فخلاصة الحوار ان يسوع يجمع في حبٍّ متوازٍ حبّ مرتا وحبّ مريم، ويصالح الاثنين في واحد.

٥ - متسوّل الميلاد الالهي الصغير

٢٥/كانون الاول/ديسمبر ١٨٩٥

إنها شبه مسرحيّة، تنخرط في لعبتها الجماعة كلّها، كما تدل على ذلك الملاحظات العامة. فكلُّ أختٍ تقدّم للطفل يسوع المتسوّل شيئاً يناسب ما تعلنه ابيات المقطع الشعري.

٦ ـ المسرحية السادسة: الهروب الى مصر

٢١ كانون الثاني/يناير ١٨٩٦

الى القصة الانجيلية تضيف الكاتبة بعض المعلومات المستقاة من الكتب والاساطير التقوية، كاجتراح العجائب، وإيمان اللصوص ببشارة الميلاد؛ فتستبق كلمات مريم ويوسف اعلان سرّ الفداء، دون ان تغفل مستقبلَ اللصوص بنظرة نبويَّة الى شخصية برأبّا.

٧ ـ المسرحية السابعة: انتصار التواضع.

٢١ حزيران/يونيو ١٨٩٦

تثير هذه المسرحية على طرافتها اشكالاتٍ كثيرة؛ فهي تدور أولاً حول الرؤى الخارقة التي تتمنّى المبتدئات ان تراها ليثبت ايمانهنَّ، ثم حول ورود اسم ديانا ڤوغان وما أثارته هذه الشخصية الغامضة من شكوك في تاريخ الكنيسة الفرنسية في نهاية القرن؛ كما يحيِّر القارئ وجود فراغات بالغة في مقاطع كثيرة. ولإيضاح كلِّ ذلك نُحيل القارئ الى كتاب **قصة حياة** ص ٢٤١-٢٤٥.

٨ ـ المسرحية الثامنة: القديس ستانيسلاس كوستكا

شباط/فبراير ١٨٩٧

تظهر هذه المسرحية شخصية القديس اليسوعي الشاب، وتقتصر على يوم دخوله الدير، وما بدا فيه من فضائل راسخة تحت مظاهر متواضعة، وكيف كان يفضِّل التواضع والاختفاء مع سموِّ قداسته.

المسرحية الأولى

ي.م.+ ي.ت.

رسالة جانّ دارك

او

راعية[١] دون ريمي[٢] تصغي الى اصواتها

الشخصيات : جانّ دارك[٣] – مار ميخائيل رئيس الملائكة – القديسة كاترين[٤] – القديسة مرغريت[٥] – كاترين[٦] دارك ، اخت جانّ – جِرمان[٧]، راعية شابة من دون ريمي.

المشهد الاول

(جانّ ترعى قطيعها في الحقل منفردة. تغنّي وهي تضفر إكليلاً من الازهار، وقد وضعت مغزلها وعصاها الى جانبها.)

١ – انا جانّ الراعية
ادلّل قطيعي،
خفيفةٌ عصايَ
وأحبُّ مغزلي.

---

(١) التقليد اعتبر جان دارك راعية، وفي الواقع كانت بنت عائلة فلّاحين.

(٢) Domrémy.

(٣) Jeanne d'arc.

(٤) كاترين الاسكندرية (٢٥/ ١١/ ٣٠٧م) كانت في عمر الثامنة عشرة عندما جابهت بمهارة الفلاسفة الوثنيين وماتت شهيدة.

(٥) Marguerite (+ ١٠٩٣) ملكة اسكتلندا.

(٦) Catherine d'arc.

(٧) Germaine.

٢ – احبّ عزلَةَ
هذه الاجمة الجميلة.
لي عاده لطيفة
ان آتيها سراً.

٣ – اضفُرُ فيها إكليلاً
من زهر الحقول الجميل،
واهديه الى مريم
مع أعذب التراتيل.

٤ – استعذب الطبيعة،
الزهر والعصفور.
أتأمل امواهَ
الساقية الهامسة.

٥ – تُبهجُ ناظِريَّ
الحقول والوديان؛
وذُرى الروابي
تُدْنيني الى السماء.

٦ – تزورني غالباً
اصواتٌ غريبة؛
اعتقد واثقةً،
انها لغة الملائكة.

٧ – أُسائِلُ الفضاء،
أُنعِمُ النظر في السماء،
لا ارى اثراً
لكائنات خفيّة.

٨ – عبر السحابة
التي تحجبها عني،
الى الشاطيء السماوي
ليتني اطير! ...

المشهد الثاني

(تنتهي جانّ من الانشاد، فتقترب كاترين منها بلطف، وتبدو جانّ مندهشة عند رؤيتها).

جانّ: اختي الصغيرة، كاترين، ماذا جئتِ تفعلين هنا؟ لماذا لا ترعَينَ قطيعك؟

كاترين: لقد عاد قطيعي الى الحظيرة. هل نسيتِ، يا جانّ، انَّ اليوم يومُ عيد؟ رفيقاتنا بانتظارنا لنذهب معاً ونرقص حول الشجرة الكبيرة.

جانّ: ها قد جهّزت أكليل الزهر، فلم انسَ العيد. ولكن ما زال الوقت مبكِّراً لكي أُعيد حملاني الصغيرة الى الحظيرة. سألقاكِ بعد ساعة تحت الشجرة الكبيرة.

كاترين (بحياء): جانّ، عفواً! ارجوكِ لا تلوميني ... سمعتكِ تنشدين منذ قليل، وأنا مختبئة خلف الاشجار... كنتِ تقولين إن الملائكة تحضُرُ وتكلِّمُك ...

جانّ (بتأثر): سمعتِني! ... يا كاثرين، اياكِ ان تردِّدي هذه الكلمات، او ان تطرحي اسئلة، فلا استطيع ان اجيبكِ.

كاثرين (تداعب جانّ وتجلس بقربها): جانّ، انا اختكِ الصغيرة، فلا تخفي سرّكِ عليّ. أعِدُكِ بألاّ ابوح به لأحد أبداً.

جانّ: حسناً، لكِ وحدكِ، يا كاثرين، ابوح بسرّي. أنتِ تحبّينني، واعرف انكِ لن تفشي السرَّ لأحد. الحقيقة انني منذ الثالثة عشرة من عمري اسمعُ، غالباً، اصواتاً مجهولة، انها جميلة وشجيّة جداً... ان صوتَ العندليب لا يمكنه ان يقارَنَ بها رغم عذوبته الفائقة...

كاثرين: يا جانّ! انها الملائكة بدون ادنى شكّ! انتِ طيبة جداً، فلا عجبَ إن غَمرَكِ الربُّ والسيِّدة بانعاماتهما.

جانّ: لا أعلم إن كانت اصواتي هي اصوات الملائكة، فلم يسبِق لي ان رأيت أيّاً منهم. ولكنّي لست طيّبة كما تظنيّن؛ فاصواتي توصيني بأن اكون طيّبة وتَعِدُني بأن حماية الرب سترافقني إن حَفِظتُ قلبي له وحده.

كاثرين: جانّ، ما معنى ان أحفظ قلبي للّه وحده؟ ... أيجب الاّ أُحبَّ سواه؟ ... ذلك صعبٌ جداً ... فحبِّي لكِ يفوق الوصف. هل تظنيّن أن عاطفتي نحوكِ تكدّر الربّ؟

جانّ: كلاّ، يا صغيرتي كاثرين، لا اظن ذلك! فحبّي لكِ يوازي حبّكِ لي، وعاطفتنا تروق الربّ. ولكن أَن تحفظي قلبكِ للّه وحده يعني ان تتّخذي يسوع عريساً. لقد نصحتْ لي اصواتي منذ وقت طويل بأن اكرّس بتوليتي[٨] لربّنا تحت رعاية السيّدة. يا كاثرين! لو تعرفين كم يختزن يسوع من الحنان للنفوس التي يختارها عرائس له!

كاثرين (تنهض): انا ايضاً اريد أن اكرّس نفسي ليسوع! جانّ، خذيني بسرعة الى مذبح السيّدة، فأريد ان اتشبّه بكِ واصيرَ طيّبة مثلكِ.

جانّ (مبتسمة): انتِ حديثةُ السنّ، يا اختي الصغيرة. فعليكِ ان تنتظري وتصلّي الى ربّنا لكي يُنعِمَ عليكِ فتصيري يوماً عروسه. سأطلب لكِ ذلك انا ايضاً. كوني دائماً عاقلةً ومطيعةً، فتلك هي الوسيلة لكي تلفتي انظار اللّه.

المشهد الثالث

(تصل جِرمان مزيّنة بالأزهار).

جِرمان: وماذا تفعلان؟ سيبدأ العيد بعد نصف ساعةٍ ولم تتزيّن جانّ بعد ... (تُمسِكُ الاكليل بيدها) إكليلكِ جميلٌ جداً، ولكن لا اشكّ في انكِ صنعتِهِ، ايضاً، من اجل معبد السيّدة، فلم أرَكِ يوماً تضفرين إكليلاً واحداً لكِ ... أما

(٨) يظهر في يوميات محاكمة جان دارك المحفوظة في دار الكتب الوطنية في باريس تأكيد جانّ دارك على أنها كرّست بتوليتها للربّ من تلقاء نفسها عندما خاطبتها اصواتها (م).

كاثرين، فهي على الأقل، تهوى التزيّن. صحيح أنَّ ازهاري كلّها لمريم، ولكنّي لا ارفض المشاركة في العيد. سأرتب هندامي بسرعة، ولن اتأخر عليكما في الوصول. جِرمان، اصطحبي كاثرين، فسأنضمُّ إليكما بعد قليل.

جرمان: أُلحّ عليك يا جانّ، لا تتخلّفي عن الحضور، فلا عيد بدونك.

كاثرين (لجانّ): لا اريد المضيّ بدونك، فأنا بانتظارك.

جانّ: كوني مطيعة، يا كاثرين، تعرفين ما اتفقنا عليه. احتاج الى ان اكون لوحدي لبضع لحظات.

جرمان: كثيراً ما تريدين البقاء لوحدكِ، فلماذا؟ ألا تتضايقين من جهللكِ الاخبار؟ ... فأنا اِعرف اخباراً شيّقة جداً ... أتعرفين ما يجري في أورليان؟

جانّ: كلاّ، لا اعرف عنها شيئاً، لقد انضمّ اخواي الاكبران جاك وجان الى الجيش، وأنا أصلّي لأجلهما كلَّ يوم. لكنّي لا أرغب في معرفة ما يجري في اورليان او في أي مكان آخر.

جرمان: ألا تحبّين، اذاً، فرنسا، يا جانّ؟

جانّ: بلى، إني أحبُّها. ولكني لست سوى راعية صغيرة، واعرف أني اكثر نفعاً لوطننا المسكين إن بقيتُ متواضعة ومحتجِبةً، من ان اسعى الى معرفة أشياء لا تعنيني.

كاثرين (تنهض): حسناً، يا جانّ، بما أنك طلبتِ مني الذهاب، فسأذهب الى العيد. اذا بدأت جرمان تسرد عليك كلَّ ما تعرفه، فسينتهي العيد ونحن ما نزال هنا. وانا شديدة الرغبة في ان لا افوّته عليّ، سيكون عيداً جميلاً حتماً.

(جرمان وكاثرين تعانقان جانّ وتذهبان الى العيد).

المشهد الرابع

جانّ: تقدّم بنا الوقت ولم اسمع اصواتي بعد... ومع ذلك عليّ الذهاب الى

العيد. (تركع) ايتها السيّدة، إحميني، فأنا خادمتكِ الصغيرة. امنحيني النعمة بألاّ افعل شيئاً لا يُرضيكِ.

مار ميخائيل (غير منظور، يرتّل):

سيحلّ يوم النصر
الذي يخلّصُ مملكة الفرنجة.
فللّه وحده يعود المجدُ كلّه،
ولكي يُظهرَه، يُسلِّح ساعدَ طفلة.
وتلك الطفلة المحاربة الفتيّة،
ليست بنت ملك ثريٍّ باسل،
فهي لم تَزَلْ راعية مسكينةً.
لكن اللّه يدعى: الكلّي القدرة.
يريد ان يهبَ للبتول الخجولة
قلباً من نار وروحَ محارب،
ثمّ يتوّجُ جبينها الطاهر البريء
بالزنبق والغار.

جانّ (خائفة): يا إلهي! لست افهم!... كان الصوت الذي اسمعه، عادة، بالغ العذوبة... أما الصوت الذي اسمعه اليوم، فلا يعنيني انا. من هي إذاً البنيّة التي بواسطتها ستُنجَزُ اعمالٌ عظيمة كهذه؟... قد اكون أنا من سيبلّغها ارادة الرب... لكنها لن تصدِّقني! ايتها العذراء القديسة مريم، وانتَ يا ملاكي الحارس، تكرّما فاشرحا لي، وقولا لي ماذا عليّ ان افعل...

القديستان كاثرين ومرغريت، (غير منظورتين، ترتلان):

بُنَيَّتَنا المحبوبة، رفيقتَنا الوديعة،
صوتُك الرنّانُ قد بلغ السماء،
والملاك الحارس، رفيقُكِ الدائم،
رفع امنياتكِ الى الازلي.

إننا نازلتان من مملكته السماوية،
حيث نملك للأزل.
وقد تكرّم الله بأن يبلّغكِ
بصوتنا ارادته!...
انطلقي لتخلّصي الوطن،
احملي السيف لتصوني شرفه.
ملك السماوات والعذراء مريم
سيجعلان ذراعكِ دائماً منتصرة.

جانّ (ازدادت خوفاً): أخلّص الوطن!!! أحمل السيف!... انا، المسكينة، بُنيّة الحقول... بل اني احلم!... (تنهض وتنظر في ما حولها). كلاّ، انا في اليقظة!... يا إلهي!... هلّم الى نجدتي... انا مضطربة، خائفة...!!! (تغطي وجهها بيديها وتبكي.)

القديستان كاثرين ومرغريت (غير منظورتين):
تَعزَّي يا جانّ، وكفكفي الدموع.
اصغي وانظري الى السماء،
هناك ترين في التألّم سحراً،
وتنعمين باناشيد شجيّة.
هذه الالحان تقوّي عزيمتكِ
للمعركةِ القريبة الأجل.
يلزمك حبّ متأجّج
ويجب ان تتألمي!..
النفس الطاهرة المنفيّة على الارض،
مجدُها الاوحد هو حَمْلُ الصليب؛
فهذا الصولجان الخشن سيبدو يوماً
اجمل، في السماء، من صولجان الملوك.

مار ميخائيل (ما زال غير منظور):

لِمَ الكلام على الدموع والعذاب؟
أنشدوا، بالاحرى، المعارك المجيدة.
تغنّوا، تغنّوا بجمالِ فرنسا،
وبالبطلةِ ذات الساعد المظفّر.
جانّ سيقودها سيّد المعارك،
عمّا قليلٍ، الى مآثر جديدة.
سيراها الجميع تخترق النيران
يتبعها أعظم القوّاد.
لن تطلبَ البتول الشهمة،
لحظةً، امجادَ البلاط.
سيبقى قلبها نقياً وايمانها عظيماً وسامياً
حتى يومها الاخير.

(بينما يستمر الانشاد، ترفع جانّ رأسها وتحاول رؤية الكائنات غير المنظورة التي تكلّمها. ثم تلبث في حالة الانخطاف. فيخيفها صوت القديس ميخائيل ويُبكيها من جديد. وبعد أن يفرغَ من الانشاد، تقول جانّ ما يلي):

جانّ: فمن انتَ لتكلّمني على هذا النحو؟ ارجوك، أظهِر نفسك لي. إذا كان صوتك جميلاً ومخيفاً الى هذا الحدّ، فكم يكون وجهك جميلاً!...

المشهد الخامس

(يظهر مار ميخائيل في الفضاء في قلب غيمة نيّرة. وتبدو جانّ مرتعبة عند رؤيته).

مار ميخائيل:

انا ميخائيل، حارس فرنسا،
القائد الاعظم في مملكة السماوات،
سطوتي تطال الجحيم،
ويحسدني الشيطان كل الحسد.

وقديماً، يومَ كان متلألئاً بالنور،
اراد ان يملك على المكان المقدّس؛
لكنّي هتفتُ وسط قصفِ الرعود
بهذه الكلمات: «مَن مثلُ الله؟»
الانتقامُ الالهي، في اللحظة عينها،
حَفر هوّةً زجّ فيها لوسيفير.
لا رحمة للملاك المتكبِّر!
فهو يستحقّ الجحيم!

نعم، هي الكبرياء قد حوّلت هذا الملاك،
فجعلت حاملَ النور مرذولاً.
وبعده، انغمس الإنسان في الوحول؛
لكنّ الله أَصْلَحَ كبرياءهُ.
فالأزلي، الكلمة المساوي للآب،
تسربل بالانسانية الضعيفة
وجدّد خلْقَه كلّه،
بتواضعه العميق.

هذا الاله عينه يخلّص، اليوم، فرنسا،
لكن ليس بيد فاتح عظيم؛
فهو يرذل الكبرياء،
ويؤثر بنيَّةً ضعيفةَ الذراع.

يا جانّ، إياك اختارت السماء،
وعليكِ الرحيل، فلبّي النداء.
اتركي المرج والحملان،
وهذا الوادي النديّ والريف والغابات.
احملي السلاح! طيري وخلّصي فرنسا!
هيّا، لا تخافي شيئاً، حتى ولا الخطر،

فالله بقدرته سيتوّج بسالتك،
فتطردين الغرباء.

جانّ (ترتعد بشدّة): هل يمكن ان يُعِدَّني الله لأشياء عظيمة كهذه؟... لكن لا ارى في نفسي الشجاعة التي تكلّمني عليها... لست سوى بنيّةٍ ضعيفةٍ خجولة... يا للأسف! هل يجب ان اترك هذا الريف الذي أمضيت فيه طفولتي بعذوبة فائقة؟...

مار ميخائيل: دعي الكوخَ، يا بنيتي الخجولة؛
تقلّدي السيفَ الذي خصّك الله به،
واتخذي عَلَماً أبيضَ بيرقاً لكِ،
واذهبي الى لقاء الملك!...

(مار ميخائيل يحاول تسليم السيف الى جانّ، ولكنها تتراجع خائفة)

جانّ (بصوت مرتجف): لا! ليس بعد... سيّدي مار ميخائيل، احتفظ بسيفك... لست سوى بنيّة صغيرة، فكيف لي أن أُحارب...

(مار ميخائيل يختفي. تجلس جانّ على صخرة.)

المشهد السادس

جانّ (لوحدها): آه، لو امرني الله بالانزواء في قفر بعيد، لما تردّدت في ترك اهلي الاعزاء من اجل طاعته. لكن عليّ المضيّ الى الحرب!... يجب ان احارب على رأس جيش!... لا!... هذا مستحيل!!!...

المشهد السابع

(تبكي مخبئة وجهها بيديها. بعد لحظات من الصمت تأتي القديسة كاثرين فتجلس بالقرب من الراعية الصغيرة وتتأملها بحنان وتلمس يدَها برقّة، ثم تهمس بلطف: «جانّ...» فترفع جانّ رأسها، وتنظر الى وجه البتول كاثرين المشعّ، ثم تركع هاتفة:)

جانّ: ايتها السيّدة! كم انتِ جميلة! رؤيتك، وحدها، تعزّيني... من انتِ؟ لم أرَ قطّ نوراً بهذه العذوبة وهذا الاشراق!...

القديسة كاثرين:

انا كاثرين البتول،
جئتُ من السماء أعزّيكِ،
وقد كلّفني الله
بأن اباركك واحفظك.
كنتُ مثلك في الارض
بنيّةً يحبّها الربّ.
كان حنانه عزيزاً عليّ
فكرّست له قلبي؛
ومنذ بداية حياتي
وهبتُ لله،
صبايَ مفتونة،
وفي الثامنة عشرة، صرت شهيدة!...

جانّ: أيّ تبدُّلٍ حدث في داخلي! ايتها البتول الطيبة اللطيفة! فصوتك قد بدّد كلَّ مخاوفي، فلم أعُد خائفة... لقد زارني أيضاً القدّيس ميخائيل، رئيس الملائكة، فملأني صوته رعدة. غير ان إنشادَكِ العذب يُفيض عليّ الفرح، فسأمتثِلُ لأرادة الربّ بدون خوف!.

المشهد الثامن

(تظهر القديسة مرغريت وتحيّي القديسة كاثرين)...

القديسة مرغريت:

أيتها البتول المجيدة كاثرين،
بحثت عنكِ في السماوات سُدًى.
وقد اجتزت لتوّي الأكمة
التي تُبعدني عن هذا المكان.
كنتُ في الجبل المقدس،

توسَّلت الى الربّ
ان يرسل الى رفيقتنا
ملاكاً بهياً معزّياً.

فأجابني ملكنا العظيم:
«ايتها الرسولة السماوية،
طيري الى الراعية الطيّبة،
فاتّكالي عليكِ
وعلى البتول كاثرين
عروسةِ قلبي الحبيبة؛
تمّمي المهمّة الالهّية
وآزري زهرتي المتواضعة».

القديسة كاثرين (تقول للقديسة مرغريت:)

أُحيِّيكِ أيتها الملكة البهيّة،
حبيبةَ الملك العظيم.
يا سلطانةً محبوبةً
تعالي واجلسي بقربي.
علّمي الراعية المتواضعة
كيف تملك على الدوام.
فهذه البنيّةُ الغالية علينا
تستحقّ عنايتنا وحبّنا.
وفي أثناء استشهادها
سنأتي باسمتين،
ونريها السماء
وإليها نقودها!...

(تجلس القديستان على الصخرة، فيما تبقى جانّ راكعة إمامهما).

القديسة مرغريت (لجانّ):

السماء قريبةٌ من الارض،
والربُّ يعرف رغباتك،
ويسمع القديسون صلاتكِ
ويتقبّلون كل تنهداتكِ.
فالطوباويون والملائكة القديسون
لا ينقطعون عن حمايتك؛
والطغمات السماوية كلّها
رجتني أن اؤكده لكِ.

جانّ: في يوم واحد... غمرُ عزاءٍ لم اتوقعه! (تجمع يديها) سيّدتي، اعجز عن شكران افضالك الكثيرة. ولكن، بما انكِ غايةٌ في اللطف، تكرّمي ولا تخفي عنّي اسمك!

القديسة مرغريت:

أنا مرغريت الملكة،
ومملكتي السماء الجميلة الزرقاء،
والى الابد اقيم
في قصر الهي العظيم.
لم يبهُرْني يوماً
سحرُ عظائم الارض.
فتصبح الافراح مرّة
لدى التفاتي الى السماء.

قريباً، يا جانّ،
تحظين بالمجد والتكريم؛
سوف تُحرزين النصر،
ومثلي تملكين،

رافضةً ايَّ مديح،
وكلُّ الثناء ليسوع.
ويفرح بك ملاكك
ويتقبل فضائلك.

أيتها الراعية اللّطيفة،
هكذا تملكين على الدوام.
إن احتقرت امجاد الارض
حَظِيَ بكاملِ حبّك يسوع .

جانّ: حقاً! ايتها الملكة الجميلة! لست ابغي الاّ كرامة ربّنا ومجدَه. لا اريد امجاد الارض، بل ارغبُ جداً في مُلْكِ السماء، وأشعر بأني سأبذل كلّ غالٍ للحصول عليه، وحتّى لو اقتضى منّي ان اذهب الى اقاصي الارض وأسفك دمي كلّه؛ عساي، بنعمة ربنا، لا اتردد لحظة واحدة.

القديسة كاثرين:

ستصيرين شهيدةً مثلي،
لكنّ يسوع يقوّيكِ؛
ومثل باقة مرّ **(نشيد ١، ١٢)**
يرتاح دائماً على قلبك.

وبعد منفى هذه الحياة،
سيعزْيكِ يسوع،
ويَحني وجهه المبارك
ويقبّلكِ.

وانتِ، يا جانّ،
البنيّة الشهيدة،
في نشوة مقدّسة

تشيدين باحساناته
للأبد في السماء...

جانّ: افهم أنَّ عليَّ ان اتألم لكي يحني يسوع وجهه الالهي إليّ. ولكنّي عروسته الصغيرة، وأريد ان احاول مبادلته الحبّ بالحبّ. ارجوكِ، قولي لي: ماذا افعل لكي اجذب انظار ربّنا إليّ؟

القديسة مرغريت:
عليكِ بتركِ هذي الحقول
طاعةً للملك الالهي.
إنه هنا يرافقكِ
ويريد ان يسير معكِ.

جانّ: ووالديَّ...؟ لا شك أن الربّ سيهتمّ بهما أيضاً...؟ اشعر بأن الألم الذي سيسبّبه لهما رحيلي يفوق كلَّ التضحيات الاخرى...

القديسة كاثرين:
عندما ترين امّك تبكي،
يا بنيتي المسكينة، بقلبك تتوجّعين،
ودموعُ ابيك العجوز
تجعلك ترتعشين.
واللّه يرى كلّ تضحياتك
فيتجلّى سخاؤه
بأن يذيق والديك العزيزين
اطايبه في السماء.

جانّ: بما أن الله سخي جداً عليّ، فأنا ايضاً اريد ان اباذله السخاء. (تقول بحزم): نعم، سأرحل عن هذه الاماكن لأطرد الغرباء الى خارج فرنسا...! لا احتاج إلاّ الى بركة ربّي يسوع المسيح وحمايةِ السيّدة.

القديسة كاثرين:

نجمة الصباح، مريم،
تسدِّد خطاكِ، بنيتي العزيزة،
وحنانها البتولي
يقود قريباً ذراعك،
الى انتصاراتٍ باهرة.
ويكشف الكوكب عن جماله
فيشعّ عليكِ بامجاده،
وبنوره الفائق وصفُه،
ستشاهدين بدون حجاب،
تلك النجمةَ اللطيفة
تتلألأ امام ناظريك
للأبد في السماء.

جانّ (ترفع عينيها الى السماء): متى يتسنّى لي أن أرى النجمة اللطيفة الساطعة؟... ايتها القديستان البهيّتان، يا ساكنتَي الفردوس! يا من شاهَدَتا نصاعةَ مريم البتولية، تكرّما وخذاني سريعاً إليها.. (بعد برهة): قولا لي، ارجوكما، ما هو السرّ الذي أنزلَ من السماء بتولاً وملكة سنيّةً، لتعزّيا راعيةً صغيرةً مسكينة وتجعلاها تستشعر مسرّات الفردوس؟

القديسة مرغريت:

لا تعجبي إن جاءت ملكة
الى هنا تخاطبكِ،
فاللّه العليّ العظيم
نظر الى نفسك..
وكما جذبَ تواضعُ مريم
الملكَ الإلهي،

كذلك وضاعة حياتك
جعلته ينزل اليكِ.

جانّ: حياتي فقيرة خفيّة، وكنت اظن اني لا افعل شيئاً من اجل الله. الآن فهمت لماذا اراد ربّنا ان يولد في العَوَز، ذلك أن التواضع عزيز جداً عليه.

القديسة مرغريت:

ولد يسوع في اسطبل،
يسوع ابن الله الحيّ،
حجبَ مجده الفائق الوصف
خلف قسمات طفل صغير.
اتخذ المذود له عرشاً،
ولم يحمل صولجاناً ذهباً.
لم يُرَ تاجٌ على رأسه
ولا ما يسطع في مظهره.

ما كان الساروفيم ليصدّقوا
نزولَ الله الى هذا الحدّ.
بالمجد ارادوا أن يتوّجوا
الملكَ العظيم الذي فقدوا.
لكن الطفل يسوع في الاقمطة
فضّل التواضع
على النور الباهر
وعلى حماسة ملائكته.

جانّ: انا ايضاً اريد البقاء صغيرة جداً ومتواضعةً جداً، لكي اشابِه يسوع، واستحقّ ان يجعل فيَّ منزله... ايتها القديستان البهيّتان! أمّا وقد تكرّمتما ودعوتماني اختكما، إحمياني دائماً. برفقتكما، لن اهاب ايَّ خطر. أمّا اذا تركتماني، فأني اصير ضعيفةً خجولةً، كما كنت من قبل.

القديسة كاثرين (تقترب من جان وتطبع قبلة على جبينها وتُنشد):

انا لكِ اختٌ وخليلة،
سأسهر دوماً عليكِ،
ففي الوطن الابدي
مكانك بقربي.
والتلال السماوية
حيث يرعى قطيع البتولات،
قريباً تفجّر لك
ينابيعَها الالهية
الشفّافة كالبلّور.
وفي الحقول،
مع رفيقاتك،
ستتبعين الحمل
وتنشدين النشيد الجديد! ...

القديسة مرغريت:

لقد تقدّم بنا الوقت،
وعلينا العودة الى السماء.
ولكن لا تخافي، بنيتي المحبوبة،
ستَريننا هنا من جديد
مع ميخائيل رئيس الملائكة العظيم؛
سنعود لنباركك،
وستسمعين هذا الملاك البهي
يأمرك بالرحيل.

(تبتعد القديستان، تتبعهما جانّ بنظراتها وتبقى راكعة).

المشهد التاسع

جانّ (لوحدها): يا الهي! كم انت قوي! ... عندما تأمرني بأن اخلّص وطني، فانت تبثّ في حبّاً شديداً له. لقد تبدّل قلبي تماماً، وأخاله من نار! ... أعرف ارادتك يا ربّ، وأريد أن أتمّمها، لكنّي اجهل تفصيلات مهمّتي ... يا مار ميخائيل! تكرّم وأسمعني صوتكَ من جديد، فلم أعد اخاف السيف او الحرب، ويمكنني الآن تحمّل نور وجهك المتوهج. قُلْ لي، أرجوك، الى مَن يجب ان اتوجّه لكي اتعلّم فنّ القتال؟

المشهد العاشر

(يظهر مار ميخائيل في الفضاء كما في المرة الاولى. وتبدو جانّ مغمورة بالفرح لرؤيته:)

مار ميخائيل:

عليكِ، يا جانّ، بقضيتنا
الى السيد الباسل دو بودريكور[٩]؛
لكنه يصمّ اذنيه عن ندائك
ويظُنّه وهماً خادعاً.
قدرة الله العلي
تزيل تجبّر السيّد العزيز،
وتُخضِعُهُ لطاعتك
مثل خادم وضيع.
فيسلّحك دوبودريكور للحرب
ويختار لك موكبَ شرف،
يُغادر معك فوكولار[١٠]
سعيداً وفخوراً بمهمّته.

(٩) De Baudricourt ممثّل الملك في المدينة المذكورة.
(١٠) Vaucouleurs

جانّ: ولكن اين اجد الملك؟ فأنا لا اعرفه ولا اعرف في اية مدينة يقيم.

مار ميخائيل:

هناك، في شينون[١١]، سوف تَلقَينَ
وليّ العهد في حاشيته،
وسيكشفه الله لكِ
في زيٍّ عاديٍّ بسيط.
فتقولين له: «ايها الامير اللطيف،
لك عهدي امام كل العظماء.
لأسمك يعطى السلطان
فأنت الملك الحقيقي.
ثقْ بان القديس لويس وشرلمان
لا ينقطعان عن الصلاة راكعين.
فرنسا وطنهما، فعلى الجبل المقدس
من اجلك يقاتلان!...»

جانّ: وهل سيصدّقني الملك؟ وكيف يُعهد بالجيش الى راعية صغيرة مسكينة؟...

مار ميخائيل:

يا ابنةَ الله، الفتاةَ الشجاعة،
نعم، سيستجيب شارل السابع لندائك،
ويتفوّق جيشك في المعارك
على جيوش الملوك العظام.
العدو يحاصر اورليان[١٢]،
فهبّي لنجدتها يا جانّ.

---

(١١) Chinon.

(١٢) Orléans.

مرآك وحده سيرفع الحصار،
وترين الانكليز الى فرار.
بعدها، رانس[١٣] تدخلين،
ورايةُ النصر خفّاقةٌ حولك،
واحتفالاً مجيداً تقيمين
لتتويج الملك!...

يومها تنتهي مهمتك
ايتها المحاربة الباسلة،
يومها تشاهدين أباك
يشقّ الجموع ليباركك.
عناقه يبعث فيك
من جديد، حبَّ ذويكِ،
وتبدو لك ضيعتُك
المكانَ الوحيد اللائق براحتك
بعد كل هذه المآثر.

جانّ: نعم، ستكون دائماً قرية دون ريمي المكان العزيز على قلبي! سأعود اليها بعد ان أتمِّم مشيئة الله. وعندما أُنجز مهمَّتي، لن يبقى لي سوى رغبةٍ واحدة هي أن احتجب، واترك للّه وحده مجدَ الانتصار. لكنني اخاف ألاّ يسمح لي الملك بترك الجيش... اتوسّل اليك، يا رئيس الملائكة المجيد، قل لي، ماذا عليّ ان افعل عندئذٍ؟

مار ميخائيل:

واذا امتنع شارل السابع
عن تلبية سؤالك ورغبتك المتواضعة،

---

(١٣) Reims.

فاضرَعي لألهك، يا جانّ،
وأودعيه المستقبل،
إنه محبّ حنون.

المشهد الحادي عشر

(القديس ميخائيل يختفي. وتبقى جانّ بلا حراك في حالة انخطاف. وبعد قليل، تقترب منها الراعيات الصغيرات وعلى وجههنّ علامات القلق الشديد.)

جرمان: يا جانّ، يكاد العيد ينتهي، وكنّا لا نزال نأمل ان تأتي؛ ولكن في النهاية، خشينا ان يكون قد اصابك مكروه... لِمَ سبّبتِ لنا هذا القلق؟ ألا تعرفين كم نحبُّك؟...

كاثرين: يا جانّ، لِمَ لم تأتي؟ ليتكِ تعرفين كم خفتُ! لقد وعدِتني بملاقاتي، وهذه هي المرة الاولى التي تحنثين فيها بوعدك!

جانّ: انشغالٌ مهم طارىء أنساني وعدي. ولكن لم يحدث لي ايُّ مكروه. عُدْنَ الى العيد دون خوف، ولا تَقْلَقْنَ!

كاثرين (بصوت خافت): كلاّ يا جانّ، لن استطيع العودة؛ ارى أنك قد سمعتِ شيئاً عجيباً، فأريد ان ابقى معك. (تبكي)

جانّ: جرمان، عودي الى العيد، فقد يلاحظون غيابك. سأستبقي كاثرين لانها ليست متعقّلة كفاية لتستغني عني.

جرمان: من الواضح انك تخفين سرًّا... آمل ان تبوحي لي به يوماً. الى اللقاء يا جانّ؛ سأعود غداً.

جانّ: الى اللقاء يا جرمان.

المشهد الثاني عشر

(بعد رحيل جرمان، تجلس جانّ مع اختها على الصخرة وتقول لها:)

جانّ : كاثرين، اختي الصغيرة العزيزة، ابتهجي، فقد اختارني الله تعالى بمشيئته ليخلّص فرنسا. لقد تراءى لي القديس ميخائيل، وأمرني بالذهاب لنجدة مدينة أورليان، والسعي لتتويج الملك في رانس!

كاثرين (مذهولة): سترحلين يا جانّ! ستتركينني! لا اعرف ما هي اورليان، وما هي رانس، لكنني افهم انك سترحلين ... خذيني معك اذاً ...

جانّ : كلاّ يا كاثرين، لا يمكنك مرافقتي الى الحرب؛ ولكن اطمأنّي، سأعود بعد أن اتّمم ارادة الله.

كاثرين (تبكي): اذاً، لم تعودي تحبّينني، طالما انك تريدين تركي؟ سأموت من الحزن ... واهلنا المساكين، لن يستطيعوا ابداً تحمّل ألم كبير كهذا.

جانّ (بحزن): آسفة لأخبارك بسرّي، فأن أُبكيكِ. وانا ايضاً، بكيت عندما امرني القديس ميخائيل بالرحيل. لكن القديستين كاثرين ومرغريت جاءتا تعزّيانني، وقطعتا لي عهداً بأن تحمياني. وأضافتا أن الله سوف يكافيء اهلي الاعزاء مكافأةً رائعةً اذا خضعتُ لصوته باخلاص.

كاثرين : سأكفّ عن البكاء طالما أن ذلك يؤلمك ... ارى ان الله قد زارك ... فعلى وجهك شيءٌ يثير المهابة.

جانّ : الآن، يا كاثرين، يجب ان تعودي الى أمنا الطيبة، ولكن لا تقولي لها شيئاً عن سرّي، فسوف ابوح لها به عندما تأمرني اصواتي بذلك.

كاثرين: وهل سترجع اصواتك يا جانّ؟ اتمنّى لو اسمعها، وارى القديسين الذين يُجيدون الانشاد.

جانّ : لن ينشدوا امامك، ولا هم يُسلِمعون صوتهم لمن اجلي انا، بل من اجل خلاص فرنسا. وما أنا سوى اداة ضعيفة اختارها الله، وسيقودني بيده القديرة لأُنجِز عمله.

كاثرين: إذاً، أَفترق عنكِ يا جانّ؟!.. لا قدرة لي على تقبّل هذه الفكرة. ولكن على الاقل، لا تذهبي دون إخباري.

جانّ: كلاّ يا كاثرين، أعدِك بذلك، وآمل ان اعود قريباً الى ضيعتي العزيزة دون ريمي.

كاثرين: أواه! اخاف كثيراً ألاّ يسمح لكِ الملك بالعودة! ...

جانّ: يا اختي الصغيرة العزيزة، يجب ان نترك المستقبل بين يدي الله تعالى. واذا لم يكن لنا ان نلتقي من جديد في هذه الدنيا، فسنلتقي فوق، في الوطن السماوي، ولن نفترق بعدها ابداً. وعندها، تبتهجين معي بالمهّمة التي اوكلها الرب إليّ اليوم، وهي المحافظة على ايمان فرنسا عزيزتنا، وجَعْلِ السماء تعجّ بالمختارين! ...

كاثرين (تعانق جانّ وتقول لها): ما أسعدك أن اختارك الله، وأنا افتخر بكوني اختكِ الصغيرة. وأنا... الا يمكنني ان أفعل شيئاً من اجل الله تعالى؟ ...

جانّ: أبقَيْ دائماً طاهرة، وكوني في اتّحادٍ مستمرّ بالله، تُحقّقي له اموراً عظيمة. بذلك تساعدينني على الانتصار على الهراطقة، ويكون لكِ في السماء نصيبٌ من المجد والسعادة، مماثلٌ لنصيبي. الطرق مختلفة، لكنها توصلنا الى الهدف عينه... (تعانق اختها الصغيرة) وداعاً يا كاثرين، صلّي لأجلي ولأجل فرنسا، بينما أنا، أحارب من اجلها.

المشهد الثالث عشر

(تبتعد كاثرين باكية. بعد ذهابها، تركع جانّ وترتّل:)

جانّ: من اجلكَ وحدك، الهي، سأترك ابي،
وكلّ اهلي الأعزّاء، وقبةَ الجرس الجميلة.
من اجلك سأرحل وأقاتلُ في الحرب،
ومن اجلك سأهجر واديَّ وقطيعي.
سأقود الجيش بدل حملاني،
وأهبُ لك فرحي وربيعي الثامن عشر.
من اجل إرضائك، ربي، سأمتشق السيف
بدل ان ألهُوَ بازهار الحقول. (تعاد)

فصوتي الذي كان يناغم نفح النسيم
قريباً يدوّي عند احتدام القتال.
وبدل رنين الجرس الحالم المتردّد
يضجّ في مسمعي صخب شعب يحارب.
أشتاق الى الصليب! ... إني احبّ التضحية!...
آه! تكرّم ونادِني، فأنا مستعدة لمواجهة الألم؛
فالتألّم من اجل حبّك يبدو لي متعة.
يسوع، يا حبيبي، من أجلك أريد ان اموت. (تعاد)

المشهد الرابع عشر

(يظهر القديس ميخائيل مع القديستين. هو يحمل السيف والقديسة كاثرين تحمل السعفة، والقديسة مرغريت الاكليل...)

مار ميخائيل:

حان الوقت، يا جانّ، عليك الرحيل!
هوذا الربّ، يسلّحك للحرب.
يا ابنةَ الله، لا تخشي ان تموتي،
فقريباً تبلغين ما ترجين من حياة.

القديسة مرغريت: بنيتي العزيزة، ستصبحين ملكة،

القديسة كاثرين: تتبع الحمل مع طغمة العذارى،

القديستان معاً: ومثلنا ستسبّحين
بهاءَ الله الملكي.

مار ميخائيل:

إسمكِ يا جانّ مكتوب في السماء
مع اسماء مخلصي فرنسا.
والله يحفظ لكِ عرشاً مجيداً
يُظهِر قَدْرَكِ وقُدرتك.

القديستان معاً:

بسعادة كبرى، نتأمّل
البهاءَ الالهي يشعُّ على جبينك،
ومن السماء نحمل اليك

القديسة كاثرين: سعفةَ الشهادة

القديسة مرغريت: والاكليل.

(تتقدم القديستان لتعطيا جانّ السعفة والاكليل لكن القديس ميخائيل يمنعهما من الاقتراب مُظهِراً السيف ومنشداً:)

مار ميخائيل:

لا بد من معركة قبل الانتصار.
لا، لم يَحُن بعد أوان السعفة والاكليل.
تقلّدي السلاح، يا جانّ، الفتاةَ الشجاعة،
وخذي هذا السيف، فاللّه يسلّمك اياه.

(تتسلّم جانّ السيف راكعةً، ثم تنهض وهي تنظر اليه بسعادة وحبّ، ثم تضمّه الى صدرها)

القديستان معاً:

يا جانّ، في المعارك سنتبعك،
وسنجعل النصر دائماً حليفَك،
وقريباً على رأسك،
نضعُ تاج المجد.

جانّ: ايتها القديستان المحبوبتان،
معكما لا اخشى الخطر.
نعم، سأهجر هذه الوديان
لكي اطرد الغرباء.
احبّ فرنسا، وطني،

وأريد الحفاظ على ايمانها،
سأضحّي بحياتي من اجلها،
وسأحارب من اجل ملكي.

لا، انا لا أخشى الموت،
فالأبدية هي رجائي!...
واذا دقَّت الآن، ساعة رحيلي،
يا ألهي، عزِّ أمّي!...
ويا مار ميخائيل، تكرّم وباركني (تعاد).

(تركع جانّ لتنال بركة القديس ميخائيل، ثم تبتعد.)

خاتمة

(بعد رحيل جانّ، ينظر القديس ميخائيل الى السماء وينشد، وكأنه يتلقى وحياً.)

مار ميخائيل:

منذ الآن، في السماء، أرى الطوباويين
يُصغون، مبتهجين، الى كنّارة
الحبرِ الخالد لاوون الثالث عشر[١]،
تترَنَّم بجانّ البتول الشهيدة.
أسمع الكون يعلن
فضائل البنّية المتواضعة التقيّة،
وأرى الله يثبّت
الاسم الجميل: جانّ الطوباوية![٢]

---

(١) سنة ١٨٩٤ أعلن البابا المذكور جانّ دارك مكرّمة، فعمّت فرنسا احتفالات وطنية ودينية إكراماً لها شملت جميع الفئات الاجتماعية والسياسية (م).

(١) ستتحقَّق هذه النبوءة على لسان البابا بيوس العاشر في سنة ١٩٠٩. وفي السنة عينها تبدأ دعوى تطويب الاخت تريز الطفل يسوع (م).

في هذه الايام العصيبة، ستتألم فرنسا
لأن الكافرين سينتشرون في حَرَمِها.
لكن مجد جانّ سيسطع
وكلُّ نفس طاهرة الى القديسة تضرَع،
وترتفع اصواتٌ الى السماوات،
جوقاً منشداً بحبٍّ وثقة.

الثلاثة معاً:

يا جانّ دارك، اسمعي دعاءنا،
ومرّة ثانية، خلّصي فرنسا!...

٢١ /١٢/١٨٩٤

المسرحية الثانية

ي.م.ي.ت.

٢٥ كانون الاول ١٨٩٤

الملائكة حول المذود

الشخصيات : الطفل يسوع – ملاك الطفل يسوع – ملاك الوجه المقدّس – ملاك القيامة – ملاك الافخارستيا – ملاك الدينونة.

المشهد الاول

ملاك الطفل يسوع: (يحمل مبخرة وزهوراً وينشد)

ايها الاله الكلمة، يا مجدَ الآب،
كنت أشاهدك في السماء؛
والآن، أرى على الارض،
العليَّ الذي صار انساناً.
ايها الطفل الذي يغمر نورُه
ملائكةَ المقام الساطع.
يا يسوع، جئت تخلّص العالم،
فمن تراه يفهم حبّك؟ . . .

لازمة : يا اللّه! انك تفتن الملائكة
وانتَ في الاقمطة؛
يا كلمةً صار طفلاً،
امامكَ انحني مرتجفاً.

من تراه يفهم هذا السر:
إله يتحوّل الى طفل؟...

ينفي نفسه الى الارض،
وهو الازليّ ... وكلّي القدرة!
يا يسوع الإله، ايها الجمال الفائق!
أريد أن أبادلَكَ الحبّ؛
ولكي أُظهِرَ كم أحبّك،
سوف اسهر دائماً عليك.

بهاءُ قماطِكَ
يجذب الملائكة،
يا كلمةً صار طفلاً
أمامك انحني مرتجفاً.

منذ ان حَوى وادي الدموع
ملكَ المختارين،
لم يبقَ للسماء سحرٌ في عينيّ،
فِطرتُ إليك، يا يسوع ...
اريد ان أغمرك بجناحيّ،
واتبعك، انّى ذهبتَ، في الدنيا؛
وكلُّ الزهور، وأجملها،
سأنثرها تحت قدميك ...

يا طفلُ، أريد ان أصنع لك
من نجمةٍ ساطعةٍ سريراً
ومن الثلج الباهر
حجاباً ظريفاً.
اريد ان أُخفِضَ لك
أعالي الجبال البعيدة،
وأن تزهر لك الحقول
ازهاراً سماوية.

فالزهرةُ بسمةُ اللّه،
وصدى السماءِ البعيد،
صَدى القيثارة الهارب
تلمسها يدُ الازلي.
هذا النغم الشجي
من الحان الخالق
يبغي تسبيحك
بصوته السحرالي
ايها المخلّص الالهي!

يا لحناً شجيّاً،
يا موسيقى عذبةً،
يا صمتَ الازهار،
إنك تنشدين عظائم الله.

أعرفُ، يا يسوع،
ان الازهارَ الفاتنة صديقاتٌ لك،
فانت قادمٌ من المروج السماوية،
لتفتّش عن الانفس، أخواتك.
فالنفس هي الزهرة العطرة
التي تبتغي، يا طفلُ، قطفَها.
يسوعُ، يا زنبقةَ الوادي الجميلة،
تريد ان تموت من اجل زهرة!!! ...

يا سرّاً فائق الوصف!
ان الكلمةَ المعبود
سيذرف الدموع
وهو يجمع حصاده من الزهور.

(يصمت الملاك لحظة، ثم ينحني نحو الطفل ويقول له:)

يا يسوع الالهي! لماذ تردّ على نشيدي بهذه الابتسامة الساحرة، بينما اكلّمك على الدموع؟... أيها الطفل الوديع!... اني أفهم نظرتك... تريد منذ الآن، أن تترك سريرك لكي تباشر بجمع الأزهار التي سحرتك... وللأسف! عليك ان تبتعد قريباً عن هذا الاسطبل البائس، وهو المأوى الوحيد الذي يقدّمه لك وطنك الارضي!... سوف تهجره لتهربَ امام أميرٍ بشري، يجعله ملكك الالهي يرتجف على عرشه!... ولكنك، بهروبك الى ارض مصر، سوف تلقَى حصاداً وفيراً من الزهور الربيعية... وكل الاطفال السعداء، أقرانك، سينالون الأكاليلَ البيضاء التي استحقّها لهم مرورك السريع على الارض؛ تلك الحملان البريئة ستضحّي بحياتها، وبأيامها القليلة، من اجلك يا يسوع، مُبدعَ حياتها. ولكنك بالمقابل، سوف تضع في ايدي الاطفال سعفة المنتصرين، وسوف تلعب هذه الكتيبة الظريفة، أيها الحمل الالهي عند اقدام عرشك للأبد!..

وهكذا، ستخزى وحشيّة هيرودس؛ اذ بقصده تدميرَ مملكتك، سيرسل امامك جيشاً من الشهداء، يشكّل حاشيتك...

يا يسوع! كم سيطيب لي أن أشاهدَ انتصاراتك!... ولكم سأسارع الى ابلاغ يوسف الامين، يوم يحين موعد عودتك الى وطنك... فأنا من سيسند أمّك الالهية في عناء السفر...

وعندما تهدهدك في المساء لترقد في ظل النخيل، سأكون هناك، وسأحرسكم مبعداً عنكم أخطارَ الليل ومخاوفه... سوف أُنشد بعذوبة اناشيد السماء؛ وحين أرى الكلمة الازلي وأمّه الجليلة يغفوان، سأغمرهما بجناحَيّ، لكي أحميهما من برودة الصحراء!..

(يتوقف الملاك لحظة، ثم يتابع:)

يا يسوع الوديع! لِمَ التكلّم على المستقبل منذ الآن؟... فما انتَ سوى طفل صغير بعمر يوم واحد... آه! دعني اتغنّى بسحرك وعذوبتك...

(ينشد الملاك:)

أي لحنٍ، يا يسوع الالهي،

سيُنشِدُ جمالَك وعذوبتك؟ . . !
ايتها الزهرة المتفتّحة منذ قليل،
من يشيد بعطرك ونصاعتك؟
ايّ قيثارة،
عذبة الالحان،
تستطيع ان تحكي
سحرك الفتان؟ (تعاد)

المشهد الثاني

(يتقدم ملاك حاملاً ادوات الآلام، ويعرض على الملاك الحارس منديلاً مطبوعاً عليه الوجه المقدّس؛ فيتأمل الملاك الحارس الصورة باندهاش)

ملاك الطفل يسوع: يا أخي! ما هذه الصورة الساحرة؟ بعد ان تأمّلت وجه الطفل الالهي الفائق الوصف، كنت أظن أنني لن أجدَ شيئاً آخر جميلاً في الارض؛ ولكن بهاء هذا المنديل السرّي يُظهِر لي جمال يسوع عينه، وانما بمفاتن جديدة!!! . . .

ملاك الوجه المقدس: (ينشد)

يا ملاك السماوات، هذي الصورة هي القيثارة
التي تشيد بمحاسن يسوع،
والنغمُ الذي يعرف، وحده،
٤ إعلانَ بهاءِ زهرة المختارين.

نعم، ايها الوجه الالهي،
إن جمالك
في عين الملاك
٨ يحجب الضياء السماوي. (تعاد)

(يركع الملاك امام الطفل يسوع وينحني له)

في فجر حياتك، يا يسوع الالهي،
تبلّل الدموعُ وجهَك الجميل؛
يا دموعَ الحب على الوجه المبارك،
ستنهمرين حتى مساء الآلام.

نعم، ايها الوجه الالهي،
إنّ جمالك
في عين الملاك
يحجب الضياء السماوي. (تعاد)

في هذه الصورة، يا يسوع
أتبيَّن البهاء الصافي على وجهَك الطفولي.
وعلى هذا المنديل المدمَّى،
أرى كلَّ سحر وجهِك الالهي.

نعم، ايها الوجه الالهي،
ان جمالك
في عين الملاك
يحجب الضياء السماوي. (تعاد)

(المقطع الاخير):

الألم عزيزٌ عليك، يا يسوع الالهي،
ونظرتك الوديعة تستشفُّ الى المستقبل،
تريد، منذ الآن، رشفَ كأس المرارة،
وفي حبِّك تحلم أن تموت.

يا حُلماً فائق الوصف! ...
يا ابن يوم واحد! ...
يا وجهاً معبوداً! ...
إنكَ تضرمني حبّاً! (تعاد)

ملاك الطفل يسوع: نعم يا يسوع الالهي، إن بهاء وجهك المهيب يفوق روعة السماوات! ... آه، ما إن يتأمل الناس جمالك حتى يتهافتوا ليقدّموا قلوبهم، ولن يحيوا بعدها الاّ لأجلك ...

ملاك الوجه المقدس: للأسف، يا أخي! ألا تعرف أن البشر ناكرو الجميل؟.. ألا تعرف ما تنبأ به إشعيا الذي شاهدت عينه الملهمة سحرَ يسوع الخفي؟ ... لقد قال:

لا جمالَ له ولا بهاء؛ فننظر اليه، ولا منظرَ فنشتهيه! ازدراه الناس وتركوه! رجلُ اوجاع وعارفٌ بالألم! ومثل ساترٍ وجهَه! مُزدرىً فلم نعبأ به.. فحسبناه ذا برَصٍ، مضروباً من قبل الله، مُذلَّلا! (ايشعيا ٥٣/٢–٤).

من هو هذا الآتي من أدوم وبُصرى، بثوبه المخضّب بالاحمر؟... من هو هذا البهي بجمال ثيابه، والسائر بقوة فائقة القدرة؟...

انا من كلامُه كلامُ عدلٍ، آتٍ لأحمي واخلّص ... لماذا ثوبُكَ احمرُ، اذاً، ولماذا تُشبه ثيابُكَ ثيابَ الذين يعركون النبيذ في المعصرة؟... لقد كنتُ وحدي أعرك النبيذ بدون ان يكون معي رجل واحد من كل الشعوب. لقد نظرتِ حولي، فلم اجد احداً يساعدني ... فتّشتُ، فلم احظَ بنجدة!... (ايشعيا ٦٣/ ١– ٣– ٥).

ملاك الطفل يسوع: آه، يا يسوع! هذا الحبُّ كلّه، هل يجب ان يُبخَسَ قدره؟ (ينحني نحو الطفل يسوع. وبعد صمت قليل، يتابع وهو ينظر الى ادوات الآلام التي يحملها ملاك الوجه المقدس:) إيّها الطفل الالهي! لماذا يَثبُتُ نظرك اللطيف على هذا الصليب؟ لماذ تبتسم لهذا الاكليل القاسي؟ .. آه، دعني احملك الى السماء، فالارض لا تقدّم لك سوى الآلام...

ولكن لا ... ارى أن الصليب في نظرك الطفولي هو اكثر جاذبية من عرش السماوات الابدي ... يا يسوع! .. لا استطيع ان افهم الحبَّ العظيم الذي حملك على النزول الى الارض! ... (يبكي.)

ملاك الوجه المقدس: (ينشد)

إبكِ بصمتٍ، ايها الساروفيم،

ها انتَ ترى طفل يومٍ واحد.
الشوك والصليب والرمح
تجعله يرتعش من الحبّ.

(ينظر الى الطفل يسوع:)

للأسف، لِمَ انا ملاك
غيرُ قادر على التألّم؟ . . .
يا يسوع، بمبادلة لطيفة،
اودّ ان اتألّم لأجلك!!! . . .

ملاك الطفل يسوع: يا يسوع! أيجب اذاً أن أراك تموت؟ . . . بعد ان حَمَيتك في طفولتك، وخلّصتك من غضب هيرودس، ألا يمكنني ان انتزعك من الموت؟ . . . (ينحني نحو يسوع) أيها الطفل الألهي، سأعرف كيف أغمرك بجناحيّ . . . سأعرف كيف اكلّلك بالورود، بينما يريد الجاحدون ان يكلّلوا جبينك الالهي بالشوك! . . . (يطبع الملاك قبلة على جبين يسوع.)

ملاك الوجه المقدس: (يعرض منديل فيرونيك) أخي، انظر الى هذه الصورة التي بدت لك جميلة جداً . . . تأمّل ما يُحيط يسوع من بهاء، لم يَأتِ من الورود! . . . ألا تعرف ان ملك السماء له اكثر من ألف فرقة من الملائكة تستطيع ان تدافع عنه وتغمره بأجنحتها؟ . . . ولكن يسوع يريد ان يتألم، ويريد ان يبكي لكي يخلّص اخوته في الارض!!! . . .

ملاك الطفل يسوع (بحزن): واسفاه! أيجب ان تمزّقَ الاشواكُ القاسية يسوع، زنبقةَ الوديان؟ . . . أيجب أن يُبذلَ عطرُ زهرتي الساحرة لجاحدين لا يريدون ان يتقبّلوه؟ . . . (يبكي).

ملاك الوجه المقدس (بعد توقف): اطمأن أيها الملاك الجميل، إن عطر زنبقتنا لن يذهب هباء، فأن كثيراً من النفوس الطاهرة ستتسارع الى تقبّله. سوف تتسلّق مع حبيبها جبل المرّ ومعه ستتألّم، وستمسح وجهه الالهي، وتهتف متأمّلة دموعه الغالية:

«يا يسوع! ما اروع اللآلئ التي تسكبها لامعة على وجهك!...
انها تتلألأ في عيونك الحزينة
بأشعة تسحرنا؛
وروعة السماوات المرصّعة بالنجوم
تختفي امام دمعة من دموعك!...»

ملاك الطفل يسوع: نعم، إن دموع يسوع هي اكثر بريقاً من بهاء السماوات، واجمل من ندى الصباح... ولكن، ما يزيد ألمي إلى اقصى حدّ، هو التفكير في أن وجه الطفل الالهي الجميل سوف يوارى القبر... عندها، من سيراه؟ من سيكون حاضراً ليمسح دموعه؟... مريم نفسها، لن تستطيع تأمّل قسمات طفلها المعبود، العزيزة عليها!... (يبكي من جديد)

المشهد الثالث

ملاك (يتقدم ملاك يحمل بيرق القيامة)

لا تبكِ يا ملاك الإله المخلّص،
أتيتُ من السماء لاعزّيَ قلبك.
هذا الطفل الضعيف،
سيصير يوماً قديراً،
وسيقوم من الموت،
وسيملك الى الابد!...

(ليسوع، لازمة)

ايها الإله المحتجب في قسمات طفل!
اراك مشعّاً،
ومنذ الآن منتصراً!...

سأرفع حجر القبر
وأتأمل وجهك الفائق الجمال،

سأنشد،
وانشرح،
إذ اراك بأمّ عينيّ
تقوم من الموت مجيداً! ...

لازمة: ايها الإله المحجوبُ في قسمات طفل!
اراك مشعّاً،
ومنذ الآن منتصراً! ...
عيناك الطفوليتان مبلّلتان بالدموع
اراهما في الروائع الالهية تلتمعان.
يا كلمة اللّه،
كلامك الناري
يجب ان يدوّي يوماً،
مستعراً بالحبّ! ...

لازمة: ايها الإله المحجوبُ، اراك بعينيّ
ترتفع في السماوات
وتملك مجيداً! ...

المشهد الرابع

ملاك الافخارستيا: (يتقدم حاملاً كأساً يعلوها قربان مشعّ، وينشد:)

١ – تأمّل، يا أخي الملاك،
يسوعَ مرتفعاً الى السماء؛
انا، نزلت الى هذه الارض
لكي اعبده على المذبح.
ارى اللّه الكلّي القدرة

محتجباً في الافخارستيا...
ارى مبدع الحياة
اصغر بكثير من طفل!...

لازمة: منذ الآن، في المكان المقدس،
اريد ان اثبت مقامي،
واقدّم للّه صلاتي
ونشيد حبّي.

٢ – اريد أن أعزف على قيثارتي
سحرَ اللّه المحتجب؛
أريد، في نشوة مقدّسه،
أن أَسكرَ بجماله.
آه، ليتني، في بيت القربان
أقتات من إله الحبّ،
واتّحد به كلّ يوم
باعجوبة وافرة العذوبة!

لازمة: آه، اريد، أقلّه، أن أهَبَ
شوقي للنفس القدّيسة،
حتى تقترب من المخلّص
بدون ادنى خشية!...

ملاك الوجه المقدّس: يا يسوع الالهي، هوذا الحد الاقصى لحبِّك؛ فبعد ان اظْهرتَ للمخلوقات الضعيفة الوجهَ المعبود الذي لا يقوى الساروفيم على تحمّل بهائه، تريد ان تخفيه تحت حجاب اكثر كثافةً من حجاب الطبيعة الانسانية... ولكن، يا يسوع، ارى روعةَ وجهك تشعّ في القربانة. (يركع امام القربان) روائع سحرك ليست ابداً محجوبةً بالنسبة إليّ... ارى نظرك، الفائق الوصف، ينفذ الى النفوس الطاهرة، ويدعوها الى تقبّلك... وكما

تفعل اليمامة المختبئة في تجويف الصخرة، هكذا تلتمس عرائسُك وجهَك. ارى قلوبها تتجّه نحوك، وتأتي لتلتجيء لدى بيت قربان حبّك.

ملاك الطفل يسوع: ايها الطفل الالهي! تريد اذاً ان تثبّت مقامك على الارض؟... (ينظر الى ملاك القيامة) كان ملاكٌ ينشد منذ قليل، أنك سوف تصعد قريباً الى يمين ابيك، لكي تملك الى الابد في السماوات... ومتى اراك، اذاً، على عرش مجدك؟...

يا يسوع، أود لو يأتي ملكوتك، ولو يظهر المختارون جميعاً في الجوّ قريباً، يحلّقون امامك، بعد ان يعلن احد الملائكة: «لقد زال الزمان...»

المشهد الخامس

ملاك الدينونة (يتقدّم حاملاً سيفاً وموازين، وينشد:)

١ — قريباً يحين يوم الانتقام،
وذا العالم الفاسد يُمَحَّص بالنار؛
سيسمع كلُّ البشر الحكمَ عليهم
يخرج من فم اللّه.
سوف نراه في عظمة مجده،
وليس محجوباً في قسمات طفل.
سوف نحضرُ لنُنشِدَ بانتصاره،
ولنعلن أنه الكلّي القدرة. (تعاد).

٢ — المقطع الثاني (ينشده ملاك الدينونة)

(يستدير الملاك نحو صورة الوجه المقدس لينشد)

ستسطع هاتان العينان ببهاء لا يوصف،
رغم حجاب الدم والدموع؛
وسنرى هذا الوجه المعبود
في اشعاعه الرائع.

وفوق الغيوم، سنرى يسوع
يظهر حاملاً صولجان الصليب؛
عندها، سنعرف بنبرات الصوت،
هذا الملك! ... وهذا الديّان! ... (تعاد)

٣ – سترتجفون، يا سكان الارض،
سترتجفون في يومكم الاخير،
لن يمكنكم مقاومة غضب
هذا الطفل، وهو اليوم إلهُ الحبّ.
من أجلكم ايها البشر، قد اختار التألم،
ولا يطلب الاّ قلبكم الضعيف؛
عند الدينونة، سترون قدرته
وسترتجفون امام اللّه المنتقم!!! .. (تعاد)

كل الملائكة (يركعون ما عدا ملاك الدينونة، وينشدون:)

آه، يا يسوع الالهي،
تكرّم، واستمع صلاة ملائكتك؛
فانت الآتي لتخلّص الارض،
تولّى الدفاع عن المختارين.

لازمة: بيدك، اكسر السيف ...
هدّئ هذا الملاك الساخط..
ايها الطفل! ليرتفع صوتك،
فيخلّص القلبَ الوديع المتواضع (تعاد)

الطفل يسوع (يسمعُ صوته، وعندها، يركع ملاك الدينونة)

١ – اطمأني ايتها الملائكة الامينة،
يا من غمَرتْني باجنحتها،

فانتِ التي ستسمع صوتي
للمرّة الاولى.

٢ – عرفتِ مَلِكَكِ محتجباً
في قَسَمات الطفولة،
فهلّلتِ لولادتي،
وطرتِ نحوي.

٣ – أُحبُّك، ايتها الشُعَلُ الطاهرة،
يا ملائكةَ دار البقاء!
ولكنّي، مثلك، أحبّ النفوس،
أحبّها حبّاً عظيماً.

٤ – لقد خلقتها لنفسي
وجعلت رغباتها لا نهاية لها،
واصغر نفس تحبّني
هي الفردوس بالنسبة إليّ!...

ملاك الطفل يسوع: يا يسوع الالهي، ما أعذب رنّة صوتك الطفولي، وما أروعها!... كل أنغام السماوات لا تُقارَن بكلمة واحدة من كلماتك!... أيها الطفل الجميل! استمع صلاتي. خلّص من ارض المنفى كثيراً من النفوس البريئة التي تشبهك. تكرّم واقطف ازهاراً قبل أن تتفتّح، لأنها سوف تذوي إن بقيَتْ على الارض... وحالما يضع ندى المعمودية في قلوبها بذرة من الخلود، فلتسارع يدك الصغيرة الى نقلها لتزرعها في الحدائق السماوية.

٥ – يسوع:

يا ملاك طفولتي الجميل
سأستجيب لامنياتك الحارة؛
وسأعرف كيف احفظ البراءة
في نفوس الاطفال.

٦ – سأجنيها عند الفجر
أكماماً ساحرة نَضِرة؛
وستراها في السماء تتفتّح
تحت اشعة قلبي النقيّة.

٧ – زنابق تشرَّبت الندى
تتألّق بالف شعاع
تلك ستكون مجرّةَ
زرقةِ السماء المرصّعة بالنجوم.

ملاك الوجه المقدس: ايها الطفل الالهي، اسمع صلاتي ايضاً... ارى في المستقبل عدداً كبيراً من النفوس التي ستُكَرَّس لك، وستصير لك عرائسَ محبوبةً بارتباطات لا توصف... ولكن ملائكة الارض هذه، سوف تسكن جسماً فانياً، وسوف تتباطأ لهفتُها السامية إليك في بعض الاحيان؛ وغالباً ما سوف تَبهَتُ اثوابها البيضاء تحت غبار الارض.

يا يسوع، ارى ايضاً نفوساً اكثر عدداً تبتعد عنك؛ مثل الابن الشاطر، سوف تفتِّش عن السعادة بعيداً عن ابيها!... فبدلاً من ان تبقى في سلام بحمى عصاك، ايها الراعي الالهي، سوف تضيع تلك النعاج في الاشواك... ولكن التجربة سوف تقرِّبُها منك، فتتذكّر أن ابن اللّه لم يأتِ ليدعو الصالحين، بل الخطأة، وأن الفرح أكبر في السماء لخاطئ واحدٍ يتوب، منه لتسعين صالحاً ليسوا بحاجة الى توبة. وكذلك ... مثل المجدلية، فبعد ان تكون قد اهانتك كثيراً، سوف تحبّك كثيراً. وعندما تطلب تلك النفوس وجهك، وحين تأتي لتختبيء في سر وجهك الالهي، مناجية اسمك المبارك، تكرّم، يا يسوع، بنظرة واحدة من نظراتك واجعلها اكثر سطوعاً من نجوم السماوات!...

٨ – **يسوع:**
انتَ يا من يتأمّل وجهيَ
في جذبة الحبّ،

ومن ترك الحياة السماوية
ليحفظ صورتي؛

٩ — اريد ان استجيب لصلاتك،
ستحصل على الغفران
كلُّ نفس تذكر اسمي،
وسأملأها حبّاً! ...

١٠ — انتَ يا من اراد مشاطرتي
صليبي وألمي، على الارض،
ايها الملاك الجميل، اسمع هذا السر:
كلّ نفس تتألّم هي أختك.

١١ — سوف يسطع في السماء
بهاء ألمها على جبينك،
وبهاء جوهرك الصافي
سوف ينير الشهيد

ملاك الافخارستيا: أيها الخبز الحيّ النازل من السماوات! ... ايها العنقود الذهبي الذي سوف يُنبِتُ البتولات، تكرّم وأسْمِعني انا ايضاً رنّة صوتك العذبة، انا من سيعبدك في المكان المقدس أبد الدهور. ايها الكلمة الالهي الذي يجب ان يُسكِته الحبّ! يجب ان يلمسك خدّام مذابحك بنعومة مريم تلفّك بالاقمطة. ولكن للأسف! سوف يُساءُ تقدير حبّك غالباً، ولن يكون كهنتك يستحقون طبعَهم السامي ... أيها الإله المحتجب! ... قل لي، كيف لي أن أعزّيك؟...

١٢– يسوع :

يا ملاك الافخارستيا،
انت من سيسحر قلبي؛

نعم، إنشادك العذب
هو ما سيخفِّف ألمي.

١٣ – انا عطِشٌ لأعطيَ ذاتي الى النفوس،
ولكن قلوباً كثيرة تتألم.
فهَبْ لها نيرانك، ايها الساروفيم،
واجذبها بأناشيدك العذبة.

١٤ – اودّ لو تشبه نفسُ الكاهن
الساروفيم في السماء!
ولو يولد الكاهن من جديد
قبل الصعود الى المذبح! ...

١٥ – ومن اجل إتمام هذه الاعجوبة،
يجب ان تُذبَح لأجلي كلَّ يوم،
قرب بيت القربان،
نفوس تصلّي دائماً.

ملاك القيامة: ايها الطفل الالهي، قريباً سأشاهدك ترتفع مجيداً عن يمين الآب... عندها ستبتهج كل الملائكة، وتسارع لكي تفتح الابواب الازليّة حتى تستقبلك، يا ملك المجد! ...

ولكن ماذا سيحلّ بالمنفيين المساكين في الارض؟ ... هل سيظلّون أيتاماً؟ ...

١٦– **يسوع**:
سوف أعود الى أبي
حتى أجذب مختاريّ!
فبعدَ النفي في هذه الارض
سَيُقْتبَلون في قلبي.

١٧ – عندما تدقّ الساعة الاخيرة
سوف أجمع قطيعي؛
وفي الدار السماوية،
سأكون له المشعل.

ملاك الدينونة (ينهض):

وهل تنسى، يا يسوع، ايها الجمال الساميّ!
أن الخاطيء يجب ان يعاقب في النهاية؟...
هل تنسى اذاً، في ذروة حبّك،
ان عدد الكُفّار لا يُحصى؟...
في الدينونة، سأقاصص المجرمين،
وسأقضي على كلّ الجاحدين...
سيفي جاهز!... يا يسوع، الضحية الوديعة!...
سيفي جاهز!!... سأعرف كيف انتقم لك!!!... (تعاد)

١٨ – يسوع :

ايها الملاك الجميل! إخفض سيفك!
ليس من شأنك ان تَدين
الطبيعةَ التي أرفع،
والتي أردتُ ان أخلّصَها.

١٩ – انا من سَيَدينُ العالم،
انا من يسمّونني يسوع!
فإن دمي، الندى الخصيب،
سيطهّر كلَّ مختاريّ.

٢٠ – اتعرف أن النفوس الامينة
ستخفّف عنّي، الى الابد،

تجديف الكُفّار
بنظرة حبٍّ بسيطة؟...

٢١ – ولذلك، في الوطن المقدس،
سيكون المجد لمختاريّ؛
سوف أهبُ لهم حياتي
وكأني بذلك أجعلهم آلهة! ...

ملاك الدينونة: (يركع وينشد)
لك، ايها الطفل الوديع، ينحني الكاروبيم! ...
ويعظّم حبّك الفائقَ الوصف مذهولاً؛
يودّ، مثلك، على التلة المظلمة،
لو يموت يوماً! ... (تعاد).

الملائكة جميعاً (ينشدون اللازمة).
ما أعظم سعادة المخلوق المتواضع!
فكل الكاروبيم يتمنّون في نشوتهم،
ان يتركوا، يا يسوع، الطبيعةَ الملائكية،
ليصيروا اطفالاً! ... (تعاد).

المسرحية الثالثة

جانّ دارك تتمّم رسالتها

أو

الانتصارات – الاسر – الاستشهاد وانتصارات المكرّمة جانّ دو فرانس[١] في السماء.

الشخصيات:[٢] جانّ دارك – القديس جبرائيل – القديس ميخائيل – القديسة كاترين – القديسة مرغريت – الملك شارك السابع – لاتريموي، بارون سولّي، نديم الملك – رونيو دو شارتر، رئيس أساقفة رانس ورئيس قضاء فرنسا – روبير لو ماسون، سيد تراف وانجو – راوول دو غوكور، حاكم اورليان – دوق ألنسون ابن عم الملك – جان دولون يعلّم جان الفروسية – جان ماسّيو كاهن في خدمة أسقف بوفي – الأخ مارتان لادفونو معرّف جانّ دارك – فرنسا.

الفصل الأول: الانتصارات

المشهد الأول

(يجري المشهد في شينون[٣]، في الجناح الملكي. شارل السابع محاط بندمائه ولابسٌ ثياباً بسيطةً كأنّه واحدٌ منهم، ولا يضع تاجاً ملكياً على رأسه. لاتريموي واقف عن يمين الأمير).

لاتريموي: مولاي، أوامركم نُفّذَتْ بحذافيرها واستُجوبت راعية دون ريمي عدة مرات منذ وقت قليل.

---

(١) Jeanne de France

(٢) الشخصيات: Charles VII - La Tremouille, baron de sully, favori du roi - Regnault de Chartres, archevêque de Reims et chancelier de France - Robert le Maçon, seigneur de Trèves et d'Anjou - Raoul le Gaucourt, bailli d'Orléans - Le duc d'Alençon, cousin du roi - Jean d'Aulon, écuyer de Jeanne - Jean Massieu, Prêtre au service de l'évêque de Beauvais - Frère Martin l'Advenu, Confesseur de Jeanne d'Arc - La France.

(٣) Chinon.

وليّ العهد: ما رأيك إذاً يا لاتريموي؟ هل أقبل مثولها أمامي؟

لاتريموي: بما أن سموّكم يسمح لي فإنّي أتجرّأ وأقول إن جانّ تبدو لي مجنونةً وحالمة، قادرةً على جعل حزب الأرمانياك(٤) موضع سخرية. وإذا صدّقنا كلامها، وجبَ أن نسلّمها قيادة الجيش. يا له من مشهد جميل حقّاً: ان تصبحَ راعيةٌ ماريشال فرنسا الأعظم!... الاستسلام اليوم أفضل من الانحدار بانصياعنا لفتاة!...

شارل السابع (ملتفتاً الى رونيو دو شارتر): يدفعني فضولي إلى معرفة رأيك أيضاً. فيجب ألا نوفّر أية نصيحة عندما يتعلّق الأمر بانقاذ المملكة، وآراؤك غاليةٌ عليّ، لا سيّما وانك رئيسُ أساقفة تستطيع بسهولة أكثر حلَّ القضية التي تُشغل بالنا اليوم. هل تعتقد صراحةً أن جانّ التي تطلق على نفسها اسم **الصبيّة** قد تلقّت الوحيَ من السماء؟

رونيو دو شارتر: مولاي، ليكن سموّكم الملكي على ثقةٍ تامة بحقيقة ما يقوله لاتريموي، فأنا أفكّر مثله تماماً، ولا أهاب التصريح بأن فتاةً تَدَع الناس يتكلّمون عليها بهذا الشكل، لا بدّ أنها تهذي وتستحق السجن، أو على الأقل، أن تُعادَ إلى قريتها، وتُمنعَ من مغادرتها على الاطلاق.

روبير لو ماسون: هل يسمح لي سموُّكم بأن أتكلّم بدوري؟...

شارل السابع: تكلّم.

روبير لو ماسون: مولاي، يبدو لي أن سادتنا يَقسون جداً في الحكم على راعية دون ريمي. بما أن روبير دو بودريكور(٥)، على قساوة طبعه، قد وافق على رحيلها عن فوكولور(٦) مع نخبةٍ من المرافقين، ألا يجب على الأقل أن نمنح الفتاة فرصةَ المثول أمامكم، وهذا ما تطلبه بكثير من الالحاح والدموع؟ ان ذلك لن يُلزِمَ سموَّكم بشيء. وإذا تبيَّن أن جانّ هي مجرَّد فتاة مغامِرة، من السهل أن نصرفها في أيِّ حين.

---

(٤) Armagnac هي منطقة فرنسية كانت تعارض الملك وقد انضمَّت الى التاج الفرنسي سنة ١٦٠٧ (م).

(٥) Robert de Baudricourt ممثّل الملك في المدينة.

(٦) Vaucouleurs.

لاتريموي (ببرودة): مَنْ يسمع كلام روبير لو ماسون هذا، هل يرى فيه سيِّد تراف وآنجو؟... ألا يوحي بأنه مستعدّ لأن يخضعَ لقيادة جانّ راعية الخراف؟...

راوول دو غوكور (يقول لِلاتريموي): ان الاستخفاف برأي سيّد تراف في غير محله، وأنا لا أفهم معارضتكما، أنت وسيدي رئيس قضاء فرنسا. اتركا الراعية تدخل، فبامكانها أن ترفّه عنّا، إذا لم يكن في مقدورها شيء آخر.

دوق آلنسون (بحلّة بهية يتقدم ويحيّي وليَّ العهد): مولاي لقد بلغني منذ قليل نبأٌ مدهش. يبدو ان راعيةً من اللّورين(٧) قد حضرت الى شينون منذ بضعة ايام، وهي تقول إن السماءَ ارسلتها لانقاذ اورليان وإحياء مملكة فرنسا. وفضولي يدفعني الى رؤيتها، فكلٌّ ما اسمعه عنها يحملني على الاعتقاد بأنها فعلاً قد تسلّمت مهمةَ إنقاذنا. وحالما سمعتهم يتكلّمون على هذه الفتاة، تركت صيد السلوى الذي كنت اتمتّع به، وجئت الى سموّكم اسأل ان تسمحوا للصبيّة بمقابلتكم.

شارل السابع: يا ابن عمّي العزيز، باستطاعتي ان أُشبعَ فضولك، فإن جانّ تنتظر، منذ الصباح، في اروقة القصر فرصة المثول امامي. سآمر بادخالها. ولكني آسف لثيابي البسيطة جداً، فلا شك، اني لو ارتديت ثوبي الملكي، لازدادت خشيةُ الراعية المسكينة امامي.

دوق آلنسون: مولاي، اسمحوا لي بأن ألفتكم الى وسيلةٍ سهلة يمكن بها التأكد من كون جانّ قد تلقّت حقاً وحياً من السماء، وهي ان انزلوا عن عرشكم، فأصعد انا مكانكم: فاذا أدّت لي الصبية التكريم الواجب للملك، ولم تعرفك من بين رجال البلاط، ظهر للعيان أنها لا تحظى بروح اللّه، ولا تستحقّ سوى الاحتقار.

لاتريموي: فكرتك ممتازة يا دوق آلنسون، وأسأل سموّه ان يقبل بأن أدخِل الراعية.

ولـي العهد: نعم، أريد ذلك، أدخلوها حالاً.

---

(٧) Lorraine.

لاتريموي (يستدير نحو رونيو ويكلّمه بصوت منخفض): عمّا قريب نتخلّص من هذه **الصبيّة** التي تزعجنا. لقد سئمت سماع الحديث عنها.

(يخرج ويعود سريعاً بعد ان اعطى أوامره. ينزل الملك عن عرشه ويصعد دوق آلنسون مكانه.)

لاتريموي (يقول لدوق آلنسون): أمرتُ بإدخالها وحدها، ودون أن نرشدها الى ايِّ تقليدٍ من مراسم التشريفات المتَّبعة في بلاطات الملوك. فهل ستضطرب امام سموّكم المزعوم؟...

(تظهر جانّ دارك وحدها حاملة سيفَها ورايتَها المرفرفة، بينما تتقدّم بكلّ ارتياح، وتؤدّي للملك الذي لم يسبق لها ان رأته من قبل، كل مراسم التحيّة المتّبعة.)

شارل السابع: انا لستُ الملك على الاطلاق، فلماذا تحيّيني هكذا؟

دوق آلنسون: انا هو الملك، ويجب أن تؤدّي التكريم لي. لكن، قبل كل شيء، ما اسمُكِ؟

جانّ (بثقة): يا دوق آلنسون، لستَ الملكَ إطلاقاً، ومهمّتي أن اكلّمه هو. (تلتفت الى شارل السابع) والله، ايها الامير اللطيف، انت هو من أقصد نجدته، وليس احداً غيرك. انا اسمي **الصبيّة جانّ**. واؤكد لك، من لدن ملك السماوات، أنك سوف تكرَّس وتتوَّج ملكاً في رانس، وتكون نائبَ ملكِ السماء، الذي هو ملك فرنسا!...

شارل السابع: لا استطيع ان أصدق كلامَكِ، فلو شاءَ الرب ان يخلّص المملكة، لما تركها في شدّتها الحالية، كل هذه المدة.

جانّ: يا وليَّ العهد اللطيف، لماذا لا تصدّقني؟ اؤكّد لك أن الربَّ يرأف بك وبمملكتك وبشعبك، لان القديس لويس وشرلمان جاثيان امامه يصلّيان من اجلك.

شارل السابع: ولكن كيف تعرفين هذه الأمور؟ ومن قالها لكِ؟

جانّ: انها أَصواتي.

لاتريموي: ألا ترغبين في ان تقولي هنا، بحضور الملك، بأية طريقةٍ تكلِّمك أصواتك؟

جانّ (للملك شارل السابع): أيها الأمير اللطيف، إن كان يطيب لك، فأنا مستعدة للكلام.

شارل السابع: نعم، تلك رغبتي. اسردي بالتفصيل كيف جاءت الاصوات تخبرك خلال اقامتك في دون ريمي.

جانّ (تبدو وكأنها تتلقّى وحياً).

يا وليَّ العهد اللطيف، منذ الثالثة عشرة من عمري
كنت قد سمعت مرّاتٍ عديدة
اصواتاً مقدسة عبر الاغصان تأتيني من جهة الكنيسة.
ما اجمل ذكراها! كانت الاصوات تقول لي:
«للحفاظ على السلام وطيدا يجب ان ابقى طاهرة.»
وفي الوقت ذاته ومن الجهات ذاتها، اتتني انوارٌ عظيمة.
كنت انتظر هذه اللحظةَ بفرحٍ كبير
لاننا نحبّ ان نرى مجيء ما يرسله اللّه الينا...
واحياناً، كانت الاصوات تخيفني،
لكن نصائحها الحكيمة كانت لي نعمَ المشير.
وذات يوم - ما زلتُ أرتعشُ منه نشوةً وخوفا! -
بينما كنت اصلي الى اللّه لاجل فرنسا والملك،
وأزيّن كنيسة القرية بأغصانٍ ندية،
هل تصدقوني؟... رأيت الاوراق تسطع،
وعبر الحائط القديم، يتقدّم في الهواء،
سيّدي مار ميخائيل، يلفُّه معطف بزرقة السماء،
يمتشق سيفه الوّهاج، وجناحُه الابيضُ العظيم
ينبسط كالقوس، وأهدابه ذهب؛
وعلى جبينه المبارك
ينعكس شعاعُ سعادةٍ لا تُحَدّ.
وتحليقه المشرق بدا لي بدون حُجُب،

ينشر خلفه سُحُباً من النجوم.
كان يتألق امام ناظريَّ المسحورَين،
كالياقوت يتساقط من قبّة السماوات.
بهاء الزنابق التي فتنت سليمان بمجدها،
اقلُّ صفاء من تموجات ردائه،
والاثيرُ اقلُّ خفةً من شعره المتهدِّل.
صوته كان يحاكي نسيمَ الربيع
ينساب صباحاً بين اغصان اللوز،
وقد بدت باقاتِ ازهارٍ نديةٍ في المروج.
تأمَّلتُ طويلاً، سعيدةً، صامتة،
رئيسَ الملائكة الآتي من لدن الرب.
وعندما رأيته يَنسحب نحو القبّة الابديّة
قلت له باكية: – «خذني تحت جناحيك!»...(٨)

شارل السابع: هل كانت هذه الزيارةَ الوحيدة التي تلقّيتها من السماء؟ لا ارى فيها ابداً انك مكلّفة بانقاذ المملكة.

جانّ: واللّه، ايها الامير اللطيف، اؤكد لك أنني، بعد الزيارة الاولى هذه، تلقّيت زياراتٍ اخرى كلَّ يوم. فالقديسة كاترين والقديسة مرغريت ظهرتا لي لتعزّياني، لاني كثيراً ما كنت ابكي عندما يأمرني القديس ميخائيل بالرحيل وبقيادة الجيش.

دوق النسون: تقولين إن صوتك كشف لك ارادة اللّه بانقاذ شعب فرنسا من المصيبة التي وقع فيها. اذا كان الامر كذلك، فاللّه الكلّي القدرة لا يحتاج الى مساعدة المحاربين.

جانّ: اقسم لك بأن المحاربين سيحاربون، واللّه سيمنح النصر.

دوق النسون: ولكن من اين لك هذه الثقة وقد واجهتِ الرفضَ مرّات عديدة؟

(٨) قصيدة للشاعر الكسندر سوميه Alexandre Soumet (١٨٤٦) وقد نقلتها الاخت تريز عن كتاب Henri Wallon.

جانّ: عندما يقلقني شيء، كأن يرفض احدٌ أن يصدقني، اتنَحّى جانباً واصلّي... وبعد ان اصلّي اسمع صوتاً يقول لي: - «يا ابنة اللّه!... هيّا اذهبي، سأكون في عونك... هيّا...» وعندما يأتيني هذا الصوت، يغمرني عزاء وغبطة بنوعٍ رائع.

(تبقى جانّ شاخصة الى السماء وكأنها في انخطاف)

دوق النسون (مخاطباً وليَّ العهد:) هذه الفتاة تهزّني حتّى اعماق نفسي... حقاً، اني اؤمن بمهمَّتها... تشعر بالوحي في نبرتها عندما تتكلّم على اصواتها! ألا تحسب انها ما تزال تسمعها؟! ايُّ عمق في نظراتها!... اكاد لا اقوى على احتمالها...

شارل السابع: انا لا اقتنع بسهولة، فما زال الشكّ يراودني. على ايّ حال، هناك شيء لا يعرفه احد... إني ارتجف... (بعد وقت قصير) لا، لن يتبدَّد هذا الشكّ ابداً من ذهني.

جانّ (بعد ان اعاد اليها صوت الملك وعيها:) يا وليَّ العهد اللطيف، لو كنتُ وحدي معك، لبُحْتُ لك بالسرِّ الذي لا يعرفه احد، ولبدّدتُ عندك الشكّ.

شارل السابع (متأثراً جدّاً): ها، ماذا، هل تعرفين؟... ولكن لا، هذا مستحيل... مع ذلك، اودّ أن تبتعد حاشيتي للحظة.

(يشير بيده، فتنسحب الحاشية الى داخل الجناح، وهي تراقب من بعيد المشهد المؤثر الذي يجري على مرأى منها)

دوق النسون (منسحباً، يقول للاسياد الباقين): أيُّ مشهد هذا! ملك يرتجف، مهدَّدٌ بفقدان تاجه، وراعية تأتي لتعرض عليه، بكلّ ثقة، تثبيتَ هذا التاج على رأسه، واعادة السلطة اليه.

جانّ (تتقدّم من الامير وتقول له بصوت خافت): واللّه، ايها الامير اللطيف، اعرف الصلاة التي تلوتَها هذا الصباح، بعد المناولة، في مكان الصلاة الخاص بك، حيث لا شاهد عليك الاّ اللّه وحده. كنت تقول: «ربّي، اذا كنتُ الوريثَ الحقيقي لعرش فرنسا، واذا كانت هذه المملكة تخصّني شرعياً، فانّي استحلفك بأن تحفظها لي، وتحميها من هجمات الانكليز. اما اذا

كان الامر عكس ذلك، فلا اطلب سوى أن تمنحني النجاة من الموت او من الاسر، والقدرة على الانسحاب الى اسكتلندا او اسبانيا، حيث آمل أن اجد ملجأ».

(يبدو الملك شديد التأثر، ويمسح دموعه. وتقول جانّ بصوت اقوى): وانا اخبرك، من لدن اللّه، أنك الوريث الحقيقي لمملكة فرنسا، وانك ابنُ ملك. لقد أُرْسلتُ لكي اقودَكَ الى رانس حتّى تُكرَّسَ فيها وتتوَّج ملكاً.

الملك (يشد بيديه على يد جانّ ويقول بصوت خافت:) يا جانّ، انت حقاً رسولة السماء، منذ الآن، ما عليك سوى أن تتكلّمي، وسأعمل على تنفيذ اوامرك. (يرفع صوته ويقول لحاشيته:) يمكنكم الاقتراب! ... (يقترب رجال البلاط بصمت، ويعودون الى اماكنهم)

الملك: الآن أثق ثقةً كبيرةً بهذه الفتاة لأنها اخبرتني اشياء سريّة، لا يستطيع كشفها إلا اللّه وحده.

لاتريموي (يضبط استياءه:) مولاي، وكيف نكافئها؟ هل ترغبون في ان نغمرها بالحفاوة والاكرام؟ ...

شارل السابع: أريد أن تُطاع ... جانّ، تكلّمي، ماذا تريدين؟

جانّ: يا وليَّ العهد اللطيف، أرغب ...

رونيو (مقاطعاً): ولماذا تسمّين الملك وليَّ العهد، وليس الملك؟ ...

جانّ: لن اسمّيه الملك الاّ بعد أن يتمَّ تكريسه وتتويجه في رانس حيث تقضي مهمّتي أن اقوده. يجب اولاً ان يستعدَّ الجيش لكي اتوجَّه به في اقرب وقت الى اورليان، لأن واجبي هو طرد الانكليز من كل انحاءِ فرنسا.

دوق النسون: جانّ، أتريدين اسلحةً وجياداً؟ ... انا اتطوّع لأؤمّن لك كلَّ ما يلزمك.

جانّ: ايها الدّوق اللطيف، انا شديدة الامتنان لك؛ اقبل حصاناً ابيض. امّا بالنسبة للأسلحة، فان سيف القدّيسة كاترين(٩) يكفيني. فضلاً عن ذلك، انا لا انوي استعماله، اذ عليَّ أن احقق النصر برايتي.

---

(٩) تشير جان دارك في المحاكمة أنها وجدت السيف في كنيسة القديسة كاترين دو فييربوا Fierbois (م).

رونيو (بسخرية): لماذا لا تحاربين بمفردك؟ بما انك واثقة من النصر، فلا جدوى من تجنيد جيش بكامله. عندها، يخلّدك مجدٌ اعظم بكثير...

جانّ: انا لا اسعى الى مجدي، بل الى مجد الله. على ايِّ حال اعطوني فقط حفنة من المحاربين، وسأنجح كما لو انني أحاربُ بجيش جرّار. ولكن، يجب الاّ يبدأ الهجوم بدوني!...

شارل السابع: جانّ، اريد ان يطيعك الجيشُ بكامله، وأعدك بألاّ يبدأ الهجوم الاّ بأمر منك. فلننسحب الآن. اتّخذي تدابيرك. واريدك ان تختاري الاشخاص الذين سيأتمرون بأمرك. انني امنحك حقوق الكونت وحاشيته وكلَّ طاقم قائد الجيش.

جانّ (منحنية امام الملك): يا وليَّ العهد اللطيف، سيكافئكَ اللّه بنفسه. قريباً ترى حكمَك مجيداً ومملكتَك محرّرةً من طغيان الغرباء.

(يخرج الجميع).

المشهد الثاني

(جانّ وجان دولون، معلّم الفروسيّة)

جان دولون: ارى النصر مؤكّداً يا جانّ. لقد عرفتِ كيف تغّيرين الجيش في ايّام معدودة. حتّى العجوز لاهير[١٠] اراد ان يقبل سر التوبة ويتناول القربان قبل المعركة.

جانّ: لست انا من قام بهذه المعجزات، بل اللّه وحده استطاع ان يغّير، بهذا الشكل، قلوب المحاربين الشجعان، وساهم مرشدي الجليل، الاخ جان باسكيريل[١١]، مساهمةً كبيرةً في ردّهم الى الايمان. لم أعد اخشى شيئاً، وليس لدي سوى شجعان اقودهم، لان اللّه ساكنٌ فيهم.

---

(١٠) La Hire

(١١) Jean Pasquerel

جان دولون: ورغم ذلك، عليك ان تتحلّي بالصبر، فاذا كان عظماء البلاط كلّهم يهابونك ويحترمونك، فإن الحسد الدفين يحرّك عدداً كبيراً منهم، ولكِ على ذلك، براهين مؤلمة جدّاً.. لانه يشقُّ عليهم كثيراً ان يطيعوا فتاة!...

جانّ: هذا صحيح، لقد خدعني الكونت دونوا [١٢] اذ عبر بالجيش في منطقة سولوني، ولم ينفّذ اوامري بسلوك الطريق المباشر من الجهة التي يوجد فيها الانكليز... ولكنّي لست خائفة، لأن نصيحة الهي اضمن من نصائح عظماء الارض. لديه كتاب لا يَسَعُ ايُّ عالم ان يقرأه مهما بلغ علمه من كمال، فسوف تتمّ ارادة ملك السماء رغم حسد البشر... وسوف يضطرّون جميعاً الى الاعتراف بان أله الجيوش وحده يملك النصر.

جان دولون: ايتها الفارسة النبيلة، ألن ترتاحي الليلة، فالهجوم لن يبدأ قبل الغد؟...

جانّ: بلى، ولكن علينا ان نرتاح ونحن في ثوبنا الحديدي، لانني اخشى ان يفاجئنا العدو. اوصيك بألاّ تتوانى في إبلاغي عند أول إنذار.

جان دولون: يمكنكِ الاعتماد عليّ، ولكنّي مقتنع بانه لن يعكّر نومنا شيء.

(يبتعد بينما تركع جانّ وتتلو هذه الصلاة):

جانّ: ربّي، الهَ الجيوش، تنازل وبارك نوم خادمتك. لا تسمح بأن يفاجيء الانكليز مدينة اورليان وانا نائمة. ربّي، تابع صنع المعجزات التي بدأتَ لصالح شعبك. وكما بدّدْتَ الفلسطينيين قديماً بيد خادمك الراعي الصغير داود، الذي قتل العملاق جوليات، كذلك دَعْ قدرتَكَ تظهر اليوم بشخص خادمتك جانّ، الراعية الخجولة، التي سوف تطرد الانكليز باسمك من مملكة فرنسا، وسوف تدّمر قدرة الشيطان، جوليات الآخر، الذي يودّ تدمير ايمان ابنة الكنيسة البكر.

(تضع جانّ سيفها، ثم تقعد على الارض دون ان تنزع عنها ثوبها الحديدي، وترتاح مسندة ذراعها ورأسها فقط الى مقعد. بعد لحظات قليلة من الصمت، تسمع اصواتها وتنهض حالاً).

---

(١٢) Comte Dunois

الاصوات: استيقظي يا جانّ، يا ابنة اللّه،
خذي سيفكِ ورايتَكِ ورمحكِ
فدَمُ الفرنسيّين يراقُ هناك،
لقد باشر الانكليز باطلاق النار! ...

جانّ (بقوّ): جان دولون! جان دولون! ...

جان دولون (معلّم الفروسيّة يصل وهو يفرك عينيه): ماذا هناك؟ ... ماذا تريدين؟ ...

جانّ (بحيويّة): آه! انَّ إصواتي تنذرني بان دم الفرنسيّين يسيل، وانت لم تقل لي ذلك! ... بسرعة، إليّ بأسلحتي، إليّ بحصاني! ... (تأخذ سيفها)

جان دولون: سآتيك بحصانك. (يُسمَعُ عدوُ حصان)

جانّ: لا، لا فائدة، قد يطول الامر... اني اسمع فارساً يقترب، سوف أُنزِله واصعد مكانه.

(تخرج، يريد جان دولون ايقافها وهو يقول):

جان دولون: يا جانّ، نسيتِ رايتكِ! ...

جانّ (تهتف له وهي ذاهبة): أعطني اياها من النافذة! ...

(يخرج جان دولون).

(المشهد الثالث غير مرئي)

(بعد عدة لحظات، تسمع قعقعة سلاح، وطلقات ناريّة، وجانّ هاتفة):

جانّ: يا دوق النسون، عندما يلمس طرف بيرقي الاسوار، قل لي! ... هجوم! ... ايها الاصدقاء، لقد حكم ربُّنا على الانكليز؛ في هذه الساعة هم رهن ايدينا! ...

دوق النسون: يا جانّ، طرف الراية يلامس الاسوار! ...

جانّ: يا يسوع ومريم! الى الامام، كل شيء لكم! ... فرّقوهم. (تسمع صرخات الانكليز) ويفوقها صوت جانّ وهي تهتف: النصر! النصر! ... (الفرنسيون يردّدون) النصر! النصر! لتحيا جانّ دارك! لتحيا محرّرة اورليان! ... (تتابع

جانّ) – ليحيا المسيح! ليحيا شارل السابع! (كل الفرنسيّين يهتفون واصواتهم تختلط:) ليحيا المسيح! ... لتحيا جانّ **الصبيّة**، ليحيا الملك، ولتحيا مملكة الفرنجة! ...

المشهد الرابع

(الملك في رانس بعد التكريس)

(يتقدّم الملك في ردائه البهي، والتاج على رأسه. جانّ عن يمينه تحمل رايتها الملوّحة، وتلبس دروعَ الحديد. يتبعها اسياد البلاط. يعتلي الملك عرشه، وتلزم جانّ جانبه)

الملك: جانّ، لقد كنتِ الاداة النبيلة التي شاء اللّه ان يستعملها من اجل انقاذ مملكة فرنسا، وانا اريد ان اعترف بخدماتكِ... تكلّمي، ماذا تبغين؟ انا مستعدّ لأن ألبّيَ كلَّ رغباتكِ...

جانّ (ترتمي عند قدمي الملك): ايها الملك اللطيف، الآن تمّت رغبة اللّه الذي شاء ان ارفع الحصار عن اورليان، وان اقودك الى مدينة رانس هذه، من اجل ان تُكرَّسَ وتُتوَّج فيها ملكاً، وان أظهرَ بذلك انك الملك الحقيقي الذي يجب ان يعود اليه المُلْك. الآن وقد تمّت مهمَّتي، اتوسّل اليك، بكل إلحاح، ان تتركني اعود الى دون ريمي وابقى بجانب اهلي.

الملك (متأثراً جداً): لن اقبل ابداً بان تغيبي عنّي. لا يمكن ان تستغني المملكة بعد الآن عن محرّرتها. يجب طردُ الانكليز كلّياً وانت وحدكِ قادرةٌ على إخافتهم.

دوق النسون: نعم يا جانّ، يمكننا حقاً ان نكرِّر عليك كلمات تشبه تلك التي وُجّهَتْ قديماً الى يهوديت: **انت مجدُ اورليان، وفرحُ الفرنسيين، وشرفُ شعبك. لقد تصرّفتِ بجرأة الرجال وتوطّدت شجاعتُك. يد الرب قوّتك، وسوف تكونين مباركة الى الابد، لانك احببت العفّة.** (**يهوديت** ١٥/١٠–١١).

لاتريموي (يريد ان يغيّر الحديث): جانّ، ومن هو هذا العجوز الذي يرتدي ثياب الفلاّحين، والذي اجبرنا واسيادَ البلاط جميعاً، هذا الصباح، في كاتدرائية

رانس، على افساح الطريق له لكي يصلَ اليك؟ خيّل إليّ انني رأيته يضمّك الى صدره.

جانّ (بصوت ملؤه التأثّر:) اوه! ذلك العجوز، إنه أبي[١٣]!... أبي الذي لم يتردّد في المجيء، رغم سنّه، لكي يشاهد انتصار ابنته... لم يستطع مخاطبتي... ولكنّه باركني، وفهمت من نظرته أنه جاء يدعوني إلى العودة معه الى القرية الهادئة التي شهدت ولادتي؛ وفهمت أن مهمّتي قد انتهت، وان عليّ الآن الاكتفاء بالصلاة من اجل ملكي وانا ارعى حملاني، بعد أن حاربتُ من اجله وانا اقود الجيش...

الملك: كلاّ يا جانّ، تلك ليست مشيئة الله أبداً. أريد ان اطيع اوامر الرب، لكنّي اشعر بأنّ مهمّتك لم تنتهِ بعد. الا تريدين أن تهبي حياتك للّه حتّى آخر يوم؟ اذاً، اقول لك بالنيابة عنه، انا الذي سال الزيت المقدّس على جبينه هذا الصباح، اقول لك إن عليك البقاءَ في البلاط، والاقلاعَ عن التفكير في العودة الى قريتك. أعدك بأن يُغدَقَ الإكرامُ على اهلك الطيّبين. سوف امنحهم القاب الشرف، ولن ينقصَهم شيء. سوف يُسَرّون بك لأنّك وفّرتِ لهم كلَّ هذه الخيرات.

جانّ (تمسح دموعها): ايّها الملك اللطيف، على خادمتكم الأنحناء والطاعة... اشكر جلالتكم على المراتب التي تريد منحها لأهلي، ولكني أتجرّأ واقول لها بأن كلَّ تعظيم الأرض، لن ينسيَهم بُعْدَ ابنتهم عنهم. ومع ذلك، فيمكنني ان أؤكّد لكم انهم سيكونون دائماً رعايا مخلصين ومطيعين لأوامر ملكهم.

الملك (ملتفتاً الى لاتريموي): آتوني بالرّقوق[١٤] والشعار التي امرتُ بتحضيرها.

(يشير لاتريموي الى جان دولون الذي يخرج ثم يعود حاملاً الأشياء المطلوبة، بالاضافة الى لوازم الكتابة. ينحني جيّداً وهو يقدّمها للملك)

---

(١٣) المقطع كلّه تلميح الى لقاء تريز وابيها الشيخ المريض الذي حضر الى متحدَّث الكرمل للمرة الاخيرة في ١٢ ايار/مايو ١٨٩٢، ولم يستطع ان ينطق بأي كلمة واكتفى بمباركة «ملكته» (م).

(١٤) الرقوق جمع رقّ Parchemin، وهو جلد رقيق يُكتب فيه (م).

الملك (يأخذ الرُّقوق): ايتها **الصبيّة** النبيلة، سوف تكون هذه الألقاب لك ولأهلك. واريد، بامتياز خاص، ان تنتقل الى ذرّيّتك عن طريق النساء والرجال على السواء.

(يوقّع الملك، ويعطي الريشة للاتريموي الذي يوقّع بدوره)

زيادة على ذلك، لقد الّفت بنفسي هذا الشعار الذي سوف يُردِّدُ على مدى الازمان، ما تدين به المملكة لك. وبما ان سيفك قد انقذ التاج، فقد اردت أن أضمَّه الى شعار فرنسا نفسه، وأكرمَكِ به. وإني ارغب في أن تحمليه من الآن فصاعداً في المعارك.

جانّ (تتسلّم هدايا الملك): ايها الملك اللطيف، إن شكري لك لا حدَّ له. سوف اطيعك واحتفظ بهذا الشعار بكل اهتمام. ومع ذلك، اسمح لي بألاّ اترك رايتي أبداً، وأن احملها دائماً في المعركة، لأنها وحدها مصدر انتصاري، بالأسماء الغالية التي طلبت ان تُكْتَبَ عليها.

الملك: افعلي كما تشائين، واريد ان تكوني دائماً مطاعة. اما الأن، فسأدخل الى جناحي. غداً تصدرين اوامرك.

المشهد الخامس

(ينزل الملك عن عرشه ويخرج – تتبعه الحاشية كلها، وكذلك جانّ، لكنّها لا تلبث ان تعود، ثم تركع وتتلو هذه الصلاة):

لكَ المجدُ الاكرامُ، يا إلهي،
وربّي الكلّي القدرة!
لقد وهبتني النصرَ،
انا الطفلةَ الضعيفة الخجولة...
وانتِ ايتها الأم الألهية،
مريم، كوكبي الساطع!...
لقد كنتِ نوري،
وتحميني من عُلَى السماوات.

متى ارى نصاعتك الرائعة
ايتها النجمة اللطيفة المشعّة؟
متى تأخذينني تحت وشاحك
لأرتاح على قلبك؟ (تعاد)

نفسي المنفيَّة الى الارض
تتوق الى السعادة الأبدية.
ما من شيء يرضيها
سوى رؤية إلهها في السماء.
ولكن قبل رؤيته الجلّية
أريد ان أحارب لأجل يسوع...
وأن اكسب له جموعاً من النفوس،
اريد أن احبّه اكثر فاكثر!...
ستنقضي حياتي كأنها يوم،
قريباً سأرى يسوع، حبيبي،
دون حجاب ودون غَمام،
هناك... على الشاطيء السماوي
سوف يعانقني العناق الأبدي!...(تعاد)

(بعد وقت طويل من الصمت، تُسمَعُ الأصوات)

الاصوات : لقد ولَّت أيامك، أيام الشرف والانتصار.
ها إن أعداءك، في سورة غضبهم،
يسعون الى طمس مجدك
وقريباً سيقبضون عليك ويأسرونك
وزنزانة مظلمة
تصير مأواكِ وتُمسين بغير نور.
ولكن كل مساء،
يا جان الشهيدة الرقيقة، سننحدر اليكِ

نحن أحبّاءك،
وبقيثارتنا سوف نرتل لك ونسحرك.
ايتها البنيّة المسكينة لا تخافي! سوف تُعَزَّين
في مأساتك.
بذلك نعدك: سيخلِّصك الرب!

(تصغي جانّ الى اصواتها راكعة. وعندما تسمع كلامها عن الأسر، يظهر على وجهها شعور بالرهبة. وفي النهاية تخفي وجهها بين يديها. بعد قليل يدخل دوق ألنسون ويجدها في هذه الحال. لا يبدو على جانّ انها تلاحظ وجوده)

المشهد السادس

دوق النسون (يخاطب نفسه): ماذا يجري؟... هل يمكن ان تكون اصواتها قد انبأتها بهزيمةٍ ما؟... ليست هذه ابداً حالها عندما تتلّقى زيارات من السماء... (يقترب منها ويلمسها قائلاً:) جانّ، ما بك؟... يظهر انك لا تلاحظين وجودي؟

جانّ (تنهض): لا شيء... اصواتي كانت تكلّمني...

الدوق: وهل انبأتْكِ بأي خبر سيء؟... كان الحزن الشديد بادياً عليك عندما دخلت!...

جانّ: لا ايها الدوق اللطيف، ليس الخبر سيئاً أبداً، لأنه رغبة اللّه. انما زمن امجادي قد ولّى، وقريباً، سأقع أسيرة الانكليز.

الدوق (بحميّة): ماذا تقولين يا جانّ؟ مستحيل!... ألم تؤكّد لك المشيئة بأنك سوف تنقذين المملكة انقاذاً كاملاً من طغيان الانكليز؟... هل أخطأْتِ اذاً؟...

جانّ: لا، إن اصواتي لم تخدَعْني، ومهمّتي هي إلهيّة. يجب فقط ان اتألّم لبعض الوقت، ثمّ يتمّ انقاذي بتمجيد وتكريم عظيمين. لقد وعدَتْني اصواتي بذلك، وقد وَفَتْ دائماً بوعودها.

الدوق: هل ستتابعين المحاربة؟... ألا يُستحسَن ان تختبئي لبعض الوقت؟...

جانّ: لا، يجب ان تتمّ مشيئة ربّي ... سوف آمر الجيش بمهاجمة باريس، فمن المهمّ جدّاً ان يسيطر الملك على هذه المدينة.

الدوق: وهل سيُقبَض عليكِ في باريس؟ ...

جانّ: لست ادري. لو عرفت في ايٍّ مدينةٍ سيتمّ أسري، لما ذهبت اليها، ولكنّي اجهل ذلك.

الدوق: اذا رفضَتْ باريس ان تستسلم فالى اين ستقودين الجيش؟

جانّ: آمل أن تستسلم. ولكن اذا رفضت هذه المدينة الاستسلام، فسأقود الجيش الى اسوار كومبيانيه(١٥). اعتمد عليك يا دوق ألنسون. وبما انك كنت دائماً مخلصاً لي، فإنّي آمل أن تستمرّ في مرافقتي في الحملات التي سأقوم بها. (بعد وقفة قصيرة) لك ابوح بهذا الأمر، لست اخشى سوى شيء واحد وهو الخيانة! ...

الدوق: يا جانّ، من تراه يكون عدوَّ الوطن الى حدّ ان يخونك؟ ... انت البراءة والشجاعة نفسها... اعتمدي على اخلاصي، فسأكون لك الرفيق المخلص، حتّى لو اقتضى الامر ان أبذل حياتي ...

جانّ: لاتريموي يعرف كم انتَ متعلّق بي، لذلك لا اتعجّب إن رأيتُه يبذل كل جهوده من اجل تفريقنا ... على كل حال، لن يحدث الاّ ما صمّمه اللّه منذ الأزل، وهذه الفكرة تعطيني شجاعةً كبرى عندما افكّر في المستقبل.

الدوق: لقد تقدّم الوقت، وانتِ حتماً متعبة، فاذهبي وارتاحي. غداً تصدرين اوامركِ كما قال لكِ الملك.

(يخرجان).

---

(١٥) Compiègne

الفصل الثانـي: الأسر – الإستشهاد

الـمشهد الاول

(في السجن. جانّ وحدها، مثقلة بالقيود وجالسة على حجر. على الارض قليل من القش وابريق ماء، وقطعة خبز اسود.)

جانّ (تنشد):

ها انا اسيرة، كما تنبَّأت لي اصواتي.
لا مُنجِدَ لي سواكَ، يا ألهي.
من اجل حبّكَ وحده تركتُ ابي العجوز
وريفيَ المزهر، وسمائي الزرقاء على الدوام.
من اجل حبّك وحده تركت واديَّ.
باسمك ربّي، قدت الجيش
رافعةً راية الصليب امام اعين المحاربين
وأسمعتُ صوتي لأكبر القواد. (تعاد)

سجن مظلم؛ تلك هي مكافأتي،
بَدَلُ اعمالي ودمي ودموعي.
لن ارى بعد اليوم مراتع طفولتي،
مرجي الضاحك المرصّع بالزهور.
لن ارى بعد اليوم الجبلَ البعيد
ذا القمة الثلجية الشامخة في السماء.
ولن اسمع، بعدُ، الجرسَ المتردّد
يُطلقُ رنينه الناعِمَ الحالمَ المتموّجَ في الهواء النقي. (تعاد)

في سجني المظلم، عبثاً افتّش عن النجمة
تلمع مساءً في الفَلَكِ البالغ الجمال.
افتّش عن اوراق الشجر، التي كانت تحجبني
عندما كنت احرس قطيعي ويغلبني النعاس.

هنا، عندما اغفو وسط دموعي
احلم[١٦] بالعطور، وبالندى في الصباح،
أحلمُ بواديّ، وبالغابة الوافرة المحاسن؛
لكنَّ قرقعةَ قيودي توقظني فجأة. (تعاد)

المشهد الثاني

(تظهر القديسة مرغريت، وتهتف جانّ عندما تراها:)

جانّ: يا قدّيسة مرغريت! كم طال تأخّرك... قالت لي القدّيسة كاترين إن أسْري لن يطول الاّ ثلاثة اشهر. وها الأشهر الثلاثة قد انقضت... فهل جئت لتطلقيني!... اكسري قيودي، واسمحي لي بان اعود الى قريتي العزيزة دون ريمي.

القدّيسة مرغريت (تنشد):

لا ياجانّ، لا يمكن بعدُ أن اكسرَ قيودَكِ،
واعيد اليكِ وِدْيانَكِ وحقولَكِ المزهرة،
ولكنني أنزلُ من السماء لكي الطّف آلامكِ،
انّي آتية لأكفكفَ دموعكِ المنهمرة.

(تقترب من جانّ وتداعبها، وتمسح عينيها بوشاحها المطرّز بالنجوم الذهبية.)

جانّ: اذاً، لم تأتي لأنقاذي؟... هل يجب أن أموت قبل أن ارى انتصار فرنسا الكامل؟ مع ذلك، كنتِ قد وعدتِني بأنَّ مملكة القدّيس لويس ستحافظ على الايمان، واكّدْتِ لي خلاصي، وها انا مقيّدة كما تَريْن... لم اعد استطيع شيئاً من اجل خلاص وطني!...

القديسة مرغريت:

نعم، لقد وعدتُكِ، النصرُ مؤكّد.
ومملكة الفرنجة ستحافظ على الايمان...

---

(١٦) يمكن مقارنة هذه الابيات بما تبوح به تريز في **مخطوط ج** عن محنة الايمان وشكوكها (م).

جانّ، في سجنك، مثقلةً بقيدك،
تتألّمين من اجل إلهك، وتخلّصين ملككِ. (تعاد)

جانّ: كم هو غامضٌ كلامك! لا استطيع أن افهم معناه... القديسة كاترين قالت لي كلاماً مماثلاً عندما اخطأتُ ورميت بنفسي من اعلى الابراج في بوروفوار[١٧]، لاني أردت أن أذهب لنجدة سكّان كومبيانيه الطيبين... ولقد لامني اسقف بوفي، خلال استجوابه لي، لانني عصيتُ امر اصواتي. ولكنني اعترفت بهذا الشأن، وقالت لي القدّيسة كاترين إن الله قد غفر لي. كانت ايضاً قد وعدتني بأن تعود، ولكني لم ارها منذ مكوثي هنا. مع ذلك، لا اتذكّر أنّي عصيت لها امراً... آه! ارجوكِ، اطلبي اليها ان تأتي لإنقاذي...

القدّيسة مرغريت:

ستأتي الشهيدةُ محتفلةً بنصرك،
وستضع السعفةَ في يدك
والى المجد الابدي تقودُك
على الدرب المضيء. (تعاد)

المشهد الثالث

(القديسة مرغريت تختفي ويدخل جان ماسيّو حاملاً لفائف من الرق. تراه جانّ فتقف وتقول بصوت خفيض قليلاً:)

جانّ: ها قد حضر جان ماسّيو.

جان ماسيو: جانّ، ماذا كنت تفعلين عندما دخلت؟

جانّ: كنت أصغي الى صوت القديسة مرغريت.

---

(١٧) Beaurevoir؛ إشارة الى محاولة جان الهرب من سجنها (م).

جان ماسيو: كيف تناديك اصواتكِ؟ الا تدعوكِ: «يا ابنةَ الله، يا ابنةً شجاعة، يا ابنةَ الكنيسة؟» ...[١٨]

جانّ: بلى، كل يوم، عندما تكلّمني، تناديني: يا ابنةَ اللّه، يا ابنة الكنيسة.

جان ماسيو: بما انكِ ابنةُ الكنيسة، لماذا ترفضين تلاوة الأبانا؟...

جانّ: اتلوها بطيبة خاطر، واذا كنتُ رفضتُ تلاوتها ذلك اليوم، فلِكَي يصغي أسقف بوفي الى اعترافي.

جان ماسيو: لماذا اذاً احببت، بعد تكريس الملك، ان تكوني عرّابة، ولماذا تركتِ الناس يلثمون ثيابكِ ويَدَيكِ؟... حتى انك تركتهم يقولون إن ولداً ميتاً قد عادت اليه الحياة بفضلك؟

جانّ: لم اكن أسمح بلثم ثيابي ويديّ الا بأقلّ قَدْرٍ ممكن. ولكنّي، حقاً، أحببتُ كثيراً ان اكون عرّابة، وان يُدعى الصبيان شارل، والبنات جانّ. اما فيما يتعلّق بعودة الصبي الى الحياة، فأني لم اكن اعرف أن عودته الى الحياة قد نُسبت اليّ. وانا مقتنعة بأن اللّه وحده هو من قام بهذه الاعجوبة العظيمة.

جان ماسيو: الا تعترفين بأن اللّه كثيراً ما صنع الخوارق لصالحك؟... لقد روى جان دولون الذي يعلّمك الفروسية، ما قلتِه في سان بيار لو موتيي[١٩] بان مرافقيكِ يبلغون خمسين الفاً، والحقيقة أنهم كانوا اربعة او خمسة آلاف فقط. فالنصر الذي احرزتِه يومذاك، يبدو لي نصراً عجائبياً.

جانّ: صحيح أن اللّه اختارني أحياناً كثيرة لكي أكون اداةَ عجائبه، ولكنه هو من كان يصنع الخوارق من اجل إنقاذ فرنسا. أما أنا فقد اراد لي أن اتألم كثيراً. كم من الدموع ذرفتُ عندما رأيت تصرّفاتِ كبار الحاشية المتناقضة!... كان يجب ايضاً أن يمتزج دمي بدموعي... ففي الهجوم على تورنيل[٢٠] اصابني سهم، فوقعْت؛ ولو لم تُنجدني

---

(١٨) Saint - Pierre - le Moutier

(١٩) هذه العبارة الشهيرة ذكرها احد الشهود في المحاكمة، وقد لفظتها القديسة تريزا الافيلية في لحظة موتها (م).

(٢٠) Tournelles

قدّيساتي، لأسرني الانكليز منذ ذلك الحين، لانهم كانوا يحيطون بي من كلّ جانب. ولكن الوقت الذي حدّده الله لم يكن قد حان بعد... لم اكن اعرف ما ينتظرني من تجارب... في رسائلي الى الانكليز، كنت أكلّمهم دائماً على السلام، وكنت احلم بحملةٍ صليبية اذا كانوا يريدون التحالف معنا... ولكنّي لم احصل في أجوبتهم إلّا على التهديد والإهانات. لذلك عاملتُهم كما كانوا يستحقّون... الآن، انا تحت سلطتهم، ولكني آمل بالانقاذ الذي وعدتني به اصواتي. لي شهادة ضمير نقي يشفع بي، وانا مسيحية صالحة، خاضعة للكنيسة[٢١] رغم كلِّ ما يقوله عنّي اعدائي.

جان ماسيو: أن اسقف بوفي هو ممثّل الكنيسة، وقد وعدتِه بالاقلاع عن ارتداء ثياب الرجال، فلماذا عدتِ إلى ارتدائها؟

جانّ: كنت، فعلاً، اعتزم الوفاء بوعدي، ولكن السجّان الذي انتزع مني ثيابي النسائية أمس، رفض أن يعيدها اليّ رفضاً باتاً، بالرغم من توسّلاتي وبكائي... فوجدت نفسي مضطرةً الى ارتداء ثياب المحارب من جديد. لا اعتقد أني حَنَثْتُ بوعدي. زد على ذلك أن اسقف بوفي نفسَه لم يفِ بوعده. ألم يَعْدني بان يتولّى بعض رجال الكنيسة حراستي، وليس الانكليز؟... ذلك الوعد فقط هو ما جعلني اقول إنني لن اعود الى ارتداء ثياب الرجال، فأنا على يقين من وجوب ارتدائها في هذا السجن. فأصواتي قالت لي ذلك، وكلُّ الاشخاص الذين يؤمنون برسالتي يؤيّدون سلوكي في ما يتعلّق بهذا الامر...

جان ماسيو: هل يخطىء الذين يؤمنون بأنك قادمة من لدن الله؟

جانّ: لا، انهم لا يخطئون. ولقد اسأت الى الله عندما قلت امام كل الناس إن اصواتي لا تأتي ابداً من السماء[٢٢]. إن الواعظ المزيّف الذي كان يحثّني على ذلك باسم الكنيسة، هو اكبرُ ذنباً منّي. إلاّ انني مستعدة لتصحيح

---

(٢١) هذا الإقرار هو محور عذاب جان: هي النقية الضمير يحكم عليها اسقف بالهرطقة والسحر (م).

(٢٢) أجبرت جانّ على الانكار أن رسالتها من السماء في مدافن سانت وين Saint ouen (م).

خطأي، والاعتراف امام الجميع بأن رسالتي هي من الله . .. لن اقول عكس ذلك، حتى ولو كنت على المحرقة، ولو أحسست باللهب.

جان ماسيو (بانفعال): للأسف، قد تشكّين سريعاً في حقيقة رسالتك ... لو تعرفين النبأ الذي احملهُ اليك! . . .

جانّ: هل تكبّدت جيوش الملك هزيمةً ما؟... حتى وان حصل ذلك، فلن أشكِّك، لانني متأكدة أن الانكليز سيُطرَدُون من فرنسا قبل انقضاء سبع سنوات . . .

جان ماسيو: لا يتعلّق الامر بالجيش الفرنسي، بل بكِ انتِ. يا جانّ! كم يَصعُبُ عليَّ ابلاغُك هذا النبأ المرعب، انا من كان دائماً شديدَ الاخلاص لك . .. ومع ذلك، يجب أن ابلِّغك إياه تحت طائلة خسارة حياتي. وفوق ذلك، إن انا اخفيْتُ الحقيقة، فسيقولها لك شخص آخر.

(بعد توقف قصير، يبدو جان ماسيو متأثراً اكثر فأكثر، ويقول وهو يبسط الرقّ:)

جانّ : لقد صدر الحكم عليك بالحرق امام العامة، اليوم بالذات.

جانّ: الحرق!!! ... يا ألهي، أهذا ممكن... أفضّل ان يُقطعَ رأسي سبع مرات! ... ولكن ما الجرم الذي ارتكبته؟ . ..

جان ماسيو (يقرأ الرق:) انت متّهمة بالهرطقة وبتكرارها، وبالكفر وبالوثنية وبالشعوذة.

جانّ: للأسف، لو انني أُرسلتُ الى روما كما طلبتُ مرّات عديدة، لأقرّ الاب الاقدس ببراءتي. أواه! إني ارفع شكواي الى الله، قاضي الكون الاكبر، في امر الموت الظالم الذي سيُنزِلُهُ بي اعدائي . .. (تخفي وجهها بيديها لتبكي.)

جان ماسيو: اليست لديكِ الشجاعة يا جانّ؟ الا تؤمنين بأنه سيتمّ أنقاذك؟ . . .

جانّ (ترفع رأسها بفخر ونبل): أؤمن ايماناً راسخاً باني سوف أُنقَذ، كما اخبرتني اصواتي. ايماني راسخ بذلك كما لو انني أُنقذت فعلاً . . .

جان ماسيو: سوف أدعك لوحدك، لكي تستعدّي بحرّية للمثول امام الله . . .

(ينهض. وعند عبوره عتبة الباب، يلتفت ويقول بتأثر:)

جانّ عندما تصيرين في السماء، صلّي لاجلي!

المشهد الرابع

جانّ (لوحدها): هل صحيح اني سأُحرَق؟... آه! لا! ما زال لديّ امل بالخلاص... أصواتي وعدتني به! يا قدّيس ميخائيل، بك اضع ثقتي، اه! تعالَ اكسِر قيودي...

المشهد الخامس

(يظهر جبرائيل رئيس الملائكة، وينشد:)

لستُ الملاكَ المجيد
الذي سلّحك للمعركة،
لكنّي تركت الكتيبة السماوية
لكي أعزيكِ في هذه الدنيا...
أنا جبرائيل، طرتُ إلى الأرض
لكي أجمعَ دموع المخلّص.
شهِدْتُ مرارة حزنه
وأتيت من السماء أعزّي قلبه. (تعاد)

مساء النزاع، في البستان،
كنت أساند الرب الكلّي القدرة،
ووجهه المبارك بالدموع بَليلُ...
ورأيتُ دمَه الغالي يسيل!!...
فابعدتُ عنه صور الخطأة،
وأظهرتُ للمخلّص النفوسَ المختارة.
قد ابتسمتِ له في مدى الأزمان
فتعزّى يسوع باسمكِ يا جانّ.

جانّ: أيها الملاك الجميل! كم صوتك شجيّ! أشعر بالرجاء ينبعث من جديد في قِلبي عندما تكلّمني على آلام يسوع... للأسف! كدتُ أثور وأنا أفكّر في

الخيانة التي تستهدفني؛ فأنا لا أجهل أنه تمَّ بيعي من الإنكليز... والآن كلّ الفرنسيّين يتخلّون عني... حتى مَلِكي لا يبدو حزيناً لموتي...

جبرائيل رئيس الملائكة:

كان يسوع يرى رسوله
يسلّمه بنفسه إلى كل أعدائه؛
وفي تلك اللحظة الحاسمة
تركه أعزّ أصدقائه...
فمثلَ إلهك، ليس من يدافع عنك،
لا أحدَ من ذويك، لا، ولا حتى الملك.
لكن السماوات تتنازل وتنحدر إلى قلبك،
إن يسوع ههنا، يا جانّ، بجانبك.

جانّ: يسوع بقربي!... ولماذا سمح إذاً بأن يَحكم عليّ الكهنة؟... لو آن الإنكليز حاكموني، لما تألّمت من الحكم إلى هذا الحدّ... لكنّ أسقفاً من وطني هو من يعلِنُ أني أستحق الموت.

رئيس الملائكة:

الكلمة الله، خالقُ الكون،
حَكَمَ عليه شعبهُ المختار؛
وهذا الكون المغمور بحبّه،
لم يقدّم له إلّا الاحتقار... والصليب!...
قرَّر قيافا، عظيم الكهنة،
في قدس الهيكل، موتَ المخلّص؛
فأحسّ ربُّنا مِن فعْلَتِه
بأمرِّ عذاب وأشدِّه.

جانّ: آه! كم يعزّيني أن أرى نزاعي شبيهاً بنزاع مخلّصي... ومع ذلك فأنا لا أشعر بحضوره الإلهي، وما زال الموت يخيفني!...

رئيس الملائكة:

وإذ رأى المخلّص أن الأزلي
تركه يموت على الجلجلة،
صرخ وهو في ألمه المرّ:
«إلهي، لماذا تركتني؟ . . .»
أنتِ لا ترين حضورَ يسوع،
فسحره الفاتن لا يُنظرُ . . .
قلبك، يا جانّ، يهاب العذاب
لأنك ترين الموت، وأنت في العشرين. (تعاد)

يا ابنة اللّه، في حياتِك كلّها
لقد شابهتِ يسوعَ، عريسَكِ.
والآن، إنه يرى نزاعكِ،
ويُصغي إلى جميع تنهّداتك.
يا بتولاً شجاعة، يسوعُ يرى غَمّكِ
ويقوّيكِ بذارعه الكلّية القدرة . . .
وقريباً، بعد انقضاء هذه الحياة الزائلة
سيعقب حاضر أبدي!

المشهد السادس

(يختفي رئيس الملائكة، وتبقى جان وحيدة، مسندة رأسها إلى يديها. يترجم وضعُها ألماً عميقاً ممزوجاً بالخضوع. بعد لحظات يدخل جان ماسّيو).

جان ماسيو: مسكينة أنتِ يا جانّ! كل شيء جاهز؛ بعد نصف ساعة، ستخرجين من هنا لمواجهة الموت، أو بالأحرى إلى نهاية آلامك . . . ولكن ربما كانت لديكِ رغبةٌ أخيرة. تكلّمي دون خشية، فأنا أعدك بأن أفعل المستحيل لكي أحقّقها لكِ . . .

جانّ: أجل، لديّ رغبة، وإذا كان باستطاعتك أن تحقّق لي هذه الخدمة التي

أتممناها، فسأحفظ لك الجميل إلى الأبد. قبل أن أموت، أريد أن أتناول القربان المقدس مرّة أخيرة... إن يسوع المحتجب في القربان المقدس الأبيض هو وحده القادر على اعطائي القوّة لكي أتقدّم نحو الموت... عندما أشعر بقلبه يخفق جنب قلبي، يبدو لي أنني، وبفضل نار حبه، سوف أتحمّل بجرأة نار المحرقة المتأججة...

جان ماسيو: سوف أطلب لكِ ذلك حالًا من أسقف بوفي، رغم أنني أخشى الرفض. فبعد أن أعلَنَ حُرمَكِ، اعتقد أنه لم يعد باستطاعته السماح لك بالمناولة... مع ذلك، صلّي... فإن الرب قادر على صنع هذه الأعجوبة لك.

جانّ: أه! شكراً!... سوف يُعَزّيكَ الربّ كما تعزّيني!...

المشهد السابع

(يخرج جان ماسّيو. بعد ذهابه تركع جانّ).

جانّ: يا إلهي! الآن فهمت معنى الخلاص الذي كانت أصواتي تبشّرني به... لم يكن ذلك الذي كنت أحلم به... بل كان الموت!... الموت في سن العشرين!... أه! ما أصغرَ أمجادَ الإنسان، فقد تبدّدت بالنسبة إليّ كالدخان الذي يختفي في لحظة!... لقد حَفَرَ أعدائي قبري تحت أكاليل الغار البرّاقة!... وسوف أموت!... بعد ساعة، لن يبقى مني سوى قليل من الرماد... ولكن لا، إني مخطئة، يا إلهي! فنفسي ستنطلق إليك، وسوف أعيش دون أن أعرف الموت بعد ذلك أبداً... سيخرج جسدي يوماً من التراب، ويأتي للاتّحاد بنفسي؛ وعندها، سيراك ويمتلكك أنت، أيها الرب!... لمَ أنا حزينة بَعْدُ؟ لماذا تخيفني المحرقه؟...

المشهد الثامن

(تظهر القديسة كاترين في ثوب أبيض، متوّجة بالورود، وحاملة سعفة الشهادة. تتقدّم وتجلس بالقرب من جانّ التي تبتسم عند رؤيتها).

القديسة كاترين: (تمسك بيدي جانّ المقيّدتين وتضمهما إلى صدرها): أتيت إليكِ، يا أختي

العزيزه! أتيتُ لأعزيَكِ، وأُريَكِ المجدَ الذي يهيئهُ الرب لمختاريه. إسمعي كلمات الحكمة الأزلية، وسوف تفهمين لماذا شاء إله الحبّ أن يكون مرُورك على هذه الأرض مروراً سريعاً، كطيران اليمام... اسمعي... ولْيَهتزّ قلبك فرحاً...

ان نفوس الأخيار هي في يد اللّه، وعذاب الموت لن يمسّها. لقد بدا لعيون الحمقى أن هؤلاء الأخيار يموتون، وأن خروجهم من العالم بليّة عظمى... ومع ذلك، فهم في سلام!... إن تعذّبوا أمام الناس، فهم موعودون برجاء الخلود... كانت بليّتهم خفيفة، وأما مكافأتهم فستكون عظيمة، لأن الرب جرّبَهم ووجدهم أهلًا له. لقد جرّبهم كما يُجرّبُ الذهب في الاتون... ثم تقبّلهم مثل قربان الأضاحي... سيتألق الاخيار، ويشتعلون كنارٍ يتطاير شَرَرُها بين القصب... سوف يدينون الأمم، ويحكمون الشعوب، وسوف يبسط ربّهم سلطانه إلى الأبد (حكمة ٣/١-٨).

جانّ: أوه! كم تبعث كلمات الحكمة الأزلية السلام في نفسي!... هل صحيح فعلًا أنني سأحظى برؤية اللّه، وسأشاطرُ القديسين مسرّاتهم؟... ولكنني ما ازال في ربيع العمر، فأيُّ مكافأةٍ أنتظر بعد هذه الفترة القصيرة التي قضيتها على الأرض؟...

القديسة كاترين: جانّ، اصغي مرّةً أخرى إلى كلام الحكمة غير المخلوقة، فهي التي ستُنْبِئك بما ترغبين. تقول: **إذا مات الصالح موتاً مبكّراً، فانه يجد نفسه في الراحة، لأن ما يجعل فيه الشيخوخة جليلة، ليس طول العمر، ولا عدد السنين، بل التعقّل الذي يقوم عند الصالح مقام الشعر الأبيض، فالحياة النقية هي سعادة الشيخوخة... وبما أن الصالح قد أرضى اللّه، لذا، فقد أحبّه وعزلَهُ عن الخطأة، ثم انتزعه من بينهم، خوفاً من أن يُفسِدَ عقلَهُ احتيالُ العالم، وأن تغرَّ نفسَه المظاهرُ الخدّاعة... ولمّا كانت حياته قصيرة، فقد ملأها بما يوازي الحياة الطويلة، لأن نفسه قد طابت للّه، فانتشلها بسرعة من الجَور... ينظر الناسُ إلى هذا السلوك دون فهمه، ولا يخطر ببالهم أبداً أن نعمة اللّه ورحمته هما لقديسيه، وأن نظراته الرضيّة هي لمختاريه... ولكن انقضاء الشباب بهذه السرعة هو ادانة**

لحياة الخطأة الطويلة؛ فسوف يرون نهاية الحكيم، ولن يفهموا أبداً تدبير اللّه فيه، ولماذا وضعه الربُّ في مأمن... (حكمة ٤/٧-١٧).

جانّ: لن يفهموه على الأرض، أمّا في اليوم الأخير، فكم سيكون ألمهم عظيماً لرؤيتهم الصالحين ممجّدين! (حكمة ٥/٢)... للأسف! ماذا سيقول من يضطّهدني الآن عندما يرى هذه الوعود الرائعة تتحقّق فيّ؟...

القديسة كاترين (تتابع نقل كلام الحكمة): **في اليوم الأخير، سيثور الاخيار على الذين أرهقوهم بالبلايا. وأمام هذا المشهد، ستتملّك الأشرارَ الخشية، ويُرهبُهم الفزع، وسيقولون في نفسهم: «ها هم من كانوا قديماً موضع سخريتنا، ومن كنّا نضرب بهم المثل في استحقاق الخزي على أنواعه!... يا لحماقتنا! كانت حياتهم تبدو لنا جنوناً، وموتهم عاراً، غير أنهم رُفِعوا، كما نراهم، إلى مصاف أبناء اللّه، وصارت صحبة القديسين نصيبهم... (حكمة ٥/١-٥) بمَ أفادنا كبرياؤنا؟... بمَ نفعتنا ثرواتنا؟... لقد ولّت كل هذه الأشياء مثل الظلال، ومثل سفينة تشق الموج المتلاطم، ولكنها لا تترك خلفها أي أثر يدل على عبورها... (حكمة ٥/٨-١٠) وهكذا، فما كدنا نولد حتى متنا، ولم نُظهر في ذواتنا أيَّ أثر للفضيلة. ذلك ما سيقوله الاشرار، لأن رجاءهم كالدخان تبدّده الريح، أو كذكرى ضيف عابر، لا يمكث في المكان نفسه سوى يوم واحد... أما الاخيار، فانهم يُخلَّدون، والرب يحفظ لهم مكافأتهم. لذلك سَوف يتسلّمون من يده مملكة رائعة، وتاجاً مشرقاً بالمجد؛ وسوف يغمرهم الرب بيده اليمنى، ويدافع عنهم بذراعه القدوسة!... (حكمة ٥/١٣-١٧).**

جانّ (وجهها يعبِّر عن سعادة لا توصف): آه! كم انا سعيدة!... الآن، لم يعد الموت يخيفني، بل صرت أتمنّاه كما أتمنّى فجر سعادتي الابدية. ايتها الشهيدة القديسة؛ هذا المساء، سأصير أختاً لكِ، وسأتمكّن من السير في خطى الحمل الالهي، وأُنشد النشيد الذي لا يُسمح بأن تردِّده الاّ العذارى!...

القديسة كاترين (تنهض): الى اللقاء، يا اختي العزيزة، خلال لحظات، ستفارقين هذا المنفى. **وكما خرجت اليمامةُ من الفُلْكِ، ولم تجد على الارض ما تحطّ عليه**

(**تكوين** ٨/٨-٩)، هكذا ستطيرين الى الفُلْكِ المقدس، وستنفتح لك ابواب السماء، فتدخلين!...

جانّ: ايتها البتول اللطيفة! لا تنسي وعدك. تعالي اليّ، وزيدي شجاعتي خلال العذاب الذي سأعانيه.

القديسة كاترين: نعم سأرافقك، واتغنّى بجمال السماء التي ستنفتحُ لناظريك!... سأتغنّى بالسعفة وبالتيجان الخالدة التي يهيّئها لك ملائكةُ السماوات.

(تطبع قبلة على جبين جانّ وتختفي).

المشهد التاسع

جانّ لوحدها (ترتل):

ربي، لأجل حبّك اقبل الاستشهاد،
لن أخافَ الموت، بعدُ، ولا النار.
اليك، يا يسوع، تتوق نفسي
لا رغبة لي سوى في أن اراك، يا الهي.
اريد ان احملَ صليبي، وأتبعَك، يا مخلّصي الوديع،
الموتُ في سبيل حبّك، لا اريد سواه.
أرغبُ في الموت لأبدأ الحياة؛
ارغب في الموت لأتّحد بيسوع. (تعاد)

المشهد العاشر

يدخل جان ماسيو: جانّ، هذه ساعة التضحية!... ولكن قبل ان تغادري السجن، ستتعزّين بقبول القربان المقدس. قال لي اسقف بوفي بالّا ارفضَ لكِ شيئاً.

جانّ: اشكر لكَ هذا الجميل الذي لا يُقدَّر. مع يسوع في قلبي، سأمشي الى الموت دون خشية. (ترفع عينيها الى السماء) يا ربي! سوف اتقبّلك اذاً وانا في السجن، مخبّأً في قليل من الخبز، وسينتهي شكري لك في السماء، حيث أشاهدُك وجهاً لوجهٍ للأبد.

جان ماسيو: لن تتناولي القربان المقدس في هذا السجن، بل في السجن المجاور. قبل ان تغادري، هل ترغبين في ارتداء الثوب الابيض الذي طلبته من اجل الذهاب الى الموت؟... (ينشر ثوباً كان يحمله مطويّاً تحت ذراعه.)

جانّ: نعم، اريد ذلك حقاً. ويبدو لي انني بهذا الشكل اشبه كثيراً مخلّصي المحبوب الذي البسوه ثوباً ابيض في قصر هيرودس... لا ارغب في الذهاب الى الاستشهاد وانا بثياب المحاربة، فالسلام الابدي قد تأمّن لي الى الابد، بل أريد ان اتزيّن بثوب عذراء تلاقي عريسها...

(يفك جان ماسيو قيودها لتتمكّن من ارتداء الثوب. عندئذٍ تُسمع في البعيد اصواتٌ تنشد طلبة العذراء القديسة.)

جان ماسيو: هل تسمعين اصوات المؤمنين الذين يواكبون القربان المقدس؟ لقد امتّد تطوافهم على طول جدران السجن، ولكن ما زال لدينا الوقت، فالسلالم المؤدية الى هنا كثيرة...

(تُسمع هذه الدعاءات بوضوح:) يا سلطانة الشهداء، صلّي لأجلها، يا سلطانة العذارى صلّي... صلّي لأجلها، (وبعض الطلبات الاخرى ...)

(ثم تضعف هذه الاصوات وتختفي في منعطفات السجن المظلمة. بعدها، تظهر جانّ وقد ارتدت الثوب الابيض. فيقيّدها جان ماسيو من جديد، ويخرج الجميع.)

المشهد الحادي عشر

الاصوات تنشد:

طيري الى الاستشهاد... طيري!...
خلاصُك آتٍ.
طيري، يا جانّ دو فرانس، طيري،
طيري الى الاستشهاد... طيري!...
هوذا عريسك، هوذا ملكك،
هوذا الله الذي لأجله تحاربين.

(القضاة لا يظهرون. جانّ وحدها على المحرقة مع الكاهن الذي يرافقها، اسفل المرسح محجوب باستار مجهّزة بسخّانات مضاءة لكي توحي بالنار المشتعلة).

اسقف بوفي: (يُسمع صوت اسقف بوفي):

جانّ، تعرفين أن لإدانتك أسباباً كثيرة: انت متّهمة بالهرطقة، وبتكرارها، وبالكفر، وبالوثنية. لقد استعملت السحر لكي تتوّجي ملكاً هرطوقياً، يلوِّحُ فوق رأسه برايتك المسحورة، خلال حفلة التتويج... اما الآن، فيمكنك الذهاب بسلام، فالكنيسة التي رفضتِ الخضوع لها، لم تعد قادرة على الدفاع عنكِ... كلُّ غصن ميت، يجب ان يُفصَلَ عن الدالية ويلقى في النار.

جانّ: ايها الاسقف، انا اموت بسببك!... لست هرطوقيةً، انا ابنةُ الكنيسة، والملك الذي حاربت من اجله هو ملكٌ مسيحي حقاً... اما رايتي، أفَلَمْ يكن من العدل ان تظهر في التمجيد كما ظهرت في العذاب؟... آه! لو تمَّ اقتيادي الى روما لأقرَّ الاب الاقدس ببراءتي. ولكنّي سعيدة بموتي من اجل وطني، وأصلّي الى الله كي لا يعاقب اعدائي. اطلب الصفح من جميع مَن اسأت اليهم دون علم منّي، واسامح جميع الذي تسبّبوا بموتي... ايها الثالوث الكلّي القداسة، ترأفَّ بي!... يا قديس ميخائيل، يا قديس جبرائيل... يا قديسة كاترين ويا قديسة مرغريت. صلّوا لأجلي.

اسقف بوفي (بغضب): هلاّ انتهيتِ؟... فلتُشعَل النار!...

جانّ: آه! ارجوك، لا تسمح بأن اموت دون ان أقبّلَ صليبَ مخلصي مرة اخيرة.
(الاخ مرتان يقرّب اليها صليبَ خشبٍ صغيراً، فتضمّه الى صدرها ولكنها تضيف):
أودّ لو يُنصب امامي صليبُ كنيسة.

الاخ مرتان: سأُحضِر واحداً. (بعد برهة، يعود حاملاً صليباً)

جانّ: آه، شكراً! إرفعْهُ جيداً الى أن اموت. الآن استطيع أن اطيرَ الى السماء... نعم، انا اكيدة، سأكون فيها قبل المساء.

الاخ مرتان (يلقي هذه القصيدة التي ألّفها دافرينيي) [٢٣]:
لمن السماوات إن لم تكن لكِ! ...
كان أميرك محروماً من الصولجان الشرعي؛
فقدّمتِ نفسَكِ ضحيةً للّه، صانعِ الملوك،
وقُبِلتِ؛ انه اليوم يناديكِ.
إنه يطالب بالتقدّمة، وهي تليق به...
جبينك بدأ يلتمع بانوار الشهادة،
المحرَقَةُ تختفي وتتحوّل الى مذبح.
ايها الملاك المحرّر، هيّا، طِرْ نحو السماء.

(تُشعَل النار، فتهتف جانّ عندما تراها ترتفع):

جانّ: آه! النار... اخ مرتان، إنزل بسرعة! ...

(ينزل؛ عندئذٍ تبقى قمّةُ الصليب فقط مرئية. وتُبْقي جانّ عيونها مسمّرة عليه)

تُسمع الاصوات منشدة:

اننا نهبط من الضفة الازلية
لنبتسمَ لكِ ونحملكِ الى السماوات.
انظري، في ايدينا تاجُ الخلود
الذي سيسطع فوق جبينك المجيد...

لازمة: تعالي معنا، أيتها البتول العزيزة.
تعالي الى سمائنا الزرقاء الجميلة! ...
غادري المنفى الى الوطن؛
تعالي استمتعي بالحياة،
يا ابنةَ الله! ...

جانّ (تنظر الى السماء وتقول:) اسمع اصواتي، انها تدعوني الى الطيران نحو السماء...
لا، اصواتي ما خانتني قط. ومهمّتي كانت من الله! ...

---

(٢٣) قصيدة للشاعر دافرينيي D'Avrigny.

(النار والدخان يغمرانها اكثر فاكثر فتهتف:)

جانّ: آه! النار ترتفع... اني احترق!... اريد ماء، ماء مقدساً!... يا يسوع، تعالَ الى نجدتي!!!...

الاصوات: نار هذه المحرقة تتأجَّجُ،
لكن حبَّ الهك هواكثر توقُّداً.
قريباً تنالين الندى الابدي،
وعذابُ النار ينتهي.

لازمة: اخيراً هوذا أوان الخلاص
انظر، ايها الملاك المحرِّرُ.
بدأت السعفةُ تتأرجَح
ويسوعُ نحوكِ يتقدّم،
يا ابنةً شجاعة.
ايتها البتول الشهيدة، لحظةٌ من الالم
ستنقلك الى الراحة الابدية.
يا ابنةَ الله، موتك يخلّص فرنسا،
ولابنائها تفتحين باب السماء.

جانّ (تنشد هذه اللازمة):
أدخل الحياة الابدية!...
ارى... الملائكة والمختارين...
أموتُ لأخلّص وطني
تعالي!... يا مريم العذراء...
يا يسوع!... يا يسوع!...

(تحني جانّ رأسها، وتبدو انها تنهار على المحرقة. عندئذٍ تبدّل ثوبها الابيض بثوب آخر مطرّز بالنجوم الذهبية. في هذه الاثناء، يُسمَعُ صوت **الربّ**:)

الربّ: يا اختي المحبوبة، صوتك الناعم يناديني

لأفكّ أسرك في هذه الامكنة.
آه! طيري إليّ، ايتها اليمامة الفائقة الجمال،
تعالي، فقد ولّى الشتاء... تعالي املكي في السماوات.

يا جانّ، ملاكك يطلبك،
وانا ديّانَ نفسِك،
أعلن أني عهدتُ فيك
نارَ الحب مستعرةً دائماً.

تعالي، فسوف تُتوَّجين،
وأكفكفُ دموعك؛
تعالي يا عروستي الحبيبة
سوف اعطيكِ قبلتي (تعاد)

(يعاد انشاد المقطع السابق: يا جانّ ملاكك يطلبك الخ...)

تعالي الى الجبال
مع رفيقاتك،
وفي الحقول
ستتبعين الحمل.

يا حبيبتي،
انشدي في الوادي،
من النشيد المقدس،
كل الملائكة القديسين،
في كتائب بيضاء،
ينشدون التسابيح
في جوار السرمدي. (تعاد)

ايتها الراعية الخجولة
والمحاربة الشجاعة

يجب ان يبقى اسمك
مخلَّداً في الارض.

ايتها الراعية الخجولة
ايتها المحاربة الشجاعة
أهب لك السماء (تعاد)

الفصل الثالث: انتصارات جانّ في السماء

المشهد الاول

(عند إزاحة الستائر، يظهر عرش رائع. القديسة كاترين والقديسة مرغريت تسندان جانّ، والقديس ميخائيل بقربها كذلك وهم ينشدون):

القديسة مرغريت (تتوّج جانّ بالوُرود): الاكليل الابدي إنه لكِ (تعاد).

القديسة كاترين (تضع السعفة في يد جان): يا شهيدة الرب، هذه السعفة لك.

القديس ميخائيل (يُجلسها على العرش):

وربُّ الجيوش هيّأَ هذا العرش لكِ،
إنه لكِ (تعاد).

القديسون (معاً):

آه، ابقي في السماء، يا جانّ، يا يمامة نقية
افلتت الى الابد من شباك الصيادين؛
ستجدين هنا، الساقية الهامسة،
والفضاء، والحقول المزهرة.

لازمة: انطلقي (تعاد) انشري جناحيك الابيضَين،
وستستطيعين ان تحلقّي في كلِ نجمة ذهب...
ستستطيعين زيارة القباب الابدية
انطلقي. (تعاد)

يا جانّ، لا اعداء بعد اليوم، ولا سِجناً مظلماً.
والساروفيم الساطع سيدعوك اخته.
يا عروس يسوع، حبيبك يضمن لكِ
الراحة الدائمة على قلبه!...

جانّ (تنشد هذه اللازمة مع القديسين)

جانّ: إنّها لي
القديسون: انها لكِ... } تعاد

يا لها سعادةً فائقة (تعاد).

جانّ: كل السماء لي
القديسون: كلُّ السماء لكِ. } تعاد

جانّ: الملائكة والقديسون! ... مريم!... إلهي نفسه،
القديسون: الملائكة والقديسون! ... مريم!... إلهكِ ...

جانّ: إنهم لي
القديسون: إنهم لكِ. } تعاد

القديسون (وحدهم): ها قد مضت قرون على الأرض البعيدة
منذ اللحظة السعيدة، لحظة حلّقتُ نحو السماء.
الف سنة توازي يوماً في السهل السماوي،
لكن هذا اليوم، يجب ان يكون ابديّاً.

جانّ والقديسون:

أيا يوماً ابدياً! (تعاد) لا ظل فيك ولا غيوم.

جانّ: لن يخطف احد مني سحرك الخالد.
القديسون: لن يخطفَ أحدٌ منكِ سحرَه الخالد.
لقد عبرت صورة العالم الزائلة.

جانّ : لي السماء
القديسون : لكِ السماء. } تعاد

(يُسمع في البعيد صوت فرنسا تنشد):

تذكّري يا جانّ وطنك!...
تذكّري الوديان المزهرة!...
تذكّري المرجَ الضاحك
الذي تركتِه لتمسحي دموعي!!! ...
تذكّري، يا جان! انكِ خلّصتِ فرنسا،
ومثل ملاكٍ سماوي، شفيتني من ألمي.
اسمعي في الليل
فرنسا تئنّ
تذكري!... (تعاد).

تذكري يا جان، انتصاراتكِ،
تذكري رانس واورليان؛
تذكري انك، باسم الله،
غمرتِ مملكة الفرنجة بالمجد!...
والآن، بعيداً عنكِ، أنا أتألم وأتنهّد.
فتنازلي وخلّصيني مرة أخرى!... يا جان، يا شهيدة وديعة!...
آه، تعالي كسّري قيودي!...
وآلامي التي عانيتُها
تذكري!... (تعاد).

جانّ (تنشد):

يا فرنسا! يا وطني الجميل!...
عليكِ بالارتفاع الى السماوات
اذا رغبتِ في ان تستعيدي الحياة،
ويكونَ اسمُك مجيداً.

لقد قرّر إله الفرنجة
الحليمُ أن يخلِّصكِ.
فبي انا، جانّ دو فرانس،
سيُعيد افتداءَكِ.
تعالَ اليَّ (تعاد)
يا وطني الجميل.
لأجلَكَ أصلّي؛
صوتي يناديكَ
عُدْ إليّ. } تعاد

المشهد الثاني

(تتقدم فرنسا ببطء مثقلة بقيودها وحاملة إكليلها بيديها).

فرنسا: ها أنذا آتيةٌ اليكِ مثقلةٌ بالقيود،
محجوبةَ الجبين، وعيوني غارقةٌ بالدموع.
لم أعد أَمضي بين الملكات،
واولادي يجرّعونني الآلام.
لقد نسوا الله!... وها هم يهجرون أمَّهم!...
رأفةً يا جانّ! بحزني المرير،
تعالي وعزّي قلبي.
ايُّها الملاك المحرّر
رجائي بك!... (تعاد)

انظري اكليل الملكة، بين يدي،
اريد أن أضعه فوق جبينك.
انتِ يا جانّ، مليكتي الوديعة،
يا أبنة الله، تعالي املكي على الفرنجة!
آهِ! تعالي كسّري قيودَ فرنسا الاسيرة،

ولْتَبْقَ، بعدُ، للكنيسة ابنةٌ بكرا.
يا جانّ، اسمعي صوتي
مرّة ثانية
انزلي اليّ! (تعاد)

الاصوات (تنشد).
يا ابنة الله، ايتها الفتاة الشجاعة،
طيري الى نجدة فرنسا،
فأنتِ أملها الوحيد؛ طرِ، أيها الملاك المحرِّر،
يا ابنة الله، ايتها الفتاة الشجاعة،
طيري باسم الله المنتصر.

(تنزل جانّ عن عرشها وتتقدم نحو فرنسا فتكسّر قيودها وتضع على رأسها الاكليل وتضمّها إلى قلبها.)

جانّ: آه، يا فرنسا! يا عزيزتي! يسعدني ان اطيع اصواتي التي تدعوني الى ان اطير مرّةً اخرى لنجدتك!... لن تُثقلك القيود، بعد الآن، لأن قلبك التفت الى السماء... لو دعوتني من قبل لأتيت إليك منذ وقت طويل.

(تحاول فرنسا، بعد ان فُكّت قيودها، ان تضع اكليلها فوق جبين جانّ،ولكن جانّ تمسك بالاكليل وتقول لها:)

لا، لا اريد ان اكلِّلَ جبيني باكليل فرنسا... دعيني اضعه فوق جبينك، لانك، من الآن فصاعداً، تستحقين ان تحمليه!...

يَكفيني اكليل العذارى، ولا اريد صولجاناً آخر غير سعفتي، لأنني، اذا كُرِّمتُ في السماء، فليس لأنني كنتُ محاربة رفيعة، بل لانني قرنت البتولية بالاستشهاد!...

فاريد الآن، ان تكون رايتي رايتك. (يقدم مار ميخائيل الراية لجانّ، التي تعطيها بدورها لفرنسا).

من خلّصك؟ اليس يسوع ومريم؟... ألم تنزل ملكة السماء الجليلة عن

عرشها ثلاث مرات لتدعوك الى التوبة... أوليس البناء التذكاري الذي يرتفع فوق احدى تلالك، تمجيداً للقلب الاقدس، هو الذي اكسبك النعمة التي تنالينها اليوم؟...

فرنسا (تنهض وتنشد)

نعم، ايها الملاك المحرِّر، لكي أرضيكَ
سأحفظ اسم مريم اللطيف،
متحداً دائماً بأسم المخلّص،
فهما اللذان يعيدان إليّ الحياة.

جانّ والقديسون: (ينشدون اللازمة)

لقد مضت ايام الدموع
يا فرنسا محبوبة الكنيسة المقدسة الدائمة...
ومن الآن فصاعداً، ستكونين بامجادك
ابنتها البكر المطيعه.

(تعتلي جانّ عرشها من جديد، بعد ان تقبّل فرنسا، التي تنشد عندئذ مع اصوات محرِّرتها:)

صوت خليفة بطرس المقدس
ارتفع رنينه الى السماء
لقد تكلم الحبر الخالد...
واسم جانّ يشع نوراً.

لازمة: قريباً سنرى جانّ على المذبح
شفيعة فرنسا الجديدة!...
والارض مع السماء
ستنشدان نشيد العرفان بالجميل.

في ٢١ كانون الثاني/يناير من سنة النعمة ١٨٩٥.

المسرحية الرابعة

يسوع في بيت عنيا

٢٩/ ٧/ ١٨٩٥

(القديسة المجدليّة تجلس عند قَدَمَيْ ربِّنا وتنظر إليه بحبّ. في عمق الصالة، تُرى القديسة مرتا مشغولةً بإعداد مائدة الطعام للمعلّم الالهي)

(إلهنا والقديسة المجدليّة ينشدان مداورةً):

– ١ –

المجدليّة: ربّي، معلّمي الالهي،
يسوع، حبّي الوحيد،
اريد أن اكون عند قدميك،
وأثبّتَ قربهما سكناي.
فتشت عن السعادة
سدىً، على هذه الارض،
فما ملأ قلبي
غيرُ حزن مرير. ٨

– ٢ –

يسوع : يا مجدليّة، عند قدَميَّ،
ستجدين دائماً
نظرةَ حبٍّ لطيفة
تخفِّف عنك الالم.
يا مريم، من الآن فصاعداً،
ستنوين العيشَ لأجلي؛

وأنا، طوال حياتي،
سأتألّم لأجلك.

– ٣ –

المجدليّة: هذا كثير عليَّ، يا معلّمي الصالح،
أحسّ بقواي تخور.
ليتني، اليوم،
أولد من جديد أو أموت!...
تفهّم مخاوفي...
يا يسوع، مخلّصي!...
لقد جعلتك تذرف الدموع،
فيا للأَلم الشديد!

– ٤ –

يسوع: حقًّا، على نفسكِ
سكبتُ دموعاً غزيرة،
ولكنّي، بشعلةٍ واحدة
أغيّر القلوب.
ونفسكِ المتجدِّدة
بنظرتي الالهية،
في الحياة الابدية،
تباركني بلا نهاية.

– ٥ –

المجدليّة: يا يسوع، قلبي يختلج
من جرّاء حبّك.
وعطفك الفائق
يضاعف ألمي.

لم آبه لجمالك؛
ولم يبقَ لي، في توبتي،
يا ربُّ، سوى الدموع
اقدِّمها لك.

– ٦ –

يسوع : هذي الدموع الثمينة
تسطع، في نظري،
اكثر من الدروب المضيئة
التي تجوب السماوات.
على النجمة اللامعة،
المتلألئة في زرقةِ السماء،
افضّل الحبيبةَ
وقد صار قلبُها نقيًّا.

– ٧ –

المجدلية : ما اعجب هذا السرّ،
يا مخلّصي الإلهي!
اما هناك من شيء
في الارض يَسحَرُ قلبك؟
هل هناك اجمل
من الجبال العالية
والحمل الابيض الوديع،
ومن ازهار حقولنا؟

– ٨ –

يسوع : ترَيْنَ الزهرة المنفتحة

عندما ينسم الربيع؛
وأنا ارى وردةَ
حبّك المضطرم.
تلك الوردةُ الارجوانية
عرفتْ كيف تَسحر قلبي؛
فأنا أحبّها
فوق كلِّ الازهار.

– ٩ –

المجدليّة: العصفور، بصوته الصافي،
يشيد بعظمتك؛
والساقية الهامسة
تقدّم لك عذوبتها؛
وزنبقةُ الوادي،
نشوى، تهدي إليكَ
تويجَها العطِرَ،
والأريجَ والنصوع.

– ١٠ –

يسوع: وسليمان في مجده،
على عرش العاج،
يبدو اقلّ بهاء
من الزنبقة العطرة.
زهور الربيع البسيطة
تبزّ الملكَ العظيم؛
وكلّ هذي الزهيرات
لا تسطع الاّ لكِ.

- ١١ -

المجدلية : موكب البتولات
يهديك حبَّه،
ومعطفه الابيض كالثلج
يسطع بلا أفول.
وأنا، أهدي أليكَ
نهاية حياةٍ حزينة،
أسفاً أذويتُها
منذ انبلاج صباحها. ٨٨

- ١٢ -

يسوع: إن كنتُ أحبّ من الفجر
انوارَه الصافية الساطعة،
يا مريم، احب كذلك
مساءً جميلاً مشعًّا.
ورحمتي الفريدة
تودّ لو يرتاح
على قلبي
الخاطئُ والنفسُ البتول. ٩٦

- ١٣ -

المجدلية: أليس لكَ الملائكة
وحبُّهم السامي المضطرم؟
فعلى طغماتهم الناصعة
أَغدِقْ انعامك.
فأنا، الخاطئة المسكينة،
لم استحق

حنانَ مودّتكَ
الفائقَ كلَّ وصف.

– ١٤ –

يسوع: سترتفعين يوماً
اعلى من الملائكة؛
وهم سيَمدحونكِ
ويحسدون حبَّك.
أما على الارض،
فلكي تجذبي إليَّ القلوب،
عليك ان تعيشي في العزلة
وتصلّي لأجل الخطأة.

– ١٥ –

المجدليّة: آه! أشعر بأن قلبي
يتَّقد بحبٍّ فائق...
وصوتك الذي أحبّه
يزيد في ضرامه.
لكن قلبي أضعف
من أن يجعلني رسولة.
آه! أعِرْني قلبك،
يسوع، مخلّصي الوديع!...

(عندها، تتقدّم القديسة مرتا بعجلة. تنظر الى أختها بدهشة وتُنشد:)

– ١٦ –

مرتا: أيها المعلم الصالح، التفت الى اختي، ها هي ساهية.
انظر: فشغلي كلّه لا يهمّها.

قل لها اذاً، يا رب، آه! ارجوك،
قل لها بأن تساعدني في تقديم الطعام.

– ١٧ –

يسوع: مرتا، يا مضيفتي الكريمة،
تنسين، كما يبدو لي،
أن اختك تحثّ الخطى دائماً
نحو من يعرف ان يجذبها.

– ١٨ –

مرتا: ولكن، ايها المخلّص الالهي، هذا ما يدهشني؛
أما عليها ان تدير وجهها لحظة
عن الذي يعطيها كلَّ يوم،
وتفكّر في أن تعطيَ بدورها هديّةً؟

– ١٩ –

يسوع: يجب ان أفصحَ لكِ:
إذا كان حبكِ سخيّاً،
أعترف أن حبَّ مريم،
هو، ايضاً، عزيزٌ عليّ.

– ٢٠ –

مرتا: كلماتك، يا رب، هي لي اسرار،
وفكرةٌ لجوج تراودني باستمرار:
العملُ أفضل من الصلاة،
وأشعر بأن محبتي تتوق الى البذل.

– ٢١ –

يسوع : العمل ضروريّ جداً
وجئت أقدّسه ؛
لكنَّ صلاةً حارّةً
يجب أن ترافقه. ١٤٤

– ٢٢ –

مرتا : ربي ، عرفت أني لن اظفر باعجابك
ما دمتُ غيرَ نشيطة ؛
لذا ، فأنا اعمل دائماً لاجل خدمتك ،
واودّ لو اقدّم لك اطباقاً لذيذة. ١٤٨

– ٢٣ –

يسوع (ينظر الى القديسة مرتا بحنان) :

يا مرتا ! نفسك نقيّة جدّاً ،
وقلبي يهوى العطاء ؛
ولكن ، أتعرفين ايَّ طعام
يودّ لو يجده حبِّي ؟ ١٥٢

– ٢٤ –

القديسة مرتا (تجثو) :

لقد فهمت اخيراً ، يا يسوع ، الجمال السامي !
فنظرك الالهي قد نفذ الى قلبي ؛
هباتي كلّها قليلة ، ايها المخلّص الجزيل الحبّ ،
فما يجب ان اقدّم لك ، هو نفسي عينُها. ١٥٦

– ٢٥ –

يسوع : نعم، قلبكِ هو ما اشتهي.
انحدرتُ لكي أبلغه؛
من اجلكِ تركت السماوات
ومجدَها اللاّ محدود.

– ٢٦ –

القديسة مرتا (تنظر الى المجدلية):
أيها المخلّص الالهي، لماذ مدحتَ مريم
مديحاً عظيماً، امام سمعان الابرص؟
يا إلهي! أظنُّ أنك قد احصيت،
في حياتها، اياماً كثيرة عاصفة.

– ٢٧ –

يسوع: عرفتُ كيف افهم
لغة القلب المنكسر وتوبته،
فهو يحبّ اكثر
لاننا سامحناه باكثر.

– ٢٨ –

مرتا: آه، إن هذا الأمر ما زال يدهشني،
لأنك، يا رب، منعتني من السقوط،
وحميت حياتي منذ فجرها؛
فمن اجل تلك العظائم، ألا يجب أن أحبّ؟

– ٢٩ –

يسوع: حقاً، إن نفساً طاهرة،

رائعةَ حبّي،
يجب ان تحبّني وتباركني
دوماً بلا حدود.

- ٣٠ -

مرتا: آه، انتَ تعرف جيداً أنني، منذ الطفولة،
احببت كنز البتولية الثمين؛
يا رب، هذه الفكرة متعةٌ
تهزُّني وتُفرِح قلبي.

- ٣١ -

يسوع: لقد سَحَرْتِني، منذ الطفولة،
بطهارتك السامية؛
فإن كانت لك البراءة
فللمجدلية التواضع!...

- ٣٢ -

مرتا: ها انا أرى الحقيقة، يا معلمي الصالح المحبوب،
فأنت تُحسن تعليمي، دائماً، بلطف.
لن اعتدَّ بنفسي بعد اليوم؛
التواضع يعجبك: إذن أمارسَه.

- ٣٣ -

يسوع: إنك تفهمين السرَّ العظيم
الذي انزلني الى هذه الاماكن.
نعم، فالحياة الخفيّة أحبُّ إليَّ
من مجد السماوات كلِّه.

– ٣٤ –

مرتا: لكي أفتنك، يا يسوع، اريد حياتي كلّها،
ان احتقر مجد البشر وتكريمهم؛
في عملي لأجلك سأقلّد مريم:
فلا التمس ابداً إلاّ انظارك الالهية.

– ٣٥ –

يسوع: هكذا تخلّصين النفوس
وتجذبينها إليّ؛
ستحملين بعيداً ناري،
مع مشعل الايمان.

– ٣٦ –

مرتا: يا يسوع اللطيف، صوتك لحنُ حبٍّ
يخلب لبَّنا ويُضرم قلبنا.
آه، ارجوكَ، ابقَ اذاً، معنا؛
إبقَ هنا دائماً، مخلّصي المحبوب.

– ٣٧ –

يسوع: انا سعيد في بيت عنيا،
وسأرتاح فيها غالباً؛
وربّك في الوطن [السماوي]
سيحفظ لكِ الجميل.

– ٣٨ –

مرتا: آه، ربي، ايَّة مكافأةٍ عظيمة
ارجو بعد كل اعمالي؟...

لا استحقُّ شيئاً، وظنِّي، مع ذلك،
أنك ستغمرني بجديد أفضالك.

– ٣٩ –

يسوع: في السماء، مجدي مجدُك؛
وكلٌّ ما لي لك.
وفخرك الفائق كل فخر
ان تدْعيني عريسَكِ! ...

– ٤٠ –

مرتا: بما انكَ نصيبي، بعد هذه الحياة،
واكليلُ الشرف لبتوليتي،
آه! اودّ لو اطير الى الشاطيء السماوي،
ومنذ الآن، أتأمَّلَك في الجلال.

– ٤١ –

يسوع: قريباً، على الضفة الازلية،
تنشدين النشيدَ الجديد،
فترين مجدي الابدي
وتتبعين الحمل في كلِّ مكان.

المسرحية الخامسة

ي.م.ي.ت

٢٥ ك١ ١٨٩٥

متسوِّل الـميلاد الالهي الصغير
يطلب الاحسان من الكرملـيّات.

(بينما جماعة الراهبات مجتمعة لتسلية المساء، يظهر ملاك حاملاً بين ذراعيه الطفل يسوع ملفوفاً بالأقمطة، وينشد:)

باسم من أعبد،
يا أخواتي، جئت إمدّ يدي،
وأنشد للطفل الالهي
لأنه ما يزال عاجزاً عن الكلام.

لـم أجد في العالـم،
ليسوعَ المنفي من السماء،
سوى عدم الاكتراث البالغ؛
لذلك، جئتُ الى الكرمل.
يا أخوات الملائكة!
لتكن عواطفكنّ
وملاطفاتكنّ
ومدائحكنّ
مهداةً الى الطفل.
ايتها النفس المفتونة، اضطرمي حبّاً،
فالله صار لأجلك بشراً .
يا للسر المؤثِّر!

من يتسوّل منكِ
هو الكلمة الازلي! ...

يا اخواتي، اقتربن دون خشية،
تعالَين كلٌّ بدورها،
تهدي الى يسوعَ حبَّها،
فتعرفنَ مشيئته القدوسة.

سأنقل إليكنَّ
رغبة الطفل المخبأ في الاقمطة.
ايّتُها الطاهرات كالملائكة،
ومع ذلك يمكنكنَّ التألم،
لتكن حياتكنّ،
الزاخرةُ جداً،
وآلامُكنّ،
وافراحُكنّ،
مُهداة الى الطفل.
ايتها النفس المفتونة، اضطرمي حبّاً،
فالله صار لأجلك بشراً.
يا للسرّ المؤثّر!
من يتسوّل منكِ
هو الكلمة الأزلي! ...

(تتقدم الام الرئيسة أولاً لتسجد للطفل يسوع الذي يضعه الملاك في مذود مجهّز مسبقاً، ثم تُقَدَّم للأم الرئيسة سلَّةٌ صغيرة مليئة بطاقات، فتأخذ منها واحدة بالقرعة، ثم تعطيها، بدون أن تفتحها، للملاك فينشد الاحسان الذي يطلبه الطفل يسوع. ثم تنسحب الأم الرئيسة بعد ان تقبّل الطفل الالهي وتداعبه. بعد ذلك تأتي الاخوات بالتراتب وتفعل كما سبق ذكره.)

١ – عرش الذهب

اصغي الى رغبة لطيفة،
يُبديها يسوع كنزُكِ الوحيد.
يطلب عرشاً ذهباً،
فلم يجد أيّاً منه في الاسطبل.
فالاسطبل مثلُ الخاطىء:
لا يجد يسوعُ فيه
شيئاً يُفرح قلبه
ولا يرتاح فيه ابداً.
خلِّصي يا أختي،
نفسَ الخاطىء.
فيسوع يتوق الى هذا العرش.
لكنّه فوق ذلك،
يريد قلبك النقيّ
عرشاً ذهباً.

٢ – حليب

من يغذّي المختارين
بجوهره الالهي القدّوس،
صار الطفلَ يسوعَ لأجلكِ،
وهو يطلب عونَكِ.
سعادته في السماء كاملة،
لكنه في الارض فقير.
فاعطي، يا اختي، بعض الحليب
ليسوع، اخيك الصغير.
هو يبسم لكِ
ويكرِّر هامساً:

«ان البساطة هي ما أحبّ.
في الميلاد، في الميلاد،
أنزلُ من السماء،
لأن حليبَ حبّي هو انتِ نفسك».

٣ – **عصافير صغيرة**

تريدين، يا اختي، ان تعرفي
رغبة الطفل يسوع.
اذاً، اقول لك، هذا المساء،
كيف تجعلينه يبتسم.
التقطي عصافيرَ جميلة،
ودعيها تطير في الاسطبل؛
فهي صورة الاطفال،
الذين يحبُّهم الكلمة المعبود.
وجهه الصغير يشعُّ
لِعَذْبِ أغانيهم
ولزغرداتهم؛
صلّي لأجلهم،
فسوف يشكّلونَ، يوماً،
في السماء، اكليلك.

٤ – **نجمة**

احياناً، عندما تسودُّ السماء
فتغطّيها الغيوم القاتمة،
يَحزن يسوع جداً في المساء،
لأنه في الظلمة دون ضياء.
فلِكَي تُفرِحي الطفل يسوع،
شعشعي بالفضائل كلّها

مثل نجمةٍ متلألئة،
وكوني نوراً وهّاجاً.
آه، فلتمزّق انوارِكِ
حجابَ الخاطئين
وتَقُدْهم الى السماء!...
الطفل الالهي،
كوكبُ الصباح،
يختارك نجمته اللطيفة.

٥ – قيثارة

اسمعي، اسمعي، يا اختي،
رغبة الطفل يسوع.
انه يطلب منك قلبك
لقيثارته المتناغمة.
كان لديه، في سمائه الجميلة،
ألحان كلِّ الملائكة القديسين؛
ولكنه يريد ان تنشدي مثلهم،
في الكرمل، مدائحه.
اختي، اختي،
يسوع يريد
نغم قلبك.
حياتك ستنقضي
بأناشيد الحبّ،
ليل نهار...

٦ – ورود

نفسكِ زنبقةٌ عَطِرة
تبسحر يسوع وأمه،

أصغي الى حبيبكِ
يهمس بغموض:
«آه، اذا كنتُ احبّ
نصاعة الزنابق، رمز البراءة،
احبُّ كذلك غنى الالوان
في ورود التوبة.
وعندما تنقّي
دموعُك القلوب،
فرحاً عظيماً تعطينني،
اذ استطيع،
طالما اريد،
جَنْيَ الورودِ بملء يدي».

٧ — وادي

كما تجمّل الشمس
الطبيعة بضيائها تجميلاً،
وتذهّب بنارها القرمزية
الوادي العميق المزهر،
هكذا يسوع، الشمس الالهية،
لا يقرُب شيئاً إلا ويذهّبه؛
يسطع في صباحه
اكثر من الفجر النيّر.
والشمس الالهية
عند صحوتها،
تنشر على نفسك المنفيّة
أشعّتها الدافئة،
مع مواهبها،

فكوني واديها الضاحك.

٨ – حصّادون

هناك، في آفاق اخرى،
رغم الثلج والصقيع،
يتذهّبُ الحصاد منذ الآن،
في حمى الطفل الالهي.
لكنّ جمْعَها، للأسف،
يتطلّب نفوساً مضطرمة،
وحصّادين يريدون التألم،
هازئين بالحديد والنار.
في الميلاد، في الميلاد،
أنا آتٍ الى الكرمل،
عارف ان امنياتي هي امنياتكِ.
يا اختي، أولِدي
للمخلّص الوديع
نفوسَ رسلٍ كثيرين.

٩ – عنقود عنب

اودّ ثمرةً طيّبةً،
عنقودَ عنب ذهبياً
لأنعِش فمَ ملك السماوات،
الفَمَ الصغيرَ المعبود...
أختي، ما اعذب قَدَرَكِ!
فأنتِ العنقود المختار.
سيعصركِ يسوع بكل قوّة
في يده الصغيرة المحبوبة.

فالمحبوب الوديع
هو صغيرٌ جدّاً
ليأكل العنقود نفسه.
العصير الحلو فقط،
الذي يذهّبه بنفسه،
هو ما يحبّه!

١٠ — **قربان صغير**

يسوع، الطفل الالهي الجميل،
يحوّل الى ذاته كلَّ صباح،
قربانةً صغيرةً بيضاء،
لكي يعطيكِ حياتَه.
يريد ان يحوِّلكِ الى ذاته
بقدر من الحبِّ اكبرَ.
قلبك هو كنزه الثمين
وسعادتُه وفرحُه العظيم.
في الميلاد، في الميلاد،
إني انزل من السماء،
لأقول لنفسك المفتونة:
الحملُ الوديع
ينحدر اليكِ،
فكوني قربانته الناصعة النقية.

١١ — **ابتسامة**

العالم يجهل سِحرَ يسوع،
عَريسِك المحبوب؛
واني ارى دموعاً صغيرة

تلمع في عينيه الوديعتين.

عزّي، يا اختي العزيزة،
الطفل الذي يمدّ اليك ذراعيه؛
ارجوكِ، لكي تسحريه
ابتسمي دائماً في الدنيا.

انظري، فتخالي نظرته تقول:
«عندما تبسمين لأخواتك،
فان بسمتك، يا عروسي،
كافيةٌ لتمسحَ دموعي».

فان بسمتك كافية لتمسح دموعي!

١٢ - لعبة

أتريدين ان تكوني في الارض
لعبة الطفل الالهي؟...
أترغبين في أن تعجبيه، يا اختي؟
فابقي في يده الصغيرة.

إذا داعبك الطفل المحبوب،
إذا قرّبك من قلبه،
وإذا هجرك احياناً،
فاجعلي من ذلك كلّه سعادتك.

التمسي دائماً نزواته،
تَسحَري العينين الالهيتين.
فمنذ الآن، لذائذُك
هي رغباته الطفولية.

لذائذك هي رغباته الطفولية.

١٣ – وسادة

في المذود، حيث يرقد يسوع،
اراه يستيقظ غالباً.
تريدين ان تعرفي لماذا؟
انه لا يجد وسادة! ...

أعرف ان نفسك لا تطمح
الاّ الى تعزيته، ليل نهار.
اذاً، فالوسادة التي يبتغي
هي قلبك المضطرم بالحبّ.

آه، كوني دائماً وديعة ومتواضعة،
حتى يستطيع الكنز الالهي
ان يقول لك: «يا عروسي!
فيك انام هانئاً...»

يا عروسي، فيكِ انام هانئاً.

١٤ – زهرة

الثلج يغطّي الارض؛
البردُ والصقيع في كل مكان،
فالشتاء بموكبه الحزين
أذبل أزهار الدنيا.

ولكن، من اجلكِ تفتَّحت
زهرةُ الحقول الساحرة،
الآتية من الوطن المقدس،
حيث الربيع دائمٌ ابداً،

اختي، اختبئي في العشب الصغير

قرب زهرة الميلاد؛
وكوني ايضًا الزهيرة
لعريسك، ملك السماء.

الزهيرة لعريسك، ملك السماء.

١٥ - خبزٌ

كل يوم، في صلاتك،
في حديثك مع خالق النعم
تردِّدين: «يا ابانا،
أعطنا خبزَنا لكلّ يوم».

هذا الرب الذي صار اخاكِ،
يشكو مثلك من الجوع،
استمعي لصلاته المتواضعة،
فهو يطلب بعض الخبز.

آه، يا اختي! كوني اكيدة،
يسوع يطلب حبَّك فقط.
هو يتغذّى من النفس الطاهرة،
فذلك خبزه لكلِّ يوم.

النفس الطاهرة، ذلك خبزه لكل يوم.

١٦ - مرآة

كل طفل يهوى المثول
أمام مرآة امينة؛
عندها، يبتسم بعذوبة
أنه يخال طفلاً آخر في المرآة.

آه، تعالي الى الاسطبل المسكين،
فنفسك بلّور ساطع.
اعكسي الكلمةَ المعبود،
جمالَ الله الذي صار طفلاً.

آه، كوني الصورة الحيّة،
مرآة عريسك الصافية،
يريد ان يشاهدَ فيك
بهاءَ وجهه الالهي.

وجهه، يريد ان يشاهده فيكِ.

١٧ - **قصر**

عظماء الارض ونبلاؤها
عندهم جميعاً قصور فخمة،
اما الخِرَب، على العكس،
فهي مآوي التعساء.

وهكذا، انظري في الاسطبل
فقيرَ الميلاد الصغير،
يحجب مجدَه الفائق الوصف
بخروجه من قصره السماوي.

الفقر، قلبكِ يهواه،
وفيه تجدين السلام،
لذلك، يا اختي العزيزة،
انتِ من يريد يسوع لقصره.

انتِ من يريد يسوع لقصره.

١٨- اكليل زنبق

الخطأة يكلّلون بالشوك
رأسَ يسوع العزيز...
تأمّلي النعم الالهية
التي تجهلها الارض.

آه، نفسك البتولية،
فلتُنسِه آلامه؛
قدّمي له البتولات، أخواتك،
تاجاً ملكياً.

آه! اقتربي من عرشه
لتسحري عينيه الفاتنتين،
اضفري امامه اكليله
من الزنابق الجميلة الباهرة.

اكليله من الزنابق الجميلة الباهرة.

١٩ - الملبّس

أختي، الاطفال الصغار
يحبّون الملبَّس كثيراً،
فامْلَئي منها بسرعة
يد الطفل الالهي
الصغيرة الجميلة،
فنظرته تدعوك لذلك.

سُكَّراتُ الكرمل
التي تُغري ملك السماء،
هي تضحياتك كلّها.

تقشُّفك، يا اختي،
وفقرك البالغ،
هما لذائذ يسوع.

٢٠ – مداعبة

منك، الطفل يسوع
لا يطلب اكثر
من مداعبة لطيفة؛
فأعطه حبَّك كلَّه،
ولكِ بالمقابل
الحبّ الذي يحثُّه.

واذا حصل أن بكت
إحدى اخواتك،
فسارعي بحنان،
وارجي الطفل الالهي
ان يداعبها بلطف
بيده الصغيرة!...

٢١ – مهد

على الارض، قلّةٌ هي القلوب
التي لا تطمح الى انعامات
يسوع، ملك المجد.
ولكن اذا نام،
أقلعت عن خدمته
رافضة ان تؤمن به.

لو تعرفين بأيٍّ لذة

ينام الطفل،
دون خشية من ان توقظيه،
لجعلتِ نفسَكِ مهداً
ليسوع، الحمل الوديع،
المبتسم في نومه.

٢٢ - اقمطة

انظري الطفل المحبوب
يدلّكِ على القشّة اليابسة،
باصبعه الصغير الجذّاب.
آه، افهمي حبّه
وزوّدي المذودَ الحقير،
منذ اليوم، بالأقمطة.

بمسامحة اخواتك دائماً
تظفرين بانعامات يسوع،
ملك الملائكة.
فالحبّ المضطرم،
والبساطة المحبّبة
هما ما يطلب من اقمطة.

٢٣ - نـار

أختي، الطفل يسوع،
موقدُ المختارين الدافئ،
يرتجف مقروراً في الاسطبل،
ومع ذلك، كانت الملائكة،
لهبُ النار في السماء الجميلة الزرقاء،
تخدم الكلمة المعبود.

امّا، في الارض،
فانتِ موقد عريسك؛
انه يطلب نيرانك؛
فعليكِ، يا اختي،
أن تُضرمي النفوس،
لِتُدفئي المخلص.

٢٤ – حلوى

تعرفين أن أيَّ طفل
يفضِّل الحلوى اللذيذة
على مجد امبراطورية.
فقدّمي لملك السماوات
حلوى لذيذة،
وسَترينه يبتسم ...

اتعرفين ماذا يفضِّل
ملكُ الملوك من حلوى؟
إنها الطاعة السريعة...
عريسَك تسحرين
عندما تطيعين
مثله في طفولته.

٢٥ – عسل

عند انوار الصباح الاولى،
نرى النحلة الصغيرة
تجمع غنيمتها الغنيّة؛
تطير من زهرة الى زهرة،
فتزور سعيدةً،

التويجات فتوقظها.

هكذا، إجني الحبَّ،
وعودي كلّ يوم
الى جانب المذود المقدس،
لتقدّمي للمخلِّص الالهي،
أيتها النحلة الذهبية الصغيرة،
عسلَ ايمانك!.

٢٦ - حَمَل

لكي تَسحري الحملَ الوديع،
لا تحرسي قطيعاً بعد اليوم،
أتركي كلَّ شيء،
وفكّري فقط في ان تخلبي لبَّه،
وان تخدميه دائماً، بإخلاص،
طوال استراحته.

يا اختي، منذ اليوم،
استسلمي اليه
وستنامان سويةً.
وعندما تأتي مريم الى المهد
سترى قرب حَمَلها
حَمَلاً آخر يشبهه.

(بعد ان تعود الراهبات جميعاً الى امكنتهنَّ، يحمل الملاك الحارس، من جديد، يسوع على ذراعيه ويُنشد:)

الطفلُ الالهي يشكركنّ،
وقد سَحَرته عطاياكنّ.

لذا سيدوِّنها مع اسمائكنَّ،
عنده، في كتاب الحياة.

وجدَ يسوع لذائذه
في هذا الكرمل؛
فلكي يجازي تضحياتكنّ
له سماؤه الجميلة!...

إن كنتنّ دائماً أميناتٍ
على إرضاء الحَمَل الوديع،
سيُنبتُ الحبُّ لكم اجنحةً
لكي تحلِّقن عالياً.
ويوماً ما، في الوطن المقدس،
بعد المنفى،
سترينَ يسوع ومريم،
آمين! ...

المسرحية السادسة

ي.م.ي.ت

٢١ كانون الثاني/يناير من سنة ١٨٩٦

الهروب الى مصر

الفصل الأول: المشهد الأول

(يمثِّل المشهد بيتَ الناصرة الصغير. مريم وحدها في مشغل القديس يوسف، تحملُ الطفل يسوع على ركبتيها. وبالقرب منها، سلة مليئة بالثياب، ومغزلها، ولفة خيوط.)

العذراء: أيها الطفل الالهي! كم يطيب لي ان أهدهدك في هذا البيت، بيت الناصرة الصغير! هنا الفقر كثير، كما في بيت لحم؛ غير أن هذا الملجأ هو اكثر أهليةً لك من الاسطبل المهجور. (تنظر العذراء حولها والحنان يظهر عليها) أيتها الأمكنة المقدسة! كم تبعثين فيّ من ذكرياتٍ فائقة الوصف! هنا زار ملاك الرب اصغرَ المخلوقات وادناها، تلك التي كانت تطلب النعمة الوحيدة، وهي أن تتمكّن من خدمة أمِّ الله السعيدة. هنا تجسّد الكلمة الالهي، الاقنوم الثاني في الثالوث المعبود، بعملِ الروح القدس، وبقي خفّياً عن عيون البشر مدة تسعة اشهر. عندها، كان العالم يجهل حضورَكَ، ايها المخلص الالهي! الآن، احملك بين ذراعي كحِمْلٍ خفيف، ومخلوقاتك ما زالت تجهلك... منذ ان ابتعد الرعاة والمجوس، لا احد يفكّر في المجيء للسجود لك. قريباً يتوشى الربيع بألوف الازهار، ولكن لن تساويَ ايُّ واحدة منها الزهرة التي تتفتّح في الناصرة، بعيداً عن انظار البشر. ايتها الزهرة، ذاتَ العطر الالهي! كيف لا يكشف عطركَ الزكيّ حضورك؟...

المشهد الثاني

(يدخل القديس يوسف حاملاً عدة العمل)

العذراء (تقول بنبرة لوم لطيفة): يا يوسف، لقد تأخّرت كثيراً، لماذا تطيل ايام عملك الى هذا الحد؟

القديس يوسف: يا مريم! دعيني أبذل قواي في خدمة يسوع. فأنا اعمل لأجله ولأجلك، وهذه الفكرة تشجّعني، وتساعدني على تحمّل التعب؛ وفي المساء، عند عودتي، مداعبة يسوع، ونظرة واحدة من نظراتك، تنسيني أثقال النهار.

(يمسح عرقه عن جبينه بيده، وبينما يجلس قرب مريم ينظر الى الطفل يسوع. ثم تضع العذراء يسوع على ركبتي يوسف؛ عندها، يظهر على وجهه فرحٌ سماوي، فيضمّ الطفل الالهي بشدّة الى صدره ويقبّله بحبّ ثم يقول له:)

أيها الطفل الصغير! ما اجمل بسمتك! ... هل صحيح أني، انا النجارَ المسكين يوسف، أسعدُ بحمل ملك السماء ومخلّص البشر بين ذراعيّ؟ ... هل صحيح انه أوكِلَتْ إليّ المهمة السامية بأن اكون الاب المُعيلَ لمن يُشبعُ بحضوره الساروفيم المتلّهّفين، ومن يُقيت كلَّ مخلوق؟ هل صحيح أني زوج أمِّ الله، وحارسُ بتوليّتِها؟ ...

يا مريم! قولي لي، ما هذا السر العميق؟ ... رجاء الآكام الدهرية، عمّانوئيل، صبوةُ الآباء كلِّهم، هو هنا على ركبتيّ، ينظر اليَّ، انا خادمَه المسكين وغيرَ المستحق!.

العذراء: مثلك، يا يوسف، أعجَبُ من كوني استطيع أن اضمّ الى صدري الطفلَ الالهي الذي أنا أمه، أعجب من أن قليلاً من الحليب هو ضروري لوجود من يعطي الحياة للعالم.

(بعد تأمل طويل في صمت، تتابع مريم:)

قريباً يكبر يسوع، ويجب أن تعلِّم خالقَ الكون كيف يعمل... معك، سوف يكسب عيشَه بعرق وجهه المعبود...

القديس يوسف: ماذا تقولين، يا مريم؟ أيجب أن يصير يسوع حِرَفياً مسكيناً مثلي؟ آه، لن تكون لديّ الشجاعة لأراه يتحمّل اللوم الذي يُوَجَّه اليّ، أنا! ...

اليوم بالذات، لم يكن السيّد الغني الذي أعمل عنده راضياً عن عملي، فصرفني قائلاً لي أن أذهَبَ وافتّشَ عن رزقي في مكان آخر. وبعدما فتّشت كثيراً ورُفضت مرّاتٍ عديدة، وجدت من العمل ما يكفي لشهر كامل؛ استطيع أن اقوم به هنا، وهذه سعادة لم أكن لأحلمَ بها. ألاّ ابتعدَ عن يسوع ولا عنك، يا له من عزاء! ...

(يلاحظ يوسف ان يسوع نائم، فيخفض صوته قائلاً:)

لقد نام الطفلُ الالهي؛ خُذي كنزك، فقد حان وقت الراحة.

(يطبع قبلة على جبين يسوع ثم يقدّمه لمريم، فتحمله باحترام.)

العذراء (بصوت خافت:) ليبارك الله رقادَك! نم في سلام تحت نظرِ مَن قلبُه ساهرٌ دائماً.

المشهد الثالث

(يغفو يوسف عندما تبتعد مريم. بعد بضع لحظات من الصمت، يتراءى له ملاك الرب في حلم وينشد:)

الملاك: يجب ان ترحَلَ بسرعة
الى ارض مصر.
يا يوسف، هذه الليلة
ابتعد من دون ضجة.

هيرودس يريد، في غضبه،
انتزاعَ كنزك.
يريد خطفَ حياة
المنتصر على الموت.

خذ الامَّ والطفل
واهرب من الطاغية. (تعاد)

المشهد الرابع

(ينهض القديس يوسف بسرعة، ويقرع بلطف على باب الغرفة الصغيرة حيث تنام العذراء.)

القديس يوسف: مريم، استيقظي، فإن حياة يسوع في خطر.

العذراء (تأتي مع الطفل يسوع): يا يوسف، نم في سلام؛ لا خطر يهدِّد الطفل الالهي. انظر كيف يرقد بسلام بين ذراعيّ!

القديس يوسف: نعم، يبدو أن ملك السماوات يجهل، في نومه الهانيء، رسالة احد ملائكته ... ومع ذلك، فهو يعرف كلَّ شيء... يا مريم! لماذا لا يكلّمك يسوع بنفسه؟ لماذا أُكلَّف، أنا، بنقل أوامر السماء الى أمِّ الله؟...

العذراء: تكلّم، لا تخشَ، فأنت ممثِّل الله، وربُّ العائلة. قل لي بمَا يأمرنا الملاك من لدن الربّ، فأنا مستعدة كلّياً لإطاعته.

القديس يوسف: إنه يأمرنا بالهرب الى مصر، لأن هيرودس قرَّر قتل الطفل. يجب الرحيل الآن؛ غداً، قد يكون فات الاوان... (ينظر الى مريم بحزن).

العذراء: لا تحزن يا يوسف، فمنذ يوم تقديم يسوع للهيكل، وانا مستعدّة باستمرار للتجربة، لأن كلمات سمعان الشيخ تطعن قلبي بألم كالسيف. ها منذ الآن، قد بدأت نبوءته تتحقّق؛ إن يسوع يعاني الاضطهاد حتى قبل أن يبلغ السنَّ التي تؤهله للدفاع عن نفسه. اعرف أن كلمةً واحدة من كلماته الطفولية تكفي، ان اراد، لإبادة كل اعدائه؛ ورغم ذلك، فهو يفضّل الهرب، امام بشرٍ ضعيف، لأنه **أمير السلام**... (**آشعيا** ٩/٥) الكلمة الذي صار طفلاً، **لن يقضي على القصبة المرضوضة، وفتيلاً مدخّناً لن يطفئ** (**آشعيا** ٤٢/٣). اذا رفضته خاصته في ميراثه الخاص، فذلك لن يمنعه من بذل ذاته من اجل الخطأة المساكين الذين يجهلون زمن افتقاده... فلنرحل من دون خشية، هيّا بنا نقدّس شاطئاً كافراً بحضور المخلّص.

القديس يوسف: للأسف، كم يؤلمني أن أعرِّضكما للعناء والمخاطر في سفر طويلٍ ومُتعبٍ كهذا. كم اكون سعيداً لو يُسمح لي بان اتحمّل، أنا، كلَّ المشقة... ولكن يجب ان أرضى برؤيتكما في عوزٍ الى كلِّ شيء. هنا، كنّا نحصل

على الضروري؛ اما في مصر، فسوف نكون فقراء الى اقصى درجة.

العذراء: الفقر الذي سنلقاه في المنفى لا يخيفني، اذ إنّنا سنملك دائماً الكنز الذي هو ثروة السماء. فعنايته الالهية التي تغذّي العصافير الصغيرة، دون ان تنسى اياً منها، ستعطينا خبزنا اليومي.

المشهد الخامس

(بعد ان حمل القديس يوسف معه عدة العمل، يبتعد مع يسوع ومريم؛ عندها، تنشد الملائكة:)

يا لَلسرّ الذي لا يوصف!
يسوع، ملك السماء،
المنفي في الارض،
يهرب امام بشر.

فلنهدي حبّنا كلَّه
الى هذا الأله في الاقمطة،
ولتأتِ طغماتُنا الناصعة
لتشكّلَ حاشيته.

لنغمرْه باجنحتنا،
وبأجمل الازهار.
ولنهدهد ملكَ اَلسماء
باغانينا الفرحة.

ولكي نعزّي أمَّه
فلنُنشد، بسرّية،
جمالَ المخلّص
ورقّته وعذوبتَه.

آه! لنترك هذا الشاطىء،

بعيداً عن العاصفة.
ولنهرب، هذه الليلة،
بعيداً عن كلّ ضجّة.

ونجمتنا الساطعة
المخبأة تحت حجاب،
هي فرحُ المختارين،
الطفلُ يسوع.

ملك السماء يهرب
امام بشرا ... (تعاد)

الفصل الثاني

المشهد الأول: كهف اللصوص

(تُرى اسلحة، وجلود حيوانات برّية معلّقة على حيطان الكهف. وتُعرض على الارض أنواع غريبةٌ من المجوهرات والشمعدانات النفيسة، الى جانب اشياء اخرى تافهة. امرأة شابة اسمها سوزانا، تهدهد طفلها ديماس وهي تنشد:)

سوزانا : من قبلُ، كنت دون هم،
واكثر سروراً من ملكة،
وحياتي كانت فرحة،
وكنتُ سعيدة بابني.

جاء ابني الى الحياة
مثل وردة متفتّحة.
ولكن للأسف! لقد ذَبُلَت؛
وزهرتي
تموت الآن! ...

آه، لم تتألم أمٌّ
يوماً على الارض
مثل ألمي.

المشهد الثاني

(صوت صفارة ينذر سوزانا بأن رهط اللصوص يقترب. تضع طفلها النائم بعناية في مهد صغير، ثم تفتح الباب. يتقدّم اولاً أبرامين، الرئيس، ثم يتبعه رفاقه: العجوز طوركول، والشاب إيزارن. الثلاثة ينشدون:)

اللصوص: نحن لصوص الكهف
الأغنياء المشهورون؛
نحن رُعبُ الاشراف،
ورثةِ ذَهَبِ اجدادهم.

بحكمةٍ وشجاعة
نعرف، بدون ضجيج،
كيف نستعمل السيف والرمح
عندما ينتصفُ الليل.

(يعاد: نحن لصوص...)

(في نهاية المقطع، يضاف:)

ها نحن! لنقاتل بجرأة يا اصدقاء
مستفيدين من الظلمة الحالكة. } (صوت اول)

غداً نرتاح في الظل
وننام طوال النهار. } (صوت ثانٍ)

فلنجتهد في شبابنا
لنجمع لنا كنزاً،
حتى نستطيعَ شيوخاً
أن نسبحَ في الذهب. } (الصوتان)

(يا هو: نحن لصوص الكهف...)

(ابرامين يرمي اشياء ثمينة عند قدمي زوجته، خصوصاً ثياباً والعاباً للاولاد، ثم يجلس بقربها ويقول:)

ابرامين: حسناً! يا سوزانا، هل انت راضية؟ سيكتسي ديماس كالامراء، ولن يصعب عليكِ ان تسلّيه. (سوزانا تنظر الى الاشياء بحزن) لا يبدو عليكِ الرضى! وذلكَ مؤسف جداً! لو عرفتُ، لما حملتُ كلَّ هذه الاشياء التافهة.

سوزانا: كيف تريدني ان ابتهج، وديماس مريض؟ اشفِ ابني وسترانى ابتسم.

ابرامين: فعلت ما بوسعي: كم مرة ذهبت بديماس الى اورشليم حتى يعالجه أَمهرُ الأطباء؟ كل الادوية لم تُجْدِ نفعاً؛ دعيني، اذاً، بسلام، ولا تكلّميني مرة اخرى على مرض يسبّب لي من اليأس بقدر ما يسبّبه لكِ... (ينهض بسرعة وينحني فوق المهد قائلاً:) هل يجب ان يكون لي ابنُ ابرص!... آه، انا من كان يعلّق عليه آمالاً كثيرة!

طوركول (ضاحكاً بهزء): ما من سببٍ للغم، أليس لك مساعدون مَهَرة؟ إيزارن وانا نعرف جيداً ان نساعدك بدون ان يتدخّل ابنك. اذا كنت لا تقرّ بالخدمات التي نسديها إليك في اعمال اللصوصية، فذلك نكرانٌ تام للجميل.

إيزارن (مربّتاً على كتف رفيقه): يا رفيقي، لا تدع الافكار السوداء تنخر رأسك، فالرئيس لا يهيننا. أنا أيضاً آسف لأن ديماس أبرص، فبنيته قوية؛ انا متأكّد انه كان ليتميّز في تسلّق الجدران، وكسر الاقفال، وأهمّ شيء، في استعمال السيف لحمل العُصاة على الطاعة.

ابرامين: اسكتا يا قليلَيْ الادب؛ فابني لا يعنيكما. امنعكما من التكلم عليه فهذا احتقارٌ لألم أمّه.

سوزانا: ابرامين، انت الذي يفهم ألمي، كيف أبكيتَ أمّهاتٍ مسكيناتٍ كثيرات؟ كلّ هذه الاشياء، لم تسرقها بدون ان تسفك دماً. لو سمعتُ قصصَ اعمالك الشائنة كما في السابق، لابتسمت لك، ولكن منذ أن بدأتُ اتألّم، لا استطيع ان اتسلّى بألم الآخرين.

ابرامين: من حسن الحظ انكِ لم تأتِ اليوم الى مدينة بيت لحم، لكنتِ تأثرتِ؛ فقلبي، رغم قساوته، قد ارتجف سخطاً لرؤية القساوة البربرية، فأنا لا أسفك الدم الاّ دفاعاً عن حياتي: كلّ من يبقى نائماً بهدوء بينما افرغ خزنته، لا يخشى شيئاً من ناحيتي. انا اكثر الناس مسالمةً، وسيفي لم يجرح بريئاً قط.

طوركول (بحدّة): ما عداي انا، يومَ، أو قُلْ، ليلة سدَّدتَ ضربةً الى كتفي، لأني لم اسرع كفايةً في الهرب من برجٍ وجدتُ فيه كمية من الكنوز. انت، اذاً، من يقول إنه اكثر الناس مسالمةً؛ إني آسف لأني وضعت شعري الابيض في خدمتك، فانت قلّما تحترمه.

ابرامين (بسخرية): لقد استحققت تلك الضربة بسيفي؛ وانا مستعدّ لأن أعيدَ الكرّة إن لم تُطِعْني عند اول اشارة. انا لا اربأ ابداً بلون شعرك المستعار، وكنت اجهل انك وضعته في خدمتي. تستطيع ان تحتفظ به لخدمتك فلا حاجة بي اليه، اذ يكفيني شعري الاسود الرائع، الذي يقرّب الشبه بيني وبين آلهة الاولمبوس. اما بالنسبة الى شعرك، الذي يشبه النسالة، فالاجدى له ان يُرمى في النار.

طوركول (غاضباً): هذا مهينٌ جداً وسوف انتقم منك لهذه الاهانة.

(يمد يده الى كومة من الزجاجات الفارغة، فيأخذ واحدة ويهمّ بقذفها على رأس الرئيس. فيسرع إيزارن للدفاع عنه.)

ابرامين (ممسكاً بذراع طوركول بقوة:) تحرّك إن استطعت!...

(طوركول يصرخ ويتخبّط بينما إيزارن ينتزع الزجاجة من يده.)

سوزانا (تنطلق نحو المهد): اسكتوا، أرجوكم، لقد أيقظتم ديماس. (تأخذه بين ذراعيها.)

إيزارن (يقول لطوركول): لستَ محقّاً، يا طوركول، في ثورتك على الرئيس! إنه شهم يغمرنا بالخيرات. انظر، فهو مَن أمّن لنا هذه البزّات الفخمة الجميلة التي تجعلنا نظهر وكأننا متحدِّرون من سلالة الملك سليمان؛ وله ندين

بهذه الزجاجات التي جعلتنا احياناً كثيرة نُسرف في الشرب، وانت، تُبالغ بالجحود، وتستعملها لتنتقم من وليّ نعمتنا.

طوركول: احتفظ بالوعظ لنفسك، ودعني بسلام؛ اعرف جيّداً، ما انا فاعله. ارضى بألاّ انتقم، ولكنه كَرَمُ اخلاقٍ منّي وليس بالقوة.

(يذهب ويجلس في زاوية من زوايا الكهف مع إيزران، ويشرع كلاهما بتدخين الغليون.)

ابرامين (مقترباً من سوزانا): لا تعرفين ان تجعلي ابني ينام، أعطني إياه فسأغني له لازمةً تجعله يحلم بالمجد والشجاعة.

(يحمل الطفل ويغنّي له وهو يمشي بخطى متدافعة:)

مجدَ اجدادنا
الخالد،
كن اميناً لنا،
ولنعِش مثلهم.

أضرم قلوبنا (تعاد)

ابرامين (يعيد ديماس الى أمه ويقول:) أترين، ها قد نام، ارى فيه شجاعاً يُشرّف والده. ديماس ابرص، يا للمصيبة!!!... (ينهال على رأسه بقبضة يده.)

سوزانا: لا تفكّر في ذلك بعد الآن، فأنت منعتني منذ قليل من الكلام عليه. قل لي، ماذا حصل اليوم في بيت لحم؟

ابرامين: لقد حدث امر قد يجعل هيرودس موضوع كره؛ لأنه أمَرَ بان يُقتل كلّ الاطفال، بدون رحمة، من عمر سنتين فما دون، امام عيون امهاتهم وبين ذراعيهن.

سوزانا (تضم ديماس مرتعبة): وهل ذلك ممكن؟ آه، لا يمكنني ان أصدّق تلك الوحشية! يا للأمهات المسكينات، سوف يَمُتْنَ ألماً... أمّا أنا، فأموت لو انتزع احد كنزي مني...

ابرامين: ما قلته لك صحيح؛ على كلّ حال، هذه الاشياء كلّها تؤكده حتماً. استَطعتُ ان استولي عليها بلا عناء، لأنه لم يكن احد يعيرني انتباهه.

سوزانا: ولكن ما الذي دفع بالملك الى ارتكاب فعلٍ بهذه الخساسة وهذا الاجرام، لماذا قتل كلَّ الابرياء؟

ابرامين: لا أحد يَعرف تماماً سبب هذا العمل المشين؛ وكلٌّ يفسّره على طريقته. منهم من يقول إن السبب هو أنَّ ملوكاً غرباء جاؤوا يسألون هيرودس عن مكان ملك اليهود الجديد، لأنهم كانوا يريدون السجود له بعد ان رأوا نجمه. ولما وجد هيرودس أن له منافساً، اراد ان يتخلّص منه بأيٍّ ثمن، وبعد ان فتّش عنه طويلاً ودون جدوى، قرّر إعدام كلِّ الاطفال، متأكداً بهذه الوسيلة أنه يقتل المتحدّر من داود.

سوزانا (مفكّرة): يا لها من قصّة مذهلة! طفل يتقبّل سجود ملوك غرباء، ويهزّ هيرودس على عرشه... ألا يكون المسيح الذي ينتظره اليهود؟

ابرامين: لست ادري، على كل حال، فمملكته لن تقوم أبداً، لأنه ذُبح منذ قليل. الأله الذي يحمي هو عطارد، ولا اعترف ابداً بسواه؛ فباسمه، وعلى شرفه، سوف اقوم بمآثر جديدة. (ينهض ويحمل اسلحته ويقول لرفيقيه:) هيا يا صاحبَيْ، لنرحل! ... (يخرجون).

المشهد الثالث

سوزانا: (تتفحّص الاشياء المرمية علي الارض): يا لَلغنى! يا لَلوفرة! حقاً، انا اسعد امرأة! (تضع سواراً من اللآلىء النفيسة، ثم تنظر الى ابنها، وفجأة تنتزع زينتها وتصرخ دافعة كومة الكنوز برجلها:) لا، لست سعيدة!... رؤية الكنوز تعميني للحظة، ولكنّي أكره تلك الكنوز التي لا تستطيع ان تعيد الصحّة الى ابني.

ماذا فعلتُ للسماء حتى تُغْرِقَني في الألم الى هذا الحد؟ ربما تكون جرائم ابرامين قد جعلت اللّه ينتقم منّا... آه! ليتني اعرف اين يقيم اللّه؛ فحتى لو استوجب ذلك عبورَ البحار، سأذهب والقي بنفسي عند قدسيه، وأطلب منه حياة ابني، والمسامحة عن فساد ابرامين. ولن يخيِّب اللّه قلبَ امّ يركن اليه ويصلّي له.

اشعر بأن الكائن المجهول الذي خلقني صالحٌ الى درجة لامتناهية، واودّ لو اعرفه؛ أودّ لو أوكل اليه ديماس لكي يجعل منه محارباً شجاعاً في مملكته، لأنني أتمنى السعادة لأبني اكثر من سعادتي انا؛ ولكي اراه سعيداً، انا مستعدّة لأن أهبَ حياتي الف مرّة.

ولكن فؤادي يتوه... لن اغادر ابداً الكهف في الصحراء، ولن يسمع اللّه الذي افتش عنه ابداً صلاتي.. يجب أن ينزل بنفسه إليَّ لئلا تكون رغبتي وهماً... الام وحدها يمكنها ان تحلم هذا الحلم. أسفاً، لماذا لايمكن ان يتحقّق؟... (تبكي).

المشهد الرابع

(يُسمع قرعٌ خفيف على الباب، ترفع سوزانا رأسها فجأة وتقول بصوت حازم:)

سوزانا: من هناك؟

القديس يوسف: مسافرون مساكين متعبون يطلبون الضيافة لهذه الليلة.

سوزانا: هذا الكهف ليس نزلاً؛ تابعوا طريقكم، فنحن لا نأوي مسافرين.

العذراء: باسم ولدك، اذا كنتِ أمّاً، لا ترفضي لنا الملجأ الذي نطلبه.

سوزانا: (تشقّ الباب. وعند رؤيتها مريم تحمل الطفل يسوع، تقول بصوت حنون:) باسم ابني، لا استطيع رفضَ ايِّ شيء؛ تبدين أمّاً، أنتِ ايضاً، لأنك تعرفين تماماً ضعفَ قلب الأم.

(العائلة المقدسة تدخل الكهف)

سوزانا: من حظّكم أني وحيدة؛ فلو كان زوجي هنا مع رفيقيه، ربما كان اساء التصرف معكم. ولكنهم لن يعودوا قبل انبلاج الفجر؛ فحتى ذلك الوقت لن يزعجكم احد.

القديس يوسف: شكراً، أنت طيّبة، وسيكافئك اللّه على محبتك.

سوزانا: ومن هو اللّه الذي تتكلّمان عليه؟ منذ زمن وانا ارغب في معرفته.

القديس يوسف: يا امرأة! لو تعرفين ما اسم الذي دخل منذ قليل كهفك! لو تعرفين الطفل الذي تضمّه مريم الى صدرها! ...

سوزانا (تقترب من مريم): ما اجملَ طفلَك! لماذ تعرّضينه، في الصحراء، لتقلبات الطقس؟

العذراء: امرٌ هام أجبرنا على ترك الناصرة، لكي نذهب الى مصر ونسكن فيها. تفهمين كم أتألم اذ ارى ابني دون مأوى ومرتجفاً من البرد، عندما يهبّ هواء الليل البارد حاملاً رمل الصحراء، أو عندما لا أجد حتى نخلة يمكنها ان تحميه من حرارة شمس الظهيرة المحرقة.

سوزانا: يجب ان يكون الامر مهمّاً جداً حتى تقوموا بهذا السفر المتعب. اذا كان من اجل تكوين ثروة في مصر، فلا أشجّعكم على متابعة الطريق، فالفقراء على ما يبدو، هم أكثر تعاسة في هذا البلد منهم في بلدنا. بالإضافة الى ذلك، يجب ان تعرفوا ان البؤس يلحق من وُلِدَ تحت نجمه أينما ذهب. والوسيلة الوحيدة للخلاص منه هي الثورة على الأغنياء وسلبهم بالقوة الثروات الموزّعة بدون عدالة.

القديس يوسف: ليس الفقر هو ما نهرب منه. فالسعادة لا تكمن في امتلاك الثروة، ولكن في اخضاع ارادتنا لإرادة اللّه الذي يعطي كلَّ امرئ ما يعرف أنه ضروري لخلاص نفسه.

العذراء: ايتها المرأة المسكينة، كيف تستطيعين ان تتعلّقي بكل هذه الثروات المكتسبة ظلماً؟ كيف لا تبذلين فرحك كله في سبيل تهذيب قلب هذا الطفل الجميل الذي أوكله اللّه اليك؟

سوزانا (بحزن): ليس هذا الطفل مصدرَ فرحي، بل سببُ ألمي، فهو من يمنعني من التمتع بالثروات الوافرة التي تحيط بي ... بأية سرعة سأعطيكم كلَّ ما املك، إن استطعتم ان تخلّصوا ابني!

القديس يوسف (مقترباً من الطفل): وما به طفلك؟ هو جميل كالملاك، ويبدو أنه نائم بهدوء تام.

سوزانا: نعم، ديماس جميل، ولكن ألا ترى ان بياض الثلج هذا، المنتشر على جبينه، هو البرص؟ (تبكي)

العذراء: (ترفع بلطف يد سوزانا عن وجهها): لا تبكِ، ايتها الأم المسكينة، فَلَدَى اللّه تعالى من القوّة ما يكفي لِيَشْفيّ ابنك. سيكافىء استضافتك لنا هذه الليلة.

سوزانا: لا اعرف اين يقطن هذا الاله الذي تصفينه بأنه عطوف. أنتِ التي تعرفُه، أوه، استحلفكِ به، تضرّعي اليه لكي يشفيَ طفلي وسأعطيك كلَّ ما ترغبين.

العذراء: اعدكِ بأن اصلّي من أجل طفلك ولا أطلب منك بالمقابل سوى بعض الماء، لأغسل يسوع. انظري كم وجهه الصغير مغطى بالعرق والغبار.

سوزانا: كانِ عليّ ان افكر في تقديم هذه الخدمة لكِ. (تتّجه الى داخل الكهف وتدلّهما على نوع من الطست المحفور في الصخر) هاك المغسلة الصغيرة التي أستعمِلُها لديماس، تستطيعين ان تغسلي فيها ابنك، ولكن الا تخافين من أن يصاب بمرض ابني المخيف؟

العذراء: كلا، لست خائفة. اعرف أن يسوع جاء الى الارض لكي يشفي ابنك، حاملاً عنه ضعفه وعاهته. هو الآن هارب، مثل المسافر، لا يملك حتى صخرةً يسند اليها رأسه. لأن اليهود لا يعترفون بملِكِهم! .. فيما بعد، سوف يعتبرونه أبرصاً، ووجهه سيكون خفياً عليهم، (تبدأ مريم هذا الكلام بنبرة النبؤة. الألم والفرح يختلطان في نظرتها وهي تحدّق الى يسوع، ثم تضيف، وهي تنظر الى سوزانا:) ولكن طفلك سيكتسي بالجمال الذي سيفقده ابني من اجله... سيحّل معه في ملكوته السماوي.

سوزانا (متأثرة جداً): لا افهم كلماتك. كيف يستطيع طفلك ان يعيد الى ديماس صحّته، أليس ضعيفاً مثله؟...

بدون شك، ارى وهجاً مجهولاً يسطع في نظرك وفي نظره؛ ولكن ماذا تستطيعون ان تفعلوا من أجلي، أنتم المسافرين المساكين، الذين أُجبروا على إيجاد مأوى في كهف لصوص؟...

آه، بدأتُ اظنَّ أنكم اشخاصٌ غامضون. فمظهركم النبيل، وهيئتكم

التي توحي بالرفعة، يدّلاّن على انكم من اصل عريق. ألا تتحدّرون من سلالة ملكٍ ما، فقد كلَّمتموني منذ قليل على المملكة التي سيحلّ فيها ابني مع ابنكما؟

العذراء: ان مملكة يسوع ليست من هذا العالم، فلو كانت مملكته من هذا العالم لأمتلك القصور مثل ملوك الارض، ولكان له محاربون اشدّاء يقاتلون لأجله. لا يمكنك الآن ان تفهمي معنى كلماتي، ولكنك ستفهمينها يوماً.

(مريم تغسل يسوع بعد ان سكبت ماءً في المغسلة.)

القدّيس يوسف (يقول لسوزانا): انظري جيّداً ما تفعله مريم؛ قلّديها، وانت تؤمنين بقوة بأن اللّه يستطيع ان يشفي ابنك؛ وإله الرحمة هذا، سوف يكافئ ايمانك.

سوزانا: نعم، اؤمن بأن اللّه الحقيقي قد ارسلكم اليّ لتعزيتي، لأني اشعر في نفسي بشيء لا أستطيع تحديده... ولكن كيف يعيد قليل من الماء الصحّةَ لابني؟

القديس يوسف: لو فتحت الأسفار المقدسة يوماً، لقرأتِ فيها ان نعمان الابرص شفي لمّا اغتسل ٧ مرات بماء الاردن، طاعةً للنبي أليشاع؛ إلا أن ذلك الماء لم يكن بعد قد تقدّس بحضور الكلمة الذي صار جسداً.

سوزانا: لا اعرف ما تسمّينه بالأسفار المقدسة، ولكن قلب الأم يدفعني الى إطاعة صوتك (تغطّس ابنها في الماء الذي استُعمل ليسوع. ثم تخرجه وتطلق صرخة فرح وتقول بصوت متهدّج من التأثر:) آه، طفلي، ديماس قد شفي!... أليس هذا حلماً؟... لا، إنه حقيقي تماماً، فمه الارجواني يبسم لي... نظره برّاق ومليء بالحياة... إله فقط استطاع ان يفعل هذه المعجزة!... (ملتفتة الى مريم) آه، الآن اؤمن به، هذا الطفل الذي تضميّنه الى صدرك، إنه اللّه نفسه الذي نزل اليّ... لا افهم هذا السر، ولكن اؤمن لأني احسّ بالحقيقة.

المشهد الخامس

(يُسمع صوت صفارة فيدخل قطاع الطرق الى مأواهم)

ابرامين (يثور غضباً ويرفع سيفه عند رؤية مريم ويوسف.) من هما هذا الوقحان اللذان تجرّآا ودخلا أملاكي؟ سوف يدفعان ثمن ذلك اغلى مما يتصوّران.

سوزانا (ترمي بنفسها امامه وتقدّم له ديماس): يا ابرامين، لا تلمس فاعلَيْ الخير هذين، فلقد جاءا يضعان حدّاً لعذابنا؛ انظر، فديماس قد شفي من برصه.

ابرامين (يفلت سيفه من يده): ماذا تقولين؟ ديماس شفي؟ ... (ينظر الى الطفل بانتباه.) ذلك صحيح، لا شك في ذلك. (يمسح عينيه بقساوة بقفا يده) لم أكن اعتقد انه بقي لدي دموع. رغم ذلك، فقلبي القاسي متأثر امام هذه الاعجوبة التي تخربط كل حسابات الانسان. فمن هما، إذاً، هذان الغريبان اللذان يملكان معرفةً عجائبية تزيل مرضَ البرص المخيف بهذه السرعة؟

سوزانا: اجهل اسمهما، ولكني متأكدة من ان الطفل الذي يحملانه هو اللّه الحقيقي المستتر في هذا المظهر الضعيف.

ابرامين: إله في شكل طفل! ولكن، يا سوزانا، الفرح يفقدك صوابك .. (يلتفت نحو القديس يوسف) قل لي، ارجوك، ما اسمك وما هي المكافأة التي تطلبها لقاء الشفاء الذي قمتَ به؟

القديس يوسف: انا النجار المسكين يوسف؛ لست أنا من أعاد الصحّة الى ابنك. انه الطفل الذي تحمله مريم بين ذراعيها.

طوركول: صحيح، إننا في عالم آخر! لست ادري، اشعر بحركة في عمق هذا. (يدل على قلبه) انا على كرة العالم منذ زمن كافٍ لكي استطيع الحكم على الناس؛ لذا فإني اعلن ان هؤلاءِ الغرباء ليسوا أناساً عاديين.

ايزارن: لم يسبق لي قط ان رأيت هذا العدد من الغرباء، ولكن الحياة التي نعيشها لا تبدو لي جميلةً مثلما كانت عليه.

ابرامين (بحركة آمرة): اجلسا هناك واسكتا! ... (الى القديس يوسف) اتوسّل اليك بأن تشرح لي كيف استطاع طفلك ان يشفي ابني؟

سوزانا (بحماس): اسمع كيف جرت الامور. هذه المرأة، التي تتميَّز بجمالها ووداعتها عن كل النساء اللواتي سبق لي ان رأيتهنّ، طلبت مني ماءً لتغسل ابنها، فأعطيتها من الماء الذي في مغسلة ديماس، وأنا أعبّر لها عن خشيتي أن يصابَ ابنها بمرض ابني. وبدلاً من ان تشاطرني خشيتي، ردّت علي بكلمات غامضة لم افهم معناها، ولكني شعرت في نفسي بشيء خارق؛

وهكذا، بعد إن اخرجت ابنها من الماء، غطّستُ ديماس فيه (كما نصحني زوجها بأن افعل) آملة بأن يشفى، وها أنت ترى ما حصل!.. كيف تشكّ الآن في أن الطفل يسوع هو اللّه!.. بالإضافة الى ذلك، فأمّه كلّمتني على مملكة سَيَحِلُّ ديماس معه فيها.

ابرامين: مملكة! آه، فهمت... هذا الطفل العجائبي هو الذي يظن هيرودس أنه قتله.. إنه ملك اليهود، المسيح الذي ينتظرونه منذ زمن طويل.

العذراء: آه! يا لروعة رحمة اللّه الخفية على العلماء والحكماء والمكشوفة للاطفال وللنعاج التائهة وللكَفَرة!...

ابرامين: أما قلتُ الحقيقة؟ لا تُخفيا عنّي أصلكما، بعد الآن، فليس هناك ما تخشياه مني؛ وبدلاً من أن أخونكما، أنا مستعد كل الاستعداد للدفاع عنكما ضدّ كلِّ من يريد الاعتداء عليكما، ورَجُلاي ينضمّان إليّ عند إشارة واحدة مني.

قاطعا الطريق (ينهضان سوياً): نعم، نعم، نحن مستعدّان.

طوزكول: لن نكون قد خدمنا قط قضيةً نبيلة كهذه.

القديس يوسف: اشكركم يا اصدقائي، الوقت ليس وقت القتال: فيسوع هو ربّ السلام. ولقد أتى ليحمي ويخلّص.

ابرامين: اذا كان ابنك هو اللّه، فلماذا لم يُظهرْ قدرته، منقذاً من الموت، هذا العدد من الاطفال المساكين الذين ذُبحوا بسببه؟ الاعجوبة التي قام بها لأجل ديماس، كان بامكانه أن يقوم بها بسهولة اكثر لأجل اطفال بيت لحم، إذ كان قتلُ هيرودس الوحش كافيًا.

القديس يوسف: افكار اللّه ليست افكار الناس، وإلاّ لكان يسوع تصرّف مثلما قلت. ولكنَّ سُبُلَه تسمو على سبل الانسان، بقدر ارتفاع السماء فوق الارض. لا استطيع ان اسبر غور الافكار الالهية، فأنا اؤمن بها بدون فهمها... ومريم، المستنيرة اكثر منّي بانوار الروح القُدس، قادرة، بدون شك، على ان تشرح لكم لماذا ترك ابنها الالهي الابرياء يُحصَدون، بدلاً من ان يُميت هيرودس.

العذراء : ان ابن اللّه لم يأتِ الى الارض ليأخذ الحياة، بل ليعطيها. قلت لكم: إن مملكته ليست من هذا العالم؛ وإذا ترك القصر السماوي الرائع، فليس لكي يمتلك امبراطوريةً أرضية؛ فما يرغب فيه، وما يفتش عنه في الارض، هو الاصدقاء والاخوة، لكي يصطحبهم الى مملكته السماوية. واذا ترك يسوع الاطفال السعداء من عمره يُحصدون، فلكي يضعهم في أمان، ولكي يؤلِّفَ منهم حاشيته المصطفاة.

إن أطول حياة، ليست سوى حلم ينسى الناس فيه، غالباً، بكل اسف، أنَّ لهم نفساً خُلقت على صورة اللّه، ويتوهون في التعلُّق بأباطيل الارض. لذلك، تصرّف اللّه برحمة واسعة، عندما أستردّ من العالم طغمة الاطفال الذين يتمتّعون الآن بالراحة الابدية.

ابرامين (مفكراً): نفس خلقت على صورة اللّه! ... اطفال ماتوا، يتمتّعون بالراحة الابدية! ... يا لها من اعماقٍ أجهلها! ... اذاً، لا ينتهي كلُّ شيء بانتهاء الحياة؟ آه، انا مضطرب، أظن أنني أحلم.

القديس يوسف: لا، انت لا تحلم، فالاسرار السامية التي كشفتها لك مريم منذ قليل هي الحقيقة عينها: إن عرفتَ كيف تفهمها، بعيداً عن تجميع الثروات الفانية بالظلم، فسوف تعتبر الفقر الكنز الأكبر. وسوف تلتمس فقط ما يجعل نفسك ترضي اللّه.

ابرامين: ولماذا تريدني ان أطلب رضى الله، وكيف سيعرف ذلك؟ تقول إن الفقر أثمن من الكنوز، فاشرح لي هذا السرَّ الغريب.

القديس يوسف: لو كانت الحياة هذه لتدوم، لكنت على حق في جمع الثروات؛ ولكن بعد هذه الحياة التي تمضي بسرعة البرق، ستعقبها سعادةٌ ابدية للّذين يخدمون اللّه بأمانة خلال منفاهم العابر.

وعندها يكافىء إله الصلاح والرحمة، بصورة رائعة، الاعمال الباهرة التي تمّت من اجله؛ وحتى مجرّد الرغبة في خدمته ومحبته، لأنه يرى كلَّ شيء، وعينه تنفذ الى اعماق القلوب؛ واكثر الافكار خفاءً، لا تخفى عليه؛ فكما يقول النبي إشعيا: **الربّ لا يقضي بحسب رؤية عينيه، ولا يحكم بحسب سماع**

اذنيه؛ بل يقضي للضعفاء بالبر، ويحكم لبائسي الأرض بالاستقامة. الله نفسه يأتي ويخلّصهم. (إشعيا ١١/٣-٤).

ابرامين (ينهض): آه! لقد طفح الكيل. لا اتمالك نفسي. لم أعد اعرف نفسي... يا صديقاي، فلنخرج من هنا، فإننا لا نستحق ان نبقى في حضرة هؤلاء الضيوف المجهولين.

سوزانا: ابرامين، بما ان الحقيقة تسطع امام عينيك، لا تهرب من نورها. اني استحلفك بديماس، الذي اعاده المخلّص الى الحياة، ألاّ تعود بعد اليوم الى حياة الضلال حيث كنت تفقد نفسك. أظهر عرفان الجميل الواجب عليك لمن لهم فضل علينا، واعبر بهم الصحراء عندما يستأنفون طريقهم غداً الى مصر.

ابرامين: اذا ابتعدت، فليس لكي اعود الى النهب، ولكنني بحاجة الى استنشاق هواء الليل المنعش؛ فالجو الذي اتنفس فيه هنا شديد النقاء عليّ. ولكن اطمأنّي، فعند بزوغ الفجر، سأدلّ ضيوفنا على طريق آمن حتى يتابعوا سفرهم دونما ايّ غم.

(يتوجه نحو الباب، فيقف اللصّان الآخران)

طوركول (مقترباً من مريم): اخبري طفلك عنّي احياناً، حتى يتذكّر يوماً العجوز طوركول، عندما يصير في مملكته.

العذراء: اذا كنت ترغب في دخول ملكوت ابني، فلا تنسى ابداً هذه الليلة المباركة التي ارتاح فيها إلهكم عندكم؛ عندها يمكنك ان تأمل رؤيته بعد هذه الحياة، ليس كطفل ضعيف، بل في بهاء مجده الكامل.

ايزارن (يرتمي على قدميه): آه، ليباركنا هذا الطفل الذي سيُسعدنا الى الابد.

(يحني قطاع الطرق الثلاثة رؤوسهم سويةً. القديس يوسف وسوزانا يركعان ايضاً.)

العذراء (تباركهم بالطفل يسوع): يسوع يبارككم ويشكركم. ولقاء ضيافتكم له في كهفكم، سيُدخلكم الى فردوسه.

ابرامين (يقف ماسحاً دموعه خلسة):

من كان يظنّ أن ابرامين، رئيسَ اللصوص، قد يركع امام طفل؟ ...
يجب ان يكون هذا الطفلُ اللّه لكي اتصرّف على هذا النحو! (يبتعد اللصوص بعد ان يلقوا نظرة أخيرة على يسوع.)

المشهد السادس

سوزانا (ما زالت راكعة، تقول بصوت ملؤه الترجّي، وترفع نحو مريم عينيها الغارقتين بالدموع:)

يا مريم! كم انت طيّبة إذ وعدت زوجي بالملكوت الابدي! ولكن للاسف! ألا تعرفين أن حياة اللصوصية صارت عنده طبيعة ثانيةً، وأنا خائفة من ان اراه يستسلم لضلاله! أنا خائفة من ان يتبع ابني ديماس خطى ابيه، عندها، ماذا سيحلّ بهما؟ ...

العذراء : لا شك في ان من تحبّينهم سيُسيئون الى اللّه الذي غمرهم بانعاماته. ورغم ذلك، كوني واثقة برحمة اللّه اللامحدودة؛ فهي عظيمة بحيث تمحو اكبر الجرائم عندما تجد قلبَ امٍّ يثق بها كلّ الثقة.

يسوع لا يريد ان يموت الخاطىء، بل ان يرتدّ ويحيا الى الابد. هذا الطفل الذي شفى ابنك من البرص بدون عناء، سيشفيه يوماً من برصٍ اخطر بكثير... عندها لن يكفيَ مجرَّدُ الغَسْلِ بالماء، بل يجب ان يُغسلَ ديماس بدم المخلّص.. يسوع سيموت ليعطي الحياة لديماس الذي يدخل، في اليوم نفسه، مع ابن اللّه في ملكوته السماوي.

سوزانا : في كلماتك تعزية كبيرة؛ لم أشعر قط بمثل هذا السلام العميق الذي يغمر نفسي. ليس بامكاني ان افهم معنى ما تقولينه لي، ولكني افهم المجد الذي تحفظينه لطفلي؛ لذلك، سوف اذكّره غالباً بما يدين به لابنك؛ سأعلّمه أن يعرفه ويحبه. وسأقول له إن عليه ان يتخذ له مكاناً في جيش الشرف الخاص بهذا الملك العظيم.

للأسف! كم هو محزن ان يكون يسوعك فقيراً لدرجة ان لا خادمَ له

يأتينا من وقت لوقت ليحمل الينا اخباره، ويعلّم ديماس ما يجب أن يفعله لكي يستحقّ أن يخدم ابنك يوماً.

العذراء : إن خادم يسوع لن يأتي فقط من وقت الى آخر لكي يوجّه خطى طفلك. بل إن رسولاً سماوياً يرافق ديماس دائماً منذ ولادته، ولن يفارقه هذا الرسول ابداً. وانت ايضاً، مثله، لكِ ملاك مكلّف بحراستك ليل نهار، وهو من يوحي اليكِ بالافكار الصالحة وبالاعمال الفاضلة التي تقومين بها.

سوزانا : اؤكّد لك أن لا احد غيرك ابداً اوحى اليّ بافكار صالحة، واني لم ارَ، بعدُ، الرسول الذي كلّمتني عليه.

العذراء: لم ترَيْه، اعرف ذلك، لان الملاك الذي يلازم جوانبك هو خفي؛ ورغم ذلك، فهو موجود حقيقةً مثلي انا. وبفضل ايحاءاته السماوية، شعرت انتِ بالرغبة في معرفة اللّه وفي رؤيته يقترب منك. ستكون هذه الاشياء بالنسبة اليك اسراراً طوال فترة منفاك على الارض، ولكن عند انقضاء الزمان، سترين **ابن اللّه في جلاله آتياً على سحب السماء ترافقه جيوش ملائكته كلها.** (متى ٢٥/٣١).

سوزانا : آه، ليتني استطيع ان ارى ملاكاً، اودّ على الاقل لو اسمع صوته.

العذراء (تبدو وكأنها تسمع لحناً، فتقول بصوت خافت:)

اسمعي... ربما قد سمع صلاتك احد الملائكة، فتصفيقُ جناحيه ينذرني بوجوده.

المشهد السابع

(ملاك ينشد وهو خفي)

أتيت انشد بهاء العائلة المقدسة،
الذي يجذبني الى هذه الامكنة؛
هذا البهاء المتألق في الصحراء،
يسحرني اكثر من مجد السماوات.
آه، من يستطيع فهم هذا السر:

يسوع منبوذ بين اهله؛
هو تائه ومسافر في الارض،
ولا احد يعرف ان يكتشف جماله!...

ولكن، اذا احتقرَ العظماء ملكوتك،
يا ملكَ السماء! أيها الكوكب السرّي!
فهناك، منذ زمن طويل، قلوبٌ تصبو اليك،
فأنت أمل كلِّ التعساء.
أيها الكوكب الالهي، أيَّتها الحكمة السامية،
إنك تنشر عطاياك الفائقة الوصف
على صغار العالم وفقرائه،
وفي السماء تدوّن اسماءهم.

اذا وهبتَ الحكمة نصيباً للجاهل،
ولأصغر القلوب،
فلأنَّ كلَّ نفس مخلوقةٌ على صورتك،
وانت آتٍ لتخلّص الخطأة.
سيأتي يوم، وفي المرج عينه،
يرعى الحملُ قرب الاسد؛
والصحراء، وطنك الوحيد،
ستسمع باسمك مراراً.

ايها الاله الخفي! إن نفوساً بتولية،
مضطرمةً بنار الحبّ،
ستنطلق على خطاك الملكية،
وتصير الصحاري يوماً آهلةً.
هذي القلوب المضطرمة، هذي النفوس الملائكية،
ستُبهِجُ كلَّ ملائكة السماوات؛
ولكن انّة اناشيدهم الالهية المتواضعة

سوف تزعزع الهوّةَ الظلماء!

سينوي الشيطان إفراغ الصحاري
في غضبه وحسده الدنيء.
وهو لا يرى في الطفل الضعيف
القدرة الفائقة التي يجهلها العالم.
وهو لا يعرف ان العذراء الورعة
تجد الوحدة في قلبها؛
انه يجهل كم هي قوية،
تلك النفسُ المتحدة بمخلّصها الالهي.

آه، يا ربي، إن عرائسك العزيزة
قد تشاطرك يوماً منفاك؛
ولكنَّ الخطأة الذين ابعدوهنّ،
لن يُطفِئوا نار حبهنَّ.
والكراهيةُ المدنِّسة، في العالم الدَنس،
لن تستطيع أبداً ان تلطِّخ
ثياب عذارى الرب الناصعةَ كالثلج،
ولا أن تعكّر بياضَ السماء.

أيها العالم الجاحد! هوذا مُلْكُكَ يلفظ انفاسه:
ألا ترى هذا الطفل الصغير
يحمل بيده سعفة الشهادة،
ويقطف، منذ الآن، الزنبقة الرائعة...
ليعطيها الى بتولاته الامينات
فيضيء مصباح حبِّهنّ؟
الا ترى الابوابَ الازلية
التي يجب ان تُفتح يوماً للقديسين؟...

آه، يا لها من لحظة، يا للسعادة الصافية
عندما يظهر المختارون في المجد!
ولقاء حبِّهم ينالون
الابدية لكي يُحبّوا في السماء...
بعد المنفى، لا تألّم ابداً،
وانما الراحة في المقر السماوي.
بعد المنفى، لا ايمان، ولا رجاء
ليس الا الفرح ونشوة الحُبّ!...

المسرحية السابعة

ي.م.ي.ت

٢١ حزيران/ يونيو ١٨٩٦

انتصار التواضع

المشهد الأول

(يُعرض المشهد في صالة التسلية حيث تلتقي ثلاث مبتدئات في اجتماع مأذون.
الأخت تريز الطفل يسوع، عميدة الابتداء، والأخت ماري مادلين، راهبة بالطرحة البيضاء والأخت ماري للروح القدس، طالبة خورُصيّة[1]).

الأخت تريز الطفل يسوع: كم أنا سعيدة لاجتماعنا المأذون... لنرَ يا اخت ماري للروح القدس، قولي لي، ما رأيك بعيد الأم الرئيسة؟ هل رأيتِ يومًا ما في العالم شيئاً فتاناً يضاهي فتنة وحدة القلوب هذه، وهذا الحبور العذب؟

الأخت ماري للروح القدس: لا، لم أرَ قط ما يعجبني الى هذا الحد... أعياد الكرمل لها سحرٌ خاص، فالروح العائلية تعطيها طابعاً مميزاً وهذا ما يخلب لبّي... آه! كم أنا سعيدة هنا! فأنا احسّ بنفسي قريبةً من السماء، ولم يعد لي سوى رغبة واحدة، وهي ان أصبح خطيبة يسوع، فأتّحد به اتحاداً حميماً.

الأخت ماري مادلين: آه! ما أسعدنا لأن الله تعالى اختارنا... إني أفهم اختياره لكُنَّ يا اخواتي، فانتنّ طيّبات جداً.. ولكن كيف تنازل واتّخذني عروسةً له، أنا الراعيةَ الصغيرةَ المسكينة؟ مع انه كان يعرف تماماً ان لا علم لديّ ولا فضيلة.

الأخت تريز الطفل يسوع: لم يتنازل ربُّنا بمجيئه اليك، اكثر مما تنازل بالمجيء الينا، بل على العكس، إن اوضعَ الحالات في نظره هي أعظمُها؛ ولكنّي متأثرة

(١) خورُصية اي ستنتظم في سلك الراهبات اللواتي يتلين صلوات الفرض؛ وهناك نوع آخر من الراهبات لا يشاركن عادةً في هذه الصلوات كان يُطلق عليهنّ لقب المساعدات. (ش.ر.).

مثلكِ وأنا أتأمل في حبّه. أحبّ ان اتأمل في هذه الكلمات التي سمعَتْها أمُّنا القديسة جنفياف في احدى انخطافاتها: «أن أكون عروسة إله... يا له من لقب!... يا له من امتياز!...» بالفعل، إن يسوع نفسه هو الذي يصير عريس نفسنا، وليس رئيسُ ملائكة أو أميرٌ مجيدٌ في حاشيته. اما الشيطان – المحروم من الحبّ، كما كانت تسمّيه أمّنا القديسة تريزا[٢] فلا يفعل مثله، بل يكتفي بأن يخطّب النفوس التي يملكها، الى بعض شياطينه. هذه الفكرة أثرت فيّ تأثيراً حادّاً عندما قرأت قصة ارتداد ديانا ڤوغان[٣] العجيبة، الى الايمان. يا له من[٤] جميل. آه! يا وقد صارت الآن جانّ دارك جديدة رغبتي الكبرى هي في أن أراها تتّحد بيسوع في كرملنا الصغير، عندما تنتهي مهمّتُها.

الاخت ماري مادلين: وهي أيضاً ستحصل لها الانخطافات والرؤى، لان الله تعالى [الآن] من الامتيازات أقلّ ممّا وهبها الشيطان الذي كان يسمّيها ابنته العزيزة. لا فرق، فهناك، مع ذلك، من هم محظوظون!

الاخت تريز الطفل يسوع (مبتسمة): يا اختي ماري مادلين، هل تشتهين التعزيات والنعم الفائقة الطبيعة؟... كنت أظنّك اكملَ من ان تشتهي ذلك...

الاخت ماري مادلين: تنقضي تأملاتي في جفاف اسوأ من جفاف الحديقة حين لا تسقط نقطة ماء؛ فوالله، لن يسيئني اذا رأيت، لحظةً، ما يحدث في العالم الآخر.

الاخت تريز الطفل يسوع: ألا تعرفين أن أبانا يوحنا الصليب قد قال إن طلب الانخطافات والرؤى هو خطيئة عرضيّة؟

الاخت ماري للروح القدس (مندهشة): هو خطيئة!... لم أكن اعرف عن ذلك شيئاً... ومع ذلك فأنا أرغب فيها ايضاً... كيف العمل؟

---

(٢) تريزا الافيلية مُصلِحَة الكرمل في اسبانيا (١٥١٥–١٥٨٢).

(٣) Diana Vaughan اسم مستعار انتحله احد الماسونيين ليسخر من المسيحيين، وقد ظهر خداعه في ما بعد. راجع في هذا الصدد كتاب **قصة حياة تريز مرتان** ص ٢٢٤–٢٤٣.

(٤) هناك فراغ في النص الأصلي (ش.ل.).

الاخت ماري مادلين: كيف العمل يا اختي؟ اعملي مثلي، تخلّي عنها عندما لا تحصلين عليها.

الاخت تريز الطفل يسوع: الافضل لكما بنظري، أن تتذكّرا كلمات ربنا: **طوبى للذين لم يروا وآمنوا (يوحنا ٢٠/٢٩)**، وهو أكثر فائدة لكما.

الاخت ماري مادلين: اسمعا، فأنتما تنيرانّي، ... لقد قال الله تعالى: **طوبى للّذين لم يروا وآمنوا**؛ ولكنه لم يقل: طوبى للّذين لم يسمعوا. فأنا قد اكتفي بأن اسمع دون ان أرى. وانتِ يا اخت ماري للروح القدس؟

الاخت ماري للروح القدس: رأيكما رأيي، ولكنّي لا اجرؤ على ترجّي سماع اصوات السماء.

الاخت ماري مادلين: يمكن سماع اصداء السماء كما نسمع اصداء الجحيم؛ الاّ أن هذه لن تكون بجمال تلك؛ لكن سماع هذه أفضل من لا شيء، كما أودّ أن أسمع ما يقال في داخلها؛ ويبدو لي أني سأكون احسن حالاً عندما اعرف ما رأي الشيطان فينا.

الاخت تريز الطفل يسوع: أنا، أعرف ذلك جيّداً؛ يظنّ أننا ألدُّ عدوّاته، خاصة عندما نحبّ يسوع كثيراً. فالامر لا يستحقّ اذاً ان يُسمِعَنا الشيطان اللعين صوته البشع.

الاخت ماري مادلين: لا يمكنني أن اقول لك العكس، يا اخت تريز الطفل يسوع؛ امنيتي ان أضع أذني على باب الجحيم، خاصة اذا كنا كثيرات. وانتِ يا أخت ماري للروح القدس؟

الاخت ماري للروح القدس: أنا ايضاً... لكنني قد أخاف.

الاخت تريز الطفل يسوع: ان نخاف، فالموضوع لا يستحق ذلك، لأن أمنا الرئيسة القديسة تؤكد لنا أن الشياطين لا يُخيفون أكثر من الذباب.

الاخت ماري مادلين (تصفّق): يا لسعادتي! أرى انكما بدأتُما تفكّران مثلي.

الاخت تريز الطفل يسوع: وحتى لو فكّرت مثلكما، فذلك لن يُسمعنا محادثةَ

الشيطان. (تضحك) ما أغرب هذه المحادثة المأذونة. من حسن حظّنا أن لا أحد يسمعنا...

الإخت ماري للروح القدس: انتما تستخفّان بالأمر، ورغم ذلك، اذا تحقّق حلمنا، فماذا تقولان؟

الاخت تريز الطفل يسوع: أقول إن الله تعالى يبتهج لاستجابة رغبات النفوس البسيطة البريئة، واغتنم الفرصة لأقوّي ايماني. لا اجد في نفسي الشجاعة لكي افعل مثل القديس لويس حين رفض الذهاب لرؤية ربّنا مُظهراً نفسه في القربان؛ ولكنّي لا اودّ ان أطلب طلباً يبدو لي تطفّلاً.

الاخت ماري مادلين: الله تعالى هو اكثر تنازلاً منكما. فقد يقول للقديس ميخائيل بأن يشقّ قليلاً باب الجحيم فنستطيع سماع شيء ما.

الأخت ماري للروح القدس: اسمعا، فأنا اسمع غناءً... لقد استجيبت طلباتنا.

المشهد الثاني

(القديس ميخائيل ينشد)

حجابُ الايمان ينقشع،
باسم حبيبكنّ،
جئت أحقّق، يا بناتي
حلمكنّ.

من اجلكنّ، سَأشقّ الباب
على مكان الآلام الابدية.
فاسمعْنَ الجلبة الكئيبة
من لوسيفورس وحرّاسه.

انا ميخائيل،
آتٍ من السماء (تعاد).

اخواتي العزيزات، (تعاد)
اسخرن من سُخط الجحيم،
ولا تخفْنَ سَوْراته
فيسوع يقاتل من اجلكنّ.

المشهد الثالث

(خلف الستار تطلَقُ المفرقعات، وتُجَرُّ سلاسل ثقيلة، وتصيح الشياطين وتُظهر مذاريها، ولكن المبتدئات لا يريْنَ شيئاً لأن ظهورهنّ مستندة الى الستار)

لوسيفورس (بصوت راعد): هيّا، اصمتوا، لم أجمعكم لأُسَرَّ بسماع صراخكم وضجيج سلاسلكم، فلديّ أشياء هامّة اقولها لكم.

بعلزبول: تكلّم، يا لوسيفورس، ولكن بسرعة، فأنا متضايقٌ هنا؛ أفضّل أن اعيش جحيمي على الارض، حيث يُمكنني، على الاقل، أن إشفي غليلي وأنا ادمّر النفوس التي خلّصها أدوناي[٥].

لوسيفورس: يا بعلزبول، انا غاضب منك، فانت تسيء القيام بواجباتك: لماذا تركت ميخائيل ينتزع منّا عدداً من مؤيّدينا المخلصين؟ لماذا تهتمّ بالانتقام لمصالحك الشخصية، بدلاً من ان تهتمّ بارساء مُلْكي في كل اقطار الكون؟

بعلزبول (بسخرية): «لا أخضع»!.. انت من اعطاني هذا الشعار، وتظن انى سأطيعك بعد ان رفضتُ التنازل امام الله؟... كلا، أبداً، أبداً!.. كل واحد هو السيّد هنا؛ لذا فالاتحاد كبير جدّاً الى حدٍّ أنَّ جيوشَنا تحكمُها إدارةٌ رائعة، ولذلك لا ينفكُّ عبّادنا يتنازعون على نقاط طقوسنا المقدسة، وانت تعرف ذلك احسن من سواك، ايتها الحيّة العجوز الماكرة، إن الشِّقاق هو علامة مُلكِك الفارقه... ونقطة تجميعنا الوحيدة هي كرهنا الشديد

(٥) من اسماء الله في العهد القديم حسب النص العبراني. ويبدو من الاسماء الغريبة ان تريز طالعت بعضاً من كتب ليوتاكسيل او ديانا فُوغان (ش.ر.).

للبشر. صحيح أن ذلك لا يمنعنا من ان نسمّيهم أعزَّ الاصدقاء، بينما نحن نكرههم حتى الموت. (يضحك هازئاً). هل هي غلطتي اذا كان بعضهم اذكى من الآخرين، وأفلتَ من شباكنا؟ ... على كلّ حال، يبقى لنا الكثير منهم. فقليلون هم من يتمتَّعون بِحكمَةِ المسيح، خاصة عندما يقول لتلاميذه: **من أراد ان يتبعني، فليزهد بنفسه، ويحمل صليبه.** (**متى ١٦/٢٤**) آخ!... كم يؤلمني التلفُّظ بهذه الكلمة...

ولكن يا لوسيفورس، أصغ إليّ: إذا كنتَ تريد ان تخفّف من الغضب الذي ينهشك وانت ترى الأصدقاء الذين يفلتون منا، فانزل على أسمودي فهو الذي فقد لتوّه خطّيبته ديانا ڤوغان بطريقة مخزية بالنسبة الى قضيّتنا.

اسمودي: آه، يا بعلزبول، كم تعذِّبني عندما تلفظ اسم هذه هل كان يجب ان تفلت مني انا الذي للمحافظة عليها من شعوذات المسيحية أكان يجب حقوقي هكذا سوف انتقم! لو في عزلتها لكانت رأت لن أستطيع أبداً عذابات جديدة لهروبها الماسونيين[٦].

بعلزبول : كنت اتوقّع بأن تكون النهاية سيئة فطبعها لم قط على تطبيق مبادئنا. لقد كرهتها منذ ان عرفت أنها قررت البقاء بين البتولات اكون فخورًا بديانا هذه من أُسم مثل اسم جانّ، جانّ عدّوتنا، فاسمها وحده يجعلنا نرتجف!!!.

لوسيفورس (غاضباً): انك تهينني وانت تسخر من أسمودي؛ وهل تجهل ان خطّيبته كانت ابنتي العزيزة لفترة طويلة؟ فالبتولات لسن كلّهنّ عدوّاتٍ لنا، وكثيرات منهنّ يخدمننا دون ان يَعرفن؛ لذلك أوصيكم باحتلال الجماعات الرهبانية، فهناك خاصة يجب أن تنصبوا آلات حربكم. أنا لا أجهل كم يُلْحقُ بي من الضرر أدونيّة كاملة[٧]؛ فهي تجرّ في إثرها عدداً

---

(٦) لم يبقَ من النص الاصلي الا عبارات متقطعة ولا يمكن ملء النص إلا افتراضاً (ش.ر.).
(٧) آدونية هيَ التي تعبد آدوناي اي الله.

كبيراً من النفوس التي قد تكون من جماعتنا. ابذلوا جهودَكم كلَّها لإلهائها بصخب العالم؛ اقترحوا عليها خاصة، بان تهتمّ بنفسها، فعِزّةُ النفس هي ضعف البشر جميعاً، وهي موجودة كذلك في جماعات المحصَّنات؛ فهذا هو سلاحي، وأنا احمّلكم إياه، يا اصدقائي، وهو الأمضى من اجل تخفيف حبّ أدوناي في قلوب كلّ راهباته. آه... كم يُعذّبْنني بمحبتهنّ لربِّهن!!!... فلكي امنع فِعلاً واحداً من افعال الحبّ هذه، أنا مستعدّ لأن ارسلَ اقوى جيوشي، لأنني، إن لم أنجح في القضاء على النفوس التي يملكها أدوناي، فأنا فخورٌ على الأقل بأن أُفْقِدَها أقل درجةٍ من المجد. (بيأس) آه، لا حبّ لي، ولا عرش، ولا مجد!! أبداً! أبداً!

اسمودي: اذا شئت ان نشنَّ هجوماً على الاديرة، فأنصحك، فعلاً، بتشكيل جيوشٍ خاصة من اشدِّنا بأساً. فأنت، يا لوسيفورس، ستكون على رأس الجيش؛ ثم يأتي بعدك: أنا ومولوخ وعشتار وهرمس، وأرييل وعشتروت وبعلزبول[8] الخ...

بعلزبول: لا. لن أذهب؛ فقد سميّتني في الآخر، وتلك اهانة لي. وزيادة على ذلك، فقد قلت لك، أنا أكره صحبة البتولات... ليس لأنني اخافهنّ كأفراد، ولكنهنّ اذا اتّحدن به يصبحن مخيفاتٍ مثله. ثم إن لهنّ اسلحة تؤلمني؛ فشئتَ أم أبيتَ، يجب أن تنسحبَ منهزماً امام امرأة، تحمل في اطراف اصابعها بضعَ نقاط من الماء المقدّس (آخ، كم يُحرِق هذا الماء...)؛ أو تقدّم صليبها (هذه الاداة التي يؤلمني التلفّظ باسمها، والتي تنفذ مثل سهم النار...) يا لَعارنا، نحن ملائكة النور، وقد فاق عِلمُنا بكثير كلَّ ما اكتسبه الانسان من معارف منذ خَلْقِ العالم!... اذهبوا، اذاً، في حملتكم على البتولات، لكنّي اتنبأ لكم بالهزيمة... وبدلاً من أن تقوّضوا مُلك ادوناي، فانكم سوف توطّدونه بالشهيدات اللواتي يضعهُنّ أعداؤنا رموزَ انتصار على مذابحهم... هيّا اذهبوا، ولن يقع عليّ عار الهزيمة، فأنا سأبقى مع الماسونيين اصدقائي الطيّبين.

(٨) أسماء مختلفة مقتبسة من مؤلفات تاريخية (ش.ر.).

لوسيفورس: إن لم تشارك في حملتنا المجيدة، فلن تشارك في انتصارنا... أقول لك إنني امير هذا العالم، ويجب أن ابسط سلطتي في كلّ مكان. لقد قال المسيح **إن ابواب الجحيم لن تقوى أبداً على كنيسته،** (**متى ١٦/١٨**). وها إن قدرتي تأسر خليفة بطرس[٩]؛ ولكن ذلك لا يكفي، فأنا بحاجة الى انتصار ساحق؛ وهذا الانتصار، لن أحرزه الاّ بتدمير الاديرة... الى الامام!... تشجعوا ايها الاصدقاء... الى الحرب... الى الحرب!!!

أسمودي: بأي اديرة نبدأ حملتنا؟

لوسيفورس: ليْلِيتْ[١٠]، أم أدوناي هي ألَدُّ اعدائي؛ فلننتقم منها بمهاجمة رهبانيتها المفضّلة، رهبانية الكرمل التي يسمّيها الملائكة أكمل رهبانية في الكنيسة.

الشياطين جميعاً (يصرخون ويضحكون هازئين): أحسنت... أحسنت... الى الامام، الى الامام، لندمّر كنيسة أدوناي.

المبتدئات (تجثينَ مرتعبات): يا مار ميخائيل! يا مار ميخائيل! دافع عنّا، أوثق الشياطين الذين يريدون تدمير الكنيسة وطردَنا من الكرمل...

المشهد الرابع

(يظهر القديس ميخائيل في الفضاء وسط غمامة؛ وعند رؤيته، يطلق الشياطين صرخات غضب ويأس.)

لوسيفورس: آه، يا ويلنا، يا ويلنا!... ماذا جئتَ تفعل، هنا، يا ميخائيل؟ ابقَ مع ملائكتك. فجهنّم ليست مملكتك؛ انها لي، فأنا اميرها كما اني أمير العالم الذي لا حقَّ لك عليه.

(مار ميخائيل، يُغمِدُ رمحه في الغَوْر، فيضاعف لوسيفورس صراخاته؛ عندها ينشد رئيس الملائكة):

---

(٩) منذ أن احتلّ جنود البييمون Piémont، المقاطعات البابوية في ١٨٧٠/٩/٢٠ على عهد البابا بيوس التاسع، اعتبر البابوات انفسهم سجناء الفاتيكان حتى سنة ١٩٢٩ (ش.ر.).

(١٠) Lilith لقب يطلقه ليوتاكسيل في كتابه على مريم العذراء.

أنت من يدّعي انه أميرُ هذا العالم،
انت من أراد ان يُساوي نفسه بالله،
ستبقى في ظلمة حالكة،
ستبقى في هوّة النار.
وفي قساوتك المجنونة، لا تظنّ
أن القديسين سيتراجعون أمامك...
أيتها الحيّة الملعونة، الكنيسة خالدة،
الكنيسة (تعاد) سوف تراها تنتَصِرُ! (تعاد)

لوسيفورس: لا، الكنيسة لن تنتصر، وكيف لها أن تقاومَ قدرتي؟... أعرف أن أدوناي اقوى منّي، وَذلك سببُ غضبي الدائم؛ ولكن أنظر كيف يُهمل مجدَه، ويترك أصدقاءه في الذلّ والألم. لذلك، اذا احصيتَ أتباعه، وجدتَ كم عددهم قليل... اذاً سأهاجم هذه الحفنة الحقيرة بجيوشي القاهرة، واتغلّب عليها؛ عندها سيكون الإجرامُ الذي يعبده خدّامي المخلصون في كل انحاء الارض، قانونَ الكون الوحيد.

وعندئذٍ سأكون المنتصر، وانت، مع ملائكتك، ستهرب موصوماً بالعار.

القديس ميخائيل:

اذا ساد الإجرام بسبب الاشرار،
فلم يزل هناك اكثرُ من قلب بتول،
لكي تُعزّيَ الضحيّةَ المعبودة،
ولكي تشكّل موكِبَها الملكي.
وجيشُ المختارين المحيط بالرب
مفعم القلب بشجاعة نبيلة.
فارتجف، ايها الشيطان، وانظر ضعفك؛
تراجع (تعاد) فالمسيح دوماً منتصر (تعاد).

لوسيفورس: لا يهمّني... جيشك، جيش البتولات... ألا تعرف ان لي عليها حقوقاً كذلك؟ ... انا امير الكبرياء؛ فاذا كانت البتولات عفيفات وفقيرات، فماذا عندهنَّ اكثر مني؟ انا عفيف ايضاً، وبما اني اغدق الثروات على الناس، فهي بالنسبة إليّ حقيرة كالدخان... وستجيبني انت: والطاعة، هل تمارسها؟ آه، يا ميخائيل، أضاهيك حيلة... لا، لا أطيع بملء ارادتي، بل أخضع لأوامر الله قسراً؛ والبتولات ايضاً يمكنهنّ ان يُطِعْنَ مع الحفاظ على مشيئتهنّ في اعماق قلبهنّ؛ بوسعهنّ ان يُطِعْنَ مع الرغبة في إصدار الاوامر؛ اذاً، ماذا يَفعلنَ اكثر مني؟ واما الكبرياء، فأستطيع ان أدسّه في كل مكان؛ وان صدَّقتني، فانظر كم هو أعظم تأثيراً من فضائل بتولاتك... (بنبرة انتصار) انظر... انظر!!!...

(يقدّم لوسيفورس في طرف مذراته، ميزاناً؛ على احدى الكفتين ثلاث لفائف صغيرة بيضاء، مكتوب عليها: «فقر، عفة، طاعة»؛ وعلى الكفة الاخرى التي ترجح على الاولى، نرى ثلاث لفائف سوداء مكتوباً عليها: «كبرياء، استقلال، ارادة ذاتية».)

القديس ميخائيل (يأخذ الميزان):

سأثبت لك جنونك مرة اخرى.
أتنسى اذاً، أيّتها الحية، أيّها الوحش الجهنمي،
تواضعَ العذراء مريم،
التي سحقتك تحت قدمها البتولية؟
ما زالت هذه الفضيلة تسطع في الارض،
وبهاؤها المتواضع يدكّ سلطتك الملكية.
يا وحش الكبرياء، تمرَّغ في التراب،
تراجع وقد هزمك التواضع!

(في اثناء الانشاد، يضع القديس ميخائيل في كفة النذور، لفافة صغيرةً مكتوباً عليها: «تواضع»، فلا تلبث الكفة الاخرى ان ترتفع.)

الشيطان (يصرخ بيأس): لقد انهزمت... لقد هُزمت! كفى، كفى، يا ميخائيل، لا تعذّبني أكثر، لقد هُزمت.

الشياطين الآخرون (يصيحون ايضاً): لقد هُزمنا! ...

(يسمع قصف الرعود، ويبتعد القديس ميخائيل فيعمّ السكون كلَّ شيء.)

المشهد الخامس

الاخت تريز الطفل يسوع: يا اخواتي! أية نعمة منحنا الله منذ قليل! هيّا بنا بسرعة نخبر الأم الرئيسة بما سمعناه، فيجب ان نخبرها باننا نعرف الآن وسيلة الانتصار على الشيطان، وأن رغبتنا الوحيدة، من الآن فصاعداً، هي ممارسة التواضع... تلك هي اسلحتنا، ودرعنا؛ بهذه القوة الفائقة القدرة، سنجدّد عمل جانّ دارك، ونطرد الغريب من المملكة، اي نمنع المتكبّر، الشيطان، من دخول أديارنا.

الاخت ماري مادلين: نعم، هيا بنا بسرعة الى الأم الرئيسة؛ ولكن ستخبرينها انتِ يا اخت تريز الطفل يسوع، لأني ما زلت ارتجف؛ ثم إني اخشى الاّ تصدِّقنا وتقول إننا كنا نحلم...

الاخت ماري للروح القدس: صحيح، ومع ذلك، فكم سيخيب أملنا اذا سخرت الأم الرئيسة منّا!

الاخت تريز الطفل يسوع: بالعكس، علينا ان نبتهج لأننا نستطيع بذلك ان نمارس التواضع... ولكنها ستصدّقنا.

بعد ان تلقّينا هذا الفضل الكبير، اجد نفسي متحمّسة للطلب الى الملائكة القديسين أن يأتوا معنا وينشدوا للأم الرئيسة العزيزة أحد اناشيدهم السماوية.

يا اخواتي الصغيرات، لقد استجيبت طلباتكنّ منذ قليل، والآن دوري لتستجاب طلبتي.

ايها الملائكة القديسون، ارجوكم، لا تكسفوا طلبتي، أسمِعونا صوتكم، ولكن لا تظهروا حتى تتركوا لنا استحقاق الايمان.

(تنهض المبتدئات وتَتوجّهن الى الأم الرئيسة.)

المشهد السادس

الملائكة (ينشدون):

(لازمة): انتن اخواتُ الملائكة
يا بتولات الكرمل!
إننا ننشد مديحكنّ
على قيثاراتنا السماوية.
تستطعن، يا للمجد!
بتواضعكن،
الانتصار
الى الأبد!

ترغبنَ، يا كرمليّات تقيّات،
في كسب قلوبٍ لعريسكنّ يسوع:
فابقين لأجله دائماً صغيرات
فالتواضع يغيظ الجحيم. (تعاد اللازمة)

المسرحية الثامنة

ي.م.ي.ت

٨ شباط/فبراير ١٨٩٧

القديس ستانيسلاس كوستكا

الشخصيات: العذراء القديسة والطفل يسوع – القديس ستانيسلاس كوستكا – القديس فرنسيس بورجيا، دوق غاندّيا (Gandie)[1]، سيّد من حاشية شارل الخامس (شارلكان)، رئيس اليسوعيين العام – الاخ اسطفانوس اوغوسطي، مبتدئ شاب.

المشهد الاول

(يجري المشهد في روما، في غرفة القديس فرنسيس بورجيا – هو وحده، ويقرأ رسالة بانتباه – ثم يُقرع الباب قرعاً خفيفاً).

القديس فرنسيس بورجيا: ادخل (يرى مبتدئاً). حسناً، يا اخ اوغوسطي، كنتُ انتظرك. (يركع[2] المتبدىء باحترام امام القديس فرنسيس، فيقدم القديس له مقعداً) اجلس يا ولدي، لا اريد اليوم أن أعاملك كمبتدىء، بل كأمين سر وكصديق.

الاخ اوغوسطي (يبقى راكعاً): ابتي الجليل، ان لطفك يُربكني؛ كيف لك ان تعاملني كصديق، انت، الرئيس العام «لرفقة يسوع»، انت من تسميه اسبانيا وايطاليا منذ الآن قديساً؟ دعني عند قدميك، فلا استطيع أن أكلّمك إلّا راكعاً، لا يمكن ان ينسيني تواضعك انك لما كنت دوق غانديا، احتقرت عظمة بلاط شارل الخامس لكي تجيء...

القديس فرنسيس (يقاطعه بنبرة قاسية): اسكت يا اخي، ولا تتفوّه ابداً بمثل هذه الكلمات؛ لولا معرفتي ببساطتك لفرضت عليك قصاصاً صارماً، ولكنّي

---

(١) فرنسيس بورجيا، (١٥١٠–١٥٨٢)، كان من اعظم الاقطاعيين في اسبانيا. ترك كلَّ شيء ودخل في جمعية «رفقة يسوع» للآباء اليسوعيين الحديثة التأسيس وصار رئيساً عاماً عليها.

(٢) الركوع امام الرئيس عادة متّبعة في سائر بيوت الابتداء.

اعرف أنك تفكر وتتكلّم كالطفل. من الآن فصاعداً، لا تأبه ابداً لما يبهر عيون الناس، فمحاكمتنا يجب ان تكون في يد اللّه وحده؛ والراعي أمامه مساوٍ للملك، والعظمة الحقيقية تكمن في الفضيلة وليس في الاصل النبيل. إعلَمْ ان فرنسيس بورجيا ليس قدّيساً، بل خاطئاً كبيراً، لا يستحق أن يكون تلميذ اغناطيوس المجيد.[٣] صلِّ الى اللّه، يا ابني، ليتكرّم ويرحمني، فيجعلني اهلاً للمهمّة الجديدة التي أوكلها إليّ.

الاخ اوغوسطي (بقلق) : مهمّة جديدة! .. يا أبتِ الموقرّ، وهل ستترك روما؟ ...

القديس فرنسيس: لا يتعلق الامر بتركي روما، بل باستقبال مبتدىء سيصير مجد « **رفقة يسوع** ». ولكي تعرفه، سأقرأ بضعة مقاطع من رسالة للاب الاقليمي في المانيا العليا.

الاخ اوغوسطي: أبتِ، بدأت اظنّ أنك تريد ان تمتحنني. لا أفهم، أيها الأب المحترم، كيف تتكرّم وتختارني أمين سرّك، انا المبتدىء الصغير المسكين ...

القديس فرنسيس (مبتسماً) : كلا، يا ولدي، ليس هذا امتحاناً؛ إني اعرفك كفاية لأدرك أن مصارحتي لن تدفعك الى التكبّر على تلاميذك. فهوذا السبب الذي يدفعني الى مخاطبتك بشكل حميم: اريدك ان تكون ملاك الاخ ستانيسلاس، المبتدىء الذي أرسله اليّ الاب كانيسيوس[٤].

(يأخذ الرسالة ويقرأ المقاطع التالية:)

«الولد الملائكي الذي أقدّمه لكَ أيها الاب المحترم، هو ابن جان كوستكا، سيّد روستكوف في مملكة بولونيا. وعائلة الفتى ستانيسلاس هي من أكثر العائلات المَلَكيّة شهرةً، ولكنّها ما تزال جديرة بالاحترام لتقواها. غير انه، بالرغم من الامثال الفاضلة التي يعتزُّ جان كوستكا بأنه اعطاها

(٣) اغناطيوس دي لويولا مؤسّس جمعية الآباء اليسوعيين وكان يعتبر قدّيساً قبل ان تعلنه الكنيسة (ش.ر.).

(٤) القديس بطرس كانيسيوس (١٥٢١-١٥٩٧) هو من أشهر رجالات **رفقة يسوع** في ايامها الاولى. كان رئيساً اقليمياً على المانيا العليا (١٥٥٦-١٥٦٩). أعلن طوباوياً في سنة ١٨٦٤، وقدّيساً بضعة أيام بعد القديسة تريز الطفل يسوع في ٢١/٥/١٩٢٥، وهو معلّم للكنيسة جمعاء.

لاولاده، فان هذا السيد الطيّب لا يفهم اطلاقاً ممارسة المشورات الانجيلية، ولن يحصل ستانيسلاس ابداً على موافقته من اجل الدخول في «**رفقة يسوع**». لذلك رأيت، بسبب بعد المسافة، ان بامكاني قبوله مبتدئاً في ديلنجن. ولقد اطلعتني رسائل الاب انطونيو، المسؤول عن الولد، على قداسته؛ ولكن ما يسحُرني فوق كل شيء، هو رؤية تقواه الملائكية تسطع على وجه الفتى ستانيسلاس، وتكشف نضوج روحه؛ فأدركت أن القداسة لا تتميّز بالشعر الاشقر او الابيض. الاّ انني اردت بعدُ أن امتحن دعوته، فارهقته بالسير على قدميه مسافة ٢٠٠ فرسخ، وهو ابن عائلة نبيلة؛ ولم اكتفِ بذلك، بل أمرت الفتى المبتدىء بالقيام في البيت بأكثر الاعمال وضاعة، فقد جعلته يخدم على المائدة بالثياب الحقيرة التي لبسها طوال السفر (خلع ثياب النبيل، ولبس ثياب حاج مسكين كي لا يعرفه احد). ولم يندهش المبتدىء الورع لأيِّ تحقير، ولا اضطرب من اكثر الأوامر تناقضاً؛ فجوابه الوحيد كان المبادرة الى تنفيذ ما يؤمر به، وكان يفعله بسرعة لدرجة أن زملاءه اطلقوا عليه، مداعبين، لقب: «الكلّي القدرة».

لم اصادف قط بساطة محببة مثل بساطته؛ فاذا دار الحديث أمامه عن مولده وعن فضائله الرائعة، لم يكن يعارض اطلاقاً، ولا ينكر ما هو بديهي بتواضع مزيفّ، بل كان يبتسم غير آبه، وكأن الامر يعني شخصاً آخرَ. اندهش بعض آبائنا مما كان يبدو لهم تقصيراً في فضيلة التواضع؛ أما أنا، فيجب أن اعترف لك، ايها الموقرّ، بأن بساطة الاخ الصغير ستانيسلاس قد علّمتني اكثر من عدة بحوث تأمّلت فيها طويلاً، وكانت كلّها تتكلّم على التواضع. فبما أن هذه الفضيلة ليست الاّ الحقيقة، أجد ان مبتدئنا البسيط ممتلئ منها. اضف الى ذلك أنه يزدري نفسه كثيراً؛ ولقد اخبرني مرات عديدة بأن اخوانه ملائكة، وأنه غير مستحق أن يحيا في جماعة كهذه. لو ألبست هذا الولد القديس ثوب اليسوعيين، لكنت سعيداً جدّاً؛ ولكن فضّلت إن اكون اكثر حذراً، وأرسله الى روما حتى يأخذ ثوبنا المقدس من يدي حضرتك. (يضع القديس فرنسيس بورجيا الرسالة على الطاولة). بقيةُ الرسالة تتعلّق بأمور الاقاليم؛ فذلك لا يعنيك. الآن، يا بني، سوف تخرج لتفتّش

عن اخيك الجديد الذي سيصل اليوم، وأظن أنه قد وصل الى كنيستنا.

الاخ اوغوسطي: يا ابتِ! كيف سأتجرّأ وأكلّمه؟ ايّ مكان ستعطيه في بيتنا؟ لن نستطيع ابداً ان نكرمه تكريماً كافياً!...

القديس فرنسيس: حفظَني اللّه من تكريمه! فقد أهدم بهذه الطريقة بناء كماله الجميل: اريد، على العكس، أن اجرّبه، بعد، لارى بنفسي الفضائل التي رآها فيه رؤساؤه. لذلك، فأنا آمرك، يا اخ اوغوسطي، بالا تظهرَ أنك سمعت شيئاً عن نبله وفضائله.

الاخ اوغوسطي (ينهض): أبتِ، سوف اطيعك؛ سأذهب حالاً لأُحْضِرَ الاخ ستانيسلاس.

القديس فرنسيس: أدخله الى هنا؛ سأختبىء في الغرفة المجاورة حتى اراقب كلامه وتصرّفاته؛ وبعد لحظات من الحوار معه، جِدّ عذراً لتخرج؛ عندها ادخل أنا.

المشهد الثاني

(يخرج القديس فرنسيس بورجيا مع الاخ اوغوسطي؛ بعد عدة دقائق، يعود الاخ اوغوسطي – وبعد ان يقرع الباب دون أن يلقى جواباً، يدخل مع القديس ستانيسلاس الذي يرتدي ثياب حاج مسكين.)

الاخ اوغوسطي: إن الاب العام الجليل ليس هنا رغم قوله لي بأن آتيَ بك الى هنا... هل كنت تنتظر في الكنيسة منذ وقت طويل؟

القديس ستانيسلاس: كلا، يا اخي، لا اعتقد أنني انتظرت اكثر من ٥ أو ست ساعات. وبما ان الاب العام ليس في مكتبه سأعود الى الكنيسة، إذا سمحت.

الاخ اوغوسطي: من الافضل أن تنتظره هنا، وأظنّ أنه لن يتأخر. من المؤكد انك لم تتناول شيئاً منذ وصولك الى روما، كان يجب ان تُعلِم البّواب بأنك هنا.

القديس ستانيسلاس: قال لي رئيسي، الاب كانيسيوس، أن انتظر في الكنيسة حتى

يرسل الاب فرنسيس بورجيا المحترم في طلبي. واعتقدت أني لو توجّهت الى الاخ البواب، لأخللت بنذر الطاعة.

الاخ اوغوسطي: حسناً فعلت بالطاعة. ولكن سأذهب حالاً الى المسؤول عن المائدة لكي يقدّم لك شيئاً تأكله.

(يخرج دون ان يسمع القديس ستانيسلاس يقول له:)

القديس ستانيلاس: لا، ارجوك يا اخي، لا تذهب، اؤكد لك أني لا احتاج الى شيء.

المشهد الثالث

(يدخل القديس فرنسيس بورجيا؛ يتظاهر بالمفاجأة عند رؤية القديس ستانيسلاس الذي ركع بعد ذهاب الاخ اوغوسطي. يتظاهر بأنه يظنّه متسّولاً فيقول له بقساوة:)

القديس فرنسيس: كيف تجّرأت ودخلت الى هنا؟ اذا كنت بحاجة الى الاحسان، فكان عليك أن تطلب من البّواب؛ ولكن في سنّك، يجب ان تخجل من التسوّل، فهناك عمل كثير في مشاغل روما.

القديس ستانيسلاس: سامحني، يا ابتِ الجليل، ولا ترفض لي الاحسان الذي أطلبه، وهو المركز الاخير في جماعتك المقدسة.

القديس فرنسيس: هذه الحجّة ليست جديدة؛ هل تظن نفسك أوّل مغامر اصادفه؟ (يشير باصبعه الى الباب) اخرج حالاً، فنحن لا نقبل مبتدئين مثلك في جماعة يسوع.

القديس ستانيسلاس: (والدموع في عينيه)

يا أبتِ، ارأف بي، أعدك ...

المشهد الرابع

القديس فرنسيس (يقول للأخ اوغوسطي الذي دخل لتوّه بعد ان قرع الباب): لا استطيع التخلّص من هذا المتسول، فأخرِجْهُ من هنا.

الاخ اوغوسطي (كثير الدهشة) : أبتِ الجليل الموقرّ، هذا الشاب ليس متسوّلاً، انه المبتدئ الذي أرسله اليك الاب كانيسيوس.

القديس فرنسيس (يقول للقديس ستانيسلاس) : هل تعلّمت في الابتداء ان تدخل مكتب رئيسك في غيابه؟

الاخ اوغوسطي: يا أبتِ، أنا من أدخله الى هنا، وكنت قد تركته للقيام بأمر. أرجوك ابتِ الموقرّ ألّا تعاقبه.

القديس ستانيسلاس: أبتِ الموقرّ، أعترف بأني استحق العقاب القاسي، واستحلفك بألا تعفو عني؛ (يضمّ يديه) ولكن رأفةً بي، انا غيرَ المستحق، اقبلني في بيتكم المقدس.

القديس فرنسيس: بما أن الاب المحترم كانيسيوس هو الذي ارسلك، فإني اقبلك في الابتداء، ولكنيّ احذّرك بأنني مُطّلِعٌ على أمورك، فقد كتب لي الاباء في معهد فيينّا انك عندما كنتَ تلميذهم، لم يروك تدرس إلاّ نادراً. وبدل أن تعير معلّميك اهتماماً جدّياً كنت تفضّل قراءة الكتب التقوية والتأمل فيها بحجة التقوى. فاذا كنت تأمل بمتابعة اعمالك التقوية المفرطة، فمن غير المجدي ان تبقى في روما. هنا، يجب ان تعمل بجدّية وتكتفي بالصلوات المشتركة.

القديس ستانيسلاس: يا أبتِ! كم انت طيّب لانك رضيت بان تستبقيني! أعدك بأن اطيعك في كل شيء، وسأدرس قدر ما تريد. صحيح أني عندما كنت تلميذاً عند اليسوعيين في فيينّا، لم اكن مثابراً على الدرس، او خاصة، كنت افتقر الى السهولة فيه. رغم ذلك كنت اتفوّق على رفاقي في نهاية الدراسة؛ لم استطع قط ان انسب الى نفسي هذه النجاحات الصغيرة، لانني كنت أعرف أني أدنى منهم.

القديس فرنسيس: من غير المفيد التكلّم على نجاحاتك؛ ولكن قل لي، ما السبب الذي دفعك الى طلب الانضمام الى «**رفقة يسوع**»؟

القديس ستانيسلاس: أبتِ المحترم، لانني اريد أن اصير قدّيساً.

القديس فرنسيس: الاّ تعرف يا بني، أنه يمكنك ان تصير قديساً في اي مكان؟ فليس اسم اليسوعي ولا ثوبه من يصنع هذه المعجزة.

القديس ستانيسلاس: أبتِ، وكيف تفسر اذاً ان اليسوعيين كلّهم قدّيسون؟

القديس فرنسيس: ليس الكل، والبرهان على ذلك هو انا، رئيسهم، فلست سوى خاطىء.

القديس ستانيسلاس: كيف تستطيع قول ذلك دون أن تكذب، يا أبتِ الجليل؟ العالم كلّه يقول إنك قديس قادر على صنع المعجزات.

القديس فرنسيس: العالم يخطيء، يا بني، فلا يجب الاكتراث لحكمه. اذا جاء هذا الكاذب يوماً يهمس لك في اذنك مثل هذا المديح، فتواضع وانظر الى ما انت في عيني اللّه.

القديس ستانيسلاس: يا أبتِ! حتى لو صنعتُ العجائب، يبدو لي أنني لن اكون متكبراً... فذكرى حياتي السابقة لا يمكن ان تُمحى من ذاكرتي. آه، انا بائس لا استحق نِعَمَ اللّه تعالى!... (يبكي)

القديس فرنسيس: الرب يسامح اكبر الذنوب، ولكني لم أكن اعتقد أنك اقترفت جرائم. فاذا اردت الاتضاع والاعتراف لي بخطاياك... فالاخ اوغوسطي سينسحب.

القديس ستانيسلاس (مستوقفاً الاخ اوغوسطي): كلا، يا اخي، ابقَ، فبما أنني سأعيش معك، اريد ان تعرف سبب توبتي حتى تعاملني كما استحق. (يركع امام القديس فرنسيس) أبتِ، لقد تكرّم اللّه تعالى في صمته، ودعاني اليه منذ فجر حياتي؛ وبدلاً من أن اخبر رئيسي بهذه الدعوة، قاومت مدة ثمانية عشرة شهراً تلك النعمة التي كانت تدعوني. (يضع رأسه على ركبتي القديس فرنسيس ويبكي بمرارة.)

القديس فرنسيس (متأثراً جداً): يا بني المسكين، اطمأن، فخطيئتك قد غُفرت بالتوبة الصادقة التي تُظهرها. وذكرى هذا العصيان لن يؤذي روحك، بل سيحفظها في التواضع وانت تعرف ذلك؛ ما من تضحية احبّ الى اللّه من تضحية القلب النادم المنسحق.

القديس ستانيسلاس: ما هذه التعزية البالغة التي تملأ بها نفسي! آه! ارجوك أن تعلّمني الآن كيف أصير قديساً واعوّض الوقت الضائع.

القديس فرنسيس: إعتقد ان الوسيلة الوحيدة هي أن ترذل نفسك بإخلاص، وان تقدِّر الآخرين كثيراً وتبرهن لهم بكل الوسائل الممكنة الحبَّ الذي سيُضني قلبك. اذا كانت الطاعةُ قانونَ محبّتك وحارستَها، فيمكنك القيام بخير كثير في وقت قليل.

(يُقرَعُ الباب، فيذهب الاخ اوغوسطي ليفتح، ثم يعود حاملاً رسالة يقدمها للقديس فرنسيس وهو جاثٍ، ويقول له بضع كلمات بصوت خافت:)

القديس فرنسيس (يفضّ الرسالة) : يا اخ ستانيسلاس، هذه رسالة من بولونيا، أبوك يكتب اليك (يعطيه الرسالة) اقرأها في الحال.

(القديس ستانيسلاس يقرأ الرسالة، ثم يشرع بالبكاء.)

القديس فرنسيس: ما بك، يا بني؟ هل انت نادم على دخولك «رفقة يسوع»؟

القديس ستانيسلاس: كلا، يا أبتِ، اني أبكي لأن والديّ لا يفهمان موهبة اللّه. ويقولان إنني لست اهلاً لأجدادي وإنني أهين شرف عائلتهم. غير أنني اجد مقداراً اكبر من الشرف والنبل والمجد لبيتنا، في كوني هنا الاصغر بين كبار خدام اللّه هؤلاء، من أن اكونَ في العالم، أشهرَ من كلِّ اجدادي.

القديس فرنسيس: انت على حقٍّ، يا بني؛ آمل ان يؤيّد والداك دعوتك يوماً، وفوق ذلك، ألم يقل يسوع ربّنا: **لم آتِ لأحمل السلام بل السيف؟ فمن يحبّ اباه وأمه اكثر مني، فليس أهلاً لي. (متى ١٠/٣٤-٣٧).**

القديس ستانيسلاس (يرفع عينيه الى السماء): الآن استطيع أن اقول مع كاتب **المزامير: ان أبي وأميّ قد تخلّيا عني، ولكن الربّ أعتنى بي. لقد اخترتُ أن اكون وضيعاً في بيت إلهي على ان أسكن أخبية المستهترين. (مزمور ٢٦/١٠؛ مزمور ٨٣/١١).**

القديس فرنسيس: يا بني العزيز، أَعترف بأن اللّه نفسه قادك ويريد ان تكون هنا. سأعطيك الثوب المقدس في غضون أيام؛ استعدّ انت لهذه النعمة في

الصمت والاختلاء. اشكر الربّ الذي منحك النعمة العظيمة لتسكن في بيته. (يضع يده على رأس الاخ اوغوسطي) إني اعطيك الاخ اوغوسطي ملاكاً، فهو من سيعلّمك واجباتك الخارجية. أعرف أن نفسيكما تتشابهان، لذلك اسمح لكما بتبادل افكاركما والنعم التي يروق الربَّ أن يُسبغها على الاطفال (ينهض). اترككما الآن، فواجباتي كمسؤول تدعوني الى الخارج.

الاخ اوغوسطي (يركع الى جانب القديس ستلانيسلاس): يا أبتِ الجليل، تكرّم وباركنا.

القديس فرنسيس: يا ولَديّ العزيزين، باركما الثالوث الاقدس، كما انا أبارككما من كل قلبي. (يخرج)

المشهد الخامس

الاخ أوغوسطي (يجلس ويقدم كرسياً للقديس ستانيسلاس):

اخي، سأقودك قريباً الى حجرتك وسيعطيك رئيس المبتدئين الوظيفة التي يراها مناسبة؛ ولكن اذا شئت، لنستفدْ من إذن الاب العام، ولنتعارفْ. سأقدّم نفسي أولاً: اسمي اسطفان أوغوسطي، لا مواهبَ لي ولا فضائل، ولكن الاباءِ كلَّهم يحبونني، فمحبَّتهم تعميهم عن عيوبي. يجب أن تفعل مثلهم، يا اخ ستلانيسلاس وتحبّني أيضاً! ولكن آمل أن تنبِّهني الى اخطائي، فمن المفيد جدّاً أن يكون بجانبنا احدٌ ينبِّهنا عندما نخطئ بشيء.

القديس ستانيسلاس: أنت يا اخي، من سينبّهني الى تقصيري، وأرجوك أن تكون أميناً في ذلك. أشعر بأننا قد خُلقنا لبعضنا؛ لذلك لن يصعب عليّ أن أحبَّك، فقد أحببتك منذ الآن.

الاخ أوغوسطي: أيَّ سرور تبعث فيَّ! فأنا كثير الفرح لأنك ستكون أخي. ولكن ذلك يدعوني الى التفكير؛ فلا بد من وجود غمٍّ في نفسك، لأن ذكرى والديك تعكرّ فرحك.

القديس ستانيسلاس: لا، يا اخي، لا يمكن لذكرى ايِّ عاطفة أرضية ان تعكّر فرحي؛

أعرف أن بكاء والديَّ لرحيلي أمرّ من بكائهما لو أني متّ، ولكنّي أملك اسلحة قوية من اجل تعزيتهما: الصلاة والتضحية. انا حديث السن، إلا أنَّ الرب جعلني أختبر عدة مرات أنه لا يترك أبداً من يطلبه هو فقط.

الاخ أوغوسطي: يا اخ ستانيسلاس. هل تودّ ان تخبرني بهذه الاختبارات؟ فإني أعدك بألاّ اتكلّم عليها لأحد.

القديس ستانيسلاس: لا يمكنني أن اخبرك بها كلِّها، فان ذلك يطول جدّاً، ولكنني أريد ان اخبرك بواحدةٍ على الاقل.

منذ سنتين، كنت في مدرسة الآباء اليسوعيين مع اخي بولس؛ وكان قد اختار لنا مسكناً عند احد الهراطقة، لأنه يريد ان يسكن اجملَ منزل في المدينة، فبولس المسكين هذا، لم يكن مستنيراً بانوار السماء. وبما انه أكبر مني سناً، لذا، كان عليّ أن اطيع رغباته؛ وكان مربِّينا، جان بيلينسكي، يشاطره أذواقه وافكاره. تصوّر، يا أخي، ما كنت أعانيه؛ فمرضت مرضاً خطيراً. ولم يستطع بولس ان يصمِّم على استدعاء كاهن، بسبب المالك الهرطوقي الذي ما كان ليوافق على استقباله في منزله. ولمّا لم اجد ايَّ نجدة ارضية، التجأت الى السماء. فمنذ طفولتي وأنا اكرّم العذراء القديسة بربارة تكريماً خاصاً، فرجوتها، وقلبي ملؤه الثقة، الاّ تتركني اموت دون أن اتناول القربان المقدَّس.

الاخ أوغوسطي: آه، لا بد أنها استجابت لك، والهرطوقي الشرير ارتدّ دون شك؟

القديس ستانيسلاس: كلاّ، للاسف. ولكنّ سكان السماء ليسوا بحاجة الى اذن الهراطقة ليدخلوا حيث يريدون. فرأيت القديسة بربارة، بمجدها الساطع، تدخل غرفتي يرافقها ملاكان جميلان؛ كانت تحمل القربان المقدس بيديها البتوليتين، وحصلت بواسطتها على التعزية الفائقة الوصف، باقتبال إله الافخارستيا، الربّ يسوع المحبوب.

الاخ أوغوسطي: قديسة تحمل بيديها القربان المقدّس، يا له من سرّ! لماذا لم يحمل اليك الملائكة المناولة المقدسة؟

القديس ستانيسلاس: خلال سفري الى روما، ناولني ملاكٌ القربان المقدس، ولكن القديسة بربارة لم تكن حاضرة. في ملكوت اللّه، مجدُها اعظم من مجد الارواح السماوية، لذلك قدّمت لي هذه البتول الوديعة أمامهم خبز الملائكة؛ ربما رغبتْ، وهي على الارض، ان تشاطر الكهنة وظائفهم السامية، وشاء الرب أن يرضي هذه الرغبة.

الاخ أوغوسطي: اخي، انت تتكلّم مثل ملاك، ولن أملّ سماعك.

القديس ستانيسلاس: وانا ايضاً مسرور جدّاً برفقتك، ولكني ألوم نفسي لاني اتكلّم اكثر منك، فاذا اردت أن تعلّمني، سأتعلم اشياء كثيرة .. غير أنني أظنّ أنه من الافضل ان نفترق، فحديثنا قد طال. واذا كنت تجد ذلك مناسباً سأبقى وحدي لبضع لحظات لكي اشكر مريم، ملكة السماء، على نعمة دخولي الى رفقة ابنها الالهي المقدسة.

الاخ أوغوسطي: انت اذاً تحبّ مريم كثيراً؟ آه، ارجوك، كلّمني عليها.

القديس ستانيسلاس (بنبرة حنان لا توصف): العذراء القديسة! ... آه، ماذا اقول لك عنها! ... انها اميّ!!! ...

(يركع ويبدو عليه الاختلاء العميق - يتأمله الاخ اوغوسطي باحترام ويبتعد دون ضجة)

المشهد السادس

القديس ستانيسلاس (يضم يديه وينظر الى السماء):

يا مريم الوديعة، يا امّي الحنون! ارحمي ولدك المسكين؛ بمساعدة النعمة الالهية؛ لقد غلب الصعوبات التي كان العالم يضعها في طريقه. وبما أنه ترك كلَّ شيء من اجل محبّة ابنك الالهي يسوع، فلا تتركيه مدّةً طويلةً في ارض المنفى.

ويا ملاكي الحارس القديس! وانتِ يا قديسة بربارة، شفيعتي العزيزة! اطلبا الى أمي المحبوبة، ملكة السماوات، ان تأتي لتأخذني، وتدخلني الى الموكب البتولي الذي يشكّل حاشيتها.

المشهد السابع

(تُسمَع اصوات سماوية تنشد)

الملاك: يا ملكةَ السماوات، إسمعي صلاتي،
انا الملاك، حارسَ ستانيسلاس.
يودّ هذا الولد الوديع لو يبتعد عن الارض،
ويتبع يسوع، الحملَ الالهي.

القديسة بربارة: وانا القديسة التي تحبّها
الزهرةُ المتواضعة التي تضنى هنا،
اودّ ان ارى تُوَيجَها العَطر
يسطعُ في السماوات.

سوية: ايتها العذراء مريم،
أنزلينا الى الضفة الغربية
قرب الولد، الذي يسحر المختارين،
ألستِ امَّ ستانيسلاس، اخي يسوع؟ ...

المشهد الثامن

العذراء (تظهر حاملة الطفل يسوع):

نعم، يا ولدي، انا أمُّك...
ومن أجلك، أنزل من السماء؛
احمل اليك عمانوئيل،
ابني يسوع الوديعَ أخاك الصغير

(تضع الطفل الالهي بين ذراعي القديس ستانيسلاس الذي يقبّله، والفرح يغمره)

القديس ستانيسلاس: يا يسوع، حبّي الوحيد، هل صحيح أنك تتنازل وترتاح على

قلبي؟ يا مريم ساعدي ضعفي، اغمريني بنعمك لكي استحقّ أن احمل كنزك بين ذراعي...

العذراء (تغطي القديس ستانيسلاس بوشاحها وتنشد):

مع هذا الكنز، كنز المختارين،
اريد ان أخفيك تحت وشاحي،
سوف تسطع مثل نجمة
في «**رفقة يسوع**».

القديس ستانيسلاس: آه، يا اميّ!... كنت آمل أن تحمليني الى السماء، وها انت تقولين لي إني سأسطع في «**رفقة يسوع**»...

العذراء: ستانيسلاس، يا زهرة بتولية،
عطرك يبهج الملائكة،
طغماتُهم السماوية
تقطفك (تعاد) قريباً من اجل الربّ.

القديس ستانيسلاس: آه، كم انا سعيد... قريباً ترى عيناي يسوع، ليس على شكل طفل ضعيف، وانما في بهاء مجده الكامل... يا أمّي المحبوبة، قريباً أراكِ على عرشك الابدي!... (بعد توقّف) لست آسفاً على شيء في الارض، ومع ذلك فلي رغبة، رغبة عظيمة بحيث لا يمكنني ان اكون سعيداً في السماء، اذا لم تتحقّق. آه! يا امي العزيزة! قولي لي إن الطوباويين ما زالوا يستطيعون العمل من اجل خلاص النفوس... اذا كنت لا استطيع العمل في الفردوس لمجد يسوع، فإني أفضّل البقاء في المنفى ومواصلة القتال لأجله!..

العذراء: تريد ان تزيد امجادَ يسوع،
حبّك الوحيد:
لأجله في البلاط السماوي،
ستحرز انتصارات.

نعم، يا ولدي، يستطيع
الطوباويين ان يخلّصوا النفوس،
فشعلة حبِّهم العذبة
تجذب القلوب الى السماوات.

القديس ستانيسلاس: آه، كم انا سعيد! ... يا ملكة السماء الوديعة، أرجوك، عندما أصير بقربك في الوطن السماوي، اسمحي لي أن اعود الى الارض، لكي أحمي نفوساً قديسة، نفوساً تكمّل مهمّتي بحياتها الطويلة في الارض. وهكذا، استطيع، بواسطتها، أن اقدِّم للربّ حصاداً وفيراً من الاستحقاقات.

العذراء: يا ولدي العزيز، سوف تحمي
نفوساً تجاهد في هذا العالم؛
وكلّما كان حصادها وفيراً،
كلما سطعْتَ في السماء. (تعاد)

القصائد

مقدمة القصائد

مع إقرار الاخت تريز بأنها ليست شاعرة، فقد نظمت ما بين سنة ١٨٩٣ وسنة ١٨٩٧، قصائد مختلفة، إمّا بدافع الواجب في المناسبات الهامة التي تعيشها الجماعة، وإمّا استجابةً لطلب هذه الأخت أو تلك، أو لتساعد وتشجّع. ونادراً ما وضعت قصيدة لأجل ذاتها.

بدأت النظم وهي في العشرين، لا تملك ثقافة ادبية مرموقة، ولم تتعلّم فنَّ العروض. لكنها أفادت من مثال أختها پولين وقصائدها، ومن حفظها بعض القصائد من أمثال لافونتين، أو من الترانيم الملحّنة التي تقدِّم لها النغم والايقاع.

كانت تؤلف في النهار وفي أوقات الفراغ، أو في اوقات التأمل، وأحياناً تحفظ غيباً مقطوعات طويلة ثم تدوِّنها عندما يسنح لها الوقت بذلك.

ليس لجميع هذه القصائد قيمة فنّيّة متساوية. ومع ذلك، فهذا النتاج الشعري الوفير والذي أبصر النور صدفة، لاقى بعض الاستحسان في ديرها وفي أديار أخرى، ولدى بعض القرّاء امثال الاخوين الروحيَّين بلّيير وروﻻّن، حتى إنها قبلت في نهاية حياتها بنشر القصائد. ويمكننا توزيع القصائد على العناوين التالية: ذكريات طفولة، ترتيل من وحي ليترجي، ابتهالات الى قدّيسين، وقصائد تأمل وصلاة وإيمان.

تقول الاخت جنڤياڤ: «القصائد أجمل إن رنِّمت». وبالفعل فقد عيّنت تريز لكل قصيدة نغماً خاصاً، يعود الى ترنيمة معروفة في وقتها، ولم نذكرها في الترجمة لقلة فائدتها بالعربية. إلّا ان الصَنعَة الشعرية تشكو من أخطاء عروضية كثيرة. وكم حاولت الاخت أنييس تذكير تريز بالقواعد! ووثائق المسوّدات تحفظ لنا بعضاً من هذا الجهد في تطبيق هذه القواعد. لكن الجهد الاكبر وقع على الاخت أنييس التي دأبت بعد موت تريز على تنقيح قصائدها لغويّاً وعروضيّاً.

لم تخرج تريز في القصائد عمّا قامت به في مخطوطاتها أي «الترنيم بمراحم الربّ». فمهما كان موضوع القصيدة مبتذلاً، والدافع اليها أبعد ما يكون عن اللهفة الشخصية، فتريز تعرف كيف تسكب فيها فلذةً من قلبها او قبساً من انوار روحية خفيّة، او شرارةً من حبِّها

المتوقّد. فكم بالاحرى تلك القصائد التي خرجت من خاطرتها مكتوبة بدم قلبها امثال «العيش بالحبّ» او «فرحي» أو «سمائي»، أو «تذكّر» أو «صلاة بنت قدّيس»، أو «وردة منزوعة الاوراق»؟

ويرى بعضُ الدارسين أن تريز تجرؤ في شعرها على ما لا تجرؤ عليه في رسائلها او في كتاباتها النثرية. ولا غرو فقد كانت تلميذةً لمن جعل من الشعر الوسيلة الأصلح للتعبير عن دفقات الحبّ الإلهي، أي القديس يوحنا الصليب.

وإن قراءة سريعة لبعض القصائد، مع ما أضفنا إليها من مقدّمات، لتكشف لنا من شخصية القديسة الصغيرة، جانب العمق الإنساني والصراع الروحي، وتدلّنا على ان تلك الفتاة المدلّلة، البسيطة في كلامها وتعبيرها حتى التفاهة، عاشت حياتها حبّاً متنامياً، ودعوتها الكرملية تحدّياً، وقداستَها معركة لا تقلُّ فيها بأساً وشجاعة عن أعظم القديسين. أو ليست هي القائلة:

«عليّ أن أكافح بلا راحة ولا هوادة،
«أجابه سورةَ الجحيم كلَّها.
«أُجابه الرشّاش مبتسمة.
«وبين ذراعيك، يا عروسي الإلهي،
«سأموت في ساحة الوغى مرنّمة،
والسلاح في يدي. (قصيدة **سلاحي**).

قصيدة ١

ي.م.ي.ت.

الندى الإلهي
أو لبن[١] مريم البتول.

مقدمة

نظمت تريز هذه القصيدة بناءً على طلب الاخت تريز للقديس اوغسطينوس، في ٨ شباط/فبراير ١٨٩١. وهذه القصيدة هي فاتحة شعرها، وقد نظمتها على ايقاع خاص مأخوذ من احدى الترانيم الروحية. ونلاحظ جرأة تريز في خوضها موضوع إرضاع ام عذراء لابن الله، وهو وجه من اوجه التجسّد، قد رنّمته الكنيسة عبر الاجيال. واستقته تريز من الليترجيا وبعض الكتب الروحية.

١ - يا يسوعي الوديع، على صدر أمك
تظهر لي، كلُّك، بالحبّ مشعًّا.
الحبّ، هوذا السرُّ الفائق الوصف
الذي نفاك من المقرّ السماوي...
آه! دعني أتوارى تحت الحجاب
الذي يحجبك عن كلِّ نظرة فانية.
وبالقرب منكَ، يا كوكبيَ الصباحي!
سأذوق مسبقاً طعم السماء.

٢ - منذ بزوغ فجرٍ جديد،
عندما نرى أشعة الشمس الأولى،
الزهرة الغضة التي تبدأ بالتفتح،

---

(١) كلمة لبن Lait هي الحليب بالعامّية كما جاء في وعد الله لموسى: أُخرِجهُم من تلك الارض إلى ارضٍ تدرّ لبناً وعسلاً (خروج ٣/٨). (ش. ر.).

تنتظر من الأعالي طيباً ثميناً.
إنَّه ندى الصباح الخيِّر،
العابقُ بنضارة عذبة
الدافقُ نَسغاً غزيراً
يفتِّح برعمَ الزهرة النضير.

٣ – أنتَ، يا يسوع، الزهرةُ في أول تَفَتُّحِها،
اتأملك عند بدء يقظتك؛
أنتَ، يا يسوع، الوردةُ الباهرة،
البرعمُ النَضِرُ القرمزيّ اللطيف.
ذراعا أمك الحبيبة، الشديدتا النقاء،
تكوِّنان لك مهداً، وعَرشاً ملكياً،
وشمسك اللطيفة، هي صدرُ مريم،
ونداك هو لبن البتول!...

٤ – حبيبي، وأخي الصغير الإلهي،
في نظرتك أرى المستقبلَ كلَّه؛
قريباً ستترك أمَّك لأجلي،
ها هو الحبّ يحثّك على التألم.
ولكن، على الصليب، ايتها الزهرة المتفتّحة!
أتذكّر طيبك الصباحي،
اتذكَّر ندى مريم.
دَمُك الإلهي، هو لبن البتول!...

٥ – هذا الندى يحتجبُ في المكان المقدّس،
يتأمله ملاكُ السموات مفتوناً،
مقدِّماً لله صلاته السامية،
كالقديس يوحنا، يردِّد: «ها هوذا»!

نعم ، ها هوذا الكلمة الذي صار قرباناً ،
كاهناً أزلياً ، وحملاً كهنوتياً .
ابنُ الله هو آبن مريم ،
وخبزُ الملاك هو لبن البتول !

٦ – الساروفيم يتغذّى بالمجد ،
وفي الفردوس سعادته كاملة ؛
أنا ، الطفلَ الضعيفَ ، لا أرى في الكأس
إلاَّ لونَ اللبن وصورته ؛
لكنَّه اللبن المناسب الطفولة ،
وحبٌّ يسوع لا نظير له .
يا حبًّا رقيقاً ! يا قدرةً لا تُسبَر !
فقربانتي البيضاء هي لبن البتول ! . . .

قصيدة ٢

إلى معلّمتنا وأمّنا الحبيبة
إحتفالاً بالستين من عمرها

مقدمة

نظمت بتاريخ ٢٠ شباط/فبراير ١٨٩٤ لأجل الام ماري دي غونزاغ، احتفالاً بسنواتها الستين. وبعد انتخاب الرئيسة الجديدة سنة ١٨٩٣ صارت الام ماري دي غونزاغ معلّمة المبتدئات تساعدها الأخت تريز الطفل يسوع.

١ – آه! يا لذكرى المولد البهيج،
نحتفل به في هذا اليوم الجميل!
فلنرنّم أمّنا الطيبة الحنون،
فلنرنّم حبّنا كلّه.

٢ – منذ ستّين سنة، على الأرض،
وأنتَ تتأمل، يا يسوع الإله،
زهرةً عزيزةً جدًّا عليك،
وترويها من نعمكَ.

٣ – يا يسوع، زهرتك العابقة بالطيب
قد ملكت لأجلك قلوباً كثيرة.
وجنت من الوادي
حصاداً وفيراً من الزهور.

٤ – في الوطن الأبدي، يا يسوع الإله،
ستعرف كيف تكافئها؛

بالحصاد الذي جنته
سنراك تتوِّجها.

٥ – وردتك، يا يسوع، هي الأم
التي تقود قلوبنا الطِفلة،
تنازل وأصغِ الى صلاة قلوبنا:
ولتحتفلْ بسنواتها الثمانين قلوبُنا.

المبتدئات الصغيرات الثلاث
الأخت تريز الطفل يسوع
الأخت مرتا يسوع
الأخت مريم المجدلية

في ٢٠ شباط / فبراير من سنة النعمة ١٨٩٤

قصيدة ٣

القديسة سيسيليا

على إيقاع الآلات الموسيقية
كانت سيسيليا ترنمُ في قلبها
(عن الفرض الكنسي).

مقدمة

نظمت تريز هذه القصيدة لسيلين بمناسبة سنواتها الخمس والعشرين، وألحقتها بالرسالة ١٦١. والسبب ان سيلين بقيت وحدها بالقرب من والدها العجوز الفاقد الوعي تقريباً. ومع انها كرّست نفسها لله قبلاً، بنذر خاص، فقد ظلَّ الزواج يغريها. اما تريز فكانت امنيتها بأن تكون سيلين في الكرمل بقربها. فلجأت الى هذه القصة الشعرية ترشد بها شقيقتها الى خصوبة روحية كبرى، ألا وهي خصوبة البتولية المكرّسة من غير ان تقلّل من اعجاب سيلين بالزواج.

أيتها القديسة الحبيبة ! أتأمل مفتونةً
الثلمَ المضيء الباقي وراءك.
أظنني لا أزال أسمع نغمتك العذبة.
نعم: نشيدك السماوي يبلغ إليَّ.
أصغي إلى صلاة نفسي المنفيّة؛
دعيني أُريح على قلبك البتولي
هذه الزنبقةَ النقيّة التي تألّقت على الأرض
ببريقٍ رائع قلَّ نظيره.

أيتها الجامة الطاهرة ! لدى عبورك الحياة
لم تبحثي قطّ عن عريس آخر غير يسوع.

لقد اختار نفسَك ووحّدها به،
لأنه وجدها مُطيَّبةً بكلِّ الفضائل.
ومع ذلك، فإنَّ فانياً، يتألّق شباباً،
تنشّق طيبك، يا زهرةً ناصعةً سماوية!
ولكي يقطفك فاليريان وينال حنانك
أراد أن يعطيك قلبه كلَّه.
فأعدَّ سريعاً عرساً رائعاً،
ودوّى قصرُه بأغنياتٍ شجيّة...
لكنّ قلبك البتوليّ كان يردِّد أناشيد
يرتفع صداها الإلهي حتّى السموات!
ماذا كنتِ لترنّمي بعيداً جدًّا عن وطنك، (مزمور ١٣٦، ٤)
وانتِ ترين بالقرب منك هذا الفاني الضعيف؟
كنتِ، بدون شكّ، تودّين التخلّي عن الحياة،
والاتحاد، للأبد، بيسوع، في السماء...
لكن لا... إني أسمع ارتجاج قيثارتك الساروافية،
قيثارة حبّك الشجيّ النبرات،
كنت ترنّمين للربّ هذا النشيد السامي:
«إحْفظ قلبي نقيّاً، يا يسوع، عريسي الحنون! (مزمور ١١٨، ٨٠)
يا تسليماً لا يوصف! يا نغماً إلهيًّا!
تكشف الحبَّ بغنائك السماوي.
الحبُّ الذي لا يخاف، ينام نَسِيّاً، (١يو: ٤-١٨)
على قلب إلهه، كطفلٍ صغير[1]...
في القبة الزرقاء ظهرت النجمة البيضاء،
بأنوارها الخجولة، جاءت تضيء

(١) تستعير تريز عناصر أشعارها التاريخية من الفرض الخاص «**بكتاب الصلوات**» الروماني، ومن **القديسة سيسيليا والمجتمع الروماني في القرنين الأولين**، تأليف دوم غيرانجيه، ١٨٧٥.

الليلَ الساطع الذي أظهر لنا ، بدون حجاب ،
حبَّ العروسين البتولي في السموات ...

عندئذ ، كان فاليريان يحلم بالمتعة ،
وحبُّك ، يا سيسيل ، كلُّ مشتهاه ...
فوجد السعادة في قِرانك النبيل ،
وأظهرتِ له حياةً لن تُعرف لها نهاية.
وقلتِ له : «يا صديقي الشاب ، بالقرب منّي ، يسهر دائماً
«ملاك الربِّ الذي يحفظ قلبي نقيّاً ؛
انه لا يتركني ، عند نيامي ،
وهو يظلّلني فَرِحاً بأجنحته اللازوردية .
«في الليل ، أرى وجهة المحبوب يشعّ
«بألقٍ أعذبَ من أنوارِ الصباح ؛
«يبدو لي وجهه الصورةَ الشفافة
«والإشعاعَ الصافي للوجه الإلهي» .
استأنف فاليريان يقول: «أريني هذا الملاك الجميل ،
حتى استطيعَ تصديق أيمانِكِ.
وإلاَّ ، عليكِ أن تخشي تحوّل حبّي
إلى هياجٍ فظيع ، وكُرهٍ لكِ...»

يا حمامةً محجوبةً في نخاريب الصخر ! (نشيد الأناشيد ٢/١٤)
ما كنتِ تخافين شِباكَ الصيّاد . (مزمور ٩٠/٣)
كان وجه يسوع[٢] يريك نوره ،

---

(٢) اكتشفت تريز منذ سنة ١٨٨٩، ليس فقط «**وجه يسوع المتألم**» ، لكن أيضاً «**وجهه المشع**» . راجع «**الرسالة ٩٥**» . ووردت الإشارة إليه أكثر من خمس وعشرين مرّة في القصائد. راجع **القصيدة ٢٠**.

والانجيل المقدس يرتاح على قلبك[٣] . . .
فأجبتِ فوراً بابتسامةٍ عذبة :
«حارسي السماوي استجاب لرغبتك ،
وقريباً ستراه ؛ سيتنازل ويقول لك :
«كي تطير الى السماء ، يجب ان تصير شهيداً .
ولكن قبل أن تراه ، على المعمودية
«أن تنشرَ في نفسك بياضاً مقدساً ،
فيسكنها الاله الحقيقي عينه ،
والروحُ القُدس يكونُ حياةَ قلبك .
وعلى الكلمة ابن الله وابن مريم ، (يوحنا ١/١)
في حبِّه الشديد ، ان يضحّي بنفسه على المذبح .
وعليكَ الذهاب لتجلسَ الى مائدة الحياة ،
«وتنالَ يسوع خبزَ السماء. (يوحنا ٣٢/٦. ٤٨. ٥٩)
«عندئذ سيدعوك الساروفيم أخاه ؛
«وحين يرى في قلبك عرشَ إلهه ،
«سيجعلك تترك شواطئ الأرض
«فترى مقرّ هذا الروح الناري» .
فصرخَ الشريفُ المتحمّس من فرحه :
«أشعر بقلبي يستعر بلهبٍ جديد .
«أريد ن يسكنَ الله الحقّ في نفسي ،
«فيصبح حبيّ ، يا سيسيل ، جديراً بحبِّك ! . . .»

ولمّا لبس فاليريان الثوب ، رمزَ البراءة ،
تمكّن من رؤية ملاك السماوات الجميل ،

(٣) مخطوط أ ص ٦١ ش . ستتمثّل تريز بسيسيل فتحمل الانجيل على قلبها .

تأمل ، مفتوناً ، قدرته السامية ،
رأى جبينه المشعَّ يلمع بلطف.
كان الساروفيم المتألق يمسك بورودٍ نضرة
ممزوجةٍ بزنابق ناصعةٍ ساطعة.
لقد تفتّحت هذه الأزهار في جنائن السماء ،
تحت أشعَّة حبِّ الكوكب الخالق.

وقال ملاك الرب : «يا عريسين أحبّتهما السماوات ،
«ستكلِّل جبينيكما ورودُ الاستشهاد.
«لا صوت هناك ، ولا قيثارة،
«يستطيعان الترنّم بهذه الحُظوة العظيمة !
«أستغرقُ في إلهي ، أتأمل سحره ،
«لكن لا يمكنني التألم والتضحية بنفسي لأجله .
«لا أقدر أن أعطيه دمي ولا دموعي ،
«وبرغم حبّي كلِّه ، لن أستطيع أن أموت : ..
«النقاء هو قسمة الملاك المتألقة ،
«وسعادته البالغة لن تنتهي أبداً ؛
«ولكنّكما متفوّقان على الساروفيم
«فتستطيعان ان تكونا نقيّين ، وأن تتألما ! ...
«إنكما تشاهدان رمز البتولية ،
«في هذه الزنابق المطيَّبة الذي يرسلها الحمل اليكما ،
«ستُكَلّلان بالهالة البيضاء ،
«ستنشدان دائماً النشيد الجديد . (رؤيا ١٤/٣).
«إنَّ إتحادكما الطاهر سيولِّد نفوساً
«لن تبحثَ عن عريسٍ آخر غير يسوع ؛
«ستريانها تسطع كلهبٍ نقيّ
«بالقرب من العرش الإلهي ، في مقام المختارين».

يا سيسيل ، أعيريني نَغمك العذب ،
أريد أن اردّ الى يسوع قلوباً كثيرة !
أريد مثلك التضحية بحياتي ،
أريد أن أعطيه دمي ودموعي ..
نالي لي أن أتذوّق على الضفة الغريبة
التخلّيَ الكامل ، ثمرةَ الحبِّ العذبة .
يا قديستي الحبيبة ! بعيدةً عن الأرض ،
نالي لي أن أحلّق قريباً ، بالقرب منك بلا رجوع .

٢٨ نيسان / ابريل ١٨٩٤

قصيدة ٤

نشيد لنيل إعلان
قداسة جان دارك المكرّمة

مقدمة

هذه القصيدة تمتاز بنفحة وطنية ودينية معاً، تبرز تريز من خلالها فضائل بطلتها المسيحية. وقد طرقت الموضوع في مسرحيّتين. وتظهر تريز حماسة في هذه القصيدة من خلال عنوان النسخة الأصلية المهداة الى سيلين، **الفارس الشجاع**: «جندي فرنسي، مدافع عن الكنيسة، معجب بجان دارك».

١ – يا إله الجنود، الكنيسةُ كلُّها
تودّ، قريباً، أن ترفع على المذابح
شهيدةً وعذراءَ محاربةً
يدوّي اسمها العذب في السماء.

لازمة أولى بقدرتك
يا ملكَ السماء،
امنح جانّ دو فرانس
الهالة والمذبح! } **تعاد**

٢ – ان تكونَ فاتحةً فرنسا المذنبة
لا، ليس هذا موضوعَ رغبتها.
إنما جانّ، وحدها، هي القادرة على إنقاذها.
والأبطال جميعاً أقلُ من شهيد.

٣ – جانّ، يا ربّ، هي عملُك المُشرق:
قلبَ نار ونفسَ محارب

أعطيتهما للعذراء الخجول
التي كنتَ تريد أن تُكلِّلها بالغار .

٤ – سمعت جانّ في مرعاها الوضيع
أصواتاً من السماء تدعوها إلى المعركة؛
ذهبت لتنقذَ الوطن ،
والطفلةُ الوديعة قادت العساكر .

٥ – كسبت نفوسَ المحاربين الفخورين ؛
الألقُ الألهي على مُرسَلة السموات ؛
نظرتُها الصافية ، وكلامُها اللهب ،
جعلت الجباه الجريئة تنحني .

٦ – بأعجوبةٍ فريدة في التاريخ ،
رأينا عندئذٍ ملكاً مرتجفاً
يستعيد تاجَه ومجدَه
بواسطة ذراع طفلة ضعيفة .

٧ – ما نودّ أن نحتفلَ اليومَ به ،
ليست انتصارات جانّ ،
فنحن نعرف أن أمجادَها الحقيقية
هي ، يا إلهي ، فضائلُها وحبُّها .

٨ – حاربت جانّ فأنقذت فرنسا ؛
كان يجب أن تُدمَغَ فضائلُها السنيّة
بخَتم الألم الإلهي ،
ختم يسوع عريسها ! . . .

٩ – وحين ضحّت بحياتها فوق المحرقة ،

سمعت جانّ أصواتَ الطوباويين ،
فتركت المنفى إلى الوطن
وعاد الملاك المخلّص إلى السماء ! . . .

١٠ – أنتِ يا جانّ ، رجاؤنا الوحيد ،
تكرّمي وأصغي إلى أصواتنا من أعلى السموات ،
إنزلي إلينا ، تعالي ، إهدي فرنسا ؛
تعالي أنقذيها مرّة ثانية .

لازمة ثانية بقدرة
الله الظافر

أنقذ ، أنقذ فرنسا
أيّها الملاك المحرّر . } **تعاد**

١١ – ما كان أجملَ خطواتك ، يا بنتَ الإله ،
حين كنت تطردين الانكليز من كامل فرنسا .
لكن ، تذكّري أنّك ، في أيّام طفولتك ،
لم تكوني ترعين غير حملانٍ ضعيفة . . .

لازمة ثالثة دافعي
عن الضعفاء

حافظي على البراءَة
في نفس الأطفال } **تعاد**

١٢ – يا شهيدة وديعة ، أديارنا لكِ .
وتعرفين جيّدا أن البتولاتِ أخواتُك ،
وموضوعُ صلواتهنّ هو موضوعُ صلاتك ،
أي رؤيةُ الله يملك في كلِّ القلوب .

لازمة رابعة لهفتهنَّ
أن يُخلِّصن نفوساً

آه ! إمنحيهنّ حبَّك ،
حبَّ رسولةٍ وشهيدة. } **تعاد**

١٣ – سيُطرد الخوف من جميع القلوب
عندما نرى الكنيسة تتوِّج
هامَةَ قديستنا جان دارك النقيّة ،
وعندها سنستطيع أن نرنِّم :

لازمة خامسة رجاؤنا
يستريح فيكِ.

يا قديسة جانّ دو فرانس،
صلّي ، صلّي لأجلنا. } **تعاد**

(١٨٩٤/٥/٨)

قصيدة ٥

نشيدي اليوم

مقدمة

نظمت تريز هذه القصيدة في الاول من حزيران/يونيو ١٨٩٤، للأخت ماري للقلب الاقدس بناءً على طلبها، وفيها تقف تريز موقف كائن ضعيف لا يمكنه الوعد بشيء لكنّه يقدم ذاته كلياً لله بثقة. والقصيدة غنية جداً، رغم تعبيرها البسيط وصورها المألوفة؛ ونبرة القصيدة تتلاءَم مع حياة تريز كلها.

١ – حياتي ليست إلّا لحظةً ، أو ساعةً عابرة ،
حياتي ليست غيرَ يومٍ واحد يُفلت منّي ويهرب .
تعرف ذلك ، يا إلهي ! فلكي أحبَّك على الأرض ،
ليس لي إلا اليوم ! . . .

٢ – آه ! أحبّك ، يا يسوع ! واليك تصبو نفسي ،
فابقَ ، ليوم واحدٍ فقط ، سَنَدي الرقيق .
تعال وتملّك في قلبي ، أعطني بسمتَك ،
ليس إلا لهذا اليوم .

٣ – ما همّني ، يا ربّ ، إن كان المستقبلُ مظلماً ؟
لا ! لن أضرعَ إليك من أجل الغد ، فلا أستطيع . . .
صُن قلبي نقيّاً ، وظلّلني بظلّك ،
ليس إلا لهذا اليوم .

٤ – إن فكّرتُ في الغد ، خشيت تقلّبي ،
وشعرت بالحزن والقلق يتولّدان في قلبي ،

لكنّي ، إلهي ، أقبَل، فعلاً ، المحنةَ والألم ،
ليس إلا لهذا اليوم.

٥ – عليَّ أن أراك ، قريباً ، على الشاطئ الأبدي ،
أيُّها الربَّان الإلهي ! يا مَن تقودُني يدُه ؛
فعلى الأمواج الهائجة قُدْ زورقي بسلام ،
ليس إلا لهذا اليوم.

٦ – آه ! دعني ، يا رب ، أستتر في وجهك ؛ (مزمور ٣٠/٢٠)
فهناك ، لن أسمعَ ، بعدُ ، ضجَّةَ العالم الباطلة .
أعطني حبَّك ، إحفظ لي نعمتك ،
ليس إلا لهذا اليوم.

٧ – بالقرب من قلبك الإلهي أنسى كلَّ ما يحدث ،
ولا أخشى ، بعدُ ، مخاوف الليل. (مزمور ٩٠/٥)
آه ! امنحني ، يا يسوع ، مكاناً في هذا القلب ،
ليس إلا لهذا اليوم .

٨ – يا خبزاً حيّاً ، خبزَ السماء ، يا افخارستيا إلهية ، (يوحنا ٦/٣٣)
يا سرّاً مقدَّساً صنعه الحبّ ! . . .
تعال يا يسوع ، اسكن في قلبي ، يا قربانتي البيضاء ،
ليس الا لهذا اليوم .

٩ – تنازل ووحّدني بك ، يا كرمةً قدّوسةً ومقدّسة ، (يوحنا ١٥/٥)
فيعطيَك غصني الضعيفُ ثمرَه ،
وأقدِّمَ لك عنقوداً ذَهَباً ،
يا ربّ ، منذ اليوم .

١٠ – عنقود الحبّ هذا حَبَّاته النفوس،

ولكي أكوِّنه ليس لي غيرُ هذا اليوم العابر .
آه ! أعطني ، يا يسوع ، شعلةَ رسول ،
ليس إلا لهذا اليوم .

١١ – يا عذراء بلا عيب ! أنت نجمتي العذبة
التي تعطي يسوع وتُوحِّدني به .
يا أمُّ ، دعيني أستريح تحت وشاحك ،
ليس إلا لهذا اليوم .

١٢ – يا ملاكي الحارس القديس ، ظلِّلني بجناحك ،
أنر بأنوارك الطريقَ الذي أتبعه .
تعال قُد خطواتي . . . ساعدني ، فأنا أناديك ،
ليس الا لهذا اليوم .

١٣ – يا ربّ ، أريد أن أراك بدون حجاب ، بدون غمام ،
لكني ما زلت منفيَّةً ، أسقم بعيدة عنك .
لا تسترْ عنّي وجهَك المحبوب (أشعيا ٥٣/٣)
ليس إلا لهذا اليوم .

١٤ – سأحلّق قريباً ، لأردّدَ مدائحك ،
عندما سيضيءُ في نفسي النهارُ الذي لا يغيب ؛
عندئذ سأترنَّم على كَنارة الملائكة
بهذا اليوم الأبدي .

(١٨٩٤/٦/١)

قصيدة ٦

صورة نفسٍ أُحبُّها
ماري للقلب الأقدس

عيد القلب الأقدس
١ حزيران / يونيو ١٨٩٤

مقدمة

تشكل مع القصيدة السابقة، باقة تريز إلى شقيقتها الكبرى بمناسبة عيد القلب الأقدس. ويكشف سمّوها عن تأثير ماري للقلب الأقدس على أختها الصغيرة وابنتها بالمعمودية. والقصيدة تطريز بُني على اسم شقيقتها.

أعرفُ قلباً، ونفساً مُحبّةً جدّاً،
رَزَقتها السماءُ إيماناً سامياً :
يعجز ايُّ شيءٍ هنا عن فتنة هذه النفس المضطرمة :
لا احدٌ غيرَ يسوع تسمّيه ملكَها .

في النهاية، هذه النفس الجميلة أبيّة وسخيّة،
وديعةٌ ونشيطةٌ معاً، ومتواضعةُ القلبِ دائماً،
يكفي أفقٌ بعيد . . . أو كوكبٌ ساطع،
أكثر الأحيان، ليوحّدانها بالربّ .

رأيتها سابقاً، تحبّ الاستقلال،
تبحث عن السعادة الصافية والحرية الحقيقية . . .
كان فرحُها أن تُغدق الخيرات،
وإرادتها الوحيدة أن تنسى دائماً ذاتها ! . . .

إنما القلبُ الإلهي هو آسِرُ هذه النفس ،
فهي عملُ محبّته ، الجديرُ بالخالق .
وسأراها يوماً شعلةً نقيّة ،
تُشعّ في السماء بجوار القلب الأقدس .

(قلب طفلة عارفٌ بالجميل)

قصيدة ٧

نشيد عرفانٍ بالجميل
إلى سيِّدة الكرمل

مقدمة

تاريخ هذه الأبيات يعود إلى السادس عشر من تموز/يوليو سنة ١٨٩٤. نظمتها تريز للأخت مرتا ليسوع بمناسبة بلوغها التاسعة والعشرين. وابياتها السهلة لها فائدة تاريخية أكثر منها شعرية. وتظهر مريم هنا «أُمّاً أكثر منها ملكة».

١ – في أولى لحظاتِ حياتي
أخذتِني بين ذراعيكِ ؛
ومنذ ذلك اليوم ، يا أمي الحبيبة ،
وأنتِ تحمينني على الأرض .
ولكي تصوني براءتي ،
وضعتِني في عشٍّ هادئ ،
وحفظتِ طفولتي
في ظلّ ديرٍ مبارك .

٢ – وفيما بعد ، في أيام صباي ،

سمعتُ نداءَ يسوع ! . . .
وبحنانكِ الفائق الوصف ،
أريتني الكرمل .
قائلةً لي بلطف :
« تعالي ابذلي ذاتك من اجل مخلِّصك .
« بالقرب مني ستكونين سعيدةً
« تعالي ابذلي ذاتك من أجل مخلِّصك » .

....

٣ – بالقرب منك ، يا أمي الحنون !
وجدتُ راحةَ القلب ؛
لا أُريد ، بعدُ ، في الأرض شيئاً ،
فيسوع ، وحده ، سعادتي كلُّها .
إِن شعرتُ بالحزن أحياناً ،
وبالخوف يهاجمني ،
نصَرتِ دائماً ضعفي ،
وتنازلتِ ، يا أمّي ، وباركتِني .

٤ – أعطيني أن أكونَ أمنيةً
لعريسي الإلهي يسوع
فيدعُوَني صوتُه العذبُ يوماً
إلى أن أطيرَ بين المختارين .
فلن تكون ، عندئذٍ ، غربةٌ أو ألم ،
وسأردِّد لكِ ، في السماء ،
نشيدَ عرفاني بالجميل ،
يا سلطانة الكرمل المحبوبة .

١٦ تموز / يوليو ١٨٩٤

قصيدة ٨

صلاة ابنة قديس

آب / أغسطس ١٨٩٤

مقدمة

نظمت تريز هذه القصيدة تذكاراً لوالدها الذي توفي في التاسع والعشرين من تموز / يوليو. وتعود تريز فيها الى ذكرياتها خلال الأسابيع التي تلت موت والدها. تتصفّح معه صور العائلة، وتوزع عليه وعلى والدتها وأخواتها، مقاطع قصيدتها، وتُنهيها بتمجيد السيد مرتان. هذه القصيدة تأمل غنائي يتدفّق على سجيته بالرغم من أخطاء نحوية عديدة.

١ – تذكَّرْ أنَّ سعادتك الوحيدة على الأرض
كانت ، فيما مضى ، بأن تُحبّنا .
فاستجب لصلاة بناتكِ ،
إحمنا ، تكرّم من جديد وباركنا .
قد التقيتَ ، في العلى، أُمَّنا الحبيبة
وقد سبقتك إلى الوطن المقدس .
الآن ، في السموات ،
تملكان كلاكما ،
فاسهرا علينا ! . . .

٢ – تذكَّر حبيبتك ماري[١]
بنتَك البكرَ ، الأغلى على قلبكُ ،
تذكَّر أنَّها ملأَت حياتك

---

(١) ماري هي الأخت الكبرى .

سحراً وسعادةً بحبِّها . . . .
تخلَّيتَ لأجل الله عن حضورها اللطيف،
وباركتَ اليدَ التي قدَّمت لك الألم.
آه! ألماستَكَ
التي تزداد دائماً، لمعاناً،
تذكَّرْ! . . .

٣ - تذكَّر لؤلؤتك[٢] الثمينة الظريفة،
وقد عرفْتَها حَمَلاً ضعيفاً خجولاً.
أنظر إليها مفعمةً قوةً إلهيةً،
وهي تقود قطيع الكرمل.
لقد أصبحت أمّ بناتك الأخريات،
يا بابا! تعال وأرشد مَنْ هي عزيزة جداً عليك! . . .
وبدون أن تتركَ السماء،
كرمِلَكَ الصغير،
تذكَّر! . . .

٤ - تذكَّر صلاةً حارةً
صُغْتَها من أجل ثالثة[٣] بناتك.
فاستجابَ الربُّ لك، لأنَّها في الأرض،
مثل أخواتها، زنبقةٌ جميلةٌ متألقة.
ودير الزيارة يحجبها عن عيون العالم؛
لكنَّها تحبّ يسوع، وسلامُه يغمرها.
رغباتِها المضطرمة

(٢) پولين أو الأم أنييس ليسوع رئيسة الكرمل، وقد لقبها والدها بهذا اللقب.
(٣) هي ليوني الموجودة في دير الزيارة في كان Caen .

وكلّ تنهُّداتِها
تذكّر ! . . .

٥ – تذكّر عزيزتك سيلين
وقد صارت لك ملاكاً من السموات .
عندما جاءت نظرةٌ من الوجه الإلهي
تمتحنك باختيارٍ مجيد . . .
انك تملُك في السماء . . . وانتهت مهمّتُها ،
وهي الآن تُعطي ليسوع حياتَها . . .
فاحمِ ابنتَك
التي تُردِّد غالباً :
تذكّر ! . . .

٦ – تذكّر ملكتَك الصغيرة
يتيمة البيريزينا [(٤)] ،
تذكّر أن يدَك
كانت تقود دائماً مِشيتَها المتأرجحة .
يا بابا ! تذكّر أنّك في أيّام طفولتها ،
أَردت أن تحفظ لله وحده براءَتها ! . . .
وشعرَها الأشقر
الذي كان يخلب ناظَريك
تذكّر ! . . .

٧ – تذكّر أنّك ، في المَنْظَرة [(٥)] ،
كُنتَ تُجلسها ، دائماً ، على ركبتيك ،
وبينما كنت تتمتم عندئذٍ صلاةً ،

(٤) لقب اطلقه السيد مرتان على تريز استقاه من رواية معاصرة .
(٥) شرفة في بيت البويسونيه .

كنت تهدهدها على غنائك الشجيّ.
وكانت ترى على وجهك انعكاسَ السماء،
عندما كانت نِظرتك العميقة تستغرق في الفضاء،
وتُنشدُ
جمالَ الأبدية،
تذكَّر! . . .

٨ – تذكر الأحدَ المُشعَّ
عندما شَدَدْتَها إلى قلبك الأبوي
وأعطيتَها زهيرةً بيضاء،
آذناً لها بأن تطيرَ إلى الكرمل.
يا بابا! تذكَّر أنَّك في شدائدها العظيمة
أعطيتها براهين على أصدقِ حبّ.
ففي روما وبايو
أريتها السموات،
تذكَّر!...

٩ – تذكَّر أنَّ يدَ الأبِ الأقدس
قد وُضِعَتْ على جبينك، في الفاتيكان،
لكنك لم تستطع أن تفهمَ
سرَّ الخَتم الإلهي الذي انطبع فيك.
الآن ترفع بناتك اليك الدعاء،
يباركنَ صليبَك ومرَّ عذابك! . . .
فعلى جبينك المجيد
تُشعُّ في السموات
تسعُ زنبقاتٍ مُزهرة!!!

قصيدة ٩

صلاة ابنة منفيّة

مقدمة

نظمت تريز هذه القصيدة للأب ألمير بيشون Almire PICHON ، بمناسبة عيده، وبناء على طلب الأخت ماري للقلب الأقدس، وقد شعرت منذ سنة ١٨٨٢، بأنّها منفيّة لأنَّ مرشدها الروحي ، الأب بيشون، يعيش في كندا.

بالقرب منك ، يا إلهي ، أتذكَّرُ أباً
كان رسولاً حبيباً الى قلبكَ الأقدس.
لكنه منفيٌّ إلى الشاطئ الغريب . . .
لقد حان الوقت ، أخيراً ، لتُعيدَ راعيَّ !
أعِدْ لبناتك مرشِدَهم ونورَهم ،
وإلى فرنسا ، أعِدْ رسولَك ، يا ربّ .

١١ أيلول / سبتمبر ١٨٩٤

قصيدة ١٠

قصة راعية أصبحت ملكة

٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر ١٨٩٤

إلى أختي مريم المجدلية في يوم نذرها
الذي تمَّ بين يدي الأم أنييس ليسوع

مقدمة

نُظمت هذه القصيدة للأخت مريم المجدلية للقربان المقدس بمناسبة نذرها. واهدت تريز المقطع الاخير منها الى الام انييس ليسوع والام ماري دي غونزاغ. وقصة «الراعية اصبحت ملكة» من الموضوعات الكلاسيكية في الفولكلور العالمي، وهي مكتوبة باسلوب روائي ينبع من القلب.

١ – في هذا اليوم الجميل، يا مجدلية!
أتينا نُنْشِدُ، بالقرب منك،
رَوعة الوثاق اللطيف
الذي يُوحِّدك بعريسك.
أصغي إلى القصة الظريفة،
قصة راعيةٍ أراد ملكٌ عظيم
أن يغمرَها، يوماً، بالمجد،
واستجابت لندائه.

لازمة: فلتُنشِدِ الراعية
المسكينةَ في الأرض:
اختارها ملكِ السماء،
في هذا اليوم، عروسةً له في الكرمل.

٢ – كانت راعيةٌ صغيرة
ترعى حملانها ، وفي يدها المغزل ،
وكانت تُعجَب بكلّ زهيرة ،
وتصغي إلى زقزقة العصافير ،
وتفهم جيّداً عذوبةَ لغةِ الغابات
والسماءِ الزرقاء الجميلة .
وتَعدُّ كلَّ شيءٍ صورةً
تكشف لها عن الربّ .

٣ – كانت تحبّ يسوع ومريم ،
باضطرام شديد ،
وكانا يحبّان أيضاً ميلاني
فأتيا يخاطبان قلبها .
قالت الملكة اللطيفة : « أتريدين
« أن تصبحي على جبل الكرمل ،
« بالقرب منّي ، المجدليّة ،
« وألّا تكسبي ، بعدُ ، غيرَ السماء ؟

٤ – « أتركي ، يا ابنتي ، هذه الحقول
« ولا تأسفي على قطيعك ،
« فهناك ، على جبلي المُقدس
« سيكون يسوع حمَلَكِ الوحيد » .
وردّد يسوع بدوره :
« آه ! تعالي ، نفسُكِ سحرتني ،
« أتَّخذك خطّيبةً لي ،
« فتكونين لي إلى الأبد » .

٥ – استجابت الراعية المُتضعة بغبطة ،

لهذا النداء العذب،
ووصلت إلى جبل الكرمل
تسندُها مريم، أمُّها .

....

بكِ يا مريم المجدلية
نحتفل في هذا اليوم العظيم؛
فالراعية أصبحت ملكةً،
بجوار حبيبها، الملك يسوع!

٦ – إنك تعرفين، يا أختي الحبيبة،
أن خدمةَ إلهنا هي المُلك.
فالمخلّص الوديع، طوال حياته،
لم يكن يكفّ عن تعليمنا ذلك:
« إذا اردتَ ان تكون الاوَّلَ
في الوطن السماوي
« عليك، طوال حياتك،
« أن تحتجب . . . وتكون الآخر». (مرقس ٩/٣٥)

٧ – طوبى لكِ، يا مجدلية،
تُصلّين إلى يسوع، في الكرمل.
أيسبِّبُ لكِ بعضَ ألَم،
أن قد اقتربتِ جدّاً من السماء؟
أنتِ تقتدين بمرتا ومريم:
الصلاة الى المخلّص الوديع وخدمته،
هذا هو هدفُ حياتك،
وهو يهبك السعادة الحقيقية .

٨ – إن أتى مرُّ العذاب

يزور قلبك أحياناً
فاجعلي منه متعتك :
فيا لَعذوبة التألم لأجل الله !
عندئذ ، الحنانُ الإلهي
سيُنْسيك سريعاً جدّاً
أنك تمشين على الأشواك
وتحسبين بالأحرى ، أنَّك تطيرين . . .

٩ – اليوم يحسدكِ الملاك
ويريد تذوّقَ السعادة
التي تنعمين بها ، يا مريم !
كونك عروسةَ الربّ .
نعم ! أنت من هذه الحياة ،
عروسةُ ملك المختارين ،
وستملكين بالقرب من يسوع ،
يوماً ، في الوطن المقدس .

اللازمة الأخيرة قريباً ، الراعية
المسكينة في الأرض
ستطير إلى السماء
وتملك بجوار الأزلي .

إلى أمهاتنا الموقَّرات

١٠ – إليكنّ ، أيتها الأمهات الطيّبات الحنونات ،
وإلى عنايتكنّ وصلواتكنّ ،
تدين أختنا المجدلية
بسلامها وسعادتها .

« ستستطيع أن تدرك، فعلاً،
محبّتكنّ الوالدية الرقيقة،
طالبةً إلى معلّمها الإلهي
أن يغمرَكنّ بخيرات السماء.

لازمة وفي أكاليلكنّ
أيتها الأمهات الطيّبات،
ستتألّق الزهرة
التي تُقدّمنَها لله المخلّص.

قصيدة ١١

[يوم لبست الثوب الرهباني
ماري أنييس للوجه الأقدس]

مقدمة

القصيدتان ١١ و١٢ نظمتا في ذات المناسبة: اتشاح مريم للثالوث بالثوب الرهباني وكان اسمها عند لبس الثوب ماري إنييس للوجه الاقدس. الاولى ترنّمها المبتدئة والثانية جواب الجماعة. وللقصيدة فائدة تاريخية اكثر منها شعرية إذ تسترجع فيها تريز تفاصيل دقيقة في حياة المبتدئة. وكانت قد تركت كرمل باريس في جادة ميسّين Messine لأسباب صحيّة. وبين تريز والمبتدئة ستنشأ صداقة عميقة.

١ – يا مريم العذراء، بالرغم من عجزي،
أريد أن أرنّم في مساء هذا اليوم البهي،
نشيدَ العرفان بالجميل،
وأملي أن أكون لله بلا رجوع.
آه! رغم البعد القصيّ عن السفينة المقدسة
اشتاقَ قلبي المسكين طويلاً إلى الكرمل.

لقد وجدته، فلا خوف بعد الآن،
وأتذوّق هنا بواكيرَ السماء! . . .

لازمة
لقد ولّى أخيراً زمنُ الدموع،
ولبستُ جِزَّة القطيع،
وبزغ لي أفقٌ جديد.
يا أمي الإلهية، في هذا اليوم المفعم سحراً
آه! أستري جيّداً الحملَ المسكين
بوشاحك.

٢ – رغم أني في ربعان الصِبى،
فقد زار قلبي الألمُ والمحنة المُرّة.
يا مريم العذراء، يا أملي الوحيد،
انك تعيدين إلى حَمَلك السعادة.
لقد أعطيتني الكرمل عائلة،
وصرت أنا أيضاً أختاً لبناتك.
يا أمي الحبيبة، أصبحتُ ابنتكِ،
خطّيبةَ يسوع مخلصي.

٣ – نِظرة إبنك الفائقة الوصف
تنازلت وانحدرت إلى نفسي المسكينة.
لقد التمستُ وجهَه المعبود (مزمور ٢٦/٨)
وفيه أريد أن أحتجب.
علّي ان أبقى دائماً صغيرة،
كي أستحقَّ نظراتِ عينيه.
لكن سأنمو في الفضيلة سريعاً
تحت أشعّة هذا الكوكب السماوي.

٤ – يا مريم الوديعة ، لا أخاف العمل ،
وتعرفين طيب إرادتي .
لي عيوبٌ ، لكن لي شجاعة أيضاً ،
وكبيرةٌ هي محبّة أخواتي .
ففي انتظار يوم عرسي الجميل
سأقتدي بفضائلهنّ السامية ،
لأنني أشعر بأنكِ تقوّيني
لأصبحَ عروسة يسوع .

اللازمة الأخيرة تنازلي ، وباركي الأمهات الموقَّرات ،
فطيبتهنّ أعادت الكرمل إليّ .
أودّ أن أَرَاهنّ ، يا مريم العذراء ،
جالساتٍ يجوارك على عرش خالد .
وقلبُك الوالدي
يُكلِّلهنّ في السماء .

***

قصيدة ١٢

بالقرب منكِ يا مريم العذراء
ي. م. ي. ت

١٨ كانون الأول / ديسمبر ١٨٩٤

١ – بالقرب منك ، يا مريم العذراء ،
أتينا نرنّم في هذا المساء ،
نتضرع إليك لأجل الإبنة الحبيبة
فأنتِ رجاؤها الوحيد .

٢ – في يوم انتظارك المبارك
تجعلين قلبها سعيداً جداً .
نصبتْ في الكرمل خيمتَها
ولا تنتظر ، بعد ، غير النذور المقدسة .

٣ – ذلك اليوم الجميل ، يا مريم الحنون ،
يعيد اليها ذكرى عذبة .
ففي يوم آخر من حياتها
أتى وشاحُك يظلّلُها .

٤ – المَسيحُ ، أخيراً ، أُعيد اليها ،
وثوبك لبسَتْه مرّتين .
فلْتلبس ، أيضاً ، يا أُمّي ،
سهمَين من روحكِ. (٢ ملوك ٢،٩)

٥ – لقد رنّمت : – « لديّ شجاعة ! . . . »
فقلنا لها همساً : – « هذه حقيقة » .
ورنّمت : – « أحبّ العمل ! »
– « العمل لا ينقص هنا » .

٦ – لكن القوّة شيء حسنٌ جدّاً
للعمل بنشاط .
ضعي ، يا أمّي ، على وجنتيها
لون الوردة النَضِر ! . . .

٧ – بالنسبة اليها قد ولّى الانتظار ،
وقلبها يتذوّق سلام السماء .
فيسوع ، يريد أن يراها
في الميلاد بلباس الخطّيبة .

(مزمور ٣٠-٣١/٢١)

٨ - فليتنازلْ ويستر في وجهه
حَمَلكِ الوضيع ، يا أمّي الحنون .
فهناك يطلب مكاناً ،
ولا يريدُ مهداً آخر .

٩ - تنازلي واستجيبي ، يا مريم !
أمنيات حَمَلك المسكين .
وخلال ليل الحياة هذه
أحجُبيه بوشاحك .

١٠ - أصغي إلى صلواته كلِّها
وليحفظ له قلبُك الوالدي ،
لزمنٍ طويلٍ جداً ، الأمهات
اللواتي يُعدن إليه كرمِلَه العزيز ! . . .

قصيدة ١٣

ي.م.ي.ت.

ملكة السماء إلى إبنتها الحبيبة
ماري للوجه الأقدس

مقدمة

نظمت هذه القصيدة في ليلة الميلاد ١٨٩٤، لسيلين الطالبة بإسم الاخت ماري للوجه الاقدس، تعزيةً لها على ما يلحق بها من عدم اكتراث. وهي ترنيمة ميلادية متألقة بعبارات مختارة، تطمح تريز من خلالها الى توجيه شقيقتها في طريق الطفولة. وحضور مريم هو اساسي للتدريب على البساطة في سبيل التشبه «بالكلمة الذي صار طفلاً».

١ – أبحث عن ابنة تشبه
يسوع ، حَمَلي الوحيد ،
لكي أحفظَهما معاً ،
الإثنين في مهد واحد .

٢ – ملاكُ الوطن المُقدس
سيَغَارُ من هذه السعادة
لكنّي أعطيكِ إيَّاه ، أنتِ ، يا ماري،
فالطفل الإلهي سيكون عريسَك ! . . .

٣ – لقد اخترتكِ أنت ،
لتكوني أختَ يسوع .
أتريدين أن تكوني له رفيقة ؟
فسترتاحين على قلبي . . .

٤ – سأسترِكِ تحتَ الحجاب
حيث يأوي ملكُ السموات .
سيكون ابني ، من الآن فصاعداً ،
الكوكبَ الوحيدَ المُشِعَّ أمام عينيكِ .

٥ – لكن حتى أظلِّلَكِ ، دائماً ،
تحتَ حجابي بالقربِ من يسوع ،
يجب عليكِ أن تبقي صغيرةً
مزيَّنَةً بفضائل الطفولة .

٦ – أريد أن تشعَّ على جبينك ،
الوداعة والنقاء ؛
أمَّا الفضيلة التي أُعطيها لكِ ،
خاصةً ، فهي البساطة .

٧ – الله الواحد في أقانيمَ ثلاثة ،
مَنْ يعبدهُ الملائكةُ مرتجفين ،
والأزليُّ يريد أن تمنحيه
الاسمَ البسيط : زهرةَ الحقول . (نشيد الأناشيد ٢/١)

٨ – كاللؤلؤة الناصعة
الناظرة دائماً إلى السماء ،
كوني أيضاً الزهيرة البسيطة
لطفلِ الميلاد ! . . .

٩ – العالم يجهلُ محاسِنَ الملك
الذي ينفي نفسه من السموات .
فأحياناً كثيرة ، سترين دموعاً
تلمعُ في عينيه العذبتين الصغيرتين .

١٠ - لا بدَّ من أن تنسي أوجاعك
لتُفرحي الطفلَ المحبوب،
فتباركي سلاسِلَك الليِّنة
وتُرنمي بهدوء! ...

١١ - اللهُ مَنْ قدرتُه الكلية
تُوقف الموجَ الجائر، (مرقس ٤/ ٣٧-٣٩)
يستعير ملامحَ الطفولة
ليصبحَ ضعيفاً وصغيراً.

١٢ - كلمة الآب غير المخلوق،
الذي من أجلكِ ينفي ذاتَه إلى الأرض،
وحَمَلي الوديع، أخوك الصغير،
يا ماري، لن يكلِّمك! ...

١٣ - هذا الصمتُ هو العُربون الأول
لحبِّه الفائق الوصف.
بفهمك هذه اللغة الصمَّاء
ستقتدين به كلَّ يوم.

١٤ - وإن نام يسوع أحياناً، (مرقس ٤/٣٨-٣٩)
فارتاحي بالقرب منه.
وقلبُه الإلهي المستيقظ دائماً (نشيد الأناشيد ٥/٢)
سيكونُ لك مُتَّكأً مريحاً. (يوحنا ١٣/٢٣)

١٥ - لا تقلقي، يا ماري
من عمل كلِّ يوم،
لأنَّ عمَلَكِ في هذه الحياة
يجب ألّا يكون إلّا: «الحبّ».

١٦ – لكن إن جاء أحدٌ يهمس اليك
أنَّ أعمالكِ لا تُرى،
تستطيعين القول: «إني أحبُّ كثيراً،
وهذا غناي في الدنيا! . . .»

١٧ – سيضفرُ يسوع إكليلَك
إن لم تريدي غير حبّه.
وإذا كان قلبك يستسلم إليه
سيجعلك تملكين دائماً.

١٨ – بعد ليل هذه الحياة،
وبدعوة نظرتهِ العذبة،
ستحلّق نفسُك المنجذبة
بدون تأخّرٍ إلى السماء!...

ليلة ميلاد ١٨٩٤

قصيدة ١٤

إلى أبينا القديس يوسف

مقدمة

تاريخ هذه القصيدة غير أكيد، لكن الارجح انها من سنة ١٨٩٤. وتوجيهها الى القديس يوسف يشير الى بعض نواحٍ في حياة الكرمل عاشها القديس يوسف كالصمت والفقر.

١ – يا يوسف، حياتُك الرائعة
أنقضت في الفقر،
لكنَّك كنت تتأمّل
جمالَ يسوع ومريم.

لازمة يا يوسف، أيُّها الأب الحنون،
إحمِ الكرمل.
وليتذوّق أولادك دائماً
في الأرض سلام السماء! } **تعاد**

٢ – إبنُ الله في طفولته
إستراح على قلبك
أكثرَ من مرَّة، مغتبطاً،
خاضعاً لطاعتِكَ. (لوقا ٢/٥١)

٣ – مثلكَ نخدم في العزلة
مريم ويسوع؛
إرضاؤهما هو سعيُنا الوحيد،
ولا نرغب في شيء آخر.

٤ – امّنا القديسةُ تريزا
كانت تبتهل إليكَ بحبّ .
وتؤكِّدُ أنك استجبتَ
لصلاتها دائماً .

٥ – بعد منفى هذه الحياة
لنا أملٌ عذبٌ :
اننا ، مع أمنا الحبيبة ،
يا قديس يوسف ، سنذهب لرؤيتك .

اللازمة الأخيرة

بارِكْ ، أيها الأب الحنون ،
كرمِلَنا الصغير ،
بعد منفى هذه الحياة
اجمعنا في السماء. } **تعاد**

قصيدة ١٥

[ذرَّة القلب الأقدس]

مقدمة

نُظمت للأخت سان ڤانسان دي بول بناء على طلبها. فذرّة القلب الاقدس هي تلك الاخت التي تلتمس حضوره في الافخارستيا. وتظهر تريز في القلب الاقدس شخص يسوع نفسه من خلال نظرته وابتسامته وصوته وقلبه ويده...

لازمة

ذَرَّتك ، أيُّها القلبُ الإلهي ،
تعطيك حياتَها .
سلامُها وغبطتُها :
أن تَسحرَكَ ، يا ربّ .

١ – أنا على بابك
ليلاً ونهاراً،
نعمتك تحملني ،
فليحيا حبُّك ! . . .

٢ – هيَّا احجُب مجدَكَ .
إجعل لي عُشّاً هادئاً
في حُقّ القربان المقدس
ليلاً ونهاراً.

٣ – جناحُك ، يا للروعة !
يُصبح ملجأي .

عندما أستيقظ
تبتسم، يا يسوع . . .

٤ – نِظرتك تُلهبني،
يا حبّي الوحيد ،
أَفنِ نفسي ،
يا يسوع ، للأبد .

٥ – صوتك المليءُ حناناً
يأخذ بمجامع نفسي ؛
وقلبك يشدّني ،
يا صديقي الوديع ! . . .

٦ – يدُك تريحني
وهي لي مُتَّكأ .
تعيدُ الشجاعة
إلى قلبٍ يئنّ.

٧ – عن كلٍّ تعب
عزٌّ قلبي .
وللابن الضال
كن الراعيَ الصالح .

٨ – آه ! يا لَلمَشهد الرائع !
يا أعجوبةَ الحبّ !
في بيت القربان
أمكثْ دائماً .

٩ – طليقةً من العالم
وبدون أيِّ مُتّكأ ،
نعمتُك تغمرني
يا صديقي الوحيد ! . . .

١٠ – آه ! يا استشهاداً عذباً !
أضطرمُ حبّاً .
إليك أتأوّه
يا يسوع ، كلّ يوم ! . . .

[سنة ١٨٩٤]

قصيدة ١٦

ترنيمة عرفان خطّية يسوع

مقدمة

نَظمت هذه القصيدة لشقيقتها سيلين وقد صارت الاخت جنڤياف للقديسة تريز، بمناسبة اتشاحها بالثوب الرهباني. وتستوحي ما عانته سيلين من آلام بالقرب من والدها. «وفي النهاية سيحلّ النهار محل الليل».

١ – قد سترتني للأبدِ في وجهك ! . . . (مزمور ٣٠/٢١)
يا يسوع الإله ، تنازل واسمع صوتي .
أتيتُ لأرنّم النعمة الفائقة الوصف
بأنني تألمت . . . وأنني حملتُ الصليب . . .

٢ – رشفت طويلاً من كأس الدموع ، (متى ٢٠/٢٢-٢٣)

قاسمتك كأسَ أوجاعِك ،
وفهمتُ أنَّ التألم له سحرٌ ،
وأنَّنا بالصليب نخلِّص الخطأة .

٣ – إن نفسي التي كَبُرت
رأتَ بالصليبِ يُطلّ أفقٌ جديد .
تحت إشعاعات وجهِكَ المبارك
ارتفع قلبي الضعيف عالياً جدّاً .

٤ – يا حبيبي ، صوتك العذب يناديني :
تعالي ، تقول لي ، فالشتاء قد ولَّى . (نشيد الأناشيد ٢/١٠-١١)
لأجلكِ يبدأ فصلٌ جديد ،
وأخيراً سيحلُّ النهار مكان الليل .

٥ – إرفعي عينيكِ إلى الوطن المُقدس (مزمور ١٢٠/١)
وسترين على عروشِ المجد
أباً محبوباً . . . وأُمّاً حبيبة . . .
أنتِ مدينةٌ لهما بسعادتك العظيمة .

٦ – كلحظةٍ ستمضي حياتُك ،
وعلى الكرمل ، ندنو من السموات .
يا حبيبتي ، حُبّي قد اختارك ،
وأحفظُ لكِ عرشاً مجيداً .

(١٨٩٥/٢/٥)

قصيدة ١٧

العيش بالحبّ ! . . .

مقدمة

يبدو ان القصيدة قد انبعثت من خلال اوقات طويلة قضتها تريز في تأمل امام القربان المقدس، وكان من عادة الراهبات قضاء ايام عدة قبل الصوم في السجود للقربان وتكريمه. ويظهر في مقطوعات عدّة يقينُ تريز من موتها الوشيك.

١ – في مساء الحبّ، تكلَّمَ يسوع بدون مَثَلْ (يوحنا ١٦/٢٩)
فقال: «إنْ شاء أحدٌ أن يحبّني (يوحنا ١٤/٢٣.٢٧)
«فَلْيحفْظ، طوال حياته، كلمتي؛
«ونأتي إليه أنا وأبي،
«ونجعلُ قلبَه مقامَنا؛
نأتي إليه، فنحبّه دائماً ! . . .
«نريده أن يثبتَ في حبِّنا، (يوحنا ١٥، ٩)
«وملؤه السلام! . . .»

٢ – العيشُ بالحبّ هو الاحتفاظ بكَ، انت،
أيها الكلمة غيرَ المخلوق، كلمةَ إلهي. (يوحنا ١/١)
آه ! إنك تعرف، يا يسوع الإله، أني أحبّك، (يوحنا ٢١/١٥)
وروحُ الحبّ يضرمني بناره.
إنما بحبِّك أجتذبُ الآبَ،
وقلبي الضعيف يحتفظ به بلا رجوع.
أيُّها الثالوث ! أنتَ سجينُ
حبِّي ! . . .

٣ – العيش بالحبّ، هو العيش من حياتك (غلاطية ٢/٢٠)
يا ملكاً مجيداً ولذّةَ المختارين!
لأجلي تحيا، محجوباً في قُربانة،
فأريد أن أحتجبَ لأجلك، يا يسوع!
الحبيبان بحاجة الى عزلةٍ،
وقلبٍ لقلبٍ يدوم ليل نهار.
نِظرتُك، وحدها، تحقّق نعيمي،
فأنا أحيا بالحبّ!...

٤ – العيش بالحبّ، على الأرض،
ليس نصبَ خيمةٍ على قمةِ طابور، (مرقس ٩/٤).
بل صعودُ الجلجلة، مع يسوع،
والنظرُ الى الصليب نِظرتي الى كنز!...
في السماء، سأعيش نعيماً،
وتكون الشِدَّةُ قد زالت للأبد؛
لكني، في المنفى، أريدُ، وسط الألم،
أن أحيا بالحبّ.

٥ – العيش بالحبّ عطاءٌ بدون حساب،
بدون المطالبة بأجرٍ في الأرض.
آه! بدون حساب، أُعطي، لأني واثقة
بأننا عندما نحبّ لا نُجري حساباً!...
للقلب الإلهي، الفائضِ حناناً،
أعطيتُ كلَّ شيء... وبخفةٍ أجري؛
لم أعد أملك شيئاً غيرَ غنايَ الوحيد:
العيش بالحبّ.

٦ – العيشُ بالحبّ هو طردُ كلِّ خوف (١ يوحنا ٤/١٨).
وكلِّ تذكّرٍ لأخطاء الماضي؛
ولا أرى أيَّ اثر لأخطائي،
فالحبُّ، في لحظةٍ، أحرقَ كلَّ شيء...
يا شعلةً إلهيّة! يا أتّونًا شديدَ العذوبة!
في موقدكَ، أُثبِّتُ مُقامي.
وفي نيرانك، أُرنِّمْ، على سجيّتي: (دانيال ٣/٥١)
«أعيشُ بالحبّ!...»

٧ – العيشُ بالحبّ هو الحفاظ في الذات،
على كنزٍ كبير في إناءٍ فانٍ. (٢ قورنتس ٤/٧)
يا حبيبي، إنَّ ضعفي لمُفرط.
آه! أنا بعيدة عن أن أكون ملاكاً سماويًّا!...
لكن لو سقطتُ، في كلِّ ساعة تمضي،
فإنك لدى نهوضي، تأتي لنجدتي،
وفي كل لحظةٍ تمنحني نعمتك:
أعيشُ بالحبّ.

٨ – العيش بالحبّ هو إبحارٌ بلا توقفّ،
وبذرُ السلامِ والفرح في جميع القلوب.
يا ربّاناً محبوباً، المحبّة تحثّني (٢ قورنتس ٥/١٤)
لأنّي أراك في نفوس أخواتي.
المحبّة، تلك نجمتي الوحيدة،
بضوئها أجوبُ بدون ضلال،
وشعاري مكتوبٌ على شراعي:
«العيش بالحبّ».

٩ – العيش بالحبّ، عندما ينام يسوع، (مرقس ٤/٣٧-٣٩)
هو الاستراحة على الأمواج العاصفة.
آه! لا تخف، يا ربّ، أن أُوقظَك،
إني أنتظرُ في سلامٍ شاطئَ السَّماوات...
قريباً، سيشُقُّ الإيمان حجابَه؛
رجائي هو أن أراك، يوماً.
المحبة تنفخُ شراعي وتدفعه.
أعيشُ بالحبّ!...

١٠ – العيش بالحبّ، يا معلّمي الإلهي،
هو التوسّل إليك بأن تنشرَ نيرانك (لوقا ١٢/٤٩)
في نفس كاهنك، القديسة المكرَّسة،
ليكونَ أكثر نقاء من ساروفيم السموات!...
آه! مجِّد كنيستَك الخالدة.
يا يسوع، لا تتصامَم عن تنهُّداتي،
أنا، ابنَتها، أبذل نفسي لأجلها،
أعيش بالحبّ.

١١ – العيش بالحبّ هو مسحُ وجهك؛
هو نيلُ الغفران للخاطئين،
يا إله الحبّ! ليدخلوا في نعمتك من جديد،
وليباركوا للأبد اسمك...
قد بلغ إلى قلبي دويّ التجديف؛
فلكي أمحوَه، أريدُ الترنُّمَ دائماً:
«إسمك القدّوس، أعبدُه وأحبّه،
أعيش بالحبّ!...»

١٢ – العيش بالحبّ هو الاقتداء بمريم (لوقا ٧/٣٧–٣٨)
تبلّل بالدموع وبالطيب الثمين
قدمَيك الإلهيتين، وتقبّلهما نشوى،
وتمسحُهما بشعرها الطويل...
ثم تنهض، فتكسر القارورة (مرقس ١٤/٣)
وتطيِّب وجهَك الوديع بدوره.
امّا الطيب الذي أفيضه، أنا، على وجهك
فهو حبّي!...

١٣ – العيش بالحبّ، ما أغربَه جنونا!
يقول العالم لي: «آه! كُفِّي عن الترنيم.
«لا تضيّعي طيوبَك، وحياتك،
«إعرفي كيف تستخدمينها بصورة نافعة!...»
أن أحبَّك، يا يسوع، يا للخسارة الخصيبة!...
كلُّ طيوبي هي لك بدون رجوع.
لدى خروجي من هذا العالم، أريد أن أرنِّمَ:
«أموت بالحبّ!»

١٤ – الموت بالحبّ، إنَّه استشهادٌ كثير العذوبة.
وهذا هو ما أريد احتماله.
أيُّها الكاروبون! دَوْزِنوا كنَّاراتكم،
لأنني أشعر بأن منفاي أوشك أن ينتهي!...
يا شعلة الحبّ، أحرقيني بدون هدنة،
يا حياةً تدوم لحظة، حِملُك ثقيل جدًّا عليَّ!
يا يسوع الإلهي، حقِّق حلمي:
الموت بالحبّ!..

١٥ – الموت بالحبّ، هوذا رجائي،
عندما سأرى قيودي تتكسّر (مزمور ١١٥/١٦)
سيكون إلهي أجريَ العظيم؛ (تكوين ١٥/١)
لا أريد أبداً أن أملك خيراتٍ أخرى.
أريد أن أضطرم بحبّه،
أريد أن أراه واتّحد به دائماً؛
تلك سمائي ... ذاك مصيري:
العيش بالحبّ !!!

[١٨٩٥/٢/٢٦]

قصيدة ١٨

نشيد سيلين

مقدمة

نظمت هذه القصيدة الطويلة لسيلين بناء على طلبها بمناسبة ذكرى ميلادها وبلوغها السادسة والعشرين في ٢٨ نيسان/ابريل ١٨٩٥. والدافع الى نظمها حدث أخوي: في يوم احد من شهر مارس/اذار كانت سيلين تستعد لقطف اول زهرة ثلج فمنعتها الاخت تريز قائلةً: «لا بد من إذن». فاعترى الحزن الاخت جنقياف وباحت بحزنها في بيتين من الشعر حيث تقول: «الزهرة التي اقطفها يا ملكي، هي انت». فأتت تريز تعزّي سيلين وتذكّرها بافراح الماضي وكلٍّ ما تركت لأجل يسوع. وتأثُّر الشاعرة بالقديس يوحنا الصليب ظاهر في اوصاف الطبيعة، واختصار كلٍّ شيء في المسيح. ويمكننا تقسيم القصيدة الى اقسام هي: النسون ١–٩؛ البويسونيه ١٠–١٨؛ سيلين ووالدها ١٩–٣١؛ سيلين في الكرمل ٣٢–٣٦؛ من له يسوع له كل شيء ٣٨–٥١؛ السماء قريبا ٥٢–٥٥.

١ – آه! كم أحبُّ ذكرى
أيّام طفولتي المباركة...
ولكي أحفظَ زهرةَ براءتي
أحاطني الربُّ دائماً
بالحبّ!...

٢ – لذلك، رغم صغري،
كنتُ مفعمةً بالحنان
ومن قلبي انطلق الوعدُ:
أن أقترن بملك المختارين
يسوع!..

٣ – كنتُ أحبُّ في ربيعِ حياتي
القديسَ يوسف ومريم العذراء .
وقد كانت نفسي تستغرق نشوى
عندما تنعكس في عينيَّ
السماوات ! . . .

٤ – كنتُ أحبُّ حقول القمحِ، والسهلَ ؛
كنتُ أحبُّ التلَّةَ البعيدة .
آه ! كنت في فرحي أتنفَّسُ بصعوبة
وأنا، مع أخواتي ، اجمعُ
الأزهار .

٥ – كنتُ أحبُّ قطفَ العُشَيبات
قطفَ التُرُنجان[1] .. وكلِّ الزهيرات
كنتُ اجد عبيرَ البنفسجات ،
وخاصة عبير النرجسْ البرّي ،
كثيرَ العذوبة .

٦ – كنتُ أحبّ اللؤلؤية [2] البيضاء
ونزهاتِ الأحد
والعصافيرَ الصغيرة المزقزقة على الأغصان
واللازورد الدائم الإشعاع
في السماوات .

٧ – كنت أحبُّ في كلِّ سنة
وضعَ حذائي في المَدْخنة ؛
وما إن استيقظ ، حتى أسرع

(١) نبات برّي أزرق الزهر .

(٢) Pâquerette ..

فأترنّم بعيد السماء ،
عيدِ الميلاد ! ...

٨ - كنتُ أحبُّ بسمة أُمّي ؛
ونظرتُها العميقة إخالها تقول :
«الأبدية تسحرني وتجذبني ...
«سأذهب إلى السماء الزرقاء
لأرى الله ! »

٩ - «سأذهب ألقى في الوطن
«ملائكتي[٣] ... ومريم العذراء
«سأقدِّم ليسوع دموعَ بناتي
«اللواتي أتركهنَّ في الحياة ...
«وقلوبهنَّ ! ...»

١٠ - آه ! كم كنتُ أحبُّ يسوع القربان ،
الذي أتى في صباح حياتي
يخطبُ نفسي المفتونة !
آه ! بأيِّ سعادة فتحتُ
قلبي ! ...

١١ - فيما بعدُ ، أحببت الخليقة
التي كانت تبدو لي نقيّة .
وأنا أطلب في كل مكان إلهَ الطبيعة ،
ففيه وجدت للأبد
السلام ! ...

---

(٣) هم الاخوة الاربعة الصغار.

١٢ – آه ! كم كنتُ أحبُّ في المَنْظَرة
المغمورة بالفرح وبالنور
أن أتلقّى مداعبات أبٍ
وأتأمّل شعره الأبيض
كالثلج ...

١٣ – أتذكّر، وأنا جالسة على ركبتيه،
مع تريز في السهرة،
أنني كنت أُهَدْهَدُ طويلاً
ولا زلتُ أسمع نبرة ترنيمه
العذب ! ...

١٤ – يا للذكرى ! إنك تريحينني،
وتذكّرينني بأشياء كثيرة ...
بعشاءات المساء ... بعبير الورود !
بالأدغال المليئة بالمرح
في الصيف ! ...

١٥ – كنتُ أحبُّ ساعةَ ينحسر النهار
أن أستطيع مزجَ نفسي،
على سجيَّتي، بنفس تريز أختي،
ولم أكن أشكّل معها
غير قلب واحد ...

١٦ – عندئذ كانت أصواتنا تختلطُ،
وتشتبك أيادينا الواحدة بالأخرى،
نرنِّم العرسَ المقدَّسَ معاً.

في ذلك الحين، كنّا نحلم بالكرمل...
بالسماء!...

١٧ – في سويسرا وفي إيطاليا
سحرتني سماء زرقاء، وثمارٌ ذهبية،
واحببتُ، خاصةً، نظرةً ملؤها الحياة
ألقاها الحَبرُ – الملكُ الشيخُ القديس
عليّ...

١٨ – بحبٍ قبّلتُكِ
يا أرض الكوليزه المباركة!...
وقبّةُ الديامبس المقدسة
ردَّدت بكل هدوء
غنائي.

١٩ – بعد الأفراح أتت الدموع!...
كبيرةً جداً كانت همومي؛
لبستُ سلاح عريسي
وصليبهُ أصبح مُتَّكإي
وخيري...

٢٠ – آه! لقد نُفيتُ طويلاً،
محرومةً عائلتي المحبوبة.
ولم يكن لي، أنا الأيِّلة المجروحة،
غيرُ النسرين[٤] المُزهرِ
ملجأ!...

٢١ – لكن، ذات مساءٍ، رأت نفسي المتأثِّرة
ابتسامة مريم.

---

(٤) Eglantier وهو الورد البرّي.

وقطرةٌ مباركة من دمها
لأجلي تحوَّلت الى لبن ...
يا لها نعمةً!...

٢٢ - عندئذ ، وددت ، لدى هروبي من العالم ،
لو يجيبني الصدى البعيد!...
وفي الوادي المُنعزل الخصيب
كنتُ ، عبرَ دموعي ، أقطف
الأزهار! ...

٢٣ - كنتُ أحبُّ أن أسمع في البعيد
جرسَ الكنيسة المتقطِّع .
ولأصغيَ إلى تنهدات النسيم
كنتُ أحبّ الجلوسَ في الحقول
عند المساء.

٢٤ - كنت أحبّ طيران السنونو
وهديلَ اليمام النائح ،
كنت أصغي إلى حفيف أجنحة الحشرات
واستسيغ غناء
طنينها.

٢٥ - كنتُ أحبُّ الندى الصباحي
والزيزَ الظريف
وأحبّ رؤية النحلة البكر
تُعِدُّ منذ يقظتها
العسل.

٢٦ - كنتُ أحبُّ قطفَ الخَلَنْجِ(٥)

(٥) La bruyère شجر بين صفرة وحمرة وزهره احمر واصفر وابيض.

راكضةً على الطحلب الخفيف
وأمسكُ الفراشات المرفرفات على الرخس[٦]،
العاكساتِ نقاوةَ
اللازورد.

٢٧ – كنتُ أحبُّ الحباحب[٧] في العتمة
وأحبُّ النجومَ التي لا تُحصى،
كنتُ أحبُّ خاصةً، في الزرقة المعتمة،
لمعانَ القمر بقرصه الفضيّ
المتوهِّج.

٢٨ – كنت أحبُّ أن أغمر بالحنان
والدي الحبيبَ في شيخوخته
كان لي كلَّ شيء... سعادةً... وطفلاً... وغنى!...
آه! كنت أعانقه برقَّةٍ
غالياً.

٢٩ – كنَّا نحبُّ هديرَ الموجة العذب
وسماعَ العاصفة المزمجرة
في المساء، في الوحدة العميقة،
وفي قلب الغابة صوتَ
العندليب!...

٣٠ – لكن، ذات صباح، بحث وجهُه الجميل
عن صورة المصلوب...
ترك لي برهان حبِّه

(٦) الرخس Fougère، عشبة بريّة لها اوراق طويلة تعيش في الغابات الظليلة وقرب مجاري المياه.
(٧) الحباحب Ver luisant، حشرة صغيرة تضيء في الليل.

يإعطائي نظرته الاخيرة ...
قسمةً لي ! ....»

٣١ – ويدُ يسوع الإلهية
أخذت كنزَ سيلين الوحيد ،
وحملته بعيداً جدّاً عن التلة ،
ووضعته قرب الأزلي
في السماء ! ...

٣٢ – الآن ، أنا سجينةٌ ،
هربتُ من خمائل[٨] الأرض.
رأيت أنَّ كلَّ شيء فيها إلى زوال .
رأيت سعادتي تذوي ،
تموت ! ....

٣٣ – تحت خطواتي تَرضرضَ العشب ؛
الزهرةُ في يدي قد ذبلت ! ...
يا يسوع ، أريد أن أركض في مرجك ،
فعليه لن تنطبعَ
خطواتي ...

٣٤ – كالأيِّل في عطشه الشديد (مزمور ٤١/٢)
يشتاق إلى المياه المتفجّرة ،
يا يسوع ! نحوك أسارع خائرة ،
لا بدَّ لتهدئة أشواقي
من دموعك.

(٨) خمائل جمع خميلة وهي مجموعة من الشجر الكثير الملتفّ .

٣٥ – إنَّ حبَّك ، وحده ، يشدُّني ،
قطيعي أتركه في السهل ،
لا أتكلَّفُ مشقة حراسته ؛
أريد أن أرضي حَمَلي الوحيد
الجديد. (رؤيا ٤ ١/٣-٤).

٣٦ – انت يا يسوع ، الحملُ الذي أحبّ ،
تكفيني ، انت ، أيَّها الخير الأسمى !
لي فيكَ ، كلُّ شيء ، حتى الأرض والسماء؛
« الزهرةُ التي أقطفها ، يا ملكي ،
هي أنت ! . . .»

٣٧ – يا يسوع ، يا سوسنة الوادي الجميلة (نشيد الأناشيد ١/٣)
قد أسرَني طيبُك العذبُ ؛
يا باقة المُر ، أيَّها التُويج المطيَّب !
على قلبي ، أريد أن أحفظك ،
وأحبَّك . . .

٣٨ – حبُّك ، دائماً ، يرافقني ،
ولي فيك الغابات والريف ،
والقصبُ ، والمروج والجبل،
لي الأمطارُ وندف الثلج
من السماوات .

٣٩ – فيكَ ، يا يسوع ، لي كل الأشياء :
القمحُ ، والأزهارُ المطبقةُ،
والزهيراتُ الناعمة ، وزرُّ الذهب ، والورودُ الجميلة

وفي زنبق الوادي االناصع لي النضارة ،
والرائحة ! . . .

٤٠ – لي الكنّارة الشجيّة ،
والعزلة المتناغمة ،
الأنهارُ ، والصخورُ ، والشلاَّلُ الظريف ،
الأيَّلُ الرشيق ، والغزالُ ، والسنجابُ
واليحمور(٩).

٤١ – لي قوسُ قُزَح ، والثلجُ النقي ،
الأفقُ الواسع والاخضرار ،
الجزرُ البعيدة ... والحصادُ الناضج ،
الفَراشُ والربيعُ الضاحك ،
والحقول .

٤٢ – في حبِّك ، أجدُ أيضاً ،
النخلاتِ تُذَهِّبُها الشمس ،
والليلَ المماثلَ طلوعَ الفجر،
أجدُ خريرَ الجدول العذب ،
والعصفور .

٤٣ – لي العناقيد اللذيذة ،
واليعاسيب(١٠) الرشيقة ،
والغابة العذراء بأزهارها السرِّية ،
لي جميع الاطفال الشُقر ،
وترانيمُهم .

---

(٩) اليحمور chevreuil ، حيوان لَبون مجترّ من فصيلة الأيائل (ش. ر.)

(١٠) اليعاسيب جمع يعسوب Libellule حشرة لها اربعة اجنحة شفافة ترفرف فوق الماء (عن **المنجد**، ش.ر.) .

٤٤ – لي فيك الينابيعُ والتلال
والعارشاتُ وزهرة القَضاب[١١] والزعرور ،
النيلوفر[١٢] النَضِر وزهر العسل ، والنسرين ،
ورعشة الحَوْر اللطيفة
الخفيفة .

٤٥ – لي الشوفان المجنون المرتجف ،
وصوتُ الرياح الخفيض القوي ،
لي خيط العذراء ، والشعلة المتّقدة ،
والنسيم العليل والأدغال المزهرة ،
والأعشاش .

٤٦ – لي البحيرة الجميلة ، والوادي
المنعزل المكسوّ بالشجر ،
لي موجةُ المحيط الفضيّة ،
والأسماكُ المُذهَّبة ، والكنوزُ المختلفة
في البحار .

٤٧ – لي المركبُ الهارب من الشاطئ
والثلمُ الذهبي والضفة ،
ولي أشعّةُ الشمس
تزخرف الغيوم عند اختفائها
من السماوات .

٤٨ – فيكَ أجد اليمامة النقية .

---

(١١) القَضاب Pervenche نبات من فصيلة الدُفليات ازهاره جميلة مختلفة الالوان تكون زرقاء أو بيضاء (عن **المنجد** ، ش.ر.) .

(١٢) النيلوفر Nénuphar ، جنس نباتات عشبية مائية اوراقها وازهارها مستطيلة المعاليق طافية (ش.ر.) .

وفيك ، تحت ثوب الصوف ،
أجدُ الخاتمَ والعقودَ والحلي ،
والمجوهرات ، واللآلئَ والماسات
البرّاقة .

٤٩ - فيكَ لي النجمةُ المتلألئة ؛
وغالباً ما ينكشف حبُّك ،
عندما يوشك النهار ان يغيب،
فألمح ، كما عَبرَ حجابٍ ،
يدَكَ .

٥٠ - أنت مَنْ يده تحمل العوالم ، (مزمور ٩٤/٤)
من يغرس الغابات الكثيفة ،
أنت من يُخصبُها بلمحة بصر واحدة ،
إنك تتبعني بِنظرة حبٍّ ،
دائماً .

٥١ - لي قلبُك ووجهُك المعبود ،
نِظرتك الحلوة التي جرحتني ،
لي قبلةُ فمك المُقدس ؛
أحبّك ولا أريد شيئاً أكثر ،
يا يسوع .

٥٢ - سأذهب وأرنِّمُ مع الملائكة
مدائحَ الحبِّ المقدس .
اجعلني أحلِّق قريباً في كتائبها ؛
يا يسوع : فلأَمُتْ يوماً
حبًّا...!

٥٣ – الشعلة الخفيفة تجذب
الفراشةَ فتطير حولها وتشتعل.
هكذا يجذب حبُّك نفسي،
فيه أريد أن أطير
واحترق!...

٥٤ – أسمع الآن، يا إلهي،
يُعَدُّ عيدُك الأزلي...
سآخذ عن الصفصاف كنّارتي البكماء،
واجلس على ركبتيك
وأراك! ...

٥٥ – بالقرب منكَ، سأرى مريم...
والقديسين... وعائلتي الحبيبة!...
وبعد منفى هذه الحياة
سأجدُ المنزل الأَبوي من جديد
في السماء! ...

[١٨٩٥/٤/٢٨]

قصيدة ١٨ مكرّرة

مَنْ له يسوع له كل شيء.

أُخِذَت عدَّة أفكار من **النشيد الروحي**
للقديس يوحنا الصليب.

مقدمة

في شهر اذار/مارس ١٨٩٧ نسخت تريز سبع عشرة قصيدة للأب بلّيير، وأضافت في نهايتها عشرة مقاطع من نشيد سيلين، اصبحت قصيدة جديدة تصف حاجات الاب بلّيير الروحية. والعنوان ليس شعاراً تقويّاً بل اختبار روحي سرّي.

١ – باحتقاري أفراحَ الأرض
أصبحتُ سجينةً.
رأيت أنَّ كلَّ متعة إلى زوال.
إنَّك، أنت، سعادتي الوحيدة،
يا ربّ!...

٢ – تحت خطواتي يترضرض العشب
والزهرة تذوي في يدي!...
يا يسوع، أريد ان أركض في مرجك،
فعليه لن تَنطبَع
خطواتي!...

٣ – حُبُّك وحده يشدّني،
قطيعي أتركه في السهل
فلا أتكلّف مشقّة حراسته؛

أريد أن أرضيَ حَمَلي الوحيد (رؤيا ١٤/٣-٤)
الجديد

٤ - انت ، يا يسوع ، الحملُ الذي أحبّ .
تكفيني أنت ، أيُّها الخيرُ الأسمى !
لي فيك كلُّ شيء ، حتى الأرضُ والسماءُ ،
والزهرةُ التي أقطفها ، يا مليكي ،
هي أنت ! ...

٥ - لي فيك ، الطبيعةُ الجميلة .
لي قوسُ قُزَح ، والثلج النقي ،
والجزرُ البعيدة والحصادُ الناضج
والفَراش والربيعُ الضاحك
والحقول .

٦ - لي المركبُ الهاربُ من الشاطئ
والثلمُ الذهبي والضفّة ،
لي أشعّة الشمس
تزخرف الغيوم عند اختفائها
من السماوات .

٧ - أنتَ مَنْ يده تحمل العوالم (مزمور ٩٤/٤)
ومن يغرسُ الغابات الكثيفة ،
أنت مَنْ يُخصبها بلمحة بصر واحدة ،
إنك تتبعني بنظرة حبٍّ
دائماً ! ...

٨ - الشعلة الخفيفة تجذب
الفراشة فتطير حولها وتشتعل؛

هكذا يجذب حبُّك نفسي
ففيه اريد أن أطير
واحترق . . .

٩ – أَسمعُ الآن يا إلهي ،
يُعَدُّ عيدُك الأزلي .
سآخذ عن الصفصاف كنَّارتي البكماء (مزمور ١٣٦/٢)
وأجلس قريباً منك جدّاً ،
وأراك .

١٠ – معك سأرى مريم ،
والقديسين وعائلتي الحبيبة . . .
وبعد منفى هذه الحياة
سأجد المنزل الأبوي من جديد
في السماء ! . . .

قصيدة ١٩

ذَرّة يسوع القربان

(أفكار من الأخت سان فانسان دي بول نُظمت شعراً بناء على طلبها).

مقدمة

يُرَجَّح نظم هذه القصيدة في صيف ١٨٩٥، وتقديمُها للأخت سان فانسان دو بول. وكما في القصيدة ١٥، نرى الذَرَّة تحتجب في الظل، في خورس الكرمل. وقد يكون الموضوع من بنات أفكار الاخت المذكورة لأن تريز تفضِّل رمز حبة الرمل، التي تُذكر في **المخطوط** ج وفي **الرسالة** ٤٥.

١ - لستُ إلا حبَّة غبار،
لكنّي أريد تثبيتَ مُقامي
في ظلال المعبد
مع سجين الحبّ.
آه ! الى القربان تتوق نفسي،
أحبّه ولا أريد شيئاً آخر.
الإله المُحتجب هو من يجذبني،
أنا ذَرَّةُ يسوع ...

٢ - أريد أن أبقى في جهلي
ونسياني كلَّ المخلوقات،
وأعزِّيَ بصمتي
ضيفَ الحُقِّ المقدس.
آه ! أريد أن اخلِّصَ النفوس
واجعلَ الخطأةَ مختارين...
فأعطِ حماسةَ رسولٍ

لذرَّتك ، يا يسوع الوديع ! . . .

٣ – إن كان العالم يحتقرني ،
إن كان يعتبرني كلاشيء ،
فسلامُ إلهي يغمرني
لأنَّ القربانَ يَعضدني.
وعندما أقترب من حُقِّ القربان
تُسمَعُ كلُّ تنهُّداتي . . .
أن أكون عَدَماً فذاك مجدي ،
أنا ذرَّةُ يسوع . . .

٤ – أحياناً ، عندما تكون السماء كالحة ،
لا تستطيع الذرّة أن تطير.
فتحبّ أن تختبئَ في الظل
وتلتصقَ بباب الذهب .
عندئذ يأتي النور الإلهي
الذي يُفرح كلَّ المختارين
فيُدفئ على هذه الأرض
ذَرَّةَ يسوع الفقيرة.

٥ – تحت أشعّة النعمة الدافئة
تصبح الذرَّةُ متلألئة .
وعندما يهبُّ النسيم العليل
تَتَرنَّحُ بهدوء . . .
آه ! يا لذَّةً لا توصف !
هل من نِعَمٍ لم تتلقّاها ؟. . .
فإلى قرب القربان تنزلق
ذَرَّةُ يسوع الفقيرة .

٦ – هكذا ستنقضي حياتي ،
تذوب قرب القربانة ،
في بيت قربان الحبّ ،
بانتظار اليوم الاخير .
وعندما ستنتهي المحنة ،
وتطير ذرَّةُ الإفخارستيا ،
إلى مُقام المختارين
ستسطع بالقرب من يسوعِها !...

[صيف ١٨٩٥]

قصيدة ٢٠

ي.م.ي.ت.

سمائي على الأرض ! ...

مقدمة

نَظمت هذه القصيدة من اجل الاخت ماري للثالوث بمناسبة عامها الحادي والعشرين. القصيدة تُظهر تأثّراً بسرّ التجلّي ، فالمجد يجمّل الآلام ؛ وامنية تريز ان تستبق اللقاء بوجه يسوع موطنها الوحيد...

١ – يا يسوع ، إن صورتك الفائقة الوصف
هي الكوكب الذي يقود خطاي.
آه ! تعرفُ أن وجهك اللطيف
هو ، على الأرض ، سماءٌ لي.
حبّي يكتشف جمالات
وجهك المُزيَّن بالدموع ؛
فَعَبْرَ دموعي أبتسمُ
عندما أتأمّل أوجاعك ...

٢ – آه ! أريد ، لأجل تعزيتك،
أن أحيا مجهولةً على هذه الأرض!...
جمالُك الذي تعرف حَجْبَه
يكشف لي سرِّه كلَّه .
أودّ لو أحلّق نحوك !...

٣ – وجهُك موطني الوحيد
إنه مملكةُ حبِّي ،
وهو مرجي الضاحك ،
وشمسي الدافئة في كلٍّ يوم .
هو سوسنة الوادي ، (نشيد الأناشيد ٢/١)
وطيبها السرّي يعزِّي
نفسي المنفيّة
ويذُيقُها سلامَ السماوات.

٤ – هو راحتي وعذوبتي ،
وكنّارتي الشجيّة...
وجهك ، يا مخلصي الوديع ،
هو باقة المرِّ الإلهية (نشيد الأناشيد ١/١٢)
التي أريد ان أحفظَها على قلبي ! ...

٥ – وجهك غناي الوحيد ،
فلا أطلب شيئاً آخر.
وإن احتجبتُ فيه بلا انقطاع ، (مزامير ٣٠/٢١)
فسأشابهك ، يا يسوع...
دع ملامحك الكلّيّة اللطافة
تطبع فيّ الوسمَ الالهي ،
فأصيرَ ، بسرعةٍ ، قديسةً

وأجذبَ نحوك القلوب .

٦ - لكي أستطيع أن أجمع
حصاداً جميلاً مُذهَّباً ،
تنازل وأضرمني بنيرانك .
وقريباً ، من فمك المعبود (نشيد الأناشيد ١/١)
أعطني القبلة الأبدية ! ...

١٢ آب / أغسطس ١٨٩٥

قصيدة ٢١

ي.م.ي.ت.

نشيد نفس وجدت مكان راحتها ! ...

مقدمة

نَظمت تريز هذه القصيدة لماري غيران عند دخولها الكرمل. وقد اختارت أغنية عاطفية يناسب لحنُها صوت ماري غيران الموهوبة لأداء السوبرانو وبرعت في إظهار الانتقال من الحبّ البشري إلى الحبِّ الصوفي. وكلمة الراحة توحي بما كانت تعيشه تريز في تلك الفترة.

١ - في هذا اليوم ، يا يسوع ، قد كسرتَ قيودي... (مزمور ١١٥/١٦)
ففي رهبانية العذراء مريم المباركة
أستطيع أن أجد الخيراتِ الحقيقية.
إن كنتُ قد تركتُ يا رب عائلتي الحبيبة ،
فستعرفُ كيف تغمرها بالافضال السماوية
وستمحنني الغفران للخاطئين ....

٢ – يا يسوع ، أريد أن أعيش في الكرمل ،
وإذ دعاني حبُّك الى هذه الواحة ،
فإلى هناك أريد أن أتبعكَ ،
أن أحبَّك ، أن أحبَّك وأموت ؛
الى هناك أريدُ أن أتبعك
الى هناك ، نعم ، الى هناك ! ...

٣ – اليوم ، يا يسوع ! لبّيتَ كلَّ امانيَّ ،
سأستطيع ، من الآن فصاعداً ، قرب الإفخارستيا [١] ،
أن أضحّي بنفسي بصمت ، وأنتظرَ السَّماوات بسلام .
سأعرِّض نفسي لأشعّة القربانة الإلهية ،
فاحترق في هذا الموقد، موقد الحبّ ،
ومثل الساروفيم سأحبُّك، يا ربّ .

٤ – عمّا قريب سأتبعك، يا يسوع ،
الى الشاطئ الأبدي، عندما تنتهي أيامي .
أحيا دائماً (تعاد) في السماء
وأحبُّك فلا أعود أموت...
عليَّ أن أحيا ، دائماً ، في السماء
دائماً ، نعم ، دائماً ! ...

[١٨٩٥/٨/١٥]

(١) ماري غيران سُمِّيت في الكرمل ماري للافخارستيا .

قصيدة ٢٢

ي.م.ي.ت

٧ أيلول / سبتمبر ١٨٩٥

إلى أمي الحبيبة:
ملاك طفولتي الجميل.

مقدمة

مناسبة هذه القصيدة هو بلوغ الام انييس ليسوع عامها الرابع والثلاثين. تكشف تريز هنا عن تصوّرها لرحيلها الى السماء، كما تبرز الدور الذي لعبته پولين في حياتها ودعوتها.

١ – بعيداً جدّاً عن وطني، السماءِ الجميلة،
لستُ، هنا، وحدي،
لأن ملاكاً جميلاً[1] يقود خطاي
في منفى هذه الحياة.

٢ – هذا الملاك الجميل، يا أمّي الحبيبة!
قد رنَّم بالقرب من مهدي؛
ونبرة غنائه
ما زالت تبدو لي جديدة.

٣ – كان يترنَّمُ بجمالات[2] يسوع،
وكان يترنَّم بفرح القلب النقي،

(١) الملاك الجميل كناية عن الام انييس ليسوع.
(٢) كانت الاخت پولين تنظم الشعر وقد تعلَّمت تريز منها النظم؛ كما حاولت الام انييس تصحيح بعض قصائد تريز نفسها.

وبجناحه يكفكف دموعي ،
ويترنّم بالسماء اللازورد الجميلة.

٤ – كان يترنّم بالقدرة الكلّية
التي كوّنت الكوكب الذهبيَّ والزَهرة ؛
كان يترنّم بإله الطفولة
الذي يحفظ نصوعَ الزنابق.

٥ – كان يترنّم بالعذراء مريم ،
ووشاحها اللازورد الوسيع،
وبالتلة والمرج
حيث تتبع العذارى الحمل. (رؤيا ١٤/٤)

٦ – يا لَلسرّ العميقِ ! هذا الملاكُ الجميل
كان يناديني أُخيَّتَه...
كانت له ملامح الأم
وكنتُ أستريح على قلبه !...

٧ – في ظلِّ أجنحته البيضاء
كنت أنمو سريعاً ،
وكانت الضفاف الأبدية
قد سحرت عينيَّ طفلةً.

٨ – كنتُ اودّ ، بتركي الأرض ،
لو أحلِّق مع الملاك في السماء ،
وأرى النورَ الإلهي
يحيط بنا نحن الإثنين.

٩ – واسفاه ! فالملاك الجميل

بدلاً من أن يحملني إلى السماء
إنطلق ، يوماً ، نحو الكرمل
باحثاً عن طغمة العذارى !...

١٠ - آه ! كم كنت أودّ اتباعَه
والتأملَ عن كَثَبٍ في فضائله .
كنت أرغبُ في أن أحيا حياتَه ،
وأتَّحِدَ ، مثله ، بيسوع .

١١ - آه ! يا سعادةً لا تشوبها شائبة !
فيسوع استجاب لكلِّ أمانيّ ؛
في الكرمل ، بالقرب من ملاكي الجميل ،
لا أنتظر شيئاً آخر غير السَّماوات ! ...

١٢ - والآن أستطيع
سماعَ غنائه كلَّ يوم .
ونفسي المفتونة ، لدى سماع صوته ،
تستعر بنار الحبّ .

١٣ - الحبُّ ، يا امُّ ! يعطي اجنحة .
وقريباً سأستطيع التحليق
نحو الروابي الأبدية
الى حيث تنازل يسوع ودعاني .

١٤ - لكن الى هذا الشاطئ الغريب ،
وبدون أن أتركَ البلاط السماوي ،
سأنزل بالقرب من أُمّي
لأكونَ ، بدوري ، ملاكها .

١٥ – أرى السماءَ بدون سِحر
إن لم اقدِّمْ لكِ العزاء،
وأحوِّلْ دمعَك إلى ابتسامة
وأبُحْ لكِ بأسراري !...

١٦ – بدونك لن أعرف التمتّع
بالأفراح السماوية العميقة .
آه ! قد لا أتحمّل
تركَكِ في هذا العالم طويلاً !...

١٧ – سنحلِّقُ إلى الوطن
ونتجاوزُ السماءَ الزرقاء
معاً، يا أمي الحبيبة !
فنرى الله دائماً .

قصيدة ٢٣

إلى قلب يسوع الأقدس

مقدمة

تتخطّى تريز في هذه القصيدة رمز القلب المطعون فتتّجه الى الشخص ومشاعره العميقة. وتجد تريز ظاهرة الحبّ العميقة في يوم القيامة عندما ينادي يسوع المجدلية باسمها فتكبر ثقة العروس بحبيبها.

١ – عند القبر المقدس، كانت مريم المجدلية (يوحنا ٢٠/ ١، ١١–١٣)
منحنيةً تبكي، وتبحث عن يسوعها،
والملائكة يريدون تخفيف حزنها؛
لكن لا شيء كان يستطيع تلطيف أوجاعها.
لم تكونوا، أنتم، يا رؤساءَ الملائكة النوريين،
من كانت تبحث عنه هذه النفس المضطرمة.
كانت تودّ رؤيةَ سيِّدِ الملائكة
وضمَّه بين ذراعيها، وحملَه الى البعيد البعيد...

٢ – بالقرب من القبر، بقيت الاخيرة
من كانت قد جاءت قبل طلوع النهار؛
أتى أيضاً إلهُها، حاجباً نورَه،
فلم تكن مريم لتستطيعَ أن تفوقه حُبًّا!
فأظهر لها، أولاً، وجهَه المبارك،
ثم خرجت كلمةٌ واحدةٌ من قلبه؛
ولمّا تمتم اسم مريم، الشديد العذوبة، (يوحنا ٢٠/١٦)
أعاد يسوعُ إليها السلامَ والحبور.

٣ – اردت ، يوماً ، يا إلهي ، مثل المجدلية ،
أن أراكَ ، واقتربَ منك .
كنت أحدّقُ الى السهل الشاسع
ابحث فيه عن سيّده ومليكه؛
فهتفتُ لدى رؤيتي الموجةَ الصافية
واللازوردَ المرصّعَ بالنجوم ، والزهرَ والعصفور :
«إنْ لم أرَ الله ، ايتها الطبيعة الساطعة ،
«فلن تكوني لي الا قبراً فسيحا .

٤ – «احتاج إلى قلبٍ يضطرم حناناً
«يبقى لي بلا أيٍّ رجوع .
«يحبُّ كلَّ شيء فيَّ ، حتى ضعفي . . .
«ولا يتركني ، في الليل وفي النهار.»
لم أستطع أن أجد أيَّ مخلوق
أحبَّني دائماً ، بدون أن يموت أبداً .
أريدُ إلها يتخِّذ طبيعتي
ويصبح أخي ويستطيع التألم !

٥ – لقد سمعتَني ، يا صديقاً لا احبّ سواه ،
لقد صرتَ بشراً ، يا لَلسرّ الاسمى !
وأرَقْتَ دمك لكي تخلب لبّي ؛
ولا زلت تحيا لأجلي على المذبح .
إن كنتُ لا أستطيع رؤيةَ إشعاع وجهك،
وسماعَ صوتك المُفعم عذوبة ،
يمكنني يا إلهي ، أن أحيا بنعمتك ،
يمكنني أن أستريحَ على قلبك الأقدس !

٦ – يا قلبَ يسوع ، يا كنزَ الحنان ،

لأنتَ سعادتي ، وأملي الوحيد ،
أنتَ مَن عَرَف أن يسحر صباي الغضَّ ،
أُمكثْ بقربي حتى المساء الأخير . (لوقا ٢٤/٢٩)
ربِّ ، إياك وحدَك وهبتُ حياتي ،
وتعرف جيّداً كلّ رغائبي (مزمور ٣٧/١٠)
ففي جودتك اللامتناهية أبداً ،
أريد أن أخسرَ نفسي ، يا قلبَ يسوع !

٧ – آه ! أعرف جيداً أنَّ برّنا كلَّه (إشعيا ٦٤/٦)
لا قيمة له في عينيك .
ولكي أعطيَ قيمةً لتضحياتي
سأرميها في قلبك الإلهي .
لم تجد ملائكتَكَ بدون عيب ؛ (أيوب ٤/١٨)
في وسط البروق سننتَ شريعتك ؛ (خروج ١٩/١٦)
في قلبك الأقدس ، أتوارى يا يسوع
ولا أرتجف ، فقوّتي أنت ! ...

٨ – ولكي أستطيع أن أتأمَّل مجدَك ،
عليّ ، أعرفُ ذلك ، أن أُمتَحَنَ بالنار . (١ قورنتس ٣/١٣–٥)
فأنا أختار حبَّك المحرق
مَطْهَراً لي ، يا قلبَ إلهي !
وعندما تترك نفسي المنفيةُ هذه الحياة ،
تودّ لو تفعل فعلَ حبٍّ خالص ؛
وبعد أن تحلِّق الى وطنها المساوي ،
تريد ان تلجَ مباشرةً قلبَكَ .

[١٨٩٥/٦/٢١]

قصيدة ٢٤

يا يسوع ، حبيبي ، تذكَّر ! ...

«يا ابنتي ، إبحثي بين كلماتي عن اكثرها تنفّساً للحبّ؛ أكتبيها ، ثم احفظيها بعناية كبيرة كذخائر ، واهتمّي بإعادة قراءتها غالباً. عندما يريد صديقٌ أن يُوقظَ في قلبِ صديقه حبّه الاول، يقول له: تذكَّر ما كنت تشعر به ، عندما قلتَ لي يوماً تلك الكلمة ، أو: هل تتذكَّر عواطفك في تلك الفترة ، في ذاك اليوم ، في ذلك المكان؟ ... كوني على ثقة ، إذاً، بأنَّ أثمن ذخائري على الأرض هي كلام حُبّي ، الكلامُ الصادر عن قلبي الوديع للغاية. (كلام ربِّنا إلى القديسة جرترود Gertrude).

مقدمة

مناسبة هذه القصيدة هو عيد سيلين، الاخت جنڤياڤ؛ وقد نظمت بناء على طلبها. ومنذ الخامس من شهر شباط/فبراير ١٨٩٥، يوم بدأت سيلين حياتها الرهبانية في الابتداء، لاحظت تريز في اختها حماسةً كافية لتعرضَ عليها في ٩ حزيران/يونيو ١٨٩٥ ان تهب ذاتها «للحبّ الرحيم». وبينما كانت سيلين تتذكّر تضحياتها، عكست تريز الآية فعدّدت تضحيات يسوع، من اجل سيلين، وهي علامات على حبّه السابق المجاني.

١ – تذكَّر مجدَ الآب ، (عبرانيين ١/٣)
تذكَّر الروائعَ الإلهية ،
تركتَها وانتفيتَ الى الأرض
لتفتديَ جميع الخطأة المساكين.
يا يسوع ! بنزولك صوب العذراء مريم
حجبتَ عظمتك ومجدك اللامتناهي.
آه ! حشا أمِّك
الذي صار سماءك الثانية ،
تذكَّر.

٢ – تذكّر أنّه في يوم ميلادك (لوقا ٢/١٣– ١٤)
رنّم الملائكة تاركين السماء:
لإلهنا المجدُ، والكرامةُ والقدرة،
والسلامُ للقلوب ذوي الارادة الصالحة.
منذ ألف وتسعمائة سنة، ما زلت تتمسّك بوعدك.
والسلام، يا رب، هو غنى أولادك.
فلكي أتذوّقَ للأبد
سلامَك الفائقَ الوصف
آتي إليك.

٣ – آتي إليك، فخبّئني في قُمُطك، (لوقا ٢/٧)
في مذودك أريد البقاء دائماً.
هناك أستطيع، بالترنيم مع الملائكة،
أن أذكّركَ بأفراحِ أيّامك الأولى.
تذكّر، يا يسوع! الرعاةَ والمجوس
الذين قدّموا لك فرحين قلوبَهم وإكرامهم. (لوقا ٢/١٥–١٨)
موكبَ الأبرياء (متى ٢/١١–١٢)
الذي أراق لكَ دمَه (متى ٢/١٦–١٨)
تذكّر.

٤ – تذكّر أنّك قد فضّلتَ
ذرَاعَيْ مريم على عرشك الملكي؛
واذ كنت طفلاً صغيراً، لم يكن لك،
غذاءٌ لحياتك إلا لبنُ البتول.
فإلى وليمة الحبّ هذه التي تقدّمُها لك أمُّك
آه! تنازل وادْعُني، يا أُخَيَّ يسوع.
أُخيَّتُك

قد جعلت قلبك يخفق ،
فتذكَّر.

٥ - تذكَّر أنكَّ قد أسميتَ أباك
يوسفَ المتواضع الذي ، بأمرٍ من السماء ،
وبدون أن يوقظك ، وأنتَ على صدر أمك ، (متى ٢/١٣-١٥)
عرف كيف ينتزعك من هيجانِ إنسان.
... ايها الكلمة الله ، تذكَّر أنَّك قد صَمَتَّ (يوحنا ١/١)
عن هذا الشرّ الغريب ، وجَعَلَتَ ملاكاً يتكلّم !
منفاك البعيدَ
على ضفاف النيل
تذكَّر.

٦ - تذكَّر ، على ضفافٍ أخرى ،
أنَّ الكواكب الذهبية والقمرَ الفضّي
التي أتأملها في السماء الصافية بلا غيوم
قد فرّحتْ وسَحَرت عينيك الطفلتين.
بيدك الصغيرة التي كانت تداعب مريم ،
كنت تحمل العالم وتعطيه الحياة (مزمور ٩٤/٤)
وكنتَ تفكر فيّ ،
يا يسوع ، يا ملكي الصغير ،
تذكَّر . . .

٧ - تذكَّر أنك في العزلة
كنت تعمل بيديك الإلهيتين ؛
أن تحيا منسياً كان لك أعذب دراسة ،
ورفضتَ علمَ البشر.
أنت ! يا من بكلمة واحدة ، كنت تستطيع أن تسحر العالم

ارتضيت بأن تحجُبَ حكمتَك العميقة.
بدوت جاهلاً
يا ربُّ، الكلي القدرة!
تذكَّر...

٨ - تذكَّر، إذ كنتَ غريباً على الأرض،
أنك قد تشرَّدتَ، أنت الكلمةَ الأزلي،
لم يكن لك شيء... لا، حتى ولا حجرٌ (متى ٨/٢٠)
حتى ولا ملجأ، مثل عصفور السماء...
يا يسوع! تعالَ إليَّ، تعال وأَرِحْ رأسَك،
تعال، فنفسي مستعدة كلّياً لاستقبالك.
يا مخلِّصي الحبيب،
إسترحْ في قلبي
إنه لك...

٩ - تذكَّر ألطافك الإلهية
التي بها غمرتَ أصغر الأطفال؛ (مرقس ١٠/١٣-١٦)
أريد أيضاً أن أتلقّى مداعباتك.
آه! أعطني قبلاتك الساحرة.
لكي أتمتَّعَ في السماوَات بحضورك اللطيف
سأعرف كيف أمارس فضائل الطفولة.
ألـم تقلْ مراراً:
السماء هي للطفل؟... (متى ١٩/١٤)
تذكَّر.

١٠ - تذكَّر أنَّ مسافراً كان على حافة البئر
وقد تعب من الطريق،
أفاض على السامرية (يوحنا ٤/٦- ١٠، ١٤)

ما حوى حشاه من دفقات الحبّ.
آه! إني أعرف مَنْ كان يطلبُ ليشرب:
هو عطية الله، ينبوع المجد؛
انه الماء الدافق،
وهو القائل لنا:
أَقبِلوا إليَّ. (يوحنا ٧/٣٧-٣٨)

١١ - «تعالي إليَّ، أيتها النفوس المثقلة المسكينة!
«ستخفّ، قريباً، أحمالُك الثقيلة. (متى ١١/٢٨-٣٠)
«واذا ارتويتِ ستنبع دوماً
«من باطنكِ ينابيع».
أنا عطشى، يا يسوعي! هذا الماء أطلبه. (يوحنا ٤/١٥)
تنازل واغمر نفسي بسيولك الإلهية.
لكي أُثبِّتَ مَقامي
في اوقيانوس الحبّ
آتي إليك.

١٢ - تذكَّر أنّي، انا ابنةَ النور، (لوقا ١٦/٨)
غالباً ما أنسى أن أحسن خدمة مليكي.
آه! أشفق على عظيم شقائي،
وفي حبِّك، يا يسوع، اغفر لي.
تنازل واجعلني ماهرةً في امور السماء،
أرني الأسرار المحجوبة في الإنجيل.
آه! هذا السِفرَ الذهبي
هو كنزي الأغلى،
تذكَّر.

١٣ – تذكَّر أنَّ أمك الإلهية
لها على قلبك سلطةٌ عجيبة.
تذكَّر أنك، عند طلبها، (يوحنا ٢/١-١٠)
حوَّلتَ، يوماً، الماء إلى خمر لذيذة.
تنازل، أيضاً، وحوِّل أعمالي الناقصة،
وبصوت مريم، اجعلها، يا ربّ، كاملة.
أني طفلتُها،
يا يسوع! مراراً عديدة،
تذكَّر.

١٤ – تذكَّر أنَّك غالباً ما كنتَ
تتسلّق التلال عند غروب الشمس. (لوقا ١٢/٦)
تذكَّرصلواتك الإلهية،
وترانيم حبِّك في ساعة الرقاد.
صلاتك، يا إلهي، أقدّمها بلذّة
في أثناء صلواتي، ثم في الفرض المقدس.
هناك، قريبةً جدًّا من قلبك،
أرنم بسعادة؛
تذكَّر!...

١٥ – تذكَّر أنَّك لدى رؤية الحقول (يوحنا ٤/٣٥)
كان قلبُكَ الإلهي يستبقُ الحَصاد.
كنت ترفع عينيك إلى الجبل المقدس
وتتمتمُ أسماءَ مختاريك...
فحتى يُجمَعَ حصادُك قريباً،
كلَّ يوم، يا إلهي، أبذل نفسي، واصلّي.
أقدّم أفراحي ودموعي

لأجل حصّاديك ،
فتذكّر . . .

١٦ - تذكّر عيد الملائكة (لوقا ١٥/١٠ وما بعدها)
تذكّر ألحان السماوات ،
وفرحَ الكتائب السامية
عندما يرفعُ اليك خاطئٌ عينيه .
آه ! أريد أن أزيد هذه النشوة العظيمة
يا يسوع ، ولأجل الخطأة ، أريد أن اصلّي باستمرار .
جئتُ إلى الكرمل
لأجعل سماءك الجميلة آهلة ،
فتذكّر . . .

١٧ - تذكّر الشعلةَ الشديدة العذوبة (لوقا ١٢/٤٩)
التي كنتَ تريدُ إشعالها في القلوب .
لقد وضعتَ في نفسي نار السماء هذه ،
فأريد ، أيضاً ، نشرَ سعيرها .
شرارة ضعيفة ، يا سرّ الحياة ،
تكفي لتشعل حريقاً هائلاً .
أريد ، يا إلهي
أن أحملَ نارك بعيداً
فتذكّر .

١٨ - تذكّر هذه الوليمة الفاخرة
التي أقمتها لابنك التائب . (لوقا ١٥/٢٣-٢٠)
تذكّر أنَّ النفسَ البريئة
غذاؤها انت ، في كل لحظة .
يا يسوع ، إنك تستقبل الضالَّ بحبّ .

لكنّ امواجَ قلبك ليس لها عندي سدود .
يا حبيبي ، يا مليكي ،
كلُّ ما لكَ هو لي (لوقا ١٥/٣١)
فتذكَّر.

١٩ - تذكر أنك احتقرت المجدَ،
بل هتفت ، حين أغدقتَ عجائبك الإلهية :
كيف يمكنكم أن تؤمنوا ، (يوحنا ٥/٤٤)
أنتم الذين يطلبون مـجدَ البشر؟ ...
الأعمال التي أعملها تبدو لكم مدهشة، (يوحنا ١٤/١٢)
أحبّائي سيعملون أعظم منها بكثير ... (يوحنا ١٥/١٥)
كنتَ متواضعاً ووديعاً ، (متى ١١/٢٩)
يا يسوع ، يا عريسي الحنون ،
فتذكَّر.

٢٠ - تذكَّر أنَّ الرسول - البتول
دنا الى قلبك في نشوة مقدسة ؛ (يوحنا ١٣/٢٣)
وفي استراحته عرف حنانك ،
وفهم كلَّ أسرارك ، يا ربّ ...
لست أغار من تلميذك الحبيب؛
أعرف أسرارك ، لأنني عروستك.
يا مخلّصي الإلهي
أنام على قلبك
إنَّه لي ...

٢١ - تذكَّر أنَّه في عشية نزاعك ،
قد امتزجت دموعُك بدمائك ؛ (لوقا ٢٢/٤٤-٤٣)
ندى الحبّ ذاك ذو قيمة لامتناهية ،

وقد انبت أزهاراً بتولية .
واذ أراك ملاكٌ هذا الحصادَ المختار ،
أعاد الفرحَ الى وجهك المبارك .
يا يسوع ، لقد رأيتني
وسط زنابقك ،
فتذكَّر .

٢٢ - تذكَّر أنَّ نداك الخصيب ،
جعل تويجاتِ الأزهار بتولات ،
فأعطاها قدرةً ، منذ هذا العالم ،
على أن تلد عدداً وافراً من القلوب .
أنا بتولٌ ، يا يسوع ! ومع ذلك ، يا للسرّ !
باتحادي بك ، صرتُ أمّا للنفوس .
الأزهارَ البتولية
التي تخلّص الخطأة
تذكَّر .

٢٣ - تذكَّر أنَّ محكوماً يتجرّع الألم
استدار صوب السماء هاتفاً :
«قريباً ، سترونني (لوقا ١٤/٦٢)
أظهرُ قويّاً مجيداً » .
لا أحدٌ كان يريد أن يصدق أنَّه كان ابن الله ، (لوقا ٢٢/٦٧)
لأن مجدهُ الفائق الوصف كان محجوباً .
يا أمير السلام
أنا أعرفك ،
أؤمن بك !...

٢٤ - تذكَّر أن وجهكَ الإلهي
بين أخصّائك كان دائماً مجهولاً. (أشعيا ٣/٥٣)
لكنك تركتَ لي صورتك العذبة،
وأنتَ تعلمُ ذلك، فقد عرفتُكَ حقّ المعرفة.
نعم، إني اعرفك، يا وجهَ الازلي،
ولو حجبتْك الدموعُ أكتشف محاسنك.
يا يسوع، كلَّ القلوب،
التي تلتقطُ دموعك،
تذكَّر.

٢٥ - تذكَّر الأنين المشغوف،
الذي خرج من قلبك على الصليب.
آه! يا يسوع، إنه مطبوع في قلبي،
وأنا اقاسمك شدَّة عطشك. (يوحنا ٢٨/١٩)
بقدر ما أحسّ بنارك الإلهية تلفحني،
بقدر ذلك أتعطَّش الى أن أقدّم لك نفوساً.
إني اتحرّق ليل نهار
بعطشٍ الى الحبّ،
فتتذكَّر.

٢٦ - تذكَّر، يا يسوع، يا كلمةَ الحياة، (١يوحنا ١/١)
أنَّك أحببتني حتى متّ من أجلي.
أريد، أيضاً، أن أحبّك حتى الجنون،
أريد أيضاً أن أحيا وأموتَ من أجلك.
انك تعرف، يا إلهي! فكلُّ ما أرغب فيه،
هو أن أجعلكَ تُحبُّ وأن أكون يوماً شهيدةً.
أريد أن أموتَ حبًّا،

يا ربّ ، تلك رغبتي ،
تذكّر .

٢٧ - تذكّر أنَّك في يوم نصرك
قد قلت لنا : **مَنْ لم يرَ** (يوحنا ٢٠/٢٩)
ابن الله يتلألأ كلياً بالمجد ،
ومع ذلك آمن ، فطوبى له !
في ظلِّ الإيمان ، أُحبّك ، وأعبدك ،
يا يسوع ! ولكي أراك أنتظر الفجر بسلام .
ليست رغبتي
في أن أراك على الأرض
فتذكَّر . . .

٢٨ - تذكَّر أنك حين صعدت إلى الآب
لم تستطع ان تتركَنا يتامى . (يوحنا ١٤/١٨)
وإذ جعلت نفسك سجيناً على الأرض ،
عرفت كيف تحجبُ كلَّ إشعاعك الإلهي .
لكنَّ ظِلَّ حجابك مضيءٌ ونقي .
يا خبز الإيمان الحي ، ايها الغذاء السماوي ، (يوحنا ٦/٣٥)
يا سرّ الحبّ !
خبزي اليومي (متى ٦/١١)
يا يسوع ، هو أنتَ ! . . .

٢٩ - يا يسوع ، برغم تجديفات
أعداءِ سرِّ الحبّ
تريد أن تُظهرَ كم تحبّني ،
ما دمتَ تُثَبِّت مُقامك في قلبي .
يا خبزَ المنفيين ! ايتها القربانة الإلهية ،

لستُ أنا الحيَّ، بعدُ ، بل أحيا من حياتِكَ . (غلاطية ٢/٢٠)
فحُقَّ قربانِك المُذهّب
المُفضَّل على الجميع ،
أنا ، يا يسوع !

٣٠ – يا يسوع ، أنا هو مقدسُك الحي ،
الذي لا يستطيع الأشرارُ تدنيسَه .
أُمكثْ في قلبي ، أليس روضةً
تريد كلُ زهرة فيه أن تستديرَ نحوك ؟
لكن إن ابتعدتَ ، يا سوسنة الوديان البيضاء ،
تعرف جيّداً أنَّ ازهاري تُمَرَّدُ (١) سريعاً .
يسوع ، يا حبيبي
السوسنةَ العطرة ،
أزهرِ فيَّ دائماً ! ...

٣١ – تذكّر أنني أريدُ على الأرض
أن أعزّيكَ عن نسيان الخاطئين .
يا حبيّ الأوحد ، إستجب لصلاتي .
آه ! لكي أحبَّك أعطني ألف قلب .
لكنّ هذا لم يزل قليلاً جدًّا ، يا يسوع ، الجمالَ الفائق .
إمنحني لأحبَّك قلبَك الإلهي عينه .
رغبتي المضطرمة ،
يا رب ، في كلِّ لحظة ،
تذكّر .

٣٢ – تذكّر أنَّ مشيئتك القدوسة

---

(١) مَرَّد نزع الاوراق (ش.ر.) .

هي إستراحتي، وسعادتي الوحيدة.
أستسلم وأنام بدون خوف
بين ذراعيك ، يا مخلّصي الإلهي.
إنْ نِمْتَ ، أيضاً ، عندما تزمجر العاصفة ، (مرقس ٣٨/٤)
أريد أن أمكثَ دائماً في سلام عميق؛
لكن في أثناء نومك ،
يا يسوع ، لليقظة
أعددني ! ...

٣٣ - تذكَّر أنني غالباً ما أتوق
الى يوم المجيء العظيم.
أرسل ، قريباً ، الملاكَ يقول لنا:
«استيقظوا ، لا مهلة من بعدُ ! ...» (رؤيا ٦/١٠)
عندئذ ، وبسرعة ، سأجتاز الفضاء ؛ (١ تسالونيكي ١٦/٤)
يا ربّ ، سأمضي لآخذَ مكاني قريباً منك جداً. (يوحنا ٢/١٤)
ففي المُقام الأبدي
تكون سمائي
تذكَّر ! ...

[٢١/١٠/١٨٩٥]

قصيدة ٢٥

رغباتي بالقرب من يسوع
المحجوب في سجن حبّه

نظمت بناء على طلب
الأخت سان فانسان دي بول

مقدمة

توحي هذه القصيدة الافخارستية واللاهوتية برصانة واتزان. فتريز لا تترك حبّها وحماستها يتفجّران الا في النهاية. ولا حاجة لها الى جسد آنية المذبح، فالعروس تشترك في الذبيحة.

١ – أيُّها المفتاح الصغير، آه، أنا أحسدك!
لأنّك تستطيع أن تفتح كلَّ يوم
سجن الإفخارستيا
حيث يقيم إله الحبّ.
لكنني أقدر، يا للأعجوبة العذبة!
بجهدٍ إيمانيٍّ واحد،
أن أفتح أيضاً بيت القربان
وأختبئ فيه قرب الملك الإلهي...

٢ – اودّ لو أني
أذوبُ بقرب إلهي،
وأسطع دائماً بطريقة سرّية
مثل قنديل المكان المقدس...
آه! يا للسعادة... إن فيّ ناراً،
وأستطيع أن أربح كلّ يوم
ليسوع عدداً كبيراً من النفوس
أُضرمُها بحبِّه...

٣ – عند كلٍّ فجرٍ، أحسدك
يا حجر[١] المذبح المُقدس !
وكما في الاسطبل المبارك
عليك يريد أن يولد الأزلي ...
آه ! تنازل واستجب لصلاتي،
يا مخلّصي الوديع تعالَ الى نفسي،
فهي أبعدُ من أن تكون حجراً بارداً.
إنها تنهُّدُ قلبك ! ...

٤ – يا صمدةً[٢] تحفُّ بها الملائكة،
ما أشهى مصيرَكِ !
عليكِ، كما في الأقمطة الوضيعة،
أرى، يسوع، كنزي الوحيد.
بدِّلي قلبي، يا مريم العذراء،
إلى صمدةٍ نقيةٍ جميلة
لتقبلَ القربانة البيضاء،
حيث يحتجب حَمُلكِ الوديع.

٥ – ايتها الصينية المقدسة،
فعليك يأتي يسوع ويستريح.
فلتتنازل وتأتي اليَّ
عظمتُه اللامتناهية.
وإذ يغمر يسوع رجائي
فهو لا ينتظر مساء حياتي.
يحلّ فيَّ، وبحضوره،
أُصبحُ شعاعاً حيًّا ! ...

---

(١) هي بلاطة كانت توضع في وسط المذبح تحوي ذخيرة احد الشهداء او القديسين.
(٢) قماشة صَلبة يضعها الكاهن تحت آنية القربان.

٦ – آه ! كم أحسد الكأس السعيدة
حيث أعبد الدمَ الإلهي...
لكنّي أستطيع في الذبيحة المقدسة
قبولَه كلَّ صباح.
لدى يسوع نفسي اغلى
من آنية الذهب الثمينة.
المذبح جلجلةٌ جديدة
حيث ما زال دمه يسيل لأجلي...

٧ – يسوع، يا كرمةً مقدسة ومكرّسة، (**يوحنا** ١٥/٥)
إنك تعرفُ، يا ملكي الإلهي،
أنّي عنقودُ ذهب،
وعليه أن يختفي لأجلك...
تحت مِعصرة الألم
سأبرهن لك على حبّي؛
لا أريد متعةً أخرى
غيرَ أن أضحّيَ كلَّ يوم بنفسي.

٨ – آه! يا لَلفرح! أنا مختارة
بين حبّات الحنطة النقية (**يوحنا** ١٢/٢٤)
التي تبذلُ الحياة لأجل يسوع...
عظيمةٌ جدّاً نشوتي!...
أنا عروسُك الحبيبة؛
يا حبيبي، تعالَ واحيَ فيَّ.
آه! تعال، جمالك سحرني؛
تنازل وحوِّلني إليك!...

[خريف ١٨٩٥]

قصيدة ٢٦

آيات من فرض القديسة أنـيـيس [(١)]

مقدمة

الواحد والعشرون من كانون الثاني/يناير/١٨٩٦ هو عيد القديسة انييس شفيعة الرئيسة. فالمناسبة هامة. وقد لبست تريز شخصية العروس المتألقة، التي تعيش سنة حبّ وسلام. في اليوم نفسه سلّمت مخطوط سيرتها الى الام الرئيسة. ونرى في هذه القصيدة نظماً شعرياً مدهشاً، وقد استوعبت تريز نصوص الصلوات الليترجية وصورها فصَاغت منها مشهداً عظيماً بحركة داخلية متناسقة.

١ – المسيح هو حبّي، هو كلُّ حياتي (فيلبي ١/٢١)
هو الخِطّيب الذي، وحده، يسحر عينيَّ.
لذا أسمع، الآن، من إيقاعه العذب
الأنغامَ الشجية.

٢ – قد زيَّنَ يدي بلآلئ فريده،
وزيَّن عنقي بعقود ثمينة،
والماسات الغنية التي تُرى في أُذنيَّ،
هي هذية المسيح.

٣ – زيَّنني، كُلِّياً، بالأحجار الكريمة،
ففي اصبعي يلمع الآن خاتَمُ عرسه.
تنازَلَ وغطَّى باللآلئ البرّاقة
وشاحي البتولي.

(١) تعود ليترجيا انييس الصبية الشهيدة التي استشهدت في سنة ٣٠٥، إلى زمن قديمٍ جدًّا، ربما القرن السابع او الثامن.

٤ – أنا خطِّيبةُ من ستَخدُمُه
الملائكةُ مرتعدةً طوال الأبدية.
تردِّد الشمس والقمر تسابيحه
ويُعجبان بجماله.

٥ – السماء مملكته، وطبيعته إلهيّة؛
واختار أمًّا له العذراء النقيّة.
أبوه هو الإله الحق الذي لا بدء له،
إنه روحٌ محض...

٦ – عندما أحِبُّ المسيحَ وعندما ألمَسه
يصبحُ قلبي أنقى ،وأنا أكثر طهراً؛ (مزمور ١١٨/٨٠)
وقبلة فمه اعطتني (نشيد الأناشيد ١/١؛ ٨/١)
كنزَ البتولية.

٧ – كان قد وضع علامته على وجهي
كي لا يجسرَ محبٌّ على الدنوَّ منّي.
أشعر بأن النعمةَ الإلهية تعضدني،
نعمةُ ملكي المحبوب.

٨ – خدّاي لوّنهما دمُه الثمين،
أعتقد أنني أتذوّق، منذ الآن، أطايبَ السَّماوات؟
لأنني أستطيع أن أقطف من شفتيه المقدستين،
االلبن والعسل.

٩ – لذلك لا أخشى شيئاً، لا الحديدَ ولا اللهب،
لا، لا شيء يقدر على ان يعكِّر سلامي الفائق الوصف.
ونار الحب التي تُفني نفسي
لن تنطفئ أبداً!...

[١٨٩٦/١/٢١]

قصيدة ٢٧

ي.م.ي.ت

ذكرى ٢٤ شباط / فبراير ١٨٩٦

مقدمة

نظمت هذه القصيدة بمناسبة نذر الاخت جنفياف، وبناء على طلبها، وقد سُرّت تريز كثيراً بنذر شقيقتها. لكنها لم تستطع ان تنظم إلا شذراتٍ تبدو باهتة بالنسبة الى المراسلات المتبادلة بينهما.

مقطع ١

يا لَلذكرى الفائقة الوصف،
ذكرى اليوم الجميل بين الأيَّام!
عذوبتُك المنقطعةُ النظير
سأحفظها دائماً...

مقطع ٢

بيسوع توحّدني
روابطُ الحبّ،
وعظمته اللامتناهية
ثبّتت فيَّ مَقامها.

لازمة ١

آه! يا سكرةً لا توصف!
أشعرُ بأن فيَّ يخفقُ
قلبُ عريسي ومليكي،
المتأجّجُ حناناً.

مقطع ٣

أتحمّل المنفى ، بدون مشقّة ،
وأنا أعيش مع عريسي . . .
عذبةٌ جداً السلسلة
التي توحّدني بالإله الغيور ! . . . (خروج ٣٤/١٤)

مقطع ٤

ايتها الغيرة الإلهية
لقد جرحتِ قلبي ! . . .
ستكونين طوال حياتي
راحتي وسعادتي .

لازمة ٢

تنازلي وافني كياني كلّه ،
فيسوع ، وحده ، يجب أن يحيا فيَّ .
من الآن فصاعداً لا أريد أن أكون
إلاّ حجابَ ملكي ! . . .

(تريز الطفل يسوع للوجه الأقدس
إلى أخيّتها الحبيبة ألف مرة).

قصيدة ٢٨

ي.م.ي.ت ١ آذار / مارس ١٨٩٦

النشيد الأزلي يُرَنَّم منذ المنفى

مقدمة

نظمت هذه القصيدة للاخت مريم للقديس يوسف، ربَّما بناء على طلبها، بمناسبة عيدها. وقد استجابت تريز لطلب هذه الاخت ولم تتوقَّف على عاهاتها النفسية. بل فعلت مثل يسوع ونظرت الى ارادتها الطيّبة. فالقصيدة تنسب الى الاخت المذكورة ما كانت تريز تعيش من مشاعر حقيقية في تلك الحقبة.

١ – عروسُك المنفيّة على الضفة الغربية (مزمور ١٣٦/٤)
يمكنها أن ترنِّم نشيد الحبِّ الأزلي،
ما دمت، يا يسوعي الوديع، تتنازل أن تُضرمها
بنارِ حبِّك، في الأرض كما في السماء.

٢ – يا حبيبي، أيها الجمال الأسمى،
إنك تعطي ذاتك لي.
لكن بالمقابل،
يا يسوع، أنا أحبُّك،
وحياتي ليست إلَّا فعلَ حبٍّ واحد!

٣ – ناسياً شقائي الكبير
تأتي لتسكنَ في قلبي؛
وحبّي الضعيف، آه يا للسرّ!
يكفي لتقييدك، يا ربّ. } (تعاد)

يا حبيبي الخ . . . .رقم ٢

٤ – يا حبًّا يُلهبني
إخترق نفسي ؛
تعالَ ، أطلبك ،
تعالَ ، أفْنِني .

٥ – ضِرامُك يحثُّني ،
وأريد ، بدون انقطاع ،
أيَّها الأتون الإلهي ،
أن أغوصَ فيك .

٦ – الألمُ ، يا ربّ ،
يصبح متعةً
عندما تنطلق النفس
نحوك بلا رجوع .

٧ – ايها الوطن السماوي ،
يا أفراح الحياة الأُخرى ،
نفسي المنتشية
تتذوَّقك دائماً .

٨ – أيها الوطن السماوي ،
يا أفراح الحياة الأخرى ،
لستِ إلَّا الحبّ !

قصيدة ٢٩

ي.م.ي.ت

ذكرى ٣٠ نيسان ١٨٩٦

إلى أُختِنا العزيزة
ماري للثالوث والوجه الأقدس

مقدمة

هذه القصيدة مقدمة للأخت ماري للثالوث، بمناسبة نذرها. والمقطعان الأخيران هما لأجل الأم ماري دي غونزاغ. يُعزى نجاحُ هذه المبتدئة وبلوغُها النذور الى عناية تريز بها وعملها التربوي الرائع. فكما بذلت تريز نفسها وقلبها لها، لا يبقى على الناذرة الجديدة الا أن تبذل ذاتها كل يوم لأجل يسوع وعلى مثاله.

١ – كم يحلو لنا، يا اختاً حبيبة،
أن نترنَّم بهذا اليوم الساطع،
بأجمل أيام حياتك،
الذي يُوحِّدُك بملك السماوات.

٢ – في هذا الصباح، نفسُك المنفيّة
رأت أنها تكتسي بهاءً
وزينةً لا عيب فيها،
وهي تبذل ذاتها للربّ.

٣ – نظر الى نفسك،
قديماً، الثالوثُ الطوباوي،
فطَبَعك بشعلته
كاشفاً لكِ عن جماله.

٤ – بتأملك الوجهَ الإلهي ،
شعرتِ بالرغبة
في إحتقار كلِّ ما يحدث ،
كلِّ ما يجب أن ينتهي قريباً.

٥ – خوفاً من طوفان العالم (تكوين ٧/ ١٧-١٣)
ابتهلتِ إلى السماء،
فأوجدَتْ لك ملجأً
في سفينة الكرمل المباركة.

٦ – لكن ، يا للأسف ! أيتها الهاربة المسكينة ،
كان عليك ان تخرجي من السفينة ،
وتتأنّي طويلاً
مثل الحمامة النائحة . (تكوين ٨/٨)

٧ – أوراق الزيتون الخضراء (تكوين ٨/ ١١)
اخذت أخيراً ، تسطع امام عينيكِ ،
ووجَّهَتْ أنظارك إلى ظلالِ
كرمل ليزيو الصغير.

٨ – وحالاً ، اجتزت المسافة
وأتيت تطالبين
بالموضع الأخير بيننا ، (لوقا ١٤/١٠)
تريدين أن تتألمي ، تريدين أن تُحبّي !...

٩ – حين كان يسوع يضحّي بنفسه ،
قال لنا في يومه الأخير:
ليس لأحدٍ حبٌّ أعظم
من أن يبذل نفسه عن أحبائه . (يوحنا ١٥/١٣)

١٠ – عند هذا الكلام المبارك
اضطرم قلبُك كلَّ الاضطرام ،
فبذلتِ حياةً لقاء حياة ،
ليسوع حبيبك .

١١ – والآن ، أيتها الضحيّة السعيدة ،
التي بذَلتْ نفسَها من اجل الحبّ ،
تذوَّقي الفرحَ ، والسلامَ الحميمَ
بأن تذوبي كلَّ يوم .

١٢ – إلى الحبّ نفسُك تتوق ،
إنَّه كوكبك المضيء ؛
الحبُّ سيكون استشهادَك ،
الحبُّ سيفتحُ لكِ السموات .

(إلى أمنا)

١٣ – أيتها الأم الحبيبة ،
رأينا بواسطتك ، هذا الصباح ،
هذه القربانة البيضاء ،
تبذل ذاتها للحمل الإلهي .

١٤ – هذه القربانة ستكون مجدَكِ
ويسوع سيجعلها تتلألأ
في حُقِّ القربان السريّ[١]
الذي عرف قلبك كيف يملأه .

---

(١) هو كرمل ليزيو الذي اغنته الام ماري دي غونزاغ بثلاث عشرة قربانة اي ثلاث عشرة ناذرة في فترة رئاستها الطويلة بين سنة ١٨٧٤-١٨٩٣ .

قصيدة ٣٠

تعليق باسلوب ديني

ألفَّه أبونا القديس يوحنا الصليب ونظمته شعراً صغرى بناته للاحتفال بنذر عزيزتها الأخت ماري للثالوث والوجه الأقدس.

مقدمة

هذه القصيدة نظمتها تريز للأخت ماري للثالوث في الثلاثين من نيسان / أبريل ١٨٩٦، بمناسبة نذرها. وقد اقتبست معانيها وعباراتها عن قصيدة للقديس يوحنا الصليب معلّمها الروحي؛ فملفان الحبّ الصوفي شدّدها على حمل محنتها في الصمت والرجاء، واثقة بأن الحبَّ يجد نفعاً في كلٍّ شيء.

مسنودةً بدون ايّ سند
بلا نور وفي الظلمات
أسير والحبُّ يُفنيني [١].

١ – يا لها من سعادة قصوى !
فقد قلتُ للعالم وداعاً ابديّاً...
سمَوتُ ارفعَ من ذاتي،
وليس لي سندٌ آخر غير إلهي.
فأعلن الآن :
ما أُقدِّره بالقرب منه
هو أن أرى نفسي وأشعر بها
مسنودةً بدون ايّ سند !...

(١) مقطع من قصيدة بذات العنوان للقديس يوحنا الصليب. **الاعمال الصغرى** ص ٢٣١ (ش.ر.).

٢ – مع أنني أتألم بدون نور
في هذه الحياة التي ليست إلا يوماً ،
أملك، على الأقل، على الأرض،
حياة الحبِّ السماوية...
في الطريق الذي عليَّ اتباعه
اصادف اخطاراً كثيرة
لكن بالحبِّ أقبل أن أحيا
في ظلمات المنفى.

٣ – الحبّ ، إن لي فيه خبرةً .
ما يجد فيّ من خير او شرّ ،
يعرف كيف يستفيد منه . يا له قديراً!
إنه يحوِّل نفسي الى ذاته .
هذه النار التي تستعر في نفسي
تَلِجُ في قلبي بلا رجوع ؛
وهكذا ، في ناره الساحرة
أسير والحبّ يُفنيني .

٣٠ نيسان / ابريل ١٨٩٦ .
تريز الطفل يسوع ، والوجه الأقدس
را. ك. غ. م.

قصيدة ٣١

ي.م.ي.ت

نشيد الأخت ماري الثالوث والوجه الأقدس

نظمته اخيّتها تريز الطفل يسوع

مقدمة

نظمت تريز هذه القصيدة للأخت ماري للثالوث بمناسبة عيدها. فمنذ الخامس من نيسان/ابريل ١٨٩٦ تعيش تريز محنة روحية عميقة، وتعرف ان موتها قريب. وتؤمن بأن يسوع يقودها في طريق الجلجلة. فالقصيدة صدىً لهذه المحنة وللمشاعر العميقة التي تجتاحها. تطالب بالألم والاحتقار، وهما طريق الحبّ الذي أثار عطش يسوع على الصليب، فيثير في نفس تريز عطشاً مماثلاً ولحناً شجيّاً مؤثِّراً.

١ – حينما انتفيتَ الى الأرض، يا يسوع إلهي،
بحبِّك، بذلت ذاتك لأجلي !
يا حبيبي، خذ حياتي كلَّها،
أريد أن أتألم، أريد أن أموت لأجلك...

لازمة ١ يا ربّ، إنت نفسك، قلت لنا:
لا يمكننا ان نفعل اكثر (يوحنا ١٥/١٣)
من أن نموت في سبيل أحبّائنا.
وحبِّي الأعظم
هو أنتَ، يا يسوع !...

٢ – **حانَ المساء ومالَ النهار** (لوقا ٢٤/٢٩)
تِعال قُدني، يا ربٌّ، في الطريق.

مع صليبك أرتقي التلّة ؛ (متى ٢٧/٣٢)
أُمكث معي ، أيُّها الحاجّ السماوي . . .

لازمة ٢ صوتك يلقى في نفسي صدى.
أريد مشابهتك ، يا ربّ ؛
الألم ، أطالب به ؛
كلامُك اللَّهَبُ
يضرم قلبي ! . . . (لوقا ٢٤/٣٢)

٣ – النصر الأبدي هو لك ،
والملائكة يترنّمون به مفتونين؛
ولكن لكي تدخلَ في مجدك السامي (لوقا ٢٤/٢٦)
كان يجب ، يا ربُّ ، أن تتألم! . . .

لازمة ٣ ايُّ احتقار ، على الضفة الغريبة ،
لم يُصبْكَ لأجلي؟
أريد أن أحتجب على الأرض ،
وأن أكون الأخيرة في كل شيء (لوقا ١٤: ١٠)
لأجلك ، يا يسوع ! . . .

٤ – يا حبيبي ، مثالك يدعوني
الى أن أتَّضع وأحتقرَ الشرف.
لأفتنك ، أريد أن أظلَّ صغيرة ،
وأنسى ذاتي ، فأسحر قلبك.

لازمة ٤ سلامي هو في العزلة
فلا أطلب شيئاً آخر.
أن أرضيك هو سعيي الوحيد!

وغبطتي
هي أنت ، يا يسوع ! ...

٥ – أنت الإله العظيم ، الذي تعبده السماء كلُّها،
تحيا فيَّ ، سجيناً ليلاً ونهاراً ؛
صوتك العذب يتضرّع إليَّ في كلِّ وقت ؛
تكرِّر القول لي: **أنا عطشان**... عطشان الى الحبّ ... **(يوحنا ١٩/٢٨)**

لازمة ٥ أنا سجينتك أيضاً ،
وأريد أن أكرّر بدوري ،
صلاتك الإلهية الرقيقة:
«يا حبيبي ، يا أخي ،
أنا عطشى الى الحبّ ! ...» .

٦ – أنا عطشى الى الحبّ ، فحقِّق رجائي؛
زد فيَّ ، يا ربُّ ، نارك الإلهية .
أنا عطشى الى الحبّ ، وألمي عظيمٌ جدا؛
آه ! أودّ لو أطير اليك ، يا إلهي ! ...

لازمة ٦ حبُّك هو عذابي الوحيد .
وكلَّما شعرت به يضطرم فيّ ،
اشتاقت نفسي اليك .
يا يسوع ، اجعلني اموت
حبًّا بك ! ! !

٣١ أيار / مايو ١٨٩٦

قصيدة ٣٢

ي.م.ي.ت

عيد القربان المقدس
٧ حزيران / يونيو ١٨٩٦

سمائي أنا ! ...

مقدمة

نُظمت هذه القصيدة للأخت سان ڤاسان دي بول، بناء على طلبها. وقد ضمَّنتها تريز شيئاً من اختبار محنتها الباطنية؛ فهي تشير الى الإله المحتجب الذي يريد ان يمتحن الايمان.

١ - لكي اتحمَّلَ منفى وادي الدموع (مزمور ٧/٨٧)
لا بدَّ لي من نظرةٍ مخلِّصي الإلهي؛
هذه النظرة المفعمة حبًّا كشفت لي جمالاته،
وجعلتني استشفُّ السعادةَ السماوية.
يسوع يبتسم لي عندما اتوق إليه،
فلا اعود أعاني محنة الإيمان.
فنظرة إلهي، وابتسامته الساحرة،
هما سمائي، أنا ! ...

٢ - سمائي هي أن استمطرَ على النفوس،
وعلى الكنيسة أمّي وعلى جميع أخواتي،
نِعَمَ يسوع ونيرانه الإلهية، (لوقا ٤٩/١٢)
التي تعرف أن تُضرم القلوب وتبهجها.
أستطيع نيلَ كلِّ شيء عندما اخاطب في السرّ

ملكي الإلهي قلباً لقلبٍ .
هذا التأمل الهادئ بالقرب من المعبد ،
تلكَ سمائي ، أنا ! ...

٣ – سمائي محجوبةٌ في القربانة الصغيرة
حيث يسوع ، عريسي ، يستترُ حبًّا .
من هذا الموقد الإلهي سأغرف الحياة ؛
هناك يصغي إليّ مخلصي الوديع ليلاً ونهاراً.
آه ! يا للحظة السعيدة عندما تأتي
يا حبيبي ، وبحنانك تحوِّلني اليك !
هذا الاتحاد بالحبّ ، وهذه النشوة الفائقة الوصف ،
تلك سمائي ، أنا ! ...

٤ – سمائي هي شعوري بأني أشابه
الإله الذي خلقني بنفخته الجبّارة . (تكوين ٢/٧)
سمائي هي أن أمكثَ دائماً في حضوره
وأن أناديَه أبي وأكونَ ابنته .
بين ذراعيه الإلهيتين لا أخشى العاصفة ،
والتسليمُ الكلّي هو ناموسي الوحيد .
أن أنام على قلبه ، بالقرب من وجهه ،
تلك سمائي ، أنا ! ...

٥ – سمائي وجدتُها في الثالوث الأقدس ،
المقيم في قلبي سجينَ الحبّ .
هناك ، أتأمل إلهي ، وأردِّد بدون خشية ،
أنني أريد أن أخدمه وأحبّه إلى الأبد .

سمائي هي أن أبتسم لهذا الإله الذي أعبده ،
عندما يريد ان يحتجب ليمتحن إيماني .
أن أتألم منتظرة أن ينظر إليَّ بعدُ ،
تلك سمائي ، أنا ! ...

(أفكار من الأخت سان فانسان دي بول
نظمتها أبياتاً أخيّتها الصُغرى تريز الطفل يسوع).

قصيدة ٣٣

ي.م.ي.ت

ما سأراه قريباً للمرَّة الأولى ! ...

عيد قلب يسوع الأقدس
١٢ حزيران / يونيو ١٨٩٦

مقدمة

نُظمت للأخت ماري للقلب الأقدس بناء على طلبها بمناسبة عيدها. توحي هذه القصيدة بيقين تريز من انها ستعبر قريباً الى الشاطئ السماوي؛ وهي امنية اكّدها حلم الام المكرّمة حنة ليسوع. وتبوح بعذابها الباطني الا وهو حبّ يسوع الذي لن يكون بلا حدود الا في السماء.

١ – ما زلت على الضفةِ الغريبة ؛ (مزمور ١٣٦/٤)
وإذ أشعر مسبقاً بالسعادة الأبدية ،
آه ! أريد ، منذ الآن ، أن أتركَ الأرض
وأتأمَّلَ روائعَ السماء...
عندما أحلم بأفراح الحياة الأخرى
لا اعود أشعر بثقل منفاي،
لأني عمَّا قليل ، نحو وطني الوحيد ،

سأطير للمرَّة الأولى ! ...

٢ - آه ! امنحني ، يا يسوع ، أجنحةً بيضاء
حتى أنطلق نحوك.
أريد ان أطيرَ إلى الضفاف الأبدية (مزمور ٥٤/٧)
أريد أن اراك ، يا كنزي الإلهي !
أريد أن أطير بين ذراعي مريم
وأرتاح على هذا العرش المختار ،
وأتلقّى من أمي الحبيبة
القبلة العذبة للمرّة الأولى ! ...

٣ - يا حبيبي ، اجعلني ، قريباً ،
أستشفّ عذوبة ابتسامتك الأولى ؛
ودعني ، في هذياني الإلهي ،
آه ! دعني أحتجب في قلبك ! ...
آه ! يا لَلَّحظة ! يا لَسعادةٍ لا توصف ،
عندما سأسمع نغمة صوتك العذبة ،
وعندما سأرى الإشعاع الإلهي
في وجهك المعبود للمرّة الأولى ! ...

٤ - تعلمُ جيِّداً، أنَّ عذابي الوحيد
هو حبُّك ، يا قلب يسوع الأقدس.
وإذا تاقت نفسي إلى سمائك الجميلة ،
فلكي أحبَّك ، وأحبَّك أكثر فأكثر ! ...
وفي السماء ، سيُسكرني الحنان دوماً ،
فسأحبّك بلا مقياس ولا قانون .
وسعادتي ستبدو بلا انقطاع
جديدةً كما في المرة الأولى .

أُختيَّة الطفل يسوع

قصيدة ٣٤

أن أنثرَ أزهاراً

مقدمة

نَظمت تريز هذه القصيدة الى شقيقتها الام أنييس، بمناسبة عيدها. وتشير فيها الى عادة المبتدئات بأن يجتمعن حول صليب الغرانيت المنصوب في باحة الدير وينثرن بتلات الورود صوب المصلوب. وقد جعلت من هذه الحركة رمزاً روحيّاً، بل ستجعل منها مهمَّةً خاصة في السماء بأن تمطر على الارض غيثاً من الورود.

١ – يا يسوع، يا حبِّي الوحيد، على أقدام جُلجلتك
كم أحبُّ أن أَنثر عليك أزهاراً كلَّ مساء!...
وإذ انزع لأجلكَ بَتلات الوردة الربيعيّة
أريد أن أمسح دموعك!...

لازمة ١ نثر الازهار هو أن أقدّم لكَ بواكير
أرقَّ التنهدات وأشدّ الأوجاع.
أحزاني وأفراحي وتضحياتي الصغيرة
تلك أزهاري!...

٢ – يا ربُّ، شُغفتْ نفسي بجمالك،
فأريد أن أغدقَ عليك طيوبي وأزهاري.
بنثرها لأجلك على جناح النسيم،
أريد أن أضرم القلوب!...

لازمة ٢ نثر الازهار، يا يسوع، هوذا سلاحي،
عندما أريد أن أصارعَ لخلاص الخطأة،

النصر هو لي ... ودائماً أجرِّدك من السلاح
بأزهاري ! ! ! ...

٣ – عندما تداعب وجهَك بتلاتُ الأزهار
تقول لك إنَّ قلبي هو لك بلا رجوع .
إنك تفهم لغة وردتي المنزوعة الاوراق،
وتبتسم لحبّي .

لازمة ٣ نثر الازهار وترداد مدائحك
تلك لذّتي الوحيدة في وادي البكاء . (مزمور ٨٣/٧)
إلى السماء سأذهب قريباً مع الملائكة الصغار
أنثر أزهاراً ! ...

[١٨٩٦/٦/٢٨]

قصيدة ٣٥

١٦ تموز / يوليو ١٨٩٦

إلى سيّدة الإنتصارات
سلطانة العذارى والرسل
والشهداء

مقدمة

نظمت تريز هذه القصيدة لذاتها ولأخيها المرسل الاب رولان. وتريز تدين بالكثير لسيدة الانتصارات، وقد زارت في باريس معبدها الذي كان يُعهَد اليه بالرسالات، وفيه احتفل الاب رولان بأحد قداساته. وفي هذه القصيدة تعبّر تريز عن حماستها الرسولية الشديدة، بل تستشفُّ استشهاداً حقيقياً من اجل خلاص النفوس.

١ – أنتِ يا من تحقِّق رجائي،
يا أمُّ! أصغي إلى الترنيمة المتواضعة،
ترنيمةِ الحبِّ والعرفان،
الآتية من قلب ابنتك...

٢ – بأعمال مُرسَلٍ
وَحَّدْتني للأبد،
بروابط الصلاة
والألم والحبّ.

٣ – عليه، هو أن يجتاز الأرض[١]
وأن يُبشِّر باسم يسوع.

(١) الاب رولان أخوها المرسل، أبحر إلى الصين في ٢ آب / اغسطس ١٨٩٦.

وعليَّ ، انا ، في الظلِّ والسرِّ ،
أن أمارس فضائل متواضعة.

٤ – الألـم ، أطالبُ به ،
أحبّ الصليبَ وأرغب فيه . . .
لأساعدَ في خلاص نفسٍ واحدة
أريد الموت ألف مرَّة ! . . .

٥ – آه ! لأجل غازي النفوس
أريدُ أن أبذلَ ذاتي في الكرمل
وأبسطَ عبره النيران (لوقا ١٢/٤٩)
التي حملها يسوع من السماء.

٦ – عبره ، يا للسرِّ الرائع !
حتَّى سوتشوين[٢] الشرقية ،
سأستطيع أن أجعل محبوباً
اسمَ أمّي البتول الحنون !

٧ – في عزلتي العميقة ،
يا مريم . . . أريد أن أكسب قلوباً.
بواسطة رسولك ، سأهدي الخطأة . . .
في أقصى العالـم .

٨ – عبره ، سيحوِّل ماءُ العماد المقدس
الطفلَ الصغيرَ ، ابنَ يومٍ واحد ،
الى هيكلٍ حيث يتنازل الله نفسه
ويسكنُ بحبِّه.

(٢) Suitchen منطقة في الصين زارها المرسل وكتب منها رسائله إلى الاخت تريز الطفل يسوع (ش.ر .) .

٩ – اريد ان اجعل المقام الأبدي المشرق...
آهلاً بالملائكة الصغار ؛
عبره ، ستنطلق كتائبُ الاطفال
نحو السماء ! ...

١٠ – السعفةُ التي تشتهيها نفسي
يمكنني ان أجنيها بواسطته .
آه يا للأمل ! أيتها الأم الحبيبة ،
سأكون أختاً لشهيد ! ! !

١١ – بعد منفى هذه الحياة ،
في مساء المعركة المجيدة ،
سنتمتّع في الوطنِ
بثمار رسالتنا.

١٢ – له فَخرُ الإنتصار
أمام جيش الطوباويين،
ولي ... انعكاسُ مجده
للأبد في السّماوات ! ...

أُخيّة مُرسل.

قصيدة ٣٦

يسوع وحده

مقدمة

نظمت هذه القصيدة لأجل الاخت ماري للافخارستيا، بناء على طلبها بمناسبة عيدها. تعبرٌ بهذه القصيدة عن حبٍّ يسوع الذي يظهر في طريقة الحبّ البشري، وهو حبٌّ يصير فقيراً يستعطي تنهّدات خليقته، فلا تستطيع تريز مقاومته وتتخلّى له عن كلٍّ شيء.

١ – قلبي المضطرم يريد أن يهب ذاته بلا انقطاع،
إنَّه بحاجة إلى أن يُثبتَ حنانه.
من يمكنه ان يفهم حبّي؟
أيُّ قلبٍ يريد أن يردَّ لي الجميل؟ ..
لكنّ هذا الجميلَ أطالب به عبثاً.
يا يسوع، أنت وحدك تستطيع أن ترضي نفسي.
لا شيء يمكنه أن يسحرني على الأرض،
فالسعادة الحقيقية لا توجد فيها ...
سلامي الوحيد، سعادتي الوحيدة
حبيِّ الوحيد، أنتَ، يا رب! ...

٢ – أنتَ يا من عرف أن يخلقَ قلب الأمَّهات
فيكَ أجد أحنَّ الآباء!
يا يسوع، يا حبِّي الوحيد، ايها الكلمة الأزلي، (يوحنا ١/١)
قلبك، بالنسبة اليّ، هو أكثر من قلبِ أمّ.

تتبعني وتحفظني في كلِّ لحظة ،
وعندما أناديك ، آه ! لا تتأخَّرُ أبداً.
وإذا بدوتَ أنَّك تحتجب أحياناً ،
فأنت مَنْ يؤازرني في طلبه .

٣ – بك ، وحدك ، يا يسوع ، أتعلَّق ،
وبين ذراعيك أُسرع وأختبئ .
أريد أن أُحبَّك مثل طفل صغير ،
أريد أن أُصارعَ كمحاربٍ شجاع .
مثل طفل غنيٍّ بالألطاف ،
أريد يا ربَّ ، أن أغمرك بالمداعبات .
وفي حقل رسالتي ،
مثل المحارب أندفع إلى المعركة ! . . .

٤ – قلبك الذي يحفظُ البراءة ويردّها
لا يمكنه أن يخيِّب ثقتي !
فيك ، يا رب ، يستقرُّ أملي ،
وبعد المنفى ، سأذهب إلى السماء لأراك . . .
وعندما تهبُّ العاصفةُ في قلبي ،
فنحوك ، يا يسوع ، أرفعُ رأسي ؛
وفي نظرتك الرحوم
أقرأ : «أيُّها الطفل ، لأجلك ، صنعتُ السموات» .

٥ – أعرف جيّداً أن تنهّداتي ودموعي
هي أمامك تتلألأ بالمحاسن .
الساروفيم في السماء يشكِّلون بَلاطك ،

ومع ذلك، فإنك تستعطي حبِّي ! . . .
تريد قلبي، يا يسوع؛ فإياه أعطيك.
كلَّ رغباتي، اتركُها لك.
والذين أُحبّهم، يا عريسي، وملكي،
لا أريدُ، بعد الآن، أن أحبَّهم إلَّا لأجلك.

[١٨٩٦/٨/١٥]

قصيدة ٣٧

٢١ آب / أغسطس ١٨٩٦

ي.م.ي.ت

مقدمة (٣٧، ٣٨، ٣٩)

القصائد ٣٧ و٣٨ و٣٩، نُظمت لأجل جانّ غيران (٣٨) ولزوجها الطبيب فرنسيس لانيل La Néelle (٣٩) والاولى ٣٧ للزوجين. وقد حاولت تريز في هذه القصائد إظهار استقامة السيد فرنسيس ودفاعه عن الكنيسة، كما كتبت الى ابنة خالها صلاةً تعزّيها عن كونها لم تنجب بعد أولاداً.

١ – هذه الرباعيات الحقيرة . . .
باقة عيد حزينة.
ولكن، أسفاً، لم يبقَ في فكري
الا الأبيات الاسكندرية.[1]

٢ – أذكُرُ أن كان يلزم
أشعار اسكندرية لفرنسيس.
كان عليّ أن ألتزم الصمت

---

(١) وزن عروضي في الشعر الفرنسي له اثنا عشر مقطعاً (ش.ر.).

إزاء أمرٍ بهذا الوضوح .

٣ – لكن بما أني أعرف جيداً
تسامح جان والطبيب العالِم ،
أتقدّم بدون أبيات اسكندرية
لأعايد أختي اللطيفة .

(تريز الطفل يسوع) .

قصيدة ٣٨

ي.م.ي.ت

٢١ آب / اغسطس ١٨٩٦

بوح يسوع لتريز

١ – يا يسوع ، أصغِ إلى صلاتي ،
إستجب لرغبتي الحارَّةَ ،
إنفِ ملاكاً الى الأرض :
أعطِ طفلاً لجانّ ! ...

٢ – لقد تأخّر طويلاً
هذا المنفيّ من السماوات .
لكن ، يا رب ، أنتَ أفهمتني
صمتك السرّي .

٣ – نعم إنك تقول لي ، عبر صمتك :
«حتى السماءِ تَصعدُ تنهداتِك .
«يجبُ أن اضبط نفسي
«لئلا أرضيَ رغباتك .

٤ – «ليس ملاكاً عاديًّا
«ما أريد أن أعطيه لأختك؛
«لذلك أحبُّ، في السرِّ،
«أن اكوِّن نفسه وقلبه.

٥ – «أنا، ذاتي، أُجَمِّلُ هذه النفس،
واهب لها كنوزي.
«لكنّي بالمقابل... آه! أطلبُ
من جانّ تسليماً كاملاً...

٦ – «بمحبّة لطيفة
«أُعِدُّها بيدي،
«إذ عليها ان تعطيَ لكنيستي،
حَبراً قديساً عظيماً!».

قصيدة ٣٩

ي.م.ي.ت

طبيب قديس وشهير

فرانسيس[١] اتَّخذَ هذا الشعار:
لا شيء للإنسان ، كلُّ شيء لإلهي.
لكي يدافعَ عن الكنيسة
اليس له قلبٌ متحمِّس؟
بمحاربته العلمَ الكافر
اعترف بذلك جهاراً:
أنَّ مجده هو مجد مريم ! . . .

طفلة المعلمة الساروفية
القديسة تريزا الأفيلية

في ١٨٩٦/٨/٢١

(١) القصيدة هي تطريز Acrostiche ، يوزّع فيه الشاعر حروف اسمٍ أو لقبٍ على أوائل ابياته بالترتيب ، والتطريز مبني على اسم فرنسيس (ش.ر.) .

قصيدة ٤٠

واهفات [١] الكرمل

مقدمة

نُظمت للأخت ماري فيلومين ليسوع تترنّم فيها تريز بواهفات الكنيسة والأخوات المكلّفات بإعداد خبز التقدمة. وتمتدح عملهنّ الدؤوب وتؤكّد مشاركة الاخوات في تقدمة الكاهن ومساعدة المرسلين ونيل الغفران للخطأة، وتصبح السماء حقّ القربان الذي يحتجب فيه يسوع.

١ – وظيفتنا العذبة على الأرض
هي أن نُعدَّ على المذبح،
الخبزَ والخمرَ للذبيحة
التي تعطي للأرض السماء.

٢ – السماء، يا للسرِّ الفائق!
تحتجب تحت خبزة وضيعة.
لأنَّ السماء هي يسوع عينه،
يأتي إلينا كلَّ صباح.

٣ – ليس من مَلِكَة على الأرض
اكثر سعادةً منّا.
عملُنا صلاة
توحِّدنا بيسوع.

٤ – أكبر أمجاد هذا العالم

---

(١) الواهفة Sacristine هي التي تخدم الكنيسة.

لا يمكنها أن تضاهيَ
السلامَ السماوي العميق
الذي يذيقُنا إياه يسوع.

٥ – إننا نغار غيرةً مقدسة
على شغل يدنا،
وعلى القربانة الصغيرة البيضاء
التي ستحجب الحملَ الإلهي.

٦ – لكنَّ حبَّه اختارنا؛
إنَّه عريسُنا وصديقنا.
نحن أيضاً قرباناتٌ
يريد يسوع تحويلَها اليه.

٧ – يا رسالة الكاهن السامية،
إنك تُصبحين على الأرض رسالتنا.
وبعد ان يحولِّنا المعلِّم الإلهي
فهو يقود خطواتنا.

٨ – علينا أن نساعد الرُسل
بصلواتنا، وحبِّنا؛
فساحات معاركهم هي ساحاتُنا،
ولأجلهم نصارع كلّ يوم.

٩ – الإله المحجوبُ في بيت القربان (أشعيا ١٥/٤٥)
والذي يحتجب أيضاً في قلوبنا
عند ندائنا، آه! يا للأعجوبة!
يتنازل ويغفرُ للخطأة!

١٠ – سعادتُنا ومجدُنا
أن نعمل لأجل يسوع.
سماؤه الجميلة هي حُقُّ القربان
الذي نريد أن نملأه مختارين! ...

[١٨٩٦/١١/١]

قصيدة ٤١

ي.م.ي.ت

(إلى الأخت سان جان دي لاكروا).

كيف أريد أن أحبّ

مقدمة

استطاعت تريز، بهذه القصيدة، ان تخترق جدار الصمت والانغلاق على الذات، الذي يحجب قلبَ الاخت سان جان دي لاكروا المحبة؛ وذلك بأن دعتها الى تبنّي افعال تريزية، ميزتها العفوية والثقة بالعريس المخلّص الذي يغفر كلَّ شيء للذي يحبه كثيراً.

١ – يا يسوع الإله، أصغِ إلى صلاتي،
أريد أن أُفرحَك بحبِّي؛
تعرف جيداً أني لا اريد أن أرضي إلّاسواك.
تنازل واستجب لأحرّ رغباتي.
اتقبّل محنَ المنفى الحزين،
لأَفتنَك وأعزِّيَ قلبك.
لكن بدّل إلى حبّ كلَّ أعمالي،
يا عريسي، يا حبيبي المخلِّص.

٢ - ما اطالب به، يا يسوع، انما هو حبّك.
ما يجب ان يحوّلني انما هو حبّك.
ضَع في قلبي نارك الآكلة
فاستطيعَ أن أباركَك وأحبَّك.
نعم، سأستطيع أن أحبَّك كما يحبُّونك،
وأباركك كما يفعلون في السماء.
سأحبِّك بهذا الحبِّ عينه
الذي احببتني به، يا يسوع الكلمة الأزلي. (يوحنا ١/١).

٣ - أيُّها المخلِّص الإلهي، في نهاية حياتي،
تعال وخذني، بدون أيِّ تأخير.
آه! أظهر لي حنانك اللامتناهي،
وعذوبة نِظرتك الإلهية.
آه! فليناديني صوتُك بحبّ
قائلاً لي: تعالي، قد غُفِرَ كلُّ شيء. (لوقا ٧/٤٧)
ارتاحي، يا عروستي المخلصة،
تعالي على قلبي، لقد أحببتِني كثيراً.

[نهاية ١٨٩٦]

قصيدة ٤٢

[الطفل في العاصفة]

مقدمة

نُظمت هذه القصيدة بناء على طلب الاخت مريم للقديس يوسف. تتأرجح تريز بين صورة الطفل وصورة العاصفة، على شاكلة من تكتب اليها. وبكلامها الطفولي الرقيق تروّض المزاج العاصف كأم تداعب بحنان «الرأس الصغير الأشقر».

١ – أيُّها الطفل ، إنك تعرفُ اسمي ،
ونظرتُك العذبة تناديني ،
تقول لي : يا تسليماً خالصاً ،
أريد أن اقود قاربَك.

٢ – بيدك الصغيرة ، يدِ طفل ،
آه يا للروعة !
بصوتِك الصغير ، صوتِ طفل ،
تهدِّئ الموجَ الهادر (مرقس ٤/٣٩)
والريح ! ...

٣ – إذا شئتَ أن ترتاح
حينما تزمجر العاصفة ،
تنازل وضَعْ على قلبي
رأسك الصغير الأشقر.

٣ – ما اجملَ ابتسامتك
عندما تكون نائماً! ...

على أعذب ألحاني
أريد أن أهدهدك دوماً بحنان ،
أيها الطفل الجميل !

[كانون الأول / ديسمبر ١٨٩٦]

قصيدة ٤٣

مِطْيَرة (١) الطفل يسوع

مقدمة

نظمت هذه القصيدة عشية ميلاد ١٨٩٦، من اجل الجماعة، وقد شبَّهتها بمطيرة يغنّي فيها كل طير لحنَه. وكما ان الطير لا يزرع ولا يحصد، بل يعيش من قوت الآب السماوي، كذلك الكرمليات في كرملهم، ينلن كلَّ شيءٍ من يسوع، بانتظار الانعتاق والطيران نحو السماء.

١ – للمنفيّين في الأرض
خلقَ الربُّ العصافير
تطير مُزقزقةً صلاتَها
في الوديان وعلى التلال.

٢ – الأطفالُ المَرِحون الطائشون
يختارون طيورَهُم المفضَّلة ،
فيسجنونها في أقفاص
قضبانُها مطليَّةٌ بالذهب.

٣ – يا يسوع ! يا أخانا الصغير،
لأجلنا تترك السماء الجميلة ؛

(١) المِطْيَرة قفصٌ كبير لتربية الطيور الداجنة .

لكنك تعرف جيّداً ، أيُّها الطفل الإلهي ،
أنَّ مِطْيرتك، هي الكرمل.

٤ – قفَصُنا ليس مُذَهَّباً
ومع ذلك فنحن نحبّه ؛
ولن نحلّق ابداً، من بعدُ،
في الغابات والسهل اللازوردي.

٥ – يا يسوع ، إنَّ أَجمات هذا العالم
لا تستطيع أن ترضينا؛
ففي العزلة العميقة
لك وحدك نريد أن نُرَنِّم.

٦ – يدك الصغيرة تجذبنا،
وما أجمل، يا طفلُ، محاسِنَك!
يا يسوع الإله ! إنَّ إبتسامَتَك
تأسِرُ العصافير الصغيرة ! . . .

٧ – النفس البسيطة والبريئة
تجد، هنا، موضوعَ حبِّها ؛
ومثل الحمامةِ الخجولةِ
لم تعد تخشى الكواسر.

٨ – على أجنحة الصلاة
نرى القلب المضطرم يصعد
كالقُبَّرة [٢] الخفيفة
التي تحلِّقُ مرنِّمة.

٩ – هنا نسمع تغريدَ

---

(٢) القبّرة Alouette .

الصَعْوة [٣] والبِرقش [٤] المرح.
أيُّها الطفل يسوع! عصافيرك (متى ٦/٢٦).
تزقزقُ اسمَك في قفصها.

١٠ – العصفور الصغير يغرِّد دائماً
فحياته لا تقلقه.
حبَّةُ ذُرةٍ بيضاء تكفيه (مزمور ١٤٤/١٦)
فهو لا يزرع الأرضَ أبداً.

١١ – نحن مثلةُ في مِطْيَرَتنا،
نتلقّى كلَّ شيء من يدك.
والضروري الاوحد (لوقا ١٠/٤٢)
هي أن نُحبَّك، أيُّها الطفل الإلهي!

١٢ – نرنِّم لذلك، مَدائحَكَ
متّحداتٍ بأرواح السماء النقيّة،
ونعرف أنَّ جميع الملائكة
تحبُّ عصافير الكرمل.

١٣ – يا يسوع، لكي تَمسح الدموع
التي يجعلك الخطأة تذرفُها،
تردِّد عصافيرُك محاسنَك،
وترانيمُها العذبةُ تَكسِبُ لك قلوباً.

١٤ – وعندما ستسمع، ذات يوم، نداءَك،
بعيداً عن الارض الحزينة،
عصافيرُ مِطيرَتِك جميعاً،
ستحلّق نحو السماء.

---

(٣) الصعوة Roitelet. (٤) البِرقش Pinson.

١٥ – مع الكتائب الساحرة،
كتائب صغار الكاروبيم المرحين،
سَنرنِّم ، أيها الطفل الإلهي،
مدائحك في السماوات.

[ميلاد ١٨٩٦]

قصيدة ٤٤

إن كان أحدٌ صغيراً جدّاً
فليأتِ إليَّ (أمثال)

إلى إخوتي الصغار في السماء

مقدمة

تاريخ القصيدة هو ٢٨ كانون الاول/ديسمبر ١٨٩٦، يوم عيد مقتل اطفال بيت لحم او الشهداء الابرياء. في صيف ١٨٩٦ عادت تريز واكتشفت النصوص الجميلة حول الطفولة؛ وفي اثناء رياضتها في ايلول/ستمبر رسمت صورة تذكارية لأخوتها الذين ماتوا اطفالا، ونسخت على ظهر الصورة آيات من الكتاب المقدس. وتذكر ان هؤلاء الاخوة انقذوها من مرض الوسواس. لذلك تلتجئ الى النموذج الاصلي، اطفال بيت لحم، لتخرج من قلق عميق ناتج عن **يديها الفارغتين**؛ لذا يتجدَّد حبُّها وثقتها وتحلم وتتصوَّر كوناً روحيّاً يشعّ نضارةً وضياء.

١ – ايها الاطفال السعداء، بأيِّ حنانٍ (مرقس ١٠/١٧-١٦)
ملكُ السموَّات
بارككم في ما مضى، وغمرَ بالالطاف
جباهكم الفَرِحة!
كنتم صورةَ جميع الأبرياء.
وأستشفُّ

ما يعطيكم ملك الملوك في السماء، من خيرات
بدون قياس.

٢ – لقد تأمّلتم ثروات الفردوس
الطائلة،
قبل أن تعرفوا أحزاننا المريرة،
ايتها الزنابق الصغيرة العزيزة.
ايتها البراعم العَطِرة، التي حصدها الرب
منذ الفجر!
فشمسُ الحبِّ االلطيفة التي عرفت كيف تُفتِّحُكِ
إنما كان قلبه! ...

٣ – ايَّةَ عنايةٍ لا توصف، أيَّ حنانٍ لذيذ
وأيَّ حبّ،
تغدق عليكم بفرح أمُّنا الكنيسةُ
يا أبناء يومٍ واحد! ...
بين ذراعيها الوالديَّين، قدِّمتم لله
بواكيرَ.
طوال الأبدية، ستكونون أطايبَ
السماء الزرقاء الجميلة.

٤ – أيُّها الأطفال، تشكّلون موكبَ الابكار (رؤيا ١٤/٣-٤)
للحمل الوديع.
وبوسعكم أن تردِّدوا نشيداً جديداً؛
يا لها من حظوة مدهشة!
بدون معاركَ قد بلغتُم مجدَ
الفاتحين؛

فالمخلّص قد فاز لكم بالغلبة
أيها المنتصرون الظرفاء!

٥ – لا نرى أبداً حجارةً ثمينة تلمع
في شعوركم؛
فالانعكاس الذهبي في خصيلاتكم الناعمة،
وحده، يخلب السماوات...
كنوزُ المختارين وسعُفُهم وأكاليلُهم
كلُّها لكم؛
أيّها الأطفال، عروشكم النفيسة في الوطن المقدس،
هي رُكَبُهم...

٦ – معاً، تلعبون مع الملائكة الصغار
قرب المذبح؛
وترانيمُكم الطفولية، ايتها الكتائب اللطيفة،
تسحر السماء.
الله يعلِّمكم كيف يكوِّن الورود
والطيرَ والرياح.
ليس من عبقري في الارض يعرف أشياءَ
بقدر ما تعرفون، يا أطفال!...

٧ – اذ ترفعون كلَّ الحُجُب السرّية عن الفضاء
اللازورد،
بأيديكم الصغيرة تأخذون النجومَ
المتلألئة بأنوارها.
في ركضكم تتركون أثراً فِضِّيّاً،
أحياناً، في المساء،

وأظنُّ أنّي أراكم عندما أشاهد في السماء
درب التبَّانة البيضاء .

٨ – الى ذراعي مريم ، بعد جميع أعيادكم ،
تهرعون .
تحت حجابها المرصّع بالنجوم تخبّئون رؤوسكم الشقراء
فتنامون .
جرأتكم الطفولية ، أيُّها العفاريت الصغار الظرفاء ،
تطيبُ للربّ ،
تتجرّأون على مداعبة وجهِه المعبود . . .
يا لها حظوةً ! . . .

٩ – انتم المثال الذي اعطانيه الربّ ،
ايُّها القديسون الأبرياء ! (مرقس ١٠/١٣–١٦)
أريد أن أكونَ في الأرض صورتَكم الأمينة ،
ايها الاولاد الصغار !
آه ! تكرّموا واكسبوا لي فضائل الطفولة .
فبساطتُكم
وتسليمُكم الكامل ، وبراءتُكم اللطيفة ،
تسحر قلبي .

١٠ – يا ربّ ! إنك تعرف ما في نفسي المنفية
من أمنياتٍ حارّة .
اودّ لو أحصد ، يا سوسنة الوادي الجميلة ، (نشيد ٢/١)
زنابقَ نَضِرة !
هذه البراعم الربيعية ، أبحث عنها وأحبّها
حتى أسرَّكَ .

فتنازَل وأسكب عليها ندى العماد،
تعال واقطفها ...

١١ – نعم، أريد أن أزيد كتيبة الابرياء
الناصعة؛
فآلامي وأفراحي أقدمها مقابل
نفوس أطفال.
بين هؤلاء الأبرياء، أطالب بمكانٍ،
يا ملك المختارين؛
مثلهم، أريد في السماء، تقبيل وجهك الوديع،
يا يسوعي! ...

[١٨٩٦/١٢/٢٨]

قصيدة ٤٥

فرحي !

مقدمة

تحت هذا العنوان نظمت تريز قصيدة لأختها الأم انييس ليسوع في يوم عيدها؛ ومع انها تؤكّد فرحها الغامر وسعادتها، إلا اننا نستشفّ من بين السطور ملامح صراعها الباطني المرير في محنة الشك والايمان؛ فتعلن في المقطوعة ٣ «أن فرحها هو ان تختبئ وتنحني»، وان تعمل مشيئة الله. تلك سمات النفس المحبّة، المستسلمة الى مشيئة الله حسب المعلم يوحنا الصليب في **النشيد الروحي** (٢٠-٢١) **وشعلة الحبّ الحيّة**.

١ - هناك نفوسٌ على الأرض
تبحث عن السعادة عبثاً.
اما بالنسبة اليّ، فالأمر عكس ذلك تماماً:
الفرح موجود في قلبي.
هذا الفرح ليس عابراً،
بل أملكه للأبد،
كوردةٍ ربيعية
تبتسم لي كلَّ يوم.

٢ - حقاً سعادتي فائقة،
وأحقِّق دائماً إرادتي...
أيمكنني ألاَّ أكون فرِحَة
وألاَّ أُظهرَ بهجتي؟ ...
فرحي هو أن أحبَّ الألم.
اسكب الدموع مبتسمة؛

وأقبل بعرفانٍ
الأشواكَ تخالط الورود.

٣ – عندما تتكدَّرُ السماء الزرقاء
وتبدو أنَّها تهملني،
فرحي هو أن أبقى في الخفاء،
أختبئ وأنحني:
فرحي هو المشيئة القدوسة،
مشيئة يسوع حبّي الوحيد.
هكذا أحيا بدون أيٍّ خوف،
أُحبُّ الليل حبِّي النهار.

٤ – فرحي، هو أن أمكثَ صغيرة؛
فعندما أسقط في الطريق
أقدر على النهوض بسرعة،
ويسوع يمسكني بيده.
عندئذ أغمره بالالطاف
وأقول له إنَّه كلُّ شيء بالنسبة اليّ.
وأضاعف حناني
عندما يتوارى عن إيماني.

٥ – وإن ذرفتُ الدموعَ أحياناً،
ففرحي، أن أخفيَها تماماً.
آه! كم للألم من سحر،
عندما نعرف ان نحجُبَه بأزهار!
أريد أن أتألم بدون ان أفصِحَ،
حتى يُعزَّى يسوع.

فرحي ، هو أن أراه يبتسم
عندما يكون قلبي في غربة ...

٦ - فرحي، هو أن أصارعَ بدون توقّف
حتى أُنجبَ مختارين،
وأردِّدَ غالباً على مسمعٍ من يسوع
والقلبُ مضطرمٌ حناناً :
«لأجلك ، يا أخي الصغير الإلهي،
«أنا سعيدة بالتألّم ؛
«فرحي الوحيد في هذه الأرض
«هو أن استطيعَ إسعادَك .

٧ - «ما زلتُ اريد أن اعيش طويلاً ،
«يا ربّ ، إنْ كانت هذه رغبتك .
«الى السماء أريد أن أتبعك ،
«إنْ كان ذاك يسرّك.
«الحبّ ، نارُ الوطن تلك ،
«لا يتوقَّف عن إذابتي .
«ما يعني لي الموت أو الحياة؟
«يا يسوع ، فرحي ، هو أن أحبَّك ! » .

[١٨٩٧/١/٢١]

قصيدة ٤٦

ي.م.ي.ت

إلى ملاكي الحارس

مقدمة

قصيدة عفوية تبدو فيها تريز كأنها تعيش في عالم آخر. ورغم ما تشير اليه من معاناة وضعف وعذاب، فإن الفرح لا يفارقها وهي **تنتظر بسلام افراح الحياة الاخرى.**

١ - يا حارسَ نفسي المجيد،
أنت الساطعَ في السماء الجميلة،
كشعلةٍ وديعة نقيّة
بالقرب من عَرش الأزلي،
تنزل إلى الأرض لأجلي؛
واذ تنيرني بسناك
أيها الملاك الجميل، تصبح أخي،
مُعزِّيَّ وصديقي!...

٢ - انت تعرف ضعفي الشديد،
فتقودني بيدك؛
وأراك بحنان
تزيح الحجر عن الطريق.
صوتك العذب يدعوني دائماً
الى أن أنظرَ فقط إلى السَّماوات؛

بقدر ما تراني مُتَضعةً وصغيرةً
بقدر ذلك يشعُّ جبينُك.

٣ - أنت ، يا من يجتاز الفضاء
بأسرعَ من البرق ،
أتوسّل إليك ، حلِّق مكاني ،
بالقرب ممن هم أعزّاءُ عليّ ؛
وبجناحك جفِّف دموعهم؛
رنِّم ما أطيبَ يسوع.
رنِّم أنَّ التألم له محاسن ،
واهمس اسمي خافتاً.

٤ - أريد خلال حياتي القصيرة
أن اخلّصَ إخوتي الخطأة ؛
يا ملاك الوطن البهي ،
هب لي حماستك المقدسة .
ليس لي إلّا تضحياتي
وفاقتي الصارمة ؛
فمع لذّاتك السماوية
قدِّمها إلى الثالوث.

٥ - لك المُلكُ والمجد ،
وثرواتُ ملك الملوك.
لي برشانة الحُقِّ المتواضعة ،
لي كنزُ الصليب.
مع الصليب ومع القربانة ،

بعونك السماوي ،
أنتظر في سلام أفراح
الحياة الأخرى ، التي تدوم أبداً.

إلى أختي العزيزة ماري فيلومين
تذكار من ابنتها الصغيرة
تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس
ر. ك. غ.م.
[كانون الثاني / يناير ١٨٩٧]

قصيدة ٤٧

إلى تيوفان فينار[1]

من كهنة الرسالات الأجنبية
استشهد في تونكان وعمره ٣١ عاماً

مقدمة

تستعيد تريز في هذه القصيدة نبرة قصيدتها عن القديسة سيسيليا، وتكشف عن نيتها الرسولية بأن تذهب الى ارض الرسالات لو سمحت لها صحّتها بذلك. لكن الرغبة الرسولية ما فتئت تكبر حتى رسخت في توقها الى ان تعود الى الارض وتعمل فيها حتى نهاية العالم.

١ – جميع المختارين ينشدون مدائحك
يا تيوفان ! أيها الشهيد الملائكي !
وأعرِفُ ان الساروفيم يتوق
الى خدمتك في الكتائب المقدسة !...
أنا المنفيةَ في الأرض ، أعجز

(١) Téophane VENARD . هو مرسَل شاب استشهد في Tonkin ، وقد أطلعها على سيرته الاب رولان . فنسخت بعض مقاطع من رسائله ، وباحت لأخواتها بأن نفسها شبيهةٌ بنفسه . وقد بقيت صوَرته تشدِّدها في لحظات نزاعها .

عن ضمٍّ صوتي الى أصواتِ المختارين؛
لذا أريد أيضاً، على الضفة الغربية،
أن أمسك كنارتي وأترنمَّ بفضائلك...

٢ – كان منفاك القصير مثل نشيدٍ عذبٍ
نبراتُه تعرف لمسَ القلوب.
وكانت نفسُك الشاعرة تولّد
في كلٍّ لحظة أزهاراً ليسوع.
وبارتفاعك نحو الفَلك السماوي
كانت ترنيمتك الوداعية لا تزال ربيعية،
وكنتَ تتمتم: «أنا العابرَ الصغير»
«سأكون أولَ مَنْ يذهب الى السماء الجميلة!...»

٣ – يا للشهيد السعيد!، في ساعة التعذيب،
كنتَ تتذوّق غبطةَ التألّم؛
التألم لأجل الله بدا لك لذّة،
وعرفتَ كيف تحيا وتموت مبتسماً...
عندما عرض عليك جلّادك
اختصار عذابك، سارعت قائلاً:
«كلما طال عذابي الموجع
ازداد قيمةً وتضاعف سروري!»...[٢]

٤ – أيتها الزنبقة البتولية! في ربيع حياتِكِ
استجاب ملكُ السماء لرغبتك.

(٢) يُروى في السيرة ان الجلّاد وهو احدب قصير القامة سأل تيوفان ماذا يعطيه ليقطع رأسه بسرعة ومهارة؟ لكن رأس الشهيد لم يسقط إلا في ضربة السيف الخامسة.

أرى فيكِ الزهرةَ المتفتِّحة،
قطفها يسوع لِيُسَرَّ بها...
الآن، وقد انتهى منفاكِ،
فالطوباويون معجبون ببهائِك.
يا وردةَ الحبّ، إن العذراء النقيّة
تستنشق نضارة عطرِكِ.

٥ - يا جنديَ المسيح، آه! أعِرْني سلاحَك؛
أريد في الأرض، لأجلِ الخطأة،
أن أصارعَ وأن أتألمَ في ظلِّ سعفاتك.
إحمني، واشدُدْ ذراعي.
لأجلهم، أريد ألاَّ أتوقفَ عن الحرب،
وأن آخذ عنوةً ملكوتَ الله؛ (متى ١١/١٢)
لأنَّ الربَّ لم يحمل إلى الأرض (متى ١٠/٣٤)
سلاماً، بل السيف والنار!... (لوقا ١٢/٤٩).

٦ - أحبُّ أيضاً، هذا الشاطئ الكافر،
الذي صار موضع حبِّك الشديد.
سأطير بسعادةٍ نحوه
اذا ناداني الربُّ، يوماً، إليه...
لكن في نظره، ليس من مسافات؛
فما الكون كلّه الّا نقطةً امامه.
حبِّي الضعيف وآلامي الصغيرة
التي يباركها، تجعله محبوباً في الاماكن البعيدة!...

٧ - آه! ليتني كنتُ زهرةً ربيعية

يودّ الرب لو يقطفها عمّا قليل.
إنزل من السماء في ساعتي الأخيرة،
أتوسل إليك، أيُّها الطوباوي الشهيد!
تعال واضرم فيّ
حبَّك البتولي في هذا المُقام الفاني،
فاستطيعَ أن أحلِّق مع النفوس
التي تشكّل موكبك الأبدي!...

[١٨٩٧/٢/٢]

قصيدة ٤٨

سلاحي

(نشيد نُظم ليوم نذر)

مقدمة

كتبت القصيدة لماري غيران اي الاخت مريم للافخارستيا في يوم نذرها. توحي القصيدة بتوتّر الصراع الذي ما تزال تريز تخوضه في محنتها، حيث تبدو واثقة بالله وبالنفس، كأنها جان دارك فوق المحرقة. وتقتبس من القديس بولس صورة المحارب حامل السلاح، لكن السلاح قد تبدّل: فشِكّة المحارب هي النذور. وحتى النهاية تقرّر تريز الصراع وتموت **السلاح في يدها**.

تسلحوا بسلاح الله، لتستطيعوا مقاومة مكايد العدو. (أفسس ٦/١١).
عروس الملك مرهوبة كصفوفِ تحت الرايات،
إنَّها شبيهة بجوقة موسيقية في معسكر. (نشيد الأناشيد ٦،٣و٧/١).

١ – لقد لبستُ سلاحَ القدير
وتنازلت يدُه الإلهية فزيَّنتني.
من الآن فصاعداً لا شيء يُنذِرني بخطر.

مَنْ يستطيع أن يفصلني عن حبِّه؟ (روم ٨/٣٥)
عندما أثِبُ الى الحلبة بجانبه ،
لن أخشى الحديد ولا النيران ؛
سيعرف أعدائي أنني ملكة ،
وأنني عروسةُ إله!
يا يسوعي ! سأحفظ شِكّتي(١)
التي البسها امام ناظريك المعبودتين. (أفسس ٦/١١)
فحتى مساء الحياة ، ستكون أجملَ زينتي
نذوري المقدسة !

٢ – يا فقرُ ، يا تضحيتي الأولى ،
ستتبعني في كل مكان حتى الموت .
لأنني أعرف ، ان البطل ، كي يعدوَ في السباق
يجب أن يتجرّدَ من كلِّ شيء.
أيُّها الدنيويون ، ذوقوا الندمَ والألمَ ،
ثمارَ غروركم المرّة .
أمّا أنا فأقطف بفرح ، في الحلبة ،
شُعُفَ الفقر.
قال يسوع : **بالجهاد** (متى ١١/١٢)
يؤخذ ملكوتُ السماوات .
إذاً ، سأتخذ الفقرَ رمحاً (أفسس ٦/١٧)
وخوذةً مجيدة.

٣ – العفة تجعلني أختَ الملائكة ،
تلك الأرواح النقية المنتصرة .
آمل أن أحلِّق يوماً في كتائبهم ؛

(١) الشكّة السلاح أو مجمل ما يلبسه المحارب .

أمّا في المنفى فعليَّ أن أصارعَ مثلهم.
عليَّ أن أكافح بلا راحة ولا هوادة،
لأجل عريسي ربّ الأرباب.
فالعفة هي السيف السماوي
الذي يقدر على أن يكسب له القلوب.
العفة هي سلاحي الذي لا يُقهَر،
بها أنتصرُ وعلى أعدائي،
وبواسطتها أصبح، يا سعادةً لا توصف!
عروسةَ يسوع.

٤ – الملاك المتغطرس في حضن النور
هتف: «لن أطيع!». (إرميا ٢/ ٢٠)
اما أنا فأهتف في ليل الأرض:
«أريد أن أطيع في الدنيا دائماً».
أشعر بأن جرأةً مقدّسة تُولَد فيَّ،
فأجابهُ سورةَ الجحيم كلِّها.
الطاعة هي درعي المنيع (أفسس ٦/ ١٤-١٦).
وترسُ قلبي.
يا إله الجنود، لا أريد أمجاداً أخرى (١ملوك ١٩/ ١٠، ١٤)
غير أن أُخضِعَ إرادتي في كلِّ شيء.
ما دام المطيعُ سيردِّد انتصاراته (أمثال ٢١/ ٢٨)
طوال الأبدية.

٥ – إنْ ملكتُ سلاحَ المحارب القادر،
إن قُلِّدْتُه وصارعت ببسالة،
فمثل العذراء، بمحاسِنها الساحرة،
أريد أيضاً أن أرنِّم وأنا أحارب.

إنك تجعل أوتارَ كنّارتك تهتزّ،
وهذه الكنارة، يا يسوع، هي قلبي!
عندئذ استطيع أن أرنِّم (مزمور ٨٨/٢)
مراحمَك وعذوبتها.
أجابه الرشَّاشَ باسمةً،
وبين ذراعيك، يا عريسي الإلهي،
سأموت، في ساحة الوغَى مرنِّمةً
والسلاحُ بيدي!...

[١٨٩٧/٣/٢٥]

قصيدة ٤٩

ي.م.ي.ت

إلـى سيِّدة الـمعونة الدائمة

مقدمة

استوحت تريز موضوع هذه القصيدة من بضعة افكار كانت نتيجةً لرياضة الاخت ماري للثالوث. ماري – لويز كاستل[1] دخلت كرمل ليزيو في سنة ١٨٩٤، وقد أثَّرت فيها أيقونةٌ بيزنطيّة تحت اسم سيّدة المعونة الدائمة، ونظرةُ العذراء السرّية. وفي سنة ١٨٩٧ طلبت معونة العذراء لتستطيع ان تقدّم حياتها ذبيحة من اجل الكهنة. ففي قصيدة تريز تذكير وتشجيع.

مقطع ١ يا أمّي الحبيبة، منذ نعومة صباي،
عرَفْتُ صورتُك الناعمة أن تسحرَ قلبي.
في نظرتك كنت أقرأ الحنان،
وبقربكِ كنتُ أجدُ السعادة.

لازمة يا مريم العذراء، سأذهب بعد المنفى
لأراك دائماً على الضفة السماوية.
لكنَّ صورتَكِ العذبة هي، على الارض،
معونتي الدائمة!...

مقطع ٢ عندما كنت عاقلةً ومطيعةً جدّاً،
كان يبدو لي أنكِ لي تبتسمين.
وإذا كنتُ أحياناً شريرةً قليلاً،
كنت أتصوَّركِ تبكين عليّ.

---

(١) Marie-Louise CASTEL

مقطع ٣ باستجابتك لِصلاتي الساذجة ،
كنتِ تُظهرين لي حبَّك الوالدي.
وعندما كنت أتأمَّلك، في الأرض ،
كنتُ أتذوَّق مسبقاً نعيم السماء.

مقطع ٤ عندما أصارع ، يا أمّي الحبيبة ،
تشدِّدين قلبي في المعركة .
لأنَّك تعرفين أنَّني ، في مساء هذه الحياة ،
أريد أن أقدّم كهنةً للرّب ! . . .

مقطع ٥ دائماً ، دائماً ، يا صورة أميّ ،
نعم ، ستكونين سعادتي وكنزي.
إني أودّ في ساعتي الأخيرة
لو يبقى نظرك محدِّقاً إليّ.

لازمة اخيرة وعندما أطير إلى الضفة السماويّة
سأذهب لأجلسَ ، يا أمُّ ، على ركبتيك .
وأستطيع، عندئذ بدون اقتسام ،
أن أتلقى قبلاتك الكثيرة العذوبة ! . . .

ذكرى رياضة مباركة – آذار / مارس ١٨٩٧
(تريز الطفل يسوع إلى أخيّتها).

قصيدة ٥٠

إلى جان دارك

[أيار/ مايو ١٨٩٧]

مقدمة

عودة الى جانّ دارك، والدافع هو خدعة ليوتاكسيل الذي استعمل صورة تريز ليسخر منها ومن الكاثوليك. فالخيانة والسخرية اصابت تريز في شخصية جان دارك. ومع ذلك تعبّر تريز عن قوّة وثبات، ووعيٍ لأهمية الالم والموت بالنسبة الى حبّها ورسالتها.

١ - عندما وهب لكِ النصرَ إلهُ الجنود، (١ ملوك ١٩/١٠-١٤)
فطردتِ الأجنبي وكرّستِ المَلِك،
أصبح اسمُكِ، يا جانّ، مشهوراً في التاريخ،
وكبارُ فاتحينا بَدوا أمامكِ شاحبين.

٢ - لكنّ نصركِ لم يكن، بعدُ، إلّا مجداً عابراً؛
كان اسمُك يحتاج الى هالة القديسين.
لذلك قدَّم لك الحبيبُ كأسه المُرّة، (متى ٢٠/٢٢-٢٣)
ورَذَلكِ البشرُ كما رذلوه.

٣ - جرّعك الأجنبيُّ الفظُّ أوجاعاً،
وأنتِ في قاع زنزانة مظلمة، مثقلةً بالسلاسل.
لا أحدَ من أصدقائك شاركَكِ الآلام،
ولا أحدَ تقدَّمَ ليمسَحَ دموعَك.

٤ - تبدين لي، يا جانّ، أكثر إشعاعاً وجمالاً
في سجنك المظلم، منه في تكريس مَلِكك.

هذا الانعكاس السماوي للمجد الأبدي
مَنْ حَمَله إليكِ؟ إنَّها الخيانة.

٥ – آه! لو لم يكن إله الحبِّ قد أتى (مزمور ٨٣/٧)
ليبحثَ عن الخيانة والموت في وادي الدموع،
لضاعَ سحرُ الألم بالنسبة الينا؛
إننا نحبّهَ الآن، فهو كنزنا.

قصيدة ٥١

ي.م.ي.ت

١٩ أيار / مايو ١٨٩٧

وردة منزوعة الاوراق

مقدمة

لهذه القصيدة قصّة فريدة. كانت احدى الكرمليات في باريس قد سمعت بموهبة تريز الشعرية، فأرادت ان تمتحن هذه الموهبة الغنيّة، وعرضت موضوع القصيدة. ولما قرأت قصيدة تريز استدركت أن القصيدة تنقصها مقطوعة حيث يظهر الله وقد اعاد جمعَ وريقات الوردة لتسطع مدى الابدية. فأجابت تريز: «لتنظم الام المقطوعة كما تريد، فأنا لا تطاوعني قريحتي على نظمها. رغبتي هي في أن تُنزعَ اوراقي الى الابد، كي تُسِرَّ الله، لا أكثر ولا اقلّ». وبالفعل، فالقصيدة توحي باستعداد تريز للانحلال بالموت: قواها تخور، آلامها تزداد، مرضها يشتدّ؛ ولا تستطيع ان تقومَ الا بشيء واحد ارضاء لله: ان تموت حبًا.

١ – يا يسوع، عندما أراك تسندُك أمُّك،
تترك ذراعيها،
تحاول، مُرتجِفاً، أن تخطو على أرضنا الحزينة
أولى خطواتك،

أمامك اودّ لو أمرِّدُ[(١)] وردةً
في أوان نضارتها ،
حتى ترتاح قدمُك الصغيرة ، بكلِّ هدوء ،
على زهرة ! ...

٢ – هذه الوردة المرداءُ ، أيها الطفل الإلهي ،
هي الصورة الأمينة
لقلبٍ يريد إن يضحّي بذاته بدون اقتسام
في كل لحظة .
يا ربّ ، أكثرُ من وردة نضرة تحبّ أن تتألّق
على مذابحك ؛
إنها تهب ذاتها لكَ ... لكنّي أحلم بشيء آخر :
« أن أنتزع وريقاتي !... »

٣ – للوردةِ ، في روعتِها ، أن تُجمِّلَ رأسك ،
أيُّها الطفل المحبوب ،
امّا الوردة العارية فتُرمى ببساطة
في مهبِّ الريح .
الوردةُ المُرداءُ ، بلا تكلّفٍ ، بنفسها تجود
كي تزول من الوجود .
مثلها ، أستسلم اليك ، بسعادة ،
أيها الطفل يسوع .

٤ – تُدَاس ، بغير تأسُّفٍ ، اوراقُ الورود
وهذا الحُطام
هو زينةٌ بسيطةٌ بغير فنٍّ تقام
لقد فهمت المقصود .

(١) مرّدّ نَزَع اوراق الشجر والاغصان ، والمراد هي المورقة او المنزوعة الاوراق (ش . ر .).

يا يسوع ، لأجل حبِّكَ بذلتُ حياتي
ومستقبلي ،
وبنظر البشر ، سوف اموت وردةً
ذابلةً للأبد !...

٥ – لأجلك ، يجب أن أموت ، يا طفلُ ، يا جمالاً فائقاً !
يا للَحظ السعيد !
– أريد ،بنزع أوراقي ، أن أُثبتَ لكَ حبّي
يا كنزي ! ...
تحت خطواتك الطفولية ، أريد بسريّة ،
أن أعيش في الأرض .
وأريدُ ، أيضاً ، أن ألطِّف على الجلجلة
خطواتك الأخيرة ! ...

قصيدة ٥٢

ي.م.ي.ت

٣١ أيار/ مايو ١٨٩٧

الاستسلام هو ثمرة الـحبِّ اللذيذة

مقدمة

في هذه القصيدة المكتوبة لأجل الاخت تريز للقديس إغسطينوس صور ورموز جريئة محورها الاستسلام. إنه ثمرة شجرة الحبّ التي تغرس جذُورها في السماوات . وهذه الثمرة تعطي الحياة بدل شجرة الموت التي أعطت آدم الموت. ولذلك لا يزول استسلام تريز إن غاب يسوع او نام: هي ايضاً ستنام مبتسمة.

١ - هناك على الارض
شجرةٌ رائعة
جذورها ، يا للسرّ !،
مغروسةٌ في السَّموات ...

٢ - لا شيء ، تحت ظلِّها ، **(نشيد الأناشيد ٢/٣)**
يسبِّب جراحاً ؛
هناك لا نخشى العاصفة ،
ويُمكننا ان نستريح.

٣ - هذه الشجرة الفائقة الوصف
اسمُها الحبّ ،
وثمرتُها الشهيّة
تُدعى الاستسلام.

٤ – هذه الثمرة ، منذ هذه الحياة ،
تهب لي السعادة ،
ونفسي جذلى
بطيبها الإلهي .

٥ – عندما ألامس هذه الثمرة
تبدو لي كنزاً.
وإن حملتها إلى فمي
كانت لي اكثرَ حلاوةً . (نشيد الأناشيد ٢/٣)

٦ – تمنحني في هذا العالم
اوقيانسَ سلام .
في هذا السلام العميق
أرتاح للأبد . . .

٧ – الاستسلام وحده يدفعني
إلى ذراعيك ، يا يسوع .
وحدَه ، يجعلني أحيا
حياةَ المختارين.

٨ – اليك أستسلمُ
يا عريسي الإلهي ،
ولا أطمح الّا
الى نظرتك الشديدة العذوبة.

٩ – أريد، أنا ، أن أبتسمَ لك ،
نائمةً على قلبك.
وأريد أن أردِّد، بعدُ،
أنني أحبُّك ، يا رب !

١٠ – مثل زهرة اللؤلؤ[١]
بكأسها القرمزي ،
أنا ، الزهرةَ الصغيرةَ ،
أتفتَّح في الشمس.

١١ – شمسُ حياتي العذبة،
يا ملكي المحبوب ،
هي قربانتُك الإلهية
الصغيرةُ مثلي . . .

١٢ – شعاعُ شعلتك
السماويةِ المضيء ،
يوِّلد في نفسي
الاستسلامَ الكامل.

١٣ – كلُّ الخلائق
يمكنها أن تتركَني ،
سأعرف بدون تذمّر
كيف أستغني عنها بقربك.

١٤ – وإن أهملتني
يا كنزي الإلهي ،
وحُرمتُ ألطافَك ،
سأظلّ أبتسم.

١٥ – بسلامٍ ، أريد انتظار
عودتك ، يا يسوعَ الوديع؛

(١) اللؤلؤ Pâquerette .

وبدون أن أوقف أبداً
أناشيدَ حبِّي.

١٦ - لا ، لا شيء يُقلقني ،
لا شيء يستطيع أن يكدِّرني ؛
فنفسي تعرف التحليق
أعلى من القُبَّرة.[٢]

١٧ - فوق الغيوم
السماء ، دوماً ، زرقاء ،
فنلامس الضفافَ
حيث يملكُ الله.

١٨ - أنتظر في سلامٍ
مجدَ المقرّ السماوي.
لأنني أجد في الحُقِّ
ثمرة الحبِّ الحلوة.

(١) القبَّرة L'Alouette .

قصيدة ٥٣

لأجل ماري للثالوث

[أيار/مايو ١٨٩٧]

مقدمة

امام اعتراف الاخت ماري للثالوث بضعفها، وجدت تريز انها مرشّحة لقبول عمل الحبّ المحوِّل. فاستفادت من بعض الاحداث في حياة الفتاة الباريسية لكي تكشف لها عمق الحبّ الالهي وتثير فيها مشاعر العرفان بالجميل والفرح والثقة.

١ – قد اخترتني يا ربُّ، منذ نعومة طفولتي
ويمكنني أن أُدعى صَنيعَ حبك...
أودُّ، يا إلهي! في عرفاني بالجميل،
آه! اوَدّ لو استطيع أن أبادلِكَ الصنيع!...
يسوع، يا حبيبي، ما هذا الامتياز؟
انا العدمَ الصغير المسكين، ماذا صنعتُ لك؟
وأراني موضوعةً في الموكب الملكي
بين عذارى بَلاطك، أيُّها الملك الإلهي المحبوب!

٢ – يا للأسف! لستُ الا الضعفَ عينه؛
أنت تعرف، يا إلهي! أن ليس لي فضائل...
لكنَّك تعرف، أيضاً، أن الصديق الوحيد الذي أحبّه،
والذي خَلَبَ لبِّي، هو أنتَ، يا يسوعي الوديع!...
عندما اضطرمت، في قلبي الشاب، هذه الشعلة
التي تدعى الحبّ، أتيتَ تطالبُ بها...
وأنتَ وحدك، يا يسوع! استطعت أن ترضيَ نفساً
كانت بحاجة الى أن تُحِبّ حتى اللانهاية.

٣ — كحَمَلٍ صغيرٍ بعيدٍ عن الحظيرة
كنت ألعب بمرحٍ ، وأجهل الخطر.
لكن ، يا ملكةَ السموات ! ، يا راعيتي الحبيبة ،
يدُك غير المنظورة كانت تعرف كيف تحميني.
هكذا بينما كنت ألعبُ على حافة الهوّات ،
كنتِ تُرينني ، منذئذ ، قمّةَ الكرمل ؛
وحينها فهمتُ اللذائذَ القاسية
التي يجب أن أحبّها لأطير الى السماء.

٤ — إن كنتَ يا رب ، تحبُّ نقاء الملاك ،
هذا الروحِ الملتهبِ السابحِ في اللازورد ،
ألا تحبُّ أيضاً ، الزنبقةَ الطالعة من الوحول ،
التي عرف حبُّك كيف يحفظها نقيّة؟
إن كان سعيداً ، يا إلهي ، الملاكُ ذو الجناح القرمزي ،
الذي يبدو أمامك متلألئاً بالنقاء ،
ففرجي ، منذ هذه الأرض ، يشابه فرحه ،
إذ إنني أملك كنزَ البتولية ! ...

قصيدة ٥٤

ي.م.ي.ت

أيّار / مايو ١٨٩٧

لـماذا أُحبُّكِ ، يا مريم !

مقدمة

في أثناء مرضها الاخير باحت لأختها سيلين بأنَّ ما زال عليها عمل يجب ان تقوم به قبل وفاتها: « لقد حلمت دوماً بأن اكتب نشيداً اعبرّ فيه للعذراء عن رأيي فيها». ولكي تقول الامور بموضوعيه فتحت الانجيل تقرأ حياة العذراء، تتعلّم وتفهم بقلبها. فجاءت قصيدتها الكبرى ثمرةَ تفكيرٍ وصلاة كأنها نشيد ليترجي يختم أعمالها الشعرية.

١ – آه ! أريدُ أن أُنشدَ ، لماذا أحبُّكِ ، يا مريم .
لماذا يهتزّ قلبي لدى سماع اسمك الشديد العذوبة .
ولماذا التفكير في عظمتك الفائقة
لا يبعث في نفسي الخوف .
إذا تأملتكِ في مجدك السامي ،
تفوقين إشراقاً جميعَ الطوباويين
لا أستطيع التصديق أنني ابنتك ،
بل أمامك ، يا مريم ، أُخفض عينيّ ! ...

٢ – حتى يستطيعَ طفلٌ أن يحبَّ أمه
يجب أن تبكيَ معه ، وأن تقاسمَه أوجاعَه .
يا أمي الحبيبة ، على الضفة الغريبة ،
كم ذرفتِ دموعاً لتجذبيني إليكِ !...
أتأمّل حياتك في الإنجيل المقدس،

فأتجرّأ على النظر إليك والاقتراب منك.
لا يصعب عليَّ التصديقُ أنني ابنتُكِ،
لأنني أراك تموتين ومثلي تتألَّمين...

٣ – عندما عرض عليك ملاكُ السماء ان تكوني والدة (لوقا ١/٣١-٣٣)
الإلهِ الذي سيملكُ أبد الدهرِ،
رأيتُكِ تُفضِّلين، يا مريم، يا له من سرٍّ!
كَنزَ البتولية الفائقَ الوصف.
أفهم أن تكونَ نفسُك، أيتها العذراء الطاهرة،
أغلى على الربِّ من المُقام الإلهي.
أفهمُ أن نفسكِ، الوادي المتواضع والوديع، (متى ١١/٢٩)
تستطيع أن تحتويَ يسوعَ، مُحيطَ الحبّ!...

٤ – آه! أحبُّك، يا مريم، عندما تسمِّين ذاتَكِ (لوقا ١/٣٨)
أمةَ الربِّ الذي تسحرينه باتِّضاعك.
هذه الفضيلة المحجوبة تجعلكِ كليَّةَ القدرة،
وتجذبُ إلى قلبك الثالوث القدوس.
وعندها ظلّلك روحُ الحبّ، (لوقا ١/٣٥)
فتجسَّدَ فيك الابن المُساوي للآب. (يوحنا ١/١٤)
وسيكون عدد إخوته الخطأة كبيراً جداً
إذ إنَّه علينا أن نناديه: يسوع، ابنك البكر!.. (لوقا ٢/٧)

٥ – أيتها الأم الحبيبة، بالرغم من حقارتي،
مثلُكِ أمتلكُ فيّ الكلّيَّ القدرة.
لكني لا أرتجفُ لرؤيتي ضعفي:
فكنزُ الأم يؤول إلى ابنتها.
وأنا ابنتك، يا أمِّي الحبيبة،
ففضائلكِ، وحُبّك، أليست لي جميعها؟

وعندما تنزلُ في قلبي القربانةُ البيضاء
يعتقد يسوع ، حَمَلُكِ الوديع ، أنَّه يرتاح فيكِ ! ...

٦ - جَعَلْتِني أشعرُ بأن ليس مستحيلاً
السيرُ على خطواتك ، يا ملكةَ المختارين. (متى ٧/١٤)
طريقُ السماء الضيِّق جعلتهِ منظوراً ،
إذ مارستِ باستمرار أوضعَ الفضائل.
بالقرب منكِ ، يا مريم ، أحبّ البقاء صغيرة ،
وأرى تفاهةَ عظائم الأرض.
عند القديسة اليصابات ، المستقبلة زيارتَكِ ، (لوقا ١/٣٩- ٤٠)
أتعلَّمُ ممارسة المحبّة الحارَّة.

٧ - هناك أُصغي مفتونةً ، يا ملكة الملائكة الوديعة ،
إلى النشيد المقدس الذي انبثق مِنْ قلبك ؛ (لوقا ١/٤٦-٥٥)
فتُعلِّمينني أن أُرنِّمَ المدائحَ الإلهية ،
وأن أتمجَّدَ في يسوع مخلِّصي.
كلماتُ حبِّك هي ورودٌ سريَّة
سوف تطيِّبُ الدهورَ الآتية.
وفيكِ صنَع الكليُّ القدرة عظائمَ ،
أريد التأمل فيها لكي أباركه.

٨ - عندما كان يوسف البار يجهل الأعجوبة (متى ١/١٩)
التي أردتِ حجبها في اتضاعك ،
تركتِه يبكي بالقرب من بيت القربان
الذي يحجب جمالَ المخلِّص الإلهي ! ...
آه ! كم أحبّ ، يا مريم ، صمتَك البليغ ،
إنه في نظري نغمٌ عذبٌ وشجيٌّ ،
يحدّثني عن عظمةٍ وقدرةٍ كلّية

تنعم بهما نفسٌ لا تنتظر العونَ إلَّا من السَّماوات...

٩ - واراكما فيما بعدُ، يا يوسف ويا مريم!
قد طردَكُما في بيت لحم جميعُ السكان.
لا أحد يريد أن يستقبلَ في مضافته،
فقيرَين غريبَين، فالمكان هو للعظماء...
المكان هو للعظماء، إنَّما في زريبة،
وجبَ على ملكة السَّماوات أن تلدَ إلهاً. (لوقا ٢/٧)
يا أمّي الحبيبة، لكم أجدكِ لطيفة،
لِكم أجدُكِ كبيرةً في مكانٍ حقيرٍ حقير!...

١٠ - عندما أرى الأزليَّ ملفوفاً بالأقمطة، (لوقا ٢/٧)
وعندما اسمع صرخة الكلمة الإلهي الضعيفة، (يوحنا ١/١)
يا أمّي الحبيبة، اكفّ عن حسد الملائكة،
لأنَّ ربَّها القادر هو أخي الحبيب!...
كم أحبُّك، يا مريم، أنتِ التي، على ضفافنا،
جعلتْ هذه الزهرة الإلهية تتفتَّح!... (نشيد الأناشيد ٢/١)
كم أحبّك مصغيةً إلى الرعاة والمجوس،
تحفظين بعناية كلَّ أمرٍ في قلبك!... (لوقا ٢/١٩).

١١ - أُحبّك تختلطين بالنساء الأخريات
اللواتي توجَّهن نحو الهيكل المقدس.
أُحبّك تقدِّمين مخلِّصَ نفوسِنا
إلى الشيخ البار الذي شدَّه بين ذراعيه.
في البدء أُصغي باسمةً إلى نشيده؛
لكن، بعد قليل، نبراته تجعلني أذرف الدموع.
إذ سمَّر في المستقبل نظره النبوي
قدَّم لكِ سمعانُ سيفَ الأوجاع.

١٢ – يا ملكة الشهداء، حتى مساءِ حياتك،
سيفُ الأوجاع هذا سينفذ في قلبك. (لوقا ٢/٢٢–٣٥)
الآن، عليك ان تتركي أرضَ وطنك (لوقا ٢/ ١٣–١٥)
حتى تَتَجنَّبي سورة غضبِ الملك.
وبينما يسوع نائم بسلام في ثنايا طرحتِكِ،
أتى يوسف يسألك الرحيلَ على عجل.
فانكشفت طاعتك فوراً،
بدون أيِّ تأخير وبدون نقاش.

١٣ – على أرض مصر، يبدو لي، يا مريم، (متى ٢/١٣–١٥)
أنَّ قلبكَ في الفقر ظلَّ فرحاً.
أفليس يسوع هو الوطن الأجمل،
ما لَكِ وللمنفى، وأنتِ تملكين السموات؟...
لكن، في أورشليم، جاء حزنٌ مرير،
كمحيط شاسع، يغمرُ قلبك: (لوقا ٢/٤١–٥٠)
يسوع توارى عن جنانك لثلاثة ايام،
إنَّه المنفى، عندئذ، بكل صرامته!...

١٤ – أبصرتِه أخيراً فتهلَّلتِ فرحاً. (لوقا ٢/٤٨–٥٠)
وقلتِ للولد الجميل، الساحر العلماء:
يا بنيَّ، لِمَ صنعت بنا هكذا؟
فأنا وأبوك كنا نبحث عنك دامعَين.
فأجاب الابنُ الإله (آه! يا للسرِّ العميق!)
الأمَّ الحبيبةَ التي تبسط إليه ذراعيها:
لِمَ تبحثان عنّي؟... بأعمال أبي
عليَّ أن أنشغل: أفلا تعلمان؟

١٥ – يعلّمني الإنجيل أنَّ يسوع بقي طائعاً (لوقا ٢/٥١– ٥٢)

ليوسف ومريم، وهو يزداد حكمةً.
وقلبي يكشف لي بأيِّ حنان
كان طائعاً دائماً لوالديه الحبيبَين.
الآن، أفهم سرَّ الهيكل،
وكلماتِ ملكي اللطيف الخفيّة.
يا امُّ، طفلك الوديع يريدك قدوةً
للنفس التي تطلبه في ليل الإيمان.

١٦ – بما أنَّ ملكَ السموّات شاء أن تُزَجَّ أمُّه
في الليل، وفي قلق القلب،
أفلا يَحسن، اذاً، يا مريم، أن نتألَّمَ في الأرض؟
نعم، أن نتألَّم ونحن نحبّ، فتلك هي السعادة!...
كلُّ ما أعطاني يسوع يستطيع أن يستعيدَه.
قولي له ألاَّ يكلِّفَ نفسه معي أبداً...
يستطيع أن يحتجَب حقًّا، فأنا راضيةٌ بانتظاره
الى اليوم الذي لا غياب فيه حيث سينطفئ إيماني...

١٧ – أعرف أنَّكِ في الناصرة، أيتها الأم الممتلئة نعماً، (لوقا ١/٢٨)
عشتِ بفقر شديد، لا شيء آخر تريدين.
لا اختطافات، لا أعاجيب، ولا انخطافات
تُجمِّلُ حياتَك، يا ملكة المختارين!...
عدد الصغار كبيرٌ جدًّا على الأرض،
ويستطيعون، بدون إرتجاف، أن يرفعوا عيونهم إليكِ.
فعبر الطريق المشترك، يا أمًّا لا تضاهى!
يرضيك أن تمشي لتقوديهم إلى السَّماوات.

١٨ – بانتظار السماء، يا أمي الحبيبة،
أريد أن أحيا معك، أن أتبعك كلَّ يوم.

وإذ أتأمَّلك ، يا أمُّ ، أغوصُ مذهولةً ،
وأكتشفُ في قلبك أغواراً من الحبّ.
نظرتُك الوالدية تطردُ كلَّ خوف ،
تعلّمني أن أبكي ، تعلّمني أن أفرح.
وبدل أن تحتقري الأفراحَ النقيّة والمُقدسة ،
تريدين المشاركة فيها ، وتتنازلين بمباركتها.

١٩ - عندما رأيتِ قلق عروسَيْ قانا **(يوحنا ٢/١-١١)**
اللذين لم يستطيعا إخفاءه ، لنفاد الخمر ،
قلتِ ذلك للمخلِّص بدافع اهتمامك ،
راجيةً معونةَ قدرته الإلهية.
بدا يسوع ، أولاً ، رافضاً التماسك ،
فأجاب : **مالي ولكِ ، يا امرأة ؟**.
لكن في صميم قلبه ، دعاكِ أُمَّه ،
وأولى آياته ، صنعَها لأجلك ...

٢٠ - حين كان الخطأة يوماً يسمعون **(متى ١٢/٢٤-٥٠)**
تعليمَ الذي كان يودّ استقبالهم في السماء ،
وجدتُكِ يا مريم معهم ، على التّلة ،
وقال أحدُهم ليسوع : إنَّكِ تريدين رؤيته .
عندئذ ، وأمام الجموع بكاملها ،
أظهرَ ابنُك الالهي مدى حبِّه لنا ،
فقال : **مَنْ أُمِّي ومَنْ إخوتي**
إنْ لم يكُن من يعمل بمشيئتي؟

٢١ - أيتها العذراء النقية ، يا أحنَّ الأمهات ،
لم تحزني لسماعِكِ يسوع .
لكنّك فرحتِ بأنَّه جعلنا نفهم

أن نفسَنا تصبح عائلته على الأرض.
نعم لقد فرحتِ بأنَّه وهبَنَا حياته،
وكنوزَ ألوهيته اللامتناهية!...
كيف لا نحبُّه، يا أمي الحبيبة،
حينما نرى هذا القدر من الحبّ والاتضاع؟

٢٢ - تحبِّيننا، يا مريم، كما يحبُّنا يسوع، (يوحنا ١٣/٣٤)
وتقبلين بأن تبتعدي عنه لأجلنا.
من يُحبُّ يُعطي كلَّ شيء، بل يعطي ذاته.
وشئتِ ان تبرهني على ذلك ببقائكِ لنا سَنَداً.
لقد كان المخلِّصُ يعرفُ حنانك الفائق،
وكان يعرف أسرار قلبك الوالدي.
يا ملجأَ الخطأة، إليك عَهِدَ بنا، (يوحنا ١٩/٢٧)
عندما ترك الصليب لينتظرنا في السماء.

٢٣ - يا مريم، تبدين لي، على قمة الجلجة (يوحنا ١٩/٢٥)
واقفةً عند الصليب مثل كاهنٍ على المذبح؛
تقدّمين، حبيبَك يسوع، عمانوئيل الوديع... (متى ١/٢٣)
حتى تسكّني عدالة الآب...
ذاك ما قد قاله احدُ الانبياء، أيتها الأم الملتاعة،
ما مِنْ وجعٍ يضاهي وجعَك! (مراثي ١/١٢)
يا ملكةَ الشهداء، بِبقائك منفيةً،
تُريقين لأجلنا كلَّ دم قلبك!

٢٤ - بيتُ القديس يوحنا أصبحَ ملجأك الوحيد؛ (يوحنا ١٩/٢٧)
كان على ابن زَبَدى أن يحلَّ محلَّ يسوع...
إنَّه آخر تفصيل يعطيه الإنجيل،
وما عاد يكلِّمني على ملكة السماء.

لكن صمته العميق، يا أمِّي الحبيبة،
ألا يكشفُ عن أنَّ الكلمة الأزلي (يوحنا ١/١)
شاء بذاته أن يُرنِّم أسرارَ حياتك
حتى يسحرَ أولادَك، جميعَ مختاري السماء؟

٢٥ - عمَّا قليل سأسمعُ تلك النغمة الشجية؛
عمَّا قليل سأذهب لأراك في بهاء السماء؛
يا من جاءت وابتسمت[1] لي في صباح الحياة،
تعالي وابتسمي لي أيضاً... يا أمُّ... ها هوذا المساء!...
لم أعد أخاف سناءَ مجدك السامي،
فمعك تألمتُ؛ وأريد الآن،
أن أرنِّم على ركبتيك، يا مريم، لماذا أحبُّك،
وأردِّدَ إلى الأبد أنني ابنتك!...

الصغيرة تريز

(١) ذكرى عذراء الابتسامة في ١٣/٥/١٨٨٣. ولما نزلت تريز إلى غرفة المرضى استقبلتها عذراء الابتسامة؛ وستشخص تريز إلى هذا الوجه قبيل موتها.

قصائد إضافية

هذه المجموعة الصغرى، هي قصائد لم تُنشر في الطبعات الأولى لمؤلّفات القديسة تريز الطفل يسوع. ونجد فيها ثماني محاولات شعرية هي آخر ما خطّ قلم تريز. يغلب عليها طابع الحبّ المستسلم والحنان الدافق. ولا تخلو أحياناً من دعابة وظرف. في تلك الأشهر الاخيرة، كانت قواها تخور، وكل ما يمكن فعله هو رؤيتها تتألم، وتبتسم، وتختنق وتبكي (المحاورات الاخيرة).

قصيدة إضافية ١

[هدايا المجوس]

مقدمة

يعود تاريخ هذه القصيدة إلى السادس من كانون الثاني / يناير من سنة ١٨٩٥ أو ١٨٩٦، موضوعها تأمل في سرّ التجسد وصورة يسوع الطفل الفقير المعدَم، الذي يستعد لمستقبل الهالة الدامية وما تعنيه من عذاب وهوان. القصيدة غير مكتملة. وتنمّ عن مهارة في النظم وفَرادةٍ في بعض الصور الشعريّة وجرأة في العبارات.

١ – أيها الإله المحجوب تحت ملامح الطفولة،
إني أرى فيك ملكَ السماوات.
أستشفّ عظمتك وقدرَتَك
في الألَقِ اللطيف الساطع في عينيك.
لو شئتَ لأتَتْ ألفٌ من جوقات الملائكة
تكوِّن بلاطَكَ، تلبيةً لندائك،
تبذُرُ نجومَ الذهب في قماطِك الوضيع،
وترنِّمُ حبَّك الفائق الوصف.

لازمة ١ أرى على الضفَّة الغريبة
إلهي وأخي ومخلّصي
لا يزال عن الكلام قاصرا،
ولا يملك صولجاناً ولا كنزا.
أسجدُ لهذا السرّ العميق،
وأقدِّم لك ذهبي، يا مَلكي الإلهي.

٢ – تأتي إلى هذه الأرض، يا ملكَ السماء،
لتخلِّص أخاك الجنسَ البشري.

آه ! أودُّ لو أتألّم حبّاً بك .
وبما أنّك تشاء أن تموت يوماً لأجلي ،
سأقدِّم لك رمزَ أوجاعك .
وعندما أرى تسطَعُ هالتك الدامية ،
لكمّ أودّ ، آه ! لو أكسب لكَ كلَّ القلوب ،
كي أمسحَ دموعَك ، يا يسوع الإله .

لازمة ٢ تقبَّل المرَّ ، يا ملك السماء ،
ما دمت تشاء أن تصير بشرا .

(غير مكتملة)

قصيدة إضافية ٢

[نجمٌ في المشرق]

مقدمة

اول بيت من هذه القصيدة الصغيرة يُظهر أنها نظمت بمناسبة عيد الغطاس ، وهو في الليترجيا الرومانية تذكار مجيء المجوس . فيُرَجَّح تاريخُها في السادس من كانون الثاني / يناير ١٨٩٥ او ١٨٩٦ .

١ – ظهر نجمٌ في المشرق
وتبعنا مسيره المجهول .
كوكبٌ مباركٌ يكشفُ ضوءُه
ملكَ السماوات مولوداً على الأرض .

٢ – السماء تحمينا
وموكبُنا
يتحدّى المطَر والثلج

فيتبع الكوكبَ الساطع .

٣ – ليستعدّ كلٌ منّا
فالنجم قد توقّف !
لندخل جميعاً باحتفال
ونسجد للطفل !

قصيدة إضافية ٣

[منذ خمسين سنة]

مقدمة

نظمت تريز هذه القصيدة للأخت سان ستانيسلاس ، « عميدة الكرمل » بمناسبة مرور خمسين عاماً على دخولها او على اتشاحها بالثوب الرهباني في ١٥/ ١/١٨٤٦ . وفي السنة التالية ألّفت تريز مسرحيتها الأخيرة ستانيسلاس كوستكا بمناسبة اليوبيل الذهبي لنذورها الرهبانية . وفي العمَلَين حاولت تريز إبراز ملامح من شخصية هذه الراهبة وخاصّة محبّتها الاخويّة التي نالت إجماع الجماعة .

١ – منذ خمسين سنة ، على الأرض ،
وأنت تُعطِّرين بفضائلك
ديرَنا الصغير المتواضع ،
قصرَ ملك المختارين .

لازمة لِنُرنِّم ، لنرنِّم الدخول السعيد ،
دخولَ عميدة الكرمل ؛
قلوبُنا كلُّها تحبُّها
كأنها هديّة سماوية ظريفة .

٢ – لقد استقبلَتْنا جميعاً

عند دخولنا هذا المُقام؛
ونعرف جيِّداً مكارمَكِ
وحبَّك الحنون.

٣ - عمَّا قليل يحلُّ عيدٌ أجمل
يفرّح قلوبنا كلَّها،
فنضع على رأسَكِ،
مرنِّماتٍ، أزهاراً جديدة.

قصيدة إضافية ٤

الثواب هو السماء

مقدمة

يعود تاريخ هذه القصيدة الساخرة إلى تموز / يوليو ١٨٩٦. هي منسوخة بخط تريز، لكن الأرجح ان تريز شاركت المبتدئات في تأليف هذه القصيدة المرحة لحثِّهنَّ على السخاء في اتِّباع نظام الكرمليّة اليومي، لأن «السماء هي المكافأة».

وفي القصيدة إلماح إلى تفاصيل تاريخية دقيقة في حياة كرمل ليزيو، كنوع الأكل، وأثاث الغرفة والاعمال اليدوية وجو المرح الذي يغمر الجماعة كلَّها.

١ - الثواب هو السماء.
المطرقة [١] الرنّانة
التي تسبق الفجر
تجعلني أقفز من السرير.

٢ - حالما نستيقظ
نرى روائع أخرى،
غيرَ روائع باريس.

(١) ناقوس خشبي يُحَرَّك بقوّة فيثير ضجَّةً لإيقاظ الراهبات.

٣ – في صومعتي الحقيرة
ليس لي ستائر الشِفّ [٢]
ولا مرآة ولا سجاد .

٤ – لا شيء، لا طاولة ولا كرسي ؛
والسعادةُ هنا
بألَّا أكون كما يحلو لي .

٥ – ألمح بدون إنذار
سلاحي البرّاق ،
وأحبّ صليله .

٦ – لي التضحية
لي الصليب والسلاسل والمِسح [٣]
تلك سلاحي .

٧ – بعد الصلاة
يجب تقبيل الأرض
بهذا يقضي النظام .

٨ – أُخفي شِكَّتي [٤]
تحت لباسي الخشن
وطرحتي المباركة.

٩ – إذا أسمَعَتْ همسةً
السيّدةُ الطبيعة

---

(٢) الشفّ Tulle ، قماش رقيق شفّاف من القطن او الصوف منسوب إلى قرية Tulle في فرنسا .
(٣) لباس من شعر يضعه الرهبان على الجلد للتقشف .
(٤) السلاح او مجمل ما يلبسه المحارب .

قلت لها ضاحكةً :

١٠ – الصوم سهلٌ جدّاً
وهو يزيدنا خفَّةً
إن جِعنا فليكن .

١١ – لا نوفِّر أبداً
اللفتَ والبطاطا
ولا الملفوف والجزرَ والفجل .

١٢ – لا نندهِشُ أبداً
إن لم نُعطَ في المساء
إلّا خبزاً وفاكهة .

١٣ – غالباً أتناول
الخبزَ بصعوبة
وفي الصحن أترك الفاكهة .

١٤ – صحني من الفخار
ويدي هي شوكتي
والملعقة من بقس(٥) .

١٥ – أخيراً ، عندما نجتمع
يمكننا أن نتحادث
عن أفراح الجنَّة .

١٦ – نتكلّم في أثناء العمل ؛
الواحدة تخيِّط ، الأخرى تفصِّل

(٥) Buis جنس نبات يُستخدَم في الجنائن لتحديد التخوم والمقصود هنا خشب البقس .

قطعَ زينةٍ مباركة .

١٧ - نرى الفرح المقدس
يَسِمُ بطابَعه
الجباهَ المتهلِّلة .

١٨ - الساعة تمضي بسرعة
واعود ناسكةً
بدون عبوس.

١٩ - صخبُ الجلَدات[٦]
يقطع الصمت
حتى الصَّمم.

٢٠ - أعدّ في السنة
ستّاً وستّين ألف جلدة ،
وهو العَدَدُ المضبوط .

٢١ - لأجل المرسَلين
نتعارك في الحروب
بضراوة وبدون هدنة .

(٦) الجَلد عملٌ تكفيري كان يقوم به الرهبان والراهبات .

قصيدة إضافية ٥

[إلى أخت بالطرحة البيضاء]

مقدمة

نظمت هذه القصيدة بمناسبة الاحتفال بعيد الاخوات المساعدات في يوم عيد القديسة مرتا الذي يقع في ٢٩ تموز / يوليو ١٨٩٦. وحسب هذا التقليد القديم تدعى الاخوات المساعدات سانت - مارت اي القديسة مرتا. وفي اثناء الاحتفال تنشد الترانيم والقصائد المسلّية وتُهدى الهدايا إلى المحتفى بهنّ ويُشرك الاهل أيضاً في افراح العيد.

لازمة أيتها الأخوات النبيلات بالطرحة البيضاء
احتفالنا بعيدكنّ يسرُّ قلوبنا.

١ - إلى الأخت ماري للتجسد
نقدِّم الإبحار،
وهذا الزورق الصغير
ستجده الآنسة هنرييت جميلاً.

٢ - نقدّم للأخت سان ڤانسان
هذا الكُليب الصغير اللطيف؛
عندما ينبح بالقرب من حديقتها
سيكون لها حارساً أميناً.

٣ - نقدّم إلى العزيز جداً مارتون[1]
هذا الخنزير الصغير الساحر؛

---

(١) Marthon .

سيكون له مطيَّةً
عندما يطارد الفئران .

٤ – لمعايدة ميلاني ليبون[٢]
على باتيست[٣] أن يعطيَ العلامة ،
يقدّم لها قطّاً صغيراً
يلحس صحنها .

٥ – ما أقول كي أقدِّم هذا الإبريق ؛
آه ! حقاً لا نعرف كثيراً !

....

يا بابا ، ها هو المعلّم ؛
إنه يبدو عابساً فلنهرب !

(٢) Mélanie Lebon .
(٣) Baptiste باتيست : اسم البستاني وقد مثَّلت دوره الاخت ماري للافخارستيا وهي ماري غيران ، فتنكّرت بزيّ البستاني الابله ، ووضعت على رأسها شعراً مستعاراً ، وكانت تتظاهر بالسذاجة بمهارة . .

قصيدة إضافية ٦

٢١ حزيران ١٨٩٧

ي. م. ي. ت

مقدمة

قدّمت هذه القصيدة إلى الام ماري دي غونزاغ في يوم عيدها أي الحادي والعشرين من شهر حزيران / يونيو ١٨٩٦. وأهدت إليها مجموعة الصور والصدارات التي أعدّتها مع الأخت ماري للقديس يوسف. وتعكس القصيدة حالة الإرهاق التي تعيشه بالرغم من نظام التغذية الذي يحتوي على كثير من اللبن الحليب.

أنا أيضاً، أيتها الأم الحبيبة،
أريد أن أقول كلمتي الصغيرة؛
لكن ليس لنا أفكار كثيرة
عندما لا نشرب غير اللبن! . . .
مع ذلك، يا أمي الحبيبة
أقدّم لكِ، بسعادة كبيرة،
مجموعةَ الصور
وقبعاتي، وقلبي الصغير.

تريز الطفل يسوع
را. ك. غ. م.

قصيدة إضافية ٧

هذه هي وصيتي : أحبّوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم ! . . .

(القديس **يوحنا** ١٢/١٦)

مقدمة

يعود تاريخ هذين الرباعيين ربّما، إلى شهر حزيران/ يونيو ١٨٩٧، وقد نظمتها تريز لأجل كرملية لا نعرف إسمها وقد تكون الأخت المريضة ماري للقديس يوسف . وما يدعونا إلى تأكيد نسبتها إلى تريز الطفل يسوع هو ما توحي به من حنان أخوي رفيع، ووصية وداعية من التي تعرف انها ذاهبة إلى لقاء الحبيب .

١ - الصمت هو اللغة العذبة،
لغة الملائكة وجميع المختارين ؛
يجب أن يكون أيضاً حصَّةَ
النفوس المتحابَّة في يسوع .

٢ - لا نستطيع أن نتحابّ في الكرمل
إلا في وسط التضحيات .
سنُحبّ، يوماً، بعضنا بعضاً في السماء،
وقد أسكرتنا اللذائذ .

قصيدة إضافية ٨

[انت يا من يعرف]

مقدمة

هذه المقطوعة الوحيدة نظمتها تريز عفويًّا في احدى الليالي التي تسبق السادس عشر من تموز /يوليو ١٨٩٧، وهو عيد سيّدة الكرمل شفيعة الرهبانية ؛ وقد انشدته الأخت ماري للافخارستيا بصوت رخيم قبل مناولة تريز ، فقالت من بعدها : « إنه رائع . كنت اعتقد انني لم اعد استطيع نظم الشعر » .

أنتَ يا مَنْ يَعرفُ صغارتي القصوى
لا تخف من النزول إليَّ .
تعالي إلى قلبي ، يا قربانةً بيضاءَ أُحبُّها ،
تعالي إلى قلبي ، إنَّه يتوق إليك !
آه ! أودُّ لو يتركني صلاحُكَ
أموتُ حبّاً بعد هذه الخطوة .
يا يسوع ! أصغِ إلى صرخة حناني .
تعال إلى قلبي !

الرسائل

مقدمة الرسائل

بين تمتمات الطفولة وصرخات النزاع، تنقضي عشرون سنة كتبت فيها تريز مرتان رسائل كثيرة الى مراسلين عديدين، لم يحفظ منها غير ٢٦٤ رسالة من بينها تذكارات او عبارات مكتوبة على ظهر صور او بطاقات معايدة. ولا يسعنا إلّا التنويه بعمل لجنة الطبعة المئوية التي دأبت منذ أكثر من خمسين سنة على تحقيق النصوص وإخراجها للقارئ مرتَّبة حسب السنين أو مقارنة برسائل المراسلين.

وقد كان العملُ الأهم اكتشاف النصوص الأصلية وما خطّه قلم الاخت تريز دي ليزيو.

اما وقد وصلنا اليوم الى شبه النصوص النهائية فيمكننا وضعها بين يدي القارئ، مذيّلةً ببعض الملاحظات التي لا بدّ منها لتوضيح عبارة عفوية أو للتعريف بمرسَل أو التذكير بحادثة.

وقد اتبعنا ترتيب الطبعة المئوية، وتوزيع الرسائل على سبع مراحل تتوالى حسب سنين حياة تريز.

فلن يجد القارئ في هذه الرسائل اساليب فخمة أو أدباً رفيعاً منقَّماً كمثيلاتها في الادب الفرنسي أو في الآداب الاخرى. فرسائل تريز قراءة لقلبها. وما أكثر الملاطفات وتعابير الاشواق والمشاعر الاخويّة! ففي الرسائل تظهر تريز ناحية من رهافة شعورها نحو أهلها وعائلة خالها وأكثر المراسلين، كأنها آلت على نفسها ألّا تترك مراسلًا إلا اقنعته بفرط حبِّها له.

إنه الأسلوب العفوي نفسه الذي كتبت به تريز قصَّة حياتها، وقد اضافت اليه هنا، بعضًا من فطنتها الروحية وحنانها الاخوي، وحنكةً في مراسلة الرؤساء.

كأن تريز لا يغنيها إلا ما يصنعه الله في حياتها وفي حياة الآخرين، فتستعمل جميع وسائل الاقناع لتكشف عن وجه عريسها الحقيقي. إنه إله الحنان والرحمة. فإلى تريز نقود القارئ، ونتركه يستلم رسائلها وما يمكنها أن تقول له.

المرحلة الأولى : الطفولة
١٨٧٧ - ١٨٨٦

الرسالة ١ إلى لويز ماجدولين

٤ نيسان / ابريل ١٨٧٧

عزيزتي الصغيرة لويز[١]

لا أعرفُك، لكنّني أحبُّك على كلِّ حال. طلبت مني پولين أن أكتب اليك، وها هي تحملني فوق ركبتيها لأني لا أعرف وحدي أن أمسك القلم. وهي تريد أن أقول لكِ إنَّني كسولة صغيرة؛ لكن هذا ليس صحيحاً، لأنَّني أشتغل طوال النهار بتدبير مزحات لشقيقاتي الحبيبات. وفي النهاية، أنا عفريتة صغيرة تضحك دائماً. وداعاً يا عزيزتي لويز. وأرسلُ اليك بقبلةٍ كبيرة، وعانقي عنّي راهبات دير زيارة العذراء مريم، يعني أختي ماري ألويزيا[٢] وأختي لويز غونزاغ[٣] لأنّني لا أعرف غيرهما.

تريز

الرسالة ٢ إلى جانّ وماري غيران

١٢-١٧ نيسان / ابريل ١٨٧٧

إبنتي خالي العزيزتين

بما أنَّ سيلين تكتب إليكما، فأنا أريد أن أكتب اليكما بدوري لأقول لكما إنَّني أحبّكما من كلّ قلبي. أودّ لو أراكما وأعانقكما.

---

(١) Louise Magdelaine (١٨٦٠-١٩٣٩)، صديقة پولين في المدرسة الداخلية، في دير راهبات الزيارة في لومان Le Mans.

(٢) الأخت Marie-Aloysia Vallée (١٨٤١-١٩٠٣)، إحدى المعلمات المفضَّلات عند پولين.

(٣) الأخت Marie-Louise de Gonzague Vétillart (١٨٤٩-١٨٨٤)، مديرة المدرسة الداخلية.

وداعاً يا ابنتَي خالي الصغيرتين العزيزتين، فماري لم تعد تريد الامساك بيدي، وأنا لا أستطيع الكتابة وحدي.

تريز

الرسالة ٣ إلى ماري

١٠–١٧ حزيران / يونيو ١٨٧٧

عزيزتي الصغيرة ماري[1]

أعانقكِ من كل قلبي ثمَّ أعانق پولين أيضاً.

تريز

الرسالة ٤ إلى ماري غيران

١٦ أيلول / ستمبر ١٨٧٧

عزيزتي الصغيرة ماري[1]

أعانقك من كل قلبي. سرَّتني رسالتك كثيراً. يسرّني جداً الذهاب إلى ليزيو.

إبنة عمّتك الصغيرة

تريز

---

(١) ماري موجودة في لومان Le Mans، تتابع رياضة روحية مع التلميذات القديمات.

رسالة ٤

(١) أشارت پولين في هامش الرسالة: «الكلمات ألَّفَتْها تريز وأنا قُدت يدها لتكتب».

الرسالة ٥ إلى پولين

ليزيو ٢٦ حزيران / يونيو ١٨٧٨

عزيزتي پولين[١]

ماري غيران في الريف[٢] منذ الإثنين، غير أنّني أتسلّى كثيراً وحدي مع امرأة خالي. كنتُ قد اشتريت جوارب رمادية مع امرأة خالي، والسيّدة أعطتني لآلئ صُغْتُ منها خاتماً لي.

وداعاً يا صغيرتي پولين، عانقي كثيراً عنّي بابا وماري. أعانقك من كل قلبي.

شقيقتك الصغرى تريز

الرسالة ٦ إلى پولين

١ كانون الأول/ديسمبر ١٨٨٠

عزيزتي پولين

أنا مسرورة جدّاً بالكتابة اليك[١] فقد طلبتُ ذلك من امرأة خالي. ارتكبتُ أخطاء كثيرة، لكنّكِ تعرفين جيّداً صغيرتك تريز، وتعلمين أنّني لست ماهرةً قط. عانقي بابا كثيراً عنّي. حصلتُ على أربعِ نقاط حسنة في اليوم الأول وخمسٍ في اليوم الثاني.

عانقي الآنسة پولين[٢] عنّي. أنا مسرورة جدًا لأنّك تعلمين أنّنا عند امرأة خالي، وفي حين أنَّ ماري تحكي حكايات، أتسلّى أنا برسم الصور الصغيرة الجميلة التي أعطتني إياها امرأة خالي.

إلى اللقاء يا حبيبتي پولين. صغيرتك تريز التي تحبّك.

---

(١) كانت پولين وماري في باريس مع والدهما لزيارة المعرض. وعهد بتريز إلى امرأة خالها السيّدة غيران.

(٢) في سانت – وان – لو – بان Saint-Ouen-le-Pin، على بعد عشرة كيلومترات من ليزيو.

رسالة ٦

(١) پولين في سفر مع والدها. هذه الرسالة، من بين ما تبقّى لنا، هي الأولى التي كتبتها تريز وحدها، ونجد فيها اخطاء إملائية.

(٢) پولين روميه Pauline Romet (١٨٢٩–١٨٨٩)، صديقة العائلة وعرّابة پولين.

الرسالة ٧ إلى پولين

٤ (؟) تموز / يوليو ١٨٨١

عزيزتي پولين[١]

أنا مسرورة جداً بالكتابة اليك. أتمنّى لك عيداً سعيداً، لأني، كما تعلمين، لم أستطع أن أتمنّاه لك في يوم الأربعاء، يوم عيدك[٢].

آمل أن تكوني مسرورةً جداً في هولغات، وأريد أن أعرف فعلاً إن كنتِ قد ركبت حماراً.

أشكرك جدّاً على منحك لي فرصةً خلال وجودك في هولغات. فسأكون مسرورةً جدّاً لو كتبتِ إليّ رسالةً صغيرة إذا ما كتبتِ الى ماري.

لو كنتِ تعرفين أنَّه في عيد القديسة دوميتيا [٣] وضعت امرأة خالي لي زناراً زهرياً، ورميتُ وروداً على القديسة دوميتيا. لا تُطلعي أحداً على رسالتي.

وداعاً يا عزيزتي الصغيرة پولين وأعانقك من كل قلبي. عانقي عنّي كثيراً ماري تريز والصغيرة مارغريت[٤].

الرسالة ٨ إلى سيلين (مقاطع).

٢٣ نيسان / ابريل ١٨٨٢
الأحد

عزيزتي الصغيرة سيلين.

أحبّك كثيراً وتعرفين ذلك جيّداً (...)

---

(١) تقضي پولين عطلة في هولغات في منطقة الكالڤادوس– Houlgate - Calvados مع صديقة لها في المدرسة الداخلية، وهي ماري – تريز بالو دو بيللي (١٨٦٢ – ١٩٥١) Marie-Thérèse Pallu du Bellay

(٢) الأربعاء ٢٩ حزيران، عيد القديسين بطرس وبولس.

(٣) Sainte Domitia

(٤) شقيقة السابقة.

إلى اللقاء يا عزيزتي الصغيرة سيلين.

صغيرتك تريز التي تُحبّك من كل قلبها.

تريز مرتان.

الرسالة ٩ إلى الأم ماري دى غونزاغ

تشرين الثاني - كانون الأول /
نوفمبر - ديسمبر ١٨٨٢ (؟)

أمي الحبيبة

لقد مرَّ وقت طويل بدون أن أراكِ، فأنا مسرورةٌ بالكتابة اليك كي أقصَّ عليك شؤوني الصغيرة. قالت لي پولين انَّك كنتِ في رياضة، فأتيت أطلب منكِ أن تصلّي الى يسوع من أجلي، لأنَّ أخطائي كثيرة وأريد أن أُصلحَ نفسي.

لا بدَّ من ان اعترف لكِ: منذ بعض الوقت وأنا أجيب، دائماً، حين تطلب ماري مني شيئاً ما. ويبدو أنَّه عندما كانت پولين صغيرةً وكانت تعتذر من امرأة خالي في لو مان[١]، كانت تقول لها: «الثقوب بعدد الكِعاب»؛ أما أنا فأسوأ بكثير. أريد إصلاحَ نفسي، فأضع في كلِّ ثقبٍ زهرةً صغيرة جميلة أقدِّمها ليسوع استعداداً لمناولتي الأولى. أليس صحيحاً، يا أميّ الحبيبة، أنَّك ستُصلّين لأجل ذلك؟ إي! نعم! هذه اللحظة ستأتي سريعاً جدّاً، وكم سأكون سعيدةً عندما سيحلُّ يسوع في قلبي فيكون لي هذا القدر من الأزهار الجميلة أقدِّمها له.

إلى اللقاء يا أمّي الحبيبة، أعانقكِ بحنان كثير كما أحبّك.

ابنتك الصغيرة
تريزيتا [٢]

---

(١) الأخت ماري - دوزيته غيران Soeur Marie-Dosithée Guérin في le Mans.

(٢) تصغير تريز أطلقته الكرمليات على تريز مرتان تيّمّناً بتريزيتا ليسوع ابنة أخت تريزا الأڤيلية، التي دخلت الكرمل في التاسعة من عمرها.

الرسالة ١٠ إلى سيلين

الأحد ٢٩ نيسان/ابريل ١٨٨٣[(١)]

إلى حبيبتي سيلين العزيزة من قِبل أختها الصغيرة التي تحبّها بحنان كثير.

تريز

الرسالة ١١ إلى الأخت أنييس ليسوع

١-٦ آذار/مارس ١٨٨٤

عزيزتي الصغيرة پولين

فكّرت جيّداً في الكتابة اليكِ لأشكرك على كُتيِّبك[(١)] الرائع، لكنّني ظننت أنَّ هذا ممنوعٌ خلال الصوم؛ اما وقد علمتُ الآن بأنَّ الكتابة مسموحة، فاشكرك من كلّ قلبي.

أنكِ لا تُدركين مدى سعادتي عندما أرتني ماري كُتيِّبك الصغير. وجدته مدهشاً، ولم أقع على أجمل منه قط، فلم أكن أستطيع رفعَ نظري عنه. ما أجمل الصلوات الموجودة في أوله! لقد ردَّدتها للطفل يسوع من كلّ قلبي؛ وفي كلِّ يوم أُكثر من الممارسات[(٢)] قدر استطاعتي، وأقوم بكلِّ ما يمكنني أن أفعله لئلَّا أفوِّتَ أيَّ فرصة. أصلّي من صميم قلبي الصلوات الصغيرة التي تفوح منها رائحة الورود، وبأكثر ما استطيع من المرّات.

ما اجمل الصورة الواردة في البداية! إنَّها حمامةٌ صغيرة تعطي قلبها ليسوع. فأنا أيضاً أريد أن أزيِّنَ قلبي بكل أنواع الأزهار التي سأصادفها حتى أقدِّمها للطفل يسوع في يوم مناولتي الأولى. وأريد فعلاً، كما في الصلاة الأولى الموجودة في بداية الكتاب، أن يجد

---

(١) أسطر بقلم الرصاص، على قفا صورة للقلب الأقدس رسمتها تريز. وكانت سيلين قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها.

رسالة ١١

(١) كُتيِّب تحضير للمناولة الأولى، ألَّفته الأخت أنييس ليسوع وكتبته بخط يدها.

(٢) تضحيات أو أفعال فضيلة.

الطفلُ يسوع نفسه في أحسن حال في قلبي، ولدرجة ألّا يفكِّرَ أبداً في الصعود من جديد إلى السماء...

أشكري من أجلي الأخت تريز للقديس أوغسطينوس[٣] على مسبحة الصلاة، الصغيرة الجميلة، وعلى تطريزها غلاف كتابي الجميل.

عانقي عنِّي طويلاً الأم ماري دى غونزاغ وقولي لها إنَّ بُنيَّتها تحبّها من كل قلبها.

ليوني وسيلين تعانقانك كثيراً.

إلى اللقاء، يا عزيزتي الصغيرة پولين؛ أعانقك من كل قلبي.

ابنتك التي تحبّك كثيراً.

تريزيتا

الرسالة ١٢ إلى ماري[١]

٨ أيار/مايو ١٨٨٤

إلى عزيزتي الصغيرة ماري، ذكرى المناولة الأولى

لابنتك الصغيرة

تريز

الرسالة ١٣ إلى سيلين[١]

٨ أيار/مايو ١٨٨٤

ذكرى المناولة الأولى

إلى عزيزتي الصغيرة سيلين من قِبل اختها الصغيرة

تريز

---

(٣) Soeur Thérèse de St. Augustin

رسالة ١٢

(١) إهداء على قفا صورة.

رسالة ١٣

(١) إهداء على قفا صورة رسمتها الأخت أنييس ليسوع.

الرسالة ١٤ إلى ماري غيران(١)

١٨٨٣-١٨٨٥

إلى صغيرتي ماري من قِبل اختها الصغيرة (٢)

تريز

الرسالة ١٥ إلى سيلين

١٨٨٣-١٨٨٥

إلى عزيزتي الصغيرة سيلين الحبيبة،(١)
تذكار من أختها الصغيرة التي تحبّها من كلّ قلبها.

تريز

الرسالة ١٦ إلى السيِّدة غيران (مقاطع)

١٠-١٧ أيار / مايو ١٨٨٥

إمرأة خالي العزيزة

قلتِ لي بأن أكتب اليكِ لأخبرك عن صحتي. إنَّني أفضلُ من يوم الأحد، ومع ذلك، فأنا أحسّ بوجع شديد في رأسي. آمل أن تكوني بخير، كذلك جانّ، وأن تكون ماري قد شفيَت تماماً.

أفكر فيك غالباً، وأتذكَّر كم كنتِ لطيفةً معي(١). لا أنسى أيضاً بنات خالي

---

(١) إهداء على قفا صورة بالألوان.
(٢) تسمية «الأخت» هي متداولة بين أولاد مرتان وغيران، بنات شقيق وشقيقة.

رسالة ١٥
(١) إهداء على قفا صورة للقلب الأقدس.

رسالة ١٦
(١) من ٣ إلى ١٠ أيار أمضت تريز العطلة في دوڤيل، Dauville وهي مدينة تقع على شاطئ البحر، على مسافة ربع ساعة من مدينة ليزيو.

الصغيرات العزيزات، وأرجوك أن تقولي لماري إنّني لن أكتب اليها اليوم، لكنّي سأكتب اليها في المرّة القادمة، وحتى يكون لديَّ مزيدٌ من الأشياء أقولها لها.

سأدخل في الرياضة مساء الأحد[٢] على اعتبار أنَّ المناولة الأولى لا تزال محدّدة بتاريخ الواحد والعشرين؛ ومن المؤكد الآن أنَّ هذا التاريخ لن يتغيّر.

إلى اللقاء، يا امرأة خالي العزيزة؛ عانقي عنّي بقوّة جانّ وماري واحتفظي لكِ بأكبر قبلة.

تريز
ابنة الملائكة القديسين[٣].

الرسالة ١٧ إلى ماري[١]

إلى عزيزتي الصغيرة ماري

ذكرى مناولتي الثانية من ابنتك الصغيرة، في ٢١ أيار/مايو ١٨٨٥

تريز

الرسالة ١٨ الى السيّد مرتان

٢٥ آب/أغسطس ١٨٨٥

بابا الصغير العزيز[١]

لو كنتَ في ليزيو لكان علينا اليوم تقديم الأمنيات بعيدك؛ لكن بما أنَّك لست هناك فأريد مع ذلك، وأكثر من أيِّ وقت مضى، أن أتمنّى لك، بمناسبة عيدك، الكثيرَ من السعادة، وخاصةً الكثير من المتعة في أثناء سفرك[٢]. آمل، يا والدي الحبيب، أن تتسلّى

(٢) رياضة تحضيرية لمناولة تريز الثانية.
(٣) جمعية تشارك فيها تريز منذ ١٨٨٢/٥/٣١.

رسالة ١٧

(١) إهداء على قفا صورة رسمتها تريز.

رسالة ١٨

(١) زيَّنت تريز رسالتها بزهرة مَخيطة، محاطة بهذه الكلمات: «حزامٌ مقطوف من حديقتي».
(٢) سفر سياحي الى البلقان لمدّة ستة أسابيع تقريباً.

كثيراً وأن تكون مسروراً بالسفر: أفكّر فيك باستمرار وأرجو الربّ أن يجعلك تتمتّع كثيراً وتعود قريباً بصحّة جيّدة. يا بابا الحبيب، لقد نظمت لي پولين، أبياتاً جميلة بمناسبة عيدك حتى أردّدها في يوم هذا العيد[٣]؛ لكن كوني لا أستطيع ذلك فسوف أكتبها اليك:

أمنيات ملكةٍ صغيرة لأجل[٤]
لأجل عيد أبيها – الملك.

لو كنتُ حمامةً صغيرة
أتعلَمُ يا أبي الى أين أذهب؟
سيكون قلبُك عُشّي وحدي،
هناك سأمكث إلى الأبد.

لو كنتُ أُدعى سنونو
فغالباً، في الأيام الجميلة،
سآتي لأريحَ جناحي
في مَلجإِ حُبِّك، يا أبي.

لو كنتُ أبا الحنّاء[٥]
لَبقيتُ في حديقتك،
وأقلُّ حبّة شعير من يدك
تصبح لي وليمةً فاخرة.

لو كنتُ عندليباً برّيًّا
لتركتُ غابتي بسرعة
لآتيَ إلى هذه الغيضة النضرة
ارنّم جميع ألحاني معاً.

---

(٣) عيد القديس لويس في ٢٥ آب La Saint-Louis.
(٤) مكرّرة في الاصل.
(٥) طائر أحمر العنق.

لو كنتُ نجمةً صغيرة
لأردتُ أن أكون دائماً في السماء،
في هذه الساعة، عند انحجاب النهار،
فأهدي اليك شعاعَ أمل.

عبرَ نافذتك، طويلاً،
سأُشعُّ بألف نور،
ولا أريد الاختفاء أبداً
قبل أن أحدِّثَك قليلاً عن السماوات.

لو كنتُ رئيسَ ملائكةٍ بهيّاً
يزخرف الذهبُ جوانحَه،
لو كنتُ، يا بابا، ملاكاً صغيراً،
فنحوك، أنتَ، أنطلق.

سأريك وطني الأبدي
في حُلم سرِّي؛
سأقول لك: بعد الحياة
هذا العرش النوراني هو لك.

لو أردتَ أجنحةً بيضاء
لحملتُها اليك من السماوات،
ونحو الضِفاف الأبدية
انا وانت نطير معاً.

لكني لا أملكُ جناحاً مُشعًّا
ولستُ من الساروفيم[٦].

---

(٦) الساروفيم Séraphin : إسم الأرواح السماوية الأولى في مصاف الملائكة.

إنَّني ابنةٌ صغيرة
لا تزال تُمسَكُ بيدها.

إنَّني فجرٌ خجول،
بُرعمُ زهرةٍ متواضع،
والشعاع الذي يفتِّحني
هو قلبك، يا بابا الصغير العزيز.

بينما أكبُرُ أرى نفسَكَ
بإله الحبّ مفعمةً.
هذا المثالُ المبارك يُلهبني،
وبدوري أريد أن أتبعك.

أريد أن أصبحَ في الأرض
فرحَك وعزاءك.
أريد محاكاتك، يا أبي الصغير،
أنتَ الحنونَ العذبَ الكثيرَ الصلاح.

لديّ أشياء اخرى اقولها لك،
لكن لا بدَّ من التوقف أخيراً.
امنحني يا بابا ابتسامتك،
وعلى جبيني اطبع قبلتك.

إلى اللقاء يا بابا الحبيب. ملكتك التي تحبُّك من كل قلبها.

تريز

الرسالة ١٩ إلى ماري غيران

في البويسونيه.
السبت ٢٦ حزيران / يونيو ١٨٨٦

عزيزتي الصغيرة ماري

أشكرك على وافر لطفك لأنك لم تغضبي عليَّ كوني لم أكتب إليك؛ فأستعجل كلَّ العجلة للإجابة على رسالتك الصغيرة الظريفة، ولا تستطيعين أن تتصوّري كم سرَّتني. إنَّني مسرورة جداً لأنَّك تسيرين نحو الأفضل وتتسلّين كثيراً. لا أعرف جديداً في ليزيو أستطيع أن أخبرك به؛ أعرف فقط أنَّنا جميعاً بخير.

لقد طلبتِ في رسالتك أن أعطيك أخبار السيّدة پاپينو[1]؛ إنَّها بأحسن حال وتستعلم غالباً عن صحّتك؛ وبالنسبة للدروس فهي تسير دائماً بشكل جيّد جدّاً، وقد كثرت منذ بعض الوقت، ولهذا لم أستطع أن أكتب اليك يوم الأحد. أنا مسرورة جداً لأنَّني سأكون غداً بالأبيض من أجل الزياح[2]، وقد قاست ماري عليّ اللباس وهو يناسبني كل التناسب.

يا عزيزتي الصغيرة ماري، أكلِّفك أن تعانقي عنّي بقوة شديدة إمراة خالي الطيِّبة وعزيزتي الصغيرة جانّ.

إلى اللقاء، يا ابنة خالي العزيزة الصغيرة، واعذريني إن كانت رسالتي رديئة، وكتابتها سيئة؛ هذا لأنَّني استعجلت كثيراً ولم يكن لديَّ وقت لكتابة مسوّدة. سيلين عهدت إليَّ بمعانقتك، كذلك جانّ وامرأة خالي، لم أقم بمهمَّتك، بعد، إزاء پولين، لكنني سأفعل ذلك بعد ظهر هذا اليوم. إبنة عمَّتك التي تحبّك من كل قلبها،

تريز

(١) فالنتين پاپينو Valentine Papinau (١٨٣٥-١٨٩٨)، معلمة تريز من آذار / مارس ١٨٨٦ - إلى شباط / فبراير ١٨٨٨.
(٢) عيد الرب في ٢٤ حزيران / يونيو، وقد احتفل به نهار الأحد في ٢٧ منه.

الرسالة ٢٠ إلى ماري غيران

في البويسونيه، الخميس ١٥ تموز/يوليو ١٨٨٦

عزيزتي ماري

أنتِ لطيفةٌ جداً كونك كتبت اليّ، وقد أبهجتني رسالتك كثيراً؛ فأنا مسرورة فعلاً بقيامك بنزهات جميلة كالتي رويتها لي، وقد أثارت كلَّ اهتمامي.

قمت بالمرجحة للتوّ؛ واذ خافت ماري من أن أُصبح حدباء، طلبت إلى بابا أن يُعلِّق الحلقات والمرجوحة؛ فالحلقات تعجبني أقل من المرجوحة، ويداي محمرّتان تماماً من جرّاء تمرجحي.

لقد امضينا بعد ظهر أمس عند السيّدة موديلوند[١] وسررتُ كثيراً بسيلين وهيلين. اما السيّدة بابينو فقد منحتني إجازةً غداً إكراماً لعيد سيّدة الكرمل لأستطيع سماعَ الموعظة[٢].

أترين يا ماري أنْ ليس لديَّ أشياء مهمّة أرويها لك، ولم أقم مثلك بنزهةٍ رائعة لأخبرك بها؛ لكنّي آمل، بالرغم من ذلك، أن تسرّك رسالتي الصغيرة بعض السرور.

إلى اللقاء، يا عزيزتي ماري، وعانقي عنّي بشدّة امرأة خالي وجانّ.

أختك الصغيرة التي تحبّك كثيراً.

تريز

---

(١) Madame Maudelonde ، ولها ابنتان سيلين وهيلين.

(٢) في كنيسة الكرمل.

الرسالة ٢١ إلى ماري

السبت ٢ تشرين الأول/اكتوبر
الساعة السادسة مساءً
عيد الملائكة القديسين

عزيزتي الصغيرة ماري

تلقّينا البرقية للتوّ، وأنا مسرورة جدّاً لاعتقادي بما معناه أنَّك رأيت الأب في دوفر[1]، وقد أرسل اليك رسالةَّ الأربعاء يقول لك فيها أن تذهبي لمقابلته اليوم. لا يمكن أن تتصوّري مدى قلقنا، وقد أرسلت سيلين رسائل إلى دوفر وكاليه[2] كبريد يُستلم في مكانه.

لقد أضأتُ امام العذراء القديسة شمعةً كل يوم، وتضرّعتُ وتوسَّلتُ إليها كثيراً، فلم أستطع تصديقَ أنَّك لم تكوني تعلمين بعودة الأب اليوم. والسيّد بيشون[3] أرسل أيضاً رسالة إلى أبي لم نجرؤ على فتحها. وقالت لنا پولين إنَّ هذا أفضل لعلَّه يوجد أمر ما مُستعجل في داخلها؛ لكن الرسالة كانت تقول فقط إنَّ السيّد بيشون لم يكن يعرف، حينذاك، يومَ عودة الأب، وإنَّه كان سيكتب إلى رئيس الدير ليعلم منه ذلك.

آه يا حبيبتي ماري! لو كنتِ تعلمين كم أجد حقيقيّاً ما قلْتِه لنا: إنَّ الرب يدلّلنا. لكنك لا تتصوّرين ما يعني الانفصال عن شخص نحبّه كما أحبُّك. ليتكِ ترين كلَّ ما أفكِّر فيه؛ لكني لا أستطيع قوله لك فالأمر متأخِّرٌ جداً؛ وقد كتبتُ رسالتي بدون ترتيب، لأنَّني لم أكن أرى ما أكتب. يا عرّابتي الصغيرة العزيزة، لقد طلبتُ الى پولين إذا كانت الزجاجات الصغيرة الذهبية البرونزية تُستخدم للرسم المائي؛ فقالت لا، بل كانت لرسم القديسين والتماثيل؛ وأقول لك هذا حتى لا تشتريه لي كتذكار. إنَّني أستحلفك ألَّا تحملي لي شيئاً فهذا سيُحزنني حقّاً. ليوني تعانقك كثيراً وبابا أيضاً.

---

(١) الأب بيشون Pichon مُرشد ماري الروحي منذ سنة ١٨٨٢، وقد عاد من كندا بعد غياب سنتين. وأرادت رؤيته قبل دخولها الكرمل في ١٥ تشرين الاول/اكتوبر ١٨٨٦.

(٢) Douvres على شاطئ بحر المانش في جنوب غربي انكلترا و Calais على بحر المانش أيضاً في الشمال الأقصى الفرنسي، وهما أقرب مدينتين بين فرنسا وإنكلترا يفصل بينهما بحر المانش.

(٣) ألفونس بيشون Alphonse Pichon شقيق الراهب.

إلى اللقاء يا حبيبتي ماري، وعانقي عني بشدّة والدي االعزيز.

ابنتك الصغيرة الحقيقية
التي تحبّك بقدر ما يمكن أن نُحِبّ،
تريزيتا

وخاصةً لا تنسي مهمّاتنا، والمقعد لامرأة خالي. فيليسِتهِ[٤] تبلِّغكِ تحيّاتها، وتمتاز بمزاج ظريف منذ رحيلك. لكِ تحيات خالي وامرأة خالي وجانّ وماري. لم نحمل البرقية بعد إلى الكرمل.

(٤) Félicité ـ، من إسمها الحقيقي، ماري هوبر Marie Hubert ، خادمة آل مرتان.

المرحلة الثانية : المراهقة
(ميلاد ١٨٨٦ – نيسان / ابريل ١٨٨٨)

الرسالة ٢٢ إلى سيلين[١]

٣١ آذار/مارس ١٨٨٧

أحفَظُ تاجي حتى صباح الغدِ.
لكن، بعد ذلك، فوق رأسكِ سيمرّ قَدَري.
سمكة نيسان!...
ستحصلين غداً على مشط تُعطيك إياه سمكة نيسان.

الرسالة ٢٣ إلى ماري غيران[١]

في البويسونيه الإثنين ٢٧ نيسان/ ابريل ١٨٨٧

عزيزتي المريضة الصغيرة،

كيف حالكِ هذا الصباح؟ هل نمتِ جيداً هذه الليلة؟ هل ضرسك أقل إيلاماً؟... ها هي، يا عزيزتي الصغيرة ماري، جميع الأسئلة التي أطرحها على نفسي هذا الصباح. لكن يا للأسف! ما من أحدٍ يستطيع أن يجيبني، وأنا مُجبرة على حلِّها بذاتي. لذلك اجعل الاجابة في صالحي، واراكِ تسيرين كثيراً نحو الأفضل.

---

(١) ذكرت الأخت جنفياف: «في البويسونيه، قدَّمت تريز لي مشطاً كي أضعه في شعري. – وعشية الأول من نيسان استلمت ورقة مثنيّة كانت قد رسمت في داخلها سمكة بالحبر الأحمر، والأخضر والبنفسجي. كان لهذه السمكة شعارٌ هو: مشط!» ووُضِعَ النص فوق السمكة وتحتها؛ وأخفيت الجملة الأخيرة بشرائط ورقية مُعترضة أُلصقت من أطرافها.

رسالة ٢٣

(١) Trouville ، بلدة صغيرة جميلة متصلة بدوڤيل Dauville تقريباً. كانت سيلين تمضي عندئذ عطلةً في تروڤيل، حيث كانت تريز قد أنهت عطلة قضتها هناك لبضعة أيام.

لا بدّ لي من على قلبِ الصفحة لأني لمحتُ للتوّ أنّني أكتب كلَّ شيء باعوجاج؛ فقد مضى عليّ وقتٌ طويل لم أمسك خلاله بقلم، وهذا ما بدا لي مضحكاً تماماً. وبعودتي من الكرمل، قلتُ لماري وپولين كم كنتِ متوجِّعة؛ وسوف تصليان إلى الربّ كثيراً حتى يشفيك وتستطيعي التمتّع بوقتك في تروڤيل... لديَّ أشياء كثيرة أقولها لك، يا لوبلوبتي[٢] العزيزة، لكن ليس لديَّ وقتٌ لأنَّني أنوي أيضاً كتابة كلمة إلى جانّ. ومن جهة أخرى أخشى أن أسبّب وجعاً لعينيك، فرسالتي هي مسوَّدة حقيقية، ولا أدري كيف أجرؤ على إرسالها إليك وهي على هذه الحال.

أتركك معانقةً إياك، ليس فقط على وجنتيك لأنَّني أخاف من إيلام أسنانك، لكن على جبينك الجميل.

تريز
ابنة مريم.[٣]

أوصي لصغيري اللوبلوب العزيز، بشكلٍ خاص، ألّا ينزعج من الكتابة اليّ؛ وهذا لن يمنعني من إرسال الرسائل اليه غالباً. لا بدَّ من أن يستحقَّ اللوبلوب العزيز إسمه، ويأكل كلوبلوبٍ حقيقي.

الرسالة ٢٤ إلى جانّ غيران

٢٧ حزيران/يونيو ١٨٨٧

(في هذا المكان، قارب شراعي
مرسوم بالقلم)

عزيزتي الصغيرة جان

الفنان داريل[١] ليس هنا ليرسم لي زورقاً. وإذ أريد مع ذلك أن أضع واحداً في أعلى

(٢) أحد ألقاب ماري غيران Louploup، وهو مشتق من اسمها الثاني لويز.
(٣) L'enfant de Marie كانت تريز قد قُبلت في الجمعية في ٣١ أيار/مايو السابق.

رسالة ٢٤
(١) من المحتمل جداً أن تكون جانّ Jeanne بنفسها وقد سمّتها تريز باسم الفنان المعروف.

رسالتي، فقد اضطررتُ الى القيام بذلك بنفسي فخربشتُ زورقاً. إنَّني آتية، يا عزيزتي جانّ، لأزعجك لبضعِ لحظات، وآملُ أن يكون صُداعُك قد زال تماماً. الآن وقد رحلت الانكليزية[٢] الفارعة، فستكونين أقلَّ قلقاً، وسيكون الجميع بحالٍ أفضل.

أتصوَّر أنَّك مسرورةٌ جداً بألا تسمعي، بعد اليوم، مواعظي في الموت، وألَّا تري عينيَّ اللتين تبهرانك، وألا تذهبي، مدفوعةً [في العربة]، عند الآنستين بيجون[٣]...

أنعي إليكِ موتَ ثمانٍ من عزيزاتي دودات القز، ولم يبقَ منهنَّ إلَّا أربع. لقد بذلت سيلين من العناية بها ما أدّى الى إماتتها جميعاً تقريباً من الحزن او من السكتة الصاعقة. أخشى كثيراً أن تلتقط الأربع الباقيات جرثومة مرض اخواتها، وأن تتبعها في مملكة الخلد[٤].

يبدو لي مضحكاً أن أجد نفسي ثانيةً في البويسونيه، وهذا الصباح كنت مندهشة تماماً بوجودي إلى جانب سيلين. لقد تكلّمنا إلى بابا عن عرض امرأة خالي اللطيف الذي عرضتْه علينا؛ إلَّا أنَّ الأمر مستحيل، لأنَّ بابا سيسافر الأربعاء وسيبقى لوقت قصير في ألنسون[٥] هذه المرّة.

إلى اللقاء، يا عزيزتي جانّ، وإني أحبّك دائماً من كلِّ قلبي. +

الرسالة ٢٥ إلى ماري غيران

في البويسونيه،
١٤ تموز/ يوليو ١٨٨٧

ظريفتي الصغيرة ماري،

تلقَّيت في هذه اللحظة رسالتك الصغيرة العزيزة، ولا زلتُ أضحك وأنا أفكر في كلّ

---

(٢) يتعلق الأمر من دون شك بتريز نفسها.

(٣) جوزيفين Joséphine وكليمنص Clémence Pigeon، صديقتا آل غيران.

(٤) Taupe : الخلد الأوروبي، وتقصد بمملكة الخلد التراب.

(٥) Alençon

ما قلته لي. هيّا، أيتها اللعينة الصغيرة البشعة، لا بدَّ، أولاً، من البدء بتأنيبك: لماذا حملتِ وجهَكِ ثانيةً إلى عند النحّات[1]؟ لقد أصلحه جيّداً حقاً!... وتأسّفت لعلمي بأنَّ وجنتيك اللعينتين الصغيرتين قد اتّخذتا من جديد شكلَ الكرة؛ ربّما كان على التجربة أن تُصْلحك، وبدا لي أنّك عانيت كفاية في المرّة الأولى.

إنّني مسرورةٌ جدّاً لتحسّن امرأة خالي الطيّبة؛ قد ذُهلت حين علمت أنّها مريضة؛ حقاً، انَّ الله قد أرسل اليكم محناً كثيرة هذه السنة.

أما في البويسونيه، فلم يكن هذا الاسبوع مغموراً بالفرح، وهو الأخير الذي تُمضيه ليوني معنا. الأيام تمرّ سريعةً جداً، ولم يبقَ لليوني أكثر من يومين تمضيهما معنا[2].

وأخيراً، ماذا تريدين، يا حبيبتي المسكينة؟ فحزني يمازجه بعضُ الفرح، لأني سعيدةٌ برؤيتي عزيزتي ليوني أخيراً، في مركزها. نعم، أعتقد أنّها لن تكون سعيدةً إلا هناك؛ وفي دير راهبات زيارة العذراء ستجد كلَّ ما ينقصها في العالم.

سيلين في حِداد على عصفوريها[3] الصغيرين، والذَكر بينهما كان قد لحق برفيقته في صباح اليوم التالي؛ والجثّتان، حالياً، موجودتان عند القشّاش[4]. أتمنى، يا عزيزتي، أن تكون نهاية إقامتك في تروفيل أكثر مرحاً من بدايتها؛ وآمل من الله، الذي جرَّبك كثيراً، أن يمنحك الآن كثيراً من البهجة.

سيلين آسفة على انها لا تستطيع الكتابة الى جانّ، فحوائج ليوني تقتضي من سيلين إسراعاً تستحيل معه عليها الكتابة. بلّغي جانّ أن سيلين لا يمكنها تصديقُ كم تأثرت ليوني برسالتها وكذلك برسالتك؛ وهي تعانقك من كلِّ قلبها، وتعانق، أيضاً، وكثيراً، العزيزة امرأة خالي الصغيرة. عانقي جانّ عنّي بقوّة؛ وقولي لامرأة خالي كم أحبّها، واحفظي لنفسك حصَّة كبيرة من قبلاتي. (سمعت عن رسالة الكرمل، ويبدو أنَّها كانت مسلّيةً جداً). يعبّر لك أبي عن عواطفه، وبشكل خاص، لابنته بالمعمودية.

---

(١) أي طبيب الأسنان، وزيارة طبيب الأسنان ستؤدي الى ورم في الفك فانتفاخ في الوجه.

(٢) دخلت ليوني إلى دير راهبات زيارة السيّدة العذراء في كان Caen في الشمال الفرنسي في ١٦ تموز/يوليو ١٨٨٧.

(٣) Cordons bleus: عصافير جُزر كانت تريز قد اشترتها لشقيقتها سيلين الشهر الماضي في معرض لوهافر Le Havre وهي مدينة على شاطئ المانش في الشمال الفرنسي.

(٤) القشّاش: من يحشو العصافير بالقش لحفظها.

الرسالة ٢٦ إلى ماري غيران

البويسونيه، ١٨ آب/أغسطس ١٨٨٧.

عزيزتي الصغيرة ماري،

أخبرني خالي للتوّ بأنّك مريضة. أيتها اللعينة الصغيرة، فما إن تنالي بعض السرور حتى تُسرعي على الفور وتمرضي. إفرحي لكوني بعيدةً عنك، وإلّا كان لكِ، بكل تأكيد، حسابٌ معي...

كيف حال امرأة خالي الطيّبة؟ آمل أن تكون أفضل دائماً. يا للأسف، كم تجري الأمور بخلاف ما نتصوّره! كنت أتصوّركِ من بعيد تركضين مرحةً في الحديقة،[١] وتنظرين إلى الأسماك، وتتمتّعين كثيراً مع جانّ؛ وأخيراً كنت أتصوّرك تعيشين حياة القصور؛ ولكن بدلاً من حياة القصور، فإنك تقضين هناك حياتك مريضةً. آه، يا عزيزتي المسكينة، أُشفقُ عليكِ بكلِّ قلبي؛ لكن عليك ألّا تقنطي، فلا يزال لديك متّسعٌ من الوقت لكي تتنزّهي وتتسلّي؛ وليس عليك إلّا أن تتركي غرفتك؛ فمع أنّها جميلة ومذهّبة، فليست أكثرَ من قفصٍ جميل، بالنسبة الى عصفورٍ يريد النطنطة في الشمس الجميلة التي يلمحها عبر زجاج النوافذ. (ألاحظ أنّني وضعت المحراث أمام العمّال[٢]، فأرجوك أن تفهمي الصليبيَن الصغيرين اللذين وضعتهما في الجملة السابقة).

نعم يا أخيّتي العزيزة، إنكِ بحاجة إلى الهواءِ الطلق في الحديقة كالعصافير الصغيرة، وعليك أن تكوني نضرةً حينما تعودين إلينا كالوردة الجميلة التي بدأت تتفتّح. آه! يا عزيزتي، بينما أتكلّم على الورود، أتشوّق إلى أن أعانقك مُقبّلة خدّيك الرقيقين؛ ومع أنّهما ليسا ورديّين، فأنا أُحبّ الوردةَ الجميلة البيضاء حبّي الوردةَ الحمراء. حاولي أن تجعلي وجنتَيك أقل بياضاً، وتوسّلي الى جانّ ان تقبّلهما عنّي؛ وقولي لها إنّني أفكّر فيها كثيراً، أيضاً، وأرسل إليها قبلةً من كل قلبي. يا عزيزتي ماري، لقد تركتُ ريشتي تنزلق كمجنونةٍ صغيرة فكتبتْ أشياءَ ليس سهلاً قراءتُها ولا فهمُها على الاطلاق. إنّني أرجوك ألّا تهاجمي سواها بسبب هذه الأمور القبيحة، بل إنَّ ما لا أريد أن تنسبيه إليها، إنّما هي المودّة التي تحملها لكِ أخيّتُك.

---

(١) حديقة لاموس La Musse.

(٢) مثل شعبي فرنسي يُقصَدُ به استباق الامور.

عانقي عنّي بشدّة العزيزة امرأة خالي التي أُحبّها من كلّ قلبي.

إلى اللقاء، يا اختي الصغيرة العزيزة؛ أبعث إليكِ بقبلة طيّبة وأوصيها بأن تشفيك سريعاً سريعاً لكي أحصل على بعض الحبور.

أختك التي تحبّك
تريز

الرسالة ٢٧ إلى الأخت أنييس ليسوع

السبت ٨ تشرين الأول/ اكتوبر ١٨٨٧

اختي الصغيرة العزيزة،

منذ الأربعاء، وأنا أنتهز فرصةَ التحدّث إلى خالي؛ وقد سنحت لي هذا الصباح. كان خالي طيّباً جدّاً؛ وبما أن اليومَ كان يوم سبت، فقد كنت خائفة من الا يبدي خالي ارتياحاً، لأنه، في ذاك اليوم، يبقى مستعجلاً جدّاً[١]. وبالعكس، فما إن طلبت منه المجيء حتى ترك قراءته باهتمام كلّي.

قال لي إنَّه كان منذ بعض الوقت يتوقَّع أن أقول له شيئاً. وبعدما ألقى عليَّ موعظةً قصيرةً **ودودةً** جدّاً كنتُ أنتظرها، قال لي إنَّه متأكدٌ جدّاً من دعوتي؛ وهذا لا يمنعه من أن يدعني ارحل، بل العائق، باعتقادي، انما هو العالم. ستكون فضيحةً عامةً حقيقيةً رؤيةُ طفلةٍ تدخل الكرمل، وسأكون الوحيدة في فرنسا كلّها، إلى آخره... ومع ذلك، إن شاء الله، فهو قادر على إظهار مشيئته؛ وبانتظار ذلك، قال لي خالي إنَّه، حسب الحكمة الإنسانية، عليَّ ألَّا أرجو الدخول قبل السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمري، وسيكون ذلك التاريخ، أيضاً، مبكِّراً جداً.

وقال لي خالي، أيضاً، أشياء كثيرة من هذا النوع، لكن قد يطول كثيراً إخبارك بها. ووفقاً لرأيك، لم أتكلَّم على أيِّ تاريخ. ويا عزيزتي الصغيرة پولين، أنا مسرورة جدّاً أيضاً بأنَّ خالي لم يجد عقبةً أخرى غير العالم؛ وأتصور أنَّ الله لن يُعدَم طريقةً لكي يُظهرَ

---

(١) نهار السبت هو يوم السوق في ليزيو، ويتدفَّق الناس على صيدلية غيران.

لخالي، وقت يشاء، إن العالم؛ لن يستطيع منعه من آخذي إلى الكرمل. تعرفين، يا أخيّتي الحبيبة، أنَّ خالي قال لي أيضاً أشياء أخرى لطيفةً جدّاً لكنّي لن أخبرك بالعقبات التي وجدها. ولحسن الحظ، إنَّ هذه العقبات ليست بعقبات بالنسبة الى الله.

آه! يا حبيبتي پولين، لا أستطيع أن أقول لكِ كلَّ ما يعمر به قلبي، ولا أقدر على جمع جميع أفكاري. وبالرغم من كلِّ ذلك، أشعر بأنَّني مفعمةٌ شجاعة، وأنا متأكِّدةٌ، كلَّ التأكيد، من أنَّ الله لن يتركني. والآن، حسب قول خالي، سيبدأ زمن محنتي، آه! صلِّي لأجلي. صلي لأجل تريزيتك، فأنتِ تعلمين كم تحبُّك، أنتِ المؤتمنة على أسرارها. إنَّها بحاجة ماسة الى رؤيتك، فتلك تضحية اخرى تقدِّمها ليسوع. آه! لا أريد أن أرفضَ له شيئاً، حتى عندما أشعر بأنَّني حزينة ووحيدة في الأرض، فلم يبقَ لي إلّا هو. ألم تقل القديسة تريزا: «الله وحده يكفي»؟

سامحيني، يا حبيبتي پولين، على إرسالي اليك هذه الرسالة، أو بالأحرى، هذه المسوَّدة التي غاب عنها تسلسل الأفكار؛ ولا أعرف حتى، إذا كنتِ ستستطيعين قراءَتها لسوء كتابتها؛ لكن قلبي كان لديه أشياء كثيرة يقولها، ولم تكن ريشتي لتستطيعَ اللحاق به. قولي لعرّابتي العزيزة إنَني أفكّر فيها كثيراً في أثناء رياضتها [٢]، واسأليها ألّا تنسى ابنتها بالمعمودية.

إلى اللقاء، يا أختي الحبيبة، ومرَّة أخرى لا تُعاتبيني كثيراً على إرسال هذه الرسالة اليكِ، لكن لم تكن لديّ الشجاعة لكتابتها من جديد.

صغيرتك تريزيتا

أرسل اليك بمسكة ريشتك الصغيرة.

قولي لأمي العزيزة [٣] إنَّ تريزيتها تحبّها من كلِّ قلبها.

---

(٢) رياضة جماعية وعظها الأب بيشون، الأب الروحي لماري للقلب الأقدس Marie du Sacré-Coeur .

(٣) الأم ماري دى غونزاغ رئيسة الكرمل.

الرسالة ٢٨ إلى الأب بيشون

٢٣ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٨٧

أبتِ الموقرّ،

بما أنك تهتم بأخواتي، فكرتُ في أنَّك قد تريد فعلاً أن تهتمّ بالأخيرة أيضاً. أودّ لو استطيع ان اكشف لك عن نفسي. لكنّي لست كشقيقاتي، ولا أعرف التعبير كتابةً عن كلِّ ما أشعر به. أَعتقد، يا أبتِ، بالرغم من كلِّ شيء، بأنك ستحزرني. وعندما ستأتي إلى ليزيو آمل أن أستطيع رؤيتك في الكرمل حتى أفتح لك قلبي.

يا أبتِ، لقد وهبني الله للتوّ نعمةً كبيرة: إني اتوق، منذ فترة طويلة، إلى دخول الكرمل، وأعتقد أنَّ الوقت قد حان؛ فوالدي يريد فعلاً ان ادخل في الميلاد.

آه! يا أبتِ، يا لطيبة يسوع بأن يأخذني في ريعان شبابي! ولا أدري كيف أشكره.

لقد رأى خالي أنَّني صغيرة جدًّا، لكنه قال لي أمسِ إنَّه يريد أن يفعل مشيئة الرب. فأطلب منك، يا أبتِ، أن تتكرَّم وتصلّي لأجل ابنتك الأخيرة. لقد عدتُ من الكرمل، حيث قالت لي أخواتي إنني أستطيع أن أكتب اليك حتى افصح لك بكل بساطة عما كان يحدث في قلبي. وكما ترى، يا أبتِ، فإنَّني فعلتُ ذلك آملةً ألَّا ترفض اعتباري ابنةً لك.

بارك حَمَلَكَ الصغير الثاني[1].

تريز

الرسالة ٢٩ إلى ليوني

٢٣-٣٠ (؟) تشرين الأول/ اكتوبر ١٨٨٧

أُخيَّتي العزيزة،

لا أعرف كيف أُعبِّر لكِ عن مدى سروري برسالتك، وأشكرك على معايدتك

(١) الحمل الأول هو الأخت أنييس ليسوع.

الظريفة جدّاً. وكنت أودّ لو أكتب إليكِ فوراً، لكننا الآن على عجلة من امرنا،[١] مما جعل الأمر مستحيلاً عليَّ. ولا تستطيع سيلين الكتابة اليك لأنَّها مشغولة كثيراً، لكن هذا لا يمنعها من التفكير في أُخيَّتها التي تحبُّها للغاية، وهي تكلِّفني بعناقك. قلتِ لي في رسالتك بأن اصلي الى الطوباوية مارغريت ـ ماري[٢] كي تحصل لك على أن تصيري قديسةً في رهبانية دير الزيارة ؛ فمن أجل ذلك، انا لا أفوّت يوماً واحداً.

أشكرك على أنَّك نبّهتني كي ألقي نظرةً على يسوعي الطفل الجميل؛ فهو لم يَتْلَف، إنَّما لا يزال نَضِراً مثلما تركتِه ، فقد قبَّلتُ قدمه الصغيرة عنك، وبدا كأنَّ يده تباركك من بعيد.

أختي الحبيبة، لديَّ أشياء كثيرة أقولها لكِ، لكن[٣]...

الرسالة ٣٠ إلى الأخت أنييس ليسوع والأخت ماري للقلب الأقدس.

٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٨٧
باريس، فندق ميلوز

أختيَّ الصغيرتين العزيزتين،

لم تُرد سيلين أمسِ، أن أكتب اليكما؛ ولم أشأ أنا، مع ذلك، أن تتلَّقيا رسالةً منها، بدون كلمةٍ من صغيرتكما تريزيتا. أرى أنَّني أكتب ، فعلاً ، مثل قطةٍ صغيرة، لكن أرجو ألَّا تعاتباني لأنَّني تعبةٌ إلى أقصى حدّ . كل شيء يدور حولي. غداً سنكون خارج فرنسا. كل ما أراه يذهلني: لقد رأينا أشياءَ جميلةً جدّاً في باريس، لكن السعادة ليست في كلِّ هذه. ستحدِّثكما سيلين ، إن أرادت، عن روائع باريس؛ اما بالنسبة اليّ فسأقول فقط إنَّني أفكر فيكما أغلب الأحيان، فالاشياء الجميلة في باريس لا تأسر قلبي أبداً.

إني أشبه قليلاً عرّابتي العزيزة، فاخاف دوماً من ان أُسحَق. وفي كلِّ لحظة أجد

(١) الانهماك بتحضيرات السفر إلى روما.

(٢) B^se^ Marguerite-Marie .

(٣) مسوّدة لم تُكمَّل.

نفسي محاطةً بالسيارات. آه! يا أختيَّ الصغيرتين، كلّ الأشياء التي أراها لا تمنحني السعادة، فلن أحظى بها إلّا حينما أصير حيث أنتما الآن..

كنت سعيدة جدّاً في كنيسة سيِّدة الانتصارات[١]، وقد صلّيت كثيراً لأجلك ولأجل أمي الحبيبة.

أود لو أكتب الى الصغيرتين ابنتي خالي الحبيبتين، لكن سيكون ذلك في مرة أخرى، لأنّني سأكتب، إلى ليوني، أيضاً. مسكينة ليوني، كيف أصبحت؟... أرجوكما أن تقولا لهما[٢] إنّني أفكّر فيهما كثيراً. لقد طلبتُ النعمة لجانّ في بازيليك القلب الأقدس في مونتمارتر[٣]. أعتقد أنّها ستفهم. لا تنسيا أيضاً خالي الطيِّب وامرأة خالي العزيزة. أستودعكما الله، يا عرّابتي العزيزة، ويا نجيّتي[٤] الحبيبة، وصلِّيا لأجل صغيرتكما تريزيتا.

آمل أن تأخذا بعين الاعتبار أنّني كتبتُ رسالتي مساءً وكنتُ تعبةً جداً، وبدون ذلك لم أجرؤ حقاً على إرسالها اليكما.

عانقا عني أمّي الحبيبة.

الرسالة ٣١ أ إلى ماري غيران

١٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٨٧
البندقية الخميس ١٠، (مساء)

عزيزتي الصغيرة ماري،

وأخيراً حان الوقت الذي أستطيع فيه أن أكتب اليك؛ لن نذهب في نزهة هذا المساء، وفضّلت المجيء لأسترخي قليلاً بالقرب منك.

قولي، أرجوك، لامرأة خالي العزيزة إنّها لا تستطيع أن تتصوَّر مدى تأثري برسالتها؛

(١) تلميح إلى إقامة ماري في باريس على ثلاث فترات قصيرة.
(٢) بنتا خالها جان وماري غيران.
(٣) Montmartre
(٤) الأخت أنييس ليسوع.

وأريد أن أكتب اليها شاكرة، لكني آمل أنّها ستعذر ابنتها الصغيرة وأنّها ستحزر ما يريد قلبي أن يقول لها؛ من جهة أخرى ليس لديَّ إلّا وقت قليل جداً لأنَّ سيلين لا تريد أن أطيل السهر.

لا يمكنك، يا اختي الصغيرة العزيزة، ان تتصوّري كلَّ ما نشاهده؛ إنَّه حقاً رائع، ولم أكن أتصوَّر أننا سنرى مشاهد جميلةً بهذا القدر، وهي من الوفرة ما يُلزمني بالاقلاع عن روايتها؛ وسأفعل ذلك بشكل أفضل حين سأصير في عزيزتي ليزيو الصغيرة التي لن تجعلني أنساها كلُّ جمالات إيطاليا.

يا أخيَّتي الحبيبة، كيف حالك؟ كيف حالكم جميعاً؟ آمل أن تكونوا في حالة جيّدة. هل أنت مَرِحَة بقدر ما كنتِ عليه عندما رحلنا؟

آه! لو تعلمين يا ماري كم أفكر فيكم جميعاً. ففي الكنائس الجميلة التي نذهب إليها لا أنساكم. لقد تذكَّرتكم أيضاً أمام روائع الطبيعة. وبالقرب من هذه الجبال السويسرية التي اجتزناها صلّينا كثيراً جدّاً وشعرنا بأنَّ الله هناك!

كم بدوتُ صغيرةً أمام هذه الجبال الشاهقة!

إن ايطاليا بلدٌ جميلٌ جدّاً، ونحن نتمتّع الآن بسمائه الزرقاء الجميلة. وقد زرنا، بعد الظهر، آثار البندقية [١] بواسطة الجُندول. يا للروعة!

وقد بدا لي مضحكاً جدّاً أن أسمع مَن حولنا يتحدثون بلغة ايطاليا، وهي جميلة ومتناغمة. ويناديني العاملون في الفندق Signorella سينيوريلا، لكنّي لا أفهم شيئاً آخر غير هذه الكلمة التي تعني: الآنسة الصغيرة.

أودّ لو أكتب اليكم غالباً، لكنَّ نهاراتنا مليئة بطريقةٍ لا تصدَّق، ولا يمكنني أن أكتب إليكم إلّا متأخرةً جداً، في المساء. إنَّني أخجل كلّ الخجل من رسالتي، فقد كتبتها بسرعة كبيرة وأفكارها لا تتابع فيها؛ وأرى أنَّني لم أبدأ، بعدُ، بقول ما كنتُ أريده؛ ولديَّ أشياء كثيرة أخبرك بها، وأشياء كثيرة أطلبها منك؛ ولو أصغيتُ إلى نفسي، لاسترسلتُ طويلاً؛ وقد لا تتركني سيلين أكمّل الكتابة، وحتى انَّها جعلتني أستعجل جدّاً.

(١) بدا أنَّ تريز حفظت عن البندقية انطباعاً حزيناً (راجع **المخطوط** أ، ص ٩ي).

أشكري خالي على الكلمة الصغيرة الطيّبة التي أرسلها إلينا وسرّنا بها جميعاً. عانقيه بشدَّة عنّي، ولا تنسي صغيرتي جانّ فأنا أفكر فيها غالباً.

أستودعك الله، يا أختي الصغيرة العزيزة؛ فكّري أحياناً في صغيرتك تريز التي تفكّر فيكِ معظم الأحيان. (أتعلمين أنّني لم أنسَ ما فعلتِه من أجلي في يوم أحدٍ؟).

صغيرتك تريز

بابا بخير. ويبلّغك تحيّاته. (عن س.ت)[٢] تحيّاتي لماريا[٣] ومارسيلين[٤].

الرسالة ٣٢ إلى السيِّدة غيران

١٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٨٨٧
الإثنين ١٤ مساءً

عزيزتي امرأة خالي

ليتكِ تعلمين مدى سعادة بُنيّتك لو أنّها استطاعت أن تكون بالقرب منك لكي تقدِّم لكِ أمنياتها بعيدك[١]! لكن بما أنَّ هذه الغبطة قد رُفضت لها فهي تريد على الأقل أن تتجاوز البحارَ كلمةٌ صغيرة من قلبها لتحلَّ محلَّها. يا لها كلمةً مسكينة! كم ستعجز عن ان تعبِّرَ لامرأة خالي الحبيبة عن كلِّ مودَّتي التي أكُنُّها لها!

كم كنّا سعداء هذا الصباح باستلامنا رسائلك العزيزة! آه! يا امرأة خالي، لو كنتِ تعلمين كم أجدكِ طيِّبة....

لقد استلمنا جميع رسائل الكرمل التي لم يفقد أيٌّ منها. سأعمل بما قالته لي پولين في رسالتها (فندق ميلانو)، ولا أدري ماذا أعمل لأتحدّث الى البابا. حقاً إن لم يتكفَّل

---

(٢) ربّما تعني هذا الأحرف بالفرنسية: عن سيلين وتريز.
(٣) خادمة البويسونيه ولم يذكر اسم عائلتها.
(٤) مارسيلين هوسه Marcelline Husé، خادمة آل غيران.

الرسالة ٣٢

(١) القديسة إليصابات الهنغارية، وعيدها في ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر. Ste Elisabeth de Hongrie.

الربُّ بكلِّ شيء فلا أعلم ماذا سأفعل. لكن لي ثقة كبيرة بأنَّه لا يمكنه أن يتركني، وأضع كلَّ شيء بين يديه.

لا نعرف، بعدُ، يوم المقابلة. يبدو ان البابا، كي يتحدّث الى الجميع، يمر أمام المؤمنين، لكنّي لا أظن أنَّه يتوقَّف. وبالرغم من كل شيء، فأنا عازمة كلّ العزم على أن أكلِّمه؛ فقبل أن تكتب اليّ پولين كنت أفكر في ذلك؛ لكنّني قلت في نفسي: إن شاء الله أن أكلّم البابا، فسيُعلمُني بذلك...

عزيزتي امرأة خالي، اودّ لو أمكِّنُك من القراءة في قلبي، لرأيتِ فيه كلَّ ما أتمناه لعيدك أفضل بكثير ممّا ترين، في رسالتي. أنا بعيدة، بعيدة جدّاً عنك، يا امرأة خالي الصغيرة العزيزة، لكنّي لا أصدّق كم ابدو هذا المساء بالقرب منك، وأريد أن أقول لك كم أحبّك وكم أفكّر فيك؛ لكن هناك أشياء لا تقال، ولا يمكن لها إلّا أن تُحزَر...

يا امرأة خالي العزيزة، أرجوك أن تشكري عنّي كثيراً عزيزتي الصغيرة ماري، على رسالتها الصغيرة اللطيفة و الودودة جداً، فلقد أمتعتني لأقصى حد. شكري أيضاً لعزيزتي الصغيرة على أنها قد فكرت في أختها الصغيرة.

إلى اللقاء، يا عزيزتي امرأة خالي الصغيرة، وأرجوك أن تعانقي عني خالي العزيز؛ وأرسل اليك، يا امرأة خالي العزيزة، أفضلَ ما وجَّهتُ اليك من أمنيات؛ فعندما نفترق عمّن نحبُّهم نشعر بعمق المودة التي نكنّها لهم.

ابنتك الصغيرة

تريز

الرسالة ٣١ ب إلى ماري غيران

١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٧

الإثنين ١٤. أُخيَّتي الحبيبة، انظري الى تاريخ رسالتي(١). كنتُ أظن أنَّ سيلين قد أرسلتها منذ فترة طويلة، وكنتُ أعتقد أنَّكِ استلمتِها!... حقاً ستعتقدين أنَّني نسيتك.

(١) تعود تريز الى الرسالة التي بدأتها في البندقية بتاريخ ١٠ تشرين الثاني وتكملها الرسالة ٣١ أ.

آه! يا أخيَّتي، كم أسعدتني رسالتك، فقد وجدت فيها صغيرتي ماري..

شكراً!... أستودعك الله... أرسل اليك هذه الرسالة القديمة؛ تصوّري أنّه كان يجب إرسالها منذ أربعة أيام..

الرسالة ٣٣ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس

١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٧

عرّابتي العزيزة

لقد حكمتِ، حقّاً، حكماً لا سند له بظَنِّك أني سأقرأ رسالة پولين قبل رسالتك، فقد حصل العكسُ تماماً...

آه! نعم يا ماري، وقد كشفتِ لي ذلك في رسالة هذا المساء الصغيرة، ففهم قلبي كلَّ شيء... كم سرَّتني هذه الكلمة الصغيرة!

حين أقرأ الرسائل التي تُرسلْنَها إليَّ، ينتابني شعورٌ شديد العذوبة، لا أدري ما هو، ينتشر في قلبي.

بابا بخير، وهو مسرور جدّاً برسائلك.

سألت في احد الاديار إن كنت أستطيع الحصول على ذخائر القديسة أنييس، فهذا مستحيل[1].

تريزيتَكِ تحبُّكِ من كلّ قلبها.

الرسالة ٣٤ إلى الأخت أنييس ليسوع

١٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٧

عزيزتي پولين،

لم أستطع حقاً منعَ نفسي من شكرك على كل ما صنعته إليّ. آه! تضرعي إلى الرب

(١) لقد حصلت تريز على ما ارادت بطريقة أخرى. (**مخطوط** أ، ص ٦٢ي).

كثيراً لأجلي! بما أنَّ الأسقف[١] لا يريد الأمر، فإنَّ الوسيلة الأخيرة التي بقيت لي هي التحدّث إلى البابا، ولا بدَّ من أن يكون ذلك ممكناً. لا بدَّ من أن يكون الطفلُ يسوع هو مَنْ يُعِدُّ كلَّ شيء حتى لا يكون لطابته[٢] الصغيرة إلّا أن تتدحرج حيث يشاء. لو كنت تعلمين كم سرَّني ما قلتِهِ في رسالة لوريت، وكم عزَّاني! آه! تابعي، يا پولين، حمايتي. إنَّني بعيدة جدّاً عنك. – ولا أستطيع أن أقول لكِ كلَّ ما أفكر فيه! هذا مستحيل... لعبة يسوع الصغيرة.

تريزيتا

الرسالة ٣٥ إلى ماري غيران

السبت ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٧

عزيزتي الصغيرة ماري

غداً، يومَ الأحد، سوف أتحدّث إلى البابا؛ وحين تستلمين رسالتي ستكون المقابلة قد تمَّت. أجد أنَّ البريد لا يرسل الرسائل بسرعة لأنَّه عندما ستتلقَّين رسالتي لن تعرفي شيئاً عمّا سيكون قد حدث. لن أكتب إلى الكرمل هذا المساء، لكنّي سأقول غداً ما يكون البابا قد قاله لي.

آه! يا أُخيَّتي الحبيبة، ليتكِ تعلمين كم يخفق قلبي بشدة حينما أفكر في الغد!

ليتكِ تعرفين جميع الأفكار التي تراودني هذا المساء! أودّ لو أستطيع قولها لك؛ لكن لا، فهذا يستحيل عليَّ؛ وأرى ريشة سيلين تنساب فوق ورقتها، بينما تتوقّف ريشتي؛ فعندها الكثير ممّا تقوله.

آه! يا صغيرتي ماري، لست اعلم ما سيكون رأيك بتريزتك المسكينة؛ فهذا المساء لن تستطيعَ حقاً أن تقصَّ عليكِ سَفَرها، فستترك الامر لسيلين.

آمل أن تكوني في صحَّة جيدة وتعزفي موسيقى جميلةً دائماً. ففي إيطاليا نسمع الكثير منها، وتعرفين أنَّها بلد الفنانين، وتستطيعين الحكم، أفضل مني بكثير، على ما هو

(١) حول جواب الأسقف هوغونان Hugonin التسويفيّ، راجع **مخطوط** أ، ص ٦٢ي.
(٢) كلمة اقترحتها الأخت أنييس، في احدى القصائد، فاحتلّت مكاناً هاماً في كتابات تريز.

جميل لأنَّني لست فنّانة. اما جانّ فيمكنها ان تشاهد رسوماً جميلةً جدّاً. أترين، يا أخيتي، أن ليس لي في روما شيء خاص بي، فكل ما فيها هو للفنانين! ولو كنتُ أستطيع الحصول على كلمة من البابا فقط، فلن أطلبَ أكثر من ذلك..

اليوم هو عيد امرأة خالي العزيزة؛ إني أفكّر كثيراً فيها، وآمل أن تكون قد استلمت رسائلنا.

يا أخيَّتي الحبيبة، عانقي عنّي بشدّة كلَّ الذين أحبّهم. إني أفكر احياناً كثيرة في عزيزتي الحبيبة جانّ. شكراً على رسالتك. ولا تعلمين مدى المتعة التي متَّعتني بها، فقدكانت كشعاع فرح.

إلى اللقاء، يا أُخيَّتي، صلِّي لأجلي.

صغيرتك تريز.

الرسالة ٣٦ إلى الأخت أنييس ليسوع

٢٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٧

عزيزتي الحبيبة پولين

إن الله يجعلني اجتاز محناً كثيرة قبل أن يُدخلني الكرمل. سأروي لكِ كيف تمَّت زيارة البابا (١). آه! لو كنتِ استطعت، يا پولين، القراءة في قلبي لكنتِ لمست ثقةً كبيرة؛ فأعتقد أنَّني فعلت ما كان الله يريد منّي، ولم يبقَ عليَّ الآن غير الصلاة.

لم يكن سيادته هناك(٢)، بل حلَّ الأب موريس ريڤيروني مكانه. ولكي تكوِّني فكرةً عن المقابلة كان عليك أن تكوني هناك. كان البابا جالساً على كرسي كبير عالٍ جدّاً، وكان م. ريڤيروني قريباً جدّاً منه، ينظر إلى الحجّاج الذين يمرّون أمام البابا بعد تقبيل قدمه، ثمَّ يقول كلمةً عن بعضٍ منهم. إنكِ تتصوَّرين كم كان قلبي يخفق بشدة، لرؤيتي مجيء دوري؛ لكنّي لم أكن أريد العودة دون ان اكون قد تحدّثت إلى البابا. قلتُ ما كنتِ قد أشرتِ عليّ به في رسالتك، لكن ليس كلَّ شيء، لأنَّ ريڤيروني لم يمنحني

(١) راجع مخطوط أ ص ٦٣ش.

(٢) الأسقف جيرمان Germain، من كوتانس Contances، الذي ترأس حج الأبرشيتين.

وقتاً لذلك، فقال على الفور: ايها الأب الاقدس، إنَّها طفلة تريد دخولَ الكرمل في الخامسة عشرة من عمرها، غير أنَّ رؤساءها يهتمّون بالأمر في الوقت الحاضر. (كان البابا الطيِّب طاعناً في السن حتى إنَّه يبدو ميتاً، ولم أكن لأتصوَّره قط على هذا الشكل؛ ولم يكن يستطيع أن يتلفَّظ بشيء تقريباً، فالاب ريڤيروني هو الذي يتكلَّم). كنت أودّ لو استطيع شرح قضيَّتي لكن لم يكن من سبيل إلى ذلك. وقال لي الاب الاقدس بكل بساطة: «إن شاء الله فسوف تدخلين». ثمَّ أجازوني إلى قاعة أخرى. آه! لا أستطيع يا پولين أن أقول لك ما شعرت به؛ كنتُ كأنَّني تلاشيت، وشعرت بأنَّني متروكة؛ ثمَّ أنا بعيدة جداً، بعيدة جداً.. لقد بكيت كثيراً وأنا أكتب هذه الرسالة، وإنَّني لكئيبة جداً. ومع ذلك، فالله لا يمكنه أن يرسل اليّ محناً تفوق طاقتي. لقد منحني الشجاعة لأتحمل هذه المحنة، آه! إنها لكبيرة جداً... لكن، يا پولين، أنا طابة الطفل يسوع الصغيرة؛ فإن شاء أن يُحطِّمَ لعبته فهو حرٌّ فعلاً؛ نعم أريد، حقّاً، كلَّ ما يريده.

لم أكتبْ قط كلَّ ما كنتُ أودّ كتابته. ولا أستطيع كتابة هذه الأشياء، بل عليَّ أن أتكلَّم؛ ثمَّ أنكِ لن تقرأي رسالتي قبل ثلاثة أيام. آه! ليس لي، يا پولين، إلَّا الله وحدَه، وحده فقط...

أستودعك الله، يا پولين الحبيبة، فلن أستطيع القولَ في ذلك أكثرمما قلت. وأخشى أن يأتيَ بابا ويطلب قراءة رسالتي؛ وهذا مستحيل[٣].

صلّي لأجل بُنيّتِك.

تريزيتا

أودّ لو اكتب إلى أمي[٤] العزيزة، لكنّي لا أستطيع هذا المساء. فاطلبي إليها أن تتكرَّم وتصلّي لأجل تريزيتها المسكينة.

قبّلي عني كثيراً عزيزتي ماري؛ لقد كتبت هذه الرسالة إليها أيضاً، لكني أفضِّل ألَّا أتحدّث إلَّا إلى شخص واحد. آمل أنَّها ستفهم صغيرتها تريزيتا. ليس لديَّ وقت لأعيدَ قراءة رسالتي، فهي، بكل تأكيد، مليئةٌ بالأخطاء، فاعذريني.

---

(٣) كانت تريز تخشى أن تُحزن والدها.

(٤) هي الأم الرئيسة ماري دي غونزاغ.

الرسالة ٣٧ إلى ماري غيران

فلورنسا،
الجمعة ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٧

عزيزتي الصغيرة ماري

يمضي الوقت بسرعة كبيرة جداً، ولم يبقَ الا بضعة ايام ونكون مجتمعين. آمل، من اليوم، أن نكون معكم بعد ثمانية ايام.

أعدكِ بأنّني سأترك بسرور كل روائع إيطاليا. كل هذا جميل فعلاً؛ لكني لا أستطيع نسيان مَنْ تركتهم في ليزيو، فهناك ما يشبه المغناطيس يجذبني الى هناك، فسأعود إليها بكثير من المتعة.

إنكِ لا تعلمين ما سبَّبت لي رسالتك اللطيفة من الفرح. فقد كنتُ سعيدةً جداً بأن تحدّثيني عن عيد عزيزتي امرأة خالي، وكنتُ قريبةً منكم بالروح؛ في تلك اللحظة لم تبقَ ايّ مسافة بين روما وليزيو. لقد أحسنتِ بأنك أخبرتني عن الهدية التي قدَّمتها لكِ امرأة خالي، لأنّني لم أكن لأحزرها قط؛ يا لَلمفاجأة الجميلة!

لن أُكلِّمك على زيارة الحبر الأعظم، فأتصوَّر أنْ قد وصلت إليكِ أخبارُها عبر الكرمل... فقد كنتُ فعلاً يائسة؛ لكن بما أنَّ هذه هي مشيئة الله...

آمل، يا أُخيَّتي الحبيبة، أنّكِ ستتكرّمين وتتابعي الصلاة من أجلي، ولي ثقة كبيرة بصلواتك؛ ويبدو لي أنّ الله لا يستطيع أن يرفضَ لكِ شيئاً.

كنتِ تَشْكين من أنَّ رسالتك مكتوبة بشكل سيِّء. حقاً، إذا كنتِ صعبةً بهذا القدر، فلن أجرؤ، بعد، على إرسال رسائلي إليكِ، فهي فعلاً خربشات. أفكِّر أحياناً كثيرة فيكِ وفيكم جميعاً، وأحياناً كثيرة حتى اني أحلم بكم ليلاً، وأودّ لو أكونُ قد صرت بالقرب منكم.

منذ مدة طويلة لم تصلنا أخبارٌ من الكرمل، وأخشى أن يكون بعضها قد ضاع. كنّا أمسِ في أسيزي[1]. وعند عودتنا من احدى الكنائس وجدتُني وحدي ومن دون

---

(١) Assise .

عربة، ولم تبقَ هناك إلا عربة الاب ريڤيروني. فأصعدني معه، وكان لطيفاً جدّاً، ولم يرد أن أدفع أجرة مكاني. لم يكلّمني قط على شؤوني ولا أدري ما رأيه في المقابلة.

الاحظ أني قد استعملت ضمير الغائب كثيراً وفي غير محلّه فصارت رسالتي غريبة الشكل.

أشكري امرأة خالي كثيراً على رسالتها، فقد أثّرت فيّ تأثيراً لا أستطيع التعبير عنه. قبّلي عني جميع الذين أُحبهم.

أستودعكِ الله يا أُخيَّتي الحبيبة،

إلى اللقاء، وداعاً.

تريز

الرسالة ٣٨ ب إلى الاسقف هوغونان

٣-٨ (؟) كانون الأول/ ديسمبر ١٨٨٧

صاحب السيادة

جئت ألتمس من عظمتكم، أن تتكرّموا بإعطائي الجواب الذي أتّمناه منذ امدٍ بعيد.

صاحب السيادة، أنا آمل كلَّ شيء من رأفتكم الأبوية؛ نعم، أن يسوع سيتكرّم ويحقّق وعده بواسطتكم.

يا صاحب السيادة! يُقال إنَّ المحن هي علامة على وجود دعوة؛ نعم، تعلمون حقّاً أنَّ الله لم يحرمني منها؛ لكني كنتُ أشعر بأنّني أتألّم لأجل يسوع، ولم اقطع رجائي لحظةً واحدة. لقد جعلني الطفل يسوع أحسّ بأنَّه يريدني في الميلاد بقوةٍ لا أستطيع معها مقاومة النعمة التي ينعم عليَّ بها. إنّي حقّاً صبيّة؛ ولكن، يا سيّدنا، بما أنَّ الله يناديني ووالدي يريد ذلك فعلاً...

آمل أنَّ الأب ريڤيروني قد تفضّل وتحدّث عنّي الى سيادتكم؛ وكان قد وعدني بذلك، في أثناء السفر إلى روما، فلن أنسى ابداً لطفه معي.

يا صاحب السيادة! هوذا الميلاد يقترب، لكني أنتظر إجابتكم بثقة كبيرة. ولن أنسى أبداً أن إتمامي مشيئة الله، انما سأكون مدينةً به لعظمتكم.

ولتتفضّل سيادتكم بمباركة ابنتكم.

وأنا الابنةُ الصُغرى الكثيرة العرفان بجميل عظمتكم،

تريز مرتان

الرسالة ٣٩ إلى الأب ريڤيروني

ليزيو في ١٦ كانون الأول/ديسمبر ١٨٨٧

سيّدي النائب العام

كتبت الى سيّدنا للتوّ، وقد سمح لي أبي وخالي بذلك. وما زلت أنتظر بثقة «نعَمَ» الطفل يسوع. أبتِ، لم يبقَ للميلاد إلّا ثمانية أيام! لكن بقدر ما يمر الوقت بقدر ذلك آمل؛ قد يبدو ذلك تهوّراً، لكنّي أظن مع ذلك أنَّ يسوع هو مَنْ يتكلَّم فيَّ.

إنَّ جميع تسليات السفر إلى روما لم تستطع أن تطرد من ذهني، للحظةٍ واحدة، رغبتي المضطرمة في الاتحاد بيسوع. آه! لماذا يناديني بهذه الشدّة إن اراد ان يُسقمني بعيدةً عنه؟

أبتِ، آمل أن تكون قد رافعتَ عن قضيتي لدى سيّدنا كما وعدتني. وإذا كان يسوع قد عزّاني في محني فإنّما كان بوساطتك؛ وإذا دخلتُ الكرمل في الميلاد فأنا أعرف أني سأدين اليك بذلك. غير أني لستُ بناكرة الجميل، وسأذكر جميلَك طوال حياتي.

أطلب إليك بتواضع، يا سيّدي النائب العام، أن تتكرَّم وتبارك.

المُحترمة لك والعارفة بجميلك
الأمة الصغيرة
تريز مرتان

الرسالة ٤٠ إلى المطران هوغونان

بداية كانون الثاني/يناير ١٨٨٨

صاحب السيادة،

تأخّرت كثيراً على شكري لسيادتكم، على هدايا رأس السنة الجميلة التي تكرَّمتم بإرسالها [١] إليّ. فجميع جمالات هذا العالم لم تكن لتمتِّعني أكثر منها. فالطفل يسوع، إذا، لم يخدعني! ففي مهده قال لي «نعم».

سيِّدنا، لا أعتقد أنّه [٢]...

الرسالة ٤١ إلى الكاهن القانوني دولاترويت[١]

١٣–٣٠ كانون الثاني/يناير ١٨٨٨

حضرة الخوري،

أشكرك كثيراً على الصورة الجميلة التي تكرَّمت بإرسالها إليّ بواسطة الأخت أنييس، وسأحفظها بعناية كبيرة كأول تذكار سيكون دائماً عزيزاً عليَّ.

تفضَّل، حضرة الخوري، وبارك من بعيد صغرى بناتك. إنَّها تعمل الآن على إعداد نفسها للحياة الكرملية. أعلم أنَّها لنعمة كبيرة أن أكون مدعوة، لكني لن أكون عاقَّةً، بل آمل ان يعطيني الله في ريعان شبابي الوسيلةَ لأكون أمينة كما أتمنّى ذلك من كلّ قلبي.

أطلب إليك بخضوع، حضرة الخوري، ألَّا تنسى في صلواتك،

طفلتك الصغرى
تريز

(ملاحظة) هاكَ كلمةً صغيرة من الاب ريڤيروني وقد رجوت سيلين بأن تعطيك اياها.

---

(١) الأذن بدخول الكرمل.
(٢) نص غير مكتمل.

رسالة ٤١

(١) مسوَّدة بيد الأخت أنييس ليسوع، تحاول تريز إعادة نسخها.

الرسالة ٤٢ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس

الثلاثاء ٢١ شباط/فبراير ١٨٨٨

عزّابتي العزيزة،

لا أنسى أنَّ غداً عيد ميلادك، وإني أفكّر فيه منذ زمن طويل. سأكون سعيدة جداً لو تمكّنت من رؤيتكِ لأقدم لكِ أمنياتي ببلوغكِ الثامنة والعشرين من العمر. لكن بما أنّنا في فترة الصوم، فلا بدَّ من القيام بتضحيات[1].

عزيزتي الصغيرة ماري، في يوم أربعاء الرماد، قدَّم لي بابا هديةً تمنَّيتُ لو أقدمها لكِ مائةً أو ألفاً، وأعتقد أنَّك لن تحزريها. تصوّري، يا عزيزتي ماري، أنَّه كان في أسفل كيس بابا الكبير حَمَلٌ صغير ساحرٌ جَعْدُ الصوف. وقال لي هذا الوالد الصغير الطيِّب، وهو يعطيني إياه، بأنّه كان يريد أن أتمتَّع بالحصول على حَمَلٍ قبل دخولي الكرمل. وكان الجميع سعداء، وسيلين في نشوة أن نملك حَمَلاً ابنَ اليوم. وكان أكثرَ ما أثرّ فيّ، خاصةً، لطفُ بابا وهو يقدّمه لي. ثمَّ إنَّ الحَمَل يحمل رمزاً واضحاً، فقد جعلني أفكر في پولين.

كل شيء على ما يرام حتى الآن؛ كل شيء ساحر، لكن لا بدَّ من انتظار النهاية. كنا قد صرنا نبني قصوراً في إسبانيا[2] مع الحَمَل الصغير، وننتظر أن نراه يقفز من حولنا خلال يومين أو ثلاثة أيام. لكن يا للأسف! لقد مات الحيوان الصغير الجميل بعد الظهر؛ كان قد تعرَّض لبرد شديدٍ في العربة التي ولد فيها. يا للصغير المسكين! فما إن وُلد حتى قاسى العذاب.

كان الحَمَلُ الصغير لطيفاً للغاية، وعليه من سمات البراءة ما حمل سيلين على رسم وجهه على قماشة صغيرة؛ ثمَّ حفر أبي حفرةً وضعنا فيها الحمل الصغير الذي كان يبدو نائماً؛ ولم أرِد أن يغطيه التراب، فألقينا الثلجَ عليه ثمَّ انتهى كل شيء...

أنت لا تعرفين، يا عزابتي العزيزة، كم حملني موت هذا الحيوان الصغير على التفكير! إي نعم! علينا ألّا نتعلّق بأي شيء على الأرض، حتى ولا بأكثر الأشياء براءة، لأنَّكِ تفتقدينها في لحظةٍ قلّما تفكّرين فيها. ولا يمكن ان يرضينا الا ما هو أبدي. يا

---

(١) تُلغى اللقاءات في المتحدَّث خلال الصوم.

(٢) عبارة تعني تخيُّلَ امورٍ جميلة وهميّة.

عزيزتي ماري، أرى انَّني لم أحدّثك طوال الوقت إلَّا عن الحمل، وتريد الآن ليوني[٣] أن أتركَ لها زاويةً صغيرة من رسالتي.

وداعاً إذاً، يا عرَّابتي الحبيبة، فإنَّ بُنيَّتك تحبّك أكثر بكثير ممّا يمكنك ان تتصوّري.

تريزيتا.

غداً سأقدّم مناولتي لأجل عرَّابتي العزيزة... قبِّلي عني كثيراً أمي الحبيبة، وكذلك پولين، وقولي لها إنَّني بخير.

صليتُ كثيراً لأجل السيِّد دي ڤيرڤيل[٤].

الرسالة ٤٣ ب إلى الأخت أنييس ليسوع

١٨ (؟) آذار / مارس ١٨٨٨

عزيزتي الصغيرة پولين

كنتُ أودّ لو أكتب إليك فوراً لأشكرَكِ على رسالتك، لكن ذلك استحال عليَّ، فكان لا بدَّ من ان ننتظر حتى اليوم.

يا پولين، إنَّها لحقيقةٌ ثابتة أنّ قطرةَ العلقم تمازج كل الكؤوس؛ لكنّي أجد أنَّ المحن تساعد كثيراً على الإنعتاق من الأرض وتجعلنا ننظر إلى ما هو اعلى من هذا العالم. هنا، لا شيء يُمكنه أن يرضينا، ولا يمكننا أن نتذوّق قليلاً من الراحة إلَّا عندما نكون مستعدّين فيها لتميم مشيئة الله.

إن زورقي الصغير يَشقُّ عليه كثيراً الوصولُ إلى الميناء؛ فمنذ زمن طويل ألَمحُ الشاطئ ولا أجدني إلا مبتعدةً عنه؛ اما سفينتي الصغيرة فيسوع هو من يُوجِّهها؛ وإني لمتأكدة أنَّ يسوع، في اليوم الذي يشاءه، سيُمكنه إرساؤُها في المرفأ بكل أمان. يا پولين، عندما سيضعني يسوع على شاطئ الكرمل المبارك، أريد أن أهبَ نفسي كلّها له، ولا أريد أن أحيا إلَّا من أجله. آه! لا! لن أخشى ضرباته، لأنَّه، حتى في أكثر الآلام مرارةً، نشعر

(٣) تركت ليوني دير راهبات الزيارة في ٦ كانون الثاني/يناير السابق.

(٤) Monsieur de Virville : شقيق الأم ماري دي غونزاغ.

دائماً بأنَّ يده الناعمة هي الضاربة . ولقد شعرتِ بذلك، بوضوح، في روما، في ذات اللحظة التي خيِّلَ إليَّ فيها ان الارض كادت تَميدُ تحت قدمي.

وعندما سأصير في الكرمل، لن أتوق إلا الى شيء واحد، وهو أن أتألم دائماً لأجل يسوع. إنَّ الحياة تمضي بسرعة للغاية بحيث يصبحُ الحصولُ على إكليلٍ جميلٍ جدّاً ، مع بعض الألم ، أفضلُ من أن نحصلَ على إكليلٍ عادي من دون عذاب. واعتقد، من ثمّ، أننا، لأجلِ عذابٍ نتحمّله بفرح، سوف نحبُّ الله بطريقة افضل طوال الأبدية كلّها، إضافة الى اننا يمكننا بعذابنا ان نخلّص النفوس. آه، يا پولين! كم سأكون سعيدة لو كان لي في ساعة موتي نفسٌ أقدّمها ليسوع! فسيكون هناك نفسٌ انتزعت من نار الجحيم لتبارك الله مدى الابدية.

يا أُخيَّتي الحبيبة، أرى أنّني لم أكلّمك، بعد، على رسالتك التي أمتعتني، مع ذلك، كثيراً. إنَّني سعيدةٌ جداً يا پولين، بأن الله وهبني شقيقةً مثلك، وآمل انّك ستصلّين لاجل ابنتك الصغيرة المسكينة لكي تتجاوب مع النِعم التي يشاء يسوع فعلاً أن يُنعم عليها بها؛ إنّها بحاجة ماسّة الى مساعدتك لأنَّها أقل بكثيرٍ ممّا تريد أن تكون عليه.

بلِّغي عرّابتي العزيزة أنّني أفكر فيها غالباً، ونودّ لو نعلم متى ستبرز نذَرها في الداخل[١]...

تقبِّلك سيلين كثيراً، فهذه الأُخيَّة المسكينة تتوجَّع من قدمها، ولا أعتقد أنَّها ستستطيع الذهاب إلى صلاة المساء. اما عند خالي فالجميع، تقريباً، مرضى. حقاً إنَّ الحياة ليست مرحة، ومن الصعب جداً التعلّق بها.

وداعاً يا پولين حبيبتي ونجيّتي. الى اللقاء في اثنين الفصح[٢] وخاصةً في التاسع من نيسان[٣]... عانقي عنّي أمّي العزيزة[٤].

---

(١) ستبرز الأخت ماري للقلب الأقدس Soeur Marie du Sacré-Coeur نذورها «في الداخل»، يعني في قاعة المجمع، في حرم الدير، في ٢٢ أيار/مايو ١٨٨٨.

(٢) ٢ نيسان، يوم المُتحدَّث الأول الممكن بعد الصوم.

(٣) تاريخ دخولها الكرمل.

(٤) الأم ماري دي غونزاغ.

الرسالة ٤٤ إلى المطران هوغونان

٢٧ آذار / مارس ١٨٨٨

صاحب السيادة

أسمح لنفسي بالمجيء طالبةً البركة عشية دخولي الكرمل. ولا أنسى أنَّني الابنة الصغيرة لعظمتكم، وأعلم بما أنا مدينة به لرأفتكم الأبوية. الآن صغيرتكم[1]..

الرسالة ٤٥ إلى الأخت أنييس ليسوع

الثلاثاء ٢٧ آذار/مارس ١٨٨٨

أُخيَّتي الحبيبة،

كتبت للتوِّ إلى سيِّدنا الرسالة التي وضعتِها[1] لي، وأشكركِ كثيراً. آه! ما اجملَ صورتَك! إنَّها لرائعة.

أبعث إليكِ بهذه الكلمة الصغيرة على وجه السرعة لأعرف إذا كنتِ تريدين فعلاً أن أقول عند خالي إنَّك رسمت صورةً وإنَّني كتبتُ. فإذا عرفوا فيما بعد، فلن يكونوا مسرورين، لكنني سأقول لهم، أيضاً، إن موعدنا هو التاسع. وبما اننا سنذهب الى بيت خالي، غداً الخميس، فأودّ لو تضعين كلمةً كي يأخذها أبي غداً صباحاً.

آه! نعم يا پولين، ما زلتُ أريد أن أكون حبَّة الرمل الصغيرة ... كم أراحتني رسالتك! لو كنتِ تعلمين كم نفذت الى صميم قلبي!

أتمنى أن أقولَ لكِ أشياء كثيرة بصدد حبّة الرمل الصغيرة، لكن ليس لديَّ وقت... (أريد أن أكون قديسة ...).

---

(١) نسخة غير مكتملة لمسوَّدة وردت من الأخت أنييس ليسوع. وبقية النص مجهولة.

رسالة ٤٥

(١) **الرسالة** ٤٤.

وقعتُ في يوم ليس ببعيد على كلامٍ أعجبني كثيراً ولم أعد أذكر القديس الذي قاله وهو: «لستُ كاملاً لكني أريد أن أصبح كذلك»[٢].

كم من عباراتٍ لا تسلسل فيها! سامحيني، يا أُخيَّتي الحبيبة، فأنا أستعجل كثيراً.

في ٩ نيسان/ ابريل

تريزيتا.

(٢) منسوبة إلى القديس أغسطينوس Saint Augustin.

المرحلة الثالثة : الطالبية
(٩ نيسان/ابريل ١٨٨٨ – ١٠ كانون الثاني/يناير ١٨٨٩)

الرسالة ٤٦ إلى السيِّد مارتان

ي.م.ي.ت.[١]

الأحد ٢٩ نيسان/ابريل ١٨٨٨

والدي الصغير العزيز

ما ألطفك حقّاً، حيال ملكتك الصغيرة، إذ لا يمرّ يوم تقريباً دون أن تتلقّى فيه بعض الهدايا من ملكها.

أشكرك على كل شيء، يا والدي الصغير الحبيب. لو كنتَ تعلم كم تحبُّك يتيمةُ البيريزينا الصغيرة! لكن لا، فهذا لن تعرفه إلّا في السماء. فهناك سنرى تماثيل رائعة على إفريزات جميلة؛ وعندئذٍ سنستطيع حقاً الدخول في الانخطاف[٢]؛ ثمَّ أيُّ دليل سيطوف بنا لنرى روائع السماء!... أرى أنَّ قديسين كثيرين سينالون صليباً بيزنطياً في هالتهم. ولن يكون هناك إلّا نواويس لن نراها، لأن السماء لن توجد فيها قبور أبداً.

يا والدي الصغير الحبيب، أرى الساعة تنقضي، ولا بدَّ لي من أن أتركك؛ لكن، قبل ذلك، أعانقك من بعيد، من كلِّ قلبي.

اللؤلؤة الصغيرة الثمينة[٣] تعانقك كثيراً آه! يا بابا، لو كنتَ تعلم ما أثمن لؤلؤتك الصغيرة الثمينة...

الألماسة البراقة والغجرية[٤] تعانقك أيضاً من كلِّ قلبها.

---

(١) الاحرف الاولى من الاسماء التالية : يسوع، مريم، يوسف، تريزا، وهي عادة مألوفة في الكرمل.
(٢) تريز تسخر من لهجة الدليل المرافق في زيارة آثار روما (**مخطوط** أ ص ٦١ ي).
(٣) لقب پولين.
(٤) لقب ماري.

وداعاً، وشكراً يا والدي الحبيب..
ملكتك الصغيرة التي سُحبت أخيراً من تحت الطُنبر[٥].

تريز الطفل يسوع

الرسالة ٤٧ إلى سيلين

٨ أيار/مايو ١٨٨٨

أرسل إليكِ، يا صغيرتي سيلين، بشرشفين صغيرين لدرزهما بالآلة. أعلم أنَّك مستعجلة كثيراً لكنك لن ترفضي هذه الخدمة لصغيرتك تريز. أظنُّ أنَّ فرزتين ستكونان مناسبتين؛ هناك واحدة حاشيتها صغيرة جداً، هلا تفضَّلتِ بإبعاد الغرزة الثانية. وأودّ الحصول عليهما لأجل غدٍ، بعد العشاء كأقصى حد، لأنَّ عيد الصعود واقع في يوم الخميس!

في مثل هذا اليوم، منذ أربع سنوات، قمتُ بمناولتي الأولى. أتذكرين ذلك؟... كم من النِعم أغدقها الله عليَّ منذ ذلك الحين!

يا عزيزتي سيلين، هناك لحظات أسأل نفسي فيها إذا ما كنتُ حقاً في الكرمل؛ وأحياناً لا أصدّق ذلك. للأسف! ماذا فعلت لله حتى يَغمرني، هكذا، بنِعمه؟

غداً، يكون قد مضى شهرٌ على ابتعادي عنك؛ لكن يبدو لي أننا لم نفترق؛ وما يهمُّ المكان حيث نحن؟... وإن فَصَلَنا المحيط فسنبقى متّحدتين، لأنَّ رغباتنا هي ذاتها وقلبانا يخفقان معاً... أنا متأكدة من أنَّك تفهمينني. (على كل حال، ما الهمّ إن كانت الحياة ضاحكة أو حزينة؟ فلن نُعدمَ الوصولَ إلى غاية رحلتنا الأرضية). إنَّ نهار الكرملية الذي يمضي من دون ألمٍ هو نهارٌ ضائعٌ، والامر يسير عليك ايضاً لأنَّك كرمليةٌ بالقلب.

قبّلي ليوني عني.

صغيرتك تريز الطفل يسوع

---

(٥) تعبير بلدي يعني: «ها أنت في منأى عن مخاطر العالم» (ملاحظة من الأم أنييس).

الرسالة ٤٨ إلى السيِّد مرتان

٨ أيار/مايو ١٨٨٨

والدي الصغير العزيز،

شموعُك الصغيرة الجميلة أبهجتني كثيراً، فلا استطيع الامتناع من ان اكتب اليك كلمةَ شكرٍ صغيرة.

وقد أحسنَ ساعي بريد يسوع(١) العملَ بأن زوّدَ ملكتَه الصغيرة بوسيلة تصنع بها إناراتٍ بهية(٢).

إن الملكة تفكر في ملكها باستمرار؛ فساعي بريد يسوع الصالح يأتي في كثير من الأحيان حاملاً رسائله، فلا يمكن نسيانه.

يا والدي الصغير العزيز، أعتقد حقّاً أنَّك ستفلِّس تقريباً، غير أني سأدهشك بقولي لك إن ذلك قلّما يقلقني. فأنَّك تملك وسائل كثيرة تمنع عنك الحرج.. وحتى المجاعة، بالذات، لا تخيفك. أتذكَّر حين كنتَ تقول لي: «سنأكل هذا أو ذاك في المجاعة»؟ أو بالأحرى: «سنقوم بذلك عندما نفلس». بهذه الاستعدادات لا خوف من ايّ شدّة.

شكراً على السمكة، يا والدي الصغير العزيز. شكراً، شكراً، إنك تقدِّم لنا أشياء كثيرة أراني معها ملزمةً، أخيراً، بشكرك على كل شيء بصورة عامة؛ ومع ذلك، فكلُّ شيءٍ له بهجته الخاصة.

وداعاً يا ملكي الحبيب. ألماستك ولؤلؤتك تشكرانك شكراً جزيلاً، كما تشكرك ملكتُك.

تريز الطفل يسوع

---

(١) السيِّد مرتان نفسه.

(٢) أمام تمثال الطفل يسوع، تحت حرم الدير.

الرسالة ٤٩ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس

١٢-٢٠ أيار/مايو ١٨٨٨

إنَّ متوحِّدة قلب يسوع حقَّقت فعلاً متعةً لطيفة لبنيَّتها، إذ قرأت في قلبها!... أيتكلّمُ يسوع إذاً حين نكون في رياضة؟... لقد عطّرت نفسي كثيراً كلمتُك الصغيرة والطريقة الجذابة التي قُدِّمت لي[١] بها حتى انَّني لم أستطع الامتناع من الاجابة عليها؛ بعد قليل سيقرع الجرس؛ ها إنَّه يقرع[٢].

لقد قطعتُ كلمتي الصغيرة تماماً في اللحظة التي اريد فيها أن أطيل الكلام...

حقاً، إن الحياة مليئة بالتضحيات! لكن يا للسعادة! إن حياتنا هي ليلٌ نقضيه في نزلٍ حقير: أفليس من الافضل ان نقضيها في فندق سيّءٍ تماماً على ان نقضيها في فندق نصفه سيِّء؟...

لو كنتِ تعلمين كم أحبّك. عندما ألتقي بك، تبدين لي أنك ملاك... أنتِ يا مَنْ هي نسرٌ دُعي الى أن يُحلِّقَ في الأعالي ويُحدِّقَ الى الشمس. صلِّي لأجل القصبة[٣] الصغيرة الضعيفة القائمة في قعر الوادي والتي تحني رأسها أقلُّ نسمة. آه! تضرعي لأجلها يوم نذركِ!

أطلبي أنْ تبقى بُنيَّتُك دائماً حبَّة رمل صغيرةً شديدة الظلمة، ومحتجبة تماماً عن جميع العيون، فلا يستطيع رؤيتها إلا يسوع وحده. [تلك الحبة] فلتَصْغُر أكثر فأكثر ولتتحوّل إلى لا شيء...

سامحيني على كلِّ الأحزان التي سبَّبتُها لكِ؛ لو تعلمين كم آسف على قولي لكِ إنك تستدعيني اكثر من اللازم[٤]!...

آه! بعد نذرك، لن أحزنك... وداعاً!... سامحيني..

صلي لأجل بُنيَّتُك أنتِ.

لقد جفَّفتُ بعناية بنفسجتَكِ الصغيرة.

---

(١) انت مرفقة ببنفسجة.

(٢) تتوقف هنا تريز عن الكتابة على صوت الجرس، دون أن تنهي الكلمة التي بدأتها.

(٣) القديسة تريز الأڤيلية، **طريق الكمال**، ف ٤٢.

(٤) كانت الأخت ماري للقلب الأقدس ملاك تريز، مكلَّفة بتعليمها عادات الكرمل.

الرسالة ٥٠ إلى ماري غيران

١٣ أيار/ ١٨٨٨
الأحد أيار/مايو ١٨٨٨

أُخيَّتي الحبيبة

إذا كان السلّ[١] على طرف لسانك، فهو ليس في «الذهن» بكل تأكيد ولا على طرف الأصابع. يا للرسالة الظريفة!...

إذا أردت أن تُضحكيني، فأنتِ لم تضيّعي وقتك، أيها العفريت الصغير. ها أنتِ، يا لعينةً صغيرة، تتوجّعين من قدمك؛ هذا عجيبٌ حقاً لأنَّ قدميك صغيران للغاية بحيث لا مكان حقّاً للألم فيهما.

لحسن الحظ أنَّ عيد العنصرة قريبٌ، والروح القدس سيصلح بكل تأكيد نسياناً خطيراً كان قد ارتكبه يوم سرِّ تثبيتك. لقد أعطاكِ كلّ مواهبه؟ لكن، لسوء الحظ، لقد نسيَ منها واحدة ستكون نافعة جداً لك. تحزرين ما هي؟..

سأتضرع إليه كثيراً خلال رياضتي[٢] لكي تكوني يوم عيد العنصرة قويةً مثل شمشون صغير. إذا بقيت قدمك توجعك، فخذي حذرك من لولوكِ[٣].

هذا المساء حلمت كثيراً بجان؛ منذ وجودي في الكرمل فالأمر لا يصدّق كم أحلم بها غالباً. عانقيها بشدّة عن صغيرتها تريز.

يا للطقس الجميل! الشمس مشعّة، وهي حقاً أكثر لمعاناً من الشمس التي كانت على رسالتك لأنَّها لا تضيء الأرض مطلقاً؛ ولو بقيت هذه الحالة الى اليوم، لاضطررت الى استخدام قنديلك[٤].

أنا سعيدة جداً أن خطرت لي كلمة قنديل لأكتبها على تلك الصفحة؛ وإلّا لكنت ملزمة بأن أتصرّف تجاهك بقلة أدب، فأقلب الصفحة لأقول لك وداعاً.

---

(١) Le mal de Pott وهو سل الفقرات.
(٢) رياضة جماعية بين الصعود والعنصرة.
(٣) Loulou لقب أطلقته ماري غيران على تريز.
(٤) قنديل بدائي صغير، بدهن معدني، أعطته ماري لابنة عمتها...

إلى اللقاء، يا أختي الحبيبة، وآمل ذلك. فعانقي عني خالي الطيِّب، وقولي له إنّنا لا ننسى وصيّته. ألف قبلة لامراة خالي العزيزة.

(يجب أن تكون قوّتك في قدمك لا في شعرك[٥]).

أيُّها العفريت الصغير الحبيب، أعانقك من كل قلبي.

أُخيّتك
تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة

أختنا الكبرى في رياضة النذر؛ طرحتُها البيضاء منسدلة، حتى ليُقال إنّها ملاكٌ. وستصلي كثيراً من اجل صغيرتها ماري.

الرسالة ٥١ إلى السيِّد مرتان

١٧ أيار/مايو (؟) ١٨٨٨

ي.م.ي.ت.

ملكي العزيز،

أعرف أنَّ الألماسة[١] كتبتْ اليكَ رسالةً صغيرة؛ لهذا السبب لن أحدِّثك عنها مطولاً، لأنَّ ملكتك المسكينة سيكسفُها بهاءُ الألماسة... أنا بحاجة فقط الى انّ اردِّد لك أني أحبّكَ كما لو كنتَ لا تعرف ذلك بعدُ. ثمَّ، كيف لا تحب الملكة ملكَها، وهو ملك قديس وطيِّب بهذا القدر؟ نعم إنك فعلاً قديس يحاكي القديس لويس عينه قداسةً.

أشكرك، يا والدي الصغير العزيز، على كلِّ ما أعطيتني إياه، وعلى الرفش الجميل[٢]... إلى آخره... إلى آخره...، وكل الباقي...

أتذكر، يا بابا، عندما كنّا نتسلّل في جِنوى بعيداً عن السيِّد بنوا[٣] وعن الآخرين؟

---

(٥) تلميح إلى شمشون.

الرسالة ٥١

(١) لقب ماري.

(٢) ارسل اليها ابوها بعض أدوات الزراعة.

(٣) السيِّد فيليكس بنوا Felix Benoît، قاضٍ في مدينة كان Caen.

آه! كم تمتّعنا! إنَّ ذكرى هذا السفر الجميل الذي حقّقته مع والدي الصغير العزيز ستبقى لي دائماً.

أعانقك، يا ملكي العزيز.

ملكتك، ملكة فرنسا ونافار.

تريز للطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٥٢ إلى السيِّد مرتان

أيار - حزيران (؟) مايو/يونيو ١٨٨٨

ي.م.ي.ت

إنَّ ساعي بريد يسوع طيِّب كثيراً وأرسل اليه بكلّ حناني وقبلاتي. سأتناول النبيذ الذي قدّمه لي[1] بغبطة، واعتبر أنَّه آتٍ من قبو الطفل يسوع.

يا والدي الصغير العزيز، أنتَ ساعي بريد يسوع، وأعرف ذلك جيداً. آه! شكراً... ما ألطفك نحوي!

نعم، سأبقى دائماً ملكتَك الصغيرة، وسأحاولُ العملَ على تمجيدك بأن أصير قديسةً كبيرة.

تريز الطفل يسوع، والألماسة الساطعة واللؤلؤة الثمينة جداً، يعانقنك كثيراً.

لقد أَرَوني للتوِّ طيوراً[2]. آه! يا والدي الصغير العزيز، فما أطيبك إذاً! هناك ثلاثة طيور، واحدٌ للألماسة، وواحد للّؤلؤة الصافية وواحدٌ لملكة بابا الصغيرة، وهي ستبذل جهدها لتشابه ملكَها بعض الشبه.

(١) نبيذ مقوٍّ.
(٢) دجاج الماء.

الرسالة ٥٣ إلى سيلين

١٧ حزيران ١٨٨٨

ي.م.ي.ت

الأحد حزيران/يونيو ١٨٨٨

عزيزتي سيلين

أرجو من لطفكِ ان ترسلي إليّ **بأسرع وقت** ممكن القماش الذي اشتريتهِ لتصنعي منه وزرةً. ويلزمني كذلك الزنار الاسكوتي الذي كان عندك لتتقنَّعي به. أرسلي إليّ، أيضاً، كل ما لديك من شرائط بيضاء نظيفة؛ وهناك واحد كنتُ قد وضعته حول رأسي يوم مناولتي الأولى؛ ويمكنك أن تأخذي أيضاً شريط الطاقية [١]... كل ذلك من أجل تمثيل[٢] دور القديسة أنييس...

يا أخيَّتي الحبيبة، ما ألطف الربّ نحوكِ! لو كنتِ تستطيعين ان تري أيَّةَ نعمةٍ تلقَّيتِها نهار الجمعة[٣]! أعتقد، حقاً، أنَّها النعمة التي كنتِ تنتظرينها. تذكرين أنك كنتِ تقولين لي: «اما أنا فلم أتلقَّ نعمةً حاسمةً[٤]». فقناعتي ان النعمة الحاسمة هي تلك. وعليكِ الآن أن تكوني بكلّيتك ليسوع؛ فانه كلّه لكِ أكثر من أيِّ وقت مضى! لقد وضع في اصبعِك خاتمَ الخُطوبة السرّي، وهو يريد أن يكون سيِّدَ نفسك الوحيد.

أختي العزيزة، نحن حقاً أختان بكلّ ما للكلمة من معنى! وداعاً! فمن بعيد قلبي يقرأ في قلبك.

تريز للطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

عانقي عني ملكي الذي لا مثيل له.

---

(١) طاقية المناولة الأولى.

(٢) في ١٢ حزيران، وهو عيد الام ماري دي غونزاغ.

(٣) في ١٥ حزيران/يونيو، فاتحت سيلين والدها بدعوتها الى الكرمل.

(٤) في ٩ نيسان، يوم دخول تريز إلى الكرمل، تلقت سيلين طلباً للزواج جعلها تتردد في الاختيار.

الرسالة ٥٤ إلى الأخت أنييس ليسوع

٤ (؟) تموز/يوليو ١٨٨٨

ي.م.ي.ت.

ثُغاء حمل يسوع العزيز قد دوّى في أُذني الحمل الصغير[١] مثل موسيقى عذبة!... فمن أين تعلَّم الحملُ لحنَ سيسيليا[٢]؟

الأبدية، آه! إنَّ الحملَ الصغير غارقٌ فيها؛ وقد حاول الوثوبَ قافزًا وراء الحمل؛ لكن لا بدَّ من أن تفتحَ له الطريق موسيقى الحمل الوديع.

إنَّ حبة الرمل، بالرغم من حقارتها، تريد أن تضمن لذاتها أبديات سعيدة، وتريد أن تضمنَها، أيضاً، لنفوس الخطأة. لكن للأسف! فهي ليست على قدرٍ كافٍ من الضَعَة والخفة.

الحمل والحميل يلزمهما سَعفة أنييس، وإن لم ينالاها بالدم، فلا بدّ من أن تكون بالحبّ... هذا هو حلمُ حبة الرمل!..

يسوع وحده! ولا أحد غيره! فحبّة الرمل صغيرةٌ جدّاً، الى حدّ ذاتها لو أنها أرادت وضعَ سواه في قلبها، فلن يكون فيه مكان ليسوع...

فلِيتضرَّع الحملُ الأبيض لأجل حبَّة الرمل الداكنة، لكي تصبحَ في الأبدية براقة ساطعة.

قصبة[٣] يسوع الصغيرة

---

(١) الحمل هو الأخت أنييس وهي في رياضة لعشرة أيام، منذ ١ تموز.

(٢) تلميح إلى الفرض الليتورجي للقديسة سيسيليا: «كانت البتول سيسيل تنشد في قلبها للسيِّد الأحد».

(٣) هو لقب آخر لتريز.

الرسالة ٥٥ إلى الأخت أنييس ليسوع

٥-٩ تموز/يوليو ١٨٨٨

شكراً للحمل العزيز على إسماعه الحمل الصغير من جديد موسيقى السماء. إنَّ النسيم العليل حرَّك القصبة الصغيرة بلطف...

كانت الساعة التاسعة قد دقَّت، عندما تلقَّت القصبة، الورقة الصغيرة العزيزة[١]، ولم يكن هناك أيُّ نور من الأرض، لكن قلبها عرفَ أكثر من عينيها، أن يفكَّ رموز موسيقى القديسة سيسيليا؛ ولم تُضِعْ منها كلمة واحدة!...

نعم، إني أتشوّق الى كُروبِ القلب هذه، إي الى وخزات الدبابيس التي يتكلَّم الحملُ عليها؛ لا همَّ على القصبة الصغيرة إن انحَنَت، فهي لا تخاف من أن تتكسَّر، لأنَّها غُرست على ضفاف المياه؛ وبدلاً من أن تلامس الأرضَ، فهي عندما تلوي لن تصادِفَ إلَّا موجةً خَيِّرة تقوِّيها وتجعلها تتوق الى عاصفةٍ أخرى تمرّ فوق رأسها الهزيل. إن ثقتها في ضعفها، وهي لا تعرف أن تنكسر لأنها مهما حصل لها، فهي لا ترى إلَّا يد يسوعها الرفيقة... وأحيانًا يصعب على القصبة الصغيرة تحمُّلُ نسيمات الهواء اكثر من العواصف الهائجة؛ ففي هذه تبتلّ القصبة من جديد في جدولها العزيز، اما نسيمات الهواء فلا تُخْنيها بقدرٍ كافٍ: فتكون تلك وخزات الدبابيس.

فليس من ألمٍ نافلٍ في سبيل الفوز بالسعفة.

الرسالة ٥٦ إلى الأخت أنييس ليسوع

١١ تموز/يوليو ١٨٨٨

يا لسعادتي بأن أرى غداً وجه الحمل[١] اللطيف من جديد! لكنَّ الحميل [٢] يتوسل إلى الحمل ألَّا يَثِبَ الآن باتجاه السماء. إذا كان مكانه قد أُعِدَّ له، فليُفكِّر في الحمل

(١) بطاقة أزلقتها الأخت أنييس تحت باب حجرة تريز.

الرسالة ٥٦

(١) خلال الرياضة كانت الأخوات في اللقاءات الجماعية، يسدلن الطرحة على الوجه، علامةً للعزلة.

(٢) الحُميل تصغير حمل.

الصغير المسكين، ولينتظر قليلاً حتى يتمكَّن الحُميل من الوثوب وعندئذٍ يذهب الإثنان معاً إلى وطنهما؛ وقلبهُما، الذي لم يشبع قط على الأرض، سيذهب ليرتوي من منبع الحبّ عينه، آه! يا للوليمة اللذيذة! يا للفرح في رؤية الله، وفي أن يَدينَنَا من قد أحببناه فوق كل شيء! حلمتُ أن الحمل سيطير قريبًا الى وطنه، لكنّني آمل بأنَّه سيبقى، بعد، قليلاً في المنفى حتى يقودَ الحميلُ المسكين.

الرسالة ٥٧ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

الإثنين ٢٣ تموز/يوليو ١٨٨٨

يسوع وحده +

أختي العزيزة

فهمت تريزتُكِ نفسَكِ كلَّها، وقرأت منها أكثر ممّا كتبتِهِ اليها عنها. ففهمتُ حزنَ الأحد، واحسستُ بكل شيء... كان يبدو لي في أثناء القراءة أنَّ النفس عينها كانت تحيينا، ويربط بين نفسينا إحساسٌ شديد متشابه جداً. لقد كنَّا معاً دائماً، وكانت أفراحنا وأحزاننا مشتركة. آه! وأشعر بأنَّ ذلك مستمرّ في الكرمل، ولن نفترق أبداً. لا أبداً. تعرفين ان لا شيء كان بوسعه ان يباعد بيننا قليلًا الا الزنبقة الصفراء[١]؛ وأقول لك ذلك لأنَّني متأكدة من أنَّ زنبقةً بيضاء ستكون دائمًا قسمتَك، إذ إنَّك اخترتِها، وهي قد اختارتكِ أولاً... أتفهمين الزنابق؟...

كنتُ أسأل نفسي، أحياناً، لماذا كنتُ أولَ من أخذها يسوع؛ اما الآن فقد فهمت... إعرفي أنَّ نفسك هي زنبقةٌ خالدةٌ[٢]، ويستطيع يسوع أن يفعل بها ما يشاء، فلا أبالي بأن تكونَ في مكان أو في آخر، فهي ستبقى دائماً خالدة. والعاصفة لا تستطيع أن تُسقِط أصفرَ السُداة[٣] على كأسها الابيض الفوّاح. هذا ما فعله يسوع، وهو حرٌّ وليس لأحدٍ أن يسأله

(١) ذكرت الام جنفياف بأن الزنبقة الصفراء في لغتنا المتداولة كانت تعني الزواج.

(٢) الخالدة: زهرة - رمز نسبتها الأخت أنييس ليسوع إلى سيلين.

(٣) السداة هي العضو الذكري في الزهرة، وهي مركبة من الخيط حامل المِئْبَر، الذي يحوي اللقاح. (**معجم المصطلحات العلمية والفنية**، دار الجيل).

لماذا يعطي نِعمه لنفسٍ بدلاً من أخرى. وإلى جانب هذه الزنبقة وَضَعَ يسوع أخرى، وهي رفيقتها الأمينة[٤]، فكبرتا معاً؛ لكنَّ واحدةً كانت خالدة، اما الأخرى فلا، وكان لا بدَّ ليسوع من أن يأخذ زنبقته قبل أن تتفتّح زهرتُها لكي تكونَ الزنبقتان له... كانت إحداهما ضعيفة والأخرى قوية؛ فأخذ يسوع الضعيفة، وترك الأخرى لكي تتجمَّل بألقٍ جديد... فيسوع يطلب **كلَّ شيء** من هاتين الزنبقتين، وهو لا يريد أن يترك لهما إلّا ثوبهما الأبيض؛ إنّه يطلبُ **كلَّ شيء**. فهل فهمت الخالدة أُخيَّتها؟...

الحياةُ ثقيلة غالبًا، فيا لها من مرارة!... لكن، يا لها من عذوبة! الحياة، حقّاً مُكلِفَة ويشقُّ علينا أن نبدأ نهار العمل. وقد عرف البرعمُ الضعيفُ ذلك كما عرفته الزنبقةُ الجميلة. آه ليتنا نشعر بحضور يسوع! لكنا نحسن القيام بكلِّ شيء لأجله. لكن لا؛ بل يبدو أنَّه على بعد ألف فرسخ، فنحن وحدَنا مع أنفسنا. آه! ويا لها من رفقة مُملّة عندما لا يكون يسوع هناك! لكن ماذا يفعل هذا الصديق اللطيف، إذاً؟ ألا يرى قلقَنا والثقلَ الذي يضغطنا؟ أين هو؟ لماذا لا يأتي ليعزينا، بما أنَّه ليس لدينا صديق سواه؟ للأسف! ليس بعيداً، إنَّه هنا قريبٌ جدّاً، ينظر إلينا ويلتمسُ منَّا هذه الكآبة، وذاك النزاع؛ فهو بحاجة الى ذلك من اجل النفوس، ومن أجل نفسنا؛ وهو يريد أن يمنحنا مكافأةً حسنةً جدّاً، ويبنى علينا طموحاتٍ كبيرة للغاية. لكن كيف يمكنه ان يقول: «الآن دوري»، إذا كان دورُنا لم يأتِ، وإذا كنَّا لم نعطِهِ شيئاً؟ يا للأسف! يشقّ عليه أن يجرِّعنا الأحزان، لكنَّه يعرف أنْ لا وسيلة أخرى يعدُّنا بها لأن نعرفه كما هو معروف (١ **قورنتس** ١٣/١٢) ولنصبح، نحن، آلهةً. آه! يا له من مصير، وما أعظم نفسَنا!...

لنرتفعْ فوق ما يجري، ولنثبتْ على مسافة من الأرض؛ فالهواءُ نقيٌّ في الأعلى، ويسوع يحتجب لكننا نحزره؛ وعندما نذرف الدموع نمسح دموعه، وتبتسم العذراء القديسة. يا للأم المسكينة! لقد عانت الكثير بسببنا، فمن العدل أن نعزّيها قليلاً بالبكاء والتألّم معها...

لقد قرأت هذا الصباح مقطعاً من الإنجيل حيث يقول: .. **ما جئتُ لأحمل سلاماً بل سيفاً (متى ١٠/٣٤)**، فلم يبقَ إلّا أن نحارب. وعندما تعوزنا القوة، فعندئذٍ، يحارب يسوع لأجلنا... فلنضعْ معاً **الفأسَ على أصل الشجرة**.. (**متى** ٣/١٠.)

---

(٤) تريز نفسها.

يا لها من مسوّدةٍ قبيحة، مسوّدة تريز! يا لها من رسالة! يا لها من جلبة! آه! لو أنني استطعت أن اقول كلَّ ما أفكّر فيه، لوجب على سيلين ان تقرأ منه صفحات عديدة...

لقد أتاح لنا لطفُ يسوع أن نلتقي بأمٍّ كأمّنا(٥). يا لها من كنز! يا أُخيَّتي، ليتك رأيتها هذا الصباح عند الساعة السادسة تحمل إليّ رسالتك! فقد تأثّرتُ كثيرًا بذلك...

يسوع يطلب منك **كلَّ شيء**، **كلَّ شيء**، **كلَّ شيء**، بقدر ما يمكنه أن يطلب من أكبر القديسين.

أُخيّتك المسكينة
تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٥٨ إلى السيِّد مرتان

٣١ تموز/يوليو ١٨٨٨ الكرمل

ي.م.ي.ت.

ملكي العزيز،

ليتك تعلم كم سرّنا شبُّوطُك، ومِسخُك(١)! لقد تأخر العشاء نصف ساعة، وقد كانت مريم للقلب الأقدس هي مَنْ أعدّت الصلصة. كانت السمكة لذيذة، وكان يُشتَمّ منها مطبخ العالم. بل كانت أفضل من المطبخ الايطالي الفاخر، والمقارنة ليست سخيفة؛ فما كان افخر تلك المآدب!... ويا لهم من رفاق... أتتذكّر، يا والدي الصغير؟... لكن ليس هذا ما يفتحُ الشهية دائماً. هذا بالنسبة إليّ على الأقل، لأنَّني لم آكل قط بهذا القدر إلا منذ وجودي في الكرمل. أشعرُ بأنّني في مركزي تماماً؛ ولو كانت الآنسة پولين(٢) هنا، لقالت: «لقد وجدتُ طريقي».

---

(٥) الأم ماري دي غونزاغ.

الرسالة ٥٨

(١) Carpe، كان السيد مرتان قد اهدى الى الكرمل سمكة من نوع الشبّوط يعيش في المياه الحلوة.

(٢) پولين رومية Pauline Romet صديقة پولين مرتان.

لا تستطيع أماسُتك أن تكتبَ اليك، لأنَّها منهمكة في الغسيل، لكن هذا لن يمنعها من التفكير فيك، يا والدي الصغير الحبيب. إنَّها تعانقك من كلِّ قلبها، وأنتَ تعرف أنَّه ليس صغيراً قلبُ كبيرتك.

أفكر في كل ما كنتَ تقوله لنا مراراً: **باطلُ الأباطيل، وكلّ شيء ليس إلّا باطلاً** (**جامعة** ١/ ٢)، وباطلة الحياة التي تمضي... إلى آخره...

بقدر ما أتقدَّم، بقدر ذلك أجد حقّاً أنَّ كلَّ شيء باطلٌ على الأرض.

وحين أفكِّر فيك، يا والدي الصغير العزيز، أفكِّر بعفوية في الله إذ يبدو لي مستحيلًا أن ارى أحداً أكثر قداسة منك على الأرض.

أنا متأثرة كل التأثّر وحين أفكّر في أنّه بعد ثمانية أيَّام تكون قد مضت أربعة أشهر على وجودي في الكرمل، يأخذ مني العجب ويبدو لي أنني كنت دومًا فيه، كما يُخيّل اليّ من ناحية ثانية أنني دخلته امسِ: كيف يمضي كل شيء!...

بقدر ما أتقدَّم، يا والدي الصغير العزيز، بقدر ذلك أحبك. لا أدري كيف يحدث هذا، لكنّها الحقيقة، وأسأل نفسي ما سيكونُ أمري في نهاية حياتي!...

أنا فخورةٌ كثيراً بلقبي ملكة فرنسا وناڤار، وآمل أن أستحقّه دائماً. إنَّ يسوع، ملكَ السماء، وقد أخذني اليه، لم ينزعني من قديسي الملك الأرضي، آه! لا! وإن أراد والدي الصغير الحبيب فعلاً، ولم يجدْني قليلة الاستحقاق لذلك، فسأبقى: الملكة لأبي.

اللؤلؤة الثمينة تعانقك بشدة.

وداعًا، وإلى اللقاء يا ملكي الحبيب.

ملكتك الصغيرة
تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٥٩ إلى السيِّد غيران

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، ٢٢ آب/أغسطس ١٨٨٨

يسوع +

خالي العزيز

تلقّينا للتوّ رسالةً من امرأة خالي أخبرتنا فيها بكل أحزانك. مع أنَّ ابنة أختك بعيدةٌ عنك، فهي تشاركك كربَك فعلًا، وتتمنّى أن تكون بالقرب من خالها الطيِّب لتعزِّيه. لكن يا للأسف! ماذا يمكنها أن تفعل؟.. كلّا، فمن المفضل بالنسبة اليها أن تكون في الكرمل؛ فهناك، على الأقل، تستطيعُ الصلاة، بقدر ما تريد، إلى الذي وحده، قادرٌ على منح العزاء وعلى سكبه غزيراً في قلب خالها العزيز.

إنَّ حالة السيِّد الطيِّب داڤيد[1] تحزننا كثيراً يا خالي العزيز، ولكم تتألّم، إذ لا أشقى من رؤية الذين نحبّهم يتألّمون! ومع ذلك، فأنا أشكر الله من كلِّ قلبي على النعمة الكبيرة التي شاءُ فعلاً أن يمنحها هذه النفس الجميلة. ما أروع استعدادها للمثول أمام الله! إنَّه لمدهش حقاً. وكل ما قالته لنا امرأة خالي العزيزة أثَّر فينا تأثيرًا عميقًا.

كان من المستحيل، يا خالي، ألَّا يهبك الله هذا العزاء بعد كلِّ ما تفعله لمجده. آه! يبدو لي أنَّ الاكليل الذي يحفظه لك هو جميل. ولا يمكنه أن يكون بخلاف ذلك، إذ إنَّ كلَّ حياتك ليست إلَّا صليباً دائماً، والله لا يتصرّف بهذه الطريقة إلّا مع كبار القديسين.

ما اسعدَ التصوّر أنَّنا سنجتمع في السماء اجتماعاً لا فراق بعده؛ فالحياة لا تُحتَمل بدون هذا الامل...

خالي العزيز، لا أدري ما سيكون رأيك في صغيرتك ابنة أختك المسكينة؛ فهي تترك قلَمَها يسيل دون أن تعير انتباهاً إلى ما تقول؛ ولو كان قلبها يستطيع الكتابة لقال شيئاً آخر فعلاً؛ لكنّه مُجبرٌ على الركون إلى هذه الريشة الباردة التي لا تعرف التعبير عما يشعر به القلب. فأتَّكل على ملاكي الصالح، وأتصوَّر أنَّ رسولاً سماويّاً سيؤدّي مهمّتي أحسنَ

---

(١) السيِّد داڤيد، هو ابن عم السيِّدة فورنيه Fournet ، والدة السيِّدة غيران.

أداء. وإني لأرسله إلى جوار خالي العزيز لكي يصبَّ العزاء في قلبه، بقدر ما تستطيع نفسنا ان تحوي في وادي المنفى هذا.

وداعًا يا خالي الطيِّب.

أرجوك ألّا تنساني لدى السيِّدة فورنيه؛ فإنّني أشاركها حزنها. اما إليك، يا خالي، فأرسل كلَّ ما يضمّه قلبي من حنان، وسأتابع الصلاة باستمرار لأجل هذا السيِّد الطيِّب داڤيد.

ابنة أختك التي تودّ لو تخفِّفُ قليلاً من حزنك

تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستجقة

الرسالة ٦٠ إلى السيِّدة غيران

ي.م.ي.ت.

الكرمل ٢٣ آب/أغسطس ١٨٨٨
الساعة السادسة.

يسوع +

امرأة خالي العزيزة

لقد علمنا أمس، بموت السيِّد الطيِّب داڤيد؛ ومع أنَّنا كنّا ننتظر في كل لحظة تلّقي هذا الخبر المحزن، فإني تأثّرت جدّاً بمعرفة الواقع وأتضرّع الى الله ان يأخذ الى جنّته هذه النفس البالغة القداسة، وقد تكون هناك منذ الآن، لأنّه، مع استعداداتٍ كاملة كاستعداده، ففي الامكان الذهاب رأساً إلى السماء.

أطلب إلى الله أن يسكبَ العزاء في نفسكِ، يا امرأة خالي العزيزة، وقد سبق أن كان رؤوفاً جدّاً بالاستجابة لجميع الصلوات التي رَفَعَتها مقدِّمةً لله نفسَ قريبك العزيز؛ وإذا كانت ابنتك الصغيرة تأمل أنها ساهمت، من وسط عزلتها، في جزءٍ قليل من هذه الاستجابة، فستكون سعيدةً جداً.

وإنَّني أجد، يا امرأة خالي العزيزة، أننا، في أوقات الحزن الشديدة هذه، بحاجةٍ الى النظر إلى السماء، بدلاً من البكاء. فالجميع هناك في فرح لأنَّ ربَّنا يملك مختارًا إضافيًا، وشمساً جديدة تضيء بأنوارها ملائكة السماء، والجميع في نشوة الانخطافُ الإلهي، ويندهشون من أننا نسمّي موتاً ما هو بدايةُ الحياة. فيعتبرون أننا في قبرٍ ضيِّق، بينما تستطيع نفسهم الانتقال من آفاقٍ لامتناهية الى اطراف شواطئ الاثير[1]، .. يا امرأة خالي الحبيبة، عندما ننظر إلى موت الصدِّيق، لا يمكننا الامتناع من اشتهاء مصيره. فبالنسبة اليه، قد ولّى زمن المنفى وليس هناك إلَّا الله، ولا شيء إلَّا الله.

آه! يا امرأة خالي، كم لدى بُنيّتك من أشياءٍ تودّ لو تقولها لكِ؛ فقلبها يفكر في ذلك طويلاً. فهيَ في هذا الصباح، ضائعة في اتساع الوجود، وفي حزن موت القديسين. لكن الوقت ينقصني لإكمال هذه المسوّدة الصغيرة؛ ولا بدَّ من التوقف لأنَّ الجرس قد نبّهني للتو الى أنَّه قد حان الوقتُ لإنهائها. فأقدِّم هذه التضحية الصغيرة ليسوع حتى يتكرَّم فيعزيك بيده الصغيرة العذبة.

بُنيّتك القريبة منك بقلبها، ومن اختيها الصغيرتين العزيزتين[2]

تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٦١ إلى السيِّد مرتان

ي.م.ي.ت.

الكرمل في ٢٥ آب/اغسطس ١٨٨٨

يسوع +

والدي الصغير الحبيب

وأخيراً، جاء اليوم الذي تستطيع فيه ملكتُك أن تقدِّم أمنياتِها بعيدك مع سائر الرتب، إذ إنَّها في الكرمل برفقه جوهرتين : الألماسة واللؤلؤة الثمينة... مسكينةٌ الملكة الصغيرة،

(١) لامينه Lamennais، **صوت من السجن**، كانت السيِّدة مرتان تحبُّ أن تذكر هذا النص.
(٢) بنتا خالها، جانّ وماري غيران.

لأنَّ عليها فعلاً أن تنسحب وتترك المكانَ كلَّه لجوهرتي ملكِها الساطعتين. لكنها لا تستطيع حقاً الاستسلام الى هذا الأمر، فهي لها لقبُها، وهي أيضاً تستطيع أن تظهره لكل من يريد رؤيته، إنَّه موقَّعٌ بيد ملكها بالذات: ملكة فرنسا وناڤار. ليس لديها شيء آخر، لكنّي إخال أنَّ هذا يكفي لكي يجعلها مقبولةً لدى ملكها. ومن جهة أخرى لم يحاول احدٌ الطعنَ بحقّها، حتى في الخارج، ولقبها معروف! ففي إيطاليا، وفي روما، كان معلومًا أنَّ الملكة كانت هناك!

يا ملكي الحبيب، إن ملكتك الصغيرة تودّ لو تقدّم لك هدايا رائعة، لكن ليس لديها شيء؛ وقد يصعب عليها الاختيار. فمن أجل ملكها، جميعُ قصور الڤاتيكان، المثقلة بالهدايا، لن تكون على قدرٍ كافٍ من الجمال. إن ملكتَك تحلمُ بشيء آخر أكثر نبلًا، ويلزمها كنوزٌ هائلة وآفاق لا متناهية. وما تريد تقديمَه لملكها غيرُ موجودٍ على الأرض؛ فيسوع، وحده، يملكه. ولذلك ستتضرّع إليه كي يغمرَ ملكَها بالتعزيات السماوية. بالنسبة الى والدٍ غير أرضيّ، فكلُّ ما هو أرضيّ لا يمكنه أن يرضيه.

أترى، يا والدي الصغير الحبيب، فمع ظهوري كأنَّني لا أهدي اليك شيئاً، أقدِّم لك هديةً رائعة سيشعر بها قلبك إن لم تسحر عينيك، لأنَّني آمل أن يستجيب الله دعائي.

ومع ذلك، يا والدي الصغير العزيز، فمع قولي لك إنَّني لا أرغب إلّا في أن أسحر قلبك، أقدّم لك صورةً صغيرة رسمْتها ملكتُك، وآمل أنَّها ستسرّك بالرغم من موهبتي الضئيلة؛ لقد تكرَّمت اللؤلؤةُ الثمينة والفنانة وساعدتني بنصائحها، فصوَّرت لي الرسم الجميل؛ لكنها أرادت أن أُلوِّنَه وحدي؛ قد لا تجد فيه ذوقًا رفيعًا، لكن مع شدّة عجزي ورأفة مليكي، آمل أن أسرّه بعض السرور بتقديم هذه الصورة الصغيرة له.

إلى اللقاء، يا والدي الصغير الحبيب. وإن لم تكن ملكتك اليوم بجوارك فهي معك بالفكر وبالقلب، وتتمنّى لك عيداً يكون على الاطلاق أفضل ما عشتَ من اعيادٍ طيلة حياتك كلِّها، وتعانقك من كل قلبها.

ملكتك الصغيرة
تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة

الرسالة ٦٢ إلى ماري غيران

أيلول/ستمبر ١٨٨٨

ي.م.ي.ت.

الكرمل، الخميس.

يسوع +

أُخَيَّتي الحبيبة

سبق لي أن بدأتُ بالكتابة اليك مساء الثلاثاء؛ ومنذ قليل أردت استئناف رسالتي، لكنّ ما أريد قوله اليوم؛ لكِ اليوم، ليس ما كنت اقوله سابقاً؛ لذلك إخال، بالاحرى، اني كتبت من جديد.

أشكرك على رسالتك الظريفة، ولو انَّ مدام دي سيڤينية[١] قد كتبت اليّ بهذا، فكلّ تأكيد ما كان ليمتِّعني بقدر متعة رسالتك...

إذا كانت ابنة خالي الحبيبة تفكِّر غالباً فيَّ، فأنا أيضاً قريبةٌ منها بالفكر، وأنا بحاجة إلى سماعِ اخبار صغيرتي ماري، وخاصةً أن أتكلم عنها بذاتي، فيسرّني بأن أتحدّث الى الله عن أُخيَّتي الحبيبة. ولست أخافُ أبداً من أن يجدني أطيل الكلام عليها، لأنَّني متأكدة من أنَّ صغيرتي ماري هي في قلبه قبل صلاتي بكثير.

أيُّها العفريت الحبيب، كم من الأشياء أودّ لو أقولها لك! لكن ما اسرع الوقت! أراه يهرب مني بسرعة مخيفة. الوقت متأخّر وأكتب على ضوء قنديلكِ الصغير العزيز. ترين أنَّ العجلة تؤثّر في خطّي؛ وما يعزّيني في قباحة خطّي، اعتبارُ أننا في السماء لن نكون بحاجة إلى هذه الوسيلة لتواصل أفكارنا؛ وتلك حقّاً سعادةٌ بالنسبة إليّ..

أمسِ، استقبلت زوّاراً وأعطيكِ حتى المئة لتحزري من هي... إنها سيِّدة جميلة من العالم مع زوجها العزيز، وآنسة كبيرة في السادسة عشرة، وشاب في الرابعة عشرة. هل عرفتِ؟ إنّها العرّابة التي كانت تزرع رِعْيَ الحمام[٢]. وكانت تصحبها ابنة أخيها ت.

---

(١) Mme de Sévigné (باريس ١٦٢٦ - ١٦٩٦) عرفت بفنّها التراسلي.

(٢) السيِّدة تيفين Tifenne عرابة ليوني. ورِعْيُ الحمام أو الڤيرڤين Verveines هو جنس نباتات برية وتزيينية من فصيلة الساجيات عديدة الألوان وعطرية.

جيلبير مع ابن أخيها بيير(٣). إنّه العالم فعلاً! لو رأيتها في المُتحدَّث: كانت كأنّها تُرنّم «كم قلبي، كم قلبي يعاني» برؤيتنا وراء المُصبَّعة(٤).

حان الوقت كي تنتهي ثرثرتي؛ ومع ذلك فأنا لم أقل شيئاً هامًا لابنة خالي الحبيبة. لكن ماذا يمكن أن يُنتَظرَ من شخص مثلي يكتب دون الانتباه إلى أنَّ ورقته امتلأت بالاخبار التافهة في حين أنَّ لديها أشياء جدّية كثيرة تقولها؟... عذرًا!...

أنهي رسالتي، يا عزيزتي الصغيرة ماري، بطلب خدمة منك. ستكونين في غاية اللطف لو استطعت في اثناء نزهتك في حديقتك الجميلة(٥) أن تجدِي لي بعض الطحالب الصغيرة الجافة، وقشور الأشجار...الخ... وسيلزم ذلك لصنع أشغال صغيرة كالمغارات مثلاً. إذا كان هذا يزعجك فلا تجلبيه الي، وفقط إن كنتِ تجِدين منه في أثناء تنزّهك.

يحزنني جدّاً كونُ امرأة خالي مريضة، فأفكِّر فيها كثيراً وأصلي باستمرار لأجل شفائها السريع؛ فعانقيها بشدّة عن ابنتها الصغيرة، لكن ليس بطريقةٍ تؤلمها!...

عانقي عني أيضاً عزيزتي(٦) الصغيرة جانّ، وسيلين وهيلين. فبما انهنّ لسن مريضات، فلا شفقة لي عليهنَّ، وأرجوك بأن تعانقيهنَّ بأشدِّ ما تستطيعين.

أرى، يا عزيزتي الصغيرة ماري، أنَّ كلَّ قبلاتي لا تنتهي؛ ومع ذلك، لست في النهاية، لأنّني لم أمنحك منها، أنتِ المكلّفة بتوزيع كلّ شيء. لذلك أرجو جميعَ الأشخاص الأعزاء، الذين ستعطينهم قبلاتك، أن يعيدوا اليكِ منها بقدر ما يستطيعون. وأشك في تنفيذ طلبي، لذلك أعانقك بالقلب، لكن بشدة، وبشدة حتى إذا ما كان عندك غدّة لانفقأت كما حدث قبل السفر إلى روما.

أُخيّتك
تريزالطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة

---

(٣) Pierre و Th. Gilbert.
(٤) المصبَّعة يُقصَد بها قضبان الحديد او الخشب التي تفصل الراهبات عن الزائرين.
(٥) في قصر لاموس La Musse الذي ورثه آل غيران حديثاً إثرَ موت السيِّد داڤيد.
(٦) سيلين وهيلين مودلوند Céline et Hélène Maudelonde، بنات خال الجانّ وماري غيران.

الرسالة ٦٣ إلى السيِّد مرتان

٣٠ أيلول/ ١٨٨٨

ي.م.ي.ت.

الكرمل ٣٠ أيلول/سبتمبر

ملكي الحبيب

إن ملكتك الصغيرة لمسحوقة تحت ثقل هداياك(١)، وروعتها. ويُرى بوضوح ان من يقدّمها الى الملكة هو ملكها. شاهدت اولاً وصول مسنّن النسون: إنه لعَملٌ يليق بالملك! ولا أدري كيف أشكرك على هدايا جميلةٍ بهذا القدر. فأين هو ذاك الزمان الذي كانت فيه ملكتك الصغيرة تكاد تقفز فرحاً أمام مجرد فلس كان ملكها يعطيها إياه؟ ان قلبها سيكون سعيداً بذلك، لكن قلبَ ملكها بحاجة إلى أن يزيد العطاء. ولهذا السبب، يقدِّم لملكته التخريم اللائق بـ **ملكة فرنسا وناڤار**.

والحقيقة، يا والدي الصغير العزيز، أنَّه إذا كانت ملكتُك لا تستحقّ هذا القدرَ من الحُلل، فهذه ليست على قدرٍ كافٍ من الجمال بالنسبة إلى العريس الإلهي الذي قدّمتَ له ملكتك. فلهذا السبب سأكون سعيدةً بلبسها. وبخلاف ذلك، لن أجرؤ حقًّا على الأمر، لأنّني لستُ، بعدُ، **إلّا يتيمة البريزينا**، ولن أستحقّ حمل لقبي كملكة إلّا يوم اتشاحي بالثوب الرهباني.

ما زالت لَدَيَّ مهمةٌ لطيفة أؤديها، وهي أن أشكرك، باسمي كملكة، وباسم الألماسة واللؤلؤة الثمينة، على جُرُفِ(٢) الاجاص والبصل والخوخ والتفاح التي خرجت من الدولاب مثل خروجها من قَرْن الخِصب. من أين أتى كلُّ ذلك؟ فأجاب شيخٌ طيِّبُ القلب: إنّها من سيِّدٍ يسكن بالقرب من حديقة النجمة(٣). ولا يمكن ان يكون إلّا انت. ولذلك، يا والدي الصغير العزيز، قبلتُ المؤونة بكل امتنان، وقد أُعِدَّ لها استقبالٌ حافل من دون إلحاح. والمضحك في الامر، أنّها دخلت بأقلّ مشقّةٍ من ملكتك التي أُكرهَتْ على الذهاب إلى روما لكي يُفتحَ لها الباب.

(١) استعداداً لاتشاح تريز بالثوب الرهباني ، أرسل السيِّد مرتان أقمشة من تخريم ألنسون المشهور.

(٢) جُرُفِ الثلج Avalanche.

(٣) حديقة خاصة تقع على مقربة من البويسونيه: Jardin de l'étoile.

لقد فرّحت قلبي البصلات الضخمة، وذكّرتني ببصل مصر، بيد أننا لن نتحسَّرَ عليها مثل بني إسرائيل (**عدد** ١١/٥). وتذكرت ايضًا بصل ليون[٤] الذي يُكلّف نصف فرنك، وهو كبيرٌ جداً. وأخيراً، يا ملكي، أعتقدُ أنَّ ملكتك ستُضجرك بثرثرتها، لكنَّها مسرورة لدرجة أنَّها لا تستطيع الامتناع عن إسماعك إياه. إنَّها تشكرك على كل شيء، وتعانقك من كل قلبها.

تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة

الرسالة ٦٤ إلى السيِّد مرتان

٨-١٥ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٨٨

ملكي الحبيب

كنت أود لو أكتب لك رسالةً طويلة، لكنه يستحيل عليّ لأنني أقوم برياضة. أنك لا تعرف كم تحبّك ملكتك الصغيرة !.. وكوني بحاجة الى أن أكتب رسالةً إلى ابنة الملك، الأميرة ليوني، فكّرت في أنَّني لن استطيع إيصال رسالتي إلَّا بواسطة الملك نفسه. فلهذا السبب أتوجه إلى جلالة ملك فرنسا وناقار. وإذا كانت كرامته لا تَظهر في عيون الناس، فأعرف، أنا، جيّداً، أنها ستظهر أمام عيني الله في السماء ؛ وعندئذٍ، فإنَّ أصغر الأصفياء سيصبح قائد أمَّةٍ عظيمة (**أشعيا** ٦٠/٢٢)، اما مقام مليكي، فيا له من مقام!...

ملكتك الصغيرة
تريز الطفل يسوع

---

(٤) زارتها عند عودتها من الحج الى روما.

الرسالة ٦٥ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

الكرمل ٢٠ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٨٨

حبيبتي سيلين

غداً، إذاً، يومُ عيدك[١]. آه! كم أتمنى أن أكون الأولى في تقديم أمنياتها لكِ: وإن لم يكن هذا ممكنًا، فعلى الأقل، أستطيع ذلك في قلبي. فبمناسبة عيدكِ، ماذا تريدين أن أقدِّمَ لك؟ لو أكنتُ أصغي إلى نفسي، لطلبت من يسوع أن يرسلِ إليّ كروبَ حياة سيلين الحبيبة وكلَّ احزانها وكلَّ همومها. لكن، كما ترين، لا أصغي إلى نفسي لأنَّني سأخاف أن يقول لي يسوع: إنَّني أنانية، أريدُ أن يعطيَني افضلَ ما عنده، من دون أن يترك منه شيئاً لخطّيبته الصغيرة التي يحبّها للغاية. فلكي يثبتَ لها عن حبّه، جعلها تشعر بالفراق[٢]. لذلك لم أستطع أن أطلب ذلك من يسوع. ثمَّ إنّه غنيٌ جدّاً، وغنيٌ جداً حتى إن لديه ما يُغنينا نحن الإثنين...

ويمكننا الاعتقاد بانه لو أعطانا الله الكونَ بكامله، مع كلّ كنوزه، فهذا لن يُقارنَ بألطف عذاب. يا لها نعمةً عندما لا نشعر في الصباح بأية شجاعة ولا بأيَّة قوَّة لممارسة الفضيلة! فعندئذٍ تكون اللحظة **لوضع الفأس على أصول الشجر** (**متى** ٣/ ١٠). فبدل من تضييع الوقت في التقاط بعض الشذرات الصغيرة، سنغرق في الألماس، ويا له في ربحٍ في آخر النهار!... الحقيقة أنَّنا نستخفّ احيانًا، ولبضع لحظات، بجمع كنوزنا. عندئذٍ، يكون الوقت الاصعب، اذ نتعرّض للتجربة بترك كل شيء. ولكن إن قمنا بفعل حبٍّ واحد، ولو لم نشعر به، لعوَّضْنا عن كلِّ شيءٍ وأزوَد. فيسوع يبتسم، ويساعدنا دون أن يبدوَ عليه ذلك؛ وما يجعله الاشرار يسكب من دموع، نمسحه بحبِّنا الصغير، الضعيف المسكين. فالحبّ يستطيع أن يفعل كلَّ شيء، وأعصى الامور عليه لا تبدو له صعبة، لأن يسوع لا ينظر إلى عظمة الأفعال أو إلى صعوبتها بقدر ما ينظر إلى الحبّ الذي يحمل على القيام بها[٣]...

---

(١) القديسة سيلين، بتول، شفيعة مدينة مو Meaux وهي مدينة على بعد نصف ساعة من باريس، إلى الشرق، وتشتهر بكاتدرائيتها الضخمة.

(٢) الانفصال عن تريز.

(٣) القديسة تريزا الأڤيلية، **المنازل السابقة** ٤.

لقد عثرتُ، منذ بعض الوقت، على عبارةٍ وجدتُها رائعةً جداً. ها هي، وأعتقد أنَّها ستُسرّك: «الرضوخ يختلف عن ارادة الله اختلاف الاتحاد عن الوحدة. في الاتحاد، نحن لا نزال اثنين؛ اما في الوحدة فقد صرنا واحداً». آه! نعم، فلا نكن إلَّا واحداً مع يسوع، ولنحتقر كلَّ ما يحدث، ولترتفع أفكارنا إلى السماء لأنَّ هناك مسكنَ يسوع. فكَّرتُ في احد الايام في أنَّه علينا ألَّا نتعلَّق بما يحيط بنا إذ يمكننا ان نوجد في مكان آخر غير المكان الذي نحن فيه؛ وعواطفنا ورغباتنا لن تكون هي ذاتها. ولا أستطيع أن أشرح لكِ فكرتي، لأنني أغبى من ذلك؛ ولكن عندما سأراكِ سأقول لك ذلك.

لماذا تحدثتُ إليك بكل هذه الأشياء التي تعرفينها أفضل مني بكثير؟ سامحيني، فما زلتُ بحاجةٍ إلى حوارٍ معك شبيهٍ بحوارتنا الماضية. لكن ذاك الزمن لم يتغيَّر، وما زلنا كلانا ذاتَ النفس، وافكارُنا ما زالت كما كانت على نوافذ المِنظرة.

أفرح باليوم الذي فيه سنُعيِّد معًا في الوطن السماوي.

أُخيَّتك

تريز الطفل يسوع

آه! نعم، إنه محزنٌ جداً أن نفكِّر في رحيل الأب[٤] إلى كندا، لكنّ يسوع يبقى لنا.

الرسالة ٦٦ إلى السيِّد مارتان

ي.م.ي.ت.

في ١٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٨

ملكي الحبيب

إنّ الله صالح، فعلًا لأنه قد شفاك[١]! أؤكد لك أنَّ ملكتك الصغيرة كانت قلِقةً جداً، وقد كان هناك ما يستدعي ذلك لأنَّك كنتَ مريضاً جدّاً. كان الكرمل كلّه

---

(٤) الأب بيشون. وقد أبحر في ٣ تشرين الثاني. ولن تراه تريز من بعدُ.

الرسالة ٦٦

(١) راجع **مخطوط** أ ص ٧٢ ي.

يصلي؛ لذلك أصغى الرب، في النهاية، إلى تنهُّداته وأعاد لي ملكي. لكن إعلَم، يا والدي الصغير العزيز، بما أن الله قد حقّق الآن رغبتنا، فعليك، بدورك، أن تسعدنا جميعاً. إنَّ يتيمة البيريزينا ترجوك إذاً، بأن تعتنيَ بنفسك كل العناية، وقدر ما ينبغي. تعرف أنَّ المِقدامة رقم ٢[٢] كانت خبيرة بالأمر؛ لذلك أرجوك بأن تحترم لقبَها (الذي منحه لها الملك بنفسه) لكي تعتنيَ بك عندما سيكون ذلك ضرورياً.

إنَّ ملكتك الصغيرة هي دائماً بالقرب منك بالقلب، فأنى لها ان تنسى ملكها الجزيل العطف؟ ... ثمَّ يبدو لي أنه، إن كان ذلك ممكناً، كلّما كثُر ألمنا، ازدادت محبّتنا! ...

إلى اللقاء يا ملكي الحبيب، واعتنِ بنفسِك جيّداً، وبشكلٍ خاص، حتى تُفرِّحَ ملكتك.

تريزالطفل يسوع
ط.ك.غ.م.

الرسالة ٦٧ إلى السيِّدة غيران

١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٨

ي.م.ي.ت.

امرأة خالي العزيزة

إسمحي لِبُنيّتِك، أيضاً، بأن تأتيَ وتقدِّمَ لكِ أمنياتها الخجولة؛ ستبدو لكِ طفيفةً بالمقارنة مع ما تلقّيتِهِ قبلاً. ومهما يكن من أمر، فقلبها لا يستطيع الامتناع عن القول لامرأة خالها الحبيبة كم تُحبّها.

وهذا الصباح، تضرّعتُ، في أثناء مناولتي، إلى يسوع، كثيراً، بأن يغمرَك بأفراحه. وللأسف! فليس هذا ما يُرسله الينا منذ بعض الوقت، بل الصليب، ولا يعُطينا سوى الصليب لنستريح... آه! يا امرأة خالي الحبيبة، لو كنتُ وحدي من يتألّم، لما أثّر ذلك

(٢) لقب منحه السيّد مرتان لسيلين؛ والمقدامة رقم ١ كانت ماري.

فيّ؛ لكنّي أعرف أنكِ تشاركيننا في محنتنا مشاركةً بالغة[1]؛ وأريد بمناسبة عيدك أن أزيلَ عنك كلَّ غمّ، وأُحوِّلَ إليَّ كلَّ أحزانك. هذا ما كنت أطلبه منذ قليل من الذي كان قلبه يخفق بتوافقٍ تام مع قلبي. وشعرت عندئذٍ بأنَّ أفضل ما كان يستطيع أن يعطينا وما لم يكن يعطيه إلّا لأصدقائه المختارين إنّما هو الألم. بهذا الجواب تثبّتُّ أنّه لن يستجاب لي لأنّني كنتُ أرى أنَّ حبّ يسوع لامرأة خالي الحبيبة كان أكبر من أن ينزع منها الصليب!..

أنا متأثّرة جدّاً، يا امرأة خالي، بقالب الحلوى الجميل الذي أرسلته إلينا؛ فبدل من أن نهنّئك، نحن، بعيدك، قد هنّأتِنا، أنتِ، به حقًّا. لقد طفح الكيل! وليس لديَّ ما أقدمه لامرأة خالي الحبيبة إلّا صورةٌ صغيرةٌ حقيرة، لكن آمل أن تتكرَّم وتنظر إلى نيّة ابنتها الصغيرة.

إلى اللقاء، يا امرأة خالي الحبيبة، ويبدو لي أنَّك في أثناء المحنة، أقربُ، بعدُ، من

ابنتك الصغيرة
تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

كانت رسالة الأخت ماري للقلب الأقدس قد انتهت عندما تلقَّينا قالبَ الحلوى، وهي تكلّفني بشكرك جزيل الشكر.

الرسالة ٦٨ إلى السيّد مرتان

ي.م.ي.ت.

الكرمل ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٨

والدي الصغير العزيز

إن ملكتك تفكّر فيك باستمرار، وتصلّي طوال النهار لأجل ملكها. إنَّني سعيدة جداً في عشِّ الكرمل الوديع، ولم يعد لي أمنية أخرى على الأرض، سوى رؤية ملكي الحبيب وقد شُفي تماماً. لكنَّني أعلم جيّداً لماذا أرسل الله الينا هذه المحنة: ذلك من أجل أن نربح

(١) مرض السيّد مرتان.

السماء الجميلة. مع علمه بأن والدنا الحبيب هو جلُّ ما نحبّه على الأرض، فهو يعرف أيضاً كلَّ المعرفة، أن لا بدَّ من التألّم لربح الحياة الأبدية. ولذلك فهو يمتحننا في أغلى ما عندنا.

أشعر أيضاً بأنَّ الله يريد أن يعطي لملكي في السماء عرشاً رائعاً، اجملَ وأرفع مما يفكّر فيه البشر، حتى ليُمكن القول مع القديس بولس: **ما لم تره عينٌ ولا سَمِعَتْ به أذنٌ ولا خطرَ على قلب بشر، أعدَّه الله للذين يحبّونه...** (**١ قورنتس ٢/٩**). أيوجد أحدٌ على الأرض أحبّ الى الله من والدي الصغير الحبيب؟... حقاً، لا أستطيع تصديق ذلك!... وفضلاً عن ذلك، فقد قدّم لنا، اليوم، البرهان على أني لست مخطئة. لأنّ الله **يؤدِّبُ دائماً مَنْ يحبُّهم** (**عبرانيين ١٢/٦**). وأعتقد فعلاً أنَّ الله يُعذِّبُ، هكذا، على الأرض، حتى تبدو السماءُ أفضلَ لمختاريه. ويقول إنَّه، في اليوم الأخير، **سيمسَحُ كلَّ دمعة من عيونهم** (**رؤيا ٢١/٤**). فبقدر ما تُمسَحُ الدموع بقدر ذلك يزداد العزاء!...

وداعاً يا ملكي الحبيب، ويسرّ ملكتك أن تحلم باليوم الذي فيه ستملك معك في الملكوت الجميل والحقيقي وحده، ملكوت السماء.

تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٦٩ إلى ماري غيران

تشرين الثاني/نوفمبر (؟) ١٨٨٨

يسوع م.ي.ت.

دميتي الجميلة.

لم أستطع أن أقاوم رغبتي في شكرك على رسالتك؛ لقد سرّتني كثيراً. ولا يمكنك أن تتصوَّري كم أفكِّر فيك، فإنَّ صغيرتي ماري تخطر دائماً في بالي. ولو اردتُ، من جهة أخرى، أن أنسى بنات خالي الصغيرات العزيزات، فلن أستطيع الى ذلك سبيلاً، فالقنديل الصغير يغمرني بضوئه!...

هاكِ خدمةً أخرى تطلبها تريز: قالت لي الأخت أنييس للتوّ، إني بحاجة الى حذاءٍ مبطَّنٍ بفرو، وقد رأيتك تنتعلين مثله مراتٍ كثيرة في الشتاء، وهو من نوع جزمة صغيرة مزيَّنة بالأستراكان(١). فإذا أرادت امرأة خالي أن تشتريه لي سأكون مسرورةً جدّاً؛ وتستطيع جانّ أن تقيسه، فإنَّ قدمها بقياس قدمي تماماً.

لديَّ أشياء كثيرة أقولها لدميتي، لكن هناك من ينتظر رسالتي الصغيرة وعليَّ أن أتركك. ويوم الخميس، سيكون لديَّ أشياء كثيرة أخبر بها أُخيّتي العزيزة؛ فبانتظار ذلك، أعانق بشدة امرأة خالي الحبيبة و خالي الطيِّب وصغيرتي العزيزة جان.

أما لوبلوبي(٢)، فلا استطيع أن اعبّر له عن مقدار حبّي، فقلبي مفعمٌ بالمودّة له.

سأكون مسرورةً إن استطعتُ الحصولَ على الحذاء بعد الظهر، ولا يمكنك أن تتصوّري كم يُعتنى بنا في الكرمل، فعليَّ دائماً أن آكلَ وأن أُدفئَ قدميَّ(٣)...

إلى الخميس، يا عزيزتي الصغيرة، ويا دميتي الجميلة المحبّة. إنّي سعيدة جدّاً جدّاً ورغباتي كلّها تتحقّق.

تريز الطفل يسوع

أفكّر غالباً في عزيزتي مارسيلين.

---

(١) الأستراكان Astrakan.

(٢) لوبلوب لقب كانت تطلقه على ماري غيران.

(٣) ستبقى معفاةً من الصوم حتى سن الواحدة والعشرين.

الرسالة ٧٠ إلى الأم سان بلاسيد[١]

أوائل كانون الأول ١٨٨٨

ي.م.ي.ت.

في الكرمل
كانون الأول/ديسمبر ١٨٨٨

يسوع +

معلمتي العزيزة

إني متأثرة جدّاً بلفتتك اللطيفة. لقد تلقّيتُ بسرور النشرة العزيزة الخاصة ببنات مريم. وبكل تأكيد لن أفوّت أن أحضر بقلبي هذا العيد الجميل[٢].أوليس في تلك الكنيسة المباركة تكرَّمت العذراء القديسة وتبنَّتني بنتاً لها في يوم مناولتي الأولى الجميل، ويوم قبولي في أخوية بنات مريم؟ لن أستطيع أن أنسى، يا معلمتي العزيزة، كم كنتِ لطيفةً نحوي في هذه الفترات الهامة من حياتي، ولا يمكنني الشكّ في أنَّ النعمة السنيّة لدعوتي الرهبانية قد نبتَ برعُمها في ذلك اليوم السعيد. واذ كنت محاطةً بمعلّماتي الطيّبات، كرّستُ نفسي لمريم، عند أقدام مذبحها، واخترت إياها أمّاً بشكلٍ خاص، في حين أنَّني كنتُ قد تلقّيت يسوع في الصباح لأول مرة. ويحلو لي الاعتقاد بأنَّها لم تنظر عندئذٍ إلى عدم استحقاقي، وأنَّها تكرَّمت برأفتها الكبيرة، وأخذت بعين الاعتبار فضيلة معلماتٍ عزيزاتٍ أعددن قلبي بكثيرٍ من العناية كي يستقبل الابن الإلهي فيه. ويطيب لي الاعتقاد بأنّها تكرّمت، لهذا السبب، وصيّرتني بنتاً لها بنوعٍ أكمل، عندما منحتني النعمة العظمى بأن قادتني إلى الكرمل. أتصوّر يا معلمتي العزيزة، أنك علمت بمرض والدي الحبيب؛ وقد خِفتُ خلال بضعة أيام ان يخطفه الله من حناني. لكنّ يسوع تنازل وأنعم عليّ بمعافاته الى حين اتشاحي بالثوب الرهباني. وكنت أنوي، كلَّ يوم، أن اكتب اليكِ لأُعلِمكِ بأن المجمع الديري وافق على قبولي. لكن جهلي بالموعد الذي سيحدّده المطران، حملني على الانتظار.

---

(١) Saint - Placide من راهبات القديس مبارك في ليزيو، وقد كانت مديرة القسم الداخلي في الدير من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٩٦.

(٢) كان بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لإنشاء أخوية بنات مريم.

آمل، يا معلمتي العزيزة، أن لا تكوني أخذت هذا التأخير على محمل اللامبالاة. آه! لا! إنَّ قلبي، فعلاً، هو ذاته دائماً، وأعتقد أنَّه منذ دخولي الكرمل قد أصبح أكثر رقةً ومودّةً؛ لذلك أفكِّر غالباً في جميع معلِّماتي الطيبات، وأحبُّ أن أسمِّيهنّ بصورةٍ خاصة أمام يسوع في أثناء الساعات المباركة التي أمضيها عند قدميه. فأسألكِ بجرأة، يا معلّمتي العزيزة، أن تتكرَّمي وتكوني لسان حالي إزاءهنّ فتذكرينني لديهنّ، خاصةً عند السيّدة الرئيسة التي أحفظ لها المحبّة البنوية وعرفاني بالجميل. تفضّلي أيضاً بعدم نسياني لدي رفيقاتي السعيدات اللواتي أبقى دائماً أُخيَّتهن في مريم.

وداعاً الله، يا مُعلمتي العزيزة، وآمل أن لا تنسني في صلواتكِ المقدّسة مَنْ هي وستكون دائماً، ابنتك العارفة بجميلك

الأخت تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٧١ إلى السيِّدة غيران

ي.م.ي.ت.

٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٨٨٨

يسوع +

امرأة خالي الصغيرة العزيزة

يؤسفني فعلاً، أنني نمتُ مساء أمسِ نومَ الكسولة، فلم أكن أعلم أن أخواتي سيكتبن إليك... وهذا الصباح لَم يكن لديَّ إلَّا وقت قصير، اضطررت الى اقتطاعه من ساعة الفرض[1].

يا امرأة خالي العزيزة، أريد أن أكون أول مَنْ يتمنّى لكِ عاماً سعيداً لسنة ١٨٨٩!...

عندما يخطر ببالي، يا امرأة خالي العزيزة، أنه بعد حين، سيكون قد مضت تسعة

---

(١) كانت الطالبة تُعفى من تلاوة بعض صلوات الساعات الصغيرة.

أشهر على وجود بُنيَّتك في الكرمل، لا أصدق ذلك، بل أراني كنتُ أمسِ بالقرب منك!... كم تمضي الحياة بسرعة، وها أنا على الأرض منذ ستة عشر عاماً!آه! قريباً سنكون جميعاً مجتمعين في السماء. تروقني كثيراً هذه العبارة في المزامير: **إنَّ ألف سنةٍ في عينيّ الربّ كيوم أمس الغابر (مزمور ٨٩/ ٤)**. يا للسرعة! آه! أريد أن أعمل بجدٍّ ما دام ساطعاً نهار الحياة، لأنَّ بعده سيأتي الليل حيث **لا أستطيع أن أعمل شيئاً (يوحنا ٩/ ٤)**. صلِّي لأجل ابنتك الصغيرة، يا امرأة خالي العزيزة، كي لا تفرِّطَ بما يغدق الله عليها من نعمٍ في وادي الكرمل الخصيب.

لا أستطيع الامتناع من الضحك لرؤيتي رسالتي: فليست حقاً رسالةَ أمنيات بسنة طيِّبة. لكنني، يا امرأة خالي العزيزة، أتصرّف معك كطفلٍ يترك قلبه على سجَّيته دون أن يبحث أبداً عمَّا سيقوله!...

لو كنتِ تعلمين، يا امرأة خالي العزيزة، كلَّ ما أطلبه لكِ ولخالي العزيز، يوم رأس السنة!... لا، لستِ تعرفينه، ولن أشرع في قوله لكِ، لأنه سيكون طويلاً فيُزعجكِ.

أما بنات خالي الحبيبات (أُخيَّاتي العزيزات)، فكم أصلِّي لأجلهنَّ!...

إلى اللقاء، يا امرأة خالي العزيزة، وأرجوك بأن تقولي لخالي كم أحبّه. كان عليَّ أن أكتب اليه حين كتبت إليك، يا امرأة خالي العزيزة. لكنَّني أغبى من أَن استطيع مخاطبة شخصين معاً... فأرجوه بأن يسامحني. أرسل اليكما أفضلَ قبلة من صُغرى بناتكما

تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

تذكرتُ للتوِّ أنَّني لم أشكر بعد امرأة خالي الحبيبة على الاكليل الذي ستتكرَّم بتقديمه لي بمناسبة اتشاحي بالثوب[٢] الرهباني. آه! لو كانت تعلم كم أنا عارفة بجميلها وكم ستكون هذه الذكرى عزيزة على قلب ابنتها الصغيرة!...

---

(٢) تاج من الزنبق الاصطناعي.

الرسالة ٧٢ إلى السيِّد مرتان

ي.م.ي.ت.

٣٠ كانون الأول/ديسمبر ١٨٨٨

يسوع +

ملكي الحبيب

ما أسعدني بأني استطعت هذه السنة، أن أرسل إليك، من ملكوت الكرمل، امنياتي بعام سعيد. اما ملكتك الصغيرة فما استطاعت قط قبلاً، ان تعبّر لك عن مودّتها بفرح أكبر، إذ تشعر الآن بأنها قريبةٌ جداً من ملكها، بحيث لا شيء يستطيع إبعادها عنه!...

إنّ ملوك الأرض يسرّون جداً إن استطاعوا تزويج بناتهم من نبلاء؛ وأيَّ عرفانٍ بالجميل لا تكنّه أولئك البنات لأهلهنَّ... أمّا ملكتك الصغيرة فهذه قضية أخرى تماماً: فلكونك أباً وملكاً حقّاً، لم تزد أن تعهد بها إلّا إلى ملك السماء، أي إلى يسوع بالذات؛ فتحوّلت من لقب يتيمة البيريزينا، الى لقب الكرملية النبيل للغاية.

كم عليَّ أن أحبَّ والداً تكرّم ووفّر لي سعادةً كبيرة بهذا القدر! وكم أحبّه!... لو كان دليل روما هنا، لاستطاع القول: «أيُّها الكهنة المحترمون، سأريكم والداً لم تروا مثله قطّ. فهناك ما يثير دهشتكم والحقّ يقال، يا والدي الصغير العزيز، إنك حقّاً لم تكن تستطيعُ فعلَ اكثر مما فعلت من اجل ملكتك الصغيرة. وإن لم تصبح قديسةً فسيكون الخطأ خطأها، لأنَّها مع والدٍ مثلك، لديها الوسائل الكفيلة بذلك.

والدي الحبيب، لقد غاب النهار، وحان الوقت لأن أتركك، لكي ألتقيك ثانيةً إلى جانب يسوع، حيث مكانُك الحقيقي.

قريباً سيسطع لنا النهار الذي لا تغمره الظلال، وعندها لن ننهي أحاديثنا أبداً!...

عاماً سعيداً، يا ملكي الحبيب، وأشكرك على كلٍّ ما دلّلتنا به في هذا الأسبوع!.. وطوال السنة كلّها!...

فلِيَغمرْكِ يسوع ببركاته، وليهبْك، حسب وعده، المائة ضعفٍ في هذه الحياة وسماءه

الجميلة في الاخرى (متى ١٩/٢٩). تلك أمنية ملكتك الصغيرة التي تحبّك أكثر ممَّا احبَّت ملكةٌ ملكَها على الإطلاق.

الأخت تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٧٣ إلى السيِّدة غيران

ي.م.ي.ت.

٢ كانون الثاني/يناير ١٨٨٩

يسوع!...

امرأة خالي الحبيبة

إن ابنتك الصغيرة هي في ذروة الفرح!... وما أكثر لطفك نحوها! إنه حقّاً يفوق الحد... فكيف أشكرك؟ ولكن ألا تعرفُ الأم أن تقرأ في قلب ابنتها الصغيرة؟ فلن أقلق، لأنك بكل تأكيد، سوف تحزرين عرفاني بالجميل.

الزنابق تخلبُ اللبّ، كأنها قطفت للتوّ! كم أُخيَّاتي طيِّباتٌ بتقديمها لي! وسأفرح فرحاً عظيماً يوم اتشاحي بالثوب الرهباني باعتباري أنهنَّ قد زينَّني لملاقاة خطّيبي الإلهي. فهذه الازهار ستخاطب باسمهنّ يسوع، فيدفق، بكل تأكيد، نعمه عليهنّ وعليكِ، يا امرأة خالي العزيزة.

لو كنتِ تعلمين مدى سعادتي بالحصول على هذه القطعة الضخمة من سُكَّر التفاح اقدّمه لأُمنا، فبذلك عرفتُ امرأة خالي العزيزة التي تبحث دائماً عن اكثر ما يمكنه أن يُسِرَّ ابنتها الصغيرة. ولم يكن فرحي أقلَّ برؤيتي علبة الخبز المحلّى الجميلة. وقد غمرني الاعتزاز على المائدة عندما اعلنت أمُّنا للجماعة أنّك قدّمت لنا هذه الاطايب على شرف بلوغي السادسة عشرة.

أشكرك، يا امرأه خالي الحبيبة، ولو تعلمين كم أجدك طيِّبة! فيوم اتشاحي بالثوب الرهباني سأصلّي كثيراً لأجلك، وكذلك لأجل خالي العزيز الذي أشكره من كلِّ قلبي، لعلّمي بأنَّه قدَّم لي، هو أيضاً، كلَّ تلك الهدايا الجميلة التي تلقّيتها هذا السماء.

لقد وجدت أمُّنا الحبيبة وكلُّ الجماعة الاكليلَ جميلاً جدّاً. لم أرَ قط أزهاراً أعجبتني بهذا القدر؛ فالزنابق ناصعة جداً، وأريد فعلاً أن تكون نفسي مزيَّنةً بها لملاقاة يسوع، إذ لا يكفي أن تكون الزنابق في الشَعر؛ لأن عين يسوع انما تنظر دائماً الى القلب!...

إلى اللقاء، وشكراً، يا امرأة خالي الحبيبة، صلّي لأن تكونَ ابنتك الصغيرة مزيَّنةً في الداخل كما في الخارج!...

الأخت تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٧٤ إلى الأخت أنييس ليسوع

٦ كانون الثاني/يناير ١٨٨٩

ي.م.ي.ت.

يا حمل يسوع الصغير العزيز، شكراً!... لو كنتِ تعلمين كم سرّتني رسالتُك الصغيرة!...

أطلبي إلى يسوع أن أكون سخيَّةً في أثناء رياضتي. ها إنَّه يَثقبني بوخز الدبابيس، والطابة الصغيرة المسكينة لم تعد تطيق؛ فهي تحمل من جميع الجهات، ثقوباً صغيرة جداً تؤلمها أكثر مما لو كانت مثقوبة بثقب كبير واحد!.. لا [أشعر] بشيء بالقرب من يسوع: جفاف!... نعاسٌ!... لكن، على الأقل، هناك الصمت!... الصمت يريح النفس... إلا أنّ الخلائق...، آه! الخلائق!... الطابةُ الصغيرة ترتجف منها!... تفهّمي لعبةَ يسوع!... عندما يَخِزُ الطابةَ الصديقُ الوديع بنفسه، فالألم ليس إلّا عذوبة، ويدُه غاية في اللطافة!... أما الخلائق... وهذه التي تحيط بي هي طيّبةٌ جداً، غير أنَّ هناك شيءٌ ما لا أعرفه، ينفّرني!... لا أستطيع أن أقدِّم لك تفسيراً، فافهمي نفسَ [ابنتك] الصغيرة. ومع ذلك فأنا سعيدة جداً، سعيدة بأن أحتمل ما يريدني يسوع أن أحتمله؛ فإن لم يَخِزْ مباشرةً طابته الصغيرة، فهو إنّما يقودُ اليد التي تَخِزها!... وبما أنَّ يسوع يريد أن ينام، فلماذا أمنعه؟ إنَّني في غاية السعادة كونه يرفع الكلفة بيني وبينه، وبهذه المعاملة يُبدي لي أنني لست غريبة؛ وأؤكد لكِ أنَّه لا يبذل أيَّ عناء ليحادثني!..

ليتك تعلمين كم أريد أن أكون لا مبالية بأمور الأرض! ما لي ولكل الجمالات المخلوقة! فإن امتلكتها سأكون تعيسة ويؤول قلبي الى فراغ!.. لا أصدِّق كم يكبر قلبي عندما أتأمل جميعَ كنوز الأرض، وأرى أنَّها، على كثرتها، لا تستطيع أن تُرضيه. لكن كم يبدو لي قلبي صغيراً عندما أتأمل في يسوع!... أريد أن أحبه كثيراً!... وأن أحبّه أكثر ممّا كان محبوباً على الإطلاق!... أمنيتي الوحيدة هي أن أعمل دائماً مشيئة يسوع! وأن أمسحَ الدموع الصغيرة التي يذرفها بسبب الخطأة... آه! لا أريد أن يكون يسوع حزيناً يوم خطوبتي، بل أريد ان أردّ جميع خطأة الأرض وأن أخلِّصَ جميع نفوس المطهر.

إنَّ حَمل يسوع سيضحك عندما يرى رغبة حبة الرمل الصغيرة هذه!... أعرف أنَّ هذا جنون، لكن، مع ذلك، أريد أن يتمّ ذلك، فلا يبقى ليسوع دمعةٌ واحدة يذرفها.

صلّي لأنْ تصبحَ حبّةُ الرمل الصغيرة ذرّةً لا تحسّ بها إلا عينا يسوع!...

تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٧٥ إلى الأخت ماري للقلب الاقدس

٦ أو ٧ كانون الثاني/يناير ١٨٨٩

ي.م.ي.ت.

يسوع +

أيُّها الأسدُ[١] الحبيب الى يسوع، إنَّ الحملَ الصغير بحاجةٍ إلى أن يستعير منك بعضَ القوة والشجاعة، تلك الشجاعة التي تجعل الأسدَ يتغلّب على كلِّ شيء!... فالحمل الصغير لا يستطيع ان يقول شيئاً ليسوع، ويسوع خاصةً لا يقول له شيئاً على الاطلاق؛ فصلّي لأجل الحمل لكي تعجب رياضتُه، بالرغم من ذلك، قلبَ من يقرأ وحده في أعمق أعماق النفس!..

(١) لقبٌ منحه الأبُ بيشون الأختَ ماري للقلبِ الأقدس.

لماذا أبحث عن السعادة على الأرض؟ أقرّ بأن قلبي شديد الظمأ إليها؛ لكن، هذا القلب المسكين، يرى بوضوح، أنَّ أيَّ مخلوق لا يستطيع إرواءَ عطشه؛ وعلى العكس، بقدر ما يشرب من هذا النبع المسحور بقدر ما يتلظّى عطشه! ... وأعرف نبعاً آخر، نبعاً نشعر بالعطش بعد أن نشرب منه؛ لكن عطشه ليس لاهثاً، بل إنه على العكس، عذبٌ جدّاً لأنَّ فيه ما يكفي لإرواء الغليل؛ وهذا النبع هو الألم الذي لا يعرفه إلا يسوع وحده!..

أيُّها الأسد الحبيب، لديَّ أشياء كثيرة أقولها لكِ؛ لكن لا وقت لي؛ فاقرأ، في قلب ابنتك الصغيرة، كما تحسنين فعله حقّاً...

تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٧٦ إلى الأخت أنييس ليسوع

٧ كانون الثاني/يناير ١٨٨٩

ي.م.ي.ت.

يسوع +

اعتراني الحزن، هذا الصباح، عند الأخت سان ڤنسان دي پول[١]، ففارقتُها وقلبي مفعمٌ غمّاً...

أيّ جاذب يشدّ نفسي اليك؟ لا يمكنك أن تتصوّري مدى شعوري بالحرمان لكوني لا أستطيع التحدّث اليك[٢] ...

(١) اوكلت الى الاخت سان فنسان دي پول مهمة صنع الالبرغات Alpargates, وهي حذاء من الكتان الخشن والحبال كانت تنتعله الكرمليات بناء على إصلاح تريزا الافيلية. ويبدو ان لسان تلك الراهبة كان لاذعاً فلم تكن توفّر على الطالبة تريز بعض الملاحظات القارصة.

(٢) تريز في رياضة، ولا تستطيع التحدث الى رئيستها والى معلّمة المبتدئات.

أتفهمين شيئاً من سلوك يسوع؟... قد قلتُ لكِ إن الأولاد لا يعرفون ما يريدون، ويسوع يتصرّف هكذا مع طابته الصغيرة. لقد بدا له تاريخُ التاسع [من الشهر] بالغ الروعة[٣]، وهو لا يريد لها أيّ شيء رائع!.. أعرف، بوضوح، لماذا: لا رائع إلا هو، بكل ما للكلمة من معنى، وهو يريد أن يُظهر لطابته الصغيرة أنّها قد تُخطئُ ببحثها في مكان آخر عن ظلٍّ جمال قد تعتبره الجمالَ بحدِّ ذاته!...

كم يبدو لطيفاً نحوي من سيكون خطّيبي قريباً! كم يبدو حبّه إلهيّاً بأن يمنع عليّ التعلّق بأي شيئ مخلوق! وهو يعرف حقَّ المعرفة أنّه لو منحني فقط، ظلاً من الغبطة، لتعلّقت به بكل طاقة قلبي وبكلِّ قوته. وهذا الظلُّ يرفضه لي، إذ يفضِّل أن يتركني في الظلمات على أن يعطيني بريقاً مزيَّفاً لا يكون هو!... وبما أنّي لا أستطيع العثور على أيِّ مخلوق يرضيني، أريد أن أهب كلَّ شيء ليسوع؛ ولا أريد أن أعطيَ للمخلوق ذرَّةً واحدة من حبّي؛ فَلْيُعْطِني يسوع دائماً بأن أفهم أنَّه وحده السعادة الكاملة حتى عندما يبدو، هو، غائباً!...

لقد حرمتُ، اليوم أكثر من الأمس، كلَّ عزاء، إذا كان هذا ممكناً. وأشكر يسوع الذي يجدُ فيه نفعاً لنفسي. ثم إنه، لو كان يُعزّيني، فقد أتوقف عند هذه الأطايب؛ لكنَّه يريد كلَّ شيءٍ له!... حسناً: سيكون كلُّ شيء له، كلُّ شيء، حتى عندما لا أشعر بشيءٍ أقدّمه له؛ عندئذٍ، وكما يحدث هذا المساء، سأقدِّم له هذا اللا شيء!...

إنْ كان يسوع لا يمنحني عزاء، فهو يمنحني سلاماً وافراً جدّاً بحيث يؤتيني خيراً أعظم.

اما رسالة الأب[٤]؟... فأجدها سماوية، ويجد قلبي فيها أشياءَ جميلةً جدّاً. لكن السعادة؟... آه! لا، لا اجد السعادة... والسعادة ليست إلّا في الألم، وفي الألم الخالي من أيِّ عزاء!..

يا أخيّتي، يا أمي[٥] أنا، ما سيكون رأيك في إبنتك الصغيرة؟ آه! لو لم تكوني

(٣) كان من المتوقع ان يجري الاتشاح بالثوب في هذا التاريخ.
(٤) الأب بيشون Pichon.
(٥) تطلق عليها هنا لقب ماما Maman.

أنتِ، لما كنتُ لأجرؤَ على إرسال هذه الأفكار، أفكار نفسي الحميمة جدّاً.. أرجوك، مزّقي هذه الأوراق بعد قراءتها!

صَليِّ حتى لا ترفضَ ابنتُك الصغيرة ليسوع ذرَّةً واحدة من قلبها.

تريز الطفل يسوع

الرسالة ٧٧ إلى السيِّد مرتان[١]

ي.م.ي.ت.

٨ كانون الثاني/يناير ١٨٨٩

يسوع +

ملكي الفريد

لو كنتَ تعلم كم انا متأثّرة بسخائك!... بطيخة صفراء[٢]!... وشمبانيا، آه! إن هذا لَيثير دموعي، لولا تمالكي؛ لكنّني أتمالك نفسي وأغتبط كثيراً بالعيد الجميل في اليوم الخميس.

عادةً تُقام في عرس الملكة حفلاتٌ ضخمة، ولهذا السبب ستحْظى ملكة فرنسا وناڤار، من دون شكّ، بألعابٍ نارية... فيغطِّي الملكُ نفسُه نفقاتِ الملكة، وهو خبير بإحداث المفاجآت، وليس على الخنفساء الشقراء[٣] إلَّا الشكر!...

ولو جرى، يوم الخميس، عيدٌ جميل على الأرض، فتصوّري أنَّه سيكون أكثر روعةً في السماء، وسيُعجب الملائكة برؤية والدٍ مرضيٍّ جدّاً عند الله، وسَيُعِدّ يسوع إكليلاً يُضيفه الى كل ما يكون ملكي قد جمع من اكاليل.

لا، لن تكون، أبداً، أعيادُ الأرض ساحرةً سحرَ أعيادِ السماء! ومع ذلك، يبدو لي أنَّه من المستحيل وجود عيدٍ سماوي أكثر من العيد الذي يُعَدّ. ومع أنّي لم أعمل شيئاً

---

(١) هذه آخر رسالة كتبتها تريز إلى والدها في البويسونة.

(٢) لعبة كانت تُحدث انفجاراً بواسطة فتيلة مشتعلة، فتقذف مطراً من الملبس.

(٣) لقب منحه السيّد مرتان لإبنته نظراً الى شعرها الأشقر الطويل.

يجعلني جديرةً بنعمةٍ كبيرة إلى هذا الحد، فقد تكرَّم الله ونظر الى استحقاقات والدي الحبيب، فأنعمَ عليَّ بهذه الحظوة السنيّة.

أنا حالياً في رياضة، وفي الرياضة لا يُسمح بالكتابة، لكنَّ أمنا أذنت لي بإرسال هذه الكلمة الصغيرة اليك لأشكرك. فأنت طيِّبٌ جداً نحو ملكتك؛ ومن دون شك، إن كانت الكتابة ممنوعة لئلا يُعَكِّرَ صمتَ الرياضة، فهل يمكن أن تعكِّر سلامنا الكتابةُ إلى قديسٍ؟

إلى الخميس، يا ملكي الحبيب، فملكتك تعانقك من قلبها في انتظار ان تقوم حقّاً بذلك.

ملكة فرنسا وكل مقاطعات ناڤار
تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٧٨ إلى الأخت أنييس ليسوع

٨ كانون الثاني/يناير ١٨٨٩

ي.م.ي.ت.

يسوع +

لم أرَ الحمل هذا النهار لكنَّني أعلمُ أنَّه مصابٌ بصداع أليم، وهذا ما يُحزنُ الحملَ الصغير الذي يخاف من أن يُنبتَ يسوع جناحين للحمل!... يا لها من سطور رائعة!... كأنها آتية من الاثير، وتذكّر بالوطن السماوي!... والحملُ يُخطىء باعتقاده أنَّ لعبة يسوع ليست في الظلمات، فاللعبة غارقة فيها. قد تكون هذه الظلمات مضيئة، حسبما يرى الحمل الصغير؛ لكنها ظلمات بالرغم من كلِّ شيء.. فالعزاء الوحيد هو القوة والسلام العميق جداً؛ ثم إنَّ الحمل يأمل أن يكون كما يشاء يسوع. هذا هو فرحه، لأنَّه بخلاف ذلك، يعمّ الحزن كل شيء... لقائي بأمنا يعكّره باستمرار [دخول آخرين][1]. وعندما

---

(١) ربما بسبب دخول كثير من الاخوات يطلبون حاجة (ش.ر.)

أبقى معها لحظة، فلا أستطيع أن أقول لها ما يحدث في نفسي، وبعد أن أَدخلَ من دون فرح أخرج من دون فرح!...

أعتقد أنَّ عمل يسوع، في أثناء هذه الرياضة، كان فصلي عن كلِّ ما ليس إيّاه...

كنتِ تعلمين كم يسرّني بألّا يكون لي فرحٌ إرضاءً ليسوع. إنَّه الفرح الصافي (لكن لا يُحَسّ بتاتاً).

ايها الحمل العزيز، لم يبقَ سوى يوم واحد لأكون خطّيبةَ يسوع!...

لا تموتي فوراً، انتظري أن يكون للحمل الصغير جناحان لكي يتبعَكِ...

تريز الطفل يسوع،
لعبة يسوع الصغيرة!
طالبة كرملية غير مستحقة.

تكرَّمي، إن شئتِ، واعطني: أولاً، دواة الحبر الصيني والذهبي؛ ثانياً، قولي لي إذا كانت لازمة فرض القديسة أنييس تناسب الصور الصغيرة [التذكارية] للاتشاح بالثوب الرهباني؛ ثالثاً، إفتحي بابنا في الساعة السادسة إن كنتِ هناك، وإلّا سأستيقظ وحدي. إذا كانت جميع هذه الأشياء تزعجك، فلا تعطيني شيئاً، فإني استطيع الاستغناء عنها.

الرسالة ٧٩ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس

٨ كانون الثاني/يناير ١٨٨٩

ي.م.ي.ت.

يسوع +

أيُّها الأسد الحبيب، كلمتك الصغيرة أبهجت كثيراً قلب ابنتك الصغيرة!... أشكرك... كم أنتِ طيِّبة!... آه! كم أريد أن أتشبَّه بكِ! لكن لعبة يسوع هي الضعف عينه. فإن لم يحملها يسوع، أو لم يرمِ بنفسه طابته الصغيرة، فستبقى هناك بلا حراك، في ذات المكان!...

لم يبقَ اكثرُ من يوم لأكون خطّيبة يسوع؛ ويا لها نعمةً!.. ماذا أفعلُ لأشكره، واكون أقلَّ استحقاقاً لحُظوةٍ كهذه؟...

آه! الوطن... الوطن[1]... كم أنا عطشى إلى السماء، هناك حيث سنحبُّ يسوع من دون تحفّظ!...

ولكي نصل إليه لا بدّ من التألم والبكاء... أريد، اذاً، ان أتألم قدر ما يُرضي يسوع، وأن أتركَه يفعل ما يشاء بطابته الصغيرة.

تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٨٠ إلى الأخت مرتا ليسوع[1]

١٠ كانون الثاني/يناير ١٨٨٩

تذكار اتشاحي بالثوب الرهباني العزيز، أقدّمه لأختي الصغيرة.

وقريباً سيكون الخطّيب الإلهي لتريز الطفل يسوع، خطّيبَ الأخت مرتا ليسوع[2] أيضاً!

أُطلبي إلى يسوع أن أصبحَ قديسةً كبيرة، وسأطلبُ ذات النعمة لرفيقتي العزيزة الصغيرة!

الأخت تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس[3]
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

---

(١) هُتاف مألوف للسيّد مرتان.

الرسالة ٨٠

(١) إهداء على قفا صورة.
(٢) ستلبس الأخت مرتا الثوب في ٢ أيار/مايو ١٨٨٩.
(٣) تسمية الوجه الاقدس تظهر في توقيع تريز للمرة الاولى.

المرحلة الرابعة : الابتداء
(كانون الثاني/يناير ١٨٨٩ - أيلول/سبتمبر ١٨٩٠)

الرسالة ٨١ إلى سيلين

٢٣-٢٥ كانزن الثاني/يناير ١٨٨٩

ي.م.ي.ت.

يسوع وصليبه!...

أختي الحبيبة،

نعم، يا حبيبة قلبي، يسوع هنا مع صليبه[1]! لقد آثركِ حبّه فأراد أن يجعلكِ شبيهةً به. فلماذا تجزعين من عجزك عن حمل صليبه من دون ضعف؟ لقد سقط يسوع ثلاث مرات فعلاً على درب الجلجلة. وأنتِ، أيتها الطفلة المسكينة، ألن تكوني شبيهةً بعريسك؟ ألا تريدين ان تسقطي مائة مرة إنْ اقتضى الأمر، حتى تبرهني له على محبّتك فتنهضي أقوى من ذي قبل؟...

سيلين... لا بدَّ من أن يكون حبُّ يسوع لكِ حبّاً مميّزاً ليمتحنَك بهذه الطريقة. أتعلمين أنه قد يجعلني أغار؟ فمن يحبّون كثيراً يعطيهم حبّاً كثيراً، ومن يحبّون قليلاً يُعطيهم حبّاً قليلاً[2].

بيد أنكِ لا تشعرين بحبّك لعريسك، فتودّين لو يصعد قلبك نحوه مثل شعلةٍ لا يشوبها أيُّ دخان خفيف. فانتبهي جيّداً الى ان هذا الدخان لا يغمر سواكِ. وليحرمَكِ حرماناً تاماً رؤية حبّك ليسوع فإن الشعلة لا يراها الا يسوع وحده؛ فعندها على الاقل، ينالها كلّها... ولو كشفها لنا قليلاً لسارع حبُّ الذات كريحٍ شؤوم وأطفأ كلَّ شيء.

في هذه الآونة إخالك شخصاً محاطاً بثروات طائلة... إن الرؤية تضيع في الأفق...

---

(١) مرض السيّد مرتان.

(٢) تريز الأڤيلية، **طريق الكمال**، الفصل ٣٣.

فيقرّر هذا الشخص أن يُدير ظهره، لأن كثرة هذه الثروات، في ظنّه، تزعجه فلا يعرف ماذا يصنع بها؛ ويظن أن من الأفضل له ان يدعها او يأخذها آخر. وهذا الآخر لن يأتي، لأنَّ هذه الثروات مُعدَّة لخطّيبة يسوع... ومن أجلها وحدها!... قد يجوب الله العالم للعثور على ألمٍ يعطيه لنفس حدَّق بها نظره الإلهي بحبٍّ لا يفي به وصف.

ماذا تفيدنا نحن ... أشياءُ هذه الأرض؟... أيكون وطنَنا هذا الطميُ الذي لا يليق بنفس خالدة؟... وماذا يهمّنا أن ينزع بشرٌ هزيلونَ العفنَ النابت على هذا الطمي؟ فبقدر ما يكون قلبنا في السماء، بقدر ذلك يخف شعورنا بوخزات الدبابيس؟

ولا تظنّي أن ليسَ نعمةً، ونعمة عظيمةً، الإحساسُ بهذه الوخزات، لأن حياتنا عندئذ، تصبح استشهاداً سيعطينا يسوع، يوماً، سعفته[٣]. أن أتألّم واكون محتقرةً،[٤] يالها من مرارة، بل يا له من مجد! هذا هو شعار الزنبقة الخالدة!... ولا شعار آخر يلائمها. قلبي يتبعك في مهمَّتك النبيلة التي عهد يسوع بها إليك. أنتِ لستِ جندياً بل قائداً... التألّم والتألّم أيضاً ودائماً... فكلُّ شيءٍ الى زوال[٥].

الرسالة ٨٢ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

الكرمل ٢٨ شباط/فبراير ١٨٨٩

يسوع +

حبيبتي سيلين

أمن المعقول أن أكتب اليكِ الى كان[١]؟ أتساءل إذا كنتُ في حلم أو في يقظة...

---

(٣) سعفة النخيل هي رمز الإستشهاد.

(٤) هذه العبارة كانت جواب القديس يوحنا الصليب لما خاطبه المسيح في سيغوفيا وسأله ماذا يريد مكافأة على إكرامه لصورته.

(٥) تريزا الافيلية.

الرسالة ٨٢

(١) بعد أزمة خطيرة، نُقل السيّد مرتان إلى مستشفى الراعي الصالح في كان Caen في ١٢ شباط/ فبراير ١٨٨٩.

لكن لا، إنّه الواقع فعلاً!.. سأدهشك، يا أخيّتي الحبيبة، إن قلت لكِ، كما ترين، أنّي أجد نصيبَك مدعاةً للحسد. فليسوع عليكِ أفكارُ حبٍّ يصعُبُ وصفُها، ويريد أن تكون زنبقته الصغيرة الخالدة كلُّها له، فقد تعهَّد بأن يرافق هو نفسه ابتداءَها الأول، وأن تُزَيِّنَ يده الإلهية عروسَه ليوم عرسها، ولن تخطئ يده العزيزة في اختيار زينتها... فيسوع هو عريس دم[٢]... (خروج ٤/٢٥..) ويريد لنفسه كلَّ دم القلب...

آه! كم يكلِّف إعطاء يسوع ما يطلبه!... وسعادةً كبرى يكلِّف هذا العطاء!... إنه فرح فائقُ الوصف أن نحملَ صلباننا بضعف. هل فهمت الزنبقةُ الخالدة حبة الرمل المسكينة؟.. إنَّ ابتداءَك هو ابتداء الوجع، فيا له من امتياز يعصى على الفهم!

آه! يا أخيتي الحبيبة، بدل من أن اتشكّى إلى يسوع من الصليب الذي يرسله الينا، فأنا أعجز عن فهم الحبِّ اللامتناهي الذي حمله على أن يعاملنا بهذا الشكل.... لا بدَّ من أن يكون والدنا العزيز حبيباً الى يسوع لكي يتألَّم على هذا الشكل. أفلا ترين أنَّ الشقاء الذي أصابه هو، حقّاً، تتمّةٌ لحياته الجميلة؟... أشعر، يا زنبقةً صغيرة خالدة، بأنَّني أقول لك أقوالاً جنونية؛ لكن ما هي، فإن لنا أفكاراً أخرى كثيرة في حب يسوع ربَّما كانت أقوى بكثير ممّا أقوله لك... يا لسعادة الإذلال، فإنه الطريقُ الوحيد الذي يصنع القديسين!.. هل نستطيع الشك الآن في مشيئة يسوع على نفوسنا؟... ليست الحياةُ حلماً[٣]؛ وقريباً نستيقظ، ويا للفرح!... فبقدر ما تكون آلامنا كبيرة يكون مجدُنا لامتناهياً...! آه! لا نُضِعِ الشدة التي أعدَّها يسوع لنا (٢ قورنتس ٤/١٧)، إنَّها منجمُ ذهبٍ علينا استغلاله؛ فهل نجعل الفرصة تفوتنا؟... ها إن حبة الرمل تباشر العمل من دون فرح ومن دون شجاعة ومن دون قوّة؛ وستسهِّل عملَها جميعُ هذه الألقاب فتريد أن تعمل بحبّ.

لقد بدأ الاستشهاد، فلندخل معاً في السباق، إن شاءت الزنبقة الخالدة فعلاً ألَّا تعرضي عن

حبة الرمل المسكينة.

---

(٢) تعبير للأب بيشون راجع **الرسالة** ١١٢ و ١٦٥.

(٣) تريزا الأفيلية، **النجاوى** ١٣.

الرسالة ٨٣ إلى سيلين

٥ آذار/مارس ١٨٨٩

ي.م.ي.ت

يسوع +

حبيبتي سيلين

لا أعرف كيف أعبّر لك عما سبَّبت لي رسالتك الصغيرة من ارتياح!.. حقاً، إنك الآن زنبقة يسوع الخالدة. آه! كم هو مسرور بزنبقته، وبايّ حبٍّ ينظر إلى زهرته العزيزة التي لا تريد إلّا إيّاه وحده، والذي لا رغبة لها إلّا في تعزيته!...

كلّ ألم جديد وكل غمٍّ في القلب هو مثل نسيم لطيف يحمل الى يسوع أريج زنبقته، فيبتسم بحبّ، ويُعدُّ فوراً مرارةً جديدةً يملأ منها الكأس حتى الثمالة معتبراً أنَّه بقدر ما تنمو زنبقته في الحبّ، بقدر ذلك عليها أن تنمو في الألم!...

يا لها حظوةً حبانا بها يسوع إذ ارسل الينا وجَعاً كبيراً بهذا المقدار! آه! إنَّ مدى الابدية لن يكفي لشكره. إنَّه يغمرنا بنعمه كما غمرَ بها أعظم القديسين. ولماذا هذا الإيثار الفريد؟... إنَّه سرٌّ سيكشفه لنا يسوع في وطننا يومَ سيمسح كلَّ دمعة من عيوننا... (**رؤيا** ٢١/٤). لا بدَّ من أن أتحدث إلى نفسي بهذا الشكل، وإلّا لن أُفهَمَ؛ لكنّي إليها أتوجّه، وقد سبقت هي جميع أفكاري. مع ذلك فإنَّ ما قد تجهله إنَّما هو الحبّ الذي يكنّه يسوع لها. إنه حبّ يطلب كلَّ شيء، وليس هناك ما يمكن أن يستحيل عليه. إنَّه لا يريد أن يضع حداً **لقداسة** زنبقته، وحدوده أن لا حدود له!... ولماذا قد توجد حدود؟ نحن أكبر من العالم بكامله، ونحن بالذات، سيكون لنا يوماً وجودٌ إلهي...

آه! كم أشكر يسوع على أنَّه وضع بالقرب من والدنا الحبيب زنبقة بهذا الشكل، وهي زنبقة لا يرعبها شيءٌ، زنبقة تفضل الموت بالأحرى على أن تترك الحقل الممجد الذي وضعها فيه حبُّ يسوع!..

الأن، لم يعد لنا أيَّ رجاء على الأرض؛ لا شيء غير الألم، ثم الألم. وعندما نصل الى النهاية سيظل الألم هناك يمدّ لنا ذارعيه. آه! يا له من مصير نُحسَدُ عليه!... وإنَّ الشاروبين في السماء يشتهون سعادتنا.

أكتب إلى حبيبتي سيلين، لا من اجل ما ذكرت، بل لأطلب منها بأن تصف للآنسة پولين[١] الشقاء الذي اصابنا بمرض بابا. إضحكي بدورك من مسكينتك تريز التي تتطرّق إلى هذا الموضوع في نهاية رسالتها. مسكينة ليوني، أحبُّها كثيراً هي أيضاً، فهي أتعسُ منا، لأن يسوع أعطاها أقلّ منّا. لكن من أعطاهنّ كثيراً سيطلب منهنَّ كثيراً (**لوقا ١٢/٤٨**).

أُخيّتك
تريز الطفل يسوع
طالبة كرملية غير مستحقة[٢]

الرسالة ٨٤ إلى السيِّدة غيران

ي.م.ي.ت.

الكرمل في ١٢ آذار/مارس ١٨٨٩

يسوع +

امرأة خالي العزيزة

أراني يستحيل عليَّ أن أطيعك، فقد يصعُب عليَّ كثيراً ألَّا أقول لكِ شكراً!.. وهذه الرسائل الخمس أصغر من ان تعبِّرَ لك عن عرفاني بالجميل؛ لكن، يا امرأة خالي الحبيبة، أرجوكِ، إفهمي كلَّ ما لا تستطيع ابنتك الصغيرة قوله لك. يا امرأة خالي، كم أنتِ طيِّبة!... كم سأصلِّي لأجلكِ! وللأسف، انا عاجزةٌ حقّاً، عن القيام بأيِّ خير؛ فبدل من ان أربح المال لا أعرف إلّا تضييعه وما أبدت امرأة خالي الحبيبة لي من اهتمام لطيف قد أثَّرَ فيَّ تأثيراً عميقاً[١]؛ وأذهلني ذهولاً اكتشافي بأني قد صرتُ فجأةً غنيةً الى هذا الحد...، من دون أن أفعل أيّ شيءٍ لأربح هذا القدر من المال... فصرت بفضل اقاربي

(٤) پولين رومة Pauline Romet.
(٥) لقد كتبت تريز «طالبة» خطأ، فهي الآن مبتدئة.

الرسالة ٨٤
(١) أضافت الاخت جنفياف هذه الملاحظة: «لقد اشترت امرأة خالي عملاً من صنع تريز».

الطيّبين من سيأمّن السمك للجماعة كلِّها حتى إنّ التفكير في ذلك يحملني على الابتسامة.

وآمل، يا امرأة خالي الحبيبة، أن تتفضّلي وتشكري خالي العزيز عني، وتبلّغيه كلَّ عرفاني بالجميل.

لا بدَّ، يا امرأة خالي العزيزة، من أن يُحبّك الله بشكل خاص حتى يجعلك تتألّمين هكذا، ومع ذلك فلو كان يستجيب لي لزال مرضُكِ، لأنّني سأكون سعيدة إذا شاء وأرسل اليّ جميع الأحزان التي حفظها لكِ.

للأسف! يا امرأة خالي الحبيبة، ما اقلَّ ما ستظهر لكِ رسالتي من مشاعر يكنُّها لكِ قلبي... اودّ لو اتمكّن من أُظهرَ لكِ كلَّ عرفاني بالجميل!...

يا لَجودة يسوع! فقد ترك لنا، في الشدة العظيمة التي يرسلها إلينا، العزاء بأن نرى أهلنا الطيّبين يشاركوننا في ألمنا ويفهمونه.

أعانق من كلِّ قلبي صغيرتي جانّ، كما أُعانق صغيرتي ربّة المنزل(٢).

أستودعك الله، يا امرأه خالي الحبيبة، وأكرّر شكري، كما اشكر خالي العزيز، وأعانقك بحنان كثير.

ابنتك الصغيرة العارفة جداً بجميلك.

الأخت تريز الطفل يسوع
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٨٥ إلى سيلين

ي.م.ي.ت

الكرمل ١٢ آذار / مارس ١٨٨٩

يحيا يسوع!... ما أحسن التكرُّس له والتضحية بالذات من اجل حبّه!...

---

(٢) هي ماري غيران.

سيلين!.. هذا الإسم الحبيب يدوّي بلطفٍ في صميم قلبي!... ألا يتجاوب قلبانا تمام التجاوب؟...

إني بحاجة هذا المساء الى أن آتي مع سيلينتي لأستغرق في اللامتناهي... إني بحاجة الى نسيان الأرض... ففي هذه الدنيا، كلُّ شيءٍ يُتعبني، وكلُّ شيء ثِقلٌ عليَّ... ولا أجدُ إلَّا فرحاً واحداً ألا وهو أن أتألم لأجل يسوع؛ فهذا الفرح اللامحسوس يفوق كلَّ فرح!..

الحياة تمضي... والأبدية تخطو بخطوات سريعة... وقريباً سنحيا من حياة يسوع عينها... فبعد أن نرتوي من نبع كلِّ المرارات، سوف نُؤَلَّه في نبع جميع الأفراح وجميع اللذائذ... وقريباً، يا أخيَّتي، سنستطيع، بنظرة واحدة، فهمَ ما يحدث في اعماق نفسنا!...

إنَّ صورة هذا العالم الى زوال (٢ **قورنتس** ٧/ ٣١)... وقريباً سنرى سماواتٍ جديدة، وشمساً أكثر إشعاعاً تضيء بسطوعها بحاراً أثيرية وآفاقاً لا متناهية!... المدى سيكون مجالنا... ولن نبقى سجينتين على أرض المنفى هذه... سيزول كلُّ شيء... ومع عريسنا السماوي سنطوف فوق بحيراتٍ لا ضفاف لها... فاللامتناهي ليس له حدود أو عمق أو ضفاف!.. تشجَّعي، فيسوع يسمع حتى آخر صدى لأوجاعنا. إنَّ كنَّاراتنا معلقة، في هذه اللحظة، على الصفصاف الذي يحيط بنهر بابل... (**مزمور** ١٣٦/١–٢). لكن إن حلّ يومُ خلاصنا، فأيُّ تناغماتٍ لن نُسمِعَها... وبأيِّ فرحٍ سَننقر جميعَ أوتار آلاتنا الموسيقية!...

إنَّ حبّ يسوع لسيلين لا يُمكن أن يُفهم إلَّا من خلال يسوع!.. لقد صنع يسوع اعمالاً جنونية لأجل سيلين، فلتصنع سيلين أعمالاً جنونية لأجل يسوع... الحبّ لا يُشترى إلَّا بالحبّ، وقروح الحبِّ لا تُشفى إلَّا بالحبّ[1].

فلنقدم آلامنا ليسوع لنخلِّصَ النفوس. يا للنفوس المسكينة!... إن نعمَها أقلُّ من نِعَمِنا؛ ومع ذلك، فكلُّ دمِ الإله قد أريق لخلاصها... غير أن يسوع قد شاء فعلاً أن يعلِّق خلاصها بتنهيدةٍ من قلبنا... يا للسرّ!.. فإن كانت نهدةٌ تستطيع إنقاذ نفس، فما تستطيع فعله آلامٌ كآلامنا؟... فلا نرفضنَّ شيئاً ليسوع!...

(١) يوحنا الصليب - **النشيد الروحي**، مقطع ٩و١١.

طنَّ الجرس ولم أكتب، بعدُ، إلى مسكينتي ليوني؛ فبلّغيها توصياتي، وعانقيها وقولي لها إنَّني أحبّها!.. فلتكن أمينة كلّ الامانة على النعمة، ويسوع يباركها. ولتطلب من يسوع ما أريد قوله له، فإني أعهد اليه بمهمّاتي!

إلى اللقاء!... آه! السماء، السماء، متى سنبلغها؟

حبّة يسوع الرملية الصغيرة.

الرسالة ٨٦ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

١٥ آذار/مارس ١٨٨٩

يسوع +

شكراً على رسالتك الغالية، فقد أبهجت حبّة الرمل الصغيرة!...

لقد قلتِ، مؤخراً، في إحدى رسائلك إنَّك ظلّي. يا للأسف! لو كنتِ كذلك لبدت الحالة محزنة، لأنَّه ما هو ظلُّ حبّة رمل صغيرة مسكينة؟..

لقد ابتكرتُ شيئاً أفضل لحبيبتي سيلين. أعجبتني فكرة الظل فقلتُ في نفسي: لا بدَّ من أن تكون سيلين فعلاً ظلاً لشيء ما... لكن ظلَّ ماذا؟ لا أستطيع العثورَ على أي شيء مخلوق يستطيع أن يرضيَ الفكرة التي كوَّنتُها عن هذا الواقع الذي تكون سيلين ظلَّه... ليس الا يسوع نفسه من يجب أن يكون هذه الحقيقة الإلهية!...(**كول** ٢/ ١٧).

نعم، يجب على سيلين أن تكون الظلَّ الصغير ليسوع... يا له لقباً متواضعاً، ومجيداً في آن! وأيُّ شيء هو الظلّ؟ أما ظل يسوع، فيا له من مجد!...

كم من أشياء أقولها حول هذا الموضوع لظلِّ يسوع الصغير! لكن ذلك يستحيل عليّ لأن وقتي قصيرٌ جدّاً!...

إنَّ حلم سيلين جميل جداً، وربَّما قد يتحقّق يوماً... لكن في انتظار ذلك، لنبدأ استشهادنا، ولندع يسوع ينتزع أغلى ما عندنا ولا نرفضْ له شيئاً. وقبل ان نموت بالسيف لِنمت بوخز الدبابيس... فهل تفهم سيلين؟...

إنَّ حبة الرمل الصغيرة تتَّحد في الألم بظلٍّ يسوع الصغير.

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٨٧ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

في الكرمل ٤ نيسان/ابريل ١٨٨٩

يسوع!...

حبيبتي الصغيرة سيلين،

لقد أدخلت رسالتك عمقاً الى نفسي!.. يا للوالد الصغير المسكين!... لا، إنَّ أفكارَ يسوع ليست أفكارَنا ولا طرقه طرقَنا... (**أشعيا** ٥٥/٨).

لقد قدَّم لنا كأساً توازي مرارته ما تستطيع طبيعتُنا الضعيفة تحمُّلَه!... فلا نُبعِد شفاهنا عن هذه الكأس التي أعدَّتها يدُ يسوع...

لِننظرْ إلى الحياة على حقيقتها... إنَّها لحظة بين أبديَّتين... ولنتألَّم في سلام...

أُقرّ بأنَّ كلمة السلام هذه كانت تبدو لي تعبيراً مضخَّماً نوعاً ما؛ لكن منذ بضعة أيام، وبعد أعادة النظر، وجدت سرَّ التألم بسلام... فمن يقول سلاماً لا يقول فرحاً، أو على الأقل لا يقول فرحاً محسوساً... فلكي نتألَّم بسلام، يكفي أن نريد فعلاً كلَّ ما يشاء يسوع.. ولكي أكون عروساً ليسوع فلا بدَّ من التشبُّه بيسوع؛ فيسوع مصبوغ بالدم، **ومكلَّلٌ بالشوك!**... (**متى** ٢٧/ ٢٩).

إنَّ ألفَ سنةٍ في عينيك، كيوم أمس العابر (مزمور ٨٩/ ٤).

بما اننا كنا على ضفاف نهر بابل، فهناك جلسنا، وسكبنا الدموع عندما تذكّرنا هناك صهيون ... على صفصاف الحقول علّقنا كنّاراتنا... والذين أسرونا سألونا قائلين: أنشدوا لنا من أناشيد صهيون نشيداً عذباً! (مزمور ١٣٦/١-٤).. كيف نُنشد أناشيد الربِّ ونحن في أرض الغربة؟... (**مزمور** داود).

لا، لن ننشدَ أناشيد السماء للمخلوقات... لكن مثل سيسيل، لنُنشِدْ في قلبنا نشيداً شجيّاً لحبيبنا.

إنَّ نشيد الألم المتّحد بآلامه هو أكثر ما يفتن قلبه!..

إن يسوع يتّقِدُ حبّاً بنا... أنظري إلى وجهه المعبود!.. أنظري إلى عينيه المطفأتين والمُغمضتين!.. أنظري إلى جروحه... أنظري إلى يسوع في وجهه... هناك ترين كم يُحبّنا.

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٨٨ إلى ماري غيران

٢٤ نيسان ١٨٨٩

ي.م.ي.ت.

الأربعاء، نيسان/ابريل ١٨٨٩

يسوع +

أُخيّتي الحبيبة

آتي لأطلب خدمة، وإنّي اليكِ اتوجّه لأنّني أعلمُ أنَّ البويسونيه، المهجور الآن، وللأسف، كان في ما مضى منزلكِ.

أتذكرين كتاباً كانت السيِّدة تيفين قد أعطتني إياه عند مناولتي الأولى؟.. كان بعنوان: باقة الفتاة. ولا بدَّ لهذا الكتاب من أن يوجد في أحد جوارير الصُوان الذي يخص الوالد الصغير ؛ فسأكون سعيدةً جدّاً إن تمكّنتُ من الحصول عليه بأسرع وقتٍ ممكن؛ وعلى كتابٍ آخر أصغر منه كانت الآنسات بريموا [١] قد قدّمْنَه لي. إنّه كتاب أسمر محاط بزخرفة مذهبة، وأعتقد أنّه تأملاتٌ في سرِّ الأفخارستيا. وهو موجود على أحد رفوف خزانة الحائط في غرفة سيلين (هو من جهة الباب). يا أخيّتي العزيزة،

---

(١) ماري وجان Primois، وهما صديقتان للعائلة مرتان.

أعذُريني على طلبي هذه الخدمة!... ويمكنك، إن استطعت، أن تشرحي للخادمة ما تريدين دون أن تذهبي أنتِ بالذات إلى البويسونيه!...

لا أصدّق الى أيّ حدّ توطّدت الآن، علاقتنا؛ يبدو لي أننا، بعد محنتنا الشديدة، قد اصبحنا اختين أكثر من ذي قبل!...

لو كنتِ تعلمين كم أُحبُّك!.. وكم أفكّر فيكم جميعاً... آه! يا له من عزاء أن يكون لنا في وقت الضيق، قلوبٌ صديقة يتردّد فيها صدى اوجاعنا!... كم أشكر يسوع على أنَّه أعطانا أقارب على هذا القدر من الطيبة... وأُخيّاتٍ لطيفات للغاية. إنَّ أُخيّتينا المسكينتين هناك[٢] لم تكونا لِتَتْعَبا، في ذلك اليوم، من ان تكرّرا على مسامعنا كلَّ ما صنعتم لهما من أفضال. ورأيت أنَّ قلب صغيرتي ماري كان قد لمس قلب سيلينتي، وهذا ما ولَّد فرحاً كبيراً في قلبي المسكين، لأنَّني أحب كثيراً ماري! وكلُّ ما يُسمع عنها من إطراء قد لا يتجاوب مع رأيي، أنا، فيها.

أستعجلُ كمجنونة صغيرة من دون التفكير في أنَّ ريشتي المسكينة لن تستطيع التعبير عن مكنونات قلبي، وأن كتابتي، من دون شك، لن تكون مقروءةً فأُصاب بالارتباك.

أخيّتي الحبيبة جدّاً، عانقي عنّي كلَّ الذين أُحبُّهم للغاية، وأشكريهم كثراً على أنّهم دلَّلونا في عيد الفصح بالشوكولا الطيّبة والسمك اللذيذ... آه! لا أستطيع التفكير في السمك[٣]. لقد أبدى خالي، في ذلك اليوم، قدراً من الابوّة لم يكن عاديّاً! وأبداً لن أنسى هذا اللقاء في المُتحدَّث.

أُخيّتك التي تُحبُّك
الأخت تريز الطفل يسوع.

(٢) سيلين وليوني في كان.
(٣) هذه الهديّة تذكّرها بما كان يقدِّمه والدها عند عودته من صيد السمك.

الرسالة ٨٩ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

الكرمل ٢٦ نيسان/ابريل ١٨٨٩

يسوع +

ها هو يسوع يتولّى معايدة خطّيبته، بعامها العشرين[1]!...

يا للسنوات العشرين الخصيبة بالآلام، وبالنعم المختارة!.. عشرون سنة! يا عمراً مليئاً بالأوهام!... قل لي أيَّ وهمٍ تركته في قلب سيلينتي؟..

كم من ذكريات في ما بيننا!... إنَّه عالم بحدّ ذاته... نعم إن ليسوعَ من يؤثره على آخرين. وفي حديقته ثمارٌ تعمل شمسُ حبّه على إنضاجها في غمضة عين تقريباً... لماذا نحن في عدادها؟.. إنه سؤالٌ مليءٌ بالأسرار! أيَّ حجَّة يمكن أن يقدِّمها لنا يسوع؟ إنَّ حجَّته هي أن لا حجّة له!... سيلين!...لنستعمل إيثارَ يسوع الذي علَّمنا أشياء كثيرة في سنوات قليلة، ولا نهملْ شيئاً قد ينال رضاه!... آه! لنَدعَ شمسَ حبّه تذهّبنا... هذه الشمس مُحرقه...فلندع الحبّ يُفنينا!... لقد قال القديس فرانسوا دى سال: «عندما تستعرُ نار الحبِّ في القلب، يتطاير الأثاث من النوافذ». آه! لا نتركنَّ شيئاً... أيَّ شيءٍ في قلبنا غير يسوع!...

لا نعتقدنَّ أنَّنا نستطيع أن نُحبَّ من دون ألم، ومن دون أن نتألَّم كثيراً... إن طبيعتنا المسكينة هي هناك! وليس من دون هدف! .... إنَّها ثروتنا، ومورد رِزقَنا!... إنَّها ثمينةٌ للغاية حتى إنَّ يسوع أتى خصِّيصاً الى الأرض ليمتلكها.

فلْنتألَّم ببرارة، ومن دون شجاعة!... لقد تألَّم يسوع بحزن! ومن دون حزنٍ هل تتألَّمُ النفس؟... ونتمنى أن نتألّم بسخاء، وكثيراً!... سيلين! يا للوهم!... نريد ألّا نسقطَ أبداً؟... يا يسوع! ، ما همَّني إن سقطت في كلِّ لحظة، فأنا بذلك أرى ضعفي وهو لي ربحٌ كبير... إنك بذلك ترى ما أستطيع فعلَه، وستكون عندها أكثر ميلاً الى حملي بين ذراعيك... وإن لم تفعل، فذلك يعني أنَّه يُعجبكَ أن تراني مطروحةً أرضاً..

---

(١) في ٢٨ نيسان / ابريل تبلغ سيلين العشرين من العمر.

ولن أقلق عندئذٍ، بل سأَمُدُّ نحوك دائماً ذراعين متوسِّلتين ومغمورتين بالحبّ!.. فلا أستطيع تصديقَ أنَّك قد تركتني!...

«عندما كان القديسون على أقدام ربِّنا، فعندئذٍ كانوا يلتقون صلبانهم[٢]!...

سيلين الحبيبة، يا صدى نفسي العذب!... لو كنتِ تدركين عجزي!... آه! لو كنتِ تعلمين.... أنَّ القداسة لا تقوم على التفوُّه بأشياء جميلة، ولا على التفكير فيها والشعور بها!.. إنَّها تقوم على التألم، وعلى التألّم من كلّ شيء. «القداسة»! يجب ان نفوز بها بحد السيف. لا بدَّ من التألم... ولا بدَّ من الاحتضار[٣]!...».

سيأتي يوم تنهزمُ فيه الظلال (**نشيد الأناشيد ٤/٦**)، ولا يبقى عندئذٍ إلَّا الفرح والنشوة...

لنستفد من لحظة ألمنا الوحيدة!... ولننظر الى كلِّ لحظة!... إنَّ اللحظة هي كنز...وفعل حبّ واحد يجعلنا نعرفُ يسوع بشكل أفضل... ويقرِّبنا منه طوال الأبدية كلها!...

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٩٠ إلى سيلين

٢٧ (؟) نيسان/ابريل ١٨٨٩

لأجل ٢٨ نيسان

ي.م.ي.ت.

أريدُ، مرةً اخرى، أن أتمنى لسيلين الحبيبة ميلاداً سعيداً، فأرسل إليها باقةً صغيرة من قِبل يسوع[١]، وهو يشكرها على جميع الأزهار التي قدَّمتها له. للأسف! ليست هذه

(٢) من احاديث الاب بيشون في سنة ١٨٨٨.
(٣) المرجع نفسه.

الرسالة ٩٠

(١) باقة قطفت من حوض يجاور تمثال الطفل يسوع.

الأزهار متألقة، فيسوع الصغير في الكرمل هو فقير، لكنَّه في السماء سيُظهر لنا كنوزه وأعرف جيداً أنَّه سيغمرنا بها...

غداً سأستقبل يسوعي[٢]! آه! كم سأحدّثه عن سيلينتي، عن ذاتي الأخرى تلك. فلديَّ الكثير أقوله له، لكنّ ذلك لن يكون صعباً عليَّ، لأن تنهُّداً واحداً يقول له كلَّ شيء...

يا لها مسوَّدة صغيرة! لكنَّني أكتب سريعاً، فعليك ان تعذريني. أريد أن تعرفي قلبي وكل ما يكنُّه لكِ؛ لكن هناك أشياء لا يمكن كتابتها، ولا يفهمها الا القلب.

إن باقة يسوع قد أمضت بضع ساعات أمامه في مزهرية أكثر فقراً منه!...

سيلين، يا عزيزتي، سنذهب يوماً إلى السماء، وللأبد؛ وعندئذٍ لن يكون نهارٌ ولا ليلٌ هناك كما هو الحال على هذه الأرض... (رؤيا ٢١/٢٥)؛ آه! يا له من فرح! فلنمشِ بسلام ناظرين إلى السماء، هدفِ أعمالنا الوحيد. لقد اقتربت ساعة الراحة.

عانقي عنّي بشدة ليوني التي أحبُّها كثيراً. ولا أنسى يوم بلوغها الخامسة والعشرين[٣]، فمنذ وجودي في الكرمل، انا قويّة الذاكرة من ناحية التواريخ.

إلى اللقاء يا سيلينتي، يا خالدة يسوع... أحبُّك أكثر مما يمكنني التعبير عنه.

أُخيّتك

تريز الطفل يسوع.

---

(٢) تشير الى المناولة يوم الأحد. والمناولة اليومية لم تكن قد اصبحت عادةً في الكرمل، في ذلك الحين.

(٣) والصحيح ان ليوني ستتمّ السادسة والعشرين.

الرسالة ٩١ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس

نهاية أيار/مايو ١٨٨٩

ي.م.ي.ت

يسوع +

أسدي الحبيب، شكراً، شكراً!... ما تريدين أن يقول لكِ الحُميل[1] المسكين؟ ألم تكوني أنتِ من عَلَّمَه؟... تذكَّري الوقتَ الذي كنتِ تحدثي فيه عن السماء وأنت جالسةٌ على المقعد الكبير، وتحملينني على ركبتيك... لا زلتُ أسمعك تقولين: «أنظري إلى البائعين كم يبذلون جهداً في سبيل ربح المال؛ أما نحن، فنستطيع جمع الكنوز في كلِّ لحظة لأجل السماء من دون كبير عناء، وليس علينا إلَّا أنَّ نلمَّ الألماس بمشط».

وكنتُ أتركك وقلبي مُفعمٌ بالفرح، مليءٌ بقرارات حسنة!... ربّما، بدونك، ما كنتُ في الكرمل!...

لقد مضى وقت طويل على تلك اللحظات السعيدة التي مرَّت في عُشِّنا اللطيف.... لقد جاء يسوع يزورنا ووجدنا أهلاً **للعبور في بوتقة الالم** (**حكمة** ٣/٥-٦).

قبل دخولي الكرمل، كان والدنا الفريد يقول وهو يقدّمني لله: «أريدُ أن أملك شيئاً أفضل أهديه الى الله». وأصغى يسوع إلى صلاته... فهذا الشيء الأفضل كان هو ذاته!.. ما أجمل هذا الفرح مقابل لحظة أمل! فصانع ذلك إنّما هو الربّ.... (**مزمور** ٢٣/١١٧) والرب يحبُّ والدنا بحبٍّ فريد أكثر مما نحبُّه نحن. إنَّ بابا هو ابن الله الصغير؛ ولكي يعفيه الله من الآلام الكبيرة، يريد أن نتألَّم لأجله!...

علينا نحن أن نشكره!

أَسَدي الحبيب، ستعبر الحياة سريعاً جداً، وفي السماء قلَّما سنأبه لرؤية جميع ذخائر البويسونيه منقولةً إلى هنا أو هناك[2]!.. ما تهمُّ الأرض؟..

صغيرتك التي ربَّيتِها!..

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس.

---

(١) الحُميل تصغير حمل.

(٢) في ذلك بدأ توزيع أثاث البويسونّيه.

الرسالة ٩٢ إلى ماري غيران

ي.م.ي.ت.

الخميس ٣٠ أيار/مايو ١٨٨٩

يسوع +

أُخيّتي الحبيبة

لقد فعلتِ حسناً بالكتابة اليّ، وفهمت كلَّ شيء... كلَّ شيء، كلَّ شيء[1]!...

إنيِ أعلم خير العلم أنواعَ هذه التجارب حتى لَيُمكنني أن أُؤَكِّد لكِ، من دون خوف - بل إن يسوع يوحيه إليّ في صميم قلبي - أنك لم ترتكبي حتى ظِلَّ الشرّ... فيجب أن نحتقر هذه التجارب ولا نوليها أيَّ انتباه.

هل لي أن أبوحَ لكِ بشيءٍ آلمني كثيراً؟...

هو أنَّ صغيرتي ماري قد أهملت مناولاتها... في يوم الصعود وفي اليوم الاخير من شهر مريم!... آه! كم أحزنَ ذلك يسوع!...

لا بدَّ من أن يكون الشيطان كبير الحيلة حتى يخدَع نفساً بهذه الطريقة!... لكن ألا تعرفين، يا عزيزتي، أن في ذلك جلَّ أمانيه؟ هذا الماكر يعرف جيِّداً أنَّه لا يمكنه أن يوقِعَ في الخطيئة نفساً تريدُ أن تكون بكلِّيتها ليسوع؛ لذلك فهو يبذل جهده كلّه لكي تعتقد ذلك.

إنه ليعتبر نجاحاً باهراً أن يزرعَ في النفس الاضطراب، لكنَّ إخماد غضبه يحتاج الى شيء آخر: هو حرمان يسوع من بيت قربان محبوب؛ وبما أن [الشيطان] لا يستطيع الدخول الى هذا المقدس، فهو يريد أن يبقى [المقدس] خالياً لا سيِّد له!... واسفاه! ماذا سيحلّ بهذا القلب المسكين؟ فعندما ينجح الشيطان في إبعاد نفسٍ عن تناول القربان المقدس، يكون قد ربح كلَّ شيء... ويبكي يسوع!...

فكِّري، إذاً، يا عزيزتي، في أنَّ يسوع هناك، في بيت القربان، خصيصاً لأجلكِ،

---

(١) بهذه الرسالة اجابت تريز على رسالة ماري غيران تكشف لها عمّا عانت من تجارب ووساوس عندما زارت متاحف باريس (رسائل المراسلين ١١٣ في ٢٨/ ٥/ ١٨٨٩).

ولأجلكِ وحدكِ، وهو يتشوّق الى دخول قلبك... إذهبي، لا تُصغي إلى الشيطان؛ إسخري منه واذهبي من دون خوفٍ الى استقبال يسوع السلام والحبّ!...

لكنّي أسمعك تقولين: «تقول تريز ذلك لأنّها لا تعرف... لا تعرفُ كم أفعلُ ذلك عمداً... هذا يُضحكني... ثمَّ أنا لا أستطيع المناولة إذ أعتقد أنّني أنتهك القدسيات، إلخ، إلخ، إلخ». بلى، إن صغيرتك تريز المسكينة تعرف جيّداً، واقول لكِ إنّها تحزر كل شيء، وتؤكِّد لكِ أنَّك تستطيعين الذهاب من دون خوف الى تناول صديقك الواحد الحقيقي. لقد مرّت، هي أيضاً، باستشهاد الوسوسة، لكن يسوع أنعم عليها بالتناول رغم ذلك، حينما كانت تعتقد أنّها ترتكبُ الخطايا. وبالفعل أؤكّد لكِ أنّها اعترفت بأنَّ التناول كان الوسيلة الوحيدة لتتخلَّص من الشيطان، إذ عندما يرى أنَّه يضيِّع وقته فهو يتركك وشأنك!...

لا، لا يستطيع قلبٌ «لا يرتاح إلّا لمرأى بيت القربان»، ان يهينَ يسوع لدرجة أنه يعجز عن استقباله. إنَّ ما يهين يسوع، وما يجرح قلبه انما هو فقدان الثقة!..

يا أُخيَّتي، لقد توقعت كروبك قبل أن أستلم رسالتك، وكان قلبي متَّحداً بقلبك. فهذه الليلة، رأيت في الحلم أنّي كنتُ أحاول تعزيتك. لكن، يا للأسف! لم أكن أنجح في ذلك!.. ولن أكون أكثر سعادةً، إلّا إذا أتى يسوع وأتت العذراء القديسة لمساعدتي. آمل أنَّ تتحقّق رغبتي وأنَّ العذراء القديسة في آخر يوم من شهرها، ستقوم بشفاء أُخيَّتي الحبيبة. لكن لا بدَّ من الصلاة لأجل ذلك، والصلاة كثيراً. ليتك تستطيعين إشعال شمعة في كنيسة سيِّدة الانتصارات... فأنا لي ثقة شديدة بها؟..

لقد خُلق قلبك لكي يُحبَّ يسوع، ويحبَّه بشغف، فتضرّعي كثيراً لئلّا تمضي أجملُ سنوات حياتك في مخاوف وهمية.

ليس لنا إلّا لحظات قصيرة من حياتنا حتى نُحبَّ يسوع؛ والشيطان يعرف ذلك جيّداً، لذلك يحاول استهلاكها في أعمالٍ لا فائدة منها...

أُخيَّتي الحبيبة، تناولي غالباً، بل أحياناً كثيرة... هذا هو العلاج الوحيد إن أردتِ الشفاء، فلم يضع يسوع عبثاً هذه الجاذبية في نفسك. (أعتقد أنّه سيكون مسروراً لو كنت تستطيعين إعادة المناولتين الفائتتين، فيصغُرُ بذلك، عندئذٍ، انتصارُ الشيطان لأنّه لم

ينجح في إبعاد يسوع عن قلبك). لا تخافي من أن تحبّي العذراء القديسة بشدة، فأنت، لن تحبّيها، أبداً حبّاً كافياً، وسيكون يسوع مسروراً جدّاً لأنَّ العذراء القديسة هي أمه.

وداعاً، يا أُخيّتي، وسامحيني على مسوّدتي التي لم أتمكّن حتى من إعادة قراءتها، لضيق الوقت، وعانقي عنّي كلّ أقربائي.

الأخت تريز الطفل يسوع
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٩٣ إلى ماري غيران

ي.م.ي.ت.

الأحد ١٤ تموز/يوليو ١٨٨٩

يسوع +

أُخيّتي الحبيبة

بما أنَّك تتطلبين بتواضع نصائحَ صغيرتك تريز، فلن تستطيع هي، ان ترفضها لكِ [١]، لكن المبتدئة الصغيرة المسكينة، العديمة الخبرة، تخشى أن تخطئ، وقد يساوركِ أنت، شكوكٌ حول ما تقوله لك. أما اليوم، فلا خوف عليك، لأن ما احمله اليك هو جواب يسوع نفسه... آه! كم أنا سعيدة بنقله اليكِ...

في هذا الصباح، سالت أمَّنا الطيِّبة، ما عليَّ أن أُجيبك بشأن ما قلته لسيلين. فإن قمتِ بما قالته تلك الأم الحبيبة عنكِ، فلا خوف من ان تخطِئي، لأنَّ الله وضع في قلبها معرفة عميقة بالنفوس وشقاواتها. إنَّها تعرف كلَّ شيء، ولا شيء يَخفى عنها، كما أنها

(١) كانت ماري قد كتبت إليها قبل قليل: «يا أُخيَّتي الحبيبة، أنا الآن أقل وسوسة. مع ذلك هناك ناحية كنتُ كثيرة الاضطراب بسببها. كان ذلك عشية إحدى مناولاتي، كنت أخشى أو بالأحرى كنتُ متأكدة من أنّني ارتكبت خطيئتي (أتفهمين، أليس كذلك)؟ وجدت أنّني لم أكن جديرة بالذهاب لاستقبال الرب ولم أتمكن من العثور على أمي لإطلاعها على انشغالات بالي، عندها قلت كلَّ شيء لسيلين. فهل فعلتُ حسناً؟ لا أدري ذلك. (رسائل المراسلين ١١٤، تاريخ ١٠/ ٧/ ١٨٨٩).

تعرف نفسك الحبيبة تمام المعرفة ؛ وهاك ما قالته لي حتى أنقله إليك من قبل يسوع: «خيراً فعلتِ بأنكِ بُحتِ بكل شيء لسيلين، ومع ذلك فمن الأفضل ألّا تتحدثي عن مثل هذه الأشياء؛ ومن الأفضل ألّا تعيريها أيَّ انتباه، لأنَّ أُمَّنا متأكدة من أنَّكِ لا تأتين بأي سوء». هيَّا، هل صرتِ مطمئنّة؟... يبدو لي أنّي لو كنت مكانك، وقيل لي عن ذلك فبقدرِ ما قيل لكِ لكنت شُفيتُ فعلاً ولتركتُ نفسي تُقاد كالعمياء؛ لأنَّ تلك هي الوسيلة الوحيدة للحصول على السلام وخاصةً لإرضاء يسوع.

وحتى عندما تكونين متأكدة من أنَّك تسيئين عملاً، فليس هناك أي خطر، ذلك أنَّ أُمنا التي (حسب اعتقادي) تفوقك خبرةً تقول لكِ إنَّك لا ترتكبين خطأً...

آه! يا ماري، ما أسعدكِ بأنَّ لكِ قلباً يعرف أن يُحبَّ. فأُشكري يسوع على أنّه منَحكِ هبةً بهذا الثمن، وامنحيه قلبك بكلّيته. إنَّ المخلوقات أصغر من أن تملأ الفراغ الهائل الذي حفره يسوع فيكِ، فلا توفري لهما مكاناً في نفسك...

إنَّ الربَّ لن يأخذك في شباكه لأنَّك سجينة فيها فعلاً...

نعم، حقّاً أنَّ محبتنا ليست من الأرض؛ فهي أقوى فعلاً من أن تكون كذلك، بل إن الموت نفسه، لن يكون قادراً على تحطيمها...

لا تحزني لعدم شعورك بأيِّ عزاء في مناولاتك؛ إنَّها محنة يجب احتمالها، فلا تُضَيِّعي أيَّ أشواكٍ تُصادفينها كل يوم لأنك بواحدةٍ منها يمكنكِ إنقاذ نفس!

آه! لو كنتِ تعلمين كم انَّ الرب مُهان! إن نفسك معدّةٌ أحسن إعداد لتعزيته... أحبّيه حتى الجنون لأجل جميع الذين لا يحبّونه!... يا أُخيَّتي، لا بدَّ لريشتي من التوقف بعد جريها المجنون؛ فعليّ أن أكتب اليوم خمس رسائل لكنَّني بدأتُ بصغيرتي ماري... فأنا أحبُّها حبّاً شديداً قلّما يغلب عليه الطابع البشري. عانقي خالي عني، كذلك امرأة خالي وعزيزتي جان، وبلّغي الجميع أني أحبَّهم. وأنتِ، التي يفضّلها يسوع، صلّي حتى تستطيع أخيَّتك غير المستحقة أن تحبّ بقدر ما تحبّين إن كان هذا ممكناً!...

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٩٤ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

الكرمل ١٤ تموز/يوليو ١٨٨٩

يسوع +

سيلينتي الحبيبة

نفسي لا تتركك... وهي تعاني النفي[1] معك!... آه! كم يكلِّف العيش في المنفى، والبقاء على هذه الأرض، أرض المرارة والكربة... لكن... بعد ساعة سنكون في المرفأ، ويا للغبطة! ما ألذ ما ستكون مشاهدة يسوع وجهاً لوجه (١ **قورنتس** ١٣/١٢) طوال الأبدية! دائماً دائماً أكثر حبّاً، ودائماً أفراحُ أكثر نشوةً... وسعادة صافية!...

ماذا فعل يسوع، إذاً، حتى يجرّد نفوسنا، هكذا، من كلِّ ما هو مخلوق؟. آه! لقد ضرب ضربة قوية، لكنَّها ضربة حبّ. إن الله لعجيب، لكنه على الاخص ودودٌ. فلنحبَّه إذاً... ولنحبَّه بما يكفي لنتحمَّل لأجله كلَّ ما يشاء، حتى آلامَ النفس ويبوساتها وكروبها وبروداتها الظاهرة... آه! إنّه لحبٌّ كبير أن نحبَّ يسوع من دون أن نشعر بعذوبة هذا الحبّ... إنّه استشهاد... حسناً! فلنُمتْ شهيدات. آه! يا سيلينتي... يا صدى نفسي العذب، أتفهمين؟ بالاستشهاد المجهول، الذي لا يعرفه الا الله، ولا تكتشفه عينُ المخلوق. انه استشهاد من دون كرامة، ومن دون انتصار ... هوذا الحبّ البالغ حدّ البطولة... لكن يأتي يوم يصرخ فيه اللهُ العارف بالجميل: الآن دوري! آه! ماذا سنرى عندئذٍ؟ ما هي تلك الحياة التي لا تنتهي ابداً؟.. الله سيكون نفسَ نفسنا..... وإنّهُ سرٌّ لا يُسبَر... وعينُ الانسان لم ترَ قط النورَ غير المخلوق، وأذنه لم تسمع التناغمات الفريدة (١ **قورنتس** ٢/ ٩) وقلبه لا يستطيع ان يتوقَّع ما أعدَّه الله للذين يحبُّهم. وكل هذا سيحصل قريباً؛ نعم قريباً! فلنسرع ونضفر إكليلَنا، ولنمدُدْ يدَنا لِنمسكَ بالسعفة. وإذا أحببنا كثيراً، وإذا أحببنا يسوع بشغف، فلن يكون من القساوة بحيث انه يتركنا طويلاً في أرض المنفى هذه... يا سيلين، خلال اللحظات القصيرة الباقية لنا علينا ألّا نُضع وقتنا.. فلنُخلِّص النفوس... النفوس تتلاشى كَرُقع الثلج، ويسوع يبكي، بينما نحن... نحن نفكِّر في

---

(١) سيلين وليوني هما في قصر لاموس.

أوجاعنا من دون ان نعزّي خطّيبنا.. آه! يا سيلينتي، لنحيا لأجل النفوس... لنكن رُسلاً... لنخلِّص، خاصةً نفوس الكهنة، هذه النفوس كان عليها أن تكون أكثر شفافيّة من البلّور.. وللاسف! كم هناك من كهنة سيّئين، وكهنة ليسوا قديسين كفاية... فلنتضرّع ولنتألم لأجلهم، ففي اليوم الأخير سيكون يسوع عارفاً بالجميل. سنُعطيه نفوساً!...

أتفهمين، يا سيلين، صرخةَ قلبي؟... معاً... دائماً معاً.

سيلين وتريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الاخت ماري للقلب الأقدس لا تستطيع الكتابة إليك لأنَّ الرسالة ستزن وزناً ثقيلاً جدّاً.

الرسالة ٩٥ إلى الأخت أنييس ليسوع

تموز - آب (؟)
يوليو - اغسطس ١٨٨٩

ي.م.ي.ت.

يسوع +

أيّها الحمل الصغير الحبيب، دع حُميلَك المسكين يثغي قليلاً... إنَّ الحمل قد اسدى لي خيراً يوم الأحد!...

هناك جملة كانت لي نوراً بنوع خاص: «لنحتفظ بالعبارة التي قد تسمّو بنا». حقاً، يجب أن نحفظ كلَّ شيء لأجل يسوع بعناية غيورة... يا حملي الحبيب، ما أعذب العمل لأجل يسوع وحده! لأجله وحده! آه! عندئذٍ، كم يكون القلب مفعماً وكم نشعر بالراحة... وأنتَ يا بيللوني[1] يسوع الصغير، صلي لأجل المسكينة حبة الرمل الصغيرة، لكي تكون في مكانها دائماً، يعني أن تكون تحت أقدام الجميع، وأن لا يفكِّر

---

(١) تحريف اسم ابن - أوني المقتبس عن **تكوين** ٣٥/٨.

فيها أحد؛ ليكن وجودُها مغموراً كما يُقال؛ فحبّة الرمل لا ترغب في أن تكون مُحتقَرة، وهذا خط مجيد لأنَّه يوجب على الجميع الاهتمام بها. انها لا ترغب إلَّا في شيء واحد، وهو أن تكون منسيَّة لا يُحسب لها أيُّ حساب!.. وبالاحرى ترغب في أن يراها يسوع. وإذا كانت نظرات المخلوقات لا يمكنها أن تنحني إليها فعلى الأقل يستدير وجه يسوع المدمَّى .. إنَّها لا ترغب إلَّا في نظرة، في نظرة واحدة!

إذا كان يمكن لحبة الرمل أن تعزِّيَ يسوع وتمسح دموعَه، فهناك لا شك، واحدة تريد أن تفعل ذلك...

ليأخذ يسوع حبة رمل المسكينة وليسترها في سِتر وجهه المعبود (**مزمور ٣٠/ ٢١**)... فهناك لن يكون للذرّة المسكينة ما تخشاه أبداً، وستكون واثقة من أنَّها لن تُخطئ مطلقاً!..

إن حبة الرمل تريد بأيِّ ثمن، أن تُخلِّص نفوساً... ولا بدَّ من أن ينعم عليها يسوع بهذه النعمة. يا ڤيرونيكا الصغيرة، أطلبي هذه النعمة من وجه يسوع الساطع!... نعم، إنَّ وجه يسوع لساطعٌ. لكن إذا كان وجه يسوع الآن فائق الجمال وسط الجروح والدموع، فماذا سيكون عليه إذاً عندما سنراه في السماء؟ آه! السماء... السماء.. نعم، حتى نرى، يوماً ما، وجهَ يسوع ولكي نتأملَ للأبد جمال يسوع الفائق، فإنَّ حبّة الرمل المسكينة ترغب في أن تكون محتقرة على الأرض!...

يا أيها الحمل الحبيب، أُطلب إلى يسوع أن تُسرع حبة الرمل الى تخليص الكثير من النفوس في زمن قصير، لكي تحلِّقَ سريعاً نحو وجهه الحبيب!...

إني أتألم!.. لكن رجاء الوطن يمدُّني بالشجاعة، وقريباً سنكون في السماء... فهناك لن يكون نهارٌ ولا ليل (**رؤيا ٢١/ ٢٥**) لكنَّ وجه يسوع سيسطع نوراً لا مثيل له!...

أيها الحمل الحبيب، إفهم حبة الرمل. إنَّها لا تدري ما قالت هذا المساء؛ لكن، بكل تأكيد، لم تكن تنوي أن تكتب كلمةً واحدة من كلِّ ما خربشته...

الرسالة ٩٦ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

١٥ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٨٩

يسوع +

حبيبتي سيلين

لو كنتِ تعلمين كم أثَّرتِ في قلب تريزتك!... إنَّ أُصُصَكِ[1] الصغيرة لرائعة، ولا تعرفين مدى سروري بها!... إنَّ رسالتك، يا سيلين، قد سرّتني جدّاً جدّاً، وعرفت كم أنَّ نفسينا معدّتان لتتفاهما وتسير عبر الطريق عينه!... الحياة... آه! لم يعد لنا أيّة جاذبية نحوها... لكنَّني على خطأ، إنَّ إغراءات العالم قد تلاشت بالنسبة الينا، بل إنَّها هباء... ويبقى لنا الواقع؛ نعم، الحياة هي كنز... وكل لحظةٍ هي أبدُ، أبدُ فرحٍ لأجل السماء، أبدٌ لأن نرى الله وجهاً لوجه، وأن نصير واحداً معه!... لا وجود إلّا يسوع؛ والباقي كلّه لا وجودَ له... فلنُحبَّه، إذاً، حتى الجنون، ولنُخَلِّص له نفوساً. آه! يا سيلين، اشعر بأن يسوع يطلب من كلانا، أن نروي ظمأَه بأن نُعطيه نفوساً، ونفوسَ كهنةٍ على الاخصّ؛ أشعر بأنَّ يسوع يريد أن أقول لك ذلك، لأنَّ رسالتنا هي أن ننسى ذواتنا، وأن نتلاشى... نحن شيء قليل جداً... ومع ذلك، فيسوع يريد أن يتعلَّق خلاصُ البشر بتضحياتنا وحبّنا، إنَّه يستجدي نفوساً... آه! لنفهم نظرته! قليلون جدّاً من يعرفون كيف يفهمونه؛ وقد أنعمَ علينا يسوع نعمة جزيلة بأن يعلِّمنا هو، وبأن يظهر لنا نوراً مستوراً!... إنَّ الحياة، يا سيلين، ستكون قصيرة، والأبديةُ لا نهاية لها... فلنجعل من حياتنا تضحيةً مستمرّة، واستشهادَ حبٍّ لنعزّي يسوع؛ وهو لا يريد إلَّا نظرةً، او تنهيدة؛ لكنهما نظرة وتنهيدة تكونان له وحده!... فلتكن جميعُ لحظات حياتنا لأجله وحده، ولا تمسَّنا المخلوقاتُ إلَّا عابراً... ليس هناك إلَّا شيءٌ واحدٌ نفعله خلال الليل، ليل الحياة الوحيد الذي لن يأتي إلَّا مرة واحدة، هو أن نحبّ، وأن نحبَّ يسوع بكلِّ قوة قلبنا، وأن نُخلِّصَ له نفوساً حتى يكون محبوباً... آه! العمل على ان يكون محبوباً! سيلين! كم

(١) أُصُص جمع أَصِيص وهو وعاء صغير مثل نصف الجرّة تُزرع فيه الرياحين. (عن **المعجم** لعبد الله العلايلي – دار الجديد، بيروت ١٩٧٧، ص ٢٤٨).

أحسنُ الحديث اليك! فكأنَّني اخاطب نفسي.. سيلين، يبدو لي أني استطيع ان اقول لكِ كلَّ شيء...

(اكرِّر شكري على أُصُصِك الجميلة، فالطفل يسوع يبدو مشرقاً كونه قد تزيَّن أحسن زينة).

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٩٧ إلى السيِّدة غيران

ي.م.ي.ت.

١٥ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٨٩

يسوع +

امرأة خالي العزيزة،

لا أدري كيف اعرب لكِ عن شدّة تأثري بجميع هداياك!...

فأتضرّع الى القديسة شفيعتي بأن تشكرك وتغمرك، غامرةً إياك بنعمها، مع خالي العزيز. وأعهد إليك بشكر أُخيَّتيَّ جانّ وماري على باقاتهما الجميلة وعلى عنبهما اللذيذ.

كانت رسالتي قد توقفت بوصول هدية جديدة، أي شتلتين رائعتين للطفل يسوع... أشعر حقّاً بأني مغمورة لطفاً؛ وكان ذلك ليُخجلني لو لم يكن لتزيين مذبح الطفل يسوع. فهو، من دون شك، مَنْ يتكفَّل بدفع ديني لأقاربي الأعزاء. أجهل اسمَ الشخص الذي قدَّم هذه الهدية اللطيفة ليسوع تريز... إن كنتِ تعرفينه، يا امرأة خالي العزيزة، فإني أرجوك أن تُعربي له عن عرفاني بالجميل...

يا امرأة خالي، كم أتوسلُ اليوم إلى القديسة تريز أن تردَّ إليك مائة ضعفٍ كلَّ ما فعلته لأجلنا. كانت سيلين، في رسالتها الصغيرة بمناسبة العيد، قد حدَّثتني عن معاملتك اللطيفة لها؛ فتأثّرت كثيراً بذلك؛ لكنَّني لم أفاجأ بصنيعكِ لأنَّني أعرف كلَّ ما تكنِّين لنا من لطف والديّ.

يا امرأة خالي العزيزة، لي قلبي مفعمٌ بمشاعر رقيقة اودّ لو استطيع التعبير عنها، لكني مُلزمة بتركك للذهاب إلى صلاة المساء.

أُرسل إليك بأفضلِ قُبلاتي، وكذلك إلى خالي وإلى أُخيّاتي الأربع.[١]

ابنتك الصغيرة العارفة بجميلك

الأخت تريز الطفل يسوع
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ٩٨ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

في الكرمل
٢٢ تشرين الأول/إكتوبر ١٨٨٩

يسوع +

حبيبتي سيلين

لو كنتِ تعلمين عظيم حزني عندما أُفكِّر في أنَّني تركت ذكرى مولدك في الحادي والعشرين دون أن أعايد سيلينتي!... فهل راود سيلين الشك في قلب تريز؟

ومع ذلك، فقد كانت تفكِّر، منذ زمن طويل، في هذا العيد الحبيب؛ لكن الحياة في الكرمل هي حياة نُسكيّة لدرجة أنَّ المتوحّدة الصغيرة المسكينة لا تعرف أبداً في أي تاريخ هي... هذا النسيان، يا سيليين، كان قد مسَّ قلبي، لكنّي أعتقد كما ترين، أنَّ يسوع أراد في هذه السنة، أن يكون عيدنا في اليوم ذاته: أليس اليوم هو ثمانية أيام بعد عيد القديسة تريز؟ نعم! يا سيلين، إنَّ القديسة تريز هي أيضاً شفيعتك، إذا إنَّك، الآن، إبنتها الحبيبة...

لو كنتِ تعلمين كيف أنظر إلى المعاناة التي أعانيها اليوم؛ فكأنَّها مشيئة يسوع؛ لأنَّه يطيبُ له أن يبذر حياتنا بشجونٍ صغيرة...

(١) شقيقتاها سيلين وليوني، وبنتا خالها جانّ وماري.

أرسل اليك بصورةٍ جميلة للوجه الأقدس أعطتني إياها أُمُّنا الحبيبة منذ بعض الوقت. أرى أنَّها تناسبُ كثيراً مريم للوجه الأقدس[١] فلم أستطع الاحتفاظ بها لنفسي. فمنذ وقتٍ طويل، فكّرت في تقديمها لسيلينتي... سيلينتي الخاصة بي... فلتكن مريم للوجه الأقدس ڤيرونيكا أخرى تمسح كلَّ الدمّ والدموع عن يسوع، حبيبها الوحيد، لتكسبَ له نفوساً، خاصةً النفوس التي تُحبُّها[٢]، ولِتجُدَّ في تحدّي الجنود، أي العالم، لِتصل حتى إليه... آه! كم ستكون سعيدةً عندما ستتمكَّن يوماً من أن تشاهد في المجدَ الشرابَ السرِّي الذي منه ستكون قد أروت خطِّيبها السماوي، وعندما سترى شفتيه، الجافتين سابقاً، تنفتحان لتقولا لها كلمة «الحبّ» الواحدة والأبدية!.. كلمة الشكر التي لا نهاية لها.

إلى اللقاء، يا صغيرتي ڤيرونيكا الحبيبة؛ غداً سيطلب الحبيب من دون شك، تضحيةً جديدة، وسيطلب تسكيناً جديداً لظمأه. لكن، مهما يكن، فلْنمتْ معه...

عيدٌ طيِّبٌ يا حبيبتي سيلين...

أخيَّتك المسكينة

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

لا تنسي أن تقطفي زهرة سيلين[٣]، فقلبي هو من يُقدِّمها لك...

---

(١) اسم وضعته تريز ليكون اسماً لسيلين في الكرمل، لكنه لم يُعطَ لها (**رسالة** ١٨٣).
(٢) نفوس الكهنة.
(٣) زهرة النجمة التي تزهر في هذا الشهر (**رسالة** ١٢٤ و١٢٣).

الرسالة ٩٩ إلى السيِّدة غيران

ي.م.ي.ت.

في الكرمل ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٩

يسوع +

امرأة خالي الصغيرة العزيزة

ما اسرع انقضاء الوقت!... لقد مرّت سنتان، منذ أن أرسلتُ اليك من روما أمنياتي بالعيد[١]؛ ومع ذلك يبدو لي أنه أمس.

خلال هاتين السنتين جرت أمور كثيرة. وقد منحني الله نِعَماً كبيرة... لقد زارنا بصليبه أيضاً؛ وفي الوقت نفسه، كشف لنا عن كل ما وضع في قلب امرأة خالنا الحبيبة من حنان...

كم من ذكرياتٍ بالنسبة اليّ في هذا التاريخ، ١٩ تشرين الثاني! وما كان أعظم فرحي عندما كنت أرى وصول تلك اللحظة!... وبالسعادة عينها، آتي لأكرِّر لامرأة خالي العزيزة كل ما اصوغ لها من أمنيات. لكنني أراني على خطأ، ولن أُضيِّع وقتي في تعدادها، لأني أعتقد أنَّ مُجلداً بكامله لن يكفيني...

ليتك تعلمين، يا امرأة خالي الصغيرة العزيزة، كم ستصلّي بُنيَّتك من أجلك، في يوم عيدك! للأسف! أنا غير كاملة إلى حدّ أنَّ صلواتي ليس لها قيمةٌ كبيرةٌ من دون شك. لكن هناك شحاذين المسكينة ينالون ما يريدون للجاجتهم. فسأفعل مثلهم ولن يستطيع الله أن يردّني ويداي فارغتان (**لوقا** ١١/٥-٨).

لقد دقَّت الساعة الرابعة، وعليَّ أن أتركك، يا امرأة خالي الصغيرة الحبيبة، لكن أؤكّد لكِ أنَّ قلبي يبقى بالقرب منك.

أرجوك، يا امرأة خالي الصغيرة الحبيبة، أن تذكريني لدى السيِّدة فورنيه[٢]، لأنَّني لا أنسى أنَّ اليوم عيدها. من البديهي أن أعانق، من كل قلبي، خالي العزيز وأُخيَّاتي العزيزات.

---

(١) **رسالة** ٣٢ في ١٤/١١/١٨٨٧.

(٢) Fournet والدة السيدة غيران.

واليك، يا امرأة خالي الحبيبة، أرسل أفضلَ قبلة من صغرى بُنيّاتك السبع[٣]

الأخت تريز الطفل يسوع
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ١٠٠ إلى السيِّد والسيِّدة غيران

ي.م.ي.ت.

٣٠ كانون الأول/ديسمبر ١٨٨٩

يسوع +

خالي العزيز وامرأة خالي العزيزة

إنَّ صغرى بناتكما تتمنَّى لكما سنةً طيِّبة!.. وكما أنَّ لكلِّ يومٍ ساعتَه الأخيرة، فإنَّ كلَّ سنة ترى أيضاً حلولَ مسائها الأخير. وفي مساء هذه السنة، اراني مدفوعةً الى إلقاء نظرة على الماضي وعلى المستقبل؛ ومع اعتباري الزمنَ الذي مضى للتوِّ، أحسُّ بأنَّني مدفوعةٌ الى شكر الله، لأنَّه إذا كانت يده قد قدَّمت لنا كاسَ مرارة، فإنَّ قلبه الإلهي عرف كيف يساعدنا في وقت الشدة فأعطانا القوة الضرورية لشرب كأسه حتى الثمالة... (**متى** ٢٠/٢٢-٢٣) وبالنسبة الى السنة التي ستبدأ، فماذا تُخبئ لنا؟... لم يُعطَ لي اختراقُ هذا السر، لكنني أتوسّل إلى الله أن يكافئ بمائة ضعفٍ أقاربي الأعزاء على ما خصّونا به من طيب المآثر.

إنَّ أولَ يومٍ من السنة الجديدة هو بالنسبة اليّ عالمُ ذكريات... ما زلت أرى بابا يغمرنا بمداعباته... لقد كان طيِّباً كلِّ الطيبة!... لكن لماذا استعيد هذه الذكريات؟ فهذا الوالد الحبيب قد نال المكافأة على فضائله، إذ أرسل الله إليه محنةً تناسب مقامه.

اسمع دقات الساعة التاسعة، فأنا مُلزمة بإنهاء رسالتي من دون أن أقول شيئاً ممّا كان عليَّ أن أقوله؛ لكنّي آمل بأن يعذر أقاربي الأعزاء صغيرتهم تريز، فيسامحونها بشكلٍ خاص على خطِّها الذي لا يُقرأ...

---

(٣) تضم إلى بنتي خالها بنات السيّد مرتان.

سنة طيِّبة لأخيَّاتي العزيزات!... وخاصة أن تشفى ماري بسرعة. وسأكون غاضبة عليها إن منعتها الأنفلونزا من زيارتنا!...

إلى اللقاء، يا خالي العزيز ويا امرأة خالي الحبيبة، فإنَّ بُنيَّتكما تتمنَّى لكما سنة طيِّبة وطيِّبة، وتعانقكما من كلِّ قلبها

الأخت تريز الطفل يسوع
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ١٠١ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

٣١ كانون الأول/ديسمبر ١٨٨٩

يسوع +

عزيزتي سيلين

لقد حظيتِ، انتِ، بوداعي الأخير لهذه السنة!... فخلال ساعات ستكون قد مضت للأبد... ستكون في الأبدية!...

بما أنَّ سيلين في سريرها[١]، فعلّي، أنا، أن أذهب اليها وأتمنّى لها سنةً طيِّبة...

أتذكرين الماضي؟... إنَّ السنة التي عبرت منذ قليل كانت حسنةً؛ نعم كانت ثمينةً بالنسبة الى السماء. فلتكن السنة التي ستتبعها شبيهةً بها!...

سيلين، لا تدهشني رؤيتك في السرير بعد سنة مماثلة؛ وفي نهاية يوم كهذا اليوم، هناك ما يحمل على الراحة...! أتفهمين؟.. والسنة التي ستبدأ، قد تكون السنة الأخيرة!!! آه! لِنستفد، لِنستفد من أقصر اللحظات؛ ولنفعل كما يفعل البخلاء: لِنكن حريصات على أصغر الأشياء من أجل الحبيب!... إنَّ يوم رأس السنة حزين جداً هذا العام... فبقلبٍ مليء بالذكريات اذهب الى السهرة بانتظار منتصف الليل... أتذكَّر

(١) كتبت تريز هذه الرسالة قبل ان تذهب الى سهرة السجود ما بين الحادية عشرة والثانية عشرة.

كلّ شيء... نحن الآن يتيمتان[٢]، لكننا نستطيع القول بحبّ: **أبانا الذي في السماوات (متى ٦/٩)**. نعم، ما زال لنا الحلّ الوحيد لنفوسنا!...

لقد مضت سنة اخرى!.. سيلين! لقد مضت، لقد مضت، ولن تعود ثانيةً على الإطلاق. وكما مضت هذه السنة، فإنَّ حياتنا ستمضي أيضاً، وقريباً سنقول: لقد مضت، فلا نُضع وقتنا، وقريباً ستسطع لنا الأبدية!... سيلين، إذا أردتِ، فلنهدِ النفوس، وعلينا هذه السنة أن نقيمَ كهنةً كثيرين يعرفون كيف يحبّون يسوع!... ويلمسونه بالرقة عينها التي كانت مريم تلمسه بها في مهده!...

أُخيّتك
تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

أتمنّى أيضاً سنةً طيّبة لِلولو[٣]، لكني على يقين بأنّني سأراها!... أشكري كثيراً خالي وامرأة خالي، وقولي لهما إنّني تأثرت جدا بجميع هداياهما. وأشكري، كثيراً، أيضاً، جان وماري، فهما لطيفتان حقاً كل اللطف.

الرسالة ١٠٢ إلى سيلين

٢٧ نيسان/ابريل ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

يسوع +

حبيبتي سيلين

كنتُ فرحةً بأن أكتب إليكِ مطوّلاً بمناسبة عامك الواحد والعشرين، وها أنا لا يبقى لي الا بضع لحظات!... أكنتِ تعتقدين، يا سيلين، أنَّ تريزيتك تستطيع ان تنسى تاريخ ٢٨ نيسان؟... إنَّ قلبي، يا سيلين، مليء بالذكريات... ويبدو لي أنّني أحبّك منذ قرون، ومع ذلك فهناك أقل من واحد وعشرين سنة... اما الآن فالأبدية أمامي...

(٢) بسبب حالة السيّد مرتان العقلية، انقطع الاتصال بينه وبين بناته.
(٣) لولو لقب تحبب لأختها ليوني.

سيلين، إنَّ كنّارة قلبي ستُنشد لأجلك في اليوم الثامن والعشرين، وسيرنُّ اسمك غالباً في مسامع يسوعي الحبيبة!... آه! بما أنَّ قلبينا قلبٌ واحد فلنعطِهِ بكامله ليسوع، وعلينا أن نذهب معاً لأنَّ يسوع لا يمكنه أن يسكن في نصف قلب!... أطلبي ألَّا تبقى تريزيتك في الخلف...

لما رأيت صورة الوجه الأقدس[١]، ترقرقت الدموع في عيني؛ أليست الصورة صورة عائلتنا؟ نعم، إنَّ عائلتنا هي غصن زنبق، والزنبقة التي لا اسم[٢] لها تقيم في الوسط، وتقيم فيها كملكٍ يجعلنا نشاركه أمجاد مملكته، ودمه الإلهي يسقي تويجاتنا، وأشواكه عندما تمزِّقنا تنشر عطر حبِّنا.

وداعاً يا سيلين، هناك من أتى يقطع حديثي فافهمي كلَّ شيء.

تريز

الرسالة ١٠٣ إلى الأخت أنييس ليسوع

٤ (؟) أيار/مايو ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

يسوع +

يا حَمَلي الصغير الحبيب، قلبي يتبعُكِ في العُزلة[١]. أتعلمين يا قُبَّرةً رشيقة أنَّ لك خيطاً يوثق قائمتك، ومهما حلّقتِ عالياً، فعليك أن تجرِّي حِمْلَكِ... لكن حبَّة الرمل ليست ثقيلة، وستكون أخف ثقلاً إن طلبتِ ذلك من يسوع... آه! كم ترغب في أن تصير لا شيء، وأن تجهَلَها جميعُ المخلوقات! إنَّ المسكينة الصغيرة، لا ترغبُ في شيء آخر غير النسيان... لا، لا ترغب في الاحتقار والشتائم، فهذا الأمر قد يكون بمثابة مجد

(١) منمنمة على صفحة رق، رسمتها الاخت انييس من اجل سيلين، موضوعها منديل فيرونيك يحمله غصن عليه تسع زنبقات.

(٢) هي يسوع.

الرسالة ١٠٣

(١) الاخت أنييس تقوم برياضة شخصية لمدة عشرة أيام منذ بداية الشهر.

عظيم لحبَّة رمل. إن كانت ستُحتقر فلا بدَّ من أن يُرى احتقارها. لكن النسيان! ... نعم أريد أن أكون منسَّيةً، وليس من قبل المخلوقات فقط، بل أيضاً من قبل ذاتي. أريد أن أنكمشَ إلى حدِّ اللاشيء حتى أفقدَ كلَّ رغبة. مجدُ يسوعي هو كلّ ما أريد. أما مجدي فأتركه له. وإن بدا أنّه ينساني فهو لأنّي لم أعد لنفسي، بل أنا له... وسيحلّ من جعلني أنتظر قبل ان املّ من انتظاره...![٢]

هل تفهم، يا حَملي الحبيب؟.. تفهّم كل شيء، حتى ما لا يستطيع قلبي التعبير عنه. أنتِ يا مَنْ هي مشعلٌ ساطعٌ أعطاني يسوع ليضيءَ لي خطواتي في دروب المنفى المظلمة، أشفقي على ضعفي، وأستريني تحت طرحتك لأحصل على نصيبٍ من نورك... قولي ليسوع أن ينظر إليَّ، ولتخترق حِسانُ الليل بأشعَّتها المنيرة قلب حبَّة الرمل. وإن لم أغالِ في السؤال، أطلبي أيضاً أن تنفتح تويجة زهرة الأزهار قليلاً وتجعلَ النغمةَ الشجية التي تفلت منها تدوّي في قلبي تعاليمها السرّية... ويا حَمَلي الحبيب، لا تنسى حبَّة الرمل!...

الرسالة ١٠٤ إلى الأخت أنييس ليسوع [١]

٥-٦ أيار/مايو ١٨٩٠

ي.م.ي.ت

أشكرك على رسالتك[٢]، آه! أشكرك!

لا يدهشني أنَّك لا تنالين عزاء، لأنَّ يسوع عزاؤه قليل للغاية حتى أنَّه سعيدٌ بلقاءِ نفسٍ يستطيع أن يرتاح فيها من دون تكلّف...

---

(٢) إلماح الى تأجيل نذرها.

الرسالة ١٠٤

(١) لم يبقَ في هذه الرسالة إلا بضع مقاطع.

(٢) رسالة الأخت أنييس تجيب على الرسالة السابقة بهذه العبارات: يا صغيرتي حبَّة الرمل الحبيبة، لا تقولي إنَّني مِشعلك! آه! لو تعلمين أية ظلمات! صلّي لأجلي كثيراً، لست في اضطراب، لكن ليس هناك أي شعاع! كأنَّها سماء من دون عواصف، من دون بروق، لكنَّها محجوبة بالغيوم... ولا نجم فيها!... أتعرفين ما تعني سماء من دون نجوم؟

كم أنا فخورة بكوني شقيقتك! وأيضاً بكوني بُنيَّتك، فأنتِ مَنْ علَّمني أنّ أحبّ يسوع وأن لا أبحثَ إلّا عنه...

(.....) وأن أحتقر جميع المخلوقات...

بالنسبة الى سيلين فأنا لا أعرف عنها أكثر منك، وحتى أقلَّ منك، لأنَّني لم أكن أعلم أنَّها تتألم[٣]، اللهم إلَّا في (...) إنه لمزعجٌ، فسيلين حدّثتنا أولا عن هذا والدنا الصغير المسكين، وقد لاحظت أنَّه...

(...)

ونقلت لنا (...)عن جان. وقالت لنا أيضاً بأن نصلّي كثيراً لأجل ليوني، لأنَّها تعاني من مرضها[٤]، وأعتقد أنَّ خالي يجده خَطِراً، فهي مُتورِّمة من كلِّ جهة.

لقد كلّمتنا سيلين على هذا الصغير المسكين، ولاحظت أنّ في يوم السبت، يوم العثور على الصليب المقدس، عثرنا نحنُ أيضاً على صليبنا! كانت ليوني هناك، وكانت تأمل أن تُشفى عند الوجه الأقدس[٥] أو في لورد، وستنزل في المسبح. مسكينة ليوني! كانت طيِّبة جداً وكانت وتريد أن تحرم نفسها من المتحدَّثات حتى تفرحَ سيلين. ولمّا دق جرس صلاة المساء، ذهبت. لا أدري متى سيكُنَّ في تور، لكنّي أعتقد أنهنَّ سيذهبْنّ الى لورد الأسبوع المقبل. يجب كتابة الرسالة الإثنين أو الثلاثاء قبل الظهر، حتى تصل يوم السبت.

آه! كم تبدو الارض انها منفى!... ليس من سند نبحثُ عنه خارجاً عن يسوع لأنَّه وحدَه الدائم. ما أسعدَ تصوّرَ أنَّه لا يمكن أن يتغيَّر... كم يفرِّجُ قلبنا التفكيرُ في أنّ عائلتنا الصغيرة تحبّ يسوع بحنان شديد!؛ إن في ذلك عزائي الدائم؛ أليست عائلتنا عائلة بتولية، عائلة زنابق؟... أطلبي من يسوع أن لا تكون صغرى الزنابق وأخيرتها، الأخيرة في أن تحبّه بكل قدرتها على الحبّ!...

---

(٣) تعاني سيلين من عوارض في القلب.

(٤) الاكسنيما Eczéma، وتعاني منه منذ طفولتها.

(٥) في معبد الوجه الأقدَس في مدينة تور.

الرسالة ١٠٥ إلى سيلين

١٠ أيار/مايو ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

يسوع +

حبيبتي سيلين.

هل أنتِ مسرورة من سفرك؟... آمل أن تغمزك العذراء القديسة بنعمها، وإن لم تكن هذه النِعم نِعَمَ عزاء فهي نعمُ نورٍ من دون شك!... والوجه الأقدس[1]!... أتعلمين، يا سيلين، أنَّ زيارة كل هذه الأماكن المباركة لنعمةٌ عظيمةٌ؟... قلبي يودّ لو يتبعك في كلِّ مكان. لكن للأسف! أنا أجهل برنامج الرحلة، وكنت أعتقد أنكم لن تكونوا في لورد إلَّا في الأسبوع المقبل.

لا بدَّ، يا سيلين، من أن تكوني مسرورةً جداً بمشاهدتك الطبيعة الفاتنة، والجبال... والبحيرات الفضية: كل ذلك عظيمٌ للغاية، وورائع كلّ الروعة ليرفع نفوسنا الى العلاء... آه! لننفصل، يا أخيَّتي، عن الأرض، ولنُحلِّق فوق جبل الحبّ حيث توجد زنبقة نفوسنا الجميلة... ولنتجرّد عن تعزيات يسوع، حتى نتعلَّق به!...

والعذراء القديسة! آه! استتري، يا سيلين جيّداً بظل وشاحها البتولي ليجعلك بتولاً!... إنَّ الطهارة شديدة الجمال وشديدة البياض!... **طوبى لأطهار القلوب فإنَّهم يشاهدون** الله (**متى** ٥/٨)!.. نعم، إنَّهم يشاهدونه حتى على الأرض حيث لا شيء طاهر، لكن حيث تصبح جميع المخلوقات صافيةً حينها تُشاهَد عبر وجه أجمل الزنابق، واشدّها بياضاً!...

إنَّ القلوب الطاهرة، يا سيلين، محاطة أحياناً بالأشواك... وهي غالباً في الظُلمات، فتظن هذه الزنابق أنَّها أضاعت بياضها، وتتصوَّر أنَّ الأشواك التي تحيط بها قد توصلت إلى تمزيق تويجتها!... أتفهمين، يا سيلين؟... إنَّ الزنابق وسط الأشواك هي حبيباتُ يسوع، وفي وسطها يتلذذ بأطايبه (٢ **نشيد** ١٦/٢).

---

(١) المقصود هنا معبد مدينة تور.

طوبى لمن وُجد جديراً بتحمُّل التجربة!... (**يعقوب** ١/١٢).

تريز للطفل يسوع والوجه الأقدس
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

كنت أودّ الكتابة الى عزيزتي ليوني، لكن ذلك مستحيلٌ عليَّ بسبب ضيق الوقت. قولي لها كم أصلّي لأجلها وكم أفكّر في عرّابتي العزيزة[٢]. كنتُ أنوي أيضاً الكتابة الى صغيرتي ماري، لكنني لم أقدر؛ وإني لأتضرَّع كثيراً حتى تجعل العذراء القديسة منها زنبقةً صغيرةً، تفكِّر في يسوع كثيراً وتنسى نفسها، مع جميع شقاواتها بين يدي الطاعة[٣]!... لا أنسى جانّ...

لم نستلم شيئاً من كندا[٤]. ولا تستطيع الأخت أنييس ليسوع الكتابة بسبب رياضتها.

إن لم تشتري شيئاً لأجل أمّنا، فتستطيعين أن تأتي لها «بسيِّدة لورد» غير ملوّنة في حدود ٤ أو ٥ فرنكات.

الرسالة ١٠٦ إلى الأخت أنييس ليسوع

١٠ أيار/مايو ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

يسوع +

يا حملي الحبيب، لم يبقَ الا يومٌ واحد، وستعود لتحاربَ في السهل[١]!... (**خروج** ١٧/٩-١٣) ويلتقي الحُميلُ المسكين أمّه من جديد... ما أسعدني بأن أكون حبيسة الكرمل للأبد، ولست أرغب في الذهاب إلى لورد لأحظى بانخطافات، فأنا أفضّل

---

(٢) عرّابتها يوم نوالها سرّ التثبيت.
(٣) إلماح الى ما تعاني ماري غيران من وساوس.
(٤) من الاب بيشون

<u>**الرسالة ١٠٦**</u>

(١) هو خروج الأخت أنييس من الرياضة.

«روتينية التضحية»! يا للسعادة بأن تكوني محجوبةً للغاية بحيث لا يفكّر فيكِ أحد...، ويجهلكِ حتى الاشخاص الذين يعيشون بجوارك.

كم أشكر يسوع، يا حملي الحبيب، على أنَّه أعطاني لكِ، وأن يعمل على أن تفهمي نفسي كلَّ الفهم!... لا أستطيع أن أقول لكِ كلَّ ما أفكِّر فيه... آه! **السماء**!!! عندئذٍ، نظرة واحدة تكفي وسيكون كلُّ شيء مُعلناً ومفهوماً!...

الصمتُ، ها هي اللغة التي تستطيع وحدها أن تقولَ لكِ كلَّ ما يحدث في نفسي!...

الرسالة ١٠٧ إلى سيلين

١٩-٢٠ أيار ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

أيار/مايو ١٨٩٠

يسوع +

صغيرتي الحبيبة سيلين

كلّفت بأن أكتبَ اليكِ كلمةً صغيرة أقول لك فيها بألّا تأتي لتعطينا أخبار بابا خلال رياضة عيد العنصرة؛ وهو لطفٌ منكِ إن أردتِ أن تكتبي الينا رسالةً صغيرة، ثمَّ تأتين الإثنين[١] لزيارتنا. سيلين الحبيبة، أنا سعيدة بأن أكون مُكلَّفة بالمهمّة، لأنَّني بحاجة الى أن أقولَ لكِ كم أجد أنَّ الربَّ يحبّك ويعاملك معاملة مميَّزة... آه! يمكنك القول فعلاً إنَّ **أجرَك في السموات عظيمٌ، لأنَّه قِيل: طوبى لكم، إذا اضطهدوكم وافتروا عليكم كلَّ كذب. عندئذٍ افرحي وابتهجي!...** (**متى** ٥/١١-١٢).

سيلين، يا لها حظوةً بأن تكوني مجهولةً على الأرض!... آه! **إنَّ أفكار الله ليست أفكارَنا** (**أشعيا** ٥٥/٨)، فلو كانت كذلك لما كانت حياتنا إلَّا تسبيحةَ اعترافٍ بالجميل!...

---

(١) في ٢٦ من الشهر.

أتتصوَّرين، يا سيلين، أنَّ القديسة تريزا قد نالت من النِعَم أكثر منك؟... انا، لن أقول لكِ بأن تتشوَّقي الى قداستها الساروفية، لكن أن **تكوني كاملة فعلاً كما أنَّ أباكِ السماوي كاملٌ** (**متى** ٥/٤٨)!... آه! يا سيلين، إنَّ رغباتنا اللامتناهية ليست، إذاً، أحلاماً ولا أوهاماً إذ إنّ يسوع نفسه اعطانا هذه الوصية!...

ألا ترين، يا سيلين، أنَّه لم يبقَ لنا شيء على الأرض؟ لقد شاء يسوع أن نشرب كأسه حتى الثمالة (**متى** ٥/٤٨)، تاركين والدنا الصغير العزيز هناك، آه! علينا ألَّا نرفضَ شيئاً ليسوع؛ إنَّه بحاجة شديدة إلى الحبّ وهو عَطِشٌ للغاية حتى إنَّه ينتظر منَّا نقطة ماءٍ لتبرِّده! آه! لِنُعطِ من دون حساب، فيوماً ما، سيقول: الآن، جاء دوري.

أشكري كثيراً صغيرتي العزيزة ماري على باقتها الرائعة، وقولي لها إنَّني سأقدّمها ليسوع من قبلها، واطلب إليه بالمقابل أن يُزيِّن نفسَها بالفضائل بقدر ما في الباقة من براعم ورود!...

أُخيَّتك
تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
مبتدئة كرملية غير مستحقة.

الرسالة ١٠٨ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، ١٨ تموز/يوليو ١٨٩٠

يسوع +!...

حبيبتي سيلين

لو كنتِ تعرفين ماذا قالت رسالتك لنفسي!... آه! كان الفرح يغمرُ قلبي مثل محيط واسع!... سيلين، إنك تعرفين كلَّ ما لديَّ ان اقوله لكِ، فأنتِ هي أنا... أرسل اليك ورقةً (١) تؤثِّر في نفسي كثيراً، ويبدو لي أنَّ نفسك ستغوص فيها أيضاً...

(١) صفحة عليها مقاطع من الكتاب المقدس.

سيلين، مِنذ زمن طويل للغاية... كانت نفسُ النبي أشعيا تغوص مثل نفسنا في **جمالات** يسوع **المستترة**... آه! عندما أقرأ، يا سيلين، هذه الأشياء أسأل نفسي: ما يعني الزمن؟... إنَّ الزمن ليس إلَّا سراباً، او حلماً.. منذ الآن، يرانا الله في المجد، وينعمُ بسعادتنا الأبدية!... آه! كم تريح هذه الفكرة نفسي، وعندئذٍ أفهم لماذا لا يُساوم معنا... إنَّه يشعر بأنَّنا نفهمه، وهو يعاملنا كأصدقائه وكأعزّ عرائسه...

سيلين، بما أنَّ يسوع كان **وحده يدوس الخمر** الذي يناولنا إياه لنشربه، فلا نرفضَنَّ بدورنا أن نلبس **ثياباً ملطخة بالدم**... لِندُس لأجل يسوع خمرةً جديدةً ترويه وتبادله حبّاً بحبّ. آه! علينا ألَّا نحتفظ بقطرة خمر واحدة نستطيع أن نعطيه إياها... عندئذٍ، ينظر إلى ما حوله فيرى أنَّنا أتينا لنجدته!... كان وجهه كأنَّه مستورٌ!...وهو كذلك الى اليوم، يا سيلين، إذ مَنْ الذي يفهم دموع يسوع؟...

سيلين الحبيبة، لِنُقِم في قلبنا بيتَ قربانٍ صغيرٍ يستطيع يسوع اللجوء إليه؛ عندئذٍ سيُعزَّى وسينسى ما لا نقدر نحن على نسيانه: «عقوق النفوس التي تتركه في خيمة صحراوية(٢)!»

«**إفتحي لي، يا أختي، يا خليلتي، فإنَّ رأسي امتلأ من الندى وخصائلي من قطرات الليل** (**نشيد الأناشيد** ٥/٢). هذا ما يقوله يسوع لنفسنا عندما يكون متروكاً ومنسيّاً!... «النسيان» يا سيلين، يبدو لي أنَّه أكثر ما يُحزنه !...

بابا!... آه! لا أستطيع، يا سيلين، أن أقول لكِ كل ما أفكِّر فيه؛ سيكون ذلك طويلاً جداً، وكيف يُمكن قول أشياء يكاد الفكر لا يستطيع ترجمتَها، وخواطر هي في صميم اعماق النفس!...

لقد أرسل إلينا يسوع أروع صليب استطاع حبُّه الفائق أن يبتكره... فكيف نتذمَّر نحن في حين كان هو نفسه قد **حُسب كرجلٍ مضروبٍ من الله ومُذلَّلٍ**؟.. (**أشعيا** ٥٣/٤). إنَّ السحر الإلهي، يُسحرُ نفسي ويعزّيها في كلِّ لحظة من لحظات النهار! آه! يا لدموع يسوع! يا لها من ابتسامة!...

---

(٢) كتبت سيلين الى تريز رسالة تصف فيها كنيسةً ريفية وبيت قربان وَسِخٍ كأنَّهُ مهجور... وقد غمر الحزن قلبها.

عانقي الجميع عنّي وقولي لهم كلَّ ما تريدين!... أفكِّرُ كثيراً في ليوني الحبيبة وفي صغيرتي العزيزة راهبة الزيارة[٣]. قولي لماري للقربان المقدّس[٤] إنَّ يسوع يطلب منها حبّاً كثيراً، وهو يريد منها تكفيراً عن الفتور الذي يناله، ولا بدَّ من أن يكون قلبُها مجمرةً يستطيع يسوع أن يتدفأ فيها!.. عليها أن تنسى ذاتها كلّياً ولا تفكِّر إلا فيه وحده...

سيلين، لنصلِّ لأجل الكهنة، آه! لنصلِّ لأجلهم. لتكن حياتنا مكرَّسة لهم، فيسوع يجعلني أشعر كلَّ يوم بأنَّه يريد ذلك من كلتينا.

س.ت[٥]

ي.م.ي.ت.

من النبي **أشعيا** (فصل ٥٣)[٦]

مَنْ الذي آمَنَ بما سَمِعَ منا، ولِمَنْ كُشِفَت قوّة ذراع الرب؟ المسيح سَيَنبُت كفرعٍ أمام الربّ وكأصلٍ من أرضٍ قاحلة: لا صورة له ولا بهاء؛ فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه. بدا لنا مزدرئ وآخر الناس، رجلَ أوجاع وعارفاً بالألم!... ومِثلُ مَنْ يُسترُ الوجه عنه!.. كان يبدو مزدرىً فلم نعبأ به. لقد حمل هو آلامنا واحتملَ أوجاعَنا. حسبناه ذا برصَ، كرجلٍ مضروبٍ من الله ومُذلَّلٍ!... ومع ذلك طُعِنَ بجروح بسبب معاصينا، وسُحِقَ بسبب آثامِنا. نَزلَ به العِقاب من أجل سلامِنا وبجروحاته شفينا. (أشعيا ٥٣/١-٥).

تابع الفصل ٥٣

مَنْ ذا الآتي من أدوم بثيابٍ قِرمِزيَّة من بُصرَة؟... هذا الذي يتباهى بلباسه ويَختالُ بكثرة قوّته؟... أنا مَنْ كلامُه كلام حق آتٍ للدفاع والخلاص. ما بالُ لباسِكَ أحمر إذاً، وثيابك كدائس المعصَرَة؟ دستُ المعصَرَة وحدي، ومن الشعوب لم يكن معي أحد. نظرتُ حولي، ولم يكن مَنْ يَنصُرني، وبحثتُ ولم يكن من يَعضُد!... (أشعيا ٦٣/١-٣، ٥).

---

(٣) ما زالت ليوني تفكّر في العودة إلى دير الزيارة.

(٤) هي ماري غيران وسيُبدّل اسمها في الكرمل الى ماري للافخارستيا.

(٥) الأحرف الأولى من اسمي سيلين وتريز.

(٦) سنحتفظ في ترجمة هذه المقاطع من الكتاب المقدس بما تحوي النصوص التريزية من فروقات لغوية أو لاهوتية.

هؤلاء اللابسون الحُلَلَ البيضاء، مَنْ هم ومن أين أتوا؟ هؤلاء هُم الذين أتوا من الشدة الكبرى وقد غسلوا حُلَلَهم بدم الحمل، لذلك هُم أمام عرش الله يعبدونه نهاراً وليلاً (رؤيا ٧/ ١٣–١٥).

حبيبي صُرَّةُ مُرٍّ، يبيتُ على قلبي (نشيد الأناشيد ١/ ١٢) حبيبي يسطع ببياض وجهه ونوره؛ وخصيلات شعره تشبه الأرجوان الملكي (نشيد الأناشيد ٥/ ١٠). حبيبي محبوبٌ كلياً، وصورتُه توحي بالحبّ، وجهه المنحني يحثني على أن أبادله حبّاً بحبّ (نشيد الأناشيد ٧/ ٥).

«لبثتُ هناك وذاتي نسيتُ،
ووجهي حَنوتُه فوق الحبيب،
توقَّف كلُّ شيء، واسترخيتُ،
مخلِّفَةً همّي
بين السواسن منسيًّا.»
(مقطع من نشيد لأبينا القديس يوحنا الصليب)[٧]

الرسالة ١٠٩ إلى ماري غيران

٢٧–٢٩ تموز

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، تموز/يوليو ٩٠

يسوع +

صغيرتي العزيزة ماري

أشكري الرب على كلّ ما حباك من نعم ولا تكوني عاقَّةً لا تعترفين بها. أخالكِ قرويةً صغيرة يأتي ملكٌ قديرٌ يطلبها للزواج فلا تجسر على القبول مدّعية أنَّها ليست على غنى وافر، ولم تُدرَّب على عادات البلاط، من دون أن تفكّر في أنَّ خطّيبها الملكي يعرف

(٧) **الليل المظلم** ٨ .

فقرها وضعفها أكثر بكثير مما تعرفه هي بالذات... ماري، إن كنتِ لا شيء فعليك ألَّا تنسي أنَّ يسوع هو كلُّ شيء، لذلك لا بدَّ لك من تضييع لاشيئك الصغير كلّه في اللامتناهي، وأن لا تعودي تفكّري أبداً إلَّا في هذا الكلِّ المحبوب[1] الوحيد... وعليك ألَّا ترغبي أبداً، في رؤية ما يقطف جهدُك من ثمار؛ ويطيب ليسوع أن يحتفظ له وحده بهذه الأشياء الصغيرة التي تعزّيه... أنتِ تخطئين، يا عزيزتي، إن كنتِ تعتقدين أنَّ صغيرتك تريز تسير دائماً بحماسةٍ في طريق الفضيلة؛ إنَّها ضعيفة وضعيفة جداً، وتختبر ذلك كلّ يوم. لكن يسوع، يا ماري، يروقه أن يُعلِّمَها كما علَّم القديس بولس علم الافتخار بحالاتِ ضعفه (٢ **قورنتس** ١٢/٥). إنَّها نعمة كبيرة تلك النعمة وأتضرَّع إلى يسوع أن يُعلِّمَك إيَّاها، لأنَّ فيها فقط، نجد السلام وراحة القلب. فعندما نرى ذواتنا على هذا القدر من البؤس، لا نعود نريد أن نحسب حساباً لأنفسنا، ولا نعود ننظر إلَّا إلى الحبيب الوحيد!...

يا صغيرتي العزيزة ماري، أنا لا أعرف وسيلةً أخرى للوصول إلى الكمال غير الحب... الحبّ، ما أروع ما خلق قلبنا له!... أبحث أحياناً عن كلمة أخرى للتعبير عن الحبّ، لكن العبارات، في ارض المنفى، تعجز عن ترجمة كلِّ خلجات النفس، لذلك يجب الاحتفاظ بهذه الكلمة الوحيدة: أن نحبّ!...

لكن قلبنا المسكين الجائع إلى الحبّ، على مَنْ سَيغدِقه؟ آه! مَنْ سيكون بكبر حجمه؟... هل يمكن لكائنٍ بشري أن يفهمه... وخاصةً هل سيعرف ان يبادله؟... يا ماري، ليس هناك إلَّا كائن واحد يستطيع ان يفهم عمقَ هذه الكلمة: «أن نحبّ»!... لا يوجد غير يسوعنا يعرف ان يبادلنا عطاء لا متناهياً لما نعطيه.

ماري للقربان المقدس!... إسمك يقول لك رسالتك... تعزية يسوع، وجعل النفوس تحبّه... يسوع مريض ولا بدَّ من ملاحظة أنَّ مرض الحبّ لا يُشفى إلَّا بالحبّ[2]!... هبي، يا ماري، فعلاً كلَّ قلبك ليسوع، إنَّه عَطِشٌ إليه، إنَّه جائع إليه؛ فقلبك، هو ما يتوق إليه، لدرجة أنَّه رضي بالسكن تحت خيمة قذرة ومظلمة ليحصل عليه!... آه!

---

(١) اقتباس عن يوحنا الصليب في **صعود جبل الكرمل**.

(٢) اقتباس عن يوحنا الصليب في **النشيد الروحي** ١١.

كيف لا نحبّ صديقاً افتقر إلى هذا الحد من الفقر الشديد، وكيف نتجاسر أيضاً على إدعاء فقره عندما يجعل يسوع من نفسه شبيهاً بخطّيبته؟... كان غنياً فافتقر ليوحّد فقره بفقر ماري للقربان المقدس... يا لسرِّ الحبّ!..

كل مودَّتي إلى المجموعة العزيزة.

قلبي دائماً مع ماري للقربان المقدس، وبيتُ القربان هو بيت الحبّ حيث حُبست نفسانا....

أُخيّتك التي تطلب إليك ألا تنسِها في صلواتك

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
مبتدئة كرملية (غير مستحقة).

الرسالة ١١٠ إلى الأخت أنييس ليسوع

٣٠-٣١ آب/أغسطس ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

يسوع +

أُميمتي الخاصة بي، شكراً، آه! شكراً! ليتك تعرفين ما قالته رسالتك لنفسي!...

لكن لا بدَّ للمستوحدة الصغيرة من أن تروي لك بيان رحلتها، فها هو. قبل أن ترحل، بدا لها أنَّ خطّيبها يسألها إلى أي بلد كانت تريد أن تسافر وأيَّ طريق كانت ترغب في إتباعه، إلخ، إلخ. فأجابت الخطّيبة الصغيرة أن لم تكن لها إلَّا رغبة واحدة، وهي الرغبة في الذهاب إلى قمّة جبل الحبّ(١). وحتى تصِل إليها، كانت هناك عدة طرق مفتوحة أمامها، من بينها طرقٌ عديدة كاملة لدرجة أنَّها رأت نفسها غير قادرة على الاختيار. عندئذٍ قالت لمرشدها الإلهي: إنك تعرف إلى أين أريد الذهاب، وتعرف من أجل مَنْ أريدُ صعود الجبل، ولأجل من أريد الوصول في الميعاد، وتعرفُ مَنْ أحبُّه ومَنْ أريد أن أرضيه فقط، ومن أجله وحده أقوم بهذا السفر، فقُدْني، إذاً، عبر الدروب التي

(١) يوحنا الصليب - **صعود جبل الكرمل.**

يحبُّ ان يسلكها؛ فإن كان مسروراً سأكون في أوج السعادة. حينئذٍ أخذني يسوع بيدي وأدخلني في نفق حيث لا برد ولا حرّ وحيث الشمس لا تسطع ولا يزوره مطرٌ وهواء، نفقٌ لا أرى فيه شيئاً غيرَ نورٍ خافت، هو النور الذي تشعّه من حولها عينا وجه خطّيبي المغمضتين!...

لم يقل لي خطّيبي شيئاً، وأنا أيضاً، لم أقل له شيئاً، إلّا بأنّني أحبّه أكثر من ذاتي، وأشعر في صميم قلبي بأنَّ هذا حقيقي، لأنَّني له أكثر ممَّا أنا لي!... لا أرى أنَّنا نتقدَّم نحو ذروة الجبل لأنَّ رحلتنا تتمّ تحت الأرض، لكن يبدو لي، مع ذلك، أنَّنا نقترب منها من دون أن نعرف كيف. إنَّ الطريق الذي أتبعه خالٍ من أيِّ عزاء لي، ومع ذلك فهو يحمل اليّ كلَّ التعزيات لأنَّ يسوع هو مَنْ اختاره، وأرغب في أن أعزيه هو، وحده، ووحده كلياً!... آه! الحقيقة أني لو أعطيته عنباً مَنْ قلبي، فهذا بين الباء والألف[٢]، لأنَّني انا، لا أفهم منه شيئاً.

هل يجب إخبار السيِّد ليبيلّتية[٣] والسيِّد ريڤيروني بأنَّني سابرز نذوري؟...

لا تنسي خاصةً الذهاب إلى الخمارة لتناول جرعتك من الخمر[٤]، وعندما تشربينه ستفكّرين في بُنيَّتك التي لا تشرب نبيذاً طيباً **حُلواً من كروم عين جَدْيَ**... (**نشيد الأناشيد** ١/١٣) أطلبي أن تعرف كيف تسقي منه عريسها بأن تخلّص النفوس فتنالَ عزاءها...

الرسالة ١١١ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس

٣٠-٣١ آب/أغسطس ١٨٩٠

يا عرّابتي الصغيرة، ليتك تعرفين كم سحرت ترتيلتك السماوية نفسَ بُنيَّتك!...

أؤكد لك على أنَّها لا تسمع مُطلقاً الألحانَ السماوية. وشهر عسلها قاحل جداً... لأن خطّيبها، أطافَها، حقّاً، بلاداً خصبةً ورائعةً،لكن الليل منعها من مشاهدة أيّ شيء، ومن التمتّع بكل هذه الروائع.

---

(٢) هذه العبارة بقيت غير مفهومة.

(٣) Lepelletier معرّف تريز في سنة ١٨٨٦ إلى سنة ١٨٨٨

(٤) هو دواء وصف للأخت أنييس.

قد تعتقدين أنَّها تحزن لذلك، لكن لا، فهي، على العكس، سعيدة بأن تتبع خطّيبها حبّاً له وحده، وليس بسبب عطاياه... هو وحده فائق السحر والجمال! حتى وإن صَمَتَ ... حتى وإن احتجب...

أتفهمين بُنيَّتك؟...

لقد سئمت تعزياتِ الأرض، ولم تعد تريد إلّا حبيبَها وحده... فلا تنسي أن تصلّي كثيراً لأجل بُنيَّتك التي ربيّتها والتي هي لكِ.

الرسالة ١١٢ إلى الأخت أنييس ليسوع

الأول من أيلول/سبتمبر ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

يسوع +

الإثنين

أُعطيكِ الرسالة التي كتبتها الى بابا؛ وإن رأيت أنَّها غير صالحة، فستتكرّمين بكتابة مسوّدة صغيرة؛ لكنَّني أعتقد فعلاً أنَّه لن يفهمَها... آه! يا له سرّاً، سرّ حبّ يسوع لعائلتنا!... يا له سرّاً، سرّ عريس الدم هذا ودموعه!... (**خروج** ٤/٢٥).

غداً سألتقي بالاب يوف[١]؛ قال لي بأن أقوم بعرضٍ[٢] صغير، يقتصر على وجودي في الكرمل؛ فتضرّعي كثيراً لكي يحفظ يسوع السلامَ الذي أعطاني إياه. كنتُ في غاية السعادة بأن أنال الحلّة العامة يوم السبت... لكنَّني لا أفهم الرياضة التي أقوم بها، ولا أفكر في شيء، وبكلمة واحدة أنا في نفقٍ مظلمٍ جداً!... آه! أطلبي من يسوع، أنتِ مَنْ هي نوري، أن لا يسمح بأن تحرم النفوس بسببي أنواراً هي ضروريةٌ لها، بل لتؤدّي ظلماتي إلى إنارتها... أطلبي منه أيضاً أن أقوم برياضة حسنة وأن يكون أيضاً مسروراً بقدر ما يمكنه أن يُسرّ. عندئذٍ سأكون مسرورةً وسأكون راضية، إن كانت هذه مشيئته، بأن

---

(١) هو معرّف الكرمل.

(٢) المقصودِ هو اعتراف عام.

أسير طوال حياتي في الطريق المُظلم، إذ حسبي أن أصل يوماً إلى ذروة جبل الحبّ، لكنني أعتقد أنَّ هذا لن يكون على الأرض.

(سأذهب لتناول جرعتي من الخمر، وجرعة هذا الصباح كان يمكنها ان تروقني؛ لكنَّني لم أستطع أن أجد أمَّنا [٣]).

هل عليَّ الكتابة إلى السيِّدة بابينو؟.. يبدو لي أنَّه لا حاجة الى ذلك، فهي لن تفهم، ومن الأفضل، ربما، إنتظار وضع الطرحة؟...

الرسالة ١١٣ إلى الاخت ماري للقلب الأقدس

٢-٣ أيلول/سبتمبر ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

يسوع

ليتك تعرفين كم تريحني رسائلك الصغيرة!.. إنَّها بالنسبة اليّ موسيقى سماوية، ويبدو لي أنَّني أسمع صوت ملاك...

لكن ألستِ، أنتِ أيضاً، الملاكَ، الذي قادني وأرشدني في طريق المنفى حتى دخولي الكرمل؟ الآن، أيضاً، أنتِ لي دائماً الملاكُ الذي عزَّى طفولتي. وإني لأرى فيكِ ما لا يستطيع الآخرون أن يروه، لأنَّك تعرفين جيّداً كيف تسترين ما أنتِ عليه، ولدرجة أنَّ في يوم الأبدية سسيُفاجأ بكِ كثيرون.

لكنّ بُنيَّتك لن تفاجأ بشيء، ومهما كان عرشك وإكليلك جميلَين فلن تنذهلَ مما سيعطيه حبّ العريس الإلهي لِمَنْ هيَّأت في قلبها ذات الحبِّ لعريس العذارى؛ وتأمل بُنيَّتك أيضاً أن تكون في إكليلك زهرةً صغيرةً تَهبُ نضارتَها الوضيعة لمجد ملاكها الأرضيّ المنظور.

---

(٣) المقصودِ أنها لم تجدها لتطلب الاذن.

الرسالة ١١٤ إلى الأخت أنييس ليسوع

٣ أيلول/سبتمبر ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

يسوع +

نعم، يا حملي الحبيب، إنَّ جميع أفراحنا ستكون ممزوجةً بالألم دائماً. لقد كانت نعمةُ أمسِ(١) تقتضي تتويجاً، فلَكِ أعطاه يسوع، ثمَّ لي في الوقت ذاته، لأنَّ كلَّ ما يؤلمك يجرحني بعمق!... أريد أن أعلم فعلاً ما إذا كانت أُمُّنا قد عزَّتك ام أنكِ ما زلتِ حزينة؟ أرى من الواجب أن نشكر القديس سمعان الشيخ(٢) (**لوقا ٢/٢٥**) ونقول له إنَّ رسالته قد وصلت، فما رأيكِ في ذلك؟... أعطيك رسالة صغيرة من أختي تريز ليسوع(٣)، وقد سلَّمتني إياها هذا الصباح. أيجب القيام بكلِّ ذلك؟... ليس لديَّ نماذج؛ وثمَّ يبدو لي أنَّ الغسيل والقديسة العذراء هما أكثر إلحاحاً، لكنّي سأفعل ما تشيرين عليّ به.

أتظنّين حقاً أنَّ سيلين ستموت؟.. لقد وعدتها أمسِ بأن أبرز النذور عن كلينا، لكن لم تكن لي شجاعة الطلب إلى يسوع أن يتركها على الأرض أن لم تكن تلك هي مشيئته. يبدو لي أنَّ الحبَّ يمكنه أن ينوبَ عن حياة طويلة... إنَّ يسوع لا ينظر إلى الزمن، ففي السماء يزول الزمان. إنه لا ينظر إلَّا إلى الحبّ. أطلبي إليه أن يعطيني منه كثيراً، أنا أيضاً، ولا أطلب الحبَّ المحسوس بل الحبّ الذي لا يشعر به إلا يسوع. آه! ما أعذب أن نحبّه، وأن نجعله يُحَبّ. .. قولي له أيضاً بأن يأخذني يوم نذري إن كنت سأهينه بعد ذلك، لأنّني أريد أن أحمل معي إلى السماء ثوب عمادي الثاني الناصع، الخالي من أيّ شائبة. لكن يبدو لي أنَّ يسوع يمكنه أن ينعم عليَّ فعلاً بألَّا أسيء إليه أبداً أو بالأحرى بألّا أرتكب إلّا أخطاء لا تهينه ولا تعمل إلّا على إذلالي وتقوية حبّي. ليتك تعلمين كم سيطول حديثي لو توفّرت لي كلمات أُعبِّرُ بها عمّا أُفكِّرُ فيه أو بالأحرى عمّا

---

(١) وصول بركة البابا لاون الثالث عشر وقد التمستها تريز من أجل نذورها.

(٢) جمع بين سمعان الإنجيل، والأخ سيميون في روما وهو من اخوة المدارس المسيحية وكان صديق العائلة.

(٣) كانت أختاً ملحاحة، وقد طلبت من الأخت تريز رسوماً صعبة.

لا أفكِّر فيه بل أُحسّه!... إنَّ الحياة سرٌّ فعلاً!... إنَّها صحراء ومنفى... لكن في صميم النفس نشعر بأنَّ سيكون هناك يوماً لا نهايات بعيدة، وبعيدة ستجعلنا ننسى للأبد أحزان الصحراء والمنفى...

حبة الرمل الصغيرة.

لا يعرف الأب دومان أنّني سأبرز نذوري: فهل يجب إعلامه بالامر؟ يبدو لي أنَّه إذا كانت أمّنا لم تكتب بعد إلى الدير[٤]، فيُمكنها الطلب إلى هؤلاء «الراهبات» أن يُعْلِمْنه بذلك؟...

الرسالة ١١٥ إلى الأخت أنييس ليسوع

٤ أيلول/سبتمبر ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

أُسلِّمكِ رسالة روما[١] حتى تُعطيها، إن شئتِ، لسيلين. ربَّما لن يفهمَها بابا. لكنها لا يصعب نقلها؛ وإن عاودهُ الفهم أحياناً فسيكون سعيداً للغاية. هل عليَّ أن أرسل إليه بصيغة نذوري حتى يباركَها؟ إن كان جوابك بالايجاب، فهل تتفضَّلين وتقولين لي ذلك غداً صباحاً حتى أستطيع كتابتها بسرعة؟ يمكننا وضعها وسط الاكليل، لكن قد يكون من الافضل عدمُ القيام بأي شيء؟...

أشكرك على رسالتك الصغيرة، وليتك تعلمين كم أبهجتني!.. إنَّ نفسي هي في النفق دائماً لكنَّها سعيدةٌ جداً فيه، وسعيدة بأنَّها لا تحظى بأيَّة تعزية لأنَّني أجد أنَّ حبَّها في ذلك الوقت، لن يكون كحبّ خطّيبات الأرض اللواتي ينظرنَ دائماً إلى أيدي خُطَّابهنَّ ليرين إن كانوا يحملون لهنَّ بعض الهدايا، أو ينظرنَ إلى وجوههم حتى يحصلنَ منها على ابتسامة حبٍّ تفتُنهنَّ...

---

(٤) المقصود هو دير الراهبات البندكتيات والمدرسة التي تابعت تريز تعليمها فيها.

الرسالة ١١٥

(١) الحاملة البركة البابوية.

لكن المسكينة خطّيبة يسوع الصغيرة تشعر بأنَّها تحبُّ يسوع لذاته وحده، وهي لا تريد النظر إلى وجه حبيبها إلَّا لتفاجأ بالدموع التي تنهمر من عينين سحرتاها بسحرها المستور!... إنَّها تريد مسح هذه الدموع لتتزيَّن بها في يوم عرسها، وهي زينة ستكون محجوبة أيضاً فيها، لكن الحبيب يفهمُها.

الرسالة ١١٦ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس

٧ أيلول/سبتمبر ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

أودّ لو تكون شموع الطفل يسوع[1] مضاءةً عندما سأذهب إلى قاعة المجمع الديري، فهل تتفضّلين بالقيام بذلك؟... أرجوك، لا تنسي... لم أضع الشموع الزهرية الجديدة لأنَّ هذه اكثر تأثيراً في نفسي، فقد أضيئت يوم اتشاحي بالثوب الرهباني وكانت عندئذٍ زهرية وجديدة. وكان بابا (الذي قدَّمها لي) هناك، وكان الفرح غامراً!... لكن لون الزهر الآن أصبح باهتاً، أفما زال ليتيمة البيريزينا أفراحٌ هنا بلون الزهر؟... آه! لا، لم يعد لها غير أفراح سماوية... أفراحٌ يُخلي فيها المخلوق - وهو لا شيء - مكانه للامخلوق الذي هو الواقع...

أتفهمين بُنيَّتك؟.. غداً ستصبح عروسَ يسوع، غداً ستصبح عروس الذي كان **وجهه مستوراً وإنساناً لم يُعبَأ به!** (**أشعيا** ٥٣/٣)!... أيُّ عهدٍ، وأيُّ مستقبل!.. نعم، أحسّ بأن عرسي سيكون محاطاً بملائكة، ولن تبتهج إلا السماء والعروس الصغيرة وأخواتها الحبيبات!..

(١) هو تمثال الطفل يسوع وامامه تمرّ الجماعة بتطواف بعد ابراز تريز نذورها.

الرسالة ١١٧ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس

ذكرى ٨ أيلول/سبتمبر ١٨٩٠

إنه يوم الذكر الخالد الذي فيه أصحبتْ بُنيّتكِ مثلَك عروسَة مَنْ قال: **مملكتي ليست من هذا العالم** (**يوحنا** ١٨/٣٦) وفي مكان آخر: **لكن فضلاً عن ذلك، قريباً سترون ابن الإنسان آتياً على غَمام السماء عن يمين الله** (**مرقس** ١٤/٦٢). أما نحن، فهذا هو اليوم الذي ننتظره... يوم العرسِ الأبدي حيث **سيمسحُ يسوعنا كلَّ دمعة من عيوننا** (**رؤيا** ٣/ ٣١)، وحيث **سيُجلسنا معه على عرشه** (**رؤيا** ٣/٢١)...

الآن **وجهه كأنه مستور** (**أشعيا** ٥٣/٣) عن عيون المائتين، اما بالنسبة الينا، نحن الذين يفهمون دموعه في وادي المنفى هذا، فسيُظهر لنا قريباً وجهه الساطع في الوطن، وعندئذٍ سيكون الانخطاف، وسيكون الاتحادُ الأبدي المجيد بعريسنا... صلِّي لكي تكونَ يوماً مَنْ وجَّهتِها في طرق الفضيلة، بالقرب منك، في الوطن!

بُنيّتك.

الرسالة ١١٨ رسالة دعوة إلى عرس
الأخت تريز للطفل يسوع والوجه الأقدس(١)

٨-٢٠ أيلول/سبتمبر ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

إنَّ الله الكلي القدرة، خالق السماء والأرض، ربّ العالم وسيّده، ومريم العذراء المجيدة ملكة البلاط السماوي واميرته يتنازلان لإبلاغكم بقران ابنهما يسوع ملك الملوك وربِّ الأرباب (**رؤيا** ١٩/١٦)، بالآنسة تريز مرتان وهي حالياً سيِّدة وأميرة على الممالك التي قدَّمها لها عريسها كبائنة، أي: طفولة يسوع وآلامه، مع لقب الشرف أي الطفل يسوع والوجه الاقدس.

---

(١) للمقارنة مع **مخطوط** أ ص ٧٧ ش.

السيِّد لويس مرتان، المالك والسيّد لإقطاعات الألم والذل، والسيِّدة مرتان أميرة وسيِّدة شرف في البلاط السماوي يُبلغانكم بقران ابنتهما تريز بيسوع كلمةِ الله (**يوحنا** ١/١)، الاقنوم الثاني في الثالوث الأقدس، الذي صار إنساناً بحلول الروح القدس ووُلد من مريم العذراء.

ونظراً الى عدم التمكّن من دعوتكم الى حضور بركة الاكليل التي أُعطيت لهما على جبل الكرمل (وكون الدعوة وُجِّهت الى البلاط السماوي وحده)، فأنتم مع ذلك مدعوون بالمقابل الى المشاركة في العودة من العرس الذي سيحتفل به غداً، يوم الأبدية الذي فيه **سيجيء يسوع على غمام السماء ليدين الأحياء والأموات (وبما أنَّ الساعة لم تحدَّد بعد، فأنتم مدعوون الى أن تكونوا مستعدّين وتسهروا) (متى ٢٥/٣١ و ٢٤/٤٢)**.

الرسالة ١١٩ إلى الأخت مرتا ليسوع

٢٣ أيلول/سبتمبر ١٨٩٠

إلى رفيقتي الصغيرة العزيزة تذكار لأجمل يوم في حياتك[(١)]، وهو يوم فريد قد تكرَّستِ فيه ليسوع.

فلنُعزِّي معاً يسوع عن كل عقوق النفوس، ولنجعله بحبِّنا ينسى أوجاعه.

أُخيّتك غير المستحقة
تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
راهبة كرملية غير مستحقة

---

(١) إهداء على قفا صورة.

الرسالة ١٢٠ إلى سيلين

٢٣ أيلول/سبتمبر ١٨٩٠

ي.م.ي.ت.

يسوع +

آه! كيف أصف لكِ ما يحدث في نفسي يا سيلين؟ إنَّها مُمزقة، لكنَّني أشعر بأنَّ هذا الجرح قد أحدثته يد صديقة، يدُ ذات غيرة إلهية!...

كلُّ شيءٍ كان معدّاً لعرسي؛ لكن ألا تجدين أنَّ العيد كان ينقصه شيء؟ حقاً، إنَّ يسوع كان قد سبق له ووضع حليً كثيرة في سلَّتي، لكن كان ينقصها من دون شك، حليةٌ ذات جمال منقطع النظير، وهذه الألماسة الثمينة أعطانيها يسوع في هذا اليوم... وحين استلمتها يا سيلين... سالت دموعي وما تزال تسيل؛ وأكاد ألوم نفسي على ذلك لو لم أكن أعرف «أنَّ هناك حبّاً برهانه الوحيد هو الدموع[1]». فيسوع وحده هو مَنْ دبَّر هذا الأمر؛ إنَّه هو، وقد اكتشفت في ذلك لمسة حبِّه...

تعلمين إلى أيِّ درجة كنت أتشوّق في هذا الصباح الى أن أرى والدنا الحبيب ثانيةً[2]. حسناً! لقد عرفت بوضوح أنَّ مشيئة الله هي أن لا يحضُرَ والدي؛ ولقد سمح بذلك، بكل بساطة، ليختبر حبّنا... يريدني يسوع يتيمة، ويريد أن أكون وحدي معه لكي يتَّحد بي اتحاداً اوثق؛ ويريد أيضاً أن يردَّ اليَّ في الوطن الأبدي الأفراحَ المشروعة التي كان قد رفضها لي في المنفى!... عزِّي نفسَكِ، يا سيلين، إنَّ عريسَنا هو عريس دموع وليس عريسَ ابتسامات. فلْنعطه دموعنا لنعزِّيه وستتحوَّل يوماً هذه الدموع إلى ابتساماتٍ عذوبتها فائقة الوصف...

لا أدري، يا سيلين، إن كنتِ ستفهمين رسالتي، فأنا أكاد لا أستطيع الامساك بريشتي... وقد تعطيك أخرى شرحاً وافياً عن لقاء خالي، اما تريزتك فلا تعرف أن تتكلَّم إلَّا بلغة السماء. أتفهمين تريزتك يا سيلين؟...

محنة اليوم هي ألمٌ يصعب فهمُه: نرى فرحاً يُقدَّم لنا؛ وهو ممكنٌ وطبيعي، فنمدُّ

---

(١) شعر من قصيدة لسيلين.

(٢) عند وضع الطرحة.

يدنا... فلا نستطيع التقاط هذا العزاء المطلوب... لكن، يا سيلين، يا له سرّاً مخفيّاً!.. ليس لنا ملاذٌ في الدنيا، أو على الأقل، يمكنك القول مثل العذراء القديسة: «أيّ ملاذ!». نعم، أيّ ملاذ... لكن هذا ليس فعل يدٍ إنسانية، بل إنَّه يسوع؛ ونظره المستور قد يسقط علينا!... لقد تلقّيت رسالةً من الأب المنفي(٣) وهذا مقطعٌ منها: «آه! إنَّ تسبيحي مبلَّلٌ بالدموع. فلا هذا ولا ذاك من أبويك سيكون هناك لِيُقدِّمك ليسوع. أعليك الإكثار من الشكوى بينما تُهنِّئك الملائكة في الأعالي ويحسدك القديسون؟ إنّهم يغارون من هيكل الشوك على رأسك فأحبّي هذه الوخزات كأنَّها عربون على حبّ العريس الإلهي».

يا سيلين، فلنَقْبل، عن طيب قلبٍ، الشوكة التي يُقدمها يسوع لنا، فعيدُ الغدِ سيكون لنا عيد دموع. لكنني أشعر بأنَّ يسوع سينال عزاءه... اودّ لو أكتب اليكِ عن ذلك طويلاً، لكن تنقصني الكلمات!... لقد كلِّفت بالكتابة اليك لأعزِّيك، ولا شك في أنَّني أسأتُ القيام بمهمَّتي... آه! لو كنت أستطيع أن أنقل إليك السلامَ الذي وضعه يسوع في نفسي في غمرة دموعي! فهذا ما أطلبه منه لأجلك، فأنتِ هي أنا!...

سيلين!... **الظلال تنهزم** (**نشيد الأناشيد** ٤/٦) **وصورة هذا العالم الى زوال** (١ **قورنتس** ٧/٣١)، وقريباً، نعم قريباً، **سنرى الوجه المجهول** والمحبوب الذي يسحرنا بدموعه (**أيوب** ٤/١٦).

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
راهبة كرملية غير مستحقة.

(٣) هو الاب بيشون في كندا.

المرحلة الخامسة: في مرحلة الإبتداء
(أيلول ١٨٩٠– شباط ١٨٩٣)

السنوات المظلمة

الرسالة ١٢١ إلى الأخت مريم – يوسف للصليب[1]

ي.م.ي.ت.

دير الكرمل،
٢٨ أيلول/سبتمبر ١٨٩٠

يسوع +

أختي العزيزة

تأثرت جدًّا برسالتك، وأشكرك على الصلوات التي قدَّمتِها لأجلي. أمّا انا، فلم أنسَكِ، وقد أوكلت إلى الرّب جميعَ نواياك.

ها أنا، أخيراً، بكلّيتي ليسوع؛ لقد شاء فعلاً أن يتّخذني عروسةً صغيرةً له بالرغم من عدم استحقاقي. وعليَّ الآن أن أبرهن له عن محبتي؛ فاعتمادي عليكِ، يا أختي العزيزة، لتساعديني على شكر ربّنا.

لقد نلنا، نحن الإثنتين، نِعماً عظيمة، وآمل أن يوحّدنا الرباطُ عينه بيسوع وإلى الأبد.

لقد اسعدني حصولي على بركة قداسة البابا لأجل يوم نذوري. وقد أخبرني الراهب، الذي زوّدني بهذه البركة، بكثرة أعداء الكنيسة؛ ففي روما، لا يتوقَّف الصراعُ لحظةً مع الاب الاقدس. هذا الأمر محزن ...

انها لسعيدةٌ من تصيرُ راهبةً تصلّي وتلطّف قضاءَ الله! نعم، إنَّ الرسالة التي عُهِدَ بها

---

(١) Soeur Marie-Joseph de la Croix : هي مارسيلين هوسه Marcelline Husé خادمة آل غيران، دخلت إلى دير الراهبات البندكتيات في بايو Bayeux في تموز/يوليو ١٨٨٩.

إلينا لجميلةٌ جدًّا ولن تكفِنا الابدية لكي نشكر ربَّنا على النصيب الذي خصّنا به.

أختي العزيزة، أعهد إلى صلواتك بوالدي الحبيب الرازح تحت الصليب، والرائع جدًّا في استسلامه. وأجرؤ أيضاً على تسليم أمري إلى صلوات جماعتك القديسة.

ثقي، يا أختي العزيزة، بكلِّ المحبة الروحية التي تكنّها لكِ من يسعدها ان تسمّي نفسها

أختك
تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٢٢ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

١٤ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩٠

يسوع +

عزيزتي سيلين

لا أريد أن أَدعَ رسالة ماري تذهب دون أن أُضيفَ إليها كلمةً صغيرة لك. إنَّ أمّنا العزيزة قد سمحت لي بالمجيء لأقوم بالتأمّل معك... سيلين، أليس هذا ما نفعله دائماً معاً؟...

عزيزتي سيلين، أنني اكرِّر عليكِ ما اقوله لكِ دائماً. آه! لنصلِّ لأجل الكهنة [1]، فكلُّ يومٍ يُظهر لنا كم أنَّ أصدقاء يسوع نادرون... يبدو لي ان نكران الجميل هو حتماً اكثر ما يؤثّر فيه، خاصةً رؤيته النفوس المكرّسة له تعطي للآخرين القلبَ الذي يخصُّه بشكل مطلق ... لنجعل، من قلبنا، يا سيلين، روضةَ أطايب يأتي اليها يسوع ليرتاح... فلا نزرعنَّ في حديقتنا غير الزنابق؛ نعم، الزنابق؛ ولا نقبلنَّ بأزهارٍ أخرى، فهذه يمكن أن يعتنيَ بها آخرون؛ أمّا الزنابق فلا يستطيع احد غير العذارى تقديمَها ليسوع...

(١) راجع **الرسالة** ٩٤، الملاحظة ٤.

«البتولية هي ان تكون اهتمامات الدنيا كلُّها في صمتٍ عميق، ليس فقط الاهتماماتُ العديمة الفائدة بل جميعُ الاهتمامات... ولكي تكوني بتولاً عليكِ الا تفكّري إلا في العريس الذي لا يطيق من حوله شيئاً لا يكون بتولاً؛ فقد شاء أن يولد من أمٍّ بتول، وأن يكون له سابقٌ بتول، ومربٍّ بتول، ومَحْظِيٌّ بتول، وأخيراً، أن يكون له قبرٌ « بتول » . إنَّه يريد، أيضاً، عروسةً صغيرةً بتولاً، أي سيلين التي تخصّه !... وقيلَ ايضاً «إنَّ كلَّ واحدٍ يحبُّ، بطبيعته، مسقط رأسه. وبما أنَّ مسقط رأس يسوع هو بتول البتولات، وأنَّ يسوع وُلد بمشيئته من زنبقة، فهو يحبّ أن يقطن في قلوبٍ بتول». اما سفرك[٢] فيبدو أني نسيته... لا، فقلبي يتبعك الى هناك وأفهم كلَّ ما تُعانين... أفهم كلَّ شيء!.. كلُّ شيءٍ يزول : لقد زال سَفَرُ روما بكل آلامه ... وزالت حياتنا القديمة ... والموت سيزول أيضاً، وعندئذٍ سنتمتّع بالحياة، ليس لقرون فحسب، بل إنَّ ملايين السنين ستنقضي بالنسبة الينا كيوم، وستلحق بها ملايين اخرى مُفعمةً بالراحة والغبطة[٣]... يا سيلين...

صلّي كثيراً إلى القلب الأقدس. تعرفين أن نظرتي إلى القلب الأقدس تختلف عن نظرة العالم كله؛ واعتقد أنَّ قلب عريسي لي وحدي، كما ان قلبي له وحده (**نشيد الأناشيد** ٢/١٦)؛ وعندئذٍ اخاطبه في هذه الخلوة العذبة قلباً لقلب في انتظار مشاهدته يوماً وجهاً لوجه !... (**١ قورنتس**، ١٣/١٢).

لا تنسي عزيزتك تريز هناك، بل تمتمي اسمَها فقط ويسوع سَيَفهم؛ فإنَّ نعماً كثيرة محفوظةٌ هناك، خاصةً لقلبٍ يتألم... أريد فعلاً أن أكتب إلى ليوني، لكن هذا مستحيل، إذ ليس لديَّ الوقت حتى لأُعيدَ قراءة ما كتبت؛ قولي لها كم أفكّر فيها، إلخ، إلخ. أنا متأكدة من أنَّ القلب الأقدس سيمنحها نعماً كثيرة، إلخ، إلخ. قولي لها كلَّ شيء، إنك تفهمين...

تريزك الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(٢) هو الحجُ إلى باريه لومونيال Paray-le-Monial ، مع ليوني، بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لموت الطوباوية مارغريت ماري في ١٧ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩٠. ومارغريت ماري ألاكوك Alacoque ، من راهبات دير الزيارة (١٦٤٧-١٦٩٠)، تلقّت دعوة الى نشر عبادة القلب الأقدس.

(٣) أرمانجون، المصدر عينه، ص ٣١٦.

الرسالة ١٢٣ إلى السيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

١٥ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩٠

يسوع +

إمرأة خالي العزيزة

تأثّرت جدًّا بكل ما أرسلته اليّ بمناسبة عيدي، ولا أدري كيف أشكرك، ولا من أين أبدأ.

أولاً، يا امرأة خالي العزيزة، لقد أرسلْتِ اليّ ابنتَكِ اللطيفة ماري، التي قدّمت أمنياتها بعيدي باسم كلِّ الذين أحبّهم.

فسُررت كثيراً بالمزهريَّتين الجميلتين اللّتين قدَمَتْهما أختاي الصغيرتان العزيزتان جانّ وماري؛ فقد وُضعتا بالقرب من الطفل يسوع، وهما في كل ساعة من النهار تطلبان لأُختَيَّ من النِعم والبركات بمقدار ما تحوي كل خَلَنْجة [1] من زهيرات...

وأخيراً، يا امرأة خالي العزيزة، لقد جاءت حَلوَاكِ اللذيذة لتتوّج العيد، وتملأ قلب صغيرتك تريز بالعرفان لك، أنت من تُقَدِّم لي كلَّ هذه الهدايا.

ويزداد تأثري، يا امرأة خالي العزيزة، لعلمي أنك مريضةٌ جدًّا، وبالرغم من ذلك، فما زلتِ تفكرين في صغيرتك تريز. لكن إن كنتِ تفكرين فيها، فهي أيضاً تفكر فيك غالباً ولا تنقطع عن التضرّع إلى الله كي يعوّضَ عليك مائة ضعف كلَّ ما فعلته لأجلنا. أصلّي كثيراً أيضاً لأجل صغيرتي العزيزة جانّ، كي يسعدها الله بقدر ما تتيسّر السعادة على الأرض. وأطلبُ إليه أيضاً أن يعزّيكِ عن الفراغ الكبير الذي خلّفه، ولا شك، رحيل تلك الأخت العزيزة [2]؛ كذلك، لا أنسى خالي العزيز، وأرجوك أن تعانقيه بشدة نيابةً عنّي.

---

(١) زهر بنفسجي يعيش خاصةً في الأرض الرملية.

(٢) سكنت جان غيران منذ زواجها مع الدكتور لانييل La Néele، في ١ تشرين الأول/ اكتوبر، في مدينة كان Caen، على بعد خمسين كيلومتراً من ليزيو...

أتركك، يا امرأة خالي العزيزة، أو بالأحرى، أترك الريشة التي لا تحسن أبداً تأدية المهمة التي يَعهد بها قلبي إليها، فهو لا يبتعد لحظةً عنك.

ابنتك الصغيرة
الأخت تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٢٤ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

٢٠ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩٠

يسوع +

عزيزتي سيلين،

ها هي تريز تهنّئك بعيدك!.. كانت تفكّر في ذلك منذ وقت طويل؛ ولذلك، فلن تكون هذه السنة آخر المهنئين. يا سيلين، هذه المرّة قد تكون الأخيرة التي سيُحتفل فيها بعيدك على الأرض[١]. ... ربّما!... يا له أملاً عذباً... في السنة المقبلة، قد تأخذ سيلين، الزهرةُ الصغيرةُ، المجهولةُ في الأرض، مكانَها على قلب الحمل الإلهي؛ لكن عيون الملائكة المفتونة ستتأمل، عندئذٍ، بدلاً من زهرة صغيرة مسكينة لا جمال لها، زنبقةً ناصعةَ البياض!.. إنَّ الحياة، يا سيلين، تكتنفها اسرارٌ كثيرة؛ فنحن لا نعرف شيئاً... ولا نرى شيئاً... ومع ذلك فقد كشف يسوع لنفسَيْنا ما لم تره عين الإنسان! (**١ قورنتس** ٢/٩)... نعم، إنَّ قلبنا يستشعر مسبقاً بما لا يستطيع القلب أن يفهمه، إذ تنقصنا الافكار احياناً لكي نعبّر عن شيءٍ ما نحسّه في نفسنا!...

أُرسِلُ اليكِ، يا سيلين، سيلنتين[٢] بمناسبة عيدك، وسوف تفهمين لغتهما... ساقٌ واحدة تحملُهما؛ وذاتُ الشمس جعلتهما تكبران معاً؛ وشعاعٌ واحد فتّحهما؛ وسيشهد اليومُ عينه موتَهما من دون شك!..

---

(١) تعاني سيلين من إضطرابات قلبية. راجع الرسالة ١٠٤.

(٢) الهدية زهرتان من نوع النجمة، Aster commun، تحملهما ساق واحدة، (**رسالة** ٩٨)؛ ولا تزالان معلّقتين بدبوس في رأس **المخطوط** على كلمة **يسوع**.

عيون المخلوقات لا تأبه لزهرة سيلين الصغيرة؛ ومع ذلك، فإنَّ تُويجَها مليءٌ بالاسرار؛ إنها تحملُ في قلبها عدداً كبيراً من الأزهار الأخرى، هي بدون شك بناتُ نفسها (أي النفوس). ومن جهة أخرى، يبدو كأسُها الأبيض قرمزياً في الداخل، كأنّه مخضّبٌ بدمها!...

سيلين! قد تسقط الشمس ويسقط المطر على هذه الزهرة الصغيرة المجهولة بدون أن يذوياها ولا أحد يفكّر في قطفها!... أفليست بتولاً أيضاً؟... نعم، لأنَّ يسوع وحده رآها، وهو الذي خلقها له وحده!... آه! فهي، إذاً، أسعدُ من الوردة النضرة التي ليست ليسوع وحده!...

يمكن الظنّ، يا سيلين، أني أهنّئكِ بعيدك، بطريقة غير مألوفة. لكنك ستفهمين كلام تريزك المشوّش!...

ويبدو لي، يا سيلين، أنَّ الله لا يحتاجُ الى سنواتٍ لينجز عمل محبّته في نفسٍ ما؛ بل إنَّ شعاعاً من قلبه يستطيع في لحظة[٣] أن يُفتِّحَ زهرته للأبد!..

عزيزتك تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس،
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٢٥ إلى السيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

الكرمل
١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩٠

يسوع +

إمرأة خالي العزيزة،

بأيّة غبطة أهنّئك بعيدك!.. كنت أفكر في هذا اليوم الجميل منذ زمن طويل؛ ويفرّحني الاقتراب من امرأة خالي العزيزة لأقول لها كم تحبُّها ابنتها الصغرى والاخيرة.

(٣) راجع الرسالة ١١٤؛ الصلاة ٦؛ الرسالة ٢٢٤.

إنَّها تريد فعلاً أن تكون الأخيرة والصغرى في كل شيء، ولكنها لن تدعَ ابداً من يكبُرنَها سنّاً يتجاوزنها محبَّةً وحناناً... ومن جهة أخرى، أليس من حق الأصغر أن يُحَبَّ أكثر من الآخرين؟...

كم من ذكرياتٍ لي في تاريخ التاسع عشر هذا! كنت أفرح به مسبقاً منذ فترة طويلة، لأنَّ هذا اليوم كان، أولاً، عيدَ امرأة خالي العزيزة، ثم بسبب الهدايا الجميلة التي كانت تغمرني بها في ذلك اليوم. اما الآن، فالوقت قد مضى، والعصافير الصغيرة قد كبرت وبسطت أجنحتها، وطارت من عشِّ طفولتها الكثير الهناء. لكن، يا امرأة خالي الحبيبة، بينما كان يكبر قلبُ ابنتك الصغيرة، كانت تكبر فيه ايضاً محبَّتُها لكِ؛ وقد فَهِمَ، الآن، خاصةً، كلَّ ما يدين لك به... ولأجل تسديد ديني، لا أجد إلَّا وسيلةً واحدة: فبما أنّني فقيرةٌ جداً، وعريسي ملكٌ قادرٌ ووافر الثروة، فأنا أكلّفه بأن يسكب بغزارة كنوز محبَّته على امرأة خالي العزيزة وأن يعوّض عليها، بهذا الشكل، كلَّ عواطف الأمومة التي عرفت كيف تحيط طفولتي بها.

لن أقول لكِ وداعاً، يا امرأة خالي العزيزة، لأنّني أنوي فعلاً البقاء بقربك طوال النهار، وآملُ أنَّك ستذكرين قلب ابنتك الصغيرة.

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٢٦ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

٣ نيسان/ابريل ١٨٩١

يسوع +

عزيزتي سيلين،

لقد رأينا مارغريت م.[١]، بعد ظهر اليوم، وليس لديَّ وقت لأكلِّمك بالتفصيل على

(١) مارغريت - ماري موديلوند Marguerite - Marie MAUDELONDE، ابنة أخت السيّدة غيران، متزوّجة من رينه توستان René Tostain، وهو قاضٍ ملحد. وهذا ما يفسّر الخطر على إيمانها.

هذه الزيارة؛ لكنّني لا أستطيع التعبير لك عن مدى الارتياح الذي حقّقَتْه لنفسي... آه! يا سيلين، كم نحن سعيدات، بأن يكون عريسُ العذارى قد اختارنا!... لقد باحت لنا مارغريت بأسرارٍ حميمة لا تبوحُ بها لأحد، ولا بدَّ من الصلاة لاجلها كثيراً، لأنّها مُعرضةً [للخطر] فعلاً.. وهي تقول بأن لا كتاب يريحها؛ ففكّرت في أنَّ **أسرار الحياة العتيدة**(٢) ستعود عليها بالخير وتُثبِّت إيمانَها المعرّض، ويا للأسف، لخطر شديد!.. لقد قالت لنا إنَّ في استطاعتها قراءة كتبٍ بدون أن يعرف زوجُها بذلك.

عليكِ أن تعطيها هذا الكتاب قائلةً لها إنّنا فكرنا في أن الكتاب قد يهمّها، لكن عليها أن تبدأَ به فقط من الفصل الثالث حيث توجد صورةٌ صغيرة؛ فالفصول الثلاثة الأولى لن تعود عليها بفائدة. وأعتقد أنّه من الأفضل ان تتظاهري بجهلك هذا الكتاب، وأن تقومي بالمهمّة بكلّ بساطة، لأنّها ستكون منزعجة اذا علمت أنّنا تفوّهنا بكلمة واحدة من أسرارها. نفضّل ألّا تعرف السيّدة موديلوند وامرأة خالي أنّنا أعَرْنا هذا الكتاب لمارغريت. وأخيراً، إفعلي ما هو أفضل، وقولي لها إنّها تستطيع الاحتفاظ به بقدر ما تشاء... واذا لم تتمكني من اعطائها إيّاه خفيةً، فربّما كان من الأفضل ألّا تأتي بأيّة حركة، وأخيراً حاولي، على الأقل، أن تكلّميها عليه. اما بالنسبة إليّ، فإنَّ لديّ رغبة (شديدة)في أن تقرأ كتاباً تجد فيه، بكلّ تأكيد، الجواب على شكوك كثيرة!... أعتقد أنَّ هذا سيكون عملاً مستحبّاً جدًّا عند الله. لقد أوحى إليّ بهذه الفكرة؛ لكنكِ تعرفين أنَّ تريز لا تستطيع شيئاً بدون سيلين؛ فلا بدَّ من الاثنتين للقيام بعمل كامل؛ لذا فعلى سيلين أن تُتمّ ما بدأته تريز!... ليتك تعلمين، يا سيلين، كم أحبّك وما أطهرَ حبّي لكِ!..

عزيزتي سيلين، إنَّ صغيرتك تريز تبقى دائماً معك، لأنك في قلبها، بل أنتِ نصفُ قلبها...

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(٢) كتاب أرمانجون Arminjon.

الرسالة ١٢٧ إلى سيلين

ي.م.ي.ت

في الكرمل،
٢٦ نيسان/ابريل ١٨٩١

يسوع +

عزيزتي سيلين،

إنّها المرة الرابعة التي تهنئك فيها عزيزتك تريز، بعيد مولدك من قلب خلوة الكرمل... ما اقل ما تشبه هذه الأمنيات أمنيات العالم!... ليست الصحة ولا الغبطة ولا الثروة ولا المجد أبداً، إلخ... ما تتمنّاه تريز لسيلين. آه لا! ليس هذا كلّه!... إنَّ أفكارنا الخاصة بنا ليست من أرض المنفى، بل قلبنا يكون حيث يكون كنزنا (**متى** ٦/ ٢١)؛ وكنزنا هو في السماء، في الوطن الأبدي حيث يعدّ لنا يسوع مقاماً إلى جانبه. أقول مقاماً (**يوحنا** ١٤/٢-٣) وليس مقامات، لأنَّ العرش عينه، محفوظٌ، بدون شك، للّتين لم تكوّنا قط على الأرض إلَّا نفساً واحدة... معاً كبُرنا، ومعاً كشفَ لنا يسوع أسراره، تلك الأسرار السامية التي أخفاها عن القادرين وكشفها للصغار (**لوقا** ١٠/ ٢١)، ومعاً أيضاً تألمنا في روما، وكان قلبانا، عندئذٍ، متّحدين اتحاداً وثيقاً. ولو لم يأتِ يسوع ليزيد روابطنا توطّداً، لكانت الحياة على الأرض مثال السعادة. نعم، فعندما فَصَلَنا عن بعضنا وحّدَنا بشكل لم تعرفه نفسي حتى ذلك الحين. فأنا منذ تلك اللحظة، لا أستطيع أن أشتهي شيئاً لي وحدي، إنما لنا نحن الاثنتين فقط... آه! يا سيلين!... منذ ثلاث سنوات، لم تكن نفسانا قد تحطّمتا بعد، وكان لم يزل بوسعنا ان نسعَد على الأرض؛ لكن يسوع رَمَقنا بنظرة حبّ، نِظرةٍ مغشّاةٍ بالدموع؛ وهذه النظرة أصبحت بالنسبة الينا محيط آلام؛ لكنها أصبحت، أيضاً، محيط نِعَم وحبّ. لقد أخذ منّا من كنّا نحبّه محبةً شديدة، وبطريقة أشدَّ إيلاماً من اختطافه والدتنا في ربيع حياتنا؛ ولكن ألم يفعل ذلك حتى نستطيع القول حقّاً: **أبانا الذي في السماوات** (**متى** ٦/ ٩)؟ آه! كم يعزّي هذا الكلام! ويا للأفق الامتناهي الذي يكشفه لأعيننا!... يا سيلين، إنَّ الأرض الغريبة لا تُنبت لنا إلَّا شوكاً وحسكاً (**تكوين** ٣/ ١٨). لكن أليس هذا هو النصيب الذي خصّت [الأرضُ] به عريسَنا الإلهي؟ آه! لِكم هو جميل، بالنسبة الينا، أيضاً، نصيبنا هذا!! ومن سيقول لنا ما تحفظه

لنا الأبدية؟ سيلين، يا حبيبتي، أنت التي كانت تطرح عليَّ أسئلةً كثيرة عندما كنّا صغيرتين، أسأل نفسي كيف حدث أنّك لم تسألي هذا السؤال قط: «لكن لماذا لم يخلقني الرب ملاكاً؟». آه! يا سيلين، سأقول لكِ ما أفكّر فيه: إن لم يخلُقْكِ يسوع ملاكاً في السماء، فلأنّه أراد أن تكوني ملاكاً في الأرض. نعم، إنَّ يسوع يريد أن يكون له بلاطه السماوي في الأرض كما في السماء! إنّه يريد ملائكةً شهداء، ويريد ملائكةً رسلاً؛ وقد خلق بهذا القصد زهرة صغيرةً مجهولة اسمها سيلين. إنّه يريد أن تخلّص له زهرتُه الصغيرة نفوساً، ولا يريد لأجل هذا إلّا شيئاً واحداً، هو أن تنظر إليه زهرتُه الصغيرة وهي تكابد الاستشهاد... فهذه النظرة الغامضة، المتبادَلة بين يسوع وزهرته الصغيرة، هي التي ستَصْنَع العجائب وتعطي يسوعَ أزهاراً أخرى كثيرة، (خاصةً إحدى الزنابق الذابلة والذاوية [1]، التي يجب تحويلها الى وردة حبٍّ وتوبة!)...

سيلين، يا عزيزتي، لا تحقدي عليَّ إذا قلت لكِ إننا في السماء سنحصل على المقام ذاته، لأنّني، كما تَرين، أتصوَّر أنَّ زهرة اللؤلؤ (او زهرة الربيع) الصغيرة المسكينة تنمو في الأرض عينها التي تنمو فيها زنبقة جميلة ناصعة البياض؛ أو أنَّ لؤلؤةً صغيرة قد تُرَصَّعُ إلى جانب الماسة، وتستعير منها بريقها!..

آه! يا سيلين، لنحبَّ يسوع، حبّاً لا متناهياً، ولْنجعل من قلبينا قلباً واحداً لِيَكبُرَ في المحبة!...

لا يمكن ان ينتهي حديثي اليك، ابداً، يا سيلين؛ فافهمي كلَّ ما أريد قوله لك بمناسبة سنواتك الاثنتين والعشرين!...

أختك الصغرى المتّحدة بكِ... (اتعرفين أن عمرينا معاً يبلغان أربعين عاماً الآن، فليس غريباً اننا قد خبرنا اشياء كثيرة، فما رأيك في ذلك؟)

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
المبتدئة الكرملية غير المستحقة [2]

---

(١) المقصود هو الأب هياسانت لوازون (Hyacinthe Loyson) راجع قصة **حياة تريز مرتان** ص ١٦٣.
(٢) كلمة «مبتدئة» أتت سهواً بدلاً من «راهبة».

الرسالة ١٢٨ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس[١]

٥ تموز/يوليو ١٨٩١

تذكار[٢] أهديه الى أختي العزيزة يوم عيد الدم الثمين بمناسبة خروجها من مرحلة الإبتداء.

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس.
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٢٩ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

٨ تموز/يوليو ١٨٩١

يسوع +

عزيزتي سيلين

لقد كشفت رسالتك الصغيرة لنفسي أشياء كثيرة جداً، فكانت بالنسبة اليّ صدىً يردّد جميع أفكاري بأمانة...

إنَّ أمّنا [١] العزيزة لا تزال مريضةً جداً، وإنّه لمحزن فعلاً أن نرى مَنْ نحبّ يتألمون هكذا. ومع ذلك، لا تحزني كثيراً، فَمَع رغبة يسوع الشديدة في أن ينعَمَ بحضور أمّنا الحبيبة في السماء، لا يمكنه ان يرفضَ إطالةَ بقائها على الارض، وهي التي تعرفُ يدُها الوالدية تمام المعرفة أن تقودَنا وتعزّينا في منفى الحياة... آه! يا له من منفى، منفى هذه الأرض، خاصة ساعة يبدو اننا نفقد كلَّ شيء!... ففي ذلك الحين، تظهر قيمةُ المنفى، وعندها تسطعُ أيام الخلاص (٢ **قورنتس** ٦/٢). نعم، يا عزيزتي سيلين، الألم وحده يستطيع أن يخلق نفوساً ليسوع... فهل من دَهَشٍ في أن يكون لنا ألم بهذا المقدار، نحن

---

(١) بعد ابراز النذور،تركت ماري قسم الابتداء وقد أمضت فيه مع تريز اكثر من ثلاث سنوات.
(٢) اهداء على قفا صورة.

<u>الرسالة ١٢٩</u>

(١) الام الرئيسة ماري دي غزنزاغ.

اللتان لا ترغبان الا في انقاذ نفس تبدو هالكةً للأبد[٢]!... إنَّ التفاصيل اثارت اهتمامي كثيراً، فجعلت قلبي يخفق بشدّة... وانا بدوري سأعطيك تفاصيل أخرى ليست اكثر تعزية. لقد ذهب الضال التعيس إلى كوتانس[٣] حيث ردّد محاضراته في كان من جديد. وقد عقد النية، كما يبدو، على أن يجوب فرنسا على هذا النحو... سيلين... اضيفي الى ذلك أنَّ من السهل رؤيةَ عذابِ الضمير الذي يؤنّبه؛ فهو يطوف الكنائس حاملاً صليباً كبيراً ويبدو انه يقضي أوقاتاً طويلة في السجود. إنَّ امرأته تتبعه في كل مكان. سيلين، يا عزيزتي، إنّ ذنبه لجسيم جدّاً، وقد يكون اكبر ذنباً ممّا لم يكنه خاطئٌ قبل هدايته. ولكن، ألا يستطيع يسوع أن يفعل مرّة واحدة ما لم يفعله بعدُ قط؟ وإن لم يرغب في ذلك، فهل وضع في قلب عروستيه الصغيرتين المسكينتين رغبةً لن يحقّقها؟... لا، فمن المؤكد أنّه يرغب أكثر منّا في أن يعيد إلى الحظيرة، هذا الخروفَ المسكين الضال (**لوقا** ١٥/٤،٧) وسيأتي يومٌ يفتحُ له فيه عينيه، وعندئذٍ، مَنّ يدري إن كان لن يجوبَ فرنسا لهدفٍ مختلفٍ تماماً عن الهدف الذي يقصده الآن! علينا ألّا نكلَّ من الصلاة، فالثقة تصنع عجائب؛ وقد قال يسوع للطوباوية مارغريت - ماري: «إنَّ للنفس البارّة تأثيراً شديداً على قلبي بحيث إنَّها تستطيع نيل المغفرة منه لألف مجرم»[٤]. لا أحد يعلم إن كان بارّاً أم خاطئاً؛ (**جامعة** ٩/١) لكنّ يسوع، يا سيلين، أنعمَ علينا بالشعور في صميم قلبنا بأنّنا نفضّل الموت على أن نهينه. ومن جهة أخرى، هذا ليس من استحقاقاتنا بل من استحقاقات عريسنا، وهي إرث لنا، نقدّمها لأبينا الذي في السموات، لكي يعود اخونا، ابن العذراء القديسة، ويلقي بنفسه مهزوماً، تحت رداء أرحم الأمهات...

عزيزتي سيلين، أنا مضطرة الى أن اختمَ كلامي؛ فاحزري الباقي، وقد بقيت مجلّدات لتحزريها!...

عانقي الجميع عنّي، وأنا افكر في كلِّ ما تريدين قوله لهم عن لساني!...

تريز الطفل يسوع والوجه الأقّدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(٢) هو الأب ياسنت لوازون Hyacinthe Loyson راجع **الرسالة** ١٢٩.

(٣) Coutances

(٤) **حياة وأعمال** الطوباوية مارغريت ماري ألاكوك Alacoque ، المجلد ١، ص ١٥٩.

الرسالة ١٣٠ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

في الكرمل،
٢٣ تموز/يوليو ١٨٩١

يسوع +

عزيزتي سيلين

ها أنا من جديد مكلّفة بأن أجيبك.. لقد تأثرت الأم جنفياف شديد التأثر برسالتك، وقد صلّت كثيراً لأجل صغيرتها سيلين؛ يا لها نعمةً أن تصلّي لأجلك وتُحبَّك قدّيسةٌ مثلها!...

أمسِ، كان العيدُ(١) فاتناً ذُقنا فيه، حقاً، طعم السماء مسبقاً... وسررنا كثيراً بجميع الهدايا كالسمكة والكرز والحلويات. فاشكري امرأة خالي كثيراً وبلّغيها كلَّ ما تريدين من ألطف التعابير...

عزيزتي سيلين، إنَّ رسالتيك أسَّرتا الى نفسي الكثيرَ، وجعلتاني أذرف الدموع...

لقد أضحكني المحامي(٢) كثيراً، ولا بدَّ من الاعتراف بأنَّه لم يخجل من أن يطلبَ خطّيبةَ ملكِ السماء؛ فلا شكّ في أن المسكين لم يرَ، «العلامة التي وضعها العريس على جبينك(٣)»، وهي علامة خفيّة يراها يسوع وحده، وكذلك الملائكة الذين يشكّلون بلاطه الملكي... فلماذا، يا سيلين، هذا الامتياز الفائق؟ لماذا؟.. آه! يا لها نعمةً أن أكونَ بتولاً وعروسةَ يسوع! لا بدَّ من أن يكون هذا جميلاً، وسامياً للغاية! فإنَّ أطهر جميع المخلوقات واذكاها قد فضّلت البقاء بتولاً على أن تصبح أمَّ إله... تلك هي النعمة التي يمنحنا إياها يسوع. إنَّه يريد أن نكون عرائسه، بل ويعدنا بأن نكون أمَّه وأخواته، لأنّه قال ذلك في إنجيله: **إنَّ مَنْ يعمل بمشيئة أبي، هو أمي وإخوتي وأخواتي (متى ١٢/ ٥٠)**. من يحبّ يسوع فهو كلّ عائلته؛ إنّه يجد فيه سماءه؛ بل إنّه يجد في هذا القلب الفريد **الذي لا مثيل له**، كلَّ ما يرغب فيه.

(١) ذكرى مرور ستين عاماً على نذر الأم جنفياف الرهباني.
(٢) هنري موديلوند Henry Maudelonde.
(٣) اقتباس من ليترجيا القديسة أنييس، راجع **قصائد جديدة** ٢٦، ٧.

سيلين، عزيزتي، لنبقَ دائماً زنابق يسوع؛ والنعمة التي أطلبها منه هي أن ينتزع الزنابق من هذا العالم قبل أن يفصل هواء الأرض المؤذي ذرّةً واحدة من غبار أسديتها[٤]، وهو غبارٌ قد يُسبِّب بعض الاصفرار في بياض الزنبق ونصاعته. فينبغي ان يجد يسوع في زنابقه كلَّ ما يتوق الى أن يجد فيها، اي النقاء الذي لا يبحث إلَّا عن يسوع، ولا يرتاح إلَّا فيه...

وللأسف، لا شيء أسهلُ تكديراً من الزنابق...فأؤكّد: إذا قال يسوع للمجدلية، إنَّ ذاك الذي أعفاه من الأكثر كان أكثر حبّاً، (**لوقا** ٧/٤٢،٤٣)، فالقول يصحّ بحُجَّة أقوى عندما يكون يسوع قد غفر الخطايا مسبقاً!... أتفهمين، يا سيلين؟.. ومن جهة أخرى، ماذا تخشى النفسُ حينما تكون دموعُ يسوع ابتسامتَها؟ أعتقد أنَّ هذه اللآلئ الخفيّة تملك قدرةً تبيِّضُ الزنابق، وتحفظ لها نصاعتها...

عزيزتي سيلين، **إن صورة هذا العالم الى زوال** (١ **قورنتس** ٧/ ٣١)، **والظلال تنحسر** (**نشيد الأناشيد** ٤/ ٦)، وقريباً سنبلغ مسقط راسنا، وقريباً تعاد إلينا للأبد أفراحُ طفولتنا وسهراتُ الأحد ومحادثاتنا الحميمة ...، كلّ ذلك سيُعاد إلينا للأبد، مع الفوائد، وسيُعيد الينا يسوع الأفراح التي حَرَمْنَا إياها لِلَحظة!.... عندئذٍ، سنرى أمواج النور تخرج من رأس والدنا العزيز، وتشرق كلُّ شعرة من شعره الأبيض كشمسٍ تغمرنا بالفرح والغبطة!... الحياة إذاً حلمٌ[٥]!... تخيّلي أنّنا، بهذا الحلم، نستطيع إنقاذَ النفوس!.. آه! يا سيلين، لا ننسينَّ النفوس بل لننسَ أنفسنا في سبيلها، فسيقول يسوع يوماً وهو ينظر إلينا: **ما أجمل جيلَ النفوس العذارى العفيفات!**[٦] (**حكمة** ٤/ ١).

أُعانق بشدة صغيرتي ماري، وليوني والجميع؛ امّا أنتِ يا سيلين، فتعلمين أين مقامك في قلبي!...

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(٤) جمع سداة او إبرة العضو الذكرى في كأس الزهرة...
(٥) القديسة تريز الأڤيلية، **النجاوى**، ١٣.
(٦) نص من **ليترجيا البتولات.**

الرسالة ١٣١ إلى السيّدة لا نييل (جانّ غيران)

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، ١٧ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩١

يسوع +

عزيزتي الصغيرة جانّ،

لا أدري كيف أشكرك على التفاتتكِ اللطيفة. لقد تركت فيّ شديد الأثر لرؤيتي إسم فرانسيس يرافق إسم جانّ في معايدتي، فلذلك ارسل شكري الى كليكما.

وأعهدُ بوفاء دَيني إلى عريسي الإلهي؛ وبما انّني فقيرةٌ بسببه، فمن العدلِ حقاً ألّا يرفض ما ألتمسه منه لأجل مَنْ أحبُّهم.

أؤكد لكِ، يا عزيزتي جانّ، أنّه إذا كنتِ لا تنسين صغرى أخواتك، فهي أيضاً تفكّر فيك غالباً؛ وتعرفين أنه بالنسبة الى الكرمليّة، أن تتذكّر وأن تحبهما يعني أن تصلي. لا شك في إنَّ صلواتي الوضيعة ليس لها قيمة كبيرة؛ لكنّي آمل أنَّ يستجيب لها يسوع؛ وبدلاً من أن ينظر الى من ترفع الصلوات اليه، سيحطّ انظاره على الذين تصلّي لأجلهم، فيضطرّ الى تلبية جميع طلباتي. وإنّي لآمل أنَّ يرسل الربّ قريباً طفلاً هو إيزيدور وان يكون كاملاً كمالَ أبيه، أو طفلةً، هي جانّ، مشابهة لأمها تماماً... وأطلب أيضاً أن تكون الصيدلية قد بيعت أخيراً [١]، وأتمنى ألّا ينقص شيء من كمال سعادة أختي العزيزة، وسعادة ابن الخال الطيّب. لكن لا بدّ من غيمة صغيرة في الأرض إذ لا تمضي الحياة بدونها، ولا يكون الفرحُ كاملاً الّا في السماء؛ لكنّي أرغب في أن يُبعد الله، عمّن احبُّهم، بقدر الامكان، ما لا بدّ له من آلام في الحياة؛ واواجه بنفسي، إن اقتضى الامر، ما أعدّ لهم من محن.

لقد كلّفتني الأخت ماري للقلب الأقدس بأن أشكرك كثيراً على بالغ لطفك في كلِّ ما أرسلته اليها لأجل الجعبة [٢]، لا سيّما وأنَّ أمنا كانت سعيدة بأن تهديَ إليكِ هذا العملَ

---

(١) صيدلية الطبيب لا نييل La Néele في كان Caen.

(٢) كيس مُوَشّى، قدر راحة اليد، وهو للزينة اكثر مما للاستعمال (ش.ر).

الصغير. ولم يبقَ لي من مكان الّا لأكرّر فيه لكِ شكري وشكر أخواتي، ولأؤكّد لكِ، وكذلك لإبن خالنا العزيز، محبّة من هي الأخيرة بين أخواتك دون ان تكون الصغرى في ما تكنّه نحوكِ من عواطف رقيقة.

الأخت تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٣٢ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

في الكرمل،
٢٠ تشرين الأول/أكتوبر ١٨٩١

يسوع +

عزيزتي سيلين

ها هي المرّة الرابعة التي أهنئك فيها بعيدك منذ وجودي في الكرمل...

يبدو لي أنَّ هذه السنوات الأربع قد شدّت الأواصر التي كانت توحّدنا بوثاق أشدّ. وكلّما تقدّمنا في الحياة، ازداد حبّنا ليسوع. وبما اننا نحبّ بعضنا بعضاً فيه، فقد صارت مودَّتنا قويةً بحيث ان ما بين نفسينا لوَحدةٌ اكثر مما هو اتحاد!... سيلين، ماذا عليّ أن أقول لكِ؟ ألا تعرفين كلَّ شيء؟... نعم، ولكني أريد أن أقول لك لماذا أزهرت السلينيات باكراً هذه السنة. لقد جعلني يسوع أشعر بذلك بمناسبة عيدك. ولقد لاحظْتِ، ولا شك، أنَّ الشتاء لم يكن قطّ قاسياً قسوةَ السنة الماضية، فلذلك تفتَّحت جميعُ الأزهار متأخرة؛ وكان الأمر طبيعياً تماماً حتى انه لم يخطر ببال أحد أن يندهش من ذلك. لكن يسوع قد اختصّ نفسه بزهرة صغيرة سرّية لكي يُعلّم نفوسنا. وهذه الزهرة هي الزهرة سيلين... فقد تفتَّحت خلافاً للأخريات، قبل شهر من موعد إزهارها... أتفهمين، يا سيلين، لغة زهيرتي العزيزة... زهرة طفولتي... زهرة الذكريات؟!!!... فبدلاً من أن يؤخِّرها الصقيع وقساوة الشتاء، فقد جعلاها تنمو وتُزهر... لا ينتبه احدٌ لهذه الزهرة، فهي على قلّة نضارتها، صغيرةٌ جدّاً... النحل وحده يعرف ما تحوي من كنوزٍ كأسُها

السرّيَّة المكوَّنة من كؤوس صغيرة عديدة متساوية في الثراء... وتريز، مثل النحل، قد فهمت هذا السر. فالشتاء يعني الألم، وهو ألمٌ لا يفهمه الناس ولا يقدِّرونه حقّ قدره، وتعتبره العيون الدنيوية عديمَ النفع، لكنّه خصبٌ وقويّ في أنظار يسوع والملائكة؛ فهي تعرف، كالنحل اليَقِظ، كيف تقطف العسل الكامن في الكؤوس السرية العديدة التي تمثّل النفوس، أو قلْ أولادَ الزهرة الصغيرة البتول....

ولا بدَّ لي، يا سيلين، من مجلَّدات لكي أكتب كلَّ ما يبدو لي في زهيرتي... فهي، بالنسبة إليّ، صورةٌ عن نفسك مطابقة كلَّ التطابق. نعم، إنَّ يسوع قد مرّر الصقيع عليها، بدلاً من شمس تعزيته الدافئة، فحصلت النتيجة التي كان ينتظرها: فالنبتة الصغيرة قد كبُرت وأزهرت فجأة، تقريباً.... وعندما تتفتَّح زهرةٌ، يا سيلين، لا يبقى إلَّا قطفها؛ لكن متى وكيف سيقطف يسوع زهرته الصغيرة؟... ألا يشير ربّما لونُ تويجها المتورّد الى أنَّ قطفها سيكون بالاستشهاد؟... نعم! أشعر برغباتي تتجدّد[1]؛ فبعد ان طلبَ يسوع الينا، كما يُقال، حباً لقاء حبٍّ، فقد يريد أن يطلبَ، بعدُ، دماً لقاء دم، وحياةً لقاء حياة... وبانتظار ذلك، لا بدَّ من أن نترك النحل يغرف عسل الكؤوس الصغيرة كلّه، وألَّا نحتفظ بشيء، بل أن نعطيَ كلَّ شيء ليسوع. ثم نقول، بعد ذلك، في مساء حياتنا، كما تقول الزهرة: ها هوذا المساء[2]». عندئذٍ ستكون النهاية... وستعقب الصقيعَ أشعةُ الشمس العذبة، وتأتي، بعد دموع يسوع، الابتساماتُ الأبدية...

آه! لا نرفضنَّ البكاء معه ليومٍ واحد، بما أنّنا سنتمتّع بمجده طوال الابدية!...

يا زهيرتي الصغيرة العزيزة، أتفهمين تريزَكِ!...

---

(١) راجع **الصلاة** ٢، الملاحظة ٥.

(٢) اقتباس من قصيدة لسيلين: **الندى**.

الرسالة ١٣٣ إلى السيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

في الكرمل،
١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩١

يسوع +

إمرأة خالي العزيزة

إنّه يطيب كثيراً لابنتك الصغيرة وشقيقاتها الكبريات ان يُهنِّئْنَكِ بعيدك.

ويسعدني أن أرى كلَّ سنة، عودة تاريخ التاسع عشر من تشرين الثاني/نوفمبر، فهو يعجّ بالذكريات الحلوة، ويعمرُ بآمال المستقبل...

كلّما تقدمْتُ في الحياة، ادركتُ مدى عذوبة عيد الأم. للأسف! منذ طفولتي، بدا لي ان الربَّ سلبني للأبد فرحاً لم أكن قد اختبرته من قبلُ، ولكن مَنْ لم تكن تستطيع أن تغدقَ عليّ مداعباتِها، أوحت، من أعلى السماء، الى قلبٍ والديّ، عزيزٍ جدًّا عليها، أن يهبَ حنان أمٍّ لابنتها الصغيرة المسكينة. ومنذ ذلك الحين، استطاعت، هي أيضاً، أن تشعر بالأفراح العذبة التي نتذوَّقها بمعايدة أمٍّ حبيبة!...

يا امرأة خالي العزيزة، إن صغيرتك تريز، منذ وجودها على جبل الكرمل، تشعر، بصورة فضلى، اذا أمكن، بالعاطفة التي تكنّها لكِ؛ فمودَّتها لأهلها الاعزاء تكبر بقدر ما تتعلّم ان تحبَّ يسوع.

يا امرأة خالي العزيزة، ان الهدية الصغيرة [1] التي فرَّحَ أمّنا الطيِّبة ان تطلب صُنْعَها من اجل عيدك، ستعبِّرُ لك افضل منّي، عما أعجز عن قوله لكِ. ويفيض قلبي تأثّراً لرؤيتي هذه الشعرات الوضيعة؛ فلا قيمة أخرى لها غير شغلها الدقيق وتنسيقها، لكنّها كان محبوبةً مع ذلك، الى الذي خطفه الرّب من بيننا [2].... أتفهمين، يا امرأة خالي العزيزة؟ فيسعدني ان ارى هذه الشعرات تقدَّم الى من هي أعزُّ الناس لديَّ في هذه الحياة، بعد هذا الوالد العزيز؛ فلو قدِّمت له لسُرَّ بها كثيراً.

---

(١) إطار يتضمن خُصَلاً من شعر تريز الذي تمَّ قصه بعد لبسها الثوب الرهباني.
(٢) كان السيّد مرتان فخوراً بشعر «خنفسائه الشقراء».

يا امرأة خالي العزيزة، قلّما تشبه هذه الرسالة رسالة عيد حيث لا يجوز أن نتحدّث عن الفرح والسعادة. ولكنني، لا أعرف أن أخاطب إلا من القلب، فهو وحده يقود ريشتي؛ وإنّي لمتأكدة، كلَّ التأكّد، من أنَّ قلب الأم الذي أتوجه إليه سيعرف كيف يفهمني، ويحزر ما لا أستطيع التعبير عنه..

أنا مضطرة، يا امرأة خالي العزيزة، الى إنهاء رسالتي؛ ولكني قبل ذلك، أريد أن أرسل اليكِ كلَّ قبلاتي، وأرجوكِ إبلاغ بناتك الصغيرات أنني أكلِّفهنَّ اعطاءك إيّاها عنّي، ويقيني من أنهنَّ ستسحرهنَّ هذه المهمّة وسيؤدّينها أحسن أداء...

إنَّ ابنتك الصغيرة ترسل اليكِ أمنياتها من جديد، وترجوك، يا امرأة خالي العزيزة الحبيبة، أن تثقي بكل محبّة قلبها الطفل...

الأخت تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٣٤ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

٢٦ نيسان / ابريل ١٨٩٢

يسوع +

عزيزتي سيلين

يوفّر لي مرج الكرمل، هذه السنة، هديةً رمزيةً أَسعدُ بتقديمها لك بمناسبة عيد ميلادك الثالث والعشرين... فقد بدا لي يوماً أنني رأيت وسط العشب الناعم الذي ابيضَّ كلّه بأزهار اللؤلؤ البريئة، زهرةً فارعة الساق، تفوق سواها جمالاً؛ ولمّا اقتربت منها، دُهشتُ لرؤيتي لؤلؤيّتين متميِّزتين كثيراً بدل لؤلؤيّة واحدة. فهما ساقان موحَّدتان بشدّة جعلتاني أفكّر فوراً في أسرار نفسينا... وفهمت أنَّه اذا كان يرتضي يسوع وفق نظام الطبيعة، بأن يبذر تحت خطواتنا روائع بهذه الروعة، فما ذلك ألَّا لكي يساعدنا على استشفاف اسرارٍ اكثر احتجاباً، واسمى مستوىً يُحدِثُها في النفوس أحياناً.... يا سيلين، أشعر بأنّك قد فهمت تريز، وأنَّ قلبك قد حزر ما يحدث في هذا القلب الآخر الذي اتحد به قلبك اتحاداً

وثيقاً يجعل النسغَ الذي يغذّيهما واحداً!... ومع ذلك أريد أن أحدّثك عن بعض الأسرار المستترة في زهيرتي. فقد خلق يسوع أعداداً من ازهار اللؤلؤ، كي يُمتّع نظرنا ويعلم نفسينا، ويُدهشني أن أرى تويجاتها تستدير في الصباح نحو الشفق، وتنتظر شروق الشمس؛ وحالما يرسل اليها هذا الكوكب المُشع أحد أشعته الدافئة، تفتح الزهيرات الخجولة كؤوسها، وتترك قلوبها الصفراء مكشوفة، فتشكّل أوراقُها الصغيرة والظريفة ما يشبه إكليلاً، يمنح هذه الأزهار فوراً شَبَهاً كبيراً بالذي غَمَرَها بنوره. وفي أثناء النهار كلّه، لا تكفّ اللؤلؤيات عن التحديق الى الشمس، وتدور دورتها حتى المساء؛ ثمّ عندما تغيب الشمس، تُطبق تويجاتِها بسرعةٍ كبيرة، وتتحوّل ثانيةً من زهيرات بيضاء الى لون الورد... إنَّ يسوع هو الشمس الإلهية، وزهرات الربيع هنَّ عرائسه العذارى. وعندما ينظر يسوع إلى نفسٍ، يعطيها فوراً شبهه الإلهي. ولكن، على هذه النفس ألّا تنقطع عن تثبيت نظراتها عليه وحده. لا بدّ لي من كتابة مجلّد، لكي أوضح أسرار أزهار اللؤلؤ؛ لكن سيلين تفهم كلَّ شيء؛ لذلك أريد الآن أن أحدّثها عن نزوات يسوع... لديه في مرجه لؤلؤيات كثيرة، لكنّها متفرّقة، وكلُّ واحدة منهنَّ تستقبل أشعة الشمس على حدة. وفي يوم من الايام، انحنى عريس العذارى نحو الأرض، ووحّد بشدّة برعمين شِبْهَ متفتِّحين؛ فانصهرت ساقاهما في ساقٍ واحدة، وكَبُرتا تحت نظرة واحدة؛ فصارت هاتان الزهرتان زهرةً فريدة، وتفتّحتا معاً. فزهرة اللؤلؤ الثنائية تتمِّمُ الآن رسالتها الوحيدة ألا وهي التحديق الى شمسها الالهية... وأنتِ يا سيلين، وحدك تستطيعين فهم لغتي؛ فحياتنا في نظر المخلوقات، تبدو مختلفةً جدّاً، منفصلةً تماماً، لكنّي أعرف أنَّ يسوع وحّد قلبينا بشكل رائع بحيث إنَّ ما يجعل الواحد يخفق، يجعل الآخر يختلج أيضاً... **فحيث يكون كنزُك يكون قلبك (متى ٦/ ٢١)**. إنَّ كنزنا هو يسوع، وقلبانا لا يشكلان إلّا واحداً فيه. والنظرةُ عينُها، خطفت نفسينا، وهي نظرةٌ تغشاها الدموع، وقد صَمّمت زهرة اللؤلؤ الثنائية على مسحها؛ وسوف يصبح تويجُها المتواضع الأبيض، الكأسَ التي تُجمعُ فيها الماسات الثمينة، لتُسكبَ فيما بعد على أزهار أخرى أقل تميّزاً، لم تركّز على يسوع نظراتِ قلوبها. وفي مساء حياتها، قد تقدِّم زهرةُ اللؤلؤ إلى العريس الإلهي تويجها الذي أصبح وردياً (١).

---

(١) تلميح إلى استشهادٍ ممكن، راجع **الرسالة** ١٣٢.

أستودعك الله، يا عزيزتي سيلين؛ إنَّ الزهرة الصغيرة التي أُرسلُها اليكِ هي ذخيرة، لأنّها أودعَت بين يدي أُمّنا القديسة جنڤياف[٢]، وباركت سيلين وتريز...

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة..

الرسالة ١٣٥ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

١٥ آب/أغسطس ١٨٩٢

يسوع +

عزيزتي سيلين،

لم أستطع ترك الرسالة تذهب[١] دون أن أَضمَّ اليها كلمة صغيرة. لذا أنا مضطرَّةٌ الى اختلاس بعض اللحظات من يسوع، لكنه لا يحقد عليّ لأن كلامنا سيدور عليه، هو، وبدونه لا يجد قلبانا متعةً في أي حديث... إنَّ الاقفار الفسيحة يا سيلين، والآفاق الفاتنة التي تنفتح أمامكِ[٢] ستترك، بدون شك، صدىً عميقاً في نفسك. أنا لا أرى شيئاً من كلِّ هذا، لكنّي أقول مع القديس يوحنا الصليب: «لي في حبيبي الجبالُ، والوديانُ الموحشة الظليلة،...[٣]، إلخ»... وهذا الحبيب يثقِّف نفسي، ويكلّمها في الصمت، وفي الظلمات.... ولقد أتتني مؤخَّراً فكرةٌ أحتاج الى أن أقولها لسيلين. فبينما كنتُ أفكّر، ذات يوم، ما يمكنني فعله لخلاص النفوس، أظهرت آيةٌ من الإنجيل نوراً باهراً. وفيما مضى قال يسوع لتلاميذه وهو يريهم حقول القمح الناضج: **إرفعوا عيونكم وانظروا إلى الحقول، فقد ابيضّت للحصاد** (يوحنا ٤/٣٥). وبعد ذلك بقليل: **الحقيقة أنَّ الحصادَ كثير ولكنّ**

(٢) توفيت الأم جنڤياف في ٥ كانون الأول ١٨٩١. ويعود اكتشاف زهرة اللؤلؤ اذاً إلى ربيع ١٨٩١.

الرسالة ١٣٥

(١) رسالة من الأخت أنييس ليسوع.

(٢) تقضي سيلين عطلةً في لاموس La Musse مع آل غيران.

(٣) النشيد الروحي، ١٤.

العملة قليلون؛ فاسألوا ربَّ الحصاد أن يرسل عَمَلة (متى ٩/٣٧-٣٨). يا للسرّ!... أليس يسوع كلّي القدرة؟ أليست المخلوقات للّذي خلقها؟ فلماذا قال يسوع إذاً: إسألوا ربَّ الحصاد أن يرسل عملةً؟ لماذا؟... آه! ذلك أن يسوع يحبُّنا حبّاً لا يُدرَك حتى إنَّه يريد إشراكنا معه في خلاص النفوس، وهو لا يريد أن يفعل شيئاً بدوننا. إنَّ خالق الكون ينتظر صلاة نفسٍ صغيرة مسكينة لكي يخلِّص النفوس الأخرى المُفتداة مثلها بثمن دمه كلّه. ودعوتنا نحن لا تقوم على الذهاب الى الحصاد في حقول القمح الناضج. فيسوع لم يقل لنا: «إخفضوا عيونكم وانظروا إلى الحقول واذهبوا لحصادها». بل إنَّ رسالتنا هي أكثر سمواً. هاكِ كلمات يسوعنا: **إرفعوا عيونكم وانظروا**. أنظروا كم من اماكن شاغرة في سمائي فعليكم ملؤها؛ أنتم موسى المصلّي على الجبل، فاسألوني عَمَلَةً فأرسلهم (**خروج** ١٧/-١٣)، لا أنتظر إلّا صلاةً، أو نهدةً من قلبكم!..

أليست رسالة الصلاة أسمى من الكلام إن صحّ القول؟ إنَّ رسالتنا، نحن الكرمليات، هي تنشئة عملة إنجيليين يخلّصون بالآلاف نفوساً نكون نحن أمهاتها.... يا سيلين، لو لم تكن هذه الكلمات كلمات يسوع بالذات، فمن تراه يجرؤ على الإيمان بها؟... أجد أنَّ نصيبنا جميلٌ جدّاً، فعَلامَ نحسد الكهنة؟.. كم اودّ لو يمكنني أن اقول لكِ كلَّ ما أفكّر فيه، لكن الوقت ينقضي، فافهمي كلَّ ما لا أستطيع ان أكتبه إليكِ!...

هنّئي عنّا جانّ[٤] بيوم عيدها، بباقةٍ صغيرة، فالنظام لا يسمح لنا بالقيام بذلك؛ ولكن قولي لها إنّنا سنفكّر فيها أكثر من قبل. عانقي الجميع عنّي، وقولي لهم كلَّ ما تستطيعين العثور عليه من ألطف القول. إن وجدتِ زهر الخلنج، منحتِني السرور..

صغيرتك تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(٤) احتُفِلَ بعيد السيدة جان لانييل في الحادي والعشرين من الشهر عينه.

الرسالة ١٣٦ إلى ماري غيران

ي.م.ي.ت.

في الكرمل،
١٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٨٩٢

يسوع +

عزيزتي الصغيرة ماري،

بما أنّك قد كُلِّفتِ بتقديم أمنيات العيد السعيد باسم العائلة كلّها، فأعتقد أنّه لا بدَّ لي من تكليفك أولاً بمهمَّة شكر امرأة خالي العزيزة. أولاً، على رسالتها الصغيرة وعلى كمّية الشوكولا الكبيرة التي أفرحت كثيراً مموِّنتنا العزيزة[1]؛ ثم على القهوة بالقِشدة[2] اللذيذة؛ ثم خاصةً، على الرسالة الصغيرة، العزيزة واللطيفة، من ممرِّضتها التي ستعيد العافية قريباً، ولا شكّ، الى امرأة خالي العزيزة. أرجو أيضاً الطبيب الصغير[3] في شارع الأوراتوار (Oratoire) أن يُقدِّم شكري للطبيب الكبير ولعزيزته الصغيرة جانّ، التي فكّرت في عيدي، بالرغم من نقاهتها، فهذا ما أثّر فيّ كثيراً..

إنَّ الانتكاسة الصغيرة التي مرّت، على صحة جانّ بدون عاقبة، لحسن الحظ، أعطتني فكرةً سأبوح بها لعزيزي الطبيب الصغير. يبدو لي أنَّ القديسة الطيّبة حنّة رأت نفسها الآن منسيّةً قليلاً[4]، فسارعت الى إثارة الانتباه! وأؤكد لكِ أنّي، من الآن فصاعداً، سأتذكّرها دائماً. فعندما أكون بالفكر إلى جوار أخيّتي العزيزة الموجودة، في كان، تخطر حالاً في بالي القديسة الطيّبة آن وأعهد إليها بمن أحبّها.

أرى بسرور، يا عزيزتي الصغيرة ماري، أنَّ هواء مدينة كان لا يحملك على الاكتئاب، وإنّ بشاشتك، ستُسهم في شفاء مريضتينا العزيزتين، بسرعة ومن دون شك، إسهاماً اكبر من علمك كطبيبة.

---

(١) الأخت أنييس ليسوع. المموّنة "La Provisoire" كانت مكلّفة بإعداد وصفات الطعام.

(٢) أي القشطة المعروفة.

(٣) ماري غيران Marie Guérin . الطبيب الكبير هو فرانسيس لانييل Francis La Néele.

(٤) كان الطبيب لانييل وزوجته قد قاما بزيارة القديسة آن ماري أوري Sainte Anne-Marie d'Auray، في أيار/مايو، للحصول على نعمة إنجاب ولد.

إنَّ لُقماتِ الملكة [٥] التي أعدّها حلواني ممتاز مثلك، تبدو لي طبقاً شهيّاً بالنسبة الى كرمليات؛ لكن ألا تستطيعين إظهار مهارتك بتحضير فطائر خفيفةٍ جدًّا تتمكّن جانّ، لا من إلتهامها بعيونها فقط، بل من أكلها بدون أن تسبِّب لها أيَّ ضرر؟...

أُنهي رسالتي، يا عزيزي الطبيب الصغير، راجيةً المعذرة عن خطّي القبيح. فعانقي العائلة كلَّها بشدّةٍ نيابةً عنّي، وأشكريها على كلّ الهدايا التي قد أُرسِلَت اليّ بهذه الوفرة حتى إنّي أخشى نسيان أي شيء منها.

قولي لامرأة خالي العزيزة إنّي أرجوها بأن تطبع قبلةً كبيرةً من قِبلي على خدَّيكِ الصغيرين، وثقي بمحبّة أختك الصغيرة

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٣٧ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

في الكرمل،
١٩ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩٢

يسوع +

عزيزتي سيلين،

كنّا في الماضي، في أيام طفولتنا، نفرح بعيدنا بسبب ما كنا نتبادل من هدايا صغيرة. وكان لأقل الأشياء، عندئذٍ، في اعيننا قيمةٌ فريدة. ثم تغيّر المشهد، فما إن نما جناحا أصغر العصفورين، حتى طار بعيداً عن عشٍّ طفولته الهادئ، فتلاشت جميعُ الأوهام! فقد حلَّ الصيفُ محل الربيع، وواقعُ الحياة محلَّ أحلامِ الشباب....

يا سيلين، ألم تتوثَّق روابطُ قلبينا في تلك اللحظة الحاسمة؟ نعم، لقد وحّدنا الفراقُ بشكل لا يستطيع الكلامُ التعبيرَ عنه؛ فتحوَّلت مودّة الطفولة إلى اتحادٍ في المشاعر، ووحدةٍ

---

(٥) لُقمة الملكة La bouchée à la reine، رقاقة بشكلٍ أسطواني تُحشى بالتوابل واللحوم.

في نفسينا وأفكارنا. فمن الذي استطاع أن يتمّم هذه الحالة الخارقة؟... آه! لقد حقّقها من فتن قلبينا. هذا الحبيب المختار بين ألوف، الذي يكفي عرفه وحده، ليجذب في إثره – وبقَفْوِ آثاره تجتاز العذارى الطريق بخفّة [1] (**نشيد الأناشيد** ٥/ ١٠، ١/ ٣-٤).

لقد جذبنا يسوع معاً، ولو بطرق مختلفة ورفعنا معاً فوق جميع الأشياء الهشّة في هذا العالم الذي صورته الى زوال (١ **قورنتس** ٧/ ٣١)، ووضع، كما يقال، جميعَ الأشياء تحت أقدامنا. وكما فعل زكّا، صعدنا الى شجرةٍ لنرى يسوع (**لوقا** ١٩/ ٤)... وعندئذٍ استطعنا القول مع يوحنا الصليب: «كلُّ شيءٍ لي، كلُّ شيء هو من أجلي، الأرض لي، والسماوات لي، الله لي وأمّ إلهي لي [2]. امّا بالنسبة الى العذراء القديسة، فلا بدَّ لي من أن أبوح لكِ بإحدى سذاجاتي معها؛ فأحياناً أراني أقولُ لها: «أيتها العذراء القديسة الرؤوف، أجدني أسعدَ منكِ، لأني أرى فيك أمّاً لي، وأنتِ، ليس لك عذارءُ قديسةٌ تحبّينها....صحيحٌ أنك أمُّ يسوع، لكنَّك وهبتِ لنا يسوع، هذا، بكامله... وهو، من على الصليب، أعطاكِ لنا أماً. فنحن اذاً أغنى منك إذ إنّنا نملك يسوع، وأنت لنا أيضاً. كنتِ فيما مضى، في تواضعك، تتمنّين أن تكوني يوماً أمةً صغيرةً للعذراء السعيدة التي ستتشرّف بأن تصيرَ امَّ الله؛ وإذا بي، أنا المخلوقةَ الصغيرة المسكينة، أصير ابنتَكِ وليس أمَتكِ، أنتِ أمُّ يسوع، وأمّي أيضاً». لا شك في أنَّ العذراء القديسة تضحك من سذاجتي، ومع ذلك فإنَّ ما أقوله هو حقٌّ فعلاً!... يا سيلين، يا لَسرٍّ عظمتنا في يسوع!.... ذاك ما أراد يسوع أن يرينا إياه عندما أصعدنا الى الشجرة الرمزية التي كنت أحدِّثك عنها منذ قليل. والآن، أيَّ علمٍ سيعلّمنا؟ ألم يعلّمنا كلَّ شيء؟... لنصْغِ إلى ما يقوله لنا: **إنزلا على عجل، فيجب عليَّ أن أقيم اليوم في بيتكما** (**لوقا** ١٩/ ٥). ماذا؟ يسوع يأمرنا بالنزول... فإلى أين يجب النزول؟ يا سيلين، أنتِ تعلمين أفضل منّي؛ ومع ذلك، دعيني أقول لك أين يجب الآن أن نتبع يسوع. قديماً كان اليهود يسألون مخلِّصنا الإلهي: «**يا معلّم، أين تقيم؟**» (**يوحنا** ١/ ٣٨) فأجابهم: «**إنَّ للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكاراً وأما ابن الإنسان فليس له ما يضعُ عليه رأسه**» (**متى** ٨/ ٢٠). أرأيت إلى أين علينا النزول حتى نستطيع أن نهيِّء مقاماً ليسوع؟ أن نكون فقراء بحيث لا نملك ما نسند اليه

(١) يوحنا الصليب، **النشيد الروحي**، المقطع ٢٥؛ راجع المخطوط أ.

(٢) يوحنا الصليب، صلاة نفسٍ مشغوفة في كتاب **الاعمال الصغرى** ص ١٥٨.

رأسَنا. عزيزتي سيلين، هذا ما فعله يسوع في نفسي خلال رياضتي... تفهمين أنَّ الأمر يتعلّق بالداخل. ومن جهة أخرى، ألَمْ يكن الخارج قد سبق وتحوّل إلى لا شيء بما عانى في كان من تجربة مؤلمة للغاية؟... فقد أصابنا يسوع، من خلال والدنا، بالجزء الخارجي من قلبنا، وهو اكثر الاجزاء تأثُّراً. فلندعه الآن يعمل، لانه يعرف كيف يتمّم عمله في نفسَينا.... إنَّ ما يرغب فيه يسوع هو أن نقبَله في قلبيْنا، وهما من دون شك، فارغان من المخلوقات؛ لكنني أشعر، للأسف! بأنَّ قلبي ليس خالياً من ذاتي تماماً، ولهذا يأمرني يسوع بالنزول... هو، ملك الملوك، اتَّضَعَ فاحتجب وجهُه ولم يعبأ به أحد (أشعيا ٥٣/ ٣)... وأنا أيضاً أريد أن أستر وجهي، وأن يتمكَّن حبيبي وحده من رؤيته، وأن يكون وحده ليحصيَ دموعي... وأن يستطيعَ على الأقل ان يسند رأسه الحبيب الى قلبي ويشعر بأنَّه هناك معروف ومفهوم!...

يا سيلين، لا أستطيع، أن أقول لك ما أريد، فنفسي عاجزة... آه! لو كنت أستطيع!.. لكن لا، ليس ذلك في مقدوري... فلماذا أتأسف على ذلك، ألا تفكرين دائماً فيما أفكر فيه؟... هكذا، انك تخزرين كلّ ما لم أقله لك فيسوع يجعل قلبك يشعر به. ومن جهة أخرى، ألم يجعل في قلبك مقامه ليتعزّى من جرائم الخطأة؟ نعم، إنَّه هناك في خلوة النفس الحميمة يعلِّمنا سويّاً، وسَيُرينا يوماً النهارَ الذي لن يكون له مغيب...

عيدٌ سعيد! كم سيطيب لتريز أن تعايدك يوماً به في السماء.

الرسالة ١٣٨ إلى السيّدة غيران

ي.م.ي.ت

في الكرمل،
١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩٢

يسوع +

إمرأة خالي العزيزة

تحسّ صغرى بناتك بعجزها عن أن تعبِّر لكِ عن حنانها وكلِّ ما تصوغ لأجلك من

أمنيات. لكن قلب الأم يحزر بسهولة ما يختلج في قلب ابنتها؛ لذلك لن أحاول، يا امرأة خالي العزيزة، ترجمة مشاعرٍ تعرفينها منذ مدّة طويلة.

وهذه السنة، قد ملأ الله قلبي عزاءً عذباً جدًّا بإعادة والدي الصغير العزيز[١] من منفاه. أستذكر السنوات المؤلمة التي انقضت، تفيض نفسي بالعرفان. ولا أستطيع أن أسِفَ لأحزان مضت، لأنها تمّمت وجمّلت الإكليل الذي يعدّه الله ليضعه، قريباً، على الجبين الجليل، جبين من أحبّه كثيراً وخدَمه بأمانة بالغة...

ومن جهة أخرى، علمتّني هذه الأحزان أن أعرفَ، بشكلٍ أفضل، كنوزَ المحبّة المحجوبةَ في قلب أهلٍ أحبّاء وهبهم الله لي... «إن أروع اعمال قلب الله، هو قلب الأم[٢]». إني أعرف مدى صحة هذا الكلام، وأشكر الربّ لأنَّه جعلني أختبره بعذوبة...

يا امرأة خالي العزيزة، إذا كنتِ تحملين لنا قلب أمّ، فإن ابنتك الصغيرة تملك قلب ابنة حقيقة، وهي تطلب إلى يسوع أن يغمرك بكل الإنعامات التي يمكن لقلب أن يتصوّرَها لأمه الحبيبة. وغالباً ما يكون الصمتُ وحده قادراً على التعبير عن صلاتي؛ لكن الضيفَ الإلهي في بيت القربان يفهم كلَّ شيء، ويفهم حتى صمتَ نفس طفلةٍ مفعمةٍ بالعرفان!... فإن لم أكن حاضرةً يوم عيد امرأة خالي العزيزة، فقلبي سيكون قريباً جدًّا منها، ولن يستطيع أحد أن يغمرها بالحنان أكثر منّي.

أرجوك، يا امرأة خالي العزيزة، أن تعانقي، بالنيابة عنّي، خالي الطيّب وأخواتي الحبيبات.

أتركك، يا امرأة خالي العزيزة، وأنا متّحدة بك كما تتّحد الابنة بأمّها.

ابنتك التي تحبك.

الأخت تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(١) كان السيّد مرتان قد أعيد إلى ليزيو في ١٠ أيار/مايو ١٨٩٢.

(٢) الأسقف دويان لو Mgr Dupanloup: **محاضرات للنساء المسيحيات**.

الرسالة ١٣٩ إلى السيّد والسيّدة غيران

في الكرمل،
٣٠ كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٢

يسوع +

خالي العزيز، وامرأة خالي العزيزة

يطيب جداً لصغرى بناتكما ان تقدّم لكما امنياتها بالسنة الجديدة.

لن أحاول أن أذكرَ هنا كلِّ ما أتمنّاه لأهلي الأعزاء، فقد يطول بنا المطاف، وغالباً ما يكون للقلب أمانٍ لا يُفصح الكلام عنها. وهناك رغباتٌ يستطيع الله وحده أن يَفهمها أو يعرفها. فإليه، إذاً، أوكل ما يصوغ قلبي من امنياتٍ لأجل من أحبّهم كثيراً.

عندما أكون عند قدمي ربّنا، أفكّر في النعمة التي أنعم عليَّ بها، اذ وهبني اهلاً مثل من أُسعِدتُ بالحصول عليهم، وأشعر غالباً بنفسي تفيض عرفاناً بالجميل.

لا أنسى أنَّ الثاني من كانون الثاني/يناير هو ذكرى مولد خالي العزيز. فأنا فخورة بكوني ولدتُ في اليوم نفسه، وآمل ألّا ينسى الصلاة من أجل صغيرته تريز التي ستكون قريباً عانساً في العشرين من العمر. ما أسرع انقضاء الوقت!... أتخيّل وكأنه أمسِ، يوم كان خالي ايجعلني أقفز على ركبته مغنّياً لي أغنية «اللحية الزرقاء» بعينيه المرعبتَين اللتين كانتا تجعلاني أموت من الخوف تقريباً [١]... فكنت أفضّل لحن «ميريلتير» [٢]... فذكرى تلك الأغنية ما زالت تكفي لتضحكني.

يا خالي العزيز ويا امرأة خالي، تريان أنَّ ثقل السنوات لم ينل، حتى الآن، من ذاكرة صغيرتكما، بل بالعكس، إنّها في عمرٍ يعطي لذكريات الشباب سحراً خاصاً.

فأرجوكما، يا والديّ العزيزين، ان تقدّما كلَّ أمنياتي لمن أحبّهم، ولا أسمّي أحداً،

---

(١) راجع **المخطوط** أ، ص ١٨ ي.
(٢) air de Mirlitir [من الآلة الموسيقية Mirliton التي تغيّر الأصوات البشرية والموسيقية].

لأنَّ الباقي من ورقتي قد لا يكفي لذلك؛ لكن جميع الأسماء مكتوبة في قلبي وهي تحتلّ مقاماً كبيراً فيه.

إبنة أختكما **العجوز**، التي تحبّكما من كل قلبها.

الأخت تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

المرحلة السادسة : رئاسة الأم أنييس ليسوع (شباط/فبراير ١٨٩٣ - آذار/مارس ١٨٩٦).

الرسالة ١٤٠ إلى الأم أنييس ليسوع

ي.م.ي.ت.

٢٠ شباط/فبراير ١٨٩٣

يسوع +

أميّ العزيزة،

كم يحلوّ لي أن استطيع مناداتَك بهذا الاسم!.. لقد كنت أمّي منذ مدة طويلة؛ وما كنتُ أطلق هذا الاسم الحلو على من كانت ملاكي الحارس وأختي في آنٍ معاً إلا في خفايا القلب. أما اليوم، فقد كرَّسَكِ الربّ... فأنتِ أمّي حقّاً وستظلّين كذلك مدى الأبدية... آه! ما اجملَ هذا اليوم بالنسبة الى ابنتك!.... فالحجابُ الذي أسدله يسوع على هذا النهار[١]، وهو خَتمُ وجهه المعبود، جَعَلَ النهار أكثر ضياء في عينيّ، وأفيض عليكِ طيبُ الباقة السرّية[٢]... وهكذا سيكون الحالُ دائماً بدون شك؛ **فمن كان وجهه مستوراً (أشعيا ٥٣/٣)**، ومن لا يزال محتجباً في قربانته الصغيرة البيضاء، ولا يهب ذاته للنفوس إلَّا محجوباً، سيسدل على كامل حياة رسولةٍ وجهه الإلهي الحبيبة، حجاباً سرّياً، يستطيع، وحده، اختراقه.

نعم، إنَّ روح الأم جنڤياڤ تقيم بكاملها فيكِ[٣]، وكلامها النبوي قد تحقّق[٤]. لقد

---

(١) الحجاب هو الدموع التي ذرفتها الرئيسةُ الجديدة نتيجة تأثرها ببعض ظروف انتخابها.

(٢) تلميح إلى صلاة رمزية للوجه الأقدس، ألفتها الأخت أنييس ليسوع سنة ١٨٩٠.

(٣) تتذكّر تريز نصيحة الكاهن القانوني دولاترويت Delatroëte للرئيسة الجديدة فوراً بعد انتخابها، أمام الجماعة الرهبانية كلّها، (راجع كتابات مختلفة).

(٤) لم يُعثَر على نصّ مكتوب بصدد هذه النبوة.

بدأتِ حياتَك العامة في الثلاثين؛ ألستِ أنت من أعطى لجميع أديرة الكرمل ونفوسٍ ورعةٍ كثيرة العزاءَ بالوقوف على تفاصيل حياة قديستنا المؤثرة وبأسلوب شعري؟... فيسوع كان قد ألقى نظرته المحجوبة على أمي العزيزة ولم يسمح بأن تُعرَف[٥]، **لأنَّ وجهها كان مستوراً**!.. (**أشعيا** ٣/٥٣).

إذا كان هذا اليوم يتألق جمالاً على الأرض، فكيف يكون في السماء؟. يُخيَّل إليّ أنني أرى أمّنا العزيزة القديسة تنظر بغبطة إلى ابنتها پولين (تلك التي كانت تحبّها والتي كانت تجتذبها[٦])، فتراها قد أصبحت أمّاً بدورها، أماً لعذارى كثيرات من بينهنَّ أخواتها. يا له سرّاً...

إنك، الآن، تلِجين مقدسَ النفوس، وتنشرين عليها كنوز النعم التي غمرك بها يسوع. سوف تتألّمين بدون شك... وستكون الآنية أصغر من أن تستوعبَ الطيبَ الثمين الذي تنوين سكبه فيها، لكنّ يسوع أيضاً لا يملك غير آلات موسيقية صغيرة جدًّا يعزفُ عليها لحنَ حبّه؛ ومع ذلك، فهو يستطيع أن يستعمل كل الآلات التي نقدّمها له. فستكونين مثل يسوع!... يا أختي، ويا أميّ الحبيبة، إنَّ قلبي، أنا، أي قلبَ ابنتك، هو كنّارةٌ صغيرة جدّاً؛ وعندما تتعبين من نقر أوتار القيثارة، ستأتين وتأخذين كنّارتك الصغيرة، وما إن تلمسيها حتى تُصدِرَ الأنغامَ التي ترغبين فيها... وبلمسة بسيطةٍ من أصابعك المكرّسة، ستفهم، وسيمتزج نغمُها الرقيق بشدو قلبك...

آه يا أمّي! كم من أشياءَ أريد قولها لك... لكن لا، أنت تعرفين كلَّ شيء... ففي يوم من الايام، عندما تزول الظلال (**نشيد الأناشيد** ٦/٤)، سأستريح على قلبك وسأردّد هذا الاسم العذب

أمي

---

(٥) تلمّح تريز إلى الموجز الخاص بالأمّ جنفياف (+ ١٨٩١)، الذي كتبته الام انييس، ونُشِرَ بتوقيع الام ماري دي غونزاغ.

(٦) كانت السيّدة مرتان تفضّل ابنتها بولين، في حين أنَّ ماري كانت المفضلة عند والدها.

الرسالة ١٤١ إلى سيلين

ي.م.ي.ت

في الكرمل،
٢٥ نيسان/ابريل ١٨٩٣

يسوع +

سيليني الحبيبة

سأقول لكِ فكرة خطرت لي هذا الصباح، بل سأطلعك على امنيات يسوع لنفسكِ... عندما أفكر فيكِ بجوار صديق نفوسنا الوحيد، يبدو لي دائماً ان البساطة هي سمة قلبك المميّزة... سيلين!... أيتها الزهرة الصغيرة البسيطة سيلين، لا تحسدي أزهار الحدائق. فلم يقل لنا يسوع: «أنا زهرة البساتين، الوردةُ المزروعة»، بل قال لنا: «**أنا زهرة الحقول وسوسنة الأودية**» (**نشيد الأناشيد** ٢/١). حسناً! لقد خطر لي هذا الصباح، بجوار بيت القربان، أنَّ سيلين، زهرة يسوع الصغيرة، يجب أن تكونَ وتبقى دائماً قطرةَ ندىً مستورةً في تويج سوسنة الأودية الإلهي الجميل. قطرة الندى: وهل يوجد أبسط منها وأنقى؟ لم تكوِّنها الغيوم؛ لكن عندما تكون السماء اللازوردية مرصّعةً بالنجوم، يسقط الندى على الأزهار؛ وهو لا يقارنَ بالمطر بل يفوقه طراوةً وجمالاً. والندى لا يوجد إلَّا في الليل؛ فما إن ترسل الشمس أشعَّتها الدافئة حتى تقطّر اللآلئَ الساحرة التي تلمع على أطراف أعشاب المروج، ويتحوّل الندى إلى بخارٍ خفيف. وسيلين هي قطرة ندى صغيرة لم تكوّنها الغيوم، بل نزلت من موطنها، السماءِ الجميلة. فرسالتها الخاصة في ليل الحياة، تقوم على أن تستتر في قلب زهرة الحقول، فلا تكتشفها أيُّ نظرة بشرية، ولا تعرف نضارتها الا الكأس التي تحتوي القطرة الصغيرة. يا لها قطرة ندىً صغيرةً سعيدةً لا يعرفها إلّا يسوع!... لا تتوقّفي عند تأمل جريان الأنهار المدوّية التي تثير إعجاب المخلوقات؛ ولا تحسدي، حتى، صفاءَ الجدول الملتوي في المرج. إنَّ خريره عذبٌ جدًّا ولا شك... لكن المخلوقات تستطيع سماعه.... من جهة أخرى، إنَّ كأس زهرة الحقل لا تستطيع استيعابه، ولا يمكن أن يكونَ ليسوعَ وحده. فمن أراد أن يكون ليسوع وحده، لا بدَّ من أن يكون صغيراً،

صغيراً كقطرة الندى!.. آه! ما أقلَّ النفوس التي تتوق الى البقاء صغيرةً هكذا[١]... لكنَّها تتساءل: أليس النهر والجدول أكثر نفعاً من قطرة الندى؟ فماذا تفعل هذه؟ إنَّها لا تنفع لشيء، إلَّا لأن تُنعشَ، لبضعِ لحظات، زهرةَ الحقول الموجودة اليوم، والزائلة غداً... (**متى** ٦/٣٠)... بدون شك، إنَّ هؤلاء الأشخاص على حق، فقطرة الندى ليست نافعةً إلَّا لهذا؛ لكنّهم لا يعرفون زهرة الحقول التي شاءت الاقامة في منفانا على الأرض، والبقاءَ فيها خلال ليل الحياة القصير. لو كانوا يعرفونها، لفهموا اللّوم الذي وجّهه يسوع الى مرتا فيما مضى (**لوقا** ١٠/٤١-٤٢)... فحبيبنا ليس بحاجةٍ إلى أفكارنا الجميلة وإلى أعمالنا المأثورة؛ فلو شاء أفكاراً سامية، أليس لديه ملائكته وجيوشه من الأرواح السماوية التي يفوق عِلْمها للغاية علمَ أكبر عباقرة أرضنا الحزينة؟... ما جاء يسوع، اذاً، ليبحث، على الأرضَ، عن الذكاء وعن المواهب، ولم يجعل من نفسه زهرة الحقول إلَّا ليُظهر لنا كم يحبّ البساطة. إن أقصى ما تتوق إليه سوسنةُ الوادي هو قطرة ندى صغيرة... ولهذا السبب خلق فيها واحدةً اسمها سيلين!.. فعليها أن تبقى، في ليل الحياة، مستترةً عن كل نظرٍ بشري. لكن عندما يبدأ الظلام بالاضمحلال، (**نشيد الأناشيد** ٤/٦)، وتكون زهرة الحقول قد صارت شمسَ البر (**ملاخي** ٣/٢٠)، وحينما يأتي ليتمَّ عدوه كالجبَّار (**مزمور** ١٨/٦)، فهل سينسى صغيرته قطرةَ الندى؟... آه! كلّا! فما إن يظهر في المجد، حتى تظهر معه رفيقة منفاه، أيضاً (**قولسي** ٣/٤). إن الشمسَ الإلهية تسلِّطُ عليها شعاعاً من أشعّة حبّها، وسرعان ما تظهر قطرةُ الندى الصغيرة المسكينة لأنظار الملائكة والقديسين المبهورين، ساطعةً كالألماسة الثمينة التي تعكس شمسَ العدل فتصبح شبيهةً به (١ **يوحنا** ٣/٢). ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إنَّ الكوكب الإلهي، اذ ينظر إلى قطرة نداه، سيجذبها نحوه، وسترتفع كبخار خفيف لتقيم للأبد في قلب نار الحبِّ غير المخلوق، وستكون متّحدةً به دائماً. ومثلما كانت على الأرض رفيقةً أمينةً له في منفاه وإهاناته، كذلك ستملك في السماء إلى الأبد.

عندئذٍ، أيُّ ذهول سيعتري اولئك الذين اعتبروا قطرة الندى الصغيرة كأنَّها غير نافعة في هذا العالم!.. سيُعذَرون، ولا شك، لأنَّ هبة الله لم تكن قد كُشفت لهم، ولا هم

(١) البقاء صغيرة: هذه العبارة تظهر لاول مرة في كتابة تريز، وهي مرشّحة لأن تصبح خطّاً اساسياً في روحانيتها (راجع **المخطوط** ج، ص٣ ي).

أدنوا قلبَهم من قلب زهرة الحقول، ولا سَمِعوا هذه الكلمات الجذابة: «**أعطني لأشرب**» (**يوحنا** ٤/٧). إنَّ يسوع لا يدعو جميع النفوس لتكون قطرات ندى، فهو يريد ان توجدَ مشروباتٌ لذيذة ثمينة تستطيبها المخلوقات، وتخفِّف عنها في ضيقاتها؛ لكنه يحتفظ لنفسه بقطرة ندى، فذاك هو جُلّ طموحه....

يا لامتياز من تُدعى الى رسالة بهذا السمو! وكم تقتضي تلبيتها ان تبقى المدعوّة بسيطة!... إنَّ يسوع يعرف جيّداً كم يصعب على المرء البقاءُ نقياً على الأرض؛ لذلك يريد أن تتجاهل قطرات الندى ذواتها. ويطيب له أن يتأملها، لكنه وحده، ينظر إليها، أما هي فتعتبر نفسها دون المخلوقات الاخرى، لانها لا تعرف قيمة نفسها.. ذلك ما ترغب فيه سوسنة الاودية. إنَّ قطرة الندى، سيلين، قد فهمت... تلك هي الغاية التي من أجلها خلقها يسوع؛ ولكن، عليها ألّا تنسى أختها المسكينة، بل عليها أن تنال لها تحقّقَ ما يُفهمها إياه يسوع، لكي يقطّر شعاعُ الحب عينه يوماً ما قطرات الندى الصغيرتين، فتستطيعان، بعد انصهارهما في قطرة واحده على الارض، أن تكونا متّحدتين للأبد في قلب الشمس الإلهية.

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٤٢ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

في الكرمل،
٦ تموز/يوليو ١٨٩٣

يسوع +

عزيزتي سيلين،

كانت رسالتاك نغماً شجيّاً لقلبي... ويُسعدني أن أتبيّن إيثار يسوع لسيلين. كم يحبّها، وكم ينظر إليها بحنان!... ها نحن الخمس في طريقنا [1]. يا لَسعادة من تستطيع القول: «أنا متأكدة من أنّني أعمل مشيئةَ الربّ». هذه المشيئة المقدّسة تجلّت بوضوح تجاه سيلين. فهي التي اختارها يسوع لتكون الإكليل والمكافأة للشيخ الجليل القديس الذي

(١) دخلت ليوني Léonie من جديد ديرَ راهبات الزيارة في كان Caen، في ٢٤ حزيران/يونيو ١٨٩٣.

خلب السماء بأمانته. كيف تجرئين على القول إنَّك منسيةٌ، ومحبوبةٌ أقلّ من الأخريات؟ أما أنا فأقول إن اختيارك امتيازٌ لكِ وإنَّ رسالتك تزداد جمالاً بقدر ما تكونين عروسةَ يسوع، وتمكثين، في الوقت عينه، الملاك المنظور لوالدنا العزيز. قد تقول سيلين: إن هذا لصحيح، لكني في النهاية، أعمل لأجل الله تعالى أقلَّ من الأخريات: تعزياتي أكثر واستحقاقاتي أقل. لكن الرب يقول: «**أفكاري ليست افكاركم**» (**أشعيا** ٥٥/٨). فالاستحقاق لا يقوم على كثرة العمل ولا على كثرة العطاء بل على كثرة الاخذ وكثرة الحبّ... لقد قيل إنَّ العطاء اكثر لذةً من الأخذ (**أعمال** ٢٠/٣٥)، وهذا صحيح؛ ولكن اذا ما شاء يسوع أن يخصّ نفسه بعذوبة العطاء، فلن يكون لائقاً رفض طلبه. فَلْندعه يَأخذ ويُعطي كلَّ ما يشاء، لأن الكمال يقوم على العمل بمشيئته (**متى** ١٢/٥)، والنفس التي تستسلم بكليتها اليه، يُسمّيها يسوع بالذات، أمَّه، وأختَه وكلَّ عائلته. و يقول في موضع آخر: **إذا أحبّني أحدٌ، حفظ كلامي** (أي عمل بمشيئتي) **فأحبّه أبي، ونأتي إليه فنجعل لنا عنده مقاماً**» (**يوحنا** ١٤/٢٣). آه! سيلين! ما أسهل أن نرضي يسوع وأن نخلب قلبه! فما علينا إلَّا أن نحبّه دون الالتفات إلى ذواتنا، ودون التشدّد في تفحّص عيوبنا... في هذه الآونة، تريز لا تحلّق في الاعالي؛ لكن يسوع يعلّمها «أن تنتفع بكل شيء، وبما تجد في ذاتها من خير وشر». ويعلّمها أن تضارب في مصرف الحبّ، لا بل هو نفسه يضارب لأجلها دون أن يقول لها كيف يقوم بذلك، لأنَّ هذا شأنه وليس شأن تريز؛ فما يعنيها هو الاستسلام والتخلي عن ذاتها من دون ان تحتفظ بشيء، حتى ولا بمتعة أن تعرف ما يؤتيها المصرف من ربح. لكنَّها، على كل حال، ليست الإبن الضال، فلا حاجة الى ان يقيم يسوع لها وليمةً «لأنَّها دائماً معه» (**لوقا** ١٥/٣١). فربّنا يريد أن يترك «الخراف الأمينة في البرية» (**لوقا** ١٥/٤). فما اكثر ما يعني هذا لي!.. إنَّه أمينٌ منها؛ ولن تستطيع ان تضيع من بعدُ، لأنَّها أسيرةُ الحبّ؛ لذلك يحجب يسوع عنها حضوره الحسّي لكي يمنح تعزياته للخطأة؛ وأذا قادها إلى جبل ثابور، فللحظات قليلة، لأن مقرّ راحته، في اغلب الاحيان، انما هو الوادي. هناك يَقيل[٢] عند الظهيرة (**نشيد الأناشيد** ١/٦).

---

(٢) أي ينام ويقضي قيلولته.

لقد انقضى صبحُ حياتنا وتمتّعنا بأنسام الفجر العِطرة. آنذاك، كان كلُّ شيء يبتسم لنا، وكان يسوع يجعلنا نشعر بحضوره العذب؛ لكن، عندما اشتدّت حرارة الشمس، انطلق بنا الحبيب إلى بستاته، وجعلنا نقطف مرّ (**نشيد الأناشيد** ٥/١)، التجربة، ففصلنا عن كلِّ شيء وعنه بالذات، فقوَّتنا رابيةُ المرّ بطيوبها المُرّة؛ عند ذاك أنزلنا يسوع عنها؛ فنحن الآن في الوادي، حيث يقودنا يسوع بلطف بمحاذاة المياه، (**مزمور** ٢٢/٢)... عزيزتي سيلين، قد لا أفهم ما أقوله لك، لكني إخالك ستفهمين، وستحزرين ما أريد قوله. آه! لنكن دائماً «قطرة الندى» ليسوع، فهناك تكمن السعادة والكمال.. من حسن حظّي أنّني أتحدّث إليكِ لأنَّ أشخاصاً آخرين لن يتمكّنوا من فهم كلامي؛ وأعترف أنّه ليس صحيحاً إلّا بالنسبة الى نفوسٍ قليلة جدّاً. ففي الواقع، يدفع المرشدون الى التقدم في الكمال، باتمام عدد كبير من أعمال الفضيلة، وإنّهم لعلى حق. اما مرشدي يسوع، فلا يعلّمني إحصاء أعمالي؛ بل إنّه يعلمني أن أعمل كلّ شيء بمحبّة وألّا أرفضَ له شيئاً، وأن أسَرَّ حين يمنحني فرصةً لأبرهن له عن حبّي له؛ لكنّ هذا يتمّ في سلام وفي تسليم[٣]؛ ومن يعمل كلَّ شيء انما هو يسوع، اما أنا فلا أعمل شيئاً...

أشعر بأنّني متّحدة بسيلين اتحاداً وثيقاً، وأعتقد أنَّ الله نادراً ما خلق نفسين تتفاهمان بهذا القدر؛ فلا يظهر في غنائهما أيّ نشاز. ويد يسوع التي تلامس إحدى الكنّارتين تجعل الأخرى تهتزّ في الوقت ذاته... آه! لنمكث محجوبتين في زهرتنا الإلهية، زهرة الحقول (**نشيد الأناشيد** ٢/١) حتى تنهزم الظلال (**نشيد الأناشيد** ٤/٦) ولنَدَع المخلوقات تستطيب قطرات االشراب ما دمنا نُرضي زنبقتَنا؛ ولِنبقَ بسعادةٍ قطرتَها، قطرةَ نداها الوحيدة!.. وما عساه يعطينا في الوطن، مقابل هذه القطرة التي تكون قد عزّته في منفاه؟... لقد قال لنا ذلك بنفسه: **إن عطشَ أحدٌ فليُقبل إليَّ ويشرب** (**يوحنا** ٧/٣٧). وهكذا، فإنَّ يسوع هو محيطنا وسيبقى... وكما يشتاق الأيّل العطشان، هكذا نشتاق نحن إلى ذاك الماء الذي وعدنا به (**مزمور** ٤١/٢)، لكن عزاءنا كبير لأننا نحن أيضاً محيطُ يسوع، محيطُ زنبقة الاودية!

قلبُك، وحده، سيتمكّن من قراءة هذه الرسالة لأنّني، أنا ذاتي، أجد مشقّةً في

(٣) Abandon تظهر هذه الكلمة للمرة الاولى في الكتابات.

قراءتها. لقد نضب الحبر في دواتي ممّا اضطّرني الى ان أَبصقَ فيها لكي استصنع منه.. أليس هذا مضحكاً؟

أعانق العائلة كلَّها، وخاصةً ملكي الحبيب الذي سيتلقّى قبلةً من سيلين نيابةً عن ملكته.

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٤٣ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، ١٨ تموز/يوليو ١٨٩٣

يسوع +

عزيزتي سيلين

لم أكن أنوي الإجابة على رسالتك هذه المرة[١]، لكنَّ أمنا أرادت أن أضمَّ كلمةً صغيرة إلى رسالتها. كم لديّ من أشياء أقولها لك! لكن، بما أنّني لا أملك إلّا بعض لحظات، فلا بدَّ لي أولاً من أن أُطمئن قطرةَ الندى أنَّ تريز تفهمها... فبعد قراءتي رسالتك، ذهبت للقيام بالتأمل، فأخذت الإنجيل، وطلبت من يسوع أن يجد مقطعاً يناسبكِ؛ وهاكِ ما وقعت عليه: أنظروا إلى التينة وسائر الاشجار، فما إن تُخرج اوراقها النديّة حتى تدركوا أنَّ الصيف قريب. كذلك أنتم، إذا رأيتم هذه الأمور تحدث، فاعلموا أنَّ ملكوت الله قريب (**لوقا** ٢١/٢٩-٣٠). قد كان ما قرأته كافياً فأغلقت الكتاب. في الواقع، إن هذه الأشياء التي تحدث في نفس سيلين، تبرهن على أنَّ ملكوت يسوع قد حلَّ في نفسها... والآن، أريد أن أقول لكِ ما يحدث في نفسي أنا، وهو، بدون شك، ما يحدث في نفسكِ. لقد أصبتِ، يا سيلين بقولك إن الأصباح الندية قد ذابت بالنسبة الينا. ولم يَبقَ من زهراتٍ نقطفها؛ إن يسوع قد قطفها لنفسه. وقد يفتّح يوماً زهراتٍ

(١) رسالة ١٢ تموز (راجع **مراسلات عامة** ١٥٤). وكانت سيلين، التي أجابت بنفسها على الرسالة ١٤٢، قد قالت فيما قالت: «رسالتك الجميلة سرّتني كثيراً، وهي غذاءٌ لنفسي».

جديدة؛ لكن ماذا علينا ان نفعل بانتظارها؟ يا سيلين، لم يعد الله تعالى يطلب منّي شيئاً... في البداية، كان يطلب منّي أشياءَ لا تُحصى. ثم لاحقتني هذه الفكرة لبعض الوقت: بما أن يسوع لا يطلب الآن منّي شيئاً، فعليّ أن أسير بخطى وئيدة في السلام والمحبّة، أتمّم، فقط، ما كان يطلبه منّي.... لكن نوراً أشرق عليّ. فالقديسة تريز تقول: علينا أن نغذّي الحبّ[٢] عندما نكون في الظلمات واليبوسات، لا يكون الحطب في متناولنا؛ لكن أما يجب علينا، أقلّه، أن نرمي فيه بعض العيدان؟ إن يسوع لقادرٌ على أن يتعهّد النار بمفرده، لكنه يُسرّ برؤيتنا نلقمها بعض الوقود؛ تلك إلتفاتة تسرّه، فيرمي في النار حطباً كثيراً، ونحن، لا نراه، لكنّنا نشعر بشدة حرارة الحبّ. لقد خبرتُ ذلك؛ فعندما لا أشعر بشيء، وأكون عاجزةً عن الصلاة وممارسة الفضيلة، عندئذٍ يحين أوان البحث عن مناسباتٍ صغيرة، وعن أشياء بسيطة تسرّه يسوع أكثر مما تسرّه مملكةُ العالم، أو حتى أكثر من معاناة الشهادة بسخاء، كتقديم ابتسامة، أو كلمة لطيفة، بينما أودّ أن أصمت أو أظهر ضَجَري إلخ، إلخ.

عزيزتي سيلين، أتفهمين؟ لا أفعل ذلك لأصنع إكليلي، أو لأحصل على استحقاقات بل لأُفرحَ يسوع... فعندما لا تسنح لي الفُرَص أريد، على الأقل، أن أقول له مراراً إنَّني أحبّه؛ هنا الامر ليس صعباً، وهو يغذي النار. وحتى لو بدا لي أن نار الحبّ هذه ستنطفئ، فأنا أريد أن أضيف إليها شيئاً ما ويسوع سيتمكّن عندئذٍ من إشعالها. سيلين، اخاف ألّا اكون قد عبّرت عمّا يجب قوله، وربّما تعتقدين أنّني أفعل دائماً ما أقوله، آه لا! أنا لست أمينة دائماً، لكني لا أيأس أبداً. اني أستسلم بين ذراعي يسوع. إنَّ قطرة الندى الصغيرة تغوص أكثر من قبلُ في كأس زهرة الحقول (**نشيد الأناشيد ٢/١**) وهناك تجد ثانية كل ما أضاعته، بل أكثر بكثير.

أخيّتك
تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(٢) تريزا الأفيلية، **كتاب السيرة** ٣٠.

الرسالة ١٤٤ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، ٢٣ تموز/يوليو ١٨٩٣

يسوع +

عزيزتي سيلين،

لا يدهشني أنك لا تفهمين شيئاً ممّا يحدث في نفسك. أيستطيع ولد صغير وحيد فوق اليم، في زورقٍ تائه وسط الأمواج الهائجة، ان يعرف ما إذا كان قريباً أو بعيداً من الميناء؟ حينما تتأمّل عيناه الشاطئ الذي انطلق منه، يعرف مدى المسافة التي قطعها؛ واذ يرى اليابسة تبتعد لا يتمالك فرحه الطفولي فيهتف: آه! ها أنا أبلغ قريباً نهاية سفري. لكن بقدر ما يبتعد عن الشاطئ بقدر ذلك يبدو المحيط واسعاً. عندها يتلاشى عالم الطفل فلا يدري إلى أين يتجه زورقه؛ وبما انه لا يعرف كيف يوجّه الدفّة، فهو لا يستطيع شيئاً غيرَ الاستسلام، وترك الشراع يخفق في مهبّ الريح.... يا سيلين، إنَّ طفلة يسوع هي وحدها في قارب صغير وقد اختفت الأرض عن ناظريها فلا تدري إلى أين تتوجّه، ولا إن كانت تتقدّم أم تتراجع.... إنَّ الصغيرة تريز تعرف يقيناً، وهي متأكدة من أنَّ سيلين هي في عرض البحر، والقارب الذي يحملها يندفع صوب المرفأ ناشراً أشرعته؛ والدفة التي لا تستطيع سيلين حتى أن تلمحها، ليست بدون قبطان. فيسوع هناك نائم، كما كان ينام في الماضي في قارب صيادي الجليل (**مرقس** ٣٨/٤). إنَّه ينام.... لكن سيلين لا تراه لأنَّ الليل قد غمر القارب... وسيلين لا تسمع صوت يسوع، لأن الريح تهبّ.... فتسمع هبوبها؛ ترى الظلمات... ويسوع لا يزال نائماً؛ مع ذلك، فلو استيقظ للحظةٍ فقط، لما احتاج إلّا الى أن يزجر الريح ويُسكت البحر، فيحدث هدوء تام (**مرقس** ٣٩/٤)، ويصير الليل اكثر ضياءً من النهار (**مزمور** ١٢/١٣٨)، وترى سيلين نظرة يسوع الإلهية فتتعزّى نفسُها... لكن يسوع لن يعود الى النوم وهو تَعِبٌ جدًّا (**يوحنا** ٦/٤)!... لقد تعبت قدماه الإلهيتان من اللحاق بالصيادين؛ لذلك فهو يرتاح هانئاً في قارب سيلين. يروي الإنجيل هذه الواقعة فيذكر ان الرسل كانوا قد أعطوا يسوع وسادة (**مرقس** ٣٨/٤).لكن ربّنا يجد في قارب عروسه الحبيبة الصغير، وسادة أخرى، أكثر نعومة. إنَّها قلبُ سيلين: فهناك ينسى كلَّ شيء، لأنه في بيته... هنا لا يسندُ رأسه الإلهي الى حجر، هذا الحجر

الذي كان يتوق إليه في حياته البشرية - (**متى** ٨/ ٢٠)، بل الى قلب طفل، وقلب عروس. آه ما أسعد يسوع! ولكن، كيف يستطيع أن يكون سعيداً في حين أنَّ عروسه تتألّم، وتسهر بينما ينام هو نوماً هانئاً؟ ألا يعلم بأنَّ سيلين لا ترى إلَّا الليل، وأنَّ وجهه الإلهي يبقى مستوراً عنها (**أشعيا** ٥٣/٣)، والحِمْل الذي يضغط أحياناً على قلبها يبدو لها ثقيلاً؟ (**متى** ١١/ ٣٠)... يا للسّر! يسوع، طفل بيت لحم الصغير، الذي كانت مريم تحمله «كحِمْلٍ خفيف»، يصبح ثقيلاً، وثقيلاًجدّاً بحيث يثير دهشة القديس كريستوف... عروس **الأناشيد** تقول هي أيضاً إنَّ **حبيبها باقة مرٍّ وبين ثدييها يبيت**. (**نشيد الاناشيد** ١، ١٢) فالمرُّ هو الألم، ولذلك يرتاح يسوع على قلب سيلين... ومع ذلك، فيسوع سعيد برؤيتها تتألم، وسعيد بأن يتلقّى كلَّ شيءٍ منها خلال الليل... إنه ينتظر الفجر، وعندئذٍ، آه! يا له من استيقاظ، استيقاظ يسوع!!!...

تأكدي، يا عزيزتي سيلين، من أنَّ زورقك هو في عرض البحر، وقد يكون قريباً جدًّا من الميناء. فريح الألم التي تدفعه هي ريح الحبّ، وتلك الريح هي أسرع من البرق...

كم تأثّرت بأنَّ يسوع قد أوحى اليك بفكرة التضحيات الصغيرة؛ كنت قد طلبتها منه، لأنني لم أكن أنوي الكتابة اليك قريباً. وحتى الآن، لم يخذلني ربُّنا قط في ان يوحي اليك بما رجوت منه أن يقول لكِ. فقد أنعم دائماً على كلينا معاً بالنعم نفسها. لا بل أنا ملزمة حتى باقتناء مسبحة أفعال[١]؛ وقد فعلت ذلك محبةً بإحدى رفيقاتي[٢]، وسأخبرك بذلك بالتفصيل، لأنّه مسلٍّ جدّاً... أنا أسيرة في شباكٍ لا تعجبني، لكنها تفيدني أيّما إفادة الحالة النفسية التي أعيشها.

---

(١) مسبحة بحبات متحركة، تسمح بعدِّ أفعال الفضيلة أو أفعال التخلّي. وكانت تريز الطفلة تلجأ إلى هذه الوسيلة التقشفية.

(٢) الأخت مرتا ليسوع. راجع **الصلاة** ٣

الرسالة ١٤٥ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، ٢ آب/أغسطس ١٨٩٣

يسوع +

عزيزتي سيلين،

كتابك أفعَمني عزاء، فالطريق الذي تسلكينه هو طريقٌ ملكيّ؛ ليس سبيلًا مطروقاً بل هو دربٌ شقّه يسوع بنفسه. وتقول عروس الأناشيد: إنَّها لما التمست حبيبها في مضجعها فما وجدته، نهضت وطافت في المدينة بحثاً عنه، وكان عبثاً. وبعد خروجها من المدينة وجدت مَنْ تحبّه نفسها!... (**نشيد الأناشيد** ٣/١-٤). ويسوع لا يريد أن نجد حضوره المعبود في الراحة، فيستتر **ويجعل من الظلمات حجاباً له (مزمور** ١٧/١٢). لكنه لم يتصرّف بهذه الطريقة تجاه جموع اليهود، لأنّنا نرى في الإنجيل **أنَّ الشعب كان مولعاً بالاستماع إليه (لوقا** ١٩/٤٨). لقد كان يسوعُ يسحر النفوس الضعيفة بكلماته الإلهية، ويحاول أن يقوِّيَها ليوم التجربة... ولكن، ما كان اقلّ عدد أصدقاء ربّنا عندما صمت أمام قُضاته!.. (**لوقا** ٢٣/٩) آه! ما أحلى صمتَ يسوع هذا نغماً لقلبي!... لقد جعل نفسه فقيراً حتى نستطيع أن نحسِنَ إليه، ومدَّ لنا يده يستعطي لكي يستطيعَ في يوم الدينونة المشرق، **عندما يجيء في مجده (متى** ٢٥/٣١) أن يُسمِعَنا هذه الكلمات العذبة: **تعالوا، يا مباركي أبي، لأني جعتُ فأطعمتموني، وعطشتُ فسقيتموني، وكنتُ غريباً فآويتموني، وكنتُ سجيناً، ومريضاً فعُدتموني (متى** ٢٥/٣٤-٣٦). الناطق بهذه الكلمات انما هو يسوع نفسه، وهو الذي يستجدي حبّنا... ويضع نفسه تحت رحمتنا اذا صحَّ التعبير، ولا يريد أن يأخذ شيئاً دون أن نعطيه إيّاه؛ فأصغرُ شيءٍ هو كريمٌ في عينيه الإلهيتين...

يا عزيزتي سيلين، لننعم بنصيبنا، فهو جميل للغاية؛ ولنعطِ، ولنعطِ يسوع، ولنكن بخيلتين مع الآخرين، لكن مُسرفتين معه...

إنَّ يسوع كنزٌ محجوب، وخيرٌ لا يثمَّن، لا تعثر عليه الا نفوسٌ قليلة لأنَّه محجوب بينما العالم يحبّ ما يلمع. آه! لو شاء يسوع أن يَظهر لجميع النفوس بكل هباته الفائقة الوصف، لما كانت هناك ولا شك، نفس واحدة تستخفّ به؛ لكنَّه لا يشاء أن نحبّه

لعطاياه، بل يجب ان يكون ذاته أجرنا (**تكوين** ١٥/١). ولكي نجدَ شيئاً محجوباً، علينا نحن أنفسنا أن نحتجب[(١)]؛ فيجب، اذاً أن تكون حياتنا سرّاً، وينبغي لنا ان نشابه يسوع الذي كان مثلَ ساترٍ وجهَه (**أشعيا** ٥٣/٣)…. يقول الاقتداء «أتريد أن تتعلّم شيئاً يفيدك؟ «أحِبْ أن تكون مجهولاً ومحسوباً كلا شيء[(٢)]» وفي موضع آخر: «بعد أن تترك كل شيء، يجب خاصةً ان تترك لذاتك[(٣)]»؛ «فليتباهى هذا بشيء، وذاك بشيء آخر، أمّا أنت فلا تجعل فرحك إلّا في احتقار ذاتك[(٤)]». يا سيلين، كم تعطي سلامًا للنفس هذه الكلمات! فأنتِ تعرفينها؛ ولكن ألا تعلمين كلَّ ما أودّ قوله لك؟... إنَّ يسوع يحبّكِ حبّاً عظيماً بحيث إنكِ لو رأيته لغَشيكِ انخطاف من السعادة يقضي عليك. لكنك لا ترينه فتتألمين.

وقريباً سيقوم يسوع ليخلص جميع الودعاء والمتواضعين في الأرض!... (**المزمور** ٧٥/١٠).

الرسالة ١٤٦ إلى السيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، ١٠ آب/اغسطس ١٨٩٣

يسوع +

امرأة خالي العزيزة

لاحظت بسرور، أنك تعرفين كيف تحزرين قلبَ ابنتك الصغيرة، ومع ذلك لا أريد أن تخسر كتابتي الجميلة شرفَ إثارة الإعجاب في قصر لاموس! لذلك، شعرت بسعادة كبرى عندما عهِدَتْ إليَّ أمنا الطيبة الصغيرة بالمهمة اللطيفة، مهمة الاجابة عن رسالتك.

آه! يا امرأة خالي العزيزة، إنَّ كل سطر من السطور التي كتبتِها، يكشف لي عن

---

(١) يوحنا الصليب، **النشيد الروحي** ١،١.
(٢) **الاقتداء بالمسيح** ج١: ٢، ٣.
(٣) **الاقتداء**، ج٢، ١١،٤.
(٤) **الاقتداء**، ج٣، ٤٩، ٧؛ راجع **الرسالة** ١٧٦ والمخطوط أ، ص ٧١ ش.

قلبك: انه قلبُ أحنِّ الأمهات؟ لكنّ قلب صغيرتك تريز هو أيضاً قلبُ فتاة، مُفعَم بالحب والعرفان...

أطلب إلى الله أن يشفيَ خالي العزيز[١]. ويبدو لي، حقّاً، أنَّ هذه الصلاة لا يمكن إلّا أنْ تُستجاب، ما دام ربّنا نفسه له مصلحة في الشفاء. أليس، لأجل مجده، تثابر ذراع خالي الطيّب على الكدّ في كتابة صفحاتٍ رائعة، تخلِّص النفوس وتُرجِفُ الشياطين[٢]؟.

آمل ان تكون طلبتنا قد استُجيبت، وأنكم تنعمون في سلام بما تبقّى لكم من ايام تقضونها في قصركم الجميل[٣]. كم يجب أن تكون جانّ سعيدة لأنها تستطيع ان تتمتّع، كما يحلو لها، بحضور فرانسيس، بينما تحرَم منه في كان[٤]! لقد صلّيت كثيراً لكي يزول الفكش اللعين تماماً، فلا يكون غير سحابةٍ كبيرة عكّرت سماءً جانّ الزرقاء.

أفكر أيضاً في أخيّتي ماري؛ فاخالها منذ أن أقامت مسكنها في أعالي الشجر،[٥] تراني صغيرةً وحقيرة جداً؛ فالاقتراب من السموات يكشف روائع لا نجدها في الوادي الوضيع. قد تقول إنّني خبيثة، لكن هذا لن يمنعني من ان أتقرّب من المناولة المقدسة لأجل عظمتها في يوم عيدها.

لا أستطيع أن أعبّر لك، يا امرأة خالي العزيزة، عما يغمرني من سعادة اعتبار أنَّ والدي الحبيب هو بينكم مغمور بالحنان والعناية؛ لقد صنع الله معه ما صنع مع عبده أيوب، فبعد أن أذلّه، غمره بأفضاله (**أيوب** ٤٢/١٠-١٢)؛ فكل هذه الخيرات وهذه المودة قد وُهبت له بواسطتك انت.

يا امرأة خالي الصغيرة العزيزة، ما زالت لديّ أشياءُ كثيرةٌ أقولها لكِ، لكن يبقَ لي مكان، ولا يليق بأن أنهي حديثي بملاحظة على هامش الرسالة. فسامحيني، يا امرأة خالي العزيزة، وافهمي جميع الأشياء التي أريد أن اكتبها اليكِ والى العائلة كلّها.

---

(١) كان السيّد غيزان يعاني من الروماتيزم في ذراعه.

(٢) منذ تشرين الأول ١٨٩١، كان السيّد غيزان يساند بقلمه وبثروته الصحيفة المحافظة لونورمان Le Normand.

(٣) حُدِّدت العودة من لاموس La Musse إلى ليزيو في ١٨ آب/اغسطس ١٨٩٣.

(٤) كانت ممارسة الطبيب فرنسيس لا نييل La Néele لمهنته تجبره على التغيّب تكراراً.

(٥) كانت ماري غيران Marie Guérin تحب بشكل خاص إحدى شجرات البلوط في الحديقة.

إنَّ الأم ماري دى غونزاغ وأمّنا[٦] تبلّغانك ألف تحية لطيفة؛ ويُسعدُهما الاعتقاد أن السيّدة ڤيرڤيل[٧] ستتعرّف بكم.

أعانقكِ من كل قلبي، يا امرأة خالي العزيزة، وأنا دائماً

ابنتك الصغيرة التي تحترمك.

الأخت تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٤٧ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، ١٣ آب/اغسطس ١٨٩٣

يسوع +

عزيزتي سيلين،

قد آلمتنا جميعُ مشاكلك مع خادمتك[١]. ومع ان أمّنا ما كانت تنوي ان ترسل اليكِ الرسالة قبل عودتك، إلا أنها، على طيبها وحبّها الشديد «لسيلين» الصغير[٢]، ما إن علمت بحزنه حتى أرادت أن تمنحه بعض العزاء، فسمحت لتريز بكتابة كلمة صغيرة اليه.

لا نعرف ما عليكِ القيام به بشأن المنزل[٣]، فيجب استشارة خالي بصدده، وسنجد ما يقرره مناسباً؛وعلى كل حال، سنتكلّم على ذلك مشافهة. إنَّ خادمتك المسكينة لتعيسة جدًّا لوجود هذا العيب القبيح، خاصةً الكذب؛ ولكن قد تستطيعين هديها، مثل

---

(٦) هي الرئيسة الام انييس ليسوع.

(٧) Mme de Virville امرأة شقيق الام ماري دي غونزاغ.

<u>الرسالة ١٤٧</u>

(١) ماري، زوجة ديزيره Désiré ، كانت تسرف في شرب الخمر أحياناً.

(٢) كانت الام أنييس تدعو سيلين بالمذكر Petit célin.

(٣) هو منزل في شارع لابّي Labbay ، استأجرته سيلين سنة ١٨٩٢، بعد عودة السيّد مرتان إلى ليزيو.

زوجها[٤]؛. فلكل خطيئة رحمة، والله قادرٌ على أن يعطي قوة لِمَنْ ليس لهم. سأصلّي كثيراً لأجلها، ولو كنتُ انا مكانها لكنتُ ربما أقل صلاحاً منها؛ بل لأصبحتْ الآن ربما قديسة عظيمة، لو أنَّها تلقّت نصف النعم التي غمرني الله بها.

إني أجد يسوع في غاية الرحمة اذ يسمح بأن تفيدك رسائلي الصغيرة الوضيعة؛ لكنّي أؤكد لكِ أنّني لن أخطئ بظنّي ان لي يداً في ذلك. **إن لم يبنِ الربُّ البيتَ فباطلاً يتعبُ البناؤون** (**مزمور ١٢٦/ ١**). فكلّ الخطب وأروعها التي دبَّجها اكابر القديسين ستعجز عن إخراج فعل حبٍّ واحد من قلب لا يمتلكه يسوع. فهو، وحده، يعرف استعمال كنارته، ولا يستطيع احدٌ سواه أن يُخرج منها انغاماً متناسقة. غير أنَّ يسوع يستخدم جميع الوسائل، والمخلوقات جميعاً في خدمته، وهو يحبُّ أن يوظِّفها خلال ليل الحياة لكي يحجبَ حضوره المعبود، لكنه لا يستتر كثيراً بل يُفسِحُ في المجال لتبيان حضوره. وأنا أشعر، في الواقع، بأنَّه غالباً ما يهب لي أنواراً، ليس من أجلي، لكن من أجل يمامته المنفية، وعروسته الحبيبة. تلك، فعلًا، حقيقة وأجد مَثَلاً عليها في الطبيعة نفسها – هاكِ دراقةً جميلة[٥]، مورَّدةً وحلوةً بحيث إنَّ جميعَ الحلوانيين لا يتصوَّرون طعماً بهذه العذوبة. قولي لي، يا سيلين، أَمِنْ أجل الدّراقة خلق الله هذا اللونَ الوردي الجميل المخملي الذي يحلو كثيراً للنظر وللّمس؟ أَمِنْ أجلها أنفق هذا القدر من السكر؟... طبعاً، لا! لم يفعل ذلك من اجلها بل من اجلنا. نواتها هي ما يخصُّها ويشكل جوهرَ حياتها. ونستطيع أن ننزع عنها جمالَها كله لا كيانَها. وهكذا، يطيب ليسوع أن يُغدق عطاياه على بعض مخلوقاته، لكنه يفعل ذلك، في أغلب الأحيان، لكي يجذبَ إليه قلوباً أخرى. ومن ثمَّ، فعندما يبلغ هدفه، يعمل على إخفاء هذه الهبات الخارجية، ويجرِّد تماماً أعزَّ النفوس عليه. وعندما ترى هذه النفوس الصغيرة المسكينة نفسها في هذا الفقر الشديد، يتملّكها الخوف، وتخال أنَّها غيرَ صالحةٍ لشيء، لأنَّها تتلقّى كلَّ شيء من الأخرين، ولا تستطيع أن تعطي شيئاً. ولكن الأمر ليس كذلك، فجوهرُ كيانها يعمل في الخفاء، ويسوع يكوّن فيها البرعم الذي يجب أن يَنْموَ هناك، في الأعالي، في الجنائن السماوية. ويروقه أن يُظهر للنفوس عدمَها وقدرتَه، فيستخدم أوضعَ الوسائل للوصول

(٤) كان ديزيره Désiré قد عاد إلى ممارسة واجباته الدينية إثر تساعية سيلين في كنيسة القديس يوسف، سنة ١٨٩٣.

(٥) وهي إحدى الثمار المفضلة عند تريز.

إليها، حتى يريها أنَّه هو وحده فعلاً مَنْ يعمل. ويسرع في إتقان عمله لكي يستغني، يوم تنهزم الظلال، (**نشيد الأناشيد** ٤/٦) عن اللجوء إلى وساطات، ويستبدلها بمقابلة أبدية وجهاً لوجه. (**١ قورنتس** ١٣/١٢).

(أمُّنا تشكر ماري[٦] على رسالتها الصغيرة، كذلك الأم ماري دي غونزاغ، فقد سُحِرتا بها).

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٤٨ إلى ليوني

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، ١٣ آب/اغسطس ١٨٩٣

يسوع +

عزيزتي ليوني،

هل تتصوَّرين ربَّما أنَّ صغيرتك تريز قد نسيتكِ؟ كلّا ثم كلّا! فأنتِ أعرفُ بقلبها من أن تظنّين ذلك. وددت لو أكتب اليك في الوقت نفسه مع أمّنا والأخت مريم للقلب الأقدس، لكن حدث سوءُ فهمٍ، وذهبتْ رسالتهما أبكرَ ممّا كنتُ أعتقده. واليوم آتي لآخذ بثأري وأقضي بعض الوقت معك.

لو كنتِ تعلمين، يا أخيّتي العزيزة، مدى الشكر الذي أرفعه إلى السماء على الهبة التي أنعم الله تعالى بها عليكِ! وأخيراً، قد استجيبت أمنياتك، ومثل الحمامة التي انطلقت من الفُلك، لم تستطيعي أن تجدي مستقراً لرجلك في أرض العالم (**تكوين** ٨/٨٩)، فحلّقت طويلاً، تلتمسين العودةَ إلى المسكن المبارك، حيث كان قلبك قد ثبّت مقامه للأبد. وتمهّل يسوع، لكن أنينَ يمامته أثَّرَ فيه أخيراً، فمدَّ يده الإلهية، وأمسك بخطّيبته فوضعها على قلبه في بيت قربان حبّه.

(٦) هي ماري غيران Marie Guérin ، التي كانت ترغب في دخول الكرمل.

لقد تحقّقت، اذاً، نبوءةُ خالتنا القديسة [١]. فابنة الطوباوية مارغريت ماري[٢] هي في دير راهبات الزيارة، حيث ستكون، للأبد، عروس ربّنا.

آه! لا شك في أنَّ فرحي هو فرحُ روحي خالص، إذ يستحيل عليَّ، من الآن فصاعداً، أن أرى عزيزتي ليوني على الأرض، وأن أسمع صوتها، وأن أفتح قلبي لقلبها. لكنّي أعرف أنَّ الأرض هي مكان منفانا، ونحن مسافرتان تسيران إلى وطنهما الأبدي؛ وما همَّ ان لم نتّبع الطريقَ نفسه، ما دام القصدُ الوحيد سيكون السماء؛ هناك، سنصير في لقاء لا فراق بعده؛ وهناك سنتذوّق للأبد أفراحَ العائلة، وسنلتقي والدنا الحبيب ثانيةً، وهو محاطٌ بالمجد والكرامة لأجل أمانته الكاملة، وخاصةً، لأجل ما تجرّع من إذلال. وسنرى أمّنا الطيبة تفرح بالمحن التي كانت من نصيبنا في غرْبة الحياة. وسننعم بسعادتها وهي تتأمّل بناتِها الراهبات الخمس، وسنكوّن مع الملائكة الأربعة الصغار الذين ينتظروننا في السماء، إكليلاً يزيّن جبين والدينا الحبيبين.

أترين، يا أختي العزيزة، مدى مشاركتي فرحك؟ أعرف أنَّه كبير، ولكنّي أعرف، أيضاً، أنه لا يخلو من التضحيات، فهل تكون الحياةُ الرهبانية بدونها أهلاً للاستحقاق؟ كلا، أليس كذلك؟ وبالعكس، فالصلبان الصغيرة هي فرحنا كلّه، وهي اكثر حصولاً من الكبيرة وتُعِدُّ القلب ليستقبلَها متى كانت هذه مشيئة معلّمنا الصالح.

أرجوك، يا عزيزتي ليوني، أن تقدِّمي احترامي لأمِّك الموقّرة التي أتذكّرها، وأحفظ لها عاطفة جدَّ بنوية، منذ أنّ تشرفت بمعرفتها [٣]؛ ألستُ نوعًا ما، من عائلتها ما دمتِ ابنتها وأنا أختك غير المستحقّة؟...

---

(١) الأخت ماري-دوزيته غيران Marie-Dosithée Guérin، راهبة في دير راهبات زيارة العذراء مريم في لومان Le Mans، كانت قد كتبت في ٢٨ نيسان ١٨٦٩: «بالنسبة الى الصغيرة ليوني، فأنا لا أستطيع الامتناع من الاعتقاد أنّها ستصبح راهبة في دير راهبات الزيارة ..»

(٢) تلميح إلى شفاء ليوني وهي طفلة، إثر تساعية صلوات رفعتها الأخت ماري-دوزيته إلى الطوباوية مارغريت ماري في آذار ١٨٦٥.

(٣) الأم ماري دى سال لوفرانسوا Mère Marie de Sales Lefrançois، التي سنحت لسيلين وتريز مناسبة رؤيتها في أثناء زيارة إلى ليوني، خلال فترة إقامتها الأولى في دير راهبات زيارة العذراء مريم (تموز/يوليو ١٨٨٧ - كانون الثاني/يناير ١٨٨٨.

إنَّ أمّنا، والأم ماري دي غونزاغ والأخت مريم للقلب الأقدس يقدِّمن أيضاً ذكرياتهنّ الورعة إلى الام الرئيسة ويرسلن إلى عزيزتهنّ بأفضل ما يتمنَّين لها من السعادة.

لا تنسي في صلواتك، يا أختي العزيزة، صُغرى الكرمليات المتّحدة بكِ، وثيقاً، في قلب العذراء القديسة.

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٤٩ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

٢٠ (؟) تشرين الأول ١٨٩٣

يسوع +

عزيزتي سيلين،

أني أكلّف يسوع نفسه بأن يعايد عنّي صغيرتي الاخت ماري للوجه الأقدس[1].. فيجب أن يكون يسوع صلةَ الوصل الإلهية بيننا. وله وحده الحق في الولوج إلى مقدس قلبِ عروسه.. آه نعم! هو وحده يسمع حين لا يُجيبنا شيء... وهو وحده يدبّر أحداثَ حياتنا في المنفى، وهو الذي يقدّم لنا أحياناً الكأس المرة. لكنّنا لا نراه، فهو يحتجب، ويستر يده الإلهية فلا يمكننا أن نتبيّن إلّا المخلوقات؛ فنتألم عند ذاك، لأن صوتَ حبيبنا لا يُسمَع، ويبدو ان صوتَ المخلوقات يتنكّر لنا... نعم إنَّ أشدّ المعاناة مرارة تكمن في ألّا يفهمنا الأخرون... لكن سيلين و تريز لن تعانيا أبداً من هذه الحالة، لأنهما تريان أعلى من الأرض، وترتفعان فوق ما هو مخلوق. فكلما ازداد انحجاب يسوع، ازداد شعورهما بقرب يسوع منهما؛ إنّه يسير إلى الأمام بلطفه الفائق، مزيحاً حجارةَ الطريق، مُبعداً الزواحف؛ وأكثر من ذلك، إنه يُدوّي في آذاننا أصواتاً صديقة تحذِّرنا من السير بثقةٍ عمياء... ولماذا؟ أليس يسوع نفسه مَنْ رسَمَ طريقنا؟ أليس هو مَنْ ينيرنا وينكشِف

(١) بصدد هذا الاسم، راجع **الرسالة** ٩٨، الملاحظة ١.

لنفوسنا...؟ كلُّ شيءٍ يقودنا إليه، فالأزهار التي تنمو على حافة الطريق لا تأسر قلوبنا [٢]. ننظر إليها، ونحبّها لأنها تكلّمنا على يسوع، وعلى قدرته وحبّه، لكنّ نفوسَنا تبقى حرَّةً. فلِمَ نعكّر، اذا، سلامنا الهانئ؟ لماذا نخشى العاصفة عندما تكونُ السماءُ صافية؟... يا سيلين! يا عزيزتي سيلين....، ليس علينا ان نتفادى المهاوي، فنحن بين ذراعي يسوع؛ وإذا نصحتنا أصواتٌ صديقةٌ بالخشية، فحبيبنا نفسه يشاء ذلك، لماذا؟... آه! لأنه، بحبّه، اختار لعرائسه ذات الطريق الذي اختاره لنفسه... وهو يشاء أن تستحيل أصفى أفراحها الى آلام اذا جاز التعبير، حتى لا يبقى لقلبنا وقتٌ فيه يتنفّس الصعداء، فيتّجه نحو يسوع، وهو وحده شمسُنا وفرحنا.

إنَّ أزهار الطريق هي ملذات الحياة الصالحة (**خروج ٣٤/١٤**)، ولا ضير أبداً في الاستمتاع بها، لكن يسوع غيورٌ على نفوسنا فهو يرغب في أن تُمزَجَ جميعُ لذّاتنا بالمرارة... ومع ذلك، فأزهار الطريق تقود إلى الحبيب، لكنَّه طريقٌ غير مباشر. إنَّه الصفيحة أو المرآة التي تعكس الشمس، لكنها ليست الشمسَ عينها... لست أقول لعزيزتي سيلين ما أودّ قوله لها، فأنا أسيء التعبير عن رأيي أيّما إساءة ...، ربّما ستفهم بالاشارة، فيسوع يقبل القيام بمهمات مسكينته تريز قبولاً تاماً!...

نجد في **نشيد الأناشيد** مقطعاً يوافق تماماً المسكينة الصغيرة سيلين المنفية، وهو **ماذا ترون في العروس غير اجواق في معسكر؟** (**نشيد ٧/١**). آه نعم! إنَّ حياة سيلين هي، فعلاً، ساحةُ معركة... يا لها يمامةً صغيرةً مسكينة! انها تئن على ضفاف أنهار بابل، **فكيف لها أن ترنّم ترانيمَ الربّ في أرض غريبة؟**... (**مزمور ١٣٦/١-٤**). مع ذلك، ينبغي لها أن ترنّم. ينبغي أن تكون حياتُها ترنيمةً موسيقية. يسوع هو الذي يُحتفظ بها أسيرة، لكنَّه إلى جانبها... فسيلين هي كنّارة يسوع الصغيرة [٣].... وهل تكتمل الحفلة الموسيقية إن لم يُغَنِّ فيها أحد؟... وبما أنَّ يسوع يعزف، ألَّا يجب على سيلين أن ترنّم؟... فعندما يكون اللحن حزيناً، سترنّم نشيد المنفى؛ وعندما يكون اللحن فَرِحاً، فصوتها سيُسمع نغماتِ الوطن... وكلّ ما سيجري، كل أحداث الحياة، لن تكون إلا أصداءً بعيدةً لا ترجرج الكنارة الصغيرة، فليسوع وحده الحق في وضع أصابعه الإلهية عليها. المخلوقات

(٢) يوحنا الصليب - **النشيد الروحي** ٣،٣.
(٣) ترتاح تريز لهذه الآلة ذات الانغام الشجيّة حتى صار رمزُها مألوفاً لديها.

هي درجات، وآلات، لكنّ يد يسوع هي التي تقود كلَّ شيء. علينا ألَّا نرى سواه في كلِّ شيء... لا يمكنني التفكير في القديسة العزيزة سيسيليا من دون اغتباط، فيا لها من مثال لكنارة يسوع الصغيرة... ويبدو لي أنها، حين كانت بين العالم، غارقةً في خضمِّ جميع المخاطر، كان عليها ان ترتجف وتبكي لحظة اتحادها بشاب وثني لا يتنفّس الا الحبّ الدنيوي... ولكن لا فحين كانت تسمع سيسيليا نغم الآلات التي كانت تحتفل بعرسها، كانت تترنَّم في قلبها[٤]... للاستسلام!... لقد كانت تسمع، ولا شك، ترانيم أخرى غير ألحان الأرض؛ فعريسُها الإلهي يرنّم هو أيضاً، والملائكة تُرَجِّع نغم ألحانها السماوية في قلب سيسيليا... لقد كانت [الملائكة] ترنم، كما رنّمت فيما مضى، بالقرب من مهد يسوع: **المجد لله في العلى والسلام في الأرض للنفوس ذات الارادة الصالحة.** (**لوقا ٢/ ١٤**) مجد الله! آه! لقد عرفت سيسيليا أنَّ لدى عريسها الإلهي عطشاً للنفوس، ومنذئذٍ كانت تشتهي نفسَ الشاب الروماني، الذي لم يكن يفكّر إلَّا في مجد الأرض. فقريباً ستجعل منه شهيداً، وستسيرالحشود على خطاه... لم تخَفْ، لأنَّ الملائكة أنشدوا: السلام للنفوس ذوات الارادة الصالحة. كانت تعرف أنَّ يسوع لا بدَّ من أن يحفظها، وأن يصون بتوليتها؛ فيا للمكافأة!...

نعم! إنه لجميلٌ جيلُ نفوس العذارى الطاهرات، فالكنيسة تترنّم بهذا الكلام غالباً، وهو لا يزال حقيقياً حتى اليوم، كما كان الأمر في زمن البتول سيسيليا...

يا عزيزتي سيلين الحبيبة! كم يُسَرُّ يسوع بصحبة كنّارته الصغيرة! فقلَّما يحظى بمثلها في العالم. دعيه يستريح بالقرب منك، ولا تملّي من الترنيم ما دام يسوع لا يتعب من العزف... فهناك في أعالي الوطن، سترين يوماً ثمار أتعابك... وبعد أن ابتسمتِ ليسوع وسط الدموع، ستنعمين بإشعاع وجهه الإلهي، وسيظلُّ هو يعزف على كنارته الصغيرة، بل سيعزف، هو، مدى الابدية، ألحاناً جديدة لا يستطيع أحدٌ أنه يترنّم بها ما عدا سيلين!...

---

(٤) من الفرض الطقسي للقديسة سيسيليا.

الرسالة ١٥٠ إلى السيّدة لا نييل

ي.م.ي.ت.

في الكرمل،
٢٢ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩٣

يسوع +

عزيزتي جانّ،

جاء دوري لأعتذر إليك، فقد تأخرت فعلاً في شكرك على جميع هداياك[١]، ذلك أنّه كان لديَّ أمل ضئيل بالتعبير لك مشافهة عن اعترافي بالجميل، فأرجأت الكتابة.

آه! لا! لم تخطر لي الفكرة القبيحة في أنَّ أختي العزيزة قد نسيتني؛ لكنني كنتُ أجد اكتفاءها بالصلاة لأجل صغيرتها تريز، امرأ طبيعياً تماماً. لذلك تأثّرت باستلامي رسالتك اللطيفة بشكل يفوق قدرتي على التعبير. كذلك، تأثرت جداً بأمنيات ابن خالي العزيز. وأخيراً جاءت المُرَبَّيات لتغمرها بلطافتكم البالغة ..! لقد كانت أمنا القديسة تريزا عارفةً بالجميل لدرجة أنَّها كانت تقول بمرح: «تكفي سمكة سردين للفوز بقلبها[٢]». فماذا كانت ستقول لو أنَّها عرفت فرانسيس وجانّ؟

لكن السماء لا تبعد عن الأرض بحيث تمنعها من رؤيتهما ومباركتهما. ولديّ حتى ملء الثقة بأنَّها تحبُّ عزيزتي جانّ بنوع خاص.

فقد كان لأمنا القديسة أيضاً اخت اسمها جانّ، وقد تأثرتُ جدّاً، لدى قراءتي حياتها، بالحنان الذي كانت تبذله في سهرها على أولاد أختها الصغار. لذلك، وبدون أن أترك جانباً القديسة آن[٣] الرؤوف، ألجأ إلى القديسة تريز لأحصل على شفاعتها في أن أكون خالَةً[٤]، أنا أيضاً؛ ولا أشك في أنَّها تستجيب لي بإرسالها إلى عزيزتي جانّ عائلة مباركة تقدّم للكنيسة قديسين كبارا، وقديسات كبيرات[٥].

---

(١) بمناسبة عيد تريز في ١٥ تشرين الأول.

(٢) **رسالة** الى مريم للقديس يوسف Maria de San José، أيلول/سبتمبر ١٥٧٨.

(٣) راجع **الرسالة** ١٣٦، الملاحظة ٣.

(٤) خالة، على طريقة منطقة بريتانيا Bretagne.

(٥) راجع **الرسالة** ١٥٢، الملاحظة ٢.

إنَّ التأخر لا يوهن عزيمتي، لأنّني أعرف جيّداً أن الدوائر الرومانية تحتاج الى وقتٍ طويل لتصنع قديسين، ولا يمكنني ان اغتاظ من الله كونه يضع كلَّ عناية حبّه في إعداد نفوس صغيرة سيعهد بها يوماً إلى جانّ.

فأتوسّل إليك، يا أختي، أن ترفعي صلاةً إلى القديسة تريزا، وأنا متأكدة من أنَّ القديسة آنّ ستفرح بذلك؛ فالاتحاد قوةٌ، ومعاً ستحصّل لنا [القديستان] على النعمة التي نطلبها.

أرجوكِ، يا عزيزتي جانّ، أن تكوني الناطقة باسمي لدى فرانسيس، حتى أشكره على أمنياته الطيّبة، وأعانقك، من قلبي بكل حنان الاخت الصغيرة.

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

ترسل اليك أمُّنا والأخت ماري للقلب الأقدس ألف تحية رقيقة، وهما لا تكفّان عن الصلاة حتى تُستجاب تماماً رغبات صغيرتهما العزيزة جانّ.

الرسالة ١٥١ إلى ليوني

ي.م.ي.ت.

في الكرمل،
٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩٣

يسوع +

عزيزتي ليوني

إني سعيدة جداً بسعادتك؛ ورسائلك الصغيرة المؤثّرة هي لي مصدر فرحٍ حقيقي. لا يساورني شكٌّ في أنّك بخير حيث يريدك الله.

لَكَم كان ربّنا عطوفاً على عائلتنا! فلم يسمح بأن يصبحَ أيُّ فانٍ عريساً لأيٍّ منّا.

لقد انتهينا للتو من سماع رياضة مؤثرة أَعدّتنا لعيد أمِّنا القديسة[1]. وتحدَّث إلينا

(١) تريزا الافيلية.

الأب الطيّب[٢] فيها خاصة عن الاتحاد بيسوع وعن جمال دعوتنا. وأظهر لنا حسنات الحياة الرهبانية، وبصورة خاصة، حسنات الحياة التأملية. وقدّم لنا مقارنة سحرتني، فقال لنا: «أُنظرنَ الى أشجار السنديان كيف تنمو في أريافنا بدون تناسق، فهي تمدّ أغصانها يميناً وشمالاً، ولا شيء يوقفها؛ لذلك، فهي لا ترتفع كثيراً. أُنظرنَ إلى أشجار السنديان في الغابات، المتراصّة من جميع الجوانب، فهي لا ترى النور إلّا من أعلى؛ لذلك، فإنَّ جذعَها مجرَّد من كل الأغصان المُشوّهة، التي قد تحرمها النسغ الضروري لكي تعلو. فالجذع لا يرى غير السماء؛ لذلك فإنَّ كلَّ قوّته تنصبُّ في هذا الاتجاه، وسرعان ما يبلغ علوّاً شاهقًا. والنفس في الحياة الرهبانية،كالسنديانة الفتية، يضغطها قانونها من جميع الجوانب؛ فجميعُ حركاتها تعرقلُها، وتضيِّق عليها جميعُ أشجار الغابة... لكنها تحظى بالنور عندما تنظر إلى السماء؛ هناك فقط تستطيع أن تريح نظرها، وعليها ألَّا تخشى أبداً مضاعفة الارتفاع في هذا الاتجاه.

يا أختي العزيزة الصغيرة، أعتقد أنّني أبهجك بالتحدث إليك عن هذه الأشياء؛ فسعادتنا، الخاصة بنا، تكمن في الكلام على شؤون النفس، وغوص قلوبنا في اللامتناهي!

اعذريني اذا كتبت اليكِ رسائلَ بخطٍّ سيّء جداً؛ لكن، كما ترين، يا أختي العزيزة الصغيرة، أفضّل أن أترك ريشتي تنساب تحت تأثير قلبي على أن أتقن صياغة عباراتي وأرسل اليك صفحةً مُنمَّقة.

أرجوك ان تقدمي احترامي إلى الام الرئيسة.

ولا تنسي ان تصلّي لأجلي، وفكّري فيَّ بالقرب من يسوع بقدر ما أفكّر فيك.

يا عزيزتي ليوني، أتركك، وانا على اتحادٍ بك في قلب عريسنا الإلهي.

أخيّتك غير المستحقة

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(٢) الأب أرمان لومونية Armand LEMONNIER ، من مرسلي الديليڤراند Délivrande (في منطقة الكالڤادوس Calvados). وقد وعظ أيضاً سنة ١٨٩٠ و ١٨٩٤، وسيدقّق في فعل **التقدمة** الذي كتبته تريز.

الرسالة ١٥٢ إلى السيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

في الكرمل،
١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩٣

يسوع +

امرأة خالي العزيزة

كم يطيب لصغيرتك تريز ان تقدّم لك كل سنة أمنياتها بعيدك.

ومع ذلك، فلا شيء جديد لديّ أقوله لك، فأنتِ تعرفين منذ وقت طويل كم أحبُّك.

يا امرأة خالي العزيزة، لا أخشى من أن أضجرك بتكراري ذلك؛ والسبب الذي حداني على هذا التفكير هو انني عندما أكون بجوار بيت القربان، لا أعرف أن أقول لربنا غير شيء واحد: يا إلهي، **أنتَ تعلمُ أني أحبك** (**يوحنا** ٢١/١٥). وأشعر بأنَّ صلاتي لا تُتعب يسوع، لأنَّه إذ يدرك عجز عروسه الصغيرة المسكينة، يكتفي بإرادتها الطيّبة. وأعلم أيضاً تمام العلم أنَّ الله سكب في قلوب الأمهات شيئاً ما من الحبِّ الذي يفيض به قلبه، ... والأم التي إليها أتوجّه، تلقَّت قدراً من الحبِّ الوالديّ لا يسعني معه ان أراني غير مفهومة...

على أي حال إنَّ عجزي لن يستمرَّ للأبد؛ ففي الوطن السماوي، سأستطيع القولَ لامرأة خالي العزيزة أشياءَ كثيرة لا يمكن التعبير عنها بكلام بشري.

وفي انتظار ذلك، أطلب إلى ربّنا أن يترك من تعرف كيف تعمل لمجده تقيم في الأرض، زمناً طويلاً جدّاً، وأرغب في أن ترى بني بنيها [1] (**مزمور** ١٢٧/٦). إن قرأت أختي جانّ هذه السطور، فقد يساورها الضحك، لكنّني أكبر ثقةً منها بكثير، وأنتظر «القديس الكبير والحبر العظيم» يتبعه عدد كبير آخر من الملائكة الصغار الآخرين.

يا امرأة خالي العزيزة، غداً سأتناول القربان المقدس لأجلك، ولأجل السيّدة فورنيه، فغالباً ما أفكّر فيها أحياناً كثيرة وأتضرّع إلى ربّنا أن يحفظها لكِ زمناً طويلاً.

---

(١) كانت السيّدة فورنيه Fournet قد استعادت صحّتها إثرَ نوبة قلبية.

أرجوك، يا امرأة خالي العزيزة، أن تعانقي عنّي خالي الطيّب، وأنا أكلّفه كما أكلّف أخواتي بأن يغمروكِ عنّي بأعذب الملاطفات.

صغيرك بنيامين الفخور بلقبه[٢].

الأخت تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٥٣ إلى السيّد غيران

ي.م.ي.ت.

كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٣

خالي الحبيب

أمنا في حال أفضل بكثير[١]، لكنها ضعيفةٌ جداً، مع أنَّها تقول العكس.

شكراً، شكراً، على كلِّ العناية التي توليها إيّاها. وآمل ان تكون مطيعةً جداً، فمن الخطأ فعلاً عدم إطاعة خالٍ يملك هذا الحنان الأبوي... لقد تأثّرت الأم ماري دي غونزاغ غاية التأثّر بما ابديت من اهتمام، فتشكرك بأن توجه كلَّ اهتمامها الوالدي إلى رئيستها الصغيرة العزيزة.

سامحني، يا خالي العزيز، فأنا أستعجل كثيراً حتى أنني لا أعرف ما أقول لك؛ فآمل أنّك ستدرك امتناننا لك. إنّنا نصلي كثيراً لأجل السيّدة فورنيه.

أعانقك وأعانق امرأة خالي أيضاً، نيابةً عن صغيراتك الكرمليات الثلاث.

الأخت تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية.

---

(٢) تستعمل تريز المذكر نسبة الى بنيامين اصغر ابناء يعقوب.

<u>الرسالة ١٥٣</u>

(١) هي الأم أنييس ليسوع.

الرسالة ١٥٤ إلى ليوني

ي.م.ي.ت.

في الكرمل،
٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٣

يسوع +

عزيزتي ليوني،

يسعدني ان اقدّم لكِ أمنياتي بمناسبة حلول سنة ١٨٩٤. والأمنية التي أصوغها، بالقرب من مهد يسوع، هي أن أراك قريباً لابسة الزيّ المقدّس لراهبات دير الزيارة. أقول أراكِ، لكنّني أعلمُ أنّني لن أحظَى بهذه السعادة إلّا في السماء. وعندئذٍ ما أعظم فرح اللقاء بعد منفى الحياة!..

كم من أشياء سنتحادث عنها! إنَّ الكلام عاجز في هذه الدنيا، لكن نظرة واحدة في السماء تكفي لنتفاهم؛ وأعتقد أنَّ سعادتنا ستكون أكبر منها لو أنّنا لم نفترق...

لقد سُررت كثيراً برسالتك الصغيرة العزيزة. فإذ أراكِ سعيدةً حقاً، لا أشك في أنَّ الربّ قد أنعم عليك بالبقاء للأبد في السفينة المقدسة. نحن نقرأ الآن في أثناء الطعام سيرة القديسة شانتال[1]؛ ففي سماعها عزاء حقيقي لي، وهذا ما يضاعف قربي من دير الزيارة العزيز الذي أحبّه كثيراً. ثم إني أرى الاتحاد الوثيق الذي وُجد دائماً بينه وبين الكرمل ممّا يجعلني أشكر الله تعالى على اختياره هاتين الرهبانيتين لعائلتنا. والعذراء القديسة هي أمُّنا حقّاً، لأنَّ ديرَينا قد كُرِّسا لها بصورة خاصة.

يا أخيَّتي العزيزة، لا تنسيَ أن تصلي لأجلي خلال شهر الطفل يسوع الحبيب، وأطلبي إليه أن أبقى صغيرة، صغيرة جداً!... وسأتلو له، من أجلك، الصلاةَ نفسها، لأنّني أعرف رغباتك، وأعرف أنَّ التواضع هو الفضيلة التي تُوثرينها.

لا تنسَيْ، يا عزيزتي ليوني، تقديم احترامي وأمنياتي إلى أمِّك الموقّرة، وثقي بالمحبّة الصادقة التي تكنُّها لك صغرى أخواتك وأخيرتُهنّ.

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(١) جانّ دي شانتال Jeanne de Chantal (١٥٧٢ - ١٦٤١) هي مؤسسة راهبات الزيارة.

الرسالة ١٥٥ إلى السيّد والسيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

في الكرمل،
١٩ كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٣

يسوع +

خالي العزيز وامرأة خالي العزيزة،

ليس لديّ سوى بضع دقائق لأقدّم لكما تمنّياتي بالسنة الجديدة. فقد قالت لي أمّنا منذ قليل إنَّ رسالتها يجب أن ترسَل غداً صباحاً. لكني لست بحاجة إلى وقتٍ كثير لأكرر على أهلي الأعزاء ما يتمنّاه قلبي من اجل سعادتهم. فأنا أودّ، اذا أمكن ذلك، ألّا تدّخر لهما السنة الجديدة غير التعزيات. ولكن يا للأسف! إنَّ الرب الذي يعرف ما اعدَّ من مكافآت لأصدقائه (١ قورنتس ٢/٩)، يحبّ غالباً أن يُكسبهم هذه الكنوز بالتضحيات. لقد كانت أمّنا القديسة تريزا تقول لربّنا مبتسمة، هذه الكلمات الصادقة: «يا إلهي، لا يدهشني أن يكون أصدقاؤُك نادرين إلى هذا الحد، فأنت تعاملهم بشكل سيّءٍ جدّاً [١]».

ومع ذلك، فالله تعالى يغمرنا بلطفه، حتى وسط التجارب التي يرسلها؛ فمرض والدي العزيز هو، بالنسبة إلي، برهانٌ جليّ على ذلك. كان هذا الصليب أكبر ما يمكنني تصوُّره. لكن بعد أن جعلنا ربنا نذوق مرارته، عاد يلطّف، عبرَ أيدي أهلنا الأعزاء، كأس الألم التي قدّمها لنا، والتي كنتُ أتوقّع أن أشربها حتى الثمالة...

يا خالي العزيز ويا امرأة خالي العزيزة! لو تعلمان كم أنَّ قلب صغيرتكما تريز محبٌّ وعارفٌ بالجميل... لا أستطيع أن أقول لكما كل ما أودّ قوله، فقد حانت ساعة صلاة الليل، فاغفرا لي تفكك رسالتي وخربشتي، ولا تنظرا إلّا إلى قلب إبنتكما

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

أرجو ان تقدِّما اخلص التمنيات إلى السيّدة فورنيه من قبل ابنتها الصغيرة.

(١) عبرة مقتبسة من نوادر القديسة تريزا الافيلية ومغزاها ان الام تريزا سقطت في الماء عند احد المعابر. فهتفت: «كأننا بحاجة الى مزيد من المصائب». فسمعت يسوع يقول لها: «هكذا أعامل اصدقائي». فكان جوابها الجملة الواردة في نص الرسالة.

الرسالة ١٥٦ إلى الأم أنييس ليسوع

ي.م.ي.ت.

٢١ كانون الثاني/يناير ١٨٩٤

حلم الطفل يسوع[1]

يسوع في مذوده يلعب بالأزهار التي حملتها إليه عروسه الحبيبة، ويفكّر في ما سيفعله ليشكرها... وفوق، في الجنائن السماوية، يضفر الملائكة، خدّام الطفل الإلهي، الأكاليل التي حفظها قلبه لحبيبته...

ومع هبوط الليل، يرسل القمر أنواره الفضيّة، بينما ينام الطفل يسوع الوديع... ويده لا تفارق الأزهار التي أبهجته في أثناء النهار، وقلبه يحلم، باستمرار، بسعادة عروسه الحبيبة ...

وسرعان ما يلمح في البعيد أشياء غريبة ليس لها أي شبه بالأزهار الربيعية: صليبٌ!... حربةٌ!.. إكليل شوك!... ومع ذلك، فالطفل الإلهي لا يرتجف. لأنه اختار تلك الاشياء ليظهر لعروسه كم يحبُّها!.. لكن هذا ليس، بعدُ، كافياً، فهو يرى وجهه الطفولي والجميل للغاية مشوّهاً، مدمًّى، ويصعب معرفته (**أشعيا** ٥٣/٣)!... وإذ يعلم يسوع جيّداً أنَّ عروسه ستعرفه دائماً، وستكون إلى جانبه حين يتخلّى عنه الجميع، لذلك، يبتسم الطفل الإلهي لهذه الصورة الدامية؛ ويبتسم ايضاً للكأس المليئة خمراً تُنبت العذارى (**زكريا** ٩/١٧). يعرف أنّ العامِّين سيتخلّون عنه وهو في الافخارستيا؛ لكن يسوع يفكّر في حبِّ عروسه وفي ألطافها. يرى أزهار فضائلها تطيّب المقدس، لكنَّ الطفل يسوع يستمرّ في النوم هادئاً... إنَّه ينتظر أن تنهزم الظلال (**نشيد الأناشيد** ٤/٦) وأن يخلف نهارُ الأبدية المشعّ ليلَ الحياة!...

عندئذٍ، سيعيد يسوع إلى عروسه الحبيبة الأزهار التي قدّمتها له لتعزّيه على الأرض... وعندئذٍ، سيُميل اليها وجهه الإلهي الذي يشعّ مجداً، وسيجعل عروسه تتذوّق للأبد قبلته الإلهية الفائقة الوصف!!!...

---

(١) في هذه الرسالة تشرح تريز اللوحة التي رسمتها بمناسبة العيد الأول للأم أنييس وهي رئيسة الدير.

يا أمي العزيزة،

قد أنهيتِ قراءة الحلم الذي كانت طفلتك تريد تصويره بمناسبة عيدك. لكن، لِلأسف! ما كان لغير ريشتِك الفنانة ان ترسم سرًّا عذبًا بهذه العذوبة!... وآمل ألَّا تنظري إلَّا إلى الارادة الطيبة عند من يسعدها كثيراً بأن تسرّك.

يا أمي، ما أردتُ تمثيلَه من خلال الزهيرات التي يشدُّها يسوع إلى قلبه إنما هو انت وفضائلك. فالأزهار تَحسُنُ لأجل يسوع وحده! نعم، ستبقى فضائل أمي العزيزة محجوبةً دائماً مع طفل المذود؛ ومع ذلك، فبالرغم من التواضع الذي يودّ لو يحجُبها، فإنَّ العطر السرّي الذي يفوح من هذه الأزهار، يجعلني أتوقع منذ الآن، الروائع التي سأراها يوماً في الوطن الأبدي، عندما سيُسمَحُ لي بتأمل كنوز المحبة التي تغدقينها الآن على يسوع.

يا أمي! تعرفين أنني لن أستطيع أبداً التعبير عن كلِّ امتناني لكِ لأنك هديتني، كملاكٍ من السموات، في دروب الحياة الضيقة؛ فأنتِ مَنْ علَّمني أن أعرف يسوع وأحبّه؛ وبما أنكِ الآن أمّي على وجهين: آه! فقوديني دائماً نحو الحبيب وعلّميني ان أُمارسَ الفضيلة، حتى لا أَبعُدَ عنكِ كثيراً في السماء، وحتى تستطيعي الاعتراف بي بصفتي ابنتك واختك.

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٥٧ إلى سيلين

ي.م.ي.ت

آذار أو أيار/مارس او مايو ١٨٩٤

سُرَّت أمّنا كثيراً بسمك المورة[1]، وهي تودّ أن تكتب رسالة صغيرة تشكر فيها

(١) كتبت تريز «سمك المورة» بالإنكليزية "Cod-fish" ، ويُعرف في منطقة النورماندي بأصداف سان جاك - Coquilles Saint Jacques.

عزيزها سيلان[٢] لكنها لا تستطيع ذلك. وهي سعيدة، كذلك، برسالة ماري[٣].

فلتكن المنفية الصغيرة حزينةً بدون أن تكون حزينة؛ فإن لم تغمرها المخلوقات فقد غمرتها كلّ ملاطفات يسوع. وأن كانت سيلين الآن بدون مسكن[٤]، فيسوع مُقيمٌ أحسن إقامة، وهو راضٍ ومسرور برؤية عروسه الحبيبةِ تائهة، لماذا؟... أنا لا أعرف شيئاً عن ذلك... فهذا سرُّ يسوع، لكنّي أعتقد أنَّه يعدُّ كثيراً من الأشياء الجميلة في بيتنا الصغير... ويبدو ان لديه من الاشغال ما يُنسيه المسكينة سيلين ... لكن لا، فهو ينظر إليها من الشبَّاك بدون ان تراه (**نشيد الأناشيد** ٢/٩). تروقه رؤيتها في البرّية لا شغلَ آخر لها غير أن تحب[٥]، وهي تتألم، بدون أن تحسّ بأنَّها تحبّ!.. وبما أن يسوع يعلم علم اليقين أنَّ الحياة ليست إلَّا حلماً، فهو يغتبط برؤية عروسه تبكي على ضفاف أنهر بابل (**مزمور** ١٣٦/١)! وقريباً، سيأتي يوم يأخذ فيه يسوع سيلين بيدها ويُدخلها إلى بيتنا الصغير الذي تحوّل قصراً أبدياً... ويقول عندئذٍ: «الآن حان دوري». لقد أعطيتِني في الأرض الملجأ الوحيد الذي يرفض أيُّ قلبٍ بشري أن يتخلّى عنه، اي ذاتك، والآن أقدم لك جوهري الأبديَّ مقاماً[٦]، أي: «ذاتي»، فذاك هو مقامك للأبدية كلها. لقد كنتِ في أثناء ليل الحياة تائهةً وحيدةً،اما الآن، فلن تكوني وحيدة؛ بل انا، يسوع، عريسك وصديقك، الذي من اجله ضحّيتِ بكل شيء، سأكون رفيقك الذي سيغمرك بالفرح لدهر الداهرين!...

(٢) تنادي اختها Célin.

(٣) ماري غيران.

(٤) سيلين تستعد للذهاب في حزيران/يونيو الى بيت خالها.

(٥) يوحنا الصليب، **النشيد الروحي**، المقطع ٢٨.

(٦) اقتباس عن كتاب ارمانجون وقد نسخت مقاطع منه في سنة ١٨٨٧.

الرسالة ١٥٨ إلى ليوني

ي.م.ي.ت

آذار/مارس ١٨٩٤

يسوع +

عزيزتي ليوني

لا أستطيع التعبير لك عن غبطتي لما علمت أنّك قد قُبلتِ للاتشاح بالثوب الرهباني!... أفهم مدى سعادتك، وأشاركك فرحك الى حدٍّ بعيد.

يا أخيّتي العزيزة، ما أوفر ما كافأ الله جهودك! أذكر ما قلته لي في المتحدّث قبل دخولك السفينة المقدسة (**تكوين** ٧/١٣). لم تكوني تأبهين لبقائك الأخيرة دائماً، وارتدائك الثوب الرهباني بدون احتفال... فقد كنت تفتّشين عن يسوع، ولأجله تتخلّين عن كلّ عزاء. ولكن، كما كان والدنا الحبيب يردّد علينا غالباً: «إنَّ الربَّ لا يترك أحداً يفوقه كرماً»، فلم يشأ أن تُحرمي السعادةَ بأن تصبحي خطّيبته علناً، بانتظار أن تصيري عروسه. ويبدو لي أنَّ سنوات المنفى التي قضيتِها في العالم قد أدّت الى تزيين نفسك بحلَّةٍ فاخرة تليق بيوم خطوبتك. فأيام الربيع الساطعة، قد اعقبت بالنسبة اليك ايام الشتاءَ الحزينة. فيقول لك يسوع كما لعروس **الأناشيد: الشتاء قد ولّى والمطر فات وزال، قومي يا حبيبتي، يا حمامتي، وهلّمي (نشيد الأناشيد** ٢/١١، ١٠) **ها أنا على الباب، إفتحي لي يا أختي، يا خليلتي، لأنَّ رأسي قد بلّله من الندى، وغدائري قطراتُ الليل (نشيد الأناشيد** ٥/٢). منذ زمن طويل، كنتِ تتوقين إلى زيارة يسوع، وكنتِ تقولين له كما العروس: **من سيتيح لي، يا حبيبي، أن أجدك وحدك في الخارج حتى أستطيع أن أعطيك قبلة ولا يلحقني في المستقبل ذمٌّ من أحد!... (نشيد الأناشيد** ٨/١).

ها هو أخيراً اليوم المشتهى... يا أختي العزيزة، لم تكوني، بعد، قد التقيتِ يسوع أمام العالم؛ لكنّك بعد أن فتّشتِ عنه بعنايةٍ كبيرة، ها هو أخيراً يأتي بنفسه إليك.. كنت موافقة على ملاقاته وحده في الخارج، لكنه يرغب في أن يعطيك قبلةً أمام العالم كلّه لئلا يجهلَ أحدٌ «أنّه وضع علامته على جبينك، وأنّك لن تستقبلي أبداً حبيباً آخر سواه[1]».

---

(١) من فرض القديسة انييس.

يا عزيزتي ليوني، نسيت ان أشكرك على رسالتك؛ كان عليَّ أن أبدأ، من هناك؛ لكنك تفهمين، أليس كذلك، أنَّ الفرح الذي أشعر به لسعادتك الشديدة هو سبب نسياني.

آمل في أنَّ تستجاب قريباً أمنياتك كلُّها، وأنَّ يشفى كاهنك الصالح بسرعة. وأرجوك، يا أخيَّتي العزيزة، أن تقدّمي احترامي إلى أمك الجليلة[٢] الطيّبة. أنا مثلك سعيدة جدًّا بأن تكون هي من تُلبسك الثوب المقدس...

أتركك وانا متّحدة بك اتحاداً وثيقاً في قلب يسوع الإلهي.

أخيّتك غير المستحقة

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٥٩ إلى سيلين موديلوند[١]

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، ٢٦ آذار ١٨٩٤

عزيزتي سيلين،

وددت لو استطعت الاجابة قبل الآن على رسالتك التي كانت لي مصدر فرحٍ كثير؛ وقد منعني من ذلك الصوم الكبير. اما الآن، وقد حلّ الزمن الفصحي، فأستطيع القول لابنة عمّي الصغيرة[٢] كم أقاسمها سعادتها[٣].

إنَّ ما تشعرين به من سلام عميق، هو بالنسبة اليّ علامةٌ جليّة على إرادة الله، فهو وحده من يستطيع أن يسكب السلام في نفسك؛ والسعادة التي تتذوّقينها تحت نظره

---

(٢) الأم ماري دى سال Marie de Sales .

الرسالة ١٥٩

(١) Céline Maudelonde.

(٢) هذه الصفة لا تستند الى أي قرابة دموية؛ إن هي إلا تعبير عن علامة توثقت منذ الطفولة.

(٣) زواجها القريب من السيّد غاستون پوتييه Gaston Pottier.

لإلهي، لا يمكنها أن تأتي إلّا منه. عزيزتي سيلين الصغيرة، لا أستطيع ان اعبر لكِ عن ودّتي كما أعبّر عنها لو كنتُ ما زلت في العالم؛ ومع ذلك، فهي ليست بضعيفة؛ بل على العكس، أشعر بأنّني أكثرُ نفعاً لكِ في عزلتي ممّا لو كنت أنعم بعزاء قربك. إنَّ قضبان الكرمل لم توجد لتفرّق القلوب التي لا تتحاب إلّا في يسوع، بل هي معدّة لأن توثّق عرى اتحادها.

وحين تسلكين الدرب الضيق الذي شقّه لك الله، سأصلي انا لاجل سيلين، رفيقة طفولتي، وسأطلب لأجلها ان تكون أفراحها كلُّها نقيّةً بحيث تستطيع أن تتذوّقها دائماً تحت نظر الله. وسأطلب بصورة خاصة، أن تتذوّق الفرح الفريد، بأن تردَّ نفساً إلى ربّنا؛ وأن تكون تلك النفس عينها من ستتوحّد قريباً مع نفسك.

لا أشك في أنَّ هذه النعمة ستُغدَق عليكما قريباً، وسيُسعدني ان تكون صلواتي الضعيفة قد ساهمت قليلاً في ذلك.

آمل أن تكون عزيزتي هيلين قد شفيت الآن، لأنها، في الحقيقة، لم تختر الوقت المناسب لتكون مريضة!.. أرجوك أن تعانقيها بشدة نيابةً عنّي؛ وأكلّفها، هي، بأن تنقل إلى سيلين العزيزة أرقّ قبلاتي؛ فأنا متأكدة من أنّني لا أستطيع اختيار أفضل منها للقيام بهذه المهمّة الحلوة...

إنَّ الأم ماري دى غونزاغ تنضمُّ الى بنات عمّك الكرمليات الثلاث لتفرح بسعادتك، وهن يرجوْنك، عزيزتي الصغيرة سيلين، تقديم احترامهنَّ إلى السيّد والسيّدة موديلوند.

أتركك، يا عزيزتي سيلين، وقلبي متّحد بقلبك دائماً اتحاداً وثيقاً.

إبنة عمك التي ستحبّك طوال حياتها والتي لن تتوقّف عن الصلاة لأجل سعادتك،

الأخت تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

أرسلت إلينا الأم رئيسة الكرمل في سايغون[٤] عدداً كبيراً من الأشياء الصينية، من

---

(٤) سايغون مدينة في الهند الصينية، وعاصمة فيتنام الجنوبية سابقاً، كان كرمل ليزيو قد أسس فيها ديراً سنة ١٨٦٠.

بينها قطعة أثاث صغيرة جميلة للصالون. ففكرت أمّنا في إجراء يانصيب عليها لصالح جماعتنا الرهبانية. البطاقات تكلّف ٠،٥٠ فرنكاً للواحدة، ونحن نقدّمها لجميع الأشخاص من بين أصدقاء الكرمل؛ إن كنت ترغبين في بعضها، فسنسرّ بإرسالها اليكِ.

الرسالة ١٦٠ إلى الأخت ماري ألُويزيا ڤاليه[1]

ي.م.ي.ت.

٣ نيسان/ابريل ١٨٩٤

يسوع +

أختي العزيزة جداً،

لا يسعني أن أعبّر لكِ عما تركت فيّ رسالتك اللطيفة من أثر. وقد أسعِدتُ كثيراً عندما عرفتُ أنَّ لوحة[2] الطفل يسوع قد نالت رضاك، وقد فاقت مكافأتي كلّ ما كنت أتصوّر... خالتي العزيزة[3]، اسمحي لي بأن أستمرّ في إطلاق هذا الاسم؛ فقد كنت أفكر فيك عندما كنت ابحث عن هدية اقدّمها لأمنا الموقرة بمناسبة عيدها الأول كرئيسة.

كنتُ أعلمُ أنّها ستفرح بأن ترسل اليك تذكاراً صغيراً؛ لذلك سكبت قلبي كلّه عندما كنت ارسم «حلمَ الطفل يسوع». لكنْ للأسف! لما رأيت ريشتي قاصرةً عن إظهار ما كانت نفسي تحلم به، بلّلتُ بدموعي ثوب الطفل يسوع الناصع. وهذا ما منع سقوط شعاع سماوي على وجهه الصغير!... فصممت، في حزني، على ألا أصرِّح عما دفعني الى الشروع في عملي. وبالفعل لم أبُحْ بسرّي الصغير لأمنا العطوفة إلّا بعد أن رأيتُ تسامحها. لقد أرادت، فعلاً، أن تنظر إلى قلب ابنتها ونيّتها لا إلى فنّها، وقد فرحتُ كثيراً بذهاب طفلي يسوع نيابةً عنّي ليتعرّف بخالتي اللطيفة في لومان. لقد رسمت هذا

---

(١) St. Marie - Aloysia VALLÉE هي معلّمة پولين السابقة في دير الزيارة في Le Mans.

(٢) هي لوحة رسمتها تريز وقد قدمتها الام انييس لمعلمتها.

(٣) كانت پولين تنادي معلّمتها السابقة «خالة» تذكاراً لخالتها راهبة الزيارة الأخت ماري دويزيته Marie-Dosithée، وقد سارت تريز على منوالها.

الطفل الإلهي بشكلٍ يُظهر ما هو بالنسبة إليّ... وفي الواقع، إنه نائم اكثر الاحيان...! إنَّ يسوع تريز المسكينة لا يداعبها كما كان يداعب أمَّه القديسة. وهذا طبيعي جداً، لأنَّ الابنة هي أقل استحقاقاً من الأم بكثير!.. ومع ذلك فإنَّ عيني يسوع المغمضتين الصغيرتين تبوحان لنفسي بالكثير؛ وما دام لا يداعبني فأنا أحاول أن أرضيه. أعرف أنَّ قلبه ساهر دائماً (**نشيد الأناشيد** ٥/٢)، وأنَّه في وطن السماوات سيتنازل ويفتح عينيه الإلهيتين. وعندئذٍ، عندما ارى يسوع، سأسعد أيضاً بمشاهدة أمهاتي الصالحات في دير راهبات الزيارة بالقرب منّي. وآمل ان يعترفن بي كأبنة لهنَّ. ألسنَ، في الواقع، أمهاتي اللواتي كوَّنَّ قلبَيْ ملاكين منظورين كانا لي فعلًا بمثابة أُمَّين [٤]؟

أذكر تماماً سفري إلى دير راهبات الزيارة في لومان وكنت في الثالثة من العمر[٥]، ولقد جدّدت [هذا السفر] مرات عديدة في قلبي؛ فلم تمنعني قضبان الكرمل من زيارة خالتي العزيزة غالباً، وجميع الأمهات الموقّرات اللواتي يحببن فعلًا، وبدون ان يعرفنها، الصغيرة تريز الطفل يسوع.

أرجوك، يا خالتي الطيّبة، إيفاء دين العرفان بالجميل عن ابنة أختك، شاكرة أمك الموقّرة وجميعَ أخواتك العزيزات، خاصةً أختي جوزيف دى سال[٦]، التي أثرَّ فيَّ كثيراً تذكّرها لي بحنان.

يا خالتي العزيزة، ما زلت أودّ التحدث إليك، لكني بلغت نهايةَ ورقتي، وأجدني مضطرةً الى الافتراق عنك مع تقديم الاعتذار!...

الأخت تريز الطفل يسوع
ابنة أختك الصغيرة غير المستحقة.

---

(٤) ماري وبولين مُربيتا تريز، وقد امضتا سنوات في القسم الداخلي بدير راهبات الزيارة في لومان.
(٥) في ٢٩ آذار/مارس ١٨٧٥.
(٦) الأخت Joseph de sales هي لويز غاس Louise Gasse ، رفيقة بولين في المدرسة الداخلية وصديقتها.

الرسالة ١٦١ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

٢٦ نيسان/ابريل ١٨٩٤

يسوع +

عزيزتي، كنّارة يسوع الصغيرة،

لكي أتغنّى ببلوغك الخامسة والعشرين، أرسل إليك قصيدةً صغيرة(١) نظمتُها وأنا أفكر فيكِ!..

سيلين! أنا متأكدة من أنك ستفهمين كلَّ ما اودّ قوله لك في نشيدي. للأسف! يلزمنا لغةٌ من لغةٍ أخرى غير لغة الأرض للتعبير عن جمال استيداع النفس بين يدي يسوع؛ فقلبي لم يستطع ان يتمتم ما يشعر به.... سيلين، إنَّ قصة سيسيليا قديسة التسليم هي قصّتك أيضاً! لقد وضع يسوع بالقرب منك ملاكاً من السموات يحرسك دائماً، ويحملك بين يديه **لئلّا تصطدم بحجر رجلك** (**مزمور** ٩٠/١٢). أنتِ لا ترينه، ومع ذلك فهو الذي حفظ نفسك منذ خمس وعشرين سنة، وصان نصاعتها البتولية، وهو الذي يبعد عنك ظروف التعرُّض للخطيئة... وهو مَنْ ظهر لكِ في حلمٍ غامض أرسله إليك في طفولتك. كنتِ ترين ملاكاً حاملاً مشعلاً، يمشي أمام والدنا الحبيب؛ كان يريد، بدون شك، أن يُفهمَكِ الرسالة التي سيكون عليك اتمامها فيما بعد: أنتِ الآن الملاكُ المنظور الذي سيذهب قريباً ليتّحد بملائكة المدينة السماوية! سيلين، لا تخشي عواصف الأرض... إنَّ حارسَك الأمين يظلّلك بجناحيه وفي قلبك يستريح يسوع، طُهرُ العذارى؛أنتِ لا ترين كنوزك، فيسوع ينام والملاك يمكث في صمته الغامض؛ ومع ذلك فهما هناك مع مريم التي تغمرك أيضاً بوشاحها!....

لا تخافي، يا عزيزتي سيلين، فلن تنكسر كنّارتك طالما لا تتوقّف عن الترنّم بيسوع ... إنّها بدون شك، اسرع الى العطب من البلّور؛ فلو أعطيتها إلى موسيقار قليل الخبرة، لأنكسرت سريعاً؛ ولكن يسوع هو الذي يهز كنّارة قلبك... فهو سعيدٌ بأن تشعري بضعفك؛ وهو الذي يطبع في نفسك مشاعر عدم الثقة بالذات. سيلين، يا

---

(١) **القديسةِ سيسيل** Sainte Cécile، راجع **قصائد جديدة** ٣ .

عزيزتي، أشكري يسوع، فهو يغمرك بنعمه المختارة، فإذا بقيت دائماً أمينة على إرضائه في الامور الصغيرة، سيجد نفسه ملزماً بمساعدتك في الامور الكبيرة... لقد تعب الرسل، بدون ربّنا، طوال الليل، ولم يصيبوا من السمك شيئاً، لكن عملهم كان مستحبّاً عند يسوع؛ فكان يريد أن يبرهن لهم على أنَّه وحده قادرٌ على أن يعطينا شيئاً ما، وكان يريد أن يتواضعَ الرسل... وحين قال لهم: **أيها الفتيان، أمعكم شيء يؤكل؟** (**يوحنا** ٢١/٣–٥) – أجاب القديس **بطرس : يا معلم، لقد تعبنا الليل كلّه ولم نُصِب شيئا** (**لوقا** ٥/٥). فلوّ أنّه أصاب بعض الأسماك الصغيرة لما حقَّق يسوع أعجوبة، لكنه لم يُصِبْ شيئاً، لذلك ملأ يسوع في الحال شبكته بحيث كادت أن تتمزّق. ذاك هو، فعلاً، طبع يسوع. إنَّه يعطي كإله، لكنّه يريد قلباً متواضعاً....

فالأرض كلّها أمامه مثل حبَّة الرمل الصغيرة التي لا تكاد ترجّح كفة الميزان، أو مثل نقطة ندى تسقط على الأرض عند السَحَر (**حكمة** ١١/٢٣).

(عزيزتي سيلين، إن استطعت قراءتي فسيكون امرأً مذهلاً، إذ لا وقت لأُعيدَ النظر في ما أكتبه اليكِ).

إنَّ الوقت يمضي كالظل، وقريباً سنجتمع في السماء. ألم يقل يسوع لنا في أثناء آلامه: **ومع ذلك، سترون ابنَ الإنسان جالساً عن يمين الله، وآتياً على غمام السماء؟..** (**مرقس** ١٤/٦٢).

سنكون هناك! ...

تريز الطفل يسوع

الرسالة ١٦٢ إلى سيلين[١]

٢٦ نيسان/ابريل ١٨٩٤

(نص الصورة)

يا يسوع، ما الذي جعلك صغيراً إلى هذا الحد؟
إنّه الحبّ[٢].

(نص الغلاف)

صورة صغيرة
رسمتها
تريز الصغيرة
بمناسبة إتمام سيلين الصغيرة
سنتها الخامسة والعشرين،
بإذنٍ من الأم
الرئيسة الصغيرة

الرسالة ١٦٣ إلى الأخت تريز دوزيته (ليوني)

ي.م.ي.ت.

الأحد ٢٠ أيار / مايو ١٨٩٤

يسوع +

أختي العزيزة تريز،

كم فرّحتني رسالتك!... ولا أستطيع أن أشكر الرب شكرًا كافياً على جميع النعم التي يغمرك بها.

---

(١) ارفقت تريز الرسالة السابقة - بصورة صغيرة الحجم عليها نقشٌ صغير يمثل القديسة تريز الافيلية يلاطفها الطفل يسوع.

(٢) القديس برناردوس Saint Bernard.

لقد أخبرتنا سيلين بأدقّ التفاصيل عن عيد ٦ نيسان / ابريل الجميل[١]. وكم ابتهجَتْ أمنا العزيزة في السماء بذاك اليوم!... وخالتي في لومان[٢]، كم أطالت نظرتها المُحِبّة اليك!

ويُسعدني جدًّا أن تكون أمّي القديسة تريزا[٣] قد أصبحت أمَّك، ويبدو لي أنَّها رابط يوثِّق عرى اتحادنا.

لا أستطيع، يا أخيّتي العزيزة، أن أقول لك كل ما أودّ قوله؛ فقلبي لا يقدر أن يترجم مشاعره الحميمة بلغة الأرض الباردة. لكني سأنظر إليك يوماً، في السماء، في وطننا الجميل، وستَرَيْن في نظرتي كل ما أريد قوله لك، لأنَّ الصمت هو لغة سكان السماء المغبوطين[٤]!...

وفي انتظار ذلك، لا بدَّ من أن نربح وطنَ السماوات... ولا بدَّ من التألم، ولا بدَّ من الصراع... آه! أتوسل إليكِ، صلّي لأجل صغيرتك تريز حتى تستفيد من المنفى الأرضي، وما يُوفِّرُ لها من وسائل لتستحقّ السماء.

لقد أعلمتنا سيلين بنتيجة انتخاباتكنَّ، فتألمت لرؤيتكِ تتركين أمًّا كنتِ تحبّينها؛ لكني تعزّيت بفكرة أن خليفتها هي جديرة حقاً بسَلَفها القديسة[٥]، وأنا على يقين من أنَّ عندك الآن، لتوجيهك نحو يسوع، أُمّان تستحقّان هذا الاسم اللطيف.

أترككِ، يا أختي العزيزة، بدون أن يبتعد قلبي عنك أبداً، وأرجوك بأن تقدِّمي احترامي إلى أُمَّيْك الطيبتَيْن..

الأخت تريز الطفل يسوع، الوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(١) يوم اتشاح ليوني بالثوب الرهباني.
(٢) الأخت ماري دويزيته Marie-Dosithée وقد استعادت المبتدئة جزءاً من اسمها.
(٣) القديسة تريزا الأڤيلية.
(٤) «الصمت لغة الملائكة!» حكمة رسمتها الأم أنييس في مدخل عنبر النوم حيث تنام تريز.
(٥) الأم ماري دى سال Marie de Sales ، رئيسة الدير منذ ست سنوات، خلفتها الأم جان فرانسواز Jeanne-Françoise ، معلّمة ابتداء سابقة.

الرسالة ١٦٤ إلى الأخت تريز دوزيته (ليوني)

ي.م.ي.ت.

٢٢ أيار/مايو ١٨٩٤

يسوع +

أختي العزيزة،

ستصلك رسالتي الصغيرة، رسالة الأحد، في الوقت نفسه مع هذه الرسالة، وسترين أن سعادتك قد ابهجتني منذ ذلك اليوم... وأشكركِ على رسالتك الصغيرة التي سرّتني كثيراً جداً!...

طوبى للكِ، يا أخيّتي العزيزة،لأن يسوع يغار على قلبك غيرةً (**خروج ٣٤/ ١٤**). وهو يقول لكِ كما لعروس **الأناشيد: قد خلبتِ قلبي يا أختي، يا عروسي، بإحدى عينيك وبشعرة واحدة من شعرك الذي يطير على عنقك** (**نشيد الأناشيد ٤/٩**). إنَّ يسوع مسرورٌ جدًّا منكِ، وأشعر بذلك؛ فإن كان يدعك، بعدُ، ترين بعض الخيانات في قلبك، فأنا متأكدة من أنَّ أفعال المحبة التي يتلقّاها هي أكثر بكثير.

أيّ تريز ستكون اكثرنا ورعاً؟ إنّها أكثرنا تواضعاً، وأكثرنا اتحاداً بيسوع، وأكثرنا أمانةً على القيام بجميع أعمالها بحبّ!...آه! لتصلِّ كلٌّ من اجل الاخرى، لكي نكونَ متساويتين في الأمانة... لنجرحْ يسوع، بعيننا وبشعرة واحدة من شعرنا، يعني بأكبر شيء وبأصغر شيء. ولا نرفضنَّ له أقلَّ تضحية. فكلُّ شيء كبير في الحياة الرهبانية.... فأن التقاط دبّوسٍ حبّاً به يمكنه أن يهدي نفساً. يا له سرّاً...

آه! يسوع وحده يستطيع أن يجازي اعمالنا بمثل هذا الجزاء؛ فلنحبّه إذاً بكل قِوانا..

أختك التي تحبّك

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٦٥ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

٧ تموز/يوليو ١٨٩٤

يسوع +

يا عزيزتي سيلين،

رسالة ليوني[1] تُقلقنا كثيراً....

آه! كم ستكون تعيسة إذا عادت إلى العالم! لكنني أصارحك بأملي ألا يكون كلامها إلّا تجربةً عابرة. وعلينا أن نصلّي كثيراً لأجلها، فالله قادر فعلاً على أن يهبَها ما ينقصها...

أمنا في رياضة لفترة طويلة، ولهذا السبب لن تكتب اليكِ؛ وهي تفكر كثيراً فيك وفي ماري، وستصلّي كثيراً لأجل ابنتيها الصغيرتين.

لا أدري إن كنتِ لا تزالين في ذات الحالة النفسية كما في ذلك اليوم، ومع ذلك سأكتب لك مقطعاً من **نشيد الأناشيد** يعبّر تماماً عمّا هي النفسُ الغارقة في الجفاف والتي لا يُفرحها ولا يعزّيها شيء: **نزلتُ إلى جنّة الجوز لأنظر إلى ثمر الوادي، وأرى هل أزهرَ الكرم، ونَوَّر الرمّانُ... فلم أعد اعرف اين انا... واضطربت نفسي اشد الاضطراب بسبب عربات عميناداب** (٦/١٠-١١).

تلك هي صورة نفوسنا؛ فكثيراً ما ننزل إلى الوديان الخصبة حيث يحبُّ قلبنا أن يتغذّى؛ فإذا بحقل الكتب المقدسة[2] الواسع قد انفتح امامنا مرّات عديدة ليصبَّ كنوزه لصالحنا؛ هذا الحقل الواسع يبدو لنا **كصحراء مجدبةٍ لا ماء فيها (مزمور ٦٢، ٢)**... لم نعد نعرف أين نحن، فبدلاً من السلام والنور، لا نرى غير الاضطراب، أو، على الأقل، لا نرى غير الظلمات... لكنّنا، مثل العروس، نعرف سبب شدّتنا. فنفسنا مضطربة بسبب عربات عميناداب... ولم نبلغ بعد وطننا الأبدي؛ وعلى الشدّة أن تُمحّصنا **كالذهب في البوتقة (حكمة ٣/٦)**. إنّنا نحسب أنفسنا متروكات أحياناً؛ ويا للأسف! هل العربات

(١) هي رسالة لمّحت فيها ليوني الى ما تجد من صعوبات في الدير.
(٢) **الاقتداء**، ج ٣، ٥١، ٢.

والجلبة الباطلة التي تكدّرنا، هي فينا أم هي خارجنا؟. نحن لا نعرف... لكنَّ يسوع يعرف ذلك جيّداً؛ إنه يرى حزننا، وفجأة يُسمَعُ صوته العذب، وهو صوتٌ ألطف من همس الربيع: **عودي، عودي، أيّتها الشولميّة، عودي، عودي، فننظرَ إليك!**.. (**نشيد الأناشيد** ٦/ ١٢). يا لَنداءِ عريسنا!... إيه، عجباً! ما عدنا تجرّأنا على النظر إلى أنفسنا، فكثيراً ما كنّا نتصوّر أنّنا بدون نضارة ولا زينة، واذا بيسوع ينادينا، ويريد أن يتأمّلنا على مهل؛ لكنه ليس وحده، بل يأتي معه الأقنومان الآخران في الثالوث الأقدس، فيتملّكون نفسَنا... لقد سبق يسوع ووعدنا بذلك عندما كان على وشك الصعود إلى أبيه وأبينا (**يوحنا** ١٧/٢٠)؛ وقال بحنانٍ فائق الوصف: **إذا أحبّني أحدٌ، حفظ كلامي، فأحبَّه أبي ونأتي إليه فنجعل لنا عنده مقاماً** (**يوحنا** ١٤/ ٢٣). ان نحفظ كلمة يسوع: ذاك هو الشرط الوحيد لسعادتنا، والبرهان على حبّنا له. فما هي هذه الكلمة ؟... يبدو لي أنَّ كلمة يسوع هي، ذاته،... هو يسوع، الكلمة، كلمة الله!.. يقول لنا ذلك في مقطع لاحق من إنجيل القديس يوحنا، مصلّياً إلى أبيه لأجل تلاميذه. وهذا ما قاله: **كرّسهم بكلمتك، إنَّ كلمتك لَحَقّ** (**يوحنا** ١٧/ ١٧). وفي مكان آخر يعلّمنا يسوع أنَّه **الطريق والحق والحياة**. نحن نعرف إذاً الكلمة التي يجب علينا ان نحفظها؛ ولن نسأل يسوع كما فعل بيلاطس: ما هو الحق؟ فنحن نملك الحقّ ونحفظ يسوع في قلوبنا!.. ويمكننا القول غالباً، مثل العروس، **إنَّ حبيبنا باقة مرّ** (**نشيد الأناشيد** ١/ ١٢)، وإنَّه بالنسبة الينا **عريسُ دم** (**خروج** ٤/ ٢٥)... لكن كم سيَعْذُبُ لنا أن نسمع يوماً هذا الكلام البالغ الرقّة يخرجُ من فم يسوعِنا: **أنتم الذين ثبتوا معي في مِحَني، أنا أوصي لكم بالملكوت كما أوصى لي أبي (الإنجيل)** (**لوقا** ٢٢/٢٨- ٢٩). مِحَنُ يسوع، يا للسّر! عانى من مِحَنٍ إذاً، هو أيضاً؟ نعم، عانى منها، وكثيراً ما كان وحده يدوس المعصرة، ويفتّش عن مناصرين فلا يجد احداً... (**أشعيا** ٦٣/٣، ٥)... كثيرون يخدمون يسوع عندما يناصرهم، لكن قليلين يوافقون على مرافقة يسوع النائم على الأمواج (**مرقس** ٤/ ٣٨)، أو التألّم في بستان النزاع!... (**لوقا** ٢٢/٣٩- ٤٦)، مَنْ يريد إذاً أن يخدم يسوع لذاته؟... آه! سنكون نحن... ستتّحد سيلين وتريز دائماً أكثر فأكثر، وفيهما ستتمُّ صلاة يسوع هذه: **يا أبتِ، فليكونوا واحداً كما نحن واحد**... (**يوحنا** ١٧/ ٢١). نعم، إنَّ يسوع يعدُّ لنا الآن ملكوته، كما أعدَّه له أبوه (**لوقا** ٢٢/ ٢٩). إنَّه يعدّه لنا تاركاً إيّانا في المحنة، فيريد ان ترى المخلوقات وجهنا، لكن ان يكون شبه مستورٍ (**أشعيا** ٥٣/ ٣) حتى لا يعرفنا أحدٌ سواه!..

لكن ما أسعدَنا أيضاً بأن نفكر في أنَّ الله، بل الثالوثُ بكامله ينظر إلينا، وأنَّه فينا، ويروقه النظرُ إلينا. لكن ماذا يريد أن يرى في قلبنا؟ اللهم إلَّا اجواق موسيقى في معسكر؟ (**نشيد الأناشيد** ٧/٥-١). **كيف يمكننا إذاً أن نرنّم ترانيم الرب في أرض غربة**؟.. **منذ زمن طويل وكنّاراتنا معلّقة على ضفاف الأنهار** (**مزمور من** ١٣٦/٤،٢). لن نتمكن من استعمالها!.. اما إلهنا، ضيف نفسنا، فيعرف ذلك تمام المعرفة، ولذلك يأتي إلينا بقصد أن يجد مقاماً، وخيمةً خاليةً وسط ساحة معركة على الأرض. إنَّه لا يطلب غير ذلك وهو نفسه العازف الإلهي المكلّف بالجوقة... آه! ليتنا نسمعُ ذاك اللحن الفائق الوصف، وليت ذبذبةً واحدةً تصل إلى آذاننا!...

... **لا نُحسنُ الصلاة كما يجب، ولكنَّ الروح نفسه يشفعُ لنا بأنّاتٍ لا توصَف** (**القديس بولس** ٢٦/٨). ليس علينا إذاً إلَّا تسليم نفسنا، والتخلّي عنها لله. وما الهمُّ عندئذٍ أن تكون بلا مواهب تلمع في الخارج، ما دام ملكُ الملوكِ يُشعّ في الداخل بكل مجده! ما أحوج ان تكون النفس كبيرةً لاحتواء الله!... ومع ذلك، فإنَّ نفسَ طفل بعمر يوم هي بالنسبة اليه جنّة أطايب، فما يكون شأن نفسينا اللتين صارعتا وتألمتا حتى تَخطفا قلبَ حبيبهما؟

يا حبيبتي سيلين، أؤكد لكِ أنّني لا أعرف ما أقوله لكِ، ولا تسلسل فيه. لكن يبدو لي أنك ستفهمين على كل حال!... أريد أن أقول لكِ أشياء كثيرة!..

لا تجيبيني برسالة طويلة لتحدّثيني عن نفسك، فكلمة صغيرة ستكفيني، وافضّل أكثر أن تكتبي رسالةً مسلّية فعلاً للجميع. إنَّ الرب يريد أن أنسى ذاتي، لأرضيَ الاخرين.

أعانق خالي الطيّب، وامرأة خالي العزيزة، وأخيّتي[٣]. اما بالنسبة الى بابا العزيز، فأنا أبتسمُ له وأحفظه عبر ملاكه المنظور[٤] الذي به أتّحد بصورة حميمة بحيث لا نشكل إلَّا واحداً!

تريز الطفل يسوع للوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(٣) ماري غيران.
(٤) سيلين.

الرسالة ١٦٦ إلى السيّدة پوتييه (سيلين موديلوند)[١]

ي.م.ي.ت.

في الكرمل، ١٦ تموز/يوليو ١٨٩٤

يسوع +

عزيزتي سيلين،

لقد كانت لي مصدر فرحٍ حقيقي؛ ويدهشني كيف أن العذراء القديسة قد رضيت باستجابة جميع رغباتك. فقد ارادت، حتى قبل زواجكِ، ألّا تكوّن النفس التي ستتّحدين بها إلّا نفساً واحدة معك بتكافؤ مشاعركما. فما أكرمها نعمةً أن تشعري بأن [زوجك] يفهمك تمام الفهم، وأن اتحادكما سيكون ابدياً، وانك بعد الحياة ستستمرّين في حبّ زوجك الغالي عليك جداً...

إذاً، لقد ولّت بالنسبة الينا، نحن الإثنتين، أيامُ طفولتنا المباركة! فنحن الآن في الحياة الجادة، والطريق الذي نسلكه مختلف جداً، ومع ذلك، فالغاية واحدة. ويجدر بنا، نحن الاثنتين، ألا نَصبُوَ إلا الى غاية واحدة، الا وهي أن نتقدّس في الطريق الذي رسمه لنا الله.

أشعر، يا صديقتي الصغيرة العزيزة، بأنّني أستطيع التحدّث إليك بحرية، فأنتِ تفهمين لغة الإيمان أكثر من لغة العالم، ويسوع الذي أخذته في مناولتك الأولى بقي سيِّداً على قلبك؛ ففيه تحبّين النفس النبيلة التي اتّحدت بنفسك، وبسببه يصير حبّك رقيقاً وقوياً جداً.

آه! ما أجمل إيماننا!، فبدلاً من يضيّق على القلوب (كما يعتقد العالم)، انه يرفعها ويجعلها قادرة على أن تُحبَّ؛ وتُحبَّ حبّاً لا متناهياً تقريباً، إذ يستمر بعد هذه الحياة الفانية التي لم تُعطَ لنا إلّا لنفوز بوطن السماوات، حيث سنلتقي بالكائنات العزيزة التي نكون أحببناها على الأرض!

يا عزيزتي سيلين، كنت قد طلبتُ لأجلك، إلى سيدة جبل الكرمل، النعمة التي نلتِها في لورد. فكم أنا سعيدة لأنك لبستِ الثوب المقدّس! إنَّها علامة أكيدة على اختيار الله

---

(١) Celine Maudelonde - Pottier.

لكِ؛ ومن جهة أخرى، ألم تتّحدي، بهذه الطريقة، اتحاداً وثيقاً بأخواتك الصغيرات في الكرمل؟ ...

يا ابنة خالي العزيزة، تعهدين إليّ بالصلاة لأجل زوجك العزيز؛ أو تتصوّرين أنني قد أقصِّرُ في ذلك؟... لا، لا استطيع فصلكما في صلواتي الضعيفة. فإني أطلب إلى ربّنا أن يسخى عليكما بقدر ما كان سخياً مع عروسَي قانا (**يوحنا** ٢/١-١٠). ليته يحوِّل دائماً الماء الى خمر!... اي أن يُديم سعادتكما ويخفّف من جهة أخرى، بقدر الامكان، ما قد يعترض حياتك من محن.

المِحن؟ كيف استطعتُ أن أضع هذه الكلمة في رسالتي، مع علمي بأنَّ كل شيء هو سعادة بالنسبة اليك؟ ...

أغفري لي، يا صديقتي العزيزة، وتمتّعي بسلام، بالفرح الذي أنعم الله به عليك، بدون أن تقلقي على المستقبل. إنَّه يَحفظ لكِ، وأنا متأكدة من الأمر، نعماً جديدة وتعزياتٍ كثيرة.

إنَّ أمنا الطيِّبة ماري دي غونزاغ متأثّرةٌ بما تحفظين لها من ذكرى طيّبة؛ وهي من جهتها لا تنسى صغيرتها العزيزة سيلين. وإنَّ أمّنا والأخت مريم للقلب الأقدس هما أيضاً مغتبطتان لسعادتك، وتحمّلانني محبَّتهما الاكيدة لكِ.

أتجرأ، يا ابنة الخال[٢] العزيزة، وأرجوك أن تقدِّمي احترامي وتقديري للسيّد پوتييه الذي لا بد لي من اعتباره كابن خالٍ لي ايضاً.

أتركك، يا عزيزتي سيلين، وقلبي متّحد بك، وسأكون طوال حياتي سعيدةً بأن أدعو نفسي

أختك الصغيرة في المسيح
تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

(٢) راجع **الرسالة** ١٥٩، الملاحظة ١.

الرسالة ١٦٧ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

١٨ تموز/يوليو ١٨٩٤

يسوع +

حبيبتي سيلين

لم تفاجئني شدائدك، فقد مررت بها السنة الماضية، وأعرف ما يعني التعرُّض لها[(١)]!... لقد شاء الله تعالى أن أقوم بتضحيتي، فقمتُ بها ومن ثمَّ شعرتُ مثلك بالسكينة وسط العذاب.

لكنّي شعرتُ ايضاً بشيء آخر، وهو أنَّ الله غالباً ما لا يريد إلا إرادتنا. إنَّه يطلب كلّ شيء، وإذا رفضنا له أقلَّ شيء، فحبّه لنا اكبر من ان يستسلم الينا. لكن ما إن تطابق إرادتنا مشيئتَه، ويرى أننا نبحث عنه وحده، حتى يتصرّفَ معنا كما تصرّف فيما مضى مع إبراهيم (**تكوين** ٢٢/١٢)... ذاك ما يجعلني يسوع أشعر به في قرارة نفسي، وأعتقد أنك في محنة، وأن الانقطاع الذي تشعرين بالحاجة اليه يتمّ الآن... ها هو يسوع يحطم الآن طبيعتك، ويعطيك الصليب والشدّة). وكلّما تقدّمتُ، أيقنت أنَّك ستأتين يوماً إلى هنا؛ والأم ماري دي غونزاغ توصيني بأن أقولَ ذلك

---

(١) عبارة تريز تجيب بشكل خاص على ما تبوح به سيلين، والتي تنوي الرحيل إلى كندا، دون علم أخواتها. ومن الضروري سماعها وهي تعرض مشاكلها على تريز: «عزيزتي تريز، آه! لا أستطيع ان اقول لك كم تثقل هذه الحياة عليَّ.. يا تريز!... آه! لقد تأملتُ مليًّا فيكِ، وتأملتُ في محبتنا الخاصة بنا نحن كلتينا!... وبدا لي، أنكِ سند اتكئ عليه ... وانني أبالغ في الاعتماد والاتكال عليك... ولا استغني عنك ابداً... أخيراً، إحزري الباقي!... ولكي أكون بكلّيتي لله، يجب عليّ أن أتركك...

... «ذهبت إلى الخارج هذه الأيام، وعانيت من ذلك كثيراً: إنَّه انزعاج متواصل. وزيادة على ذلك، فنحن نمضي نهاراتنا في ضحك مفرط حتى يُغمى علينا. إني أتوق الى العزلة، ولم أعد أتنفس. ثمَّ إنّي تعيسة... فبما انني لم اعتد على الحياة مع الصبيان، استغرب أن أقضي نهاراتي برفقتهم؛ ومهما كانوا قديسين وأنقياء وبريئين، فأنا لا أستطيع التأقلم معهم. يا تريز، أتفهمين ما أريد قوله. في هذه الايام، ترافقني الوساوس ويختلط كلُّ شيء علي... والحرمان من الممارسات التقوية يغرقني في الحزن والجفاف...» **مراسلات عامة**، ١٥٩، ١٧/٧/١٨٩٤).

لكِ(٢). لقد أظهرتْ لطفاً بالغاً عند قراءة رسالتك؛ فلو رأيتِها لتأثرتِ جداً!...

لا تخافي شيئاً، فستجدين الصليب والشهادة هنا أكثر منه في أيّ مكان آخر!... سنتألّم معاً، كما تألّم قديماً المسيحيون، الذين كانوا يتّحدون لكي يضاعفوا شجاعتهم في ساعة المحنة...

ومن ثم سيأتي يسوع، ويأخذ واحدةً منّا وتبقى الأخريات لبعض الوقت في المنفى والدموع... يا سيلين، قولي لي، هل كنا سنتألم بهذه الشدة لو كانت إحدانا في ليزيو والأخرى في القدس؟... هل كانت العذراء القديسة ستتألّم إلى هذا الحد لو لم تكن عند صليب ابنها يسوع؟... (**يوحنا** ١٩/٢٥).

لعلّكِ تعتقدين أنّني لا أفهمك؟ وأنا أؤكد لك أنّني أقرأ في نفسك. - أقرأ أنَّكِ أمينةٌ ليسوع، ولا تريدين غيرَ مشيئته، ولا تبحثين إلّا عن حبّه، فلا تخشي شيئاً. إن الله يطهِّر بالمحنة الحالية، ما قد يجد في مودّتنا من إحساس مفرط. لكنّ جوهر هذه المودّة هو أنقى من أن يحطِّمها... إصغي جيداً إلى ما سأقوله لك: لن يفرِّقنا يسوع أبداً، ابداً...إذا مُتُّ قبلك، فلا تعتقدي أنّني سأبتعد عن نفسك، فلن نكون ابداً أقلَّ اتّحاداً [ممّا نحن عليه الآن]!... ربّما كان ذلك ما اراد يسوع أن تشعري به وهو يكلّمك على الانفصال؟... لكن إيّاك أن تحزني، فأنا لست مريضة(٣)، بل على العكس، أنا أتمتع بصحّة من حديد. بيد ان الله يستطيع أن يكسر الحديد كالفخار... كل ذلك وَلْدَنات؛ فلا نفكّرَنَّ في المستقبل. لأتكلّم على نفسي لأنّني لا اعتبر ولْدَنةً الشدة التي تعترض نفس عزيزتي سيلين).

والصلبان الخارجية، ماذا تعني؟ إذا كان يسوع يُعزّي نفوسنا، بإمكاننا أن نبتعد عن بعضنا بدون أن نتألّم... فالصليب الحقيقي هو عذاب القلب، وتألّم النفس في الصميم؛ والصليب الذي لا يراه أحدٌ، يمكننا أن نحمله من دون أن نفترق.

أعرف جيداً أنَّ قولي لكِ كلَّ هذا، ثم أن لا [يَتبدَّلَ] شيء، هما سيّان قطعاً؛ فشدّتك الداخلية لن تنتهي إلّا في اليوم الذي يحدّده يسوع؛ لكن بما أنّه يريد فعلاً أن يستخدمني احياناً لأريح نفسك، فقد تكون كلماتي تعبيراً عن مشيئته... إنه أمرٌ لا

(٢) لقد كان نفوذ الام دي غونزاغ حاسماً لدى قبول سيلين في الكرمل.
(٣) ومع ذلك فتريز تتألم من بحة حادة.

يصدّق أن تتشابه شدائدنا دائماً! عاجلاً أم آجلاً، لا بدَّ من أن نشرب من الكأس عينها (متى ٢٠/٢٣).

وعندما تعصف الريح بشدة في البَرّ، يقول الناس: «لم يعد هناك ما تخشاه المراكب، لأنَّ العاصفة لم تعد تزمجر الآن فوق البحر[٤]». اما أنا فأقول: لقد مرّت العاصفة في نفسي، وهي الآن تزور نفسك؛ لكنّي لست خائفة، فقريباً سيخيّم الهدوء (**سيعقب العاصفة هدوء تام**) (**مرقس ٤/٣٩**).

أتريدين أن تعرفي أخبار ابنتي[٥]؟ حسناً! أعتقد أنَّها ستبقى. لم تنل تربيةً مثل تربيتنا، والأمر محزنٌ فعلاً بالنسبة اليها؛ فتربيتها هي السبب في تصرّفاتها المنفّرة، لكنّها طيّبة القلب، وتحبني الآن كثيراً؛ غير أنّي أحاول ألَّا أقاربها إلّا وأنا أضع قفازات من الحرير الأبيض... ومع ذلك فأنا أحمل لقباً يزعجني كثيراً[٦]، فأنا «كلب صيد صغير»، يجري وراء الطريدة طوال النهار. أتعلمين أنَّ الصيّادات (معلّمات المبتدئات والرئيسات) هنَّ أكبر من أن يتسلّلن في الأدغال؛ اما الكلب الصغير فله حاسة شم قوية، ثم إنه يتسلّل الى كل مكان!... لذلك أسهر عن قرب على ابنتي، فالصيادات لسنَ مستاءات من كلبهنَّ الصغير... لا أريد أن أسيء إلى أرنبي الصغير، لكنّي ألحسه قائلة له بحنوٍ إنَّ وبره ليس أملسَ كفاية، وإنَّ نظرته هي نظرة أرنب برّي. على اي حال، احاول ان اجعله كما ترغبه صياداتي - أي أرنباً بسيطاً لا يهتم إلَّا للعشب الناعم فيرعاه. أنا ألهو، لكن في أعماق نفسي أظن أنَّ الأرنب أفضل من الكلب الصغير... فَلو كنتُ مكانه لَتُهتُ منذ زمن طويل في غابة العالم الواسعة!!!...

أشكرك على صورتيك الصغيرتين[٧]، فهما رائعتان.

تريز الطفل يسوع

أرجو ان تبلّغي عني الف تحية لطيفة جميعَ المسافرين[٨] الأعزاء الذين يتنعّمون كثيراً

---

(٤) مثل محلّي ثائر.

(٥) الأخت ماري للثالوث Marie de la Trinité، دخلت الدير في ١٦ حزيران/يونيو ١٨٩٤.

(٦) الأم ماري دى غونزاغ هي معلمة المبتدئات، أما وظيفة تريز فتبقى غير محدَّدة.

(٧) «الصورتان»: من المحتمل أن تكونا صورتي سيلين بصحبة ماري غيران.

(٨) سيلين هي في لاموس La Musse مع آل غيران Guérin والطبيب والسيّدة لانيل La Néele وجوزيف دى كورنيير Joseph de Cornière، صديق العائلة.

هناك. أفهم ما تشعرين به حيال الصبيان... فلن يدوم ذلك طويلًا، ويوماً ما لن تعودي ترين الكثير منهم فتعزَّي!...

أرسلُ اليك نشيدين صغيرين نظمتهما، فأطلعي عزيزتي ماري عليهما، وقولي لها إنّني أحبّها وأصلي لأجلها... آه! فليُكبِر الألم نفسَها ويقرّبْها من غايتها!..

لم تكتب اليها الأم ماري دى غونزاغ لأنَّ الرسالة وُجّهت إلى امرأة خالي، فستكتب اليها في المرّة القادمة!...

أطلبي من خالي **نشيدي اليوم**[٩]، فقد أرادت الأخت مريم للقلب الأقدس إرساله اليها.

الرسالة ١٦٧ مكرّر إلى السيّدة غيران[١]

١٩ تموز/يوليو ١٨٩٤

ليس لأمّنا وقت لتكتب إلى عزيزتها جانّ. فهي تشكرها جزيل الشكر على رسالتها وعلى نماذجها الجميلة[٢].

والصغيرة تريز تبعث بكل مودَّتها إلى أعزائها المسافرين!..

---

(٩) راجع **قصائد جديدة** ٥.

<u>الرسالة ١٦٧ مكرّر</u>

(١) حاشية على رسالة من الأخت ماري للقلب الأقدس إلى السيّدة غيران.

(٢) نماذج أزهار طلبتها الأم أنييس.

الرسالة ١٦٨ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

٥-١٠ آب/أغسطس ١٨٩٤

يسوع +

حبيبتي سيلين

رسالتك رائعة [(١)]، فقد جعلتنا نذرف كثيراً من الدموع العذبة!..

لا تخشي شيئاً، فيسوع لن يخدَعك، ولو كنت تعلمين كم أنَّ خضوعك وبراءَتك الطفولية تسحَران يسوع!... أمّا أنا، فقلبي يتمزّق... لقد تألّمت لأجلك بشدّة حتى إنّي آمل ألّا أكون عقبةً أمام دعوتك. ألم تكن مودّتنا قد تطهّرت **كالذهب في البوتقة**؟... (**حكمة** ٣/٦). لقد بذرنا بالبكاء بذراً، وقريباً سنرجع معاً نحمل في أيدينا حِزَماً (**مزمور** ١٢٥/٦). لن أكتب إلى الأب اليوم؛ فأظنُّ من الافضل انتظار رسالته لنرى ماذا سيقول[(٢)] ؟.. إن كنت تفضلين أن أكتب اليه حتى أبرِّرك، فقولي لي ذلك عندما ستأتين، ولن أكون مُحرجَة!... إنَّ قلبي في كربة من هذا الأمر!!!...

لكنّي أشكر الله على هذه المحنة التي شاءها، هو، وأنا متأكدة من ذلك، لأنَّه من المستحيل أن يخدعَ يسوع طفلةً مثلك.

نحن الثلاثة، نحبّك، اليوم أكثر من ذي قبل، إن كان هذا ممكناً؛ وقد عبَّرت لنا نظراتك الكثير عن هذا الأمر. أؤكّد لكِ أَنك لو كنتِ تسمعين الأخت مريم للقلب الأقدس، لأصابتكِ الدهشة!... إنَّها لا تتردّد في القول إنَّ أباها الحبيب قد أخطأ... لكنه لم يكن غير أداة يسوع الطيّعة، لذلك فإنَّ الصغيرة تريز لا تحقد عليه!...

أشكري امرأة خالي كثيراً على رسالتها إن عرفت أنَّني كتبتُ اليك، وقولي لها إنَّنا تأثرنا تأثّراً عميقاً.

---

(١) رسالة (غير محفوظة) كُتبت بعيد دفن السيّد مارتان في ٢ آب ١٨٩٤، وقد كشفت فيها لأخواتها أخيراً عن مشاريعها وعن مخاوفها بشأن مستقبلها.

(٢) في ٢٠ آب وصلت رسالة الاب بيشون من كندا يوافق فيها على دخول سيلين الكرمل: «نعم، نعم، أعطي سيلينتي للكرمل، وللعذراء القديسة».

(الأم ماري دى غونزاغ بكت كثيراً أيضاً لدى قراءة رسالتك. يا للأم المسكينة! إنَّها لا تعرف شيئاً... أترين كم نحن متحفِّظات[٣]!)

الرسالة ١٦٩ إلى سيلين

ي.م.ي.ت.

١٩ آب/أغسطس ١٨٩٤

يسوع

أخيتي العزيزة،

إنَّها إذاً، المرة الأخيرة، التي أضطر فيها الى الكتابة إليك وأنتِ في العالم!.. فما تصوّرت اني كنت اقول الحقيقة عندما بعثت اليك رسالةً الى لاموس واعدة إيّاك بأنّك ستكونين في الكرمل قريباً.

ومن جهةٍ أخرى، لم تدهشني العاصفة التي تزمجر في كان؛ فقد اختار كلٌّ من فرنسيس وجانّ طريقاً يختلف عن طريقنا بحيث لا يمكنهما فهم سموٍّ دعوتنا[١]!... لكن يضحك جيداً مَنْ يضحك آخراً. فبعد هذه الحياة التي لا تدوم إلا يوماً، سيفهمان مَنْ منّا أو منهما سيكون أكثر حظاً...

---

(٣) إن ضياع رسالة سيلين يبقي في غموض ملاحظات كثيرة في هذه الرسالة.

<u>الرسالة ١٦٩</u>

(١) من كان Caen، حيث كانت سيلين تمضي بضعة أيام مع العائلة غيران، عند أولاد الخال لانيبل La Neèle ، كتبتْ إلى تريز: «يستشري كل من فرانسيس وجانّ ضدي ويتفوّهان بكلام لاذع، يلومانني فيه على أشياء كثيرة. وعندما تُفحِمُهُما ماري في ناحية من المسألة يجدان اعتراضاً آخر. فيظنّان، اولاً، أن ليس عندي دعوة وأنّني كنتُ مُعدّة لأكون ربّة عائلة، وأنّه كان عليَّ أن أتكلّم قبل الآن على انجذابي هذا إلى الحياة الرهبانية، وأنّي أركب رأسي إذ أتخذ قراري بهذه السرعة، وأنّه لو كان قد قُدِّم لي طالب زواج مناسب لتمكنّت فعلاً من قبوله، وأنّني، بفورة رأسٍ وبيأس، أدخل الدير، وإلى آخره... وبعدها، بعدها ينصبُّ الغضبُ عليكنَّ، فأنتنَّ مُحتكِرات، وأنَّ تقديرهما لكنَّ ولي قد تضاءل؛ ثم إنني عقوقة، أرحل بهذه السرعة إثرَ موت أبي! كان عليَّ أن أُنهي فترة حدادي في العالم، وفيه أجعل دعوتي تنضج، وأعطي الخالي وامرأة خالي فترة سنة على الأقل اعترافاً بالجميل، إلخ، إلخ. وهذا الى ما لا نهاية له... ولا أستطيع التعبير لك عن

لقد أثّرَ فينا تأثيراً لطيفاً صيدُك صيدك العجيب[٢] ... كم تجعلنا هذه الالطاف الصغيرة نشعر بأنَّ والدنا الحبيب هو بالقرب منّا. فيا للفرح بأن نلقاه دائماً، هو ذاته، بعد موته بخمس سنوات، باحثاً، كما في ما مضى، عن وسائل يسرّنا بها. آه! كم سيردُّ إلى سيلين ما وفرت له من عناية!... فهو الذي عملَ على إنجاح دعوتك في هذا الوقت القصير[٣]؛ والآن، بما انه روح محض، فيسهل عليه أن يذهب الى لقاء الكهنة والأساقفة؛ ولذلك لم يعانِ من أجل سيلين الحبيبة كما عانى من أجل ملكته المسكينة!...

أنا سعيدة فعلاً، يا أخيّتي العزيزة، بأنَّك لا تشعرين بجاذبية حسّية لدى مجيئك إلى الكرمل؛ فهي التفاتة من يسوع الذي يريد أن يتلقّى هديةً منك. إنَّه يعرف جيداً أنَّ العطاء أعذبُ جدّاً من الأخذ (**أعمال** ٢٠/٣٥). وليس لنا إلَّا فترةُ الحياة القصيرة كي نعطي الله... وهو يستعد للقول منذ الآن: «الآن جاء دوري ...». يا للسعادة بأن نتألّم من أجل الذي يحبّنا حتى الجنون، وأن نُعتبَرَ مجنوناتٍ في عيون العالم! نحن نحكم على الآخرين من خلال الذات، وبما أنَّ العالم أحمق فهو يتصوّر، طبعاً، أنّنا نحن الحمقاوات!... لكن، على كل حال، لسنا الأوائل؛ فالجريمة الوحيدة التي كان هيرودس قد أتهم بها يسوع هي أنه مجنون (**لوقا** ٢٣/١١)، وأنا أفكر مثله!... نعم، لقد كان جنوناً البحثُ عن قلوب الفانين الصغيرة المسكينة حتى يجعل منها عروشه، وهو ملكُ المجد، الجالس على الكروبين (**مزمور** ٧٩/٢)، ومَن حضوره لا يمكن أن تسعه السموات (٣ **ملوك** ٨/ ٢٧)... لقد كان مجنوناً حبيبُنا بمجيئه الى الأرض يبحث عن خطأة ليجعل منهم اصدقائه وأشباهه؛ وهو الذي كان سعيداً تمام السعادة مع أقنومي الثالوث المعبودين!... لن نستطيع

غضبهما. فلم أكن قط لأعتقد أنَّ دعوتي الخاصة بي، التي اختبرتها كثيراً، ستلاقي هذا القدر من الغيظ؛ فعمري ٢٥ سنة، وأعرف ماذا أفعل، مع العلم أنّي لم أظهر قط ميلاً إلى الزواج. كان عليهما أن يحزرا، عقب وفاة والدنا الحبيب، أنّ همّي الأول كان أن استقرّ، وليس أن يلوماني عليه. وأخيراً! ما دام هذا دأبهما، وليس من شفقة بخصوص النفوس التي تتكرّس لله، يبدو أنَّ كل شيء مباح لهما في التحقير والإيلام، «رسائل المراسلين» ١٦٠، ١٩/٨/١٨٩٤).

(٢) تروي سيلين في رسالتها الى تريز أنها كانت ترافق آل غيران كل يوم الى البحر، فتقول: «أذهب إلى البحر كل يوم. بالأمس اصطدنا سلاطعين، ولم أكن أرَ منها واحداً، فتضرعتُ إلى والدي وإذ بها تتكاثر؛ في الحقيقة إنَّه صيدٌ عجائبي وقد اصطدنا أكثر من مئة سلطعون» (رسائل المراسلين ١٦٠).

(٣) **مخطوط** أ ص ٨٢ ش.

أبداً أن نفعل لأجله كما فعل لاجلنا من اعمالٍ جنونية. اما أفعالنا فلن تستحقّ هذا اللقب، لأنّها ليست إلاّ أفعالاً عاقلةً جداًّ، وهي بالتالي، دون ما تريد محبّتُنا إنجازه. فالعالم، إذاً، هو الأحمقُ ما دام يجهل ماذا فعله يسوع ليخلِّصه؛ وهو المحتكر الذي يُغوي النفوس ويقودها إلى ينابيع لا ماء فيها... (**إرميا** ٢/١٣).

وعلاوةً على ذلك، لسنا خاملاتٍ ومسرفات، فقد دافع عنّا يسوع في شخص المجدلية. فقد كان جلس للطعام، وكانت مرتا تخدمه، وكان لعازر يأكل معه ومع تلاميذه. اما مريم، فلم تكن تفكِّر في أن تتناول طعاماً بل في أن تسرّ الذي تحبّه. لذلك تناولت قارورةً مليئةً طيباً ثميناً، وأفاضتها على رأس يسوع بعد أن كسرتها، فعبق البيت كلّه بالطيب. لكن الرسل أخذوا يدمدمون ضدّ المجدلية... (**مرقس** ١٤/٣-٦؛ و **يوحنا** ١٢/١-٦). هذا شبيه بما يحدث لنا. نحن المسيحيين الأكثر حماسةً: فالكهنة يجدون أنّنا غُلاةٌ، وأنَّ علينا أن نخدم مع مرتا بدلاً من أن نكرّس ليسوع قواريرَ حياتنا بكل ما تتضمَّن من طيوب... ومع ذلك، فما الهمّ ان تكسّرت قواريرُنا، ما دام يسوع يجد العزاء... فالعالم مضطرّ، رغماً عنه، الى ان ينتَّشق الطيوب التي تعبق من قواريرنا، والتي تؤدي الى تطهير الهواء المسموم الذي لا يتوقّف العالم عن تنفّسه...

تودّ المرضة أن تبحثي لها في كان عن نصف زجاجة ماء ضد النزف من عند تيسِّيران Tisserand، وسعرها ٢،٥٠ فرنكاً. إن لم يوجد إلَّا زجاجات كاملة، فلا تشتريها، لأنَّها متوفرة هنا في ليزيو.

الأخت مريم للقلب الأقدس بحاجة الى ٧ أو ٨ كسّارات بندق.

الرسالة ١٧٠ إلى الأخت تريز – دوزيته (ليوني)

ي.م.ي.ت.

٢٠ آب/أغسطس ١٨٩٤

يسوع +

أخيّتي العزيزة،

أودّ لو أكتب اليك رسالة طويلة، لكن ليس لديَّ إلَّا بضع دقائق أتصرّف بها، فهناك من ينتظر رسالتي لحملها إلى البريد.

أفكّر فيكِ أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، منذ أن صعد والدنا الحبيب إلى السماء، وانا على يقين من أنَّك تشعرين تماماً بما نشعر، نحن، به؛ فإنَّ موت بابا لا يؤثِّر فيَّ تاثير موت، بل تأثير حياة حقيقية. إنّي ألتقي به بعد غياب ٦ سنوات، وأشعر به من حولي ينظر إليَّ ويحميني.

يا أخيّتي العزيزة، ألسنا، الآن، أكثر اتحاداً ونحن ننظر إلى السماوات لنكتشف فيها أباً وأمًّا قدَّمانا ليسوع؟... قريباً ستتحقق امنياتهما، ويَتحدّ بالله الى الابد جميع الأولاد الذين وهبهم لهما.

أفهم الفراغ الذي سيُحدثه فيكِ رحيلُ سيلين؛ لكنّي أعرف كم أنتِ سخيَّة مع ربِّنا؛ ومن جهة أخرى، فالحياة ستمضي سريعاً... وبعدها سنجتمع اجتماعاً لا انفصال بعده، وسنكون سعيداتٍ بأنّنا تألّمنا لأجل يسوع...

أخيّتي الحبيبة، أُغفري لي هذه الرسالة السيئة، ولا تنظري إلَّا إلى قلب تريزتك التي تريد أن تقول لك أشياء كثيرة لا تستطيع التعبير عنها...

أرجوك، بأن تقدمي احترامي إلى الأم الرئيسة وإلى معلّمتك العزيزة.

أتمنّى كثيراً أن تعطي الرسالة لسيلين[1] عندما تأتي لرؤيتك، في أقرب فرصة.

وداعاً يا أخيّتي، ولا تنسي أن تصلّي لأجل أصغر أخواتك وأقلهنَّ استحقاقاً.

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٧١ إلى الأخت تريز - دوزيته (ليوني)

ي.م.ي.ت.

١١ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩٤

يسوع +

أخيّتي العزيزة،

كم أنا سعيدة بأن يصادف عيدُك يومَ عيدي... وإنّي متأكدة من أنَّ القديسة تريز

(١) **الرسالة** ١٦٩.

ستغمرك بنعمها في الخامس عشر من الشهر، فسأتضرّع إليها، والى الطوباوية مارغريت ماري...

لو تعلمين، يا أخيّتي العزيزة، كم نصلّي لأجلك!... وخاصةً، كم نقدّم لأجلك من تضحيات، أعتقد أنّك ستكونين متأثرةً جدّاً... فمنذ أن عرفنا بشدائدك، أؤكّد لكِ، بأن حماستنا كبيرة جدّاً وأنّ كل أفكارنا وصلواتنا نرفعها لأجلك.

لديَّ ثقة كبيرة بأنَّ أخيّتي راهبة الزيارة ستخرج منتصرة من كل شدائدها العظيمة، وأنّها ستكون يوماً راهبة مثالية. لقد سبق ان انعم الله عليها بنعم كثيرة، فهل يمكنه أن يتخلىَّ عنها الآن، وقد بدا أنّها قد وصلت إلى المرفأ؟... لا، إنَّ يسوع ينام بينما عروسُه المسكينة تغالب أمواج التجربة؛ لكنّنا سنناديه ببالغ الرقة فيستيقظ قريباً، **ويزجر الريح والعاصفة، ويحدث الهدوء التام (مرقس ٤/٣٨-٣٩)**...

يا أخيّتي العزيزة، سترين أنَّ الفرح سيعقب الشدّة، وأنّك ستفرحين فيما بعد بأنك تالّمتِ. ومن ناحية أخرى، فالله يعضدك بشكلٍ واضح في شخص أمهاتك الصالحات اللواتي لا يتوقفنَ عن إغداقهنّ عليك عنايتهنَّ ونصائحهنَّ الوالدية.

أرجوك، يا أخيّتي الحبيبة، بأن تذكريني لديهنّ؟ وأنتِ، يا عزيزتي تريز، ثقي دائماً بما تكنّه لكِ من حنانٍ متنامٍ أخيّتك.

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة..

الرسالة ١٧٢ إلى السيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩٤

يسوع +

امرأة خالي العزيزة،

بنفسٍ لا تزال مفعمةً بعطر رسالة خالي[١] الجميلة إلى الأخت ماري - مادلين، آتي لأهنّئك بعيدكِ.

يا امرأة خالي الصغيرة العزيزة ! لو كنتِ تعلمين كم أنا فخورة بأن يكون لي أهلٌ مثلكم!... أنا سعيدة برؤية الذين أحبّهم يخدمون الله بهذا الاخلاص، وأسائل نفسي لأيِّ سبب أنعمَ الله عليَّ بنعمة الانتماء إلى عائلة صالحة إلى هذا الحد...

وأرى أنَّ يسوع يلذّ له ان يستريح في بيتكِ كما كان يفعل في بيت عنيا سابقاً (**يوحنا** ١٢/١-٢). فهو، فعلاً، «مُتسوّل المحبة الإلهي[٢]» الذي يطلب الضيافة، ويقول «شكراً»، طالباً المزيد بنسبة ما ينال من هبات. ويشعر بأنَّ القلوب التي يتوجّه إليها، تدرك أنّ أكبرَ إكرام يستطيع أن يكرّم به احدى النفوس، لا يكون بأن يعطيها كثيراً، لكن بأن يطلب إليها كثيراً»[٣].

لذلك كم سيلذّ لك يوماً، يا امرأة خالي الحبيبة، أن تسمعي يسوع نفسه يسمّيك أمّاً! ...نعم، إنَّك أمه فعلاً، فهو يؤكد لنا ذلكِ في الإنجيل عبرَ هذه الكلمات: **مَنْ يعمل مَشيئة أبي، فذاك هو أمي** (**متى** ١٢/ ٥٠). وأنتِ لم تكتفي بصنع مشيئته، لكنّك تعطينه ستّاً من بناتك ليكنَّ عروساته!... وبذلك أنتِ أمّه ستَّ مرّات؛ ويستطيع الملائكة في السماء أن يوجهوا إليك هذا الكلام الجميل: **أمّا أنتِ فتفرحين ببنيك لأنّهم يُبارَكون كافةً وإلى الربّ يحتشدون** (**طوبيا** ١٣/١٧). نعم إنّهنّ جميعاً مباركات، وفي السماء، يا امرأة خالي العزيزة، سيكون إكليلُك مُضفوراً بالورود والزنابق...

(١) كان السيّد غيران عرّاب الأخت ماري مادلين Marie-Madeleine يوم اتشاحها بالثوب الرهباني والعرابة كانت السيّدة دى ڤيرڤيل de Virville، امرأة شقيق الأم ماري دى غونزاغ.

(٢) راجع مسرحية **متسوّل الميلاد**.

(٣) من كلمات الأب بيشون.

إنَّ الوردتين[٤] اللتين ستتألّقان في الوسط لن تكونا أقل زينةً من سواهما. وهما تشبَّهتا بفضائلك على الارض لتطيّبا العالم الحزين، فيصادف الربّ في هذه الدنيا بعضَ الأزهار التي تسحره، وتمسك بذراعه لئلا تعاقب الأشرار...

يا امرأة خالي الصغيرة العزيزة، اودّ لو اتكلّم كثيراً جداً... لكن هناك من أتى ليحمل رسالتي، فلا وقت لديَّ إلّا لأؤكّد لكِ كلَّ محبتي. أفكّر أيضاً في عيد أمّنا الطيّبة[٥] وأرجوك معانقتها كثيراً نيابةً عنّي.

ابنتك الصغيرة
تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة

الرسالة ١٧٣ إلى الأخت تريز دوزيته (ليوني)

ي.م.ي.ت.

كانون الثاني/يناير ١٨٩٥

يسوع +

أخيّتي العزيزة،

بفرح كبير، أقدّم لك أمنياتي في بداية هذه السنة الجديدة. فالسنة التي عبرت كانت مثمرة جداً من اجل السماء؛ لقد رأى والدنا العزيز ما لم تره عينُ البشر. وسمع ترنيمة الملائكة... وفهم قلبه، ونعمت نفسه بالمكافآت **التي أعدّها الله للذين يحبّونه! (١ قور ٢، ٩).**

وسيأتي دورنا أيضاً... وقد لا نرى نهاية السنة التي بدأت! وقد تسمع احدانا نداء يسوع قريباً!...

آه! يا لعذوبة التفكير في أنّنا نبحر نحو الشاطئ الأبدي!...

(٤) فرانسيس وجانّ.
(٥) السيّدة فورنيه Fournet .

أُخيّتي العزيزة، ألا ترين، مثلي، أنَّ رحيل والدنا الحبيب قد قرّبنا من السموات؟ أكثر من نصف العائلة ينعمُ الآن برؤية الله، والمنفيّات الخمس على الأرض لن يتأخّرنَ عن التحليق باتجاه وطنهم. إنَّ فكرة قِصَرِ الحياة تمنحني الشجاعة، وتساعدني على تحمّل مشقات الطريق. ما الهمّ إن تعبنا قليلاً على الأرض: (يقول - **الاقتداء**)[1] فنحن سنعبر، وليس لنا هنا مدينة باقية! (**عبرانيين** ١٣/١٤) . لقد سبقنا يسوع ليعدَّ لنا مقاماً في بيت أبيه (**يوحنا** ١٤/٢-٣)؛ ثمَّ يأتي ويأخذنا معه حتى نكون نحن أيضاً حيث يكون هو... لننتظر، ولنتألّم في سلام، فساعة الراحة تقترب؛ الشدائد الخفيفة في هذه الحياة العابرة تعدُّ لنا قدراً من المجد، فائقاً أبدياً (٢ **قورنتس** ٤/١٧).

أخيّتي العزيزة، كم سّرتني رسائلك، وكم أدخلت من الراحة إلى نفسي! فأنا فرحة برؤيتي كم يحبُّك الله ويغمرك بنعمه... إنَّه يجدك تستحقّين أن تتألّمي حبّاً به، وهذا أكبر برهان على حنانه الذي يمكنه أن يُعطيك إيّاه، لأنَّ الألم هو ما يجعلنا شبيهين به...

يا أخيّتي الحبيبة! لا تنسي الأخيرة، والمسكينة أكثر من كل أخواتك، وأطلبي إلى يسوع أن تكون أمينة كلّ الامانة، ومثلك سعيدة بأن تكون الصغرى في كلِّ مكان... والأخيرة!...

أرجوك أن تقدّمي أمنياتي إلى أمهاتك الصالحات وأن تؤكّدي لهنَّ على اتّحادي بهنَّ جداً في قلب يسوع.

أخيّتك المسكينة
(تريز الطفل يسوع)
راهبة كرملية غير مستحقة

---

(١) **الاقتداء** ج٣، ٤٧.

الرسالة ١٧٤ إلى الأخت جنڤياڤ (سيلين)

نهاية كانون الثاني/يناير ١٨٩٥

الأخت جنڤياڤ للقديسة تريز، الصغيرة تريز هي أول من تكتب ذلك[1]!...

الرسالة ١٧٥ إلى الأخت تريز – دوزيته (ليوني)

ي.م.ي.ت.

٢٤ شباط/فبراير ١٨٩٥

يسوع +

عزيزتي ليوني،

فرحت كثيراً بتلقّي أخبارك، وآمل أن تستمرّي على صحّةٍ جيدة وأن تكون أخواتك العزيزات في طريق الشفاء[1].

ليس لديَّ إلّا وقت قليل أكرّسه لك، لكنّني التمس صلواتك قبل الصوم الكبير وأعدك، من ناحيتي، بأني سأفكّر فيك أكثر، إن كان هذا ممكناً، ثم آتي لأرنّم الهللويا اوقاتاً طويلة معك أعوّض فيها عن عدم قدرتي على القيام بذلك في هذا اليوم... أريد القول بعد الفصح. لكنّي أعبّر بشكل سيء جدّاً حتى انك لتعتقدين أنّني سأرنّمُ الهللويا في فترة الصوم الكبير... آه! لا، سأكتفي بأن أتبع يسوع في درب آلامه، **فأعلّق كنارتي على الصفصاف الذي على ضفاف أنهار بابل (مزمور ١٣٦/١–٢)**... لكن بعد القيامة، سأتناول كنّارتي ثانيةً، ناسيةً للحظةٍ أنّني منفية؛ فمعك سأترنّم بسعادة خدمة يسوع، والاقامة في بيته، وسعادة كوني عروسه في هذا الزمان وللأبد (**مزمور ٢٦/٤**).

---

(١) كانت تريز منذ سنة ١٨٨٩ قد اختارت لأختها سيلين اسم ماري للوجه الاقدس. لكن تخليداً لاسم المؤسّسة، أُعطيت اسم الاخت جنفياف للقديسة تريز. وعند الخروج من الفرصة كتبت لها تريز خائبة الأمل هذه الكلمات تعزيةً لها.

الرسالة ١٧٥

(١) كانت الأنفلونزا قد أصابت راهبات دير الزيارة في كان.

أخيّتي العزيزة، قدّمي، أرجوك، احترامي لأمهاتك الصالحات وثقي بمحبتي الكبيرة.

أخيتك الصغيرة جداً
تريز الطفل يسوع

حاشية عندما تكتبين اليّ، تكرّمي واذكري لي سنة مناولتك الأولى(٢).

الرسالة ١٧٦ إلى الأخت تريز - دوزيته (ليوني)

الأحد ٢٨ نيسان/ابريل ١٨٩٥

يسوع +

أُخيّتي العزيزة،

كنتُ أريد أن أشكرك من قبل على رسالتك التي سرّتني كثيراً، لكن بما أنَّ أمّنا أجابتك بسرعة، فلم أستطع أن أكتب في الوقت ذاته معها.

أُخيّتي العزيزة، لديَّ اقتناع عميق بأنَّك تلبّين دعوتك، ليس فقط كراهبة من راهبات الزيارة، بل راهبة من دير الزيارة في كان؛ أعطانا الله على ذلك براهين كثيرة لا يُسمح معها بالشك في هذا الأمر... وأرى أن هذه الفكرة (الذهاب إلى لومان) هي تجربة، وأتضرّع إلى يسوع كي يُخلّصك منها. آه! أفهم أنَّ تأخير نذرك هو محنة بالنسبة إليك، لكن هذا التأخير نعمة كبيرة إذ إنَّنا بقدر ما نملك من الوقت لنعدَّ أنفسنا له، بقدر ما علينا أن نفرح. إني أتذكّر بكل سرور ما حدث في نفسي قبل بضعة أشهر من نذري. كنتُ أرى سنة ابتدائي تمضي بدون ان يهتمّ بي أحد (بسبب أبينا رئيس الدير الذي كان يراني صغيرة السن كثيراً)؛ فأؤكد لك أنّني كنتُ أتألّم جداً(١)، لكن الله أفهمني يوماً أنَّ في هذه الرغبة لإتمام نذوري المقدسة، بحثٌ كبير عن الذات؛ عندئذٍ قلتُ في نفسي: لأجل الاتشاح بالثوب الرهباني، ألبسوني ثوباً أبيض مزيناً بالدانتيل والأزهار. فمن فكّر في أن

---

(٢) قامت ليوني بمناولتها الأولى في ٢٣ أيار ١٨٧٥.

الرسالة ١٧٦

(١) راجع **المخطوط** أ، ص ٧٣ ش.

يقدّم لي ثوباً لعرسي؟.. هذا الثوب، عليَّ أن احضِّره انا، وحدي. لقد أراد يسوع ألَّا يساعدني أحدٌ سواه، لذلك سأبدأ العمل بمساعدته، وأعمل بحماسة... ولن ترى المخلوقات جهودي المحجوبة في قلبي. وإذ أحاول العمل على نسيان ذاتي، لا أريد نظرةً أخرى غير نظرة يسوع... ما همَّ إن ظهرتُ مسكينةً ومحرومةً الذكاء والمواهب؟... فأريد أن أطبّق هذه النصيحة من الاقتداء: «فليفتخر هذا بشيء، وذاك بشيء آخر، اما أنتم فلا تفرحوا إلَّا باحتقار أنفسكم، وبمشيئتي ومجدي»[٢]؛ أو: «أتريدون أن تتعلّموا شيئاً ما يفيدكم؟ أحبّوا أن تكونوا مجهولين ومحسوبين كلا شيء[٣]...» وعندما تفكّرت في كلِّ هذا، شعرت بسلامٍ يغمر نفسي، وأدركت أن هذه هي الحقيقة وهذا هو السلام! وما قلقت بعدها قط بشأن موعد نذوري، واعتبرت ان ما إن ينتهي ثوبُ عرسي فسيأتي يسوع ليأخذ عروسته الصغيرة الفقيرة...

أخيّتي العزيزة، لم أُخطئ، وحتى يسوع نفسه قد راقته رغباتي وتخلِّي التام، فتنازل ووحّدني به في وقتٍ أبكر مما كنت أتوقع... اما الآن، فالله يتابع قيادتي في الطريق عينه، وليس لي إلَّا رغبة واحدة، وهي أن أعمل بمشيئته. ربّما تتذكرين أنّني كنتُ أحبُّ سابقاً أن أسمّي نفسي «لعبة يسوع الصغيرة[٤]»؛ وما زلت الآن سعيدة بأن أكونها؛ ولكنني فكرت في أنَّ لدى الطفل الإلهي نفوساً كثيرة مُفعمة بالفضائل السامية تسمّي نفسها «لُعَبه»، ففكرت إذاً في ان تلك النفوس كانت لُعَبه الجميلة، اما نفسي الوضيعة فليست سوى لعبة صغيرة لا قيمة لها. ولكي أعزّي نفسي، قلتُ: إنَّ الأولاد غالباً ما يفرحون بلعبٍ صغيرة يستطيعون تركها أو أخذها، تحطيمها أو تقبيلها على هواهم، أكثر ممّا يفرحون بأخرى أكبر قيمة لا يجسرون على لمسها تقريباً... عندئذٍ فرحتُ في أن أكون وضيعة، ورغبتُ في أن أصبح كل يوم أكثر وضاعة كي يزداد فرح يسوع كل يوم بأن يلهو بي.

أخيّتي العزيزة، الآن وقد أطلعتك على توجّهي، صلّي كثيراً لأجلي حتى أضع المعارف التي يعطيني يسوع إيّاها، موضع التطبيق.

---

(٢) **الاقتداء**، ج٣، ٤٩، ٧.
(٣) **الاقتداء**، ج١، ٢، ٣.
(٤) راجع **الرسالة** ٣٤، الملاحظة ٢.

(ارجوك، قولي لامهاتك الرئيسات الطيبات انني اذكرهنّ باحترام

أخيّتك الصغيرة التي تحبّك
تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة

الرسالة ١٧٧ إلى ماري غيران

٧ تموز/يوليو (؟) ١٨٩٥

إلى أخيّتي الحبيبة [١]، من صغيرتها تريز التي تفكّر فيها كثيراً!.. وعلى الأخص، تأمل (مرتجفة) أن تفي عزيزتها ماري بوعودها، وتبقى هادئة مثل طفل بين ذراعي أمه...

أصلّي كثيراً لأجلك، يا أخيّتي الحبيبة، ولجميع الأعزاء المقيمين في لاموس، الذين يحقّقون في هذه الفترة، بلا شك، تقدماً سريعاً في الكمال، ما داموا يقبلون بسخاء بالغ تضحية الفراق!..

أحب خالي العزيز وامرأة خالي الحبيبة وأصلي لأجلهما أكثر فأكثر، ولا أدري إلى أي حدٍّ سيصل هذا، إذ إنَّ محبتي تكبر كل يوم!..

الرسالة ١٧٨ إلى السيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

٢٠-٢١ تموز/يوليو ١٨٩٥

يسوع +

امرأة خالي العزيزة،

تأثّرتُ جداً اذ وجدتك تفكّرين في ابنتك الصغيرة تريز، فهي أيضاً تفكر فيكِ كثيراً؛

(١) تقرّر دخول ماري غيران الكرمل في ١٥ آب/إغسطس من السنة عينها، فقضت آخر عطلة لها مع عائلتها في لاموس.

وإن لم تكتبَ، حتى الآن، إلى إمرأة خالها العزيزة، فليس إهمالاً، لكن لأنَّ قلبها مفعمٌ بالمحبة والإجلال بحيث لا تعرف كيف تترجمُ أفكارها...

ومع ذلك، لا بدَّ من المحاولة، علماً بأني قد أقول لامرأة خالي أشياء لا تعجبها. ألا تخرج الحقيقة من فم الصغار؟ إذاً، يجب ان تغفري لي إذا قلت الحقيقة، أنا الطفلةَ التي تريد أن تبقى دائماً طفلة...

سأقوم بإطلاعكِ على توجّهي الصغير، وأبيّن لك كم أنَّ الله صالح معي. - أحب كثيراً قراءة حياة القديسين؛ فقصة أعمالهم البطولية تلهب شجاعتي وتحملني على الاقتداء بهم؛ لكنني أعترف بأنَّه قُدِّرَ لي أحياناً أن أحسد نصيب أهلهم هؤلاء الذين كانت لهم سعادة العَيش برفقتهم، والتنعّم بأحاديثهم المقدسة. أمّا الآن، فلا أشتهي شيئاً أحسده لأنني أتأمل مباشرةَ أعمالَ القديسين، وأرى عن قربٍ صراعاتهم وشجاعتهم في الخضوع لمشيئة الله [١].

يا امرأة خالي العزيزة، أعرف جيّداً أنَّك ستنزعجين لو قلتُ لك إنَّك قديسة، ومع ذلك، فأنا أرغب فعلاً في قول هذا... إن لم أقله لك، فسأقول لك شيئاً لا يجب قوله لخاليَ لأنَّه لن يعود يحبّني؛ وهذا الشيء تعرفينه أنتِ أكثر مني، وهو أنَّه قديس قلّ نظيره على الأرض، وأنَّ إيمانه يمكنه مقارنته بإيمان إبراهيم... آه! لو تعرفين أي مشاعر غمرت نفسي أمس، وأنا أرى خالي بصحبة صغيرته الملائكية ماري[٢]... كنّا غارقين في غمرة ألم شديد بسبب اختنا المسكينة ليوني. كان الأمر يبدو احتضاراً حقيقياً. فالله الذي شاء أن يمتحن إيماننا، لم يرسل الينا أية تعزية؛ وبالنسبة إليّ، لم أكن أستطيع أن أصلّي صلاة أخرى غير صلاة ربّنا وهو على الصليب: **إلهي، إلهي، لماذا تركتنا!** (**متى ٢٧/٤٦**)، أو كما في بستان النزاع: **إلهي، لتكن مشيئتك، لا مشيئتي** (**لوقا ٢٢/٤٢**). وأخيراً، لكي يعزّينا مخلصنا الإلهي، لم يرسل الينا الملاك الذي أعانه في الجسمانية، بل أرسل أحد قديسيه الذي لا يزال مرتحلاً في الأرض ومفعماً بقدرته الإلهية؛ وعند رؤية هدوئه واستسلامه، تلاشت كرُوبنا وشعرنا بيد أبوية تساندنا... آه يا امرأة خالي الحبيبة! كم هي

---

(١) كان السيّد والسيّدة غيران قد كتبا في ١٨ تموز/يوليو رسالتين رائعتين إلى الأم أنييس ليسوع بشأن رحيل ابنتهما القريب.

(٢) كانا ذاهبين إلى كان لإصطحاب ليوني التي خرجت من دير راهبات الزيارة من جديد.

عظيمة رحمة الله تعالى على أولاده المساكين!.. لو تعرفين كم ذرفت دموعاً سخية وأنا أصغي إلى خالي القديس في حديثه السماوي... لقد بدا لي متجلّياً؛ فلم يكن كلامه كلام الإيمان الذي يرجو، بل كلام الحبّ الذي يمتلك. ففي حين كانت الشدة والمذلّة تمتحنانه، كان يبدو ناسياً كل شيء، ولا يفكر إلّا في مباركة اليد الإلهية التي كانت تسلبه كنزه، وتجرّبه مثل القديسين تعويضاً له... لقد كانت القديسة تريز على حقّ في قولها لربّنا الذي كان يُثقلها بصليبه عندما تشرع في أعمال كبيرة لأجله: «آه! يا رب، لا يدهشني أن يكون أصدقاؤك قليلين، فأنتَ تعاملهم بشكلٍ سيء للغاية[3]! ..» وقالت مرّة أخرى: إنَّ النفوس التي يحبّها الله حباً عادياً، يجزيها بمِحَنٍ قليلة. اما النفوس التي يحبُّها حبّاً اصطفائياً، فيغدق عليها صلبانه وكأنها اكبرُ برهان واثبته على محبته[4].

(٢١ تموز/يوليو)

تركتُ رسالتي أمس بدون أن أنهيها، لأنَّ ماري وصلت مع ليوني؛ وقد تأثرنا عميقاً لرؤيتها، ولم نستطع أن نأخذ منها أيَّ كلمة لكثرة بكائها، وأخيراً رقّعت الينا نظرها، وكل شيء مضى على خير. لن أعطيك تفاصيل أخرى، يا امرأة خالي العزيزة، لأنكِ ستعرفينها بواسطة ماري التي أظهرت أنّها امرأةٌ قوية حقاً في أثناء الظروف المؤلمة التي مرّت بنا. لقد قلنا لها ذلك، لكني رأيت فعلاً أنَّ هذا المديح لا يعجبها؛ فسّميتها عندئذٍ «الملاك الصغير»؛ فقالت لي ضاحكة إنَّ هذا اللقب يعجبها أكثر من «امرأة قوية». إنّها مرحة بشكل يُضحك الحجارة، وهذا ما كان يسلّي رفيقتها المسكينة وقد قدمنا الطعام لهما في صحون فخار مثل الكرمليات ممّا أضحكهما كثيراً[5].

آه! ما اقوى قضيلة صغيرتك ماري!... إنَّ سيطرتها على نفسها لمدهشة، ولا ينقصها الهمّة لكي تصبح قديسة؛ وهذه الفضيلة اكثرها ضرورةً. فبالهمّة نستطيع الوصول بسهولة إلى ذروة الكمال. لو كانت تستطيع أن تعطي قليلاً منها لليوني، لبقى في حوزة «ملاكك الصغير» ما يكفيه، ولما أضر بها ذلك... يا امرأة خالي العزيزة، أرى أنَّ عباراتي ليست واضحة؛ فأنا استعجل كي أعطي رسالتي إلى ماري؛ ولم تكن تريد أن

(٣) راجع **الرسالة** ١٥٥، الملاحظة ١.
(٤) تريزا الأفيلية - **طريق الكمال**، الفصل ٣٦.
(٥) تناولت ليوني وماري طعامهما بشكل استثنائي في غرفة طعام الراهبات الخارجيات.

أكتب اليكِ بل قالت إنَّها ستقوم بكل مهماتي، او تعطيني ثلاثة فلوس حتى أحصل على طابع. لكنني لم أرد الانتظار مدةً أطول حتى أرسل إلى امرأة خالي الحبيبة شيئاً آخر غير نظرة؛ ومهما كانت معبّرة، فلن تستطيع امرأة خالي أن تراها وهي بعيدة جداً.

كنتُ أريد التحدّث اليك عن جانّ وفرانسيس، لكنّ الوقت لا يسمح لي. فكل ما أستطيع قوله هو أنّني أعتبرهما في عداد القديسين الذين يسمح لي بمشاهدتهما على الأرض عن كثب، واللذين أفرح برؤيتهما قريباً في السماء برفقة أولادهما (٦)، المكلّلين بأكاليل مشعة ستزيد في مجد أهلهم...

يا امرأة خالي الصغيرة الحبيبة، إن لم تتمكّني من قراءتي، فالذنب ذنب ماري، فعانقيها نيابةً عني ووبّخيها قائلةً لها أن تعانقك بشدة عوضاً عني.

ابنتك الصغيرة
تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة

الرسالة ١٧٩ إلى الأخت جنڤياف

بعد ٨ أيلول/سبتمبر ١٨٩٥

هل الآنسة (١) مسرورة؟..

لقد سارع السيّد المسكين الى إرضائها (٢).

---

(٦) لم ينجبا اولاداً قط مما سبَّب لهما آلاماً شديدة.

الرسالة ١٧٩

(١) «الآنسة ليلي Lili» (سيلين)، و «السيّد توتو Toto» (تريز). هذه التسمية تعود إلى ذكريات فترة البويسونيه Buissonnets.

(٢) كانتِ تريز قد رسمت على حذاء خفيف الأحرف IHS، وهي شعار الام جنڤياف، المنسوب الى سيلين بعد أن أطلق عليها اسم المؤسّسة.

الرسالة ١٨٠ إلى السيّدة لانييل

ي.م.ي.ت.

١٤-١٥ و١٧ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩٥

يسوع +

عزيزتي جانّ،

إخالني أراك وأسمعك شخصياً لدى قراءتي رسالتك؛ ويُسرّني جداً أن أتحقق من المرض اللطيف الذي حمله خالي وامرأة خالي إليك من ليزيو، وآمل ألّا تكوني قد شفيتِ بعد من نوبة مرحك... وهذا محتمل لأنَّ عضوَ[١] الكلّية الشهير لا يستطيع أن يجدَ علاجاً من أجل عزيزته الحبيبة جانّ رغم علمه الشامل . فإذا حدث واكتشفه صدفة، فإني أرجوه ألّا ينسى كرملنا، فكل المبتدئات قد أصبن بالعدوى منذ دخول الصغيرة الغنوجة التي عمقت تجاعيد عزيزتها فيفين[٢] وأشابت شعرها.

إنّه عزاء كبير لي، أنا عميدةَ قسم الابتداء العجوز، أن أرى هذا القدر من المرح يغمر أيّامي الأخيرة؛ فهو ما يجدِّد شبابي. وبالرغم من قضائي سبع سنوات ونصف في الحياة الرهبانية، فإنَّ رصانتي غالباً ما تخونني بحضور العفريتة الظريفة التي تُفرِّح كلَّ الجماعة الرهبانية. لو كنتِ رأيتِها في ذلك اليوم وهي تشاهد صورَك وصورَ فرانسيس، لأضحكك الأمر جدّاً!.. كانت أمنا قد حملتها إلينا في أثناء الفرصة، ومرّرتها على كل أخت. وعندما جاء دور مريم للأفخارستيا، أخذت الصور الواحدة تلو الأخرى وراحت تبتسم لها بألطف ابتساماتها قائلة لكل صورة بدورها: «صباح الخير، يا عزيزتي فيفين... صباح الخير، يا ساروفيمي». وقد أضحكت تعابير المحبة هذه جميع الكرمليات الفرحات جداً بأن تكون بينهنَّ طالبة بهذا اللطف. إنَّ صوتها الجميل هو مصدرُ سعادتنا وسحرُ نزهاتنا. اما ما يُفرح قلبي خاصةً، وأكثرَ بكثيرٍ من جميع ما لدى ملاكنا العزيز من المواهب والمزايا الخارجية، فهو استعداداتها لممارسة الفضيلة...

---

(١) الطبيب فرانسيس لانييل.

(٢) الغنوجة هي ماري غيران التي أصبحت الأخت ماري للأفخارستيا Marie de l'Eucharistie ؛ فيفين Fifine هي جانّ؛ وساروفيم Séraphin: هو فرانسيس.

يا عزيزتي جانّ، انها لكبيرةٌ جدّاً، التضحية التي طلبها الرب منك مؤخراً؛ ولكن، **ألم يَعِد الذي يترك أباه أو أمه أو أخته لأجله، بأن ينال مائة ضعفٍ في هذه الحياة؟** (متى ١٩/٢٩). فلأجله، لم تترددي في الانفصال عن أختٍ تحبّينها حبّاً يفوق كلّ تعبير! آه! إنَّ يسوع سيكون مضطرّاً الى الوفاء بوعده.... أعرف جيداً أنَّ هذه الكلمات تنطبّق عادةً على نفوسٍ رهبانية؛ ومع ذلك، فأنا أشعر في صميم قلبي بأنَّها قيلت لأجل أهل اسخياء يضحّون بأولادٍ هم أعز من أنفسهم...

ألم تتلقَّي قبلاً، المائة ضعفٍ؟... نعم، إن ما تنعم به صغيرتك ماري من سلام هانئ وفرح قد أفلتا من شبكة الحصن ليغمرا نفسك... ولديَّ الثقة التامة بأنك ستنالين قريباً مائة ضعفٍ اكثر وفرة، وأنَّ ملاكاً صغيراً سيأتي ليبهج عائلتك ويتلقّى قبلاتك الوالدية...

يا أُخيتي العزيزة، كان عليَّ أن أبدأ بشكرك على هدّيتك التي تنوين تقديمها لي بمناسبة عيدي؛ فأؤكد لك، انني تأثّرت جدّاً بذلك. ولكن أغفري لي إن عبّرتُ لك عن ذوقي ببساطة... فبما أنكِ ترغبين في إرضائي، فأنا أفضّل، بدلاً من السمك، نموذجاً لتطريز الأزهار. ستعتبرينني أنانية، لكنّ خالي، كما ترين، يدلّل كرملياته العزيزات، وهنَّ مطمئنّات جدّاً ولا يخشين الموت جوعاً... إنَّ الصغيرة تريز التي لم تحبّ قط ما يُؤكَل، تفضّل مع ذلك، الأشياء المفيدة لجماعتها؛ وتعرف أنَّنا بنماذج أشغالٍ يمكننا أن نربح مالاً لكي نشتري سمكاً. إنَّها تشبه قصة بيّريت [٣]، أليس كذلك؟ لكن، في النهاية، إذا أعطيتني غصناً من أزهار العِنّاق، سأكون مسرورة جداً. وإن لم تتوفر، فارسلي أزهار النسرين أو أزرارَ الذهب [٤]، أو حتى أية زهرة شائعة فهي تفرّحني. أخشى أن أكون متطفّلة، واذا بدوت كذلك، فلا تعيري طلبي اهتماماً، وسأكون عارفة بجميلك كثيراً للسمك الذي ستقدمينه ليّ، خاصةً إذا تكرّمتِ فعلاً بأن تضيفي إليه اللآلئ التي كلّمتني عليها في ذلك اليوم... ترين، يا عزيزتي جانّ، لقد تغيّرت، وبدلاً من ان التزم الصمت، صرت أتكلم مثل الثرثارة [٥]، ولي طلبات بالغة الجرأة... فمن الصعب جداً المحافظة على

(٣) قصة Perette الحالمة من قصص لافونتين الخرافية.

(٤) زهر العِنّاق Eglantines ، م. عِناقيّة وهو جنس زهر من الفصيلة الدفلية؛ زهر النسرين Pervenches ؛ زهرة زر الذهب Bouton-d'or هي جنس نباتات عشبية من الفصيلة الحوذانية صفراء الأزهار.

(٥) الثرثارة pie : جنس طير كثير الصياح.

الوسط!... ولحسن الحظ، إنَّ الشقيقة تغفر كلَّ شيء، حتى مضايقات صغرى أخواتها...

لقد قطعتُ رسالتي مرات كثيرة بحيث لم تعد متسلسلة؛ لقد خطرت على بالي أشياء جميلة جداً تتعلق بموضوع المائة ضعف الذي كنت أكلمك عليه في البداية، لكنّي مضطرةٌ الى الاحتفاظ بالأشياء الجميلة في صميم قلبي؛ وأتضرّع إلى الله ان يحققها لك، اذ ليس لديَّ وقت لتعدادها. فعليَّ الذهاب إلى غرفة الغسيل. وبينما أدعك البياض أُصغي إلى العفريت الصغير العزيز يرنّم «هذا الغسيل لا بدَّ من أن يقودنا إلى ضفة بلا عاصفة (٦)...».

إنَّ أُمَّيْنا الطيِّبتين وجميع أخيَّاتك يُبلِّغنك ألف تحية لطيفة، وكذلك فرانسيس. لا أنسى أنَّه يحتفل غداً بعيد القديس لوقا، أحد شفعائه القديسين(٧)؛ لذلك سأقوم بالمناولة المقدسة لأجله وسأطلب من يسوع أن يكافئه على المشقة التي تكبّدها حتى يجدَ لي العلاجات.

أعانقك من قلبي، يا عزيزتي الصغيرة جانّ، وأؤكّد لك محبّة وعرفان

أخيتك الصغرى
تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملّية غير المستحقة.

الرسالة ١٨١ إلى السيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩٥

يسوع +

امرأة خالي الصغيرة العزيزة،

إنَّ ابنتك الصغيرة تضمّ صوتها الضعيف الى الترانيم الرائعة التي تنشدها أخواتها الكبيرات بمناسبة عيدك.

---

(٦) اقتباس من شعر ألّفته الأخت ماري للإفخارستيا.

(٧) لوقا الانجيلي كان طبيباً فهو لذلك شفيع الاطباء.

ماذا تبقّى لي حتى أتمنّاه لكِ، يا امرأة خالي الحبيبة؟... فبعد كل الأمنيات التي رُفعت إليك، أشعر بأني لا أملك سوى أن أقول من كل قلبي: آمين!...

إنّني أردّد لكِ ذلك كلَّ سنة، فأنا لا أجد في الأرض كلمات قادرة على التعبير عن مشاعر نفسي؛ لذلك فأنا سعيدة بأن أتّحد بأخواتي الثلاث اللواتي يكبُرنني، وخاصةً بصغيرتنا المدلله[١] العزيزة، فأقدّم لكِ أمنياتي بالعيد.

ليس لديَّ وقتٌ لأطيلَ الكتابة اليك أكثر مما كتبت، يا امرأة خالي الصغيرة العزيزة، لكنّي متأكدة تماماً من أنَّكِ ستحزرين من تلقاءِ نفسك كلَّ مشاعر الحنان التي يَفيض بها قلبي.

في يوم عيدك سأقدّم مناولتي لأجلك ولأجل ماما الطيّبة.

أرجوكِ، يا امرأة خالي العزيزة، أن تغمري بالقبلات كلَّ الذين أحبّهم، وبصورة خاصة خالي الحبيب، وأكلّفه بأن يعطيك ألف قبلة أخرى نيابةً عن ابنتك الصغيرة

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة

الرسالة ١٨٢ إلى الأخت جنڤياف[١]

ي.م.ي.ت.

٢٣ شباط/فبراير ١٨٩٦

يسوع +

أُخيّتي الصغيرة العزيزة، لقد طلبتِ منّي أن اخبرك ماذا سيحدث في السماء يوم عرسك، فسأحاول أن أفعل؛ لكنّي أشعر مسبقاً بأنّني لن أنجح حتى في رسم الخطوط

---

(١) الأخت ماري للأفخارستيا.

الرسالة ١٨٢

(١) حدّد يوم نذر الاخت جنڤياف، اي سيلين، في ٢٤ شباط/فبراير. فطلبت الناذرة من اختها تريز ان تصف لها اعياد السماء. فاستجابت لطلبها واغرقت في الاوصاف والمبالغة.

العريضة للاعياد التي لا يمكن وصفُها، **فإن ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر قد أعدَّه الله للذين يحبّونه (١ قور ٢/ ٩).**

في ٢٤ شباط، عند منتصف الليل، سيفتح القديس بطرس أبواب السماء. وفي الحال، سيخرج الملائكة والقديسون بفرحٍ منقطع النظير ليكوّنوا بلاط الملك وخطّيبته.

ستتقدّم العذراء مريم الثالوثَ المعبود مباشرة، تحمل الزينة الملكيّة للعروس، ابنتها العزيزة. وبكل رأفتها الوالدية، وقبل أن تنزل الى الأرض، ستفتح هوّة المطهر. ولوقتها، سينطلق منها عددٌ لا يحصى من النفوس باتجاه محرِّرتها، نفوسٌ تبتغي شكرَها وسؤالها عن خلاصها غير المنتظر. فتجيبُها العذراء برقّة: «اليوم هو عرس ابني. فهناك في أرض المنفى، اختار لنفسه، منذ الأزل، نفساً أسرته وخلبت لبّه من بين ملايين النفوس الأخرى التي خلقها، على صورته (**تكوين** ١/٢٦). وهذه النفس المُصطفاة التمست منّي هذا الطلب: «في يوم عرسي أودّ أن يختفي كلّ ألم من مملكة عريسي». فاستجابةً لندائه اها انا آتية لأخلّصكِ.. فانضمّي الى موكبنا، وترنّمي مع الطوباويين، بنعَم يسوع وسيلين».

عندئذٍ ستنزل السماءُ بكاملها الى الأرض، وستجد الخطّيبة السعيدةَ ساجدةً أمام بيت القربان[٢]. وعند اقتراب الموكب ستنهض وستحّيي طغمات الملائكة وجمهورَ القديسين، ثمَّ تقترب من مريم وتقدّم لها جبينها لتنال منها قبلةً والدية تعدّها لِتَلَقّي علامة العريس وقبلته (**نشيد الأناشيد** ٨/١). ويأخذ يسوع بيد عزيزته سيلين، ويقودها إلى الحجرة الصغيرة الحقيرة في منامة النبي إيليا[٣]، لتستريح بضع ساعات. وسيأتي البلاط السماوي كلّه ويصطفّ في هذا المكان الضيّق. وإذ يهمّ الملائكة بالبدء بترانيمهم، يقول يسوع لهم هامساً: لا توقظوا حبيبتي (**نشيد الأناشيد** ٢/٣)، **اتركوني وحدي معها لأنّني لا أستطيع الانفصال عنها لحظة واحدة.**

وستفهم ملكةُ السماء الرقيقة رغبة ابنها الإلهي، فتُخرِج موكب الضياء وتقوده إلى قاعة العرس[٤].

وفور البدء بتحضيرات العيد، سيضفر عدد لا يحصى من الملائكة أكاليل لا مثيل لها

---

(٢) كانت العادة، عشية النذر، تقضي بأن تسهر الناذرة حتى منتصف الليل امام القربان.

(٣) حجرة تشغلها الأخت جنفياف.

(٤) هي قاعة المجمع الديري حيث يتم النذر.

في الأرض، وسيُعدّ الشاروبيم شعارات أكثر لمعاناً من الألماس، وسترسم ريشتهم الماهرة، بخطوطٍ لا تمحى، شارات يسوع وسيلين(٥). وسيضعونها في كل مكان: على الجدران، وعلى قناطر الحصون، وفي قاعة الطعام، وفي الخورس وإلى آخره. وسيكون عدد الرسامين كبيراً بحيث إنَّ روائع كثيرة لن يمكن وضعها، عندئذٍ سيأتي فوجُ الأطفال الأبرياء سيتطوّعون لحملها طوال اليوم أمام العريس والعروس. وسيرفض الملائكة ضاحكين، إعطاء شعاراتهم، لأنهم سيحتاجون إليها لكي يزيّنوا بها جميع القديسين ويتزيَّنوا، فيُظهروا أنَّهم خدّام يسوع وسيلين المتواضعين. ولكي يعزّوا الأطفال، سيقدِّمون لكل واحد منهم شعاراً صغيراً ظريفاً لكي يشاركوهم أيضاً في المهرجان. ثم يتابعون تحضيراتهم الفخمة بارسال الاطفال لتوريق الورود والزنابق...

وسيكون للأحبار والملافنة رسالة كبيرة يؤدّونها. فبناءً على طلبهم، سيفتح **الحمل سفر الحياة (رؤيا ٢٠/١٢)**. وسيُخرجون من هذا السفر الثمين وثائق عن حياة سيلين. ولكي يكرّموا عريسها، سيكتبون كلَّ النعم الفائقة، وكلَّ التضحيات المستترة التي خطّتها يد الملائكة بحروف ذهبية! وسيحمل الملافنة عدداً كبيراً من الرايات وسيحتفظون لذاتهم بشرف حملها أمام الموكب الملكي...

وسيجمع الرسل جميع النفوس التي كانت سيلين قد ولدتها قبلاً للحياة الأبدية، ويجمعون حتى جميعَ الأطفال الروحيين الذين ستلدهم في المستقبل لعريسها الإلهي.

امّا القديسون الشهداء، فلن يبقوا عاطلين بل يضعون بعناية مؤثّرة لا نظير لها أسهُماً مشتعلة على طول طريق العرض الملكي. فهم يريدون بذلك تسبيحَ شهيد الحب الذي سيُفني حياةَ العروس السعيدة خلال وقت قصير...

ويلزمني وقت طويل جدّاً لكي أصفَ المشاغل المتعدّدة التي يقوم بها المعترفون والنساك، إلخ... وجميع النساء القديسات، بحيث يكفيني القول إنَّ كل واحد منهم سيبذل عبقريته كلها وكل عنايته ليحتفل احتفالاً لائقاً بيوم جميل كهذا اليوم... ومع ذلك، لا استطيع أن أُهمل أناشيد العذارى، والسعف والزنابق التي سيقدّمنها بفرح فائق الوصف لسيلين، أختهنَّ الحبيبة. ها أنا أرى منذ الآن سيسيل، وجنفياف، وأنييس، مع

---

(٥) راجع **الرسالة** ١٨٣.

رفيقتهنّ جانّ الراعية، بلباسها الحربي. وأرى سيلين، شفيعة خطّيئتنا، تقدم لها باقة أزهار تحمل اسمها[٦]...

وأرى بصورة خاصة رهبانية الكرمل بكاملها مشعَّةً بمجد جديد. فعلى رأسها سيظهر كلٌّ من القديسة تريزا والقديس يوحنا الصليب، والأم جنڤياڤ. فهذا العرس الرائع هو، حقاً، عيدهم، إذ إنَّ سيلين هي ابنتهم الحبيبة...

وشعب الأطفال الأبرياء الوديع، هل سيكون غريباً عن مجد هذا اليوم الجميل؟ لا، فأنا أراهم يلعبون بأكاليلهم التي لم يفوزوا بها، ويستعدّون لوضعها على رأس من تريد أن تشابههم بالّا تربحَ إكليلاً. إنَّهم فخورون كالملوك، ويهزّون رؤوسهم الشقراء بغنج، لأنهم يرون انتصارهم في أنَّ اختهم الكبرى تتمثّل بهم... وفجأة، تظهر بينهم أمٌّ لا يوصف جمالها، فتتوقّف وتمسك بيدها أربعةً من الشاروبيين الظرفاء، وتزيّنهم بألبسة أكثر بياضاً من الزنبق، وبألماس يلمع لمعان الندى في الشمس... وهناك أيضاً شيخ جليل فضّيّ الشعر، يغمرهم بالمداعبات. فيندهش جميع الأطفال الآخرين لإيثار من هذا النوع، ويقترب أحدهم من تريز الصغيرة[٧] بخجل، ويسألها لماذا تلبسهم هذه السيّدة الجميلة ثياباً بهذه الأبهة. فتجيب الصغيرة تريز بصوتها الفضّي: «ذلك بأنّنا أخواتٌ وإخوةٌ للمغبوطة خطيبة الملك يسوع. سنكون أنا وهيلين وصيفتَيْ شرف مع الصغيرين جوزيف اللذين سيمسكان بيدنا[٨]. وإنَّ الماما والبابا، اللذين ترونهما بالقرب منّا، سوف يقوداننا مع أخيّاتنا اللواتي ما زلن منفيات على الارض. وباجتماع العائلة كلّها، سننعم بغبطة لا نظير لها. وتأخذ الصغيرة تريز، يغمرها الفرح، تصفّق بيديها الصغيرتين اللطيفتين، الأكثر بياضاً من جناح التّم[٩]، ثم تصرخ واثبة على عنق أبيها وأمها: «آه! كم هو جميل! كم هو جميل عرسُ أختنا الحبيبة!... لقد سبق وأتينا إلى هنا ثلاث مرات بمناسبة أعياد مماثلة لماري ويولين وتريز (السارقة الصغيرة التي سلبتني اسمي)؛ ولكني لم أشاهد قط تحضيراتٍ بهذه العظمة، فحقاً إنَّ سيلين هي الأخيرة!...».

(٦) زهر النجمية Les asters . راجع الرسالة ٩٨.

(٧) ماري-ميلاني-تريز مارتان Marie-Mélanie-Thérèse Martin ، ماتت وعمرها في سنة ١٨٧٠.

(٨) تستحضر الكاتبة في هذه المناسبة الاولاد الاربعة الذين ماتوا في سن مبكرة: تريز وهيلين وجوزيف لويس Joseph-Louis وجوزيف جان باتيست Joseph-Jean-Batiste .

(٩) التّم Cygne ، أو الأوز العراقي وهو جنس طيور أهلية من رتبة كفيّات الأرجل.

وسيُدي كلٌّ من الصغيرة هيلين والصغيرين جوزيف ملاحظات ظريفة حول سعادة انتمائهما الى عائلة ملكة هذا العيد الفائق الجمال. وعندها يُرى بضع اطفال كانوا يصغون اليهم مسندين رأسهم برصانة الى يدهم الصغيرة، ينهضون فيعلنون أنَّهم إخوة سيلين أيضاً. ولكي يثبتوا ذلك، سيشرحون كيف تنحدر إليهم هذه القرابة الشهيرة ومن أيِّ جانب. ولا يعود يُسمع غير صيحات الفرح، وستضطر العذراء القديسة إلى المجيء لإعادة الهدوء الى جمهرة الأطفال. وسيهرع جميع القديسين أيضاً. وعندما يعلمون سبب هذا الحبور الفائق، سيجدون الفكرة جميلةً بحيث سيبادر كلٌّ منهم إلى إقامة شجرة عائلة تُظهر أنَّه نسيبٌ لسيلين. وهكذا فإنَّ جميع الأحبار والشهداء المجيدين والمحاربين (وعلى رأسهم القديس سباستيان، وبكلمة واحدة كل نبلاء السماء، سيفتخرون بإعطاء إسم الأخت لعروس يسوع ولن يضم العرشُ إلَّا عائلةً كبيرة واحدة.

ولكن لنعد إلى الشيخ الجميل، وإلى السيّدة الجميلة والشاروبييم الأربعة. فباكتمال زينتهم، سيدخلون إلى قاعة المجمع، وستنحني الملائكة عند رؤيتهم يمرّون، وتدلهم على العروش الرائعة المعدة لهم، على جانبي الكرسي المتواضع المخصّص للأم[١٠] الصغيرة العزيزة. فبين يديها ستُعقد الروابط السرمدية التي توحّد يسوع وسيلين؛ لذلك فإنَّ هذه الأم، الصغيرة في عيون المخلوقات، والكبيرة في عيني من تحتلّ مكانه، ستتلقّى اوفر البركات من والديها الحبيبين، حتى تسكبها فوق رأس أختها وابنتها الحبيبة...

وسيأتي كل قديس وكل ملاك ليهنئ الاب الجليل، وعروسه المغبوطة، وسيتألقان بمجد جديد، فيصرخ أبناؤهم مدهوشين: «يا بابا، يا ماما! كم أنتما جميلان! يا للتعاسة في الّا تراكما سيلين!. فأظهرا لها مجدَكما». فقط لهذا اليوم (خروج ٣٣/١٨).

فيجيب بابا: «دعوني أتصرّف، يا أبنائي، أنتم لا تدرون أنّني إذا احتجبتُ اليوم، ذلك بأنّني أعرف كم ستجني ابنتي الشجاعة[١١] من مكافأة بالبقاء في المنفى من دون عزاء. لقد تألمتُ كثيراً فيما مضى، كانت سيلين سندي الوحيد. اما الآن فأريد أن أكون سندها. لكن لا تعتقدوا أنّني أريد أن أنتزع منها استحقاق تألمها. آه! لا! فأنا أعلم حق العلم ثمن ذلك. فإن الله لا يترك أحداً أكرم منه. وهو الآن أجري العظيم (تكوين ١٥/١).

---

(١٠) هي الام أنييس ليسوع رئيسة الدير آنذاك.

(١١) أحد ألقاب سيلين.

وسيكون قريباً أجر سيليني الأمينة» - وستقول أمّي بدورها: «هذا صحيح جداً، فمن الأفضل ألّا نُظهر أنفسنا لها على أرض الغربة. إن سيلين ليست منفيةً إلّا لفترة قصيرة، حتى تجارب وتموت(١٢). وقريباً سيأتي اليوم الذي يكون يسوع فيه حقاً السيّد، وتكون إبنتي الحبيبة السيدة. كانت تقول لي ذلك عندما كانت صغيرة جداً، وأرى أنّها كانت فعلاً على حق!».

هذا الحوار العائلي سيقطعه الملائكة الذين يأتون ليعلنوا، بأبهة عظيمة، أنّ الخطّيبة مستعدة للذهاب إلى قداس العرس؛ وعندئذٍ، سينتظم الموكب في ترتيب تام ويتقدّم يسوع وسيلين تحوط بها عائلتها السماوية وعائلتها الأرضية. لا أستطيع ان أصف دفقات حبّ يسوع لسيلين، ولا جمالها المشع (لأنها ستكون لابسة الحلّة التي حملتها ماري نفسها). فلا أدري إن كان سكان السماء قد رأوا مرةً عيداً بهذا الجمال؛ أظنّ لا. فبالنسبة اليّ، وأقول ذلك لأخيّتي الحبيبة، لم أكن قد رأيت أعذبَ منه عيداً على قلبي!...

لن أتكلم على لحظة الاتحاد نفسها، لأنَّ الكلمات لا تستطيع التعبير عن هذا السرّ غير المُدرك، والذي يجب ألّا يُكشف لنا إلّا في السماء... أعرف فقط ان الثالوث سينزل في هذه اللحظة إلى نفس عزيزتي سيلين ويملكها كلياً، مضيفاً عليها بهاء ونقاوة تفوق نقاوة المعمودية... وأعلم أنَّ العذراء القديسة ستصبح أم ابنتها المفضلة بصورةٍ حميمة ووالدية، أكثر ممّا كانت في الماضي...

أعرف ان تريز الصغيرة المسكينة. تفكّر في اليوم الجميل الذي سيبدأ قريباً، وتشعر، منذ الآن، بفرح شديد تسأل معها نفسها عمّا ستشعر به عندما سيحلُّ فعلاً...

أخيّتي الحبيبة، لقد عبّرت نفسي بشكل سيء عن مشاعرها... فقد كانت تراودني افكارٌ كثيرة حول أعياد السماء، الى حدّ أنّي لم أذكر من الموضوع إلّا خطوطه العريضة.

ليس عندي هدية عرس أقدّمها لسيلين؛ لكني غداً، سآخذ بين ذراعيّ الشاروبين الظريفين اللذين كلّمتها عليهما فسأقدمهما لها: فما دمنا نريد أن نبقى أطفالاً، لا بدَّ لنا

(١٢) راجع رسالة السيّدة مرتان إلى پولين، بتاريخ ٩ تموز/يوليو ١٨٧٣.

من الاتحاد بهم، وهكذا سأكون وصيفةَ شرف الآنسة، وأنا احمل باقة زنبق جميلة. «فكل شيء لنا، كل شيء لأجلنا، لأنَّ لنا كلَّ شيء في يسوع» [١٣]!...

أخت سيلين الصغيرة
تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس

نسيت القول إنَّ سيلين عند يقظتها ستجد بجوارها يسوع، ومريم والقديس يوسف الطيّب الذي تحبه كثيراً، مع بابا وماما، والملائكة الصغار، يقومون بتزيينها. نسيت أيضاً ان أعبّر عن فرح يسوع بسماعه سيلين تلفظ للمرة الأولى كلمات الفرض المقدس [١٤] الذي سيكون في ذلك اليوم، فرضها الخاص بها، هي عروس قلبه المكلفة بأن تسحره وسط المعسكرات (**نشيد الأناشيد** ٧/١).

الرسالة ١٨٣ إلى الأخت جنفياف [١]

٢٤ شباط ١٨٩٦

عقد اتحاد

يسوع بسيلين

أنا **يسوع، الكلمة الأزلي، إبن الله ومريم العذراء الوحيد** (**يوحنا** ١/١)، أقترن اليوم بسيلين، الأميرة المنفية، الفقيرة وبلا لقب. وأهب ذاتي لها تحت إسم: فارس **الحبّ والألم والازدراء**.

لم أنوِ بعدُ أن أعيد إلى حبيبتي وطنها الأبدي، وألقابها وثروتها. لكن أريد أن تشاركني النصيب الذي أحببت أن يكون نصيبي على الأرض... هنا، وجهي مستورٌ؛

---

(١٣) يوحنا الصليب – **صلاة نفس مشغوفة** عِبَر ٢٦.

(١٤) حسب العادة المتّبعة عندئذٍ، كانت الناذرة الجديدة تترأس «خدمة» التراتيل في يوم نذرها.

الرسالة ١٨٣

(١) عشية نذرها، وجدت الأخت جنفياف في حجرتها مغلّفاً عليه طابع يحمل رسم الوجه الأقدس والعنوان المعاد نسخه على الصفحة المنظورة هنا. داخل المغلّف وضع رقّ مزخرف، رُسمت عليه شارات سيلين مع شعارها: «من يخسر يربح» والنص الذي يليه.

لكنها تستطيع ان تعرفني في حين أنَّ الآخرين يزدرونني (**أشعيا** ٣/٥٣). وبالمقابل، أضعُ على رأسها خوذة الخلاص والنعمة (**أفسس** ١٧/٦)، ليكون وجهها مستوراً مثل وجهي... وأريد أن تحجبَ الهبات التي تلقّتها مني، وتتركني أُعطيها إيّاها أو أن أستعيدها منها كما أشاء، فلا تتعلّق بأيٍّ منها، وتنسى حتى كلَّ ما يمكن أن يرفعها في عينيها كما في عيون المخلوقات.

حبيبتي ستدعى من الآن فصاعداً: جنفياف للقديسة تريز. اما لقبها الأمجد، أي: مريم للوجه الأقدس، فسيبقى مستوراً على الأرض[٢] حتى يشعّ في السماء بإشعاعٍ لا يُضاهى. وستكون راعية الحمل الوحيد الذي يصبح عريسَها. إنَّ اتحادنا سيخلق نفوساً أكثر عدداً من نجوم السماء، وعائلة تريز ستعطى بهاءً جديداً تنعم به.

ستتحمَّل جنفياف بصبرٍ غياب فارسها، تاركة إيّاه يحارب وحده حتى يكون له وحده شرف الانتصار؛ وستكتفي باستعمال سيف الحبّ. وسيسحرني صوتها وسط المعسكر مثل ترنيمة شجيّة (**نشيد الأناشيد** ١/٧). وإنَّ أرقَّ تنهيدة من تنهيدات حبّها، ستلهب باضطرام جديد كلياً نخبة عساكري.

أنا وردة الحقول، وسوسنة الأودية (**نشيد الأناشيد** ١/٢)، والغذاء الذي أريد تقديمه لحبيبتي سيكون بُرّ المختارين، والخمرَ الذي ينبتُ العذارى (**زكريا** ١٧/٩). وستتلقى هذا القوت من يدَيّ المجيدة المتواضعة أمِّ كلينا، نحنُ الإثنين.

أريد أن أحيا في حبيبتي؛ وكعربونٍ لهذه الحياة، سأعطيها اسمي، وهذا الختم الملكي سيكون علامة تأثيرها العظيم على قلبي.

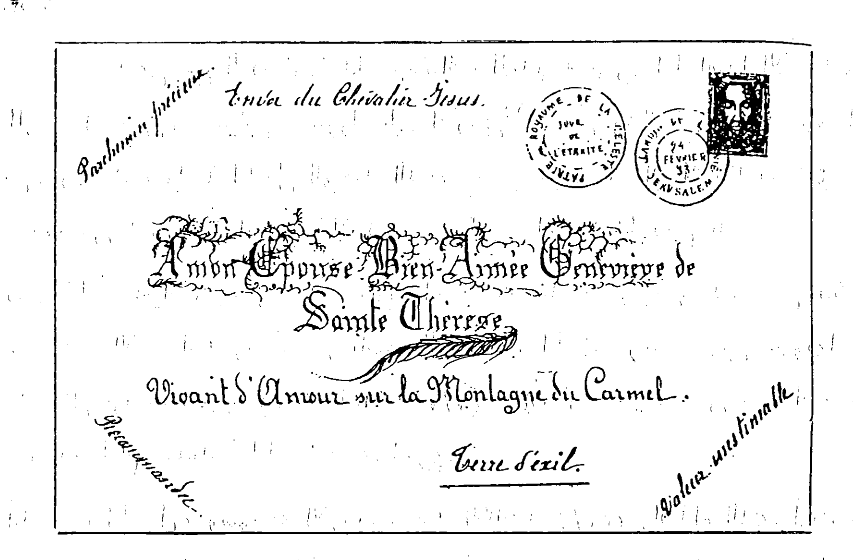
وغداً، **يوم الأبدية**، سأرفع خوذتي... وسترى حبيبتي إشعاع وجهي المعبود... فتسمع الاسم الجديد الذي حفظته لها... (**رؤيا** ١٧/٢) وتقبل كجزاء عظيم الثالوث المغبوط (**تكوين** ١/١٥)! وبعد مشاركتها الحياة المحجوبة عنها، سننعمُ في مملكتنا بالأمجاد عينها، وبالعرش عينه، وبالسعفة عينها والاكليل عينه... وقلبانا المتّحدان للأبدية سيحبّان بعضهما بذات الحبّ الابدي!!!...

---

(٢) راجع الرسالة ١٧٤، الملاحظة ١. في سنة ١٩١٦ سترجع الأخت جنفياف لقب الوجه الأقدس وسيصبح اسمها نهائياً جنفياف للوجه الأقدس.

أعطيَ على جبل الكرمل، ممهوراً بتوقيعنا وختم شاراتنا، في عيد احتضاري[٣]، في اليوم الرابع والعشرين من شباط، سنة ألف وثمانمئة وست وتسعين.

تريز الطفل يسوع
ناشرة الفارس الإلهي.



رسالة من الفارس يسوع
رق ثمين

إلى عروسي الحبيبة جنڤياف

للقديسة تريز

التي تحيا بالحبّ على جبل الكرمل

أرض الغربة

قيمة لا تُثمّن

مسجلة

(نسخة أصلية: ٢١ X ١٤،٢ سنتم)

(٣) كان يُتلى في ذلك اليوم فرض «احتضار السيد المسيح».

(على قفا المغلف، ختم كبير من الشمع البني يحمل شارات الكرمل وختم بالحبر الأسود:)

جبل الكرمل
٢٤ شباط ٩٦
أرض الغربة

الرسالة ١٨٤ إلى الأخت جنڤياف

ي.م.ي.ت.

٢٤ شباط/فبراير ١٨٩٦

إليك، يا ابنتي الحبيبة، أقدم لك هديةً لعرسك الدمعةَ الأخيرة (١) التي ذرفتُها على أرض الغربة هذه. إحمليها على قلبك وتذكّري أنَّ الاخت جنفياف للقديسة تريز يمكنها أن تصل إلى القداسة بالألم. لن يَصعُبَ عليك أن تُحبّي صليبَ يسوع ودموعه، إذا تفكّرت غالباً في هذه الكلمات: **أحبّني وجاد بنفسه من أجلي!** (**غلاطية** ٢/٢٠).

الأم جنڤياف

---

(١) الدمعة الاخيرة هي الذخيرة التي تلقتها تريز عن جفون الام جنڤياف. وها هي الآن تقدِّمها بدورها الى اختها سيلين. (**مخطوط** أ ص ٧٨ ش).

الرسالة ١٨٥ إلى الأخت جنڤياف[1]

٢٤ شباط/فبراير - ١٧ آذار/مارس ١٨٩٦

وضع علامته على وجهي!..[2]

القديسة أنييس، بتول وشهيدة.

(على قفا الصورة:)

تذكارٌ لأجمل أيامي... واليوم الذي يضمّ ويثبت كلّ النعم التي غمر يسوع ومريم بها حبيبتهما سيلين.

ستضغط سيلين، من الآن فصاعداً، على قلبها أشواكَ الألم والاحتقار، حبّاً بيسوع ومريم، لأنها تعرف بالخبرة أنَّ مريم يمكنها أن تحوّل إلى لبن، الدمَ الذي ينبثق من جراح الحبّ....

باليد اليسرى، تشد سيلين الأشواك، لكنها باليد اليمنى تعانق، دائماً، يسوع، باقةَ المرّ الإلهية (**نشيد الأناشيد** ١/١٢)، التي تستريح على قلبها.

من أجله وحده، ستضع سيلين نفوساً، وستسقي البذور بدموعها، وسيفرح يسوع دائماً، وهو يحمل باقات الزنبق بين يديه (**مزمور** ١٢٦/٥-٦).

اما الشاروبيم الأربعة الذين لامست أجنحتُهم الأرض لحظة[3]، فيهرعون ويتأملون أختهم الحبيبة بنشوة؛ وهم يرجون، باقترابهم منها، المشاركة في استحقاقات آلامها، وبالمقابل سيعكسون فيها ألق نقاوتهم الطاهر وجميعَ النعم التي أنعم الربُّ عليهم بها مجاناً (**رومانيين** ٣/٢٤).

٢٤ شباط/فبراير - ١٧ آذار/مارس ١٨٩٦.

تريز الطفل يسوع
والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(١) هذه الصورة هي تذكار نذور سيلين، واتشاحها بالطرحة.
(٢) آية من فرض القديسة أنييس، وضعت على وجه الصورة باللاتينية وبالخط القوطي.
(٣) أخوة تريز الصغار الذين تُوّفوا باكراً.

المرحلة السابعة : رئاسة الأم ماري دى غونزاغ الجديدة
(٢١ آذار/مارس ١٨٩٦ - ٣٠ أيلول/سبتمبر ١٨٩٧)

الرسالة ١٨٦ إلى ليوني

١١ نيسان/ابريل ١٨٩٦

ي.م.ي.ت.

عزيزتي ليوني،

لم تستطع أختك الصغرى الامتناع من ان تأتي ايضاً وتقولَ لك كم تحبّك وتفكر فيك، خاصةً في هذا اليوم، يوم عيدك. ليس لديَّ شيءٌ أقدمه لك، ولا حتى صورة؛ لكن لا، أنا على خطأ، فسأقدم لكِ، غداً، الحقيقة الإلهية، يسوع القربان (قولسي ٢/ ١٧)، عريسَك وعريسي... أختيي العزيزة، كم يعذب أن نتمكّن نحن الخمس من ان نسمّي يسوع «حبيبَنا»!، ولكن ما سيكون الأمر عليه عندما سنراه في السماء ونتبعه أينما يذهب ونحن نرتل النشيد الذي لا يُسمح بترداده إلَّا للعذارى؟ (رؤيا ١٤/٣-٤).

عندئذ سنفهم قيمة الألم والشدة؛ فنردِّد مثل يسوع: **كان من الضروري حقاً أن يمتحننا العذاب ليوصلنا الى المجد. (لوقا ٢٤/٢٦).**

يا أخيّتي العزيزة، لا أستطيع التعبير لكِ عن كل ما ينطوي قلبي عليه من أفكارٍ عنك؛ إنَّ الشيء الوحيد الذي أريد تكراره عليك هو هذا: «أحبّك بحنوٍّ ألف مرة أكثر ممّا تتحابُّ أخواتٌ عاديّاتٌ، لأنّني استطيع أنْ أحبّك بقلب عريسنا السماوي».

ففيه نغتذي من الحياة عينها، وسأبقى فيه للأبدية.

أختك الصغرى
تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٨٧ إلى الأخت ماري للثالوث

٣٠ نيسان/ابريل ١٨٩٦

أخيّتي العزيزة،

أودّ الحصول على أزهار لا تذبل لأقدّمها تذكاراً لهذا اليوم الجميل[1]، لكن الأزهار لن تدومَ ابداً الا في السماء!...

إنّ أزهار أذن الفأرة هذه ستقول لك على الأقل إنّ ذكرى هذا اليوم ستبقى محفورةً دائماً في قلب أختك الصغيرة؛ وهو اليوم الذي أعطاك فيه يسوع قبلة الاتحاد (**نشيد الأناشيد** ١/٨) التي عليها أن تنتهي أو بالأحرى أن تكتمل في السموات!...

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية

الرسالة ١٨٨ إلى الأخت ماري للثالوث

٧ أيار ١٨٩٦

(على وجه الصورة:)

أن أتألم وأُزدرى حبّاً بك[1]

(على قفا الصورة:)

أفكار من أبينا القديس يوحنا الصليب[2]

عندما يكون الحب الذي نكنُّه للمخلوق عاطفة روحية خالصة، قائمةً على الله وحده، فكلّما كَبُرَ، كَبُرَ أيضاً حبُّ الله في نفسنا؛ وبقدر ما يتذكّر القلب القريب، بقدر ذلك أيضاً يتذكر الله ويتوق إليه؛ ويكبر هذان الحبّان في تنافس متبادل.

---

(١) يوم نذر الاخت ماري للثالوث، وقد وضعت البطاقة على سرير الناذرة، وقد غطّته تريز بازدهار اذن الفأرة Myosotis.

الرسالة ١٨٨

(١) كلمة القديس يوحنا الصليب (راجع **الرسالة** ٨١).

(٢) نصوص من القديس يوحنا الصليب.

إنَّ من يحبّ الله حقاً، يعتبر ربحاً ومكافأةً خسارةَ كلِّ شيء وخسارةَ نفسه أيضاً في سبيل الله...

عند الغروب، ستُمتَحَن في الحبّ: فانسَ ذاتك، وتعلّم أن تحبّ كما يريد الله ان يكون محبوباً[٣].

ذكرى ٧ أيار من سنة النعمة ١٨٩٦[٤]. مهداة إلى أختي العزيزة ماري للثالوث والوجه الأقدس.

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الزاهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٨٩ إلى الأب أدولف رولان

ي.م.ي.ت.

٢٣ حزيران ١٨٩٦
كرمل ليزيو

يسوع +

أبتِ الموقّر،

اعتقدت أنّي سأُرضي أمنا العطوفة بمناسبة عيدها في ٢١ حزيران، بأن اقدّم لها صمدةً للقربان ومنشفة للكأس مع غطاء، فتُسرَّ بإرسالها إليك لأجل يوم ٢٩[١]. فلهذه الأم الجزيلة الاحترام أدينُ بسعادةٍ عميقة ألا وهي الاتحاد بك بروابط رسولية هي روابط الصلاة والاماتة. لذلك أتوسّل إليك، يا أبتِ الموقّر، أن تساعدني، من على المذبح المقدس، على إيفاء دين عرفاني بالجميل.

أشعر فعلاً بأنّي لا أستحقّ أن أكون شريكة خاصة بأحد مُرسَلي يسوعنا المعبود؛

(٣) **الاعمال الصغرى**، عبر ٥٩، ص ٢٦٦.
(٤) اتشاح الاخت ماري للثالوث بالطرحة.

الرسالة ١٨٩

(١) تاريخ احتفال الاب رولان بقداسه الاول.

لكن بما أنَّ الطاعة تعهدُ إليَّ بهذه المهمة اللطيفة، فأنا متأكّدة من أنَّ عريسي السماوي سيعوّض استحقاقاتي القليلة (والتي لا أعتمد أبداً عليها)، وسيستجيب لرغبات نفسي في أن يُخصِبَ رسالتك. سأكون سعيدةً حقّاً بالعمل معك في خلاص النفوس؛ فمن أجل هذه الغاية صرت كرملية؛ وإذ لا يمكنني أن أكونَ مُرسَلَةً بالعمل فقد أردتُ أن أكونها بالحبّ والتكفير، مثل القديسة تريزا أمي الساروفية... فأتوسّل إليك، يا أبي الموقّر، أن تطلب إلى يسوع لأجلي، يوم يتكرّم بالنزول من السماء للمرّة الأولى عند دعائك، أن تطلب اليه ان يُضرِمَ فيّ نار حبّه، حتى أستطيعَ بعدها مساعدتك على إضرامِها في القلوب (**لوقا** ١٢/٤٩).

منذ فترة طويلة، كنت أرغبُ في التعرّف برسولٍ يتكرّم بأن يلفُظَ اسمي على المذبح المقدس يوم قداسه الاول... كنتُ أرغبُ في أن أُحضّر له بنفسي البياضات المقدسة والقربانة البيضاء المعدة لحجب ملك السماء... لقد شاء إله الصلاح هذا ان يحقّق حلمي، وأن يُظهر لي، مرّة أخرى، كم يلذ له ارضاء رغبات النفوس التي لا تحبّ إلّا إياه وحده.

ولولا خوفي من التطفّل عليك، لطلبت إليك، أيضاً، أبي الموقّر، أن تذكرني كلَّ يوم على المذبح المقدس ... وعندما سيفصلك المحيط عن فرنسا، ستتذكّر، حين تنظر إلى غطاء الكأس الذي رسمته بفرحٍ كبير، أنَّ على جبل الكرمل نفساً تتضرّع بدون توقف إلى سجين الحبّ الإلهي لنجاحكَ في حربك المجيدة (**خروج** ١٧/٨-١٣).

وأرغب، يا أبي الموقّر، في أن لا يعرف إتحادَنا الرسولي إلّا يسوعُ وحده[٢]، وأطالب بإحدى بركاتك الأولى لمن ستكون سعيدة بأن تعلن نفسها للأبد

أخيتك غير المستحقة في يسوع القربان
تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية فير المستحقة.

---

(٢) كان الاب رولان يُعتبَر في الجماعة «مُرسَلَ أمّنا» اي الام ماري دي غونزاغ؛ لكنها كانت قد طلبت بسرّية تامة من الاخت تريز ان تراسله.

الرسالة ١٩٠ إلى الأم ماري دى غونزاغ [1]

ي.م.ي.ت.

٢٩ حزيران/يونيو ١٨٩٦

أسطورة حمل صغير

في حقلٍ زاهٍ خصيب، كانت تعيش راعية سعيدة، تحبّ قطيعها بكل حنان قلبها؛ وكانت النِعاج والحملان تحبّ راعيتها أيضاً... لكن السعادة الكاملة لا توجد في وادي الدموع. ففي احد الايام غطّت الغيومُ سماءَ الحقل الجميلة، فغمر الحزن الراعية وفارقها الفرح في رعاية قطيعها. هل يجوز إفشاء السرّ؟ فقد راودتها فكرة الابتعاد عنه نهائياً... ولحسن حظها أنّها كانت ما تزال تحبُّ حملاً صغيراً جداً، وغالباً ما كانت تأخذه بين ذراعيها وتداعبه، وتبوحُ له بهمومها وتبكي معه أحياناً وكأن الحمل مساوٍ لها...

وكان الصغير المسكين يغتمّ لرؤية راعيته تبكي، ويبحث عبثاً في قلبه الصغير عن وسيلة يعزّي بها من كان يحبُّها أكثر من ذاته.

ففي إحدى الأمسيات، نام الحمل الصغير عند قدمي راعيته، فغاب الحقل... والغيوم... وكل شيء عن عينيه. ووجد نفسه في حقل أوفر اتساعاً واروع جمالاً. ووسط قطيع أكثر بياضاً من الثلج رأى راعياً يُشعّ مجداً ومهابة رقيقة... ولم يكن الحمل المسكين يجسر على التقدّم؛ لكن الراعي الصالح الالهي، جاء اليه وحمله على ركبتيه وقبّله كما كانت تفعل راعيته اللطيفة في ما مضى...

ثمّ قال له: «أيها الحمل الصغير، لماذا تلمع الدموع في عينيك؟ ولماذا تذرف راعيتك التي أحبّها الدموعَ غالباً؟... تكلّم، أريد أن أعزيَكما كلاكما».

فأجاب الحمل: «إنْ أبكي، فلأنني ارى راعيتي الحبيبة تبكي؛ فاسمع، أيها الراعي الإلهي، سبب بكائها: كانت تعتقد في ما مضى ان قطيعها العزيز يحبّها، وكانت لتبذل حياتها حتى تسعده؛ لكنّها، حسب مشيئتك، اضطرت للتغيّب عدّة سنوات؛ وعند عودتها، بدا لها أنّها افتقدت روحاً طالما أحبّتها في نعاجها. وأنت تعرف ذلك، يا ربّ،

---

(١) في ٢١ أذار/مارس ١٨٩٦ انتخبت الام ماري دي غونزاغ رئيسةً من جديد بصعوبة. فصدمَها موقف بعض الاخوات واعتبرته نكراناً للجميل. فباحت باسرار قلبها للأخت تريز، مع رغبتها في السفر الى كرمل سايغون.

فأنت من أعطى القطيع السلطة والحرية في اختيار راعيته. فبدلاً من أن تشهد اختيارها بالاجماع كما كان من قبل، لم توضع عصا الرعاية بين يديها إلَّا بعد سبع مداولات... وأنتَ الذي بكى على أرضنا في ما مضى، ألا تفهم كم على قلب راعيتنا الحبيبة ان يتألم؟...»

ابتسم الراعي الصالح، وانحنى باتجاه الحمل وقال: «نعم، إني أفهم... لكن، لتتعزَّ راعيتك، فأنا هو، ليس مَنْ **سمح** بالشدّة العظمى التي جعلتها تتألم الى هذا الحد، بل مَنْ **شاءَها**.

- فأجاب الحمل الصغير: «هل ممكن، يا يسوع؟ كنتُ أعتقدُ أنَّك طيبٌ جداً، ولطيف جدّاً... أَما كنتَ تستطيع إعطاء العصا لأخرى كما كانت ترغب أمّي الحبيبة[٢]؟ أو اذا كنت تشاء قطعاً أن تضعها بين يديها، فلماذا لم تفعل ذلك بعد المداولة الأولى؟ ..»

- أتريد السبب أيها الحمل الصغير؟! لأنّي أحبُّ راعيتك! لقد رعيتها بعناية خاصة؛ فقد تألمتْ كثيراً من أجلي، في نفسها، وفي قلبها؛ ومع ذلك فقد كانت تنقصها محنة الاختيار التي اخضعتها لها منذ قليل، بعد إعدادها لها منذ الأزل.»

- «آه! يا ربّ، أرى الآن أنَّك لا تعرف ما هي كربة راعيتي الأشد... أو أنَّك لا تشاء البوح لي بها!.. إنَّك تتصوّر أيضاً أنَّ روح قطيعنا الاول قد فُقد... يا للأسف! كيف لا تفكِّر راعيتي في هذا الأمر؟... فهناك عدد كبير جداً من الراعيات اللواتي يرثين للنكبات عينها في حظائرهنَّ..»

- فأجاب يسوع: «هذا صحيح، إنَّ روح العالم تنزلق حتى وسط المراعي النائية جدّاً؛ لكن من السهل أن نُخطئ في الكشف عن المقاصد. أنا الذي يرى كلَّ شيء ويعرف اكثر الأفكار خفاءً، (١ أخبار ٩/٢٨) أقول لكَ ذلك: إنَّ قطيع راعيتك عزيز عليَّ بين جميع القطعان، فهو لم ينفعني إلَّا كأداة لإتمام عمل التقديس في نفس أمك الحبيبة.»

- «آه! يا ربّ، أؤكد لك أنَّ راعيتي لا تفهم كلَّ ما تقوله لي... وكيف تفهمه، ما دام لا أحدٌ يرى الأشياء بالطريقة التي أريتني إيّاها؟ أنا أعرف نعاجاً كثيرة يؤلمن راعيتي

(٢) كانت الأم ماري دى غونزاغ تتمنى، ربما، إعادة انتخاب الأم أنييس.

كثيراً بمنطقهنّ الارضي.. فيا يسوع، لماذا لا تقول لهذه النعاج الأسرار التي تبوح لي بها؟ لماذا لا تكلّم قلب راعيتي؟ ...»

- «إن كلَّمتُها، زالت شدّتها، وامتلأ قلبها فرحاً عظيماً بحيث إنَّ عصاها تبدو لها في غاية الخفّة... لكني لا أريد أن أنزع عنها الشدَّة، بل أريد فقط أن تفهم الحقيقة وتُقِرَّ بأنَّ صليبها يأتيها من السماء وليس من الأرض.»

- «يا ربّ، تكلّم، إذاً، إلى راعيتي، فكيف تريدها أن تفهم الحقيقة ما دامت لا تسمع من حولها غير الكذب؟ ...»

- «أيها الحمل الصغير، ألستَ المفضّل عند راعيتك؟.. إذاً، أعِد عليها الكلام الذي قلته لقلبك».

- « سأفعل ذلك، يا يسوع، لكنّي أفضّل أن تعهد بالمهمة إلى إحدى النعاج ذات المنطق البشري... فأنا صغيرٌ للغاية... وصوتي ضعيفٌ للغاية، فكيف ستصدِّقني راعيتي؟ ...

- «إنَّ راعيتك تعرف جيّداً أنَّه يرضيني إخفاء أشيائي على الحكماء والأذكياء، وتعرف أنّني أكشفها للصغار (لوقا ١٠/٢١)، وللحملان البريئة التي لم يتلوّث صوفُها الأبيض قط بغبار الطريق... فسوف تصدّقك؛ وإذا سالت الدموعُ مرةً أخرى من عينيها، فلن تكون لدموعها المرارة عينها، بل ستجمّل الدموع نفسَها بألق الألم الشديد الذي تحبّه وتتلقاه بعرفان.»

- «أفهمك، يا يسوع، ولكن ما زال هناك سر أريد التعمّق فيه: قل لي، أتوسل إليك، لماذا اخترت النعاج الحبيبة الى راعيتي حتى تمتحنَها؟... لو أنَّك اخترت غريبات، لكانت الشدة أخفّ...»

أجاب: عندئذٍ، الراعي الصالح وهو يُري الحملَ قدميه ويديه وقلبه المزيّن بجروح ساطعة (يوحنا ٢٠/٢٧): «أنظر الى هذه الجراح، إنَّها الجراح التي تلقيّتها في بيت الذين يحبّونني!... (زكريا ١٣/٦)! ولهذا السبب إنَّ تلك الجراح هي جميلة ومجيدة بهذا القدر، وسوف تسحر روعة فرحها الملائكة والقديسين مدى الابدية.

«إنَّ راعيتك تتساءل عمّا فعلت حتى تُبعد نعاجها، وأنا ماذا صنعتُ بشعبي؟ وبِمَ أسأمتُه؟... (ميخا ٦/٣).

«لا بدَّ إذاً من أن تبتهج أمّك الحبيبة بمشاركتي أوجاعي... واذا كنت أنتزع منها الدعم البشري، فلكي أملأ وحدي قلبها المُحبّ للغاية!...

«طوبى للذي يضع فيّ سندَه، فإنَّ في قلبه مراقٍ ليرتفع الى السماء»[٣] (مزمور ٦/٨٣). ولاحظ جيّداً، أيّها الحمل الصغير... لا أقول بالانفصال تماماً عن المخلوقات، وازدراء محبّتها ومبادراتها، بل على العكس، يجب قبولها إرضاء لي، واستخدامها كمراقٍ، لأنَّ الابتعاد عن المخلوقات لا يُفيد إلَّا في شيء واحد، وهو السير والضلال في دروب الأرض الضيقة... لكن النهوض يستوجب وضع القدم على مراقي المخلوقات والتعلّق بي وحدي دون سواي... أتفهم جيداً أيها الحمل الصغير؟»...

– «يا ربّ، أعتقد ذلك، وأشعر خاصةً بأنَّ كلماتك هي الحقيقة، لأنَّها تحِلُّ السلام والفرح في قلبي الصغير. آه! ليتها تستطيع ان تدخل بهدوء قلب راعيتي الكبير للغاية!...

«يا يسوع، قبل عودتي إلى جوارها، عندي طلب ألتمسه منك... لا تدعنا ننتظر طويلاً على أرض الغربة، نادنا إلى أفراح المرج السماوي حيث ستقود قطيعنا الصغير العزيز للأبد، عبر الدروب المزهرة».

وأجاب الراعي الصالح: «عزيزي الحمل الصغير، سأستجيب الى طلبك، قريباً، نعم قريباً، سآخذ الراعية وحَمَلَها؛ وعندئذٍ، ستباركان مدى الأبدية، الألمَ الخيّر الذي جعلكما تستحقّان هذا القدر من الغبطة، وأنا بنفسي سأمسح كلّ دمعة من عيونكما!...» (رؤيا ٢١/٤).

الرسالة ١٩١ إلى ليوني

ي.م.ي.ت.

١٢ تموز/يوليو ١٨٩٦

يسوع +

عزيزتي ليوني،

لو سُلِّمَت اليّ رسالتك اللطيفة، الأحد الماضي، لأجبت عليها. لكننا خمسٌ،

(٣) هذه الآية كانت مكتوبة على جدار عند اسفل السلّم الذي تصعده تريز كلّ يوم...

وتعلمين انّني الصغرى... فيحدث ألّا أرى الرسائل إلّا بعد الأخريات بوقت كثير أو ألّا أراها أبداً... وما قرأتُ رسالتك إلّا الجمعة، لذلك لا ذنب لي على تأخري، يا أخيّتي العزيزة...

لو تعلمين مدى غبطتي برؤيتك في هذه الاستعدادات الطيّبة...[1]

لا يدهشني أن تلذّ لكِ فكرةُ الموت، ما دمت تخلّيتِ عن كل ما في الأرض. وأؤكد لك أنَّ الله أفضلُ ممّا تعتقدين. إنَّه يكتفي بنظرة، او بتنهيدة حبّ... أما أنا فأجد الكمال سهلَ الممارسة جدّاً، لأنّني فهمتُ أنه يكفي أَسْرُ يسوع بالقلب... أنظري إلى ولدٍ صغير أغضبَ أمَّه بحنقها او بعصيانه لها؛ فإذا اختبأ في الزاوية متظاهراً بالحَرَد، وصرخ خوفاً من أن يُعاقَب، فلن تغفرَ له أمُّه بلا شك؛ لكنه إن أتى إليها، باسطاً ذراعيه الصغيرتين، باسماً وقائلاً: «عانقيني، ولن أكرّر ذلك أبداً.» فهل يمكن لأمه ألّا تشدَّه إلى صدرها بحنان وتنسى حِيَلَه الطفولية؟.. ومع ذلك، فهي تعلم أنَّ صغيرها العزيز سيعيد الكَرَّة في أقرب فرصة. لكن لا بأس، فإن عاد واستمالها بالقلب، فهو لن يُعاقبَ أبداً...

في زمن شريعة الخوف، وقبل مجيء سيّدنا يسوع المسيح، كان النبي أشعيا يقول متكلماً باسم ملك السموات: **أتنسى الأمُّ رضيعها ؟.. حتى ولو نسيت الأمُ ولدها، فأنا لن أنساك أبداً.** (**أشعيا** ٤٩/١٥) . يا للوعد الرائع! آه! نحن مَنْ يحيون في شريعة المحبة، كيف لا نستفيد من بواكير حبٍّ يقدِّمها لنا عريسنا؟.. كيف نخشى من ينجذب مقيَّداً بشعرة تطير حول عنقنا؟.. (**نشيد الاناشيد** ٤، ٩).

لنعرف إذاً كيف نحفظ سجيناً، هذا الإله الذي يَستعطي حبَّنا. عندما يقول لنا إن شعرةً تستطيع اجتراح معجزة، فهو يُظهر لنا أنَّ أصغر الأعمال التي نقوم بها حبّاً به هي التي تسحر قلبه.

---

(١) كانت ليوني قد كتبت الى الكرمل في أوائل الشهر تقول فيها: «لو تعلمين كم أفكر فيك دائماً، وكم تعذبُ لي ذكراك، فهي تقرّبني من الله. وأفهم توقك الى الذهاب لكي ترينه قريباً حتى تتلاشي فيه للأبد. أنا أيضاً أتوق إلى ذلك مثلك، وأحبّ سماع الكلام على الموت؛ ولا أفهم الأشخاص الذين يحبون هذه الحياة حياة الآلام والموت المتواصل.
«بالنسبة إليكِ، يا حبيبتي، أنت مستعدة للذهاب لرؤية الرب، وبكل تأكيد ستُستقبلين بالترحاب. اما انا يا للأسف! فسأصل فارغة اليدين. ومع ذلك، أجسر على ألّا أخاف. هل تفهمين ذلك؟ إنَّه لا يُصدَّق؛ أعرف ذلك واوافق عليه؛ لكنّي لا أستطيع الامتناع عنه». (**رسائل المراسلين**، ١٦٤).

آه! لو وجبَ أن نفعلَ عظائمَ، فكم كنّا لنثير الشفقة!... ولكن، كم نحن سعيدات ما دام يسوع يدعنا نقيّده بأصغر الأشياء!...

لا تنقصك التضحيات الصغيرة، يا عزيزتي ليوني؛ أليست حياتُكِ حافلةً بها؟.. إنّني أفرح برؤيتك تقابلين مثل هذا الكنز، وخاصةً عندما أفكّر في أنَّك تعرفين الإفادة منه، ليس فقط من أجلك، بل من أجل النفوس... كم يلذّ لنا ان نساعدَ يسوع، بواسطة تضحياتنا الخفيفة، أن نساعده في خلاص النفوس التي افتداها بثمن دمه، والتي لا تنتظر إلّا عوننا كي لا تقع في الهاوية...

وإذا كانت تضحياتُنا شعراتٍ تأسر يسوع، كما يبدو لي، فإنَّ أفراحنا هي كذلك أيضاً؛ ومن أجل ذلك، يكفي ألا نُغرِقَ في غبطةٍ أنانية، بل أن نقدِّم لعريسنا الأفراح الصغيرة التي يزرعها على طريق الحياة ليسحر نفوسنا ويرفعها إليه...

كنتُ أنوي الكتابة إلى امرأة خالي اليوم، لكن لا وقت لديّ؛ أَدَعُ ذلك للأحد القادم؛ وأرجوكِ أن تبلِّغيها مدى حبِّي لها ولخالي العزيز.

أفكر أحياناً كثيرة ايضاً في جانّ وفرانسيس. تسألينني عن أخبار صحّتي[٢]. وهاك الجواب: يا أخيّتي العزيزة، لقد فارقني السعال. هل أنتِ مسرورة؟... وهذا لن يمنع الله من أن يأخذني عندما يشاء؛ وبما أنّني أبذل كلَّ جهودي لأكونَ طفلةً صغيرة، فليس لديَّ تحضيراتٌ أقوم بها. فعلى يسوع أن يدفع بنفسه جميع تكاليف السفر وبدل الدخول إلى السماء...

أستودعك الله، يا أخيّتي العزيزة، أعتقد أن حبّي لك يزداد أكثر فأكثر...

أخيتك
تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية.

إنَّ الأخت جنڤياف سعيدة جداً برسالتك، وستجيبك في المرة القادمة. نعانقك جميعاً، نحن الخمس...

(٢) كانت ليوني تسأل: «كيف حالك؟ يا أخيّتي العزيزة، في هذا الموضوع فقط، ليس لي ثقة بك، لأنك تقولين لي دائماً إنَّك بخير أو أفضل وأنا لا أصدّق شيئاً من ذلك أبداً». عندما ستكتبين لي، قولي لي الحقيقة تماماً. (**رسائل المراسلين** ١٦٤).

الرسالة ١٩٢ إلى السيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

١٦ تموز/يوليو ١٨٩٦

يسوع +

امرأة خالي العزيزة،

وددت لو اكون اوَّل مَنْ تذهب إليكِ؛ لكن لم يبقَ لي إلّا واجبي المُحبَّب واللطيف بأن أشكرك على رسالتك الجميلة التي استلمتها.

لكم أنتِ طيّبة، يا امرأة خالي العزيزة، بأن تفكري في صغيرتك تريز. آه! أؤكد لكِ أنكِ لا تتعاملين مع جاحدة بالفضل.

اودّ لو أقصّ عليك شيئاً جديداً! لكني أُجهد ذهني سدى، فلا يخرج منه شيء اطلاقاً غير محبّة أهلي الأعزاء... وهذا الأمر بعيدٌ جداً عن أن يكون جديداً ما دام له عمري نفسه...

يا امرأة خالي العزيزة، تطلبين مني، أن أخبرك عن صحّتي كما لو كنت أخبر أمّي فهذا ما سأفعله؛ لكن إن قلتُ لكِ إنّني في حالة ممتازة فلن تصدِّقيني؛ لذلك سأترك الكلام للطبيب الشهير كورنيير[١] الذي كان لي الشرف العظيم بأن أُقدَّم له أمس في المتحدَّث. وبعد أن شرّفني هذا الوجيه الشهير بنظرة، أكّد على «أنّي ابدو في صحّة جيّده ...!». وهذا التصريح لم يمنعني من التفكير في أنَّه سيسمح لي قريباً «بالذهاب إلى السماء مع الملائكة الصغار[٢]»، ليس بسبب صحتي لكن بسبب اعلانٍ امر آخر قاله لنا الآب لوشين[٣] في كنيسة الكرمل... فبعد أن بيّن لنا أصولَ رهبانيتنا المقدسة الشهيرة، وبعد أن قارننا بالنبي إيليا وهو يصارع ضد أنبياء البعل (**٣ ملوك**، ١٨/٢٠-٤٠)، صرّح بأنَّ أزمنةً مشابهة لأزمنة اضطهاد آحاب ستكرّر بعد حين[٤]». وبدا لنا كأننا ننطلق نحو الاستشهاد...

---

(١) Dr. de Cornière ، طبيب دير الكرمل في ليزيو.

(٢) راجع **قصائد إضافية** ٣٤، **نثر الأزهار** قصيدة بتاريخ ٢٨ حزيران/يونيو.

(٣) L'Abbe LECHENE.

(٤) إشارة الى ما ستشهده فرنسا من محاربة السلطة المدنية لمؤسسات الكنسية وحلّ المؤسسات الرهبانية بعد بضع سنوات.

يا امرأة خالي الصغيرة الحبيبة، كم اكون سعيدة لو أنَّ جميع عائلتنا تدخل السماء في اليوم نفسه! إخالكِ تبتسمين... وربّما تتصوّرين أنَّ هذا الشرف ليس من نصيبنا... الامر المؤكّد هو أننا سويَّةً او الواحد منّا تلو الآخر، سنترك المنفى يوماً إلى الوطن الأبدي، وأنَّنا عندئذٍ سنتمتّع بجميع الأشياء التي ستكون السماءُ ثمنها... كمثل أخذ الدواء أيام الاستقبال، او الاشتراك في صلوات الليل بالرغم من شحوب الوجه، أو اصطياد الأرانب وجني الشوفان...

أرى، مع الأسف الشديد، أنَّه يستحيل عليَّ هذا المساء قولُ شيءٍ فيه بعضُ ما يثير الاهتمام؛ فالسبب بكلّ تأكيد، أنّني كنتُ أرغب في كتابة أشياءَ كثيرة لامرأة خالي العزيزة التي أحبّها للغاية.

ولحسن الحظ أنَّ الأخت مريم للأفخارستيا ستعوّض بؤسي، وهذا هو عزائي الوحيد في فقري الشديد... نحن نعمل معاً دائماً(٥) ونتفاهم كل التفاهم. وأؤكد على أنَّ لا احد منّا يجلب الكآبة؛ لكن علينا الانتباه فعلاً لئلّا نتفوّه بكلماتٍ باطلة، لأنَّه بعد كلِّ عبارة مفيدة تَرِدُ دائماً لازمةٌ غنائية صغيرة مسلّية يجب الاحتفاظ بها للترفيه.

يا امرأة خالي العزيزة، أرجوك، ان تقدمي تحياتي لجميع سكان لاموس، وبصورة خاصة لخالي العزيز الذي أكلّفه بأن يعانقك بشدة نيابةً عني.

ابنتك الصغيرة التي تحبّك
تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(٥) في الموهف أي غرفة السكرستيا.

الرسالة ١٩٣ إلى الأب رولان

ي.م.ي.ت.

كرمل ليزيو

٣٠ تموز/يوليو ١٨٩٦

يسوع +

أخي،

تسمح لي بألّا أطلق عليك إسماً آخر بعد اليوم، ما دام يسوع تنازل ووحّدنا بروابط العمل الرسولي، أليس كذلك؟

يلذّ لي كثيراً التفكير في أنَّ ربّنا قد كوّن منذ الأزل، هذا الاتحاد الذي خلّص له نفوساً، وخلقني حتى أكون أختك...

أمسِ، استلمنا رسائلك؛ وأدخلتك أمنا اللطيفة إلى الحصن بفرح. وهي تسمح لي بالاحتفاظ بصورة أخي[1]؛ وتلك حظوة خاصة لأن الكرملية لا تملك حتى صُوَرَ أهلها الأقربين. لكنَّ أمَّنا تعرف أنَّ صورتك، لا تذكرني بالعالم وبالعواطف الدنيوية، بل سترفع نفسي إلى منازلَ أسمى، وتجعلها تنسى ذاتَها من أجلِ مجد الله وخلاصِ النفوس. هكذا، يا أخي، بينما سأجتاز البحر بصحبتك، ستبقى بالقرب مني، مُخَبَّأً جداً في حجرتنا الحقيرة...

كل ما يحيطُ بي يذكّرني بك؛ فقد ثَبَّتُّ بطاقة سوتْشِون[2] على حائط المكان الذي أعمل فيه، والصورة التي أعطيتني[3] إيّاها تستريح دائماً على قلبي في كتاب الأناجيل الذي لا يفارقني أبداً. ولمّا وضعتها بالصدفة فيه، على المقطع التالي: **كلُّ مَنْ تركَ كلَّ شيء ليتبعني، ينالُ مائة ضعفٍ في هذا العالم والحياة الأبدية في الدهر الآتي (متى ١٩/٢٩)**. إنَّ كلمات يسوع هذه قد تمّت فيك الآن، كونك، تقول لي: «أرحلُ سعيداً». أفهم أنَّ هذا الفرح هو فرح روحيٌّ محض؛ فمن المستحيل ترك الأب، والأم، والوطن، بدون معاناة

---

(١) ستحتفظ تريز بهذه الصورة في جعبة أدوات الكتابة الخاصة بها.

(٢) Su - Tchuen، منطقة في بلاد العين زارها المرسل.

(٣) صورة تذكارية من صور رسامته.

كلّ تمزقات الفراق... آه! يا أخي! إني أتألم معك، ومعك أقدّم تضحيتك الكبيرة؛ وأتوسّل إلى يسوع أن يُغدق تعزيته الغزيرة على والديك العزيزين، بانتظار الاتحاد السماوي، حيث نراهما ينعمان بمجدك الذي يكفكف دمعهما للأبد، فيغمرهما بالفرح طوال الأبدية السعيدة.

وهذا المساء، في أثناء التأمّل، فكرّت مليّاً في مقاطع لأشعيا بدت لي موافقة بحيث لا أستطيع الامتناع عن نسخها لك.

«وسِّعي موضِعَ خِبائك، وَلْتُبسَط شُقَقُ مساكِنك.... فإنَّك تتبسطين إلى اليمين وإلى الشمال، ويرِثُ نَسلُكِ الأممَ ويُعمِّرُ المدنَ الخَربة... (أشعيا ٥٤/٢-٣). إرفعي طرْفَكِ إلى ما حولك وانظري: كلُّهم قد اجتمعوا وأتوا إليك؛ بَنوكِ من بعيدٍ يأتون، وتحملين بناتك في حضنك. حينئذٍ تنظرين وتتهلّلين، ويَخفُقُ قلبك ويَرحبُ، إذ تنقلبُ إليك ثروةُ البحر، ويأتيكِ غنى الأمم (أشعيا ٦٠/٤-٥).

أليست تلك المائة ضعفٍ الموعودة؟ ألا تستطيع بدورك ان تهتف: **روحُ السيّد الربِّ عليَّ لأنَّه مَسَحني وارسلني لِأُبشِّرَ المساكين وأَجبُرَ مُنكسري القلوب، وأُناديَ بافراج عن مسبِيِّين وبتخليةٍ للمأسورين.... وأعزّيَ جميعَ النائحين... (أشعيا ٦١/١-٢). إنّي أسَرُّ سروراً في الربِّ... لأنَّه ألبسني ثياب الخلاص، وشملني برداء البِر. لأنَّه كما أنَّ الأرض تُخرج نباتها... كذلك السيّدُ الربُّ يُنبِتُ بواسطتي البرَّ والتسبحةَ أمام جميع الأمم... (أشعيا ٦١/١٠-١١). إنَّ شعبي سيكون شعب صدّيقين...، سيكونون فروعَ غرسي... (أشعيا ٦٠/ ٢١)... سأذهب إلى الجزائر البعيدة، نحو الذين لم يسمعوا بسُمعة الرب. فأنادي بمجده بين الأمم وأقدِّمهم تقدمةً لإلهي (أشعيا ٦٦/١٩-٢٠).**

لو أردتُ نسخَ جميع المقاطع التي أثَّرت فيّ بالغ الاثر، لتطلَّب ذلك مني وقتاً طويلاً للغاية. فقبل ان أنهي كلامي، ما زال لي طلبٌ أطلبه منك. عندما تكون لديك لحظة فراغ، أتمنّى عليك أن تكتب اليّ تواريخ حياتك الرئيسية، فهكذا أستطيع الاتحاد بك بشكل خاص لأشكر الله على النِعم التي أنعمَ بها عليك.

أستودعك الله، يا أخي... فالبعاد لن يقدر أبداً على تفريق نفسينا، والموت نفسه سيجعل اتحادنا أوثق. وإذا ذهبتُ قريباً إلى السماء، فسأطلبُ من يسوع الأذن بزيارتك في سوتشون، وسنتابع معاً رسالتنا. وفي انتظار ذلك، سأكون متّحدة بك بالصلاة

دائماً، وأطلب من ربّنا ألّا يتركني أفرح حين ستتألم. بل إنني أتمنى أن يلقى أخي التعزيات دائماً، وألقى أنا الشدائد دائماً؛ قد أكون انانيةً في هذا!... لكن لا؛ فسلاحي الوحيد هو الحبّ والألم وسَيْفك هو سيف الكلمة[٤] (**أفسس ٦/١٧**) والأعمال الرسولية.

مرة أخرى، أستودعك الله، يا أخي، وتكرَّم بمباركة من أعطاك يسوع إيّاها أختاً،

تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة

الرسالة ١٩٤ إلى الأخت ماري للقديس يوسف. (مقطع)

٨-١٧ أيلول/ سبتمبر ١٨٩٦

(....) إنّني مفتونة بالطفل[١] ومن يحمله بين ذراعيه هو أكثر افتتاناً مني... آه! كم هي جميلة دعوة الطفل! فهي ليست رسالة يجب نشرها، لكنها تضمّ جميعَ الرسالات. كيف يكون ذلك؟... يكون بحبِّنا، وبرقادِنا، **وبنثرنا أزهاراً** على يسوع في أثناء نومه. عندئذٍ، سيأخذ يسوع هذه الأزهار وينفحها بقيمة لا تُثمَّن، ثم سينثرها بدوره؛ وسيجعلها تطيرُ فوق جميع الضفاف وسيخلّص النفوس بالأزهار، وبحبٍّ الطفل الذي لن يَرى شيئاً، لكنَّه سيبتسم دائماً حتى عبر دموعه!... طفل مُرسلٌ ومُحارب، يا لها من روعة!

---

(٤) **قانون الكرمل** فصل ١٦، **افس** ٦/ ١٧.

الرسالة ١٩٤

(١) الأخت ماري للقديس يوسف نفسها.

الرسالة ١٩٥ إلى الأخت ماري للقديس يوسف (مقاطع)

ي.م.ي.ت.

٨-١٧ أيلول/سبتمبر ١٨٩٦

الأخ الصغير[١] يفكّر مثل الطفل...

أكثر الشهادات إيلاماً وحبّاً هي شهادتنا، إذ إنَّ يسوع وحده يراها.

لن تُكشفَ ابداً للمخلوقات على الأرض؛ لكن عندما **سيفتحُ الحملُ سِفرَ الحياة (رؤيا ٢٠/١٢)** يا لدهشة البلاط السماوي اذ يَسمع مع أسماء المُرسلين والشهداء إسمَ الصغار المساكين الذين لم يقوموا قط بأعمالٍ باهرة!

(...)

أتابع العناية بالصدارات[٢] المريضات جداً.

الرسالة ١٩٦ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس

١٣ (؟) أيلول/سبتمبر ١٨٩٦

(راجع مخطوط ب، صفحة ١٨٣ في هذا الكتاب).

---

(١) تريز نفسها

(٢) قطعة من ثوب الراهبات من الكتان الأبيض، تغطي الرأس والعنق حتى الصدر، وقد يكون المقصود إصلاحها.

الرسالة ١٩٧ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس ي.م.ي.ت.

١٧ أيلول ١٨٩٦

يسوع +

يا أختي العزيزة، لا يربكني الردُّ عليك[١]... كيف تستطيعين ان تسأليني اذا كان في إمكانك ان تحبّي الله كما أحبّه؟

لو فهمتِ قصة عصفوري الصغير لما طرحتِ عليَّ هذا السؤال. إنَّ رغباتي في الاستشهاد ليست بشيء، وليست هي ما يُعطيني الثقة اللامحدودة التي أشعر بها في قلبي. فما يُبعدنا عن العدل، والحق يقال، إنّما هي الخيرات الروحية التي نرتاح فيها باطمئنان، ونظنّ أنها شيء عظيم. ... وهذه الرغبات ليست إلا عزاء يمنحه يسوع أحياناً للنفوس الضعيفة مثل نفسي (وما أكثرها)؛ ولكن، حين لا يمنح هذا العزاء، فيكون ذلك بمثابة نعمة امتياز. تذكّري كلمات الأب[٢] هذه: «إنَّ الشهداء تألموا بفرح، أما ملك الشهداء فتألم بحزن.» نعم، لقد قال يسوع: **يا أبتِ، أبعد عنّي هذه الكأس** (**لوقا** ٢٢/٤٢). فبعد هذا، يا أختي العزيزة،كيف يمكنك القول إنَّ رغباتي هي علامة حبّي؟... آه! أشعر فعلاً بأن ليست [هذه الرغبات] ما يُرضي الله في نفسي الصغيرة؛ فما يرضيه هو أن يراني أحبُّ حقارتي وفقري، وما لي من رجاء أعمى برحمته... ذاك هو كنزي الوحيد. فيا عرّابتي العزيزة، لماذا لا يكون هذا الكنزُ كنزَكِ؟...

ألستِ على استعداد لأن تتألّمي قدر ما يشاء الله؟ أعرف جيداً أنَّ الجواب هو نعم. فإذا رغبتِ في أن تشعري بالفرح، وبالميل الى العذاب، فانت تبحثين عن عزائك. لأننا حين نحبُّ شيئاً ما، فالألم يختفي. وأؤكد لك أنّنا لو ذهبنا سوياً إلى الإستشهاد بما نحن

---

(١) تجيب تريز بهذه الرسالة على ما كتبته لها عرّابتها واختها ماري، نختار منه بضع عبارات: «شعرت بالحزن امام رغباتك الخارقة في الاستشهاد.
هذا هو البرهان على حبّك. إنك حقّاً تملكين الحبّ. اما انا فلا، ولن تحمليني على الاعتقاد بأنني أستطيع بلوغ هذا الهدف المنشود».
(مراسلات عامة ١٧/٩/١٨٩٦).

(٢) الأب بيشون Pichon ، رياضة تشرين الأول ١٨٨٧ في كرمل ليزيو، محاضرة اليوم السابع.

عليه من استعداد، فسوف تنالين استحقاقاً كبيراً، أما أنا فلن أحصل على أي استحقاق، اللهمّ إلّا إذا رضي يسوع وغيّرَ استعداداتي.

أختي العزيزة، أرجوك، إفهمي صغيرتك؛ إفهمي أنَّه حتى نحبَّ يسوع، ونكونَ فريسة حبِّه، فبقدر ما نكون في ضعف، بدون أشواق ولا فضائل، بقدر ما نَصلح لما يعمله هذا الحبّ الذي يُفني ويحوِّل... إنَّ مجرّد الرغبة في أن نكون ضحيَّةً تكفي، لكن لا بدَّ من القبول بالبقاء فقيرةً وبدون قوّة، وتلك هي الصعوبة؛ لأنَّ فقير الروح الحقيقي أين نجده؟ يجب البحث عنه بعيداً جداً، قال صاحب المزامير... لم يقل بأن نبحث عنه بين النفوس الكبيرة، بل «بعيداً جداً»، اي في الحقارة وفي العدم... آه! لِنبقَ إذاً بعيدين جداً عن كل ما يسطع، ولنُحبَّ حقارتنا، ولنُحبَّ ألَّا نشعرَ بشيء؛ عندئذٍ سنكون فقراء بالروح (متى ٥/٣) وسيأتي يسوع ليأخذنا؛ ومهما كنا بعيدين فسيحوِّلنا إلى شعلات حبّ... آه! كم أودّ التمكن من أن أفهمكِ ما أشعرُ به!... إنَّها الثقة، ولا شيء غير الثقة، ما يجب أن يَقودنا إلى الحبّ... ألا يقود الخوفُ إلى البرِّ[3]؟.. ما دمنا نرى الطريق، فلنجرِ معاً. نعم، أشعر بأنَّ يسوع يريد أن ينعمَ علينا بالنعم نفسها، ويريد أن يمنحنا سماءه مجاناً (روم ٣/٢٤).

يا أخيَّتي الحبيبة، إذا كنتِ لا تفهمينني، فلأنك نفسٌ كبيرة فوق الحد... أو بالأحرى لأنَّني أسيء التعبير؛ فأنا متأكدة من أنَّ الله لن يمنحك الرغبة في أن يتملَّكَكِ، بحبه الرحوم ان لم يَخُصُّك بهذه الحظوة... أو على الأصح، قد خصَّك بها قبلاً، إذ إنَّك استسلمتِ إليه، وترغبين في أن يُغنيكِ، وما منحَ الله قط أشواقاً لا يستطيع تحقيقها...

ها هي الساعة التاسعة تدق، وأنا مضطرة الى أن أتركك[4]. آه! كم من أشياء أريد قولها لك، لكن يسوع سيجعلك تشعرين بكل ما لم أستطع كتابته...

أحبك بكل حنان قلبي، قلب الطفل العارف بالجميل.

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة

---

(٣) الى البرّ الصارم الذي نصوِّره للخطأة، وليس لهذا البرّ الذي سيعامل به يسوع الذين يحبّونه (ملاحظة تريز نفسها).

(٤) ملاحظة أضافتها تريز. في النص رقم (١)، شطبت كلمة «إلى البرِّ...».

الرسالة ١٩٨ إلى الأب موريس بلّيير

ي.م.ي.ت.

كرمل ليزيو ٢١ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩٦

يسوع +

حضرة الاب،

بما ان أمّنا الموقّرة مريضة، فقد كلّفتني بمهمّة الاجابة على رسالتك؛ وآسف أن تُحرَمَ الكلامَ الذي كانت امّنا الطيّبة لتوجّهه إليك. لكنّي سعيدة بأن أكون لسانَ حالها وأن أُكرر لك فرحَها بأطّلاعها على ما صنعه ربُّنا في نفسك؛ وهي ستتابع الصلاة حتى يُتمَّ فيك عمله الإلهي.

حضرة الأب، لا اظنني بحاجة الى ان أقول لك مقدارَ مشاركتي في سعادة أمّنا. لقد آلمتني رسالتك في تموز ألماً شديداً[١]. ولقد حمّلتُ قلَّةَ ورعي مسؤولية المعارك التي كانت قد شُنَّت عليك. فلم أتوقّف عن التماسي لك من سلطانة الرسل معونتها الوالدية. لذلك كان عزائي كبيراً جدّاً، عندما حصلت، كباقة عيد، على اليقين بأنَّ صلواتي المتواضعة قد استُجيبت[٢]...

الآن وقد مرّت العاصفة، أشكر الله على أنه أجازك فيها؛ لأنّنا نقرأ في كتبنا المقدسة هذه الكلمات الجميلة: **طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة** (**يعقوب** ١/١٢) ونقرأ ايضاً: **الذي لم يُجرَّب، فماذا يعلم؟**... (**ابن سيراخ** ٣٤/١٠). وبالفعل، عندما يدعو يسوع نفساً لتقود عدداً لا يحصى من النفوس وتخلِّصها، فمن الضروري جدّاً أن يجعلها تختبر تجاربَ الحياة ومِحنَها. وما دام قد أنعمَ عليكَ بنعمة الخروج منتصراً من المعركة، فآمل، يا حضرة الأب، أن يحقّق يسوعُنا الوديع رغباتِك الكبيرة. وأطلب إليه أن تكون، ليس فقط

---

(١) كان الاب بلّيير قد ارسل رسالة يائسة الى الكرمل في ٢١/٧/١٨٩٦، طالباً المعونة بصلوات الاخت تريز الطفل يسوع: قائلاً: «إني غارقٌ في وضعٍ يُرثى له» (**مراسلات عامة** ص ٨٧١).

(٢) في ١٤ تشرين الأول، عشية عيد القديسة تريز الأڤيليّة، كتب الأب بلّيير إلى الأم ماري دى غونزاغ: «شكراً، يا أمي الرؤوف، على المعونة التي قدّمتِها لي وقت الشدة. مرّت العاصفة، والهدوء قد عاد والجندي الفقير أصبح من جديد الاكليركي السابق». وأضاف على بطاقة تكلّم فيها على تريز: « غداً عيدها». (**مراسلات عامة**، ص ٩٠٣).

مرسلاً صالحاً، بل قدّيساً مُضطرماً بمحبة الله والنفوس؛ وإنّي أتوسل إليك أن تنال لي أيضاً هذا الحبّ حتى أستطيع مساعدتك في عملك الرسولي. أنتَ تعرف أنَّ الكرملية التي لا تكون رسولةً تبتعد عن هدف دعوتها،[٣] فلا تعود ابنةً للقديسة تريزا الساروفية التي كانت ترغب في بذل ألف حياة لخلاص نفس واحدة[٤].

لا شك، يا حضرة الأب، في أنّك تريد فعلاً أن تضمّ صلواتِك إلى صلواتي حتى يشفي ربُّنا أمنا الموقّرة.

سأكون سعيدة بأن اعتبر ذاتي في قلبَي يسوع ومريم الاقدسين،

أخيّتك غير المستحقة
تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ١٩٩ إلى الأخت ماري للقديس يوسف ي.م.ي.ت.

٢٠-٣٠ تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩٦

أن نسهر[١]، أيها أ.ص. الماكر ؟... لا، ألف مرّة لا!... لا أندهش من معارك الأخ الصغير؛ لكن فقط من خسرانه قوته الهزيلة بتسليمه سلاحه إلى أول عريف يصادفه في طريقه، والذي يتبعه حتى على سلالم الثكنة ويجبره على أخذ آخر قطعة من سلاحه.

وما المدهش بعد ذلك، في أن يسقط شعاعُ شمس قوي (يُحتملُ عادة بشجاعة) على الجندي الصغير المجرّد من السلاح، ويحرقه او يُصيبه بالحمى؟...

(٣) تريز الأڤيلية - **طريق الكمال** الفصل ٣.

(٤) المصدر نفسه، الفصل ١.

الرسالة ١٩٩

(١) هذه الرسالة تضم تلميحات مختصرة كثيرة تعود إلى عفوية الصداقة بين الاخت تريزا الطفل يسوع والاخت المذكورة. وتفهم العبارة الاولى بهذه الطريقة: «أن نسهر للعمل في غرفة البياضات، ايها الأخ الصغير الماكر؟»

وعقاباً له، يحكم عليه اخوه الصغير بالحبس في سجن الحبّ، والنوم كطوباوي صغير؛ لكن قبل ذلك، عليه أن يستعمل، هذا المساء، أداة التوبة الموسيقية(٢)!...

وإلّا، فإنَّ أخاه الصغير، سيحزن. (لا سَهرَ ابداً. غداً سنشمِّر عن سواعدنا معاً ...).

الرسالة ٢٠٠ إلى الأخت ماري للقديس يوسف

ي.م.ي.ت.

نهاية تشرين الأول/اكتوبر ١٨٩٦

كل شيء على ما يرام، والولد الصغير شجاعٌ يستحقّ اوسمةً ذهبية. ولكن فليقلع الى الابد عن المبارزة بالحصى. فهذا غير لائق به... بل يجب أن يكون سلاحه المحبة.

امّا الباقي فهو على ما يرام أيضاً ما دام الصغير يهزأ بحضرة الشيطان، وينام دائماً على قلب الجنرال الكبير... فبالقرب ذاك القلب، نتعلّم البطولة، وخاصةً الثقة. فإطلاق النار ودوي المدفع، ما يعنيان عندما يحملنا الجنرال؟...

الرسالة ٢٠١ إلى الأب رولان

ي.م.ي.ت.

١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩٦

كرمل ليزيو

يسوع +

يا أخي،

كانت رسالتك المثيرة للاهتمام، التي وصلت بشفاعة جميع القديسين، مصدر فرح كبير لي. وأشكرك لأنَّك تعاملني كأخت حقيقية؛ فبنعمة يسوع، آمل أن استحِّق هذا اللقب الغالي جداً عليَّ.

---

(٢) يعني أن يُنشِد.

أشكرك أيضاً على إرسالك لنا نفسُ مُرسلٍ[(١)]، فهذا الكتاب اثار اهتمامي كثيراً وسمح لي بأن أتبعك طوال سفرك البعيد. إنَّ العنوان يكشف فعلاً عن حياة الاب نمپون، لأنها تكشف نفس المرسل، أو بالأحرى، نفسَ جميع المرسلين الذين يستحقّون هذا الاسم.

إنك تطلب مني (في الرسالة المكتوبة في مرسيليا)، أن أتضرّع إلى ربّنا لكي يُبعد عنك صليبَ تسميتك مديراً في مدرسة إكليركية أو صليب العودة إلى فرنسا. أفهم أنَّ هذا التوجه ليس مستحبّاً عندك؛ وأنا من كلِّ قلبي، أطلب إلى يسوع أن يتنازل ويدَعَك تؤدي رسالتك الشاقة كما حلمتْ بها نفسُك دائماً. ومع ذلك، أضيف معك: **لتكن مشيئة الله (متى ٦/ ١٠)**. هناك فقط تكمن الراحة، وخارج هذه المشيئة المحبوبة، لن نفعل شيئاً، لا من أجل يسوع ولا من أجل النفوس.

يا أخي لا أستطيع التعبير لك، عن مدى فرحي بأن أراك مستسلماً تماماً الى رؤسائك، ويبدو لي هذا الأمر برهاناً أكيداً على أنَّ رغباتي ستُحقَّق يوماً، أي أنَّك ستكون قديساً كبيراً.

واسمح لي بأن أبوحَ لك بسرٍّ كشفْتَه لي، منذ وقت قليل، الورقةُ التي كُتبت عليها تواريخ حياتك التي لا تُنسى.

– في ٨ أيلول/سبتمبر ١٨٩٠، أنقذت مريم، سلطانةُ الرسل والشهداء، دعوتك كمُرسَل[(٢)]؛ وفي اليوم نفسه، أصبحت كرملية صغيرة عروس ملك السموات. لقد ودّعت العالم وداعاً أبدياً، وهدفها الوحيد كان خلاص النفوس، خاصةً نفوس الرُسل. وقد طلبت بصورة خاصة من يسوع، عريسها الإلهي، نفساً رسولية. فبما انها غير قادرة

---

(١) **L'âme d'un missionnaire**. Vie du P. Nempon, missionnaire apostolique du Tonkin occidental, par G. Montennis. Ed. Victor Retaux et Fils, Paris 1895.

(٢) سيشهد الأب رولان فيما بعد قائلاً: «في ٨ أيلول ١٨٩٠، كنتُ متردداً بشأن دعوتي ودخولي إلى المدرسة الاكليركية الكبرى. في أثناء صلاتي في كنيسة سيّدة الديليڤراند N.D de la Délivrande، وجدت نفسي متثبتاً فجأة ونهائياً». في اليوم ذاته قامت تريز بنذورها في الكرمل. [الديليڤراند: ضيعة صغيرة في منطقة الكالڤادوس Calvados حيث مدينة ليزيو، وتدخل في نطاق بلدة دوڤر Douvres، وهي محجٌ. هُدمت كنيستها سنة ٨٣٠ على يد النورمانديين. ثمَّ أعيد بناؤها سنة ١٨٥٤–١٨٨٠. وإليها يحجُّ الناس (د.ق).

على أن تكون كاهناً، أرادت أن ينال كاهنٌ مكانها نِعَمَ الرب ويرغب رغباتها، ويطمح طموحاتها...

يا أخي، إنك تعرف الكرملية غير المستحقة التي صلَّت تلك الصلاة. ألا تعتقد مثلي بأنَّ اتحادنا الذي تثبَّت يوم سيامتك الكهنوتية، قد بدأ في ٨ أيلول ؟... كنت أعتقد أنّني لن ألتقي إلَا في السماء، بالرسول والأخ الذي كنتُ قد طلبته من يسوع؛ لكنَّ هذا المخلص الحبيب، رفع قليلاً الحجابَ السرّي الذي يحجب أسرار الأبدية، وتنازل ومنحني، مُنذ المنفى، العزاء بأن أعرف أخي نفسي، وأعملَ معه على خلاص المساكين غير المؤمنين.

آه! لكم عرفاني كبير عندما أتأمل في لفتات يسوع!... ماذا يحفظ لنا في السماء، إذا كان منذ هذه الدنيا يُنعم علينا بمفاجأت لذيذة إلى هذا الحد؟

إني أدركُ، أكثر من أيّ وقتٍ مضى، أن أصغر أحداث حياتنا يقودها الله، فهو مَنْ يجعلنا نرغب وهو مَنْ يُرضي رغباتنا... ابوحُ لكَ يا أخي، أني تردّدت عندما عرضت عليَّ أمّنا الطيّبة أن أُصبحَ مُساعِدتك؛ فقد بدا لي، وانا انظر ملياً إلى فضائل القديسات الكرمليات اللواتي يُحِطن بي، أنَّ أمنا ربّما كانت خدمت مصالحك الروحية خدمة فُضلى باختيارها لك أختاً غيري أنا؛ وما جعلني أقبل شرف مشاركتي في أعمالك الرسولية هو التفكير فقط في أنَّ يسوع لن ينظر الى أعمالي الناقصة بل الى إرادتي الطيّبة. ولم أكن أدري عندئذٍ أنَّ ربّنا بالذات قد اختارني، وهو الذي يستخدم أضعف الادوات ليحقق المعجزات (**١ قورنتس** ١/٢٧) !... لم أكن أعرف أنّه، منذ ٦ سنوات، كان لي أخ يستعدّ ليصبح مرسلاً؛ والآن، وقد أصبح هذا الأخ رسوله حقاً، يكشف يسوع لي هذا السر، حتى يضاعف في قلبي، بدون شك، الرغبة في محبّته وفي جعله يُحبّ.

أتعلم، يا أخي، أنّه إذا تابع الرب الاستجابة لصلاتي، نِلتَ حظوةً يمنعك تواضعك من توسّلها؟ هذه الحظوة الفريدة، قد حزرتها: إنّها الاستشهاد...

نعم، إني ارجوها، فبعد سنوات طويلة تمضيها في الأعمال الرسولية، وبعد أن تكون قد قدمت ليسوع حبّاً لقاء حبّ، وحياةً لقاء حياة، ستقدّم له ايضاً دماً لقاء دم...

وبينما أنا أكتب هذه السطور، خطر في بالي أنّها ستصلك في شهر كانون الثاني/ يناير، الشهر الذي نتبادل خلاله الأمنيات السعيدة. وأعتقد أنَّ أمنيات أخيّتك ستكون الوحيدة في نوعها... والحق يقال، إنَّ العالم سيصفُ أمنياتٍ كهذه بالجنون، لكن

بالنسبة الينا «**فحديثنا الآن قد صار في السموات**» (**فيليبي** ٣/٢٠)، ورغبتنا الوحيدة هي في أن نشابه معلِّمنا المعبود الذي لم يرد العالم أن يعرفه (**يوحنا** ١/١٠) لأنَّه **تجرَّد من ذاته متخذاً صورة العبد وطبيعته** (**فيليبي** ٢/٧). يا أخي! ما أسعدك بأن تتبع مثال يسوع عن هذا القرب!... واذ احلم أنَّك ارتديت اللباس الصيني، أفكِّر طبعاً في المخلص الذي اتخذ هيئتنا البشرية المسكينة، **وصار شبيهاً بكلٍّ منّا** (**فيليبي** ٢/٧) ليفتدي نفوسنا للأبدية.

ربَّما ستجدني طفلة فعلاً؛ لكن ما همّي، فأنا أعترف لك بأنّني ارتكبت خطيئة الحسد عندما قرأت أن شعرك سيُقصّ، وستَحلّ محلّه ضفيرةٌ صينية. لم أشتهِ هذه الضفيرة، انما تمنيت، بكل بساطة، خصلةَ شعرٍ أصبحت عديمة الفائدة. ستسألني بلا شك، ضاحكاً، ماذا سأفعلُ بها؟ الأمر بسيط جداً: عندما ستصير انت في السماء، وسعفةُ الشهيد في يدك ستكون هذه الشعرات ذخائر بالنسبة إليّ. لا تجد، بدون شك، أنّني أشرعُ في ذلك قبل وقته بزمن طويل؛ لكنّي أعرف أنّها الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدفي، لأنَّ أخيّتك (التي لم يَعترف بأخوَّتها إلَّا يسوع) ستكون حتماً منسيّةً عند توزيع ذخائرك. أنا على يقين من أنَّك تضحك مني، لكنّ هذا لا يهمّني. إذا وافقتَ على دفع ثمن التسلية الصغيرة التي أقدّمها لك: «شعر شهيد المُستقبل»، أكون قد نلت جزاءً حسناً.

في ٢٥ كانون الأول/ديسمبر لن أتأخر عن إرسال ملاكي حتى يُودِع نيّاتي بجوار القربان الذي ستكرّسه[٣]. ومن أعمق أعماق قلبي، أشكرك على تقديم قداس الفجر لأجل أمنا ولأجلي؛ وبينما ستكون انت على المذبح، سنرنّم صلوات ليل الميلاد، التي تسبق مباشرةً قداس منتصف الليل.

أخي، لم تخطئ بقولك ان نياتي ستكون، بدون شك، «أداءَ الشكر ليسوع على يوم النعم هذا من بين سائر الايام». لأني لم انل في ذلك اليوم نعمةَ الدعوة الرهبانية. إنّما قد شاء ربُّنا أن تكون نظرتي الأولى اليه وحده، فتنازل وطلب إليَّ قلبي منذ المهد، إذا صحّ قولي على هذا النحو.

(٣) من رسالة الاب رولان الى تريز: في ٢٥ تشرين الاول/اكتوبر، سترسلين اليّ نياتك؛ ها انا احزرها. ستشكرين الله على يوم النعم هذا. من بين سائر الأيام، ربما على اليوم الذي ناداك الرب فيه إلى الكرمل» (**رسائل المراسلين** ١٧١).

فقد كانت ليلة الميلاد سنة ١٨٨٦، حاسمةً في أمر دعوتي، ولكي أُسمّيها بشكل أوضح، لا بدَّ من أن أدعوها: ليلة اهتدائي[٤]. ففي تلك الليلة المباركة التي كُتِبَ أنَّها **تُضيء لذائذ الله نفسه** (**مزمور** ١٣٨/١٢) تنازل يسوع الذي كان يجعل من نفسه طفلاً حبّاً بي، تنازل وأخرجني من أقمطة الطفولة وشوائبها، وحوَّلني بحيث لم أعد أعرف نفسي. بدون هذا التغيير، كان عليَّ أن أبقى، بعدُ، سنواتٍ كثيرة في العالم. إنَّ القديسة تريزا كانت تقول لبناتها: «أريد ألَّا تكُنَّ نساء في شيء، بل أن تساوين الرجال الاقوياء في كل شيء[٥]». فتلك القديسة تريزا ما كانت اتخذتني بنتاً لها لو لم يُلبسني الربُّ قوّتَه الإلهية، ولو لم يُسلِّحني بذاته من أجل الحرب.

أعدك، يا أخي، بأن أوصي يسوع توصية خاصة، بالشابة التي كلّمتني عليها، والتي تلاقي عقبات أمام دعوتها، وأنا اشاطرها ضيقها بصدق لاني اعرف بخبرتي كم هو مرٌّ عدم التمكّن من الاستجابة فوراً لدعوة الله. أتمنّى لها ألَّا تضطر مثلي الى الذهاب إلى روما... إنك تجهلُ، بدون شك، أنَّ أختك كانت لها الجرأة على الكلام مع البابا[٦] أ... ومع ذلك فالأمر صحيح؛ فلو لم أملك تلك الجرأة، لربّما كنتُ بعد في العالم.

لقد قال يسوع **إنَّ ملكوت السموات يؤخذُ بالجهاد والمجاهدون وحدهم يختطفونه** (**متى** ١١/١٢)؛ كذلك الامر بالنسبة اليّ في ملكوت الكرمل. فقبل أن أكون سجينة يسوع، كان عليَّ أن أسافر بعيداً جداً لكيّ أختطف سجناً كنتُ أفضّله على جميع قصور الأرض. لذلك لم تكن لي أية رغبة في السفر من أجل متعتي الخاصة. وعندما عرض عليَّ والدي، الذي لا شبيه له، أن يقودني إلى القدس إذا كنتُ أريد تأخير دخولي شهرين أو ثلاثة أشهر، لم أتردد (بالرغم من الجاذب الطبيعي الذي كان يحملني على زيارة الأماكن التي تقدَّست بحياة المخلّص)، في اختيار الراحة في ظلِّ من كان محطَّ رغبتي. كنتُ أدرك أنَّ **يوماً واحداً أمضيه في بيت الربّ هو حقاً خيرٌ من ألفٍ في أيِّ مكان آخر** (**مزمور** ٨٣/١١).

وقد ترغب يا أخي، في معرفة العقبة التي صادفتها في إكمال دعوتي؛ فهذه العقبة لم

---

(٤) **مخطوط** أ ص ٤٤-٤٥.
(٥) تريزا الأڤيلية - **طريق الكمال**، الفصل ٨.
(٦) **مخطوط** أ ص ٦٣.

تكن غير صغر سنّي. فقد رفض أبونا الرئيس الصالح[٧] قطعاً استقبالي قبل بلوغي ٢١ عاماً، قائلاً إنَّ ابنة ١٥ سنة لا تستطيع ان تعرف بماذا تلتزم. كان سلوكه حذراً، ولا أشك أنَّه كان يُتمّ بامتحاني مشيئةَ الربّ الذي كان يريد أن أغزو قلعة الكرمل بحدّ السيف؛ وربَّما سمح يسوع أيضاً للشيطان بأن يعيق دعوةً لم تكن، على ما أعتقد، تروق هذا الدنيء المحروم من الحبّ، كما كانت تسميه أمُّنا القديسة. لحسن الحظ أنَّ جميع مكائده كانت تعود عليه بالخزي؛ فهي لم تفده إلَّا بجعل الطفلة تنتصر انتصاراً مبيناً. وإن أردتُ أن أكتب إليك جميعَ تفاصيل المعارك التي كان عليَّ ان اخوضها لَلزمني وقتٌ طويل، وكثيرٌ من الحبر والورق؛ ولو رُويت هذه التفاصيل بقلم بارع، لأفادتك، على ما أعتقد. لكن قلمي عاجز عن إضفاء سحر على حكاية طويلة، فاغفر لي اذاً، إن كنت، ربما، قد أضجرتك.

تعِدُني، يا أخي، بأن تتابع القول كل صباح على المذبح المقدس: «يا إلهي، أضرم أختي بحبِّك»؛ فسأكون عميقة الامتنان لك، ولا يصعب عليّ التأكيد لك على أنَّ شروطك مقبولة، وستكون كذلك دائماً[٨]. كل ما أطلبه من يسوع لأجلي، سأطلبه أيضاً لأجلك؛ وعندما أقدّم لحبيبي حبّي الضعيف، فأنا أسمح لنفسي بتقديم حبّك في الوقت عينه. إنك تُحارب في السهل مثل هوشع، وأنا لك مثل موسى الصغير، فقلبي يرتفع بدون توقّف نحو السماء حتى تنالَ النصر. يا أخي، قد تثير الشفقة كثيراً إن لم يساند يسوع بنفسه ذراعي موسى الذي بجانبك!... لكن بالصلاة التي ترفعها كل يوم من أجلي الى سجين الحبّ الإلهي، آمل ألا تكونَ أبداً موضع شفقة؛ وإنَّنا، بعد هذه الحياة، التي سننشُرُ البذار فيها معاً بالدموع، سوف نلتقي فرحَين وحاملَين الحزَمَ بين أيدينا.

أحببت كثيراً الموعظة الصغيرة التي وجَّهتها إلى أمِّنا الطيبة لتحثّها على البقاء، بعدُ، في الأرض؛ فليست طويلة. وكما تقول فيها لا شيء فيها للردّ عليه؛ وأرى أنَّك لن تحتاج الى مشقةٍ كبيرة لإقناع مستمعيك عندما ستعظ؛ وآمل أنَّ حصاداً وفيراً من النفوس

---

(٧) الكاهن دولاترويت Delatroëtte.

(٨) ارسلت تريز الى الاب رولان دفتر اشعارها. فلما قرأها في احدى رحلاته، كتبت اليها يقول: «أرجوك، يا أختي، ضعي غالباً عند قدمي يسوع، باسم أخيك، بعض المشاعر التي تلهب قلبك، بهذا الشرط سأتابع القول كل صباح: «يا إلهي، أضرم أختي بحبِّك»» (**رسائل المراسلين** - ١٧١).

سيُجنى ويُقدَّم بواسطتك للرب. - أرى أنَّني صرت في نهاية ورقتي، ممّا يجبرني على إيقاف خربشتي. مع ذلك أعلمك بإني سأحتفل بكلٍّ ذكرى سنوية لك بأمانة. وسيكون ٣ تموز/يوليو عزيزاً عليَّ بشكل خاص، إذ إنك، في هذا اليوم، اقتبلتَ يسوع لأول مرّة، وفي ذات التاريخ، اقتبلتُ انا يسوع من يدك، وحضرتُ قدّاسَك الأول في الكرمل.

بارك، يا أخي، أختك غير المستحقة

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

(أعهد إلى صلواتك بإكليريكي شاب يودّ أن يكون مرسلاً، وقد تزعزعت دعوته خلال خدمته العسكرية[٩] .)

الرسالة ٢٠٢ إلى السيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩٦

يسوع +

امرأة خالي العزيزة،

إن ابنتك الصغيرة ليُحزنُها جدّاً أن تضطر الى تكليف ريشة باردة بنقل عواطفها القلبية إليك... وقد تقولين لي باسمة: «لكن، يا صغيرتي تريز، أليس من الايسر ان تنقليها إليّ؟ ...». يا امرأة خالي الحبيبة، أنا مضطرة الى الاقرار: لا، وهذا حقيقي؛ فأنا لا أجد تعابير ترضي أشواق قلبي. فالشاعر الذي تجرّأ على القول:

«ما ندركُه جيداً، نعبِّر عنه بوضوح،
والكلمات تحضُر بسهولة للتعبير عنه[١]».

---

(٩) هو الأب بلّيير Bellière .

الرسالة ٢٠٢

(١) Boileau - **L'Art poétique** .

هذا الشاعر، لم يكن يشعر حتماً بما أشعر به في أعماق نفسي!!!...

من حسن حظي أن الأب المتبحّر فابير[٢] يعزّيني، فقد كان يفهم جيداً أنَّ الكلمات والجمل الدنيوية لا تستطيع التعبيرَ عن مشاعر القلب وأنَّ القلوب المفعمة هي اكثر القلوب انطواءً على ذاتها .

يا امرأة خالي العزيزة، سوف أضجرك باستشهاداتي، لا سيّما وأنَّ رسائل أخواتي الأربع المحبوبات[٣] هي حاضرة لتكذّب كلامي. إذاً! يا امرأة خالي العزيزة، رغم بلاغتهنّ كلّها، كُوني متأكدة من أنَّهنَّ لن يُحببنك أكثر منّي، أنا التي لا تعرف التعبير لك عن ذلك بعبارات مختارة... وإذا كنت لا تصدّقيني الآن، فعندما سنكون كلّنا مجتمعين في السماء الجميلة، سترين قسراً، أنَّ صغرى بناتك لم تكن الصغرى في الحنان والعرفان، ولم تكن الصغرى إلا في العمر والحكمة.

أرجوك، يا امرأة خالي العزيزة، أن تتضرّعي إلى الله كي أنمو في الحكمة، مثل الطفل يسوع الإلهي (لوقا ٢/٥٢). وليس هذا ما أفعله؛ أؤكد لكِ، واسألي عزيزتنا الصغيرة مريم للأفخارستيا، فهي ستقول لك إنّني لا أكذب؛ ويوماً بعد يوم، أصبحُ أكثر مكراً؛ ومع ذلك فقريباً سأتمّم تسع سنوات من إقامتي في بيت الربّ (مزمور ٢٦/٤). لا بدَّ لي، إذاً، من أن أكون قد تقدّمت في طرق الكمال، لكني لا زلتُ في أسفل السلَّم؛ إلّا ان هذا لن يُحبطني، فمَرَحِي، يعادل مَرَحَ الزيز، ومثله أرنّم دائماً، آملة ان أشارك عنه في نهاية حياتي، في خيرات أخواتي اللواتي هنَّ أكثر عطاء من النملة. آمل أيضاً، يا امرأة خالي العزيزة، أن أنال مَقاماً جميلاً في الوليمة السماوية؛ وهاكِ السبب: عندما سيعرف القديسون والملائكة شرف كوني ابنتك الصغيرة، فلن يحزنونني بابعادي عنكِ... لذلك سأنعم بسبب فضائلك، بالخيرات الأبدية. آه! قد ولدتُ حقاً سعيدةَ الطالع، وقلبي يذوب عرفاناً لله الذي أعطاني أهلاً لم نعد نجد مثلهم على الأرض.

يا امرأة خالي العزيزة، بما أنّي، زيز حقير لا شيء له غير أغانيه (علماً انه لا يستطيع أن يُرنم إلّا في صميم قلبه، لأن صوته ليس رخيماً) فسأترنّم بلحني الأجمل يوم عيدك، وسأحاول أن أحصلَ على نبرةٍ مؤثّرة بحيث إنَّ جميع القديسين، وقد اشفقوا على بؤسي،

(٢) Faber

(٣) أخواتها الثلاث وابنة خالها ماري غيران.

سيمنحونني كنوزاً من النعم أكون سعيدةً بتقديمها لك. ولن أنسى أيضاً أمّي الرؤوف العزيزة، فسوف اعايدها بثروات القديسين؛ وسيكونون بالغي السخاء، بحيث إنَّ قلبي لن يرغب في المزيد، وأؤكّد لكِ، يا امرأة خالي، أنَّ ما أعنيه ليس بقليل، لأنَّ رغباتي عظيمة جداً.

أسأل خالي العزيز أن يعانقك بحنانٍ كثير نيابةً عنّي. وإذا أراد فرانسيس وجانّ وليوني أن يفعلوا مثله، فسأترنّم بلحنٍ صغير لشكرهم (طبعاً لن أنسى خالي في ترنيمتي المرحة).

سامحيني، يا امرأة خالي العزيزة، على قولي لك أشياء كثيرة لا شكل لها ولا مضمون؛ وكوني على يقين أنّني أحبّك من كل قلبي.

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة

الرسالة ٢٠٣ إلى الأم أنييس ليسوع
ي.م.ي.ت.

٤ كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٦

الامُّ الصغيرة كثيرة اللطف!.. إذا كانت لا تعرف ما هي عليه فأنا أعرف ذلك جيّداً وأحبُّها!.. آه! نعم! لكن ما انقى محبّتي لها!... إنَّها محبة طفل يُعجبُ بتواضع أمه. إنَّك تفدينني أكثر من جميع كتب العالم!...

الرسالة ٢٠٤ إلى الأم أنييس ليسوع

١٨ كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٦

العذراء القديسة مسرورة بأن يكون لها حمارٌ صغير وأمةٌ صغيرة تجعلهما يركضان إلى اليمين وإلى اليسار إرضاءً لها [1]. لذلك ليس مدهشاً أن تسقط الأم الصغيرة أحياناً...

(١) كانت الأمّ أنييس تقوم بمهمّة القيّمة التي تسبّب لها كثيراً من الذهاب والمجيء.

نعم! لكن عندما سيكبر الطفل يسوع، لن يكون بحاجة الى أن يتعلّم مهنة الحانوتي، الفقيرة. فهو سيُعِدُّ مُقاماً صغيراً (**يوحنا** ١٤/٢) للأم العزيزة، **في مملكته التي ليست من هذا العالم** (**يوحنا** ١٨/٣٦)، ومن ثمّ **سيذهب بدوره وسيأتي ليخدمها** (**لوقا** ١٢/٣٧). وأكثرُ من أنف صغير شدّته الأم العزيزة سيضطر الى الارتفاع لينظر إلى من كان جلُّ طموحِها أن تكون حمارَ يسوع الصغير.

الرسالة ٢٠٥ إلى الأخت ماري للقديس يوسف

كانون الأول/ديسمبر(؟) ١٨٩٦

ما اقبحَ تضييعَ الوقت في معاناة الملل بدلاً من النوم على قلب يسوع!...

إذا كان الليلُ يخيف الولدَ الصغير، وإذا كان يشكو من عدم رؤية من يحمله، فليُغمض عينيه، ويقدّم **بإرادته** التضحية التي طُلبت منه، ومن ثمّ فلينتظر أن ينام.... فاذا مكث ساكناً هكذا، لن يستطيع الليلُ الذي لم يعد ينظر إليه أن يخيفه؛ وسرعان ما يُولَد الهدوء من جديد في قلبه الصغير، إن لم نقل الفرح...

هل كثير أن نطلب إلى ولدٍ صغير أن يُغمضَ عينيه؟... أن لا يصارع أوهام الليل؟... لا، ليس كثيراً، والصغير سيستسلم، وسيعتقد أنَّ يسوع يحمله، وسيرضى بعدم رؤيته، ويبعدُ خوفَه العقيم من أن يكون غير مؤمن (وهذا الخوف الذي لا يناسب الطفل).

(سفير)

الرسالة ٢٠٦ إلى الأخت ماري للقديس يوسف

كانون الأول/ديسمبر (؟) ١٨٩٦

ليس للسفير الصغير رغبةٌ في القفز من القارب، لكنّه هناك حتى يُريَ السماء للطفل الصغير. إنَّه يريد أن تكون جميعُ نظراته وجميع التفاتاته الى يسوع. لذلك سيكون مسروراً جداً برؤية الولد الصغير يحرم نفسه من التعزيات الطفولية وغير الجديرة بمُرسل ومحارب... أحبُّ كثيراً طفلي الصغير... ويسوع يحبّه أكثر منّي.

الرسالة ٢٠٧ إلى الأخت جنفياف

ي.م.ي.ت.

كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٦

مسكينة، مسكينة، عليك ألَّا تغتمي بسبب وقوع السيّد توتو[١] في الفخ!... عندما سينبت له جناحان[٢] فعبثاً تنصبين له أفخاخاً، فهو لن يسقط فيها، ولا أنتِ أيضاً، أيتها الآنسة المسكينة. فهو الذي سيمدّ لك يدَه، وسيعلّق لك جناحين صغيرين أبيضين جميلين، وسنطير كلانا عالياً جدّاً، بعيداً جدّاً؛ وسنذهب ونهزّ أجنحتنا الصغيرة الفضية حتى سايغون[٣]... هذا أفضل ما يمكننا القيام به لأجله، إذ إنَّ يسوع هو الذي شاءنا ملاكين وليس مؤسِّسَتين، وهذا أكيد في الوقت الحاضر. وإذا بدّل هو رأيه، نبدّل نحن رأينا أيضاً، بكل بساطة!...

الرسالة ٢٠٨ إلى الأخت جنفياف

ي.م.ي.ت.

شتاء ١٨٩٦-١٨٩٧

أتوسل إليكِ بتواضع شديد أن تعفي السيّد[١] المسكين من مدفأته الصغيرة غداً[٢]... لكني أتوسل إليكِ ايضاً، ان تسهري على إيقاظه من أجل الساعات[٣]. إنَّه يخشى ألَّا

(١) «السيّد توتو Toto» هو لقب تريز بمقابل لي لي Lili لقب سيلين؛ (**الرسالة** ١٧٩، الملاحظة ١)

(٢) بعد موته.

(٣) كان كرمل سايغون يطالب «بمؤسّسات» لكرمل هانوي الذي أنشئ حديثاً. وقد فكرت الأخت جنفياف في الرحيل إلى آسيا، على ما يبدو، لأجلها ولأجل تريز.

الرسالة ٢٠٨

(١) توتو كما في البطاقة السابقة.

(٢) كانت الأم ماري دى غونزاغ قد فرضت على تريز استخدام مدفأة حجر خلال شتاء ١٨٩٦-١٨٩٧.

(٣) فرض الساعات يُتلى في الساعة السابعة أيام الشتاء.

تفيد ورقته بشيء[٤]، لأنّ الموقظة اعتادت رؤية الآنسة تأتي كل صباح لتلكز السيّد حتى تخرجه من أحلامه بهدوء[٥].

لا تحزني، أيتها الآنسة المسكينة، أنتِ المُلزمة بحمل الآنية الصغيرة يميناً ويساراً[٦]. فبدوره يسوع يوماً سيذهب ويجيء ليخدمك (**لوقا ١٢/٣٧**)، وهذا اليوم سيأتي قريباً.

الرسالة ٢٠٩ إلى الأخت جنڤياف

شتاء ١٨٩٦-١٨٩٧ (؟)

لا تنسي إيقاظ السيّد توتو. غداً، أيتها المسكينة الآنسة لي لي، التي يهينها الجميع[١]، لكنّ يسوع والسيّد **ت**. يحبّانها.

الرسالة ٢١٠ إلى الأخت جنڤياف

شتاء ١٨٩٦-١٨٩٧ (؟)

أتتفضّلين بالسؤال غداً صباحاً إن كان السيّد توتو قد سمع المطرقة[١]؟...

---

(٤) كانت الأخت المعفاة من النهوض المُبكّر تعلّق ورقة على سقاطة حجرتها. وعند اليقظة الثانية، حوالي الساعة السادسة وأربعين دقيقة، كانت إحدى الراهبات تقرع كل باب لا ورقة عليه.

(٥) كانت الأخت جنڤياف تُدلّك تريز بزنار شعر.

(٦) إلى الراهبات المريضات.

الرسالة ٢٠٩

(١) ذكرت الأخت جنڤياف أنّ عيوبها (طبع حاد، فورات غضب...) كانت تجعلها مهانةً باستمرار.

الرسالة ٢١٠

(١) أداة خشبية تُحرّك لإيقاظ الراهبات.

الرسالة ٢١١ إلى الأخت جنڤياڤ[١]

٢٤ كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٦
ميلاد ١٨٩٦

بُنَيَّتي العزيزة،

لو تعلمين كم تُفرحين قلبي وقلبَ طفلي يسوع، آه! لكم تكونين سعيدة!.. لكنك لا تعرفين، ولا ترين، والغمّ يغمر نفسك. أودّ لو أستطيع تعزيتك؛ وإذا كنت لا أفعل ذلك، فلأني أعرف ثمن ألم القلب وكربه. آه يا ابنتي الحبيبة! لو تعلمين كم غاصت نفسي في المرارة عندما رأيت عريسي المحبّ القديس يوسف يعود إليَّ بحزنٍ، بدون أن يحظى بموضعٍ في المضافة (لوقا ٢/٧).

إذا أردت أن تتحمّلي بسلام محنة عدم الرضى عن الذات، فستقدّمين لي ملجأ أميناً. صحيحٌ أنَّك ستتألَّمين لأنك ستصيرين على باب بيتك؛ لكن لا تخافي، فبقدر ما تصيرين فقيرة، بقدر ذلك يحبّك يسوع؛ وهو سيذهب بعيداً، بعيداً جداً ليفتِّش عنك، إذا ما تهتِ قليلاً أحياناً. إنَّه يفضّل أن يراك في الليل تعثرين بحجارة الطريق، على أن تمشي في وضح النهار على طريق مزيَّنة بالأزهار قد تؤخر مسيرتك. أحبّك، يا سيلين، أحبُّكِ حبّاً يفوق فهمك.

يسعدني أن أراك ترغبين في أشياء عظيمة، وأنا أُعِدُّ لك، بعدُ، أعظمَ منها... فستأتين يوماً مع عزيزتك تريز إلى السماء الجميلة، وستقيمين على ركبتي يسوعي الحبيب، وأنا أيضاً سآخذك بين ذراعيّ وسأغمرك بالمداعبات لأنّني والدتك. أمك الحبيبة،

(مريم سلطانة الملائكة الصغار).

---

(١) للرسالة عنوان: «رسالة من العذراء القديسة إلى ابنتي العزيزة التي لا ملجأ لها على أرض الغربة».

الرسالة ٢١٢ إلى الأخت ماري للثالوث[١]

٢٤ كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٦
ليلة الميلاد ١٨٩٦

يا عروسي الصغيرة الحبيبة[٢]

آه! كم أنا مسرور بك... لقد سلّيتني كثيراً طوال السنة بلعبة الأوتاد. كانت متعتي فائقة بحيث إنَّ ملائكة البلاط اندهشوا وافتتنوا. فسألني أكثر من ملاك صغير لماذا لم أخلقه طفلاً... وأكثر من واحد سألني اذا كنت احبّ نغمة قيثارته أكثر من ضحكتك المرحة عندما تسقطين وتداً بِكُرة حبِّكِ؟ فأجبتُ صغار الشاروبيم أنَّ ليس عليهم أن يغتمّوا مطلقاً من أنهم ليسوا أطفالاً، ما داموا سيستطيعون يوماً أن يلعبوا معك في مراعي السماء. وقلت لهم إنَّ ابتسامتك هي، بلا شك، أعذبُ عليَّ من ألحانهم، لأنَّك لا تستطيعين أن تلعبي وتبتسمي إلَّا وأنتِ تتألَّمين، ناسية ذاتك.

يا عروسي الصغيرة الحبيبة، لديَّ شيء أطلبه منك، فهل سترفضينه لي؟... آه لا! فحُبكِ لي أشدُّ من أن ترفضي. أبوحُ لكِ اذاً بأنّني اودّ تغيير اللعبة. إنَّ الأوتاد هذه تسلّيني كثيراً؛ لكني أريد الآن أن ألعب بالبلبل؛ وإن شئتِ، فستكوني، انت، بلبلي.

سأعطيك واحداً كنموذج؛ ليس جميلاً كما ترين؛ ومن لا يعرف ان يستعمله، سيرفسه بقدمه؛ لكن الطفل سَيثِبُ فرحاً برؤيته، ويقول: «آه! كم هو مُسَلٍّ؛ فيمكنه أن يسير طوال النهار دون أن يتوقّف[٣]».

أنا الطفلَ يسوع، أحبُّك، رغم أنَّك بلا سحر، فأتوسّل إليكِ أن تمشي دائماً لتسلّيني... لكن، لكي تجعلي البلبلَ يدور، لا بدَّ لكِ من ضربه بالسوط... إذاً! دعي

---

(١) عن سبب هذه الرسالة تقول الاخت ماري للثالوث: «كنتُ أستخدم طريقة جديدة لمزاولة الفضيلة، وهي أن أُفرّحَ الطفل يسوع وألعبَ معه كل أنواع الألعاب الروحية. وقد شجعتني الأخت تريز الطفل يسوع على ذلك في الرسالة التالية ..».

(٢) المتكلّم هو الطفل يسوع . ويحمل الظرف هذا العنوان: «شخصي. إلى عروسي الحبيبة لاعبة الأوتاد على جبل الكرمل.»

(٣) مجمل هذا الكلام يعود الى الاخت ماري للثالوث، وقد سمعتها الاخت تريز تتفوّه به. فاستعارته وجعلت منه صورةً لتعامل يسوع مع عروسه.

أخواتكِ يقدِّمنَ لكِ هذه الخدمة، واعترفي بجميل اللواتي سيكُنَّ الأكثر مثابرةً على عدم تركك تتباطئين في مسيرتك. وعندما سأشعر بأنّني تسلّيت معكِ جيّداً، فسأحملك عالياً، وسنستطيعُ اللعبَ بدون ألم...

(أخوك الصغير يسوع).

الرسالة ٢١٣ إلى الأب بلّيير

ي.م.ي.ت.

٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٨٩٦

كرمل ليزيو

يسوع +

حضرة الأب،

كان بودّي، لو استطعت، أن أجيب عن رسالتك قبل الآن؛ لكنَّ نظام الكرمل لا يسمح لا بكتابة الرسائل ولا باستلامها في أثناء زمن المجيء[1] ومع ذلك، فقد أذنت لي أمّنا الموقّرة استثنائياً بقراءة رسالتك، مُتفهمةً أنَّك بحاجة إلى دعمٍ خاص بالصلاة.

أؤكد لكَ، يا حضرة الأب، أنّني أقوم بكلٍّ ما عليّ حتى أنال لك النِعم الضرورية؛ وتلك النِعم ستمنح لكَ بدون شك، اذ لا يطلب الينا ربّنا أبداً تضحيات تفوق طاقتنا [2]. والحقيقة أن هذا المخلّص الإلهي يجعلنا احياناً نشعر بكل مرارة الكأس الذي يقدّمه لنفسنا. فعندما يطلب التضحية بأغلى ما في هذا العالم، فيستحيل علينا إلّا بنعمة خاصة، ألّا تصرخ مثله في بستان النزاع: «**يا أبتِ، إصرف عنّي هذه الكأس... ولكن لتكن مشيئتك، لا مشيئتي**» (**لوقا** ٢٢/٤٢).

ويعزّينا فعلاً التفكير في أنَّ يسوع، الإله القوي، (**أشعيا** ٩/٥) قد عرف ضعفنا،

---

(١) زمن المجيء هو أربعة اسابيع تسبق عيد الميلاد.

(٢) كان الأب بلّيير قد كتب الى تريز في تشرين الاول/نوفمبر يعلمها فيها بأنه يتوقّع محنة قاسية، وهي نقله الى معهد الارساليات الافريقية؛ فهو يطلب مساعدتها وصلاتها.

وارتجف لِمرأى الكأس المرّة، تلك الكأس التي كان قد اشتهى شهوةً أن يشرَبها... (لوقا ١٥/٢٢).

حضرة الأب، إنَّ نصيبَك جميلٌ حقاً لأنَّ ربّنا اختاره لنفسه، ولأنَّه أول مَنْ بلَّل شفتيه من الكأس التي يقدّمها لك (متى ٢٠/٢٣).

لقد قال ذلك احد القديسين: إنَّ أكبر تكريم يكرِّم الله به نفساً، لا يكون بأن يعطيها كثيراً، بل بأن يطلب منها كثيراً[٣]! فيسوع يعاملك، اذاً، معاملة المحظيين، وهو يريد أن تبدأ منذ الآن رسالتك وأن تخلِّص النفوس بالآلام. أليس بتألمه وموته... قد افتدى، هو، العالم؟... أعرف أنك تتطلّعُ الى سعادة التضحية بحياتك من أجل المعلّم الإلهي؛ لكنّ شهادة القلب ليست أقلَّ خصوبةً من إراقة الدم؛ وهذه الشهادة هي شهادتك منذ الآن. فانا محقّه، فعلاً، في القول إنَّ شهادتك جميلةٌ، وجديرةٌ برسول للمسيح.

حضرة الأب، إنك تبحث عن التعزية بالقرب من تلك التي أعطاكَ يسوع إياها أختاً، ولك الحق في ذلك. وما دامت أمُّنا الموقّرة تأذن لي بالكتابة اليك، فأنا أودّ تلبية المهمّة اللطيفة التي كُلِّفت بها؛ لكنّي أشعر بأنَّ الوسيلة الأضمن لبلوغ هدفي هي أن أُصلّي وأتألم...

فلنعملْ معاً على خلاص النفوس، اذ ليس لنا إلّا يومُ هذه الحياة الوحيد لكي نخلّصها ونقدِّم بذلك للرّب براهين على حبّنا. الأبدية ستُعقب، وعندئذٍ، سيعوِّض يسوع عليك بمائة ضعف، (متى ٢٩/١٩) الأفراح اللذيذة والمشروعة جدّاً التي تضحّي بها، لأجله. فهو يعرف مدى تضحيتك، ويعرف أنَّ آلام من تحبُّهم تزيد من آلامك. لكنه عانى، هو أيضاً، هذا العذاب الشديد. فمن أجل خلاص نفوسنا ترك أمه، ورأى العذراء الطاهرة واقفة عند صليبه (يوحنا ٢٥/١٩)، وسيفُ الألم ينفذ الى قلبها (لوقا ٣٥/٢). لذلك آمل أنَّ يعزي مخلّصنا الالهي أمك الطيّبة، وأطلب إليه ذلك بإلحاح. آه! لو أفسح المعلم الإلهي لهؤلاء الذين ستتركهم حبّاً به، في المجال ليستشِفُّوا المجدَ الذي يحفظه لك، ويروا جمهرة النفوس التي ستشكِّل موكبك في السماء، لكوفئوا منذ الآن، على التضحية الكبرى التي سيسبّبها لهم بُعدُك.

---

(٣) الأب پيشون. راجع **الرسالة** ١٧٢.

لا تزال أمُّنا مريضة؛ ومع ذلك، فهي تجد نفسها في تحسّن منذ بضعة أيام؛ وآمل أنَّ يعيد إليها الطفلُ الإلهي يسوع قوى ستبذلها في سبيل مجده. هذه الأم الموقّرة ترسل اليك صورة القديس فرانسيس الأسيزي الذي سيعلّمك وسيلةً تجد بها الفرح وسط شدائد الحياة ومعاركها.

آمل، حضرة الأب، أن تنوي فعلاً متابعة الصلاة من أجلي، أنا التي ليست ملاكاً كما يبدو لك، لكنّي كرملية صغيرة مسكينة غيرُ كاملة ترغب مثلك، رغم حقارتها، في أن تعملَ لمجد الله.

لِنبقَ متّحدين بالصلاة والآلام بجوار مذود يسوع

أخيتك غير المستحقة
تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ٢١٤ إلى الأخت جنفياف

٣ كانون الثاني/يناير ١٨٩٧ (؟)

عيد سعيد!

السيّد توتو يتمنّى عيداً سعيداً للآنسة لي لي.

الرسالة ٢١٥ إلى الأخت ماري للقلب الأقدس

ي.م.ي.ت.

بداية ١٨٩٧ (؟)

يسوع الصالح يحبّك من كل قلبه، وأنا أيضاً، يا عرّابتي العزيزة!!!...

تريز الطفل يسوع
راهبة كرملية

الرسالة ٢١٦ إلى الأم أنييس ليسوع
ي.م.ي.ت.

٩ كانون الثاني/يناير ١٨٩٧

يسوع +

أميمتي العزيزة، لو تعرفين مدى تأثري برؤيتي كم أنتِ تحبِّينني!... آه! لن أستطيع أبداً أن أبدي لك عرفاني في الدنيا... آمل ان اذهب قريباً إلى السماء[١]. إن كانت هناك سماء، فهي لي[٢] »، وبذلك سأكون غنية، وأنال جميعَ كنوز الله، وسيكون هو ذاته خيري. وعندئذٍ سأستطيع أن أردَّ لكِ مائة ضعف عن كل ما أدينُ لكِ به. آه! أنا أحتفي بذلك... ويُشقيني أن أتلقّى دائماً من دون أن أعطيَ أبداً.

كنتُ أودّ فعلاً ألّا أرى دموع أُميمتي تسيل؛ لكن ما سُعدتُ برؤيته هو النتيجة الحسنة التي حقَّقتها، كأن الأمر سحرٌ. آه! أنا لا أحقد على أحدٍ عندما يُنظَرُ إلى أُميمتي شزراً، لأنّني أرى بوضوح تام أنَّ الأخوات لسنَ إلّا أدواتٍ وُضعت وَرباً من قبل يسوع بالذات، حتى يشابه طريق أميمتي الام الصغيرة (لتريز الصغيرة) الطريق الذي اختاره له، عندما كان مترحِّلاً في أرض الغربة... عندها **كان مثلَ ساترٍ وجهه** (**أشعيا** ٥٣أ٣)، **ولم يكن يعبأ به أحد**، **كان موضعَ إزدراء**... إنَّ أُميمتي ليست موضعَ ازدراء؛ لكن قلّ من يعبأ بها منذ أن سترَ يسوع وجهَها[٣]!...

يا أمي! ما اجمل نصيبك!... إنَّه يليق بكِ حقاً، أنتِ محظيّةُ عائلتنا؛ ويليق بك أنتِ من تُرينا الطريق، مثل السنونو الصغيرة التي نراها دائماً على رأس رفاقها تشقُّ في الجو الطريقَ الذي يجب أن يقود الرفاق الى الوطن الجديد.

آه! إفهمي مودّة بُنيّتك التي تريد أن تقول لكِ أشياءَ وأشياء كثيرة!

---

(١) أول إشارة واضحة الى موتها القريب.

(٢) ورد هذا البيت في مسرحية جان دارك مع تبديل صغير: فوضع صيغة الشرط إشارة الى محنة الإيمان التي تعيشها.

(٣) منذ ان انتهت مدة رئاستها.

الرسالة ٢١٧ إلى الأخت ماري للقديس يوسف

ي.م.ي.ت.

كانون الثاني/يناير ١٨٩٧ (؟)

هذه المقطوعات الصغيرة ظريفة،[١]... فما أقبح الاستعطاء من عند الآخرين[٢] عندما تكون الجعبة طافحة! لكن لا يقبِّحُ النوم، أو اللطف والفرح؛ إنَّها «مهنةُ الحانوت الصغيرة» ويجب ألّا يُغلقَ أبداً حتى في ايام الآحاد والأعياد، يعني في الأيام التي يخصِّصها يسوع لنفسه ليمتحن نفوسنا... رنِّمي مثل البِرقش[٣] ترانيمَكِ الرخيمة؛ وأنا مثل القاق الصغير المسكين أنوح في زاويتي، مُنشِدةً كاليهودي التائه: «لا يقدر الموت عليَّ بشيء، وأتبين ذلك جيداً[٤]!»...

لم أعد أسمعكِ تتكلّمين على الخوان الشهير[٥]: ألا يزال موضوع بحث؟

الرسالة ٢١٨ إلى الأخ سيميون

ي.م.ي.ت.

كرمل ليزيو

٢٧ كانون الثاني/يناير ١٨٩٧

يسوع +

سيّدي المدير

أنا سعيدة بانضمامي إلى الأخت جنڤياف لأشكرك على الحُظوة الثمينة التي نلتَها لأجل كرملنا[١].

---

(١) مقطوعات غنائية ألفتها الأخت ماري للقديس يوسف.

(٢) تريز بذاتها، وكانت الأخت ماري القديس يوسف قد طلبت اليها أن تؤلف قصيدة لها.

(٣) عصفور Pinson وهو تلميح إلى صوت الأخت ماري الرخيم.

(٤) أغنية شكوى لليهودي التائه، المقطع ١٥.

(٥) عهد الى الاختين تريز وماري اعمال ترقيع الخوان.

الرسالة ٢١٨

(١) بركة الحبر الأعظم للكرمل، بمناسبة اليوبيل الذهبي لعميدة الكرمليات، الأخت سان - ستانسلاس Soeur Saint-Stanislas.

لا اعرف كيف أعبّر لك عن عرفاني، فانطرح عند قدمي ربّنا أقدّم صلواتي الحقيرة لأظهر لك بها كم أنا متأثرة بعطفك علينا...

لقد مَزَجَ فرحي شعور بالحزن حين علمتُ أنَّ صحتك قد تزعزعت؛ لذلك أطلبُ من كلِّ قلبي إلى يسوع أن يمدَّ في حياتك العزيزة على الكنيسة، أطول مدة ممكنة. أعرف جيداً أنَّ هذا المعلم الإلهي يتوق الى تتويجك في السماء؛ لكّني آمل ان يتركك، بعدُ، في المنفى تعمل لمجده كما فعلتَ منذ شبابك، حتى يعوِّضَ قَدْرُ استحقاقاتك الهائل نقصَ نفوس أخرى ستمثل أمام الله فارغة اليدين.

كما أجرؤ، أيُّها الأخ العزيز، على أن أكون في عداد النفوس السعيدة التي ستنال نصيباً من استحقاقاتك. فأنا أعتقد أنَّ شوطي في هذه الدنيا لن يطول... وعندما سأمثُلُ أمام عريسي الحبيب لن يكون لديَّ غير رغباتي أقدّمها له. لكن إذا سبقتني إلى الوطن الأبدي، فآمل أنَّك ستوافيني وستقدِّم لي استحقاقَ أعمالك الخِصبة جداً... ترى أنّ كرملياتك الصغيرات لن يستطعنَ أبداً الكتابة اليك بدون المطالبة بحظوةٍ ما، وبدون اللجوء إلى سخائك!!!...

سيّدي المدير، بالنسبة إلينا، لك على الارض قدرةٌ عظيمة. فقد حصلتَ لنا من قَبْلُ، مراتٍ كثيرة، على بركة قداسة حبرنا الأعظم لاون الثالث عشر، بحيث لا أستطيع الامتناع من التفكير في أنَّ الله سيمنحنا في السماء قدرة هائلة على قلبه. وأتوسل إليك ألّا تنساني بجواره، إذا حظيت بسعادة رؤيته قبلي... والشيء الوحيد الذي أرجوك ان تطلبه لنفسي، هو النعمة بأن أحبَّ يسوع وأن أجعله يُحبُّ بقدر ما استطيع.

وان كنت انا، مَنْ سيأتي ربُّنا ليأخذها أولاً، فأعدك بالصلاة على نياتك ولأجل جميع الأشخاص الأعزاء عليك. على أي حال، لا أنتظر السماء حتى أصلّي هذه الصلاة؛ فمنذ الآن، أنا سعيدة لتمكّني من أن أبرهنَ لك عن عرفاني العميق.

سيّدي المدير، في قلب يسوع الأقدس، سأسعد دائماً بتسمية نفسي

صغيرتك الكرملية العارفة بالجميل
الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ٢١٩ إلى الأم أنييس ليسوع

٢٢ شباط/فبراير ١٨٩٧

شكراً يا أُميمتي! - لقد انكسر أنفُكِ[1]. نعم! ولكن!! إنَّه طويل!.. سيبقى لكِ منه دائماً ما يكفي، في حين أنّي لو كسرت انفي، لما بقي لي منه شيء!.. آه! كم نحن سعيدات بأن نعرف كيف نضحك من كل شيء... آه! نعم!.. ليس من «لكن» بالنسبة الى ذلك...

الرسالة ٢٢٠ إلى الأب بلّيير

(كرمل ليزيو)

ي.م.ي.ت.

الأربعاء مساء،
٢٤ شباط/فبراير ١٨٩٧

يسوع +

حضرة الأب،

قبل الدخول في صمت صوم الأربعين المقدس[1]، أريد أن أضمّ كلمة صغيرة الى رسالة أمنا الموقّرة، لأشكرك على الرسالة التي بعثتها اليّ في الشهر الماضي.

إذا شعرت بالعزاء باعتبارك انّ في الكرمل أختاً تصلّي من أجلك بدون انقطاع، فلا يقلّ عرفاني عن عرفانك لربِّنا الذي أعطاني أخاً صغيراً يعدُّه كي يصبح كاهنه ورسوله... حقاً، لن تعرف إلَّا في السماء، كم أنتَ عزيزٌ عليَّ. وأشعر بأنَّ نفسينا تكوّنتا لتتفاهما. فنثرك الذي تقول عنه إنَّه «جافّ وموجز» يكشفُ لي عن أن يسوع قد وضع في قلبك أشواقاً لا يمنحها إلَّا للنفوس المدعوة إلى أعلى مراتب القداسة. وما دام هو من اختارني لأكون أختك، فآمل أن يغضّ النظر عن ضعفي. أو قلْ إنّه سيستخدم هذا الضعفَ

---

(١) لم يُعرَف ظرف هذه الملاحظة.

الرسالة ٢٢٠

(١) وكان يبدأ في ٣ آذار/مارس من تلك السنة.

بالذات، ليعمل عملَه (**١ قورنتس** ١/٢٧). لأنَّ الله القوي يحب أن يُظهرَ جبروته مستخدماً العدم (**أشعيا** ٩/٥). - وتستطيع نفسانا باتحادهما، فيه، تخليصَ نفوس كثيرة أخرى، لأنَّ يسوع الوديع قال: **إذا اتفق إثنان منكم على طلب أيِّ حاجة، حصلا عليها من أبي** (**متى** ١٨/١٩). آه! ما نطلبه منه، هو أن نعمل لمجده، وأن نحبّه ونجعله يُحَبّ... فكيف لا يكون اتّحادنا وصلواتنا مباركة؟

حضرة الأب، ما دام النشيد عن الحب[٢] قد سرَّك، فقد أشارت عليّ، أمنا العطوفة، بأنّ أنسخَ لك عدّة اناشيد اخرى؛ لكنك لن تستلمها إلَّا بعد بضعة أسابيع لأنَّ أوقاتي الحرّة قليلة، حتى يوم الأحد، بسبب عملي في الموهف[٣]. فهذه القصائد الحقيرة ستكشف لك ليس فقط من أنا، بل ما أتمنّى وما يجب أن أكون... لقد اعتنيت في أثناء نظمها، بالمضمون أكثر مما اعتنيت بالاسلوب؛ فلم أحترم دائماً قواعد العروض[٤]، بل كان هدفي نقلَ مشاعري (أو بالأحرى مشاعر الكرملية) استجابة لرغبات أخواتي. هذه الأبيات تناسب راهبة أكثر ممّا تناسب إكليريكياً؛ ومع ذلك، فأنا آمل أنَّها تسرُّك. أليست نفسُك هي خطّيبة الحمل الإلهي؟ ألن تصبح قريباً عروسه، في يوم سيامتك المبارك شدياقاً؟

أشكرك، يا حضرة الأب، على اختيارك لي عرّابةً لأول طفل تفرح بتعميده، وعليَّ إذاً أن أختار أسماء ابني بالمعمودية. أرغب في ان يكون حُماته العذراء القديسة، القديس يوسف والقديس موريس، شفيع أخي الصغير العزيز. لا شك أن هذا الطفل لا وجود له، بعدُ، إلَّا في فكر الله. لكنّي أصلّي منذ الآن لأجله، وأؤدي واجباتي كعرّابة. أصلي أيضاً لأجل جميع النفوس التي سيُعهد بها إليك، وأتوسل إلى يسوع خاصةً أن يجمّل نفسك بجميع الفضائل، خصوصاً بحبِّه. تقول لي إنَّك غالباً ما تصلّي أيضاً لأجل أختك. وبما أنك تملك هذه المحبّة، فسأكون سعيدة جداً إن وافقتَ على تلاوة هذه الصلاة لأجلها كلّ يوم. فهذه الصلاة تحتوي على كلّ رغائبها: «أيُّها الآب الرحوم، وباسم يسوعنا الوديع، وباسم العذراء مريم والقديسين، أطلب إليكَ أن تضرم أختي بروح حبّك، وأن تُنعم عليها

(٢) قصيدتها **العيش بالحبّ** بتاريخ ٢٦ شباط/فبراير ١٨٩٥.
(٣) السكرستيا.
(٤) هو علم نظم الشعر.

بأن تجعلك تُحَبُّ كثيراً[٥].» لقد وعدتني بأن تصلّي لأجلي طوال حياتك؛ وبدون شك، ستكون أطول من حياتي. ولا يُسمح لكَ بأن تُرنِّم مثلي: «لي أملٌ بأنَّ منفاي يكون قصيراً! ...» لكن لا يسمح لك بأن تنسى وعدك. إذا أخذني الرب معه قريباً، فأطلب إليك أن تتابع كلَّ يوم تلاوة الصلاة الصغيرة نفسها، لأنّني سأرغب في ان أعمل في السماء كما ارغب في ان اعمل في الأرض: أن يُحَبّ يسوع وأن نجعله يُحَبّ.

حضرة الأب، قد تراني غريبةً فعلاً، وقد تأسف أن يكون لكَ أخت تبدو أنَّها تريد الذهاب لتنعم بالراحة الأبدية، وأن تتركك تعمل وحدك... لكن اطمئنّ، إنَّ الشيءَ الوحيد الذي أرغب فيه، هو مشيئة الله تعالى، وأعترف بأنّني إن كنت لن أستطيع في السماء العمل لمجده فسأفضِّل المنفى على الوطن.

إني أجهلُ المستقبل؛ ومع ذلك، إذا حقّق يسوع حدسي المسبق، أعدُك بأن أبقى أخيّتك في السماء. واتحادنا لن ينفصم بل سيصبح أكثر عمقاً؛ وعندها لن يعودَ هناك حصنٌ ولا مصبَّعة[٦]، وستستطيع نفسي التحليق معك في الرسلات البعيدة. وستبقى أدوارنا ذاتها: لك الأسلحة الرسولية، ولي الصلاة والحبّ...

حضرة الأب، أَلحظ أنّني أنسى نفسي. فقد تأخر الوقت، وخلال دقائق، سيُقرع جرسُ[٧] الفرض الإلهي. ومع ذلك لا يزال لي طلب أطلبه منك. اودّ فعلاً لو تكتب اليّ تواريخَ حياتك الهامّة حتى أستطيع أن أتّحد بك بشكلٍ خاص، لأشكر مخلِّصنا الوديع على النعم التي منحك إيّاها.

في القلب الأقدس ليسوع القربان الذي سيُصمد بعد قليل، لعباداتنا، أنا سعيدة بأن أسمّي نفسي دائماً

أُخيّتَك غير المستحقة
تريز الطفل يسوع للوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(٥) راجع الطلب المماثل للأب رولان، **الرسالة** ١٨٩.

(٦) المقصود بها شبكة الحديد او الخشب في متحدَّث الكرمل (ش. ر).

(٧) فرض صلاة الليل، الساعة التاسعة.

الرسالة ٢٢١ إلى الأب رولان

١٩ آذار/مارس ١٨٩٧

يسوع +

أخي،

سلّمتني أمّنا الطيّبة رسائلك منذ قليل رغم الصوم الكبير (وهي فترة لا يُسمَحُ الكرمل فيها بكتابة الرسائل). وهي توافق على أن أجيبك اليوم، لأننا نخشى أن تكون رسالتنا في تشرين الثاني/نوفمبر قد ذهبت الى أعماق النهر الأزرق. أمّا رسائلك المؤرخة في أيلول/سبتمبر فقد قطعت رحلة بحرية هانئة وأتت لتفرّح أمك وأخيّتك، يوم عيد جميع القدسين؛ اما رسالة ٢٠ كانون الثاني/يناير فقد وصلت تحت حماية القديس يوسف. وما دمتَ تتمثّل بي فتكتب إليّ على الأسطر كلِّها، فلا أريد أن أضيّع هذه العادة الحسنة، لكنها تجعل كتابتي البشعة أصعبَ قراءةً... آه! متى لا نعود بحاجة إلى حبرٍ وورقٍ لنتبادل أفكارنا؟ لقد فاتتك، يا أخي زيارة هذا البلد الساحر حيث نستطيع أن نتفاهم بدون كتابة وحتى بدون كلام[1]؛ وأنا أشكر الله من كلِّ قلبي على أنّه تركك في ساحة المعركة لتحقّق لأجله انتصاراتٍ عديدة. فلقد خلّصت آلامُك قبلاً نفوساً عديدة. وقد قال القديس يوحنا الصليب: «إنَّ أصغر حركة من الحبِّ الخالص، أنفع للكنيسة من كل الأعمال مجتمعة.»[2] إذا كان الأمر كذلك، فكم تكون آلامك وشدائدك نافعة للكنيسة، إذ إنّك تعانيها بفرح من أجل حبِّ يسوع فقط! حقاً، يا أخي، لا أستطيع أن أشفق عليك، لأن كلمات **الاقتداء** التالية تتحقق فيك: «عندما تجدون الألم عذباً، وتحبّونه حبّاً بيسوع، تكونون قد وجدتم الجنةَ على الأرض[3].» وهذه الجنة هي فعلاً جنة المرسَل والكرملية. فالفرح الذي يبحث عنه اهل العالم في قلب الملذات، ليس إلّا ظلاً زائلاً؛ أمّا فرحنا الذي نبحث عنه ونتذوّقه في المتاعب والآلام، فهو حقيقة عذبة فعلاً، وتذوّقٌ مسبقٌ للغبطة السماوية.

إنَّ رسالتك المشبعةً بمرح مقدس، أثارت اهتمامي كثيراً، فاتّبعت مثالك، وضحكت

---

(١) تلميح الى حادث الحمّى الذي كاد يودي بحياته في احدى رحلاته.
(٢) **النشيد الروحي**، شرح المقطع ٢٩.
(٣) **الاقتداء** ج٢، ف١٢، ١١.

من كل قلبي من طبّاخك الذي أراه ينزع قعر طنجرته. اما بطاقة زيارتك[٤] فقد سلتني كثيراً أيضاً، ولم أعرف إلى أية جهة أديرها؛ فأنا مثل طفل يريد القراءة في كتاب قد وضعه بالمقلوب.

لكن لنعد إلى طباخك، أتصدّق أنَّ مغامراتٍ مسلية كهذه تحصل أيضاً في الكرمل أحياناً؟

الكرمل هو، مثل سوتشون، بلدٌ غريب عن العالم، نضيّع فيه عاداتنا الفطرية؛ وهاك مثلاً على ذلك: مؤخراً، أهدانا، احدُ المحسنين سرطاناً بحرياً[٥] صغيراً مربوطاً جيداً في سلة لنقل الصيد. بدون شك، كان قد مضى زمن طويل من دون أن يُرى في الدير مثل هذه الرائعة. ومع ذلك تذكرت أختنا الطباخة الماهرة، أنَّه يجب وضع الحيوان الصغير في الماء لطبخه، ففعلت ذلك وهي تتأوه لاضطرارها إلى التصرّف بكثير من الوحشية مع مخلوق بريء. وكان المخلوق البريء يبدو نائماً مستسلماً الى ما نفعله به، لكنه حالما شعر بالحرارة، انقلبت وداعته إلى هيجان. ولما كان عارفاً ببراءته، لم يطلب الإذن من أحدٍ ليقفزَ إلى وسط المطبخ، لأنَّ جلّادته المُحبّة لم تضع الغطاء على الطنجرة. وفوراً تسلحت الأخت المسكينة بملقط ولحقت بالسرطان الذي كان يقفز قفزات يائسة. ودام الصراع وقتاً طويلاً. وبعد أن أعيت الحيلة الطبّاخة، اتت الى أمنا، مسلَّحةً بملاقطها، تعلوها الكآبة، وأكّدت لها أنَّ في السرطان مسّاً شيطانياً. وكان وجهها اكثر تعبيراً من كلامها. (ايها المخلوق المسكين، منذ قليل كنت وديعاً وبريئاً جداً، وها أنتَ ممسوسٌ. إذاً! حقاً، علينا ألّا نصدّق إطراءات المخلوقات!) لم تستطع أمنا الامتناع من الضحك وهي تصغي إلى تصريحات القاضي الصارم الذي يطالب بالعدالة؛ وذهبت فوراً إلى المطبخ، وأمسكت بالسرطان الذي أبدى بعض المقاومة كونه لم ينذر الطاعة. ثمّ وضعته في سجنه، وأحكمت إغلاق الباب، أي غطاء الطنجرة وذهبت. وفي المساء، خلال الفرصة، ضحكت الجماعة حتى الدموع من السرطان البحري الممسوس؛ وفي اليوم التالي، استطاعت كلُّ واحدة أن تتذوَّقَ لقمةً منه. أمّا الشخص الذي أراد أن يولم لنا فقد أصابَ هدفه، لأنَّ السرطان الشهير، أو بالأحرى قصّته، سيكون وليمتنا في أكثر من مأدبة، ليس

---

(٤) بطاقة زيارة مكتوبة بأحرف صينية.

(٥) Homard.

في قاعة الطعام، بل في أثناء الفرص. قد لا تبدو لك قصتي مسلّية كثيراً، لكني أؤكد لك على أنك لو حضرت المشهد لما استطعت الاحتفاظ برصانتك... أخيراً، يا أخي، إذا كنتُ أضجرك فأرجو أن تغفر لي وسأتكلّم بجدّية الآن. فمنذ رحيلك قرأتُ حياة عدّة مُرسلين (وفي رسالتي التي لم تستلمها ربّما، شكرتك على حياة الأب نمپون). فقرأتُ من بين ما قرأتُ، حياة تيوفان ڤينار[٦]، الذي أثار اهتمامي وأثر فيّ أكثر مما استطيع القول. فقد ألّفتُ، وأنا في هذا الانطباع، بعض المقطوعات الغنائية الشخصية. ومع ذلك أرسلها إليك. وقد بدت أمّنا الطيّبة تصوّرها بأنَّ هذه الأبيات قد تسرّ أخي في سوتشوين. إنَّ المقطوعة ما قبل الأخيرة تتطلّب بعض الايضاحات: أقول إني سأرحلُ إلى تونكان إن تنازل الله ودعاني إليها. ربّما سيدهشك هذا. أليس حلماً بالفعل أن تفكّرَ كرمليةٌ في الذهاب إلى تونكان؟ حقاً! لا، ليس هذا حلماً، وأستطيع حتى التأكيد لك على أنّه إذا لم يأتِ يسوع قريباً ليأخذني إلى كرمل السماء، فسأذهب يوماً إلى كرمل هانوي، لأنَّ هناك الآن كرمل في هذه المدينة، وكرمل سايغون هو الذي أسَّسه حديثاً. لقد زرتَ هذا الأخير وتعلم أنَّ في كوشنشين رهبانية كرهبانيتنا لا تستطيع الوقوف على قدميها بدون رعايا فرنسيين. لكن، يا للأسف! إنَّ الدعوات نادرة فعلاً، وغالباً ما ترفض الرئيسات رفضاً قاطعاً ترك أخواتٍ يرحلنَ، فهنَّ يعتقدنَ أنَّهنَّ قادرات على تأدية خدمة إلى جماعتهنَّ بالذات. وهكذا، مُنعت أمّنا الصالحة في صباها، وبأمر رئيسها، من الذهاب لمساندة كرمل سايغون. وليس عليَّ أن أشكو، بل أشكر الله على أنّه ألهم ممثله كثيراً، لكنّي أتذكّر أنَّ رغبات الأمهات تتحقّق في أولادهنَّ أحياناً، ولن أفاجأ بالذهاب إلى شاطئ الكفرة لأصلّي وأتألّم مثلما كانت أمنا تريد أن تفعل... ومع ذلك لا بدَّ من الاعتراف بانَّ الأخبار التي تردنا من تونكان ليست مُطمئنة: ففي نهاية السنة الماضية، دخل لصوص إلى الدير الفقير وولجوا حجرة الرئيسة من دون ان تستيقظ؛ لكنها في الصباح، لم تجد مصلوبَها بالقرب منها (في الليل يستريح مصلوب الكرملية دائماً بالقرب من رأسها معلّقاً بالوسادة). وكانت خزانةٌ صغيرة قد حُطِّمت، واختفى المال القليل الذي يشكّل كلَّ كنز الجماعة. فاجتمعت أديرة الكرمل في فرنسا، متأثرة بضيق دير هانوي، من أجل تقديم العون لبناء جدار حصين يرتفع ارتفاعاً كافياً ليمنع اللصوص من الدخول إلى الدير.

(٦) «حياة ومراسلات ج. تيوفان ڤينار J. Théophane Vénard» .

ربّما تريد أن تعرف رأي أمنا في أمنيتي بالذهاب إلى تونكان؟ إنّها تؤمن بدعوتي (لأنّه لا بدّ لذلك من دعوة خاصة حقاً، ولا تشعر كل كرملية بأنّها مدعوة للتغرّب)؛ لكنّها لا تعتقد أبداً بأنّه يمكن تحقيق دعوتي، ولا بدّ من أجل هذا أن يكون الغمدُ بصلابة السيف. وقد يُرمى الغمدُ في البحر قبل الوصول إلى تونكان (أمنا تعتقد ذلك). حقاً، ليس مريحاً أن نتكوّن من جسم ومن نفس! فهذا الأخ الحقير، الحمار كما كان يدعوه القديس فرنسيس الأسيزي، يزعج غالباً أخته النبيلة، ويمنعها من الانطلاق حيث تتمنّى... وأخيراً، لا أريد أن ألعنه، رغم عيوبه، فهو لا يزال صالحاً لشيءٍ ما، لأنّه يساعد رفيقته على الفوز بالسماء ويفوز بها لنفسه ويرضي بهذا المقدار.

لست قلقة على المستقبل أبداً، فأنا متأكدة من أنَّ الله سيفعل مشيئته. وهي النعمة الوحيدة التي أتوق إليها؛ وليس علينا أن نكون ملكيِّين أكثر من الملك... إنَّ يسوع لا يحتاج إلى أحد ليعمل عملَه، وإن قَبِلني، فلمجرّد جودته. وإن قلت لك الحقيقة، يا أخي، فأنا أعتقد على الاصحّ، بأنَّ يسوع سوف يعاملني ككسولةٍ صغيرة؛ وهذا لا أرغب فيه، لأنّني سأكون سعيدة فعلاً بالعمل والتألّم طويلاً لأجله. لذلك، أطلبُ إليه أن يجعلني وضع رضاه، أي ألّا يعير أيَّ اهتمام لرغباتي، سواء أن أحبّه وأنا أتألم، أو أن أذهب لأنعمَ به في السماء. وإذا تركتُ المنفى، آمل فعلاً، يا أخي، ألّا تنسى وعدَك بالصلاة من أجلي. لقد لبّيت طلباتي دائماً بغاية اللطف، يا أخي، لدرجة أنّني أتجرّأ على طلبٍ واحدٍ: لا أرغب في أن تطلب إلى الله أن يُعتقني من نيران المطهر. كانت القديسة تريزا تقول لبناتها عندما كُنَّ يُردنَ الصلاة من أجلها: «ما همّني البقاء في المطهر حتى نهاية العالم، إذا كنتُ أخلّص نفساً واحدة بصلواتي![7]». هذا الكلام يجدُ صدىً في قلبي؛ فأنا أريد أن أخلّص نفوساً وأنسى نفسي لأجلها؛ وأريد ان اخلّص النفوس حتى بعد موتي؛ لذلك سأكون سعيدة لو تقول، بدل الصلاة الصغيرة التي تصلّيها، هذه التي تتحقّق للأبد: «يا إلهي، إسمح لأخيّتي بأن تجعلك تحبُّ اكثر من ذي قبل.» إذا استجاب يسوعُ لك، فسأعرف كيف اعبّر لك عن عرفاني... تطلب إليَّ، يا أخي، أن أختار إسماً من بين الاسمين مريم أو تريز، لتسمية إحدى الصغيرات التي ستعمّدهنّ؛ وبما أنَّ الصينيات لا يُريدن حامِيتَيَن بدلاً من واحدة، فعليك أن تختار لهنَّ أقواهما؛ والغالبة، إذاً، هي

(٧) تريزا الأڤيلية - **طريق الكمال**، الفصل ٣.

العذراء القديسة. فيما بعد، عندما ستعمِّد أطفالاً كثيرين، سوف تفرح أختي كثيراً (وهي كرملية مثلي) بأن تسمّي أختين صغيرتين سيلين وتريز، وهما الاسمان اللذان كنّا نحملهما في العالم. إنَّ سيلين، االتي تكبُرُني بأربع سنوات تقريباً، أتت لتنضمّ إليَّ بعد أن أغمضت عينَي والدنا الصالح؛ هذه الأخت العزيزة لا تعرف العلاقات الحميمة التي تربطني بك؛ وإننا غالباً ما نتكلم في أثناء الفرصة على مرسل أمِّنا (وهو الاسم الذي ندعوك به في كرمل ليزيو)، فقد باحت لي مؤخراً برغبتها في ان تعيش سيلين وتريز في الصين من جديد، بواسطتك انت.

يا أخي، أعذر طلباتي وثرثرتي الطويلة كثيراً وتكرّم بمباركة

أُخيّتك الحقيرة
تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس.

الرسالة ٢٢٢ إلى الأم أنييس ليسوع
ي.م.ي.ت.

١٩ آذار/مارس ١٨٩٧

أشكرك يا أميمتي. آه! نعم إنَّ يسوع يحبّك، وأنا أيضاً أحبّك!... إنّه يعطيك براهين عن ذلك كلَّ يوم، ولا أعطيك أنا... نعم، ولكن، عندما سأصير في السماء، فستكون ذراعي الصغيرة كأنَّها طويلة، وستعرف أميمتي الحبيبة عنها أخباراً سارة.

الرسالة ٢٢٢ مكرّر إلى السيّد غيران(١).

٣ نيسان/ابريل ١٨٩٧

تريز الطفل يسوع الصغرى، لكنَّها ليست أقلهنّ محبّة!!!

(١) هذا النص هو توقيع على رسالة الاخت ماري للافخارستيا الى والدها.

هذا ليس حقيقي! ما أشعر به، انما هي الحمّى، تأتيني كل يوم الساعة ٣، بالتوقيت العسكري.

الصغيرة تريز

يرغب أبونا(٢) في أن تدخل تريز پوغيول إلى هنا على سبيل الاختبار.

الرسالة ٢٢٣ إلى الأم أنييس ليسوع

٤-٥ نيسان/ابريل ١٨٩٧

أخاف أن أكون قد أحزنت أميمتي(١)، مع اني أحبّها! آه نعم! لكنني لا أستطيع أن أقول لها كل ما أفكر فيه. عليها أن تحزر ذلك.

الرسالة ٢٢٤ إلى الأب بلّيير

ي.م.ي.ت.

٢٥ نيسان/ابريل ١٨٩٧

هلّلويا

أخي الصغير العزيز

إنَّ ريشتي، أو بالأحرى قلبي، يرفض أن يناديك «حضرة الاب» من الآن فصاعداً؛ فقد قالت لي أمنا اللطيفة إنّي أستطيع أن أستعمل، عندما أكتب إليك، الاسم الذي أستعمله دائماً عندما أتحدّث عنك إلى يسوع. ويبدو لي ان هذا المخلص الإلهي تنازل ووحّد نفسينا للعمل على خلاص الخطأة، كما وحّد من قبل نفسي الأب الموقر دي لاكولومبيير والطوباوية مارغريت - ماري. قرأت مؤخّراً في حياة هذه القديسة: «كنتُ أقترب يوماً من ربّنا لأقتبل القربان المقدس، فأراني قلبه الأقدس كأتّونٍ مضطرم، وأراني

---

(٢) الكاهن مويا Maupas ، رئيس الدير، والفتاة هي Thérèse Pougheol.

الرسالة ٢٢٣

(١) السبب بقي مجهولاً.

قلبين آخرين (قلبها وقلبَ الأب دي لاكولومبيير) كانا سيتّحدان به ويغوصان فيه وقال لي: هكذا يوحّد حبّي الخالص هذه القلوب الثلاثة للأبد. وأفهمني أيضاً انَّ هذا الاتحاد كان كله من أجل مجده؛ ولهذا كان يريد أن نصير أخاً وأختاً، وأن نتقاسم بالتساوي الخيراتِ الروحية. عند ذلك، عرضت لربِّنا فقري والتباين الموجود بين كاهن ذي فضيلة سامية جداً، وبين خاطئة مسكينة مثلي، فقال لي: إنَّ كنوز قلبي اللامتناهية ستعوّض عن كل شيء وتساوي بين كل شيء».

يا أخي، قد لا تبدو لك هذه المقارنة عادلة؟ صحيح أنَّك ما زلت بعيداً عن أن تكون كالأب دي لا كولومبيير، لكني لا أشك في أنَّك ستكون مثله يوماً، رسولاً حقيقياً للمسيح. اما بالنسبة اليّ، فلا تخطر في ذهني مطلقاً فكرة مقارنة نفسي بالطوباوية مارغريت ماري؛ بل ألمسُ ببساطة أنَّ يسوع اختارني كي أكون أختاً لأحد رسله؛ والكلمات التي وجَّهتها إليه بتواضع حبيبة قلبه القديسة، أردِّدها له، أنا، بكلِّ امانة. لذلك آمل أنَّ تعوِّض هذه الكنوزُ اللامتناهية كلَّ ما ينقصني لأتمَّ العمل الذي كلّفني به.

إنّي لسعيدة حقاً أن يكون الله قد استخدم أبياتي المتواضعة ليفيدك بعض الافادة. كان يمكن ان أضطرب بإرسالها إليك، لو لم أتذكّر أنَّ على الأخت ألَّا تخفيَ شيئاً عن أخيها. وقد تلّقيتَها فعلا وَحكمت عليها بقلبِ أخوي... وفوجئتَ بدون شك، بأن تجد ثانية: «العيش بالحبّ»؛ ولم تكن نيّتي أن أرسلها لك مرَّتين؛ كنتُ قد بدأت بنسخها عندما تذكرت في أنَّك تلَّقيتها قبلاً، وكان الأوان قد فات كثيراً حتى أتوقف.

أخيّ العزيز، لا بدَّ من الاعتراف لك بأنَّ شيئاً ما قد غمّني في رسالتك، ذلك أنك لا تعرفني كما أنا في الحقيقة. صحيح أنه يجب المجيء الى الكرمل من اجل العثور على نفوس كبيرة؛ ففيه تنبت، كما في الغابات البكر، أزهارٌ ذات طيبٍ ونضارة يجهلهما العالم. وقد شاء يسوع، برحمته، أن تنمو بين هذه الأزهار أزهار أصغر من رفيقاتها، لن أستطيع أبداً شكره عليها بما يكفي، لأنّي استطعت بفضل هذا التنازل، أن اجد نفسي، أنا الزهرة الحقيرة الخالية من النضارة، في ذات الروضة، حيث توجد الورود أخواتي. آه، يا أخي! أرجوك صدّقني، إنَّ الله لم يهبْ لك أختاً ذات نفسٍ كبيرة. بل أعطاك نفساً صغيرة جداً وكثيرة النواقص.

لا تعتقد أنَّ التواضع هو ما يمنعني من الاعتراف بنعم الله، فأنا أعرف أنّه صنع فيَّ

أموراً عظيمة (**لوقا** ٤٩/١) وأنا اسبّحه كل يوم بغبطة. وأتذكّر أنَّ من غُفر له كثيراً يجب ان يحبّ كثيراً (**لوقا** ٤٧/٧). لذلك أحاول العمل على أن تكون حياتي فعلَ حبّ، ولا أقلق أبداً من أن أكون نفساً صغيرة، بل على العكس، أفرح بذلك. لهذا السبب أجرؤ على الأمل بأنَّ تكون غربتي قصيرة. لكن ليس لأني مستعدة؛ أشعر بأنّني لن أكون مستعدة أبداً، إن لم يتنازل الربّ ويحوّلني هو نفسه؛ وهو قادر على أن يفعل ذلك في لحظة. فبعد جميع النِعَم التي غمرني بها، أنتظر، بعدُ، هذه النعمة من رحمته اللامتناهية.

يا أخيّ، تقول لي بأن أطلب لك نعمة الاستشهاد؛ غالباً ما توسّلتُ هذه النعمة لنفسي، لكنّني لستُ مستحقة لها؛ ونستطيع القول حقاً مع القديس بولس: **لا يعودُ الامرُ اذاً الى من يريد او من يسعى، بل الله الذي يرحم** (**روم** ١٦/٩). وما دام الرب، على ما يبدو، لا يشاء أن ينعم عليَّ إلّا باستشهاد الحبّ، فآمل أنَّه سيسمح لي بواسطتك بأن أكسب السعفة الأخرى التي نطمح إليها. وأرى بسرور بأنَّ الله قد أنعمَ علينا بذات الانجذابات والرغبات. ولقد أضحكتُك، يا أخي العزيز، بترنيمي «سلاحي». إذاً، سأجعلك تضحكُ، بعدُ، بقولي لك إنّني، في طفولتي، حلمتُ بأن أحارب في ساحات المعارك... وعندما بدأت أتعلّم تاريخ فرنسا، كانت تدهشني حكاية أعمال جانّ دارك الباهرة، وكنتُ أشعر في قلبي بالرغبة في تقليدها والجرأة عليه. وكان يبدو لي أنَّ الرب قد أعدَّني لأمورٍ عظيمة [(١)]. لم أكن مخطئة، لكن بدلاً من صوت السماء يدعوني إلى المعركة، سمعت، في صميم نفسي، صوتاً أعذبَ وأقوى هو صوت عريس العذارى يدعوني إلى أعمال باهرة أخرى، وإلى انتصارات اكثر مجداً؛ وفي عزلة الكرمل، فهمتُ أنَّ رسالتي ليست أن أتوّج ملكاً فانياً، لكن أن أجعل ملكَ السماء يُحَبّ، وأن أُخضِعَ له مملكةَ القلوب.

آن لي أن أتوقف؛ ومع ذلك، فعليَّ بعد أن أشكرك على التواريخ التي ترسلها اليّ؛ وأودّ كثيراً أن تضمَّ إليها أيضاً السنوات، لأنّني لا أعرف عمرك. ولكي تعذر بساطتي، سأرسل اليك تواريخ حياتي المهمّة، وهذا أيضاً بقصد أن نكون متّحدين خاصة بالصلاة والعرفان، في هذه الأيام المباركة.

(١) **مخطوط** أ، ص ٣٢ ي.

وإذا اعطاني الله ابنةً بالمعمودية، فسأكون سعيدة جداً بأن أستجيب لرغبتك، وأهب لها العذراء القديسة والقديس يوسف والقديسة شفيعتي حُماةً لها.

أخيراً، يا أخي الصغير العزيز، ارجو في النهاية ان تعذر خربشتي الطويلة ورسالتي غير المتماسكة.

في قلب يسوع الأقدس، أنا للأبد.

أُخيّتك غير المستحقة
تريز الطفل يسوع للوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

(لقد اتفقنا فعلاً، أليس كذلك، على أن تبقى علاقتنا سرّية؟ ولا أحد غير مديرك، يجب أن يعرف بالاتحاد الذي كوّنه يسوع بين نفسينا).

الرسالة ٢٢٥ إلى الأخت حنّة للقلب الأقدس

ي.م.ي.ت.

٢ أيار/مايو ١٨٩٧
عيد الراعي الصالح

يسوع +

أختي العزيزة

ستُفاجئين كثيراً ولا شك باستلامك رسالةً منّي. ولكي تغفري لي تعكير الصمت في عزلتك، سأقول لك كيف حدثَ أن أنعمَ بالكتابة إليك. ففي آخر مرّة، التقيت أمّنا الطيبة للإرشاد، تكلّمنا عليك وعلى كرمل سايغون العزيز. وقالت لي أمُّنا إنّها تسمح لي بالكتابة إليكِ إن كان ذلك يسرّني. فقبلت بفرح هذا العرض وانتهزت إجازة[1] الراعي الصالح لأتحدَّث اليك بضع اللحظات.

آمل، يا أختي العزيزة، أنّك لم تنسيني، فأنا أفكر فيك أحياناً كثيرة، وأتذكّر بفرح

(١) يوم فرصة استثنائي يعطي للأخوات «إجازة» التحدّث بحرّية، والاجازة المذكورة كانت يوم عيد الراعي الصالح وهو الاحد الثاني بعد القيامة.

السنوات التي أمضيتُها بصحبتك؛ وتعلمين أنَّ التفكير في أحدٍ نحبّه، بالنسبة إلى الكرملية، يعني أن نصلي لأجله. فأنا أطلب إلى الله أن يغمركِ بنعمَه ويزيد في قلبك كلَّ يوم حبَّه المقدس؛ ومع ذلك، لا أشك في أنَّك تملكين هذا الحبّ بدرجة عالية. فليست شمس سايغون شيئاً اذا قارنتها بالنار التي تستعر في نفسك. يا أختي! أرجوك، أطلبي من يسوع أن أحبّه، أنا أيضاً، وأن أجعله يُحبّ؛ أريد أن أحبّه، ليس حبّاً عاديّاً، بل مثلَ القديسين الذين كانوا يعملون لأجله أعمالاً مجنونة. يا للأسف! ما ابعدني عن ان اتشبّه بهم!

أطلبي، أيضاً، من يسوع أن أفعل مشيئته دائماً؛ ولأجل ذلك، أنا مستعدة لاجتياز العالم[٢]... ومستعدة للموت أيضاً.

سينتهي الصمت[٣] بعد قليل، وعليَّ أن أنهيَ رسالتي، ولكنّي أرى أنّني لم أقل لكِ بعد شيئاً مهمّاً، ولحسن الحظ أنَّ رسائل أمهاتنا جاهزة لتعطيك جميعَ أخبار كرملنا. كانت إجازتنا قصيرة جداً؛ فإذا كان الأمر لا يزعجك، سآتي لأتحدَّثَ اليك وقتاً أطول، مرّة أخرى.

تفضلي، يا أختي الغالية، وقدمي مشاعر الاحترام والبنوة إلى أمك الموقّرة؛ إنّها لا تعرفني، لكنّي أسمع غالباً من يتحدّث عنها إلى أمنا الطيبة؛ فأنا أحبّها وأتضرّع إلى يسوع أن يعزّيها في شدائدها.

أتركك، يا أختي العزيزة، وأنا متّحدة بكِ في قلب يسوع؛ فهناك، يسعدني ان اعلن نفسي دائماً

أخيتك

تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس

الراهبة الكرملية المستحقة.

---

(٢) «للذهاب إلى كوشنشين» Cochinchine.

(٣) ساعة قيلولة إختيارية، الساعة الواحدة خلال الصيف.

الرسالة ٢٢٦ إلى الأب رولان

ي.م.ي.ت.

٩ أيار/مايو ١٨٩٧

كرمل ليزيو

أخي،

١ – تلقّيت بفرح، أو قلْ بتأثر، الذخائر التي تفضَّلتَ وأرسلتها إليّ[(١)]. فرسالتك تبدو رسالة وداع الى السماء، وقد بدا لي لدى قرائتها، أنّني أسمع قصة الشدائد التي عاناها (أسلافك) في رسالتهم.

٢ – على هذه الأرض حيث يتبدّل كلُّ شيء، لا يبقى إلا شيءٌ واحدٌ ثابتاً وهو سلوك ملك السماوات حيال أصدقائه؛ فمنذ أن رفع راية الصليب، وجب على الجميع ان يحاربوا في ظلّه ويحرزوا النصر. كان تيوفان ڤينار يقول: «الصليب هو الذي يخصب كلَّ حياة رسولية». وكان يقول أيضاً: «الغبطة الحقيقية هي أن نتألم. وحتى نحيا لا بدَّ لنا من أن نموت».

٣ – يا أخي، لقد طُبِعَت بداية رسالتك بطابع الصليب، والربّ يعاملك معاملة خاصة. وهو يشاء تثبيت ملكوته في النفوس بالاضطهاد والالم اكثر منه بالمواعظ البرّاقة – تقول: «أنا لا زلتُ طفلاً لا يعرف أن يتكلّم[(٢)].» إنَّ الأب مازيل الذي سيمَ كاهناً في يوم رسامتك، هو أيضاً لم يكن يعرف أن يتكلّم، ومع ذلك، فقد حظي بالسعفة[(٣)]... آه! كم ان **أفكار الله تعلو على أفكارنا!** (**أشعيا** ٥٥/٩)! وعندما عرفت بموت هذا المرسل الشاب الذي كنت سمعت اسمه للمرة الاولى، وجدت نفسي مندفعة الى مناجاته، فخِلت أنني اراه في السماء في جوق الشهداء المجيد. اعرف ان استشهاده في نظر الناس،

---

(١) في الرابع والعشرين من شهر شباط/فبراير، كتبت المرسَل الى الاخت تريز، رسالة تصحبها بعض الاشياء كذخائر لأنه كان يتوقع استشهاده.

(٢) كان الأب رولان Roulland يتعلّم الصينية، فكتب يقول: يا للأسف! لستُ إلّا طفلاً صغيراً، لا أعرف أن أتكلم. سوف أمضي بعض الأشهر في عائلة مسيحية لأتعلم اللغة والعادات .. إلخ...

(٣) تلقى كرمل ليزيو قبل قليل، في ١ أيار، خبر مقتل المرسل Mazel الذي يبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، والذي قتله لصوص لأنَّه أوروبي.

لا يحمل هذا الاسم؛ ولكن هذه التضحية في نظر الله لا تقلّ خصوبة عن تضحيات المسيحيين الاوائل الذين جاهروا بإيمانهم امام المحاكم. لقد تغيّر شكل الاضطهاد؛ لكنّ مشاعر رسل المسيح لم تتغيّر؛ ولذلك، لا يمكن ان يغير سيّدهم الالهي مكافآته الّا من اجل زيادتها، بالمقارنة مع المجد الذي يُحرمونه في هذا العالم.

٤ - يا اخي، لا أفهم لماذا تشكّ في أمر دخولك الفوري الى السماء اذا انتزع منك الكَفَرة حياتك. اعرف ان لا بدّ لنا من نقاوة خالصة للظهور امام إله كلِّ قداسة؛ ولكنّي اعرف ايضاً ان لا حدود لعدالة الرب. وهذه العدالة، التي تُرهب نفوساً كثيرة، هي سبب فرحي وثقتي. والعدالة ليست معاقبة المذنبين بقساوة فحسب، وانما الاعتراف كذلك بالنوايا الحسنة، وإثابة الفضيلة. فأنا آمل من عدالة الله كما آمل من رحمته. ولأنّ الرب عادل، **فهو رؤوفٌ رحيمٌ طويلُ الاناة كثيرُ الرحمة (مز ١٠٢/ ٨) لانه عارفٌ بجبلتنا وذاكرٌ اننا تراب (مز ١٠٢/ ١٤) وكما يرأف الاب ببنيه يرأف الربّ بنا... (مز ١٠٢/ ١٣)**... يا أخي، عندما نسمع هذا الكلام الجميل والمعزّي، الذي نطق بها النبيّ - الملك، كيف نشكّ في قدرة الله على فتح أبواب ملكوته لأولاده الذين أحبّوه حتى التضحية بكل شيء من أجله، وتركوا عائلتهم ووطنهم حتى يُعرّفوا به ويجعلونه يُحبّ، حتى إنهم يتوقون إلى بذل حياتهم في سبيل الذي يحبّونه؟... ولقد كان يسوع على حقّ عندما قال: **ما من حبٍّ أعظم من هذا الحبّ (يوحنا ١٥/ ١٣)**.

٥ - اذاً، كيف يترك الله أحداً يفوقه سخاءً! كيف يُطهّر بنيران المطهر نفوساً تَلِفت بنيران الحبّ الإلهي؟ صحيح أنَّ ما من حياة بشرية خالية من العيوب؛ العذراء الطاهرة وحدها تَمثُلُ نقية كل النقاوة أمام الجلالة الإلهية. يا لفرحتنا عندما نفكّر في أنَّ هذه العذراء هي أمّنا! فما دامت تحبّنا وتعرف ضعفنا، فما الذي نخشاه؟ عبارات كثيرة أقولها لأوضح فكرتي، أو قل لأعجز عن التعبير عن فكرتي؛ كنتُ أريد القول ببساطة إنَّ جميع المرسلين، على ما يبدو لي، هم شهداء بالشوق والارادة؛ وبالنتيجة، يجبُ ألا يذهب اي واحد إلى المطهر. فإن بقيت في نفسهم بقيةٌ من ضعفٍ بشري لحظة مثولهم امام الله، فستنال لهم العذراء القديسة النعمة بأن يعملوا فعلَ محبّة كامل، ومن ثمَّ تعطيهم السعفة والاكليل اللذين استحقوهما استحقاقاً.

٦ - تلك، يا أخي، فكرتي عن عدل الله. فطريقي كله ثقة وحبّ، ولا أفهم

النفوس التي تخاف صديقاً حنوناً بهذا القدر. عندما أقرأ أحياناً بعض المؤلفات الروحية التي تُظهِرُ الكمالَ محفوفاً بألف عائق، محاطاً بأوهام لا تُحصى، يتعب ذهني المسكين الضيّق بسرعة، فأغلق الكتاب العلمي الذي يصدع رأسي، ويجفّف قلبي، وأتناول الكتاب المقدس. عندئذٍ يبدو لي كلُّ شيء مُشعّاً، وتكشف كلمةٌ واحدة لنفسي آفاقاً لامتناهية، ويظهر لي الكمالُ سهلاً؛ وأرى أنَّه يكفي الاعتراف بعدمنا، والاستسلامُ كالطفل بين ذراعي الله. فأترك للنفوس الكبيرة، وللاذهان المتوقّدة، الكتب الجميلة التي لا أستطيع فهمها، ولا حتى تطبيقها. أفرح بأن أكون صغيرة لأنَّ الأطفال وحدهم وأمثالَهم سيُقبلون في الوليمة السماوية (مرقس ١٠/١٤). أنا سعيدة جداً لكثرة المنازل في ملكوت الله (يوحنا ١٤/٢)، لأنَّه إن لم يكن يوجد إلّا المُقام الذي لا افهم وصفَه وطريقه، فلن أستطيعَ الدخول إليه. ومع ذلك، أريد ألّا أكون بعيدةً كثيراً عن مُقامِكَ؛ فاعتباراً لاستحقاقاتك، آمل أنَّ يُنعِمَ الربُّ عليَّ بالمشاركة في مجدك؛ كما تشارك أخت احد الفاتحين في الامجاد المغدقة على اخيها، رغم حقارتها، وحتى ولو كانت محرومة من مواهب الطبيعة.

٧ - إنَّ أول عمل من أعمال كهنوتك في الصين بدا لي رائعاً. فالنفس الصغيرة التي باركت زُفاتها، لا بدَّ أنّها ابتسمت لك فعلاً، ووعدتك بحمايتها وحماية خاصتك. وكم أشكرك لأنَّك تعدّني من بينهم! وإني لمتأثّرة عميق التأثّر والامتنان لتذكرك والديَّ العزيزين في القداس. آمل أن يمتلكا الآن الملكوتَ السماوي الذي كانت جميع أعمالهما ورغائبهما تتوق اليه؛ وهذا لا يمنعني من الصلاة لأجلهما، لأنَّه يبدو لي أنَّ النفوس الطوباوية تنال مجداً عظيماً بالصلوات التي تقام على نيّتها والتي تستطيع أن تتصرّف بها لأجل نفوس أخرى متألمة.

٨ - وإذا كان أبي وأمي في السماء، كما أعتقد، فلا بدَّ لهما من أن ينظرا إلى الأخ الذي وهبني إيّاه يسوع ويباركاه. لقد تمنّيا كثيراً ان يكون لهما إبنٌ مُرسَلٌ!.. لقد أخبروني أنَّه، قبل ولادتي، كان والدايَّ يأملان بأنَّ تتحقَّق أمنيتهما أخيراً. ولو استطاعا اختراق حجاب المستقبل، لرأيا أنّ رغبتهما ستتحقّق في الواقع بواسطتي انا؛ وبما أنَّ مرسَلاً اصبح أخاً لي، فهو أيضاً ابنهما، وهما لا يستطيعان في صلواتهما أن يُفرّقا الأخ عن أخته غير المستحقة.

٩ - أنتَ تصلّي، يا أخي، من أجل والديَّ اللذين في السماء، وأنا أصلّي غالباً

لوالديك اللذين لا يزالان على الأرض، وهذا ما اعتبره واجباً لذيذاً عليَّ جداً؛ وأعدك بأنّني سأكون أمينة دائماً على تأديته، وإنْ تركتُ المنفى؛ بل أكثر من ذلك، ربّما، لأنني سأعرف معرفة فضلى ما يحتاجان اليه من النعم. ومن ثمَّ فعندما ستنتهي رحلتهما على الأرض، سأحضر لآتي بهما باسمك وأدخلهما إلى السماء. - كم ستَعذُبُ الحياة العائلية التي سنتمتّع بها خلال الأبدية كلها!

١٠ - ففي انتظار هذه السعادة الأبدية، التي ستنفتح لنا خلال وقت قصير، وبما أنَّ الحياة لا تدوم أكثر من يوم واحد، فلنعملْ معاً على خلاص النفوس؛ أنا لا أستطيع القيام إلا بشيءٍ قليلٍ جدّاً، أو بالأحرى، لا أستطع أن أفعل شيئاً على الاطلاق، إذا كنتُ وحدي؛ وما يعزيني هو اعتبارُ انني بقربك قد أنفع شيئاً. إنَّ الصفر في الواقع لا قيمة له بحدّ ذاته؛ لكنه اذا وضع بالقرب من وحدة عددية يصبح قويّاً، شرط وضعه على كل حال في الجهة الصالحة، أي قبل الوحدة وليس بعدها[٤]! هناك، فعلاً، وضعني يسوع، وآمل أن أبقى في موضعي دائماً، وأنا أتبعك من بعيد بالصلاة والتضحية.

١١ - لو أصغيتُ إلى قلبي، لما ختمت رسالتي؛ لكنَّ الصمت شارف على نهايته وعليّ أن أحمل رسالتي إلى أمنا الطيّبة التي تنتظرها.

١٢ - أرجوك إذاً، يا أخي، أن تتفضّلَ بإرسال بركتك إلى الصفر الصغير الذي وضعه الرب بالقرب منك

الأخت تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(٤) وصفنا الجهة الصالحة بما يناسب الكتابة العربية.

الرسالة ٢٢٧ إلى الأخت جنڤياڤ

١٣ أيار/مايو ١٨٩٧

إن يسوع راضٍ عن الصغيرة سيلين التي وهبها ذاته للمرة الأولى منذ ١٣ سنة [١]، وهو أكثر فخراً بما يفعله في نفسها، وبحقارتها وبفقرها، من كونه خلق ملايين الشموس ومدى السماوات!...

الرسالة ٢٢٨ إلى الأخت جنڤياڤ

نيسان . أيار/ابريل . مايو ١٨٩٧
(؟)

أخشى ألّا تكون أمُّنا مسرورة، إنَّها متمسّكة كثيراً بالتدليك، خاصةً في الظهر. إذا أتى السيّد كلوديون[١] يوم الأحد ليحرِّك شعره الطويل في ظهري، سيتساءل لماذا لم نفعل أبداً كما قال... ربّما كان من الأفضل الانتظار حتى الإثنين. وأخيراً، أيتها المسكينة، المسكينة، إفعلي ما تشائين، فكلُّ شيء سيكون مُعدّاً غداً. وخاصةً، لا تتكلّمي على هذا السيّد[٢] المسكين، بل اعملي كما يبدو لكِ، وتذكّري أنَّه علينا أن نكون غنيّتين، وغنيتين كلانا!...

---

(١) في الحقيقة سبعة عشرة عاماً اي في ١٣/٥/١٨٨٠

الرسالة ٢٢٨

(١) لقب الطبيب دى كورنيير de Cornière.

(٢) السيّد توتو Toto أي (تريز).

الرسالة ٢٢٩ إلى الأم أنييس ليسوع

ي.م.ي.ت.

٢٣ أيار/مايو ١٨٩٧

إني خائفة من أن أكون قد سبَّبت كرباً لأمي الحبيبة [١]... آه! أنا التي تتمنّى أن تكون فرحَها الصغير، أشعر، على العكس، بأنّني همّها الصغير...

نعم، لكن! سابتعد بعيدة عن هذه الأرض الكئيبة حيث تذبل الأزهار وحيث تُحلّق العصافير؛ سأكون قريبةً جدّاً من أمّي الحبيبة، ومن الملاك الذي أرسله يسوع أمامي ليعدّ لي الطريق، والسبيل الذي يقود إلى السماء (خروج ٢٣/ ٢٠)، والمصعد[٢] الذي كان عليه أن يرفعني بدون تعب إلى منازل الحبّ اللامتناهية... نعم سأكون بقربها، ومن دون أن أترك الوطن الأبدي. فلست أنا مَنْ سينزل، ستصعدُ أمي الحبيبة الى حيث سأكون... آه! لو كنت أعرف مثلها كيف أعبّر عمّا أفكّر فيه، لو كنتُ أعرف ان اقول لها كم يفيض قلبي عرفاناً ومحبة لها، أعتقد حينها أنّني سأكون فرحها الصغير حتى قبل أن أبتعد عن الأرض الكئيبة.

يا أميمتي الحبيبة، إنَّ ما صنعتِ من خيرٍ لنفسي، فقد صنعتِه ليسوع، لأنّه قال: **كلّما صنعتم شيئاً لأحد اخوتي هؤلاء الصغار، فلي قد صنعتموه...** (متى ٢٥/ ٤٠) فالاصغر إنّما هو انا!...

الرسالة ٢٣٠ إلى الأم أنييس ليسوع

ي.م.ي.ت.

٢٨ أيار/مايو ١٨٩٧

أميمتي الحبيبة، إن ابنتك الصغيرة قد ذَرَفت قبل قليل ومرّةً أخرى دموعاً هادئة وهي دموعُ ندمٍ، بل دموعُ عرفانٍ وحبّ... آه! هذا المساء، أظهرتُ لكِ فضيلتي

---

(١) ربما بسبب حالتها الصحية.

(٢) أول ظهور لهذه الكلمة بقلم تريز. مخطوط ج ص ٢.

وكنوز صبري!... وأنا التي تعظ الآخرين جيّداً!!! أنا مسرورة أنَّك رأيتِ عيبي. آه! كم يريحني أنني كنتُ خبيثة!... لم تزجري بُنيّتك، مع أنَّها كانت تستحق ذلك؛ فهذه عادة البنيّة، ورقَّتُك قالت لها أكثر بكثير من الكلمات القاسية. إنكِ بالنسبة اليها، صورةُ رحمة الله. نعم ولكن... الأخت سان جان باتيست[1] تبدو عادة، هي على العكس، اي صورةً عن قسوة الله؛ فقد التقيت بها قبل قليل، وبدلاً من أن تمرّ بي ببرودة، عانقتني قائلة لي (تماماً كأنني أظرفُ صغيرة في العالم): «يا أخيّتي المسكينة، لقد أثرتِ شفقتي، لا أريد أن أتعبك، وكنتُ على خطأ، إلخ، إلخ.» وأنا التي كانت تشعر بالندم التام، لم أكن أصدّق أنَّها لا توجّه لي أيَّ لوم. أنا أعلمُ أنَّها في قرارة نفسها، لا بدَّ من أن تراني غير كاملة؛ ولكنّها خاطبتني بهذا الشكل لاعتقادها باني سأموت. لكن ما الهمّ، فأنا لم أسمع إلّا كلاماً عذباً ورقيقاً يخرجُ من فمها؛ وعندها وجدتها طيّبة جداً ووجدتُني خبيثةً جدّاً... وعندما دخلتُ الى حجرتنا، تساءلتُ كيف فكَّر يسوع فيَّ. وفورا تذكّرت هذه الكلمات التي وجّهها يوماً إلى المرأة الزانية: **ألم يحكم عليك أحد؟**... أمّا أنا، فأجبته، والدموع في عينيَّ: «**لا أحدٌ، يا رب**... لا أميمتي، صورةُ رأفتك، ولا أختي سان جان باتيست، صورةُ عدلك؛ وأشعر بأنّني أستطيع الذهاب بسلام، فلن تحكم عليَّ انت أيضاً»! (**يوحنا** ٨/١٠-١١).

أميمتي، لماذا يعطف الله عليّ الى هذا الحدّ؟ ولماذا لا يؤنبني أبداً؟... آه! هناك حقاً ما يوجب ان نموت عرفاناً وحبّاً!...

أنا فعلاً اكثر سعادة بأنّني كنتُ غير كاملة، ممّا لو كنت نموذجاً للرقة، بدعم من النعمة، ... وما يريحني كثيراً، أن أرى يسوع ما زال حيالي كثيرَ الوداعة والحنان... آه! منذ الآن، أعترف: نعم، إنَّ جميع آمالي سوف تتحقّق... نعم، سيصنع الربُّ بي عظائم تفوق بشكلٍ لامتناهٍ رغباتنا الفائقة.

أميمتي، حسناً يفعلُ يسوع في تستّره، وفي حديثه المتقطع إليّ .... **عبر القضبان** (**نشيد الأناشيد** ٢/٩)، لأنّني أشعر بأنّني لا أستطيع أن أتحمل أكثر؛ فقد يتحطّم قلبي، كونه عاجزاً عن احتواء هذا القدر من الغبطة ... آه! أنتِ، يا صدى نفسي العذب،

(١) Sr Saint - Jean - Baptiste جاءت تطلب مساعدة تريز في الرسم رغم تعبها. فانفعلت تريز، وكتبت عند المساء هذه الرسالة الى أختها.

ستفهمين أنَّ وعاء الرحمة الالهية قد فاض من أجلي هذا المساء!... ستفهمين أيضاً أنَّك كنتِ، وستكونين دائماً، الملاك المكلّف بقيادتي، وبأن تُعلني لي رحمة الربّ!...

بنيّتك الصغيرة جدّاً
تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ٢٣١ إلى الأم أنييس ليسوع
ي.م.ي.ت

٣٠ أيار/مايو ١٨٩٧

لا تغتمّي، يا أُميمتي الحبيبة، إن بدت بنيّتك وكأنّها تخفي عنك شيئاً. أقول بدا لأنّك تعرفين جيّداً أنَّها لو أخفت زاويةً صغيرة من المغلّف[1]، فهي لم تحجب قط سطراً واحداً من الرسالة؛ ومن يعرف، إذاً، أكثر منك هذه الرسالة الصغيرة التي تحبّينها كثيراً؟ يمكن أن تُظهر للأخريات المغلّف من جميع جوانبه لأنّهنَّ لا يستطعنَ ان يرين غير هذا. لكن عنك؟!!... آه! يا أميمتي، أنتِ تعرفين الآن أنَّه في يوم الجمعة العظيمة[2] بدأ يسوع بتمزيق غلاف رسالتك الصغيرة قليلاً. ألست مسرورة بأنَّه يستعد لقراءتها؟ هذه الرسالة التي تكتبينها منذ ٢٤ سنة؟ آه! لو كنتِ تعلمين كم ستتمكّن من التعبير له عن حبِّك طوال الأبدية.

---

(١) ذكرت الأخت ماري للقلب الأقدس : ان تريز كانت قد أخفت عن الأم أنييس ليسوع، نفث الدم الذي تعرّضت له.
(٢) ٣ نيسان ١٨٩٦ **مخطوط** ج ص ٤-٥.

الرسالة ٢٣٢ إلى الأم أنييس ليسوع
ي.م.ي.ت.

٣٠ أيار/مايو ١٨٩٧

(الكلمة الصغيرة الثانية)

وضعت كلمتي الصغيرة الأولى في يد الأخت جنفياف[1] بينما كانت تعطيني رسالتك؛ آسَفُ الآن أنّني وضعتُ رسالتي في البريد، لكنني سأدفع ضعف اجرة النقل كي أقول لك إنّي أفهم حزنك جيداً. كنتُ أكثر رغبةً منك، ربّما، في أن لا أخفي عنك شيئاً؛ لكن كان يبدو لي أنَّه يجب عليَّ الانتظار؛ وإن أسأت التصرّف فسامحيني، وثقي بأنّني لم أفقد الثقة بكِ قط!... آه! إن حبّي لكِ اشدّ من ان يحصلَ ذلك!... وأنا مسرورة لأنكِ حزرت معي. ولا أتذكر أنّني أخفيت شيئاً آخر من المغلَّف عن أميمتي، وأتوسّل إليها ألّا تصدِّق، بعد موتي، ما يمكن أن يُقال لها. آه! يا أميمتي، الرسالة هي لكِ، فأرجوك، تابعي كتابتها حتى اليوم الذي سيمزّق يسوع فيه، تماماً، المغلَّف الصغير الذي سبّب لك الغمَّ الشديد منذ أن صُنع!...

الرسالة ٢٣٣ إلى الأم أنييس ليسوع
ي.م.ي.ت.

١ حزيران/يونيو ١٨٩٧

إن [رسالتك] لشديدة التأثير وبالغة العذوبة!... أفضّل أن أسكتَ على أن أحاول الترنّم عبثاً بما يحدث في نفسي الصغيرة!... أشكرك يا أميمتي[1]!...

(١) البطاقة ٢٣١ التي كانت الأخت جنفياف قد نقلتها بصفتها ممرضة.

الرسالة ٢٣٣

(١) هذه الأسطر، هي جواب تريز على بطاقة طويلة من الأم أنييس. مراسلات ١٨٩٧/٥/٣١.

الرسالة ٢٣٤ إلى الأخت ماري للأفخارستيا

ي.م.ي.ت.

٢ حزيران/يونيو ١٨٩٧

إلى أخيّتي الحبيبة، تذكار اليوم الجميل الذي فيه تنازل عريس نفسها ووَضَعَ علامتَه[١] على جبينٍ يستعدّ لتتويجه يوماً أمام جميع المختارين...

فيما مضى، اجتمعت السماء بكاملها في ٢ حزيران، لكي تتأمّل سرَّ الحب هذا: يسوع، يسوع الأفخارستيا الوديع يعطي ذاته للمرة الأولى لمريم[٢]. وهذه السماء الجميلة المكوّنة من الملائكة والقديسين، ما زالت هنا، اليوم؛ إنَّها هنا، تتأمل، بنشوة، مريم وهي تبذل نفسها أمام العالم المندهش من تضحيةٍ لا يفهمها. آه! لو كان قد فهم نظرة يسوع التي ألقاها على مريم يوم زيارتها الأولى له، لَفهم أيضاً العلامة السرية التي تريد نيلَها اليوم من الذي جَرَحها بحبّه...ولن تَلُفَّ مريم للأفخارستيا بعد اليوم الطَرحةُ الانيقة، بتموّجاتها الطويلة الناصعة بل الطرحة الداكنة التي تذكّر عروس يسوع بأنَّها منفية، وأنَّ عريسها ليس عريساً يقودها في الاحتفالات، بل الى جبل الجلجلة. ومن الآن فصاعداً، على مريم ألّا تعود تنظر إلى شيء في هذه الدنيا، وألّا تنظر الى غير الله الرحوم، اي يسوع **الأفخارستيا**!...

الصغيرة الأخت تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ٢٣٥ إلى الأخت ماري للأفخارستيا[١]

٢ حزيران/يونيو ١٨٩٧

تذكار اليوم الجميل، يوم اتشاح أخيّتي الحبيبة بالطرحة في ٢ حزيران ١٨٩٧.
فليداعب يسوعُ، طفلُ تريز، دائماً، مريم للأفخارستيا.

---

(١) من أجل اتشاحها بالمنديل.
(٢) كانت ماري غيران قد احتفلت بمناولتها الأولى في ٢ حزيران ١٨٨١.

الرسالة ٢٣٥

(١) صورة مرفقة بالبطاقة السابقة.

الرسالة ٢٣٦ إلى الأخت ماري للثالوث

٢ حزيران/يونيو ١٨٩٧

إن الله يريد أن تتحمّلي شدَّتك وحدك[١]، وهو يبرهن على ذلك بوسائل متعددة... لكن يا د.[٢] العزيزة الصغيرة، انا أتألم معك!!!... وأحبّك كثيراً...

لا تغتمّي، سأزورك غداً صباحاً لبضع لحظات، وغداة يوم الغسيل، سأذهب وإيّاك لصنع البرشان.

الرسالة ٢٣٧ إلى الأم أنييس ليسوع

٢ حزيران/يونيو ١٨٩٧

لا، لا تريد اليمامة الصغيرة أن تترك أميمتها؛ إنَّها تريد أن تطير دائماً وتستريح (مزمور ٥٤/٧) في عالم قلبها الصغير الساحر. غداً، سأشكر أميمتي، لن أقول لها شيئاً هذا المساء حتى لا أمزّق قلبها، ولأنَّ الوقت متأخر جداً. فالطفل ذاهب لينام.

الرسالة ٢٣٨ إلى ليوني[١]

٣ حزيران/يونيو ١٨٩٧

أخيّتي العزيزة، كم يحلو لي التفكير في أنّنا **سنتبع الحمل يوماً معاً طوال الأبدية!...** (رؤيا ١٤/٤).

ذكرى ٣ حزيران/يونيو ١٨٩٧
الأخت تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

---

(١) لا تعرف ماهية هذه الشدّة.

(٢) إختصار لكلمة «دمية» بالفرنسية.

الرسالة ٢٣٨

(١) إهداء على قفا صورة.

الرسالة ٢٣٩ إلى الأم أنييس ليسوع[١]

٣ حزيران/يونيو (؟) ١٨٩٧

يجب أن أسير حتى لحظتي الأخيرة. فهو من سيضع حدّاً لقلقي. مثل اليهودي المسكين التائه[٢].

الرسالة ٢٤٠ إلى الأخت ماري الثالوث

٣ (؟) حزيران/يونيو ١٨٩٧

يا زهيرة يسوع الحبيبة، لقد فهمت كلَّ شيء تماماً، واعلمي أنَّه لا لزوم لأن تشرحي لي الامر، فالعين الصغيرة التي في كأسك ترشدني إلى كل ما عليَّ التفكير فيه حول الزهرة الصغيرة كلِّها... إني مفعمة سروراً وعزاءً، لكن علينا ان نُقلِعَ عن الرغبة في الغذاء الارضي؛ فلا بدَّ للزهرة الصغيرة من أن تَفتَح تويجَها أو، بالأحرى، أن ترفعه حتى يأتي خبزُ الملائكة كندىً إلهيّ يقوّيها ويعطيها كلَّ ما ينقصها[١].

مساء الخير، يا زهيرة مسكينة، ثقي بأنّني أحبّك أكثر ممّا تفترضين.

الرسالة ٢٤١ إلى الأخت مرتا ليسوع

ي.م.ي.ت.

حزيران/يونيو ١٨٩٧ (؟)

أخيّتي العزيزة، نعم، لقد فهمتُ كل شيء.. وأتضرّع إلى يسوع حتى يجعل شمس نعمته تسطع في نفسك. آه! لا تخافي أن تقولي له إنَّك تحبّينه، حتى لو لم تشعري

(١) هذا جواب على كلام الام انييس:
«رغم نزهاتك الشارده، هل سأتمكن من ان اكلمك ربع ساعة؟» (رسائل المراسلين ١٤٨).
(٢) «شكوى اليهودي التائه، المقطع ٢٢».

الرسالة ٢٤٠

(١) تحاول اقناع الاخت ماري للثالوث بألا تحرم نفسها من المناولة عقاباً لها على بعض التقصير.

بذلك؛ وهذه هي الوسيلة لتجبري يسوع على نجدتك، وعلى أن يحملك كطفل صغير ضعيف لا يقوى على المشي.

إنَّها لشدّة كبرى أن تري كل شيء أسود؛ لكن هذا لا يعود تماماً اليك، إفعلي ما تستطيعين، وانزعي من قلبك هموم الأرض وخاصةً همومَ المخلوقات؛ ثمَّ تأكّدي أنَّ يسوع سيفعل الباقي، فلا يمكنه أن يسمح بأن تسقطي في المستنقع الذي يُخشى منه... تعزّي، يا أُخيّتي العزيزة، ففي السماء لن تري كلَّ شيء أسود، لكن كلَّ شيء أبيض... نعم، كلّ شيء سيكون مكسوّاً بنصاعة عريسنا الإلهية، **زنبقة الأودية** (**نشيد الأناشيد** ٢/ ١). **ومعاً ستتبعه أينما يذهب** (**رؤيا** ١٤/ ٤).. آه! لنستفد من لحظة الحياة القصيرة... ولنفعل معاً ما يَسُرُّ يسوع، لنخلّص له نفوساً بتضحياتنا... وخاصةً لنكن صغيرات، صغيرات إلى حدٍّ أن يتمكّن كلُّ العالم من دوسنا بقدميه، بدون أن يظهر علينا أنّنا نشعر بذلك أو نتألّم منه...

إلى اللقاء، يا أخيتي العزيزة، يُفرحني أن أراكِ...

الرسالة ٢٤٢ إلى الأخت ماري للثالوث

ي.م.ي.ت.

٦ حزيران/يونيو ١٨٩٧

يسوع +

أخيتي العزيزة، إنَّ رسالتك الصغيرة الجميلة تفرح نفسي، وأرى جيداً أنّني لم أخطئ الظنَّ أنَّ الله يدعوك لتكوني قديسة كبيرة، مع بقائك صغيرة، وتصيرين كذلك كل يوم أكثر فأكثر. أفهم تماماً حزنك لعدم استطاعتك التكلّم معي بعد اليوم؛ لكن تأكّدي من أنّني أتألم لعجزي، وأنّني لم أشعر قط مثل اليوم بأنّك تحتلّين مُقاماً واسعاً في قلبي!...

هناك شيء يَسرّني، وهو أنَّ الكآبة لا تجعلك سوداوية، وأنا لم أقدر على الامتناع من الضحك لقراءتي نهاية رسالتك. آه! أهكذا تهزأين بي؟ من كلّمكِ على كتاباتي؟ والى

أية صفحاتٍ منها تلمّحين؟ أرى أنّكِ تدافعين عن الباطل لتعرفي الحق. حسناً! ستعرفين ذلك يوماً؛ وإن لم يكن في الأرض، فسيكون ذلك في السماء. لكن ذلك لن يدعوك الى كبير قلق، بكلِ تأكيد، إذ عندنا سيكون إذّاك شيء آخر نفكّر فيه...

أتريدين معرفة ما إذا كنتُ أشعر بالفرج لذهابي إلى الجنة؟ سيكون فرحي كبيراً ان ذهبت إليها... لكنني لا أعتمد على المرض، فهو سائق شديد البطء. لم أعُد اعتمد إلّا على الحبّ، فأطلبي إلى يسوع الرحوم أن تزيد جميع الصلوات التي تقام لأجلي، من ضرام النار التي ستتلفني.

أعتقد أنّكِ لن تتمكّني من قراءتي. آسفة! فلم يكن لديّ إلّا بضع دقائق.

الرسالة ٢٤٣ إلى الأخت جنڤياف

ي.م.ي.ت.

٧ حزيران/يونيو ١٨٩٧

يا أختي الحبيبة، لا نطلبنَّ أبداً ما هو عظيم في عيون المخلوقات. إنَّ سليمان، أحكمَ ملوكِ الارضِ على الاطلاق، اذ تأمّلَ مختلف **أعمال البشر تحت الشمس** (**جامعة** ٢/١١)، كالرسم والنحت والفنون كلها، فهمَ أنَّ جميع هذه الأشياء كانت موضع حسد، فهتف أنّها ليست **إلّا باطلاً وكآبة الروح** (**جامعة** ٤/٤)!...

إن الشيءَ الوحيد الذي لن يكون مطلقاً موضع حسدٍ هو المقعد الأخير. فالشيء الوحيد الذي لن يكون باطلاً وكآبة الروح ابداً، إنما هو المقعد الاخير. (**لوقا** ١٤/١٠)

ومع ذلك، **فليس للإنسان سلطان على طريقه** (**إرميا** ١٠/٢٣)؛ وأحياناً نشتهي فجأة ما برّاق. لنقف عندئذٍ، متّضعين بين مَنْ لا كمال فيهم، ولْنعتبر ذواتِنا نفوساً صغيرةً يجب أن يساندها الله في كلِّ لحظة؛ فحين يرانا مقتنعين أننا عدم، سيمدّ لنا يده؛ وإذا أردنا، بعد، أن نحاول عمل شيءٍ عظيم ولو بحجة الاندفاع الى العمل، فيسوع الصالح يتركنا وحدنا. **لكن ما إن زلّت قدمي، عضدتني، يا ربّ، رحمتك!**... (**مزمور** ٩٣/١٨). نعم، يكفي الإنسان أن يتّضع، وأن يتحمّل نقائصه بوادعة. ها هي القداسة الحقيقية! لنمسك بيد بعضنا، يا أختِي الحبيبة، ولنهرع إلى المقعد الأخير... فلن يأتي أحد لينازعنا عليه...

الرسالة ٢٤٤ إلى الأب بلّيير

ي.م.ي.ت.

٩ حزيران/يونيو ١٨٩٧

أُخيّ العزيز، لقد استلمت رسالتك هذا الصباح، وأغتنم فرصة غياب الممرّضة لأكتب لك كلمةَ وداعٍ صغيرة وأخيرة. فعندما تصلك أكون قد غادرت أرضَ المنفى... وستكون أُخيّتك متّحدة بيسوعها للأبد؛ وعندئذٍ، ستستطيع أن تنال لك النعم، وتحلِّقَ معك في الرسالات البعيدة.

يا أُخيّ العزيز، كم أنا سعيدة بأن أموت!... نعم أنا سعيدة، لا لأنّني سأنعتق من آلام الأرض (فالألم، على العكس، هو الشيء الوحيد الذي إخالني أتوق اليه في وادي الدموع)، بل لأنّني أشعر جيّداً بأنَّ هذه هي مشيئة الله تعالى.

إنَّ أمنا الطيبة تودّ أن تبقيني على الأرض؛ وفي هذه اللحظة تقام لاجلي تساعية قداسات في كنيسة سيدة الانتصارات[١] لقد سبق لها ان شفتني في طفولتي؛[٢] لكنّي أعتقد أنَّ الأعجوبة التي ستحقّقها لن تكون سوى تعزية الأم التي تحبّني بكثير من الحنان.

أُخيّ العزيز، قبيل المثول أمام الله، أفهم، أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، أن ليس هناك إلّا حاجة واحدة ماسة، وهي أن نعملَ فقط لأجله وألّا نفعل شيئاً لأجلنا ولا لأجل المخلوقات.

إن يسوع يريد أن يملك قلبكَ تماماً، ويريد أن تكون قديساً كبيراً. لذا يجب عليك أن تتألّم كثيراً (لوقا ٢٦/٢٤). ولكن أيُّ فرح سيغمر نفسَك عندما ستصل إلى اللحظة السعيدة، لحظة دخولك الحياة الأبدية؟.. يا أخي، سأذهبُ قريباً إلى جميع أصدقائك في السماء، وأهدي اليهم حبَّك وأتضرّع إليهم لكي يحموك. - أخيَّ العزيز، أريد ان أقول لك ألفَ شيء أفهمه، كوني على باب الأبدية؛ فأنا لا أموت بل أدخل الحياة؛ وكلَّ ما يمكنني قوله لك على الأرض، سأجعلك تفهمه من أعالي السموات.

---

(١) معبد في باريس عزيز على آل مرتان وغيران.

(٢) في ١٣ أيار/مايو ١٨٨٣. **مخطوط** أ ص ٣٠ ي.

أستودعك الله، يا أُخيّ، وصلِّ لأجل أُخيّتك التي تقول لك: إلى لقاء قريب في السماء!...

تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ٢٤٥ إلى الأم أنييس ليسوع، والأخت ماري للقلب الأقدس والأخت جنفياف[١].

حزيران/يونيو ١٨٩٧

وجه الصفحة

في الأعلى

لا تبكين عليَّ، لأنّي في السماء مع الحمل والعذارى القديسات[٢]!...

في الأسفل

أرى ما آمنتُ به،
أملك ما رجوته،
أنا متَّحدةٌ بمن أحببت
بكلِّ قدرتي على الحبّ[٣].

من كل جانب

إنَّ أصغر حركة من الحبِّ الخالص هي أنفع للكنيسة من كل الأعمال الأخرى

(١) نصوص كتبتها تريز على صورة، كذكرى وداع.
(٢) اقتباس من فرض القديسة انييس.
(٣) تسبحة من الفرض نفسه.

مجتمعة! فمن الأهميّة بمكان ان تتمرَّس النفس بالحبّ كثيراً حتى إذا فنيت بسرعة لا تتوقّف على الأرض مطلقاً، بل تعجّل في رؤية إلهها وجهاً لوجه[٤].

(القديس يوحنا الصليب)

قفا الصفحة

لا أجد على الأرض شيئاً يجعلني سعيدة. فقلبي كبير جدّاً ولا شيء يرضيه مما ندعوه غبطةً في هذا العالم. فكري يحلّق باتجاه الأبدية، والزمن سينتهي! ... وقلبي هادئ كبحيرة ساكنة أو كسماء صافية. لست آسفةً على حياة هذا العالم، فقلبي عَطِش الى مياه الحياة الأبدية!... بعد قليل، تترك نفسي الأرض، وتُنهي غربتها... فأصعد إلى السماء... وألامس الوطن، وأنتصر!.. أدخل مقامَ المختارين، وأرى جمالات **لم تَرَها عين بشر**، وأسمع ألحاناً **ما سمَعت بها أذن**، وأتمتّع بأفراحٍ **ما ذاقها القلب قط** (**١ قورنتس ٢/ ٩**)... ها أنا قد وصلتُ إلى تلك الساعة التي تاقت إليها كل واحدة منّا كثيراً!.. إنَّه لصحيحٌ فعلاً **أنَّ الله اختار الضعفاء ليخزي الاقوياء في هذا العالم** (**١ قورنتس ١/ ٢٧**)... فأنا لا أتكلُ على قواي الذاتية بل على قوة الذي **غلبَ القوى الجهنمية على الصليب** (**قولسي ٢/ ١٤– ١٥**). أنا زهرة ربيعية يقطفها مالك البستان لمتعته ... ونحن جميعاً أزهار مزروعة في هذه الأرض، يقطفها الله في حينه، في وقت مبكر، او في وقت متأخر... وأنا الصغيرة السريعة الزوال، أولُ الذاهبين! فسنلتقي يوماً في الجنّة، وسننعم بالسعادة الحقيقية!...

(تريز الطفل يسوع مستعيرةً أفكار الشهيد الملائكي تيوفان ڤينار[٥]).

---

(٤) **شعلة الحبّ الحية**، المقطع الأول، شرح البيت ٦.

(٥) إستعارات من الرسائل التي كتبها الشهيد خلال فترة سجنه، بين فترة توقيفه (١٨٦٠/١١/٣٠) وقطع رأسه (١٨٦١/٢/٢)؛ وقد أدخلت عليها تعديلاتٍ طفيفة مناسبة لحالتها.

الرسالة ٢٤٦ إلى الأخت ماري للثالوث

١٣ حزيران/يونيو ١٨٩٧

فليجد الطفلُ الإلهي يسوع في نفسك مُقاماً مطيَّباً بورود الحبّ، وليجدْ فيها أيضاً شعلةَ المحبة الأخوية المضطرمة التي ستُدفئُ أعضاءه الصغيرة الباردة، وستُفرح قلبه الصغير، إذ تنسيه عقوق النفوس التي لا تحبّه حبّاً كافياً.

الأخت تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
ر. ك. غ. م.
(١٣ حزيران/يونيو ١٨٩٧[١]).

الرسالة ٢٤٧ إلى الأب بلّيير

ي.م.ي.ت.

٢١ حزيران/يونيو ١٨٩٧

كرمل ليزيو

يسوع +

أخيَّ العزيز،

لقد شكرتُ معك، ربّنا على النعمة الكبيرة التي تنازلَ وأنعمَ عليك بها يوم العنصرة[١]، ففي ذاك العيد الجميل (منذ عشر سنوات)، حصلتُ أنا، ايضاً، على الاذن، ليس من مرشدي، بل من والديَّ، بأن أصير رسولةً في الكرمل[٢]. وهذا شيء آخر يقرِّبُ ما بين نفسينا.

---

(١) وهو أحد الثالوث، أي عيد الأخت ماري للثالوث. والنص مكتوبٌ على قفا صورة.

<u>الرسالة ٢٤٧</u>

(١) في ٧ حزيران، إثنين العنصرة، كتب الأب بلّيير Bellière إلى تريز: «أمس، يا أختي الغالية، لحظة كان الروح القدس ينزل على الرسل بنوره وقوته، كنتُ أتلقى أوامره من فم مرشدي؛ بمعنى آخر كنت أتلقى قراراً شبه نهائي عن دعوتي وكنتُ أسمع هذا الكلام: دعوتك جادّة...»

(٢) ٢٩ أيار/مايو ١٨٨٧. (**مخطوط** ص ٥٠ ي).

يا أُخيَّ، أرجوك، لا تعتقد أبداً أنَّك تضجرني، أو تلهيني وانت تحدثني عن نفسك. هل يمكن لأختٍ ألَّا تهتمّ بكلِّ ما يعني أخاها؟ أما بالنسبة الى ما يلهيني، فلا شيءَ تخشاه؛ بل على العكس، إن رسائلك تزيدني اتحاداً بالله اذ تجعلني أتأمل عن قرب عجائب رحمته وحبّه.

قد يحلو ليسوع أحياناً أن **يكشفَ أسراره للصغار** (**لوقا** ١٠/ ٢١)، والبرهان، هو أنَّه بعد قراءة رسالتك الأولى بتاريخ ١٥/١٠/٩٥، فكّرتُ في الشيء نفسه الذي قاله مرشدك: أنتَ لا تستطيع أن تكون نصف قديس، فعليك أن تكونه كاملاً أو الّا تكون. - فشعرت بأنَّك تتمتّع حتماً بنفسٍ قوية؛ ولهذا السبب كنت سعيدة بأن أصبح أختك.

لا تعتقد أنَّك تخيفني بحديثك عن «سنواتك الجميلة الضائعة». أنا أشكر يسوع على أنَّه نظر إليك نظرة حبّ كما فعل في ما مضى مع الشاب المذكور في الإنجيل (**مرقس** ١٠/ ٢١). فأنتَ أسعد منه لأنك لبّيت نداء المعلم بأمانة، وتركتَ كلَّ شيء لتتبعه، وذلك، في ألق الفتوّة، وفي عمر ١٨ سنة. آه! يا أخي، بإمكانك مثلي **أن تترنّم برحمة الرب**، فهي تشعّ فيك بكل إشراقها (**مز** ٨٨/ ٢)... أنتَ تحبُّ القديس أوغسطينوس والقديسة المجدلية؛ وتحبّ هاتين النفسين اللتين «**غُفرت لهما خطايا كثيرة لأنَّهما قد أحبَّتا كثيراً**» (**لوقا** ٧/ ٤٧). وأنا، أيضاً أحبّهما، وأحبُّ توبتهما، وخاصةً... جرأتهما المُحبّة! فعندما أرى المجدلية تتقدّم أمام المدعوين العديدين، تَبُلُّ قدمي المعلم المعبود بدموعها، وتلمسه للمرّة الأولى (**لوقا** ٧/٣٦-٣٨)، أشعر بأنَّ قلبها فهمَ اغوارَ حبّ قلب يسوع ورحمته، وبأنَّ كل خاطئة تملك قلب الحبِّ هذا، ليست مُعدّة فقط لأن يَغفر لها، بل أن يُغدِق عليها نِعَمة العلاقة الالهية الحميمة، وأن يرفعها إلى أعلى ذرى المشاهدة.

آه! يا أخي العزيز، منذ أن أُعطي لي فهمُ حبِّ يسوع بهذا القدر، أعترف بأنَّه طرد من قلبي كلَّ خوف. إنَّ ذكرى أخطائي تُذلُّني، وتحملني على ألَّا أعتمد أبداً على قوَّتي التي ليست إلَّا ضعفاً. بل أكثر من ذلك، إن هذه الذكرى تُحدِّثني عن الرحمة والحبّ.

فعندما نرمي بخطايانا، بثقة بنوية تامة، في مَجْمرة الحبّ الآكِل، كيف لها ألّا تُتلَفَ بلا رجوع؟

أعرف أنَّ هناك قديسين أمضوا حياتهم في مزاولة الاماتات المدهشة للتكفير عن

خطاياهم. لكن ماذا نفعل؟ **ففي بيت الآب السماوي منازلُ كثيرة (يوحنا ١٤/٢)**. لقد قال يسوع ذلك، ومن أجل ذلك، أنا أتبع الطريق الذي يشقّه لي. أحاول ألّا أنشغل بذاتي في شيء؛ وما يتنازل يسوع ويفعله في نفسي، فأنا أتركه له، لأنّني لم أختر حياة متقشّفة لأكفِّر عن خطاياي، بل عن خطايا الآخرين.

أعدت قراءة كلمتي الصغيرة قبل قليل، فأسأل نفسي إذا كنتَ ستفهمني، لأنّني عبّرت بشكل سيء جداً. لا تعتقد أنّني أستنكر الندمَ الذي تشعر به على خطاياك، ورغبتَك في التكفير عنها. آه! لا! أنا بعيدة عن ذلك جداً. لكن كما تعلم: نحن الآن إثنان، والعمل سيتمّ بسرعة أكبر (وأنا بطريقتي سأعمل أكثر منك). لذلك آمل أن يجعلك يسوع يوماً تسير عبر الطريق نفسه الذي أسير أنا فيه.

أغفر لي، يا أُخيّ العزيز. فلا أدري ما يحدث لي اليوم، لأنّني أقول فعلاً ما لا أريد قوله. لم يعد عندي مكان لأردَّ على رسالتك، فسأفعل ذلك مرّة أخرى. أشكرك على تواريخك، لقد احتفلت قبلاً بعامك الثالث والعشرين[٣]. إنّني أصلي من أجل والديك اللذين انتزعهما الله من هذا العالم، ولا أنسى الأم التي تحبّها[٤].

أخيتك غير المستحقة
تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ٢٤٨ إلى ليوني

ي.م.ي.ت.

نهاية حزيران/يونيو (؟) ١٨٩٧

عزيزتي الصغيرة ليوني

أنا متأثرة اشدّ التأثر بإسراعِك الى إرضائي. فأشكرك من كل قلبي وأنا مفتونة بالغطاء الصغير الذي صنعتِه لي. إنّه كما كنتُ أرغبه...

---

(٣) في ١٠ حزيران/يونيو.
(٤) خالته، السيّدة بارتيليمي Barthélemy.

سأقوم بالمناولة لأجلك غداً.

أحبّك وأعانقك

أخيتك
تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ٢٤٩ إلى الأخت ماري للثالوث[1]. (مقاطع).

ي.م.ي.ت.

منتصف تموز/يوليو (؟) ١٨٩٧

أخيّتي العزيزة،

لا أريد أن تكوني حزينة. تعرفين أيَّ كمال أحلم به لنفسك،

(...)

إني أشفق على ضعفك (...) فلكِ يجب أن نقول فوراً ما نفكّر فيه –

(...)

يجب ان تُفهمك غرفة التمريض أنّه سيكون أصعبَ عليك الحصول على الأذن بالمجيء بعد صلاة الليل.

(...)

الشيطان يبتعد...

والآن لا...

(...)

(١) باحت صاحبة العلاقة قائلةً: «في احد الايام، بلغ بي الالم والصراع من جرّاء ابعادي عنها (تريز) حَدّاً جعلني أذهب إلى غرفة التمريض وأقول شكواي أمام إحدى أخواتها (...). وقد آلمت شكواي المرّة أمة الله، فصرفتني وهي تؤنّبي بشدّة لعدم شجاعتي. وفي المساء بعثت اليّ بهذه البطاقة». (راجع **مراسلات عامة**، ص ١٠٢٤) لكن البطاقة لم يُحفَظ منها إلا بعض الاسطر..:

فهمتُ معركتك، ولكنتُ عزّيتك بلطف لو لم تتكلّمي قبلاً على ذلك عالياً. لكن أنكِ...

(...)

إلى الملتقى، يا دميةً صغيرةً مسكينة عليَّ أن أقودها إلى السماء سريعاً! أن أملكها بكليتها...

الرسالة ٢٥٠ إلى الأخت ماري للقديس يوسف

ي.م.ي.ت.

تموز/يوليو (؟) ١٨٩٧

آمل أن تكون الأخت جنفياف قد عزّتك[١]. فالتفكير في أنه قد زال أَلَمُكِ هو ما يزيل ألمي... آه! كم سنسعد في السماء، حيث سنشارك في الكمالات الإلهية، وحيث سنستطيع أن نعطي لجميع الناس بدون ان نضطرَّ إلى حرمان أعزِّ أصدقائنا!... إنَّ الله قد فعل حسناً اذ لم يعطنا هذه القدرة على الأرض، فقد تنتفي رغبتنا في تركها؛ ومن جهة أخرى، من المفيد جدّاً الاعتراف بأنَّه هو وحده كامل، وهو وحده يجب ان يكفينا عندما يحلو له ان ينزع الغصن الذي كان يحمل العصفور الصغير! إنَّ للعصفور أجنحة، وقد خُلق لكي يطير[٢]! -

الرسالة ٢٥١ إلى الأخت مرتا ليسوع

ي.م.ي.ت.

حزيران - تموز/يونيو(؟) - يوليو ١٨٩٧

يجب ألّا تكون عروس المسيح حزينة، لأنَّ ذلك يحزن يسوع أيضاً؛ وعليها دائماً أن

---

(١) الاخت جنفياف الممرّضة تقوم بنوع من الحراسة عند غرفة التمريض.

(٢) الغصن هو تريز، طبعاً، والعصفور هو الأخت ماري للقديس يوسف.

ترنّم في قلبها نشيد الحبّ، وعليها أن تنسى آلامها الصغيرة لتعزّيَ عريسها في آلامه الكبيرة.

يا أختي الحبيبة، لا تكوني طفلة حزينة عندما ترين انهم لا يفهمونك او يحكمون عليك سوءاً او ينسونك. لكن نالي من الجميع بأن تحاولي أن تفعلي مثل الآخرين أو بالأحرى أن تعملي لنفسِك ما يفعله الآخرون لك، اي انسيَ كلَّ ما ليس يسوع؛ وانسي نفسَك من أجل حبّه!... أخيَّتي الحبيبة، لا تقولي إنَّ هذا صعبٌ؛ إن قلتُ ذلك، فالخطأ خطأك. لقد قلتِ لي إنَّك تُحبّين يسوع كثيراً، ولا شيء يبدو مستحيلاً على النفس التي تحبّ[1]...

ثقي بأنَّ كلمتك الصغيرة قد راقتني كثيراً!..

الرسالة ٢٥٢ إلى الأم أنييس ليسوع

١٧ تموز/يوليو ١٨٩٧

أحبُّك كثيراً، يا أُميمتي، وسترين ذلك قريباً!... آه! نعم!...

الرسالة ٢٥٣ إلى الأب بلّيير[1]

ي.م.ي.ت.

١٣ تموز/يوليو ١٨٩٧

يسوع +

أخيّ العزيز،

عندما ستقرأ هذه الرسالة الصغيرة، ربّما أكون قد رحلت عن الأرض، الى حضن

---

(١) راجع **الاقتداء** ج ٣، ٥. ٤.

الرسالة ٢٥٣

(١) هذه الرسالة تكرار لبطاقة الوداع السابقة (الرسالة ٢٤٤).

الأطايب الأبدية! لا أعرف المستقبل، لكنّي أستطيع أن أؤكِّدَ لك أنَّ العريس هو على الباب، ولا بدَّ من أعجوبة تُبقيني في المنفى. ولا أتصوّر أنَّ يسوع يحقِّق هذه الأعجوبة غير المجدية.

يا أخي الصغير الحبيب، كم أنا سعيدة بأن أموت! نعم أنا سعيدة، ليس لأني انعتقت من آلام الدنيا (إنَّ الألم المتّحد بالحبّ هو، على العكس، الشيءُ الوحيد الذي يبدو لي أهلاً لأن يكون موضوع رغبتي في وادي الدموع). يسعدني أن أموت، لأنّني أشعر بأنَّ هذه هي مشيئة الله، وأني سأكون نافعة للنفوس العزيزة علي، ولنفسك أنتَ بصورة خاصة، اكثر بكثير مما انا في هذه الدنيا. لقد طلبتَ في رسالتك الأخيرة إلى أمنا أن أكتب إليك غالباً في أثناء العطلة. وإذا شاء الربّ أن يطيل حجّي لبضعة أسابيع، وإذا سمحت أمنا الطيبة بذلك، فسأستطيع أن أسوِّدَ، بعدُ، بعض الكلمات الصغيرة كهذه الكلمة؛ لكن من الأرجح أنَّ ما سأفعله سيفوق الكتابة إلى أخي العزيز وحتى التحدُّثَ إليه بلغة الأرض المتعبة: سأكون قريبةً منه جدّاً، وسأرى كل ما هو ضروري له، ولن أدع الله يستريح حتى يعطيني كل ما أريده!... وعندما سيرحل اخي العزيز إلى إفريقيا، سأتبعه، ولكن ليس بالفكر، بل بالصلاة، وستكون نفسي دائماً معه، وسيعرف إيمانه كيف يكتشف حضور أخيّة أعطاهُ إيّاها يسوع لا لتكون سنده خلال سنتين او أقل، لكن حتى آخر يوم من حياته.

كل هذه الوعود، يا أخي، ربّما تبدو لك وهمية؛ ومع ذلك آن لك ان تعرف أنَّ الله عاملني دائماً كطفل مُدلل؛ صحيح أنَّ صليبه تبعني منذ المهد؛ لكن هذا الصليب جعلني يسوع أحبّه بشغف. لقد جعلني دائماً أرغب في كل ما كان يشاء أن يهبه لي. أفسيبدأ في السماء بعدم ارضاء رغباتي؟ حقّاً، لا أستطيع تصديق ذلك، وأقول لك: «قريباً، يا أخي، سأكون بجوارك.»

آه! أتوسَّل إليك، صلّي كثيراً لأجلي؛ فإني بأمس الحاجة الى الصلوات في هذه الفترة، لكن صلِّ خاصةً لأجل أمِّنا، فقد كان بودّها أن تبقيني في الدنيا بعدُ مدة اطول. وحتى تنال ذلك، اقامت الأم الموقّرة تساعية قداديس في كنيسة سيّدة الانتصارات التي سبق لها أن شفتني في طفولتي؛ لكنّي إذ شعرت بأنَّ الأعجوبة لن تحصل، طلبتُ الى

القديسة العذراء أن تعزّي قليلاً قلب أمي، أو بالأحرى أن تجعلها ترضى بأن يحملني يسوع إلى السماء، فاستجيب طلبي.

أستودعك الله، أخي الصغير، وإلى اللقاء قريباً في السماء الجميلة.

تريز الطفل يسوع للوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ٢٥٤ إلى الأب رولان

ي.م.ي.ت.

١٤ تموز/يوليو ١٨٩٧

كرمل ليزيو

يسوع +

أخي،

تقول لي في رسالتك الأخيرة (التي فرّحتني كثيراً): «أنا طفل يتعلّم الكلام». حسناً، أنا ايضاً طفلة، منذ خمسة أو ستة أسابيع، لأنّني لا أحيا إلّا من اللبن[1]، ولكنني سأجلس قريباً الى **المائدة السماوية** (**لوقا** ٢٢/ ٣٠)، وسأرتوي **من ينابيع ماء الحياة الأبدية!** (**رؤيا** ٧/ ١٧). عندما ستستلم هذه الرسالة، سأكون قد تركت الأرض بدون شك؛ ويكون الربّ، برحمته اللامتناهية، قد فَتَحَ لي ملكوتَه، فأستطيع أن أغرفَ من كنوزه لأُغدقها على النفوس العزيزة عليَّ. ثِق، يا أخي، بأنَّ أُخيّتك ستفي بوعودها، وستطير نفسُها السعيدة، المنعتقة من ثقل الغلاف الفاني، الى المناطق البعيدة التي تُبشّرها أنت. آه! يا أخي، إني أحسّ بأني، سأكون، فعلاً، أكثر نفعاً لك في السماء ممّا انا على الأرض؛ ولذلك أنا سعيدة بأني أبلغك دخولي القريب إلى تلك المدينة الطوباوية، مع يقيني من أنَّك ستشاركني فرحي وستشكر الرب على أنه أعطاني الوسائل لمساعدتك، بفعالية أكبر، في أعمالك الرسولية.

---

(١) خضعتِ تريز لبرنامج تغذية يعتمد على اللبن الحليب.

لقد عقدت النية على أن لا أبقى ساكنة في السماء، ورغبتي هي في أن أتابع العمل لأجل الكنيسة والنفوس. سأطلب ذلك من الله، ويقيني أنَّه سيستجيب لي. أليست الملائكة مشغولة بنا باستمرار من دون أن تتوقّف أبداً عن مشاهدة الوجه الإلهي (متى ١٨/ ١٠)، وعن التلاشي في محيط الحبّ الذي لا شواطئ له؟ ولأي سبب قد لا يسمح يسوع بالاقتداء بهم؟

يا أخي، ها إنك ترى أنّني إذ تركت منذ الآن ساحةَ المعركة، فليس لرغبةٍ أنانية في أن أستريح. إنَّ تصوّر السعادة الأبدية يكاد لا يُثلِجُ قلبي؛ فمنذ زمن طويل، قد صار الألمُ سمائي في الدنيا، ويشقُّ عليَّ ان اتصوَّر كيف أستطيع التأقلم في بلدٍ يسود فيه الفرحُ الخالي من أية مسحة حزن. فعلى يسوع أن يحوِّل نفسي ويمنحها القدرة على التنعّم؛ وبخلاف ذلك لن أستطيع تحمّل الأطايب الأبدية.

وإنَّ ما يجذبني نحو وطن السموات، انما هو نداءُ الرب، والأملُ بأن أحبَّه اخيراً كما تشوّقت اليه طويلاً، والتفكيرُ في أنَّني سأستطيع أن أجعل عدداً لا يحصى من النفوس يُحبّه ويباركه إلى الأبد.

يا أخي، ليس لديك وقت لترسل اليّ ما تطلب من السماء؛ لكنّي أحزرُها. فما عليك إلَّا أن تقولها لي همساً، لأسمعك، فأحملها بأمانةٍ إلى الربّ، وإلى أمنا الطاهرة، وإلى الملائكة وإلى القديسين الذين تُحبّهم. وسأطلب لك سعفةَ الشهادة، وسأكون بالقرب منك، وسأسند يدك حتى تقطف تلك السعفة المجيدة بدون جهد، ثم نحلّق معاً بحبور إلى الوطن السماوي، مُحاطَين بجميع النفوس التي كسبتَها!

إلى الملتقى، يا أخي، فصلِّ من أجل أختك، وصلِّ من أجل أمِّنا التي يشقّ جداً على قلبها الرقيق الوالدي أن يقبل برحيلي. فأوكل اليك تعزيَتها.

أنا للأبد أُخيّتك
تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ٢٥٥ إلى السيّد والسيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

١٦ تموز/يوليو ١٨٩٧

يسوع

خالي العزيز وامرأة خالي العزيزة،

يسعدني جدّاً بأن أثبت لكما أنَّ صغيرتكما تريز لم تترك المنفى بعد، لأنَّني أعلم أنَّ هذا الخبر يسركما. غير اني إخال، يا قريبيَّ الحبيبين، أنَّ فرحكما سيكون أكبرَ عندما تحسّان نفسي بالقرب من نفسيكما بدلاً من قراءة بعض الأسطر التي أخطها بيد مرتجفة. آه! أنا متأكدة من ذلك؛ فالله سيسمح لي بأن أسكبَ نعمه بملء يديَّ عليكما وعلى أخيّتي جانّ وعزيزها فرانسيس. فسأختار لهما أجمل كاروبيم في السماء، وسأطلب إلى يسوع الصالح أن يعطيه لجانّ حتى يصبح «حبراً وقديساً كبيراً»[1]. وإن لم أُستجَبْ، فعلى أُخيّتي العزيزة حقاً أن تُقلع عن الرغبة في أن تكون أُماً في الدنيا؛ ولكن يمكنها أن تنعم بتفكيرها في أنّه في السماء يمنحها الربُّ الفرح بأن ترى نفسَها **أمًّا لبنين كثيرين** (**مزمور** ٩/١١٢)، كما وعد بذلك الروح القدس مرنّماً بفم الملك النبي الكلمات الذي كتبتها للتو. - هؤلاء البنون سيكونون النفوس التي تلدها لحياة النعمة تضحيتُها المقبولة بفرح. لكنّي آمل ان أحصل على شاروبيمي، اي على نفسٍ صغيرة تكون نسخةً عنه، لأنّه، يا للأسف! لن يقبل أيُّ شاروبيم بأن يُنفى، حتى وإن كان ذلك لتلقّي المداعبات الوالدية العذبة!...

أرى أنّني في رسالتي، لن يتاح لي أبداً ان اقول كل ما أريد قوله: فقد كنتُ أريد، يا قريبيَّ العزيزين، أن أتحدّث إليكما مفصلاً عن مناولتي في هذا الصباح، فقد جعلتماها مؤثِّرة للغاية أو بالأحرى مدعاةً للفخر بباقاتكما المُزهرة. فأترك أخيّتي العزيزة مريم للأفخارستيا تروي التفاصيل لكما، واكتفي بالقول إنَّها رنّمت قبل المناولة مقطعاً صغيراً

(١) راجع **الرسالة** ١٥٢، الملاحظة ٢.

كنتُ قد نظمته لذاك الصباح. فعندما صار يسوع في قلبي، رنَّمت ثانيةً هذا المقطع من العيش بالحب:

«الموت حبّاً هو استشهادٌ عذب». لا أستطيع القول لكما كم كان صوتها عالياً وجميلاً، وكانت قد وعدتني بألّا تبكي إرضاء لي؛ ففاق ذلك آمالي كلّها بكثير. ولا بدَّ من أن يكون يسوع قد سمع وفهم تماماً ما أنتظره منه؛ فهذا بالضبط ما كنت أريده!...

اعرف أنَّ أخواتي قد تحدَّثن إليكما عن مَرَحي: صحيحٌ أنّني أشبه البرقش[٢] إلا عندما أُصاب بالحمّى. ولحسن الحظ أنّها لا تأتي لزيارتي عادةَ إلّا في المساء، وعندما تنام البراقش، ورؤوسها مُخبأة تحت أجنحتها. ما كنتُ لافرح بهذا المقدار لو يُرني الله أنَّ الفرحَ الوحيد على الأرض هو أن أُتِمَّ مشيئته. ففي احد الايام، خِلتُني امام باب السماء، لما بدا على السيّد دى كورنيير من ذعر. وفي اليوم التالي خرج من عندي قائلاً: ها أنتِ في طريق الشفاء... وفي رأيي، أنا طفلةَ اللبن الصغيرة، أنّني لن أُشفى، بل قد أجرجر طويلاً - أستودعكما الله، يا قريبَيَّ العزيزين، ولن أعبّر لكما عن محبتي إلّا في السماء، لأن قلمي لن يستطيع ترجمة محبَّتي طالما انني أتأخر في الرحيل.

صغيرتكما
تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ٢٥٦ إلى الأخت مرتا ليسوع

ي.م.ي.ت.

١٦ (؟) تموز/يوليو ١٨٩٧

يا أخيَّتي العزيزة، أتذكّر في هذه اللحظة أنّني لم أعايدك بذكرى مولدك. آه! صدّقيني أنّه نسيانٌ يمزّق قلبي، وكنتُ أجدُ في هذه المعايدة فرحاً كبيراً. وكنتُ أريد أن

---

(٢) عصفور Pinson.

أقدّم لكِ صلاةً لنيل التواضع[١]، التي لم تنته إعادة نسخها بعد، ولكن سوف تحصلين عليها قريباً. توأمك الصغيرة[٢] التي لا تستطيع النوم إن لم ترسل اليكِ هذه الكلمة الصغيرة.

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة.

الرسالة ٢٥٧ إلى ليوني
ي.م.ي.ت.

١٧ تموز/يوليو ١٨٩٧

يسوع +

عزيزتي ليوني

يسعدني جداً أنّي ما زلت أستطيع التحدث إليك. فمنذ بضعة أيام فقدت الأمل بالحصول على هذه التعزية على الأرض؛ لكن يَظهر أنَّ الله شاء أن يطيل منفاي قليلاً. ولا يحزنني ذلك لأنّني لا أريد أبداً أن استبقَ بدقيقةٍ واحدة، دخول السماء بإرادتي الذاتية. فسعادتي الوحيدة على الأرض هي الدأب المستمرّ في أن استعذب النصيبَ (**مزمور ١٥/٦**) الذي يهبه لنا يسوع. نصيبُك جميلٌ فعلاً، يا أخيّتي العزيزة؛ فإن شئتِ أن تكوني قديسةً، فسيكون الأمر سهلاً عليكِ، ما دام، في صميم قلبك، لا يساوي العالمُ شيئاً بالنسبة اليك. ويمكنك، إذاً، أن تنشغلي مثلنا «**بالحاجة إلى أمرٍ واحد**» (**لوقا ١٠/٤١**)، أي ان يكون هدفُك الوحيد إرضاءَ يسوع، والاتحادِ به اتحاداً اعمق، بينما تبذُلين ذاتك في الاعمال الخارجية.

تريدين أن أتضرّع في السماء إلى القلب الأقدس لأجلك، فتأكّدي من أنّني لن أنسى نقلَ توصياتك وسأطالب بكل ما يلزمك لتصبحي قديسةً كبيرة.

---

(١) ألفتها تريز وهي الصلاة ٢٠ في كتابنا.
(٢) بالنذر، لأنه يفصل بين ابرازهما النذور خمسة عشر يوماً.

أستودعك الله، يا أُخيّتي الحبيبة، وأريد ان يملأكِ حبوراً توقُّعُ دخولي الى السماء، إذ إنّني سأتمكّن من أن ازداد حبّاً لكِ.

أُخيّتك تريز الطفل يسوع.

سأكتب لك مطوَّلاً مرّة أخرى، فلا أستطيع ذلك الآن، لأن الطفل الصغير بحاجة إلى النوم.

الرسالة ٢٥٨ إلى الأب بلّيير

ي.م.ي.ت.

١٨ تموز/يوليو ١٨٩٧

يسوع +

أُخَيَّ العزيز المسكين

إنّ وجعَك يُؤثِّر فيَّ تأثيراً عميقاً[١]، لكن انظر كم أنَّ يسوع رحوم؛ فما زال يسمح بأن أستطيع الكتابة إليك لأحاولَ تَعزيتك، وبدون شك، ليس للمرّة الأخيرة. إن هذا المخلص الوديع يسمع تنهّداتك وصلواتك، ولهذا السبب يتركني، بعدُ، على الأرض. ولا تظن أن ذلك يكدّرني، آه! لا، يا أُخيَّ العزيز، لأنّني على العكس، أرى في معاملة يسوع هذه كم أنَّه يحبّك.

بدون شك، لقد أسأت التعبير عن رأيي في رسالتي الصغيرة الأخيرة، لأنَّك تقول لي يا أُخيَّ العزيز جداً، «بألَّا أطلب منك هذا الفرح الذي أشعر به باقتراب السعادة». آه! لو كنتَ تستطيع، لبعض اللحظات، أن تقرأ في نفسي، لكم كانت دهشتك عظيمة[٢]! إنَّ فكرة السعادة السماوية، إضافة إلى أنّها لا تسبِّب لي أيَّ فرح، فهي تجعلني أطرح على نفسي السؤال كيف سأتمكّن من أن أنعم بالسعادة بدون أن أتألم. إنَّ يسوع سيغيّر طبيعتي بدون شك؛ وإلَّا سآسف على الألم ووادي الدموع. لم أطلب قط إلى الله أن أموت

---

(١) كتب الاب بلّيير الى تريز يعبّر لها فيها عن حزنه ودموعه على فراقها.
(٢) إلماح إلى محنة الإيمان التي تعانيها تريز منذ خمسة عشر شهراً.

شابّة؛ فهذا كان سيبدو لي جبناً؛ لكنه، منذ طفولتي، تنازل وأعطاني اليقين العميق بأنَّ بقائي في الدنيا سيكون قصيراً. فالفكرة الوحيدة التي تشكِّل كل فرحي هي ان اتمّم مشيئة الرب.

يا أخيَّ الصغير، لكم أودُّ لو أسكب في نفسك طيبَ العزاء! فليس لي إلّا أن أستعيرَ كلام يسوع في العشاء الأخير، ولن يغتاظ من ذلك لأنني عروسه الصغيرة، وبالتالي ستكون خيراته لي. أقول لكَ، إذاً، كما قال، هو، لأصدقائه: «**إنّي ذاهبٌ إلى أبي، لكن عندما كلمّتم على هذا النحو ملأ الحزن قلبكم؛ غير أنّي أقول لكم الحق: إنَّه خيرٌ لكم أن أذهب** (**يوحنا** ١٦/٥-٧). **أنتم تحزنون الآن، ولكنّي سأعود فأراكم ويفرح قلبكم وما من أحدٍ يسلبكم هذا الفرح**» (**يوحنا** ١٦/٢٢).

نعم، أنا على يقين من ان كآبة أخي الصغير العزيز، ستتحوّل، بعد ولوجي الحياة، إلى فرحٍ هادئ لن يقدرَ أيُّ مخلوق على سلبه إيّاه. وأشعر بأنَّ علينا الذهابَ إلى السماء عبر ذاتِ الطريق، طريقِ الألم المتّحد بالحبّ. يا أُخيَّ نفسي العزيز، عندما سأبلغ الميناء، سأعلِّمك كيف عليك أن تُبحرَ في بحر العالم الهائج، باستسلام وحبٍّ مثل طفلٍ يعرف أنَّ أباه يحبّه ولن يتركه وحده في ساعة الخطر. آه! كم أريد أن أُفهمك حنانَ قلب يسوع وما ينتظر منك! وفي رسالتك المؤرخة بـ ١٤[٣]، دفعتَ قلبي لأن يختلج بهدوء، وفهمتُ أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، إلى أية درجةٍ نفسُك هي شقيقةُ نفسي، ما دامت مدعوةً الى الارتفاع نحو الله بواسطة مصعد الحبّ، وليس بتسلّق سلَّم الخوف القاسي... ولا يدهشني، بأيٍّ شكل من الاشكال، أن تبدو لك مزاولةُ الألفة مع يسوع على شيء من الصعوبة. فلا يمكننا التوصل إلى ذلك في يومٍ واحد. لكنّني على يقينٍ من أنّني سأساعدك مساعدة أكبر على السير في هذا الطريق العذب عندما سأنعتق من غلافي الدنيوي؛ وقريباً ستقول مثل القديس أوغسطينوس: «الحبّ هو الثقل الذي يجرّني[٤]».

أحاول أن أُفهمك بمقارنةٍ بسيطة جدّاً، كم يحبّ يسوع النفوس، حتى غير الكاملة، التي تستسلم إليه: أفترضُ أنَّ لأحد الآباء ولدين خبيثين وعاصيين، وعندما يأتي لمعاقبتهما، يرى أن أَحَدَهما يرتجف ويبتعد عنه مذعوراً، مع أنَّه يشعر في صميم قلبه بأنَّه يستحقّ

(٣) في الواقع، هو ١٥ تموز/يوليو.
(٤) **الاعترافات** ١٣، ٩.

العقاب؛ اما اخوه، وبعكسه، فيرتمي بين ذراعي والده قائلاً له إنَّه يتأسّف كونه أحزنه، وإنَّه يحبّه؛ وحتى يبرهن له عن ذلك، سيكون عاقلاً من الآن فصاعداً؛ ثمَّ إذا طلب هذا الولد إلى أبيه أن يقاصصه بقبلةٍ، فلا أعتقد أنَّ قلبَ هذا الأب السعيد يستطيع أن يقاوم ثقة ولده البنوية، وهو يعرف صدقَه ومحبته. ومع ذلك، فالأب لا يجهل أنَّ ابنه سيقع أكثر من مرّة في الأخطاء عينها؛ لكنّه مستعدٌ لأن يغفر له دائماً، إذا كان ولدُه يأسر قلبه دائماً... ولن أقول لك شيئاً عن الولد الأول، يا أخيَّ العزيز، فعليك انت أن تفهمَ إذا كان والده يستطيع أن يحبّه ذات الحبّ ويعاملَه بالحِلم معاملته الآخر.

لكن، لماذا أتحدّث إليك عن حياة الثقة والحبّ؟ إني أسيء التعبير بشكل يجعلني أنتظر السماء حتى أحادثك عن هذه الحياة السعيدة. فما كنتُ أريد عمله اليوم إنّما هو تعزيتك. آه! كم سأكون سعيدةً إذا تلقّيتَ موتي كما تتلقّاه الأم أنييس يسوع! إنك تجهلُ بدون شك، أنَّها أُختي مرّتين، وأنَّها قامت مقام أمي في طفولتي. وقد كانت أمُّنا[٥] الطيبة تخشى كثيراً أنَّ تجعل طبيعتُها الحساسة ومحبّتُها الكثيرة لي، رحيلي شديد المرارة عليها. والعكس هو ما حدث؛ فهي تتكلّم على موتي كما تتكلم على عيد، وهذا عزاءٌ كبير بالنسبة اليّ. فأرجوك، يا أخيَّ العزيز، حاول مثلها أن تقنعَ نفسك بأنك بدلاً من أن تفقدني ستلتقي بي، وأني لن أتركَك بعدها. أُطلب النعمة نفسها للأم التي تحبّها والتي أحبّها أكثر ممّا تحبّها إذ إنّها يسوعي المنظور. - كنت لِأعطيَك بفرح ما تطلبه لو لم أنذر الفقر؛ فبسببه، لا أستطيع التصرّف حتى بصورة؛ فأمّنا، وحدها، هي التي تقدر على إرضائك، وأعرف أنَّها ستلبّي رغباتك. ونظراً لموتي القريب، فقد صوَّرتني إحدى الأخوات بمناسبة عيد أمّنا. وقد هتفت المبتدئات عند رؤيتي وقلن إنَّني استعدت هيئتي السابقة[٦]، والظاهر أنَّني عادة اكثر ابتساماً؛ لكن يا أخيَّ، إذا كانت صورتي لا تبتسم لك، فإنَّ نفسي لن تتوقّف عن الابتسام عندما تصير بالقرب منك. أستودعك الله يا أخي العزيز والمحبوب، وثق بأنّني سأكون للأبد أُختك الحقيقية.

تريز الطفل يسوع
الراهبة الكرملية غير المستحقة

---

(٥) الام ماري دي غونزاغ.

(٦) «وجه تريز ليزيو»، رقم ٤٣، لقطة ٧ حزيران الثالثة.

الرسالة ٢٥٩ إلى الأخت جنڤياڤ

ي.م.ي.ت.

٢٢ تموز/يوليو ١٨٩٧
عيد القديسة مادلين

يسوع +

«لِيُقَرِّعْني الصِدّيق رحمة بالخطأة، والدهنُ الذي يطيّب الرأس لا يطرِّيَنّ رأسي» (**مزمور** ١٤٠/٥).

لا يمكن أن يُقرِّعني ولا أن يجرِّبني غير الصدّيقين، ما دامت أخواتي جميعاً ينلنَ رضى الله. إنَّه أقل مرارة أن يُقرِّعني خاطئ من أن يقرِّعني صدِّيق؛ إنَّما رحمةً بالخطأة، ولِنيل اهتدائهم، أطلب منك، يا إلهي، ان تُقرّعني النفوس الصدِّيقة التي تحيط بي عوضاً عنهم. أطلبُ منك أيضاً، ألّا يلينَّ رأسي، يعني روحي، دهنُ المدائح العذبة جدّاً على الطبع، فيجعلني أصدِّقُ أنَّني أملك فضائل لم ازاولها الا بضع مرات. يا يسوع، اسمُك مثل دهنٍ مُهراقٍ (**نشيد الأناشيد** ١/٢). وفي هذا الطيب الإلهي أريد أن اغتسل كلّي، بعيدة عن نظر المخلوقات ...

الرسالة ٢٦٠ إلى السيّد والسيّدة غيران

ي.م.ي.ت.

٢٤-٢٥ تموز/يوليو ١٨٩٧

الصغيرة تريز تشكر كثيراً امرأة خالها العزيزة على الرسالة الجميلة التي أرسلتها إليها، وتشكر كذلك خالها العزيز على رغبته في أن يكتبَ اليها، وأختها ليوني التي خلبتها بتخلّيها وعاطفتها الصادقة.

والصغيرة تريز ترسل بهداياها إلى جميع أهلها (للأسف إنَّها أزهار زائلة مثلها...).

(إيضاحات خطيرة بشأن توزيع الأزهار)

هناك زهرة من زهرات الثالوث[١] لخالي واخرى لامرأة خالي، من دون أن نَعُدَّ كل الزهرات التي تتفتّح من أجلهما في بستان قلبي الصغير.

بُرعمَا الورد هما لجانّ وفرانسيس، والبرعم الوحيد اهديه الى ليوني.

بهذه الأزهار، تريد الصغيرة تريز أن ترسل جميعَ ثمار الروح القدس إلى أقربائها الاعزّاء، ومنها خاصة ثمرة الفرح.

الرسالة ٢٦١ إلى الأب بلّيير

٢٦ تموز/يوليو ١٨٩٧

يسوع +

أخيَّ العزيز

لكم سرَّتني رسالتك[١]! وإذا كان يسوع قد أصغى إلى صلواتك وأطال منفاي بسببها، فقد استجابَ ايضاً صلواتي بحبِّه، لأنَّك رضخت لأن تفقد «حضوري، وعملي المحسوس»، كما تقول. آه! يا أخي دعني أقول لك: إنَّ الرب يحفظُ لنفسك مفاجآتٍ عذبةً لا تُحصى؛ فنفسك، كما كتبتَ اليّ، «غيرُ معتادةٍ كثيراً على الأشياء الفائقة الطبيعة». وأنا، التي ليست أخيَّتك مجاناً، أعدك، بعد رحيلي إلى الحياة الأبدية، بأن أجعلك تتذوّق من السعاده ما يمكن أن يشعرَ به المرء بقرب نفسٍ صديقة. ولن تكون مثل تلك المراسلة البعيدة نوعاً ما، غيرِ الكاملة دائماً، والتي يبدو أنك تأسف عليها، بل ستكون محاورةً أخوية تسحر الملائكة، ومحاورةً لن تستطيع المخلوقات ان تلومها لأنَّها ستكون محجوبةً عنها. آه! كم ساستحسن الانعتاق من هذه الجثة الفانية لو اضطَّرني - وهذا أمر مستحيل - لقائي بأخي العزيز أمام أخرين أن انظر اليه نِظرتي الى غريب لا اكترث له... أرجوك، يا أخي، لا تقتدِ بالعبرانيين الذين كانوا يتأسّفون على بصل مصر

---

(١) Pensée.

الرسالة ٢٦١

(١) كتب الأب بلّيير إلى تريز رسالة طويلة ومفعمة بالثقة.

(**سفر العدد** ١١/٥) فأنا لم أقدِّم لك منذ بعض الوقت، إلّا الكثير من هذه الخضار التي تُبكي عندما تُقرَّب من العيون قبل أن تُطبخ.

اما الآن، فأحلم بأن أقاسمك **المنَّ الخفيّ** (**رؤيا** ٢/١٧) الذي وعد القادر على كل شيء بإعطائه للغالب. وهذا المنّ السماوي لا يجذبك أقل من بصل مصر إلّا لأنه خفي؛ لكنّي متأكدة، من أنّك ما إن يُسمح لي بأن أقدِّم لك غذاءً روحياً خالصاً، فلن تتأسَّف أبداً على ما كنتُ سأقدِّمه لك لو أنّني بقيتُ فترةً أطول على الأرض - آه! إنَّ نفسك أكبرُ من أن تتعلَّقَ بأيِّ عزاء في الدنيا. ففي السموات إنّما يجب عليك أن تحيا مسبقاً، لأنَّه قيل: **حيث يكونُ كنزك يكون قلبُكَ** (**متى** ٦/٢١). أليس يسوعُ كنزَكَ الوحيد؟ وما دام هو في السماء، فهناك يجب أن يقيمَ قلبك. وأقول لك بكل بساطة، يا أُخَيَّ العزيز، أنَّه من الأسهل عليك، على ما يبدو لي، أن تحيا مع يسوع عندما سأكون بالقرب منه إلى الأبد.

لا بدَّ من ان تكون معرفتك بي ناقصة لكي تخشى أن يُضعفَ سردٌ مفصّل لأخطائك العاطفةَ التي أكنُّها لنفسك! صدِّقني، يا أخي، لن احتاج الى أن أضع يدي على فم يسوع[2]! لقد نسي خيانتك منذ مدّة طويلة، ورغباتك في الكمال وحدها هي حاضرة لتفرح قلبه. أرجوك، توقّف عن الارتماء عند قدميه، واتبع هذا الاندفاع القوي الذي يقذفك بين ذراعيه. مُقامك هو هناك، وقد لمستُ في هذه الرسالة، أكثر ممّا في رسائلك الأخرى، أنَّه ممنوعٌ عليك الذهابُ إلى السماء عبرَ طريق آخر غير طريق أخيَّتك المسكينة.

اوافقك الرأي كلياً في «أنَّ القلبَ الإلهي تُحزنه ألفُ فظاظةٍ صغيرة يرتكبها أصدقاؤه ممّا تحزنه أخطاءُ جسيمة يرتكبها الناس في العالم». لكن، يبدو لي، يا أُخيَّ العزيز، أنَّ يسوع يستطيع قول هذه الكلمات المؤثرة الموضوعة في فم الكنيسة خلال اسبوع الآلام، عندما لا يتبيَّن أخصّاؤه فظاظاتهم المستمرّة، ويعتادون عليها، ولا يطلبون منه المغفرة عنها؛ **هذه الجراحُ التي ترونها في وسط يديَّ، هي الجراحُ التي جُرِحْتُها في بيت مُحِبِّيَّ!** (**زكريا** ١٣/٦). اما بالنسبة الى هؤلاء الذين يحبّونه، والذين يأتون إليه إثرَ كلِّ فظاظة طالبين المغفرة بإلقاء أنفسهم بين ذراعيه، فإن يسوع يهتز فرحاً، ويقول لملائكته ما كان يقوله والدُ الأبن الضال لخدمه: **ألبسوه أفخر حلة وأجعلوا في إصبعه**

---

(٢) عبارة من رسالة الاب بلّيير.

خاتماً، ولْنتنعَّم (**لوقا ١٥/٢٢**). آه! يا أخي، ما أكثر ما يجهل الناس رأفة يسوع وحبّه الرحيم! صحيحٌ أنّه لا بدَّ من الاتّضاع للتنعّم بهذه الكنوز! ولا بدَّ من الاعتراف بعدَمَنا! وذاك هو ما لا تريد نفوسٌ كثيرة أن تفعله. اما انت يا أخي، فلا تتصرَّفُ هكذا، لذلك فإنَّ طريق الثقة البسيطة والحبّ تلائمك كلَّ الملاءَمة.

أريد أن تكون بسيطاً مع الرب؛ ولكن أيضاً... معي أنا. أأنتَ مندهش من عبارتي؟ ذلك أنك، يا أخيَّ العزيز، تطلب المغفرةً «عن تطفّلَكِ» القائم على رغبتك في معرفة ما إذا كانت أختك تدعى جنڤياڤ في العالم. إني أجد هذا الطلب طبيعياً؛ وحتى أبرهن لك على ذلك، فسوف أعطيك تفاصيلَ عائلتي لأنَّ معلوماتك عنها ضئيلة.

لقد وهبني الرب أباً وأماً أكثر استحقاقاً للسماء منه للأرض؛ وكانا قد طلبا من الرب أن يمنحهما أولاداً كثيرين وأن يأخذهم له. هذه الأمنية قد استُجيبت، فطار أربعةُ ملائكة صغار إلى السماوات. اما بناتهما الخمس الباقيات في الحلبة فقد اخترنَ يسوع عريساً لهنَّ. وكان أن صعد أبي بشجاعة بطولية، كإبراهيم جديد (**تكوين ٢٢/٢**) ثلاث مرات إلى جبل الكرمل ليقدِّم ذبيحةً لله أعزَّ ما لديه (**تكوين ٢٢/١٠**). فقدَّم أولاً ابنتيه البكرين. ثمَّ إنّ الثالثة من بناته[٣]، وفقاً لرأي مُرشدها، قامت بصحبة والدنا المنقطع النظير، بتجربةٍ في ديرٍ من أديرة الزيارة. (ورضي الله بالقبول. فعادت فيما بعد إلى العالم حيث عاشت كما لوكانت في الحصن). ولم يبقَ «لمختار الله» إلّا بنتان، واحدة عمرها ١٨ عاماً، والأخرى ١٤. وهذه، «الصغيرة تريز»، طلبت إليه أن تحلِّق إلى الكرمل. وهذا ما حصلت عليه من والدها الصالح بدون صعوبة. ودفعه تنازله الى اصطحابها إلى بايو أولاً، ثمَّ إلى روما كي يزيل العقبات التي كانت تؤخّر ذبيحةَ من كان يسمّيها ملكتَه. وبعد ان قاد ابنته الوحيدة الذي كانت قد بقيت له[٤]، قال لها: «إن شئتِ أن تتبعي خطو أخواتِك، فأنا موافقٌ على ذلك، فلا تقلقي بشأني». اما الملاك الذي كان عليه أن يُساندَ شيخوخةَ مثل هذا القديس، فأجاب بأنّه، بعد رحيله إلى السماء، سيُحلّق هو أيضاً نحوالحصن؛ وهذا ما أفعمَ بالفرح من لم يكن يحيا إلّا من أجل الله وحده. لكنَّ حياةً جميلةً كهذه، كان لا بدَّ من أن تتوَّجَ بتجربةٍ جديرة بها. فبعد رحيلي بوقت قليل، أصيب الوالد الذي كنّا، بحقٍّ،

---

(٣) ليوني.

(٤) سيلين.

نحبّه للغاية، بحادثِ شللٍ في الساقين تكرَّر عدّة مرات. ولم يتوقّف الأمر عند هذا الحد – فالشدّة قد كانت شديدة العذوبة، والوالد البطل كان قد قدَّم ذاته لله كذبيحة. لذلك بدَّل الشلل مجراه واستقرَّ في رأس الضحية الجليلة التي كان الرب قد قبلها... لا اجد مكاناً حتى أعطيَك مزيداً من التفاصيل المؤثّرة؛ وأريد فقط أن أقول لك إنَّه كان علينا أن نشرب الكأس حتى الثمالة، وأن نفترق عن والدنا الجليل لمدة ثلاث سنوات ونصف حين عهدنا به إلى أيدٍ رهبانية غريبة. وقَبِلَ هذه الشدَّة التي كان يفهم كلَّ مهانتها، ودفعته البطولة إلى حدٍّ أنَّه لم يُرِدْ أن نطلب له الشفاء.

أستودعك الله، يا أُخيَّ العزيز، وآمل أن أكتب اليك المزيد إذا لم يتضاعف إرتجافُ يدي، لأنَّني اضطررت إلى كتابة رسالتي على عدّة مراحل. – أُخيتك، ليست «جنڤياڤ» لكن «تريز» الطفل يسوع الوجه الأقدس.

الرسالة ٢٦٢

إلى الأخت جنڤياڤ

٣ آب/أغسطس ١٨٩٧

يا إلهي! اما الطفك نحو الضحية الصغيرة، ضحية حبِّك الرحيم! إذ تضمُّ الآن، الألم الخارجي إلى شدائد نفسي، لا أستطيع القول: **إنَّ حبائل الموت اكتنفتني (مزمور ١٧/٥)** لكنِّي أهتف عرفاناً بالجميل: **إني ولو سلكتُ في وادي ظلال الموتِ، لا أخاف سوءاً: لأنَّك معي، يا ربّ! (مزمور ٢٢/٤)**.

(إلى حبيبتي الأخت الصغيرة جنڤياڤ للقديسة تريز)
– ٣ آب/أغسطس ١٨٩٧ – **مزمور ٢٢/٤**.

الرسالة ٢٦٣ إلى الأب بلّيير

ي.م.ي.ت.

١٠ آب/أغسطس ١٨٩٧

كرمل ليزيو

يسوع +

أُخيَّ العزيز،

إني الآن على أتمّ الاستعداد للرحيل. لقد تلقَّيت جواز سفري السماوي، والذي نال لي هذه النعمة، إنما هو والدي الحبيب، في يوم التاسع والعشرين، وضَمِنَ لي الذهاب قريباً للانضمام إليه[1]؛ في اليوم التالي، دُهش الطبيب من تفاقم المرض خلال يومين، وقال لأمنا إنَّه حان الوقت لإرضاء رغباتي وإعطائي مسحة المرضى. فكانت لي هذه الغبطة في يوم ٣٠؛ وكذلك الغبطة بأن أرى يسوع القربان الذي تلقَّيته زاداً لسفري الطويل يترك بيتَ القربان من أجلي!... لقد قوّاني هذا الخبز السماوي، كما ترى، ويبدو أنَّ حجّي لا يمكنه أن يكتمل. فبدل من ان أرثي لحالي، أفرح بأن الله يسمح لي بأن أتألم، بعدُ، حبًّا به. آه كم يعذب الاستسلام بين ذراعيه، من دون مخاوف ولا رغبات!

أعترف لك، يا أُخيَّ الصغير، بانَّنا لا يفهم كلٌّ منا السماءَ بالطريقة نفسها. ويبدو لك أنني إذ اشارك الله في برِّه وقداسته، فلا استطيع ان أعذر أخطاءَك كما في الأرض. أتنسى إذاً أنَّني سأشارك أيضاً في رحمة الرب اللامتناهية؟ أعتقد أنَّ للطوباويين عطفاً كبيراً على بؤسنا. وبما انهم مثلنا ضعفاء وإلى زوال، فهم يتذكّرون أنَّهم ارتكبوا ذات الأخطاء، وخاضوا ذات المعارك، فأصبح حنانهم الاخوي أكبرَ ممّا كان عليه في الأرض؛ ولهذا السبب لا يتوقّفون عن حمايتنا والصلاة من أجلنا.

يا أُخيَّ العزيز، عليَّ أن أُحدِّثك، الآن، عن الميراث الذي ستتلقَّاه بعد موتي. هذا هو النصيب الذي ستعطيك إياه أمّنا:

١ - علبة الذخائر التي تلقّيتها يوم اتشحت بالثوب الرهباني والتي لم تفارقني قط منذ ذلك الحين.

---

(١) يوم ٢٩ تموز/يوليو، الذكرى الثالثة لموت السيّد مرتان.

٢ – مصلوب صغير، وهو، بلا مضاهاة، أغلى عندي من الكبير، لأنَّ المصلوب الذي أملكه الآن ليس أوَّلَ مصلوب أُعطي لي. ففي الكرمل، تُستبدل الأشياء التقوية احياناً، وهذه وسيلة حسنة لمنع التعلّق بها. وأعود إلى المصلوب الصغير: ليس جميلاً؛ فصورة المسيح اختفت تقريباً، ولن يفاجئك ذلك إن عرفت أنَّه منذ بلوغي ١٣ سنة، قد تبعني هذا التذكار من احدى اخواتي[٢]، في كل مكان. وخلال سفري إلى إيطاليا خاصة، أصبح هذا المصلوب ثميناً بالنسبة إليّ. فقد جعلته يلامس الذخائرَ الثمينة التي سررت بتكريمها، ويستحيل عليّ ذكرُ عددِها. وأكثر من ذلك، فقد باركه الحبر الأعظم. ومنذ أن أصبحتُ مريضةً، أُمسكُ بمصلوبنا العزيز بين يديّ بشكل دائم تقريباً؛ فعندما أنظر إليه، أفكِّر، بفرحٍ، في أنَّه، بعد تلقّيه قبلاتي، سيذهب ليطالب بقبلاتِ أخي الصغير. ذاك ميراثك اذاً. وفوق ذلك، ستعطيك أمُّنا الصورة الأخيرة التي رسمتُها[٣] سأنتهي، يا أخيَّ العزيز، من حيث كان عليَّ أن أبدأ، اي بشكرك على الفرح الكبير الذي وفَّرته لي بإرسالك إليَّ صورتك.

أستودعك الله، يا أُخيَّ، ولينعمْ علينا بأن نحبَّه وأن نخلِّص نفوساً له. تلك الأمنية التي تصوغها

أخيَّتك الصغيرة غير المستحقة
تريز الطفل يسوع الوجه الأقدس
الراهبة الكرملية غير المستحقة

(بالاختيار أصبحت أختك)

أهنِّئك على وثبتك الجديدة؛ في يوم ٢٥، اليوم الذي أعايد فيه أبي الحبيب، سيكون لي فرح معايدة أخي أيضاً لويس دي فرانس[٤].

(٢) ليوني.
(٣) راجع الرسالة ٢٦٦.
(٤) إنه الاسم الذي يسمَّى به الاب بلّيير في الرهبانية الفرنسيسية الثالثة.

الرسالة ٢٦٤ إلى الأخت ماري للثالوث[١]

إلى أُخيَّتي العزيزة، ذكرى

ذكرى سنواتها الـ ٢٣. - ١٢ آب/اغسطس ١٨٩٧

لتكن حياتُكِ كلُّها تواضعاً وحبّاً
لكي تأتي قريباً الى حيث أذهب:
بين ذراعي يسوع!...

أُخيَّتك،
تريز الطفل يسوع للوجه الأقدس.

الرسالة ٢٦٥ إلى الأخت ماري الأفخارستيا[١]

٢٢ آب/أغسطس ١٨٩٧

إلى أُخيَّتي العزيزة ماري الأفخارستيا،

ذكرى سنواتها الـ ٢٧ - تريز الطفل يسوع

---

(١) أسطر بقلم الرصاص على قفا صورة للعائلة المقدسة.

الرسالة ٢٦٥

(١) بقلم الرصاص، على قفا صورة تمثل القديس مار انطونيوس البادواني.

الرسالة ٢٦٦ إلى الأب بلّيير[١]

٢٥ آب/أغسطس ١٨٩٧

وجه الصفحة

لا أستطيع أن أخشى إلهاً جعل ذاته صغيراً للغاية من أجلي ... أحبّه! ... لأنَّه ليس إلَّا حبّاً ورحمة!

(قفا الصفحة)

ذكرى أخيرة من نفسٍ أختٍ لنفسك

تريز الطفل يسوع

(١) إهداء بقلم الرصاص على قفا صورة، وهي الأخيرة التي رسمتها تريز.

صلوات

مقدمة

«إن الصلاة في نظري، هي وثبة القلب، وتطلّع في بساطة الى السماء، وصرخة شكرٍ وحبّ في قلب المحنة كما في غمرة الفرح. وهي، أخيرًا، شيء عظيم يفوق الطبيعة ينشرح له قلبي، ويوحّدني بيسوع»[(١)].

بهذه العبارة أوجزت تريز خبرتها في الصلاة وهي على فراش الموت. وبالرغم مما عانته في البحث عن الصلوات الجميلة في الكتب، «لأن هذا البحث يوجع الرأس»، فقد عرفت أنواعًا من الصلوات المكتوبة وتَلَتها، وأقرّت بفائدتها الروحية؛ ثم أسلست القياد لروح الله فيها فوضعت بدورها صلواتٍ قصيرةً كانت صرخاتِ حبّ، او طويلةً ضمّنتْها الكثير من خلجات قلبها وخواطرها الروحية.

ولا بدّ من التذكير بأن معظم قصائدها صلواتٌ توجّهها الى الله او المسيح او العذراء او القديسين. وكما غلب على مسرحياتها الطابع التعليمي، فلم تَغِبْ عن صلواتها النثرية النفحة التربوية، تدعو بها مبتدئاتها الى الحبّ والتكفير وخفض الانظار، وسائر اعمال الفضيلة.

ونخص بالذكر صلاة **تقدمة الذات** التي توحي بتوجّه روحيّ جديد. ونظرًا الى أهمّيتها، فقد أخضعت الام أنييس نصّها لموافقة الكنيسة قبل نشره، وقد اعتبر الاب كومب[(٢)] هذه الصلاة «إحدى الثورات العظيمة المؤثّرة، التي فجّرها الروح القدس في تطوّر الإنسانية الروحيّ».

---

(١) **مخطوط** ج ص ١٩.

(٢) أندريه كومب - **مقدمة لروحانية القديسة تريز الطفل يسوع**. منشورات ڤران Vrin، باريس ١٩٤٨. (كتاب بالفرنسية).

صلاة ١ [إلى لعذراء القديسة]

أيتها العذراء القديسة الرؤوف، إجعلي صغيرتكِ تريز لا تقلق أبدًا، بعد اليوم[١].

صلاة ٢ [بطاقة نذر][١]

٨ أيلول / سبتمبر ١٨٩٠

يا يسوع، عريسي الإلهي!
أطلبُ ألَّا أفقد ثوب معموديتي الثاني. فخذني قبل أن أرتكب أقلّ هفوة إرادية.
ألّا أبحثَ أبدًا إلَّا عنك ولا أجدَ أبداً إلّاك وحدك.

ألا تكونَ المخلوقاتُ شيئاً بالنسبة إليَّ وألَّا أكون شيئاً بالنسبة إليها، لكن أنتَ يا يسوع، كُن كلَّ شيء!...

ألَّا تستطيعَ أشياء الأرض أبداً تعكيرَ نفسي، وألَّا يستطيعَ شيءٌ تعكيرَ سلامي.

ولا أطلب إليكَ، يا يسوع، غيرَ السلام، والحبَّ أيضًا، الحبَّ اللامتناهي الذي لا يحدّه سواك، الحبّ الذي لا يكون بعدُ أنا، لكن أنتَ، يا يسوعي.

أن أموتَ شهيدةً لأجلكَ، يا يسوع، شهيدة القلب أو الجسد، أو بالأحرى شهادة الإثنين معاً...

هبني أن أفيّ بنذوري بكلِّ كمالها، واجعلني أفهم ما يجب أن تكون عروسك.
إعمل على ألَّا أكون أبداً ثقلاً على الجماعة، وألّا ينشغل بي أحدٌ، بل أن يُنظَرَ إليَّ تدوسني الاقدام، منسيةً مثل حبة رمل صغيرةٍ تخصُّك، يا يسوع.

---

(١) خطّان بالحبر بيد تريز، كتبتهما قبيل الحادي والعشرين من شهر حزيران/يونيو ١٨٨٤، وكانت في الحادية عشرة من عمرها. وهذه الصلاة صرخةٌ تطلقها تريز نحو العذراء التي ابتسمت لها ومنحتها الشفاء. لكن ذيوع الخبر سبّب لها قلقًا مؤلماً. ولن تنال الشفاء التام إلّا عند زيارة كنيسة سيدة الانتصارات في باريس في أثناء الحج الى روما في تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٨٧.

صلاة ٢

(١) تاريخ هذه الصلاة هو الثامن من أيلول / سبتمبر ١٨٩٠. التزمت تريز لدى كتابتها هذه البطاقة بعادة متعارف عليها: أن تحمل المبتدئة على قلبها عند لبس الثوب، أو الناذرة يوم لفظ نذورها، مثل هذه البطاقة، تطلب فيها، لها ولأصدقائها، النِعَم التي ترغب في نيلها.

لتكن مشيئتك فيَّ كاملة، ولْأَصِلْ إلى المُقام الذي سبقتني إليه لتعدّه لي...

يا يسوع، إجعلني أخلّص نفوساً كثيرة، ولا يبقيَنَّ اليومَ نفسٌ واحدةٌ هالكة، ولتَخلُص النفوسُ المطهريةُ جميعها...

أغفر لي، يا يسوع، إذا قلتُ أشياءَ يجب ألّا أقولها، فأنا لا أريد إلّا أن أُفرحك وأن أعزّيك.

صلاة ٣ نظرات حبّ الى يسوع[1]

يا يسوع، لقد قرّرت عروساتك الصغيرات، أن يخفضن عيونهنّ في أثناء الطعام لكي يُكرِمْنَ ويقلّدن المثالَ الذي أعطيتهنّ إيّاه عند هيرودُس... فعندما كان هذا الأمير الكافر يسخر منك، أيُّها الجمال اللامتناهي، لم تخرج أية شكوى من شفتيك الإلهيتين؛ ولم تتنازل حتى بأنّ تسمِّر فيه عينيك المعبودتين. آه! يا يسوع الإلهي، بدون شك، لم يكن هيرودس يستحقّ أن تنظر إليه؛ لكننا، نحنُ عروساتك، نريد أن نجذب إلينا نظرتك الإلهية؛ ونطلب إليك أن تكافئنا بنظرة حبّ، في كل مرّة سنَحرم أنفسَنا من رفع العيون؛ ونتضرع إليك ألّا ترفض لنا هذه النظرة العذبة عندما سنقع، إذ إننا سنحصي سقطاتنا. وسنشكّل باقةً لن ترفضَها، فلنا ثقة بذلك. سترى في هذه الأزهار رغبتَنا في أن نحبَّك، وفي أن نشابهك، وستبارك بناتك المسكينات.

يا يسوع! أنظر إلينا بحبّ، وهَبنا قبلتك العذبة.

آمين.

(١) من المحتمل أن تكون تريز قد كتبت هذه الصلاة في تموز / يوليو ١٨٩٣، لأجل الأخت مرتا ليسوع، ولأجلها بالذات.

صلاة ٤ تسبيح الثالوث الأقدس[1]

يا إلهي، ها نحن ساجداتٍ أمامك، نلتمس نعمةَ العمل لمجدك.

دويّ تجديفات الخطأة يؤلم آذاننا؛ فلكي نعزِّيكَ ونكفّرَ عن إهاناتٍ تكيلها لك نفوسٌ كنتَ قد اشتريتها أنتَ، أيُّها الثالوث المعبود، نريد أن نشكّل جوقةً من جميع التضحيات الصغيرة التي سنعملها لأجل حبّك. وطيلة خمسة عشر يومًا، سنقدِّم لك تغريدَ عصافير السماء التي لا تتوقّف عن حمدكِ ولومِ البشر على عقوقهم. نقدّم لك أيضاً، يا إلهي! نَغَم الآلات الموسيقية، ونأمل أن تستحقَّ نفسنا أن تكونَ كنَّارةً متناغمةً ستجعلها تهتزّ لتعزِّيَك عن لا مبالاة نفوسٍ كثيرة لا تفكِّر فيك. نريدُ أيضًا، أن نلتقط، طيلة ثمانية أيَّام، ماساتٍ وحجارةً ثمينة، تكفِّرُ عن لهفة البشر المساكين إلى ثروات عابرة من دون التفكير في غنى الأبدية. يا إلهي! امنحنا النعمة بأن نكون أكثر سهرًا على البحث عن تضحياتٍ، من سهر النفوس التي لا تُحبُّك على سعيها لخيرات الارض.

أخيراً، وطيلة ثمانية أيَّام، ستجمع عبيرَ الزهور بناتُك اللواتي يُرِدْنَ بذلكَ التكفيرَ عن كلِّ فظاظة آلمتكَ بها النفوس الكهنوتية والرهبانية. أيُّها الثالوث الطوباوي، هبنا أن نكون أميناتٍ، وأنعِم علينا بامتلاكك بعدَ منفى هذه الحياة... آمين.

صلاة ٥ «أزهار سريّة»[1]

(الغلاف)

يا مجدلية! يا عروسي الحبيبة!

أنا لكِ وأنتِ لي للأبد.

---

(١) كتبت تريز هذه الصلاة لأجلها ولأجل الاخت ماري ليسوع، وهي صرخة توجِّهها تريز الى الثالوث الاقدس تكفيراً عن عقوق نفوسٍ لا يهمّها الا السعي وراء الخيرات الارضية.

صلاة ٥

(١) باقة من الصلوات كتبتها الأخت تريز على دفتر صغير لكي تساعد الأخت مريم المجدلية على الاستعداد لنذرها. وكانت هذه الأخت لا تزال تحتفظ بهذا الدفتر في حجرتها سنة ١٩٠٩.

(صفحة عنوان)

١- أزهارٌ سريّة معدَّة لتشكيل سلّة عرسي.

سُمع صوتٌ: «هوذا العريس آتٍ، فاخْرجنَ للقائه». (إنجيل **متى** ٢٥/ ٦).

تطلّعات

* ص ٢ ي[٢] - ورودٌ بيضاء

يا يسوع! طَهِّر نفسي حتى تصبحَ أهلًا لأن تكون عروستك!

* ص ٢ ش - أزهار اللؤلؤ

يا يسوع! أَنعم عليَّ بنعمة القيام بكل أعمالي كي أرضيك وحدك.

* ص ٣ ي - بنفسجات بيضاء

يا يسوع، الوديع والمتواضع القلب، اجعل قلبي مثل قلبك!...

* ص ٣ ش - زنبق الوادي

يا قديسة تريزا، أمّي، علّميني أن أخلِّص النفوس لكي أصبح كرملية حقيقية.

* ص ٤ ي - زهر النسرين

يا يسوع! عندما أخدمُ أمهاتي وأخواتي، لا أخدم إلا أنت.

* ص ٤ ش - ورود شاي

يا يسوع ومريم ويوسف، أنعموا عليَّ بنعمة القيام برياضة حسنة، وأعدّوا نفسي ليوم نذري الجميل.

* ص ٥ ي - جُرَيسات بيضاء

أيتها القديسة المجدلية! إحصلي لي على ألَّا تكون حياتي إلّا فعلَ حبّ.

* ص ٥ ش - زهر عسل

يا يسوع! علّمني أن أتخلّى عن ذاتي دائماً لأرضيَ أخواتي.

---

(٢) ص ٢ي أو ش تقرأ: صفحة ٢ يمين او شمال.

* ص ٦ ي – دفليات بيضاء
يا إلهي، أُحبّك من كلّ قلبي.
* ص ٦ ش – أزهار عود صليب بيضاء
يا إلهي، أنظر إلى وجه يسوع، واصنع مختارين بعدد الخطأة المساكين.
* ص ٧ ي – ياسمين
يا يسوع، لا أريد أن أتذوّق فرحاً إلّا فيك وحدك!...
* ص ٧ ش – أزهار ناعمة بيضاء
يا ملاكي الحارس القديس! ظلّلني بجناحيك دائماً حتى لا أرتكب أبداً إهانةً ليسوع.
* ص ٨ ي – ملكة المروج
يا مريم! يا أمّي الرؤوف، إمنحيني نعمة ألّا أُلطّخ أبداً ثوب النقاوة الذي ستُسلبسيني إيّاه في يوم نذري.
* ص ٨ ش – زهر رِعي الحمام الأُبيض
أؤمن بك، يا إلهي، رجائي بك، أُحبّك من كلّ قلبي.
* ص ٩ ي – سوسن أبيض
يا إلهي، أشكرك على النعم التي أنعمت عليَّ بها خلال رياضتي.
* ص ٩ ش – أَقبلَ اليوم العظيم.
زنابق.
يا حبيبي يسوع! أنت الآن لي بكلّيتك، وأنا عروستك الصغيرة للأبد!!!...

صلاة ٦ تقدمة ذاتي كذبيحة مُحرقة لحبّ الله الرحيم(١)

ي.م.ي.ت.

يا إلهي! أيُّها الثالوث الطوباوي.

أريد أن أحبّك وأن أجعلكَ تُحَبْ، وأن أعملَ على تمجيد الكنيسة المُقدسة، فأخلِّصَ النفوسَ على الارض، وأُنجِّيَ مَنْ تتعذّب من المطهر.

أَرغبُ في أن أُتمِّمَ مشيئتك كاملة، وأصلَ إلى مرتبة المجد الذي أعددته لي في ملكوتك.

بكلمة واحدة، أرغب في أن أكون قديسة؛ لكنّي أشعرُ بعجزي، وأطلبُ إليك، يا إلهي! أن تكون أنت بذاتك قداستي.

ما دمتَ أحببتني حتى أنك جُدت عليَّ بابنك الوحيد ليكون مخلّصي وعريسي، فكنوزُ استحقاقاته اللامتناهية هي لي؛ فأقدّمها لك بغبطة، متوسّلة إليك ألَّا تنظر إليَّ إلَّا عبر وجه يسوع وفي قلبه المُضطرم حبّاً.

أقدّم لك أيضاً جميع استحقاقات القديسين (الذين هم في السماء والذين هم في الأرض)، مع أفعال حبِّهم وأفعال حبِّ الملائكة القديسين.

وأخيراً، أُقدّم لك، أيُّها الثالوث الطوباوي! حُبَّ العذراء مريم، أمّي الحبيبة، واستحقاقاتها، فإليها أُسلّم تقدمتي متوسّلة إليها أن تُقدِّمها لك.

---

(١) مخطوط أ ص ٨٦. يبدو ان فعل التقدمة هذا قد ظهر على مراحل:
الاولى: في اثناء القداس في عيد الثالوث الاقدس الواقع فيه التاسع من حزيران / يونيو ١٨٩٥، وقد تمّ بكلمات قليلة.
الثانية: يوم الثلاثاء الواقع فيه ١١ حزيران / يونيو ١٨٩٥، مع اختها سيلين.
الثالثة: أدخلت عليه تعديلات طفيفة فيما بعد.
تقول الأخت جنڤياف: «عند الخروج من القداس، جرَّتني الأخت تريز معها، بحثاً عن أمِّنا. وكانت تبدو كأنَّها خارج ذاتها ولم تكن تتكلّم. وما إن وجدتها حتى طلبت إليها السماح بتقديم ذاتها معي كذبيحة للحبّ الرحيم، وأعطتها تفسيراً موجزاً. كانت أمّنا مستعجلة، وبدا أنَّها لم تفهم جيداً طلب تريز، وسمحت بكلِّ شيء قدرَ ما كانت تثق برصانة الأخت تريز الطفل يسوع». (**الدعوى الابرشية ص ٢٨١**). وقد لاقت هذه الصلاة انتشاراً واسعاً ووافقت عليها الكنيسة..

قال لنا ابنها الإلهي، عريسي الحبيب، في أيّام حياته البشرية: «**إنْ سألتُم الآب شيئاً باسمي أعطاكم إيّاه**». وأنا متأكّدة إذاً، من أنّك ستستجيب لرغباتي؛ أعرف ذلك، يا إلهي! (بقدر ما تشاء أن تعطي، بقدر ذلك تحملُ على الرغبة فيه). فأشعر برغبات هائلة في قلبي. وأطلبُ إليكَ بثقة أن تأتي وتمتلك نفسي. آه! أنا لا استطيع قبول المناولة المُقدّسة كلّما رغبتُ فيها. لكن، ألستَ كلّيَّ القدرة، يا رب؟... فأمكث في نفسي، كما في بيت القربان، ولا تبتعد أبداً عن قربانتك الصغيرة.

أريد تعزيتك عن عقوق الأشرار، وأتوسّل إليك أن تسلبني الحريّة بألا أرضيك. وإنْ سقطتُ أحياناً بسبب ضعفي، فأرجو نِظرتك الإلهيّة أن تُنقّي نفسي فوراً، فتتلف كلَّ نقائصي كالنار التي تُحوِّل كلَّ شيءٍ إلى ذاتها...

أشكرك، يا إلهي! على كلِّ النِعَم التي أنعمتَ عليَّ بها، خاصةً أنك محّصتني في بوتقة الألم. وبفرح، سأتأمّلك في اليوم الأخير حاملاً صولجان الصليب؛ وما دمتَ قد تنازلت ومنحتني شركةَ هذا الصليب الثمين للغاية، فأنا آمل أن أشابهك في السماء، وأرى سمات آلامك المقدسة تسطعُ في جسدي المجيد...

وبعد منفى الأرض، أرجو الذهاب لأنعمَ بك في الوطن الأبدي؛ لكنّي لا أريد أنْ أُكدِّسَ استحقاقاتٍ لأجل السماء، بل أريد العملَ في سبيل حُبِّكَ وحده، وبهدفٍ وحيد هو أن أرضيَكَ، وأن أعزّيَ قلبك الأقدس وأخلِّصَ نفوساً ستحبُّك للأبد.

في مساء هذه الحياة، سأُمثل أمامك ويداي فارغتان، لأنني لا أطلب إليك، يا رب، أن تُحصيَ أعمالي. بِرُّنا كلُّه ملطخٌ امام عينيك. أريد إذاً أن ألبِسَ برَّكَ وأنال من حبِّك امتلاكَكَ الأبدي. لا اريد على الإطلاق عرشاً آخر ولا إكليلاً آخر، سواك يا حبيبي!...

الزمن لا شيء في عينيك، ويومٌ واحد كألف سنة، فأنتَ قادرٌ إذاً على أن تُعِدَّني في لحظة، لأمثُلَ أمامك...

ولكي أحيا في فعلِ حبٍّ كامل، أقدم ذاتي ذبيحةً مُحرقةً لحبّك الرحيم، متوسّلةً إليك إن تُتلفني بلا انقطاع، دافقاً في نفسي مياهَ الحنان اللامتناهي الكامنةَ فيك، فأصبح هكذا شهيدةَ حُبّك، يا إلهي!...

وليَجعَلْني هذا الاستشهاد أموت أخيراً، بعد أن يُعِدَّني للمثول أمامك، ولْتنطلقْ نفسي، من دون تأخّر، لتعانق للأبد حبَّك الرحيم...

أريد، يا حبيبي، أن أجدِّد هذه التقدمة مرَّات لا تُحصى، عند كُلِّ نبضةٍ من نبضات قلبي، حتى استطيع إذا ما زالت الظلال، أن أردِّدَ لك حبِّي وجهاً لوجهٍ إلى الأبد!...

ماري، فرانسوز، تريز الطفل يسوع والوجه الأقدس.
ر. ك. غ. م.
عيد الثالوث الأقدس
٩ حزيران / يونيو من سنة النعمة ١٨٩٥

صلاة ٧ إلى يسوع في بيت القربان[1]

١٦ تموز / يوليو ١٨٩٥

أيّها الإله المحجوب في سجن بيت القربان! إنني سعيدة بعودتي إلى جوارك كلّ مساء، لكي أشكرك على النعم التي أنعمتَ بها عليَّ، وألتمسَ غفرانك للهفوات التي ارتكبتها خلال نهارٍ زال لتوِّه كالحلم... (**مز** ٨٩/ ٥).

يا يسوع! كم كنتُ سأغتبط لو كنتُ أمينةً فعلاً. لكن، يا للأسف! أنا غالباً حزينةٌ في المساء، لشعوري بأنني ربما كنتُ استطعت الإجابة على نعمك إجابةً أفضل... ولو كنتُ أكثرَ اتحاداً بك، وأكثرَ رحمةً مع أخواتي، وأكثرَ اتضاعاً وإماتةً لجسدي، لشعرتُ بمشقَّةٍ أقلّ في أثناء تأمّلي. ومع ذلك، يا إلهي! وبدل أن أيأسَ لرؤية عجزي، فأنا آتي إليك بثقة، متذكّرةً أنْ ليس الأصِحَّاءُ بمحتاجين إلى طبيب، بل المرضى (**متى** ٩/ ١٢). فأتوسَّلُ إليك، إذاً، أن تشفيَني، وأن تغفرَ لي؛ أما أنا فسأتذكّر، يا ربّ، أن النفس التي أعفيتها أكثر، عليها أن تُحبّك أكثر!... فأقدّمُ لك كلَّ خفقات قلبي كأفعال حبٍّ وتكفير، أضمُّها إلى استحقاقاتك اللامتناهية. أتوسّل إليك، يا عريسي الحبيب، أن تكون بذاتك المكفِّرَ عن نفسي، وأن تعملَ فيَّ من دون أن تراعيَ مقاومتي؛ ولا أريد أخيراً أن أملكَ إرادةً أخرى غيرَ إرادتك؛ وغداً، سأبدأ بمعونة نعمتك، حياةً جديدةً ستكونُ كلُّ لحظة فيها فعلَ حبٍّ وتخلٍّ.

---

(١) كتبت تريز هذه الصلاة لأجل أخت عاملة هي مرتا ليسوع، بناء على طلبها، بمناسبة بلوغها الثلاثين.

وبعد مجيئي هكذا، في كلِّ مساء، عند أقدامِ مذبحك، سأصل في النهاية إلى مساء حياتي الأخير. وعندئذٍ سيبدأ، بالنسبة إليَّ، يومُ الأبدية الذي لا يغرب، حيث سأرتاح على قلبك الإلهي من صراعات المنفى!...

صلاة ٨ [صلاة لأجل الأب بلّيير](١)

ي.م.ي.ت.

يا يسوعي! أشكرك على تلبيتك إحدى أكبر رغباتي، ألا وهي أن يكون لي أخ كاهن ورسول...

أشعر بأني لا أستحقّ هذه الحظوة؛ ومع ذلك فما دمتَ تتنازل وتُنعمُ على عروستك الصغيرة الفقيرة بأن تعمل، بشكل خاص، على تقديس نفسٍ معدَّةٍ للكهنوت، أطلب إليك، يا إلهي، ألَّا تنظرَ إلى ما أنا عليه، بل إلى ما عليَّ أن أكون عليه وما أريدهُ، أي راهبةً مضطرمة كلَّ الاضطرام بحبّك.

أنت تعلم، يا ربّ، أن طموحي الوحيد هو أن أجعلَ الناس يعرفونك ويحبّونك، وستتحقّق رغبتي الآن؛ فلا أقدر إلَّا على أن أُصلّي وأتألَّم. لكنّ النفس التي تنازلت وجعلتني أتّحدُ بها بروابط المحبة، ستذهب لتحاربَ في السهل لكي تكسبَ لك قلوباً؛ وأنا، على جبل الكرمل، سأتضرّع إليك أن تهبَها النصر.

يا يسوع الإلهي، أصغِ إلى الصلاة التي ارفعها إليك لأجل من يريد أن يكون مُرسَلَك، فاحفظه وسط مخاطر العالم، واجعله يشعر، أكثر فأكثر، بأن الاشياء الزائلة عدمٌ وباطل، ويُحِسُّ بسعادةِ من يعرف أن يحتقرها لأجل حبّك. وليمارسِ الآن رسالته السامية على المحيطين به، وليُصبحْ أهلاً لأن يكون رسولاً لقلبك الأقدس.

يا مريم، يا سلطانة الكرمل العطوف، إليك أعهد بنفس الكاهن العتيد، أنا أخيَّتَه غيرَ المستحقّة. فتنازلي، الآن، وعلّميه بأيّ حبٍّ كنتِ تلامسين الطفل الإلهي يسوع وتلُفِّينه

(١) كتبت تريز هذه الصلاة على نية أخ روحي عهدت به إليها الام انييس في تشرين الاول / اكتوبر من سنة ١٨٩٥. (مخطوط ج ص ٣١).

بالأقمطة، لكي يستطيعَ أن يَصعد يومًا إلى المذبح المقدس ويحملَ بين يديه ملكَ السموات.

أطلبُ إليكِ أيضاً، أن تحفظيه دائماً في ظلّ وشاحك البتولي، حتى اللحظة السعيدة التي يترك فيها وادي الدموع هذا، فيشاهد بهاءَك، وينعم خلال الأبدية كلّها بثمار رسالته المجيدة...

تريز الطفل يسوع
ر.ك.غ.م.

صلاة ٩ [صلاة سيلين وتريز] (١)

أقول لكم إذا أتّفق اثنانِ مِنكم في الأرض على طلبِ أيِّ حاجةٍ كانت، حَصلا عليها من أبي الذي في السَّموات. فحيثما اجتمع اثنتانِ أو ثلاثةٌ باسمي، كنتُ هناك في ما بينَهُم. (**متى** ١٨/١٩-٢٠).

يا إلهي! نطلب إليك ألّا تفترق زنبقاتك على الأرض أبداً! ولْتعزياك معاً عما تجدُ في وادي الدموع هذا من حبّ ضئيل، ولْتسطعْ تويجتاهما خلال الأبدية بالبريق عينه، وتنشرا الطيبَ عينه عندما تنحنيان نحوك.

سيلين وتريز
ذكرى ميلاد ١٨٩٥

(١) كُتب هذا النص على قفا صورة مُخرَّمة تمثل الطفل يسوع يحصد الزنابق. تحت الصورة، نص مطبوع: «طوبى للزنبقة التي لا تُغبِّر حتى وقت الحصاد، فنصاعتُها ستتألّق في الجنة إلى الأبد». وتحت الزنبقتين المحصودتين «تريز وسيلين».

صلاة ١٠ [تقدمة النهار] (١)

يا إلهي، أقدِّم لك كلَّ الأعمال التي سأقوم بها اليوم، على نوايا قلب يسوع الأقدس ولأجل مجده؛ وأريد أن أقدِّسَ خفقات قلبي وأفكاري وأبسطَ أعمالي فأوحّدَها باستحقاقاته اللامتناهية، وأكفِّرَ عن أخطائي برمْيِها في أتّون حبّه الرحيم.

يا إلهي! أطلب إليك، لأجلي ولأجلِ الأعزاء عليَّ، نعمة تتميم مشيئتك المقدسة تتميماً كاملاً، وأن أقبلَ في سبيلِ حبِّكَ أفراحَ هذه الحياة العابرة وأوجاعَها، لكي نجتمع يوماً في السماء مدى الأبدية كلِّها.

آمين

الصلاة ١١ إجعلني أشابهك(١)

طابع
الوجه الاقدس
في تور

يا يسوع!....

---

(١) كتبت تريز هذه الصلاة لإديت مسماي، (١٨٦٠ - ١٩٢٧ Edith de MESMEY)، صديقة ماري مرتان المفضّلة، في دير الزيارة في لومان.

صلاة ١١

(١) رقٌّ مطوي في داخله نقشٌ صغير، جهة اليسار، يمثل الوجه الأقدس في تور. وفي أعلى النقش، عبارة «إجعلني أشابهك». وفي أسفله «يا يسوع!...» وكانت تريز تحمل هذا الرقّ مع أشياء أخرى، في كيس صغير مُعلّق بدبوس على صدرها.

صلاة ١٢ تكريس للوجه الأقدس[(١)]

يا رب، استرنا في سترِ وجهك!... (مز ٣٠/ ٢١)

«الأخت س. جنفياف للقديسة تريزا - ماري للوجه الأقدس.

الأخت ل. ج. ماري للثالوث والوجه الأقدس.

الأخت ماري. ف. تريز للطفل يسوع والوجه الأقدس[(٢)]».

إن أصغر حركة من حبٍّ خالص لأنفعُ للكنيسة من كلّ الأعمال الأخرى مُجتمعة[(٣)]... فمن المهمّ جدّاً أن تتمرّن نفوسُنا على «الحُبّ» كثيراً، حتى إذا ما أفنت ذاتها بسرعة، لا تتوقَّف على الارض مطلقًا، بل تصل رأساً إلى رؤية يسوع وجهاً لوجه[(٤)].

تكريس للقلب الأقدس

يا وجه يسوع المعبود! ما دمت قد تنازلت واخترت نفوسَنا بشكل خاص، حتى تُعطيها ذاتك، فها نحن نأتي ونكرِّسها لك... ويبدو لنا، يا يسوع، أننا نسمعك تقول لنا «إفتحنَ لي يا أخواتي، ويا عروساتي الحبيبات، فقد بلّل الندى وجهي وغدائري نقاطُ الليل. فنفوسنا تفهمُ لغةَ حبِّك، ونريد أن نمسح وجهك الوديع ونعزّيك عن نسيان الأشرار، فأنتَ في عيونهم موضعُ ازدراء.

أيُّها الوجهُ الأجمل من زنابق الربيع ووروده! لست خفيّاً عن عيوننا... والدموع التي

---

(١) أَلّفت تريز هذه الصلاة بمناسبة السادس من آب / أغسطس ١٨٩٦، عيد التجلّي. وقد اختارت تريز هذا التاريخ، حتى تكرّس نفسها باحتفال لوجه يسوع المعبود، مع نفوس رفيقاتها في الإبتداء، اللواتي يحملن اسم الوجه المعبود. وقد كتبت تريز الصلاة على قفا ورقة كرتونية صغيرة، يُمثل وجهها الوجه الأقدس في تور، تحيط به ثلاث هالات بيضوية منتظمة بشكل نصف إكليل. وتتضمن التواقيع التي أعيد نسخها هنا.

(٢) تذكر تريز الأحرف الأولى من اسم معمودية كل واحدة.

(٣) هذه هي المرّة الأولى التي يظهر فيها هذا الاستشهاد في كتابات تريز. راجع: يوحنا الصليب، **النشيد الروحي**، شرح حول المقطع ٢٩.

(٤) يوحنا الصليب، **شعلة الحبّ الحية**، المقطع ١، شرح البيت ٦.

تحجبُ نظرتك الإلهيّة تبدو لنا ماساتٍ ثمينةً نريدُ جمعَها لنشتريَ بقيمتها اللامتناهية نفوس إخوتنا.

من فمك المعبود سمعنا الشكوى الملوّعة، وفهمنا أنَّ العطش الذي أتلفك هو عطش حبّ. فنريد، حتى نرويَك، أن نملك حبّاً لامتناهياً... يا عريس نفوسنا الحبيب، لو نملكُ حبَّ جميع القلوب، لكان الحبُّ كلُّه لكَ... فامنحنا إذاً هذا الحبَّ وتعال ارتوِ في عروساتك الصغيرات...

نريد نفوساً يا رب، نُريد نفوساً... خاصةً نفوسَ رسلٍ وشُهداء، لكي نضرم بحبّك، وعبرَها، عدداً لا يُحصى من الخطأة المساكين. أيُّها الوجه المعبود، سيُمكننا أن ننال منك هذه النعمة!... ومع نسياننا غربتَنا على ضفاف أنهار بابل، سنُرنِّم في آذانك أعذبَ الألحان؛ وبما أنَّك وطنُ قلوبنا الحقيقي الوحيد، فنحن لن نُرنِّمَ ترانيمنا في أرضٍ غريبة.

يا وجه يسوع الحبيب! بانتظار اليوم الأزلي حيث سنتطّلع مجدَك اللامتناهي، لا رغبةَ لنا إلّا في أن نسحر عينيك الإلهيتين فنستر وجهنا نحن أيضاً، كي لا يقدرَ أحدٌ على الأرض أن يعرفنا... فنِظرتك المحجوبة تلكِ سماؤنا، يا يسوع!...

ت. للطفل يسوع والوجه الأقدس؛ م. للثالوث والوجه الاقدس؛ ج. للقديسة ت. - ماري للوجه الأقدس.

صلاة ١٣ أيها الآب الأزلي[١]

إن سألتُم أبي شيئاً باسمي أعطاكم إيَّاه ... (**يوحنا** ١٦/ ٢٣).

أيُّها الآب الأزلي، إن ابنك الوحيد، يسوع الطفل الوديع، هو لي لأنك جُدتَ عليّ به. فأقدّم لك استحقاقات طفولته الإلهيّة اللامتناهية، وأطلب إليك أن تدعو باسمه إلى أفراح السماء عدداً لا يُحصى من كتائب الأطفال الذين سيتبعون الحمل الإلهي إلى الأبد. (**رؤيا** ١٤/ ٤).

(١) كتبت تريز الصلوات ١٣-١٦ على صورة واحدة من كتاب صلاتها. وقد فُصلت هنا لضرورات الشرح. وفعلت ذلك صيف ١٨٩٦ من دون شك.

صلاة ١٤ [إلى الطفل يسوع]

أنا يسوع تريز[1]

أيها الطفل الصغير، يا كنزي الوحيد، إني أستسلم إلى نزواتك الإلهيّة، ولا أريد فرحاً آخر غير أن أجعلك تبتسم. إطبع فيَّ نِعَمك لكي يرى الملائكة والقديسون، في يوم ولادتي في السماء، عروستك الصغيرة تريز الطفل يسوع.

تريز الطفل يسوع

الصلاة ١٥ أيها الآب الأزلي، بما أنّك جُدت عليَّ

يستطيع الناس في أية مملكة أن يحصلوا على كلٍّ ما يرغبون فيه إن أبرزوا صورة الأمير؛ فكذلك تحصلون على كلٍّ ما تريدون بواسطة القطعة الثمينة من ناسوتي المقدس، وهي وجهي المعبود[1].

(من ربّنا إلى الأخت ماري للقديس بطرس)

أيها الآب الأزلي، بما أنّك أورثتني بجودك الوجهَ المعبود، وجه ابنك الإلهي، فأنا أقدّمه لك وأطلب إليك مقابل هذا «الجزء» الثمين للغاية أن تنسى عقوق نفوسٍ تكرّست لك، وأن تغفر للخطأة المساكين.

---

(١) جواب الطفل الذي صادفته تريزا الافيلية.

صلاة ١٥

(١) نقل مبسط لكلام داخلي سمعته الأخت ماري للقديس بطرس في ٢٨/ ١٠/ ١٨٤٥. وهو مذكور في «حياتها».

صلاة ١٦ [إلى الوجه الأقدس]

أنا يسوع تريز

يا وجه يسوع المعبود، يا جمالاً فريداً يسحر قلبي، تنازل واطبع فيَّ شبهك الإلهي، لكي لا تنظرَ الى نفسِ عروستك الصغيرة من دون أن تتأمَّل ذاتك.

يا حبيبي، أَقبلُ لأجل حُبِّك ألَّا أرى في الارض عذوبةَ نظرتك، وألّا أذوق قبلة فِيك التيَ لا توصف؛ لكنّي أتوسل إليك أن تضرمني بحبِّك، لكي يُفنيني بسرعة ويجعلني، عمَّا قليل، أمثل أمامك.

صلاة ١٧ أيها الرب إله الجنود[1]

أيها الربُّ إلهَ الجنود، يا مَنْ قال لنا في إنجيله: ما جئتُ لأحمِلَ سلاماً لكن سيفاً؛ سلِّحني لأصارعَ. فبي شوقٌ شديدٌ إلى أن أحارب لأجل مجدك. لكني أتوسل إليك أن تُقوّيَ شجاعتي... عندئذ سأقوى على الهتاف مع الملك القديس داود: أنتَ وحدك ترسي، أنت، يا رب، الذي يُعلِّمُ يديَّ القتال (**مز** ٤٣/١-٢).

يا حبيبي! لقد فهمت لأيٍّ معركة أعددتني، ولن اصارع أبداً في ساحات القتال.

أنا سجينةُ حبّك، وبحرِّيَّةٍ ثبّتُّ القيدَ الذي يوحّدني بك، ويفصلني للأبد عن العالم الذي لعنتَه... فسيفي ليس إلّا الحبّ، وبه سأطرد الغريب من المملكة. سأنادي بك ملكاً في النفوس التي ترفض الخضوع لقدرتك الإلهيّة.

ولا شكّ، يا رب، في أنَّ أداةً ضعيفةً مثلي ليست ضروريةً لك؛ لكن جانّ عروستك البتول الباسلة قد قالت: «يجب أن نُحاربَ ليهبنا الله النصر». يا يسوعي، سأحارب، إذاً لأجل حبِّك حتى مساء حياتي. وبما أنّك لم تشأ أن تذوقَ راحةً على الارض، فأنا أريد أن أتّبعَ مثالك، وآمَلُ أن يتحقّقَ لأجلي هذا الوعدُ الخارج من شفتيك الإلهيتين: إن تبعني أحدٌ، فحيث أكون أنا سيكون هو أيضاً، وسيُكرمه أبي (**يوحنا** ١٢/ ٢٦).

(١) صلاة مستوحاة من صورة تمثل جان دارك، وتعود هذه الصلاة إلى شتاء ١٨٩٦-١٨٩٧، عندما تفاقم السل وأرهق قوى تريز وهي تستشعر موتها القريب جداً. وقد عرّضها ذلك إلى تجارب إيمانية.

أن أكون معك، أن أكون فيك، تلك رغبتي الوحيدة... وما تَهبَني من تأكيد على تحقيقها يجعلني أتحمّل منفاي في انتظار اليوم الابدي الساطع، يوم رؤيتك وجهاً لوجه!...

صلاة ١٨ [أيها الاطفال القديسون]

أيُّها الأطفال القديسون(١)! فلتُشبه سعفتي سَعفَكُم وإكليلي إكليلَكم.

أيُّها القديس سباستيان! اجعلني أنال حُبَّك وبسالتك لكي أقدر على أن أحارب مثلك لمجدِ الله!...

يا جنديَّ المسيح المُمجَّد! يا من حاربَ لمجد إلهِ الجنود فانتصر، وفاز بالسعفة وإكليل الشهادة، إسمع سرِّي: «أنا مثل ترسيسيوس الملائكي، أحمل الربّ». ولست الا طفلةً، ومع ذلك عليَّ أن أصارعَ كلَّ يوم لأحفظ الكنز الثمين الذي يختبئ في نفسي... عليَّ غالباً أن ألطِّخَ بدمِ قلبي حَلبةَ المعركة...

أيُّها المحارب القدير، كُن محامياً عني، وساندني بذراعك الظافرة فلا أخشَ قوة الأعداء. بمعونتك سأحارب حتى مساء الحياة، فتقدِّمُني عندئذ إلى يسوع، وأتلقّى من يده السَعفةَ التي كنتَ ساعدتني على قطفها!...

صلاة ١٩ [فعل إيمان](١)

يا إلهي، أنا مستعدة بمعونة نعمتك لأن أسفكَ دمي كلَّه لأُثبّتَ إيماني.

(قراءة أخرى: لكل موضع من موضوعات قانون الإيمان).

---

(١) كتبت تريز هذه الصلاة للأخت جنڤياف، بمناسبة ذكرى نذرها، في الرابع والعشرين من شباط / فبراير ١٨٩٧، وعلى صورة مخرمة تمثل جندياً هو القديس سباستيان آتياً لنجدة تارسيسيوس.

صلاة ١٩

(١) كتبت تريز هذه الصلاة القصيرة على قصاصة رسالة (٩٢)، مُزقت بشكل غير منتظم. وكانت قد تعرّضت منذ ١٨٩٦ لتجربة إيمان قاسية تتعلق بالحياة الأبدية. وكشفت عمّا تعانيه إلى الأب غودفروا مادلين، خلال رياضة تشرين الأول / أكتوبر ١٨٩٦، فنصحها بكتابة قانون الإيمان وحمله على قلبها.

صلاة ٢٠ صلاة لطلب التواضع(١)

يسوع!

١٦ تموز / يوليو ١٨٩٧

يا يسوع! لقد قلتَ عندما كنت مسافراً في الارض: تعلّموا منّي إني وديع ومتواضع القلب تجدوا راحةً لنفوسكم. يا سلطان السموات القدير! نعم، إنَّ نفسي تجد الراحة عندما اراك تأخذ صورةَ العبد وطبيعتَه، وتتنازل فتغسل أقدام رسلك. وإني أتذكّر كلماتِك التي تلفّظتَ بها لتعلِّمَني ممارسةَ التواضع: إني أَعطيتكم قدوةً لتصنعوا أنتم ما صنعت أنا. ليس التلميذ أعظمَ من معلّمه... إن فهمتم ذلك، ستكونون سعداء بممارسته. إني افهم، يا ربّ، هذه الكلمات الخارجة من قلبك الوديع المتواضع، فأريد أن أحفظها بمعونة نعمتك.

أريد أن أتواضعَ بخشوع، وأُخضِعَ إرادتي لإرادة أخواتي، فلا أعارضهنّ في شيء ولا أبحث عما إذا كان يحقّ لهنّ أن يأمرونني. لم يكن لأحدٍ، يا حبيبي، هذا الحقّ إزاءك، ومع ذلك، فقد كنتَ طائعاً ليس فقط للقديسة العذراء والقديس يوسف، بل أيضًا لجلّاديك. والآن فإنّني أراك في القربان قد بلغت منتهى اتضاعك. يا لَتواضعك، أيها الملك الإلهي المجيد، الذي يجعلك تخضع لجميع كهنتك دون أن تميّز بين الذين يحبّونك وبين الذين هم، وللاسف، فاترون أو باردون في خدمتك!... فتنزل من السماء عند ندائهم، وهم يقدرون على تقديم ساعة القداس وتأخيرها، وأنت دائماً مستعدّ...

يا حبيبي، كم تبدو لي وديعاً ومتواضعَ القلب تحت حجاب القربانة البيضاء! ولا تستطيع أن تتواضع أكثر من ذلك لكي تعلّمني التواضع. فلذلك اريد، استجابةً لحبّك، أن أتمنى على أخواتي أن يضعنني في المقعد الأخير، مع الاعتقاد الراسخ بأنَّ هذا المقعد هو مكاني.

أتضرّع إليك، يا يسوعي الإلهي، أن ترسل إليّ تحقيراً ما كلَّ مرّة سأحاول رفع نفسي فوق الآخرين.

(١) أَلّفت تريز هذه الصلاة للأخت مرتا ليسوع بمناسبة بلوغها الثانية والثلاثين. كانت راهبة عاملة، وهذا الوضع يعرّضها لأن تدينها أيّ أخت. ذهنيتها متناقضة وطاعتها صعبة. ولهذا تطلب إليها تريز أن تنظر الى يسوع الوديع والمتواضع القلب.

إني أعرف، يا إلهي، أنَّك تحطّ النفسَ المتكبِّرة، وتمنح مجداً أبديّاً للنفس المتواضعة. فأريد إذاً أن أضع نفسي في المقعد الأخير، وأشاركَك في إهاناتك حتى يكون لي نصيبٌ معك في ملكوت السَّموات.

لكنك، يا ربِّي، تعرف ضعفي؛ ففي كل صباح أقرّر بأن أمارس التواضع، وفي المساء أعترف أنني ارتكبت، بعدُ، أخطاءَ كبرياء كثيرةً؛ وعندما أرى ذلك أتعرّض لتجربة اليأس؛ ولكنَّ وهنَ العزيمة، حسب معرفتي، هو تكبّرٌ أيضاً. فأريد إذاً، يا إلهي، أن أقيم عليكَ وحدك رجائي؛ بما أنّك تستطيع كلَّ شيء، فتنازل واخلق في نفسي الفضيلة التي ارغب فيها. ولكي أنال هذه النعمة من رحمتك اللامتناهية، سأردّد عليك غالباً: «يا يسوع، أيُّها الوديع والمتواضع القلب، إجعل قلبي مثل قلبك!».

صلاة ٢١ لو كنت ملكة السماء[١]

يا مريم، لو كنتُ مليكةَ السماء وكنتِ أنتِ تريز، لأردتُ أن أكون تريز لكي تكوني أنت ملكةَ السماء!!!...

٨ ايلول / سبتمبر ١٨٩٧.

(١) كان يوم الثامن من أيلول، الذكرى السابعة لنذرها، هادئاً وعذباً بالنسبة إلى تريز المريضة. فطلبت أن ترى ثانيةً صورة سيِّدة الإنتصارات وقد ألصقت عليها الزهرة الصغيرة التي أعطاها إيَّاها والدها عندما سَمح لها بدخول الكرمل. وبيد مرتجفة، كتبت هذه الصلاة الأخيرة عليها، وهي سطورها الأخيرة على الأرض.

المحاورات الأخيرة

مقدمة المحاورات الاخيرة

١ – ظروفها

ندين بهذه النصوص المسمّاة **محاورات أخيرة** الى تدوينات الام انييس وهي تجالس اختها تريز في شهورها الاخيرة. فقد سجّلت حوالي سبعمائة وخمسين حواراً، يضاف اليها ما أكّده شهود آخرون. ففي ربيع ١٨٩٧ تدهورت صحة الاخت تريز بشكل خطير؛ فتنبّهت الام انييس إلى أن حياة اختها في خطر، وانها سوف تموت؛ ويدعم هذا الاحساس أقوال تريز نفسها في رسائلها الاخوية أو في مسرحياتها، أو قصائدها. وأحبّت أن تدوّن عن تريز بعض الذكريات تكون لها عزاء عن فقدان اختها. فعمدت الى كتابة بعض الاقوال بالسرّ اول الامر، ثم علناً، وامام تريز نفسها، عندما اشتدّ عليها المرض ولازمت الفراش. وقد تفهّمت الرئيسة هذا الشعور، فسمحت للأم أنييس بملازمة اختها أكثر الاوقات، وكانت الساعات تزداد يوماً بعد يوم، والاقوال البسيطة تطول وتقصر حسب تطوّر المرض وضيقات النفس. وأصابت عدوى الكتابة شاهدات اخريات، فتركن عن تريز أقوالاً وحوارات وملاحظات ضُمَّت جميعها الى المحاورات الاخيرة.

٢ – نشر المحاورات الاخيرة

منذ الطبعة الاولى «لقصة نفس» في سنة ١٨٩٨، أدرجت الام انييس كثيراً من كلمات تريز تحت هذا العنوان. ولما بدأت دعوى التطويب في سنة ١٩١٠؛ قدّمت الى المحكمة الكنسية مجموعة من ٢٧٥ حديثاً. ولكي تحفظ حفظاً أدق كتابات اختها، نسخت الام انييس على دفترين **مخطوطات** السيرة، وعلى دفتر ثالث، سمّي «الدفتر الاصفر»، المحاورات الاخيرة؛ وقد بقي في حوزتها حتى موتها. ونظراً الى قربه الدقيق من التسلسل التاريخي، فقد اعتمد أصلاً للنصوص المحقّقة في **النشرة المئوية**.

٣ – المحاورات امام النقد

منذ أن باشرت الدراسات الحديثة إعادة النظر في النصوص المنشورة سابقاً، واكتشاف التنقيحات التي أدخلتها الام انييس على الاصل، لأسباب عديدة ذكرت في مقدمة المخطوطات،

استطاع المحقّقون استرجاع النص الاصلي. فبرزت امام النقاد شكوك في امانة الام انييس لتدوينات المحاورات الاخيرة. وظهرت مواقف ترفض التسليم بصحة المحاورات، واخرى تبدي تحفّظات كثيرة، واخرى تنهج سبيل المقارنة لتمييز المنطوق من الموضوع. ولكي نفي الام أنييس وتريز حقّهما، يجب تبيان الامور التالية:

١ - لا بدّ من التسليم بأن نية الام انييس كان تدوين أقوال اختها، بأكثر ما يمكن من الدقة، وقد دوّنت بعضاً منها على مرأىً من تريز.

٢ - من النافل القول إنها لم تدوّن كلَّ شيء.

٣ - إن رغبة الام أنييس في ايضاح اقوال اختها، جعل المحاورات تطول أو تقصر، حسبما بدا لها فيها. فكلّما كان الحديث قصيراً، مبتكراً، جذّاباً، مدهشاً، كان اقرب الى النطق الحرفي(١).

٤ - إن مقارنة تدوينات الام انييس، بتدوينات الشاهدات الاخريات، وبسائر النصوص التريزية، تظهر بوضوح تقارب الشهادات نصّاً وروحاً؛ وهذا التقارب يرجّح كفة صحة المحاورات ويتيح لنا اعتبارها يوميات مريضة ووصيّة قدّيسة.

٤ - وصية قديسة

رغم ان الام انييس لم تتوقّف طويلاً عند تفاصيل المرض، إلا ان الملاحظات التي ترافق اقوال تريز تطلعنا على تطوّر مرضها واوجاعها.

والأهم من ذلك أن هذه المحاورات ترسُمُ عن تريز في الاشهر الاخيرة، صورةً حيَّةً، يبدو فيها قلبُها متقِّداً بالحبّ للعريس، «السارق الذي يتأخر في المجيء»، وبالمحبّة للأخوات اللواتي كنَّ يتنافسن في خدمتها أو يساهمن في مضاعفة آلامها. ولا ننسى استمرار طبعها المَرِح في ابتكار الكثير من النكات التي كانت تدهش اخواتها وزوّارها، كما تثير على شفة قرّائها ابتسامات ندّية. ولذلك ضُمَّت هذه المحاورات المبعثرة الى الكتابات الاصلية. وهي تعدّ مع رسائلها الاخيرة بمثابة وصية قلبها، اي وصيَّة قدّيسة.

---

(١) Thérèse de lisieux - **Oeuvres Complètes** p. 984.

« الدفتر الأصفر »
للأم أنييس

(حميم جداً)

كلمات قديستنا الصغيرة
جُمعت خلال الاشهر الاخيرة من حياتها .

الأخت أنييس ليسوع
كرملية حافية غير مستحقة

٦ نيسان ١٨٩٧

* ١ – عندما يُساء فهمنا ويُحكَم علينا بطريقة غير مؤاتية، فما جدوى الدفاع عن أنفسنا وتبرير سلوكنا؟ فلنَدَعْ ذلك، ولا نقُل شيئاً؛ فمن العذب جداً ألَّا نقول شيئاً، وأن نترك الآخرين يحكمون علينا كيفما كان! لا نرى في الإنجيل مطلقاً أن القديسة المجدلية برّرت نفسها عندما اتّهمتها أختها بالمكوث عند قدمي يسوع بدون أن تفعل شيئاً (**لوقا** ٣٩/١٠– ٤٠). لم تقل قَطُّ: «يا مرتا، لو كنت تعرفين السعادة التي أتذوَّقها، ولو كنت تسمعين الكلام الذي أسمعه! فضلاً عن ذلك، فإنَّ يسوع هو من قال لي بأن أمكث هناك.» لا، لقد فضَّلَتْ أن تسكت. يا له صمتاً طوباويًّا يغمر النفس بالسلام.

* ٢ – «**ليبقَ سيف الروح الذي هو كلمة الله، في فمنا وقلوبنا أبداً.**» (**أفسس** ٦/ ١٧).

إذا كنَّا في خصام مع نفس مزعجة، فلا نجافينّها ولا نتركنّها أبداً. فلنحمل دائماً «سيف الروح» في فمنا لكي نخلصها من أخطائها، ولا ندع الأمور تجري على أعنَّتها لنحافظ على راحتنا؛ ولْنحارب دائماً حتى بدون أمل في ربح المعركة. ما يهمُّ النجاح؟ فما يطلبه الله منَّا إنَّما هو ألّاَ نتوقف عندما نتعب من الصراع، وألَّا تثبط عزيمتنا قائلين: فليكُنْ! ليس من شيء نجنيه من ذلك، وعلينا أن نتخلَّى عنه». آه! إنها الجبانة. ويجب القيام بالواجب حتى النهاية.

* ٣ – آه! كم يجب ألّا نحكم على شيء في الأرض. هاكي ما جرى لي في أثناء الفرصة، منذ بضعة أشهر. إنَّه أمر بسيط ولكنَّه علَّمني كثيراً:

* قُرع الباب مرَّتين؛ وبما أنَّ القَيِّمة كانت غائبة، كان لا بدَّ من راهبة مرافقة للأخت تريز للقديس أوغسطينوس. ومن المزعج عادة القيام بمهمَّة المرافقة؛ لكن هذه المرة، فقد استهواني الامر، لأنَّه كان يجب فتح الباب لاستسلام أغصان الشجرة لأجل المِذود.

* كانت الأخت ماري للقديس يوسف إلى جانبي، وعرفت أنَّها كانت تشاركني رغبتي الطفولية. – قالت الأخت تريز للقديس أوغسطينوس: «مَنْ سيقوم لي بمهمة المرافقة؟» – طويت فوراً مئرزي، لكن بتمهّل حتى تكون الأخت ماري للقديس يوسف مستعدة قبلي وتأخذ مكاني؛ وهذا ما حصل. عندئذ نظرت إليَّ الأخت تريز للقديس أوغسطينوس ضاحكةً وقالت: «حسناً! إنَّ أختي ماري للقديس يوسف هي مَنْ سينال

(*) هذه العلامة تدلّ على أنَّ الكلام هو كلام تريز.

هذه اللؤلؤة في إكليلها . لقد كنت تسيرين ببطء شديد ». لم أجب إلّا بابتسامة وعدت الى العمل قائلة في نفسي : « يا إلهي، كم تختلف أحكامك عن أحكام البشر! هكذا نخطئ غالباً على الأرض، اذ نعتبر ما هو استحقاق أمامك نقصاً في أخواتنا ».

٧ نيسان

كنت أسالها بأية طريقة سأموت، كاشفة لها مخاوفي . فأجابتني بابتسامة ملؤها الحنان :

* « إنَّ الله تعالى سيشربك مثل قطرة ندى صغيرة »...

١٨ نيسان

أسرّت إلي للتوّ ببعض الإهانات المؤلمة التي تلقتها من بعض الاخوات .

* ١ - « إن الله يعطيني بهذه الطريقة جميع الوسائل لأبقى صغيرة ؛ وهذا ما يلزمني ؛ فأنا مسرورة دائماً ، وأتدبر الأمر، حتى وسط العاصفة ، بحيث أبقى في باطني في سلام عميق . إذا أُخبِرتُ عن شجاراتٍ بين الأخوات ، أحاول ألَّا أتحمَّس بدوري ضدَّ هذه أو تلك . فيجب ، مثلاً ، حينما أصغي ، أن أستطيع النظر من النافذة وأتمتع في الداخل برؤية السماء والأشجار ... أتفهمين؟ منذ قليل ، خلال صراعي في امر يتعلَّق بالاخت « الفلانية » ، كنتُ أنظر بسرور إلى العقاعق الجميلة ترتَعُ في المرج ، وكنت أنعم بالسلام وكأنني في التأمل ... لقد صارعت كثيراً على هذا الشكل ... فأنا تعبةٌ جداً! لكنني لا أخشى الحرب . إنَّ مشيئة الله هي بأن أحارب حتى الموت! آهِ! يا أميمتي! صلّي لأجلي .

* ٢ - ... عندما أُصلي لأجلك ، لا أتلو الأبانا والسلام ، بل أقول ببساطة وباندفاع القلب : « يا إلهي ، أَغمرْ أميمتي بجميع أنواع الخيرات ، أَحبَّها أكثر ، إن كنت تستطيع ذلك » .

* ٣ -كنتُ ما زلت صغيرة جداً حينَ أعطتني امرأة خالي قصة لأقرأها أدهشتني كثيراً . رأيت ، في الواقع ، أن مديرة مدرسة داخلية كانت تُمدح لأنها كانت تعرف كيف تتخلص من المأزق بمهارة ، بدون أن تجرحَ أحداً . ولاحظت بصورة خاصة هذه العبارة :

« كانت تقول لهذه : لستِ على خطأ ولتلك : أنتِ على صواب » . وكنت أفكّر في قرارة نفسي : بئس التصرّف ! كان على تلك المديرة ألّا تخشى شيئاً وتقول لصغيراتها إنهن على خطأ عندما يكنّ حقّاً على خطأ .

* والآن لم أُغيِّر رأيي . أقرّ بأني أكثر بؤساً ، لأنَّه مِن السهل جداً دائماً أن نلقي بالخطأ على الغائبين ، فهذا يهدِّئ الشاكية فوراً . نعم ، ولكن... أما أنا فافعل العكس ذلك تماماً. فإذا كنتُ غير محبوبة ، فليكن ! أنا أقول الحقيقة كاملة ، فمن لا يريد معرفة هذه الحقيقة ، فليمتنع عن المجيء إليَّ .

* ٤ – ويجب ألّا تتحول الطيبة إلى ضعف . فعندما نوبّخ بعدل ، فيجب ان نثبت على ذلك ، بدون أن نتأثر فتتعذَّب لأننا سبَّبنا حزناً ورأينا ألماً وبكاءً . أن السعي وراء أخت آلمناها لتعزيتها يعود عليها بالشر أكثر منه بالخير . أن ندعَها وشأنها يُجبِرها على اللجوء إلى الله لترى أخطاءها وتتواضع. أمّا اذا اعتادت أن تتلقّى العزاء بعد توبيخ استحقَّته، فإنَّها ستتصرف دائماً ، في ذات الظروف ، كطفلةٍ مُدللة تضرب الارض برجليها وتصرخ حتى تأتي أمها وتمسح دموعها .

١ أيار

* ١ – ليس الموت مَنْ سيأتي ويأخذني ، بل الله. والموت ليس طيفاً ولا شبحاً مخيفاً ، كما نُمثِّله في الصور . لقد قيل في التعليم المسيحي إنَّ « الموت هو إنفصال النفس عن الجسد » ، ليس إلّا !

* ٢ – كان قلبي اليوم مفعماً بسلام سماوي . فقد صليت كثيراً إلى العذراء القديسة مساء أمسِ، وأنا أفكر في أن شهرها الجميل سيبدأ .

* لم تكوني في الفرصة هذا المساء . قالت لنا أمُّنا إنَّ أحد المُرسلين الذين أبحروا مع الأب رولان مات قبل وصوله إلى مقرِّ رسالته . وكان هذا المُرسَل الشاب قد تناول على المركب من قربانات الكرمل التي أعطيت للأب رولان ... لقد مات الآن بدون ان يقوم بأي رسالة ، وبدون أن يكون قد بذل أيَّ جهد ، كأن يتعلّم اللغة الصينية . فالله قد منحه سَعفة الشوق؛ انظري كم أنَّه ليس بحاجة إلى أحد .

لم أكن أعرف ، عندئذ ، أن الأم ماري دي غونزاغ كانت قد أعطتها الأب رولان

أخاً روحيّاً ثانياً. وكان الاب رولان قد كتب اليها الكلام الذي نقلْتُه للتوّ؛ وبما أن أُمَّنا منعتها من أن تبوح لي به، فهي لم تكلمني إلّا على سمعته في الفرصة.

فقد كانت تضحيةً كبيرةً بالنسبة اليها أن تكتم لفترةٍ سنتين تقريباً على علاقاتها بالمرسل المذكور . . .

كانت أُمُّنا قد طلبت إليها أن ترسم له صورةً على رَقّ. ولمَّا كنتُ أول مدرِّبة لها على الرسم، كان في استطاعتها أن تنتهز الفرصة وتطلب مني نصيحةً تجعلني بهذا أحزر كلَّ شيء. لكنها، على العكس، كانت تختبئ عني بأفضل ما يمكنها، وتأتي خفية - كما علمتُ فيما بعد - لتأخذ مِصقلة الذهب، وكنتُ أحتفظ بها على طاولتنا. وكانت تعيدها عندما اكون غائبة.

وقبل ثلاثة أشهر فقط من وفاتها، اشارت عليها أُمّنا، من تلقاء نفسها، بأن تكلّمني بحريّة على هذا الموضوع، وعلى أيٍّ موضوع آخر.

٧ أيار

١ - الساعة ٧ صباحاً

* اليوم يوم إجازة[١]. فقد رنّمت « فرحي »[٢] بينما كنت أرتدي ثيابي.

* ٢ - لن تبقى عائلتنا طويلاً في الأرض... وعندما سأصير في السماء، سأدعوكنَّ بسرعة جداً... آه! كم سنكون سعيدات! لقد خُلقنا جميعاً والاكليل على رأسنا...

* ٣ - إني أسعل! أسعل! يشبه ذلك قاطرة سكة الحديد عندما تصل إلى المحطة. أنا أيضاً أصل إلى محطَّة؛ إنَّها محطة السماء، وها أنا أعلنها!

٩ أيَّار

* ١ - نستطيع القول فعلاً، بدون تبجُّح، إننا تلقينا نِعماً وأنواراً خاصة جدّاً. نحن في الحق؛ ونرى الأشياء في نورها الحقيقي.

---

(١) أي يوم فرصة غير اعتيادية يُسمح فيها للأخوات بالتحدّث والترنيم بحرّية.

(٢) قصيدتها المعروفة رقم ٤٥.

٢ – عندما نؤدّي خدمةً ما ولا نتلقّى أيَّ عرفان بالجميل ، تنتابنا مشاعر لا نستطيع مقاومتها ، فقالت عنها :

* أؤكِّد لك أني ، أحس أنا ايضاً ، بالشعور الذي تحدِّثينني عنه ؛ لكنّي لا أقع في الفخ أبداً ، لأنني لا أنتظر في الارض أيَّ أجر : فأنا أفعل كل شيء من أجل الله . وعلى هذا الشكل ، لا أَقدر أن أُضَيِّع شيئاً ، وأتلقى دائماً مكافأة كبيرة جداً عمّا بذلت من جهدٍ في خدمة القريب .

* ٣ – واذا لم يرَ الله بذاته ،أعمالي الحسنة ، وهذا مستحيل ، فلن أحزن لذلك قطعاً . فأنا أحبّه إلى حدٍّ أنني أودُّ لو أستطيع إرضاءَه بدون أن يعرف أنني أنا . فإن عرف ورأى ذلك ، فهو مُجبَرٌ نوعاً ما « على المعاملة بالمثل » ، وأنا لا أريد أن أُحمِّلَه تلك المشقة ...

١٥ أيَّار

* ١ – أنا مسرورة جداً بالذهاب قريباً إلى السماء ، لكن حينما أفكر في كلمة الله هذه : **معي جَزائي الذي أُجزي به كلَّ واحدٍ على قَدْرِ عَمَلِهِ** (**رؤيا ٢٢/ ١٢**) ، أقول في نفسي : بالنسبة إلي ، سيحتار جداً في امري إذ لا أعمال لديّ ! فلن يستطيع أن يجزيني على « قدر أعمالي »... إذاً ! سيجازيني على « قدرِ أعماله ، هو ...»

* ٢ – لديّ عن السماء فكرة سامية جداً ، بحيث أنني أتساءل ، أحياناً ، ماذا سيفعل الله ، عند موتي ، كي يفاجئني . رجائي عظيم للغاية ، وهو بالنسبة إلي مصدرُ فرحٍ ، ليس بالشعور ، بل بالإيمان – بحيث سيلزمني شيء يفوق كلّ فكر حتى يرضيَني تماماً . وعوض عن أن يخيب أملي ، أفضّل الاحتفاظ بأمل أبدي .

* وأخيراً ، أفكر منذ الآن في أنه ، إذا لم أفاجأ بنوعٍ كافٍ ، سأتظاهر بأنني كذلك ، إرضاءً لله . لا خطر في أن أتركه يرى خيبة أملي ؛ وسأعرف كيف أتصرف لئلّا يلاحظها . وعلى كلِّ حال ، سأتدبّر نفسي دائماً لكي أكون سعيدة . ولكي أتوصل إلى ذلك ، لديَّ ترتيباتي الصغيرة التي تعرفينها وهي لا تخطئ ... ثم ، إن رؤية الله سعيداً ، تكفي تماماً لإسعادي.

٣ – كنت قد كلَّمتها على بعض ممارسات العبادة والكمال التي نصح بها القديسون والتي كانت تثبِّط عزيمتي .

* بالنسبة إلي ، لم أعد أجد شيئاً في الكتب ، اللهم ، إلَّا في الإنجيل . هذا الكتاب يكفيني . وأصغي بلذّة إلى كلمة يسوع هذه التي تقول لي كلَّ ما عليَّ ان أفعله : **تتلمذوا لي فإني وديعٌ ومتواضعُ القلب** (**متى** ١١/ ٢٩) ؛ عندئذ أحظى بالسلام ، حسب وعده العذب : ... **وستجدون راحة نفوسكم**.

قالت لي هذه الجملة الأخيرة ، رافعة عينيها ، بتعبير سماوي ؛ ثم أضافت هذه الكلمة : « الصغيرة » إلى كلام ربنا ، مما زادها سحراً :

* « ...**وستجدون راحة نفوسكم الصغيرة** ...».

٤ - كان قد أُعطي لها ثوبٌ جديد (وهو الثوب الذي حُفظ) ، ارتدته لأول مرة في ميلاد ١٨٩٦. هذا الثوب ، وهو الثاني منذ أن لبست الثوب الرهباني ، لم يكن قط يناسبها . فسألتها إذا كان يزعجها ذلك :

* على الإطلاق ! ليس أكثر مما لو كان لباس أحد الصينيين ، هناك ، على بعد ٢٠٠٠ فرسخ منّا .

* ٥ - أنثر ، يميناً ويساراً ، لعصافيري الصغيرة الحبوبَ الصالحة التي يضعها الله في يدي الصغيرة . وبعد ذلك ، يحدث ما يحدث ، فلا أعود أشغل نفسي بها . يكون الأمر أحياناً ، كما لو لم أرمِ شيئاً ؛ وأحياناً أخرى ، يكون خيراً ؛ لكن الله يقول لي : « أعطي ، أعطي دائماً بدون أن تهتمّي بالنتيجة .»

* ٦ - أودّ فعلاً لو اذهب إلى هانوي[٣] كي أتألم كثيراً لأجل الله . أودّ لو أذهب إلى هناك كي أكون وحدي ، فلا أنال أيَّ عزاء في الارض . امّا بالنسبة الى تصوّري أن أكون نافعةً هناك ، فلا يخطر حتَّى في بالي ، فأنا أعرف جيداً أنني لن أفعل شيئاً أبداً .

* ٧ - على كلِّ حال ، سيَّان عندي أن أحيا أو أموت . فلا ارى ما يمكن أن أحصل عليه بعدَ الموت اكثر مما لديَّ الآن في هذه الحياة . سأرى الله ، وهذا صحيح ! أما أن أكون معه ، فأنا معه تماماً منذ الآن على الأرض .

---

(٣) مدينة في فيتنام ، أصبحت العاصمة فيما بعد ، وكان فيها دير للكرمل أسَّسه كرمل سايغون سنة ١٨٩٥ .

١٨ أيار

* ١ – لقد أعفوني من كل وظيفة. فاعتبرت أن موتي لن يحدث أقل إزعاج في الجماعة.

هل يؤلمك أن تعتبرك أخواتك عضواً غير نافع؟

* آه! ان ذلك هو آخر همٍّ من همومي، فالامر عندي سيَّان!

٢ – لمّا رأيتها مريضة إلى هذا الحد بذلت كلَّ جهدي، حتى أحصل من أُمنا على إعفائها من «فرض الموتى»[٤].

* أرجوك، لا تمنعيني من تأدية قسطي الصغير من فرض الموتى. فهذا كل ما أستطيع القيام به لأجل الأخوات اللواتي في المطهر، وهذا لا يتعبني على الاطلاق. فأحياناً، في نهاية وقت الصمت[٥]، لديَّ وقت قصير؛ وهذا يمنحني بعض الراحة.

* ٣ – أنا بحاجة دائماً الى شغل جاهز؛ وعلى هذا الشكل لا ينشغل بالي ولا أضيّع وقتي أبداً.

* ٤ – طلبت إلى الله أن أتابع أعمال الجماعة حتى موتي؛ لكنه لا يشاء! قد استطيع فعلاً، وبكلّ تأكيد، المشاركة في جميع الصلوات، ولن أموت بسببها قبل أواني بدقيقة. ويبدو لي أحياناً أنني لو لم أقل شيئاً، لما وجدني أحد مريضة.

١٩ أيار

لماذا إذاً أنتِ مرحة اليومَ إلى هذا الحد؟

* لأنني عانيت هذا الصباح من ضيقين «صغيرين»، آه! مؤثِّرين جدّاً! لا شيء يمنحني أفراحاً «صغيرة» بقدر الضيقات «الصغيرة»...

٢٠ أيار

* ١ – قال لي إنّي سأخاف الموت. ان ذلك ممكن جداً. فما من أخت هنا أكثر حذراً منّي بشأن مشاعرها. أنا لا أتكل أبداً على أفكاري الخاصة؛ فأنا عارفة بضعفي؛

(٤) صلاة مفروضة على الأخوات لدى وفاة أي راهبة.
(٥) فترة استراحة بين صلاة النوم وصلاة الليل.

لكنّي أريد أن أنعم بالشعور الذي يهبنيه الله الآن. وسيحين أوان التألم من الشعور المناقض.

٢ – أريتها صورتها:

* نعم، لكن... هذا هو الغلاف؛ متى سنرى الرسالة؟ آه! كم أودّ فعلاً لو أرى الرسالة!...

من ٢١ الى ٢٦ أيّار

* ١ – يعجبني تيوفان ڤينار أكثر من القديس لويس دي غونزاغ لأن حياة لويس دي غونزاغ خارقة، بينما حياة تيوفان عادية جدّاً. ثم إنَّه هو الذي يتكلم، بينما يروي شخص آخر حياة القديس لويس ويجعله يتكلّم. بهذا الشكل لا يُعرف شيئ تقريباً عن نفسه «الصغيرة»!

* كان تيوفان ڤينار يحبّ عائلته كثيراً؛ وأنا، ايضاً، أحبُّ عائلتي «الصغيرة» كثيراً. فأنا لا أفهم القديسين الذين لا يحبّون عائلتهم... عائلتي الصغيرة الحالية، آه! أحبُّها كثيراً! وأحبُّ أميمتي كثيراً كثيراً.

* ٢ – سأموت عمَّا قليل، لكن متى؟ آه! متى؟ الموت بعيد! وأنا مثل طفلٍ يعِدُونه دائماً بقطعة حلوى: يُظهرونها له من بعيد؛ ثم حين تَقترب لتناولها، تنسحب اليد... لكن، في الواقع، أنا مستسلمة فعلاً الى أن أحيا، أو أموت، أو أُشفى، أو اذهبَ إلى كوشنشين[٦]، إذا شاء الله ذلك.

* ٣ – بعد موتي، يجب ألَّا أُحاط بأكاليل مثل الأم جنڤياڤ. قولي للأشخاص الذين يريدون تقديمها، إنني أفضِّل أن يُستخدم هذا المال لتحرير بعض صغار الزنوج. فهذا ما يسرّني.

* ٤ – منذ فترة، كنتُ أتضايق كثيراً من تناول أدوية غالية الثمن. أما الآن، بالعكس، فهذا الامر لا يعني لي شيئاً. فمنذ أن قرأتُ في حياة القديسة جرترود أنَّها كانت تنعم بذلك لأجلها بالذات، قائلة لنفسها إن كلَّ شيء سيكون في مصلحة مَنْ

(٦) الى كرمل سايغون الذي أسَّسه كرمل ليزيو.

أحسنوا إلينا. وكانت تستند الى كلام ربِّنا: **كُلَّما صنعتُم شيئاً لواحدٍ من إخوتي هؤلاء الصِّغار، فلي قد صَنَعتموه (متى ٢٥/ ٤٠).**

* ٥ – أنا مقتنعة بأن العلاجات لن تفيد في شفائي. لكنّي تدبَّرت أمري مع الله، لكي يفيد منها بعض المرسلين المرضى المساكين الذين لا وقت لديهم ولا إمكانيات للعناية بأنفسهم. وطلبتُ إليه أن يشفيهم بدلاً مني بالأدوية والراحة التي أجبر على أخذها.

* ٦ – لقد كرّروا عليَّ كثيراً أنني شجاعة، وهذا غير صحيح، بحيث قلتُ لنفسي: لكن، في النهاية، يجب ألَّا أكذِّب العالم كله! وانصرفت، بمعونة النعمة، إلى إكتساب هذه الشجاعة. فعلت كالمحارب الذي، لدى سماعه التهاني على بسالته، وهو يعرف كل المعرفة أنَّه ليس إلَّا جباناً، قد ينتهي به الامر إلى الإحساس بالخجل من الإطراء ويتمنَّى ان يستحقه.

* ٧ – عندما سأصير في السماء، ما أكثر ما سأطلب من النعم! آه! سأزعج الله كثيراً بحيث تجبره لجاجتي على إرضاء رغباتي اذا بادر الى رفضها. هذه الحكاية موجودة في الإنجيل (**لوقا** ١١/٥–٨).

* ٨ – ... اذا أحبّني القديسون أقل مِن أُخيَّاتي، سيبدو لي ذلك قاسياً جداً... وسأذهب لأبكي في زاوية صغيرة...

* ٩ – لن يصير أطفال بيت لحم الأبرياء أطفالاً في السماء؛ وسينعمون فقط بسحر الطفولة الفائق الوصف. نتصوَّرهم «كأطفال»، لأننا بحاجة إلى صور لفهم الأمور الروحية. ...

* نعم، آمل أن أنضمَّ إليهم! وإذا شاؤوا، سأكون غلامهم الصغير، وسأمسك بأذيالهم الصغيرة...

* ١٠ – لو لم أكن أعاني هذه المحنة الروحية[٧] التي يستحيل فهمها، أعتقد أنني كنت لأموت فرحاً عندما أفكر في أني سأترك الأرض قريباً.

(٧) محنة الايمان التي تدوم منذ فصح ١٨٩٦ (**مخطوط** ج).

من ٢١ إلى ٢٦ أيَّار[٨]

* ١ – كنتُ حزينة قليلاً هذا المساء، وأتساءل ما إذا كان الرب مسروراً مني حقاً. وكنتُ أفكر فيما ستقوله كلُّ واحدة من أخواتي، لو سُئلت عني. قد تقول فلانة: «أنَّها نفس صغيرة طيِّبة، ويمكنها أن تصبح قديسة».. وتقول أخرى: «إنَّها وديعة جدّاً، ورعة جدّاً، ولكن هذا... ولكن ذاك...». وربَّما كان للأخريات ايضاً أفكارٌ مختلفة؛ فقد يجدني بعضهنَّ ناقصةً فعلاً، وهذا حقيقي... اما بالنسبة الى أميمتي الحبيبة، فهي تحبّني بشدّة، وهذا يعميها، فلا أستطيع تصديقها. آه! مَنْ يقول لي فكر الله؟ كنت غارقة في هذه الأفكار عندما وصلتني كلمتُك الصغيرة. قلتِ لي إنَّ كل ما فيَّ يعجبك، وإن الله يحبُّني بشكلٍ خاص، وهو لم يجعلني أتسلق مثل الأخريات سلَّم الكمال الشاق، لكنَّه وضعني في مصعد حتى أكون أسرع في العودة إليه[٩]. عندها، تأثّرت، لكن التفكير في أن حبَّك يجعلك ترين ما ليس موجوداً، منعني من التنعم تمام المتعة؛ عندئذ، أخذت إنجيلي الصغير، طالبة إلى الله أن يعزِّيني، وأن يجيبني بنفسه... وإذا بي أقع على هذا المقطع الذي لم أكن قد لاحظته قط: «إنَّ من يرسله الله يتكلّمُ بكلام الله. ذلك بأن الله يهبه الروح بغير حساب». (**يوحنا** ٣/ ٣٤) آه، عندئذٍ، ذرفت دموع الفرح؛ ولدى استيقاظي هذا الصباح، كنتُ لا أزال عابقة بالطيب. فأنتِ، يا أميمتي، من أرسلها الله لأجلي، وأنتِ مَنْ ربَّاني، ومن جعلني أدخل الكرمل؛ وبواسطتكِ تلقّيت كل نِعَم حياتي الكبيرة؛ لذا فأنتِ تقولين ذات الأشياء التي يقولها الله؛ والآن، أعتقد أنَّ الله مسرورٌ منِّي جدّاً، لأنَّك تقولين لي ذلك.

٢٦ أيار

ليلة الصعود

* هذا الصباح، في أثناء الزياح، كنتُ في مَحبَسة القديس يوسف، وكنتُ أنظر من بعيد، عبر النافذة، إلى الجماعة في الحديقة. كان زياح الراهبات بالمعاطف البيضاء رائعاً؛ فخطر لي موكب العذارى في السماء. فعندما [بلغتم] دورة ممر أشجار الكستناء، رأيتكنّ جميعاً نصف محجوبات بالأعشاب الطويلة وأزرار الذهب في المرج. كان المشهد

(٨) لا أذكر التاريخ بدقَّة (الام أنييس).

(٩) راجع قصة المصعد في **مخطوط** ج الذي كتب تقريباً في الوقت نفسه.

يزداد متعةً. وإذا بي أرى بين هؤلاء الراهبات واحدة من أكثرهنَّ لطافة، تنظر إلى ناحيتي، وتنحني ضاحكة لتوحي إليَّ بإيماءة تعارف. كانت هذه أميمتي! وفوراً تذكرت حلمي: إنها إبتسامة الأم حنة ليسوع، وغمرني ذات الإحساس بالعذوبة. فقلت في نفسي: هكذا إذاً يعرفني القدّيسون، ويحبّونني، ويبتسمون لي من الأعالي ويدعونني الى الإنضمام إليهم!

* عندئذ انهمرت دموعي... فمنذ سنوات طويلة جداً لم أبكِ بهذا القدر. آه! كانت دموعاً عذبة!

٢٧ أيّار

الصعود

* ١ - أقبل حقّاً بالنشرة[١٠]، لأنني اعتبرت دائماً أنَّ عليَّ إيفاء فرض الموتى الذي تتلوه كل كرملية لأجلي. ولا أفهم كثيراً لماذا يوجد مَنْ لا يُردن نشرةً؛ إنَّه لعذب جداً أن نعرف بعضنا بعضاً، وأن نتبيّن مع مَنْ سنعيش الى الابد.

* ٢ - لست خائفة قطعاً من المعارك الأخيرة، ولا من آلام المرض، مهما كانت كبيرة، لقد أعانني الله دائماً؛ لقد ساعدني، وقادني بيده منذ نعومة أظفاري... وأنا أعتمد عليه. وأنا متيقّنة من أنَّه سيستمر في عوني حتى النهاية. قد لا أعود أتحمَّل، لكن الامر لن يفوق طاقتي ابداً، وأنا متأكدة من ذلك.

* ٣ - لا أعرف متى سأموت، لكني أعتقد أن موتي سيكون قريباً؛ ولدي أسباب كثيرة تحملني على توقّعه.

* ٤ - لست أرغب في الموت أكثر مما أرغب في الحياة؛ أي أنه لو كان عليَّ أن أختار، لفضّلت أن أموت؛ لكن بما أن الله هو من يختار لي، فأنا أفضّل ما يشاء. فما يفعله الله إيّاه أحبّ.

* ٥ - لا تعتقدوا ان شقائي سيُحيّرني وسيهدم مخططاتي الصغيرة. أبداً على الإطلاق! فالعمر ليس شيئاً في عيني الله، وسأتدّبر نفسي جيّداً لأبقى طفلة، حتى لو عشت طويلاً جداً.

(١٠) هي النشرة التي تُرسَل الى الاديار لإعلامها بوفاة إحدى الراهبات.

* ٦ - أرى دائماً الجانب الحسن من الأشياء. وهناك من يأخذ كل شيء بطريقة تحزنه أشد الحزن. اما أنا، فالأمر عكس ذلك: فلو كنت لا أشعر إلّا بالألم المحض، وإذا كانت السماء سوداء بحيث لا أرى بصيص نور، فعندئذٍ أجعل من ذلك فرحي... وأتكبّر... بسبب ذلك! كما جعلتني شدائد أبي اكثر فخراً من ملكة.

* ٧ - هل لاحظتِ، عند القراءة على المائدة، تلك الرسالة الموجّهة إلى والدة القديس لويس دي غونزاغ، حيث يقال عنه إنَّه لم يكن ليزداد تعلّماً او قداسةً ولا أن يكون قديساً أكثر حتى لو بلغ عمر نوح؟!

بصدد موتها

* ٨ - إني اشبه إنساناً يملك ورقة يانصيب، فيجري حظه في الربح أكثر من آخر لا يملك مثلها؛ ومع ذلك، فهو ليس متأكداً، بعدُ، من نيل حصَّته. وأخيراً، لديّ بطاقة وهي مرضي، وبوسعي الا أفقد الامل.

* ٩ - أتذكر أن جارة صغيرة لنا في البويسونة، عمرها ثلاث سنوات، كانت تقول لأمها عندما تسمع صغاراً آخرين ينادونها: «ماما! إنهم يريدونني! دعيني أذهب، أرجوك... إنهم يريدونني!....»

* حسناً، يبدو لي أن الملائكة الصغار ينادونني الآن، فأقول لك كالفتاة الصغيرة: «دعيني أرحل، إذاً، إنهم يريدونني!».

* لا أسمعهم، لكنني أشعر بهم.

* ١٠ - حين تقرّر أن رحيلي إلى تونكان، قبيل شهر تشرين الثاني/نوفمبر، أتذكرين أننا باشرنا تساعية إلى تيوفان ڤينار لنيل علامة عن مشيئة الله؟ في ذلك الوقت، كنتُ أشارك من جديد في جميع مزاولات الجماعة، حتى في صلاة الليل! وفي أثناء التساعية تماماً، بدأت بالسعال من جديد، ومنذ ذلك الحين لا اسير إلّا من سيّء إلى أسوأ. يناديني. آه! أودّ فعلاً لو أحصل على صورته؛ فهو نفسٌ تعجبني. كان القديس لويس دي غزنزاغ رصيناً، حتى في الفرصة؛ أمّا تيوفان ڤينار، فقد كان مَرِحاً دائماً.

في ذلك الحين كانت قصة القديس لويس دي غونزاغ تُقرأ على المائدة.

٢٩ أيار

علاج بالكيّ للمرّة الثانية . في المساء ، كنت حزينة ففتحت الإنجيل أمامها لأعزّي نفسي . فوقعت على هذه الكلمات التي قرأتها لها : **إنَّه قام وليس ههُنا ، وهذا هو المكان الذي كانوا قد وضعوه فيه** . (**مرقس** ١٦ | ٦).

* نعم ، هذا هو الأمر فعلاً ! لم أعد ، في الواقع ، كما كنت في طفولتي ، يطالني كل وجع بسهولة ؛ فكأنني إنبعثت من جديد ، ولم أعد في المكان الذي يُعتقد أنني فيه ... آه ! لا تحزني لأجلي ، لقد بلغت حدّاً لا يسعني فيه أن أتألّم ، لأنني استعذب كل ألم !

٣٠ أيار

١ – في ذاك اليوم ، سُمح لها بأن تبوحَ لي ببصقها الدم في يوم الجمعة العظيمة ١٨٩٦ . ولما أبديت لها حزني الشديد كوني لم أُبلَّغ في الحال ، فقد عزّتني بأقصى جهدها و كتبت إليّ هذه البطاقة في المساء عينه :

* لا تحزني ، يا أميمتي الحبيبة لأن صغيرتك بدت وكأنها تخفي عنك شيئاً ما ؛ لأنَّك تعرفين جيّداً أنَّها إذا أخفت زاويةً من المغلَّف ، فهي لم تخفِ عنكِ قط سطراً واحداً من الرسالة . ومَنْ يعرف أكثر منك تلك الرسالة الصغيرة التي تحبِّينها إلى أبعد حد ؟ الأخريات ، يمكننا أن نُريهنَّ المغلف من كل جوانبه ، لأنهن لا يستطعن أن يرين غير ذلك ، اما انت !!!... آه ! أنتِ تعرفين ، الآن ، يا أميمتي ، أن يسوع ، قد بدأ يوم الجمعة العظيمة ، بتمزيق مغلف « رسالتك » الصغيرة قليلاً ؛ ألست مسرورةً بأنَّه يستعدّ لقراءة هذه الرسالة التي تكتبينها منذ ٢٤ عاماً ؟ آه ! لو كنت تعلمين كم ستُحسن التعبيرَ له عن حُبِّك طوال الابدية كلها!.

٢ – قد تتألمين كثيراً قبل أن تموتي !...

* آه ! لا تغتمّي ، فإن لي رغبة شدية في ذلك !

* ٣ – لا أدري مذا سافعل في السماء حتى أستغني عنك !

٤ حزيران

١ – قامت بوادعنا في حجرة الأخت جنڤياڤ للوجه الأقدس ، تلك التي تقع عند الناحية المُطلة على السَطح ، من جهة قاعة المجمع الديري . كانت مستلقية على فراش

القش الخاص بالأخت جنقياف. فبدت في ذاك اليوم، وكأنَّها لم تعد تتألّم وكأن وجهها قد تجلّى. ولم نسأم من النظر إليها والإصغاء إلى كلماتها العذبة.

* طلبتُ إلى العذراء القديسة ألّا أعود من بعدُ خامدةً مستغرقة كما كنتُ أجد نفسي طوال هذه الايّام؛ فقد كنت أشعر فعلاً بأنني أسبب لك حزناً. فاستجابت لي هذا المساء.

* آه! يا أخياتي، كم أنا سعيدة! أرى أنني سأموت قريباً، وأنا الآن متأكدة من ذلك.

* لا تندهشن إذا لم أظهر لكُنّ بعد موتي، ولم تَرَين أيَّ شيء خارق كإشارة يدلّ على سعادتي. ستتذكَّرن أن «طريقي الصغير» هو أن لا أرغب في رؤية شيء. إنكنّ تعرفن جيّداً ما قلته مرّات كثيرة لله وللملائكة والقديسين:

« رغبتي ليست في أن أراهم

« في هذه الدنيا »[١١].

قالت الاخت جنقياف: إن الملائكة سيأتون ليأخذونك. آه! ومع ذلك فنحن نتمنّى فعلاً أن نراهم!

* لا أعتقد أنك ترينهم، لكن هذا لن يمنعهم من أن يكونوا هنا...

* ومع ذلك أتمنّى أن أحظى بميتةٍ جميلة، حتى أُسرِّك. لقد طلبتُ ذلك من العذراء القديسة. ولم أطلبه من الله، لأنني اريد أن أتركه يفعل كما يشاء. فليس الامر نفسه ان أطلب من العذراء القديسة، إنَّها تعرف ما عليها أن تفعل برغباتي الصغيرة، إن كان يجب أن تقولها أو لا تقولَها... وأخيراً، إنَّ الأمر يعود إليها أنّ لا تجبر الله على الإستجابة لي، فتتركه يفعل مشيئته في كل شيء.

* في هذا المساء، نلتُ القدرةَ على أن أعزِّيك قليلاً وأن أكون لطيفة فعلاً؛ لكن يجب ألا تتوقَّعي رؤيتي هكذا لحظةَ موتي... لا أدري! ربَّما صنعت العذراء القديسة ذلك، على الفور، من تلقاء نفسها، بدون أن تقول ذلك لله، فهذا لا يبرهن على شيءِ بالنسبة الى المرحلة اللاحقة.

* لا أدري إذا كنتُ سأذهب إلى المطهر، فلا أقلق لذلك أبداً؛ لكن، إذا ذهبتُ إليه

---

(١١) قصيدة تذكّر.

فلن أندم على أني لم أقم بشيء لتجنُّبه. لن أندم أبداً على أني عملت فقط لخلاص النفوسِ. كم كنت سعيدة بعلمي أنَّ أُمَّنا القديسة تريزا كانت تفكر في ذلك.

* يا أميمتي، اذا صرتِ يوماً رئيسةً من جديد، فلا تقلقي؛ سترين أنَّكِ لن تعاني ما عانيت من مصاعب في الماضي. ستكونين فوق كلِّ الامور. وستَدعين الغير يفكِّر ويقول ما يشاء، وأنت ستقومين بواجبك في سلام ... إلخ... إلخ.

* لا تفعلي شيئاً أبداً حتى تكوني رئيسةً... ولا شيء كذلك حتى لا تكوني ... على كل حال، أعدكِ بأن لا أدعك تأخذين هذا المكان، إن كان ضاراً لنفسك.

عندما قبلّتها:

* لقد قلتُ كلَّ شيء! خاصةً إلى أميمتي، من اجل المرحلة اللاحقة...

* لا تحزنَّ، يا أخيَّاتي، إذا كنتُ أتألَّمُ كثيراً وإذا كُنتنَّ لا تَريّن فيَّ، كما سبق وقلتُ لكنَّ، أيَّ علامةٍ على سعادتي لحظة موتي. إنَّ ربَّنا مات حقاً ضحيَّة الحبِّ، وانظرن كيف كان نزاعه!... كلُّ ما ترينَ لا يعني شيئاً.

٢ – بعد ذلك بقليل، كنت وحدي معها؛ ولما رأيتها تتألَّم كثيراً، قلت لها: «حسناً، كنتِ ترغبين في أن تتألّمي، ولم ينسَ الله ذلك».

* رغبتُ في التألم، وها أنا أُستجاب. لقد تألَّمتُ كثيراً منذ عدة أيام. ففي صباح أحد الايام، في أثناء الشُكر بعد المناولة، شعرت بما يشبه كروب الموت... ومع ذلك، لم أشعر بأيِّ عزاء!

* ٣ – أقبل كلَّ شيء حبّاً بالله، وأقبل حتى الأفكار الغريبة التي تخطر في بالي.

٥ حزيران

(في أثناء صلاة الليل)

* ١ – يا أميمتي، رأيت أنَّك تحبينني حباً مجرَّداً. حسناً! إن كنتُ أعرف أنَّك أميمتي، فستعرفين يوماً أنني بُنيَّتكِ! آه! كم أحبُّك!

* ٢ – قرأت من جديد مسرحية جان دارك التي ألَّفتُها(١٢). سترين فيها مشاعري إزاء

(١٢) جانّ دارك تتمّم رسالتها في ٢١/ ١/ ١٨٩٥.

الموت؛ لقد عبّرت عنها جميعاً؛ وسيسُّرك ذلك. لكن لا تعتقدي أنني أشبه جان دارك عندما تملّكها الخوف للحظة... كانت تشدُّ شعرها!... أمّا أنا فلا أشدّ شعراتي «الصغيرة»...

* ٣ – يا أميمتي، أنتِ يا مَنْ أعدَّني لمناولتي الأولى، أعدّيني الآن لكي أموت...

* ٤ – إنّ وجدتني ميتةً في صباح احد الايام، فلا تحزني: فسيكون بابا، الله الطيِّب قد أتى بكلِّ بساطة ليأخذني. بدون شك، إنَّها لنعمة كبيرة أن أتلقّى «الأسرار»؛ لكن عندما لا يسمح الله بذلك، فهو خيرٌ على كلِّ حال، وكل شيء هو نعمة.

٦ حزيران

* ١ – أشكركِ لأنكِ طلبتِ أن أُعطى كِسرةً صغيرة من القربانة المقدسة. فما أزال أجد مشقةً كبيرةً في ابتلاعها. لكن كم كنتُ سعيدةً بأن أضمَّ الله في قلبي! وبكيت كما في يوم مناولتي الأولى.

* ٢ – أمّا فيما يخص تعرُّضي لتجارب الإيمان، فقد قال لي الاب يوف[١٣]: «لا تتوقَّفي عند هذا الأمر، فهو خطير جدّاً». وسماع ذلك لا يعزّي ابداً، لكن لحسن الحظ لا أتأثَّر به. كوني مطمئنة، فأنا لن أجهد رأسي «الصغير» في القلق.

* وأضاف الأب يوف: «هل أنتِ مستسلمة الى الموت؟». فأجبته: «آه! يا أبتِ، أرى ان الاستسلام لا يلزمنا إلّا لأجل الحياة؛ أمَّا لأجل الموت، فالفرح هو ما أشعر به.»

* ٣ – اسائل نفسي سافعل كي أموت. ومع ذلك اودّ لو أرحل بشرف! على كل حال، أعتقد أن هذا الأمر لا يتعلّق بنا.

(كانت تفكر فينا.)

* ٤ – في طفولتي، كانت أحداث حياتي الكبرى تبدو لي كالجبال التي لا تقهر. فعندما كنت أرى الفتيات الصغيرات في مناولتهنَّ الأولى، كنتُ أقول في نفسي: «كيف سأقوم بمناولتي الأولى»؟.... فيما بعد: «كيف سأفعل حتى أدخل الكرمل؟»... وبعد ذلك: حتى ألبس الثوب الرهباني؟ وأبرز نذوري؟ وحالياً، كيف سأموت!

---

(١٣) هو احد معرّفي الكرمل في تلك السنة.

٥ – «سوف أصوِّرك لأسِرَّ أُمنا». فابتسمت ابتسامةً ماكرة:

* بل قولي إنَّك ستفعلين ذلك لأجلك!... «يا ريح الشمال الخفيفه، كفَّ عن الهبوب! ليس من أجلي، بل من أجل رفيقي الذي ليس عليه سترة...»

ذكّرتني هكذا بقصة صغيرة كان بابا يقصُّها علينا، عن سكان أوفيرنيه[١٤]. وقد قالتها بالنبرة الملائمة، وقد طبقت ذلك بشكل ملائم، لأنَّ الرفيق المحبّ كثيراً في الظاهر، كان في الواقع يرافع عن نفسه.

٦ – لم نُرِد ان نقول لها، إن الشراب الذي كانت تتجرَّعه هو شراب الحلزون، خوفاً من اشمئزازها، لكنها لاحظت ذلك وسخرت من مخاوفنا.

* ماذا يصيبني إن تجرَّعت شرابَ الحلزون، شرط أن لا أرى القرون! الآن، أنا أتناول الحلزون كما أتناول البط الصغير! وأمسِ فعلت مثل النَعام، فتناولت بيضاً نيئاً!

* ٧ – أحبك كثيراً، كثيراً!

٨ – قلتُ لها: **الملائكة على أيديهم يحملونكِ لِئلا تصْدِمَ بحجرٍ رجْلَكِ**. (مزمور ٩٠/ ١١– ١٢) فأجابتني:

* آه! إنه يصلح لهذا الوقت؛ لأنَّه في المستقبل، وبعد موتي، فلن أكون مرتبكة!!!

٩ – بعد زيارة السيِّد كورنيير الذي وجدها قد تحسّنت، قلتُ لها: «هل أنتِ حزينة؟»

* آه! لا ... لقد وقعت على هذا المقطع في الإنجيل: «**قريباً سترون ابنَ الإنسان جالساً على غَمامِ السماء**» (**لوقا** ٢٢/ ٦٩).

* فأجبتُ: «متى يا رب؟». وفي الصفحة المقابلة، قرأت هذه الكلمات: «اليوم بالذات.»

* لكن كل ذلك... يعني ألَّا نقلق من شيء، ألّا نريد أن نحيا ولا أن نموت. وبعد لحظات:

---

(١٤) Auvergne منطقة في وسط فرنسا.

* ومع ذلك، أرغب حقاً في الرحيل! أقول هذا للعذراء القديسة التي تتصرّف به كما تشاء.

٧ حزيران

الأحد[١٥] على المقعد، في آخر المدافن، بقيت لبعض الوقت جالسة بالقرب مني. وفي النهاية، أسندت رأسها بحنانٍ على صدري ورنّمت بصوت خافت:

«أنساكِ، أنا، يا أمّي الحبيبة،
«لا، لا، أبداً[١٦]»

وبينما كنا ننزل على الدرج، رأت عن يمينها، تحت شجرة الاكّدنيا، الدجاجة الصغيرة البيضاء تضمُّ جميع صيصانها تحت جناحيها. وكان البعض منها يظهر رأسه فقط. فوقفت مستغرقة في التفكير وراحت تتأمّلها ملياً. وبعد مرور بعض الوقت، أشرت إليها بأنَّ قد حان موعد الدخول. وكانت عيناها غارقتين بالدموع. فقلت لها: «أتبكين!» عندئذ وضعت يدها أمام عينيها وهي تزداد بكاءِ، وأجابتني:

* لا أقدر أن اشرحَ لك في هذه اللحظة، فأنا شديدة التأثير...

وعند المساء، كنا في حجرتها، فقالت لي بتعبير سماوي:

* لقد بكيت وأنا أفكر في أنَّ الله استعمل هذه المقارنة حتى يجعلنا نؤمن بمحبّته (**متى** ٢٣/ ٣٧). فهذا ما فعله لأجلي طوال حياتي! ظلّلني كلِّي بأجنحته!... ومنذ قليل، عندما تركتك، كنتُ أبكي وأنا أصعد السلّم، ولم أعد أستطيع تمالك نفسي، وكنتُ متلهفة للعودة إلى صومعتنا؛ فقد كان قلبي يفيض حبّاً وعرفاناً.

* يصادف اليوم مرور عشر سنوات على يوم أعطاني بابا تلك الزهرة الصغيرة البيضاء، عندما كلمته لأول مرة على دعوتي[١٧].

(أرتني الزهرة البيضاء)

---

(١٥) المقصود أحد العنصرة الواقع فيه ٦ حزيران.
(١٦) مقطع من ترنيمة معروفة في ذلك الوقت.
(١٧) يوم عيد العنصرة في ٢٧ أيار ١٨٨٧.

* ٣ – لو لم تُحسني تربيتي ، لرأيتِ أشياء محزنة ... ولما بكيتُ اليوم عند رؤيتي الدجاجة الصغيرة البيضاء ...

٨ حزيران

* ١ – قريباً ، ستأتين جميعاً معي ، ولن يطول الامر ، هيَّا !

وقالت للأخت ماري للثالوث التي سبق لها أن طلبتْ منها أن تذكرها في السماء :

* لم تري بعدُ غير قشرة البيضة ؛ سترين قريباً الفرخ الصغير .

٢ – قلت لها بأن ليس لي سندٌ على الارض.

* بلى ، لكِ سندٌ : أنا !

٣ – كنَّا قد تكلمنا على الأمراض المزمنة التي تُتعب الممرضات غالباً ، مما يسبب ألماً شديداً للمرضى الذين يلاحظون ذلك .

* أقبل فعلاً أن أبقى على هذا الشكل حتى نهاية حياة طويلة جداً ؛ إذا كان هذا يُرضي الله ، وأقبل حتى أن أكون « مكروهة » .

٩ حزيران

* ١ – قيل في الإنجيل إنَّ الرب يأتي مثل سارق . سيأتي ليسرقني بكل لطافة . آه ! كم أودّ مساعدة « السارق » (**متى ٢٤/٤٣– ٤٤**) !

* ٢ – كم أنا سعيدة اليوم !

– تجربتك قد مرّت إذاً ؟

* لا ، ولكنَّها كأنَّها شيءٌ مُعلّق . إنَّ الحيَّات القبيحة لم تعد تصفِّر في أذنيّ ...

* ٣ – بأي سلامٍ أدع الغير حولي يقول إنني أتحسَّن ! في الأسبوع الماضي ، كنتُ واقفة ووجدوني مريضةً جدّاً . هذا الأسبوع لم أعد أستطيع الوقوف ، وأنا منهكة ، وها هم يعتقدون بأني نجوت ! لكن ما همّني ذلك !

– تأملين إذاً أن تموتي قريباً على رغم ذلك ؟

* نعم ، آمل ان أرحل قريباً ؛ بكل تأكيد لم أتحسَّن ، فأحس بألم شديد في جنبي . لكنّي سأقول دائماً: إذا شفاني الله ، فلن أصاب بأية خيبة أمل .

قالت لها الأخت ماري للقلب الأقدس : «أيَّ حزن سنحزنه عندما ستتركينا !» فأجابت :

* آه ! لا ، سَتَرين ، سيكون الأمر كمطرٍ من الورود .

* ٤ - لا أخشى السارق ... أراه من بعيد ، وأحترس جدّاً من القول : إلى السارق ! بالعكس ، سأناديه قائلة : مِن هنا ! مِن هنا !

* ٥ - أنا مثل طفلٍ، على سكة الحديد ينتظر أباه وأمّه ليضعاه في القطار . وللأسف ! لا يأتيان ، والقطار يرحل ! لكن هناك قطارات أخرى ، وأنا لن أفوِّتها جميعاً ...

١٠ حزيران

كانت تشعر بتحسّن وكان ذلك يدهشها ؛ وكانت مُجبرة على المقاومة لئلاّ يصيبها الغم .

* ... العذراء القديسة تقوم بمهمّاتي أحسن قيام ، وسأكلفها بمهمة مرّة أخرى !

* وأردّد عليها غالباً : « قولي له ألّا ينزعج أبداً معي .»

* لقد سمع ، وهذا ما فعله . لم أعد أفهم شيئاً بشأن مرضي . ها أنذا أتحسَّن ! لكني أستسلم ، وأشعر بالسعادة على كل حال . ماذا سيحلّ بي إن علّلتُ النفس بالموت القريب ! كم من خيبات أمل ! لكني لم أُصب بأية خيبة ، لأنني مسرورة بكل ما فعله الله ، ولا أرغب إلّا في مشيئته .

١١ حزيران

١١ - كانت قد نثرت ازهاراً على القديس يوسف في الحديقة (في آخر ممر شجرات الكستناء) قائلة بنبرة طفولية وظريفة : « خذ ! »

لماذا تنثرين أزهاراً على القديس يوسف ؟ هل تبغين الحصول على نعمة ما ؟

* آه ! طبعاً لا ! بل لأُسرّه ... لا أريد أن أعطي حتى أتلقّى بالمقابل .

* ٢ – لكي أكتب حياتي « الصغيرة » ، لا أُجهد نفسي. بل كأنني أصطاد بالصِنَّارة ؛ أكتب ما يعلق بالشصّ.

١٢ حزيران

* ١ – لا أحد يصدِّق أنني مريضةٌ بقدر ما أنا عليه. فيضاعف ضيقي حرماني المشاركة في المناولة والفرض. ولكن من الأفضل أن لا يقلق أحدٌ بشأني بعد اليوم. كنت أتألم كثيراً من ذلك، وقد طلبت إلى العذراء القديسة أن تتدبَّر الأمر حتى لا تتوقف المعاناة، فاستجابت لي.

* امّا انا، فما همِّي مهما ظُنَّ بي او قيل فيَّ! فلا أرى داعياً للغمّ.

* ٢ – لن أتناول القربان غداً! وكم من فتياتٍ صغيرات سيتقبلن الله!

(كانت المناولة الأولى تقام في كنيسة القديس يعقوب).

١٣ حزيران

(في الحديقة)

* تخيَّلت نفسي قُماشة مشدودة على النول كي يتمَّ تطريزها؛ ثم لم يأتِ أحد لتطريزها! أنتظر، أنتظر! بدون فائدة! وفي النهاية، ليس في الأمر عجب، لأن الأطفال لا يعرفون ما يريدون!

* أقول ما اقول لأنني أفكّر في الطفل يسوع، فهو الذي شدَّني على نول الألم ليُسَرَّ بتطريزي، ثم بإرخائي حتى يذهب الى الأعالي ويعرض تحفته الجميلة.

* عندما أتكلم على « السارق »، فأنا لا أفكر في الطفل يسوع، بل في الله الطيِّب « الكبير ».

١٤ حزيران

يوم التساعية الأخير. كانت في حال أَفضلَ بكثير، وهو سبب جديد لخيبة أملها، ومع ذلك قالت لي مبتسمة:

* أنا فتاة صغيرة قد شُفيت!

هل أنتِ حزينة؟

* آه ! لا ... من وقت إلى آخر ، يمكننا أن نتحمّل كثيراً .

١٥ حزيران

* ١ – في التاسع من الشهر ، كنتُ أرى من بعيد بوضوح المنارة التي تبشّرني بالمرفأ السماوي ؛ أمّا الآن ، فلم أعد أرى شيئاً ؛ وأشعر بأنني معصوبة العينين . في ذلك اليوم ، كنتُ أرى « السارق » ؛ اما الآن فلم أعد أراه قط . ما يقال لي في الموت لم يعد يخترقني ، بل ينزلق كما على بلاطة . لقد انتهى كل شيء ! الأمل بالموت قد تبخّر . والله لا يريد ، بدون شك ، أن أفكر في ذلك كما كنتُ أفعل قبل مرضي . في تلك الفترة ، كانت هذه الفكرة ضروريةً ومفيدةً بالنسبة اليّ ، وكنتُ أحسّ بذلك أيّما إحساس . أما الآن ، فالأمر بالعكس. فالله يشاء أن أستسلم كطفل صغير لا يقلق لما سيفعلونه به .

٢ – هل أنت متعبة من حالتك التي تطول ؟ لا بدّ من أنك تتألّمين كثيراً !

* نعم ، لكنَّ ذلك « يرضيني » .

لماذا ؟

* لأن ذلك « يرُضي » الله .

(كانت تستعمل هذه الكلمة ، وعدّةَ كلماتٍ أخرى لا تماشي طريقتها البسيطة في التعبير عادة ، عندما كانت تريد ان تلبس فكرتها شكلاً مسلياً بالنسبة الينا .

وكانت قد اعتمدت بعضَ التعابير البريئة التي تستخدمها في المواقف الحميمة ، والتي كان لها ، في فمها ، سحرها الخاص .)

* ٣ – لا أدري متى أموت ، لم تعد لي أية ثقة بالمرض . وحتى بعد أن أُمنح مسحة المرضى ،أعتقد أنه يمكنني أن أستردّ صحّتي . ولن أكون متأكدة حقاً من أمري إلّا عندما أعبر الحدود وأرى نفسي بين ذراعي الله .

(مساء)

* ٤ – كم أودّ لو أقول لك شيئاً لطيفاً !

قولي لي فقط ان كنت ستنسينني عندما ستصيرين في السماء .

* آه ! إن نسيتك ، يبدو لي أن جميع القديسين سيطردونني من الجنة مثل بومة قبيحة .

يا أميمتي ، عندما سأصير في الأعالي ، **سأرجعُ فآخذكِ إليَّ ، لتكوني أنتِ أيضاً حيث أنا أكون** (**يوحنا** ١٤/ ٣) .

* ٥ – أنا سعيدة ، لأني لا أسيء أبداً إلى الله في أثناء مرضي . منذ قليل ، كنتُ أكتب عن المحبة (في دفتر حياتها) وفي كثير من الأحيان ، كان يأتي مَنْ يزعجني ؛ عندئذ حاولت ألَّا يفرغ صبري أبداً ، وأن أضع ما كنت أكتبه موضع التطبيق .

١٩ حزيران

كانت قريبتنا ، الأم مارغريت[١٨] قد أرسلت إليَّ سلَّةً جميلة مليئة بزنبق اصطناعي ، بمناسبة الحادي والعشرين من الشهر ، وهوعيد الأم ماري دي غونزاغ . فحملت اليها هذه السلَّة قائلة والفرح يغمرني : « الرئيسة العامة للمساعدات هي التي أرسلتها إليّ ! » فأجابتني على الفور بحماسة ومحبة :

* حسناً ! أنتِ هي الرئيسة العامة لقلبي .

٢٠ حزيران

أريتها صوراً صغيرة للعذراء التي كنتُ قد رسمتها لعيد أُمِّنا . فوضعت يديها على الصورة المصغرة المعروضة امام عينيها ، ثم أبعدت اصابعها عن بعضها ، بحيث تلامس جميع رؤوس الطفل يسوع الصغيرة . عندئذ قالت لي :

* أضعها جميعاً تحت سيطرتي ...

٢٢ حزيران

كانت في الحديقة ، في العربة . وعندما جئت اليها بعد الظهر قالت لي :

* كم أجيد فهمَ كلام ربنا إلى أمنا القديسة تريز : « أتعرفين ، يا ابنتي ، من هم الذين يحبُّونني حقاً ؟ إنهم هؤلاء الذين يعترفون بأن كل ما لا يرتبط بي ليس إلَّا باطلاً . »

* يا أميمتي ، كم أشعر بأن هذا صحيح ! نعم ، كل ما هو خارج عن الله هو باطل ، **كل شيء باطل** (**جامعة** ١/ ٢) .

---

(١٨) الرئيسة العامة للراهبات الكرمليات ، مساعدات المرضى ، في باريس .

٢٣ حزيران

قلت لها: يا للأسف! ليس عندي شيء أقدّمه لله، حين أموت، فيداي فارغتان! وهذا يحزنني كثيراً.

* حسناً! لستِ مثل «الطفل»، (كانت تطلق أحياناً هذا الإسم على نفسها) الذي يجد نفسه، ايضاً في ذات الظروف... فحتى لو أتممتُ جميع أعمال القديس بولس، لأعتبرتُ نفسي، مع ذلك، «خادماً لا خير فيه»؛ وهذا بالضبط سبب فرحي؛ فبما أنّني، لا أملك شيئاً، سأتلقّى كلَّ شيءٍ من الله.

٢٥ حزيران

عيد القلب الأقدس

١ - كانت قد نُقلت إلى المكتبة، بسبب الشمس التي تدخل الى حجرتها. وفي أثناء العظة، أخذت كتاباً حول «إنتشار الإيمان». وأرتني بعد ذلك مقطعاً يتناول ظهور سيّدة جميلة ترتدي ثياباً بيضاء، بالقرب من طفل مُعَمَّد، وقالت لي:

* فيما بعد، سأطوف على هذا الشكل حول الأطفال المُعمَّدين...

* ٢ - في أثناء الموعظة، تنزّهت كالهارب من المدرسة، وكنتُ أشعر بأنّنا في عيد. لن أسمح لنفسي بفعل ذلك كلَّ يوم. فأنا أعتبر دفتري (حياتها) فرضي الصغير.

٢٦ حزيران

* أمسِ، أُصبتُ بألمٍ شديد في جنبي! ثم... تبدَّد هذا الصباح! آه! متى سأذهب مع الله! كم أرغب فعلاً في الذهاب إلى السماء!

٢٧ حزيران

* عندما سأصير في السماء، سأقول كثيراً من الأشياء الجميلة عن أميمتي لجميع القدِّيسين، حتى إنهم سيتشوّقون إلى أخذها. سأكون دائماً مع أميمتي؛ وسأطلب إلى

القديسين أن يأتوا معي إلى الأقبية القبيحة ليحموها ؛ وإن لم يشاؤوا ذلك ، حسناً ، فسأذهب وحدي .

يتعلّق ذلك بمغامرة صغيرة حصلت لي ذاك اليوم في قبو السكرستيا .

٢٩ حزيران

* ١ - ... هذا ما حدث : بما أنني كنتُ مقبلةً على الموت ، فقد قام الملائكة الصغار بجميع أنواع التحضيرات الجميلة لاستقبالي ؛ لكنهم تعبوا وناموا . يا للأسف ! الأطفال ينامون لفترة طويلة ! ولا نعرف متى سيستيقظون ...

كانت تروي لنا غالباً قصصاً صغيرة من هذا النوع لتلهينا عن آلامها النفسية والجسدية.

* ٢ - كم سأكون تعيسة في السماء إن لم استطع أن أُفرِح قليلاً في الارض ، أولئك الذين أحبّهم .

٣ - وفي المساء ازداد شعورها بمعاناتها النفسية وسبّبت لها غمّاً بعض الاقوال ، فقالت لي :

* نفسي منفية ، والسماء مغلقة امامي ، وأتعرّض للمحن من جهة الارض ايضاً .

* ... أرى بوضوح أنّهم لا يصدّقون أنّني مريضة فإنما الله يسمح بذلك .

* ٤ - سأكون مسرورةً في السماء إذا نظمتِ لي أبياتاً جميلة ؛ يبدو لي أنَّ ذلك يسرّ القديسين بلا شك .

٣٠ حزيران

١ - حدَّثتها عن بعض القديسين الذين عاشوا حياةً خارقة، مثل القديس سمعان العمودي . فقالت لي :

* أمَّا أنا ، فأفضِّل القديسين الذين لا يخافون شيئاً ، مثل القديسة سيسيليا التي تقبل بالزواج ولا تخاف ...

كان خالي قد طلبها الى المتحدِّث معنا ، وكالعادة لم تقل شيئاً تقريباً .

* كم كنتُ خجِلَةً في المتحدَّث مع خالي ! وعند عودتي ، وبَّخت إحدى المبتدئات كثيراً ، كأني لست إياي. كم من تناقض ي طبعي ! فخجلي آتٍ من انزعاجٍ شديد أشعر به عندما يهتم أحدٌ بي.

٢ تموز

بعد الظهر ، ذهبَتْ للمرة الأخيرة أمام القربان المقدس في المصلّى ، لكنَّها كانت على آخر رمق . فرأيتها تنظر إلى القربانة طويلاً ، وفهمتُ أنَّها كانت تفعل ذلك من دون أيّ عزاء لكن بسلام كثير وفير في صميم قلبها .

وفي الصباح ، بعد القداس ، عندما كانت الجماعة تعود إلى المصلى لتأدية صلاة الشكر ، أتذكر أنَّه لم يفكرْ احدٌ في مساندتها. فكانت تسير بمحاذاة الحائط بكل تمهّل ، ولم أجرؤ على أن أقدّم لها ذراعي .

٣ تموز

١ - ماتت إحدى صديقاتنا(١٩) وكان الطبيب كورنيير قد تكلَّم أمامها على مرضها ، وهو نوع من تورُّم لم يستطع تحديده تماماً . وكان يهتمُّ كثيراً بتلك الحالة من وجهة النظر الطبية . فقال : « يا للأسف ، لم أتمكن من تشريح الجثة !».

فقالت لي بعد ذلك :

* آه ! على هذا الشكل ، قلّما يبالي البعضُ منَّا بالبعض الآخر في الأرض ! وهل نقول ذات الشيء إذا تعلّق الأمر بأمٍّ أو بأخت ؟ آه ! كم أتمنّى فعلاً الرحيل عن هذا العالم الحزين .

٢ - كنتُ أبوح لها بأفكاري عن حزني ويأسي بعد إرتكاب خطإٍ ما .

* ... إنك لا تفعلين مثلي . فعندما أرتكب خطأً محزناً ، أعرف جيّداً أن حزني هذا هو نتيجةٌ لعدم أمانتي . لكن أتعتقدين أنني أبقى عند هذا الحد ؟ آه ! لا ، لستُ حمقاء بهذا القدر ! بل أسارع إلى القول لله: يا إلهي ، أعرف أني استحقُّ هذا الشعور بالحزن ، لكن

---

(١٩) هي جانّ ماري بريموا Jeanne Marie Primois.

رغم ذلك، دعني أقدِّمه لك كمنحة ترسلها إليّ حبّاً بي. فأنا نادمة على خطيئتي، لكنّي مسرورةٌ لانني استطيع أن أقدِّم لك هذا الالم.

٣ – كيف يحدث أنَّك ترغبين في الموت ولمَّا تتوقَّف محنتك ضدّ الايمان؟

* آه! لكنني أُؤمن بالسارق كلَّ الإيمان! فالمحنة كلُّها تتناول السماء. يا للغرابة وللتناقض!

٤ – بما أنَّ اللبن كان يُسبِّب لها ألماً، ولم تكن تستطيع أن تتناول شيئاً آخر في ذاك الحين، كان السيِّد كورنيير قد وصف لها نوعاً من اللبن المكثَّف الواجب أخذه من عند الصيدلي تحت إسم «حليب مخصَّص للرضَّع». فأحزنتها هذه الوصفة لأسباب مختلفة، وكانت تبكي كثيراً حين ترى وصول زجاجات اللبن.

وبعد الظهر، شعرت بحاجة إلى الخروج من ذاتها وقالت لنا بنبرة حزينة ورقيقة:

* أنا بحاجة إلى غذاء لنفسي؛ أقر أن لي حياةَ أحد القديسين.

أتريدين حياة القديس فرنسيس الأسيزي؟ سيرُوّح عنك عندما يتكلَّم على العصافير الصغيرة.

* لا، ليس لِأُروِّح عن نفسي، بل لأحظى بأمثلة على التواضع.

* ٥ – عندما ستموتين، ستوضع سعفة في يدك.

* نعم، لكن يجب أن أتركها عندما أريد، أن أعطي بملء يديَّ نعماً إلى أميمتي. فعليَّ أن أقوم بكلِّ ما يحلو لي.

مساء

* ٦ – حتى القديسين يتركونني! كنتُ أطلب من القديس أنطونيوس، في أثناء صلاة الليل، أن يعثر لي على المحرمة التي أضعتها. أتعتقدين أنه استجاب لطلبي؟ لقد احترس منه كل الاحتراس! لكن هذا لا يهمني، فقد قلتُ له إنني أحبّه كثيراً رغم ذلك.

* ٧ – خلال صلاة الليل، كنت أرى النجوم تلمع، وأستمع الى الفرض، فكان ذلك متعةً لي.

كانت نافذة حجرتها مفتوحة.

٤ تموز

* ١ – لقد أعانني الله ، وتغلّبتُ على حزني بشأن لبن الرضّع ...

مساء

* ٢ – مات ربُّنا على الصليب ، معانياً الكروب ، ومع ذلك فهذا أجمل موتٍ من أجل الحب . إنَّه الموت الوحيد الذي رأيناه ، ولم نرَ موت العذراء القديسة. أن نموت حباً لا يعني أن نموت في الإنخطافات . أعترف لكِ بذلك صراحة ، ويبدو لي أن هذا ما أشعر به .

٣ – آه ! كم أشعر مسبقاً بأنَّك ستتألّمين !

* وما هَمّ! فقد يبلغ الألم حدوداً قصوى ، لكنَّني متأكدة من أنَّ الله لن يتخلّى عني أبداً .

* ٤ – اعترف للاب ألكسي[٢٠] بجميل كبير ، فقد صنعَ إليَّ كثيراً من الخير . وكان الأب بيشون يعاملني كطفلة ، ومع ذلك فقد أحسنَ إليَّ أيضاً بقوله لي إنني لم أرتكب خطيئة مميتة .

٥ تموز

١ – كلّمتها على حالات ضعفي ، فقالت لي :

* أمرُّ أنا أيضاً بحالات ضعف ، لكنّي أفرح بها (٢ **قورنتس** ١٢/ ٥). ولا أضع نفسي دائماً فوق تفاهات الأرض ؛ مثلاً ، أنزعج من حماقة قلتها أو أرتكبتها . عندئذ أدخل إلى ذاتي وأقول لنفسي : للأسف ! لا أزال على ما كنت عليه في الماضي ! لكنني أقول ذلك لنفسي بلطف كبير وبدون حزن . يا لها عذوبةً أن نشعر بأننا صغار ضعفاء !

* ٢ – لا تحزني لرؤيتي مريضة ، يا أميمتي ، لأنك ترين كم يجعلني الله سعيدة . فأنا دوماً مرحة ومسرورة .

٣ – بعد أن نظرت إلى صورة تمثِّلُ ربَّنا مع طفلين، أصغرهما على ركبتيه والآخر عند قدميه ، مُقبلاً يده ، قالت :

---

(٢٠) هو الاب الكسي برو Alexis Prou (مخطوط أ ص ٧٠).

* أنا هو ذاك الولد الصغير الذي صعد الى ركبتي يسوع ، ويشدُّ بكل لطف ساقه الصغيرة ، ويرفع رأسه الصغير ويداعب يسوع بدون أن يخشى شيئاً . اما الطفل الآخر فلا يعجبني بهذا المقدار . إنَّه يقف مثل شخصٍ كبير ؛ لقد قالوا له شيئاً ما ... ويعرف أنه يجب أن يحترم يسوع...

٦ تموز

١ – كانت قد بصقت الدم منذ قليل . فقلت لها : سوف تتركينا إذاً ؟

* لا ! قال لي الأب : « عليك القيام بتضحية كبيرة عندما تتركين أخواتك » . فأجبته :« لكن ، يا أبتِ ، أجدُ أنني لن أتركهنَّ ؛ بل بالعكس ، سأزداد قُرباً منهنّ بعدَ موتي».

* ٢ – أعتقد أنَّه بالنسبة إلى موتي ، سيكون عليَّ التحلي بما تحلّيت به من صبر في أحداث حياتي الكبيرة الأخرى . أنظري : لقد دخلتُ شابةً إلى الكرمل ، ومع ذلك ، فبعد أن تقرَّر كلُّ شيء ، كان عليَّ الانتظار ثلاثة أشهر ؛ وفيما يتعلّق بلبس الثوب ، فقد حدث الأمر عينه؛ وبالنسبة الى نذري ، ذات الشيء أيضاً. اذاً ، سيحصل الامر نفسه في شأن موتي ؛ سيحصّل قريباً ، لكن ما زال عليّ الانتظار .

* ٣ – عندما سأصير في السماء ، سأتقدم نحو الله، مثل ابنة شقيقة الأخت إليصابات أمام مصبّعة المتحدَّث – تعلمين أنّها عندما كانت تتلو مديحها وتنتهي بانحناءة رافعةً ذراعيها وقائلة : « السعادة لجميع هؤلاء الذين أحبُّهم » .

* والله سيقول لي : « ماذا تريدين يا ابنتي الصغيرة ؟» وسأجيبه : « السعادة لجميع هؤلاء الذين أحبُّهم » . وسأفعل ذات الشيء أمام جميع القديسين .

أنتِ مرحة جداً اليوم ، نشعر بأنَّك ترين « السارق ».

* نعم ، كل مرَّة يشتد عليّ المرض ، أراه من جديد . لكن حتى ولو لم أره ، فأنا أحبَّه لدرجة أنني مسرورةٌ دائماً بكلِّ ما يفعله . ولن أحبَّه أقلَّ إن لم يأتِ ليسرقني ، بل بالعكس ... فحين يخدعني ، أكيل له كلَّ أنواع المدائح ، فلا يعود يعرف كيف يتصرَّف معي .

* ٤ - قرأتُ مقطعاً جميلاً من الخواطر في كتاب «**الأقتداء**». وهو يعبّر عن احدى افكار الاب لاموني[٢١] - بئس الأمر! - ولكنها مع ذلك جميلة.

(كانت تعتقد مثلنا ان الأب لاموني مات بدون توبة).

* كان ربُّنا في بستان الزيتون يتمتَّع بكل أطايب الثالوث؛ ورغم ذلك، لم يكن نزاعه الاخير اقلَّ قساوة. انه سرّ، ولكنّي أؤكّد أنني افهم شيئاً منه بفضل ما اعانيه.

٥ - وضعت مصباحاً امام عذراء الابتسامة كي أنال ألا تستمرَّ في بصق الدم.

* اذاً، انت لست مسرورة بموتي! آه، كان يجب أن استمر في بصق الدم لكي أكون مسرورة. ولكن انتهى الامر لهذا اليوم!

٦ - الساعة ٨،١٥ - حملت إليها القنديل الذي سهى الجميع عن حمله اليها إلى فوق. وكذلك أدّيت لها خدماتٍ صغيرة أخرى. فبدت متأثّرةً جداً وقالت لي:

* هكذا تصرَّفت معي دائماً... لا أستطيع التعبير لك عن عرفاني بالجميل.

وبينما كانت تمسح دموعها:

* أبكي، لأنني شديدة التأثّر بكل ما فعلته لأجلي منذ طفولتي. آه! كم أدين لك بأشياء! لكن عندما سأصير في السماء، سأقول الحقيقة، وسأقول للقديسين: أُميمتي هي التي أعطتني كل ما يرضيكم فيَّ.

* ٧ - ومتى ستأتي الدينونة؟ آه! كم أودّ لو أكون حاضرة في تلك اللحظة! وماذا سيكون بعدها؟!...

* ٨ - أقوم بكثير من التضحيات الصغيرة...

٧ تموز

١ - بعد أن بصقت الدم أيضاً:

* «الطفل» سيذهب قريباً لرؤية الله...

ها أنك ترين الموت شديد القرب منك: أفأنت خائفة منه؟

* آه! ان خوفي يتضاءل!

(٢١) هو الاب Lamennais.

هل أنتِ خائفة من « السارق » ؟ إنَّه على الباب هذه المرة !

* لا ، ليس على الباب ، لقد دخل . لكن ماذا تقولين ، يا أميمتي ! إذا كنت خائفة من السارق ؟ (**متى** ٢٤/٤٣- ٤٤) . كيف تريدينني أن أخاف من أحبُّ حبّاً شديداً ؟!

٢ - طلبت إليها أيضاً أن تقصَّ عليَّ ما حدث لها بعد أن قدَّمت ذاتها للحبّ . فقالت لي حالاً :

* يا أميمتي ، لقد بحثُ لكِ به في اليومِ عينه ؛ لكنك لم تنتبهي إلى ذلك .

في الواقع ، كان يبدو عليَّ أنني لم أعلق أية أهمية على ذلك .

* حسناً ! كنتُ قد بدأت درب الصليب ، واذا بي أشعر فجأة بحبٍّ لله عنيف جدّاً ، بحيث إنني لا أستطيع تفسير هذا الامر إلَّا بالقول كأني أغرقت كلّيّاً في النار . آه ! يا للنَار ولَعذوبتها في الوقت نفسه ! كنت أحترق حبّاً وكنت أشعر بأنَّني بعد دقيقة ، او بعد ثانية ، لم أكن لاستطيع أن أتحمل هذه الحدَّة بدون أن أموت . وفهمت عندئذ ما يقوله القديسون عن هذه الحالات التي اختبروها في كثير من الأحيان . بالنسبة إلي ، أنا لم أشعر بها غير مرة واحدة وغير لحظة واحدة ، وبعدها سرعان ما وقعت من جديد في جفافي المعتاد .

وبعد ذلك بقليل :

* منذ الرابعة عشرة من عمري ، كنت أشعر بمثل هجمات حبّ ؟ آه ! كم كنتُ أحبّ الله! لكن لم يكن الأمر قط كما صار بعد تقدمتي « للحبّ » ، ولم يكن قط لهباً حقيقيّاً يشعلني .

* ٣ - وكانت كلمة **أيوب** التالية : **إنَّه ولو قتَلَني أبَقى آملاً لهُ**، (**أيوب** ١٣/ ١٥) قد سحرتني منذ طفولتي . لكني استغرقت وقتاً طويلاً لأصل إلى هذه الدرجة من التسليم . اما الآن ، فأنا فيه ، وقد وضعني الله هناك . أخذني بين ذراعيه ووضعني هناك ...

٤ - طلبت منها أن تقول للسيِّد كورنيير بعض كلمات التشجيع والملاطفة .

* آه ! يا أميمتي ، ليس هذا من نهجي المتواضع ... وليعتقد السيِّد كورنيير ما يشاء . أنا لا أحب إلَّا البساطة ، وآنف من « التصنُّع ». أؤكد لك أنني إذا فعلت ما ترغبين فيه ، سيكون تصرُّفاً سيئاً من ناحيتي .

* ٥ – وأخيراً ، أَظهرتُ أنني مريضة تماماً . لن أنسى أبداً مشهد هذا الصباح اذ بصقتُ الدم ؛ لقد بدا الذهول على السيِّد كورنيير .

* ٦ – كما ترين ، إن الله يعاملني لأجلك بهذا اللطف . لا دواء مُنفّط ، لا شيء غير علاجات مخفَّفة . أتألم ، ولكن ليس لدرجة أن أصرخ من الألم.

بعد لحظة ، وبلهجة ماكرة :

* الّا انه قد أرسل إلينا محناً تحمل على « الصراخ » .... ومع ذلك لم « نصرخ »...

كانت تلمح إلى محنة عائلتنا الكبرى .

اما العلاجات المخفِّفة، فلم تكن دائماً مخفِّفة ، وأصبحت آلامها مبرّحة .

* ٧ – انا مثل « ذئب صغير رمادي » مسكين يتشوق الى العودة إلى غابته ولكنه مُجبر على السكن في المنازل .

كان والدنا الطيب يناديها بعض المرّات في البويسونة : « يا ذئبي الرمادي الصغير » .)

* ٨ – رأيت منذ قليل على الحائط دورياً صغيراً ينتظر بصبر وهو يطلق من حين إلى آخر نداء صغيراً، كي يأتي والداه فيأخذانه ويزقّانه ، وفكرتُ في أنني أشابهه .

٩ – قلت لها إنني أحب المجاملات كثيراً:

* سأتذكر ذلك في السماء ...

٨ تموز

١ – كانت مريضة جدّاً بحيث تحدثنا عن إعطائها مسحة المرضى . وفي ذلك اليوم تمّ إنزالها من حجرتها إلى غرفة التمريض . كانت قد فقدت القدرة على الوقوف فوجب حملها . ولما كانت بعد في حجرتها ورأت أننا نفكّر في منحها مسحة المرضى ، قالت بنبرة تنمّ عن فرح بالمفاجأة :

* يبدو لي أنني أحلم !... وأخيراً .... ليسا مجنونَين (الأب يوف والسيّد دي كورنيير) .

* لا أخاف إلّا شيئاً واحداً ، وهو أن يتغيّر الحال .

٢ – أرادت ان تبحث معي عن الخطايا التي قد تكون ارتكبتها بحواسها لكي تعترفَ بها قبل مسحة المرضى. ولما وصلنا الى حاسة الشم ، فقالت لي :

* أتذكر أنّني في أثناء سفري الأخير من النسون إلى ليزيو ، استعملت زجاجة عطر كولونيا كانت السيّدة تيفين[٢٢] قد قدمّتها لي ، وقد تمتّعت باستعمالها .

٣ – كنّا نريد جميعاً أن نكلّمها .

* هناك كثيرون يريدون أن يقولوا شيئاً !

٤ – كانت مغمورة فرحاً وتبذل جهدها في نقله الينا .

* عندما سأصير في السماء ، إذا لم أستطع المجيء ، لألعب لكنّ بعض « الالعاب » الخفيفة على الأرض ، فسأذهب وأبكي في زاوية صغيرة .

٥ – وقالت لي :

* أنفك طويل ، وسيجعلك تشمّين روائح طيبة فيما بعد . . .

٦ – نظرت إلى يديها الهزيلتين :

* لقد أصبحت الآن هيكلاً عظميّاً ، وهذا « ما يعجبني ».

* ٧ – أنت لا تعرفين : سأكون قريباً « منازعة ».

* ... هذا ما يجعلني أشعر بأنني أتسلق صاري الحلوى[٢٣] ؛ لقد انزلقت عليه أكثر من مرة ، ثم ، فجأة ، رأيتني في الأعلى !

* ٨ – أفضل أن أُسحَقَ على أن أُحفظ مثل القديسة كاترين البولونية[٢٤] . أنا لا أعرف أحداً غير القديس كريسبان أخرج من قبره بإكرام .

إنَّ جسد هذا القديس محفوظ على نحوٍ رائع في ديره ، التابع للفرنسيسكانيين في روما .

٩ – وقالت وهي تحدِّث نفسها :

---

(٢٢) Tifenne وهي صديقة العائلة .

(٢٣) هو صارٍ يعلّق في اعلاه حلوى ولا يمكن الحصول عليها إلّا بتسلّق الصاري (عن قاموس المنهل ص ٢١٢) .

(٢٤) راجع **مخطوط** أ ص ٩٥ي .

* إنَّه لحدث مهم أن أكون في النزاع!... ولِمَ الهمّ على كل حال؟ لقد نازعت مرَّات بسبب الحماقات....

١٠ – وقالت بنبرة جدِّية ولطيفة، لم أعد أتذكر في أية مناسبة، لكنّي أعرف ان كلامها لم يُفهم:

* حسناً فعلت العذراء القديسة عندما حفظت تلك الأمور كلها في قلبها «الصغير» ... (**لوقا ٢**/١٩– ٥١)، يجوز أن يُحقدَ عليَّ إذاً فعلت مثلها ...

* ١١ – لقد تسلّى الملائكة الصغار كثيراً بأن يلعبوا معي مقالبهم الصغيرة ... لقد تدربوا جميعاً على أن يحجبوا عني النورَ الذي كان يكشف لي نهايتي القريبة.

وهل حجبوا العذراء القديسة أيضاً؟

* لا، لن تحجب العذراء القديسة عنّي أبداً، لأنني أحبُّها حبّاً شديداً.

* ١٢ – لي رغبة شديدة في قبول مسحة المرضى، ولا يهمُّني إن سَخر احدٌ مني فيما بعد.

(إذا إستعادت صحتها، لأنَّها كانت تعرف أن بعض الأخوات لا يجدنها عُرضةً للموت.)

* ١٣ – آه! بكل تأكيد سأبكي لرؤيتي الله!... ومع ذلك، لا! فلا يمكن ان نبكي في السماء... لكن بلى، فقد قال: **سأمسح كلَّ دمعة من عيونكم** (**رؤيا** ٢١/ ٤).

* ١٤ – أقدّم لكِ ثمار فرحي الصغيرة كما يُعطيني إيَّاها الله.

* سأنال نعماً كثيرة في السماء لأجل الذين أحسنوا إليَّ. ولأجل أميمتي، سأنال كلَّ شيء، وحتى كلَّ شيء لا يمكنه أن يفيدَك، فسيكون هناك الكثير من النعم «لتفرحي» بها.

* ١٥ – لو تعرفين كم سيكون الله لطيفاً معي! لكن إذا نقصت لطافته قليلاً فسأجده، مع ذلك، لطيفاً... وإذا ذهبت إلى المطهر، فسأكون مسرورةً جدّاً؛ وسأفعلُ مثل العبرانيين الثلاثة (**دانيال** ٣/٥١ وما بعدها) في الأتون: سأجول في اللهب وأرنّم نشيد الحبّ. آه! كم سأكون سعيدة، إن استطعت انقاذ نفوس أخرى بذهابي إلى المَطهَر، والتألم مكانها، لأنّي، عندئذ، سأفعل خيراً فأخلِّص المأسورين.

١٦ - نبّهتني إلى أنَّه، فيما بعد، سيطلُب عددٌ لا يحصى من الكهنة الشباب الحظوة نفسها، علماً بأنها قد أُعطيت كأختٍ روحية لمُرسَلَيْنَ. وحذّرتني من أن هذا الأمر قد يصبح خَطراً كبيراً.

* قد تكتب أي واحدة ما أكتبه وتتلقّى الإطراء عينه، والثقة عينها. فبالصلاة والتضحية فقط يمكننا أن نفيدَ الكنيسة. ويجب أن تكون المراسلات نادرة جداً وألّا يُسمح بها بتاتاً لبعض الراهبات اللواتي سينشغلن بها ويعتقدن أنهن يفعلن الأعاجيب، وهنَّ لا يفعلن في الواقع غيرَ جرح نفسهنّ والوقوعِ ربَّما في أحابيل الشيطان البارعة.

وبإلحاحٍ أكبر:

* يا أمي، إنَّ ما أتيت على قوله مهمٌ جداً، وإني لأرجوك ألَّا تنسيه فيما بعد. يجب ألَّأ نصكَّ في الكرمل عملة مُزيَّفة لنشتري نفوساً... وغالباً ما يكون الكلام الجميل الذي نكتبه والكلام الجميل الذي نتلقّاه، عبارةً عن تبادل عملة مزيَّفة.

١٧ - وقالت في سبيل إضحاكنا:

* أودُّ لو أوضع في علبةٍ صغيرة من علب جينان[٢٥]، لكن ليسَ في تابوت.

كانت تلعب على كلمة «تابوت». فقد تلقَّى الكرمل من محل جينان في باريس ازهاراً اصطناعية في عِلبٍ خشبية طويلة، وكانت مُوَضّبة بشكلٍ جيّد جدّاً.

* ١٨ - معاناةُ الألم تزيدنا طيبةً، وتحملنا على أن نكون منتظمات ومُحبَّات.

٩ تموز

١ - لم تكن تريد حزناً من حولها، ولا عند خالي.

* أريد أن يحتفل الجميع «بالعرس» في لاموس. فأنا أحتفل بالعرس الروحي طوال النهار.

ذاك العرس ليس فَرِحاً.

* أما أنا، فأجده مَرِحاً جداً.

* ٢ - أختي جنفياف ستكون بحاجة إلي.. لكنّي سأعود على كلّ حال.

---

(٢٥) Gennin.

٣ – بعد زيارة « أبينا »[٢٦]، قلت لها إنّها لم تحسن المحاولة لنيل مسحة المرض، وأنّها تبدو قط مريضةً عند استقبالها الزوّار.

* – لا اعرف المهنة!

* ٤ – ... أودّ الرحيل!...

٥ – ستموتين بدون شك في ١٦ تموز، في عيد سيّدة جبل الكرمل، أو في ٦ آب عيد الوجه الأقدس.

* كُلي « تمراً » بقدر ما تريدين، فأنا لم أعد أريد أن آكل منه ... فقد أصابني داء « التواريخ[٢٧] » إصابة بالغة.

* ٦ – ...ولماذا أكون في مأمن من رهبة الموت أكثر من أي راهبة اخرى؟ فأنا لن أقول مثل القديس بطرس: « لن أنكرك أبداً ». (**متى ٢٦/ ٣٥**).

٧ – كنّا نتكلّم على الفقر المقدس:

* القديس « فقير »! يا للغرابة بألّا يذهب قدّيسٌ[٢٨] إلى السماء!

٨ – كان قد انتابني الحزن:

* – على حبّي أن يعزيك.

إلى اللواتي كنّ حاضرات:

* سأتدبّر أمري مع أميمتي.

– وفي المساء، لي وحدي:

* ... آه! هيّا، لستِ على خطأ؛ أعرف جيداً أن كلَّ ما تفعلينه لأجلي، إنّما تفعلينه حبّاً بي...

٩ – قبض على فأرة في غرفة التمريض؛ فسبّبت لنا تريز مشكلةً وطلبت أن نحمل إليها الفأرة المجروحة، كي تُرقدها إلى جانبها وتجعل الطبيب يقوم بفحصها. فضحكنا من كلِّ قلبنا، وكانت مسرورة بتسليتنا.

---

(٢٦) القانوني موباس Maupas.

(٢٧) هناك تلاعب بكلمتي dattes تمر، و dates تواريخ.

(٢٨) في هذه العبارة اعتبرت تريز الفقر قديسًا يناقض وجوده غنى السماء. (ش. ر.).

١٠ تموز

* ١ – ... الأطفال، لا يُحكم عليهم بالهلاك.

٢ – ما كتبتِه قد يبلغ يوماً إلى قداسة البابا.

ضاحكة:

* الآن والى الابد!

٣ – أرتني، بحركة طفولية، صورة العذراء القديسة ترضع الطفل يسوع وقالت:

* لا يوجد لبن لذيذ غير هذا، ويجب أن تقولي ذلك للطبيب كورنيير.

٤ – كان ذلك يوم السبت، وكانت قد بصقت الدم في منتصف الليل.

* السارق جعل أمه سارقة ... فأتت في منتصف الليل لتجبر السارق على الخروج من مخبأه؛ أو أنَّها أتت من تلقاء نفسها، إن لم يشأ السارق أن يأتي.

* ٥ – لن يُطالْ في عمري دقيقة واحدة اكثر ممَّا يشاء السارق (**متى** ٢٤/٤٣– ٤٤).

٦ – وقالت لي وحدي:

* أنت تحزنينني أشد الحزن لأمور لا تستحقُّ أن نحزن لأجلها.

٧ – وقالت مبتسمة:

* ... عندما تفعلين شيئاً كهذا، وهو أمر قبيح جدّاً، فذلك يعني أنك تفرطين في الخوف من النتائج ...

٨ – أنتِ كعصفور صغير فَزِع لم يعش بين البشر قط، فتحسّين دائماً بأنهم يقبضون عليكِ. أما أنا فلم أخف من أحدٍ قط؛ لقد ذهبت دائماً حيثما أردت... وربَّما انزلقت من بين ارجلهم ...

٩ – كانت تمسك بمصلوبها بعد أن قبّلته الساعة الثالثة، وتتظاهر بأنَّها تريد أن تنتزع الإكليل والمسامير.

١٠ – عادت إلى الحادث الذي وقع في الليل، وقالت بطريقة ظريفة، وهي تنظر إلى صورة العذراء الوالدة – المعلّقة، في آخر سريرها، على الستارة:

* ليست العذراء القديسة سارقةً بطبيعتها... لكن منذ أن ولدت ابنها، فقد علّمها المهنة ...

وبعد وقفة:

* إلاّ أنّ الطفل يسوع ما زال أصغر من ان تخطر له مثل هذه الأفكار... فقلّما يفكر في السرقة وهو على صدر أمه ...بلى! إنه يفكر في ذلك الآن، ويعرف جيّداً أنّه سيأتي ليسرقني.

في أي عمر؟

* في الرابعة والعشرين من عُمري.

١١ – «كنّا نتكلم على الموت وعلى تشنُّجاتٍ تحدث غالباً في الوجه، في تلك اللحظة. فتابعت كلامها:

* إذا حدث لي هذا، فلا تحزني، لأنّي، بعد ذلك مباشرة، لن أوزعَ إلا الابتسامات.

كانت أختي جنڤياڤ تنظر إلى غطاء علبة معمودية قائلة إنّ الرأس الجميل الذي تراه على الغطاء سيفيدها كنموذج لرأس ملاك. فرغبت صغيرتنا تريز في رؤيته. ولكن لم يفكِّر أحد في أن يريها إياه، وهي لم تطلب شيئاً. وعلمتُ بذلك فيما بعد.

١٢ – بماذا يجب أن أفكر عندما أنظر الى نافذة حجرتك بعد أن تكوني قد تركتِ الأرض؟ سأكون شديدة الغمّ.

* آه! ستفكرين في أنني سعيدةٌ جدّاً، وأني هنا قد صارعت كثيراً وتألّمت... وربّما كنتُ مسرورة بأن أموت فيها.

١٣ – في أثناء صلاة الليل

خطر لها أنّها ليست مريضة جدّاً، وأن الطبيب يخطئ بشأن حالتها. فباحت لي بضيقاتها وأضافت:

* لو لم تكن نفسي مُمتلئةً مسبقاً استسلاماً الى مشيئة الله، لما كان عليها أن تستسلم الى فيض مشاعر الفرح أو الحزن التي تتتابع بسرعة كبرى في الأرض، ولكان الأمر كفيض وجعٍ شديد المرارة لم استطع تحمّله. لكن هذه التناوبات لا تمسّ غير ظاهرَ نفسي... آه! إنَّها، مع ذلك، ضيقات شديدة!

* ... لا أعتقد أنَّ العذراء القديسة هي التي تقوم معي بهذه الخِدع !.. إن الله هو الذي يدفعها الى ذلك ! وعندئذ ... يقول لها أن تجرِّبني حتى أضاعت له البراهين عن الاستسلام والحبّ.

١٥ - ولي وحدي قالت :

* أنتِ هنا دائماً لتعزِّيني... أنتِ تملأين أيامي الأخيرة عذوبةً.

١١ تموز

١ - تلت المقطع كلَّه غيباً:

* « ما دام ابن الله شاء أن تُزَجَّ أمُّه في الليل وفي قلق القلب ، أفلا يَحسن اذاً أن نتألَّم في الارض؟ إلخ... (**قصيدة ٥٤**).

ألم تعودي ترين « السارقة » إذاً؟

* بلى ، أنا أراها ! أنتِ لا تفهمين ! هي حرَّةٌ بألَّا تسرقني ... آه ! **نظرتُ إلى يميني ... فَلَمْ يَكُنْ مَنْ يعرفني** (**مزمور** ١٤١/ ٥) ...الله وحده قادر على أن يفهمني.

٢ - في أثناء صلاة الليل

حدّثني عن تأملاتها الماضية [التي كانت تقوم بها]، في المساء، خلال الصمت الصيفي، وقالت لي إنَّها فهمت عندئذ، بالاختبار ماذا يعني طيران الروح(٢٩). وكلّمتني على نعمة أخرى من هذا النوع، تلقتها في مغارة القديسة المجدلية، في شهر تموز ١٨٨٩، وهي نعمة تبعتها عدَّة أيّام من السكينة.

* ... كان هناك ما يشبه حجاباً أُلقي من أجلي على جميع أشياء الأرض... كان حجاب العذراء القديسة يظللني كلياً. وفي ذلك الحين كنتُ قد كلِّفتُ بقاعة الطعام وأذكر أنني كنت أقوم بالمهمّات وكأنني لا أقوم بها، فبدوت وكأنني أُعِرتُ جسداً. وبقيتُ على هذا النحو أسبوعاً كاملاً.

٣ - كلَّمتها بشأن مخطوط حياتها، والخير الذي سيصنعه للنفوس.

---

(٢٩) تريزا الافيلية - **المنازل** السادسة، فصل ٥.

* ... لكن كم سنتحقَّق من أنَّ كلَّ شيء يأتي من عند الله؛ وما سأناله عليه من مجدٍ، سيكون عطيةً مجانية لا تخصّني؛ والعالم كلُّه سيرى ذلك بجلاء...

٤ – كلّمتني على شركة القديسين وشرحت لي كيف أنَّ خيرات البعض ستكون خيرات الآخرين.

* ... كما تفتخرُ أمٌّ بأولادها، هكذا سنفخر بعضنا ببعض بدون أقل غيرة.

* ٥ – للأسف! ما أقلَّ ما عشتُ! وقد بدت لي الحياة دائماً قصيرةً جدّاً. وأيّام طفولتي، تبدو لي وكأنّها أمسِ.

* ٦ – قد يظنّ بعضهم أن لديَّ ثقة كبيرة جداً في الرب لأني لم أقع في الخطيئة. قولي بوضوح، يا أمي، إنني، لو كنت قد ارتكبت جميع الجرائم الممكنة، لكانت لي دائماً الثقة عنها، وأشعر بأن كل تلك الإساءات العديدة ستكون كنقطة ماء ألقيت في أتّون متّقد. ستقصّين بعد ذلك قصة الخاطئة التائبة التي ماتت حبّاً؛ وستفهم النفوس فوراً، لأنها سترى مثلاً ساطعاً جدّاً على ما أريد قوله. لكنَّ هذه الأشياء لا يمكن التعبير عنها.

٧ – في السهرة، ردّدت عليَّ هذه الأبيات من «المصدورة الشابة» على ما أظنّ. وقالت بنبرة عذبة جدّاً...

... قد أحصيت أيامي، وسأهجر الأرض،
سأقول لكم وداعاً ولا أملَ بالرجوع؛
أيُّها الملاك الوصيّ، الذي أحبَّني،
ألقِ عليَّ أنظارَ حبِّك الرقيقة.
عندما ترى الاوراق الذابلة تسقط
إن كنت قد احببتني، فصلِّ الى الله لأجلي.

* ٨ – ... سلامٌ عميقٌ يغمر نفسي... قاربي الصغير يعوم من جديد. أعرف أنني لن أعود، لكنّني أقبل بأن أبقى عدَّة أشهر، بقدر ما يشاء الله.

* ما أكثر من أنعمَ الله عليك من أفضال! ماذا تقولين في هذا الإيثار؟

* أعتقدُ أنَّ روح الله يهبُّ حيث يشاء (**يوحنا** ٣/ ٨)

١٢ تموز

روت لي أنَّه في ما مضى كان عليها أن تخوض معركة قاسية بشأن قنديل يُعَدُّ لعائلة الأم ماري دي غونزاغ التي وصلت للتوّ بشكل فجائي لكي تنام عند الأخوات الخارجيات. كان الصراع عنيفاً، وراودتها أفكار معارضة للسلطة، بحيث إنَّها طلبت بإلحاح معونة الله لئلَّا تخسرَ معركتها. وفي الوقت نفسه بذلت كلَّ جهدها لتقوم بما طُلب إليها. وحدث هذا في أثناء الصمت المسائي. كانت هي البوابة، وكانت الأخت سان روفائيل العاملة الأولى في هذه الوظيفة.

* لكي أنتصر على نفسي، فكَّرت في أنني أعدُّ القنديل للعذراء القديسة وللطفل يسوع؛ وعندئذ قمت بالعمل بعناية لا تصدَّق، ولم أترك عليه ذرَّة غبار واحدة؛ وشيئاً فشيئاً شعرت بسكينة عظيمة وبعذوبة كبيرة. وقُرع جرس صلاة الليل ولم أتمكن من الذهاب إليها فوراً، لكنّي كنت أشعر بأنني كنت على استعداد، وأنني نلت نعمة بحيث انّي كنت اطعت الاخت سان روفائيل بكل سعادة، لو أنَّها جاءت تقول لي مثلاً، إني أخطأت القنديل، ويجب إعدادُ قنديلٍ آخر. ومنذ ذلك اليوم اتخذت قراراً بألَّا أهتمَّ أبداً إذا كانت الأشياء المطلوبة تبدو لي نافعة أم لا.

٢ – قالت الأخت ماري للإفخارستيا إنني مُدهشة...

* ... أمٌ مدهشة! آه! لا، بل أمٌّ محبوبة، لأنَّ الحبَّ أفضلَ من الإعجاب.

٣ – إلى الأم ماري دي غونزاغ:

* لا شيء يثبت بين يدي. فكلُّ ما عندي، وكل ما أكسب، هو لأجل الكنيسة والنفوس. سأكون دائمًا فقيرة كما انا، حتى ولو عشت حتى الثمانين.

١٣ تموز

* ١ – أرى حقّاً أنّ عليَّ أن أسهر على الثمار عندما ساصير في السماء، لكن يجب ألا نقتل العصافير الصغيرة، وإلَّا، فنحن لن نرسل لكنّ حسنات.

رفعت ذراعها بلطف نحو صورة الطفل يسوع:

* نعم، نعم!...

* ٢ – على الله أن يتمّم جميع ما أريد في السماء، لأنني لم أتمّم قط إرادتي في الأرض.

٣ – ستنظرين إلينا من أعلى السماء أليس كذلك ؟

* لا، سأنزل !

٤ – خلال الليل نظمت مقطعاً لأجل المناولة:

* أنت يا من يعرف، إلخ[٣٠].

وقالت لي بهذا الصدد:

* لقد نظمته بسهولة كبيرة، هذا رائع؛ كنتُ أظنّ أنني لم أعد أستطيع نظمَ الشعر.

* ٥ – لا أقول: «إذا كان العيش قاسياً في الكرمل، فالموت فيه عذب» لكن: «إذا كان العيش عذباً في الكرمل، فإنَّ الموت فيه أكثر عذوبة».

٦ – كان الطبيب قد رآها أفضل حالاً من المعتاد. فأمسك بعد ذلك جنبها الذي كانت تتألم منه كثيراً:

* نعم، نعم، هذا أفضل من المعتاد.

٧ – كان يبدو لي أنّها مكتئبة، رغم مظهرها المرح والفرح فقلت لها:
تتّخذين هذا المظهر وتقولين كلاماً مَرِحاً كي لا تحزيننا، أليس كذلك ؟

* ... أتصرّف دائماً بدون «تصنّع»...

٨ – قُدم لها نبيذ بودون[٣١].

---

(٣٠) أنت، يا من يعرف أقصى صغري
لا تخاف من ان تنزل إليّ !
تعال إلى قلبي، يا قربانة بيضاء أحبّها،
آه، أودّ لو يَدَعُني جودك
أموت حبّاً بعد هذه الأفضال.
يسوع ! إسمع صراخ حناني،
تعال إلى قلبي.

(٣١) وهو نبيذٌ مقوٍّ.

* لم أعد أريد من عصير كرمة الأرض ... **أريد ان أشرب عصيراً جديداً في ملكوت أبي** (**متى** ٢٦/ ٢٩).

* ٩ - ... عندما كانت أختي جنڤياف تأتي إلى المُتحدَّث، لم أكن أستطيع أن أقول لها في نصف ساعة كلَّ ما كنت أريد قوله. عندئذ، خلال الأسبوع، عندما كانت تخطر لي فكرة ما، أو إذا كنتُ آسف لأني نسيت أن أقول لها شيئاً ما، كنتُ أطلب إلى الله أن يجعلها تعرف وتفهم ما كنتُ أفكر فيه؛ وعند المتحدَّث التالي، كانت تقول لي تماماً ما قد طلبت إلى الله أن يجعلها تعرفه.

* ... في البدء، عندما كانت تشعر بالحزن ولم أكن أنجح في تعزيتها، كنتُ أغادر المتحدِّث وقلبي حزين، لكنَّني فهمتُ سريعاً أنني لست مَنْ يستطيع تعزية النفس؛ ومنذئذ لم أعد أشعر بالكآبة عندما كانت ترحل حزينة كلَّ الحزن. وكنتُ أطلب إلى الله ان ينوب عن عجزي وكنتُ أشعر بأنه يستجيب؛ كنتُ أعي الأمر في المتحدَّث التالي... ومنذ ذلك الحين، عندما كنت أسبِّب حزناً عن غير قصد، كنت أطلب إلى الله أن يصلح الأمر ولا أتكدّر من بُعد.

* ١٠ - أطلب إليك أن تفعلي فعل حبٍّ لله وترفعي ابتهالاً إلى جميع القديسين؛ إنهم جميعاً أهلي «الصغار» في العلى.

* ١١ - ... أرغب في أن يُشترى ثلاثة متوحشين صغار: صغير هو ماري - لويس - مرتان - وصغير هو ماري - تيوفان -. وصغيرة بين الإثنين إسمها ماري سيسيل.

وبعد لحظة:

* وصغيرة اخرى، أيضاً، هي ماري تريز.

بدلا من أن تدع المال يُصرف لشراء أكاليل بعد موتها.

* ١٢ - كلَّمتني مرة اخرى على شركة القديسين.

* ... مع العذارى، سنكون مثل العذارى؛ ومع الملافنة سنكون مثل الملافنة، ومع الشهداء سنكون مثل الشهداء، لأنَّ جميع القديسين هم أهلنا؛ لكن هؤلاء الذين اتبعوا طريق الطفولة الروحية سيحفظون دائماً مفاتن الطفولة.

وتوسَّعت في عرض هذه الافكار:

* ١٣ – ... منذ طفولتي، أعطاني الله شعوراً عميقاً بأنني سأموت شابة
١٤ – نظرت إليَّ برقَّة.

* إن لكِ وجهاً ... ثم ... سيكون لكِ دائماً ... فسأعرفك بسهولة!

* ١٥ – لقد جعلني الرب أرغب دائماً في ما كان يريد أن يعطيني إياه.
١٦ – وقالت لثلاثتنا:

* لا تعتقدن أنَّني حين سأصير في السماء، سأُسقط في أفواهكنَّ قبَّراتٍ مشوية ... ليس هذا ما نلته وليس هذا ما رغبتُ في نيله. قد تعترضكنّ محنٌ قاسية، لكنني سأرسل إليكُنَّ أنواراً ستدفعكنَّ إلى تقديرها وحبّها. ستكنَّ مجبرات على القول مثلي: يا ربّ، **فرَّحتني بصنعِك** (مزمور ٩١/ ٥).

* ١٧ – لا تتصوَّرن أنني أشعر بفرح شديد لموتي، كما كنت أشعر بمثله عند ذهابي إلى ألنسون أو تروڤيل، فيما مضى، لتمضية شهر هناك؛ لم أعد أعرف ما هي الأفراح الشديدة. على كل حال أنا لا أعيِّد ان تمتعت بفرحٍ كهذا؛ فليس هذا ما يجذبني. لا أستطيع التفكير كثيراً في السعادة التي تنتظرني في السماء؛ إن انتظاراً واحداً يجعل قلبي يخفق: إنَّه الحب الذي سأتلقّاه، والحبّ الذي سأستطيع أن أمنحه. فضلاً عن ذلك أفكر في كل الخير الذي أريد فعله بعد موتي: القيام بتعميد الأطفال، ومساعدة الكهنة والمرسلين والكنيسة جمعاء ...

* ... لكن أوّلاً تعزية أُخيَّأتي ...

* ... هذا المساء كنتُ أسمع موسيقى من بعيد وكنت أفكر في أنَّني قريباً سأسمع الألحان المنقطعة النظير؛ لكن هذا الشعور بالفرح لم يكن إلَّا عابراً.

طلبتُ إليها أن تحدِّد وظائفها في الكرمل.

* منذ دخولي الكرمل، وُضعتُ في غرفة الغسيل مع الأم نائبة الرئيسة (الأخت ماري للملائكة)، وكان عليَّ، بالإضافة إلى ذلك، القيام بتكنيس السلَّم وعنبر النوم.

* ... وأذكر أنه كان يصعب عليّ كثيراً أن أستأذنَ معلمتنا للقيام بإماتات على المائدة، لكني لم أرزح قط تحت وطأة نفوري، وكان يبدو لي أن المصلوب في الباحة المسقوفة، الذي أراه عبر نافذة غرفة الغسيل، كان يستدير نحوي ليطلب منّي هذه التضحية.

* في تلك الحقبة كنت أذهب لاقتلع العشب في الساعة ٣٠، ٤، مما كان يُغضب أُمَّنا.

* بعد اتشاحي بالثوب الرهباني، عُهد إليَّ بالمائدة حتى بلوغي الثامنة عشرة من العمر، فكنت أكنِّسها وأضع الماء والبيرة. في أثناء «الأربعين ساعة»، سنة ١٨٩١، كلِّفت بالخدمة في السكرستيا مع الأخت سان ستانسلاس. وبدءاً من شهر حزيران من السنة التالية، بقيت لفترة شهرين بدون وظيفة، أي إنني في هذه الفترة رسمت ملائكةَ المصلّى وكنت مرافقة القيِّمة. وبعد هذين الشهرين، وُضعت في البرج مع أختي سان روفائيل، وتابعت الرسم في الوقت نفسه. وقمت بهذين العملين حتى انتخابات ١٨٩٦ عندما طلبتُ أن أساعد الأخت ماري للقديس يوسف في غرفة الغسيل، في الظروف التي تعرفينها.

وبعدها، روت لي كم كنَّ يجدنها بطيئة، قليلة التفاني في أعمالها، وقد صدّقت ذلك أنا بالذات؛ وفعلاً، تذكّرنا معاً كم كنتُ أوبِّخها بشدّة بسبب غطاء طاولة للمائدة كانت قد احتفظت به طويلاً في سلّتها بدون أن ترتقه. كنت أتّهِمها بالإهمال وكنت مخطئة، لأن الوقت هو ما كان ينقصها. هذه المرة، وبدون أن تقدِّم أيَّ اعتذار، بكت كثيراً، وهي تراني حزينة مستاءة... هل هذا ممكن!!!

وقالت لي ايضاً ما عانته معي في وظيفة المائدة. (كنت الاولى في الخدمة عندئذ) وهي لا تستطيع أن تقول لي شؤونها الصغيرة كما في ما مضى، لأنها لم يكن لها إذنٌ بذلك، ولاسباب أخرى...

* وأضافت: أنَّكِ توصلتِ إلى أنكِ لم تعودي تعرفينني.

واخبرتني كيف كانت تُكره نفسها على نزع شِباك العناكب من الثقب الأسود العائد لسان ألكسي تحت السلّم (وكانت ترتعب من العناكب)، وألف تفصيل آخر أثبت لي كم كانت امينةً في كل شيء، وكم تألمت بدون أن ينتبه أحدٌ لذلك.

١٤ تموز

* ١ - قرأت في الماضي أن بني إسرائيل بنوا أسوار القدس، وهم يعملون بيد، ويحملون السيف باليد الاخرى (**نَحَمْيا** ٤/١٧و ١١). هذا ما علينا أن نفعله: وهو ألَّا نستسلم كلّيّاً الى العمل... إلخ

* ٢ – لو كنتُ غنيةً، لكان من المستحيل عليَّ أن أرى فقيراً جائعاً بدون أن أعطيه فوراً من مقتنياتي. وهكذا، كلّما ربحتُ كنزاً روحياً ما، وشعرت في الوقت نفسه بأن نفوساً توشك أن تهلك وتسقطَ في الجحيم، أعطيتها كل ما أملك؛ ولم أجد حتى الآن بعدُ لحظةً أقول فيها لنفسي: الآن سأعمل لنفسي.

٣ – راحت تردد بتعبير وبنبرة سماويتين مقطعاً من قصيدة «تذكّر»، يبدأ بهذه الكلمات:

* تذكَّر أن مشيئتك القدوسة هي راحتي، وسعادتي الوحيدة.

* ٤ – لا حاجة إلى أن يبدوَ في الخارج (الموت بالحبّ)، المهم أن يكون.

* ٥ – كل ما أعطاني الله إيَّاه أعجبني دائماً، لدرجة أنه لو منحني حق الإختيار لأخترت إياه؛ حتى الأشياء التي كانت تبدو لي اقل حسناً وجمالاً من الاشياء التي حصلت الأخريات عليها.

* ٦ – آه! أيَّ سمٍّ رأَيته في ما يُقدَّم للأم الرئيسة من مديح! كم يجب أن تكون النفس منعتقةً ومرتفعة فوق ذاتها حتى لا تتألم من ذلك.

٧ – كان الطبيب، في أثناء زيارته، قد عاد من جديد لإعطاءِ بعض الأمل، لكن ذلك لم يعد يؤلمها وقالت لنا:

* لقد اعتدت على هذا الآن! ماذا يهمُّني إن بقيتُ مريضةً لفترة طويلة! إني أرغب في أن يتمّ الأمر بسرعة لكي أوفِّر عليكنّ القلق.

* ٨ – آه! أحبك كثيراً، يا أميمتي!

* قلبي مفعم بمشيئة الله، ولهذا السبب، عندما يُسكب فوقها شيء لا يلج في الداخل؛ إنَّه شيءٌ تافه ينزلق بسهولة، مثل الزيت الذي لا يمكن أن يمتزج بالماء. ففي اعماق نفسي يسود سلام عميق لا يستطيع شيء أن يعكِّره.

نظرت الى يديها النحيلتين:

* آه! كم أشعر بفرح وأنا أرى نفسي تتهدَّم!

١٥ تموز

١ – قد تموتين غداً (عيد سيّدة جبل الكرمل)، بعد المناولة.

* آه! ذلك لا يشابه طريقي الصغير. أوَأخرجُ منه إذاً لكي أموت؟ أن أموت حبّاً بعد المناولة، فهذا جميل جداً بالنسبة إليّ؛ لا تستطيع النفوس الصغيرة أن تقتدي بذلك.

* شرط ألَّا يحصل لي حادث غداً صباحاً! أمور من هذا النوع يمكنها أن تحصل لي: كأن يستحيل إعطائي المناولة، فيضطر الله الى العودة من حيث اتى؛ أترين ذلك!

٢ – كلَّمتني على الطوباوي تيوفان ڤينار الذي لم يستطع أن يتلقّى المناولة المقدسة لحظة موته، وأطلق تنهيدةً عميقة...

٣ – كنَّا قد قمنا بتحضيرات لأجل مناولتها في اليوم التالي. وكان على قريب الأخت م. فيلومين الدخول إلى الكرمل بعد قداسه الأول حتى يعطيها المناولة؛ لكننا رأينا حالتها أكثر سوءاً، فخفنا من أن تبصق الدم بعد منتصف الليل وطلبنا منها أن تصلّي لكي لا يعرقل أي شيء مؤسف مشاريعنا. فأجابت:

* تعرفنَ جيداً أنني، لا استطيع، انا، أن أطلب... لكن أطلبن ذلك بأنفسكنَّ... ولكن هذا المساء، قد طلبته من الله رغم كلِّ شيء حتى تُسرَّ أخياتي، ولا تصاب الجماعة بخيبة أمل؛ لكن في أعماق نفسي اقول له العكس؛ أقول بأن يفعل ما يشاء...

٤ – واذ رأتنا نزيِّن غرفة التمريض، قالت:

* آه! كم نُتعب أنفسنا لإعداد كلِّ ما يجب إعداده! كم هي جميلةٌ أعياد الارض! نحمل إلى الصغيرات، في مناولتهنَّ الأولى، ثوبهن الأبيض عند الصباح فلا يكون عليهنّ إلَّا ارتداؤه، وكلُّ التعب الذي بذلناه لأجلهنّ هو خافٍ عليهنّ، فلا يشعرن إلَّا بالفرح. لكن عندما نكبر لا تكون الامور على هذا النحو.

روت لي الحدث التالي الذي بقي ذكرى لديها وكأنه نعمة:

* ٥ – كانت الأخت ماري للإفخارستيا تريد إشعال الشموع لأجل الزِّياح؛ ولم تكن لديها عيدان ثقاب، لكنها رأت القنديل الصغير مضاءً أمام الذخائر، فاقتربت منه، فوجدته للأسف نصفَ منطفئ، ولم يبق منه غير قبس ضعيف على الفتيلة المتفحِّمة. ونجحت مع ذلك في اشعال شمعتها منه، وبواسطة هذه الشمعة اشعلت شموع الجماعة كلها. فهذا

القنديل الصغير نصف المنطفئ هو ما ولّد هذه الشعلات الجميلة التي تستطيع بدورها ، أن تولد شعلاتٍ أخرى لا تحصى حتى تضرم الكون . ومع ذلك سيكون دائماً للمصباح الصغير الفضلُ الاول في هذا الإضرام. كيف تقدر الشعلات الجميلة هذه أن تفتخر ، وهي تعرف هذا الأمر ، بأنّها أشعلت مثل هذا الحريق ، ما دامت لم تُشعَل إلّا باتصالٍ مع الشرارة الصغيرة ؟...

* الأمر هو نفسه بالنسبة الى شركة القديسين . فغالباً ما ، وبدون ان نعرف ما ندين بالنِعم والأنوار التي نتلقاها لنفسٍ محجوبة ، لأن الله يشاء أن يوصل القديسون النعمة لبعضهم البعض بالصلاة ، لكي يتحابوا بحبٍّ شديد في السماء ، وبحبٍّ أكبر بكثير من حب العائلة ، حتى أمثل العائلات على الأرض . كم من المرّات فكرت في أنني أستطيع أن أدين بجميع النِعم التي نلتها لصلوات نفسٍ ربّما كانت قد طلبتها لي من الله وأنا لن أعرفها إلّا في السماء .

* نعم ، إنَّ شرارة صغيرة تستطيع أن تولِّد أنواراً عظيمة في الكنيسة جمعاء ، كالملافنة والشهداء الذين سيكونون ، بدون شك ، أعلى منها بكثير منها في السماء ؛ لكن كيف يمكننا التفكير في أن مجدَهم لن يصبح مجدها ؟

* في السماء لن نصادف نظراتٍ لا مبالية ، لأنَّ جميع المختارين سيعترفون أنهم يدينون لبعضهم البعض بالنعم التي جعلتهم يستحقّون الإكليل .

كانت المحادثة طويلةً جداً، فلم أتمكّن من تدوينها كلها ولا كتابتها حرفياً.

١٦ تموز

١ – أخشى أن تتألمي كثيراً قبل أن تموتي...

* – لماذا تخافين مسبقاً ؟ إنتظري حدوث ذلك على الأقل لكي تغتمّي. هل ترين أنني سينتابني القلق إن فكرتُ في أنّه اذا فاجأتنا اضطهادات ومذابح ، كما تقول النبوءة ، فقد تُقلع عيناك ؟

* ٢ – كنت قد ضحيّت كلّياً بالأخت جنڤياف ، لكن لا أستطيع القول إنني ما عدتُ

راغبة فيها[٣٢] . كنت غالباً في أيام الصيف ، أجلس على السطح خلال ساعة قبل صلاة الليل ، واقول في نفسي : آه ! ليت سيلين هنا ، بالقرب منّي ! لكن لا ! فتلك سعادة أكبر من تكون على الأرض !...

* ... وكان يبدو لي ذلك حُلُماً لا يمكن تحقيقه. إلّا أن الرغبة في هذه السعادة لم تكن بسبب ميل طبيعي لديّ ، بل كانت لأجل نفسها ، ولأجل أن تسلك طريقنا ... وعندما رأيتها تدخل إلى هنا ، وليس أن تدخل فقط ، بل أن تُعطى لي كلياً حتى أعلّمها جميع الأشياء ، وعندما رأيت الله يفعل ذلك ، متجاوزاً رغائبي بهذه الطريقة ، فهمت أيَّ حبٍّ عظيم يكنّ لي ...

* ... حسناً ، يا أُميمتي ، فإذا كانت رغبة كهذه ، لم أكد أعبِّر عنها قد أُشبعت على هذا النحو ، فمن المستحيل إذاً الّا تُستجاب كاملةً جميعُ رغباتي التي غالباً ما أحدِّث الله عنها .

٣ – كرّرت عليّ باقتناع ظاهر هذه الكلمة التي سبق لها ان قرأتها في كتاب **الازهار الصغيرة** للأب بورب[٣٣].

* إن قدّيسي الأزمنة الأخيرة سيتفوّقون على قدّيسي الازمنة الاولى بقدر ما يتفوَّق الارز على الاشجار الأخرى .

* ٤ – أنتِ وحدك ، تعرفين جميع خبايا نفسي الصغيرة .

٥ – وقالت ، وعلى وجهها مظهر طفولي يخفي لطافةً ماكرة:

* أريد أن أعطيك برهاناً على حبّي لم يعطِكِ إيّاه أحد قط .

وكنت أساءل نفسي ماذا ستفعل ... واذا بها تقول[٣٤]...

* ٦ – اذا قال لي الله : إذا متِّ الآن فستنالين مجداً عظيماً جدّاً ، وإذا متِّ في الثمانين من العمر ، فسيكون مجدُكِ أقل عظمة ، لكن هذا سيرضيني أكثر بكثير . آه ! عندها لن

---

(٣٢) أي في ان تدخل الكرمل .

(٣٣) Bourc.

(٣٤) يتبع هذهِ الملاحظة ثلاثة أسطر غير مفهومة .

أتردد في الإجابة : « يا إلهي ، أريد أن أموت في الثمانين ، لأنني لا أبحث عن مجدي ، بل أبحث فقط عن رضاك » .

* لقد عمل القديسون العظام لمجد الله . أما أنا فلستُ غيرَ نفسٍ صغيرة جداً ، تعمل لأجل رضاه وحده ، وسأكون سعيدة بتحمّل أشد الآلام ، حتى ولو لم يَنفع ذلك إلّا لأجعل الله يبتسم ولو مرّة واحدة .

١٧ تموز

السبت – الساعة ٢ صباحاً كانت قد بصقت دماً .

* أشعر بأنني سأدخل الراحة قريباً ... لكنني أشعر خاصة بأنَّ رسالتي ستبدأ ، فرسالتي هي أن أجعل الله يحبُّ كما أُحبُّه أنا ، وأن أقدِّم للنفوس طريقي الصغير . إنْ استجاب الله لرغباتي فستنقضي سمائي على الأرض حتى نهاية العالم . نعم ، أريد أن أقضي سمائي في فعل الخير على الأرض . وهذا ليس مستحيلاً ، لأنه في قلب الرؤيا الطوباوية ، تسهر علينا الملائكة .

* لا يسعني أن أعيِّد لنعيمي ، ولا أستطيع ان أرتاح طالما أن هناك نفوساً يجب أن تَخلص ... لكن عندما سيقول الملاك : (**رؤيا ١٠/٦) قد زال الزمان!**، عندئذ سأرتاح ، ويمكنني أن أنعم ، لأنَّ عدد المختارين قد اكتمل ، ودخل الجميع في الفرح وفي الراحة . فقلبي يخفق لهذه الفكرة ...

١٨ تموز

* ١ – ... لم يمنحني الله هذه الرغبة في أن أفعل خيراً في الأرض بعد موتي ، لو لم يشأ تحقيقها ؛ بل كان يمكنه أن يعطيني الرغبة في أن أرتاح فيه .

* ٢ – ما عليَّ أن اتحمَّل إلا بعض الانزعاجات ، وليس الآلام.

١٩ تموز

« سأذهب للسقاية هذا المساء » (كان ذلك في بداية الفرصة)

* ... لكن ... يجب أن تسقيني أنا أيضاً !

– ما أنتِ ؟

* – إنني بزرةٌ صغيرة ، ولا ندري حتى الآن ، ماذا سيخرج منها ...

* ٢ – كنت أرغب فعلاً في سؤال الأخت ماري للقلب الأقدس التي عادت من لقاء الإب يوف في المُتحدِّث، عمّا قاله عن حالتي بعد زيارته . وكنتُ أفكر في نفسي : قد يشرح ذلك قلبي ، وقد تعزيني معرفته ؛ لكن عندما فكَّرت في الامر قلتُ في نفسي: لا ، هذه حشرية ، ولن أفعل شيئاً لأعرفَ ؛ فما دام الله لا يسمح بأن تُخبرني ذلك من تلقاء نفسها ، فهذه علامة على انه لا يريد أن أعرف بالأمر . وتفاديت أن أعيد الحديث حول هذا الموضوع ، خشية ان تقوله الأخت ماري للقلب الأقدس لي كأنَّها مكرهة ؛ وما كنت لأسعدَ بذلك ...

٣ – قالت لي إنها سعت إلى إرضاء ذاتها بمسحها وجهها مرة أكثر مما كان ضرورياً، لكي تلفت انتباه ماري للقلب الأقدس الى انَّها كانت تنضح عرقاً كثيراً.

٢٠ تموز

(كانت قد بصقت الدم ، صباحاً، الساعة ٣).

« ماذا كنتِ فعلتِ لو كانت إحدانا مريضة مكانك ؟ هلْ كنت اتيت الى غرفة التمريض في أثناء الفرص ؟»

* – كنتُ ذهبت رأساً إلى الفرصة بدون أن أسأل عن أيِّ خبر ، لكنني كنتُ فعلت ذلك بكلٍّ بساطة حتى لا أثير إنتباه أحدٍ إلى تضحيتي . ولو جئت إلى غرفة التمريض ، لفعلت ذلك إرضاءً لغيري ، لا لكي أرضيَ نفسي أبداً .

* ... كل ذلك حتى أُتمِّم واجبي الصغير واستمطر عليكِ نعماً لا يجلبها لكِ ، بالتأكيد ، التفتيش عن ذاتي . ولربَّما كنت قد حصلت أنا بالذات ، من هذه التضحيات على قوَّة كبيرة . وإن كنت فعلت بعض المرَّات ، عكس ما كنت أريده بسبب ضعفي ، فما كانت همّتي لتثبط ، بل كنتُ سأحاول التكفير عن مخالفاتي بحرمانِ نفسي أكثر من قبلُ، بدون أن يظهر ذلك .

* ٢ – يختار الله مَنْ يشاء لينوب عنه ، لكن لا أهمية لذلك... فمعكِ كان يمكن ان

يكون هناك جانبٌ إنساني؛ وأنا أفضّل ألّا يوجد غير ما هو إلهي. نعم، أقول ذلك من صميم قلبي: أنا سعيدةٌ بأن أموت بين ذراعي أُمّنا، إذ إنّها تُمثّل الله.

* ٣ - ... لن تنتزع الخطيئة المميتة الثقة منّي.

* ... على الأخص، لا تنسي ان تروي قصة الخاطئة! فهذا ما سيبرهن على أنني لست مخطئة.

٤ - كنت اقول لها إنني أخشى أن تعاني كروب الموت.

* إذا كنتِ تعنين بكروب الموت الآلامَ الفظيعةَ التي تظهر في اللحظة الاخيرة عبر إشارات مرعبة بالنسبة الى الأخريات، فأنا لم ارها قط هنا، عند اللواتي مُتن تحت نظري. فالأم جنفياف قاستها في النفس، لكن ليس في الجسد.

* ٥ - أنتِ لا تعلمين إلى أية درجة أحبّك وسأعطيك البرهان على ذلك.

* ٦ - يلقينَ عليَّ وابلاً من الأسئلة، وهذا ما يجعلني أفكر في جان دارك أمام محكمتها! يبدو لي أنني أجيب بالصدق نفسه.

٢١ تموز

* ١ - عندما أراك يا أُميمتي، أشعر بسعادة كبيرة؛ فأنتِ لا تُتعبينني أبداً، بل على العكس. كنتُ أقول ذلك منذ قليل: فأنتِ من تبذل لأجلي، في حين أكون مجبرةً في أكثر الأحيان، على العطاء...

* ٢ - إذا قرّعني الله، حتى ولو قليلاً جدّاً، فلن أبكي لأستدّر عطفه... لكنه إنْ لم يُقرّعْني قط، وإن استقبلني بابتسامة، فسأبكي...

* آه! أريد أن أعرف في السماء قصة جميع القديسين؛ لكن يجب ألّا يقصُّوها عليَّ، لأنَّ ذلك سيطول جدّاً. فعندما سأقترب من قديس، يجب أن أعرف اسمَه وحياتَه كلَّها بنظرة واحدة.

* ٤ - لم أفعل قط مثل بيلاطس الذي رفض الإصغاء إلى الحقّ (**يوحنا** ٣٨/١٨). بل قلت دائماً لله: يا إلهي، أريد فعلاً الإصغاء إليك؛ أتوسل إليك، أجبني عندما أسأ لك بتواضع: ما هو الحقّ؟ اجعلني أرى الأشياء كما هي، وأن لا يذرَّ أحدٌ الرمادَ في عينيّ.

٥ – كنّا نقول لها إنها سعيدة بأن يختارها الله لتظهر للأنفس طريق الثقة. فأجابت:

* وماذا يهمّني إن كنتُ أنا أو كان غيري مَنْ يقدِّم هذا الطريق للنفوس؟ المهم ان يتم إظهاره، مهما كانت الأداة.

٢٢ تموز

* كانت الأخت ماري للقلب الأقدس تقول لها: «هيّا! أنتِ تَلقَين عنايةً بحبٍّ كبير ...».

* نعم، أرى ذلك جيِّداً ... إنّها صورة عن الحبِّ الذي يكنُّه الله لي. أنا، لم أمنحه قط إلّا الحبّ، فهو، اذاً، يبادلني الحبّ، والأمر لا يتوقّف عند هذا الحد، بل قريباً سيبادلني إيّاه أكثر ...

* إنّي متأثرة جدّاً؛ فكأنّه شعاعٌ أو بالاحرى برق سطع وسط ظلماتي ...لكنه برقٌ فقط!

٢ – كرّرت عليَّ، مبتسمة، هذا الكلام الذي قاله لها الاب يوف بعد اعترافها:

* لو كنَّستِ الملائكة السماء، لَتَكَوَّنَ الغبار من ألماس.

٢٣ تموز

١ – كنا نتحدَّث إليها عن الجمعيات(٣٥):

* أنا قريبة من السماء بحيث يبدو لي كل ذلك محزناً.

٢ – كانت إحدانا قد قالت لها وقرأت عليها شيئاً وظنّت أنّها قد عزّتها كثيراً وأفرحتها في محنتها العظيمة.

– أليس صحيحاً أن محنتك قد توقّفت لبعض الوقت؟

* – لا! بدا ذلك وكأنكِ تترنّمين!

٣ – كنت أكلّمها دائماً على ذلك الخوف الذي لا يفارقني لرؤيتي إياها تتألم أكثر فأكثر.

---

(٣٥) المقصود أخويات تقوية.

* ٤ – أرى واجباً علينا، نحن الراكضين في طريق الحب، ألَّا نفكر في ما يمكن أن يصيبنا من أوجاع في المستقبل، لأنّنا، عندئذ، نفقد الثقة ونظهر كأننا نتدخّل في الخلق . . .

* ... في زمن محن بابا، كنتُ أشعر برغبة عنيفة في التألم ... ففي مساء احد الايام، عرفتُ اشتداد الداء عليه، فأخذت الأخت ماري للملائكة تعزّيني بأقصى ما تستطيع وهي تراني حزينة، لكنّي قلتُ لها: «يا أختي ماري للملائكة، أشعر بأنني استطيع أن أتألم أكثر!» فنظرت إليَّ بدهشة كبيرة؛ وكانت غالباً تذكّرني بذلك منذ ذلك الحين.

في الواقع، لم تنسَ الأخت ماري للملائكة، تلك السهرة قط. كانت قديستنا الصغيرة، وهي لا تزال طالبة، على وشك النوم، وكانت جالسة على فراشها، مرتدية قميص نومها، وشعرها الجميل مُسدلٌ على كتفيها. وقالت الأخت: كان في نظرتها وكلّ شخصها، شيء غاية في النبلُ والجمال بحيث اعتقدت أنني أرى عذراءَ من السماء.

* ٥ – يوم كانت محننا على اشدِّها، اذكر اني التقيت بالأخت ماري للقلب الأقدس بعد أن كنّست سلَّم عنبر النوم (من جهة غرفة الغسيل). كان قد أُذِنَ بالتكلّم فأوقفتني؛ قلتُ عندئذ لها إنني أتمتَّع بقوّة كبيرة، وإنَّني في تلك الفترة أفكِّر في كلام السيِّدة سويتشين[٣٦] الذي تغلغل فيَّ بحيث أشعر كأنه يضرمني: «إن الرضوخ يختلفُ عن مشيئة الله اختلاف الوَحْدة عن الإتحاد. في الإتحاد، نحن لا نزال اثنين؛ اما، في الوحدة، فلسنا إلَّا واحداً».

لا أدري إن كان هذا النص منقولاً حرفياً.

* ٦ – كنتُ قد أُجبرت على أن أطلب الشفاء لأبي يوم نذري؟ لكنه استحال عليَّ أن أقول شيئاً آخر غير هذا: يا إلهي، أتضرّع إليك، أن تكون مشيئتك شفاءَ ابي!

* ٧ – «**بكَ اعتَصَمتُ يا رَبِّ!**». (**مزمور ٣٠/ ٢**). في فترة آلامنا الشديدة، كم كنت سعيدة بترداد هذه الآية في الخورُس!

---

(٣٦) Swetchine.

٢٤ تموز

١ - أُرسلت اليها ثمارٌ جميلة، لكنها لم تستطع أن تأكل منها. فتناولتها الواحدة بعد الأخرى وكأنَّها تريد تقديمهالأحد الاشخاص وقالت:

* كُرِّمت العائلة المقدسة كلّ التكريم، فقد نال كلٌّ من القديس يوسف والطفل يسوع دراقةً وخوختين.

وسألتني بصوت خافت:

* قد لا يكون هذا حسناً، لكنِّي لمستها بسرور؟ يبهجني كثيراً أن ألمس الثمار، خاصة الدّراق وأن أراها عن قرب.

فطمأنتُها وتابعت:

* لقد نالت العذراء القديسة ايضاً حصَّتها. عندما يُقدَّم لي اللبن ممزوجاً بالروم(٣٧)، أقدّمه للقديس يوسف، وأقول لنفسي: آه! كم سيسرّ ذلك القديس يوسف المسكين!

* على المائدة، كنت أعرف دائماً لِمَنْ يجب أن أعطي: الحلو للطفل يسوع؛ والقوي للقديس يوسف، ولم أكن أنسى قط العذراء القديسة. لكن عندما كان ينقصني شيءٌ ما، كأن ينسوا تقديم الصلصة والسلطة لي، كنت أسرُّ أكثر بكثير لأنّي كنت إخالني أعطي فعلاً للعائلة المقدسة، إذ انني حُرِمت حقّاً ما كنت أقدّمه.

* ٢ - ... عندما يريد الرب أن نُحرم شيئاً ما، فلا سبيل الى تجنبه، ولا بد أن نعرف الحرمان. فأحياناً كانت الأخت ماري للقلب الأقدس تضع طبقي من السلطة قريباً جدّاً من الأخت ماري للتجسد بحيث لا أعود أستطيع أن أعتبره لي، فلم أكن ألمسه.

* آه! يا أُميمتي، يا لها عجَّةً تشبه «النعل» قُدِّمت لي في حياتي! ساد الاعتقاد أنني أحبّها هكذا جافةً كل الجفاف. يجب الانتباه جدّاً بعد موتي، لكي لا تُقدَّم مثلُ هذه القذارة إلى أخواتي المسكينات.

٢٥ تموز

١ - قلت لها إنني توصَّلت إلى الرغبة في موتها حتى لا أعود أراها تتألم بهذا القدر.

---

(٣٧) هو عرق قصب السكّر.

* ... نعم ، لكن يجب ألا نقول هذا ، يا أميمتي ، لأنَّ التألّم هو ما يسرُّني ، بالضبط ، في الحياة.

* ٢ – هل هذا هو حقّاً موسم الدرّاق ؟ هل ينادون في الشارع على الخوخ ؟ لم أعد أعرف ماذا يحدث .

* « عندما نصل الى النهاية ،

* « نضيِّع العقل والذاكرة » .

٣ – أرسل خالي لها عنباً. فأكلت منه قليلاً وقالت :

* كم هو لذيذ هذا العنب ! لكني لا أحبّ ما يأتيني من عائلتي... فيما مضى ، عندما كانت تُرسَل من قبلها باقاتٌ لطفلي يسوع، لم أكن أريد أخذها قط من دون أن أتأكد من أن أمّنا طلبت ذلك .

٤ – بناء على طلبها ، جعلتها تقبّل مصلوبها وقدَّمته لها كما نفعل عادة[٣٨]:

* آه ! أما أنا ، فأقبّل الوجه !

ثم نظرت الى صورة الطفل يسوع (الصورة التي حملتها ماري للثالوث من كرمل ميسين)[٣٩].

* الطفل يسوع هذا ، يبدو أنه يقول لي : « ستأتين إلى السماء ، أنا من يقول لك ذلك !».

٥ – إذاً أين السارق الآن ؟ لم نعد نتكلّم عليه . فأجابتني وهي تضع يدها على قلبها :

* إنَّه هنا ! إنَّه في قلبي .

٦ – قلتُ لها إنَّ الموت محزنٌ فعلاً في الظاهر ، وأني سأشعر بحزن شديدٍ لرؤيتها ميتة. فأجابتني بصوت متهدّج :

* إنَّ العذراء القديسة أمسكت جيداً بيسوعها الميت على ركبتيها ، وهو مشوّه ومدّمى !

---

(٣٨) كانت الراهبات عادةً يقبّلن اقدام المصلوب .

(٣٩) Messine في باريس .

وكان الأمر مختلف تماماً عمّا سترينه! آه! لا أدري كيف فعلت ذلك!... أفترض أن شأني سيفوَّض إليكِ في تلك الحالة؛ ماذا ستصيرين؟ أجيبيني؟... (**ميخا** ٦/ ٣).

٧ – بعد أن باحت لي بعدة أمور صغيرة كانت تلوم نفسها عليها، سألتني ما إذا كانت قد أساءت الى الله. فأجبتها ببساطة أن جميع هذه الخطايا المذكورة لم تكن خطايا وأنّها أراحتني بروايتها لي؛ عندئذ بدت متأثّرة جدّاً، ثم قالت لي بعد قليل:

* بينما كنت أسمعك، تذكَّرتُ الأب ألكسي: فكلامك نفذ الى اعماق قلبي مثل كلامه.

٨ – أخذت تبكي، فتلقّيت دموعها وأنا أمسحها بقماش رقيق. (الاخت جنڤياف تحفظ هذه الذخيرة).

قدّمت لها الأخت جنڤياف زهرة صغيرة من إبرة الراعي، وكانت موضوعة على الطاولة منذ فترة طويلة، حتى ترميها على صورها المثبتة على ستارة سريرها:

* ... علينا ألّا نرمي أبداً أزهاراً ذابلة ... لا أزهار غير تلك الازهار الصغيرة النضرة.

٩ – عرضنا عليها تسليةً تثير صخباً شديداً. فأجابت مبتسمة:

* ... لا للعب الصبيان! ... ولا للعب الفتيات الصغيرات كذلك؛ نعم لألعاب الملائكة الصغار فقط.

* ١٠ – ... أنظر إلى العنب وأقول: هذا جميل، ويبدو عليه أنَّه طيّب. ثم آكل حبَّة منه؛ هذه الحبَّة لا أعطيها للطفل يسوع، بل يقدِّمها لي، هو.

* ١١ – في أثناء مرضي؛ أنا مثل طفلة حقيقية لا أفكر في شيء؛ وأنا مسرورة بالذهاب إلى السماء؛ هذا هو كلّ ما في الامر!

* ١٢ – ... عندما قُدِّم لي العنب للمرّة الأولى في غرفة التمريض، قلت للطفل يسوع: ما الذّ العنب! ولا أفهم أن تنتظر وقتاً طويلاً بهذا القدر حتى تأخذني إذ إنني عنقودُ عنب صغير، ويقال إنني عنقودٌ ناضج!

١٣ – وقالت عن الارشاد الروحي:

* ... أعتقد أنه يجب الإنتباه جيداً إلى عدم التفتيش عن الذات لأنَّ قلبنا قد يُجرَح

فيما بعد، ويمكننا القول بحقّ: **الحرّاسُ رفعوا إزاري عنّي وجرحوني ... فلمّا تجاوزتُهُم قليلاً وجدتُ مَنْ تحبّهُ نفسي** » (**نشيد الأناشيد** ٥/٧ و٣/ ٤).

* أعتقد أنّه، لو طلبت النفس إلى الحراس بتواضع أين يكون حبيبها، لبلّغوها مكانه؛ لكنها لما أرادت أن تثير الإعجاب وقعت في البلبلة وأضاعت بساطة القلب. +

* ٤ - ... أنتِ، أنتِ نوري.

* إسمعي قصة قصيرة مُضحكة جدّاً: ذات يوم، بعد أن اتشحت بالثوب الرهباني، رأتني الأخت سان ڤاسان دي پول، عند أمّنا، فصرخت: «آه! يا للوجه الممتلئ! إنها لقويّة تلك الفتاة الطويلة القامة! كم هي بدينة!». ما إن ذهبتُ مذلولةً بذاك الإطراء حتى أوقفتني الأخت مادلين أمام المطبخ وقالت لي: ماذا جرى لكِ إذاً يا صغيرتي المسكينة تريز الطفل يسوع! أنتِ تهزلين بسرعة كبيرة! إذا سرت على هذه الوتيرة، وبهذه السحنة المثيرة للخوف، فلن تتّبعي النظام لفترةٍ طويلة!». دهشتُ لسماعي توالي الآراء المتناقضة جدّاً في هذا الوقت القصير. ومنذ تلك اللحظة لم أعد أعلّق أية أهمية على رأي المخلوقات، ونما هذا الانطباع فيَّ لدرجة أنَّ التجريحات والإطراءات التي أسمعها حالياً، تنزلق عليَّ بدون أن تترك أخفَّ اثرّ. +

٢٦ تموز

* ١ - حلمت هذه الليلة أنني كنتُ في السوق مع بابا وهناك أغرتني مدابس صغيرة بيضاء؛ لكنّي في النهاية قلتُ في نفسي: كان يصنع مثلها في الكرمل؛ وطلبتُ موسيقى خفيفة.

٢ - قالت لي إنّها حوالي ٨ كانون الاول ١٨٩٢، اعتنت بالأخت مرتا؛ وفي سنة ١٨٩٣، ساعدت الأخت ماري دي غونزاغ في قسم الإبتداء؛ وفي انتخابات ١٨٩٦ الاخيرة وجدت نفسها، نوعاً ما، مكلفة كلياً بالمبتدئات.

* ٣ - ... الفضيلة تتألق طبيعياً، وهي ما إن تختفي حتى أرى ذلك.

٢٧ تموز

لم تكن تريد أن أنسى قطرات دواءٍ كان قد وُصف لي.

* ... آه! لا بدَّ من أن تتقوَّيْ؛ ٣٠ نقطة هذا المساء، لا تنسي ذلك!

٢ – هل نتعبك؟

* لا، لأنَّك من عالمٍ لطيف جدّاً.

٣ – روت لنا، ضاحكةً أنَّها حُملت في الحلم إلى «قاعة التدفئة» بين منشغلين بمناسبة عيد أبينا الكاهن.

٤ – كانت الجماعة تقوم بالغسيل.

* ... حوالي الساعة الواحدة قلت في نفسي: إنهن تعبات فعلاً من جرّاء الغسيل! وصلّيتُ إلى الله حتى يخفِّف عنكنَّ جميعاً، فيتمّ العمل في السلام وفي المحبّة. وعندما رأيت نفسي مريضةً الى هذا الحد، شعرتُ بالفرح لأنني اتألم مثلكنّ.

٥ – في المساء، ذكَّرتني بكلمة القديس يوحنا الصليب:

* شقّ الحجاب عن طبيب هذا اللقاء[٤٠]. لقد طبَّقتُ دائماً هذا الكلام على الموت بالحبّ الذي أتوق إليه. فالحبّ لن يستهلك غشاء حياتي، بل سيشقُّه فجأة.

* بأية رغبة وبأي عزاء ردَّدت في نفسي منذ بداية حياتي الرهبانية كلمات أخرى لأبينا القديس يوحنا الصليب: «إنَّها لأهمية قصوى أن تزاول النفس الحبَّ كثيراً لكي لا تتوقَّفَ على الأرض مطلقاً، وهي تستهلك ذاتها سريعاً، بل تتوصّل بخفَّةٍ الى رؤية إلهها وجهاً لوجه[٤١]».

ردَّدت هذه الكلمات الاخيرة رافعة أصبعها وعليها مسحة سماوية.

٦ – وفي شأن الصعوبات التي كنتُ أتوقَّعها من اجل طبع قصّة حياتها:

* ... حسناً، أقول مثل جان دارك: «... ستتمّ مشيئةُ الله رغم غيرة البشر».

٧ – قريباً، لن أعود أرى وجهك الصغير المحبوب! لن أعود أرى غير نفسك الصغيرة.

* – إنَّها أجمل بكثير!

---

(٤٠) **شعلة الحبّ الحيّة** مقطع ١، ٦.

(٤١) **شعلة الحبّ الحيّة** شرح البيت السادس من المقطع الاول.

٨ – عندما نفكّر في أننا سنفقدك !

* – ولكن لن تفقدنني... لستنّ ذكياتٍ على الإطلاق!...

٩ – وقالت للأخت جنفياف التي كانت تبكي :

* – لقد رأت بوضوح ما الذي يهدِّدها (الموت)، فاستولى الخوفُ عليها الآن !

١٠ – بعد أن قدّمت عنقود عنب للطفل يسوع :

* لقد قدَّمتُ له هذا العنقود لأثير عنده الرغبة في أخذي، لاعتقادي أنني من الصنف المذكور ...

– لم تكن القشرة قاسية، والعنقود بلون الذهب ؛ فذاقت وقالت :

* نعم، أنا من هذا الصنف بالذات ...

* ١١ – إنَّ أميمتي هي هاتفي ، ليس عليَّ إلَّا أنَّ أنصت عندما تأتي، وأعرف كل شيء !

* ١٢ – ... لست أنانية، فالله هو من أُحبّ وليس أنا .

* ١٣ – ... بطبعي ، أفضِّل أن أموت ، لكنني لا افرح بالموت إلَّا لأنَّه مشيئة الله عليَّ .

* ١٤ – لم أطلب قط إلى الله أن أموت شابةً ؛ إذاً ، أنا متأكدة الآن أنَّه لا يتمُّ في هذا الوقت إلَّا مشيئته .

١٥ – كانت تختنق فعبرّت لها عن حناني وحزني :

* لا تحزني ، هيا ! إن أختنقت ، فالله سيمنحني القوّة . أنا أحبّه ! فلن يتخلَّ عنّي أبداً .

١٦ – روت لي كيف حملت الصليب الحديد الصغير لفترة طويلة ، و كيف مرضت من جراء ذلك . وقالت لي إنَّ مشيئة الله عليها وعلينا لم تكن بأن نتهافت على الإماتات الكبيرة ، وما حدث لها قدم البرهان على ذلك .

١٧ – وقالت في شأن التدليك الذي كان الطبيب قد وصفه لها :

* آه ! أن « أُعذَّب » كما عُذِّبت ، فهذا أسوأ بكثير من أيٍّ شيء آخر !

* ١٨ – ... بدءاً من ٩ حزيران ، تأكّدتُ مِن أنني سأموت قريباً .

٢٩ تموز

* ١ – ... أودّ الرحيل !

– الى أين ؟

* « إلى العلى، إلى السماء الزرقاء[٤٢] ! »

٢ – كانت إحدى الأخوات قد نقلت إليها ما قيل في أثناء الفرصة: « لماذا نتحدّث، إذاً، عن أختي تيريز الطفل يسوع كما نتحدَّث عن قديسة ؟! لقد مارست الفضيلة، هذا صحيح؛ لكنَّها ليست فضيلةً اكتسبتها بالمذلّات، وخاصة بالآلام. » فقالت لي بعدها:

* ... وأنا التي عانت كثيراً منذ نعومة أظفارها! آه! كم يسرّني أن أطَّلع على رأي المخلوقات. في لحظة الموت!

٣ – اعتقدنا أننا نسرّها إذ نحملُ لها شيئاً ما، فحصل العكس. فأظهرت انزعاجاً عندما عرفت بأننا حرمنا أحداً الشيءَ المذكور؛ لكنّها ندمت بعد قليل، وطلبت المغفرة باكية.

* – آه! أطلب منكنّ المغفرة، لقد تصرّفتُ على سجيتي؛ صلّين لأجلي!

بعد ذلك بقليل:

* آه! يا لسعادتي بأن أرى نفسي غير كاملة، وأن احتاج كثيراً الى رحمة الله في لحظة الموت.

٤ – كانت قد بصقت الدم في الصباح وفي الساعة الثالثة بعد الظهر.

٥ – عبرّنا لها عن خشيتنا من أن تموت ليلاً.

* لن أموت في الليل، صدِّقي ذلك؛ تملكّتني ماري الرغبة في ألّا أموت خلال الليل.

* ٦ – ... بعد يومين من دخول الأخت ماري للثالوث الى الدير، عولجت حنجرتي... لقد سمح الله بأن ترهقني المبتدئات. وقالت لي الأخت ماري للإفخارستيا إنَّ هذا قد حصل لي كما يحصل للوعاظ.

---

(٤٢) بيت من انشودة كانت تغنّيها في طفولتها. (**مخطوط** أ ص. ١١).

* ٧ – ... لكي تكوني مؤرِّختي ، يجب أن تداري نفسك .

* ٨ – حسناً ! ان « االطفل » ، سيموت إذاً ! انا ، فعلاً ، أتألم كثيراً منذ ٣ أيّام ؛ وهذا المساء ، أشعر وكأنني في المطهر .

* ٩ – غالباً ما أردِّد تقدمتي للحبّ عندما استطيع ذلك .

١٠ – بحت لها بقلق انتابني :

* ... أنتِ من زرع في نفسي الصغيرة بذرة الثقة ، أولا تذكرين ذلك ؟

١١ – أسندتها في أثناء ترتيب وساداتها .

* أسندُ راسي على قلب أميمتي

١٢ – لم تطلب ما يُسكِّن ألمها ، واعتقدنا أن تصرّفها نابعٌ من فضيلتها ، لكنها لم تكن تفكِّر في أن تقوم بإماتات في هذا المجال . ولماّ كنا نُعجب بفعلها :

* أنا تعبة من الأرض ! يوجَّه الاطراء عن غير استحقاق ويوجَّه اللوم عن غير استحقاق كذلك . كلّ هذا !... كلّ هذا !...

* ١٣ – ما يصنَع تواضعَنا في لحظةٍ ما ، يصنع بالتالي مجدَنا عينه منذ هذه الحياة .

* ١٤ – لا أملك مطلقاً قدرة على التمتع، وكنت دائماً هكذا؛ لكن لديَّ قدرة كبيرة جدّاً على التألم. في ما مضى ، عندما كانت تصيبني غموم كثيرة ، كنت أشعر بالشهية على المائدة . لكن عندما كنتُ أشعر بالفرح ، فبالعكس ؛ كان يستحيل عليّ أن آكل .

٣٠ تموز

* ... أزعجني جسدي دائماً ، لم أكن أجد نفسي مرتاحة في داخله ... حتى منذ صغري ، كنت أخجلُ من ذلكِ .

لأني قدمت لها خدمة صغيرة .

* شكراً ، ماما .

* ما كنت لالتقط دبّوساً لأتفادى المطهر . فكل ما فعلته كان إرضاء لله ، فأخلّص له نفوساً .

٤ – كانت تنظر إلى صور الأب بلّيير والأب رولان :

* إنني أكثر لطفاً منهما!

٥ – وعدوها بأن يشتروا لها صينيين صغاراً:

* لا أريد صنيِّين، بل أريد زنوجاً!

* ٦ – أشعر بمرارة، عندما لا تنظرين إليَّ.

٧ – كان الذباب يضايقها كثيراً غير أنَّها لم تكن تريد قتله.

* إني أعفو عنه دائماً. ومع ذلك فهو وحده ما عذَّبني في أثناء مرضي. ليس لي أعداء سواه، وبما أنَّ الله أوصى بالغفران للأعداء (**متى** ٥:٤٤)، فأنا سعيدة بأن أجد هذه المناسبة الصغيرة لأفعل ذلك.

٨ – ان التألم بهذا القدر لقاسٍ فعلاً، ولا بدَّ من أن يعيق لديك كلَّ تفكير؟

* كلا، فما زلت استطيع أن أقول لله إنني أحبّه، وأجد هذا كافياً.

٩ – كانت تعرض قدحاً يحتوي علاجاً مُنفِّراً جدّاً تحت شكل شراب عنب الدّيب[٤٣] اللذيذ.

* هذا القدح الصغير هو صورة حياتي. أمس، قالت لي الأخت تريز للقديس أوغسطينوس: «آمل أن تشربي من هذا الشراب الطيِّب!». فأجبتها: «يا أختي تريز للقديس أوغسطينوس، هذا أسوأ ما أشربه!»

* حسناً يا أميمتي، هوذا ما ظهر في عيون المخلوقات. لقد بدا لها دائماً أنني أشرب أشربةً لذيذة. ولم تكن إلّا المرارة. أقول المرارة، لكن لا! لم تكن حياتي مُرَّة، لأنني صنعتُ فرحي وعذوبتي من كلِّ مرارة.

* ١٠ – إذا أردت تقديم تذكار منِّي للسيِّد كورنيير، فارسمي له صورةً مع هذه الكلمات: **ما صنعتموه لأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فلي قد صَنَعتموه.** (**متى** ٢٥/ ٤٠)

١١ – أُعطيت لها مروحةً جيء بها من كرمل سايغون؛ فكانت تستخدمها لطرد الذباب. كان الجوُّ حارّاً جدّاً، فالتفتت إلى الصوره المعلقة بدبابيس على ستارة السرير وراحت تهوِّيها، ثم هوّتنا، نحن، بعدها، بواسطة المروحة.

---

(٤٣) Groseilles.

* أُهوِّي للقديسين بدلاً منّي ، أهوّي لكنَّ حتى أريحكنّ ولأنكنّ قديسات أيضاً .

١٢ – كان السيِّد كونيير قد أمر بأن نعطيها ٥ أو ٦ ملاعق من ماء تيسيران[٤٤] . فطلبَتْ من الأخت جنڤياف ألا تعطيها إلّا ٥ ملاعق، ثم قالت وهي تستدير نحوي :

* دائماً الأقل ، أليس كذلك ، يا ماما ؟

* ١٣ – لا تقولي للسيِّد دوسيللية[٤٥]، إنني لن أعيش إلَّا لبضعة أيَّام ؛ فضعفي ليس للموت . وبعد ذلك، عندما نكون في الحياة فنحن فعلاً مرتبكون».

١٤ – (الساعة ٤) كانت تبتسم لي بعد ذهاب إحدى الأخوات . فقلت لها : إرتاحي الآن ، أغمضي عينيك .

* ... لا ، أحبُّ كثيراً أن أنظر إليكِ !

١٥ – كنت اريد الإمساك بذبابة تزعجها .

* ماذا ستفعلين بها ؟

سأقتلها.

* – آه ! لا ، أرجوك .

* ١٦ – أتتفضلين بإعدادي لمسحة المرضى ؟

ثم نظرت إليَّ مبتسمة :

* لا أفكر في شيء !

* صلِّي إلى الله حتى أنالها بأفضل ما يمكن نيلُها .

١٧ – روت لي أن أبانا قال لها قبل الرتبة :

* ... « ستكونين مثل طفلةٍ تلَّقت العماد للتو » . ثم لم يحدِّثني الَّا عن الحبّ . آه ! كم كنتُ متأثرة !

١٨ – عرضت علينا يديها باحترام بعد مسحة المرضى . كنتُ أنزع عادة القشور عن شفتيها الجافتين ؛ لكنّها قالت لي في ذلك اليوم :

---

(٤٤) Tisserand.

(٤٥) Ducellier.

* أبلغ اليوم قشوري الصغيرة لأنني تلقّيت مسحةَ المرضى وتناولت القربان.

كان ذلك بعد الظهر. لم تكد تقضي وقتاً قليلاً في الشكر حتى أتت عدة اخوات ليكلِّمنها. فقالت لي عند المساء:

* كم أزعَجنني بمجيئهنّ بعد المناولة! لقد نظرن إليَّ بازدراء... لكن حتى لا أتضايق، فكّرتُ في ربنا الذي كان يمضي إلى مكان قفر يعتزل فيه بدون أن يستطيع منعَ الشعب من اللحاق به إلى ذلك المكان؛ ولم يكن يردّ الجمع (**مرقس** ٦/٣٢-٣٤). لقد اردت أن أقتدي به باستقبالي أخواتي استقبالاً حسناً.

٣١ تموز

١ - كنا ما زلنا نتوقّع ان تموت في يوم عيد، كيوم ٦ آب، عيد التجلي، أو عيد انتقال العذراء في ١٥ آب.

* لا تتكلمي على ايّ تاريخ، فسيكون دائماً عيداً!

٢ - بعد أن روت لنا مثل لافونتين: «الطحّان وأبناؤه الثلاثة[٤٦].»

* ... عندي جزمتان، وما زال ينقضي الكيس! وهذا يعني أنني قريبة من الموت.

٣ - كنّا قد أنزلنا فراشها لنَعرضها عليه بعد موتها. فلمحته عندما فتحنا الباب المؤدّي إلى الحجرة المحاذية لغرفة التمريض، فصرخت بفرح:

* آه! هو ذا فراشنا! سيكون معدّاً لاستقبال جثّتي.

* ... كنت دائماً ذات بصيرة بعيدة النظر!

* ٤ - كيف ستفعل هذه الطفلة لتموت؟ وماذا سيكون سبب موتي؟

* ٥ - ... نعم سأسرق... ستختفي أشياء كثيرة من السماء وسأحملها إليك... سأكون سارقةً صغيرة، سآخذ كلَّ ما يعجبني...

٦ - نظرت الى تمثال العذراء القديسة ودلّتها بأصبعها على صحنها الصغير:

* في هذه الليلة عندما بصقت دماً كثيراً، اعتقدت أنّك ستصطحبينني!

---

(٤٦) والصحيح هي قصة الهرّ المحتذي الجزمة.

٧ - كنّا قد نمنا في أثناء حراستها:

* ... بطرس، يعقوب ويوحنا! (**مرقس** ١٤/٣٣-٣٧)

* ٨ - ... أقول لكُنَّ إنني سأعاني لفترة طويلة اذا لم تمدّ العذراء لي يدها!

٩ - وقالت بلطف:

* ... لنكفَّ عن الاحاديث الجانبيّة، حَسبُنا استراق النظر لبعضنا!

* ١٠ - سيأتي السارق

وسيحملني

هللويّا!

١١ - كنّا نتناقش عن الأيّام القليلة الباقية لها من الحياة.

* إن المريضة هي من يعرف! واشعر بأن لا تزال أمامي فترة طويلة.

١٢ - فكرت في أنَّه يجب عليَّ أن أكون ظريفةً جدّاً وأن أنتظر السارق بكل لطف.

* ١٣ - لقد وجدت السعادة والفرح في الارض، لكن في الالم فقط، لأنني تألمت كثيراً في هذه الدنيا؛ يجب أن نعلن ذلك للنفوس.

* منذ مناولتي الأولى، ومنذ أن طلبتُ إلى يسوع أن يحوّل لي جميع تعزيات الأرض إلى مرارة، تملكتّني رغبة دائمة في التألم. ولم أكن أفكر مع ذلك في أن أجعل منه فرحي؛ تلك نعمة لم تُمنح لي إلَّا فيما بعد. وحتى ذلك الحين كان الأمر مثل شرارة كامنة تحت الرماد، وكأزهار شجرة يجب أن تصبح ثماراً في أوانها. لكن عندما رأيت أزهاري تتساقط دائماً، أي تركت الدموع تسيل عندما كنتُ أتألم، قلتُ لنفسي بدهشة وحزن: اذاً، لن يكون الأمر أبداً إلّا مجرّد رغباتٍ!

* ١٤ - هذا المساء، عندما قلتِ لي إنَّ السيِّد كورنيير يعتقد أنّني سأعيش بعد فترة شهر أو أكثر، لم أصدِّق، كان الفرق كبيراً بين هذا المساء وأمس. فقد قال. في حينها إنه يجب منحي الأسرار في اليوم نفسه! لكني بقيت في هدوء عميق. فماذا يهمّني إن مكثت بعدُ فترةً طويلة في الأرض! إذا تألمت كثيراً وازداد ألمي دائماً، فلا أشعر بخوفٍ على الإطلاق، لأن الله سيهب لي القوة، ولن يتخلّى عني.

١٥ – إذا عشتِ بعد لفترة طويلة، فلن يفهم أحد شيئاً من ذلك.

* وما الهمَّ! قد يحتقرني العالم كلُّه ، فهذا ما تُقت إليه دائماً، وسأناله في نهاية حياتي!

* ... الآن وقد فعل الله ما شاء وغشَّ العالم كلّه... فسيأتي كالسارق (**متى** ٢٤/ ٤٣– ٤٤) في ساعة لم نعد نتوقّعها؛ تلك فكرتي الصغيرة.

١ آب

١ – بصدد النعمة الكبيرة التي كانت قد نالتها في ما مضى عندما انغلق كتاب القداس على صورة ربنا وهو على الصليب، وترك يداً واحدة منها خارجةٌ. كرّرت علي ما قالته لنفسها عندئذ:

* آه! لا أريد أن أدعَ هذا الدم الثمين يضيع. سأمضي حياتي في جمعه لأجل النفوس.

* ٢ – في أثناء صلاة الليل، قالت في شأن مخطوط حياتها:

* بعد موتي، يجب ألّا تكلّمي أحداً على مخطوطي قبل أن يُنشر؛ يجب ألَّا تتكلّمي عليه. إذا فعلت بخلاف ذلك، فسينصب الشيطان لكِ أكثر من فخٍّ لتشويه عمل الله... إنّه هامٌّ جدّاً!

* ٣ – ... لن أكتب بعد الآن!

* ٤ – آه! كم أنا مريضة!... لأنّك تعرفين ... معك!

لأنَّها لم تعد تقدر أن تكلّمني.

* ٥ – ... أنا متروكة تماماً، سأنتظرُ بقدر ما يشاء.

* ٦ – ... كم أحسن الله بالقول: **في بيت أبي منازلُ كثيرة**. (**يوحنا** ١٤/ ٢)

وقالت عن كاهن كثير التقشف وكان يحرم نفسه حتى من تخفيف حِكاكٍ لا يُحتمل.

* ... أنا أفضّل مزاولة إماتة الجسد بشكل آخر وليس في أشياء مزعجة بهذا القدر. لم أكن لأقدر أنِ أتمالك نفسي الى هذا الحدّ.

٧ – حدثت مشكلة بشأن الثلج وكنتُ قد بكيت. سالتها إنّ كنتُ على خطأ، فأجابتني كي تعزّيني:

* أنت دائماً ظريفة!

أتفكرين في إخوتك المرسلين؟

* كنتُ أفكر فيهم غالباً؛ لكن منذ مرضي، لا أفكر في شيء تقريباً.

* كان أحد هؤلاء المرسلين قد وعدها بقداس لأجلها يوم ميلاد ١٨٩٦. روت لي خيبة أملها عندما علمت أنّه لم يستطع إقامته في ذلك اليوم.

* ... أنا التي كنتُ متحدة به بسعادة بالغة، في الساعة ذاتها! آه! لا شيء مؤكد على الارض!

٢ آب

١ – لديّ رغبة فعلية في العمل على أن يُحفَظَ قلبُك كما حُفِظَ قلب الام جنفياف:

* – افعلي كما تشائين.

٢ – كنا قد تناولنا في حديث حميم استخفافنا، غالباً، بالفضيلة المحجوبة:

* – ... وهذا ما استرعى انتباهي في حياة أبينا القديس يوحنا الصليب، وقد قيل عنه: «الاخ يوحنا الصليب: إنه راهب أقلّ من عادي».

* ٣ – ليس لي أشواقٌ حارّة الى السماء؛ لكنّي سأُسَرُّ جدّاً بالذهاب اليها، لا أكثر.

* ٤ – لا يمكن أن يقال عنّي: «إنّها تموت من كونها لا تموت»[٤٧] لقد قلتُ لك ذلك قبلاً: نعم، لطبيعتي أريد لسماء! لكنّ النعمة في نفسي طغت كثيراً على الطبيعة، حتى إني لا استطيع الآن إلا أن أردِّدَ على مسامع الله:

«ما زلت اريد ان اعيش طويلاً،
«يا ربُّ، إن كانت هذه رغبتك.
«الى السماء، اريد ان أتبعك،

(٤٧) لازمة في قصيدة للقديسة تريزا الافيلية.

« إن كان هذا يسرُّك .
« الحبُّ نار الوطن تلك ،
« لا يتوقف عن إذابتي .
« ما يعني لي الموت او الحياة ؟
« يا يسوع ، فرحي هو أن أحبُّك »[٤٨].

كنت قد غيَّرتُ رأيي لأنني أنفر من هذا الامر كثيراً؛ وأطلعتها على هذا التغيير. فبدت بالاحرى حزينةً لذلك . وحَزرتُ ما يجول في خاطرها : قد نُحرم من عزاء لن تمنحنا إياه بأعجوبة ، مع يقينها بأن جثمانَها لن يُحفَظ . وأخيراً قالت لي :

* – يا أميمتي ، إنك تماطلين أكثر مما ينبغي ، وقد لاحظتُ ذلك مرّاتٍ كثيرة في حياتي .

٥ – إلى الأخت جنفياف :

* كل شيء زائل في هذا العالم الفاني ، حتى « الطفل[٤٩] »؛ لكنه سيعود ...
كانت الأخت جنفياف تُقبِّل قدمي المصلوب .

* أنت لا تتَّبعين تعليم « الطفل »! قبِّليه بسرعة على وجنتيه واجعليه يقبِّلك .

* ٦ – أشعر بفرح شديد ، ليس فقط عندما يجدونني ناقصة ، لكن خاصة عندما أشعر به ، أنا . وهذا يتجاوز كلَّ الإطراءات التي تُضجرني .

٣ آب

١ – ماذا فعلتِ حتى تتوصّلي إلى هذا السلام الذي يلازمك من دون ايِّ تبدّل ؟

* لقد نسيتُ نفسي وحاولت ألَّا أفتش عن ذاتي في شيء .

٢ – كنت أقول لها إنَّها قد اضطرت الى أن تصارع كثيراً حتى تتوصَّل إلى أن تكون كاملة :

* آه ! ليس الأمر كذلك!...

(٤٨) قصيدة **فرحي** ٧.
(٤٩) "Bébé"، لقب سمِّيت به تريز وهي على فراش الموت .

٣ – كانت قد عانت من إحدى الأخوات وقالت لي بوقار وحنان :

* أقول لك ذلك بصراحة : إني بحاجة الى أن أراكِ بالقرب منّي في الأيّام الأخيرة من حياتي .

* ٤ – يا أخيّاتي ، صلّين لأجل المريضات المسكينات المشرفات على الموت. لو تعرفن ماذا يحدث ! ما اقلّ ما يكفينا لنفقدَ الصبر ! يجب أن نعامِلَ برحمة أيّاً منهنَّ... لم أكن لأصدِّق ذلك في ما مضى .

٥ – كنت احدِّثها عن الإماتة بأدوات التكفير :

* ... يلزم كثير من الإعتدال في هذه النقطة ، لأنها تمازجها غالباً نوايا بشرية أكثر من أي شيء آخر.

٦ – إلى ثلاثتنا :

* لا بدَّ من الإنتباه جيداً إلى الإنتظام. بعد المُتحدَّث ، لا تتوقَّفن للتحادث ، وإلا بَدَوننا عندئذ كأننا في بيتنا ، لا نحرم أنفسنا من أيِّ شيء .

ثم التفتت نحوي :

* هذا يا أمي ، هذا هو الأنفع من كلِّ شيء .

* ٧ – آه !ما أشد الرضوض في كتفي الصغير ، لو كنتِ تعلمين !

– سنضع عليه قطنا:

* لا ، يجب ألّا يُنزع عنّي صليبي الصغير.

* ٨ – أنا أتألّم منذ مدة طويلة ، لكن آلاماً خفيفة . اما منذ ٢٨ تموز/يوليو ، فأنا أتألّم آلاماً شديدة .

٩ – لم نعد نفهم شيئاً من مسيرة مرضها وقالت لها إحدانا : من أيِّ شيء ستموتين إذاً ؟

* لكن ، سأموت من الموت ! ألم يقل الربُّ لآدم ممَّ سيموت ، عبرَ هذا الكلام : « **موتاً تموت** » (**تكوين** ٢/١٧) . هذا هو الأمر بكلِّ بساطة .

٤ آب

* ١ – عرضت لي كوابيسُ كثيرة هذه الليلة ، وكوابيس مخيفة فعلاً . لكن في أسوأ لحظة ، أتيتِ إليَّ وما عدتُ أخاف .

* ٢ – ... لا ، لا أعتبر نفسي قديسةً كبيرة ! اعتبر نفسي قديسة صغيرة كل الصغر ؛ لكنّي أتصوَّر أن الله رضي أن يضعَ فيَّ أشياء تفعل خيراً فيّ وفي الآخرين .

٣ – كانت قد حُملت لها باقة سنابل ، ففصلت عنها أجملها وقالت لي :

* يا أمّي ، هذه السنبلة هي صورة نفسي : لقد حمَّلني الله نعماً لأجلي ولأجل كثيرين سواي ...

وخوفاً من ان تكون قد تملَّكتها فكرة زهوٍ ، قالت :

* آه ! كم أريد أن أكون مذلولةً ومهانة حتى أرى إن كنتُ أملك فعلاً تواضع القلب !... ومع ذلك ، فعندما كنت أُذلّ في الماضي ، كنتُ سعيدةً فعلاً ... نعم ، يبدو لي أنني متواضعة ... الله يظهر لي الحقيقة ، واشعر إلى أبعد حدٍّ بأنَّ كلَّ شيءٍ يأتي منه.

* ٤ – ما أسهلَ أن تَثبُطَ عزيمتنا عندما يشتد علينا الداء ! آه ! كم كنت سأشعر بثبط عزيمتي لو لم أكن مؤمنة ! أو بالأحرى لو لم أكن أحبُّ الله .

* ٥ – إنَّنا في السماء فقط سنرى حقيقةَ كلِّ شيء . اما على الارض ، فهذا مستحيل . وكذلك ، بالنسبة الى الكتاب المقدس ، أليس محزناً أن نرى جميع الاختلافات في الترجمات؟ لو كنتُ كاهناً ، لتعلَّمت العبرية واليونانية ، ولما كنتُ اكتفيت باللاتينية ؛ وبهذا الشكل كنتُ عرفت النصَّ الاصلي الذي أملاه الروح القدس .

* ٦ – نمت لحظةً في أثناء التأمّل . حلمت بأنَّنا كان ينقصنا جنود لأجل احدى الحروب .

* قلتِ : يجب أن نرسل الأخت تريز الطفل يسوع . فأجبتُ أنني كنتُ أفضِّل أن يحدث ذلك لأجل حرب مقدسة . ورحلت على كلِّ حال. آه ! لا ، لم أكن لأشعر بخوف من الذهاب إلى الحرب . فبأية سعادة ، كنت سأذهب مثلاً في زمن الصليبيين ، لأحارب الهراطقة ! هيَّا ! لم أكن لأخشى أن أُصابَ برصاصة !

* ٧ – وأنا التي كنتُ أرغب في الاستشهاد ، هل من الممكن أن أموت في سرير ؟

٨ – كيف تتدبَّرين حياتك البسيطة الآن ؟

* حياتي البسيطة، هي أن أتألم ، وبعدها يتمُّ الأمر ! لن استطيع القول: يا إلهي ، هذا لأجل الكنيسة ؛ يا إلهي ؛ هذا لأجل فرنسا ... إلخ ... إنَّ الله يعرف ما يجب عليه أن يفعله ؛ لقد أعطيته كل شيء لأرضيه . فضلاً عن ذلك ، هذا لا يُتعبني زيادةً أن أقول له : أعطِ هذا لبطرس ، أعطِ ذاك لبولس . لن افعل ذلك بسرعة فعلاً إلَّا حين تطلبه إحدى الأخوات إليَّ ، وبعدها لا أعود أفكِّر في الأمر . عندما أصلّي لأجل إخوتي المرسلين ، لا أقدّم آلامي ؛ أقول بكلٍّ بساطة : يا إلهي ، امنحهم كلَّ ما أرغب فيه لنفسي .

٥ آب

١ – كان الجو حاراً جداً، ورقّ الواهف[٥٠] لحالنا بلبسنا ثياباً غليظة.

* آه ! في السماء ، سيعوِّض الله علينا كوننا ارتدينا حبّاً به ثياباً غليظةً على الارض .

٢ – لاحظت أنها ربما لن تقدرَ على الحراك بعد اليوم :

* كان داود يقول في المزامير : **أنا مثل الجراد أنتفض باستمرار (مزمور ١٠٨/ ٣٢)** حسناً . أما أنا فلا استطيع أن أقول ذلك ! أريد فعلاً أن أتنزّه لكنّ قدمي عالقة بخيط .

* ٣ – ... عندما سيغلق عليَّ القديسون باب السماء، سيرنِّمون :

« وأخيراً ، ها نحن نمسك بكِ ،
« أيتها الفأرة الصغيرة الرمادية ،
« أخيراً ها نحن نمسكُ بكِ ،
« وسوف نحتفظ بك ! »

وهي أغنية صغيرة كانت تخطر في ذاكرتها.

٤ – قالت لها الأخت ماري للقلب الأقدس إنَّ الملائكة سيأتون عند موتها، ليرافقوا ربَّنا ، وإنَّها ستراهم يشعّون نوراً وجمالاً:

* ... جميع هذه الصور لا تفيدني في شيء ، فأنا لا أستطيع أن أتغذّى إلَّا من

---

(٥٠) خادمُ الكنيسة (Sacristain).

الحقيقة . لهذا السبب لم أرغب في الرؤى قط . فلا يمكننا أن نرى على الأرض السماء والملائكة كما هم . فأُفضِّل انتظار ما بعد موتي .

* ٥ – خلال صلاة الغروب، فكّرت ، يا أميمتي ، في أنكِ شمسي .

* ٦ – نمتُ ، وحلمتُ بأنّك تنحنين عليَّ حتى تقبّليني ؛ أردت أن أبادلك الأمر ، لكنني استيقظت فوراً ، مدهوشةً من أنّ قبلتي قد سقطت في الفراغ !

٧ – لم يكن سريرها قد وُضع في وسط غرفة التمريض ، بل في آخرها ، في الزاوية . ومن أجل الاحتفال في الغد ، يوم ٦ آب / أغسطس ، بعيد تجلِّي ربنا ، أخذنا من الخورس صورة الوجه الأقدس التي كانت تحبها كثيراً وعلّقنا الإطار المحاط بالأزهار والأنوار على يمينها ، على الحائط . فقالت لي وهي تنظر إلى الصورة :

* حسناً فعل ربُّنا بإغماضه عينيه ليعطينا رسمَه ! لأن العينين هما مرآة النفس ، فلو حزرنا نفسه ، لكنَّا متنا من الفرح .

* آه ! كم أفادتني صورة الوجه الاقدس هذه في حياتي ! عندما كنتُ أنظمُ نشيدي : **العيش بالحبّ** ، ساعدتَني على القيام بذلك بسهولة كبيرة . كتبت عن ظهر قلب ، في أثناء الصمت المسائي ، المقاطع الخمسة عشر التي كنت قد نظمتها نهاراً ، من دون مسوَّدة . في ذاك اليوم ، عند ذهابي إلى قاعة الطعام بعد فحص الضمير ، كنت قد نظمت للتوّ المقطع :

« العيش بالحبّ هو مَسحُ وجهك
« وهو نيل الغفران للخاطئين(٥١).

* ردَّدت عليها المقطع بشكل عابر ، وبكثير من الحبّ . وعندما نظرتُ إليها بكيت حبّاً .

* ٨ – أكرِّر مع أيوب : **إذا إضجعتُ قلتُ متى أقوم ، وبعد إنقضاء الليل أشبعُ بلبالاً إلى الغَسَقِ (أيوب ٧/٤)** .

* ٩ – ... كلامُ أشعيا هذا : « **مَنْ آمن بكلامك.... فإنَّ لا بهاء له ولا جمال ... الخ** » . (**أشعيا** ٥٣/ ١– ٢) شكَّل كل أساس عبادتي للوجه الأقدس ؛ أو بتعبير أفضل ، أساسَ

(٥١) القصيدة مقطع ١١.

تقواي كلّها. أنا أيضاً ارغب في أن أكون بدون جمال، وأدوسَ المعصرة وحدي، وتنكرني كلُّ خليقة (**أشعيا** ٦٣/٣).

١٠ - كنتُ ابوح لها بشيء، فقالت لي:

* على من تكون الأمَّ الرئيسة أن توحي دائماً بأنَّها لا تعاني أيَّ غمّ. سيعود عليها بخير كثير ويمنحها قوَّةً ألَّا تفصح ابداً عن ضيقاتها. فيجب مثلاً، أن تتفادى هذا التعبير: تعانين من هموم وصعوبات، أنا أعاني من مثلها ومن كثير سواها، إلخ.

٦ آب

١ - كانت تأمل أن تموت ليلاً وقالت لي منذ الصباح:

* ترقَّبتُ الليل كلَّه، كالطفلة في أنشودة الحذاء الصغير في عيد الميلاد...

* لم أتوقف عن النظر إلى الوجه الأقدس... وطردت تجارب كثيرة... آه! وقمت بأفعال إيمان كثيرة...

* ويمكنني أن أقول أيضاً: **نظرتُ إلى اليمين ورأيتُ، فلم يَكُنْ مَنْ يعرفُني**... (**مزمور** ١٤١/٥) أعني لا أحد يعرفني لحظة موتي... واليمين أتخيَّله الجهة التي تكونين فيها بالقرب منّي.

نظرتْ بعدها إلى تمثال القديسة العذراء ورنَّمت بهدوء:

« متى سيأتي، يا أمي الحنون،
« متى سيأتي هذا اليوم الجميل،
« حينما، من منفى الارض،
« سأحلِّق إلى المقام الأبدي؟ »

٢ - كان ألم جنبها الشديد قد توقَّف خلال الليل. ووجدها الطبيب كورنيير عند المعاينة مريضة كما كانت من قبل؛ لكنها كانت تشكّ في موتها القريب.

* أنا مثل روبنسون صغير مسكين في جزيرته. طالما أنني لم أكن قد وُعدت بشيء، كنتُ أعتبر نفسي منفية، وهذه هي الحقيقة؛ لكنني لم أكن أفكّر في ترك جزيرتي. وها قد بُشِّرتُ، بكلّ تأكيد، أن هناك مركباً سيقودني قريباً الى وطني الأبدي. عندئذ أمكث

على الشاطئ أنظر الى البعيد ، وأنظر دائماً ...وبما اني لم أرَ شيئاً يبدو في الأفق ، قلت لنفسي : لقد خدعوني ! لن ارحل !

٣ - أرتني في كتاب صلوات القلب الأقدس الصغير ، كلام ربّنا إلى الطوباوية مارغريت ماري ، وكانت قد وقعت عليه بالقرعة ، يوم عيد الصعود :

* « الصليب هو سرير عروساتي ، فهناك سأجعلك ترتوين من أطايب حبّي » .

وروت لي أن إحدى الأخوات سحبت بالقرعة في احد الأيام ، في الكتاب نفسه ، فوقعت على مقطع صارم ، فطلبت من تريز ان تسحب بدورها ، فوقعت على هذه العبارة :

* « ثقي بي ».

* ... لا اقدر أن أستند الى شيء ، ولا إلى أيٍّ من أعمالي لأكون واثقة . كنت اودّ فعلاً لو أستطيع القول لنفسي : لقد أعفيت من جميع صلوات الموتى. لكن هذا الفقر كان بالنسبة إليّ نوراً حقيقياً ونعمة حقيقية . فكرت في أنني لم أكن قط لأستطيع أن أفيَ طوال حياتي ديناً واحداً من ديوني نحو الله ، وكان هذا عندي بمثابة غنى حقيقي وقوّة لو شئت ذلك . عندئذ صلّيت هذه الصلاة : يا إلهي ، أتوسّل إليك ، أن تفي ما عليَّ من دين استدنَه نحو نفوس المطهر ، لكن افعل ذلك كإله ، حتى تكون النتيجة أفضل للغاية ممّا لو كنتُ صليتُ فرض الموتى. وتذكّرتُ بعذوبة كبيرة هذا الكلام من **نشيد** القديس يوحنا الصليب : « فِ كلِّ ديوني[٥٢] ». لقد طبقت هذا دائماً على الحبِّ... أشعر بأنَّ هذه النعمة لا يمكن الافصاح عنها... إنّها شديدة العذوبة ! نشعر بسلام عميق بأننا حقاً فقراء ، وبألّا نتَّكِل إلّا على الله.

* ٥ - ... آه ! ما اقلَّ الراهبات الكاملات ، اللواتي لا يفعلن شيئاً كيفما كان ، وعلى التقريب ، يقلن في أنفسهن : لست مُلزَمةً بذلك ، على كلِّ حال... ليس مِنْ كبير سوء في أن أتكلّم هنا ، وأن أكتفي بذلك... ما أَندرَ اللواتي يفعلن كلَّ شيء بأفضل ما يمكن ! وأولئك هنَّ أكثرهنَّ سعادة . كذلك بالنسبة إلى الصمت ، كم يريح النفس ، وكم يحولُ

(٥٢) **شعلة الحب الحيّة** مقطع ٢ بيت ٦.

دون التقصير في المحبة ، ويمنعُ مشقّاتٍ كثيرةً من كلِّ نوع . أتكلّم على الصَمتِ بشكلٍ خاص ، لأنَّه في هذه الناحية تكون أكثر من مخالفاتنا .

* ٦ - كم كنتُ فخورةً حين كنتُ مسؤولةً عن صلوات الأسبوع، عندما كنتُ أتلو الصلوات نفسها بصوت عالٍ في وسط الخورس ! لأنني كنت أفكر في أن الكاهن كان يقول الصلوات في القداس ، وأنَّه كان يحق لي مثله أن أصلّي بصوت عالٍ أمام القربان المقدس ، وأن أمنح البركات والغفران ، وأن أقرأ الانجيل عندما كنتُ المرتِّلة الأولى .

* ... لكن يمكنني القول إن صلاة الفرض كانت سعادتي واستشهادي في آن معاً ، لأنني كنتُ أشعر برغبة كبيرة جداً في أن أرتِّله جيداً وأن لا أرتكب فيه أخطاء ؛ بينما رأيت نفسي بعض المرات ، بعد أن أكون قد اعددت ما يُتلى قبل قوله بدقيقة ، أترك هذه الدقيقة تمرّ من دون أن أفتح فمي ، بسبب شرودي الخارج تماماً عن إرادتي . ولا أعتقد مع ذلك أنَّ هناك رغبةً أكبرَ من رغبتي في ترتيل الفرض على الوجه الأكمل والمشاركة فيه في الخورس .

* ... أعذر كثيراً الأخوات اللواتي ينسين أو يخطئن .

٧ - كانت الأخت سان - ستانسلاس ممرّضتها الأولى ، قد غادرتها طوال فترة صلاة الغروب، تاركةً باب غرفة التمريض وشباكها مفتوحين . وكان مجرى الهواء قوياً جداً . وعندما رأتها أمُّنا في هذه الحالة أبدت امتعاضها وطلبت توضيحات. فقالت لي :

* لقد قصصت الحقيقة على أُمِّنا ؛ لكن في أثناء حديثي خطرت في بالي عبارة ألطف من تلك التي كنت سأستخدمها والتي لم تكن سيّئة مع ذلك ، بكل تأكيد ؛ فاتَّبعت إلهامي وكافأني الله على ما فعلت بسلام داخلي كبير .

٨ - كنت قد سألتها في المساء، خلال صلاة الليل ، عمّا كانت تعنيه « بالبقاء طفلة امام الله ». فأجابتني :

* هذا يعني الإعتراف بعدمنا ، وانتظار كل شيء من الله ، كطفل ينتظر كلَّ شيء من أبيه ؛ وهذا يعني ألّا نقلق من شيء وإلّا نربح ثروة على الإطلاق . حتى عند الفقراء ، يُقدَّم للطفل ما هو ضروري له ، لكن ما إن يكبر حتى يكفّ والده عن إطعامه ويقول له : إعمل الآن ، فبوسعك أن تكفي نفسك بنفسك.

* فحتىَ لا اسمع ما ذكرت ، لم أُرد أن أكبر ، وشعرت بأنني غيرُ قادرة على كسب

عيشي، وحياة السماء الابدية . فبقيت ، إذاً ، صغيرةً دائماً ، وليس عندي من مشاغل غير أن أقطف أزهاراً ، أزهار الحب والتضحية ، وتقديمها لله بغيةَ إرضائه .

* أن نكون صغاراً ، هذا يعني ، أيضاً ، ألَّا ننسب مطلقاً إلى أنفسنا الفضائل التي نمارسها ، ونظنَّ أننا قادرون على فعل شيء ما ؛ بل أن نعترف بأنَّ الله وضع هذا الكنز في يد طفله الصغير حتى يستخدمه عندما تدعو الحاجة إلى ذلك؛ لكن هذا الكنز هو دائماً كنز الله. وأخيراً ، هذا يعني ألَّا تفتر الهمّة بسبب أخطائنا ، لأن الأطفال يقعون غالباً ، لكنهم أصغرُ من أن يُؤذوا أنفسهم كثيراً .

٧ آب

١ - الأخت الفلانية ... التي رحلت[٥٣] ، كانت تريد أن تبوح لي بأسرارها ، مع أنني لم أعد رئيسة .

* ... لا تصغي إليها أبداً ، ولو كانت ملاكاً؛ وإلَّا تصبحين تعيسة جداً لأنَّك لا تقومين بواجبك بهذا الصدد ، ويكون هذا الأمر نوعاً من الضعف الذي يحزن الله بكل تأكيد .

* ٢ - ... آه ! ما اقلَّ ما يُحَبُّ الله على الارض !... حتى من قبل الكهنة والرهبان... لا ، ليس الله محبوباً كثيراً ...

٣ - أرتني صورة سيّدة الإنتصارات وقد ألصقت عليها الزهيرة التي كان أبي قد أعطاها إيَّاها في البويسونيه ، يوم باحت له بدعوتها ؛ وكان جذرها قد انفصل عنها وبدا يسوع كأنه يمسكها بيده ويبتسم لها ، وكذلك العذراء القديسة .

* ... أن كانت الزهيرة قد فقدت جذرها ، فهذا ينبئك أنني صرت في السماء... ولهذا السبب هما يلاطفانني بهذا اللطف الشديد ... (العذراء القديسة والطفل يسوع).

* ٤ - آه ! لو كنتُ غير أمينة ، ولو ارتكبتُ أقلَّ عدم أمانة ، لشعرتُ بأنني سأدفع ثمن ذلك إضطراباتٍ لا تُحتمَل ، ولن أستطيع قبول الموت من بعدُ . لذلك لا أتوقف عن القول لله : « آه ! يا إلهي ، أرجوك ، أعفني من التعاسة بأن أكون غير أمينة » .

---

(٥٣) الاخت ماري للقديس يوسف.

عن أي عدم أمانة تتحدَّثين ؟

* عن خاطرة كبرياء تشبّثتْ بها إرادتي. لو قلت لنفسي مثلاً : لقد اكتسبت الفضيلة الفلانية ، وأنا متأكدة من القدرة على ممارستها. لأنَّ الأمر يعني الإتكال على قوانا الذاتية ؛ وعندما نكون في الحالة المذكورة ، فنحن في خطر الوقوع في الهوّة . لكن سيحقُّ لي من دون إهانة الله أن أرتكب حماقاتٍ صغيرة حتى مماتي ، وإذا ما كنتُ متواضعة ، وإذا ما بقيت صغيرة جداً . أنظري إلى الأطفال : إنهم لا يتوقّفون عن التكسير والتمزيق والسقوط ، وكل ذلك وهم يحبون أهلهم كثيراً وكثيراً . إن سقوطي بهذه الطريقة يجعلني أرى عدمي بوضوح أكبر ، وأقول في نفسي : ماذا كنتُ سأفعل ، وماذا كان قد حلَّ بي لو كنتُ اتكلت على قواي الخاصة ؟!...

* أفهم جيِّداً أن يكون القديس بطرس قد سقط . وهذا القديس بطرس المسكين ، كان يتكئ على ذاته (**متى** ٦٩ - ٧٥) بدل من أن يتكئ على قوة الله فقط . فاستنتجت من ذلك أنني لو قلتُ : « يا إلهي ، أنت تعرف جيداً ، اني أحبُّك حبّاً أكبر من ان أتوقف على فكرةٍ واحدة ضد الإيمان »، لأصبحت تجاربي أكثر عنفاً ولكنت سقطت فيها بكل تأكيد .

* أنا متأكدة كلَّ التأكُّد أنَّ القديس بطرس لو قال ليسوع بتواضع :«أرجوك ، إمنحني القوة لأتبعك حت الموت »، لكان قد حصل عليها فوراً .

* ويقيني ، ايضاً ، أنَّ ربَّنا لم يكلّم رسله بتعليمه وحضوره المحسوس ، اكثر مما يكلِّمنا ، نحن عبر حسن إلهامات نعمته . كان في استطاعته ان يقول للقديس بطرس فعلاً : « أطلب منّي القوّة لتُتمَّ ما تشاء». لكن لا ، ولأنَّه كان يريد أن يُظهر له ضعفه ، وبخاصة أنَّه كان عليه أن يسوس الكنيسة جمعاء المليئة بالخطأة ، وجب عليه أن يختبر بنفسه ما يستطيع الإنسان أن يفعله من دون عون الله .

* ... قبل سقوطه ، قال له ربُّنا : « ... **وأنتَ ، متى رجعتَ ، فثبِّت إخوتك** » (**لوقا** ٢٢/ ٢٣). هذا يعني : أقنعهم بما اختبرت ، انت ، من ضعف القوى البشرية .

* ٥ - أريد أن تبقَيْ معي دائماً ، فأنتِ شمسي .

٨ آب

١ – كنتُ أقول لها إنني سأعمل على إظهار فضائلها فيما بعد :

* الله وحده مَنْ يجب أن يُعطى قيمة ، لأن ليس هناك ما يستحقُّ قيمةً في عدمي الصغير.

٢ – كانت تنظر إلى السماء من نافذة غرفة التمريض حين قالت لها الأخت ماري للقلب الاقدس : « كم تنظرين بحبٍّ إلى السماء !» . كانت في تلك اللحظة أكثر تعباً، ولم تُجب إلَّا بابتسامة . وفيما بعد ، باحت لي بما كانت تفكر فيه :

* آه ! إنَّها تظنُّ أنني أنظر إلى قبة السماء وأنا أفكر في السماء الحقيقية ! لكن لا ؛ بكلِّ بساطة ، إنني أعجب بالسماء المادية ، فالسماء الأخرى هي بالنسبة إليّ مغلقة أكثر فأكثر . ثم قلت حالاً لنفسي بعذوبة شديدة : آه ! لكن بلى ، إنني فعلاً أنظر إلى السماء بحبٍّ ؛ نعم ، إنَّه حبّاً بالله ، إذ إنَّ كلَّ ما أفعله من الحركات والنظرات وكلَّ شيء ، منذ تقدمتي ذاتي ، إنَّما هو حبّاً بالله .

* ٣ – فكّرتُ اليوم في حياتي الماضية ، في العمل الشجاع الذي أقدمت عليه في ما مضى ، في الميلاد ؛ وعاد إلى ذاكرتي المديح الموجَّه إلى يهوديت: « **إنَّك قد صنعتِ ببأسٍ وثَبتَ قلبكِ** » (**يهوديت** ١٥/ ١١). إنَّ نفوساً كثيرة تقول لا أملك الشجاعة لإتمام مثل تلك التضحية . فلتفعل إذاً ما فعلته أنا : أن تبذل جهداً كبيراً . إنّ الله لا يرفض أبداً هذه النعمة الاولى التي تمنحُ الشجاعة للعمل ؛ من بعد ذلك يثبت القلب ونسير من نصر إلى نصر .

* ٤ – لو لم يَكن ربنا والقديسة العذراء قد ذهبا بنفسهما إلى مآدب ، لما فهمت قط عادة دعوة الأصدقاء إلى الطعام . كان يبدو لي أنَّه لكي نتغذّى يجب علينا أن نختبئ أو على الاقل أن نبقى ضمن العائلة . أن ندعو بعضنا البعض ، نعم ، لكن من أجل أن نتكلّم معاً ، وأن نقصَّ أسفاراً وذكريات ، وأخيراً من أجل أشياء الروح .

* كنت أشعر بشفقة كبيرة على الاشخاص الذي كانوا يخدمون في الولائم . لو حدث لسوء الحظ ، أن تركوا بعض القطرات تسقط على الشرشف أو على أحد المدعوين ، لكنتُ أرى ربَّة المنزل تنظر إليهم بقسوة ؛ وعندئذ كان أولئك المساكين يحمرُّون خجلاً ، وكنت أقول في نفسي والثورة تستعر في داخلي : آه ! كم أن هذا الفرق الذي يوجد بين

الأسياد والخدم على الارض يُثبت فعلاً أن هناك سماءً يحتل فيها كلٌّ واحد مكاناً حسب استحقاقه الداخلي، وحيث سيجلس الجميع إلى مأدبة ربِّ العائلة. لكن أيَّ «خادمٍ» سيكون خادمُنا، إذ يقول يسوع «**إنّه يدور ويخدمنا**» (**لوقا** ١٢/ ٣٧) ! سيكون الوقت لأجل الفقراء والصغار خاصة، ليكافَؤوا بسعة على مذلّاتهم.

٩ آب

١ - كنتُ أقول عنها: لقد هوى محاربنا!

* لست محارباً حاربَ بسلاحٍ أرضي، لكن **بسيف الروح، أي كلمة الله**. (**أفسس** ٦/ ١٧). لذلك لم يقدر المرضُ على أن يصرعني. وليس ابعدَ من مساء البارحة، استخدمت سيفي مع إحدى المبتدئات فقلت لها: «سأموت والسلاح بيدي».

٢ - بصدد مخطوطها:

* سيكون فيه لجميع الأذواق، ما عدا ذوي الطرق الخارقة.

* ٣ - لقد عدتِ بالنسبة إلي ما كنتِ عليه في طفولتي... لا استطيع الافصاح عمّا أنتِ عليه بالنسبة إلي!

كان يُقال لها إنّها قديسة:

* لا، لست قديسة؛ لم افعل قط أفعال القديسين. أنا نفس صغيرة جدّاً غمرها الله بالنعم، ها هوذا ما أنا عليه. ما أقوله هو الحقيقة، سترين ذلك في السماء.

١٠ آب

١ - كانت تنظر إلى صورة تيوفان ڤينار المُعلَّقة بدبابيس على ستائر سريرها. وكانت هذه الصورة تمثّل المرسَل مشيراً بإصبعه إلى السماء.

* أتعتقدين أنّه يعرفني؟ أنظري إلى ما يريني. لقد كان باستطاعته ألّا يتخذ هذا الوضع....

٢ - كان يقال إن النفوس التي وصلت مثلها إلى الحبِّ الكامل ترى جمالها، وإنّها من عدادهم.

* أيّ جمالٍ؟... لا أرى جمالي على الإطلاق؛ لا ارى إلا النعم التي نلتها من الله.

ويختلط عليكِ الامر دائماً ، ولا تعرفين إذاً أنني لست غير نواة صغيرة جدّاً ... لستُ غير لوزة صغيرة ...

حصل انزعاجٌ ولم أتمكن من أخذ الشرح الذي تبع ذلك.

٣ – بدت مَرِحةً ولطيفةً للغاية وهي تنظر إلى صورة ت. ڤينار :

* ... آه ! لكن !...

فسألتها الأخت جنڤياڤ : لماذا تقولين : «آه ! لكن »؟

* لأنه في كل مرة أنظر إليه ، ينظر هو أيضاً إليّ ، ومن جهة أخرى فهو يترصدني بزاوية عينه بشيء من المكر.

٤ – أريناها صورة لجان دارك في سجنها.

* القديسون يشجّعونني ، أنا ، أيضاً في سجني . ويقولون لي : طالما أنت في السلاسل ، فلا يمكنك تأدية رسالتك ؛ لكن فيما بعد ، بعد موتك ، سيحين وقت أعمالك وغزواتك .

* ٥ – أفكِّر في كلام القديس إغناطيوس الإنطاكي . « يجب ، أنا ايضاً ، أن أكون مسحوقاً بالالم ، حتى أصبح حنطة الربّ».

٦ – في اثناء صلاة الليل :

* لو كنتِ تعرفين مَنْ أنتِ بالنسبة إليّ ! لكنّي أقول لك الشيء نفسه دائماً .

٧ – كنتُ أحدِّثها عن السماء وعن ربِّنا ، وعن العذراء القديسة ، الحاضرين هناك جسداً وروحاً . فأطلَقَتْ تنهيدةً عميقة أرفقتها بهذه المناداة :

* آه !...

تجعلينني أفهم بهذا أنَّك تتألَّمين كثيراً من محنتك ؟

* نعم !... أيجب أن نحبّ الله والعذراء القديسة بهذا القدر لتكون لنا تلك الافكار ؟... لكنّي لا أتوقّف عليها .

١١ آب

* ١ – ... لقد وجدت دائماً ، يا أميمتي ، أنّكِ تتفانين في العمل أكثر مما يجب (بصدد الغسيل).

٢ – كنت أقول لها إنّنا بعد موتها سنكون طيبّات فعلاً وإن الجماعة ستتجدّد :

* **... الحقَّ ، الحقَّ ، أقول لكم : إنَّ حبّة الحنطة التي تقع في الأرضِ إنْ لم تمت تبقَ وحدها وإذا ماتت أخرجت ثمراً كثيراً (يوحنا ١٢/٢٤ – ٢٥) .**

* ٣ – لم أكن أنتظر أن أتألم على هذا الشكل ؛ إنني أتألم كطفلٍ .

* لن أطلب أبداً الى الله آلاماً أكبر . إذا زادها ، فسأتحمّلها بسرور وبفرح لأنها آتية منه . لكن أنا أصغر من أن أملكَ القوة بنفسي . فإذا طلبتُ آلاماً ، فستكون آلامي أنا ، ويجب أن أتحمّلها وحدي ؛ فما استطعت قطّ أن أفعل شيئاً لوحدي .

* ٤ – ... إنّ العذراء القديسة، ليس عندها عذراء قديسة لتحبَّها ، فهي اقل سعادة منّا .

كانت قد قالت لي ذلك في ما مضى في أثناء الفرصة .

* ٥ – أتضرَّع غالباً إلى القديسين من دون أن أُستجاب ، لكن بقدر ما يبدون صُمّاً عن صلواتي ، بقدر ذلك أحبّهم .

لماذا ؟

* لأنني رغبتُ في ألا أرى الله والقديسين ، وأن أمكثَ في ليل الإيمان ، أكثر مما يرغب آخرون في أن يروا ويفهموا.

٦ – قصَّت علينا أشياء مختلفة عن زمن الأنفلونزا. وفي النهاية قلت لها : أيّ تعب فرضته على نفسك ! وكم كنتِ لطيفة ومحبوبة ! بكل تأكيد ، كل هذا الفرح ليس صادقاً ، فأنتِ تتألمين فوق الحد نفساً وجسداً. فضحكت وقالت :

* لا اتظاهر ابداً؛ لست كامرأة يارُبعام (١ ملوك ١٤) .

١٢ آب

١ – كانت قد تناولت

* ... وداعاً يا أخواتي ، أنا راحلة لسفرٍ بعيد.

تلميحٌ إلى ذهابي إلى رياضة نذري .

٢ – كانت تنظر إلى صورة الاب بلّيير في ثياب جندي :

* ... لهذا الجندي الذي تظهر عليه سِمةُ المرح ، أقدِّم نصائح كما أقدمها لفتاة صغيرة ! أدله على طريق الحبِّ والثقة .

* ٣ – منذ عهد السنبلة وأنا لا أزال أشعر بمشاعر اكثر تحقيراً لنفسي. لكن ما أكبر النعمة الجديدة التي تلقَّيتها هذا الصباح لحظة بدأ الكاهن بتلاوة فعل الاعتراف قبل أن يُعطيني المُناولة وتابعت التلاوة جميعُ الأخوات . كنت أرى يسوع الطيِّب هناك مستعداً كل الاستعداد لأن يهب نفسه لي ؛ وهذا الاعتراف كان يبدو لي اتضاعاً ضرورياً جداً . « انا أعترف لله ، وللطوباوية مريم العذراء، ولجميع القديسين أنني أخطأت كثيراً ...». آه ! نعم ، كنتُ أشعر في نفسي ، بأنه لفعلٌ حسنٌ ان يُطلب الغفران لأجلي في هذه اللحظة ، إلى الله وإلى جميع القديسين ... كنتُ أشعر بنفسي مثل العشَّار ، بأنني خاطئة كبيرة . كنت اجد الله كثير الرحمة : وأجدُ مؤثراً جداً التوجّهَ إلى كلِّ البلاط السماوي لأنال بشفاعته مغفرة الله . آه ! كدتُ أبكي فعلاً ، وعندما وصلت القربانة المقدسة إلى شفتيّ ، كنتُ شديدة التأثّر .

* ... ما اروع أن أشعر بما شعرت به في تلاوة الاعتراف ! أعتقد أنَّ ما حدث هو بسبب وضعي الحالي ، أشعر بأنني بائسةٌ جدّاً ! ثقتي لم تَنقص ، على العكس ، وكلمة بائسة ليست صحيحة ، لأنني غنيَّة بكل الكنوز الإلهية ؛ ولأجل هذا بالضبط أنا أكثر اتِّضاعاً. فعندما أفكّر في جميع النعم التي أنعمَ الله بها عليَّ أتماسك لئلا أسكب باستمرار دموع العرفان .

* أعتقد أنَّ الدموع التي ذرفتها هذا الصباح كانت دموعَ ندمٍ كامل. آه ! كم من المستحيل فعلاً أن يعطيَ الإنسانُ لنفسه مثل هذه المشاعر ! فمن يمنحها إنما هو الروح القدس ، هو **الذي يهبُّ حيث يشاء.** (**يوحنا** ٣/ ٨) .

٤ – كنَّا نتكلم معها على مقاوماتها في ما مضى عندما كنَّا نرجوها بأنّ تريح نفسها ، وألا تنهض ساعة نهوض الجماعة وألا تذهب إلى صلاة الليل . فقالت لنا :

* لم تكنَّ تفهمن عندما كنتُ ألحّ ، وذلك لأنني كنت أشعر بأنَّه كان هناك محاولة

للتأثير على أمِّنا . كنتُ أريد قول الحقيقة كلِّها لأمِّنا ، حتى تقرِّر هي بنفسها . وأؤكد أنَّها لو كانت قد طلبت إليَّ من نفسها ألَّا أذهب إلى القداس ، وإلى المناولة والفرض، لكنتُ أطعت بخضوع تام .

* ٥ - يا لَلغرابة ! الآن ، حين لم أعد أستطيع تناول الطعام ، تجتاحني شهوات من كل نوع للمآكل الطيبة ، مثل الدجاج وضلع الخروف والرز بالحُمّيض الذي يُعدُّ يوم الأحد ، والطون ...

* ٦ - يمكنك القول عنّي : « لم تكن تحيا في هذا العالم ، بل في السماء ، هناك حيث كان كنزها (**متى** ٦/ ٢١).

١٣ آب

كنت أقول لها فكرةً في السماء خطرت لي في أثناء صلاة النوم :

* ... بالنسبة إليّ ، ليس لي غير أنوارٍ لأرى عدمي الصغير . وهذا يفيدني أكثر من الأنوار حول الإيمان .

١٤ آب

مناولة

* ... كثير من الأحزان الصغيرة في النهار ... آه ! كم أسبِّب إزعاجاً !

في أثناء صلاة الليل ، قلت لها : لقد أصابتك اليوم كروبٌ كثيرة :

* نعم لكن ما دمت أحبّها ... أُحبُّ كلَّ ما يعطيني الله .

١٥ آب

١ - مناولة .

كنت قد ذكَّرتها بما قاله القديس يوحنا الصليب عن موت نفوسٍ ذابت في المحبة. فتنهَّدت وقالت لي :

* يجب القول إنَّ في صميم نفسي « الفرح والنشوة »؛ لكن هذا لن يُشجِّع النفوس كثيراً إذا كان يُعتقد أنني لم أتألم كثيراً .

كم أشعر بأنَّك مضطربة! ومع ذلك ، فقبل شهر كنت تقولين لي أشياء جميلة للغاية عن الموت بالحبّ:

* لكن ما كنتُ اقوله لكِ ، سأقوله لك كثيراً بعدُ .

٢ – كانت تشعر بضيق شديد ؛ واذ كان ضيقُها يتضاعف ، قالت لي :

* لا أدري ماذا سأصبحُ عليه !

هل هذا يقلقك ما ستصبحين عليه ؟ [فأجابت] بنبرة فائقة الوصف وبابتسامة :

* – آه ! لا ...

* ٣ – حلمت خلال فترة الصمت أنَّك تقولين لي : عندما ستأتي الجماعة ، سيُرهقك أن تنظر إليك جميعُ الأخوات وتضطّرين الى التحدّث اليهنّ قليلاً . فأجبتك : نعم ، ولكن ، عندما سأصير في السماء سأرتاح من كلِّ شيء .

* ٤ – طلبتُ امسِ إلى العذراء القديسة ألّا يعاودني السعال، حتى تتمكَّنَ الأخت جنفياڤ من النوم ؛ لكنّي أضفتُ : إنْ لم تفعلي ذلك ، فسوف أحبّك ، بعد ، أكثر .

٥ – كانت أجراسنا الجديدة تدقُّ لأجل صلاة الغروب ، ففتحت الباب حتى تسمعها جيّداً وقلت لها : إصغي جيّداً إلى الأجراس الجميلة التي تُقرع . وبعد أن أصغت إليها :

* ... ليست جميلة جداً ، بعدُ !

* ٦ – إنَّ الرب يهبني الشجاعة بحجم آلامي . وأشعر بأنني ، حتى الآن ، لا استطيع تحمل المزيد منها ؛ لكني لست خائفة : لأنه كلما ازدادت [آلامي] ازدادت شجاعتي في الوقت نفسه .

* ٧ – أتساءل كيف أن الله بوسعه أن يتماسك طويلاً عن أن يأخذني ...

* ... من جهة أخرى ، يبدو كأنَّه يريد ان يجعلني « أتوهَّم » أن ليس هناك من سماء !...

* ... وجميع القديسين الذين أحبّهم كثيراً في أيّة كوّةٍ يقبعون إذاً ؟

* آه ! لا اتظاهر . الحقُّ أنني لا أبصر شيئاً من ذلك ؛ لكن ، في النهاية ، عليَّ أن أرنّم في قلبي بصوت قويّ :

* الحياة خالدة بعد الموت، وإلّا، ما أتعس المصير من دون ذلك!

٨ – بعد صلاة الليل، كانت مُنهكة، فقالت لنا لحظة كنا نستعدّ لنفض وساداتها:

* الآن، إفعلي فيَّ ما تشائين.

١٦ آب

* لم تعد تستطيع الكلام لشدّة ما كانت ضعيفة ومتضايقة:

* أن ... لا أعودَ ... استطيع أن أكلِّمك!... آه! لو كان في الإمكان معرفة ذلك!... لو لم أكن أحبُّ الله! ... نعم لكن...

* ٢ – في المتحدّث، يجب الّا يقال أيُّ شيء كان، مثلا أن نتحدّث عن الهندام.

٣ – لن تكون لكِ، أنتِ، تريز صغيرة لتأتي وتأخذك. فابتسمت وهي تنظر إلى تمثال القديسة العذراء وصورة تيوفان ڤينار، ودلّتني بطرفِ أصبعها على كلّ منهما بدوره.

* ٤ – لا يقدر الملائكة أن يتألموا، وهم ليسوا سعداء بقدر سعادتي. لكن كم سيكونون مدهوشين أن يتألموا وأن يشعروا بما أشعر به!... نعم، سيكونون مدهوشين فعلاً، لأنني، أنا بذاتي، في هذه الحالة.

٥ – في أثناء صلاة الليل، استيقظت فجأة، ونظرت إليَّ بابتسامة عذبة:

* يا أميمتي الجميلة!

١٧ آب

مناولة

* أحسّ بأن الله يريدني أن أتألم. إنَّ العلاجات التي يجب أن تريحني والتي تخفِّف عن المرضى الآخرين، توجعني أنا.

٢ – كنَّا قد إنتهينا من رفعها، وبما أننا اصطدمنا بها حين كنَّا نرتب سريرها، وآلمناها حين كنَّا نقدم لها بعض العناية، طلبت منشقة صغيرة. وتردَّدنا في إعطائها لها، فما كنا نعرف ماذا كانت تريد أن تفعل بها. عندئذ قالت بلطافة:

* – يجب تصديقي عندما أطلب شيئاً ما، لأنني «طفلة» ظريفة جدّاً.

(يعني أنَّها لا تطلب إلّا ما لا بدَّ منه).

وما إن عادت الى الفراش، وشعرت بأنها منهوكة القوى [قالت]:

* أنا «طفلة» مريضة جداً، نعم، مريضة جداً!

٣ - وضَعتْ زهرةً دفليةً على صورة تيوفان ڤينار؛ فحفظتُ هذه الزهرة.

٤ - سأصلّي حتى تخفِّفَ العذراء القديسة إحساسك بالإختناق.

* لا، دعي العُلويِّين وشأنهم!

٥ - في أثناء صلاة الليل، بينما كانت تنظر الى صورة تيوفان ڤينار:

* لا أدري ما بي، فأنا لا أستطيع أن أنظر إليه من دون أن أبكي.

٦ - ووجدت نفسها أقل ضيقاً من بعد صلاة الليل، فقالت للأخت جنڤياڤ وهي تشير إليَّ:

* لقد صلَّت الى مريم، فغاب عنّي الفُواق(٥٤).

كانت تستعمل هذه الكلمة للضحك وبنبرة لطيفة للغاية عندما كانت تريد القول إنَّها كانت تسعل الى حدّ الاختناق.

١٨ آب

* ١ - أتألم كثيراً؛ لكن هل أتألم جيِّداً؟ تلك هي المسألة!

* ٢ - «الطفل» مُرهق!...

خلال فترة صمت الظهر، كنتُ قد اختبأتُ وراء السرير قليلاً حتى أكتب.

* إستديري جانباً، حتى أراكِ.

* ٣ - يا أمي، عليكِ أن تقرأي لي الرسالة التي استلمتها عنّي(٥٥). لقد امتنعت من طلبها إليك في أثناء التأمّل، لكيّ استعدّ لمناولتي غداً، ولأنَّ هذا غيرُ مسموحٍ به.

(كان الأمر خلال الفرصة).

---

(٥٤) الفُواق هو الحازوقة، أي تردّد الشهقة.

(٥٥) الأرجح أنّها رسالة الأب بلّيير في ١٧/ ٨/ ١٨٩٧.

رأت أنني تناولت القلم لأكتب ما سبق :

* هل يضيع ربَّما استحقاقي ، لأنني قلت لك ذلك وأنت تكتبينه ؟

أوَ تريدين إذاً ان تكسبي استحقاقات ؟

* نعم ، لكن ليس لأجلي ؛ بل لأجل الخطأة المساكين ولأجل حاجات الكنيسة جمعاء ، وأخيراً لأجل نثر الأزهار على العالم كله ، وعلى الأبرار والخطأة .

٤ – قلت لها إنَّها كانت صبورةً فعلاً :

* لم أكن صبورةً حتى دقيقةً واحدة. فهذا ليس صبري الخاص بي ! ... نحن دائماً على خطأ !

* ٥ – ما دام يُقال إنَّ جميع النفوس يجرِّبها الشيطان لحظة الموت ، فعليَّ أن أمرَّ بهذه التجربة . لكن لا ، فأنا أصغر من ذلك؛ ومع الصغار ، فهو لا يستطيع...

٦ – كنتُ أقول لها : كم قد يبدو لكِ غريباً ان تستعيدي صحَّتك ؟

* إذا كانت هذه مشيئة الله ، فسأكون سعيدة جداً بأن أقوم بهذه التضحية . لكن أؤكد لك أن هذا الأمر لن يكون سهلاً : أن نذهب بعيداً إلى هذا الحد ، ثم نعود منه ! إسمعي !...

* ٧ – أجد نفسي في حالة ضعف ، فأتساءل ماذا سأصبح عليه إذا ما رأيت عنكبوتاً كبيراً على سريرنا . ومع ذلك، أريد فعلاً أن أقبل ، فوق ما عليّ ، هذا الخوف لأجل الله .

* ... لكن هلَّا طلبتِ إلى القديسة العذراء أن لا يحصل ذلك ؟

١٩ آب

١ – أوشكت أن تُصابَ بضيق قبل المناولة ، عندما سمعت ترتيل مزمور من **الأعماق** مع انه كان بصوت خافت ؛ فقالت لي بعد ذلك وهي تذرف دموعاً غزيرة :

* ربَّما سأضيِّع أفكاري . آه ! لو كانوا يعرفون أيّ ضعفٍ أعانيه .

* هذه الليلة ، لم أعد أقدر على الاحتمال . فطلبتُ من العذراء القديسة أن تأخذ رأسي بين يديها حتى أستطيع احتماله.

* ٢ – أمكثي معي ، يا أميمتي ، فحظوتي بكِ سندٌ لي .

٣ – أعطتها الأخت حنڤياف المصلوب. فقبّلته على وجهه بحنان. وبدت في تلك اللحظة، جميلة كملاكٍ. وكان رأس هذا المصلوب منحنياً، فقالت وهي تتأمله:

* إنَّه مائتٌ، هو! افضّل ان يُمَثَّلَ مائتاً ظنّاً منّي أنه لم يعد يتألّم.

٤ – كانت قد طلبت بعضَ العلاجات التي تؤلمها كثيراً، وكان قد وصفها الطبيب وأمَّنَا. فقالت لها الاخت جنڤياف قولها لطفل: «من الذي طلب هذا من «بوبون Bobonne»؟

* إنه «الطفل»، لأجل الامانة.

٥ – كانت تداعب تيوفان ڤينار على وجنتيه. (كانت الصورة معلقة على الستارة، على بعدٍ منها). لماذا تداعبينه على هذا الشكل؟

* – لأنني لا استطيع تقبيله.

٦ – الأخت ماري للإفخارستيا:

* يجب ألا تجلسي موارَبَةً على الكرسي، فهو مكتوب [في القانون].

٧ – الى الأخت جنڤياف التي كانت ترتِّب وساداتها من دون أن تعير اهتماماً للصور على الستارة:

* انتبهي إلى الصغير تيوفان!

٨ – كلنا نبالغ في الكلام عندما نجد أنفسنا نحن الثلاث مجتمعات بالقرب منها؛ وكان هذا الأمر يتعبها، لأننا كنّا نلقي عليها أسئلة كثيرة في آن واحد.

«ماذا تريدين أن نقول اليوم؟»

* ... يجب، كي نحسنَ عملاً، ألّا نقول شيئاً على الإطلاق، لأنَّهُ في الحقيقة، ليس هناك ما يقال.

«كل شيء قد قيل، أليس كذلك؟»

فأومأت برأسها ايماءةً جميلة:

* نعم!

* ٩ – لا يهمّ ما تقولينه لي ، حتى أكثر الأشياء تفاهة ؛ فإخالكنّ شاعراً جوّالاً ظريفاً ينشد أساطيره دائماً على ألحانٍ جديدة .

وكانت ترشف رشفاتٍ صغيرةً لتجعلني أرى أنّها كانت تشرب كلامي .

* ١٠ – ... لا أتألم إلّا للحظة . اما إن فكّرنا في الماضي وفي المستقبل ، فتثبُط همّتنا ونيأس .

٢٠ آب

١ – إلى الأخت جنڤياف ، بنبرة طفل :

* أنت تعرفين جيداً أنك تعالجين « طفلاً » مشرفاً على الموت ...

(وأرتها كأسها)

* ومن جهة أخرى يجب وضع شيء طيّب في الكأس الكبيرة ، لأن « الطفل » يحسّ طعمَ فمه فاسداً جدّاً .

٢ – كانت قد طلبت ألا نقبّلها الا قليلاً ، لأنَّ النَفَس كان يتعبها ، كونها ضعيفة للغاية .

هل في إمكاننا أن نداعبك فقط مداعبةً صغيرة ؟

* نعم ، لأنَّ الأيدي لا تتنفَّس .

٣ – كنّا نتكلم على متاعب كانت تسببّها المسكينة الأم لقلب يسوع للممرضات .

* آه ! كم تمنّيتُ أن أكون ممرِّضة ، ليس بطبعي لكن « بجاذبية النعمة » . وكم يبدو لي أنني كنت قد جعلت الأم لقلب يسوع سعيدة ! نعم ، ربّما كنت ابديت ميلاً الى كلّ ذلك ... ولكنتُ وضعت فيه حبّاً شديداً ، وأنا أفكر في كلام الله : « كنتُ مريضاً فعدتموني ». فحتى الآن ، قلّما نجد هذه المناسبة الجميلة في الكرمل .

٤ – قالت وعليها سيماء الفرح والمكر :

* سأكون قريباً في أهوال القبر ! وستكونين أيضاً أنتِ فيه يوماً ، يا أميمتي !... وعندما أراكِ تَصِلين إلى جواري « **ستبتهج عظامنا المحُطمة** ». (**مزمور ٥١/ ١٠**) .

* ٥ – ... ما إن أشرب حتى يحصل لي هذا السعال :

(كانت تسعل وتقول لقدحها المليء بماء البوتّوت "Bottot": هذا ليس للشرب ! وعلى حدة : – إنه لا يفهم ! – ثم بصوت أعلى :قلتِ لك إنه ليس للشرب!

٦ – ما عادت تستطيع رؤية الحليب الذي لم تكن تتناوله قطّ بلذة ، والذي كان يسبِّب لها ، عندئذ ، قرفاً إلى أقصى حد . فقلت لها : « أتشربين هذا الفنجان حتى تنقذي حياتي ؟

* آه ! نعم !... حسناً ، أنظري ، أوَلَن أتناولَه حبّاً بالله ؟

وشربت الفنجان جرعة واحدة .

٧ – كنّا نتبادل أفكارنا بشأن علامة معطف التمريض. "+ F"

* لا ، هذا لا يعني ما تقولين . هذا يعني أنه يجب أن نحمل الصليب (+) ، حتى نذهب بعد ذلك ، إلى ما هو أعلى من (ف) الفضاء (Firmament).

* ٨ – عندما أتألم كثيراً ، أسَرُّ بأن أكون أنا من يتألم ؛ أنا مسرورة بألّا تكون واحدةٌ منكنّ مَن تتألم .

* ٩ – إن اكثر ما يؤنسني هو حضورك انتِ ، أيتها الكلاريسة الطيِّبة[٥٦].

١٠ – وكانت تشعر فعلاً بعدم قدرتها على القيام بالمناولة ، من الآن فصاعداً. ولما سمعت ردّات فعل كثيرة بهذا الشأن ، صار ذاك النهارُ نهارَ كروب وتجارب توقَّعتُ فظاعتها. فطلبت إليَّ بعد الظهر أن أحتفظ بالصمت لبعض الوقت ، وحتى أن لا أنظر إليها. وقالت لي بصوت خافت :

* لو كنتُ قصصت عليك كروبي فوراً لبكيتُ فوق الحد ، وبي ضيق شديد لدرجة أنني قد اختنق فعلاً .

وبعد صمتٍ يقارب الساعة ، كلّمتني ، واضعةً أمام عينيها مروحةً قد أُعطيت لها لطرد الذباب ، لأنَّها كانت لا تزال متأثّرة جدّاً.

١١ – حدثتني عن رسالة كاهن كان يقول إن القديسة العذراء لم تختبر الآلام الجسدية .

---

(٥٦) هي كلمة وجّهها الى الام جنفياف شقيقُها.

* بينما كنت أنظر الى العذراء القديسة هذا المساء، فهمت أن هذا ليس صحيحاً؛ وفهمت أنَّها تألمت ليس بالنفس فقط، بل أيضاً بالجسد. لقد تألمت كثيراً في الأسفار من البرد والحر والتعب؛ وصامت مراتٍ كثيرة.

* ... نعم، هي تعرف ماذا يعني أن نتألم.

* ... أوَ يكون من السوء التفكير في أن تكون العذراء قد تألمت؟ أنا التي تحبُّها كثيراً!

١٢ – كانت متضايقة كثيراً.

منذ بعض الوقت، كانت تجد في مضايقاتها المزعجة للغاية نوعاً من التخفيف بإطلاقها ما يشبه صرخة صغيرة منتظمة، مثل: آه! «آخ! آخ! «أيْني»، أيْني، (Agne! Agne!).

* عندما يأتي الضيق من أسفل أقول: «آخ! آخ!»؛ لكن هذا ليس لطيفاً، وهو لا يعجبني، الآن سأقول: «حنّة! حنّة!» (Anne).

* سنضع هذا في نشرة موتك.

* سيكون له وقع وصفة طعام!

* ١٣ – أنتِ من منحَني عزاء الحصول على صورة تيوفان ڤينار، وهو عزاء كبير للغاية. لكن ربَّما كان في الإمكان ألَّا يعجبني هذا!... لكنه «ظريف جدا». إنّه محبوب جداً».

(تعابير كانت قد سمعتها وأضحكتها).

* ١٤ – ما ألطف أن نعرف في السماء كل ما حدث في العائلة المقدسة! عندما بدأ الطفل يسوع يكبر، ورأى العذراء القديسة تصوم، كان يقول لها: «أنا أيضاً أريد أن أصوم». فتجيبه العذراء القديسة: «لا، يا طفلي يسوع، إنك لا تزال صغيراً جدّاً، وضعيفاً». أو بالأحرى ربّما لم تكن تجسر على منعه من الصوم.

* والقديس يوسف الطيِّب! آه! كم أحبّه! لم يكن يستطيع أن يصوم بسبب أشغاله.

* أراه يَنجِّرُ، ثم يمسح جبينه من وقت لآخر. آه! كم يجعلني أشفق عليه! كم يبدو لي أنَّ حياتهم كانت بسيطة.

* كانت نساء البلد يأتين ليكلِّمن القديسة العذراء بلا تكلّف. وكنَّ احياناً يطلبْنَ أن

تعهد إليهنّ بطفلها يسوع ليذهب ويلعب مع أولادهنّ. وكان الطفل يسوع ينظر إلى العذراء القديسة ليعرف ما إذا كان عليه الذهاب ليلعب. بل كانت النساء الطيِّبات يذهبن أحياناً رأساً إلى الطفل يسوع ويقلن له من دون ديباجة: «تعال والعب مع ابني الصغير» إلخ.

* ...عندما أفكِّر في العائلة المقدسة، يشرح قلبي تصوّري حياتها عاديةً تماماً. ليس كلُّ ما يروونه لنا، ولا كلُّ ما نفترضه. مثلاً أن الطفل يسوع بعد أن عجن عصافير من التراب، نفخ فوقها ومنحها الحياة. آه! لا! إن الطفل يسوع لم يكن ليحقِّق أعجوبات لا فائدة منها بهذا الشكل، حتى ولو كان الأمر إرضاءً لأمه. أو بالأحرى، لماذا لم يُنقلوا إلى مصر بأعجوبة كانت ربما من ناحية أخرى ضرورية وسهلة على الله إلى أبعد حد. فبغمضة عين، كان يمكن ان يصيروا هناك. لكن لا! فكل شيء في حياتهم تمَّ كما في حياتنا.

* وكم من كروبٍ وخيبات آمل! كم مرّة وجَّهوا انتقاداتٍ إلى الطيِّب القديس يوسف! كم مرةٍ رفضوا أن يدفعوا له أتعابه! آه! ما اعظم ما تكون دهشتنا لو عزمنا كلَّ ما عانوه! إلخ. إلخ.

لقد حدثتني مطوّلاً عن هذا الموضوع ولم أستطع أن أكتب كلَّ شيء.

* ١٥ – ... أريد أن أكون متأكدة من أن العذراء القديسة تحبُّني.

* ١٦ – ... عندما أُفكِّر في أنني عانيت كثيراً طوال حياتي من تلاوة سُبحتي!

* ١٧ – عندما نلتُ الحلَّ فبدلاً من أن أضيِّع وقتي في صلوات الشكر لله، أعتبر، بكل بساطة وعرفان، أنَّه ألبسني ثوباً صغيراً ناصعاً جداً وغيَّر لي مريولي. لم يكن لا هذا ولا ذاك وسخاً فعلاً، لكن الامر سيّان. فثيابي المبتذلة أكثر لمعاناً وأبدو أظرف في نظر السماء.

* ١٨ – لا أحد يشكُّ في أنَّ الأخت ماري للقلب الأقدس، كونها وكيلةً، جعلتني أقوم بكثير من الإماتات. إنَّها تُحبني كثيراً لدرجة أنَّني كنت أبدو مدلَّلةً جداً؛ لكن الإماتة أكبر في هذه الحالة.

* ... كانت تعتني بي حسب ذوقها المخالف ذوقي كل المخالفة.

٢١ آب

١ – كانت تتألم كثيراً وكنتُ أنظر إليها راكعة، والقلب حزين جداً:

* – أيّتها العينان الصغيرتان الحزينتان لماذا؟

– لأنّك تتألمين بشدة!

* – نعم، لكن فيّ سلام أيضاً، سلام!

* ٢ – ... لم يبقَ للطفل شيء آخر غير النوم ... كل شيء، كل شيء يؤلم! وعلى الفور تقريباً عادت تسعل، ولم تقدر على أن تنام.

* حتى النوم قد امتنع عن «الطفل». انتهى! أشعر فعلاً بأني سأختنق حقّاً في أحدى الليالي!

* ٣ – لكم كنتُ أريد، إذاً، أن أكون كاهناً حتى أعظَ عن العذراء القديسة! ومرّةً واحدة ربّما كانت تكفيني حتى أقول كل ما يجول في خاطري حول هذا الموضوع.

* كنت سأُفهِمُ أولاً، ما أَقلَّ ما تُعرف حياتُها.

* يجب ألّا تقال أشياء غير محتملة أو لا نعرفها: على سبيل المثال أن العذراء القديسة، وهي صغيرة جداً، وفي الثالثة من عمرها، ذهبت إلى الهيكل وقدمت نفسها لله بمشاعر تتقد حبّاً وتفوق المألوف، في حين أنّها قد تكون ذهبت بكل بساطة طاعة لأبويها.

* لماذا القول، ايضاً، إن العذراء القديسة من لحظة سماعها أقوال سمعان الشيخ النبوية، كانت ترى باستمرار آلام يسوع أمام عينيها؟ كان الشيخ قد قال: «**إنَّ سيف الوجع سينفذ في نفسك**» (**لوقا ٢/ ٣٥**)، وهذا لم يُقل من اجل الحاضر، كما ترين، يا أميمتي؛ بل كان تنبُّؤاً عاماً من أجل المستقبل.

* حتى تعجبني موعظةٌ عن العذراء القديسة وتوثّر فيَّ، يجب أن أرى حياتها الحقيقية، لا حياتها المفترضة؛ وأنا متأكدة من أن حياتها الحقيقية كانت فعلاً بسيطة كلَّ البساطة. إنهم يُظهرونها كأنَّها لا يمكن الاقتراب منها، فيجب إظهارُها أنها يمكن الاقتداء بها، وإبرازُ فضائلها، والقولُ إنَّها كانت تحيا بالإيمان مثلنا، وأن نعطي براهين على ذلك عبر الإنجيل، حيث نقرأ: **لم يفهما ما قال لهما** (**لوقا ٢/ ٥٠**). وهذه العبارة الأخرى ليست

أقل غموضاً : **وكان أبوه وأمه يُعجبان ممَّا يُقال فيه (لوقا ٢/ ٣٣)** . هذا الإعجاب يفترض بعض الدهشة ، ألا ترين ذلك ، يا أميمتي ؟

* من المعروف أنَّ العذراء القديسة هي ملكة السماء والأرض ، لكنها أمٌّ أكثرَ منها ملكة . ويجب الا يقال إنَّها بسبب امتيازاتها تكسف مجد جميع القديسين ، كما تخفي الشمس النجوم عند شروقها. يا إلهي !يا لها من غرابة! أمٌّ تحجب مجدَ أولادها ! اما اعتقادي فهو العكس تماماً : أعتقد أنَّها ستضاعف كثيراً بهاء المختارين .

* حسنٌ أن نتحدث عن امتيازاتها ، لكن يجب ألَّا يقتصرَ الكلام على ذلك ؛ واذا أُلزمنا من بداية موعظة حتى نهايتها أن نهتف ونردِّد آه ! آه ! فهذا يكفي ! مَنْ يدري إذا لم تذهب احدى النفوس إلى حدّ الشعور عندئذ بالابتعاد عن خليقةٍ فائقة إلى هذه الدرجة ، وتقول في نفسها : « إن كان الأمركذلك ، فالأولى الذهاب للتألق بقدر الإمكان في زاوية صغيرة !»

* ما امتازت به العذارء القديسة عنّا هو أنها ما كانت تستطيع أن تخطأ، وأنَّها كانت معصومة من الخطيئة الأصلية ؛ لكنها من جهة أخرى ، كان حظُّها أقلَّ من حظنا بكثير ، لأنها لم تنعم بعذراء قديسة تحبّها ؛ وإن لنا في ذلك عذوبة إضافية ، ولها في ذلك عذوبة اقلّ .

* وأخيراً ، قد قلت في نشيدي : **لماذا أحبك ، يا مريم!** كلَّ ما قد أعظ عنها .

٢٢ آب

* ١ - اليوم ، إنَّه عيد بابا الطيِّب .

(القديس يوا كيم)

* ٢ - يا أميمتي ، مذا سيحلّ بي إن لم يعطني الله القوّة ؟ لم يبقَ لي غير اليدين !... لا نعرف ما يعني أن نتألم على هذا الشكل . لا ، لا بدَّ من الاحساس به .

٣ - لقد وجدوك غير كاملة ، في المناسبة المذكورة ....[فقالت] برضى :

* آه ! حسناً ! هذا أفضل !

٤ – من جهة الأمعاء و... من جهة أخرى، كانت تتألم بعنف. وكنا نخشى الآكلة[٥٧].

* ... حسنا، وهذا أفضل، أن كان لا بدّ فلنتألّم كثيراً ومن جميع الجهات، ولنُصَبْ بعدة امراض معاً. فكما يحدث في السفر، حيث نتحمّل كل أنواع المشاق، عالمين أن هذا سينتهي بسرعة، واننا لدى بلوغنا الهدف لا بدّ من ان تزداد متعتُنا.

٥ – حول ملاحظة كانت قد وُجِّهت إليها (لم أعد أذكر لماذا):

* أتعتقدين أن العذراء القديسة كانت تتلوّى مثل القديسة المجدلية[٥٨]! آه! لكن لا؛ وإلا ما كان هذا الامر لطيفاً. يحسن بي أن أُحوزق!

٦ – كانت قد قلبت الزيزفون على السرير، وقيل لها لتعزيتها إن هذا لا يهم. فبدت بمظهر يعني أنَّه كان عليها أن تتألم في جميع الأحوال:

* آه! لا أهميّة لذلك، لا!

٧ – نظرت إليَّ خلال التأمّل، ثم إلى صورتها، أي صورة تيوفان ڤينار، بنظرتها الشديدة العذوبة والعمق.

بعد وقت وجيز أرادت ان تتكلّم حتى تسرّني، لأنَّها كانت تتنفس بصعوبة. فقلت لها ان تحتفظ بالصمت.

* لا، أيجب عليَّ ألَّا أتكلم؟ ... لكن ... كنت أعتقد ... أنا أحبُّكِ حبّاً شديداً!... سأكون ظريفة ... يا أميمتي!

٨ – أردنا منعها من أن تجهد نفسها كي تعزّينا:

* يجب أن أقوم ببعض «السعدنات» الصغيرة.

* ٩ – شعرتُ بمتعة لأعتباري أنَّكنَّ تصلّين لأجلي، فقلتُ عندئذ لله إنني كنتُ أريد أن تطبّق هذه الصلوات على الخطأة.

– ألا تريدين إذاً أن يكون هذا للتخفيف عنك؟

---

(٥٧) Gangrène وهي فساد موضعي في الانسجة.

(٥٨) إلماح الى الحركات التي تصوَّر بها المجدلية في الرسوم.

* - لا !

كانت تتالم كثيراً وتئن .

* يا أميمتي !... نعم !... أريد فعلاً !...

* ... عليَّ ألَّا أشكو بعد اليوم ، فلا جدوى لذلك .صلِّين لأجلي يا أخيَّاتي ، لكن ليس ركوعاً ، لكن جلوساً .

(كنَّا راكعات).

٢٣ آب

* لم امضِ قط ليلة سيئةً كهذه الليلة . آه ! كم يجب أن يكون الله رؤوفاً حتى أستطيع أن أتحمل كلَّ ما أعانيه ! لم أكن لأصدق على الإطلاق أنني أستطيع أن أتألم بهذا القدر . ومع ذلك ، أعتقد أنني لست في نهاية كروبي ، لكنَّه لن يتركني .

٢ - رنَّمتِ للقديسة العذراء :

« كل ما أعطاني يسوع إيَّاه ، بوسعه أن يأخذه .

قولي له ألَّا ينزعج معي أبداً».

قد قالت له [العذراء] ذلك ، وقَبِلَ باقتراحك على الفور .

* أنا مسرورة لذلك ولا أندم .

* ٣ - ... لا ، إنَّ الله لا يجعلني أُوجس موتاً قريباً، لكن آلاماً أشدّ... فلا أقلق، ولا أريد التفكير إلَّا في اللحظة الحاضرة .

٤ - قلتُ لها : لقد أُعطيتِ لحافاً كبيراً للشتاء ، وهو حقاً كبيرٌ جدّاً.

* آه ! لكن لا ، نحن لا نشعر أبداً بدفءٍ كافٍ في الشتاء .

* ... ستشعرين بالبرد ، عندما لن اشعر ، أنا ، بالبرد ! وهذا يثير شفقتي .

* ٥ - قبِّليني على جبيني .

للأخت جنڤياف

* صلّي كثيراً الى العذراء القديسة من أجلي ، أنت ممرِّضتي الصغيرة، لأنَّه لو كنتِ

مريضةً ، لكنت أصلّي كثيراً من أجلك! لكن عندما يتعلّق الامر بنا، فنحن لا نجرؤ عليه .

٦ - كانت قد قدمت آلامها من أجل الأب كورنيير ، وهو إكليركي عندئذ ، معرض لتجارب كثيرة. ولما علم بذلك كتب رسالة من أكثر الرسائل تواضعاً وتأثيراً.

* آه ! كم حملت لي تلك الرسالة من عزاء ! رأيتُ أنَّ آلامي الصغيرة قد أثمرت . هل لاحظتِ مشاعر الاتضاع التي تعبِّرُ عنها ؟ فهذا بالضبط ما كنت أتمنّاه.

* ... وكم يسرَّني أن أرى كيف أنَّه ، في وقت قليل جداً ، يمكننا أن نشعر بكثير من الحبّ والعرفان نحو نفسٍ صنعت لكِ خيراً وأنت لم تكوني تعرفينها حتى ذلك الحين. كيف سيكون الأمر إذاً في السماء عندما ستعرف النفوس تلك التي كانت قد خلَّصتْها ؟!

٧ - في خضم آلامها الشديدة للغاية :

* يا أميمتي!... يا أميمتي !... آه !... آه !... نعم !... ماما ! ماما ! ماما !...

* ٨ - ... عندما نصلّي إلى العذراء القديسة من دون أن تستجيب لنا ، فهذا يدلّ على أنها لا تريد ذلك . وعندئذ يجب تركها تفعل ما يبدو لها من دون قلق .

* ٩ - قالت لي إن كل ما قد سمعته من وعظ العذراء القديسة لم يكن ليؤثر فيها .

* فليُظهر لنا الكهنة فضائل يمكن ممارستها! من المفيد الكلامُ على امتيازاتها ولكن يجب ، بشكل خاص ، أن نتمكّن من الاقتداء بها . إنَّها تفضِّل الاقتداء على الإعجاب ، وكانت حياتها بسيطة كلَّ البساطة ! ومهما بدت موعظةٌ عن العذراء القديسة جميلةً بحدِّ ذاتها ، فلو أجبرنا طوال الوقت على إطلاق : آه !... آه !... فحسبنا موعظة .

كم أحبّ أن أُرنِّمَ لها :

« طريق السماء الضيق جعلته ظاهراً (كانت تقول : جعلته سهلاً)

(**متى** ٧| ١٤).

« بممارستك دائماً أوضع الفضائل ».

* ... ماما ! ... آه ! أنا أشكو دائماً !... لنرى ، لكن !... مع ذلك أريد أن أكون مريضةً فعلاً ... ولكن هذا عندما أسعل طوال الوقت ولا أعود أقدر ...

(أوقفنا اليوم حمية[٥٩] الحليب)
داعبتُ جبينها بعد صلاة الليل :

* آه ! يا لها عذوبة !

٢٤ آب

* ١ – هل أنت مثبطة؟

* لا !... ومع ذلك فكل شيء يسير نحو الأسوأ ! أتألم بعنف عند كل تنفّس . وفي النهاية ، لم يصل الأمر الى الصراخ .

(ذلك اليوم ، كانت تتمتّع بمظهرٍ رائق وعذبٍ بشكل خاص).

* ٢ – أريد فعلاً أن أكلِّمكِ !... يا لها من إماتة !... هيا ! هذا يكلِّفني .

* ٣ – ... يا أميمتي ، أتريدين أن أتحدث إليك على كلِّ حال ؟

(كنتُ قد جعلتها تلتزم الصمت منذ فترة طويلة) . وبعد نصف ساعة من ذلك ، في أثناء الفرصة :

* يا أميمتي !... آه ! أنا التي تحبُّك حباً شديداً !

عندما استيقظت في أثناء صلاة الليل :

* ... يا للأسف ! منذ أن بدأتُ أكلِّمك [حتى اليوم]! وأرى أنك لم تفهمي بعدُ من كلامي الكلمة الأولى !

(كانت قد شرحت لي عذابها كأنها في كابوس)

* ... والآن ! أشعر بالسعال يهدِّدني ! وأخيراً !...

– كل شيء يسير نحو الأسوأ، أليس كذلك ؟

* – لا . بل نحو الأفضل .

٤ – كنت أرثي لحالها ، ولما لاحظت الأخت جنفياف أن كلَّ ما يُعملَ لا يجدي نفعاً ، قالت :

---

(٥٩) الحميّة هي Régime أو برنامج أكل منظَّم .

* بلى ! فهذا بالضبط ما يخفِّف عن المرضى .

٢٥ آب

١ - عبرّت لها عن رغبتي في معرفة تاريخ موتها.

* آه ! اما انا فلا أرغب فيه! في أيّ سلامٍ أنا ! هذا لا يقلقني على الإطلاق .

كان باب غرفة التمريض مفتوحاً خلال الصمت وكانت الأخت سان جان دى لاكروا تدخل كل مساء، وتجلس عند قدم السرير، وتنظر إليها ضاحكةً لفترة طويلة .

فقلت لها : ما اقلّ رصانة هذه الزيارة وكم تتعبك !

* - بلى ! إنّه لمؤلم جدّاً أن يَنظروا إلينا ضاحكين، عندما نتألّم . لكنِّي أتصور أن ربّنا على الصليب كان يُنظر إليه هكذا فعلاً، وهو في خضمّ آلامه . وكانت حالته أسوأ لأنَّهم كانوا يسخرون منه حقاً؛ ألم يذكر الإنجيل أنهم كانوا ينظرون إليه وهم يهزّون رؤوسهم (**مرقس** ١٥/ ٢٩)؟ وهذه الفكرة تساعدني على أن أقدم له هذه التضحية من كلِّ قلبي .

٢ - لكم تتألّين ! آه ! كم هذا قاسٍ ! هل أنتِ حزينة ؟

* - آه ! لا لست تعيسة على الإطلاق . إنَّ الله يعطيني فقط ما أستطيع تحمُّله .

٣ - كنّا قد حملنا إليها من قبل امرأة خالي أغصاناً تحمل أزهاراً جميلةً اصطناعيةً من إذن الفأر[٦٠] . فوضعناها لتزيين صُوَرها.

خلال فترة الصمت، وبنبرةٍ طفولية وظريفة للغاية [قالت] :

* كنتُ أتمنّى أن يُقدَّم لي شيءٌ ما، ولم أكن اتفحّص نفسي كثيراً لاعرف لماذا ولا ما هو؛ لكن كنتُ أتمنّى، ثم، قُدِّم لي هذا الشيء .

٤ - للأسف يا بُنيّتي المسكينة، بوسعك أن تقولي فعلاً: «**ما أطول غُربتي !**» (**مزمور** ١١٩/ ٥).

* - لكن، أنا لا أراها طويلة؛ وليس لأنني أتألّم ستكون أطول.

---

(٦٠) Myosotis.

٥ - كانت تتأوه بهدوء:

* ... آه! لكم أشكو! ومع ذلك لا أريد أن أتألم أقل.

٦ - كانت تتوسّل إلينا أن نصلّي وأن نطلب الصلاة من أجلها:

* ... آه! كم يجب الصلاة من اجل المحتضرين! لو كنا نعرف!

* أعتقد أن الشيطان طلب من الله الإذن ليجرِّبني بألمٍ شديد، حتى يجعلني أفقد صبري وإيماني.

وتكلّمت الى الاخت ماري للقلب الأقدس على ترتيلة صلاة النوم وعلى تجارب روح الظلمات وأشباح الليل.

٧ - كان عيد القديس لويس، وكانت قد صلَّت صلاة حارة الى بابا من دون أن تُستجاب.

* ... بالرغم ممَّا شعرت به لأَوّل وهلة، ردّدت لله أنني أحبّه أكثر من قبل، وجميع القديسين أيضاً.

٨ - كنتُ أشاطرها حزني لما عليها ان تتألّه بعدُ:

* أنا مستعدَّة لكل شيء... ترين، مع ذلك، حتى الآن، لم أشعر بألم فوق طاقتي.

* ... يجب الاستسلام. أريد أن تفرحي.

* ٩ - ... آه! نعم، أريد فعلاً! نعم! لكن هذا هو حقّاً!...

- ما هو إذا؟

* - سأختنق!

٢٦ آب

١ - كنَّا قد تركنا الشمعة المباركة مشتعلةً طوال الليل.

* إنَّني بسبب الشمعة المباركة لم أمضِ ليلةً سيئة للغاية.

٢ - إلى أمنا، خلال فترة التأمّل:

* أنا مسرورة جداً بأنّي لم أطلب شيئاً من الله؛ فهو، على هذا الشكل، مجبرٌ على أن يمنحني الشجاعة.

٣ - قلت لها إنّها خلقت لتتألّم كثيراً، وإنّ نفسها كانت قد جُبلت عليه:

* آه! أن أتألم بالنفس، نعم، يمكنني كثيراً... أما في آلام الجسد، فأنا مثل طفلة، صغيرةٍ جدّاً. أنا لا أفكّر، بل أتألم دقيقة فدقيقة.

٤ - كان عليها أن تعترف:

* يا أميمتي، لديَّ كلامٌ كثير أقوله لكِ، لو كنت استطيع. لا أدري إن كان يجب أن أقول للأب يوف بأن قد راودتني نزعاتُ شراهة، لأنني فكرت في أشياء أحبّها، لكنّي اقدِّمها لله.

٥ - كانت تختنق.

* ... آه! سأختنق! ...نعم!...

(كانت تشتكي بصوتٍ عذبٍ، والنَعَم مثل صرخة صغيرة).

٦ - في أثناء صلاة الليل أشرت عليها بأن تتحرّك كما يحلو لها لتنعمَ بقدرٍ ضئيل من الراحة.

* ... كم يصعب أن أجد راحة مع كلِّ ما أُعاني!

٧ - كانت قد انحلّت قطبةٌ في بطانة قميصها! فحاولتُ إصلاحها، لكن الأمر كان صعباً جداً، وكنت أسيء العمل، وأُتعبتها كثيراً. فضاقت ذرعاً وقالت لي بعد ذلك:

* يا أميمتي، كم يجب ألّا نندهش من أنَّ تحنقَ ممرضةٌ مسكينةٌ احياناً على مرضاها. ترين كم أنني صعبة! كم أحبّك!... أنتِ وديعة جداً. وأنا عارفة بجميلك كثيراً وكثيراً، وأبكي لذلك كثيراً!

٨ - ما أطول مرضَكِ، يا صغيرتي المسكينة!

* آه! لا، لا أجده طويلاً. وعندما سينتهي، سترين أنه لن يبدوَ لكِ طويلاً.

* ٩ - يا أميمتي، كم يلزمنا عونُ الله عندما نتألّم بهذا القدر!

٢٧ آب

١ – آه ! يا لتَعاستنا عندما يصيبنا المرض !

* – كلّا فلسنا تعساء اذا كان المرض للموت . يا للأسف ! كم هذا مضحك أن يتملّكنا خوفٌ من الموت !

* ... في النهاية ، عندما نكون متزوِّجين ، عندما يكون لنا زوج وأولاد ، فالامر مفهوم ؛ لكن أنا التي ليس لها شيء !...

* ٢ – ... كم أريد فعلاً أن لا يأتي الأسقف لرؤيتي ... في النهاية ، إنَّها لنعمة بركة المطران .

وهي تضحك :

* إلا إذا كان القديس نقولا الذي أقام ثلاثة أطفال !

(كان الأسقف هوغونان في ليزيو).

* ٣ – ألستِ مندهشة ، يا أميمتي ، من طريقة تألّمي ؟

* ... وأخيراً ، أنا أنعمُ بسلام كبير في الصميم .

٤ – لم تتناولي شيئاً منذ هذا الصباح .

* – لم أتناول شيئاً ! لكني شربت فنجانيَ حليب ، فأنا محشوَّة[٦١]. إني حزمة ، فلا داعي للشراء منها .

* ٥ – إني أجعل الأُخيَّة المسكينة جنڤياڤ هذه تمضي ليالٍ بيضاء .

٦ – في أثناء فرصة الظهر :

قلتِ لي هذا الصباح إنَّك لا تملكين شيئاً ، بينما لديكِ أُخيّات وأُميمة :

* – لا ، لا شيء عندي ، لأنني لا أتركهنَّ !

بشكل لطيف ماكر :

* عجباً ! لو كنتُ أفكّر في أنني أتركهنّ !

---

(٦١) الكلمة الفرنسية تعني مشحوَّة ، وتعني ايضاً قضبان صغيرة وقش ، ومن هنا باقي الجملة (ش .ر .) .

٧ – يا للأسف ! إذا كنتِ ستبقين مريضة حتى الربيع المقبل ! إني خائفة من ذلك ، فما تقولين أنتِ ؟

* – سأقول : نِعمَ الامر !

٨ – مرّت بفترة راحة كبيرة بعد الظهر وأبدت لنا كلَّ أشكال اللطف .

٩ – كانت تعاني من العطش باستمرار. قالت لها الأخت ماري للقلب الأقدس : « أتريدين ماء مثلَّجاً ؟»

* – آه ! أشعر برغبة شديدة فيه !

– لقد ألزمتكِ أمُّنا بأن تطلبي كلَّ ما هو ضروري لك .

* – أنا أطلب في الواقع كلَّ ما أنا بحاجة إليه .

– ألا تطلبين غير الضروري ؟ ألا تطلبين ابداً ما يمكن أن يخفِّف عنك ؟

* – لا ، الضروري فقط . هكذا عندما لا يكون عندي عنبٌ ، فأنا لا أطلبه .

بعد أن شربت بوقت قليل ، كانت تنظر إلى قدحها المُثلَّج :

– قلنا لها ، اشربي بعدُ قليلاً .

* – لا ، فلساني ليس على جفافٍ كافٍ .

٢٨ آب

١ – أدرنا السرير نحو النافذة .

* آه ! كم أنا مسرورة !

* اجلسي قبالتي ، يا أميمتي ، حتى أراكِ جيداً .

٢ – قالت أمنا وأخوات أخريات إنَّها جميلة ، وقد نقلنا إليها هذا.

* آه ! وما يهمّني ؟ اقلَّ من لا شيء ؛ بل إنه يزعجني . عندما نكون على وشك الموت إلى هذا الحد ، فلا يمكننا أن نفرح بذلك .

٣ – خلال صمت الظهر :

* عجباً ، أترين الثقب الاسود هناك(تحت أشجار الكستناء بالقرب من المقبرة) حيث لا

نميِّز فيه شيئاً على الإطلاق ؛ إنَّما أنا في ثقب كهذا من ناحية النفس ومن ناحية الجسد . آه ! نعم ، يا للظلمات ! لكن أنا هناك في سلام .

٤ – كانت شديدة الإرهاق وتئنّ .

* أعتقد أن الله سيكون اكثر سروراً إنّ لم أقل شيئاً .

* ٥ – يا أميمتي ، خذي منِّي هذا الشيء الصغير الجميل الأبيض .

ما هو ؟

* – لقد رحل ! إنَّه شيء صغير جميل يطير خلال الصيف .

(بزرة)

٦ – بينما تنظر ، عبر شقٍّ الستارة الصغير ، الى تمثال العذراء القديسة الموجود قبالتها.

* عجباً ! إنَّها ترصدني !

* ٧ – أحب كثيراً الأزهارَ ، والورودَ ، والأزهارَ الحمراء ، والمارغريت الوردي الجميل .

٨ – عندما كانت تسعل وتقوم بأقل حركة في سريرها ، كانت أغصان اذن الفأر الناعمة تتحرك حول صورها .

* الأزهار الصغيرة ترتجف معي ، وهذا يسرّني .

* ٩ – ... يا قديستي العذراء الطيِّبة ، هاك ما يشدّني الى الرحيل : أُتعب أُخيَّاتي فوق الحد ، ثم إني أسبِّبُ لهنَّ كرباً كوني مريضة للغاية ... نعم ، أريد الرحيل !

١٠ – بعد صلاة الليل .

* يا قديستي العذراء الطيِّبة ، أشفقي عليَّ ... « لهذه المرة »!

٢٩ آب

١ – قرأت لها إنجيل الأحد : مثل السامري (**لوقا** ١٠|٣٠– ٣٧)

* ... أنا مثل هذا المسافر المسكين ، بين حيٍّ وميت : انا نصف حيّة ونصف مائتة .

٢ – إنه لقاسٍ جداً التألم من دون أي عزاء داخلي .

* – نعم ، لكنه ألم من دون قلق . أنا مسرورة بأن أتألم ما دام الله يشاء ذلك .

* ٣ – يا أميمتي ؟

(كانت تناديني) ما تريدين ؟

* لقد إنتهيت من عدٍّ تسع إجّاصات على شجرة الإجاص بالقرب من النافذة . يجب أن يكونِ هناك عددٌ أكبر منها . أنا مسرورة ، ستأكلين منها . إنَّ الثمار لطيِّبة جداً !

٤ – منحتنا هذا المساء قبلةً صغيرة .

٣٠ آب

١ – أمضت الليل بهدوء بالغ مثل ليلة السادس من آب : وكانت سعيدة جدّاً بفكرة أنَّها ربّما ستموت .

* ... ضممتُ يديّ جيداً بكل لطف منتظرة الموت .

٢ – هل ستكونين مسرورة لو أُعلنَ لكِ أنَّك ستموتين بكلِ تأكيد خلال عدة أيام في أقصى حد؟ هل ستفضّلين هذا على أن يُنذروك بأنَّك ستتألمين أكثر فأكثر لفترة أشهر وسنوات ؟

* آه ! لا ، لن أكون أكثر سروراً على الإطلاق . فما يرضيني فقط هو أن أعمل بمشيئة الله .

٣ – وُضعت على السرير الذي يُطوى ودُفعت حتى باب الخورس الذي يوصل الى ما تحت الحصن . وتُركت هناك لوحدها فترة طويلة . فصلّت وهي توجّه نظرةً عميقةً جدّاً الى المصبّحة . وبعدها نثرت هناك بتلات ورود .

صوّرناها قبل الدخول .

وجاء الطبيب لانييل وقال لها : «إنَّ الأجل لقريب ، يا أُخيتّي ، أنا متأكدٌ من ذلك» . عندئذ نظرت إليه بابتسامة ملؤها السعادة .

أتى الأب يوف أيضاً وقال لها هذا الكلام الذي نقلته اليّ :

« لقد تألمتِ أكثر مما تتألّمين الآن .

... « إننا ننهي معاً خدمتنا ، أنت ككرملية ، وأنا ككاهن» .

٣١ آب

١ – زيارة جديدة للطبيب لانييل.

٢ – إنّ متٌّ غداً، ألن تشعري بقليل من الخوف، وقد يكون الأمر قريباً جداً؟

* – آه! حتى ولو متُّ هذا المساء، فلن أشعر بخوف على الإطلاق؛ لن أنعم إلّا بالفرح.

* ٣ – كم يلزمني من الشجاعة لكي أرسمَ علامة الصليب!

* ... آه! يا أُخيَّاتي! آه! يا إلهي! يا إلهي! ... يا إلهي، إرحمني! ... لم يعد بوسعي أن أقول إلّا هذا.

٤ – قريباً، هذا السرير حيث نراكِ الآن سيكون فارغاً! يا له من عذاب بالنسبة الينا!

* – آه! لو كنتُ مكانكِ، كم سأكون مسرورة!

* ٥ – أشعر بشهيَّة تكفي حياتي كلَّها. لقد أكلتُ دائماً كشهيدة، والآن قد التهم كلَّ شيء. يبدو لي أنني أموت جوعاً.

* ... كم تألمت القديسة فيرونيكا!

(كانت قد قرأت أن هذه القديسة ماتت جوعاً).

* ٦ – قالت إحدانا: «كم هي متضايقة! من الممكن جدّاً أن تموت اليوم».

* يا للسعادة!

٧ – في فترة بعد الظهر – قيل لي إنَّها تنام؛ ففتحت عينيها وقالت:

* لكن لا، تقدَّمي، يسرّني جدّاً أن أراكِ.

* ٨ – كم أنا بحاجة إلى رؤية روائع السماء! لا شيء يستهويني على الأرض.

٩ – في أثناء صلاة الليل:

* آه! لا يصدَّق كم أنَّ كلَّ آمالي قد تحققت. عندما كنت أقرأ القديس يوحنا الصليب، كنت أتوسَّل إلى الله أن يُحدِثَ فيَّ ما يقوله، يعني الشيءَ نفسَه كما لو كنت سأَطعنُ في السن، وفي النهاية أن يُتلفَني الحبّ بسرعة، وقد استجاب لي.

١٠ – بعد أن نظرت طويلاً إلى تمثال القديسة العذراء:

* ... مَن كان يمكنه أن يخترع العذراء القديسة؟

١١ – ثم قالت لي:

* ... آه! إذا كنت تحبينني، فكم أحبُّكِ أنا أيضاً!

١٢ – قصَّت عليَّ أنَّها، في الماضي، وطلباً للاماتة، كانت تفكِّر وقت الاكل في أشياء قذرة.

* ... لكن فيما بعد، وجدتُ أن الأمر يكون أكثر بساطة بأن أقدِّم لله ما كنتُ أجده على ذوقي.

* ١٣ – أردت، منذ قليل، أن أتناول عشاءً حقيقيًّا، فأخذتُ حبّة عنب ثم رشفةً صغيرةً من النبيذ وقدَّمتهما للعذراء القديسة. ثم فعلت الشيء نفسه للطفل يسوع، وانتهى عشائي الصغير.

٢ أيلول

١ – ستموتين من دون شك في يوم عيد.

* – سيكون بالفعل عيداً جميلاً جدّاً! لم أشعر قط برغبة في أن أموت في يوم عيد.

* ٢ – ... كانت قد مضت سنتان على وجودي هنا عندما أوقف الله محنتي إزاء الأخت ماري للملائكة، واستطعت أن أفتح لها نفسي... وفي النهاية، عزّتني حقاً.

* ٣ – ... كان يكلِّفني كثيراً أن أطلب القيام بإماتاتٍ على المائدة، لأنني كنت خجولة، ويعلو وجهي الاحمرار؛ لكن كنتُ أمينة في طلبي إيَّاها مرَّتين في الأسبوع. عندما مرَّت تجربة الخجل، صرت أعير ذلك إنتباهاً أقلَّ، وقد نسيت، أكثر من مرة، إماتتيَّ الإثنتين.

* ٤ – كنا نقول لها إنَّها كانت رئيسة العصابة، وإنَّها انتصرت على جميع الأعداء، ولم يبقَ غير اللحاق بها. فقامت عندئذ بحركة نعرفها جيداً، وهي وضع يديها الواحدة منها على الاخرى، على مسافة قصيرة جداً وقالت:

* «عاليةٌ في العائلة، بهذا القدر!»

ثم تظاهرت بأنَّها تبذر شيئاً ما:

* «بوسّي الصغير»[٦٢]

٥ – قالت لها الأخت حنڤياف: «عندما نفكر في أنهم لا يزالون ينتظرونك في سايغون!»

* – سأذهب، سأذهب قريباً! لو كنتِ تعرفين كم سأقوم سريعاً بجولتي.

* ٦ – ... عندما نقبل الإنزعاج الناتج عن سوء تصرّفنا، فإن الله يعود على الفور.

* ٧ – لقد قدَّمت محنتي الباطنية ضدَّ الإيمان خاصةً من أجل أحد أعضاء عائلتنا بالمصاهرة، وهو غير مؤمن. (السيّد توستان Tostain)[٦٣].

* ...آه! نعم، إني أرغب في السماء! «شُقَّ الحجاب عن طيب هذا اللقاء[٦٤]»، يا إلهي!

٣ ايلول

١ – نقلتُ اليها ما قيل لي حول آيات التكريم التي أحيط بها قيصر روسيا في فرنسا.

* آه! كل ذلك لا يبهرني! حدّثيني عن الله، وعن مثل القديسين، وعن كلِّ ما هو حق...

٢ – عندما نفكِّر في أننا نعتني بقديسة صغيرة!

* حسناً، نِعمَ الامر! لكني أتمنَّى أن يقول الله ذلك.

٣ – كانت الأم لقلب يسوع تزدادُ تطلُّباً وكانت المرضات يشكين من أنهنَّ كنَّ ملزمات بالخضوع لنزواتها.

* ... آه! بأيِّ ميل الى كل ذلك كنت سأشعر!

---

(٦٢) Petit Poucet، شخصية معروفة في قصة الاطفال (راجع ملاحظة صفحة ٤٣).

(٦٣) هو رينيه توستان زوج مرغاريت – ماري مودلوند، ابنة اخت السيدة غيران.

(٦٤) عن يوحنا الصليب – **شعلة الحب الحية** ١، ٦.

٤ أيلول

١ – يقال إنَّ الأخت سان – ستانسلاس كانت تسمّيها ملاكاً بسبب ما كانت تمنحها من ابتسامات ومداعبات لأقلّ خدمة .

* ... إني بهذه الطريقة استحوذت على الله ؛ لهذا السبب ، سيُحسن الله استقبالي عند ساعة موتي .

* ٢ – إني لمسرورة كلَّ السرور بأن اللحم يُقرفني ، لأنَّه على الأقل لا أجد فيه لذَّة . (كان يُقدَّم لها قليلٌ من اللحم) .

٣ – لحظة كنتُ أخرج من غرفة التمريض إلى قاعة الطعام ، [قالت لي] :

* أحبُّك .

٤ – قُرِع جرسُ التبشير الملائكي :

* هل عليَّ أن أفكّ يديَّ الصغيرتين ؟

لا ، أنت أضعفُ من أن تقولي صلاة التبشير . نادي فقط العذراء القديسة قائلة : « يا مريم العذراء ! » فردَّدت:

* يا مريم العذراء ، أُحبُّك من كلِّ قلبي .

قالت لها الأخت جنڤياف : « قولي لها إنَّك تحبيِّنها من أجلي أيضاً » . عندئذ أضافت بصوت خافت :

* لأجل « الآنسة ليلي » ، ولأجل ماما ، ولأجل عرّابتي ، ولأجل ليوني والحبيبة ماري وخالي وامرأة خالي وجانّ وفرانسيس ، و « موريس » و « الصغير رولان » وكلّ الذين أحبّهم .

٥ – اشتهت احد انواع المآكل ، وهو بسيط جدّاً من جهة أخرى ، فأعلمت إحدانا خالي بذلك .

* ... هذا مضحك فعلاً أن نُعلِمَ العالم بهذا ! وفي النهاية قدَّمته لله .

قلت لها إنَّ هذا ليس خطأي ، لأنني في الواقع مَنعتُ ذلك . فأضافت وهي تتناول الطبق الصغير :

* لقد قدّمت ذلك لله، فلا يهمّني على الإطلاق . وليعتقدوا ما شاؤوا .

٦ – خلال صلاة الليل !

* يا أميمتي ، آه ! كم أحبُّك !

وبذلت جهداً لتتكلّم وعليها ابتسامة جميلة .

* لِنقل شيئاً ما على كلٍّ حال ، لِنقل ...

* ... لو كنتِ تعرفين كم يجعلني هادئة التفكير في الذهاب قريباً إلى السماء ! مع ذلك ، فأنا سعيدة جداً ؛ لكن لا يسعني أن أقول إنني اشعر بفرح شديد وبنشوة السرور ، لا .

٧ – وعلى كل حال ، أتفضّلين الموت على الحياة ؟

* يا أميمتي ، لا افضّل شيئاً على آخر؛ ولا أستطيع القول مثل أمّنا القديسة تريزا : « أموت من أنني لا أموت». ما يفضّله الله ويختاره لي ، فهذا أكثر ما يعجبني .

٥ أيلول

١ – ألا تشعرين إذاً بحزنٍ أن تتركي « ماما » ؟

(بِسمَةٍ طفولية رقيقة) :

* لا ! ... لو لم يكن هناك من حياة أبدية ، إيّ ! نعم ... لكن قد يكون هناك حياة ... بل من المؤكّد !

٢ – لو قيل لكِ إنّك ستموتين فجأة ، في هذه اللحظة بالذات ، هل ستصابين بشيء من الذعر ؟

* ... آه ! يا للغبطة ! أريد الرحيل !

* إذاً ، أنتِ تحبّين الموت أكثر من الحياة ؟

* لا ، ابداً . لو شفيتُ ، لنظر إليَّ الأطباء مبهوتين فأقول لهم : « أيُّها السادة ، أنا مسرورةٌ جداً بكوني شفيت كي اتابع خدمتي لله على الارض ، ما دامت هذه مشيئته . لقد تألمت كما لو كان عليَّ أن أموت ؛ حسناً ! سأبدأ مرّة ثانية !»

* ٣ – اشارت بأصبعها إلى كأسها ، كأس الماء المحمرّ ، وقالت برقّة ولطف :

* أعطيني لأشرب ، يا أميمتي ، إذا تفضَّلتِ . فيها ثلج ، وهذا لذيذ !

وبعد أن شربت :

* لقد شربتُ من دون عطش ! أنا طفلةٌ أشرب من دون عطش .

قلت لها إنَّها تألمت أقلّ خلال فترة الصمت :

* آه ! بالقدرِ عينه تماماً ! تألمت كثيراً ، وكثيراً ، ولكنّي ، شكوت أمري إلى العذراء القديسة .

٤ - زارها الطبيب لانييل الذي قال لها ، بعد أن كان قد أكّد لها ما قاله في معاينته السابقة إنَّها كانت على وشك الموت ، وفي الإمكان أن تموت فجأة وهي تتقلب في سريرها : « أنت مثل مركبٍ لا يتقدَّم ولا يتراجع » .

بدت أولاً في غاية الدهشة [وقالت لي]:

* لقد سمعتِ ؛ أترين كم إنّ الحالة تتغيّر! لكن أنا لا أريد التغيير ، أريد أن أتابع استسلامي الكليّ إلى الله .

٦ ايلول

* ١ - ... قولي لي بعض الكلمات الرقيقة العذبة ، بعد ما حصل أمس .

آه ! ما العمل حتى أعزِّيكِ ، يا صغيرتي المسكينة ؟ أنا عاجزة فعلاً .

.... وقد بدا عليها السلام :

* لست في حاجة إلى أن أُعزَّى...

٢ - بكت فرحاً بعد الظهر حين حملنا إليها ذخيرةً من المكرّم تيوفان ڤينار .

قدمت لي بحنان كثير زهرة لؤلؤية صغيرة بمناسبة ذكرى ميلادي وبدت لنا ، طوال بعد الظهر ، ودودةً جداً ورائعةً على كل صعيد . فقلت لها :

لقد لاحظت أنك تعودين الى ما كنت عليه سابقاً ما إن تستطيعين .

* آه ! هذا صحيح جداً ! نعم ، عندما أستطيع ذلك ، أبذل ما في وسعي حتى أكونَ مرحةً وأُرضيَ الآخرين .

٣ – كانت تنتظر الأب يوف حتى تعترف، ولم يستطع المجيء، مما أصابها بخيبة أمل حقيقية. لكنها استعادت فوراً سيماء السلام الجميلة.

٤ – حُمِلَ إليها بعض الطعام: وكانت معدتها على حالٍ أفضل.

* يا للأسف! اين أنا إذاً من مرضي؟ ها أنا آكل الآن!!

٧ ايلول

لم تقل لي كلمة واحدة طوال النهار، وفكّرتُ في ذلك بعد الظهر: لن أحصل على شيء أكتبه اليوم. لكنها قالت لي على الفور، تقريباً:

* آه! ليس هناك من نفسٍ مثلك ...

بعد هذا، راحت تذرف دموعاً غزيرة وقد اعتراها الخوف من أن تكون قد سببّت لي غمّاً في ظرفٍ لم أكن حتى قد تنبهتُ له.

٨ أيلول

جاء عصفور دوريّ صغير يثب على سريرها. وقد أرسلت ليوني إليها بعلبة الموسيقى التي احتفظنا بها؛ ومع أن الألحان ليست دينية فقد كانت عذبةً جدّاً بحيث أصغت إليها بكثير من المتعة.

وأخيراً أتيناها بباقة من ازهار الحقول للاحتفال بذكرى نذرها السنوية. وإذ رأت نفسها مغمورةً إلى هذا الحد، بكت عرفاناً وقالت لنا:

* هذا بسبب التفاتات الله نحوي: في الخارج، أنا مغمورة؛ ومع ذلك، ففي الداخل أنا دائماً في التجربة ... لكن أيضاً في السلام.

٩ أيلول

١ – كنّا قد أدرنا علبة الموسيقى بشدّة، وبدا أنّها انكسرت. وأصلحها أوغست[٦٥]، لكن، منذ ذلك الحين، نقص منها أجملُ نوطة (بالنسبة لأحد

(٦٥) أوغست أكار Auguste ACARD، بستاني وواهف وعامل في كرمل ليزيو من سنة ١٨٨٩ الى ١٩١٢.

الالحان). وشعرتُ بحزن لذلك وسألتها إذا كانت هي أيضاً تشعر بالحزن:

* آه! لا ابداً، لا أشعر بحزن إلَّا لأنَّك تشعرين به.

* ٢ - آه! أعرف ما يعني الألم!

١٠ أيلول

لما عاينها السيّد كورنيير بدا واجماً من حالتها.

فقلت لها بعد رحيل الطبيب: حسناً، هل أنتِ مسرورة؟

* نعم، لكنني تعوّدت على ذلك قليلاً، إنهم يقولون ويناقضون قولهم.

بينما كنّا نرتب وساداتها، عند المساء، أسندت رأسها عليَّ وهي تنظر إليَّ بحنان. هذا ما ذكَّرني بنظرة الطفل يسوع إلى العذراء القديسة عندما كان يصغي إلى موسيقى الملاك، الموجود على صورة تقول فيها عن العذراء القديسة:

* «إنَّها بولين في هيئة المثال».

١١ أيلول

* ١ - الأميمة هي مَنْ ستموت الأخيرة، سنأتي لنأخذها مع تيوفان ڤينار، عندما ستنتهي من العمل لأجلي...

* ... اللهم إلَّا إذا كانت النفوس الصغيرة بحاجة إليها.

* ٢ - أحبُّك كثيراً، وكثيراً!

* عندما أسمع فتحَ الباب، أعتقد دائماً أنك أنتِ؛ وعندما لا تأتين، أحزن كلَّ الحزن.

* أعطِني قبلةً، قبلةً تُحدث ضجّة؛ أخيراً، فلتُحدث شفتاك: «بيست»!

* ولن تعرفي ما أنتِ بالنسبة اليَّ إلَّا في السماء. أنتِ لي كنّارة، وترنيمة... وأكثر بكثير من علبة موسيقى، هيّا! حتى عندما لا تقولين شيئاً.

٣ - كانت قد ضَفَرت إكليلين من أزهار التُرنجان للعذراء القديسة، وكان واحد عند قدميها، والآخر في يدها؛ فقلت لها: تعتقدين من دون شك أنَّ الذي تُمسكه بيدها هو لأجلِ أن تُعطيكِ إيّاه.

* آه ! لا ، هذا كما تشاء ، إنَّ ما أقدِّمه لها فهو لإرضائها .

* ٤ – ... أنا خائفة من أني قد خشيت الموت... لكنّي لن اشعرَ بخوفٍ فيما بعد ، بكلٍّ تأكيد ! وأنا لا آسف على الحياة ، آه ! لا . هذا فقط لأقول لنفسي : ما هو هذا الانفصال السري ، انفصال النفس عن الجسد ؟ إنَّها المرَّة الأولى التي أختبر ذلك فيها، لكنني استسلمت فوراً إلى الله .

* ٥ – أتتفضَّلين بإعطائي مصلوبي لكي أُقبّله بعد فعل الندامة فأكسب الغفران الكامل لصالح نفوس المطهر . لن أعطيها أكثر من ذلك !

* أعطني الآن الماء المبارك . قرِّبي مني ذخيرتَي الأم حنَّة ليسوع وتيوفان ڤينار : أريد تقبيلهما .

بعد هذا داعبت مداعبةً صغيرة صورةَ العذراء الوالدة الخاصة بها ؛ [فداعبت] أولاً الطفل يسوع ثم العذراء القديسة . لم تكن تستطيع أن تنام ؛ فقالت لي :

* أعرف هذا ، إنَّه مكر الشيطان ؛ قد ثار غضبه لأنني لم أنس عباداتي الصغيرة . عندما ، لسبب أو لآخر ، لا أقوم بها ، أنام وأستيقظ بعد منتصف الليل بعدة دقائق . وهذا كأنَّه يهزأ مني ، لأنني فوَّتُ الغفران الكامل .

* ٦ – هل عليَّ أنّ أخاف من الشيطان؟ يبدو لي أن لا ، لأنني أفعل كلَّ شيء بطاعة .

* آه ! لا ، لا أرغب في رؤية الله على الارض . (**يوحنا** ٢٠/ ٢٩) . مع هذا ، فأنا أحبُّه ! أيضاً العذراء القديسة والقديسين كثيراً ، وبالتالي فلا أرغبُ في رؤيتهم .

١٢ أيلول

كان عيد اسم مريم المقدس . فطلبت إليَّ أن أقرأ عليها إنجيل الأحد . لم يكن لديَّ الإنجيل الرعوي وقلت لها ببساطة : في هذا الإنجيل يُنذرنا ربنا أنَّه **ما من أحد يستطيع أن يعمل لسيّدين** » (**متى** ٦/٢٤– ٣٣). عندئذ اتخذت صوت طفل ناعم يتلو درسه وقالته لي من أوله إلى آخره .

١٣ أيلول

١ – كانت أشد مرضاً من العشية وقد تورّمت قدماها. ولم نكن نستطيع القيام بأقلّ حركة حولها، كأن نحرّك السرير قليلاً، وخاصة أن نلمسها من دون أن نؤلمها كثيراً، بقدر ما كانت ضعيفة. لم نكن نفترضها مريضة إلى هذه الدرجة؛ وكانت الاخت ماري للقلب الأقدس، قد جسّت نبضها بعدي لفترة طويلة. فلم تُظهر في البداية أيَّ علامة تعب حتى لا تحزننا؛ لكن في النهاية، راحت تبكي لعدم قدرتها على التحمّل. وعندما رتّبنا وساداتها ومسندها بعد ذلك، تأوّهت وقالت بنبرة لطيفةٍ جداً:

* آه! أريد... أريد...

– ماذا إذاً؟

* – ألّا أُحزن أخيّاتي من بعدُ، ولهذا عليَّ أن أرحل بسرعة قصوى.

في تلك اللحظة، نظرت الى الأخت ماري للقلب الأقدس وابتسمت لها ابتسامة ساحرة؛ فتلك خاصة، من كانت [تريز] تخاف من أن تكون قد أحزنتها أكثر من سواها.

بما أننا لم نتوصّل إلى تسوية وسادتها جيداً، لأننا لم نكن نجسر على تحريكها، قالت لي بلطف وهي تستند الى يديها وتحاول أن ترتّبها بنفسها:

* انتظري، سأدفع بنفسي إلى آخر السرير، وأنا أقوم بحركات جرادة صغيرة.

٢ – كانت إحدى الأخوات قد قطفت لها بنفسجةً من الحديقة، فقدّمتها لها وانسحبت. عندئذ قالت لي صغيرتنا تريز وهي تنظر إلى الزهرة:

* آه! يا لَطيب البنفسج!

وأومأت بعدها إليَّ لتعرف ما إذا كانت تستطيع أن تتنشّقها من دون الخروج من الاماتة.

١٤ أيلول

١ – قُدِّمت لها وردة: فنثرت أوراقها على مصلوبها بكثير من التقوى والحبّ، آخذةً كلَّ تويجةٍ على حدّة تلامس بها جروح ربِّنا؛ وقالت:

* في شهر أيلول، لا تزال الصغيرة تريز تنزع بتلات الوردة الربيعية.

« أريد أن أمسح دموعك ،
« وأورِّقَ لأجلك الوردة الربيعية ».[٦٦]

بما أن البتلات كانت تنزلق من سريرها على أرض غرفة التمريض ، قالت بكثير من الجدّية :

* إلتقطن هذه البتلات ، يا أخيَّاتي ، فهي ستنفعكنّ فيما بعد ... لا تُضيِّعن منها واحدة ...

* ٢ - ... آه ! الآن ...

« لي أمل بأنَّ منفاي سيكون قصيراً[٦٧] !»

٣ - كان الطبيب لانييل قد أكدَّ لها أنَّها لنّ تمرّ في النزاع. وبما أنَّها كانت تتألّم أكثر فأكثر :

* ... لقد قيل لي ، مع ذلك ، أنني لن امرّ في النزاع .

* ... لكن ، على كلٍّ حال ، أريد فعلاً أن اقاسيَ نزاعي .

لو خُيِّرتِ بين مقاساة النزاع أو عدمه ؟

* لن أختار شيئاً !

١٥ أيلول

١ - عندما ستصبحين في السماء ، فإن آلامك الكبيرة اليوم ستظهر لك شيئاً قليلاً ، هيًا !

* - آه ! حتى على الارض ، أجد أن هذا شيئاً قليلاً .

٢ - وفي المساء ، خلال الفرصة:

* عندما كانت الأخت جنڤياف تقول قبل قليل للأخت مرتا التي كانت تسأل عن أخباري : « إنَّها تعبة جداً »! كنت أفكر في نفسي : هذا صحيح ! ، هذا هو الواقع! نعم ، أنا مثل مسافر تعبٍ ومنهكٍ ، يسقط عند نهاية سفره .

---

(٦٦) قصيدة نثر الازهار .
(٦٧) قصيدة العيش بالحبّ .

* ... نعم لكن إنّما أسقط بين ذراعي الله!

* ٣ - قالت لي أمنا بأن ليس عليَّ أن أفعل شيئاً حتى أعدَّ نفسي للموت ، لأنني كنتُ مُعدَّة مسبقاً.

١٦ أيلول

لي وحدي ، حول أسئلة طرحتُها عليها :

* إنَّ ما يجذب علينا الأنوار ومعونة الله حتى نقود النفوس ونعزِّيها ، هو ألَّا نروي كروبنا الشخصية ، لنخفِّف عنا ؛ ومن جهة أخرى ، فهذا ليس تخفيفاً حقيقياً ، فهو يثير أكثرَ مما يُهدِّئ .

١٧ أيلول

* ١ - علينا أن نكون مرحين بالقرب من المرضى :

(كنَّا نُعبر لها عن حزننا)

* - هيّا، يجب الا ننتحبَ مثل أشخاص لا رجاء لهم (١ **طيموتاوس** ٤/ ١٣).

وبشيء من المكر :

* - ستنتهين بجعلي أتأسَّف على الحياة .

آه ! سيغمرنا الاسى !

* - صحيح! قلت هذا حتى أُخيفكِ .

٢ - كانت تتكلّم على طفولتها فروت لي أنَّها كانت قد تلقَّت سلَّة صغيرة وأنَّها صرخت من سعادتها :

* - الآن ، لم أعد أرغب في شيء على الأرض!

ثم كأنَّها تراجعت عن رأيها لتقول بسرعة:

* - بلى ، ما زلتُ أرغب في شيء: في السماء!

١٨ أيلول

١ – قلت لها إنني شعرت بخوف من أن أُتعبها حين أكلِّمها:

* – يا أميمتي، محادثتك تلذُّ لي الى أبعد حد! آه! لا، لا تُتعبني البتّة. إنَّها مثل موسيقى بالنسبة إليّ... وليس هناك اثنتان مثلك على الأرض. آه! كم أحبّكِ!

٢ – كانت تنظر عبر النافذة الى الكرمة المحمرّة كلَّ الاحمرار، والمنبسطة على منسك الوجه الأقدس:

* – الوجه الأقدس يتألَّق بهاءً. انظري، هناك أغصان من الكرمْة البرية حتى ما فوق أشجار الكستناء.

* ٢ – إنني أشعر بتحسُّن بعد ظهر هذا اليوم.

في الواقع كانت تهتم بكل شيء. كانت تنظر بسرور إلى الشرشف الذي كانت تشتغله الأخت جنفياف لمذبح المُصلَّى، ثم إلى حلَّة الأب دوني (Denis).

لكن في الصباح، عندما أخذتها الأخت إيميه ليسوع بين ذراعيها حتى نتمكَّن، ولو قليلاً، من ترتيب سريرها، اعتقدتُ أنَّها ستموت.

١٩ أيلول

كانت قد تلقَّت باقة أضاليا من الخارج. نظرت إليها بمتعة ولامست باصابعها بتلاتها بطريقة لطيفة جداً!

* بعد قداس الأب دُوني، طلبت رؤية كأسه. وبما أنَّها نظرت طويلاً إلى قعر الكأس، قِيل لها: لماذا تنظرين بهذا الإنتباه إلى قعر الكأس؟»

* لأنني أنعكس فيه. كنتُ أحبُّ أن أفعل ذلك في السكرستيا. كنت أسرُّ بأن أقول لنفسي: إنَّ تقاسيمي قد انعكست هناك حيث ارتاح دم يسوع وسينزل من جديد.

* كم مرّة تذكّرت أيضاً أنَّهُ، في روما، كان وجهي قد انطبع في عيني الحَبر الأعظم.

٢٠ أيلول

١ – زارها الطبيب كورنيير وقال لنا إنَّها تعاني استشهاداً حقيقياً. وهو حين خرج عبرَّ عن إعجابه بصبرها البطولي. فردَّدتُ عليها شيئاً مما قاله:

* كيف يمكنه القول إنني صبورة ! فهذا كذب ! لا أتوقف عن التأوّه ، وأتنهّد وأصرخ طوال الوقت : « آه ! رويدك ! » وايضاً : « يا إلهي ، لم أعد أطيق ! أشفق ، أشفق عليَّ ! »

٢ – بعد الظهر قمنا بتغيير قميصها وصُعقنا لضعفها ، لأن وجهها كان قد بقي على حاله . ذهبت لأطلب إلى أمّنا أن تأتي وترى ظهرها . فتأخرت كثيراً ، ثم أعجبت بما ابدت مريضتنا المسكينة من وداعة وصبر في انتظارها . فَعَلاً الدهشُ والأسى أمّنا فقالت بحنان : « ماذا تعني فتاة صغيرة ضعيفة الى هذا الحد ؟»

* – هيكلٌ عظمي !

٢١ أيلول

١ – كنتُ قد أفرغتُ مبصقتها من بدون أن أتفوّه بشيء ، ووضعتها بالقرب منها ، وانا أفكِّر في نفسي : كم سأكون مسرورة لو قالت لي إنّها ستعوِّض عليَّ ذلك في السماء ! وفوراً ، قالت لي وهي تستدير نحوي :

* في السماء ، سأعوِّض عليكِ ذلك .

٢ – قالت الأخت جنڤياف : « عندما أفكِّر في أنّها ستموت !»

* آه ! أجل ! بدأت أصدِّق ذلك للتوّ !

٣ – أن يُقال : ليس عندها تريز صغيرة لتحبّها !

* ... إنَّهُ يدعوني صغيرته تريز !

مَنْ ؟

* – طبعاً ، الاب بلّيير !

كان قد كتب لتوّه . وأردت أن أقرأ عليها رسالته ثانيةً ، لاعتقادي أنني أسرّها بإعادة ذلك الكلام عليها ؛ لكنّها كانت تعبةً للغاية فقالت لي :

* آه ! لا ، كفى ! أنا « تعبة » من الصغيرة تريز !

استدارت نحوي بدلال :

* لكن لست « تعبة » من الحبيبة پولين ، آه ! لا !

٤ – سأذهب لجلي الأواني ، ولديَّ فيه دوران .

* سيكون قاسياً جدّاً بالنسبة إليّ. آه! نعم!

٥ – كانت الأخت جنڤياڤ قد طلبت مني قلماً، وكنت أيضاً بحاجة إليه بدوري، لكني أعرتها قلمنا مع ذلك. فقالت تريز عندئذ بنبرةٍ رقيقة صافية:

* – هذا لطفٌ منكِ.

* ٦ – آه! ما يعني الاحتضار؟ يبدو لي أنني فيه طوال الوقت!!...

٧ – وبينما كنت أمسحُ عينيها، سقطت بعض الأهداب من جفنيها فقالت:

* خذي هذه الأهداب، يا صغيرتي الاخت جنڤياڤ، فعلينا ألا نعطي الارض منها إلا أقلَّ ما يمكن.

عندئذ، تناولت لعبة كلمات حول إسم الأب آلاتير Alaterre (وهو عامل)، شقيق الأخت سان ڤانسان دي پول.

* ومع ذلك يا له رجلٌ مسكين! إذا كان هذا يسرّه[٦٨]!

وعلى هذا الشكل، كانت مرحة دائماً، بالرغم من آلامها الشديدة نفساً وجسداً.

٢٢ أيلول

١ – بعد ان ذكرتُها بعدة مناسبات من حياتها الرهبانية كانت قد عانت فيها كثيراً من الاذلال، أضفت: آه! كم من المرات شعرتُ بالشفقة عليك!.

* أؤكّد لكِ أنه لم يكن من الواجب أن تُشفقي عليَّ بهذا القدر. لو كنت تعلمين كم كنت أعوم فوق كل هذا! كنتُ أخرج قويةً من التحقيرات؛ ولم يكن هناك أشجع مني في النار.

٢ – كانت تريد أن تكلّمني ولم تستطع!

* ... آه! ما اقسى أن أكون في مثل هذا العجز!

* ... معك! كان الأمر عذباً جداً عندما كان بوسعي أن أتحمَّلَكِ! وهذا أقسى ما في الامر.

(٦٨) لعبة الكلمات تفيد أن العامل Alaterre أي الارض، سيتلقّى ما يُرمى في الارض (ش.ر.).

٣ – كنت أنظر الى صورة تيوفان ڤينار، فقُلت : إنَّه هنا بقبعته المنخفضة ؛ وهو لا يأتي على الإطلاق ليصطحبك فيضع حدّاً لحالتكِ .

فقالت ضاحكة :

* آه ! أنا لا أتهكّم من القديسين ... أنا أحبّهم كثيراً ... يريدون أن يروا ...

ماذا ؟ إن كنتِ ستفقدين صبرك ؟

وبشيء من المكر والفكير العميق :

* نعم ! ... خاصة إن كنتُ سأفقد الثقة ... إلى أي حدّ سأدفع ثقتي ...

٤ – كانت قد سمَّت الأخت جنڤياف « بوبونها » ، والأخت ماري للثالوث « دميتها » لأنها وجدت عليها هيئة دمية . وكان ذلك لتسليتنا وليس للّهو أو لعاطفة طفولية . لكنه أسيءَ استعمال هذه التسميات ، فقالت :

* علينا ألَّا نتسمَّى بجميع الاسماء . فهذا ، على كل حال ، لا يليق بالروح الرهبانية .

٥ – لا بدَّ من أن يبدو لكِ الوقت طويلاً جداً؟

* لا ، الوقت لا يبدو لي طويلاً ، بل يبدو لي أنني أمسِ كنتُ أتبع الجماعة وأنني كنتُ أكتب الدفتر .

٦ – يا للمرض الرهيب وكم تألمتِ !

* – نعم !!! يا لها نعمةً أن نؤمن ! لو لم أكن مؤمنة ، لانتحرت من دون أن أتردَّدَ لحظةً .

٢٣ أيلول

* ١ – ... آه ! يا لَكُلّ ما أنا مدينةٌ لكِ به ! ... لذلك أنا أحبُّك ! ... لكن لا أريد أن أكلِّمك على ذلك بعد اليوم ، لأنني قد أبكي .

(وكان البكاء يؤلمها كثيراً) .

– غداً ستكون الذكرى السنوية لاتشاحك بالطرحة ، فسيكون يوم موتك من دون شك .

* أنا ، لا أعرف متى ، وأنتظر دائماً ، لكنّي أعرف أن ذلك لن يتأخَّر .

٣ – كانت تبتسم دائماً ، للواحدة منّا أو للأخرى ، لكننا لم نكن نلاحظ ذلك دائماً .

* ... ابتسمتُ مرّات كثيرة ابتساماتٍ جميلة « لبوبون »، ولأخريات وكانت ضائعة ...

٤ – سمعنا في المساء ما يشبه سجعَ عصفور على النافذة المغلقة. فتساءلنا عمّا يمكن أن يكون. فقالت إحدانا: إنّها ترغلّة. وقالت الأخرى: ربّما كان طيراً من الجوارح.

* – حسناً، إن كان أحد الجوارح، فليَكن! الجوارح كانت تأتي لتأكل الشهداء.

٥ – باحت لها إحدى الأخوات بخبرٍ قليل الاهميّة طالبةً منها الاحتفاظ بسرّه فقالت:

* ... إذا كانت الأخوات يمنعن ذلك، فهذا مقدس... وإن تعلق الأمر بأقل شيء، فيجب ألا يقال.

٦ – بعد صمتٍ طويل جدّاً، نظرت إلى الأخت ماري للقلب الأقدس وإليَّ وكنّا وحدنا في تلك اللحظة بالقرب منها:

* اختيَّ الصغيرتين، أنتما مَنْ ربّياني!...

واغرورقت عيناها بالدموع.

٢٤ أيلول

١ – بمناسبة الذكرى السنوية لاتشاحها بالطرحة، طلبتُ إقامة القداس لأجلها.

* – شكراً على القداس!

* بما أني كنت اراها تتألّم كثيراً، أجبت بحزن: آه! كما ترين، لستِ أكثر راحةً!

* ألأجل التخفيف عني كنتِ قد حصلت على إقامة القداس؟

– إنه لخيرك.

* – خيري، من دون شك، هو أن أتألم.

٢ – قصّت عليَّ مشقة تعرضت لها في الماضي، حين قُلِّمت أشجار الكستناء في وقتٍ متأخرٍ جدّاً من تلك السنة.

* في البدء انتابني حزنٌ مريع وصراعات مريرة في الوقت نفسه. كنت أحب الظلال

كثيراً ! [وعرفت أن] لن يكون هناك منها في تلك السنة . كانت الأغصان الخضراء قد أصبحت حزماً على الأرض ، ولم يبقَ غير الجذوع ! ثم ، فجأة ، تجاوزت ذلك قائلة في نفسي : لو كنت في كرمل آخر ، فماذا كان سيهمّني إن قُطعت أشجارُ الكستناء في كرمل ليزيو ، وحتى كلِّياً ! وشعرتُ بسلام كبير وبفرحٍ سماوي .

٣ – زارها السيّد كورنيير وبدا متأثّراً بقدوتها أكثر فأكثر . فقال لأمّنا : «إنّها ملاك ! ووجهها ملائكي ، وهو لم يتبدّل على الإطلاق ، بالرغم من آلامها الشديدة . لم أرَ مثل ذلك قط . ومع حالة ضعفها العامة ، فهذا يفوق الطبيعة» .

* ٤ – ... كم أودّ لو أركض في مراعي السماء ...

* ... أودّ لو أركض في مراعٍ لا يداس عشبها ، وحيث الأزهار جميلة لا تذبل ، والأطفال الظرفاء قد يكونون ملائكةً صغاراً .

لا يظهر عليك أبداً أنّك تتعبين من أن تتألمي . هل أنتِ كذلك في الواقع ؟

* طبعاً ! عندما لا أعود أتحمّل ، لا أعود أتحمَّل وهذا كلُّ ما في الأمر .

* ٥ – كان بودّي أن أقول للسيّد كورنيير : أضحك لأنك لم تستطع ، على كل حال ، منعي من الذهاب إلى السماء ؛ فلكي أحزنك، عندما سأصير هناك سأمنعك من الذهاب إليها باكراً .

* ٦ – قريباً ، لن أتكلم من بعد غير لغة الملائكة.

ستذهبين إلى السماء بين الساروفيم .

* آه ! لكن إذا ذهبتُ بين الساروفيم ، فلن أفعل مثلهم . بئسَ المصير ! فكلّهم يستترون بأجنحتهم أمام الله ، (**أشعيا** ٦/ ٢) . أما انا فسأحترس من ان أستترَ بجناحيَ .

* يا إلهي ! ... أشفق على الإبنة ... الإبنة الصغيرة !

ثم استدارت بكبير مشقّة.

٩ – كم تداعب تيوفانها : إنّه مكرمٌ جداً !

* – هذا ليس تكريماً ...

– ما هو إذاً ؟

* – إنَّها مداعبات ، في النهاية !

(كانت تداعب صورة تيوفان ڤينار)

١٠ – ... أليس عندكِ حدسُ بيوم موتك ؟

* – آه ! يا أمي ، يا للحدس ! لو كنتِ تعلمين في أي فقر أنا ! لا أعلم شيئاً غير ما تعرفين ، ولا أحزر شيئاً إلَّا لأني أرى وأشعر . لكن نفسي بالرغم من ظلماتها هي في سلامٍ مُدهش .

* ١١ – من الذي يحبُّكِ افضل حبّاً على الأرض ؟....

٢٥ أيلول

١ – كنتُ قد نقلت إليها ما كان قد قيل في الفرصة، عن الأب يوف الذي كان يخشى الموت كثيراً . وكانت الأخوات قد تعّهدن مسؤولية هؤلاء المكلَّفين ببعض النفوس وعاشوا طويلاً .

* ... بالنسبة إلى الصغار ، فسيحاكمون بوداعةٍ قصوى . (**حكمة** ٦/ ٧) وبوسعنا فعلاً أن نبقى صغاراً ، حتى في أقصى الاعباء ، وحتى إن عشنا طويلاً . لو كنتُ قد متُّ في الثمانين ، ولو كنتُ ذهبت الى الصين ، او الى ايِّ مكان ، لكنتُ متُّ لأموتَ صغيرةً بقدر ما أنا عليه اليوم . لقد كُتب أنّه « في النهاية ، سينهض الرب ليخلِّصَ جميع الودعاء والوضعاء على الأرض » . (مزمور ٧٥) إنَّه لا يقول « يحاكم » ، بل « يُخلِّص » .

٢ – كانت قد أطلعتني في يومٍ من هذه الايام الأخيرة علىآلامها الفظيعة :

* يا أمي ، إنَّه لمن السهل كتابة أشياء جميلة في الألم ، لكن الكتابة هي لا شيء ، لا شيء ! يجب أن تكوني في الالم لتعرفي !...

ترك هذا الكلام فيّ انطباعاً مضنياً . وإذ بدت أنها في ذلك اليوم تتذكّر ما كانت قد قالته لي ، نظرت إليَّ نظرة خاصة ومهيبة ، ولفظت هذا الكلام :

* أشعر الآن بوضوح بأن ما قلته وكتبته في كلِّ الامور هو حقٌّ... لقد أردت حقّاً أن أتألَّم كثيراً لأجل الله ، وما زلتُ ، حقّاً ، أرغب فيه .

قيل لها : آه ! ما تقاسيه لفظيع !

* لا ، ليس فظيعاً . إنَّ ضحية الحبّ الصغيرة لا تجد فظيعاً ما يرسله اليها عريسها حبّاً بها.

٢٦ أيلول

لم يبق لها أيُّ قوّة :

* آه ! كم أنا مرهقة !

رأت من النافذة ورقةً يابسةً منفصلة من الشجرة ومحمولة في الهواء بخيط خفيف :

* أنظري، إنَّها صورتي ، لم تعد حياتي معلَّقة الا بخيط خفيف .

وبعد موتها ، في مساء الثلاثين من أيلول بالذات ، سقطت على الارض الورقة المتأرجحة حتى الآن مع الريح ، فالتقطتُها بخيط العنكبوت الذي كان ما يزال عالقاً بها .

٢٧ ايلول

بين الساعة الثانية والثالثة ، كنَّا نعرض عليها أن تشرب . فطلبت ماء لورد قائلة :

* – حتى الساعة الثالثة ، أفضِّل ماءَ لورد ، فشربُه أكثر تقوى .

٢٨ أيلول

* ... ماما! هواءُ الأرض ينقصني ، فمتى سيعطيني الله هواءَ السماء؟...
* ... لم يكن قطّ قصيراً إلى هذا الحد

(تعني تنفُّسَها).

– يا صغيرتي المسكينة ، أنت مثل الشهداء في الحلبة، فنحن لم نعد نستطيع شيئاً لأجلك !

* – آه ! بلى ، إن مجرّد رؤيتك يخفِّف عني كثيراً.

أغدقت علينا ابتساماتها طوال بعض الظهر .

وأصغت بانتباه عندما قرأت عليها هذه المقاطع من فرض القديس ميخائيل: «أتى ميخائيل رئيس الملائكة برفقة عدد لا يحصى من الملائكة. فإليه عهد الله بنفوس القديسين ، حتى يجعلها تبلغ أفراح الجنة».

« يا ميخائيل رئيس الملائكة، لقد أقمتك أميراً على جميع النفوس التي يجب استقبالها » .

أشارت إليّ بيدها الممتدة نحوي ، ثم وضعتها على قلبها ، وهي تعني أنني كنتُ هنا ، في قلبها .

٢٩ أيلول

١ - منذ الصباح ، بدت أنَّها تحتضر ، فأصيبت بحشرجة صعبةٍ جداً ولم تعد تستطيع التنفس . فاستُدعيت الجماعة واجتمعت حول سريرها لتلاوة صلوات المراسم . وبعد ساعة تقريباً ، أذنت أمُّنا للأخوات بالانصراف .

٢ - وعند الظهر ، قالت لأمِّنا :

* يا أميّ ، هل هو الاحتضار ؟... ماذا سأفعل حتى أموت ؟ لن أعرف أبدا كيف أموت !...

٣ - قرأتُ لها ، أيضاً ، عدَّة مقاطع من فرض القديس ميخائيل وصلوات المحتضرين بالفرنسية . وعندما ورد موضوع الشياطين ، قامت بحركة طفولية كأنَّها تهدِّدهم وصرخت مبتسمة ، وبنبرةٍ كانت تعني : لا أخافهم .

* آه ! آه !

٤ - بعد زيارة الطبيب ، قالت لأمِّنا :

* هل [سأموت] اليوم ، يا أمي ؟

- نعم ، يا صغيرتي .

فقالت إحدانا عندئذٍ : إنَّ الرب مسرورٌ جداً في هذا اليوم .

* أنا أيضاً ! إذا متُّ على الفور يا لها من سعادة !

* ٥ - ... متى سأختنق تماماً ! ... لم أعد أحتمل ! آه ! صلُّوا من أجلي !... يا يسوع ! يا مريم ! ... نعم ! أريد ، أريد حقّاً ...

* ٦ -أتت الأخت ماري للثالوث ؛ وبعد بضع لحظات طلبت منها تريز بلطف كثير ، أن تنسحب . وعندما رحلت قلت : يا صغيرتي المسكينة ، كانت تحبُّك حبّاً جمّاً .

* – هل أسأت اليها بصرفها؟

فبدا الحزن على وجهها، لكني طمأنتها بسرعة.

* ٧ – (الساعة ٦) تسللت حشرة إلى كمِّها. ولما حاولنا إخراجها ازعجنا تريز:

* دعيها، هذا لا يهمّ.

– لكن بلى، فسوف تعقصك.

* لا، دعيها، دعيها، أقول لك إنني أعرف هذه الحشرات.

٨ – أصبت بوجع شديد في رأسي وأطبقت عينيَّ بالرغم عنِّي وأنا أسهر عليها.

* نامي ... وأنا أيضاً!

لكنَّها لم تستطع النوم وقالت لي:

* يا أميّ، ما أشدّ ألم الأعصاب!

٩ – خلال الفرصة المسائية:

* ... آه! لو كنتِ تعلمين!

(أي لو كنت تعلمين كم اتألّم).

* ١٠ – أريد أن أبتسم لكِ طوال الوقت ولكني أدير لكِ ظهري! هل يحزنك ذلك؟

* (كان ذلك في أثناء الصمت).

١١ – بعد صلاة الليل، عندما جاءت أمُّنا لرؤيتها، كانت يداها مضمومتين وقالت بصوت عذب واستسلام:

* نعم، يا إلهي نعم، يا إلهي، أريد فعلاً كلَّ شيء!...

– فقالت أمنا: إنَّه لمبرحٌ إذاً ما تتألمينه.

* – لا، يا أمي، ليس مبرِّحاً، لكنه كثير، كثير... فقط ما أستطيع تحمُّله.

طلبت أن تبقى وحدها في الليل، لكن أمَّنا لم ترد ذلك. وتقاسمت الأخت ماري للقلب الأقدس والأخت جنفياف هذا العزاء الكبير. ومكثتُ انا في الحجرة الملاصقة لغرفة التمريض، المطلَّة على الحصن.

٣٠ أيلول

الخميس، يوم موتها الثمين

في الصباح، لازمتها خلال القداس. وما كانت تقول لي أيّ كلمة. كانت مرهقة ولاهثة. وكنت أحزر أن آلامها تفوق الوصف. ثم ضمّت يديها لحظة ونظرت إلى تمثال العذراء القديسة:

* آه! بأية حرارة صلّيت إليها! لكن هذا هو الاحتضار الصرف ومن دون أن يمازجه أيُّ عزاء.

قلت لها بضع كلمات فيها شيء من الحنو والمودّة، وأضفت أنَّها أثّرت فيَّ فعلاً خلال مرضها.

* – وأنتِ، وما أعطيتني من تعزيات! آه! إنَّها لكبيرة فعلاً!

يمكن القول من دون مبالغة، إنها قاست طوال النهار كروباً فعليةً. وبدت خائرة القوى. ومع ذلك، فقد فوجئنا أيّ مفاجأة بقدرتها على التحرك والجلوس في سريرها. وقالت لنا:

انظرن ما لديّ من قوة في هذا اليوم! لن أموت! ولا يزال أمامي عدَّة أشهر، وربَّما سنوات!

– فقالت أمُّنا: وإن شاء الله ذلك هل ستقبلين؟

فباشرت الإجابة وهي قلقة:

* لا بدَّ من ذلك فعلاً...

لكنها تمالكت نفسها فوراً، وقالت بنبرة استسلام فائقة وهي تسقط على وساداتها من جديد:

* أريد ذلك بطيبة خاطر...

استطعت التقاط هذه الهتافات، لكن كان من المستحيل جداً إعادة نبرتها:

* لم أعد أصدّق بأني سأموت... لم أعد أصدّق إلّا الألم... ومع ذلك فهذا أفضل!
* يا إلهي!...
* إنّي أحبُّ الله.

* ايتها العذراء القديسة الرؤوفة، هلمّي الى نجدتي!

* إن كان هذا هو الاحتضار، فما يكون الموت ؟!... آه! يا إلهي الرؤوف!... نعم، إنّه لكثير الرأفة، أجده رؤوفاً جدّاً...

بينما تنظر إلى العذراء القديسة:

* آه! تعرفين أنني أختنق!

وإليّ:

* لو تعرفين ما يعني الاختناق!

– سيعينك الله، يا صغيرتي المسكينة، وسينتهي كلُّ شيء قريباً.

* – نعم لكن، متى ؟

... يا إلهي أَشفق على ابنتك الصغيرة المسكينة! أشفق عليها!

وإلى أمنا:

* يا أمّي، أؤكد لك أن الكأس طافحة!...

* ... لكن الله لن يتركني، بكل تأكيد...

* ... فهو ما تركني قط.

* ... نعم، يا ربي، كلّ ما تشاؤه، لكن أشفق عليَّ!

* ... يا أخيَّاتي! يا أخيّاتي، صلِّين لأجلي!

* ... يا إلهي! يا إلهي! أنت الكثير الصلاح!!!

* ... آه! أنت صالح! أعرف ذلك...

بعد صلاة الستار، وضعت أمُّنا على ركبتيها صورةً لسيِّدة جبل الكرمل.

نظرت اليها للحظة. وعندما أكَّدت لها أمُّنا أنَّها ستداعب العذراء القديسة قريباً كما يداعبها الطفل يسوع في هذه الصورة، قالت:

* يا أمِّي، قدِّميني بسرعة للعذراء القديسة، فأنا طفلة لم تعد تستطيع الاحتمال!... أعدِّيني لأموت ميتةً صالحة.

فأجابتها أمنا بأنَّها كونها فهمت دائماً التواضع ومارسته، فإنَّ إعدادها قد تمَّ. فكَّرت للحظة ولفظت باتضاع هذا الكلمات :

* نعم ، يبدو لي أنني لم أبحث قط إلَّا عن الحقيقة ؛ نعم ، لقد فهمت تواضع القلب ... يبدو لي أنني متواضعة .

وردَّدت أيضاً :

* كل ما كتبته عن رغباتي في الألم ، آه ! إنَّها الحقيقة ، بالرغم من كل شيء !

* ... ولست بنادمةٍ على أني استسلمت الى الحبّ .

وبإلحاح :

* آه ! لا ، لست بنادمة على ذلك ، بل بالعكس !

وبعد ذلك بقليل :

* لم أكن قط لأصدِّق أنَّه كان ممكناً التألّم بهذا المقدار ! قط ! قط ! يمكن فهمُ ذلك من خلال اشواقي الحارّة الى خلاص النفوس .

حوالي الساعة الخامسة ، كنتُ وحدي بالقرب منها . تغيرٌ وجهها فجأة ، ففهمت أنَّه كان النزاع الأخير .

* وعندما دخلت الجماعة غرفةَ التمريض ، استقبلت جميعَ الأخوات بابتسامة عذبة . كانت تمسك بمصلوبها وتنظر إليه باستمرار .

وخلال أكثر من ساعتين ، كانت حشرجة مرعبة تمزّق صدرها . وكان وجهها محتقناً ، ويداها ملطختين ببقع بنفسجية وقدماها مثلَّجين وكانت ترتجف بكل أعضائها . كان عرقٌ غزير يتصبَّب قطراتٍ كبيرةً على جبينها وتنزلق على وجنتيها . كانت تعاني من ضيق صدر متنامٍ وتطلق احياناً صرخاتٍ صغيرةً لا إرادية لكي تتنفَّس .

خلال هذه الفترة المليئة بالقلق بالنسبة إلينا ، كنا نسمع عبر النافذة – وكنت أتألم من ذلك كثيراً – صخباً من تغاريد عصافير أبو الحن ، وعصافير صغيرة أخرى . وكان هذا الصخب قويا ولفترة طويلة للغاية ! فتضرعت إلى الله ليسكتها ، لان هذه المعزوفة كانت تخرق قلبي ، وخفتُ من أن تُتعب صغيرتنا المسكينة تيريز .

وبدت لحظةً وكأن فمها صار شديد الجفاف بحيث إن الأخت جنڤياف ، فكّرت في

التخفيف عنها، ووضعت على شفتيها قطعة ثلج صغيرة. فقبلتها واهدت إليها ابتسامةً لن أنساها أبداً. وكانت بمثابة وداع أخير.

وفي الساعة السادسة، عندما قرع جرس صلاة التبشير، نظرت طويلاً إلى تمثال العذراء القديسة.

وأخيراً، عند الساعة السابعة وبعض الدقائق، لما صرفت أمُّنا الجماعة، تنهّدت:

* يا أميّ! أولستُ بعد في الاحتضار؟ ... ألن أموت؟...

– نعم، يا صغيرتي المسكينة، إنَّه الاحتضار، لكن قد يشاء الله أن يطيله لبضع ساعات.

فاستأنفت بشجاعة:

* حسناً! ... هيا!... هيا!...

* آه! لا أريد أن أتألم لفترة أقل...

وبينما تنظر إلى مصلوبها:

* آه! أُحبُّه!.............

يا إلهي ... إني أحبك!..........

.... وفجأة، وبعد أن نطقت بهذه الكمات، سقطت إلى الوراء رويداً، ورأسها منحنٍ إلى اليمين. وقرعت أمُّنا جرسَ غرفة التمريض بسرعة لاستدعاء الجماعة.

– وقالت في الوقت نفسه: «إفتحنَ جميعَ الأبواب». كان في هذا الكلام شيء من المهابة، وجعلني أتصوَّر أن الله في السماء كان يقول أيضاً هذا الكلام لملائكته.

كان للأخوات وقت كافٍ لأن يركعن حول السرير ويشاهدن انخطاف القديسة الصغيرة المُحتضرة. وقد استعاد وجهُها لونَ الزنبق الذي كان عليه في عزّ صحّتها، وكانت عيناها تحدِّقان في الأعلى وتلمعان بالسلام والفرح. وحرّكت رأسها ببعض حركاتٍ، كما لو أنها جرحت بسهم حب، ثم سُحبَ السهمُ ليجرحها من جديد...

فدنت منها الأخت ماري للإفخارستيا تحمل مشعلاً لترى عن كَثَب، نظرتها السامية. وعلى ضوء هذا المشعل، لم تظهر أيُّ حركة من جفونها. ودام هذا الانخطاف ما يعادل فترة تلاوة قانون الإيمان، ولفظت نفسَها الأخير.

بعد موتها، احتفظت بابتسامة سماوية. وكانت تتمتّع بجمال خلّاب. كانت تمسك بمصلوبها بقوة لدرجة أنَّه توجَّب انتزاعه من يديها لتكفينها. لقد أتممتُ والأخت ماري للقلب الأقدس مع الأخت إيميه ليسوع، هذه الخدمة؛ ولاحظنا عندئذ أنَّها لم تكن تعطي أكثر من ١٢ إلى ١٣ سنة.

وبقيت أعضاؤها طريَّةً حتى دفنها، يوم الإثنين الواقع فيه ٤ تشرين الأول | اكتوبر ١٨٩٧.

الأخت أنييس ليسوع

ر.ك.غ.م.

ملحق

٣٠ أيلول

* ... كل رغباتي الصغيرة قد تحقَّقت ...فذاك (الموت حبّاً) العظيم يجب أن يتحقَّق!

بعد الظهر

* آه! كم لديَّ من القوة في هذا اليوم!... لديَّ منها لعدّة أشهر. وغداً، وكلَّ يوم، سيكون الأمر أسوأ.
* ... حسناً! هذا أفضل.
* لا أستطيع أن أتنفَّس، لا استطيع أن أموت!...
* ... لن أعرف أبداً أن أموت!........
* .... نعم، يا إلهي!.... نعم!........
* ... أريد أن أتألم بعد.............

حوالي الساعة الخامسة، أسقطت الأم ماري دي غونزاغ ذخائرها، وهي ذخائر الطوباوي تيوفان ڤينار والأم حنة ليسوع التي كانت معلَّقة على ستارتها، إلى اليمين. فرفعت هذه الذخائر، ولامستها تريز بمداعبة لطيفة.

كلمات تريز الأخيرة

الى سيلين

تموز/يوليو–ايلول سبتمر ١٨٩٧

١٢ تموز

١ – وسط احدى المحادثات، توقفت صغيرتي تريز فجأة ناظرة إليَّ بعطف وحنان. ثم قالت:

* آه! ... إنَّ أخيَّتي جنفياڤ هي بكل تأكيد، أكثر من سيشعر برحيلي، وأجدها أكثر مَنْ يُرثى لها، لأنها ما إنْ تنتابها كُربة حتى تأتي للقائي، ولن تجد أحداً...

* ... نعم، لكنّ الله سيهبها القوّة ... ثم، إني سأعود!

ثم توجّهت إليّ قائلة:

* سآتي لآخذك في أقرب وقت ممكن، وسأُشرك بابا في القضيّة، فأنت تعرفين جيِّداً أنَّه كان دائماً مستعجلاً ...

(لم ترد أن تقول عبر هذا إنَّه كان مستعجلاً، لكنها لمَّحت إلى طبعه الذي كان يمنعه من أن يؤجِّل إلى الغد ما كان يمكن تحقيقه في العشية. ولم يكن تنفيذ اي قرار اتخذه ليؤَخَّر بين يديه.)

٢ – وفيما بعد، بينما كنتُ أقوم من حولها بوظيفتي كممرضة وأتكلّم كالعادة على الفراق القريب، دنْدَنَت، وهي تحلّني في محلها، هذا المقطع الذي كانت قد نظمته وهي ترنِّم:

* **«إنها لي، من أتتِ السماء عينها**
«السماء كلُّها أتت لتسرقها منّي.
«هي لي، أحبّها، آه! نعم، أحبُّها،
«لن يستطيع شيء على الإطلاق أن يفصلنا.

٣ – قلت لها: لن يستطيع الله أن يأخذني على الفور بعد موتك، فلن يكون لي وقتٌ كافٍ لأكون صالحة.

فردّت قائلة:

* هذا لا يهم؛ تذكّري القديس يوسف دي كوبرتينو St Joseph de Cupertino، كان قليل الذكاء، وكان جاهلاً لا يعرف حقّ المعرفة سوى هذا الإنجيل: **طوبى للبطن الذي حَمَلك** (**لوقا** ١١/٢٧). وإذ سئل عن الموضوع عينه، أجاد في الإجابة فأدهش الجميع وقُبل بحفاوة بالغة في درجة الكهنوت مع رفاقه الثلاثة، من دون أيِّ امتحان آخر. وبفعل أجوبته السامية، قرّ الرأي على أن رفاقه لا بدّ أنهم متبحِّرون في الموضوع مثله.

* هكذا، سأجيب عنك، وسيعطيك الله مجّاناً كلَّ ما يكون قد منحني إيّاه.

٤ – وفي اليوم نفسه، بينما كنت أروح وأجيء في غرفة التمريض، قالت لي وهي تنظر إلي:

* يا صغيري ڤاليريان . . .

كانت احياناً تقارن اتّحادنا برباط القديسة سيسيليا وڤاليريان. (**القديسة سيسيليا**).

تموز

١ – كانت تنظر إليّ وتعرض لها بعفوية خواطرُ كهذه:

* سنكون مثل بطتين صغيرتين، وتعرفين كيف تتبع الواحدة الاخرى عن كثب!

* كم سأحزن لو رأيت أيّاً كان على ركبة الله الأخرى؛ فسأبكي طوال النهار! ...

كانت صغيرتي تريز قد تأثرت بمقطع من الإنجيل رفض فيه يسوع لابنيَ زبدى أن يكونا، في السماء، من عن يمينه وعن شماله (**متى** ٢٠/٢٣)، فقالت: «أتصوّر أنَّ الله حفظ هذه الأمكنة لبعض الاطفال...» وكانت تأمل عندئذ أن يكون هذان الطفلان المحظوظان هي وأنا . . . (هذا ما يفسر أسئلتي المتكررة التي تنمّ عن خوفي المحقّ، من الا أكون أستحق هذه الحظوة).

وكانَ حلولُ نعمة: **هذا ما صُنِعَ معي**، بعد حوالي ثلاثة أسابيع من موتها، الجوابَ على هذا التساؤل الحميم الذي صغته فجأة خلال صلاة الساعة الثالثة: - «ألم تقل لي تريزتي إنَّها نالت المكان المرجو، أي أن تكون على ركبتي الله؟ . . .» - في تلك اللحظة عينها كانت الجوقة تقول: « Haec facta est mihi» . . . لم أكن أفهم هذا الكلام (**مزمور** ١١٨/٥٦)؛ فبحثت عن ترجمته ما إن إنتهى الفرض: « Haec facta est mihi» . . . هذا ما صُنِعَ لي.

٢ - كنتُ قد قلت إنني بفقدها سأصبح مجنونة. فاستأنفت:

* إذا كنتِ مجنونة، يا بوبون، فسيأتي «المخلص الصالح» ليأخذك! . . .

(بوبون هو لقب أطلقته عليَّ، بأذن من أمنا، لأنني كنت أخدمها. وباعتبار أنها كانت بحاجة الى مناداتي باستمرار، فقد كان ذلك اللقب أقلَّ إجهاداً لها في اللفظ من اسمي.)

٣ - لدى رؤيتي الأم أنييس ليسوع تكتب كل كلمات ملاكنا الجميلة، بينما لا أسجل، انا، بعجلة إلَّا الكلمات التي كانت موجّهة اليَّ شخصياً، عبرّتُ لها هكذا عن أسفي لعدم قدرتي على كتابة كل شيء:

- «أنا لا أفعل مثل الأخريات، ولا أدوِّن مطلقاً ما تقولين». فأجابت على الفور:

* لستِ بحاجة إلى ذلك، سآتي لآخذك . . .

(قبل أن تُنزَل إلى غرفة التمريض، وكان ذلك في شهر حزيران، رأتني يوماً متكدِّرة من توقُّع رحيلها القريب، فتوجّهتْ الى الطفل يسوع، وخاطبته بحركة ظريفة، كأنها تلقي عليه درساً، رافعةً إصبعها:

* يا صغيري يسوع، إذا أخذتني، يجب أيضاً أن تأخذ الآنسة ليلي[1]. هذا هو شرطي؛ ففكِّر جيداً فيما ستفعله . . . ليس من حلٍّ وسط؛ إمّا أن تقبل او أن ترفض.

٤ - في ٢٢ تموز يوليو، كتبتُ إلى امرأة خالي، السيِّدة غيران:

(١) لقب كانت تريز منذ مرحلة الطفولة تطلقه على سيلين تحبُّباً. السيد توتو هو تريز والآنسة ليلي هيَ سيلين.

... في يوم ليس ببعيد، كنت أقرأ لمريضتي الصغيرة، مقطعاً حول سعادة السماء[٢]، فقاطعتني لتقول لي:

* ليس هذا ما يجذبني ...

- فأجبتها: ما هو اذاً؟

* - آه! إنَّه الحبّ! أن أُحِبّ، وأن أكون محبوبةً، وأن أعود إلى الأرض **لأجعل الحبَّ يُحَبّ** ...

(هذه العبارة ليست في المخطوط الأصيل)

٥ - كانت قد بصقت الدم في الليل. فصارت تدلّني بحركاتها الطفولية، على الصحن من وقت لآخر والفرح يغمرها. وغالباً ما كانت تشير إلى حافته بشيء من الحزن يقول: أريد من ذلك حتى هنا!

فأجبتها بحزن، بدوري:

- «آه! لا يهمّ إن وُجد منه قليلٌ او كثير؛ فالحدث بالذات هو دليل على موتك ...» ثم، أضفت: - «للأسف! أنت أكثر سعادة مني لأن ليست لديّ علامة على موتي!».

* - آه! بلى! إن لديك علامة! إنَّ موتي هو علامة على موتك!...

٢١ تموز

بينما كنت أقوم بخدمتي في غرفة التمريض، واعيد ترتيب الغرفة، كانت تلاحقني بنظراتها. ثم قطعت الصمت فجأة بكلام لم يُبْرِزْهُ أيّ شيء:

* في السماء، ستجلسين بالقرب مني!

وفيما بعد، اشارت إلى مقطع من قصيدة جميلة حول لويس السابع عشر:

* « **ستأتين قريباً معي**

---

(٢) كنت جالسة بالقرب من النافذة (سيلين).

... «تهدهدين الطفل الباكي.
«وبنفحةٍ ساطعة تجدِّدين الشموس
«في مسكنها المتوقّد ...».

* ثم أضع لك جناحين زرقاوين، كمثل شاروبيم قرمزي... ثم ألصقهما بنفسي، لأنك لن تقدري، انت، على ذلك، فستضعينهما إمَّا أدنى وإما أرفع مما يجب.

٢٤ تموز

١ - كانت تعرف قصصاً كثيرة، وقد حفظت كمية من الملامح تستخدمها حسب المناسبة؛ وهذا ما كان يجعل حديثها مزخرفاً وطريفاً. فقالت لي:

* أنتِ نفسٌ حسنة الإرادة، فلا تخافي شيئاً، فعندك «كلبة»[٣] صغيرة تنقذك من كل المخاطر.

٢ - قلت لها: «أنتِ مثالي، وهذا المثال لا أستطيع بلوغه. آه! يا لها من قساوة! يبدو لي أنني لا أملك ما يجب لأجل ذلك، فأنا مثل طفل لا يعي المسافات: بينما يكون على ذراع أمه، يمدّ يده الصغيرة ليسحب الستارة أو شيئاً ما ... وهو لا يدرك أنَّه بعيد عن ذلك جداً!».

* - نعم، لكن في اليوم الأخير، سيُدني يسوع الصالح سيلينه الصغيرة من كل ما تكون قد رغبت فيه، وعندئذ ستأخذ كلَّ شيء.

٣ آب

* إنَّك صغيرة جدّاً: تذكري ذلك، والصغير الصغير لا يملك أفكاراً رائعة...

---

(٣) تلميح إلى إقرار قاله الشيطان للأب سوران Surin، في احدى تعويذاته: «أتغلّب على كلّ شيء، وليس هناك إلّا تلك الكلبة، أعني الإرادة الحسنة: فضدّ هذه، لا استطيع أن أفعل شيئًا.».

٤ آب

١ – لقد أرتني سنواتُ حياتي الرهبانية الأولى طبيعتي تهدَّم تهديماً، ولم أكن أرى حولي غير الأطلال، فكنت أتشكّى غالبًا –. وفي إحدى هذه المناسبات سمعتها ترنِّم:

* **« بوبون، غير الكاملة على الأرض**
* **« ستكونين كاملة في السماوات ! » (تعاد ثلاثاً).**

لحن هذين السطرين هو من نشيد للقديس يوسف:

« يوسف المجهول على الأرض

« كم أنت كبير في السموات ! » (تعاد ثلاثاً).

(كان هذا المقطع الأول من النشيد يبدأ هكذا:

دم نبيل كان يجري في عروقك . . .

وأول سطر من اللازمة:

المجد البشري عابر.

٢ – لكي أخفِّف ألماً شديداً كانت أخيّتي العزيزة تعاني منه في الكتف والذراع من جهة اليمين، تخيلت شريطاً عريضاً مصنوعاً من بياضٍ متني، معلَّقاً في قبة سريرها، يبقى فيه ذراعها متدلياً في الفراغ. لم تستطع ان تستخدم طويلاً طريقة التخفيف هذه، ومع ذلك فقد كانت عارفة بالجميل لهذا الأمر وقالت لي بحنان:

* الرب سيقيم مشانق لبوبون أيضاً.

٣ – قطعتُ أحد الاحاديث وهتفتُ بحزنٍ مشيرةً الى موتها: أنا، لن أعرف أن أعيش **بدونها** !

إستأنفت بحماسة،

* إنَّك على حق فعلاً، هكذا سأحمل لك اثنين [أي جناحين][٤].

---

(٤) العبارة الفرنسية Sans elle بدونها، سمعتها تريز Sans ailes (بدون جناحين)، فقالت: سأحمل لكِ اثنين.

٤ - عندما صرت وحدي مع تريز قلت لها: - «تريدين أن يخرج من بيضة دوري عصفورٌ لذيذٌ مثلك، وهذا مستحيل!»

* - نعم! ولكن سأقوم بلعبة سحرية لأسلّي جميع القديسين. سآخذ البيضة الصغيرة وسأقول للقديسين: أنظروا جيّداً سأقوم باستعراض مسلٍّ.

* ها هي بيضة دوري صغيرة؛ حسناً، سأُخرج منها عصفوراً صغيراً جميلاً مثلي!

* عندئذ سأقول للربّ هامسة، وأنا أعرض عليه بيضتي الصغيرة، لكن بصوت خافت خافت: «أنفُخ فوق البيضة وبدّل طبيعة العصفور الصغير»... ثم، عندما سيعيدها إليَّ سأعطيها إلى القديسة العذراء وسأطلب إليها أن تقبلها... بعدها سأعهد بها إلى القديس يوسف واتوسل اليه أن يداعبها... وأخيراً، سأقول لجميع القديسين بصوت عالٍ جداً:

* «قولوا جميعاً إنكم تحبّون مثلي العصفور الصغير الذي سيخرج من البيضة الصغيرة». على الفور سيهتف جميع القديسين: «نحن مثلكِ نحبّ العصفور الذي سيخرج من البيضة الصغيرة». عندئذ، وبإيماءةِ المنتصر، سأكسر البيضة الصغيرة، ويأتي عصفورٌ جميل صغير ليجلس بالقرب منّي على ركبتي الربّ، وسيكون جميع القديسين فرحين بفرحة لا أستطيع وصفها، وهم يسمعون العصفورين يغرّدان...

٥ آب

١ - حول هذا المقطع من الإنجيل: «**وتكون امرأتانِ تطحنان معاً بالرَّحى، فتُقبَضُ إحداهما وتُترك الأخرى...**» (**متى ٢٤/٤١**).

* - نحن نقوم بتجارتنا الصغيرة معاً، وسأرى جيداً أنّك لا تقدرين على أن تطحني الحنطة وحدك؛ عندئذ سآتي لأذهب بك... إسهري، إذاً، لأنَّك لا تعلمين في أيِّ يوم يأتي ربُّك» (**متى ٢٤/٤٢**).

كانت تذكّرني غالباً بأننا كنّا شريكين. فما الهمّ إنَّ كان الواحد منهما عاجزاً؟ فما داما لا يفترقان فستكون لهما يوماً حصةٌ من المكاسب عينها.

وفي مقارنتها العصفور الصغير على حافة الحصن ينتظر النسر الإلهي وهو لا يتوقف

عن النظر إليه بحبّ ، كانت صغيرتي العزيزة تريز تقول لي دائماً إنّها لم تكن لتتصوّر نفسها أنها وحدها ، بل كان هناك عصفوران صغيران . . .

٢ – كانت تحاول أن ترسّخ فيَّ فقرَ الروح والقَلب عبر كلماتٍ كهذه :

* – على بوبون أن تثبت في موضعها وألّا تحاول أن تكون سيِّدةً كبيرة ، أبداً !

واذ بقي لي تلاوة احدى الصلوات الصغيرة من فرضي ، قالت بنبرةٍ طفولية :

* – هيّا ، اذهبي صلّي صلاة الساعة التاسعة ، وتذكري أنَّك راهبة صغيرة جدّاً ، وأنَّكِ الأخيرة بين الراهبات(٥).

٣ – ستتركينني إذاً !

* – آه ! ولا قيدَ أنملة .

واستعدتُ موضوعي المفضل : – « أتعتقدين أنني لا أزال آمل أن أكون معك في السماء ؟ هذا يبدو لي مستحيلاً ، إنَّه كما لو جعلنا أكتماً(٦) صغيراً يجري ليلتقط ما يوجد في أعلى صاري الحلوى . . . » .

* – نعم ، لكن ! إنْ وُجد هناك عملاق يأخذ الأكتع الصغير على ذراعه ، فهو يرفعه عالياً جداً ويعطيه بذاته الشيء المطلوب !

* . . . هذا ما سيفعله الرب معك ، لكن عليك ألّا تنشغلي بذلك . يجب القول للربّ : « أعرف جيداً أنني لن أكون أبداً مستحقة لما آمله ، لكنّي أمدّ لك يدي كمُتَسوِّلة صغيرة وأنا متأكدة من أنكَ ستستجيب لي استجابة كلّية ، لأنَّك طيِّب إلى أبعد حد ! . . .

٨ آب

– إن كُتِبَت حياتك الصغيرة بعد رحيلك ، أُفضِّل أن اكون قد ذهبتُ قبلاً... أتصدّقين ذلك ؟

(٥) تشابه كلمة None أي صلاة الساعة التاسعة ، وكلمة Nonne وهي كلمة شعبية يُقصد بها الراهبات (ش.ر.) .

(٦) الاكتم هو مقطوع اليد .

* – نعم، أصدّق ذلك، لكن يجب الا تفقدي الصبر . . . أنظري إليّ، كم أنا ظريفة؛ عليك أن تفعلي مثل هذا.

آب

[صورة]

١ – كانت أخيّتي العزيزة تحاول في كل لقاء أن تجرّدني من تعلّقي بذاتي، وتقارن سباقنا بسباق الطفلين اللذين تمثّلهما هذه الصورة. وكانت هي، تنطلق متحرّرة من كل شيء، لا تحمل غير جلباب واحد، وليس في يديها شيء غير أختها التي تجرّها. – وكانت هذه تبدي مقاومة: كان عليها قطف الأزهار، والانهماك بباقة ضخمة بدون ان تترك ايّاً من يديها حرّة.

٢ – في احد الايام قصّت علي هذه القصة الرمزية.

* كانت هناك مرّةً «آنسة» تملك ثرواتٍ تجعلها ظالمة، وكانت تعلّق عليها قيمة كبيرة.

* وكان لها أخ صغير لم يكن يملك شيئاً، ومع ذلك كان في رخاء. ووقع هذا الطفل مريضاً فقال لأخته: «يا آنسة»، إذا شئت وألقيتِ في النار جميع ثرواتك التي لا تفيد إلّا في إقلاقك، لأصبحتِ بوبوني، رافضة لقبك النبيل: «الآنسة». وأنا، عندما سأصبح في البلد الساحر حيث عليّ الذهاب قريباً، سأعود لأصطحبك لأنّك كنتِ قد عشتِ فقيرة مثلي بدون أن تقلقي للغد.

* فهمت «الآنسة» أن أخاها الصغير كان على حقّ، فأصبحت فقيرة مثله، وصارت بوبونه، وما قلقت قط من بعدُ بهمِّ ثرواتٍ بائدة كانت قد رمتها في النار . . .

* ووفى أخوها الصغير بوعوده، وجاء ليصطحبها عندما صار في البلد الساحر حيث الربّ هو الملك، والعذراء هي الملكة والإثنان سيعيشان مدى الابد على ركبتي الربّ وهو المكان الذي اختاراه، لأنهما لم يكونا يستحقّان عروشاً كونهما في فقر شديد ...

٣ – وقالت مرّة أخرى، وهي تُلمّح إلى صورة الطفلين، وإلى ربة منزل لا ينقصها أيُّ شيء في جميع خزائنها:

* «الآنسة وافرة الغنى: عدة أزرار ورد، عدة عصافير تغرّد في أذنها [٧]، تنورة داخلية، أدوات طبخ، ورزم صغيرة . . .»

٤ – وذات مساء، حين رأتني أنزع ثيابي أخذتها الشفقة على ثيابنا الفقيرة، فهتفت مستخدمةً تعبيراً هزلياً كانت قد سمعته:

* – يا لَلمسكينة – يا لَلمسكينة! [٨] كم ثيابك بالية! لكن لن تكوني دائماً على هذا الشكل، فأنا أقول لكِ ذلك!

* ٥ – عندما سأصير في السماء، سأذهب وأغرف من كنوز الرب وسأقول:

* «هذا من أجل ماري، وهذا من أجل پولين، وهذا من أجل ليوني، وهذا من أجل سيلين الصغيرة جداً» . . . ثم أشير إلى بابا:

* «والآن دور الصغرى؛ يجب الإسراع بإحضارها!».

٦ – قصّت عليّ هذا الحلم الذي حلمت به قبيل مرضها:

* كنتِ على شاطئ البحر مع شخصين لا أعرفهما. فاقترح احدهما القيام بنزهة، لكنَّ الرفيقين كانا بخيلين جدّاً، فقالا إنَّه يجب إستئجار حملٍ بدل حمار، حتى يتمكّن الثلاثة من امتطائه. لكن عندما رأيتهِ مثقلاً بهذين الشخصين، قلتِ إنَّك ستذهبين على قدميك.

* ومضى الحمل المسكين محاذياً الأسيجة ينوء بثقله، وبعد قليل سقط منهكاً تحت حمله.

* عندئذ، وعند عطفة طريق، مَثُل أمامك حملٌ صغيرٍ ساحرٌ أبيض ناصع وقدَّم نفسه لك. ففهمتِ حينئذ أنَّ الحمل الصغير سيساندكِ خلال سفر الحياة؛ ثم أضاف: «أتعرفين، أريد أيضاً أن أَخفقَ فيك . . .

* – وبعدها، فهمتُ أنَّ هذه كانت مكافأة على المحبة التي كنتِ تكنّينها لهذين

(٧) إستعارة مقطع كانت قد قرأته، حيث كان المؤلف يمجّد بهذه الطريقة بطله ت. ڤينار: «كان على شفتيه زر ورد وعصفور يغرد في أذنيه».
(٨) لقب كانت تطلقه عليّ غالباً.

الشخصين ، فتحمّلتهما بدون تذمُّر . ولهذا السبب جاء يسوع، بالذات، يعطي نفسه لك .

١٦ آب

نهضتُ في صباحٍ باكر، فوجدت أُخيتي العزيزة شاحبةً يشوّهها الألمُ والقلق . فقالت لي :

* الشيطان من حولي ، لا أراه ، لكنّي أشعر به . . . إنَّه يعذّبني ، إنَّه يمسك بي كما بيد من حديد ليمنعني من الحصول على أقل تخفيفٍ عني ؛ إنه يزيد أوجاعي حتى أيأس . . . ولا أقدر أن أصلّي ! إستطعت فقط أن أنظر الى العذراء : وأقول يا يسوع ! . . . كم هي ضرورية صلاة النوم : أعتقنا من أشباح الليل[٩] .

* أختبر شيئاً غامضاً . . . حتى الآن ، كنت أتألم بشكل خاص في الجهة اليمنى ، لكن الله سألني إذا كنتُ أريد التألم لأجلك ، فأجبت على الفور أنني أريد ذلك فعلاً . . . وفي اللحظة عينها ، استعر الجانب الأيسر بشدّةٍ لا تُصدَّق . . . أتألم لأجلكِ، والشيطان لا يريد ذلك ! .

تأثرت تأثراً عميقاً فأشعلت شمعةً مباركةً؛ وبعد قليل كان الهدوء قد عاد إليها، لكن بدون أن يُزيلَ عنها ألمها الجسدي الجديد .

منذ ذلك الحين ، سمَّت جنبها الأيمن : « جنب تريز »، وجنبها الأيسر : « جنبَ سيلين » .

٢٠ آب

* آه ! نعم ، سآتي لاصطحبكِ، لأنَّك تبدين غير قادرة على الحياة عندما تكونين ظريفة .

---

(٩) عبارة من نشيد باللاتينية معناها: لترتدَّ عنّا أشباحُ الليل كلُّها.

٢١ آب

* عندما سأقول : « أتألم » ، ستجيبين « هذا أفضل » ! – واذ تنقصني القوة ، تُتمّين أنتِ ما أريد قوله .

كان ضيق الصدر في هذا الوقت شديداً. ولكي تساعدَ نفسها على التنفّس ، كانت تقول كما لو كانت حبات سبحة: :«أتألم ، أتألم . . .». لكنها لامت نفسها على ذلك بعد قليل كما لو كان الأمر شكوى، فقالت لي ما أتيت على كتابته .

٢٢ آب

* يا آنستي الصغيرة ؟ أحبكِ كثيراً، وانه لعذبٌ عليَّ جدّاً أن تكوني أنتِ من يعتني بي .

كانت قد نادتني لتقول لي ذلك .

٢٤ آب

كنّا نتكلّم معاً نوعاً من لغة طفولية لم تكن الأخريات ليستطعن إدراكها . وقالت الأخت سان ستانسلاس ، الممرضة الأولى ، بنبرة إعجاب : « ما ألطف هاتين الابنتين الظريفتين، بلهجتهما غير المفهومة!»

وبعد ذلك بقليل قلتُ لتريزتي : – « نعم كم نحن لطيفتان ، نحن الإثنتين ! لكن أنتِ ، أنتِ لطيفة وحدك، اما أنا فلست لطيفةً إلّا معك ! » .

فاستأنفت بحماسة:

* – لهذا السبب سآتي لأصطحبك .

٣١ آب

* بوبون ، أنا أحبُّك كثيراً ! .

٣ أيلول

١ – كنت أمام مدفأة غرفة التمريض في رواح ومجيء لأقومَ بتنظيفها، وكنت قلقةً على شيءٍ لم يكن يتحقّق كما أريد فقالت لي :

* بوبون ، انزعي قلقَ الروح !

٢ – في اليوم نفسه، لكن في مناسبة أخرى ، أبديتُ لها ما خطر لي : « لن تعرف الخلائق أننا أحببنا بعضنا بهذا القدر .»

فاستأنفت :

* لا حاجة بنا الى الرغبة في أن تصدّق المخلوقات ذلك ، بل الأهم هو أن يكون هذا حاصلاً . . .

وبنبرةٍ واثقة :

* نعم ، لكن ! بما أننا سنكون نحن الإثنتين على ركبتي الله !

كانت لها طريقة لذيذة في قول هذا « النعم ولكن » ، وهو تعبير كان خاصّاً بها .

٥ أيلول

* ١ – سأحميكِ ! . . .

٢ – كنتُ حريصةً جدّاً على أيام الآحاد ، وهي وقت حرٌّ كان يسمح لي بتسجيل الملاحظات التي كنت أكتبها على عجل على أوراق مختلفة . فقلت :

– « اليوم هو أحدٌ مُلغى ، فلم أكتبْ شيئاً في دفترنا الصغير » .

فاستأنفت :

* – هذا قياس ليلي ، وليس قياس يسوع ! .

١١ أيلول

* ١ – يا بوبوني ، لستِ بوبون، بعدَ اليوم ، بل أنتِ مرضعتي . . . وتعتنين بطفلة مشرفة على الموت .

استدارتِ نحو الصورة التي تمثل عزيزها الحبيب تيوفان وقالت تخاطبه:

* بوبون تعتني بي بكل مهارة؛ لذلك حالما سأصير في الأعالي سنأتي لنصحبها، نحن الاثنين، أليس كذلك ؟.

* ٢ – أحب كثيراً بوبوني، وكثيراً جداً . . . هكذا عندما سأرحل سآتي واصطحبها لأشكرها على أنَّها اعتنت بي جيداً.

٣ – نظرت إليّ بحنان :

* . . . **ولكني سأعود فأراكم فتفرح قلوبُكم وما من أحدٍ يسلبكم هذا الفرح** (يوحنا ١٦/٢٢).

*

١٦ أيلول

١ – ارتكبت نقيصةً لتوّي فنظرت إليّ نظرة توبيخ قائلة:

* ستكونين بالقرب مني على كلِّ حال!

٢– كانت متأثرةً حتى الدموع من العناية التي أبذلها لها، فهتفت :

* آه! كم أنا عارفة بجميلك يا صغيرتي بوبون المسكينة! . . . سترين كلَّ ما سأفعله لك!

٣ – خشيت أن يصيبها بردٌ وقلت :

– «ذهبت لأبحث لك عن تعزية[١٠] صغيرة». لكنها استأنفت بحماسة :

* – لا : فأنتِ عزائي الصغير . . .

١٩ أيلول

* بوبوني، إنَّها لطيفة، وهي تعتني بي عناية حسنة . . . سأجازيها بالمثل!

٢١ أيلول

* لكي أحبَّك، ها أنذا . . . والذي لا يُحبَّك، لن يكون الله! . . . بل الشيطان.

(١٠) التعزيات هي مجرد قطع قطنية كانت المسؤولة عن الثياب تعطيها مع ألبسة الشتاء.

٢٣ أيلول

* لستِ بحاجة الى أن تفهمي ، (اي ما يفعله الله فيَّ). فأنت أصغر من ذلك...

٢٥ أيلول

* سأموت ، هذا مؤكد . . . لا أدري متى ، لكن هذا مؤكد !

١ – قلت لها يوماً: « ستنظرين إلينا من أعالي السماء ، أليس كذلك ؟ » – أجابتني عندئذ بعفوية :

* – لا ، سأنزل !

٢ – كنتُ أستيقظ عدَّة مرات في الليل ، بالرغم من إلحاحها. وفي إحدى هذه الزيارات وجدت أخيَّتي العزيزة وقد ضمَّت يديها ورفعت عينيها إلى السماء ، فقلت لها:

« ماذا تفعلين إذا على هذه الحال؟ يجب أن تحاولي النوم » .

* – لا أستطع ! أتألّم بشدة ! لذلك أصلّي . . .

– « وماذا تقولين ليسوع » ؟

* – لا أقول له شيئاً ، أحبّه !

٣ – في يوم آخر من أيَّام حياتها، وفي لحظة من لحظات آلامها الشديدة ، توسَّلت إليَّ هكذا :

* آه ! يا أُخيتي جنڤياف ، صلِّي إلى العذراء لأجلي ، سأصلي إليها كثيراً لو كنتِ مريضة ! نحن، بذاتنا، لا نجرؤ على الطلب . . .

(« لا نجرؤ على الطلب لأنفسنا بالذات . . .» هذا هو المعنى) .

كانت لا تزال تتنهّد ، فتوجّهت إليَّ :

* آه ! كم يجب الصلاة لأجل المحتضرين ، لو كنَّا نعرف ذلك !

هذه الكلمات ومعظم الكلمات الاخرى التي كتبتها الام أنييس ليسوع على التوالي ، سمعتُها انا؛ ولم أدوّنها لأني رأيت أنها كانت تُدَوَّن. كنت شاهدةً على جميعها، ما عدا

تلك التي نطقت بها تريز في اثناء ساعات الفرض؛ فالام انييس وحدها كانت تبقى بجانبها.

ولمزيد من التفاصيل، عودة الى شهادتي المخطوطة(١١).

٢٧ أيلول

* يا بوبوني! أشعر بحنان كبير لك في قلبي! ...

٣٠ أيلول

عزيزتي الصغيرة تريز في يوم منفاها الاخير

في يوم وفاتها، بعد الظهر، كنت والأم أنييس وحدنا بالقرب منها، وكانت عزيزتنا القديسة الصغيرة شاحبةً ومرتجفة، فنادتنا لمعونتها... كانت تتألم ألماً مبرحاً في جميع عضلاتها، فوضعت أحد ذراعيها على كتفِ الأم أنييس ليسوع والذراع الآخر على كتفي، ومكثت هكذا وذراعاها على شكل صليب. في هذه اللحظة المذكورة بالذات، دقت الساعة الثالثة، فخطر في ذهننا يسوع على الصليب: ألم تكن شهيدتنا الصغيرة المسكينة الصورة الحيّة عن ذلك؟...

وإجابةً عن سؤالنا: «لأجل من ستكون نظرتُها الأخيرة؟...» كانت قد أجابت قبل بضعة أيّام من موتها: -

«إذا تركني الرب حرَّة، فستكون لأمِّنا» (الأم ماري دي غونزاغ).

وفي أثناء احتضارها، وقبل دقائق فقط من لفظ أنفاسها، كنتُ أمرِّر على شفتيها الملتهبتين قطعة ثلج صغيرة؛ ففي تلك اللحظة، رفعت عينيها نحوي، ونظرت إليَّ بإلحاح نبوي.

كانت نظرتها عَبِقَةً بالحنان، وفي الوقت عينه كان هناك تعبير فائق ملؤه التشجيع والوعود، كما لو كانت تقول لي:

«إذهبي، إذهبي! يا سيليني، سأكون معك!... (هل كشف الربّ لها عندئذ

(١١) في مخطوطة تدعى «**الدفتر الصغير**».

عن الطريق الطويل والشاق الذي كان عليَّ أن أتبعه، بسببها، وهل أرادت بهذا أن تعزّيني عن منفاي؟ لأن ذكرى هذه النظرة الأخيرة، التي كان يشتهيها الجميع أيَّ اشتهاء، والتي حصلتُ عليها، هذه النظرة كانت سندي وكانت بالنسبة إليّ قوة تجلّ عن الوصف).

كانت الجماعة الحاضرة كما لو أنَّها معلقة بهذا المشهد العظيم؛ لكن عزيزتنا الصغيرة القديسة خفضت عينها باحثةً عن أمّنا التي كانت جاثيةً إلى جانبها، في حين أن نظرتها المغشاة استعادت تعبير الألم الذي كانت تنطق به قبلاً.

الكلمات الاخيرة

لعزيزتنا الصغيرة تريز

٣٠ أيلول ١٨٩٧

* ما احسن الالم الخالص لأن ليس هناك من عزاء. لا، ولا اي عزاء!
* يا إلهي!!! ومع ذلك أحبّ الله... ايتها القديسة العذراء الرؤوفة تعالي لمعونتي!
* إذا كان هذا الإحتضار، فماذا يكون الموت؟
* يا أمي! أؤكد لك أن الكأسَ طافحة!
* نعم، يا إلهي، بقدر ما تشاء... لكن أشفق علي!
* يا أخيَّاتي... يا أخيَّاتي... يا إلهي، يا إلهي أشفق عليَّ!
* لم أعد أتحمَّل... لم أعد أتحمَّل! ومع ذلك لا بدَّ فعلاً من أن أقاسي...
* أنا... أنا محطّمة... لا، لم أكن قط لأعتقد أنَّه في الإمكان التألم بهذا القدر... قطّ! قطّ!
* يا أمي، لم أعد أؤمن بالموت بالنسبة إليّ... لم أعد أؤمن إلَّا بالألم!
* غداً، سيكون أسوأ أيضاً! أخيراً، هذا أفضل!

عند المساء

* كانت أمنا قد ردَّت الجماعة قائلة إنَّ الاحتضار سيطول بعد ، فاستأنَفَت المريضة على الفور :

* حسناً ، هيَّا ؛ هيَّا ! لا أريد أن أتألم أقلّ ! . . .

* آه ! أحبّه !

* يا إلهي . . . إني ... أحبّك ! .

كلمات تريز الاخيرة
الى الأخت ماري للقلب الأقدس

٨ تموز

١ – في حديث عن مبتدئة كانت تُتعبها كثيراً، قلت لها : إنَّها بالنسبة إليكِ معركةٌ شهيرة ! هل تخافين منها ؟

* – الجندي لا يخاف من المعركة، وأنا جندي .

(بعد أن وبَّخت المبتدئة عينها) :

* – ألم أقل إنني سأموت والسلاح بيدي[١] ؟

* ٢– « السارق[٢] » بعيدٌ جداً ؛ لقد ذهب ليسرق أولاداً آخرين !

* ٣– نحن الآن في ٨ تموز ، وفي ٩ حزيران ، رأيت السارق . إن كان هذا شأنه فلن يسرقني قريباً . . .

* ٤– لقد وُضعتُ « في سرير الشقاء » ، في سرير يجعل القطار يفوتني . . .

كانت تُلمح إلى الأم جنفياف ، التي كانت قد تلقَّت في هذا السرير عينه المسحة الاخيرة ثلاث مرات .

٩ تموز

بعد زيارة الطبيب الذي وجدها أفضل حالاً .

* – « السارق » رحل أيضاً ! وأخيراً كما يشاء الله .

---

(١) البيت الأخير في **قصيدة ٤٨** بعنوان **سلاحي** .
(٢) الماح إلى انجيل **متى** ٤٣/٢٤ .

١٢ تموز

– لو كان عليك أن تبدأي حياتك من جديد، فماذا كنت تفعلين؟

* – كنت سأفعل ما فعلت.

١٣ تموز

* ١ – لو تعرفين كم أبني من مشاريع، وكم سأصنع من أشياء عندما سأصير في السماء . . . سأبدأ رسالتي . . .

– ما عندك من مشاريع إذاً؟

* – مشاريع أن أعود مع أخيّاتي، وأذهب إلى هناك لمساعدة المُرسلين، وأمنع المتوحّشين الصغار من أن يموتوا قبل أن يُعمَّدوا.

٢ – قلت لها إنني، بعد رحيلها، لن أملكَ، على ما يبدو لي، شجاعةً لأوجّه كلمةً الى أحد، وإنني سأبقى في حالة إحباط.

* – هذا ليس حسب شريعة الإنجيل. يجب أن نصير كلّاً للكلّ. (١ قورنتس ٩/٢٢).

٣ – إفرحي، فقريباً ستكونين قد اجتزتِ متاعب الحياة!

* – أنا، الجنديَّ الباسل! ...

٤ – والعَرّابةُ الصغيرة ماذا عليها أن تفعل؟

* – أن ترتفع فوق جميع ما تقوله الأخوات وجميع ما يفعلنه. يجب أن تكوني كما لو لم تقيمي في ديرك، وكما لو كنتِ ستمضين يومين هنا. ستحذرين في قول ما لا يعجبك إذ إن عليك تركه.

بما أنني كنتُ أنهي كتابة هذه الكلمات خلال قرع جرس صلاة «السلام ايتها الملكة . . .»

* – إنّه من الأفضل، جدّاً جدّاً، أن تضيّعي هذا، وتقومي بفعل انضباط. لو كنت تعرفين قيمته! ...

١٦ تموز

* – لو قال لي الله : « إذا متِّ فوراً فستنالين مجداً عظيماً . وإذا متِّ في الثمانين ، فمجدك سيكون أقل عظمة بكثير ، لكن هذا سيوفِّرُ لي رضىً أكبر » . عندئذ لن أتردَّد في الإجابة : – يا إلهي ، أريد أن أموت في الثمانين ، لأنني لا أبحث عن مجدي ، بل عن رضاك فقط .

* لقد عمل القديسون الكبار لأجل مجد الله ، لكن أنا التي ليست إلّا نفساً صغيرة جدّاً ، أعمل لأجل رضاه فقط ، ولأجل ما يحلو له ، وسأكون سعيدة بتحمّل أكبر الآلام ، حتى بدون أن يعرف الله ذلك ، إذا كان هذا ممكناً ؛ وليس لكي أمنحه مجداً عابراً ، لكن لو عرفتُ ، فقط ، أنَّ الابتسامة قد تعلو ، بسبب ذلك ، شفتيه .

٢٥ تموز

* بانحنائي قليلاً ، كنتُ أرى ، عبر النافذة ، الشمس الغاربة ترمي آخر أنوارها على الطبيعة ، وكانت قمة الأشجار تبدو مغمورةً بالذهب . وكنتُ أقول عندئذ : أيّ فرق لو أننا بقينا في الظل أو ، على العكس ، تعرّضنا لشمس الحبّ ... عندئذ ، نبدو مغمورين بالذهب . إني بسبب ذلك أبدو مغمورةً بالذهب .

* في الحقيقة لستُ كذلك ؛ وسأبتعد عن الذهب إن إبتعدت عن الحبّ .

٢٨ تموز

١ – كنّا نقول إننا نحزن كثيراً إن ضيعنا اوقات التسلية ، لأجل أية أختٍ آخرى ما عداها هي . فأجابتني على الفور :

* – وأنا لكنت سعيدةً للغاية بأن أفعل ذلك ! فإذا كنا على الأرض من اجل ان نتألّم ، فبقدر ما نتألم نكونُ سعداء . . . نحن نزاول المحبة أكثر بكثير إن قمنابخدمة شخص هو أقل جاذبية بالنسبة الينا .

* آه ! كم نجهل ترتيب شؤوننا الصغيرة على الأرض !

٢ – قلت لها : إننا سنكون حقاً سعداء بأن نموت بعد أن تكون قد أمضينا حياتنا في الحبّ .

* – نعم ، لكن يجب أيضاً ألّا تفوتنا محبة القريب .

٢٩ تموز

قلت لها إنَّ بعض الموسيقى الخفيفة في عيد القديسة مرتا، كانت بالنسبة اليها فرصةً لاستحقاقات عديدة. فأجابت على الفور :

* – ليست لي استحقاقات ! بل أن نرضيَ الله . . . لو كنت قد كدَّستُ استحقاقات لكنت يئست على الفور !

١ آب

* لا أدري ماذا سأفعل لأموت . . . آه ! أنا مستسلمةٌ حقّاً . . . كما يشاء الله !

١٠ آب

قلت لها : لقد طلبتِ ألّا تتألّمي كثيراً وها إنكِ تتألّمين إلى هذه الدرجة ...

فأجابتني :

* – طلبت إلى الله ألَّا يُصغيَ إلى الصلوات التي تعيقُ إتمام تدبيره فيَّ وأن يرفع جميع الصعوبات التي تعترض ذلك .

١١ آب

قلتُ لها : ألن أستطيع إذاً أن اكشف مكنونات قلبي للأم أنييس ليسوع ؟

* – لن يَصلُحَ ذلك إلَّا في حال احتاجت الى العزاء . من جانبك ، يجب ألَّا تتحدثي اليها أبداً لأجل عزائك طالما هي ليست رئيسة . أؤكد لكِ أن هذا ما فعلتُه دائماً . لقد منحتْها أمُّنا الأذن بأن تكلّمني، لكن أنا لم يكن لي ذلك الاذن ولم أقل لها شيئاً عن

نفسي. أجد أن هذا ما يجعل الحياة الرهبانية استشهاداً. وبدون ذلك، ستكون الحياة سهلةً وبدون استحقاق.

١٥ آب

١ – يوم ١٣ آب[٣]، وقبل تناول القربان المقدس، أثَّر فيها بشكل خاص فعلُ الاعتراف الذي تلته الجماعة. فقالت لي:

* – عندما سمعت جميع الأخوات يقلن لأجلي: أنا أعترف لله الآب القادر على كل شيء، وللطوباوية العذراء مريم، ولجميع القديسين، فكّرت: آه! نعم، حسَناً نفعل بطلب الغفران إلى جميع القديسين ... لم أعد أستطيع التعبير عن مشاعري. بذلك يجعلني الله أشعر كم أنا صغيرة. وهذا ما يجعلني سعيدة كل السعادة!

٢ – قلت لها: إنَّ ما يحزنني هو أنَّكِ ستتألمين بعدُ كثيراً.

* – أما أنا فهذا لا يحزنني، لأن الله يعطيني كلَّ ما يلزمني.

٣ – قلنا: إنْ كان الله سيأخذها هذه الليلة، فسترحل بدون أن نلاحظ ذلك... يا للحزن الذي سيصيبنا!

* – آه! أجد أن هذا سيكون، بالفعل، لطفاً من جانبه، فكأنه سيسرقني!

٢٠ آب

* – لستُ كالأشخاص الذين يتألمون من الماضي، او الذين يتألمون من المستقبل. أنا، لا أتألم إلّا في اللحظة الحاضرة. فالامر ليس خطيراً.

٢٢ آب

* لا نعرف ما هو أن نتألم على هذا الشكل... لا! يجب أن نشعر به...

وفي آخر ذلك النهار من الآلام المتواصلة:

---

(٣) والحقيقة في ١٢ آب / اغسطس.

* – أترين ما أطيب الله! اليوم، لم أكن أملك القوّة على السعال ولم أسعل تقريباً. الآن وأنا أشعر بتحسّن، فهذا سينتابني من جديد.

٢٧ آب

قلت لها: أتريدين ماءً مثلّجاً؟

* – آه! أنا أشتهي ذلك! . . .

– لقد أجبرتك أمُّنا على أن تطلبي كلَّ ما هو ضروري لك؛ إفعلي ذلك من اجل الطاعة.

* – أطلب كلَّ ما أنا بحاجة إليه.

– إنك لا تطلبين ما يسرك؟

* – لا، بل ما هو ضروري فقط. هكذا عندما لا يكون عندي عنب فأنا لن أطلبه.

بعد أن شربت بوقت قليل، نظرت إلى قدح مائها؛ فقلت لها: إشربي قليلاً.

* – لا، لا أشعر بلساني جافاً.

عندما أفكِّر في أنك ما زلتِ تجدين الوسيلةَ لإماتة نفسك على ما أنت عليه من مرض:

* – ماذا تريدين، لو كنت أصغي الى نفسي لشربت مراراً كثيرة.

١ أيلول

بشأن الأم هـ. لقلب يسوع التي كان يجب ان يُقدَّم لها كثيرٌ من الخدمات الصغيرة:

* – لكم كنتُ سعيدة بأن أكون ممرِّضتها. ربَّما كان هذا قد كلَّفني بحسب الطبيعة؛ لكن يبدو لي أنني كنت قد اعتنيت بها بحبٍّ شديد، لأنني أفكر في ما قاله ربُّنا: **كنتُ مريضاً فعُدتموني** (متى ٢٥/٣٦).

٨ أيلول

* – آه ! القديسة العذراء ! إنَّها لم تأتي لتصطحبني ! . . .

١٧ أيلول

بصدد المقبرة :

* – أنتِ ، أفهم أن هذا يؤثِّر فيكِ بعض التأثير. اما أنا ! فأيَّ تأثير سيؤثِّر فيّ ؟ . . . سيضعون شيئاً ما مائتاً في الأرض؛ هذا ليس كما لو كنتُ في سبات ؛ عندها سيكون الأمر فظيعاً !

٢١ أيلول

كنتُ أرغب في كلمة كما لو كانت تتذكّر الماضي والإخلاصَ الذي أَحطتُها به في طفولتها. فما إن خطرت لي هذه الفكرة حتى نظرت إلينا، أنا والأمّ أنييس ليسوع، وعيناها مليئتان بالدموع ، قائلة :

* يا أختيَّ الصغيرتين، أنتما مَنْ ربَّاني ! . . .

٢٥ أيلول

نظرتُ إليها بحنان .

* – يا عرّابتي، ما أجملكِ عندما يُشعُّ وجهك بشعاع حبّ . – إنَّه غاية في النقاء!

٣٠ أيلول

* – آه ! ما أحسَنَ الألمَ المحض، لأن ليس هناك من تعزيات . . . لا ، ولا تعزية !
* يا إلهي ! ! ! مع أنّي أحبّ الله . . . يا قديستي العذراء الرؤوف: هلمّي الى إعانتي!
* إذا كان هذا الاحتضار، فما يكون الموت؟ . . .
* يا أميمتي المسكينة ، أؤكد لكِ أن الكأس طافحة !

نعم، يا إلهي، كلَّ ما تشاء! . . . لكن أشفق علي!

* يا أخيَّاتي . . . يا أخيَّاتي . . . يا إلهي . . . يا إلهي أشفق عليَّ! لم أعد أحتمل . . . لم أعد أحتمل! ومع ذلك لا بدَّ لي من أن أعاني . . . أنا . . . أنا محطّمة . . . لا، لم أكن قط لأصدِّق أن في الإمكان التألم إلى هذا الحد . . . قط! قطّ!

* يا أمّي، لم أعد أصدّق أني سأموت... أصدّق فعلاً أني سأتألم!

* غداً سيزداد الامر سوءاً؟ في النهاية هذا أفضل!

آخر كلام وهي تنظر الى مصلوبها:

* آه! أحبّه . . .

* يا إلهي . . . إنّي أحبُّك! .

كلمات أخرى إلى الأم أنييس ليسوع

أيّار

أتت يوماً إلى القداس وتناولت ؛ ومع أن دواءً مُنفِّطاً[١] كان قد وضع لها منذ قليل ، أخذت بالبكاء ولم تستطع حضور الساعات. فتبعتها إلى حجرتها، ورسخ في ذكراتي أني أراها جالسة على مقعدها الصغير تسند ظهرها الى حاجز الألواح الخشبية البسيط . كانت مُنهكة وتنظر إليَّ بسمَة حزينة ولطيفة جدّاً ! فازدادت دموعي ؛ وكوني حزرت كم كنتُ أؤلمها ، طلبت منها الغفران راكعةً . فأجابتني ببساطة :

* « ليس كثيراً أن اتألم لاربح مناولة! . . .»

ترداد العبارة ، لا يوحي بشيء ؛ كان يجب سماع نبرتها .

* * *

كانت تسعل كثيراً في تلك الفترة ، خاصة في الليل . وكان عليها أن تجلس عندئذ على فراش القش حتى تخفِّف من ضيق صدرها وتستطيع أن تستعيد تنفسها . كنت قد رغبت فعلاً في أن تنزل الى غرفة التمريض حتى نتمكّن من أن نقدِّمَ لها فراشاً ، لكنَّها كانت تقول إنَّها كانت أكثر سروراً لدرجة أننا تركناها فيها حتى شارفت على الموت ! وكانت تقول :

* – هنا لا يسمعونني أسعل ، ولا أُزعج أحداً ؛ ومن جهة أخرى ، عندما أتلقى عناية فائقة ، لا أشعر باللذة[٢] .

* * *

لدى دواء منفِّط آخر ، كانت ممرِّضتها ، وهي عجوز جليلة ، طيِّبة جداً ومتفانية

---

(١) المقصود هو وضع كاسات هواء حسب العادة القديمة .

(٢) هذه العبارة يُقصَدُ بها الالم الذي تشعر به عندما يأخذها السعال (ش.ر.) .

جداً، قد أجلستها على مقعد في غرفة التمريض هذه المرة. لكن لفرط ما وضعت من وسادات الواحدة أمام الأخرى على ظهر المقعد، حتى تتكئ بمزيدٍ من الاسترخاء، لم تعد المريضة الصغيرة المسكينة تجد نفسها جالسة إلّا على حافة المقعد معروضةً لخطر الوقوع في كلِّ لحظة. وبدل من أن تشكو امرها، شكرت الراهبة بحرارة واستسلمت الى مجاملات على هذه الحالة طوال النهار خلال استقبالها الزيارات اللطيفة: «حسناً، آمل أن تكوني مرتاحةً جيّداً، كم من وسادات عندك إذاً؟ نرى أنَّ أمّاً تعتني بك، إلخ».

خُدعتُ انا، أيضاً، بذلك، لكنَّ ابتسامةً أعرفها لها جيداً أفهمتني كلَّ شيء، و كان الأمر متأخِّراً جدّاً لتدارك ذلك.

حزيران

في ٩ حزيران/يونيو ١٨٩٧، كانت الاخت ماري للقلب الأقدس قد قالت لها إننا سنحزن كثيراً بعد موتها؛ فأجابت:

* آه! لا! سترَيْنَ ... سيكون الأمر كغيثٍ من الورود ...

وأَضافت:

* بعد موتي، ستذهبن ناحية علبة البريد وستجدن فيها تعزيات.

* * *

دوّنت الأم أنييس هذه الذكرى، العائدة لحزيران/يونيو ١٨٩٧، المتعلِّقة بزجاجات اللبن الحليب:

هذا الرسم (الموصوف في الأسفل[٣]) مقطوع من ورقة صحيفة عُثر عليها بالصدفة، كانت الأخت تريز الطفل يسوع قد احضرته بابتسامة ماكرةٍ، في فترةٍ كنت فيها حزينةً جدّاً لأنَّها لم تكن تتناول إلّا اللبن الحليب، كونها مريضةً جداً. كانت هذه طريقةً لتضحكني أنا أيضاً. فقالت لي:

(٣) هذه ورقة منفصلة مخطوطة، تحيط بالرسم المُشار إليه، وهو يمثل كلباً تحثُّه عصا معلّم، وهو يصل راكضاً وفي شدقه زجاجة.

* زجاجة حليبي تتبعني بأمانةٍ زجاجةِ هذا السكران الذي لم نعد نرى غير طرف عصاه، أنظري!

كانت أُخيتّنا القديسة العزيزة في غاية المرح!

تموز

السماء، بالنسبة اليها، كانت بأن ترى الله وتمتلكه كل الامتلاك. وعلى مثال قديسين عديدين، والقديس توما الأكويني بصورة خاصة، لم تكن تتوق إلى مكافأة أخرى غير الله بالذات.

كانت تتذكّر كلمة ربّنا: **الحياة الأبدية هي أن يعرفوك**... (**يوحنا** ١٧/ ٣). وبما أن معرفة الله بالنسبة اليها كانت أن تحبّه، فكان يمكنها القول:

* إنَّ انتظاراً واحداً يجعل قلبي يخفق وهو الحبُّ الذي سأتلقّاه والحبّ الذي سأستطيع منحه.

* * *

طلبتُ إليها تفسيرات حول الطريق الذي كانت تقول إنّها تريد تعليمه للنفوس، بعد موتها:

* يا أمي، إنّه طريق الطفولة الروحية، إنّه درب الثقة والتسليم الكامل. أريد أن أعلّم النفوس الوسائلَ الصغيرة التي جعلتني أنجح على أكمل وجه، وأقول لها بأن ليس هناك غير شيء واحد أفعله على الأرض: هو أن أنثر على يسوع أزهار التضحيات الصغيرة، وأن آخذه بالمداعبات؛ لقد أخذته على هذا الشكل، ولهذا السبب سأُستقبل استقبالاً رائعاً.

آب

كنا ذات مساء في غرفة التمريض، ووجدت نفسها منساقةً إلى أن تبوح لي بكروبها أكثر من المعتاد. ولم تكن قد أفصحت بحريّة عن هذا الموضوع بهذا الشكل. حتى ذلك الحين لم أكن قد عرفت محنتها إلّا بطريقة غامضة. فقالت لي:

* لو كنتِ تعرفين، أية أفكار فظيعة تتملّكني ! صلّي لأجلي لئلّا لا أصغيَ إلى الشيطان الذي يريد إقناعي بأكاذيب كثيرة . إنَّه منطق أسوأ المادِّيين الذي يفرض ذاته على ذهني : مع التقدُّم المطّرد، المستمرّ، سيشرح العلم فيما بعد، كلَّ شيء بسهولة، وسنحصل على السبب المطلق لكل ما يوجد، والذي ما زال مُشكلاً ، لأنَّ ما زال علينا أن نكتشف أشياء كثيرة...

* أريد أن أفعل الخير بعد موتي ، لكنّي لن استطيع ! سيكون الأمر كما هو بالنسبة الى الأم جنڤياڤ : كنا ننتظر رؤيتها تحقّق معجزاتٍ وإذ بالصمت قد اطبق على قبرها...

* يا أمَيمتي ، أويجب أن تتملّكني أفكارٌ مثل هذه عندما نحبّ الرب كثيراً !

* في النهاية ، أنا أقدّم كروبي الكبيرة لأحصل على نور الإيمان للمساكين غير المؤمنين ، ولجميع الذين يبتعدون عن عقيدة الكنيسة .

وأضافت أنّها لم تكن تحاور قط هذه الأفكار القاتمة، ثم قالت:

* إنني أخضع لها قسراً؛ لكنّي في وقت خضوعي، لا أتوقف عن عمل أفعال إيمان .

* * *

* عانيت في الكرمل من البرد حتى الموت منه.

دهشت لسماعها تتكلّم بهذه اللهجة لأنَّ انضباطها في الشتاء لم يكن يكشف شيئاً عن ألمها. ولم أرها قط، في أقسى ساعات البرد، تفرك يديها أو تمشي بأكثر سرعةً او انحناءً من المعتاد ، كما نتصرف بشكل طبيعي عندما نشعر بالبرد .

* * *

خلال هذه الفترة من مرضها ، كم مرّةٍ أثارت ابتسامة الله بصبرها! وكم تحمَّلت من آلام! كانت تئنُّ أحياناً كحمل صغير يُذبح، فقالت لي يوماً:

* تكرّمي، فعلاً، يا أمي، عندما يكون لديك مريضات يعانين أوجاعاً شديدةً بهذا القدر ، ألا تتركي على الإطلاق بالقرب منهنّ أدويةً تكون سامّة . أؤكّد لك أنَّه تكفي لحظةٌ واحدة عندما نتألم إلى هذه الدرجة ، حتى نَفقدَ العقل. فعندئذ سيُشرَب السمّ بكلّ طيبة خاطر.

أيلول

في احد الايام تكلّمت أمّنا إلى الطبيب، بحضورها، عن شراء قطعة أرض جديدة في مقبرة المدينة، كان قد تمّ حديثاً، لأنّه لم يكن من مكان في المقبرة القديمة. وأضافت أنّ من الممكن تعميق الحفر من الآن فصاعداً بشكل يسمح بأن توضع فيها ثلاثة نعوش طباق(٤).

فقالت الأخت تريز الطفل يسوع ضاحكة:

* – عندئذ، هل سأكون أنا من سيفتتح هذه المقبرة الجديدة؟

قال لها الطبيب مذهوشًا بألّا تفكّر بعدُ في دفنها:

* فأجابت: ومع ذلك، إنها فكرة مرحة. لكن إذا كانت الحفرة عميقة جداً، فهذا يقلقني، لأنّه من الممكن أن تحدثَ مصيبةٌ لهؤلاء الذين سينزلونني فيها.

وتابعت على وتيرة المزاح عينها:

* أسمع منذ الآن، أحد الدافنين يصرخ: لا تسحب الحبل كثيراً من هنا! وآخر يجيبه: إسحب من هنا! مهلاً! إنتبه! ويتم الأمر أخيراً! ويهيلون التراب على نعشي ويذهب الجميع....

وبعد ذهاب السيّد كورنيير، سألتها إذا لم تكن تشعر بشيء، حقاً، لفكرة أنّها ستوضَع في التراب وإلى هذه الدرجة من العمق. فأجابتني وقد بدا عليها الاندهاش:

* أنا لا أفهمكِ! وما يهمّني؟ أنا لن أشعر حتى بأقل إشمئزاز لمعرفة أنني سأُرمى في الحفرة الجماعية.

إلى الأخت جنفياف

حزيران

خلال مرضها، كانت قد رافقت الجماعة بمشقّة إلى مَنْسك القلب الأقدس وكانت جالسة أثناء ترنيمة النشيد. وأشارت عليها إحدى الأخوات بأن تنضمّ الى الخورس. ومع أنّها كانت منهكة ولم تستطع الوقوف على قدميها، فقد وقفت على الفور؛ وبما أنني لمتُها على ذلك بعد الاجتماع، أجابتني ببساطة:

(٤) أي متراكبة بعضها فوق بعض (ش.ر).

* لقد اعتدت على إطاعة كل واحدة كما لو كان الله هو الذي يُظهر لي مشيئته.

* * *

خلال سنة ١٨٩٧، قالت لي الأخت تريز الطفل يسوع، قبل أن يظهر مرضها بمدّةٍ طويلة، إنّها كانت تنتظر فعلاً أن تموت هذه السنة؛ وها هو ذا السبب الذي أعطتني إيّاه في شهر حزيران: عندما رأت نفسها مصابةً بالسل الرئوي؛ فقالت لي:

* أترين، إنَّ الله سيأخذني في عمر لن يُتاح لي فيه بأن أصير كاهناً... لو أتيح لي بأن أكون كاهناً، لتمَّ الأمر في شهر حزيران هذا، وفي هذه السيامة كنت تقبّلت الأسرار الكهنوتية المقدسة. حسناً! ولكي لا أتأسَّف على شيء، أذن الرب بأن أكون مريضة، فأكون قد عجزت عن الوصول، وسأموت قبل أن أمارس كهنوتي.

تموز

قالت لها إحدى الأخوات بأنها قد تمرّ بساعة خوف قبل أن تموت للتكفير عن خطاياها.

* الخوف من الموت للتكفير عن خطاياي...؟ هذا لن يكون له قوّة أكثر من الماء العَكِر! لذلك، إذا ما شعرت بهذه المخاوف فسأقدمها للرب لأجل الخطأة، وكما أن هذا الأمر سيكون فعلَ محبّة، فهذا العذاب سيصبح بالنسبة الى الآخرين أقوى من الماء بكثير.

* — أما بالنسبة اليّ، فالشيء الوحيد الذي يطهّرني هو لهيب الحبِّ الإلهي.

وفي احد الأيام، بعد مناولتها:

* كان ذلك كما لو كنا وضعنا طفلين معاً والطفلان لا يقولان الواحد للآخر شيئاً؛ ومع ذلك فأنا قلت له بعض الأشياء الصغيرة، لكنه لم يُجِبني؛ بدون شك، لقد كان نائماً.

* عندما سأموت فسوف لا أقول شيئاً، ولن أقدِّم أيّة نصيحة. لو وضعوني على اليمين أو على اليسار فلن أساعد بشيء. سيقولون: إنَّها أفضل من هذه الجهة؛ بوسعهم حتى أن يضعوا النار بالقرب مني، فلن أقولَ شيئاً.

* * *

وُجدت في احد الايام مقابل مكتبة :

* – آه ! كم سأكون متأسفة أنني قرأت جميع هذه الكتب !

– لماذا، إذاً، فما دامت الكتب ستقرأ فستكون مكسباً فعلاً، وأنا أفهم الأسف لقراءتها لكن ليس بأنّها قُرأت.

* – لو قرأتُها لكنتُ صدّعت رأسي ، ولكنتُ أضعت وقتاً ثميناً كنتُ استطيع استخدامه في أن أحبّ الله بكل بساطة ...

* * *

إنني في حالة ذهنية بحيث يبدو لي معها أنني لا استطيع التفكير.

* – هذا لا يهمّ ، إنَّ الرب يعرف نواياك ، فبقدر ما ستكونين متواضعة بقدر ما ستكونين سعيدة .

* * *

دقت ساعة الصلاة مرة وأنا لم أغادر مكاني بسرعة كافية ، فقالت لي :

* هيَّا لتأدية واجبك الصغير .

ثم استدركت :

* لا ، حبَّك الصغير !

وقلت مرة أخرى : لا بدَّ من أن أشتغلَ لأنَّ يسوع سيكون حزيناً ، فقالت :

* لكن لا ، أنتِ مَنْ ستكون حزينة ؛ فهو لا يقدر أن يكون حزيناً مع تدابيرنا ، لكن يا للحزن بالنسبة الينا ، بألَّا نعطيه قدرَ ما نستطيع ! .

* * *

عندما كان النزيف يفاجئها ، كانت تفرح ، وتعتبر أنَّها كانت تهرق دمها لأجل الله فتقول :

* لا يمكن أن يكون الأمرُ بخلاف ذلك ؛ كنت اعلم جيداً أنني سأنال ذلك العزاء برؤية دمي يهرق ، إذ إنني أموت شهيدة الحبّ .

* * *

قلت لها مرّة: بما أنَّك كنتِ تريدين الذهاب إلى سايغون، فعندما ستصيرين في السماء، قد أذهب، ربما، مكانك لأتمِّ عملك، فسنكون كلانا قد أتممنا عملاً كاملاً.

* آه! إذا حدث وذهبتِ إلى هناك، فلا تفكّري في إتمام أيّ شيء. لا حاجةَ إلى ذلك. كل شيء حسن، وكل شيء كامل وتام، وما يهمّ هو الحبّ وحده... لو ذهبت إلى هناك فسيكون ذلك نزوةً من يسوع، لا شيء أكثر. لا تفكّري في أنَّه سيكون عملاً نافعاً؛ سيكون نزوةً من يسوع ...

إلى الأخت ماري للقلب الأقدس

أيار

كانت الممرضة قد نصحت لها بأن تقوم بنزهة قصيرة لمدة ربع ساعة في الحديقة. فالتقيتُها تمشي بمشقّة، وكما يقال، خائرةَ القوى. فقلت لها: «من الأفضل أن ترتاحي، فهذه النزهة لن تفيدك بأيِّ شيء في هذه الحال؛ ستُرهقين نفسك وهذا كلّ شيء». فأجابتني:

* هذا صحيح، لكن أتعرفين ما الذي يمنحني القوّة؟ حسناً، أنا أمشي لأجل مُرسَلٍ. أفكر في أنَّه هناك، بعيداً جداً، قد يكون أحدهم مرهقاً في رحلاته الرسولية؛ وحتى أخفِّف من متاعبه، أقدّم متاعبي لله.

تموز

كان ألمها الكبير في الكرمل هو ألَّا تتناول القربان كل يوم. فقبل موتها بقليل، قالت للأم ماري دي غونزاغ، التي كانت تشعر بخوف من المناولة اليومية:

* يا أمِّي، عندما سأصير في السماء، فسوف أجعلك تُغيِّرين رأيك.

وهذا ما حدث. فبعد موت أمة الله، اخذ الاب المرشد يقدِّم لنا المناولة المقدسة كل يوم، والأم ماري دي غونزاغ بدل من أن تغضب، كانت سعيدةً بذلك جدّاً.

* * *

قلتُ لها ذات يوم: «آه! لو كنتُ وحدي مَن تتألم برحيلك! لكن كيف استطيع أن أعزّيَ الأم أنييس ليسوع التي تحبك بهذا القدر؟» فأجابت:

* كوني مطمئنّة، فهي لن يكون لديها وقت للتفكير في كُربتها؛ لأنّه حتى نهاية حياتها ستكون مشغولةً بي، وهي لن تستطيع أن تَفي بكل شيء.

* * *

حوالي شهر آب/اغسطس ١٨٩٧، وقبل موتها بستة أسابيع، كنتُ بالقرب من سريرها مع الأم أنييس ليسوع والأخت جنفياف. وفجأة، وبدون أية محادثة كانت قد أدَّت إلى هذا الكلام، نظرت إلينا بسمةٍ سماوية وقالت لنا بغاية الوضوح:

* تعرفن جيّداً أنكنّ تعتنين بقديسة صغيرة.

* * *

وعندما سأل القاضي النائب العام [الشاهدة] إن كانت امة الله قد أضافت بعض التفسيرات أو التصحيحات على ما قالته أجابت الاخت:

كنتُ متأثرةً جدّاً بهذا الكلام كما لو كنت سمعتُ قديساً يتنبأ بما سيحصل له بعد موته. وتحت سيطرة ذلك الإنفعال، ابتعدتُ قليلاً عن غرفة التمريض، ولا أذكر أنني سمعتُ شيئاً آخر.

إلى الأخت ماري للأفخارستيا

١١ تموز

* أنصح لكِ، عندما ستخوضين معارك ضد المحبّة، بأن تقرأي هذا الفصل من كتاب **الإقتداء**: «في وجوب تَحَمُّل أخطاء الآخرين». سترين أن معاركك ستسقط؛ لقد أفادني كثيراً؛ إنّه نافع جدّاً جداً.

١٨ تموز

طلبت إليها أن تنال لي نِعماً كبيرة عندما ستصير في السماء، فأجابتني:

* آه ! عندما سأصير في السماء، سأصنع أشياء كثيرة، أشياء كبيرة . . . من المستحيل ألّا يكون الرب، ذاته، من يعطيني هذه الرغبة، وأنا متأكدة من أنّه سيستجيب لي ! – ومن جهة أخرى أيضاً، عندما سأصير في الأعالي، فأنا من سأتبعك عن قرب ! ...

ولما قلت لها إنها قد تخيفني :

* أيخيفك حارسك الأمين ؟ . . . ومع ذلك فهو يتبعك، طوال الوقت ! إذاً، سأتبعك بالطريقة نفسها، وعن قرب أيضاً ! لن أفوِّت شيئاً ...

تموز

* قد يَحزَنُ الله قليلاً، ولا شكّ، عندما نتفكّر قليلاً في ما تقوله الأم الرئيسة ؛ ويحزنه كثيراً عندما نتفكّر في ذلك، حتى في داخل قلبنا.

٢ آب

* لا أجد أيّة متعة طبيعية في أن أكون محبوبة ومدللة، لكن أجد متعةً كبيرة جداً في أن أكون مذلولة. عندما أرتكب حماقة تُذِلُّني وتجعلني أرى ما أنا عليه، آه ! فعندئذ، أشعر بمتعةٍ طبيعية ؛ أشعر بفرح حقيقي كالذي تشعرين به لكونك محبوبة.

١١ أيلول

* عليك أن تصبحي لطيفةً جداً ؛ لا تستعملي كلاماً قاسياً ابداً، ولا نبرة قاسية ؛ لا تظهري أبداً بمظهر قاسٍ، وكوني لطيفة دائماً.

* فأمسِ، قد آلمتِ الأختَ الفلانية ؛ وبعد لحظات، آلمتِها إحدى الأخوات ايضاً. ماذا حصل ؟ . . . لقد بكت . . . حسناً ! فلو لم تعامليها بقساوة لكانت تقبّلت بشكل أفضل الأذيّة الثانية، ولكانت قد مرّت بشكل لم يفطن له أحد. لكنّ ألمين متقاربين إلى هذا الحد جعلاها في حالة حزن كبير جداً ؛ في حين أنّك لو كنتِ لطيفة معها، لما حدث شيء على الإطلاق.

* * *

وذات يوم، جعلتني أعدها بأن أكون قديسة؛ وسألتني إذا كنت قد أحرزت تقدّماً؛ فأجبتها عندئذ: أعدك بأن أكون قديسة عندما سترحلين إلى السماء؛ عندها سأباشر ذلك من كل قلبي. فأجابتني:

* – آه! لا تنتظري ذلك الوقت. إبدأي منذ الآن. إنَّ الشهر الذي سبق دخولي الكرمل بقي بالنسبة اليّ كذكرى عذبة. في البدء كنتُ أقول مثلك: «سأكون قديسة عندما سأصير في الكرمل؛ وفي الإنتظار، لن أزعج نفسي» . . . لكن الله أظهر لي ثمن الوقت؛ ففعلت تماماً عكس ما كنت أفكر فيه؛ أردت ان استعد لدخولي بأن أكون أمينة جداً؛ فصار من أجمل شهور حياتي.

* صدّقيني، لا تنتظري أبداً الغد لتبدأي بأن تصبحي قديسة.

إلى الأخت ماري للثالوث

نيسان

روت لي اللمحة التالية التي حصلت قبل خمسة أشهر من وفاتها:

* «ذات مساء، جاءت الممرّضة ووضعَت عند قدميّ زجاجة ماء ساخنة وصبغة اليود على صدري. كانت الحمى تأكلني وعطش شديد يفترسني. وبخضوعي لهذه العلاجات، لم أقدر أن أمنع نفسي من الشكوى إلى ربّنا: «يا يسوعي، أنت شاهد على ذلك، أنا أحترق، ويؤتونني بالحرارة والنار! آه! لو كنت أحصل بدل كلّ هذا على نصف قدح ماء! . . . يا يسوعي! ابنتك الصغيرة عطشى جداً! لكنها سعيدة، مع ذلك، بأن تجد فرصةً ينقصها فيها الضروري لكي تزداد شبهاً بك وتُخلِّصَ نفوساً. وبعد قليل تركتني الممرضة، ولم أعد أتوقّع رؤيتها ثانية إلّا في الغد؛ لكن الذهول اعتراني حين عادت، بعد دقائق، تحمل شراباً منعشاً . . . آه! كم يسوعنا طيّب! وما اعذب أن نوكل اليه امرنا!

أيّار

أمسِ، أعادت ترنيمة «الوردة المنزوعة الاوراق» إلى ذاكرتي ذكرى عزيزة. فالأم

ماري هزييت من كرمل باريس، جادة ميسين، كانت قد طلبت إليّ أن أرجو الاخت تريز الطفل يسوع أن تنظم لها قصيدةً حول هذا الموضوع. وبما ان الموضوع كان يلائم مشاعر قديستنا العزيزة، فقد سكبت فيها قلبها كله. وقد سرّت الأم هنرييت بذلك كلّ السرور؛ إلا أنّ الامّ كتبت اليّ بأنّ القصيدة كان ينقصها مقطعٌ أخير يشرح أنّه، عند الموت، سيجمع الله هذه البتلات المتناثرة ليشكّل منها من جديد وردةً جميلة تتألق طوال الأبدية. عندئذٍ قالت لي الأخت تريز الطفل يسوع:

* فلتنظم الأم الطيبة بذاتها هذا المقطع كما تشاء؛ اما بالنسبة اليّ فلست مُلهمة قط لأنظمه. إن رغبتي هي في أن أكون متناثرة للأبد، لأفرّح الله. نقطة على السطر! ...

حزيران

ما زالت أشهر احتضار ملاكنا الثلاثة الطويلة ماثلةً أمامي. (...) كان يُمنع عليّ التحدّث إليها، بحجة كوني شابةً فقد التقط مرضَها! كنتُ مع ذلك متأكدة من العكس، لأنَّ الأخت تريز الطفل يسوع كانت قد أكّدت لي أن أحداً لن يلتقط مرضها، وأنَّها كانت قد طلبت ذلك من الله. كانت أخبار صحّتها محزنة تزيدني حزناً يوماً بعد يوم، وكنت أختنق من الحزن... وذات يوم كنتُ أتنزّه في الحديقة، فلمحتها في عربتها، عربة المرضى، تحت أشجار الكستناء؛ كانت وحدها، فأشارت إليّ بالاقتراب منها: «آه! لا، قلتُ لها، سيروننا وليس عندي إذن». فدخلتُ إلى مَنْسك الوجه الأقدس ورحت أبكي. ولمّا رفعتُ رأسي، رأيت بدهشة أخيّتي تريز الطفل يسوع جالسةً على جذع شجرة، بالقرب منّي، وقالت لي:

* أنا لا يُمنع عليّ المجيء إليك، ولو عليَّ أن أموت من ذلك، أريد أن أُعزّيك.

مسحتْ دموعي وهي تسند رأسي الى قلبها. ورجوتها أن تعود إلى عربتها، لأنَّها كانت ترتجف من الحمّى:

* نعم، لكن ليس قبل أن تبتسمي لي!

هذا ما فعلته على الفور خشية أن يصيبها سوء، وساعدتها على العودة إلى عربتها.

كنت أتألم كثيراً لرؤيتها مريضةَ وقد كرَّرت عليها ذلك غالباً: «آه! كم الحياة محزنة!»، لكنها قاطعتني فوراً قائلة:

* الحياة ليست محزنة! إنَّها على العكس مَرِحةٌ جدّاً. لو قلتِ: «إنَّ المنفى محزن»، لكنتُ فهمتك. نرتكب خطأ عندما نعطي اسم الحياة لما يجب أن ينتهي. فليس علينا أن نطلق هذا الإسم الحقيقي إلا على اشياء السماء، وعلى ما يجب ألا يموت ابداً، وبهذه الصفة، فالحياة ليست محزنة، لكنَّها فرحة، فرحة جداً!...».

تموز - آب

في قاعة الطعام، وفي احد الاعياد، نسوا ان يعطوني الحلوى. وبعد العشاء، ذهبت لرؤية الأخت تريز الطفل يسوع في غرفة التمريض، ولدى لقائي هناك جارتي على المائدة، أفهمتُها بلباقة كافية أنني كنتُ قد نُسيت. فسمعتني الاخت تريز الطفل يسوع، فأجبرتني على الذهاب لإعلام الأخت المكلَّفة بالخدمة؛ وبما أنني رجوتها ألَّا تفرض الأمر عليَّ، قالت لي:

* لا، سيكون هذا قصاصَك، فأنت لا تستحقِّين ما يطلبه الله منك؛ لقد طلب منك الحرمان من حلواك، لأنَّه هو الذي سمح بأن ينسوك؛ وكان يعتقد أنَّك سخيَّة كفاية لمثل هذه التضحية، لكنك تخيِّبين أمله بذهابك للمطالبة به!

أستطيع القول إنَّ درسها حمل ثماره وشفاني للأبد من الرغبة في تكرار ذلك.

آب

هذا يعيد إليَّ ذكرى حميمة مع أخيَّتي تريز الطفل يسوع. كان ذلك قبل شهر تقريباً من موتها. كانت الجماعة كلّها حزينةً جدّاً، وأنا، بكل تأكيد، لم أترك لأحد أن ينافسني في الحزن. ولما ذهبت لرؤيتها في غرفة التمريض، لمحتُ عند قدم سريرها بالوناً أحمر كبيراً كان قد أُعطي لها لتسليتها. وأثار هذا البالون شهيَّتي ولم أستطع منع نفسي أن أقولَ لها: «كم أودّ لو ألعب به!». ابتسمت، لكن بما أنَّ ضعفها كان شديداً لدرجة أنّها لم تكن تستطيع تحمّل أية ضجة، قالت لي:

* قفي ورائي فليس هناك أحد؛ ومن ثمَّ العبي به، فسأُغمض عينيَّ حتى لا يدوّخني اللعب.

أخذتُ البالون فَرِحَةً ورحت أتمتَّع بلعبتي، في حين كانت الحبيبة تريز ترفُّ بعينيها لتنظر إليَّ بدون أن يبدو عليها ذلك. ولم تستطع أن تمنع نفسها من الضحك. عندئذ قلت لها: «لقد طال حزنك عليَّ! لم أعد أتحمَّل ذلك! أشعر بما يشبه التجارب للترويح عن نفسي، وبرغبات في أن ألعب بالبلبل الذي أعطيتني إيَّاه في الميلاد؛ لكن لو رأوني فهذا خليق بإثارة الاستنكار والقول إنني بلا قلب. فأجابتني:

* لا، لا، أنا أجبرك على أخذ بلبلك والذهاب للَّعبِ به ساعةً في سقيفة قسم الابتداء؛ فهناك لن يسمعك أحد. وإذا ما لحوك تلعبين ستقولين إنني أنا من قلتُ لك ذلك. هيَّا بسرعة، فيسرُّني كلّ السرور أن أفكر في أنك ستروِّحين عن نفسك.

* * *

* قالت لي: عندما سأصير في السماء، عليك غالباً أن تملئي يديَّ الصغيرتين بالصلوات والتضحيات حتى أتسلَّى بأن أنثرها غيثًا من النعم على النفوس.

أيلول

قبل وفاتها بثمانية أيَّام، كنتُ قد بكيت طوال السهرة وأنا أفكر في رحيلها القريب. لمحت ذلك وقالت:

* لقد بكيتِ. هل كان في الصَدَفة(٥)؟

لم أستطع الكذب... واعترافي أحزنها. فأردفت:

* - سأموت ولن أكون مطمئنة بشأنك، إذا لم تعديني بأن تتبعي بأمانة وصيَّتي. أنا أعلّق أهميةً جوهرية على ذلك بالنسبة الى نفسك.

لم يكن لي غير أن أستسلم، ووعدتها بذلك؛ بيد أني طلبت منها، كمن يطلب نعمة، الإذن بأن أبكي موتها بحريَّة.

* * *

(٥) كانت الاخت تريز قد أمرت المبتدئة بأن تسكب فيها دموعها كلّما احتاجت إلى البكاء.

وفي يوم وفاتها، عدت بعد صلاة الستّار، إلى غرفة التمريض حيث وجدت أمة الله تغالب بشجاعة لا تقهر، أقسى صراعات الاحتضار الأخير. كانت يداها بلون البنفسج، وكانت تضمّهما بقلق، وتصرخ بصوتٍ جعله قوياً وواضحاً إحتدادُ الألم الشديد:

* – يا إلهي! . . . إرحمني! . . . يا مريم، تعالي لمعونتي! . . . يا إلهي، لكم أتألم! . . . الكأس مليئة . . . مليئة حتى الحافة! . . . لن أعرف أبداً كيف أموت! . . .

– قالت لها أمنا: تشجّعي، أنتِ على وشك النهاية، بعد قليل ويتمّ كلّ شيء.

* – لا، يا أمي، لم ينتهِ الأمر بعد! . . . أشعر فعلاً بأنني سأتألم هكذا لعدّة أشهر.

– وإذا كانت هذه مشيئة الرب أن يتركك هكذا على الصليب لزمن طويل، أتقبلين بذلك؟. فقالت بنبرةٍ بطولية فائقة:

* – أريد ذلك فعلاً!

وسقط رأسها ثانية على الوسادة بهدوء واستسلام الى درجة لم نكن نقدر معها أن نحبس دموعنا. لقد كانت فعلاً مثل شهيدةٍ تنتظر عذاباتٍ جديدة. فتركتُ غرفة التمريض كوني لم أعد أملك الشجاعة على ان أتحمّل مدةً أطول مشهداً موجعاً بهذا المقدار. ولم أعد إلى هناك إلّا مع الجماعة لأجل اللحظات الأخيرة وكنت شاهدة على نظرتها الجميلة والطويلة، نظرة انخطافها لحظة موتها في يوم الخميس ٣٠ أيلول/سبتمبر ١٨٩٧، الساعة السابعة مساء.

إلى الأخت تريز للقديس أغسطينوس

تموز

– قولي لي إذا كنت قد واجهتِ معارك.

* – آه! بلى، لقد واجهتها! كنت أتمتع بطبعٍ غير رضي، وهذا لم يكن يظهر، لكنّي كنتُ أشعر به جيداً؛ وأستطيع التأكيد لك أنني لم أمرّ بيوم واحد بدون أن أتألّم؛ ولا واحد.

– لكن هناك من يدّعي أنّك لم تواجهي ذلك.

* - آه! يا لأحكام البشر! فلأنهم لا يرون، فهم لا يصدّقون.

* * *

هناك أخوات يعتقدن أنّكِ ستشعرين بمخاوف الموت.

* إنّها لم تصل بعد. إذا أتت فسأتحمّلها؛ لكن إذا شعرت بها فلن تكون كافية لتطهّرني، فلن تكون غير ماء جاقل ... فما يلزمني انما هو لهيب الحبّ.

إلى الأخت ماري للملائكة

إجتمعت يوماً الجماعةُ بالقرب من سريرها فقالت لها الأم أنييس ليسوع: «لو تنشرين أزهاراً على الجماعة». فأجابت:

* - آه! لا، يا أمَيمتي، لا تطلبي إليَّ هذا، أرجوك؛ لا أريد أن أنثر أزهاراً على المخلوقات. قد أريد ذلك لأجل العذراء والقديس يوسف، لكن ليس لأجل مخلوقات أخرى.

* * *

قبل بضعة أيّام من موت أمة الله، دحرجنا سريرها تحت الرواق.

ولما كانت الأخت ماري للقلب الأقدس، بستانية الباحة، بالقرب منها، قالت لها: «هو ذا فرع من الوردة (Rododendhrum) التي تموت، سوف أقتلعه». فأجابت بنبرة خافتة تشكو وترجو:

* - يا أختي ماري للقلب الأقدس، أنا لا أفهمك ... أتوسل إليك، إكراماً لي، انا المائتة، دعي هذه الـ Rododendhrum تعيش.

كان عليها ان تزيد إلحاحها، لكن رغبتها احتُرمت.

إلى الأخت إيميه ليسوع

في الأيام الأخيرة من أيلول/سبتمبر ١٨٩٧، حينما كان ضعفُ عزيزتنا القديسة يمنعها من الحركة، كان من الضروري وضعها لبعض اللحظات على سرير مؤقّت، لترتيب سرير مرضها. ولما رأت حيرةَ الممرّضات اللواتي كن يخشين جرحها، قالت:

* أعتقد أن أختي إيميه ليسوع (Aimée de Jésus)، يمكنها ان تحملني بسهولة بين ذراعيها. فهي كبيرة وقويّة، وتعامل المرضى بلطف.

فدعيت اختنا الطيبة التي رفعت قديستنا الصغيرة المريضة كأي حِملٍ خفيف، من دون أن تسبِّب لها أيّ اهتزاز. وفي تلك اللحظة، بينما كان ذلك الملاك يحيط عنقها بذراعيه، شكرها بابتسامة عرفان ودّي، حتى إن الاخت لم تنسَ قط هذه الابتسامة الخارقة. واعتبرتها تعويضاً لها لأنها كانت الوحيدة التي لم تسمع جرس الممرّضة تدعو الراهبات الى اللحظة الاخيرة، لحظة اجمل موت شاهده دير ليزيو.

مصدر مجهول

سئلت بأيٍّ اسمٍ ينبغي أن تُدعى عندما ستكون في السماء؟

* فأجابت بتواضع: ادعوني تريز الصغيرة.

الفهرس

المخطوطات

المسرحيات

القصائد

قصائد إضافيَّة

الرسائل

١٩ – إلى پولين

٢٠ – إلى الأخت أنييس ليسوع

الصلوات

المحاورات الأخيرة